موسوعة أهل السنة

في نقد أصول فرقة الأحباش
ومن وافقهم في أصولهم

تأليف

عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية

المجلد الأول

مكتبة الشمري

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

الصف والأخـراج
مركز دار المسلم للصف والاخراج الفنى



الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف وفاكس : ٤٩٣١١٤٩

الموزعون المعتمدون

السعودية : مكتبة الشقري – الرياض ت : ٤٦١١٧١٧ (٠٠٩٦٦١)

مصر : مؤسسة النور للنشر والترجمة ت : ٣١٠٢٢٢ (٠٠٢٠٥٠)

تركيا : مكتبة الغرباء – تركيا – استانبول ت : ٠٤٩ ٢١٢٥٨٩٦٠٤٩

الامارات : دار الفتح – الشارقة – هاتف المكتبة : ٣٢٢٥٢٤ (٠٦)

توزيع
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان

الـــرياض ١١٤٣١ – ص . ب : ١٤٠٥

ت : ٤٠٢٢٥٦٤ – فاكس : ٤٠٢٣٠٧٦

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

فهذا آخر إصدار من مؤلفاتي حول فرقة الأحباش والتي لم يردوا الى الآن على أي منها ولله الحمد.

لقد أجادوا في الرد على من اتهمهم بتحريم أكل البيض والعسل والخيار وملاصقة الأنثى للجدار لأنه ذكر، وما أسهلها من ردود تحرج من لم يتحر الدقة والدليل والإنصاف في حق الخصوم.

ولكنهم لم يستطيعوا الرد على كتبي هذه والمرتبة ترتيباً زمنياً:

الرد على عبد الله الحبشي. طبع سنة ١٩٨٣.

النقشبندية: طبع سنة ١٩٨٣.

مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ١٩٨٤.

كتاب الرفاعية ١٩٨٥.

كتاب الحبشي: شذوذه وأخطاؤه ١٩٨٩.

كتاب بين اهل السنة وأهل الفتنة ١٩٩٠.

كتاب شبهات اهل الفتنة وأجوبة أهل السنة ١٩٩٢.

وقد وعدوا بالرد فقالوا «ولعلنا يوما نرى من يتفرغ لجمع شذوذ هذا الرجل في مقالات فكاهية بعنوان **دمشقيات**»[1]. غير أن هذه المقالات «الفكاهية» لم تصدر بعد: هدانا الله وإياهم.

ولعلهم الى الآن لم يروا من يتفرغ لذلك. لماذا؟

أين تعقيباتكم؟

أين شيخكم... أين مشايخكم؟

أين دوائركم العلمية لشئون الشرق الأوسط وأوروبا وأمريكا؟.

إنهم عاجزون ولله الحمد عن الرد على كتبي لا سيما منها: كتاب الرفاعية وكتاب النقشبندية وكتاب شبهات أهل الفتنة.

وقد وعد النقشبنديون منذ أربع عشرة سنة بالرد على كتابي «النقشبندية». والى الآن لم يردوا. وقد وفقني الله لاصدار رسالة جديدة مفصلة حول الطريقة النقشبندية بعنوان «حقائق خطيرة حول الطريقة النقشبندية» تلغي كتابي القديم حول هذه الطريقة.

---

١) مجلة منار الهدى عدد ٢٦ صفحة ٢٧ وهذا نموذج من أخلاق القوم.

ويأتي هذا الكتاب الجديد « **الموسوعة السنية في تفنيد الشبهات البدعية**» الذي أدعي فيه أنني وبفضل من الله قد أنهيت كل شبهة يتعلق بها أهل البدع عموما والأحباش خصوصا.

وأنبه في هذه المقدمة الى عدة أمور:

الأول: أنني قد ألغيت كتاب شبهات أهل الفتنة ويأتي هذا الكتاب ليكون إصدارا آخر حيث جرت عليه تعديلات وإضافات كثيرة لا سيما في فصول التوحيد والتوسل والتبرك والتأويل، واستجدت لدي معلومات كثيرة بقيت أدخلها على الحاسب لسنين عديدة في ردي على هذه الفرقة. فأرجو أن يكون هذا الكتاب موسوعة علمية حقيقية غنية بالمعلومات وأقوال سلف هذه الأمة وأئمتها، يستفيد منها طالب الحق والمدافع عن سنة النبي محمد صلوات ربي وسلامه عليه.

الثاني: راعيت في هذا الكتاب الاحالة الى أرقام الصفحات الواردة في الطبعات الجديدة من كتب الحبشي ككتاب بغية الطالب وصريح البيان بناء على طلب بعض الاخوة الأفاضل حيث بلغنا أن الأحباش يُظهرون للناس الطبعات الجديدة من كتب شيخهم المختلفة في أرقام صفحاتها عن الطبعات القديمة التي كنت أحيل اليها، وذلك تمويهاً وخداعاً للناس ليظنوا أننا نفتري على شيخهم ونختلق له فتاوى مكذوبة، ونحيل الى أرقام مزورة، لذلك تجدني في هذه الطبعة أحيل الى النص حسب الطبعتين القديمة والجديدة من مؤلفات شيخهم لتفويت الفرصة على ممارسي «الحيل الشرعية» التي أجازوها على الله حتى قال شيخهم في حكم الاسبيرتو «وهذه حيلة يراد بها التخلص من الحرام»[1]

وكما أن كذباً على النبي ﷺ ليس ككذبٍ على أحد:
فكذلك احتيال على الله ليس كاحتيال عليً أحد.

الثالث: أن الطبعات الجديدة من كتب شيخهم تتضمن إضافات وحذوفات، فمثلا حذف الأحباش في الطبعة الجديدة من صريح البيان فتوى شيخهم بإباحة اليانصيب وبيع وشراء الصبي، ومن كتاب «بغية الطالب» جواز نظر الرجل الى شيء من بدن المرأة الأجنبية التي لا تحل له، بينما كانت في الصفحة (٢٨٨) من الطبعة القديمة. وكذلك جواز النظر الى محارمه من النساء مطلقا ما عدا ما بين السرة والركبة اذا كان بغير شهوة، وقد كانت في الصفحة (٢٩٠) من الطبعة القديمة.

---

١) بغية الطالب ط: قديمة ٢٥٧ جديدة ٣٣٠.

الرابع: أن هذا الكتاب يعتبر من أقوى المراجع في مناظرة القوم والاحتجاج عليهم فإنه غني بالمعلومات في كل مسألة من المسائل المختلف عليها مع القوم. ومع أنني لا أحبذ المناظرة معهم لما أعرف من خلقهم وتلبيسهم الحق بالباطل وهم يعلمون. فإن هذا الكتاب ذخيرة في يد من كان منتسبا لنفس الفرقة التي ينتسب اليها الأحباش من غير أن يكون متخلقا بخلقهم.

وهناك من ينتسبون للمذهب الأشعري ممن أعرف فيهم الخلق الحسن والاستعداد للحوارات العلمية الهادفة، ويأتي هذا الكتاب ليكون فرصة لمزيد من الحوار النزيه، هدانا الله وإياهم لما فيه اتباع هدي السلف الصالح وجعلنا وإياهم حماة لهذا الدين، وإن أولى الناس بالنبي ﷺ من يذبون عن سنته.

كيف يستغل الأحباش البيئة المناسبة

نعم تلك هي الحقيقة إن الأحباش يتربعون في أحضان بيئة يجوز في مذهبها التأويل والتصوف.

فإذا أنكر أحد عليهم التأويل قالوا: أليس التأويل من أصول مذهبكم؟ أليس شيوخكم ومفتوكم المعتبرون بين أشاعرة وماتريدية؟

وإذا أنكر عليهم التصوف وأصناف البدع التي ينشرونها قالوا:

ألم يكن مفتوكم شاذليين ونقشبنديين ورفاعيين؟ فلماذا تنكرون علينا هذه الطرق؟

أليس من أصول مذهبكم وأقوال مشايخكم جواز البدعة الحسنة؟ فلماذا تنكرون علينا؟

ولذا لا يزول الأحباش الا بزوال الأصل الذي يستغلونه، وحتى لو انقرض الوجود الحبشي فإنه سيظهر بنفس الأصول في ثوب آخر، وهكذا حتى يذهب هذا الباطل القديم وهذه الأصول التي لا زال يتربى عليها أجيال وتظهر في صور وفرق مختلفة.

وهنا يظهر دور الكتاب المهم فإنه ليس يصلح للرد على الفرقة الحبشية فحسب، وإنما يكشف الأصول الباطلة التي ما زالت متعلقة بالأمة منذ قرون عديدة من تصوف وعلم كلام ويرد على أي فرقة تجتمع في أصولها مع الأحباش وإن كانت تختلف معها في بعض التفاصيل والفروع.

إن هناك كثيرين يرتضون مبدأ رد الأحباش على «المخالفين» لأنهم يجتمعون مع الأحباش في نفس الأصول والغايات ولكنهم قد يختلفون معهم في طريقة هذا الرد ووسيلته، وفي الأسلوب الذي ينتهجونه منهم.

نداء الى الأحباش

هذا الكتاب ليس إثباتا للتحدي، ولكنه تبيين للحق وإثبات له بالأدلة والبراهين ليتمكن الباحث عن الموازنة بين دعوى الخصمين.

إنني أدعو الجميع ومن بينهم الأحباش الى قراءة هذا الكتاب وإنني لا أمتعض من قبول النصيحة من أي جهة أتت، ومستعد للتراجع عن أي خطأ يثبت بالدليل في هذا الكتاب.

ما الذي يصدهم عن قراءة كتابي فإنني شخصيا ما تركت كتابا للحبشي الا وقد قرأته، وقد عهدت بعضهم لا يطيق مجرد النظر الى غلاف كتابي.

فهلا نبذنا العصبية والكراهية وراءنا، ووسعت صدورنا للاطلاع على حجة مخالفنا لماذا يلتقي المختلفون وهم كفار فيخرجون باحترام وإن لم يتفقوا؟

أولسنا بأولى بهذا الخلق منهم؟ وقدوتنا محمد ﷺ الذي شهد الله بكمال خلقه في القرآن فقال ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾؟ أم أننا لا نريد الاقتداء بخلقه الكريم بأبي هو وأمي!!!

لقد أمرنا الله أن ننصف عدونا ممن لا ينتمي لديننا، أفليس من باب أولى أن يكون هذا الانصاف فيما بيننا؟

لقد أمرنا الله أن لا نجادل أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن فلماذا لا نتجادل فيما بيننا بمثل ذلك؟

وهل ترانا نستطيع أن ننصف عدونا إن كنا عاجزين عن إنصاف بعضنا بعضا؟

إن الله سيجمع بيننا وسنقف في محكمته، ويحكم بين المختصمين، وهذه الدنيا ليست بموطننا الأم وإنما هي معبر اختبار تنتهي فيه حصة الاختبار عندما يدق جرس الموت، فلنتق الله فيما بقي قبل أن يفوت الأوان ويومئذ لا ينفع الندم.

إنني أعتذر عن كلمة صدرت مني واعتبرت مني قاسية مما قد يقع مني أثناء ردودي، وأرجو أن يعذرني القارىء فقد يأخذني الحماس وأنطلق بعاطفتي عن الحد المطلوب.

وأرجو أن يكون هم القارىء الاطلاع على ما في الكتاب وأخذ الحق منه وإسداء النصيحة لما يرد فيه من خطأ، وهذا حال من رزقه الله إنصافا.

حول عبد الله الحبشي

لقد قدم عبد الله الحبشي الهرري الى لبنان من بلد اشتهرت فيها فتنة (كُلُب) حيث تسبب موقفه العدائي ضد الجمعيات الإسلامية لصالح السلطات الأثيوبية الى اغلاق مدارس تحفيظ القرآن ونفي القائمين عليها وسجن بعضهم.

وهذه حقيقة قد لا يَرضى أتباع الحبشي تصديقها ولا سماعها، غير أننا نذكرهم بالدور المشابه الذي قام به في لبنان مما تسبب في فتنة هي أعظم من فتنة كُلُب الماضية.

فإنه لما جاء الى لبنان وخلا له الجو عاود الفتنة نفسها وأحدث شرخا عظيما وكراهية شديدة بين أبناء الطائفة السنية، وتأسست جماعته على عدم التسامح ولا اللين مع الجماعات الأخرى بل تتعامل معهم بلغة التكفير والطعن واللعن، الأمر الذي أكد تهمة فتنة الأمس (كُلُب) بمدينة هرر.

وقد اصطحب معه في مجيئه مجموعة من الفتاوى الشاذة وسعى في نشر مخلفات عقائد المعتزلة، وجعل علم الكلام هو التوحيد والدفاع عن البدعة هو طريق السنة وجعل الاستغاثة بالمخلوق شعار أهل التوحيد، وسب العلماء وشتمهم وإخراجهم من جادة الاسلام هو الاخلاق التي جاء بها الاسلام.

لماذا قلت: شذوذه وأخطاؤه؟

هو شركة تنقيب عن الزلات والهفوات والأقوال المرجوحة والفتاوى الشاذة: يستقطب بها أناساً «يريدون الحق» ولكن يريدونه تبعاً لأهوائهم ﴿**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن**﴾ لا يطلبون ورعاً بل رخصاً يوفقون بها بين الدين وأهوائهم. ومن حمل شاذ العلماء حمل شراً كبيراً.

فيأتيك بالفتوى الشاذة يظللها لك بـ « قال محمد بن الحسن قال عطاء قال أحمد قال سفيان: يُسندها لك لتستسيغها ويكمم بأسانيده المظلمة أفواه المعترضين والمنكرين: فهذه شيطنة.

وينقل لك أمورا عن بعض من يجوز عليه الخطأ ممن عهد عنهم الرجوع عن الخطأ حال تبينه:

فيأخذ من أبي حنيفة جواز أخذ الربا من الكافر الحربي.

ويأخذ من الشافعية قصر الزكاة على الذهب والفضة دون العملة الورقية بل قبل وجودها.
ويأخذ من الشيخ العدوي جواز صلاة الرجل مغموساً بالنجاسة. ومن غيره الصلاة وهو مكشوف الجسد الا من السوأتين فقط لمن يعتقد جواز ذلك.
ويأخذ من الشيخ عليش أن الله هو الذي أعان الكافر على كفره ومن الرازي أن العبد مجبور في صورة مختار.
ويأخذ من المعتزلة التأويل كاعتقاد استيلاء الله على العرش.
ويأخذ من بعض الفقهاء الأحناف جواز الحيل «الشرعية» على الله.
ويأخذ من بعضهم جواز أن تخرج المرأة متزينة متطيبة.
ويأخذ من الصوفية جواز الاستغاثة بغير الله والتبرك عند القبور، والزيادة على ما شرعه الله في الدين.
ويأخذ من الرفاعية جواز بيع العقارات في الجنة وإطفاء الأنوار عند الخلوات وعند أخذ البيعة.
ويأخذ عن الأشاعرة جواز أن يكون جبريل هو المعبر بالألفاظ عن كلام الله الذي هو معنى في النفس.
ويأخذ عنهم جواز أن يعذب الله الأنبياء والصالحين وأن يدخل الكفار الجنة ويثيبهم على كفرهم.

ما يدندن الأحباش حوله

وبعد سماع كثير من دروس الحبشي وتلاميذه وجدتها تدور حول المواضيع التالية:
جواز دعاء غير الله بل والاستعاذة بغير الله، والالتجاء الى مقابر الصالحين والابتداع في الدين.
أصل الدين أن لا يُعبد الا الله، وأن لا يُعبَد الله إلا بما شرع. أما عندهم فأصل الدين: عبادة الله وغير الله بما شرع وبغير ما شرع من أصناف البدع.
التلاعب بنصوص القرآن بما يسمونه تأويلا.
الارجاء في الايمان والجبر في القدر، وجواز اتباع الحيل على الله، وإن أسموها «شرعية»، وجواز موالاة من يحكمون بغير ما أنزل الله. ولا يسمون من يحكم بغير ما أنزل الله متطرفا ولكنهم يسمون المطالبين بتحكيم الشريعة متطرفين.
وفتح باب التكفير (وهو أخطر باب يفتح) مع الجهل بضوابط التكفير وأصوله بما أدى الى حكم أتباعه على المخالف بالكفر ولو كانت المخالفة فيما لا يبلغ درجة الكفر كفروع الأحكام.

شبهات الشيطان

الشيطان لا يأمرك أن تقع في الشر مباشرة، لكنه يستدرجك اليها خطوة خطوة عن طريق الشبهات، ويسخّر لها مجموعة من الأقوال المنسوبة بأسانيد مجهولة.

فيأتيك بفتوى خاطئة أو رأي مرجوح زلت به قدم عالم فاضل، فيأتي رجل كالحبشي بمجموعة الزلات بعد أن يكون أمضى عمره في جمعها وترتيبها يستجلب بها أصحاب نفوس مريضة وهوى مستحكم، يريدون الحق ولكن: تبعاً لأهوائهم.

○ فمن كان يبحث عن فتوى ترخص له تعطيل الزكاة يجد «بغيته» عند الحبشي، ومن كانت نفسه تميلَ الى أخذ الربا و «جمع الغنائم» والمقامرة يجد « بغيته» عند الحبشي. ومن كانت تريد فتوى ترخص لها الخروج متعطرة متزينة متكشفة تجد « بغيتها» عند الحبشي.

هو لا يقول لك: الزكاة حرام، الربا حلال، اليانصيب حلال، إذ لو فعل لكان غبياً ساعد على كشف أمره، لكن طريق الشبهات طريق ماكرة تعود بالناس الى الاباحة بعد التحريم.

يأتي بأحاديث وآثار لا يُعرَف لها صحة ويبني عليها عقيدة، ويحتج لها بأسانيد فاسدة، فيزعم أن الله قال للملائكة «أسكتوا يا ملائكتي» وأنه أمر جبريل بتوزيع أقداح الشراب بمناسبة مولد نبيه ﷺ(1).

وهم محترفون في ترتيب المقدمات الفاسدة وتلبيس الدلائل والشواهد الباطلة في إثبات مقاصدهم، ويكثرون من الافتراء على الخصم لتحطيمه نفسياً، ويستقطعون من كلام الآخرين نصوصاً يكذبون معها مئة كذبة: فإما أن يبتروا النص أو ينقلوه بالمعنى الذي يفهمونه. ولذلك لا يحل لأحد أن يأخذ كلامهم ونصوصهم حتى يتحقق منها ويتفحصها بدقة، فإن للنصوص لصوصاً!

وقد كانوا فتنة مدبرة أريد بهم ضرب كل مرجعية اسلامية وتوجيه الاهانات الى كل طالب علم نشيط تتوجه اليه قلوب المسلمين ومن ثم قذفه بشتى الرذائل حتى يسقط من أعين العامة ولا يبقى للصحوة الا أئمة ضلال أو غيارى لا علم لهم، فتتخبط مسيرة الأمة بعد ضرب مرجعيتها، وهي مؤامرة خطيرة ولعبة قذرة يضمن بها عدو المسلمين بقاء عامة المسلمين حيارى كالنعاج لا قيادة علمية مخلصة تقودهم على نور من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

---

1) المولد الشريف ص ١٨.

دعواه أنه ينتمي الى السلالة النبوية

○ وقد بالغ اتباعه في إطرائه حتى صاروا يشترطون على الداخل عليه أن يصلي ركعتين يسمونها صلاة التوبة، وهاتان الركعتان في الحقيقة هما « تحية الشيخ»!

وزعم أتباع الحبشي أنه ينتمي الى السلالة النبوية، بل صاروا يقولون « الشيخ عبد الله الهرري العربي القرشي» وورد في مجلتهم أن نزار حلبي من سلالة النبي ﷺ [١].

قال السبكي « ولو أن أحداً من الخلق غيره (أي الشافعي) ادّعى أنه قرشي وأراد منا هذه الرتبة لقلنا له: أولاً أثبِتْ أنك قرشي، وهيهات! فكم من الأعراب في هذا الزمان من يدّعي أنه قرشي ولا نستطيع أن نحكم له به، لعدم تيقن ذلك أو غلبة الظن به» [٢].

وقال الكوثري [٣] « ومن دأب أهل العلم أن لا يفتخروا بأنسابهم، ذاكرين قوله تعالى **﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾** وأن لا يناقشوا الناس في أنسابهم ائتماناً لهم عليها ما لم يحاولوا جر مغنم بها فإذ ذاك يطالبونهم بحجة شرعية تثبت نسبهم، والنسب ليس بمكتسب، والمرء إنما يوجه اليه المدح أو القدح بما كسبت يمينه. **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**. وقال ﷺ « ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه» [٤].

ونبينا ﷺ جاء بالتوحيد وهو بريء من الشرك وأهله. والحبشي يدعو الى الشرك ويجوز عنده أن يقول القائل: أعوذ برسول الله [٥].

ثم صار مفتي الصومال!!

وزعم أتباعه عدة أكاذيب يراد بها تعظيم شيخهم وترويج بضاعته، فقد فوجيء الناس لدى صدور ترجمة للأحباش عن شيخهم يزعمون فيها أنه مفتي الصومال، فما لبث أبناء الجالية الصومالية في السويد أن أصدروا بياناً بتاريخ (٢٩ - ٨ - ١٩٩٤) صادرا برقم (٠٠١٣) يفند هذه الأكذوبة وأن الصومال لم تعرف لها مفت بهذا الاسم.

---

١) مجلة منار «الهدى» ١٢/٣٦.

٢) طبقات السبكي ١٩٦/١ محققة.

٣) إحقاق الحق بإبطال الباطل في مغيث الخلق ص ٦.

٤) رواه مسلم.

٥) الدليل القويم ١٧٣ صريح البيان ٥٧-٥٨ المقالات السنية ٤٦ أو صفحة (١٥٦) ط: جديدة، الدر المفيد ١٩٤ بغية الطالب ٨.

حتى لا ينتسبوا الى الشافعي

تتخذ الفرق الباطلة من انتحال مذهب في الفروع كساءً لها وترويجاً لمذهبها الفاسد. فما من إمام الا وينتسب اليه أقوام وهو منهم بريء. بريء ممن يشركون بالله فيستغيثون بالمخلوق ويجيزون الاستعاذة به دون الخالق ويجيزون عمل الحيلة على الله.

قال أبو المظفر الاسفراييني « قد نبغ من أحداث أهل الرأي من تلبّس بشي من مقالات القدرية والروافض مقلداً فيها وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة الى أبي حنيفة تستراً به، فلا يغرنك ما ادعوا من نسبتها اليه فإن أبا حنيفة بريء منهم ومما نسبوه اليه» [1].

○ قال السبكي « كان [يعني القاضي عبد الجبار المعتزلي] ينتحل مذهب الشافعي في الفروع» [2].

○ ويتحدث القشيري عن طائفة من المعتزلة يقلدون مذهب أبي حنيفة، واتخذوا التمذهب بالمذهب الحنفي سياجا عليهم، وقد أشربوا في قلوبهم فضائح القدرية» [3].

والحبشي وأضرابه معطلون ينتحلون مذهب الشافعي في الفروع تمويهاً على الناس، ويتسترون بالانتساب الى الشافعي والاشعري بينما لا يتفقون مع الاشعري فيما انتهى اليه من إثبات الصفات وعدم التأويل.

○ أما مذهبه في العقيدة فليس على مذهب الشافعي فإنه يعتمد تأويل صفات الله بينما منهج الشافعي اثباتها. ويدعو للاستعاذة والاستغاثة والاستعانة بغير الله، والشافعي بريء من الشرك.

○ ويحتج الأحباش على مخالفهم بكتاب اسمه الفقه الأكبر يزعمون أنه للشافعي [4] وهو يجري على طريقة الأشاعرة في تأويل الصفات. وأسلوبه مغاير لأسلوب الشافعي في التصنيف، فهو يجري على طريقة علم الكلام. بينما لا تكاد تجد كتابا للشافعي الا وقد ذم فيه علم الكلام

---

١) التبصير في الدين ١١٤ تحقيق الكوثري.

٢) طبقات السبكي ٩٧/٥.

٣) شكاية أهل السنة بحكاية ما لهم من المحنة ص ١٣ ضمن الرسائل القشيرية ط: منشورات المكتبة العصرية.

٤) وهو غير الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة. والذي رجح البعض أن يكون لأبي الليث السمرقندي أو أبي مطيع البلخي كتبه حكاية عن أبي حنيفة، كما أشار اليه الذهبي (العلو ١٠١) وفي تاريخ الاسلام (وفيات ١٩١) حيث وصف أبا مطيع بصاحب الفقه الأكبر وانظر كتاب خلاصة الأثر (١٨٦/٣).

وتواتر هذا الذم عنه لدى كل منَ روّوا عنه.
ولكن فرحتهم بالكذبة لم تطل، فقد قال حاجي خليفة « في نسبته الى الشافعي شك والظن الغالب أنه من تأليف أكابر العلماء» [1]. وقال فؤاد سيزكين « لم تتضح بعد نسبة المؤلفات التالية الى الشافعي منها «الفقه الأكبر» [2]. ومن الأدلة على كذب هذا الكتاب أنه ورد فيه تلك العبارة (ص ٤٢،٥٢،٧٢) «قال بعض أصحابنا» وهو يقصد أصحابه في المذهب فهو شافعي المذهب وليس هو الشافعي صاحب المذهب.

المعاملة بالمثل

قد أنكر الأحباش نسبة كتاب (الابانة) الى الأشعري وقالوا: هذا تلميذه أبو بكر بن فورك لم يذكر كتاب الابانة من ضمن كتب الأشعري. ونحن نقول لهم بالمقابل: هذا السبكي صاحب أكبر طبقات في ترجمة الشافعي والشافعية لم يذكر للشافعي كتاباً اسمه الفقه الأكبر.

وكذبوا عليه أيضاً بأن نسبوه الى علم الكلام بالرغم من ذمه لعلم الكلام الذي قال عنه الذهبي « لعل هذا متواتر عنه (أي الشافعي) [3]. وقد زعموا أن الشافعي قسمَ البدعة «الشرعية» الى حسنة وسيئة. وكان مقصود الشافعي البدعة اللغوية [4].
ولكن من أين لهم أنه كان يقسم علم الكلام الى مذموم وممدوح؟!
○ الحبشي أقرب الى « حفص الفرد» معاصر الشافعي والذي حط عليه الشافعي ورماه بالزندقة وحذر منه لأنه كان يتعاطى علم الكلام وتأويل الصفات، وهذا الرجل اليوم يتعاطى علم الكلام ويتأول الصفات، مكملا بذلك مسيرة حفص الفرد تحت مظلة الشافعي، بينما حكمه عند الشافعي كحكم حفص الفرد عنده.

قال الشافعي للربيع **«لا تشتغل بالكلام فإني اطلعتُ من أهل الكلام على التعطيل»** وقال «حكمي في أهل الكلام أن يُضرَبوا بالجريد ويحملوا على الابل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام» [5] وتواتر عنه ذم

---

١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٢٨٨/٢ ط: دار الفكر.
٢) تاريخ التراث العربي ١٩٠/٣.
٣) سير أعلام النبلاء ٢٩/١٠.
٤) أنظر فتح الباري ٢٥٢/١٣ ـ ٢٥٤ و٢٧٨:١٣ وانظر اتحاف السادة المتقين ٤٢١/٣ للمرتضى الزبيدي.
٥) سير اعلام النبلاء ٢٨/١٠-٢٩ صون المنطق ٦٥ الحلية ١١٦/٩ مناقب الشافعي ٤٦٢/١.

أهل الكلام. ووصفهم أبو حنيفة بأنهم «قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة وليس عندهم ورع ولا تقوى»(١).

○ الحبشي يطعن في بعض أصحاب النبي ﷺ ويعتبرهم من أهل النار ومرتكبي كبائر، وهذا خلاف مذهب الشافعي. فإن الشافعي ينهى عن الكلام فيما جرى بينهم، ويرى الخوض فيه خصلة من خصال الروافض.

○ اعترف الأحباش بأن الشافعي كان « يتحرى الدقة فيما يرويه الرواة منسوباً الى النبي ﷺ وكان يشترط فيمن يروي الحديث أن يكون صادقاً ورعاً » (٢). وأما الأحباش فأكثر اعتمادهم في مسائل التوسل والتبرك والزيارة وفضل العمائم وعامة أصول الدين على الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة كما ستراه بالدليل من كتب شيخهم.

○ الحبشي يدعو الى التصوف بينما يقول الشافعي « لو أن رجلا تصوف أول النهار، لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق، وما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد اليه عقله أبداً» ويقول « أُسِّسَ التصوف على الكسل» (٣).

فالشافعي بريء من هذه الأفكار المنحرفة التي تتسلل الى المسلمين تحت ستار مذهبه. وعلى الحبشي أن يوافق الشافعي في أصوله قبل فروعه فإن الشافعي لم يكن أشعريا. ولم يكن يختلف مقدار أنملة عن عقيدة أحمد ومالك والأوزاعي ولم يعهد عنهم الارتماء على الأضرحة والاستغاثة بالموتى وتحريف معاني نصوص القرآن بالتأويلات المستكرهة المستبعدة ولم يكونوا يجيزون التقليد الأعمى.

وفي الختام أسأل الله أن يهدي أتباع الحبشي الى الهدى والحق، وأن يجمعنا وإياهم على التوحيد والسنة، فبهما تصفو القلوب وتتآلف، فبالتوحيد تتحقق الوحدة، وبدون التوحيد لا تتوحد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتب عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية
الرياض ١٤١٨/٣/٢٤ هـ

---

١) سير اعلام النبلاء ٣٩٩/٦ مفتاح دار السعادة ١٣٦/٢.
٢) مجلتهم منار "الهدى" ٢٨/١٣.
٣) تلبيس ابليس لابن الجوزي ٣٢٠ و٣٧١



التوحيد والشرك

الشرك باسم التوحيد

القرآن يحكم بيننا

فتوى الشرك المشهورة عن الحبشي

بين الشرك القديم و الحديث

أقوال السلف في اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية

الدعاء هو العبادة وليس السجود فقط

التوحيد والشرك

الاحتياط في الدين واتقاء الشرك

أيها المسلم: احتط لدينك: فإن الله لن يقول لك يوم القيامة: لماذا لم تستغث بمحمد ﷺ بعد موته؟

واعلم أن أمامك خصمين يختصمان في الله:
الأول يحضك على دعاء الله وحده.
والآخر يحضك على دعاء غير الله.
فأي الخصمين أقرب الى الحق؟

أنا أدعوك الى التوحيد، الى دعاء الله وحده دون من سواه.
ما هي عقوبتي إن كنت مخطئا في دعوتي هذه لك؟ هل أدخل النار؟

فإنهم إن كانوا مخطئين عرّضوا أنفسهم للخلود في النار لأن ذنب الشرك أعظم من ذنب الربا والزنى وشهادة الزور.
فما هي عقوبتهم إن كانوا مخطئين وكان دعاء الله شركاً؟
أما سمعت قوله تعالى:
﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به﴾ ثم قال **﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريدا﴾** مما يؤكد أن دعاء غير الله هو موضوع الشرك في الآية.
وقال **﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾**؟
أتركب المخاطرة في دينك بما يحرمك من الجنة ويُدخلك في نار لا خروج بعدها؟

لقد كان العلماء يأخذون بالأحوط في مسائل الفقه، فلماذا لا تأخذ بالأحوط في مسائل العقيدة كدعاء غير الله الذي لا أعلم نوعا من الشرك ورد فيه الزجر والتحذير في القرآن من فعله مثله؟

الشرك باسم التوحيد

يدسون السم في الدسم

إحذر الذين يضعون السم في الدسم: يسمون الشرك والاستغاثة بغير الله توسلا، قد بدّلوا اللغة كما بدّلوا الشريعة. يستعملون ألفاظا شرعية ويجعلونها طعماً، ويختارون لها معاني غير شرعية لتقريب شركهم الى العوام، فيستسيغونها ويألفونها ولا ينفرون منها، وهم يرجون أن لا يكشف الناس هذه الحقيقة وهذا التلبيس، فسحقاً لمن ورث اليهود في تلبيس الحق بالباطل.

لذا كان من الواجب الاعتناء بالألفاظ الشرعية ومعرفة معانيها وما أراد الشارع منها لكل من يجاهد هؤلاء بل لكل مسلم، وذلك حتى لا تختلط المفاهيم ويتمكن المبطلون من التلبيس، الذين ضيقوا معنى العبادة حتى صار مفهومها قاصراً على السجود، وأفرغوا من معانيها: الدعاء والاستغاثة والنذر [١] والذبح.

وهم وإن زعموا أن استغاثتهم توسلا فليس بأمانيّهم: إذ تبديل الالفاظ لا يغير من الحقيقة شيئاً فإن العبرة بالحقائق لا بالتسميات، كما أن الحقائق تتغير بتغير أسمائها، فالحكم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدماً.

إنهم يتعلقون بالأسماء ويغيرون حقائق النصوص، قد خالفوا المشركين في التسمية ووافقوهم في الحقيقة، كما عبد المشركون الاوائل من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وقالوا ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ فسموا شركهم (شفاعة) ولم يرتض الله هذه التسمية بل سماها شركاً. ثم جاء بعدهم من لم يعرف حقيقة جاهليتهم، فنحا نحوهم وسمى - مثلهم - الشرك توسلا وشفاعة.

---

١) قال محمد علاء الدين الحصكفي فيمن نذر لغير الله « واعلم أن النذر الذي يقع للأموات من أكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها الى ضرائح الاولياء الكرام تقرباً اليهم هو بالاجماع باطل وحرام» (رد المحتار مع حاشية ابن عابدين ٢/٤٣٩). قال ابن عابدين شارحاً هذا النص « قوله (باطل وحرام) لوجوه منها: أنه نذر لمخلوق. والنذر لمخلوق لا يجوز لانه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق. ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك...» (حاشية ابن عابدين على رد المحتار ٢/٤٤٠-٤٤٩).

الاستغاثة غير التوسل

الاستغاثة ليست بمعنى التوسل لما يلي:

١) أن السلف ما فهموا التوسل والاستغاثة بمعنى واحد. ولو فهموا ما فهمه السبكي وغيره لاستغاثوا لكنهم لم يفعلوا.

٢) أن السلف تركوا التوسل به ﷺ بعد موته بالاجماع كما في قصة القحط عن عمر حيث قال «اللهم كنا اذا أجدبنا سألناك بنبيك»(١). فاذا تركوا التوسل به بعد موته ﷺ فكيف يعقل أن يستغيثوا به بعد موته؟

٣) الاستغاثة طلب الغوث وهو إزالة الشدة، وهو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به لا بمعنى التوسل.

واذا طلب العبد من غير الله ما لا يقدر عليه الا الله فقد أشرك بالله في عبادته، والشرك محبط للعمل، قال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿**ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾. وبما أن الله خاطب بذلك سيد الخلق وأعظم الموحدين. فنحن أولى أن نخاف ونحذر من الوقوع في الشرك كل الحذر حتى لا يخدعنا الشيطان ويوحي الينا أننا ما دمنا مسلمين نقر بالشهادتين فلن نقع في الشرك.

تنبيه على تناقض الأحباش

يتساءل الأحباش: كيف تتهمون من يقول لا اله الا الله بالشرك لدعائه غير الله؟ وجوابنا مستفاد مما يقولونه هم دائما: أن «من قال لا اله الا الله وهو يعتقد أن الله في السماء فإن هذه الشهادة لا تنفعه وهو كافر لأن الشهادة تنفع مع الاعتقاد الصحيح، أما من تلفظ بها بلسانه وعقيدته فاسدة فإنها لا تنفعه» (٢).

وهذا ما نقوله لهم: إن من دعا من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه فإنه مخالف بعقيدته ما يتلفظ به لسانه.

وكيف يكفر من وافق قول القرآن ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾؟ ووافق شهادة النبي ﷺ للجارية بالايمان لقولها أن الله في السماء؟

فإن كان الكتاب والسنة غير كافيين لكم فعليكم بما قاله شيخكم ابن فورك الأشعري «إعلم أنه ليس يُنكر قولُ من قال: إن الله في

---

١) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء.

٢) مجالس الهدى لنبيل الشريف: شريط ٢ب الوجه الأول).

السماء. لأجل أن لفظ الكتاب قد ورد به، وهو قوله ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ ومعنى ذلك أنه فوق السماء»[1].

٤) لو كانت الاستغاثة بمعنى التوسل لصار معنى ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ أي تتوسلون بربكم؟ إلى من؟ ولصار معنى قوله تعالى ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ أي فتوسل به الذي من شيعته على الذي من عدوه! توسل به الى من؟

٥) الاستغاثة بالله طلبٌ منه لا طلبٌ به. والمستغيث بالشيء طالب منه سائل له. والمستغاث هو المسئول منه لا المسئول به.

ومن المعلوم أن المتوسَل به لا يُدعىٰ ولا يُسأل ولا يُطلَب منه، وإنما يُطلَب به لا منه. وهذا التفريق بين المدعو وبين المدعو به ضروري لا يعرفه عامة الناس وبالتالي لا يتفطنون لهذا المكر الحبشي بهم.

٦) أنك قد تجد في إحدى الروايات عن أحمد جواز التوسل بالنبي ﷺ إن صحت، أما أن تجد أحداً من الأئمة المعتبرين يجيز الاستغاثة بغير الله فهذا مستحيل.

ولهذا حكى ابن حجر الهيتمي إجماع الحنابلة على أن من يجعل بينه وبين الله تعالى وسائط يدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً [2]. ولم يعترض الهيتمي على هذا الاجماع بل أقره وأورده مستحسنا له، بينما أجاز التوسل بالنبي ﷺ في حاشيته على إيضاح المناسك للنووي.

○ وحكى الحافظ ابن رجب عن أحمد أنه كان يدعو فيقول « اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصُنه عن المسألة لغيرك» [3].

---

١) مشكل الحديث وبيانه ٣٩٢ ط: دار عالم الكتب.

٢) الاعلام بقواطع الاسلام ٩٥ وانظر هذه الفتوى في كتاب الحنابلة: الفروع ٦/١٦٥ الانصاف للمرداوي ١٠/٣٢٧ غاية المنتهى للمرعي ٣/٣٥٥ الإقناع وشرحه ٤/١٠٠.

٣) جامع العلوم والحكم ٢٨٣.

مفاجأة من السبكي

٧) أن تعلقهم بالسبكي على أن « التوسل والاستغاثة بمعنى واحد» مع تجاهل القرآن ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ والحديث «إذا سألت فاسأل الله» ليس من صفات المسلم. ولقد كان السبكي يقصد بـ (الاستغاثة بالنبي): الاستغاثة الى الله بالنبي ﷺ ولذلك قال « إعلم أنه يجوز التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي الى ربه». ثم استدل على ذلك بحديث «يا رب أسألك بحق محمد» [١].

ثم قال « ولسنا في ذلك سائلين غير الله تعالى ولا داعين الا اياه، فالمسئول في هذه الدعوات كلها هو الله وحده لا شريك له، والمسئول به مختلف، ولم يوجب ذلك إشراكاً ولا سؤال غير الله، كذلك السؤال بالنبي ﷺ ليس سؤالاً للنبي ﷺ بل سؤال لله به». وضرب لذلك مثلا أن تقول « استغثت الله بالنبي ﷺ كما يقول: سألت الله بالنبي ﷺ»[٢]. وهذا يفيد: أن سؤال غير الله شرك عند السبكي. وأن الاستغاثة بالنبي معناها عنده: الاستغاثة بالله بالنبي ﷺ ولكنه عادة يختصر العبارة ويقول (الاستغاثة بالنبي). ولذلك قال « وقد يحذف المفعول به (أي الله المستغاث) ويقال: استغثت بالنبي ﷺ» [٣]. على أن هذا خطأ من السبكي أدى الى استغلاله فيما بعد.

○ بل قال السبكي في قوله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ «إن هذه الآية تفيد العلم بأنه لا يستعان غير الله» وأكد أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص [٤].

ونحن مع اختلافنا مع السبكي في استخدام عبارة « استغثت بالنبي» وحول التوسل، إلا أننا نتفق معه على عدم جواز سؤال غير الله. وبهذا ينكشف تلبيس الأحباش وتحريفهم للنصوص.

وهذا السبكي الابن ينقل عن القماح شعراً يقول فيه [٥]:

فاضرع الى الله الكريم ولا تسل بَشَراً فليس سواه كاشف الضر

---

١) شفاء السقام في زيارة خير الانام ١٦٠-١٦١ دار الآفاق. والحديث موضوع كما في تعقيب الذهبي على مستدرك الحاكم ٦١٥/٢.
٢) شفاء السقام ص ١٧٤ و١٧٦.
٣) شفاء السقام ١٧٦.
٤) فتاوى السبكي ١٣/١ طبقات السبكي ٣٠٤/١٠.
٥) طبقات السبكي ٩٢/٩ محققة.

مفاجأة من عند أبي حنيفة

٨) ونقلب السحر على الساحر فنقول: إن كان التوسل والاستغاثة بمعنى واحد فحينئذ نقرر لكم أن أبا حنيفة نهى عن الاستغاثة بالنبي ﷺ ونلبس عليكم ما تلبسون.

فإن قلتم: أين صرح بهذا؟ قلنا: ألم ينه أبو حنيفة عن التوسل بالنبي ﷺ ورواه عامة الأحناف عنه؟

قال المرتضي الزبيدي « وقد كره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل: أسألك بِحَقّ فلان، أو بِحق أنبيائك ورسلك، إذ ليس لأحد على الله حق» [1] وهو ما جاء عند البلدجي في شرح المختارة. والقدوري في شرح الكرخي، ونصه [2] « لا ينبغي [3] لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه، المأمور به: هو ما استفيد من قوله تعالى ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ [الاعراف١٨٠]. وقال أيضاً « وأكره أن يقول: بحقِ فلان أو بِحَق أنبيائك ورسلك» [4].

وقد نقل الحبشي كلام أبي حنيفة وقول أصحابه كأبي يوسف «لا يُدعىٰ اللهُ بغيره» وقد ذكرها الحبشي عنه ولم يشكك في نسبتها اليه وانما زعم أن قوله لا حجة فيه [5].

فاذا خلطنا التوسل بالاستغاثة حملنا نهي أبي حنيفة عن التوسل على معنى الاستغاثة. وهذا اللائق بمن لا يفرق بين النوعين تمويها وغشاً للناس.

---

١) إتحاف السادة المتقين ٢/٢٨٥.

٢) أنظر الدر المختار ٢/٦٣٠ونقله القدوري وغيره عن أبي يوسف والفتاوى الهندية ٥/٢٨٠ الفقه الأكبر بشرح ملا علي قاري ١١٠. الدر المختار للحصكفي شرح تنوير الابصار للتمرتاشي مع رد المحتار للشامي ٥/٢٥٤ ط: بولاق وط: دار احياء التراث ٦/٤١٩ و٦/٣٩٦ ط: دار الفكر.

٣) قوله: لا ينبغي لا تعني الكراهية ودليله قول أبي حنيفة "والدعاء المأذون فيه المأمور به" وقول محمد أن دعاء الله بغيره كالعقوبة بالنار. والكراهة عند المذهب الحنفي تطلق على المحرم كما اعترف به الأحباش في مجلتهم (منار الهدى ١٩/٢٧) والاستعمال القرآني هو الأصل فقد قال تعالى ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾.

٤) الفتاوى الهندية ٥/٢٨٠ الفقه الأكبر بشرح ملا علي قاري ١١٠.

٥) صريح البيان ٦٨-٦٩ و١٦٢-١٦٣ من الطبعة الجديدة المجلدة.

ولئن كنا بذلك نفاةً للتوسل، صفوا بذلك عمر بن الخطاب لقوله بعد موت النبي ﷺ فيما رواه البخاري «اللهم كنا نتوسل بنبيك» ثم صفوا بذلك أبا حنيفة ثانياً.

فلسنا نفاة كل توسل إذ ليس كل توسل حراماً، كالتوسل بدعاء الرجل الصالح لا بذاته.

ولسنا نفاة كل استغاثة، فالاستغاثة بالحاضر الحي جائزة. مثالها استغاثة الناس بآدم يوم الموقف.

ولسنا ضد كل أنواع التبرك فإن السلف الذين كانوا يتبركون به ﷺ وهو حي: قد تركوا التبرك به بعد موته ولم يتبرك بعضهم ببعض.

نعم، لقد استغاث الصحابة بالنبي ﷺ في حياته ولكنهم لم يكونوا يستغيثونه الا أمامه وهو حي ويطلبون منه أن يدعو الله لهم لنزول المطر كما في كتاب الاستسقاء عند البخاري، وعلى المخالف أن يثبت ولو حادثة واحدة تناقض ذلك. فيلزمه إن كان أشعريا أن لا يأتي من الأخبار في العقائد الا بما كان متواتراً، فإن عجز عن الإتيان بدليل صحيح يثبت به الاستغاثة به وهو حي غائب، فهو أعجز عن الإتيان بدليل على الاستغاثة به بعد موته.

لا اله الا هو: لا غياث إلا هو

○ قال البيهقي « ومن أسمائه الغياث ومعناه: المُدرِكُ عبادَه في الشدائد. قال ﷺ في حديث الاستسقاء «اللهم أغثنا اللهمَ أغثنا» [(١)].
فأنتم تتوجهون بالاستغاثة الى من كان يستغيث الله وحده. فكَيف يكون من بين المستغيثين من يكون غياثاً للمستغيثين في آن واحد.

والله وحده غياث المستغيثين مطلقاً لا يستثنى من ذلك نبي ولا ولي. قال القرطبي عند شرح اسم الله (غياث المستغيثين) « يجب على كل مكلف أن يعلم أنه لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله» [(٢)].

فهل الله عندكم وحده غياث المستغيثين مطلقاً؟ أم أن هناك غياثاً آخر للمستغيثين يستحق أن يشارك الله في هذا الاسم؟

أليس الله بكاف عبده؟
دعاء غير الله قبيح عند الزبيدي

قال الزبيدي « وقبيح بذوي الايمان أن ينزلوا حاجتهم بغير الله تعالى مع علمهم بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهم يسمعون قوله تعالى ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾.

أضاف « ليعلم العارف أن المستحق لأن يُلجأ اليه ويستعان في جميع الأمور ويُعوّل عليه هو الواجب الوجود المعبود بالحق الذي هو مولى النعم كلها... ويشغل سره بذكره والاستغناء به عن غيره» [(٣)].

وذكر أن ابراهيم الخواص قرأ قوله تعالى ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾ ثم قال «ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحد غير الله» [(٤)].

فالاستغاثة بغير الله استغناءٌ عن الله بغيره وسوء ظن به، وادعاء بأنه غير كاف لدعاء عباده، ولو كان عندكم كافياً لما لجأتم الى غيره ﴿**فما ظنكم برب العالمين**﴾.

---

١) الأسماء والصفات ٨٨ ليس هناك دليل يعتمد عليه في كون الغياث اسما من أسماء الله، وهناك فرق بين اطلاقه على الله خبرا وبين أن يكون اسما، لأن أسماء الله توقيفية.
٢) الاسنى شرح أسماء الله الحسنى ١/ ٢٨٧ ط: الصحابة بطنطا.
٣) اتحاف السادة المتقين ٩/ ٤٩٨ وانظر ٥/ ١١٩.
٤) احياء علوم الدين ٤/ ٢٤٤ اتحاف السادة المتقين ٩/ ٣٨٩.

كلمات ذهبية للجيلاني

○ قال الشيخ عبد القادر الجيلاني «يا من يشكو الخلق مصائبه، ايش ينفعك شكواك الى الخلق لا ينفعونك ولا يضرونك واذا اعتمدت عليهم وأشركت في باب الحق عز وجل يبعدونك، وفي سخطه يوقعونك... أنت يا جاهل تدعي العلم، تطلب الخلاص من الشدائد بشكواك الخلق.. ويلك أما تستحيي أن تطلب من غير الله وهو أقرب اليك من غيره».

○ وقال « لا تدعو مع الله أحدا كما قال ﴿**فلا تدعو مع الله أحدا**﴾.

○ وقال لولده عند مرض موته «لا تخف أحدا ولا ترجه، وأوكل الحوائج كلها الى الله، واطلبها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل، ولا تعتمد الا عليه سبحانه، التوحيد، وجماع الكل التوحيد» [1].

وإستغاثة العبد الضعيف بعبد ضعيف مثله كاستغاثة الغريق بغريق مثله. ومن الأقوال المنقولة عن الشيخ أحمد الرفاعي « أن أحد الصوفيةً استغاث بغير الله فغضب الله منه وقال « أتستغيث بغيري وأنا الغياث»؟ [2] غير أنكم سويتم الرفاعي برب العالمين ووصفتموه بأنه غوث الثقلين. يستغيث به الجن والانس بل حتى النعجة التي ينقض عليها الذئب تصيح: خلصني يا سيدي أحمد. وقد كذبوا عليك أيتها النعجة بينما أنتِ على ملة هدهد سليمان.

والله تعالى هو الغياث ﴿**إذ تستغيثون ربكم**﴾. فجعلتم الرفاعي شريكا معه في ذلك.

والله ﴿**يسأله من في السموات والأرض**﴾ فجعلتم الرفاعي شريكاً له في هذه الآية وغوث الثقلين يسأله الجن والإنس في السماء والأرض، فكيف يكون غضب الله عليكم؟

وإذا كانت الاستغاثة بمحمد ﷺ جائزة فلماذا نوبخ النصارى الذين يستغيثون بالمسيح؟ أليس هذا إقراراً منكم بجواز قول النصارى يا مسيح؟ وجواز قول الشيعة «يا حسين» « يا صاحب الزمان»؟

---

١) الفتح الرباني والفيض الرحماني ١١٧ ـ ١١٨ و١٥٩ ١٨٤ و٣٧٣.
٢) حالة أهل الحقيقة مع الله ٩٢.

ونحن نحتج عليكم بما تحتجون به على النصارى إذ تقولون: أين قال المسيح اعبدوني مع الله؟ ونحن نقول لكم: أين قال محمد ﷺ أدعوني مع الله؟ لا فرق بين «يا محمد يا بدوي يا عبد القادر يا رفاعي» وبين «يا مسيح» «يا حسين». قال تعالى **﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة﴾** وقال **﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد﴾**.

وهل يمكن للنبي ﷺ سماع أدعية الآلاف في وقت واحد؟ فلو قُدّر أن هناك ألفاً في مصر يسألونه ﷺ وألفاً في أندونيسيا وألفاً في الصين، كلهم يستغيثون به: فهل يستطيع استيعاب كل أدعيتهم في وقت واحد مهما كثر عددهم واختلفت أمكنتهم؟

إن قلتم نعم فقد زعمتم أن النبيَ ﷺ لا يُشغلُه سمعٌ عن سمَعٍ وأضفتم اليه العلم المطلق. وجعلتَموه شريكاً مع الَله في قوله **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾** وجعلتم كل مقبور مستحقاً صفات: سميع، بصير، مجيب، كاشف.

○ إن النبي الذي تدعونه مع الله لجلب النفع ودفع الضر كان هو يتوجه الى الله وحده لذلك. هو يتوجه الى الله وأنتم تتوجهون اليه؟ ما وافقتم من تزعمون محبته. وهو الذي أمره الله أن يقول **﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا﴾**.

واذا كان الذي يدعونه من دون الله لا يسمع من دعاه عن بُعد حين كان حياً: فكيف يقبل من عنده عقل الاعتقاد أن النبي أو الصالح يسمع من يناديه ولو من بعيد، وتصير حواسه بعد موته ترصد وتسمع كل من يدعوه بعد موته ولو كان في أمريكا؟ قال تعالى **﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾**.

ويوم أن يحال بينه ﷺ وبين أناس عند الحوض يقول «أصيحابي أصيحابي، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (متفق عليه).

فيدل على أنه لم يكن على علم بتفاصيل ما يجري لأمته.

وهذا عيسى عليه السلام يقول يوم القيامة **﴿ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم﴾**.

فما بال أناس يعتقدون أنه ﷺ يسمع مناديه في المشرق والمغرب؟ هل فسد دين المسلمين إلا بمخلفات التعصب والتقليد والعمى وهل مكّن الله للكفار إلا لأن عقائد المسلمين صارت تشتمل على أشياء مما عندهم **﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾**.

فتوى الشرك المشهورة عن الحبشي

سئل الحبشي عن حكم من يستغيث بالاموات ويدعوهم كأن يقول: يا سيدي بدوي اغثني يا سيدي دسوقي المدد:

فقال « **يجوز ذلك فانه يجوز ان يقول: اغثني يا بدوي ساعدني يا بدوي**».

قيل له: لماذا يقول يا عبد القادر يا سيدي بدوي ولا يقول يا محمد؟ قال « **ولو** » بمعنى ومع ذلك فهو جائز. «لكن تركُهُ أفضل».

قيل له: ان الارواح تكون في برزخ، فكيف يستغاث بهم وهم بعيدون؟

اجاب « الله تعالى يكرمهم بأن يُسمعُهم كلاماً بعيداً وهم في قبورهم فيدعوا لهذا الانسان وينقذه، احيانا يخرجون من قبورهم فيقضون حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون الى قبورهم»[1].

ولما وجد تعجب الناس من هذه الفتوى قال « ولكن تركه أحسن».

الحبشي يخالف ملة ابراهيم ويوافق ملة آزر

قال ﷺ « لما ألقي ابراهيم في النار قال « حسبي الله ونعم الوكيل» [2].

وقد روي أن جبريل نزل من السماء وعرض عليه قضاء حاجته فاكتفى ابراهيم بالله من غير أن يستغيث بجبريل ومن غير أن ينادي: يا عباد الله أغيثوني.

وكان قد قال لقومه ﴿**وأعتزلكم وما تدعون من دون الله**﴾.

وهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ قال لهم الناس ﴿**إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾. فلم يستغيثوا برجال الغيب ولا بالأولياء لكشف المأزق.

يدْعون الأموات ويدَعون الحي

أما هذا الحبشي فإنه يعرض على الناس أن يستغيثوا بغير الله ويعدهم بقضاء الموتى لحوائجهم. إنهم يدْعون الموتى ويدَعون الحي الذي لا يموت.

فهل الحبشي على ملة ابراهيم على أم على ملة أبيه آزر؟!

---

١) شريط: رد خالد كنعان على الحبشي الوجه (٢) عداد (٧٠).

٢) رواه البخاري ٤٥٦٣.

حجة على الهامش

ونسأله: إذا كنت ترى هذا الأمر مشروعاً: فعله الرسول والصحابة بعده فكيف تقول «تركه أحسن» كما هو مسجل بصوتك في نفس المجلس، بالرغم من اعتراف أتباعك في نشرتهم بأن قول القائل (المدد يا رسول الله) لا ثواب له فيه [١]. فشيء لا ثواب فيه وهو مكروه لماذا تحاربون المسلمين عليه؟

إذا كان عندك مكروها فكيف تكره شيئاً تدعي مشروعيته؟

وكيف تستحسن للناس ترك شيء شرعه الله؟ وأين شرع النبي ﷺ لأمته أن يستغيثوا به بعد موته؟ لو كان هناك من يستحق السؤال بعد موته لفعله الصحابة، غير أنهم لم يفعلوا. وقد مروا بأشد الأحوال من اقتتال وفتن:

فكيف لا يخرج اليهم ويخاطبهم وأنتم تزعمون أنه أخرج للجائع الذي أتى قبره رغيفا طازجا حين قال له أنا ضيفك الليلة يا رسول الله؟ أيهتم لجائع ويمد يده ليقبلها الرفاعي ولا يهتم للآلاف ممن يهراق دمهم في زمن الفتن من أصحابه فلا يخرج اليهم ولا يفصل بينهم ليقيهم شر الاقتتال؟

ولا يغرنك قولهم: إن الولي يستجيب ويقضي الحوائج بإذن الله، فإن القوم على المذهب الأشعري الواقع في الجبر المحض والذي لا يرى تأثيرا لأفعال العباد وانما المؤثر وحده في إرادة الفعل وفعله هو الله، حتى تعرض المذهب الأشعري للنقض من داخله كالجويني والباقلاني، ومن خارجه كالسرهندي الذي صرح بأن المذهب الأشعري داخل في دائرة الجبر الحقيقي[٢]. وكان سلف المشركين يقولون ﴿**لو شاء الله ما أشركنا**﴾. فصرحوا بأن شركهم حصل بإذن الله. وهذا السارق يسرق باذن الله، ولكن:

أين الاذن الشرعي الذي يأمر الله به ويرضاه: آلله أذن لكم أن تستغيثوا بغيره؟ أم على الله تفترون؟

---

١) الدائرة العلمية ٢٧ وفتوى نبيل الشريف في مجلة منار الهدى ١٥/٣٣.

٢) المكتوبات الشريفة للسرهندي ٣٣٠.

الولي عندهم صمد

وقد فسر الأحباش صفة «الصمد» لله فقالوا [1] « الصمد : هو الذي يُقصَدُ في الحوائج والنوازل» [2] .

وهكذا جعلوا كل ولي «صمداً» مقصوداً لقضاء الحوائج، لأنهم إذا قصدوا قبور الصالحين سألوهم قضاء الحوائج ودفع الكروب. فلا يدعون الله لهم وإنما يدعونهم من دونه. وقد قلبوا قول الطحاوي « وفي دعاء الأحياء منفعة للأموات» ثم قال « والله يقضي الحاجات ويستجيب الدعوات».

فصارت عنَد هؤلاء هكذا: وفي دعاء الأموات منفعة للأحياء. والأولياء يقضون الحاجات ويستجيبون الدعوات!
هكذا يدْعون الميت ويدَعون الحي الذي لا يموت.

---

١) المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ١٦ دار المشاريع.
٢) أي المصائب والكوارث.

حتى الاستعاذة بغير الله جائزة عنده

والحبشي لا يفتي فقط بجواز الاستغاثة برسول الله ﷺ، ولكنه يجيز الاستعاذة به مع الله، فقال « وليس مجرد الإستعاذة بغير الله تعتبر شركاً» واستدل بحديث الحارث بن حسان «أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد»[١].

وهذه ستناقش بتفاصيلها بعد قليل ولكن يهمنا هنا بيان أن هذا الرجل قد تفرد عن باقي المنحرفين بجواز الاستعاذة بغير الله وهذا ما لم أسمعه من غيره.

بل حتى الشعراني على ضلالاته فانه قد صرح بأن الله لم يأذن لأحد أن يستعيذ بغيره.

قال الشعراني ما نصه « ولو أن أحدا من الخلق كان يكفي أن نستعيذ به لأمَرَنا اللهُ أن نستعيذ بمحمد ﷺ أو بجبريل أو غيرهما من الأكابر، ولكن عَلِمَ الله عجز الخلق عن رد كيده الا مع استعاذتهم بالله عز وجل»[٢].

---

١) الدليل القويم ١٧٣ صريح البيان ٥٧-٥٨ المقالات السنية ٤٦ أو صفحة (١٥٦) ط: جديدة، الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ١٩٤ بغية الطالب ٨.

٢) لطائف المنن والاخلاق ٥٨٣ في التحدث بنعمة الله على الاطلاق.

القرآن يحكم بيننا

مناقشة قرآنية حول الاستغاثة بغير الله

القرآن مليء بالآيات الناهية عن دعاء غير الله، فلنذكر جملة من هذه الآيات حيث أن الله تعالى أمرنا بالرد اليه والى رسوله ﷺ عند التنازع فقال ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ والقرآن ما ترك شيئاً الا بيّنه كما قال تعالى ﴿**ما فرّطنا في الكتاب من شيء**﴾.

الآية الأولى: قوله تعالى ﴿**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾ ما أوضح هذه الآية لطالب الحق، وهل بعدها مبرر للنزاع والجدل؟

فقوله ﴿**أحداً**﴾ نكرة في سياق النهي تعم كل مدعو من دون الله. والمسجد ليس مكاناً للسجود فقط وإنما للدعاء أيضاً، فالصلاة التي تتضمن السجود تتضمن أكثر منه: وهو الدعاء، فهل يجيز أحد أن يُدعا غيرُ الله في الصلاة؟ فما الذي يجعل دعاء غير الله داخل الصلاة محرما وخارجها جائزا؟

○ وأي مضادة لله أعظم: من أن يقول الله ﴿**فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾ فيقول الحبشي: بل ادعوا مع الله أحدا: أدعوا البدوي والدسوقي والرفاعيَ!

وأي مخالفة أعظم من أن يقول الله ﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم**﴾ فيخالف الحبشي ربه ويقول: إن تدعوهم يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا استجابوا لكم بل خرجوا من قبورهم لقضاء حوائجكم ولو من مكان بعيد. ويقول الله ﴿**وهم عن دعائهم غافلون**﴾ فيقول الحبشي: القائل بأنهم غافلون طعن بهم.

قصة الصالحين مبتدأ عبادة الأصنام

○ قال الحافظ « وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبِعهم مَن بعدهم على ذلك». وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين ويتمسحون بصورته[1].

ومن لم يعِ هذه الحقيقة لم يفهم الشرك الذي كان عليه المشركون.

الآية الثانية: قوله تعالى ﴿**وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً**﴾ [نوح٢٣] قال ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوحٍ عليه السلام فلما ماتوا بنواْ لهم الصور والتماثيل[2].

○ روى ابن جرير « حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن موسى بن محمد بن قيس: أن يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بنيِ آدم، وكانِ لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صَوّرنا صُوَرهم كان أشوقَ لنا الى العبادة، فصوّروهم: فلما ماتوا، وجاء آخرون: دبّ اليهم ابليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، **وبِهِم يُسقوْن المطر**، فعبدوهم» وذكر مثله ابن الجوزي[3].

الآية الثالثة: ﴿**أفرأيتم اللات والعُزى**﴾ [النجم ١٩] عن مجاهد قال: كان رجل صالح يلتُّ السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره[4] وأما مناة فكانت أكمة يذبحون لآلهتهم عندها يرجون بركتها. فلما قصدوا الانتفاع بالموتى قادهم ذلك الى عبادة الأصنام.

○ فهؤلاء المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ منهم من يعبد الأصنام المصورة على صور الصالحين: وُدّ وسواع ويغوث فيستسقون بها. ولا يزال كثيرون يجهلون أن أصنامً مشركي الأمس ما هي الا رموز تذكارية للصالحين، وأنهم ما عبدوا أصناماً لمجرد حبهم للحجر والحديد وإنما عبدوا الصالحين الذين صُوِرَت الأصنام بصورهم.

---

١) فتح الباري ٨:٦٦٨-٦٦٩.

٢) فأصل الفتن فتنة القبور، يفتن الشيطان بها الناس ويوحي اليهم أن المنكرين عليهم منتقصون لمقامات الصالحين.

٣) تفسير الطبري مجلد ١٢ ج ٢٩ ص ٦٢ زاد المسير ٨/٣٧٣-٣٧٤.

٤) تفسير القرطبي ١٧/٦٦ تفسير الطبري مجلد ١١ ج ٢٧ ص ٣٥ وانظر البخاري رقم (٤٨٥٩).

الآية الرابعة: قوله تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ [الاحقاف ٥] فحكم على من دعا غيره **بغاية** الضلال، ولم يستثن من الضلالة من يدعون الأنبياء والأولياء، وأن هٰذا المدعو لا يستجيب له، بل هو غافل عن دعائه.

الآية الخامسة: قوله تعالى **﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم﴾** فيقف العابدون والمعبودون **﴿فزيلنا بينهم﴾** أي فرقنا بينهم **﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾** ما كانت عبادتكم لنا **﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾** كنا موتى لا نسمع ولا نعلم بعبادتكم لنا كما قال تعالى **﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾** وقوله **﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾** وقوله **﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حُشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين﴾**.

﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ورُدّوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ [يونس ٥] أي عاينت وتحققت أن هذا العمل كان في حقيقته شركاً ظنوه استشفاعاً مشروعاً وإذا بهؤلاء المعبودين يتبرأون من عابديهم ويحلفون أنهم كانوا غافلين عما كانوا يشركونهم به مع الله، فهذا موقف عظيم يحشر الله فيه الذين كانوا يدعون الصالحين الذين كانوا أمواتاً غافلين عما كان يحدث عند قبورهم من طواف واستغاثة.

الآية السادسة: قوله تعالى **﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾** فيقولون **﴿تبرأنا اليك: ما كانوا إيانا يعبدون﴾** وفي آية أخرى **﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾**.

فهذا مآل دعوتهم: لم يكونوا يدعون الجيلاني في حقيقة الأمر ولا البدوي ولا الدسوقي ولا يغوث ويعوق ونسراً: بل كانوا يدعون الشيطان **﴿إن يدعون من دونه الا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مَريداً﴾** [النساء١١٧]. وفي النهاية يتضح لهم الأمر فيندمون ويقولون **﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً﴾**. تلك حقيقة يتعامى عنها مشركو

اليوم الذين يروجون للتوجه الى الأنبياء والصالحين بالدعاء، إنهم يدعون الناس الى عبادة الشيطان والجن.

الله ينفي استجابة الميت والحبشي يخالفه

الآية السابعة: قوله تعالى ﴿**ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين**﴾ والنبي ﷺ عبد مثلنا ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم**﴾. فالنهي عام عن دعاء جميع العباد وتخصيص الدعاء بالمعبود وحده.

الله تعالى يتحدى الذين تدعونهم من دونه ان يستجيبوا. والحبشي يقول: بل يستجيبون، فيخرجون من قبورهم ويغيثون الملهوف ثم يعودون الى قبورهم.

وهذا نص واضح في أن المشركين كانوا يدعون بشراً لا أصناماً. ولك أن تتأمل وصف الله للمدعوين هنا بأنهم « عباد» لله مثل الذين يدعونهم. مما يدل على أن المراد بذلك الصالحين الذين نُحِتَتْ الأصنام على صورهم، فإن الأصنام لا توصف بأنها عباد لله. ولا يقال إن الأصنام مثل البشر! ومعنى الآية « أنتم عباد وهم عباد أمثالكم: فكيف يتوجه العباد بالدعاء الى العباد؟

الآية الثامنة: قوله تعالى ﴿**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضعُف الطالب والمطلوب**﴾ [الحج٧٣]. فالأصنام والقبور تشترك في صفات الضعف: فكلها لا تقدر على خلق ذبابة ولا على استعادة ما يسلبه الذباب منها.

﴿**قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات**﴾.

﴿**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**﴾.

﴿**واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلَقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشوراً**﴾. ﴿**لا يملكون لكم رزقاً**﴾.

﴿**أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات**﴾.

﴿**ما يملكون من قطمير**﴾ ﴿**لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون**﴾ ﴿**فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾. وهذا كله شامل للأصنام والقبور. بل وللأنبياء.

قال ابراهيم عليه السلام لأبيه ﴿**وما أملك لك من الله من شيء**﴾.

وأمر الله نبينا أن يقول ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾. وقال له ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا﴾.

الآية التاسعة: قوله تعالى ﴿والذين تدعون من دون الله لا يَخلقون شيئا وهم يُخلقون. أموات غير احياء. وما يشعرون أيان يبعثون﴾ [النحل٢٠] هل تتحدث الآية عن بعث الأصنام الى الحياة بعد الموت؟ لا يمكن ذلك:

○ لأن (**الذين**) من الأسماء الموصولة والأسماء الموصولة من صيغ العموم عند الأصوليين والنحويين، فهي عامة في كل من دُعيَ من دون الله. وهي لا يُخبَر بها إلا عن العقلاء، ولو كان المراد بها الأصنام والحجارة لكان حق الكلام أن يقال (والتي تدعونها من دونه ما تملك من قطمير. إن تدعوها لا تسمع دعاءكم ولو سمعت ما استجابت لكم).

والأصنام لا يحل بها موت ولا بعث لأنها خارجة عن قانون الحياة والموت والبعث، ولأن الشعور يستعمل فيمن يعقل لا في الأحجار.

○ ولأن (**أموات غير أحياء**) لا يصح إضافتها الى الأحجار التي صنع منها الصنم، إذ هي جمادٌ لا يصح وصفه بالحياة ولا بالموت. فلم يبق إلا أن الكلام متعلق بالصالحين الذين نُحِتَت الأصنام على صُورهم.

اتفقنا أنهم لا يخلقون واختلافنا هل يملكون

ومن تلبيسات الأحباش قولهم « عقيدة أهل السنة أن محمداً لا يخلق نفعاً» لكنهم يعتقدون أن الأنبياء والأولياء يملكون في قبورهم نفعاً ويدفعون ضراً بإذن الله، ويلبّسون الأمر على الناس فيظن العامي أنهم موحدون ما داموا يعتقدون أن محمداً ﷺ لا يخلق النفع.

ولقد قال رسول الله ﷺ لأحد الموحدين حين قال له « ما شاء الله وشئت» «أجعلتني لله نداً؟» وقال لمجموعة من الموحدين من الصحابة حين قالوا له «إجعل لنا ذات أنواط»: « قلتم كما قال بنو اسرائيل لموسى ﴿إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾؟ وقال لمن حلف بغير الله « من حلف بغير الله فقد أشرك».

المشركون لا يعتقدون استقلال معبوداتهم

وحرفوا المصطلحات الشرعية فزعموا أنهم ما داموا لا يعتقدون استقلال الأنبياء والأولياء بالنفع والضر فهم غير مشركين. فيقال لهم: قد وافقكم أبو جهل على أن اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لا تخلق نفعاً ولا ضراً، إذ كان يراها مملوكة لله، كما كانوا يقولون في الحج:

«لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»[1]. مما يؤكد أنهم لم يكونوا يعتقدون استقلال شركائهم مع الله بالنفع والضر.

ولقد استفتح أبو جهل يوم بدر بالرب دون اللات والعزى وهُبَل فقال « اللهم أقطعنا الرحم، وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة» فكان ذلك استفتاحاً منه، فنزلت ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾[2].

فتعريفاتكم ليست بأمانيكم ولا منجية لكم عند الله. فقد قامت عليكم الحجة بقول النبي ﷺ «الدعاء هو العبادة»[3]، فمخالفتكم للتعريف النبوي مردود عليكم. فانه اذا عُرف التفسير من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك الى أقوال اللغة.

الآية العاشرة: قوله تعالى **﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾** قال الطبري «كانت العرب تقر بوحدانية الله غير أنها كانت تشرك به في عبادته»[4].

فمجرد اعتقاد أن غير الله لا يخلق نفعاً لا يبرّىء من الشرك بل لا بد من إخلاص التوحيد وذلك بأن يكون الدعاء لله وحده.

فان محمداً ﷺ نهى عن دعاء الله مطلقاً من غير استثناء فقال لابن عباس « اذا سألت فاسأل الله» ولم يكن ابن عباس ولا الصحابة يعتقدون أن أحداً غير الله ينفع أو يضر، ولم يقل لهم النبي ﷺ ما دمتم تعتقدون أن النفع والضر من الله جاز لكم أن تسألوا غير الله.

وقوم ابراهيم لم يكونوا يعتقدون أن أصنامهم تملك نفعاً فضلا عن أن تخلقه، فلما سألهم **﴿هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون﴾** ما قالوا بلى تنفع وتضر.

ولما كان دعاء غير الله عند ابراهيم شركاً قال لهم: **﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾** فحكم عليهم في الآية التي تليها أن دعاءهم

---

١) رواه مسلم حديث رقم (١١٨٥).

٢) أخرجه أحمد ٣٣١/٥ وابن جرير ٩/ والحاكم ٨٢/٢ وصححه ووافقه الذهبي وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٥/٣.

٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٧/٤ والترمذي ٣٧٤/٥ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٤٩٠/١ وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٩/١) وحسنه السخاوي في الفتوحات الربانية ١٩١/٧.

٤) تفسير الطبري ١٢٨/١.

لها عبادة من دون الله ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ [مريم ٤٨و٤٩] وأكد ذلك في آية واحدة فقال ﴿قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ وقد دلت الآية على أن دعاء غير الله عبادة تتعارض مع الاسلام لرب العالمين.

ولو كان يعلم عنهم أنهم كانوا يعتقدون فيها النفع والضر لما حاجّهم بذلك ولأجابوا عن سؤاله ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون﴾ «نعم، إنها تنفع وتضر. فلما عجزوا عن الإجابة قالوا ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ قال ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون﴾ فقال لهم أولا ﴿تدعون﴾ ثم قال ﴿تعبدون﴾ وفي آية أخرى ﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم﴾.

استغاثتهم بهم مسبوقة باعتقادهم فيهم

هذا ولا يوجد على الأرض من يدعو من يعتقد فيه أنه لا يملك الاجابة والنفع والضر إلا أن يكون مجنوناً. فهل هناك عاقل يقول: أغثني يا من لا تملك نفعاً ولا ضراً؟! إلا أن يكون معتقداً فيهم التأثير وكشف الضر وتحصيل النفع اللهم إلا أن يكون مجنوناً فحينئذ لا يؤاخذه الله على شرك أكبر ولا أصغر.

الحق أنه لم يلتجىء اليهم الا لاعتقاده فيهم النفع والضر. فإن ما في القلب من الاعتقاد الفاسد قد عبّر عنه اللسان فصار يلهج بنداء غير الله: أغث يا رفاعي، المدد يا جيلاني، شيء لله يا سيدي دسوقي، ثم عبّر عنه العمل فصار يقبّل جدران القبور ويمسحها بيده ويذبح النذور عندها على نية الشفاء [١].

قال الآلوسي «ولا أرى أحداً ممن يقول ذلك [يشير الى قولهم يا سيدي فلان أغثني] إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت

---

١) وبهذا تعلم بطلان ما ذهب اليه الأمير الصنعاني رحمه الله أن دعاء غير الله شرك عملي لا اعتقادي، فإن الحامل على عمل هذا الشرك هو الاعتقاد الشركي الذي صدّقه العمل. وقد تمسك الأحباش بقوله هذا، وهم يتعلقون بالرجال لا بالحق، ويجعلون من علامات ضلالنا أننا نحكم على الحالف بغير الله أنه واقع في الشرك الأكبر، مع أننا نفتي بأنه شرك أصغر. ولكن هل جهلوا أن الصنعاني ذهب الى أن الحلف بغير الله شرك أكبر مخرج من الملة؟ (أنظر كتابه تطهير الاعتقاد ٣١ وسبل السلام شرح بلوغ المرام ١٤٣٣/٤ مع أن شرك الدعاء أعظم من شرك الحلف بغير الله.

يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر على جلب الخير ودفع الأذى، وإلا لما دعاه ولا فتح فاه». واعتبر الآلوسي هؤلاء من جملة من قال الله فيهم ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾[1].

○ تصور رجلا جائعاً فقيراً يخير بين أن يذهب الى فقير مثله أو الى غني: فإلى من يذهب؟ بالطبع سيذهب الى الغني ويترك الفقير.

لا تنس أن ذهابه الى الغني قد سبقه علمُه بأن هذا الغني يملك نفعاً وإلا: فذهابه الى فقير مثله مع علمه بفقره يعتبر جنوناً.

وكذلك المستغيث بغير الله: يعلم في قرارة نفسه أن من يطلب منهم لا يملكون تحقيق شيء له، وإن أنكر ذلك باللسان.

الآية الحادية عشرة: قوله تعالى ﴿**يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد**﴾ ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم**﴾. وقد أمرنا الله أن نعتقد أن النبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ﴿**قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا**﴾ ﴿**قل إني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله**﴾ هذا وهو حي. فكيف وهو ميت؟ أفيجوز أن يقال إنه كان لا يملك النفع والضر قبل موته فلما مات صار يملكهما؟

وكيف يقول لابنته فاطمة « لا أملك لك من الله شيئاً» بينما يحث المسلمين على الاستغاثة به عند قبره بعد موته؟!

---

١) روح المعاني ٦/١٢٨ و١٣/٦٧ و١٧/٢١٣ و٢٤/١١.

أتركوا دعاء من لا يملك نفعاً ولا ضراً

الآية الثانية عشرة: قوله تعالى ﴿**ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين**﴾ (يونس ١٠٦) أي المشركين، فليس في شرع ربنا جواز دعاء من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولم يقل تعالى: ولا تدع ما لا يخلق نفعاً وإنما المعنى: لا تدعُ من تعلم أنه لا يضر ولا ينفع كما قال تعالى ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾.

الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى ﴿**والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون**﴾ [الاعراف ١٩٧] لم يستثن الله نبياً ولا ولياً. فهذه الآية نص صريح على تحريم دعاء من لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا يملك نصراً، وإلا فإن فعل فقد رُدّ على أعقابه الى الضلالة بعد إذ هداه الله كما قال تعالى ﴿**قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله**﴾ [الأنعام٧١].

ودعاء من لا يغني من الله شيئاً محرم في القرآن وهو من خصال المشركين قال تعالى ﴿**فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء**﴾. ولم يقل (التي يسجدون لها من دون الله).

تدعون من صرح بأنه لا يغني!

فهذا رسول الله ﷺ يصرح بأنه لا يغني عن أحد من الله شيئاً ولا حتى لابنته فاطمة. وهو موافق في هذا للقرآن. فقد نهى ابراهيم أباه أن يدعو من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا؟! ويعقوب يقول لأولاده ﴿**وما أغني عنكم من الله من شيء**﴾ ورسولنا ﷺ يعلن بالكلمة نفسها الى فاطمة وأقربائه وجميع قريش.

وإذا كان لا يملك شيئاً لفلذة كبده فاطمة وهو حي: أفيملكه لغيرها وهو ميت؟ قال لابنته « يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار: فإني لا أملك لك من الله ضراً ولا نفعاً» وفي رواية « لا أغني عنك من الله شيئاً» وفي رواية « لا أملك» فكيف نستغيث بمن كان يقول وهو حي « لا أملك لكم [لا أغني عنكم] من الله شيئاً» (متفق عليه)!.

وهو الذي اذا استغاث به الناس يوم القيامة وهو حي حاضر يقول « لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك»! ولا نجد في القرآن جواز سؤال من يملك نفعاً لكنه لا يخلق نفعاً!

ولما أراد نوح أن يدعو الله لإنقاذ ولده قال الله ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك: إنه عمل غير صالح﴾.

فالذي يدعو الصالحين إن كان مستحقا للعقاب فالنبي أو الولي لا يعين على ما يكرهه الله ولا يسعى فيما يبغضه الله، فقد مات أبو طالب على الشرك، ولو كان الأمر بيد النبي ﷺ لما مات على ذلك.

﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾.

﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾.

واذا ثبت أن دعاءكم لغير الله شرك فقد قال الله تعالى:

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾.

﴿أتريدون أن تهدوا من أضل الله﴾.

حجة رازية أشعرية

○ قال الرازي « إعلم أن الكفار أوردوا سؤالا فقالوا: نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء: قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾.

وتقرير الجواب:

أن هؤلاء الكفار: إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام أو من أولئك العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها.

والأول باطل: لأن هذه الجمادات وهي الأصنام لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً، فكيف يعقل صدور الشفاعة منها؟

والثاني باطل: لأن في يوم القيامة لا يملك أحد شيئاً ولا يقدر أحد على الشفاعة الا بإذن الله. فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة. فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره» [١] انتهى كلام الرازي رحمه الله.

بين قبر اليوم وصنم الأمس عند الرازي

○ وذكر الرازي كذلك أن المشركين « وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا

---

١) التفسير الكبير ٢٦/٢٨٥.

بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى.

قال: **ونظيره في هذا الزمان**: إشتغال كثيرٍ من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقادهم أنهم إذا عظموا قبورهمً فإنهم يكونون لهم شفعاء عند الله» [(١)]. انتهى كلامه وهو نفيسٌ جداً. وصدور مثل هذا الكلام من رجل من عظماء الأشاعرة هو حجة على متأخريهم، فهل يصير الرازي عندهم «وهابياً» بعد هذا؟.

○ وذكر التفتازاني أن شرك المشركين وقع حين «مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله اتخذوا تمثالا على صورته وعظموه تشفعاً الى الله تعالى وتوسلا» [(٢)].

وهذا ما نؤكده دائماً أن نوع شرك المشركين السابقين: هو شرك تشفع وتوسل بالصالحين ليقربوهم الى الله زلفى.
وإنما يقع اليوم في نفس الفخ من لم يعرف نوع الفخ الذي نصبه الشيطان لمشركي الأمس.

---

١) التفسير الكبير للرازي ١٧/٥٩-٦٠ وقال القرطبي كلاماً مثل ذلك في تفسيره للآية (١٠٤) من سورة البقرة.
٢) شرح المقاصد للتفتازاني ٤/٤١-٤٢.

سؤال قرآني موجه الى المشركين

الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى **﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة: هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله، عليه يتوكل المتوكلون﴾** [الزمر٣٨]. فمن لم يكتف بدعاء الله وحده لم يكن حسبه الله، قال قتادة في هذه الآية «سأل النبي ﷺ المشركين فسكتوا» أي سألهم: هل هن كاشفات ضره؟ هل هن ممسكات رحمته؟ فسكتوا لأنهم لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الضر والنفع ولو كانوا يعتقدون العكس لأجابوا. وإنما كانوا يتخذونها وسائط وشفعاء عند الله.

النصارى لا يعتقدون أن مريم تخلق نفعاً

الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى **﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾**. فالذين يدعون غير الله وإن كانوا يعتقدون أن من يدعونه لا يخلق نفعاً إلا أنه ما زالت هناك مشابهة بينهم وبين النصارى الذين يعتقدون أن مريم لا تخلق نفعاً ولكنهم يطلبون منها أن تشفع لهم عند الرب وتخلصهم وتقضي حوائجهم، فحكم الله بأنهم يؤلهونها لأنهم كانوا يدعونها مع الله كما في تفسير قوله تعالى **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾**. قال ابن عباس ومجاهد «وهم: عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم»[1]. وكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين فقد دعا من لا يملك كشف الضر عنه ولا تحويلا.

وقد اعترف الرازي بأنه «ليس المراد بالآية الأصنام لأنه تعالى قال في صفتهم **﴿أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة﴾** قال: وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لا يليق بالأصنام»[2].

دعاء غير الله تأليه لغير الله

فالنصارى يعترفون بأنهم اتخذوا المسيح إلهاً، لكنهم يرفضون اتهامهم بتأليه مريم ويقولون: نحن لم نؤله مريم، بل نعتبرها بشراً، **ولا نعتقد أنها تخلق نفعاً ولا ضراً**، غير أننا نتخذها شفيعة لنا عند الرب. لكن الله ألزمهم بعبادتها وإن رفضوا، لأنهم يدعونها من دون الله ويطلبون منها ما يطلبه الأحباش من الجيلاني والرفاعي.

---

١) تفسير البغوي ٥/١٠١ محقق.

٢) تفسير الرازي ١٠/٢٣٢.

ولو سمعوا ما استجابوا

الآية السادسة عشرة: قوله تعالى **﴿ومن أضلّ ممّن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾** [الاحقاف ٥]. وهذه صفات مشتركة بين الأصنام والقبور. وقد جمع الله بينهما في آية واحدة فقال **﴿إنك لا تُسمع الموتى ولا تُسمِع الصمّ الدعاء﴾** [النمل٨٠]. وقد استدل ابن الهمام بهذه الآية على عدم سماع الأموات وأن عدم سماع الكفار فرع عدم سماع الموتى[١]. وهذه الآية مفسرة بقوله تعالى **﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾**. وأفضل التفسير: تفسير القرآن بالقرآن.

وجاء في الفتاوى البزازية «من قال إن أرواح المشايخ حاضرةً تعلم: يكفر. وقال الشيخ فخر الدين أبو سعيد عثمان الجياني : ومن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقد بذلك فقد كفر» [٢].

○ وقد احتج مشايخ الحنفية رحمهم الله على عدم سماع الموتى بقصة أصحاب الكهف **﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾** الى قوله **﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قالوا كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾** فإنهم من أولياء الله، وقد أنامهم نوماً ثقيلا لا توقظهم الأصوات. فلو كانوا يعلمون لكان كلامهم هذا كذباً.

الآية السابعة عشرة: قوله تعالى **﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً﴾** [الرعد ١٦].

﴿هل يسمعونكم إذ تدعون؟ أو ينفعونكم أو يضرون﴾ فغير الله لا يقضون بشيء ولا يملكون نفعاً ولا ضراً ولا يسمعون واذا سمعوا لا يستجيبون، وهؤلاء يقولون: بلى، يقضون بشيء ويستجيبون لمن شاءوا.

---

١) فتح القدير ١٠٤/٢ دار الفكر أو ٦٩/٢ دار إحياء التراث.

٢) الفتاوى البزازية ٣٢٦/٣ بهامش الفتاوى الهندية البحر الرائق ٩٤/٣ و٢٩٨/٢ وفي طبعة أخرى ١٢٤/٥ وانظر رد المحتار ٤٣٩/٢ قبيل باب الاعتكاف.

الدعاء أفضل العبادة

هل أجاز النبي عبادة غير الله مع الكراهة؟!

والدعاء عبادة كما قال رسولنا ﷺ «الدعاء هو العبادة» [(١)]، وفي رواية « الدعاء مخ العبادة» [(٢)]. ثم ان الاستشهاد بقول رسول الله ﷺ خير من الاستشهاد بعلماء اللغة. واذا عُرف التفسير من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك الى أقوال اللغة.

○ **وما سماه النبي عبادة لا يجيز للناس صرفه لغير الله مع الكراهة** كما زعم الحبشي وغيره. بل ما كان عنده عبادة لا يصرف الا لله.

○ قال الزبيدي « قال القاضي: لما حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستحق أن تسمى عبادة من حيث أنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه الى الله تعالى، معرض عما سواه، لا يرجو ولا يخاف الا منه: استدل عليه بالآية فانها تدل على أنه أمر مأمور به اذا أتى به المكلف قُبل منه لا محالة وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها ويمكن حمل العبادة على المعنى اللغوي أي الدعاء ليس إلا اظهار غاية التذلل والافتقار». وعن معنى رواية «الدعاء مخ العبادة» قال الزبيدي « أي خالصها، وانما كان مخا لها لأن الداعي انما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والاخلاص، ولا عبادة فوقها لما فيه من اظهار الافتقار والتبري من الحول والقوة وهو سمة العبودية واستشعار ذلة البشرية» [(٣)]

واذا كانت العبادة هي الذلة والتذلل: فهؤلاء يتوجهون الى غير الله بأفضل العبادة وهو الدعاء كما قال ابن عباس **﴿أدعوني أستجب لكم﴾** قال « أفضل العبادة الدعاء» [(٤)].

وهذا التفسير لغويٌّ وشرعي: علّمنا إياه سيد البشر وأفصحهم ﷺ والذي لا يجيز صرف عبادة لغير الله، والتوجه بالدعاء لغير الله تأليهٌ لغير الله. فقد قال رسول الله ﷺ « اذا سألت فاسأل الله، واذا

١) أحمد ٤/٢٦٧ أبو داود (١٤٧٩) الترمذي (٣٢٤٤) صحيح.

٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٣٧١) ضعيف فيه عبد الله بن لهيعة وله شاهد من حديث النعمان بن بشير.

٣) اتحاف السادة المتقين ٥/٢٩.

٤) رواه الحاكم في المستدرك ١/٤٩١ وصححه ووافقه الذهبي وهو حسن بشواهده (أنظر سلسلة الصحيحة للألباني ٤/١٠٦ رقم ١٥٧٩.

استعنت فاستعن بالله» فدل على أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة، لأنه يجمع من أنواع العبادة ما لا يجتمع في غيره من أنواع العبادات كتوجه الوجه والقلب واللسان وحصول التذلل والخضوع والرغبة فيما عند المدعو والرهبة منه وهذه حقيقة العبادة بل مخها.

قال الفيومي في المصباح المنير « دعوت الله: أي رغبت فيما عنده من الخير، وأما الاستغاثة فهي طلب الغوث والنصرة، والاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام. عاذ به أي التجأ واعتصم» [١].

ووصف الخطابي الدعاء بأنه [٢] « استمداد المعونة [من الله] وحقيقته إظهار الافتقار اليه وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية». ثم احتج بقول النبي ﷺ « الدعاء هو العبادة».

﴿**وقال ربكم ادعوني استجب لكم**﴾ قال الطبري أي اعبدوني [٣] قال القرطبي «فدل على أن الدعاء هو العبادة وكذا عليه أكثر المفسرين»[٤].

قلت: فسرها قبلهم رسول الله ﷺ. فأبى الأحباش الا الهروب من هذه الأقوال الصريحة عن جمهور العلماء الى التفسير الغريب المرجوح للآية وهو «أطيعوني أُثبْكم» [٥]. قال الحافظ « وشذت طائفة فقالوا: المراد بالدعاء في الآيةَ ترك الذنوب. وأجاب الجمهور بأن الدعاء من أعظم العبادة»، واعتبر قول النبي ﷺ «الدعاء هو العبادة» كقوله في الحديث الآخر «الحج عرفة»[٦].

﴿**إن الذين يستكبرون عن عبادتي**﴾ [غافر] قال السدي: أي دعائي [٧] قال الحافظ « وضع عبادتي موضع دعائي» [٨] وقال القسطلاني في ارشاد الساري كلاماً بنحوه.

---

١) المصباح المنير ٢٣١ لسان العرب ٢٥٧/١٤ مفردات الراغب ٢٤٤.
٢) شأن الدعاء ص ٤ تحقيق الدقاق ط: دار المأمون للتراث وانظر اتحاف السادة المتقين ٢٧/٥.
٣) تفسير الطبري مجلد ١٦ ج ٢٤ ص ٥١.
٤) تفسير القرطبي مجلد ٨ ج ١٥ ص ٢١٤.
٥) منار الهدى ٦٣/٤٢.
٦) فتح الباري ٩٤/١١.
٧) تفسير الطبري مجلد ١٦ ج ٢٤ ص ٥١.
٨) فتح الباري ٩٥/١١.

شبهة: العبادة نهاية التذلل

الدعاء توحيد عند الزبيدي

○ واعترض الأحباش على ذلك فقالوا « العبادة نهاية التذلل». هكذا أثبتها علماء اللغة» [١].

ويقال لهم: إذا كان الشرع يعتبر دعاء قضاء الحوائج عبادة فقد ألزمكم الشرع بالوقوع في غاية التذلل. يؤكد ذلك قول الحافظ ابن حجر « الدعاء هو غاية التذلل والافتقار» [٢]. وأن فائدة الدعاء « إظهار العبد فاقته لربه وتضرعه اليه». وقال مثله الزبيدي [٣]. وزاد عليه بأن وصف لفظ الدعاء يطلق ويراد به التوحيد كما في قوله تعالى ﴿**وأنه لما قام عبد الله يدعوه**﴾ وقوله ﴿**ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم**﴾. فهذه شهادة من الزبيدي ضدكم بأنكم صرفتم التوحيد الى غير الله.

فإذا كان الدعاء غاية التذلل والافتقار وإظهار الفاقة والتضرع وهو التوحيد: فمثل هذا لا يجوز صرفه لغير الله وإلا كان شركاً.

الدعاء عند الرازي أعظم مقامات العبودية

○ قال الفخر الرازي «المقصود من الدعاء إظهار الذلة والانكسار». وقال « وقال الجمهور الأعظم من العقلاء: الدعاء أعظم مقامات العبادة» [٤].

وفسر قوله تعالى ﴿**واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان**﴾ فقال: كأنه سبحانه وتعالى يقول: عبدي أنت إنما تحتاج الى الوساطة في غير وقت الدعاء. أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك فأنت العبد المحتاج، وأنا الإله الغني» [٥].

كما نقل عن الخطابي قوله « الدعاء هو العبادة» معناه أنه أعظم العبادة» و« حقيقة الدعاءاستمداد العبد المعونة من الله» [٦].

فهذا هو الرازي يصرح بأن الله لم يجعل واسطة بينه وبين عباده في رفع الحوائج ودفع المضار، محتجا بهذه الآية.

---

١) النشرة الصادرة عن جمعية المشاريع مكتب شئون الخارج ص ٢١.
٢) فتح الباري ٩٥/١١.
٣) فتح الباري ١٤٩/١١ وانظر اتحاف السادة المتقين ٤/٥.
٤) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ص ٩١ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط: دار الكتاب العربي.
٥) لوامع البينات ٨٨.
٦) التفسير الكبير ٨٣/٥.

وذكر الحليمي أن الدعاء من التخشع والتذلل لأن كل من سأل ودعا فقد أظهر الحاجة وباح واعترف بالذلة والفقر والفاقة لمن يدعوه ويسأله»[١] . وعرّف صاحب القاموس الدعاء بالرغبة الى الله[٢] .

---

١) المنهاج في شعب الايمان ٥١٧/١ ط: دار الفكر ١٩٧٩.

٢) القاموس المحيط ص ١٦٥٥ باب الواو والياء - فصل الدال.

السجود لغير الله ليس هو الشرك الوحيد

وهؤلاء لم يفهموا من العبادة الا الركوع والسجود. وهم بذلك يقصرون العبادة على بعض أفرادها كقولهم «العبادة نهاية التذلل».

ولا ننسى أن المحبة والخضوع والتوكل والانابة والخوف والرجاء والطاعة والتقوى كل ذلك عبادة لا ركوع فيها ولا سجود.

ورمي الجمار ليس فيه سجود ومع ذلك فهو عبادة؟

والصيام عبادة لا سجود فيها.

والوقوف عند عرفة ركن الحج وهو عبادة لا سجود فيها.

وقراءة القرآن عبادة ليس فيها سجود.

فلماذا لا يكون الدعاء عبادة وإن لم يكن فيه ركوع ولا سجود.

فالرسول ما علّمنا أن الصوم والصلاة والحج عبادة فقط. بل علمنا أيضاً أن الدعاء عبادة. وقد بلّغ فقال « الدعاء هو العبادة».

فكما أن (الحج عرفة) وعرفة أعظم مواقف الحج. فكذلك (الدعاء عبادة) بل من أعظم أنواع العبادة ولبّها وركنها الأعظم، كما أن عرفة أفضل الوقوف، يؤكد ذلك حديث أنس « الدعاء مخ العبادة» وهو ما قال مثله الرازي والزبيدي [1].

لا يفقهون ما يتلون في صلاتهم

وهؤلاء اذا دخلوا في الصلاة قالوا ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فاذا خرجوا منها قالوا: إياك نستعين ونستمد يا محمد يا رفاعي يا بدوي.. فلَمْ تنههم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، وإن الشرك لهو أعظم المنكر.

ولو أنهم تدبروا ما يقرأون لكان خيراً لهم، فإن ﴿إياك نستعين﴾ جاءت بعد آيات بينت ربوبية الله المطلقة لكل العوالم ورحمته الواسعة وأنه هو المالك ليوم الدين فهو المنجي وهو الراحم وهو الذي يملك الشفاعة والمغفرة، فلا تجوز الاستعانة بمن لا يتصف بهذه الصفات.

---

١) التفسير الكبير ٥/٩٩ وانظر اتحاف السادة المتقين ٥/٢٩.

وقد نص الحافظ ابن رجب [1] في (جامع العلوم والحكَم ٢٨١) أن قوله ﷺ «إذا سألتَ فاسأل الله» منتزع من قوله تعالى ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ لأن الدعاءَ هو العبادة» وتلا قوله تعالى ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾. وقال ﴿**واسألوا الله من فضله**﴾ ولم يأمرنا أن نسأل غيره. ولم يقل (وقال ربكم ادعو أنبيائي وأوليائي) ولم يقل رسوله ﷺ «اذا سألت فاسأل الأنبياء والأولياء.

وقال السبكي بأن هذه الآية تفيد العلم بأنه لا يستعان غير الله» [2] وأكد أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص.

---

١) وصفه الحبشي بالحافظ المتقن (صريح البيان ص ٦٧ ط: المجلدة).

٢) فتاوى السبكي ١٣/١ طبقات السبكي ٣٠٤/١٠.

الآية التي قطعت جميع وسائل الشرك

الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله: لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير**﴾ فهذه الآية قطعت طرق الشرك كلها وسدت أبوابه أمام المشركين.

فان الداعي غير الله انما يتعلق قلبه بالقبور:

١ - لما يرجو فيها من حصول منفعة أو دفع مضرة وحينئذ: فلا بد أن يكون معتقداً أن هذا الولي يملك أسباب المنفعة. فنفى الله ذلك قائلا ﴿**لا يملكون مثقال ذرة**﴾.

٢ - أو أن يكون هذا الولي المدعو شريكاً مع الله. فنفى الله ذلك قائلاً ﴿**وما لهم فيهما من شرك**﴾.

٣ - أو أن يكون وزيرا معاوناً له ذا حرمة وقدر يمكن الانتفاع به عند المالك. فنفى الله ذلك وقال ﴿**وما له منهم من ظهير**﴾.

٤ - فلم يبق للمشرك الا حجة واحدة يتعلق بها وهي الشفاعة فيقول ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ فنفى الله ذلك وقال ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له**﴾ ونفى عن غيره النفع والضر والشراكة في الملك وامتلاك الشفاعة وانما الشفاعة حق يملكه الله، فلا يُسئلها من لا يملكها. وحتى إذا أعطي نبينا الشفاعة فإنه لا يشفع فيمن يشاء ولكن فيمن يأذن الله.

الآية التاسعة عشرة: قوله تعالى ﴿**له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء**» ولم تستثن الآية ممن ﴿**لا يستجيبون**﴾ نبياً أو ولياً، والآية ترد ما يدعيه الاحباش أن قبر السيدة نفيسة «معروف بالإجابة»[1]؟ فإن الله تعالى يقول ﴿**لا يستجيبون**﴾! فمن أصدق عندكم: الله أم الحبشي؟

الآية العشرون: قوله تعالى ﴿**أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء**﴾ ويناقض الحبشي هذه الآية فيقول: الأنبياء والأولياء: يجيبون المضطر اذا دعاهم ويكشفون السوء، وليس الله وحده، وقد قال الشيعة من قبله: الأئمة والسادة يجيبون المضطر اذا دعاهم، وقالها النصارى من قبلهم: المسيح ومريم والقديسون.

---

١) الدائرة العلمية مكتب شؤون الخارج ورقة رقم ٩ وزعم الشعراني أن السيدة نفيسة كانت كثيرا ما تكلم أحد المشايخ المتصوفة وهي في قبرها (لطائف المنن والاخلاق ٤٠٣).

المدافعون عن شرك النصارى

ولهذا كان المُدافع عن الاستغاثة بغير الله مدافعاً بالدرجة الأولى عما يدافع عنه الشيعةَ المستغيثون بالأئمة والحسين وصاحب الزمان (المهدي المنتظر) وعما يدافع عنه النصارى المستغيثون بالمسيح ومريم و« القديسين».

الآية الواحدة والعشرون: قال تعالى **﴿وإن يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له الا هو﴾ ﴿واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان﴾** أجابت هذه الآية عن سابقتها، فمن كان قريبا ومن كان متفردا بكشف الضر لا يجوز الاستغاثة بغيره.

○ ومن العجب أن يستنكر المسلم قول النصراني (يا مسيح) ويستنكر قول الشيعي (يا حسين يا مهدي) ولا يستنكر قول الضالين من هذه الأمة: يا رفاعي يا بدوي يا جيلاني يا دسوقي.

○ أما الموحدون أتباع الملة الحنيفية فأجابوا قوله **﴿أمن يجيب المضطر﴾** فقالوا: اللهم أنت وحدك الذي يجيب المضطر إذا دعاه وتكشف السوء، ما لنا من دونك من ولي ولا شفيع، وليس أرحم بعبادك منك ولا أسمع منك، هم متمسكون بدعوة النبي ﷺ التي مبدؤها دعاء الله وحده، فإنه لما سئل عن مبدأ دعوته قال «أدعو الى الله وحده الذي إن مسّك ضرٌّ فدعوتَه كشف عنك. والذي إن ضلَلْتَ **بأرضٍ قفرٍ ردّ عليك**، والذي إن أصابتْكَ سنة [1] فدَعَوْتَه أنْبتَ عليك».

---

1) أي قحط وجفاف.

إخلاص الدعاء لله هو التوحيد

الآية الثانية والعشرون: قوله تعالى ﴿**فادعوا الله مخلصين له الدين**﴾ [غافر١٤] فدعاء الله: إخلاص في الدين وإخلاص في العبادة كما قال تعالى ﴿**فاعبد الله مخلصاً له الدين**﴾ فالله سمى الدعاء ديناً، فمن أخلص الدعاء لله فقد أخلص له الدين والعبادة، ومن دعا غَيره لم يخلص له الدين ووقع في الشرك. قال تعالى ﴿**قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً**﴾.

وقال ﴿**فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون**﴾. ﴿**وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين**﴾.

والذي أمرنا أن نعبده مخلصين له الدين ﴿**وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾. هو الذي أمرنا أن ندعوه مخلصين له الدين فقال ﴿**فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**﴾ ومن كره أن ندعو الله مخلصين له الدين فقد عرّض نفسه أن يصيبه آخر الآية ﴿**ولو كره الكافرون**﴾.

○ وقد جعل الله دعاءه وحده شرطاً لصحة الاعتقاد بوحدانيته كما قال ﴿**هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين**﴾ ولم يقل: النبي والأولياء أحياء فادعوهم.

فمن لم يخلص لله الدين والدعاء فقد نقض شرط لا اله الا الله. فهو مخالف لما يتلفظ به.

فأنتم لستم مطالبين فقط بدعاء الله فحسب، بل بالإخلاص في الدعاء فهل تدعون رسول الله ﷺ مخلصين له الدين؟

الدعاء صلاة

أنت تدعو غير الله؟ إذن أنت تصلي لغير الله وتعبد غير الله.

قال تعالى ﴿**وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم**﴾ [التوبة١٠٣]

فقد أمر الله نبيه أن يأخذ الصدقة من المؤمنين ويدعو لهم، ونهاه أن يدعو للمنافقين فقال ﴿**ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا**﴾ [التوبة ٨٤] وأمرنا أن ندعو لنبيه ﷺ فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه**﴾ [الأحزاب ٥٦] وفي الحديث « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام

في مصلاه الذي صلى فيه» [1]. قال النووي في شرح مسلم (٣١٧/١) «الصلاة هي الدعاء: هذا قول جماهير أهل اللغة العربية والفقهاء وغيرهم».

فاذا كان الدعاء هو الصلاة كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة: فكيف جاز عند قوم دعاء غير الله ولم يَجُز عندهم الصلاة لغير الله مع أن معنى الصلاة بمعنى الدعاء! هذا تناقض. إذن، فليجوّزوا الصلاة لغيره أو دعاء غيره أثناء الصلاة؟ أو لا يفرّقوا بين دعاء ودعاء.

واذا كان دعاء غير الله جائزاً عند الحبشي فلماذا لا يدعو الرفاعي والجيلاني أثناء صلاته! إن كان لا يعتبر ذلك شركاً؟

علم أن قوله تعالى ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾ [الأنعام ١٦٢] يشمل الدعاء، وسُمّيت الصلاة صلاة لاشتمالها على نوعي الدعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة كما علّمنا رسولنا ﷺ أن نكثر من الدعاء في الصلاة فقال « فأما الركوع فعظّموا فيه الرب تعالى، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء» [2].

فاذا كان الدعاء صلاة وعبادة: ألزمنا من يدعون غير الله أنهم يعبدون غير الله ويصلون لغير الله وإن أنكروا ذلك، فالحجة ما قرره الله ورسوله. وقد أمر أن نعبده وحده فقال ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾ [الإسراء ٢٣] وألا نشرك به ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**﴾ [المؤمنون ٣٢].

وقد ورد النهي عن دعاء غير الله في القرآن أكثر من النهي عن السجود لغيره [3]، ذلك أن الشيطان يستزل الناس بدعاء غير الله الى الشرك باسم الشفاعة واتخاذ الوسيلة.

الآية الثالثة والعشرون: قوله تعالى ﴿**ذلكم الله ربكم له الملك**﴾ وإذا كان الله هو المالك: وجب أن يكون هو المدعو.

﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**﴾ فإذا كانوا لا

---

١) رواه البخاري (٤٤٥) ومسلم (٦٤٩).

٢) رواه مسلم (٤٧٩).

٣) ينظر الى كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن) كلمة (دعا)

يملكون شيئاً حتى القطمير [1] فلماذا تدعونهم ما لا يملكونه لكم؟

ولا يشفع لكم أن تقولوا إنهم يملكون بإذن الله لأن الله لم يأذن أن يملك أحد معه شيئاً والا لما قال ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**﴾ فإن قوله ﴿**والذين تدعون**﴾ واقعة على كل مدعوّ مع الله سواء كان نبياً أو صالحاً لا تخصيص فيها بصنم دون غيره. فأثبتوا أن الأنبياء والأولياء مستثنون من الآية، وهيهات أن تستطيعوا.

وقوله ﴿**من دونه**﴾ عام يدخل فيه كل مدعو مع الله ولم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ أي استثناء يجيز دعاء أحد مع الله.

والمشركون يؤمنون بمشيئة الله الشاملة وإذنه ولهذا قالوا ﴿**لو شاء الله ما أشركنا**﴾.

---

١) أي غلاف نواة التمر وقشرتها.

ولو سمعوا ما استجابوا

﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم**﴾ فلا هم يملكون ولا هم يسمعون كما قال تعالى ﴿**وهم عن دعائهم غافلون**﴾ ولا اذا سمعوا يستجيبون، لكن الحبشي يخالف هذه الآية فيقول: بلى يسمعون ويستجيبون ويخرجون من قبورهم فيقضون الحوائج ويكشفون الضر ثم الى قبورهم يعودون، ويملكون النفع والضر، ولكنه دلّس على العامة حتى لا يكتشفوا شركه فقال « ولكنهم لا يخلقون النفع والضر».

وقد فسر الأحباش ﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم**﴾ أن هذه الأصنام لا تسمع دعاء الكافرين لأنها جمادات ميتة لا روح فيها، فكيف تُقاس هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع بالنبي ﷺ والأولياء والصالحين[1].

غير أنهم لم يتكرموا بتفسير الآية بكاملها وبالتحديد قوله تعالى ﴿**ويوم القيامة يكفرون بشرككم**﴾ إن آخر الآية يؤكد أن الضمير متعلق بالبشر الذين اتخذوهم آلهة ورمزوا الأصنام بهم.

ومع أن السجود للأصنام شرك لا شك فيه فقد سئل شيخهم عن حكم السجود لصنم لم يسجد له بعد فأجاب بأنه « كبيرة من كبائر الذنوب ليس أكثر وليس شركاً[2].

---

١) نشرة الشئون الخارجية ص ٢٥.

٢) شريط الحبشي رقم ٣ عداد ٦٤٠ والشريط مسجل عندي بصوته.

سماع أبي جهل دليل على سماع سيدنا محمد!

ثم احتجوا بقول النبي ﷺ في قتلى المشركين يوم بدر لما سأله عمر « كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال ﷺ « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» [١]. بمعنى أنه اذا كان أبو جهل يسمع في قبره فالأنبياء والأولياء أولى بالسماع منه.

○ وهذا قياس باطل، والقياس أصلا باطل لا يجوز استعماله في أمور التوحيد. قال إمام المالكية، حافظ المغرب وفقيهها ابن عبد البر « لا خلاف في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام» [٢].

قال ابن سيرين « ما عُبدَت الشمس والقمر الا بالمقاييس، وأول من قاس إبليس» حين قال ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ [٣].

○ وبهذا الاستدلال من الحبشي يصير الأصل في كل ميت أنه يسمع، وهذا الفهم الباطل يتعارض وقوله تعالى ﴿**وما أنت بمسمعٍ من في القبور**﴾[٤] وقوله ﴿**إنك لا تسمع الموتى**﴾.
ألا بئس ما توصل اليه أولئك من الاستدلال بسماع طواغيت قريش على سماع الأنبياء والأولياء!.

أولا: ونحن نرد عليهم فنقول: لو كان ما تقولونه صحيحاً فما معنى ﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم**﴾ فعلى فرض سماعهم لا يستجيبون.

○ **ثانيا**: أن هناك رواية تضمنت زيادة (الآن) أي أنهم الآن يعلمون حين تبوؤا مقاعدهم» [٥]. وفيه تحديد السماع بمدة وجيزة كما في الحديث الذي يحتجون به « إن الميت ليسمع قرع نعال مشيعيه»

---

١) نشرة شئون الخارج١٦.
٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٥٥.
٣) تفسير الطبري ١٣١/٨ المدخل الى السنن للبيهقي (١٩٦) جامع بيان العلم ١/٥٨ تفسير ابن كثير٢/٢٠٣ وقال «اسناده صحيح».
٤) وقد رد الأحباش على قوله ﴿وما أنت بمُسمِع من في القبور﴾ بأن المراد تشبيه الكفار بمن في القبور في عدم انتفاعهم بكلامه وهم أحياء» ولست أدري من سلفهم في هذه التفاسير الباطلة ؟ أأخذوها عن ابن عباس أم ابن مسعود!
٥) البخاري ٣٩٧٩.

وهو حجة عليهم فإنه اذا كان أي ميت يسمع قرع نعال مشيعيه بطل تخصيص السماع من القبر بالأنبياء والأولياء. وقد نقل الينا السلف هذا الحديث ولم يفهموه على الوجه الذي تفهمونه أنتم.

○ **ثالثاً** : أنهم تجاهلوا تفسير قتادة الذي أورده البخاري ومسلم « أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ﷺ توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندامة»[1].

وقد صدر مثل هذا التوبيخ من الأنبياء السابقين منهم صالح عليه السلام **﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾**.

○ **رابعاً** : مَن أضلُّ ممن يسمع هذه الآية **﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾** [الاحقاف ٥] ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً. ويطلب أدلة أخرى لأن الآية لا توافق هواه بل هي حجة عليه الى يوم القيامة!

فأهل البدعة والشرك أمام حواجز اذا اخترقوا أولها صعب عليهم ثانيها. فاذا تخطوا حاجز **﴿لا يسمعوا﴾** اعترضهم حاجز **﴿ولو سمعوا ما استجابوا﴾**.

---

١) البخاري (٣٩٧٦) مسلم (٢٨٧٥) وانظر اتحاف السادة ١٠/٣٨٠.

هل كل مخاطَب يسمع؟

○ واحتجوا بأن الحي يقرىء الميت السلام كقوله ﷺ عند زيارة قبور المسلمين « السلام عليكم دار قوم مؤمنين»[1] ثم قالوا: هل يُلقى السلام على من لا يسمع؟

وليس كل من خوطب يكون سامعا بالضرورة. فقد خاطب عمر بن الخطاب الحجرَ الأسود[2]. فهل كان الحجر يسمعه؟

وليس كل من سمع يكون مجيبا. فقد فسر الحافظ سلام زائر المقابر «السلام عليكم» أي اللهم اجعل السلام عليكم[3].

وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك فقال « فخطاب الموتى بالسلام في قول الذي يدخل المقبرة: السلام عليكم أهلَ القبور من المؤمنين لا يستلزم أنهم يسمعون ذلك: بل هو بمعنى الدعاء، فالتقدير: اللهم اجعل السلام عليكم، كما نقدر في قولنا الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، فإن المعنى: اللهم اجعل الصلاة والسلام عليك يا رسول الله»[4].

وهل كل مخاطَب يسمع؟ إن قلتم نعم هذا ضروري. قيل لكم: هذا خطاب عمر للحجر الأسود: « والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسولَ الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتُك»[5].

ونسأل: هل يستوي عندكم المسلم عليهم والمستغيث بهم؟ هل يستوي من يدعو الله لهم بالسلام والرحمة وبين من يدعوهم أن يكشفوا ضره ويغيثوا لهفه؟ أم أنكم تأتون بمثل هذه الحجج الداحضة للتمويه على عوام الناس!

وقد حكى الأحناف ومنهم صاحب الدر المختار أن هذا من باب الدعاء له لأن السلام دعاء من المؤمن لأخيه.

○ والأحناف أشد الناس إنكاراً لمسألة سماع الميت، فجاء في

---

١) نشرة شئون الخارج ص ٢٥.

٢) رواه البخاري (١٥٩٧) ومسلم (١٢٧٠).

٣) الأجوبة المهمة ٢٤ تحقيق مأمون محمد أحمد منسوخ من مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية.

٤) الأجوبة المهمة ٢٤ تحقيق مأمون محمد أحمد منسوخ من مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية.

٥) رواه البخاري (١٥٩٧) ومسلم (١٢٧٠).

رد المحتار على الدر المختار (٣:١٨٠) أن إسماع الكافرين يوم بدر حالة خاصة جعلها الله زيادة في حسرتهم وأن سماع الميت قرع نعال مشيعيه يكون في أول الوضع في القبر فقط. وهو قول العلامة الشيخ أحمد الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح للشرنبلالي « شرح نور الإيضاح » باب أحكام الجنائز قال « وأكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع عندهم (صفحة ٣٢٦). أضاف « وأما السلام عليهم فحملوه على أنه دعاء لهم وليس خطاباً. لأن السلام دعاءٌ لهم بالرحمة والأمن» (٣٤١ الطبعة الأزهرية).

○ ولما نفدت حججهم قالوا: ألستم تؤمنون أن الله على كل شيء قدير؟ أليس الله قادرا أن ينطق الشجر والحجر والدواب فكيف تحددون قدرة الله وتحيلون على الله أن يفعل ذلك؟ وهي حجة واهية شبيهة على ضعفها بحجج النصارى: ألستم يا مسلمين تزعمون أن الله على كل شيء قدير، فهل يعجز القدير إن أراد أن يتخذ ولدا أن يفعل؟

والجواب: أن الله الذي هو على كل شيء قدير هو الذي حكم أننا لو دعوناهم ما سمعوا دعاءنا.

أن الله لا يفعل إلا ما كان حقا ولا يفعل الباطل. ودعاء غير الله باطل بالدليل من كلام الله ﴿**فلا تدعو مع الله أحداً**﴾.

احتجاجهم برؤية نبينا موسى عند المعراج

شبهة : واحتج الحبشي بحديث « مررت بموسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره» على جواز أن نسألهم وهم في قبورهم وأن موسى كان سبب تخفيف الصلاة فحصل به نفع وهو ميت.

والجواب : أن مخاطبتكم لموسى بناء على مخاطبة نبينا له قياس باطل. فإنه ﷺ كان يلقى جبريل فهل كان يستغيث الصحابة بجبريل أم أنهم كانوا يستغيثون ربهم فاستجاب لهم ﴿**أني ممدكم بألف من الملائكة**﴾ لماذا لم يستغيثوا بالملائكة مباشَرَة؟

○ أن حياة الأنبياء في قبورهم لا ينكرها أحد ولكن هل مجرد كون موسى حياً في قبره دليل على جواز سؤاله؟ فإن كلام نبينا لموسى حالة خاصة في وقت خاص. فإنه لم يكن يكلم موسى في أي وقت وإنما كلمه يوم المعراج فقط.

○ لقد بنيتم على حديث المعراج هذا جواز سؤال الأنبياء وغيرهم في قبورهم، بينما حديث المعراج صريح في أن موسى ﷺ هو الذي طلب من النبي ﷺ أن يسأل الله التخفيف فقال: إرجع الى ربك «**واسأله**».

○ ولكن في الحديث فوائد أخرى تجاهلتموها ومنها أنه أفاد علو الله فوق سماواته. ففي السماء السابعة فرضت الصلاة خمسين. ولما رجع النبي الى السماء الخامسة لقي موسى فأمره أن يرجع الى الله فيسأله التخفيف. حتى قال النبي ﷺ «فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى...». فليس من الانصاف أن تحتجوا ببعض الحديث وتعرضوا عن البعض الآخر.

○ أننا لا نعلق حكم سؤال المقبور على حياته أو موته ولكن مدار الحكم على المشروع الوارد، فلا يوجد في دين الاسلام الحث على محادثة أو مطالبة مدفون.

فالحديث حجة عليكم. فلم يقل أغثنا يا موسى أو المدد على النحو الذي تفعلونه حين تقولون لغير الأنبياء مدد يا رفاعي مدد يا جيلاني. وكقول علي بن عثمان الرفاعي (خليفة الشيخ أحمد الرفاعي) «يا سادة، من كان منكم له حاجة فليلزمني بها، ومن شكا إلي سلطانه أو شيطانه أو زوجتَه أو دابته أو أرضه أن كانت لا تنبت، أو نخله إن

كانت لا تثمر، أو دابة لا تحمل: فليلزمني بها فاني مجيب له»[1].
وقول الشيخ جاكير الكردي للناس «إذا وقعتم في شدة فنادوا باسمي»[2]

○ وإذا اختلفنا في فهم نص: فاننا نرجع الى فهم الصحابة: والصحابة لم يفهموا الحديث على النحو الذي تفهمونه من جواز سؤال الأنبياء مع الله أو التوسل بهم: إيتونا برواية صحيحة السند الى صحابي سأل نبياً من الأنبياء السابقين بعد موته. فان لم تجدوا فأنتم المخالفون للسلف، فخبر موسى لم يخف عليهم وقد تركوا التوسل بنبيهم ﷺ بعد موته.

○ أن النبي ﷺ رأى موسى وغيره من الأنبياء في السموات على قدر منازلهم، ولم يكن عاكفاً عند قبر موسى والفرق كبير جداً بين الأمرين. لكن أهل الزيغ يتجاهلون هذا الفرق. ولو لم يكن فرق لكلم الرسول ﷺ الأنبياء دائماً من غير معراج.

○ وإذا كانت أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة: فارواح الأنبياء في أعلى عليين. ولم يُعرف عن السلف مخاطبة شهداء ولا أنبياء.

1) قلادة الجواهر٣٢٣ روضة الناظرين٨٤ جامع الكرامات ١٦٢/١.
2) جامع كرامات الأولياء ٣٧٩/١ و٦٦/٢.

كيفية حياتهم في القبور

واحتجوا بقول النبي ﷺ « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»[1]

بل زاد الحداد الصوفي فقال « يأكلون ويشربون ويصلون ويحجون بل وينكحون وكذلك الشهداء: شوهدوا نهاراً وجهاراً يقاتلون الكفار في العالم المحسوس في الحياة وبعد الممات»[2].

الجواب: أما موتهم الدنيوي فلا يجوز إنكاره، قال تعالى ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾. ولكن: ألم يكن رسول الله ﷺ يعلم أن الأنبياء السابقين (ابراهيم وموسى وعيسى) أحياء في قبورهم؟ فلماذا لم يسألهم ولم يخاطبهم ولم يفعل صحابته شيئاً من ذلك؟ فإن رسولنا لم يستغث قبل موته بأحد من الأنبياء مع علمه بحياتهم البرزخية، ولم يعلّم أحداً من أصحابه أن يستغيثوا بنبي من الأنبياء.

○ وأما زعمهم أنهم ينكحون وأن حياة النبي ﷺ هي السبب في تحريم مناكحة أزواجه من بعده لأن الحي لا يجوز نكاح زوجته. فهذا تدليس فإن الله وصف نساء النبي ﷺ بأنهن أمهات المؤمنين. وكيف يجوز للابن أن ينكح أمه؟ ولو كانت العلة هي الحياة لجاز نكاح مطلقته ﷺ.

ثم إن قوله تعالى عن عيسى ﴿**وكنتُ عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**﴾. دليل على أن الأنبياء وإن كانوا أحياء فإنهم لا يعودون شهداء على قومهم. وهؤلاء يجعلون النبي ﷺ شهيداً عليهم سواء في حياته أوبعد موته! كقول علوي المالكي « روحانية المصطفى ﷺ حاضرة في كل مكان، فهي تشهد أماكن الخير ومجالس الفضل» (الذخائر المحمدية ٢٥٩) فكأنه يقول: وهو معكم أينما كنتم!

ويبطل ذلك قول النبي ﷺ لجبريل عليه السلام « ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾ فاذا كان نزول جبريل لزيارة محمد ﷺ لا تكون الا بأمر رب العالمين فكيف بنزول أرواح المشايخ واجتماعها بالأحياء وادعاء الجهال مجيء الرسول ﷺ الى مجالس الذكر واتصاله بالمتصوفة يقظة؟!!

---

١) الحديث حسن بشواهده: أنظر الصحيحة للألباني ٦٢١ وقد أضاف الاحباش الى الحديث لفظ « يصلون ويحجون» احتجاجا بقول الرملي والسبكي الذي لم يستبعد أن يكون النبي ﷺ يحج ويلبي (شفاء السقام ١١٦) وعلى هذا فلا يصح تسمية حجته الذي حجها مع أصحابه (حجة الوداع)!.

٢) مصباح الانام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام ص ٢٦ ط: المطبعة العامرة الشرقية. مصر ١٣٢٥.

○ ويتناقض الحبشي في الروايات التي يحتج بها. فتارة يأتي بحديث موضوع هو « من صلى عليّ عند قبري سمعته» [١]. وتارة يأتي بحديث صحيح « فإن صلاتكم معروضة علي» يبطل احتجاجه بالحديث الأول الموضوع المثبت للسماع [٢].

فالحديث الأول ضعيف وهو حجة على من زعم أنه لا يستدل في العقائد الا بقطعي السند بل متواتر.

والحديث الثاني صحيح وهو حجة على من زعم أنه يسمع، فلو كان يسمع لما عُرِضَتْ عليه صلاة أمته، ولما انتظر حتى يبلغه الملك سلام أمته. فتأمل تَناقض أهل البدع!!

لا يفرقون بين الأحياء وبين الأموات

ولم يعد هؤلاء يفرقون بين الموت والحياة، بل يسوّون بين الحي والميت مخالفين بذلك القرآن والسنة:

○ أما القرآن فيقول تعالى ﴿**وما يستوي الأحياء ولا الأموات**﴾ وعند الحبشي يستويان. وقال المسيح عليه السلام ﴿**وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم**﴾.

○ وأما السنة فقد قال نبينا ﷺ عند الموت « اللهم الرفيق الأعلى» ومن كان في الرفيق الأعلى فقد غاب عن الدنيا. غير أن المنحرفين يجعلون النبي شهيداً عليهم في الدنيا وفي القبر. بل ويحضر عند موت كل من رآه من أمته في المنام فيراه وهو يضحك اليه أو يكلمه كما زعم نبيل الشريف.

فتوحيدكم لا يصححه قرآن ولا سنة، بل يشهدان بضد ذلك. ونذكركم بما قال القشيري «كل توحيد لا يصححه الكتاب والسنة فهو تلحيد لا توحيد» [٣].

---

١) موضوع قال ابن الجوزي في الموضوعات ٣٠٣/١ فيه محمد بن مروان متهم بالكذب كما عند الحافظ في (التقريب ٦٢٨٤) وعند ابن ابي حاتم كذاب متروك الحديث لا يُكتَب حديثه. لكن يحق للحبشي أن يكتب حديثه لأنه سلطان المحدثين (زعموا)!

٢) المقالات السنية ١١٥.

٣) رسالة السماع ضمن رسائل القشيري ٦٢ ط: منشورات المكتبة العصرية صيدا - لبنان.

دعاء غير الله باطل

٢٠) ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير**﴾ [لقمان ٣٠] فحكم الله على كل دعاء لغيره أنه باطل. فاذا كان كذلك فكيف يزعم هؤلاء الجاهلون أن قول النبي ﷺ « إذا سألت فاسأل الله» **لا يعني** « لا تسأل أحداً غير الله»؟ ألم يصف الدعاء بأنه عبادة فكيف يجيز عبادة مع الكراهة؟

ولنفرض أن الرسول لم يقلها: ألم يقلها الله ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ وقوله ﴿**أحداً**﴾ نكرة في سياق النهي، واذا كانت ﴿**أحداً**﴾ **لا** تعم كل مدعو عندكم فماذا تقولون في هذه الآيات:

﴿**قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً**﴾ أليس واضحاً أن دعاء أحد مع الله شرك كما اقتضه الآية الكريمة بكل وضوح؟

الرسول سمى التبرك بالشجرة تأليهاً

وشبّه الرسول ﷺ قول الصحابة « إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» بقول من قال لموسى ﴿**إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**﴾ مع أنهم لم يخطر لهم أن يسجدوا للشجرة أو يعبدوها وانما قصدوا التبرك بها فتنبه لهذه الفائدة ففيها حجة عظيمة.

وكذلك أصحاب الكهف هربوا من الشرك وكانوا يقولون ﴿**ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً**﴾ وقالوا عن قومهم ﴿**إتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطانٍ بيّن**﴾ وقد سارع قومهم الى اتخاذ قبورهم مكانا للتبرك والدعاء ﴿**قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً**﴾ [الكهف١٤و١٥].

فاذا كان دعاء غير الله تأليهاً لغير الله كان حقيقة قولكم: أجعلت المدعو واحداً؟ شبيهاً بقول من قالوا ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**﴾.

دعاء غير الله شرك

الآية الرابعة والعشرون: قوله تعالى ﴿**قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً**﴾ [الجن ٢] فالشرك إنما حصل بدعاء غيره معه: نبياً كان أو ولياً. وقد قال ﷺ «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»[١]. وهو تحقيق قوله تعالى ﴿**وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين**﴾.

الآية الخامسة والعشرون: قوله تعالى ﴿**فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون**﴾.

الآية السادسة والعشرون: قوله تعالى ﴿**ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله**﴾ قالوا ﴿**بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً**﴾. ﴿**قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون**﴾ [الانعام ٤٠].

الآية السابعة والعشرون: قوله تعالى ﴿**واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك، فألقوا اليهم القول إنكم لكاذبون**﴾ [النحل٨٦] فالذين قالوا ﴿**إنكم لكاذبون**﴾ ليس الأصنام وإنما البشر الذين تم نحت صورهم على شكل تماثيل وأصنام.

الآية الثامنة والعشرون: قوله تعالى ﴿**وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب**﴾ فدعاء غير الله عند الله شرك يؤدي الى حرمان الجنة ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار**﴾ [المائدة ٧٢]. فلماذا المجازفة وركوب المخاطر في دينكم بشرك يؤبدكم في جهنم؟!

---

١) رواه البخاري في الجنائز رقم (١٢٣٨).

دعــاء الله إيمــان

ودعاء غير الله كفر

الآية التاسعة والعشرون: قوله تعالى ﴿**قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**﴾ قال ابن عباس « يقول: لولا إيمانكم»[1] وذكره البخاري في كتاب الايمان فقال (دعاؤكم إيمانكم» [2].

﴿**ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله**﴾ قالوا ﴿**بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً. كذلك يضل الله الكافرين**﴾ [غافر ٧٣] فحكم الله بأنهم كافرون ﴿**كذلك يضل الله الكافرين**﴾ بعدما حكم بشركهم ﴿**أين ما كنتم تشركون**﴾.

واجتمعت الصفتان في آية واحدة ﴿**ذلكم بأنه إذا دُعِيَ اللهُ وحده كفرتم، وإن يُشرَكْ به تؤمنوا**﴾ [غافر ١٢] فهم بدعائهم غير الله يكفرون ويشركون.

وهكذا صار دعاء غير الله عندهم ايماناً وهو عند الله شرك ﴿**وإن يُشرَك به تؤمنوا**﴾ ودعاء الله وحده عندهم كفر. وهو عند الله ايمان.

الآية الثلاثون: قوله تعالى ﴿**حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله؟ قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين**﴾ [الأنعام ١٣٠] دلت هذه الآية على أن حكم دعاء غير الله عند الله كفر. ونص الله على أن الكافرين يكرهون إخلاص الدعاء اليه وحده فقال ﴿**فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**﴾ [غافر ١٤]. فمن كره منا قصره على دعاء الله وحده فقد وافق الكفار فيما يكرهونه.

الآية الواحدة والثلاثون: قوله تعالى ﴿**واذا مس الانسانَ ضرٌّ دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضِلّ عن سبيله. قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار**﴾ [الزمر ٨]. وقد قال تعالى ﴿**والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء**﴾ ثم حكم عليهم بالكفر فقال ﴿**وما دعاء الكافرين الا في ضلال**﴾ [الرعد ١٤].

---

١) تفسير ابن جرير المجلد التاسع ٣٥/١٩.

٢) (الفتح ٤٩/١).

دعاء غير الله عبادة للشيطان

فاذا كان الدعاء عبادة صار توجيه هذه العبادة لغير الله عبادة للشيطان، هذا مآل دعوتهم: لم يكونوا يدعون الجيلاني في حقيقة الأمر ولا البدوي ولا الدسوقي ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴿**إن يدعون من دونه الا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً**﴾ [النساء١١٧]. وقد حذر الله من عبادة الشيطان فقال ﴿**ألم أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾.

دعاء غير الله تأليه لغيره

والنصارى ملزمون بتأليه مريم وإن لم يلتزموه لأنهم دعوها من دون الله، قال تعالى ﴿**وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله**﴾. ولكنهم يطلبون منها أن تشفع لهم عند الرب وتخلصهم وتقضي حوائجهم، فحكم الله بأنهم يؤلهونها لأنهم كانوا يدعونها مع الله كما في قوله تعالى ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾. قال ابن عباس ومجاهد «وهم: عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم»[1]. وكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين فقد دعا من لا يملك كشف الضر عنه ولا تحويلا.

---

١) تفسير البغوي ٥/١٠١ محقق.

المشبهة الحقيقيون
المضيعون لحقوق الله

إعلم أن حق الله عليك أن توحده: فالشرك هضم لحق الله بل تشبيه ومساواة له بمخلوقاته، قال تعالى **﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين: إذ نسويكم برب العالمين﴾** يحلف الذين كانوا يدعون الأولياء أنهم كانوا يشبهونهم برب العالمين. فوقعوا في الغلو الذي حذرنا منه نبينا بقوله « إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» [1]. وهكذا خالفوا أصل التوحيد وجعلوا معنى لا اله الا الله: أي لا شبه بين الله وخلقه. ودندنوا حول غير ما دندن حوله القرآن وهو شرك الدعاء.

ولا يغرنك قول البوصيري:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فإن الذين قال لهم نبينا ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم» لم يكونوا يقولون له: أنت ابن الله، وانما كانوا يقولون « وفينا نبي يعلم ما في غد» فهل يتناسب هذا وقول البوصيري وأمثاله ممن يظنون أنه لا يكون غلوا وإطراء الا أن ننسب له الألوهية؟!.

وفي نهاية الأمر يقف الجميع أمام الله، فيؤمر من كانوا يدعون مع الله غيره أن يدعوهم في ذاك اليوم العصيب: قال تعالى **﴿وقيل ادعو شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب﴾** [يونس ٦٤].

﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ [الكهف ٥٢] **﴿ورأوا العذاب: لو أنهم كانوا يهتدون﴾**.

﴿ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ [فصلت ٤٧].

من النداء ما هو دعاء

قد شهدت لغة العرب بأن الدعاء يسمى نداء. قال أبو حيان النحوي في البحر المحيط (٤١٨/٧) عند تفسير قوله تعالى **﴿دعا ربه منيباً اليه﴾** دعا ربه أي ناداه».

---

١) رواه النسائي ٢٦٨/٥ بسند صحيح.

وسمى الله النداء دعاء لأن مدلولهما واحد من باب الترادف على معنى واحد. ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ ووصف زكريا نداءه لله بأنه دعاء فقال ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ ووصف الله نداء زكريا بأنه دعاء فقال ﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾ فالنداء في الأصل هو رفع الصوت بالدعاء، وقال في آخر ندائه ﴿انك سميع الدعاء﴾.

﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم﴾. ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ قال ﷺ «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب الا فرج الله عنه». وكذلك نوح ﴿إذ نادى من قبل فاستجبنا له﴾ وفي آية أخرى ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾.

فكم من آية صريحة في النهي عن دعاء غير الله وقلوبكم لم تستجب.

بين الشرك القديم والحديث

اذا تبين ذلك فاعلم أن هؤلاء لا يختلفون مع المشركين الأوائل إلا من حيث إنكار أهل زماننا أنهم يعبدون غير الله في حين كان المشركون الأوائل يقرون أن دعاءهم لغير الله عبادة لغيره فقالوا ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾. وليس الفرق أنهم كانوا ينكرون وجود الله، بل كانوا يقرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت وحده ولكنهم كانوا مع ذلك يتخذون من دون الله آلهة يدعونها لتكون وسيطاً وشفيعاً لهم عند الله قال تعالى ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ لذلك بقوا مشركين ولم ينفعهم إيمانهم بأنه لا خالق ولا رازق غير الله. وكما كانوا يقولون في تلبيتهم بالحج «لبيك لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك» (رواه مسلم).

قد يقول قائل: نحن ما عبدناهم والمشركون يعترفون بعبادتهم لها.

والجواب أن المشركين زعموا أنها تقربهم الى الله زلفى، والرسول ﷺ جعل الدعاء عبادة، فصار دعاؤهم مصروفاً لغير الله فعبدوها بهذا الفعل الصادر منهم فسمى الله فعلهم هذا عبادة، فهذا حكم النهي بأن العبادة لغيره قد حصلت فلا قيمة لإنكاركم أن تكونوا عبدتموها، كما لا قيمة لإنكار النصارى أن يكونوا عبدوا مريم.

قال الطبري في قوله تعالى ﴿**فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون**﴾ كانت العرب تقر بوحدانية الله غير أنها كانت تشرك به في عبادته» (تفسير الطبري١/١٢٨).

أقوال السلف في اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية

وحال أكثر أهل الأرض خلط عبادة الله بعبادة غيره.

قال تعالى ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ [يوسف١٠٦] قال الطبري « وايمانهم بالله هو قولهم: الله خالقنا ورازقنا ومميتنا ومحيينا، وإشراكهم هو جعلهم لله شريكاً في عبادته ودعائه، فلا يخلصون له في الطلب منه وحده، وبنحو هذا قال أهل التأويل» ثم روى مثل ذلك عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وعامر وقتادة وعطاء وجمع.

قال قتادة « لا تسأل أحدا من المشركين من ربك؟ الا ويقول ربي الله وهو يشرك في ذلك» وقال « الخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم ثم يشركون بعد ذلك» وقال ابن زيد « ليس أحد يعبد مع الله غيره الا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه وخالقه ورازقه وهو يشرك به... ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك: المشركون كانوا يقولون هذا» [(١)].

○ وممن جاء بعدهم كابن قتيبة الذي ذكر الفطرة التي فطر الله الناس عليها ثم قال « فلستَ واجداً أحداً إلا وهو مقر بأن له صانعاً ومدبراً إن سماه بغير اسمه، أو عبَد شيئاً دونه **ليقربه** منه عند نفسه، أو وصفه بغير صفته أو أضاف اليه ما تعالى عنه علواً كبيراً، قال تعالى ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**﴾[(٢)].

وقال العز بن عبد السلام « لا يمكن أن يقال: إنهم [المشركين] كانوا يعظمون الأصنام أكثر من تعظيم الله، لأنهم قالوا ﴿**ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**﴾[(٣)].

وأكد ابن الجوزي أن «ما يقال عن الفلاسفة من جحد الخالق محال فإن أكثر القوم يثبتون الصانع»[(٤)].

وقال ابن عابدين الحنفي في حاشيته إن الوثنية لا ينكرون الصانع

---

١) تفسير الطبري ١٣/ ٥٠-٥١ الدر المنثور ٤/ ١٢٠ للسيوطي.
٢) تأويل مختلف الحديث ١٢٩ لابن قتيبة (ت ٢٦٧ هـ).
٣) الفوائد في مشكل القرآن ٩٠.
٤) تلبيس ابليس ٤٩.

تعالى واحتج بقوله تعالى ﴿ولئن سألتهم...﴾ ونقل عن ابراهيم الحلبي أن غلاة الروافض أسوأ حالا من المشركين لأنهم اعتقدوا الالوهية في علي، وأما الذين عبدوا الاصنام فلم يعتقدوا الألوهية فيها وانما عبدوها تقرباً الى الله تعالى[1].

○ ومع هذا ظن من لم يعرف الجاهلية أن المشركين ما داموا يعتقدون أن الله هو الخالق وأنه لا خالق مع الله فلن يزالوا موحدين. مع أن الايمان بأن الله هو الخالق الرازق وحده هو ايمان فطري وتوحيد ناقص لا يصير به المشركون موحدين وإن اعتقدوا أن الله هو الخالق الرازق وحده. إذ لم يخالف أبو جهل ولا أبو لهب هذه الحقيقة.

فالمشركون يعتقدون أن آلهتهم لا تخلق لأنك لو سألتهم **﴿من خلق السموات والآرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ ﴿من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله﴾**. فلم يقولوا: أصنامنا هي الخالقة.

ولهذا لم ينفعهم اذ أشركوا بالله أن يجيبوا بأن خالق الكون هو الله، فان ابليس يعلم أن الله هو الخالق الرازق وحده وهذا بالطبع لا ينفعه.

وكانوا أذا مسهم الضر في البحر أو وقعوا في شدة لجأوا الى الله. **﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين: فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون﴾**.

ولكن مشركي زماننا جمعوا بين الشرك والجهل المركب وصاروا بجهلهم أشد جاهلية من مشركي الأمس، فتروي كتب تراجم الصوفية أنهم اذا مسهم الضر أو أصابهم كرب استغاثوا بغير الله، قال النبهاني « وكان تجار اليمن يستغيثون بسيدي أبي الغيث الشحري اليمني أحد الأولياء في شدائد البحر ومضايق البر[2].

وهذا عين ما كان عليه شرك الجاهليين الأوائل، قال ابن قتيبة في تفسير **﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾** « ومعنى الدعاء هاهنا - الاستغاثة، ومنه دعاء الجاهلية، وهو قولهم: يا آل فلان، وانما هو

---

1) حاشية الدر المختار على رد المحتار ٢٢٦/٤ ونحوه في حاشيته على البحر الرائق ١٣٩/٥ وانظر رسائله ٣٦٢/١.

2) جامع كرامات الأولياء ٢٣١/٢.

استغاثتهم»[1].

فكيف تعجب اليوم اذا قال قائل إن مشركي اليوم مع قولهم لا اله الا الله أكثر شركاً من مشركي الأمس؟! فان لا اله الا الله: كلمة الاخلاص ولا بد أن يوافقها عمل الإخلاص ولا ينفع مع عمل الشرك كلمة الاخلاص.

فالأحباش يقولون « من قال لا اله الا الله وهو يعتقد أن الله في السماء جالس على العرش فلا تنفعه وإن كان يقول لا اله الا الله لأن الشهادة تنفع صاحبها إن كان يعتقد معناها: أما كثير من الناس اليوم تسمعهم يأتون بالشهادتين بألسنتهم لفظا وفي قلوبهم ما فيها من الاعتقادات الفاسدة»[2].

ونحن نقول ما يقوله الأحباش أن من كانت عقيدته قبورية فهو مخالف لأبي جهل بلفظ الشهادتين موافق له في عقيدته الفاسدة من حيث التعلق بالصالحين والتبرك بصورهم وقبورهم. فلماذا يجوز لكم أن تخرجوا الموحد مع أنه يشهد أنه لا اله الا الله ولا يحق لنا نحن؟!

ولقد أخبر رسولنا ﷺ أن أقواما من هذه الأمة سيلحقون بالمشركين فقال ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يلتحق أقوام من أمتي بالمشركين ويعبدون الأوثان»[3]. وقال « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة» وذو الخلصة صنم لدوس في جنوب جزيرة العرب كانوا يعبدونه في الجاهلية.

فهذان الحديثان رد على من يحتجون بحديث « وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي» والذي هو خاص بالصحابة، أو يقال: إن النبي ﷺ لا يخاف أن يطبقوا على الشرك لأن الأمة لا تجمع على ضلالة. وهذا ما يقتضيه الجمع بين الأحاديث.

---

١) غريب القرآن لابن قتيبة ٤٣.

٢) شريط ٢ مجالس الهدى الوجه الأول.

٣) رواه أبو داود باسناد صحيح.

الحبشي يجيز الاستعاذة بغير الله

والحبشي لا يجيز فقط الاستغاثة برسول الله ﷺ فحسب، ولكنه يجيز الاستعاذة به، وهذا شرك باتفاق العلماء، فقد ذكر البيهقي أنه لا يجوز أن يستعاذ بمخلوق من مخلوق [1]، واحتج بقوله تعالى ﴿**فاستعذ بالله**﴾. واحتج الحافظ برواية عن النبي ﷺ « وإذا استعذت فاستعذ بالله» [2].

قال الحبشي « وليس مجرد الإستعاذة بغير الله تعتبر شركاً ولو قال قائل يا رسول الله المدد فهو عندهم صار كافرا» واستدل بحديث الحارث بن حسان «أعوذ بالله **ورسوله** أن أكون كوافد عاد»[3].

واذا كان نبينا ﷺ لم يقر قول من قال « ما شاء الله وشئت» فقال له: أجعلتني لله نداً» وقال للمسيء خطبته «بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله» ونهى عن الحلف بغير الله فكيف يرضى أن يكون شريكاً مع الله فيما خص به نفسه ﴿**فاستعذ بالله**﴾.

إن هذا شرك يخالف إجماع المسلمين ويتعارض وقوله تعالى ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله**﴾ [فصلت ٣٦]! روى البخاري قول شيخه نعيم بن حماد: لا يُستعاذ بمخلوق» [4] واحتج احمد بحديث خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ قال « من نزلَ منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق: لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» [5]. قال الخطابي « كان أحمد يحتج بحديث «أعوذ بكلمات الله التامات» بأن النبي لا يستعيذ بمَخلوق» [6]. وأكده المرداوي الحنبلي في الانصاف (٢/٤٥٦).

---

١) الأسماء والصفات ٢٤١ أو ١/٣٠٥ ط: حيدر.
٢) فتح الباري ١٣/٣٨١.
٣) الدليل القويم ١٧٣ صريح البيان ٥٧-٥٨ المقالات السنية ٤٦ أو صفحة (١٥٦) ط: جديدة، الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ١٩٤ بغية الطالب ٨.
٤) فتح الباري ١٣/٣٨١ خلق أفعال العباد ١٢٣ تحقيق البسيوني.
٥) رواه مسلم (٢٧٠٨).
٦) فتح الباري ٦/٤١٠ وانظر معالم السنن ٤/٣٣٢-٣٣٣.

قال ابن خزيمة في التوحيد (٤٠١/١) « فهل سمعتم عالماً يجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر ما خلق؟ هذا لا يقوله مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه»؟

الكلام على سند هذا الحديث

ثانياً : هذا الحديث جاء من روايتين: زيد بن الحباب وعفان، غيرأن زيادة (ورسوله) زائدة من رواية زيد بن الحباب تفرد بها عن عفان عن عاصم بن أبي النجود وهو صدوق كثير الخطأ كما قاله أحمد[1] وانما وثقوا رواية عفان. وبذلك لا تصح زيادة (ورسوله) لأن عفان رواه بدون هذه الزيادة وهو أوثق من زيد.

• تنبيه مهم •

قد حسن شيخنا الألباني رواية الترمذي (سلسلة الضعيفة ٣٧٣/٣) وهي من طريق سفيان بن عيينة وليس من طريق عفان بن مسلم ومحمد بن مخلد الحضرمي.

وطريق سفيان ليس فيها زيادة (ورسول الله) حسب رواية الترمذي (رقم ٣٢٧٣) فليُتنبه لذلك حتى لا يُحتج بتحسين الألباني، ثم ان رواية أحمد عن عفان جاءت بدون زيادة (ورسول الله) وانما الزيادة من طريق زيد بن الحباب، قال الحافظ في التقريب (صدوق يخطىء في حديث الثوري) فرواية (أعوذ بالله) رواها حافظان ثقتان: عفان بن مسلم وسفيان بن عيينة. ورواية (أعوذ بالله ورسوله) جاءت من طريق محمد بن مخلد الحضرمي، قال ابن ابي حاتم الرازي «سألت أبي عنه فقال « لا أعرفه» (الجرح والتعديل رقم ٣٩٨) وقال الحافظ (ضعفه ابو الفتح الأزدي (لسان الميزان ٤٢٣/٥ ميزان الاعتدال ٨١٥٠).

فظهر أن رواية الامامين: عفان وسفيان (أعوذ بالله) هي المحفوظة. وأما رواية (ورسوله) منكرة أو شاذة والله أعلم.

ثالثاً : لو جازت الاستعاذة بغير الله لجاز الحلف بغيره.

رابعاً : أن من علم معنى الاستعاذة لا يمكن أن يقول بجوازها لغير الله. فإن معناها كما فسرها الشيخ مصطفى نجا: أعتصم وأتحصّن وألتجىء الى الله تعالى وألصق نفسي برحمته وفضله

---

١) ميزان الاعتدال ١٠٠/٢.

وكرمه[1]. ولهذا قال الشعراني « ولو أن أحدا من الخلق كان يكفي أن نستعيذ به لأمَرَنا اللهُ أن نستعيذ بمحمد ﷺ أو بجبريل أو غيرهما من الأكابر، ولكن عَلِمَ الله عجز الخلق عن رد كيده الا مع استعاذتهم بالله عز وجل»[2].

فهل يجيز عاقل موحد الاستعاذة بغير الله لمجرد رواية ضعيفة يحتج بها من يحرمون عادة الاستدلال بغير المتواتر في مسائل العقيدة؟

المستعيذ بغير الله موافق لمشركي العرب

فالحبشي قد وافقت عقيدتُهُ مشركي العرب إن كانوا يستعيذون بسادة الجن من أذى قومهم ﴿وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ [الجن ٦]. قال مجاهد « كانوا يقولون اذا هبطوا واديا: نعوذ بعظيم هذا الوادي».

فهل يجوز التعوذ بالإنس بينما يحرم التعوذ بالجن؟

وهل يقول عاقل: يجوز لي أن أقول أعوذ برسول الله من النار. أعوذ برسول الله من شر ما خلق الله. أعوذ برسول الله من الجنة والناس. أعوذ برسول الله من الضلالة؟!

---

١) كشف الأسرار ص ٥٧ مصطفى نجا.

٢) لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الاطلاق ٥٨٣.

هذا هو توحيد الحبشي!!!

هذا هو التوحيد الذي يدعوك اليه الحبشي: علم كلام واستغاثة واستعاذة بغير الله وتأويل للصفات، يسميه «علم التوحيد» أو «علم الدين الضروري»! هكذا يدس لك السم في الدسم.

○ ألم يذكر في كتابه (الدليل القويم ٢٢٩) دعاء المكروب وفيه قول علي بن أبي طالب « لقنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني اذا أصابني كرب أو شدة أن أقولهن: لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه وتبارك الله رب العرش العظيم»[١]. فلم يأمره اذا اصابه كرب ان يسأل غير الله او يستغيث بأصحاب القبور وانما علمه اللجوء الى الله وحده.

ألم يعترف بأن قول القائل (أغثني يا رسول الله) (أغثني يا رفاعي يا بدوي يا جيلاني) أمر غير مشروع [٢] فلماذا يدافع عنه في مواقف أخرى ويهاجم منكري الاستغاثة بغير الله؟

لماذا يوجه المكروبين الى القبور؟ أيريد إكمال دور الفاطميين الذين ملأوا مساجدنا بالقبور والأضرحة والمزارات والعتبات؟

---

١) رواه البخاري رقم (٦٣٤٥) ومسلم رقم (٢٧٣٠).

٢) الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ١٩٣.

كلمة حول الحلف بغير الله

وبمناسبة الكلام على الحلف بغير الله فالأحباش لا يرضون اعتبار الحلف بغير الله شركا. قالوا «كان أحمد يعتبر من حلف برسول الله فحنث أن عليه كفارة كما أن الذي حلف بالله ثم حنث فعليه كفارة. ابن تيمية يجعل الحلف بغير الله شركا مطلقا... هذا مع أن المعروف في مذهب الامام أحمد حرام» (منار الهدى ٤١/٤٤).

وقد كتموا وجود روايتين عن أحمد لا واحدة. فإنه في إحدى الروايتين عنه أنه تنعقد به اليمين.

ولماذا التركيز على إحدى الروايتين عن أحمد والقول بعدم انعقاد اليمين هو قول الجمهور؟ أهو رغبة في التشويش أم ميلا مع الهوى وعدم إعطاء الحق أولوية!

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال «ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم: من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» (١). أنتم تتمسكون في أن لفظ (لا ينبغي) لا يفيد التحريم. فماذا تقولون في لفظ (ينهاكم)؟

والحلف بغير الله كأن يقول: والله وحياتك (٢).

قال أبو حنيفة «لا يحلف الا بالتوحيد متجرداً بالتوحيد والاخلاص»(٣).

وقال ابن نجيم الحنفي « ويُخاف الكفر علي من قال بحياتي وحياتك» (٤)قال ابن مسعود «لأن أحلف بالله كاذباً أحب اليّ من أن أحلف بغيره صادقاً» (٥). ومعنى هذا أن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق. وأن سيئة الشرك أعظم وأقبح من سيئة الكذب.

قال الحافظ « قال العلماء: السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده».

وإن من قواعد العقيدة الاسلامية سد كل باب يوصل الى الشرك أو

---

١) رواه البخاري ومسلم.

٢) الام ٦١/٧ فتح الباري ٥٣٠/١١ شرح السنة ٩/١٠.

٣) بدائع الصنائع للكاساني، ٣/٨،٩-٢١.

٤) البحر الرائق ١٢٤/٥ و٨٨/٣ وانظر الفتاوى الهندية ٣٢٣/٦-٣٢٦ وانظر أقوال علماء الحنفية شرح الفقه الأكبر للملا علي قاري ١٦٢.

٥) رواه الطبراني في الكبير ٢٠٥/٩ وقال الهيثمي في المجمع ١٧٧/٤"رجاله رجال الصحيح" والفقه الأكبر بشرح القاري ١٦٢.

ينقص كمال التوحيد، ولهذا جاء النهي عن كل فعل أو قول يوقع في الشرك الأكبر أو الأصغر وإن لم يقصد صاحبه ذلك. وجاء النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وصوم يوم السبت.

والسؤال: هل الحلف بالله شرك أم لا؟ هل الشرك مكروه أم محرم؟ هل الكذب مكروه؟ أيهما أعظم: الشرك أم الكذب؟

قال تعالى ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً**﴾ [الانعام ١٥١].

وكيف يكون الحلف بغير الله مكروهاً وقد قال رسول الله ﷺ « من حلف بغير الله فقد كفر» « فقد أشرك». قال الحافظ « تمسك به من قال بتحريم ذلك» [١].

فليس هناك شرك أو كفر مكروه فعله. بل الكفر والشرك محرم سواء كان شركاً أصغر أم أكبر. مع أن الاعتقاد أن الحلف بغير الله شركا أصغر كما نص عليه ابن القيم[٢].

وقد أثبت البخاري أن الحلف بغير الله كفر دون كفر. وأما الترمذي فلم ينكر الترمذي أنه شرك وقرن الحلف بالرياء مع أنه ترجم له بالكراهة كقوله تعالى ﴿**كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً**﴾. وليس من الانصاف ترك ألفاظ الرسول ﷺ والتمسك بألفاظ غيره.

وقد حكى ابن عبد البر الاجماع على تحريم الحلف بغير الله.

وأما قول النبي ﷺ « أفلح وأبيه» فقد أجاب عنها جمع من العلماء منهم النووي:

فقد ذهب الحافظ ابن عبد البر الى أن هذه اللفظة منسوخة لنهي الرسول ﷺ عن الحلف بغير الله. وهذا الذي ذهب اليه الماوردي وحكاه البيهقي وقال السكبي: أكثر الشراح عليه وهو الذي قاله الطحاوي (أنظر فتح الباري ١١/ ٥٣٤).

وقد اتفق العلماء على أنه لا ينعقد اليمين بغير الله تعالى، وهو الحلف بالمخلوقات، وقد قال رسول الله ﷺ « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» فهل هذا امر استحباب أم أمر وجوب؟ فان قيل: (استحباب) قلنا: كيف يقول (ليصمت) ثم هو يحلف بغير الله؟ فلا يبقى الا ما قاله النووي أن هذا ما كانت تستعمله العرب كقول النبي (ثكلتك أمك).

---

١) فتح الباري ١١/٥٣١.

٢) مدارج السالكين ١/٣٤٤.

مسألة التميمة

أما التميمة فقد جاءت الأحاديث الكثيرة بتحريم التمائم عموماً بلا استثناء والوعيد لمن فعل ذلك. فعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الرقى والتمائم والتولة شرك» [1].

وقال أيضاً « من علق تميمة فقد أشرك» [2].

وقال « من تعلق تميمة فلا أتم الله له» [3].

وأما اذا كان المعلق من القرآن والأدعية والأذكار الصحيحة فقد اختلف فيه العلماء على ثلاثة أقوال:

الأول: جواز ذلك: قالوا: إن التعليق الجائز هو ما كان بعد نزول البلاء، أما قبل نزوله فلا يجوز. قال بهذا عائشة « ليست التميمة ما تعلق به بعد البلاء انما التميمة ما تعلق به قبل البلاء» وفي رواية «التمائم ما علق قبل نزول البلاء، وما علق بعد نزول البلاء فليس بتميمة»[4].

وقال مالك « أرى ذلك من العين»[5].

الثاني: جواز تعليق التمائم مطلقاً اذا كان كانت بكلام الله وهو رواية ثانية عن مالك.

الثالث: المنع مطلقاً واليه ذهب ابن مسعود وابن عباس وحذيفة وعقبة بن عامر وعبد الله بن عكيم وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير ورواية لأحمد.

أدلتهم: عموم النهي الوارد من غير استثناء. قالوا: ولو كان تعليق التمائم مشروعاً لاستثناه النبي ﷺ كما استثنى الرقية حين قال « اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»[6].

فرخص فيما لم يكن فيه شرك، ولم يرد مثل هذا التفصيل في التمائم.

وحتى استثناء الرقى فإنه جاء مقروناً بعرضها ومتابعتها لاحتمال تلبيسها بالباطل من قبل الزائغين الذين يستدرجون العوام الى الشرك.

---

١) رواه أحمد ٣٨١/١ والحاكم ٢١٧/٤ وصححه ووافقه الذهبي.

٢) رواه أحمد ١٥٦/٤.

٣) رواه أحمد ١٥٤/٤ والحاكم ٢١٦/٤ وصححه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع (١٠٦/٥) "رجاله ثقات".

٤) رواه الحاكم وحكم برفعه وصححه ٢١٧/٤ والبيهقي في السنن ٣٥٠/٩ وابن عبد البر في التمهيد ١٦٤/١٧.

٥) الموطأ ٩٣٧/٢ ومسلم ١٦٧٣/٣ رقم (٢١١٥) وأبو داود ٢٢٥٢).

٦) رواه مسلم ١٧٢٧/٤ رقم (٢٢٠٠).



موقفه من حديث

« إذا سألت فاسأل الله »

قال الحبشي « فإن قيل: أليس في حديث ابن عباس « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستَعنْ بالله» ما يدل على عدم جواز التوسل بغير الله؟ قال: فالجواب أن الحديث لا يعني تحريم سؤال غير الله والاستعانة [1] بغير الله وإنما يفيد أن الأولى أن يسأل الله ويستعان الله.

قال: وهذا نظير قوله ﷺ « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي» فكما لا يُفهم من هذا الحديث عدم جواز صحبة غير المؤمن وعدم إطعام غير التقي وإنما يُفهم منه ان الأولى بالصُحبة المؤمن وبالإطعام التقي فكذلك يُفهم من حديث ابن عباس، الأولوية.

كما أن رسول الله ﷺ لم يقل: لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله، أليس هناك فرق بين أن يُقال لا تسأل غير الله وبين أن يقال إذا سألت فاسأل الله» [2] انتهى.

والجواب:

إن لم يقله محمد ﷺ فقد قاله رب محمد ﴿**فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾ [الجن ١٨] وفهم السلف أن «إسأل الله» تعني عدم سؤال غيره ولهذا لم يثبت بسند صحيح أنهم كانوا يسألون غير الله، وانما ثبت العكس بالسند الصحيح، قال سالم بن عبد الله « لا تسأل أحداً غير الله» [3].

بل قاله محمد ﷺ « من يتكفل أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له الجنة» [4]. فاذا كان رسول الله ﷺ يكره أن يسأل الحي حياً مثله - وهذا ليس محرماً - فأين شرع أن يسأل الحيُ ميتاً؟!

فأنتم شر ممن يسأل الأحياء يشحذ منهم لأنكم تتسولون من الأموات!

❍ قال نبينا ﷺ ما لا تهواه نفسك الأمّارة بالشرك «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»[5].

---

١) الاستعانة تتضمن أصلين: الثقة بالله والاعتماد عليه وهي بخلاف الاستغاثة التي لا تكون إلا مع شدة.

٢) صريح البيان ٦٨.

٣) حلية الأولياء ٢/١٩٤ سير اعلام النبلاء ٤/٤٦٣.

٤) رواه أحمد ٥/٢٧٦ وأبو داود (١٦٤٣) وصححه المنذري في الترغيب (صحيح الترغيب رقم ٨٠٤).

○ أن الأمر يفيد الوجوب ما لم يصرفه عنه صارف، ولذلك نص الحافظ ابن رجب على أن قوله ﷺ «إذا سألتَ فاسأل الله» منتزع من قوله تعالى ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ قال: لأن الدَعاء هو العبادة، وتلا قوله تعالى ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾ [غافر ٦٠] [١].

وسبق احتجاج السبكي في فتاويه (١/١٣) بالآية على عدم جواز الاستعانة بغير الله. واذا كان كذلك فهذه أكبر قرينة على التحريم.

○ وما زعمه الحبشي أن قول النبي ﷺ «إذا سألت فاسأل الله» ليس معناه: لا تسأل غير الله. وإنما معناه الأفضل أن لا تسأل غير الله. إنما هو تحريف واضح.

فاذا كان الأمر كما يقول: فقد ضاع المراد من الكلام. إذ ما قيمة الكلام إن كان المعنى (اذا سألت فاسأل الله واسأل غيره) فقد كان الأولى بالرسول ﷺ حينئذ أن يقول: إذا سألت فاسأل الله واسأل غيره. وانما يكون للكلام معنى اذا فهم منه تخصيص الله بالسؤال دون غيره.

○ أن قوله تعالى ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ [الجن ١٨] يؤكد أن قوله «اذا سألت فاسأل الله» يفيد وجوب سؤال الله وحده فيما لا يقدر عليه غيره، وليس مجرد الكراهة. لأن الدعاء عند الرسول عبادة، ولأن سؤال الله وحده حق وسؤال غيره باطل كما قال تعالى ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل**﴾ [الحج٦٢] فهذا الباطل محرم وليس مكروهاً فقط. قال تعالى ﴿**ولا تدع مع الله ما لا ينفعك ولا يضرك**﴾ والله أمر الرسول ﷺ أن يقول ﴿**قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً**﴾.

وقال ﴿ **ولا تدع مع الله إلٰهاً آخر**﴾ لماذا ﴿**لا إلٰه إلا هو**﴾ فتأمل الآية: كيف نهى الله عن دعاء غيره لأنه لا إله إلا هو. فمن دعا غيره وخالف أول الآية ﴿**ولا تدعُ مع الله إلٰهاً آخر**﴾ فقد نقض آخرها ﴿**لا إلٰه إلا هو**﴾ فهل هذا النقض مكروهٌ أم محرم؟

○ ولنضرب لذلك مثالا يوضح مخالفة هؤلاء للشرع والعقل: أنت تعلم أن زيداً غني يملك أموالا كثيرة وقد عرض عليك اذا احتجت شيئاً أن تأتيه ليعطيك ما تريد فقال لك: سلني ما شئت من مال فإني أعطيك. لكنك مع حاجتك للمال وعلمك بأن زيداً يملكه لم تذهب اليه. بل

---

٥) رواه البخاري في الجنائز رقم (١٢٣٨).

١) جامع العلوم والحِكَم ٢٨١.

ذهبت الى عمرو وهو رجل فقير لا يملك مالا، فقلت له أعطني مالا يا عمرو فقال لك: اذا سألت فاسأل زيداً فاني لا أملك لك مما عند زيد شيئاً. فامتنعت من الذهاب الى زيد وأصررت على الأخذ من عمرو ما ليس عنده، فكم تكون غبياً معانداً اذا أصررت على أن تسأل عمرواً ما ليس عنده باعترافه، أو تصر عليه أن يطلب لك مالا من زيد وقد قال لك زيد وعمرو: عليك أن تسأل زيداً فقط؟

(فـــائـدة)

○ وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً قط منهم أبو بكر وأبو ذر وثوبان، فكان أحدهم يسقط سوطه على الأرض فينزل عن دابته ولا يسأل أحداً أن يناوله إياه. وهذا لا يستطيعه كل واحد، لذا أسرّ النبي به الى بعضهم بخلاف قوله «إذا سألت فاسأل الله» فإنه لم يُسِرَّه فهو بذلك عامٌ وملزمٌ للجميع.

○ وإذا كان « من لم يسأل الله يغضبْ عليه»[1]، فكيف بمن يسأل غيره ويبتهل الى الأموات ويلحّ عليهم بالدعاء؟ هل يعرف مثل هذا طعم التوحيد؟!

فهذه مبادىء التوحيد عند الحبشي، يزعمون أن عندهم علم التوحيد الضروري، فإذا جاءهم من يطلب التوحيد: علّموه الاستغاثة والاستعانة بغير الله وطلب المدد من أصحاب الأضرحة. هكذا يضعون السُمّ في الدسم.

أتدعون قبراً وتذرون أحسن الخالقين!
أتستبدلون الذي هو أدنى (القبر) بالذي هو خير (الله)؟
واعجب ممن خرج من القبر كيف يطيب نفساً بالرجوع اليه!

من أسباب زيارة القبور الدعاء لأهلها

ولقد علّمنا رسول الله ﷺ أن نزور القبور لندعوَ لأصحابها بالرحمة والمغفرة لا لنطلب منهم. ولم يشرع لنا دعاء الأموات لحصول المنفعة منهم. بل قد وعد هو أن يشفع لمن يدعو الله له، ولم يَعِدْ بإجابة من يسأله بعد موته.

وحدّد أسباب زيارة القبور بسببين:

❊ للدعاء للأموات.

❊ لتذكر الآخرة.

أما ثالثتكم من تبرك واستغاثة وطلب للترياق عند الأضرحة بما تسمونه «ترياقاً مجرباً» فهو ﷺ بريء من ذلك.

١) رواه الترمذي (٣٦٠٧) وحسّنه الألباني في سلسلة الضعيفة ٢٩.

المخالفون للطحاوي

○ قال الطحاوي «وفي دعاء الأحياء منفعة للأموات». ثم قال بعدها مباشرة « والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات [1].

فنبه الى أن اصحاب القبور ينتظرون من الأحياء الدعاء لهم وأن على الأحياء أن يتوجهوا الى الله وحده في قضاء حوائجهم. لكن الأمر انقلب اليوم، فقلب أهل الزيغ عبارة الطحاوي حتى صارت هكذا « **وفي دعاء الأموات منفعة للأحياء**» فصار دعاء الأموات منفعة للأحياء، وصار الحي يذهب الى الميت ليطلب منه الدعاء لا ليدعو له.

فما أبعد الحبشي عن هدي نبينا ﷺ! وعن قول الطحاوي الذي شرح عقيدته على منهج جهم بن صفوان، ولم يستفد من كلامه، حتى قلب قوله فصار في طلب الدعاء من الأموات منفعة للأحياء، وكأن غير الله أقرب اليهم وأسرع إجابة وأعظم رحمة!

إن دعاء المؤمن لأخيه وقضاء حاجته هو إيمان وعمل صالح. فهل يقول الملك للولي في القبر: آمين ولك بمثل ما دعوت لأخيك؟ وهل يكتب للميت عمل صالح لقضائه حاجة الحي مع أن العمل ينقطع بالموت؟

منكرو العلو يستبدلون السماء بالأرض

لقد صرف الله قلوب الذين أنكروا علوّه في السماء الى أسفل سافلين، فتوجهوا بالدعاء الى أعماق الأرض حيث الموتى. وصارت آمالهم متعلقة هناك بعدما انتكست فطَرُهُم فصرفهم الله عن التوجه اليه ﴿**صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لاَ يفقهون**﴾ [١٢٧]. يَدْعون الأموات: ويدعون الحي الذي لا يموت!!!

---

١) متن العقيدة الطحاوية بذيل إظهار العقيدة السنية للحبشي ٢٥٦.

الصد عن سؤال الله والحض على دعاء غيره

لما دعوا غير الله أعرضوا عن دعاء الله وحده، بل جعلوا من علامات الصوفي الحقيقي « أن لا يكون له الى الله حاجة» « وأن لا يسأل الله الجنة ولا يستعيذ به من النار» [1]. وجعلوا سؤال الله أقل المنازل، وترْك سؤاله أعظمها، فزعم القشيري أن « ألسنة المبتدئين منطلقة بالدعاء، وألْسنة المتحققين خرست عن ذلك» وزعمَ أن عبد الله بن المبارك قال « ما دَعوتُ الله منذ خمسين سنة ولا أريد أن يدعو لي أحد» [2].

واعتبروا ترك دعاء الله من تمام الرضا بالله - ولم يعتبروا الصلاة كذلك مع أنها دعاء - فقال قائلهم « الرضا أنه لو ألقاني في النار لكنت بذلك راضياً» وقال رويم « الرضا أن لو جعل الله جهنم على يمينه ما سأل أن يحولها الى يساره».

وزعم شيخهم أحمد الرفاعي أنه « لما وُضع المنشار على رأس زكريا عليه السلام أراد أن يستغيث الله فعاتبه الله وقال « ألا ترضى بحكمي؟ فسكت حتى قُطع نصفين»[3]. وزعم آخر أن ابراهيم قال حين ألقي في النار « علمه بحالي يغنيه عن سؤالي». بمثل هذه الأكاذيب صرفوا الناس عن دعاء الله: وإذا دُعي الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا دُعي الذين مَن دونه إذا هم يستبشرون[4]!

---

١) الرسالة القشيرية ٨٨-٨٩ و١٢٥ الحدائق الوردية ١٣١ عوارف المعارف ١٠٣ هامش الاحياء.

٢) الرسالة القشيرية ١٢١.

٣) حالة أهل الحقيقة مع الله ١١٥.

٤) هذه العبارة مقتبسة من آية في سورة الزمر ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذُكِر الذين من دونه اذا هم يستبشرون﴾.

النقشبنديون يستغيثون بالكلاب والحرباء
بئس للظالمين بدلا

فصرفهم عن دعائه ووجّههم الى الحيوانات ليستغيثوا بها.
وقد ذكروا عن شيخ الطريقة النقشبندية بهاء الدين نقشبند أن شيخه علمّه أن يطلب المدد من كلاب الحضرة النقشبندية ويخدمهم باخلاص وأنه اجتمع مرة بكلب وحرباء، فحصل له من لقائهما بكاء عظيم وسمع لهما تأوهاً وحنيناً فاستلقى كلٌّ منهما على ظهره ورفع الكلب قوائمه الأربع الى السماء وأخذ يدعو الله، وكذلك فعلت الحرباء، والشيخ واقفٌ يبكي وهو يقول آمين، يؤمّنُ على دعاء الكلب والحرباء (1).

فأي درك وصل اليه هؤلاء أن يستغيثوا بالكلاب والحرباء ويوصيهم مشايخهم بطلب المدد من كلاب الحضرة الصوفية! وتأمله وهو يقول: مدد يا سيدي كلب!
ما هذه العقيدة: أموات قائمون في قبورهم على نفس كل مريد بما كسبت، وكلاب وحرباء: آلله خير أمّا يشركون؟!

وماذا لو عُرضت هذه الخزعبلات على هندوسي يريد اعتناق الاسلام ثم هو يرى هؤلاء يطلبون المدد من الكلاب كما يطلب الهندوس المدد من البقر: هل يعتنق الاسلام؟!

---

1) المواهب السرمدية بمناقب النقشبندية ١١٨ الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ١٣٠ الحدائق الوردية في حقائق النقشبندية ١٢٩.

الاحتجاج بخدر رجل ابن عمر

واحتجوا بأن ابن عمر خدرت رجله فقيل له « أذكر أحب الناس اليك، فقال « يا محمد» وزعم نبيل الشريف أن بعض المحرفين حذفوا ياء النداء من كتاب الأدب المفرد[1]. وهو مطالب بإثبات المخطوطة التي تثبت يا النداء من الكتاب المذكور.

وقد ذكر الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت الرواية وضبطها بدون ياء النداء وهذا الموافق لرواية سفيان، وطبع كتابه بدار نشر حبشية، ولكن بتحقيق شيخ حبشي اسمه أسامة السيد اضطر الى التعقيب على ذلك [2].

على أنني رجعت الى النسخ المطبوعة والمحققة لكتاب « الأدب المفرد» وأهمها نسخة «فضل الله الصمد» التي قورنت بمخطوطات عديدة ولم يجد المحقق لفظ النداء، وحتى وجودها في بعض النسخ دون الأخرى يبطل الاحتجاج بها لاحتمال عدم ورودها في الأصل. وما تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال. فلا سندها مقطوع بصحته ولا ثبوت لفظ (يا) مقطوع بصحته.

فهاهنا إشكالات حول أصل مصداقية الرواية لا يجوز تجاوزها، عليكم الإجابة عنها: فان تجاوزتموها وقعتم في مشاكل أخرى:

١) التحقق من النسخة المخطوطة.

٢) صحة السند الى ابن عمر. وأن يكون متواترا بحسب الاشتراط الأشعري لقبول الرواية في العقائد.

٣) أن هناك روايتين متضادتين إحداهما متضمنة لياء النداء والأخرى لا تتضمنها فيجب الترجيح بين الروايتين قبل المسارعة الى الاحتجاج بواحدة منهما.

٤) مخالفة هذه الرواية للقرآن ﴿**فلا تدعو مع الله أحدا**﴾ وللسنة

---

١) شريط مجالس الهدى الوجه الأول (٤٣٠).

٢) الكفاية لذوي العناية تحقيق أسامة السيد ١٨٤ مؤسسة الكتب الثقافية.

« اذا سألت فاسأل الله». بل ولقول الصحابة قال سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب « لا تسأل أحداً غير الله» [١].

وقول الصحابي وفعله يجب أن يكون مقيداً بموافقة قول الله ورسوله ﷺ فإن خالفت هذين الأصلين وجب تركها، وقد قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق « أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم». فلا نترك كتاب الله وسنة رسوله وفعل جمهور الصحابة لفعل فرد منهم، هذا اذا ثبت ذلك عنه بسند صحيح.

٥) هب أن (يا) دعاء لغير الله فماذا قال رب ابن عمر ورسول ابن عمر وابن عبد الله بن عمر؟

لقد قال تعالى ﴿**فلا تدعو مع الله أحدا**﴾ ﴿**قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا**﴾ ﴿**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك**﴾. وقال نبي ابن عمر ﷺ «إذا سألت فاسأل الله» وقال « الدعاء هو العبادة» وهذه الآيات والأحاديث أصح سنداً من رواية ابن عمر.

ولا يَتركُ قولَ الله ورسوله لقول ابن عمر إلا متحيزٌ عديمُ الإنصاف مفضلٌ لكلام غير الله ورسوله علَى كلام الله ورسوله.

ومثل هذه الرواية إن صحت يجعلها الله فتنة للذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ولا ليهديهم سبيلا.

٦) مخالفة الرواية لعمل جمهور الصحابة حيث تركوا التوسل به ﷺ بعد موته وتوسلوا بعمه، حيث أصيب المسلمون في عهده بالقحط والجدب، فلو جاز الاستغاثة بالنبي لمجرد خدر الرجل فالاستغاثة به عند وقوع المجاعة أولى، ولو كانت الاستغاثة عند الصحابة جائزة لأجازوا التوسل به ﷺ. غير أن الثابت عند البخاري أنهم تركوا التوسل به بعد موته. ثبت ذلك بأدلة أصح إسناداً من الأسانيد المشكلة التي تتمسكون بها وأوضح متوناً منها.

فكيف يترك الصحابة التوسل ويجيزون الاستغاثة؟ وكيف تكون الاستغاثة به بعد موته جائزة عندهم وهم لم يجيزوا لأنفسهم التوسل به بعد موته وهو دون الاستغاثة!

---

١) حلية الأولياء ١٩٤/٢ سير اعلام النبلاء ٤٦٣/٤.

٧) أن ابن عمر أصيب بالعمى ولم يعرف عنه أنه استغاث بالنبي ﷺ فكيف يستغيث بالنبي لمجرد خدر الرجل ولا يستغيث به لما هو أعظم من خدر الرجل وهو ذهاب البصر، لو كانت الاستغاثة به جائزة لفعل.

تذكر المحبوب عند خدر الرجل

٨) أن الرجل قال لابن عمر « أذكر أحب الناس اليك» فأمره بتذكره ولم يقل له: استغث بأحب الناس اليك. فقال « محمد» أو « يا محمد» أي يا محمد أنت أحب الناس الي. فكانت اجابة ابن عمر مطابقة لسؤال من أمره بتذكر أحب الناس اليه. وأما أن تكون استغاثة فجواب ابن عمر يكون غير مطابق لمن سأله أن يذكره ولم يسأله أن يدعوه مع الله.

ومن هذا الباب أوردها البخاري وابن تيمية وابن السني على فرض ثبوت لفظ النداء. فلم يبن النووي ولا ابن علان ولا البخاري على رواية ابن عمر جواز الاستغاثة بغير الله، وانما كان شرح ابن علان للرواية دليلا على بطلان تمويهاتكم كما سيأتي.

كيف فهم أهل العلم هذه الرواية

فذكر الحبيب عند الخدر كان أمراً شائعاً عند العرب، وجاءت أشعارهم بهذه العادة الشائعة في استعمال ياء النداء عند تذكر الحبيب، ويطلب به استحضار المنادى في القلب، يستشفون بذكر الحبيب لإذهاب خدر الرجل، فيقال لمن خدرت رجله تذكر أحب الناس إليك فيذكر اسمه لا على سبيل الاستغاثة به وإنما كما قال ابن علان «من حيث كمال المحبة بهذا المحبوب بحيث تمكن حبه من الفؤاد حتى اذا ذكره ذهب عنه الخدر [1].

وروى ابن السني قول الوليد بن عبد الملك في حبابة:

أثيبي مُغرما كلفا محبا اذا خدرت له رجل دعاكِ [2]

وقول جميل لبثينة:

وأنتِ لعيني قرة حين نلتقي

---

١) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ٦/٢٠٠ لابن علان ط: دار احياء التراث.

٢) وأنظر بلوغ الأرب ٢/٣٢٠-٣٢١.

وذكرك يشفيني إذا خدرت رجلي

وقول الموصلي:

والله ما خدرت رجلي وما عثرت

إلا ذكرتكِ حتى يذهب الخَدَرُ

وقال ابو العتاهية:

وتخدر في بعض الأحايين رجله

فإن لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

وقول آخر:

صبّ محبّ اذا ما رجلُهُ خدرَت

نادىَ كُبَيْشَةَ حتى يذهب الخدر

وقالت امرأة:

إذا خدرت رجلي دعوت ابنَ مُصعب

فإن قلتُ : عبد الله أجلى فتورها

فإن كان هذا العمل صحيحاً فقد **صححتم فعل الجاهلية وزعمتم أن كل مشرك استغاث بحبيبته أغاثه حبيبه وأن الله يرضى لجميل استغاثته ببثينة**، وهذا قمة الجهل المركب.

هل (يا محمد) لمجرد النداء؟

أما زعمهم أننا نكفّر المسلم الموحد لقوله (يا محمد) لمجرد النداء. فإن الأنبياء كانوا ينهون عن دعاء غير الله كقول ابراهيم عليه السلام ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾ وقصدهم الدعاء الديني الذي يدعى فيه غير الله لكشف ضر أو جلب نفع بدعوى التقرب بالولي الى الله. ونحن إذ نتكلم عن الدعاء فإنما نعني به هذا، لا مجرد دعاء الزوجة بإحضار الطعام! فسحقاً لمن يعتمد التمويه والتلبيس ليضل الناس بغير علم.

ونحن نشهد أن استعمال (يا) لمجرد النداء لا شرك فيه، وهو شبيه بقول المصلي « السلام عليك أيها النبي» أو للندبة كقول فاطمة رضي الله عنها لما مات رسول الله ﷺ: يا أبتاه: أجاب رباً دعاه، يا أبتاه: جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه الى جبريل ننعاه. وقول أبي بكر له لما مات: بأبي أنت وأمي «يا» رسول الله. وكقول رسول الله ﷺ اذا سافر فأقبل الليل: يا أرض ربي وربك الله».

فأنتم تعلمون أن النزاع معكم ليس في هذا، وإنما في النداء المتضمن طلب دفع الكرب وقضاء الحوائج، وهو الذي ننكره عليكم، أما أن يكون كل نداء لمجرد النداء محرم وكفرٌ عندنا: فان الله استعمل (يا) المنادى في حق محمد ﷺ لمجرد النداء، فإنه يقول له حين يسجد تحت العرش « يا محمد إرفع رأسك...» فهذا نداء لا نحرمه. ولا نحرم أن يقول القائل (يا محمد صلى الله عليك) وإنما نحرم نداء قضاء الحوائج وكشف الضر.

ياؤكم ليست لمجرد النداء

ولكن: هل حقاً (ياؤكم) لمجرد النداء أم لحاجة، تريدون من غير الله قضاءها، وضرٌ تريدون كشفه، ومدد تريدون مدكم به كقولكم: المدد يا رفاعي شيءٍ لله يا جيلاني اقضً حاجتي، لا تردنا خائبين، نشكوا اليك حالنا تعطف تكرم تلطف تحنن!

ونداء غير الله لدفع مضرة أو جلب منفعة فيما لا يقدر عليه الغير دعاء، والدعاء عبادة، وعبادة غير الله شرك يؤدي الى سخط الله، قد شهد بذلك شيخكم الرفاعي حين ذكر في كتاب « حالة أهل الحقيقة مع الله ص ٩٢» أن أحد الصوفية استغاث بغير الله فغضب الله منه وقال: أتستغيث بغيري وأنا الغياث»؟ فلماذا يغضب الرب؟ أليس لأن الاستغاثة بغيره شركٌ به.

تغيير الصحابة (أيها النبي)
في التشهد بعد موته الى (النبي)

وحتى مجرد النداء الذي ليس فيه استغاثة بالنبي ﷺ قد تركه العديد من الصحابة، فقد ذكر ابن مسعود صيغة التشهد « السلام عليك أيها النبي...» ثم قال «وهو بين ظهرانينا، فلما قبض قلنا: السلام. يعني: على النبي ﷺ» (البخاري رقم ٦٢٦٥). وهم لا يغيرون شيئا علمهم ﷺ إياه كما كان يعلمهم الصلاة الا بتعليم منه ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر « وأما هذه الزيادة فظاهرها أنهم كانوا يقولون «السلام عليك أيها النبي» بكاف الخطاب في حياة النبي ﷺ فلما مات النبي تركوا الخطاب وذكروه بلفظ الغيبة فصاروا يقولون «السلام على النبي» [1]. قال « وأخرجه أبو عوانة في صحيحه والسراج والجوزقي وأبو نعيم الأصبهاني والبيهقي من طرق متعددة الى أبي نعيم شيخ البخاري فيه بلفظ « فلما قبض قلنا السلام على النبي» بحذف لفظ (يعني).

قال السبكي في شرح المنهاج بعد أن ذكر هذه الرواية من عند أبي عوانة وحده « إن صح هذا عن الصحابة دل على أن الخطاب في السلام بعد النبي ﷺ غير واجب فيقال: السلام على النبي» فتعقب ابن حجر السبكي فقال « قد صح بلا ريب. وقد وجدت له متابعاً قوياً: قال عبد الرزاق « أخبرنا ابن جريج أخبرني عطاء أن الصحابة كانوا يقولون والنبي ﷺ حي «السلام عليك أيها النبي. فلما مات قالوا: السلام على النبي» (الفتح ٢/٣١٤) كتاب الاذان: باب التشهد في الآخرة. وقد حكى الزبيدي هذه العبارة عن الحافظ ابن حجر كاملة كما في إتحافه (١٦١/٣) فخذوه حيث حافظ عليه نص.

فهلا أجبتمونا عن سبب تركهم التوسل به بعد موته وتغيير صيغة السلام عليه؟.

إن هذا يؤكد تقيد الصحابة في الألفاظ: فاذا كانوا تركوا لفظ الخطاب وهو دعاء له ﷺ. فكيف يتلفظون بخطاب فيه دعاء اليه مع الله؟ هذا مع عدم التسليم بأن السلام عليه دليل على الاستغاثة به، فإنه ﷺ كان يسلم على أموات المسلمين بهذا السلام وليس كل المسلمين أحياء في قبورهم يصلون كما هو الحال مع الأنبياء!

---

١) فتح الباري ٥٦/١١ كتاب الاستئذان: باب الأخذ باليد.

كيف يكيل الأشاعرة بمكيالين؟

ذكر السبكي حجة من يرون تحريم الشطرنج بما رواه أبو بدر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أنه سئل عن الشطرنج فقال: هي شر من النرد. قال السبكي «إسناده صحيح». لكن قول ابن عمر لا يتفق ومذهب السبكي وبما أنه لا يستطيع تضعيف إسناده لوى عنقه فقال:

« ورأي إمامنا الشافعي في قول الصحابي معروف، وقول الصحابي حجة بشرط أن لا يعارضه قول صحابي آخر، وهذا قد عارضه ما رويناه فيما تقدم... وهذه المسألة مسألة اجتهاد، و«لعل» ابن عمر كان يذهب الى التحريم. ثم إن هذا الأثر لم يقل «بظاهره» أحد من العلماء... واذا كان الأثر متروك «الظاهر» سقط الاحتجاج به»[1].

فانظر كيف ردوا قول ابن عمر بما عارضه من أقوال الصحابة الآخرين: فهلا ردوا قول ابن عمر بما عارضه من فعل أبيه أمام جمهور الصحابة حيث تركوا التوسل بالنبي ﷺ وتوسلوا بدعاء العباس في أمر هو أعظم من مجرد خدر الرجل ألا وهو وقوع الجفاف والجدب؟

لكن الصحابة لم يستغيثوا به بل تركوا التوسل به بعد موته، وهذا إسناده أصح من إسناد قصة خدر رجل ابن عمر وعليه جماعة الصحابة الذين هم أولى بالأخذ من فعل فرد يخالفهم على فرض صحته وصحة الاستدلال به حيث ان الأثر لا يفيد الاستغاثة أصلا وانما تذكر الحبيب كما قال له الرجل «أذكر أحب الناس اليك».

---

١) طبقات السبكي ٣٤٢/٤ محققة. وهكذا تكون نهاية كل نص لا يوافق مذهبهم: يتعرض لعملية انشطار تقسمه قسمين: ظاهر وباطن.

هل ثبتت يا النداء في كلم ابن تيمية؟

أما عن ورود لفظ النداء (يا محمد) في كتاب الكلم الطيب لابن تيمية، فقد صرح الألباني بأنه آثر إيرادها حرصاً على الأمانة العلمية لأنه وجدها في بعض المخطوطات دون البعض الآخر، فطرأ الشك في صحة نسبتها الى مؤلفها، وما تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

فالرواية رواية سفيان، وهي التي لم تتضمن لفظ النداء أصلا. وقد استغل الذين في قلوبهم زيغ هذا المحتمل المتشابه فتجاهلوا ما صرح به الألباني من أنه وجد لفظ النداء مثبتاً في بعض المخطوطات دون بعض.

○ أما إلزامنا بتكفير ابن تيمية على فرض صحة إثبات (يا) النداء، فليست الياء للاستغاثة بل لذكر المحبوب، ثم على افتراض زلله هـهنا فكتبه مملوءة في النهي عن الاستغاثة بغير الله مما يؤكد أنه لم يفهم من (يا) النداء بمعنى الاستغاثة.

ثم منذ متى يُكفّر من يروي المناكير والغرائب؟ هذه كتب السنن تحوي الروايات الموضوعة المخالفة لأصول العقائد كحديث « إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سُمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد» (رواه أحمد في السنة ٣٠١/١ والخَطيب في تاريخه ٢٩٥/١). فقد تتضمن كتب المحدثين روايات لا تمثل بالضرورة موافقتهم لها، فهذا مسند أحمد نجد فيه يروي في مسنده رواية تجيز الاستعاذة بغير الله وهي قول حسان البكري « أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد» غير أن البخاري والخطابي رويا عنه ما يخالف ما تضمنه مسنده قال الخطابي « كان أحمد يحتج بحديث «أعوذ بكلمات الله التامات» بأن النبي لا يستعيذ بمخلوق» [١]. ولو كان كل من يروي شيئاً من ذلك كافراً لحكمنا بكفر أحمد والبيهقي وغالب المحدثين.

ثم نحن لا نكفر كل من زلت قدمه، فقد يقول المؤمن كفراً ولا يكفر به، فإن نسبة الاستيلاء الى الله عندنا كفر ولكننا مع ذلك لم نكفركم لأننا نعتقد أنكم تجهلون حقيقة ما تؤول اليه هذه الكلمة في حق الله، ونكل الباقي الى الله الذي له الأمر من قبل ومن بعد. ومن زيغكم وتحيزكم وجدلكم أنكم تتحاشون حقيقة أن ابن تيمية من أبرز

---

١) فتح الباري ٤١٠/٦ والانصاف للمرداوي ٤٥٦/٢.

من قاوم المستغيثين بغير الله وردهم وأفحمهم وقد كتب في ذلك كتابا بعنوان «الاستغاثة» حرم فيه الاستغاثة بغير الله.

○ ولو أننا نكفر كل من زلت قدمه لسارعنا الى تكفير الغزالي القائل « ليس في الإمكان أفضل مما كان» وتكفير الجويني الذي صرح في البرهان بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات. وكذلك الحليمي كما نقله السبكي عنهما [1] مما أدى بالإمام المازري الى الطعن فيه والتشنيع به غاية التشنيع وصرح بأنه سهل على الجويني ركوب هذا المذهب: إدمانه النظر في مذهب أولئك يعني الفلاسفة. ومن العظيمة في الدين أن يقول مسلم إن الله تخفى عليه خافية».

ولحكمنا بكفر القشيري الذي استحسن قول من زعم أن الله يكنس المزابل [2].

وبكفر ابن فورك الذي استحسن رواية أن الله يُقعد النبي ﷺ معه على العرش[3].

وبكفر ابن الخطيب الذي استحسن رواية هذه الرواية[4].

---

١) أنظر طبقات السبكي ٥/١٩٣-١٩٦ و٢٠٠ - ٢٠١ محققة.

٢) الرسالة القشيرية ١٢٨.

٣) مشكل الحديث وبيانه ٣٩١.

٤) تاريخ بغداد ٨/٥٢.

تخريج الاحباش رواية ابن عمر

وقد حكم الأحباش على طرق هذه الرواية عند ابن السني « عمل اليوم والليلة» بالضعف بل وبالوضع أي الكذب فقالوا [١] « ضعيف: ضعفه الألباني في الكلم» ثم قالوا مرتين « أبو اسحاق يدلس وقد عنعنه وقد اختلط» فهاهم يحتجون بتضعيف الألباني للرواية ثم يأتينا منهم من يقول « ومن جملة تذبذبكم أن ضعّفتم رواية ابن عمر في خدر الرجل» [٢].

فشهدوا على أنفسهم بضعف الرواية. وباختلاط السبيعي وتدليسه وأنه عنعن في هذه الرواية. لكن هذه الرواية الواهية توافق هواهم في دعوة الناس الى الاستغاثة بغير الله، وهم لا يستطيعون مخالفة الهوى لأن أهل البدع أهل أهواء كما وصفهم السلف بذلك. ولأن اتباع الهوى من الأسباب الرئيسية لمعارضة أدلة الكتاب والسنة، ولهذا اشتق لهم اسم مما غلب عليهم وهو الهوى.

زعموا أنه لا يؤخذ بخبر الواحد في العقائد

ولا يحق لهؤلاء أن يحتجوا بأمثال هذه الرواية ولو كانت صحيحة، لأنهم اشاعرة، والأشاعرة اشترطوا شرطاً زائداً على مجرد صحة الرواية: وهو أن تكون الرواية متواترة لأنهم لا يقبلون خبر الآحاد في أمور العقائد حتى وإن كان في البخاري!

وهكذا شهدوا بنقض أصل من أصولهم - لطالما ينقضونه - وهو أن لا يحتجوا في العقائد الا :

١) ما كان مقطوعاً به من السند.

٢) ما كان ثابتاً بطريق المتواتر فإن الأخذ بخبر الواحد عند الأشاعرة ممنوع في العقائد. وأنت ترى كثيراً مما يحتجون به في مسائل العقائد هو دون المتواتر بل دون الصحيح.

---

١) عمل اليوم والليلة ص ٦٤ تحقيق سالم بن أحمد السلفي ط: مؤسسة الكتب الثقافية (الحبشية).

٢) مجلة منار "الهدى" ٢٦/٢٢.

استعراض طرق الحديث

ولنستعرض لكم الآن سند هذه الرواية عن ابن عمر:

أما الروايات عند ابن السني فضعيفة بالاتفاق معهم[١].

وبقي الاختلاف حول الرواية التي عند البخاري في الأدب المفرد (٩٦٤) حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن سعد قال: خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل: أذكر أحب الناس إليك. فقال: محمد.

وهذه الرواية أصح سنداً من روايات ابن السني وغيره، وأفادت فوائد:

منها قول ابن عمر: محمد، بدون حرف النداء. ومنها: أن سفيان من الحفاظ الأثبات، فنقلُه خبر أبي إسحاق بهذا اللفظ يدل على أنه هو المحفوظ وأما الروايات الأخرى فمردودة.

الرواية عن أبي اسحق السبيعي

تدليسه:

ولكن في الرواية أبو اسحاق السبيعي، وهو ثقة ولكنه مدلس، وقد عنعنه عن هذا المجهول، . ذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين [٢] وابن حبان والكرابيسي وأبو جعفر الطبري [٣]، قال شعبة « لم يسمع من حارث الأعور الا أربعة أحاديث» [٤] يعني أنه

---

١) الرواية رقم (١٧٠) فيها محمد بن مصعب القرقسائي "ضعيف" قال الحافظ "قال عنه يحي بن معين: ليس بشيء لم يكن من أصحاب الحديث وكان مغفلا وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به" (العبر للذهبي ٢٧٩/١ وتهذيب التهذيب ٤٥٨/٩) وأما الرواية رقم (١٦٩) ففيها غياث بن ابراهيم "كذاب" "كان يضع الحديث" (لسان الميزان ٤٩٠/٤ الكامل لابن عدي ٢٠٣٦/٦) والهيثم بن حنش مجهول العين، قال الخطيب في (الكفاية ص ٨٨) المجهول عند أصحاب الحديث كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه، ولا عرفه العلماء به، وذكر منهم الهيثم بن حنش).

٢) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ص ١٠١ ترجمة رقم (٩١) ط: دار الكتب العلمية وانظر كتاب التبيين لأسماء المدلسين لبرهان الدين الحلبي سبط ابن العجمي ص ١٦٠ ترجمة رقم (٥٨).

٣) تهذيب التهذيب ٦٦/٨.

٤) سير أعلام النبلاء ٣٩٨/٥ تهذيب التهذيب ٦٥/٨.

كان يدلس. قال « ولم يسمع من أبي وائل الا حديثين» [1]. قال العجلي « والباقي إنما هو كتاب أخذه» وعد جماعة ممن روى عنهم ولم يأخذ منهم [2] وذكره ابن الصلاح في مقدمته (ص ٣٥٣) في المدلسين والحافظ العراقي في التقييد (ص ٤٤٥) وابن حبان في الثقات (١٧٧/٥) والحاكم في معرفة علوم الحديث (١٠٥) والنسائي (ميزان الاعتدال ٣٦٠/١) والعلائي في جامع التحصيل (ص ١٠٨).

---

١) تهذيب التهذيب ٦٦/٨.

٢) تأريخ الثقات ص ٣٦٦ تحقيق عبد المعطي قلعجي.

اختلاطه

ناهيك عن أنه قد اختلط، ومما يدل على تخليطه في هذا الحديث أنه رواه تارة عن أبي شعبة (أو أبي سعيد) وتارة عن عبد الرحمن بن سعد. وهذا اضطرابٌ يُردّ به الحديث. بل رماه الجوزجاني بالتشيع من رؤوس محدّثي الكوفة، وعن معن قال «أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش وأبو اسحاق يعني للتدليس، وروى عن أناس لم يُعرفوا عند أهل العلم الا ما حكى هو عنهم. فاذا روى تلك الأشياء عنهم كان التوقف أولى»[1].

نفي اختلاط السبيعي مردود

أما نفي الأحباش اختلاط أبي اسحاق السبيعي [2] واحتجاجهم بنفي الذهبي عنه الاختلاط:

١) فقد أثبت الحافظ ابن حجر اختلاط أبي اسحاق السبيعي كما في التقريب وبرهان الدين الحلبي في رسالته الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط [3]. **فخذه أيها الحبشي حيث حافظ عليه نص.**

٢) وأثبت ابن الكيال اختلاطه في كتابه الذي أسماه «الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات» وقد حققه صاحبكم كمال الحوت ولم يعلق على إدراجه في جملة المختلطين[4].

٣) وأثبت اختلاطه الحافظ ابن الصلاح، حكاه عنه ابن الكيال.

٤) وحكى الجوزجاني أنه واحد ممن لا يحمد الناس مذاهبهم[5].

٥) أن الرواية التي جاءت من غير يا النداء أصح من هذه التي ورد فيها عدة علل أهمها الجهالة والاضطراب، وفيها من أختلف في توثيقه كالسبيعي، فإننا لو سلمنا في توثيقه فلن نسلم في تصحيح سند تضمن الجهالة والاضطراب.

---

١) تهذيب التهذيب ٨/٦٦.

٢) مجلة منار «الهدى» ٢٦/٢٢.

٣) تقريب التهذيب (٦٣٩) وانظر مقدمة فتح الباري ص ٤٣١ والاغتباط ص ٨٧ ترجمة رقم (٨٥) ط: دار الكتاب العربي.

٤) الكواكب النيرات ص ٨٤ ط: دار الكتب العلمية.

٥) أحوال الرجال ٧٩ (١٠٢).

تناقضهم في الاعتماد على الذهبي

وأما احتجاجهم بالذهبي فهو منهم عجيب!

○ أونسيتم معشر الأحباش قول شيخكم في الذهبي أنه خبيث، ثم تعجب من الحافظ ابن حجر كيف سلّم له حكمه على الرجال بجرح أو تعديل؟ فكيف سلّمتم للذهبي في هذا الموضع وأعرضتم عن الحافظ ابن حجر الذي أثبت الاختلاط؟

○ أونسيتم أن شيخكم انتقد الذهبي واتهمه بالتساهل في رواية الحديث وأنه يأتي بأحاديث غير ثابتة وآثار من كلام التابعين من غير تبيين من حيث الاسناد والمتن [١]. فكيف طرأ هذا التبديل في موقفكم حتىً صار قول الذهبي مقدماً على قول الحافظ ابن حجر؟

○ وقد نهى شيخكم عن الأخذ بتصحيحات الحاكم إلا أن يوافقه الذهبي [٢] غير أنه عند الحاجة الى حشو الأدلة لإثبات بدعته يقدم الحاكم على الذهبي كما فعل في حديث « لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لي..» حيث تمسك بقول الحاكم «صحيح» وتجاهل تعقيب الذهبي عليه « بل موضوع»! أليس هذا كيلا بمكيالين وتذبذباً في المنهج؟!

واذا كانت شهادة الذهبي في السبيعي حجة عندكم:

- فخذوا بشهادته في الرفاعية حيث شهد بأنه « قد كثر الزغل في طائفة الرفاعية، وتجدَّدتْ لهم أحوالٌ شيطانية من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيَّات» [٣].

- وخذوا بشهادته في لعن من تخرج متطيبة إذ قال «ومن الأفعال التي تُلعَن عليها المرأة إظهار الزينة... وتطييها بالمسك والعنبر» [٤].

- وخذوا بشهادته في ابن فورك أنه كان يقول ان نبوة محمد ﷺ قد بطلت بعد موته وليس هو رسول الله[٥]. لأن الصفة عرض والعرض لا يبقى زمانين. مع أنكم رفضتم شهادته في ابن فورك[٦].

---

١) إظهار العقيدة السنية ٩٧.

٢) قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في أسنى المطالب ص ٥٧٣ بأن الحاكم متساهل في التصحيح ونقل عن المناوي تعقب الذهبي لكثير من تصحيحات الحاكم.

٣) العبر في خبر من غبر ٧٥/٣.

٤) الكبائر ص ١٠٢ الكبيرة الثامنة والعشرون.

٥) سير أعلام النبلاء ٨٣/٦ و٢١٦/١٧.

وإذا كان السبيعي عندكم عدلا فخذوا بروايته « إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد» [١] فأثبتوا أن الله يجلس على العرش. أما نحن فنضعف كلا الروايتين.

وحين نفى الذهبي الاختلاط عن السبيعي أثبت له سوء الحفظ فقال « لما وقع في هرم الشيخوخة نقص حفظه وساء ذهنه وما اختلط» وفي لفظ آخر « شاخ ونسي ولم يختلط: وقد تغير قليلا» ثم نقل عن الامام الفسوي أن بعض أهل العلم قالوا: كان قد اختلط، وإنما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه [٢].

لكن لصوص النصوص بتروا نص الذهبي ولم يكملوا كلامه المثبت لسوء حفظ أبي اسحاق وتغيره، كل ذلك من أجل تعديل رواية تميل اليها أهواؤهم، وهذا ليس من الأمانة العلمية.

٤) فشيخكم لا يرى الاحتجاج بحكم الذهبي، لكنكم مضطرون لفعل أي شيء يرجح صحة رواية ابن عمر فاحتججتم بالذهبي وتخليتم عن الحافظ ابن حجر وعما نقله عن نقّاد آخرين تكلموا في أبي اسحاق كابن حبان والجوزجاني... ومعلوم أنه من تُكُلِّمَ فيه بجرح وتعديل قدم الجرح على التعديل بشرط تبيين الجرح.

فهل لكم في روايات أصح سنداً من هذه لا خلاف حول قطعية أسانيدها كرواية عمر في العدول عن التوسل بالرسول ﷺ والتوسل بعمه العباس لحسم النزاع بيننا؟ إذ الرواية عن ابن عمر لم تصح. ونسبة ياء النداء ليست قطعية السند، فما هذه العقيدة التي لا تستند على القطعي بل تتمسك بكل متشابه؟ هل هذا الا خُلُق الزائغين؟ أنظر كيف يشتغل هؤلاء بالضعيف والمكذوب من الحديث لمحض التشويش، ويكفّرون مخالفهم لهذا المنهج المهترئ الذي يجتنب الصحيح الصريح ويتعلق بالموضوع والواهي والضعيف من الروايات.

---

٦) مجلة منار الهدى ٥٣/٤٤.

١) رواه أحمد في السنة ٣٠١/١ حديث رقم (٥٨٥).

٢) ميزان الاعتدال ترجمة رقم (٥٢٣٥ و ٦٣٩٣).

الشيخان رويا للسبيعي

قد يقول قائل: ألست تقر بأن السبيعي من رجال الشيخين؟ فكيف تضعفه هنا؟

والجواب:

❍ أن السبيعي ثقة روى له البخاري ومسلم ولكنهما رويا لمن هو أوثق منه ما يخالف روايته، فتكون روايته شاذة - على فرض إفادتها جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته - لمعارضتها الرواية الأصح سنداً والمتفق على صحتها والتي أفادت ترك الصحابة التوسل بدعاء النبي ﷺ بعد موته، وقد اجتمعت في رواية السبيعي عدة علل منها الاضطراب والتدليس والاختلاط، فلِمَ لا يحكم عليها بعد ذلك بالشذوذ؟ لا سيما وأن الرواية المخالفة لها خَالية من هذه العلل.

فليس من التجرد للحديث الميل الى الرواية الأضعف لمجرد موافقتها المذهب.

❍ فالسبيعي ثقة ولكنه مدلس ومختلط، واذا ثبتت عنعنته وتدليسه أو تخليطه أثناء روايته حكم بضعفها وقبل من رواياته ما تجرد عن الاختلاط والتدليس. ومن كان ثقة ولكن بقيود فليس من الانصاف أن يطلب منا توثيقه باطلاق. فإن البخاري ومسلما لم يرويا عنه «في صحيحيهما بإطلاق» بخلاف ما فعله البخاري في الأدب المفرد حيث لم يشترط فيه الاقتصار على الصحيح من الروايات.

❍ أن الذين يعترضون على كلامنا في أبي اسحاق - مع توثيقنا له - يكيلون بمكيالين فإن شيخهم الكوثري قد طعن في سعيد بن أبي هلال وهو من رجال البخاري وطعنوا في عبد الله بن نافع

❍ أن طريقة الأحباش في العديد من الروايات هي رد الصحيح اذا جاء مخالفاً : فقد رد شيخهم حديث الصوت وهو عند البخاري في صحيحه ولم يقبل سعيد بن أبي هلال في حديث الرجل وهو في صحيح البخاري، ولم يقبلوا حديث الجارية وطعنوا فيه وزعموا أنه مضطرب الاسناد وهو في صحيح مسلم. وردوا حديث « الراحمون يرحمهم الرحمن» المتفق على صحته برواية ضعيفة عند النسائي (ارحموا أهل الأرض).

وردوا حديث ابن عباس عند مسلم في طلاق الثلاث وحكم شيخهم علىالرواية بالشذوذ، واقفاً منها موقف السبكي من رواية ابن عمر في

حكم الشطرنج.

○ فلماذا الكيل بمكيالين؟ ومن الذي يتناقض؟ إنهم الأشاعرة المتفاخرون بعلم الكلام الذي يودي الى الشك والريبة والتردد كما جاء في الفتح (١٣/٣٥٠) للحافظ ابن حجر «وقد أفضى الكلام بكثير من أهله الى الشك، وببعضهم الى الالحاد». قال «وصح عن السلف أنهم نهوا عن علم الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب.

وحكى الغزالي في المنقذ من الضلال (ص ١٤) تجربته الفاشلة مع علم الكلام فقال «لم يكن الكلام في حقي كافياً ولا لمرضي الذي كنت أشكو منه شافياً... ولم يكن من كلام المتكلمين **الا كلمات ظاهرة** التناقض والفساد».

شبهات أخرى حول الاستغاثة

ومن شبهاتهم: حديث الأعمى المشهور وفيه أن النبي ﷺ علمه أن يقول « يا محمد اني أتوجه اليك في حاجتي هذه لتُقضىٰ»[1].

وعلى افتراض أنه كان بعيدا فهو:

استحضار لمضمر في القلب كقول المصلي في صلاته: السلام عليك أيها النبي. وقد تقدم أن الصحابة تركوا هذا اللفظ لما قُبض ﷺ وصاروا يقولون: السلام على النبي. فاذا تركوا بعد موته خطابا فيه دعاءٌ له لا دعاء اليه فكيف يمكن أن يقال بعد ذلك إنهم كانوا يستغيثونه بعد موته؟

فاذا كانوا تركوا قول (السلام عليك) بعد موته فمن باب أولى أن يتركوا لفظ يا محمد.

ولا يمكن أن يقول الرسول ﷺ «من يتكفل أن لا يسأل الناس شيئا وأنا أضمن له الجنة» ويقول « اذا سألت فاسأل الله» ثم هو يعلمهم أن يسألوا الأموات من أنبياء وصالحين.

أن أحداً من الصحابة لم يفهم من هذا الحديث جواز الاستغاثة ولذلك لم يستغيثوا به ﷺ بعد موته بل تركوا حتى التوسل الذي هو أدنى من الاستغاثة كما في حديث حادثة القحط المشهورة أيام خلافة عمر كما عند البخاري. فكيف يكون التوسل به حراما والاستغاثة جائزة؟

○ أما قوله (يا محمد) فمن يمكنه أن يؤكد أنه كان بعيدا عنه؟ وقد قال له النبي ﷺ «إيت الميضأة» فمن يدعي أنه ذهب الى ميضأة بيته والأصل أن يدل السياق على أقرب ميضأة وهي ميضأة بيته ﷺ أو المسجد فلا يكون الأعمى مخاطبا له من مكان بعيد عنه!

وأما احتجاجكم بلفظ (**اني أتوجه بك**): فهو توجه بدعاء النبي ﷺ وهذا ما حدث حقاً، فقد توجه الى النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو له فوعده ﷺ بالدعاء له. ولهذا قال في آخر دعائه « اللهم فشفعه فِيّ» أي اللهم اقبل دعاءه فِيّ.

---

1) قد استوفينا تفصيل هذا الحديث في فصل التوسل ص ١٦٧

○ وأما التوجه الذي يفهمه الأحباش فهو التوجه الى قبور الانبياء والصالحين، تلك هي سنتهم، فإنهم رفاعيو الطريقة، وقد سنّ لهم محمد الصيادي الرفاعي أن من أصابته ضراء **فليتوجه نحو قبر الرفاعي ويخطو ثلاث خطوات ويسأله حاجته** [1]. وهي سنن النصارى.

أما سنة نبينا فقد كان ﷺ يستقبل القبلة في دعائه ويسأل الله وحده، وكان يقول في دعاء الاستفتاح في الصلاة « **وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ان صلاتي** [والدعاء صلاة] **ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**». فالتوجه الى الله بالدعاء هو الملة الحنيفية، ودعوتكم الناس التوجه الى مقابر الأنبياء والأولياء ملة الشرك.

المستغيثون بالماء وهو «جماد»!

ومن شبهاتهم: الاحتجاج بأن الماء يسمى غيثاً لقول النبي ﷺ « اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً» قال الأحباش المستغيثون بالجماد « واذا كان الرسول ﷺ سمى المطر مغيثاً لأنه ينقذ من الشدة بإذن الله: فالنبي والولي أولى بهذا الوصف من الجماد: معناه كذلك أن النبي والولي ينقذ من الشدة بإذن الله» [2]!

هكذا عادوا الى الاستغاثة بالجمادات فإن الماء ليس بشرا ولا ملكاً!

ولا فرق بين الماء والحجر فكلاهما لا يعقل، فاذا جاز تسمية الماء مغيثاً على معنى جواز الاستغاثة به لأنه ينقذ من شدة، فالطعام ينقذ من شدة فيجوز الاستغاثة به، وهو من النبات والشجر، والوثنيون يعبدون الشجر والحجر، فاذا جازت الاستغاثة بالماء فجوزوا الاستغاثة بالحجر لأنه ينقذ من الشدة فإن الله جعله سبباً لنا ينقذنا به من الحر والقر فنتخذ منه البيوت ونحارب به العدو!

هكذا بلغت بهم السفاهة أن يجعلوا الماء مغيثاً (اسم فاعل) بمعنى أنه يستغاث به، كل ذلك ليثبتوا مسئولا مع الله ولو كان ماءاً! ولكن: هل منكم من جرّب الاستغاثة بالماء قبل أن يأتي بهذه الحجة الواهية؟

---

١) قلادة الجواهر ٤٣٤ و٢٣٩.

٢) مجلة منار « الهدى» ٢٣/٣٥.

ولكن إذا كان النبي أولى بهذا الوصف فلماذا لم يدع الناس الى هذا الأولى فعلمنا أن الماء غيث ولم يعلمنا أنه هو ﷺ غيث؟!

وهذا الحديث حجة عليكم فإنه لما سمى الرسول ﷺ الماء مغيثاً لم يستغث به، ولم يفهم صحابته هذا الفهم السقيم فلم يثبت عنهم الاستغاثة بنبي ولا ولي.

فاعتباركم الماء غوثاً لأن اسمه غيث: تلبيس وتمويه. فقد قربكم لفظ الغوث هذا الى يغوث صنم قوم نوح.

❍ ومن يدري! لربما تستغيثون بالماء، فاذا نزل « المغيث» قلتم: الماء هو الترياق المجرب كما قلتم في قبر معروف الكرخي لأن الفصل بين الحلال والحرام عندكم هو التجربة!

فاثبتوا على الاستغاثة بالماء أيها الظالمون حتى تلقوا الله على ذلك. فأنتم كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه: وما دعاء الكافرين الا في ضلال.

ومن شبهاتهم: استدلالهم بقوله تعالى **﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾** وزاغوا عن قوله تعالى **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾**.

ولكن أيستعينون بالصلاة وهم فيها أم يخاطبونها بعد خروجهم منها؟ هل منكم يا من تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون: من يعترف بأنه وقف يوماً يطلب الاستعانة من الصلاة وهو يصليها أو من الصبر الذي يصبره قائلا: يا صبر أغثني، يا صلاة أغيثيني اقضي حوائجي إدفعي كروبي؟ كيف تستغيثون بالعَرَض الذي هو صفة لا تقوم بنفسها؟ أنسيتم قواعد علم الكلام؟

نوصيكم أن تتدبروا كلام الله **﴿فصبر جميل: والله المستعان على ما تصفون﴾** **﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾**.

ومن من السلف فهم هذا الفهم السقيم، ولو كان هذا الذي فهموه فهل طبقوه؟ هل ثبت أن أحدهم كان يطلب العون والغوث من الصلاة؟

فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ومن شبهاتهم: أن عمر كتب عام الرمادة الى أبي موسى بالبصرة أن « غوثاه لأمة محمد» فسارع المسلمون إلى إغاثة أهل المدينة لمّا أصابها الجفاف. فقال هؤلاء: أرأيتم كيف استغاث عمر

بغير الله [1]؟

والجواب: والله ما نهينا أحداً عن الاستغاثة بمثل ما فعل عمر من اتخاذ الوسائل الشرعية، ولذلك كتب الاستغاثة في رسالة وأرسلها، ولم يناد في الهواء، وأرسلها الى الأحياء القادرين، ولم يقل: يا رسول الله غوثاه لأمة محمد. وإنما نهينا عن الاستغاثة على طريقة النقشبندية والرفاعية حيث الاستغاثة بالأرواح والأشباح.

أفلا تسألون أنفسكم: لماذا لم يقل عمر: غوثاه يا رسول الله لأمة محمد؟ لعلكم لا تجهلون هذه البديهيات لكنكم ما تضربون هذه الأمثال الا جدلا وتلبيساً على العوام!

ولا ننسى أن عمر هو الذي عدل عن التوسل بذات النبي ﷺ وجمع جمهور الصحابة عام الرمادة وتوسل أمامهم بدعاء عمه العباس، فإما أن يكون ذلك تناقضاً منه وإما أن يكون سوء الفهم منكم:

وكم من عائب قولا صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم

ليست كل استغاثة حراماً

ومن ظن أن كل استغاثة حرام فهو مخطىء، فإن الاستغاثة المنفية على نوعين:

الأولى: الاستغاثة بالميت منفية مطلقاً وفي كل شيء.

الثانية: الاستغاثة بالمخلوق الحي الغائب مطلقاً أو الحاضر فيما لا يقدر عليه الا الخالق.

- ثم إنّ فعلَ عمر حجة عليكم، فإنه لم يلجأ إلى الأموات على النحو الذي تفعلَونه ولا الى قبر النبي ﷺ، ولم يستغث بأبي موسى من غير أن يكتب له الرسالة ويرسلها بواسطة جنوده وبريده، وهل كان عمر ليستغيث به لو لم يكن عنده ما يستحق الاستغاثة؟

أما أنتم فتستغيثون بالأولياء وتعلمون أنه ليس عندهم ما كان عند أبي موسى لعمر، وتشهدون أن ليس عندهم النفع الذي تسألونهم ولا دفع الضر الذي تطلبون منهم دفعه عنكم!

○ وليس كل دعاء حراماً، فقد قال تعالى ﴿**يوم يدعوكم**﴾ أي الله ﴿**فتستجيبون بحمده**﴾ فالدعاء هنا ليس دعاء عبادة، فإننا نقيد تحريم استغاثة ودعاء غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله، فمنِ خلط بين الأمرين فهو مخادع ملبس، يقال له ما قيل لأهل الكتاب ﴿**لِم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون**﴾.

---

1) صريح البيان ٥٩.

ومن شبهاتهم: ما ذكره الهيتمي من أن الاستغاثة من الله حقيقة والغوث منه حقيقة وايجاد، والنبي مستغاث به مجازا. والغوث منه تسببا وكسباً بمنزلة قوله تعالى **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾**.

الجواب:

○ أن هذا المجاز أداة اللعب بالدين، سبقكم اليه الباطنيون لا السلف الصالح.

○ أن الله ما أمر بهذا المجاز المزعوم، وإنما أمر أن ندعوه هو مباشرة وحقيقة فقال **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان﴾**

○ أن هذا مشابهة لمن جعلوا وجود المخلوقات وجودا مجازيا ولا وجود حقيقياً الا وجود الله.

○ أن هذا مشابهة للجبريين الذين جعلوا فعل العباد فعلا مجازيا بناء على أن وأن وجودهم مجازي، وسبقوكم بالاستدلال الباطل بالآية، بينما هي تثبتِ الرمي للنبي ﷺ وتنفي عنه إصابة الرمي.

○ ماذا تقولون دام فضلكم فيمن توجه الى التصاوير والأصنام مجازا وزعم أن النفع الحاصل منها مجازي وإنما النفع من الله حقيقة ومنها مجازا؟!

○ أن نقول: من سبق الهيتمي الى هذا التفسير أم لعله خفي على الأمة حتى خلق الله الهيتمي لينشلنا من الضلال والجهل في تفسير هذه الآية الذي جهله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما حيث لم يذكروا استغاثة مجازية كالرمي على تفسيركم الفاسد لهذه الآية، أم أنهم علموه ولكنهم كتموه!

الفرق بين الاستغاثة والدعاء

الاستغاثة لا تكون الا من مكروب. أما الدعاء فهو أعم من الاستغاثة، فكل استغاثة دعاء كما أن الدعاء في اللغة نداء وطلب. وهو نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة وكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء مسألة متضمن دعاء العبادة، على تعريف التضمن أنه دلالة الدليل على بعض معناه.

واذا كانت الاستغاثة من أنواع الدعاء والدعاء هو العبادة تبين أن الاستغاثة عبادة لا يتوجه بها الا الى الله.

ومن شبهاتهم: أن الناس « يستغيثون يوم القيامة بآدم».

وهذه استغاثة بالحاضر الحي القادر، وقد كان الصحابة يأتون رسول الله ﷺ ويطلبون منه في حياته أن يدعو الله. لكن نفي آدم والأنبياء قدرتهم على الاغاثة وقولهم (لست لها) حجة عليكم فانه يدل على أن الانبياء لا يقدرون دائماً على اجابة ما يطلبه الناس منهم. فلما قال لهم آدم (لست لها) تركوه وتوجهوا الى غيره من الأنبياء لافتقاد شرط القدرة على الاغاثة.

تحريفهم قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك

ومن شبهاتهم: احتجاجهم بآية **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾** مع مخالفتهم لما فهمه السلف منها حيث معناها المجيء اليه في حياته. فلا يجوز إحداث تأويل في آية أو حديث لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه لأنه يلزم من ذلك الطعن بهم أنهم جهلوا الحق الذي اهتدى اليه الخلوف من بعدهم، أو أنهم علموه ولكن كتموه عن الأمة.

○ وقد ذم الله من تخلف عن هذا المجيء واعتبرهم منافقين مستكبرين غير مغفور لهم فقال **﴿واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**.

○ ولم يثبت أن أحداً من الصحابة أتى قبر النبي ﷺ وسأله الاستغفار وهذا يقتضي دخول الصحابة في المنافقين المستكبرين وأن الله لن يغفر لهم لأنهم ما عملوا بهذه الآية، بل ثبت تركهم للتوسل به بعد موته والتوسل بغيره.

ولا يعقل أن يعطل الصحابة تطبيق الآية ثم يأتي هؤلاء الخلوف ويفهمون منها ما لم يفهمه ولم يطبقه الصحابة.

○ ثم ان ايجاب مجيء القبر على كل مذنب من أمة محمد ﷺ تكليف بما لا يطاق، فإن الأمة لا تستطيع مجيء القبر عند ارتكاب كل ذنب.

○ أن في هذا الفهم إلغاء لدور الحج والعمرة، بل يصير القبر حَرَماً يحج اليه الناس. وحينئذ: فلماذا يحج الناس الى مكة؟ أليس ليعودوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم؟ ولماذا يفعلون ذلك والآية تنص بزعمهم على وجوب حج المذنبين الى قبره ﷺ؟ وكأنهم يقولون: من حج الى قبر النبي ﷺ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه!!!

○ ويلزم أن يصير القبر عيداً، بل أعظم أعياد المذنبين، وهذا مخالفة للنبي ﷺ فإنه نهى عن أن يُتخذ قبره عيداً.

○ أن الآية خاصة بحياة النبي ﷺ ودليل ذلك أن قوله ﴿**إذ ظلموا**﴾ للماضي لا للمستقبل، وكل عربي يعلم أن ﴿**إذ**﴾ المفيدة للماضي تختلف عن (**إذا**) المفيدة للمستقبل حيث نزلت الآية فيمن ترك الرسول ﷺ وتحاكم الى الطاغوت فهو بذلك أساء الى الرسول وترك حقا شرعيا لا تتحقق التوبة منه الا بالمجيء الى النبي ﷺ وإعلان التحاكم اليه. فوضح من ذلك أن هذه الآية نزلت في المنافقين ﴿**واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون**﴾.

أما ما يدعيه القوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فأخبرونا:

ألم يكن الصحابة من هذا العموم؟

وإذا كان الجواب: نعم.

فمن عمل بمقتضى هذا المفهوم الذي تزعمونه؟ لقد تركوا التوسل به كما عند البخاري[١] ولم يأتوا قبره ولم يثبت عن واحد منهم أنه جاء الى قبره ﷺ وطلب الاستغفار هناك بعد موته.

وإن كانت الآية عامة لزم منه أن خير القرون قد عطلوا هذا الواجب وتجاهلوه حتى جاء المتأخرون وعملوا به أو أنهم جهلوه وضلوا عنه وفقهه الخلف!

---

١) حديث رقم ١٠١٠.

ومن **شبهاتهم**: أن الأنبياء والأولياء مكرمون عند الله وأن ما يحصل لسائليهم من الاجابة انما هو من معجزاتهم وكراماتهم. وأن الله أعطاهم ما لم يعط غيرهم.

الجواب: أن أكرم هذه الأمة نبيها ولم يستغث به الصحابة بل تركوا التوسل به بعد موته كما رواه البخاري عن عمر في قصة الاستسقاء.

○ إن هناك شرطين للولاية هما الايمان والتقوى كما قال تعالى ﴿**الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾ والايمان والتقوى في القلب لا يمكن الاطلاع عليهما، ولا يحق لأحد إثباتهما أو نفيهما، فالحكم عليهم بأنهم أولياء إثبات لإيمانهم وتقواهم. وهو خطأ آخر. فإنك منهي عن تزكية نفسك ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾. فكيف تزكي غيرك.

فهذا حكم بالنيابة عن الله. فليس من حكم على شخص بأنه في النار يكون هو المخطىء فقط، ولكن من حكم عليه بالجنة نيابة عن الله فهو مخطىء أيضا.

○ أن هذا عين ما يتعلق به النصارى، فإنهم يحتجون على غيرهم بما عاينوه من معجزات المسيح وكرامات أمه. وفي كل مرة تخرج صرخة من كنيسة وتزعم راهبة أن مريم ظهرت عليها. وانما هو شيطان يظهر للناس بصورة الولي الميت ويقضي لهم حوائجهم باسم هذا الولي تماماً كما كانت تفعل الشياطين عند الأصنام فتخاطب من يدعو الأصنام تحتال على الجهال لتزيدهم تمسكاً بشركهم وتخدعهم بهذه الحيل.

○ ومن ذا الذي يزعم أن كل من أعطي شيئاً جاز طلبه منه؟ فالصيام والقرآن يشفعان يوم القيامة كما جاء في الخبر: وحملة العرش يستغفرون، بل وحتى الحيتان في البحر في تستغفر لطالب العلم، فلماذا لا تسألون الصيام حوائجكم لعله يشفع لكم؟ أو لعلكم تسألون الحيتان أن تستغفر لكم، اذا كنتم قد أجزتم الاستغاثة بالماء وبالصبر والصلاة: فماذا يمنعكم بعد ذلك أن تستغيثوا بالصيام والملائكة والحيتان؟!

ومن شبهاتهم: احتجاجهم بحديث « إن لله ملائكة في الأرض يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصابت أحدكم عرجةٌ بفلاةٍ من الأرض فليناد يا عباد الله أعينوا» [(١)].

○ وهذا الحديث ضعيف لا يحتج به لما يلي:

١) أن الصحابة تركوا التوسل بالرسول ﷺ وهو أحب اليهم من رجال الغيب فكيف يتركون التوسل به ثم يتعلقون برجال في الهواء؟
وقد وجه بعض أهل العلم هذه الرواية بمناداة حاضر قادر وهم الملائكة، فليس في الأثر دعاء لغائب

٢) أن ناكثي العهد ومخلفي الوعد ممن يقولون (نحن أشاعرة) زعموا أنه لا يجوز الاستدلال في مسائل العقائد الا بالمتواتر. وها هم هنا يحتجون بالآحاد الضعيف السند في مسألة عقدية.

٣) أن فيه أسامة بن زيد الليثي قال الحافظ في التقريب (٣١٧) « صدوقٌ يَهم» وقال أحمد: ليس بشيء، وقال عبد الله لأبيه أحمد: أراه حسن الحديث فقال أحمد: إن تدبرتَ حديثه فسوف تعرف فيه النكرة. وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه ولا يُحتج به، وقال النسائي: ليس بالقوي. وتركه ابن القطان ويحي بن سعيد وقال «إشهدوا أني قد تركتُ حديثه» [(٢)]. وقد وثقه آخرون كالدارمي وابن عدي ووثقه ابن شاهين وزاد ابن حبان « يخطىء».

ومن تدبر هذه الأقوال علم أن ما تفرد به حقه الرد، فإن توبع قُبِلَ. غير أن هذا الرواية التي رواها هنا مما تفرد به فحقها الرد.

وقد روي موقوفاً بإسناد أجود من هذا عند البيهقي عن جعفر بن عون في شعب الإيمان (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢:١١١). وهو مع ذلك معلول بالوقف.

٤) أن أسامة تفرد به، وتفرّد ضعيف الحفظ يُعد منكراً إذا لم تؤيده أصول صريحة صحيحة. وأما قول الحافظ (هذا حديث حسن

---

١) صريح البيان ٥٨ إظهار العقيدة السنية ٢٤٧ المقالات السنية ٤٦ ط: قديمة.

٢) تهذيب التهذيب ٢٠٩/١.

الإسناد غريب جداً) فمعلوم أن حسن إسناده لا يدل على حسن الحديث دائماً.

٥) وفيه حاتم بن اسماعيل الراوي عن أسامة «صحيح الكتاب صدوق يهم» (قاله الحافظ في التقريب ٩٩٤) وقال «وقرأت بخط الذهبي في الميزان « قال النسائي: ليس بالقوي» (التهذيب ١٢٨/٢).

❋ وفي رواية أخرى من طريق أحمد بن يحي الصوفي ثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني عن عن عبد الله بن عيسى عن زيد عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ أنه قال «إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني». قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٣٢/١٠) « رجاله ثقات على ضعفٍ في بعضهم».

❋ وكذلك رواية « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة: فليناد: يا عباد الله احبسوا. فإن لله حاضراً في الأرض سيحبسه». رواهَ أبو يعلى والطبراني. وفيه معروف بن حسان: وهو ضعيف. قال أبو حاتم في (الجرح والتعديل ٣٢٣/٨) «ضعيف» وقال ابن عدي في (الكامل ٣٢٥/٦) «منكر الحديث». وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٣٢/١٠) «فيه معروف بن حسان وهو ضعيف». وقال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٦٢) « معروف بن حسان منكر الحديث».

وفيه سعيد بن أبي عروبة: اختلط، قال النسائي: من سمع منه بعد الاختلاط فليس بشيء. ومعروف بن حسان من الصغار ولم يسمع منه قبل الاختلاط الا الكبار. وكان بدأ اختلاطه سنة ١٣٢ واستحكم سنة ١٤٨ أفاده البزار. ثم إن سعيداً مدلس كثير التدليس، وقد روى هذا الحديث معنعناً عن أبي بريدة فلا يقبل.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٤٢٤/١٠): ثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا محمد بن اسحاق عن أبان بن صالح أن رسول الله قال..» فذكره. وهذا إسناد معضل فيه محمد بن اسحاق وهو مدلس مشهور.

○ فهذه الروايات قد اجتمع فيها علل كثيرة، وهناك علة أشعرية يتجاهلها الأشاعرة وهي أن الرواية ليست من المتواتر، ورواية غير المتواتر عندهم ممنوع في العقائد! فهل يجوز للأشعري ما لا يجوز لغيره!

ولو فرضنا أن الرواية بلغت مرتبة الحسن فإنها شاذة بالنسبة لما خالفها من الروايات الأصح سنداً، ابتداء من كتاب ربنا ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ ﴿وإذا مسّكمُ الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه﴾ [الاسراء٦٧] ولا فرق بين الأرض الفلاة وبين البحر، وتتعارض وقوله ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخُفيةً لئن أنجانا من هذه لنكوننّ من الشاكرين: قل اللهُ ينجّيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ [الانعام٦٣] فالآية تؤكد أن الله وحده هو المنجي لعباده في البر والبحر، ويأبى هؤلاء الا الشرك وردّ كتاب الله وما صح من سنة نبيه ﷺ بهذه الروايات المعلولة.

أفيجوز أن يأتي جواب رسول الله على الآية: نعم هناك غير الله من ينجي في البر والبحر اذا قال لهم « أغيثوني»!!!

كيف يكون هذا جوابه وقد قال «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله». وأرشدنا الى أن الدعاء عبادة بل مخها.

○ إن هذه الروايات أصح سنداً وأكثر توافقاً مع القرآن من رواية « فليقل يا عباد الله أغيثوا» الضعيفة التي تتمسكون بها.

وإنه لمن علامات الزيغ: الإعراض عن الآيات الصريحة والروايات الصحيحة، وإيثار المعلول وغريب الروايات عليها.

هذا ابراهيم عليه السلام يتعرض لأعظم نار أوقدت فيكتفي بالله ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل. فلم يناد رجال الغيب.

هكذا يثنينا الحبشي عن (يا الله) ويحضّنا على (يا عباد الله) وهذا فساد في الفطرة والدين والعقل، ومخالفة للملة الحنيفية التي كان عليها ابراهيم عليه السلام، بل ترى مثل هذا الشرك في الملل التي انحرفت عن ملته، كاليهود والنصارى.

ومن شبهاتهم التي يقابلون بها المنكرين عليهم، قولهم: هل يحرم استعمال (ياء) المنادى مطلقاً كأن أنادي إنساناً على الطريق يا فلان؟ فاذا قال المنكر: لا: قالوا: فلماذا تفرّقون بين الإباحة هنا والتحريم هناك ؟.

وهذا جدل بالباطل كما قال تعالى ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا، بل هم قوم خصمون﴾ وقال ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ [النحل٦٠] إنهم يتغافلون عمداً عن وجود الأسباب في الحي وانقطاعها في الميت.

فالشريعة لم تحرّم الدعاء بين اثنين مع أخذ الأسباب، أما ما يحصل عند القبور والمزارات والأضرحة فالأسباب فيه منقطعة فلا حياة لهم ولا سمع ولو كان بيدهم نفع أو ضر لكان الأولى بهم أن ينفعوا أنفسهم فيخرجوا من القبور ويستبدلوها بالقصور.

ومن يملك أسباب دفع الضر والشفاء من المرض كالطبيب فطلب الدواء منه ليس شركاً أما طلب الدواء من ميت فهو شِركٌ في الدين وخللٌ في العقل.

○ وهل يستطيع الميت أن يفعل في قبره ما يفعله الحي من إنقاذ غريق أو قتل بريء؟ إذن كيف توجه المغفل بطلب الحاجة من الميت مع أنه صار بموته أعجز مما كان عليه وهو حي:

أتُرى ضاعت عقول هؤلاء؟ هل يستطيعون إغراء نصراني بدخول الاسلام بمثل هذه الخرافات؟

○ بل لم تعد عندكم استغاثة النصراني بالمسيح وأمه منكرا! ولم تعد استغاثة الشيعة بالحسين وبـ «صاحب الزمان» منكرا!

هل يمكن للنبي ﷺ سماع أدعية آلاف ممن يدعونه في وقت واحد من مناطق مختلفة؟ أوتعتقدون أن نبينا لا يُشغلُه سمعٌ عن سمع؟ ويسمع من يناديه ولو من مكان بعيد، وتصير حواَسه بعد موته ترصد وتسمع من يدعوه بعد موته؟ وقد حكم علماء الأحناف بكفر من اذا تزوج امرأة بغير شهود فقال: إن الله ورسوله شاهدان. وعللوا ذلك بأنه اعتقد أن رسول الله ﷺ يعلم الغيب، وهو ما كان يعلم الغيب حين كان في الأحياء فكيف بعد الموت[1].

وهل فسد دين المسلمين إلا بمخلفات التعصب والتقليد والعمى وهل مكّن الله للنصارى والباطنيين إلا لأن عقائد المسلمين صارت تشتمل على بعض ما عند النصارى واليهود والباطنية!

ولا ننسى أن أول من أحدث بناء القباب والمشاهد وأسموها زوراً (مساجد) هم العبيديون أبناء اليهودي عبيد الله القداح. وزعموا أنهم فاطميو النسب، واستطاعوا في خلال خمسة قرون حكموا فيها العالم الاسلامي أن يملؤوه من هذه الأضرحة التي لا يكاد يخلو منها مسجد.

---

١) الفتاوى البزازية ٥٧٦/٣ والبحر الرائق ٨٨/٣ والمسايرة لابن الهمام ٢١١-٢١٢ الفتاوى الهندية ٢٦٦/٢.

حتى صرنا نرى للحسين والسيدة زينب عدة أضرحة في مصر والعراق وكربلاء وغيرها. وهؤلاء الأحباش إنما يعيدون إحياء هذه اللوثة الباطنية العبيدية والتنقيب عن الأدلة لتشريعها وتسويغها بين الناس.

الاسباب يجب أن تكون مشروعة

وزعم الحبشي أن الله جعل الأولياء أسباباً لنا ندعوهم ونستغيث بهم، وأن ذلك يجوز من الموحّد ما دام يعتقد أن الضّرّ والنفع بيد الله. أما إن كان يعتقد أن غير اللهَ ينفع أو يضر من دون الله فقد وقع في الشرك.

إن هذا هو الافتراء على الله، قال تعالى ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾ ولا يجوز جعل شيء سبباً إلا بتوقيف من الشرع وبعلم، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم كان مبطلا بل داعية بدعوى الجاهلية، فإنه لم يجعل الاستغاثة بغير الله سبباً الا عُبّاد الأصنام حيث زعموا أن وساطة الصالحين سبب تحصل بها القربى الى الله ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى﴾ [الزمر] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾. فهم اخترعوا سببا ما شرعه الله لهم سببا.

والأسباب تنقسم الى نوعين: سبب مشروع وسبب محرم.

فكل ما شرعه الله ورسوله فهو سبب مشروع، وما لم يشرعه فليس من الأسباب ولا الوسائل. والله لم يشرع لنا أن نسأل غيره. فقد قال ﴿أدعوا ربكم﴾ وقال ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو﴾ وقال ﴿واسألوا الله من فضله﴾ ولم يقل واسألوا الرسول من فضل الله وقال ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ وقال رسوله ﷺ «اذا سألت فاسأل الله» ولم يسمح لنا أن نسأل الأسباب مع المسبب:

فكيف يقال بعد هذا: إن سؤال غير الله سبب مشروع؟ من الذي شرعه: آلله أذن لكم أم على الله تفترون؟ لو جعلها أسباباً لنص عليها ورغّب فيها، ولكن لا دليل من القرآن ولا من السنة ولا من عمل السلف على مشروعية ذلك.

أسبابكم غير مشروعة

لو كانت أسبابكم شرعية لسارع الصحابة الى التمسك بها ولما تركوا دعاء الرسول بعد موته واتخذوا من دعاء العباس سبباً مشروعاً لهم، الأمر الذي يؤكد أن مفهوم الأسباب الشرعية عند الصحابة هو طلب الدعاء من المتوسل به بحياته ويكون ذلك في حياته وأما ما سواه فهي أسباب غير مشروعة. وهذا يثبت مخالفة فهمكم لما فهمه السلف حول الأسباب الشرعية.



نعم قد تكون الاستغاثة بالميت سبباً لكشف الضر: مثل كون السرقة سبباً لكشف الفقر وحصول الرزق. ومثل كون شهادة الزور سببا لتحصيل المال. ولهذا حرّم الله من الأسباب ما كانت مفسدته راجحة على مصلحته.

فكلا السببين حرام، مع فارق أن السرقة وشهادة الزور أهون عند الله من الشرك والاستغاثة بمن شهد أنه لا يملك لنا من الله شيئا.

ولو كان دعاء غير الله من عقيدة الفرقة الناجية لاشترك النصارى والروافض مع الفرقة الناجية لأن دعاء غير الله والاستغاثة بالأضرحة والمزارات عقيدة مشتركة بين الملل الثلاثة: الحبشية والرافضية والنصرانية.

فهذا دليل على اتفاق الحال بينكم وبين المشركين أن ما تطلبونه منهم هو عين ما كانوا يطلبونه من أصنامهم من كشف الضر والنصرة على العدو وقضاء الحاجة. فاتفقتم معهم في أمرين:

١ - أنكم تطلبون من الصالحين ما كانوا يطلبونه منهم.

٢ - أنكم تطلبون من غير الله.

ولكن أعظم الأسباب النافعة: إخلاص العبادة لله. وفي الشرك الضرر في الدين والدنيا. لأن النبي ﷺ أخبر أن شفاعته تنال من حقق التوحيد وابتعد عن الشرك، قال « فهي نائلة ان شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» [1] فتأمل كيف جعل الله تحقيق التوحيد من أعظم أسباب نيل الشفاعة.

حججكم وحججهم واحدة

○ ومن عقيدة الحبشي أن المسبب هو الله عز وجل وأنه لا يجوز الالتفات الى الأسباب، فما له يلتفت الى السبب هنا وقد نُهي عن ذلك بأن أمره الله أن لا يدعو الا اياه، فهو وأمثاله طبائعيون في الاستغاثة والدعاء. يجعلون الأسباب شريكة مع مسبِّبِها.

○ نعم، نحن لا ننكر إضافة الأشياء الى أسبابها، ولكن لا يعني ذلك سؤال الأسباب من دون الله. فالله جعل الريح سبباً لجلب السحاب والسحاب سبباً لنزول المطر **﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾** فهل تجيزون لأنفسكم أن تسألوا الرياح من دون الله أن تسيّر لكم سحاباً؟

١) رواه مسلم (١٩٩).

الأولياء يتصرفون في الأكوان

بقي الأحباش لسنوات طويلة يحثون الناس على قراءة كتاب (البرهان المؤيد) للرفاعي على أنه الكتاب الذي يمثل عقيدة التوحيد.

فانظروا الى التوحيد في هذا الكتاب (ص ٩٤) منه أن الله « صرّف الأولياءَ في الأكوان وجعلهم يقولون للشيء كن فيكون».

- وزعم النبهاني أن أحد «الأولياء» قال « تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدّباً مع الله»[١].

وزعم أن علي بن أبي طالب قال لعمر النبتيني « أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني **وقل له يتصرف في الكون**»[٢].

- وذكر الصيادي أن أحمد الرفاعي قال « واذا صرّف الله تعالى الوليَّ في الكون المطلق صار أمره بأمر الله اذا قال للشيء كن فيكون»[٣].

- وزعم هو والشعراني أنه جاء في بعض الكتب الالهية أن الله قال: يا بني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم وأجعلكم تقولون للشيء كن فيكون[٤].

- وذكر السيوطي أن الله أذن للأنبياء بالخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي[٥].

- وقد نص القرافي أن هذا كفرٌ صريح كما نقل عنه ابن حجر الهيتمي « وقد وقع هذا لجماعة من الصوفية يقولون: فلان أعطِي كلمة (كن): **وهذا كفر**».

- وذكر محمد بن علوي مالكي أن النبي ﷺ « حي الدارين، دائم العناية بأمته: متصرف بإذن الله في شؤونها: خبير بأحوالها»[٦] وأنه لا ملاذ ولا ملجأ الا الى النبي ﷺ وأنشد يقول[٧]:

هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له   الا جنابك يا سؤلي ويا أملي

وأنه لا له فرار ولا ملاذ ولا عصمة الا بمحمد ﷺ وكأنه نسي قول الله تعالى ﴿ففروا الى الله﴾ فقال[٨]:

وليس لنا الا اليك فرارنا   وأين فرار الناس الا الى الرسل!

---

١) جامع كرامات الأولياء ١٥٨/٢.

٢) جامع كرامات الأولياء ١٣٥/٢ وانظر ٣٢/١.

٣) قلادة الجواهر ٧٣ و١٤٥ المعارف المحمدية ٤٧ البرهان المؤيد ٩٤ وذكرها النبهاني عن ابن عربي ٣٢/١.

٤) قلادة الجواهر ١٤٧ طبقات الشعراني ١٤٢/١.

٥) الحاوي للفتاوي ٢٦٣/٢.

٦) مفاهيم يجب أن تصحح ص ٩١.

٧) الذخائر المحمدية ص ١٠١.

٨) الذخائر المحمدية ١٣٣ وانظر ١٦٤.

شهادة للشيخ الفاخوري

لماذا أسقطها الأحباش من كتابه ؟

وقد شهد مفتي بيروت الشيخ عبد الباسط فاخوري [١] بمشابهة كثير من المسلمين بالمشركين الأوائل فقال بأن « أكثر العوام من جهة الاسلام قد تغالوا وافرطوا وابتدعوا بدعا تخالف المشروع من الدين القويم فصاروا يعتمدون على الأولياء الأحياء منهم والأموات معتقدين ان لهم التصرف وبأيديهم النفع والضر ويخاطبونهم بخطاب الربوبية وهذا غلو في الدين القويم وخروج عن الصراط المستقيم». ولكن هذا النص وغيره قد حذفه الأحباش، وهي خيانة علمية سجلها لهم التاريخ.

---

١) عن كتابه تحفة الأنام مختصر تاريخ الاسلام الذي تعرض للتحريف من قبل الأحباش فحذفوا صفحات من الكتاب بكاملها كما سيأتي بالتفصيل.

من صفات الأولياء المقبورين

تأمل كيف يحاول المبطلون إغراءك بدعاء أوليائهم من دون الله، فيزعمون أنهم اوتوا مفاتح الغيب، وأنهم يتصرفون في الأكوان ويسمعون، وفي قبورهم مراقبون لمريديهم، وتارة أنهم يحضرون مجالس الذاكرين، بل وأنهم صاروا صفة من صفات الله؟.

بل منهم أصحاب مراتب عليا أوكل الله اليهم إمساك الأرض من زواياها.

كل ذلك لتتعلق بهم قلوب العوام رغبة ورهبة، إذ لو تجرد الولي عن هذه الصفات لما توجه المحتاجون المكروبون بالدعاء اليه.

فلهذا لقبوا الرفاعي بالغوث الذي تستغيث به الخلائق وتخطو الى قبره عند الدعاء ثلاث خطوات على نية رجاء قبول الدعاء؟ وأن للأولياء صعودا ونزولا من وإلى العرش وأنهم يغيرون ما في اللوح المحفوظ! وأن الوصول الى الله لا يتم الا بوضع صورة الولي في مخيلة الذاكر.

ويوم القيامة يُصوّر لكل أمة ما كانت تعبد فتتبع الصورة التي كانت تعبدها في الدنيا فتودي بها الى نار جهنم جزاء وفاقا.

والنقشبندية الذين يجعلون من أصول الذكر للمريد: أن يضع بين عينيه وفي مخيلته صورة الشيخ لأنه وسيلته الى الله [١]، سيتبعون صورة الشيخ في الآخرة فتنتهي بهم الى حيث ينتهي مصير الشرك.

وقد جاء في البحر الرائق [٢] الحكم بالشرك على من ادعى التصرف للأولياء.

---

١) رسالة في تحقيق الرابطة ٩ لخالد البغدادي النقشبندي. المواهب اللدنية في مناقب الطريقة النقشبندية ٤٩٤ السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية ٧٨ تنوير القلوب للكردي ١٤٥ و٥١٧ البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية ٤٢ نور الهداية والعرفان في سر الرابطة وختم الخواجكان ٣٨.

٢) ٢/٨٩٢.

ماذا بعد الاستغاثة بالنبي ﷺ
الرفاعية والاستغاثة بغير الله

وبلي الاستغاثة بالنبي استغاثة بكمٍّ هائل من الأولياء ومشايخ الطرق واستعطاف الأموات عند قبورهم لاستمداد البركات منهم.

فالرفاعية الذين يفخر بهم الحبشي يرفعون شيخهم الرفاعي الى مرتبة «الغوثية» ويمنحونه صفة «غوث الثقلين» (١) فالمظلوم يستغيث به، حتى النعجة التي ينقض عليها الذئب تستغيث بالرفاعي وتناديه بلغتها «يا سيدي أحمد» (٢) وزعم الصيادي أن الرفاعي قال (٣):

من لاذ فينا اكتفى عن غيرنا أبدا
وجاء في ركبنا بالأمن من ندم
فالجأ بأعتاب عزتي والتمس مددي
وطف ببابي وقف مستمطرا نعمي

وينشد الصيادي هذه الأبيات فيقول:

يا رفاعي وقعت في أعتابك
فتدارك عبدا يلوذ ببابك
يا رفاعي يا غوث كل البرايا
لا تضيع طفلا جميل الرجا بك
أنت حصن الملهوف والباذل الـ
معروف والعاجزون من أحزابك
وأنا عبدك الذي باعتقاد
علقت راحتاه في أثوابك
فتحرك بهمة وأغثني
وتذكر تشرفي بانتسابك (٤).

ويقول (٥):

لك يا غوثاه تصريف الزمان
حيث أنت المرتجى في كل آن

ويقول (٦):

غوثاه بالمصطفى وبالمرسلين وفي
كل الصحابة أهل المجد والهمم

---

١) روضة الناظرين ٩٥.
٢) المعارف المحمدية ٧٢.
٣) قلادة الجواهر ٢٣٣.
٤) الكنز المطلسم ٦١.
٥) العقود الجوهرية ٢٤.
٦) ديوان الفيض المحمدي ١٢٦.

أسرع [1]وقم واكفني شر الزمان وجد
عطفا بنظرة لطف تحي لي عدمـــــــي

ويقول [2]:

توسل يا أبا العلمين عن النبي بنيل مأربي القصـــــــي
لأنك يا رفاعي القوم غوثـــــي وواسطتي لوالدك النبـــــي
وأنت (ملاحظي) في كل حال فداركني وشيد أركان حبي

وينقل الوتري مخاطبة أحدهم رسولَ الله: [3]:

وأنت أرحم من لاذ المسيء به
وخير من يرتجى ان جدت الكرب

فماذا بعد هذا الشرك أن يصرح بأنه ﷺ أرحم ملجأ وخير مرتجى، وقد كان هو ﷺ إذا أحزنه أمرٌ قال «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» [4].

يدعون الله ليقربهم الى الأنبياء زلفى

وقد بلغ الشرك بهؤلاء أنهم يسألون الله أن يعطّف ويحنّن قلوب مشايخهم « أحياءً وأمواتاً» عليهم حتى يلتفتوا اليهم ويلاحظوهم.

فجعلوا الله وسيلة تقربهم الى المشايخ والأولياء زلفى: وهذا شرك لا نعرفه عن أبي جهل، فهل كان لفظ (المدد يا رسول الله) شائعاً بين الصحابة؟ من منهم وصف النبي ﷺ بأنه غوث الثقلين، ويختص به شيخكم الرفاعي حتى قلتم أن الجن والانس تستغيث به، بل حتى النعجة التي يهجم عليها الذئب تصيح وتقول خلصني يا سيدي أحمد؟

لماذا يستحق شيخكم الرفاعي هذا اللقب ولم يتصف به خير هذه الأمة.

وهل علم ﷺ أصحابه أن يستغيثوا بالأنبياء الأولين أويظن هؤلاء أن محمداً كان أول الأنبياء على الأرض وأن صالحي هذه الأمة أول الأولياء على الأرض أولم يعلموا ببعض من سبقهم من الأولياء كالخضر مثلا الذي يستغيث به الصوفية ويزعمون رؤيته والاجتماع به غدواً وعشياً[5].

---

1) لاحظ كيف يتوسل بالمخلوق الى المخلوق زلفى. وهذا شرك غفل عنه أهل الجاهلية الأولى.
2) ديوان الفيض المحمدي ١٢٧.
3) روضة الناظرين ١٠٤ و ١٠٦.
4) رواه الترمذي والحاكم (٥٠٩/١) وهو حديث حسن.
5) فائدة: قال الشيخ محمد بن درويش الحوت « حياة الخضر: لم يرد في حياته شيء يعتمد عليه» (أسنى المطالب ٦١٦).

ومن الشرك الذي يفوق شرك أهل الشرك القدامى ما يرويه الصيادي عن علي بن عثمان خليفة الرفاعي أنه قال «يا سادة، من كان منكم له حاجة فليلزمني بها، ومن شكا الى سلطانه أو شيطانه أو زوجته أو دابته أو أرضه ان كانت لا تنبت، أو نخلة لا تثمر، أو دابة لا تحمل: فليلزمني بها فاني مجيب له»[١].

ويروي النبهاني أن الشيخ جاكير الكردي كان يقول للناس «إذا وقعتم في شدة فنادوا باسمي» فكانوا في مركب فهبت الريح بهم وتلاطمت الأمواج فاستقبلوا العراق جهة مكان الشيخ ونادوه باسمه فسكنت الريح. فشعر الشيخ باستغاثتهم به فأشار بكمه الى الجنوب فهبت ريح طيبة وأوصلتهم الى البر[٢].

وذكر النبهاني أن تجار اليمن كانوا يستغيثون بأبي الغيث اليمني في شدائد البحر ومضايق البر[٣].

بعد هذا ينكر الأحباش على مؤلف كتاب «كيف نفهم التوحيد» قوله إن أبا جهل أكثر توحيداً من الذين يقولون لا اله الا الله في زماننا، وقد اقتطعوا كلامه، ولم يكملوا عبارته التي ذكر فيها أنه كان في مركب وهبت بهم الريح فصار الناس يستغيثون بالجيلاني بدلاً من التوجه الى الله القائل **﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين: فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون﴾** ويقول **﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين. لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾** فأولئك دعوه مخلصين له الدين. وهؤلاء دعوا الجيلاني فأي الفريقين على التوحيد؟!

---

١) قلادة الجواهر ٣٢٣ روضة الناظرين ٨٤ جامع الكرامات ١٦٢/١.
٢) جامع كرامات الأولياء ٣٧٩/١ وانظر ٦٦/٢.
٣) جامع كرامات الأولياء ٢٣١/٢.

لا تتبعوا خطوات الشيطان

هؤلاء المجادلون المشوشون يبدأون تشويشهم خطوة خطوة:

المرحلة الأولى: ما المانع من التوسل بالنبي ﷺ الى الله.
المرحلة الثانية: ما الفرق بين النبي وبين الصحابي والتابعي؟
المرحلة الثالثة: ما الفرق بين الصحابة وبين الأولياء؟
المرحلة الرابعة: تعلمون أن النبي ﷺ حيٌّ في قبره، إذن فهو يسمع كلامنا وقد أوكل الله له ملكاً يسمعه كلامنا فلماذا لا نستغيث به وهو المقرب الى الله صاحب الجاه عنده؟

المرحلة الخامسة: أليس ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي؟ إذن فهؤلاء الأولياء مكرَّمون في قبورهم لهم من الأحوال ما للأنبياء فلماذا لا نستغيث بهم.

وهكذا خطوات تدريجية نحو الشرك قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾.

مراتب الأولياء وخصائصهم

○ ونسب منحرفو الصوفية إلى الأولياء ما لم يخطر ببال المشركين الأوائل، فجعلوا السموات والأرض تقوم بهم:

فالنقباء ثلاثمائة: وهم الذين نقبوا الكون وخرجوا الى فضاء شهود المُكوِّن ومسكنهم المغرب.

والأبدال أربعون: «الأبدال» ومسكنهم الشام.

والأخيار سبعة: وهم السياحون في الأرض.

والأوتاد أربعة: موزعون على أربع زوايا من الكون ليكونوا ركنا له. فهؤلاء هم الذين يثبتون الأرض ويحفظونها من الجهات الأربع.

والنجباء مشغولون بحمل أثقال الخلق من الأشياء التي لا تفي القوة البشرية بحملها.

والنقباء مشرفون على بواطن الناس وخفايا الضمائر.

والحواريون اثنان: وكان منهم في زمن الرسول ﷺ الزبير.

والقطب أو الغوث: ويكون واحداً **وهو القائم بحق الكون** والمكون. وهو يسري في الكون سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعظم... فهو **يفيض** روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل»[1].

إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان. وأجبتم قوله تعالى ﴿**ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده**﴾ فقلتم: يمسكها القطب والبدل والوتد والنجب... الخ.

كيف يكون لهؤلاء هذا التصرف المزعوم، وقد قال سيد ولد آدم ﷺ « لا أملك لكم من الله شيئا». إن سموم عقائد الأمم الأخرى قد دست بين المسلمين وتسرب اليهم كثير من عقائد الشيعة فيجب مجاهدة هذه السموم حتى ينصرنا الله.

---

١) أنظر التعريفات للجرجاني ٣٥ و٣٩ و١٧٧ و٢٣٩ و٢٤٥.

غاية التوحيد عند الحبشي

غاية الايمان والمعرفة عند المبتدعة الاعتقاد بأن الله موجود كقول أحمد الرفاعي «غاية المعرفة بالله الايقان بوجوده تعالى» (١).

ولما اعتقد الحبشي أنه يكفي للموحّد أن يعلم أن العالَم مُحدَث غيرُ قديم، وأن له مُحدثاً أوجده من العدمَ: لم يعد يرى دُعاء غير الله والاستعانة والاستغاثة بغيره شركاً يناقض التوحيد، فوقع في الفخ الذي أوقع الشيطان به المشركين الأوائل.

ثم توصل الحبشي - وسلفه من المتكلمين - بعد البحث والتنقيب الى اكتشاف توحيد الربوبية، وأخذ يتكلف الأدلة في إثبات وجود الله وإثبات وحدانيته في الخلق. وفسر (لااله الا الله) بمعنى «لا ربّ الا الله لا خالق الا الله» (٢) والذي معناه عنده «لا مساهم مع الله في اختراع المصنوعات وتدبير المخترعات» (٣)أي هو الخالق الرازق وحده دون سواه.

ثم صار معنى الاله عندهم: القادر على الاختراع وليس بمعنى المعبود كما قاله الرازي وحكاه البغدادي عن الأشعري (٤).

وهذا ما جعل الحبشي وأضرابه يعتقدون أن القول بتوحيد الربوبية هو إقرار بتوحيد الألوهية (٥). وترتب على ذلك اعتقاد أن من أقر بأن للكون رباً واحداً فلا يتصور وقوع الشرك منه.

وهذا باطل فإنه لم يأت الاله بمعنى المخترع لا في كتاب الله ولا في لسان العرب ولم يقل به أحد من اللغويين المعتبرين. وإنما هو حال من يقصرون اللفظ على بعض أفراده فيفسرون الكلمة ببعض معانيها، والقدرة على الخلق بعض صفات ولوازم الألوهية لله. إذ من كان إلـهاً فلا بد أن يكون صانعاً قادراً متصفاً بالقدرة.

---

١) شريط مجالس الهدى ٢٩٨/١٠.

٢) بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب ٧ ط. ١٤٠٧ بيروت.

٣) الدليل القويم ٣٣.

٤) لوامع البينات شرح أسماء الله ١٢٤ وأصول الدين للبغدادي ١٢٣.

٥) نشرة شئون الخارج ص ٧ ١ وانظر شرح مختصر الهرري ص ٣ كتبه نبيل وأخوه عبد الرزاق الشريف.

هل كان على الأنبياء أن يعلموا الناس وجود الخالق!

وليس خافياً أن المشركين في عهد النبي ﷺ لم يكونوا يخالفون من يقول ذلك، بل قد أقروا أن الله خالق كل شيء ﴿**قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله**﴾ ﴿**قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون: سيقولون لله**﴾.

والأنبياء ما جعلوا أول دعوتهم الى الايمان أن الكون مخلوق وأن الله خالقه، فإن هذا شيء فطر الله الناس على معرفته، ولو فرضنا أن ربوبية الله لم تكن أمراً فطرياً عند المشركين لقالوا للأنبياء عند قولهم ﴿**اعبدوا الله**﴾ نحن لا نعرفه أصلا ولا نعتقد بوجوده فكيف تأمروننا بعبادة من لا نعترف بوجوده أصلا؟

وبما أنهم لم ينازعوا في ذلك اللهم الا فرعون الذي قال له موسى ﴿**لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض**﴾ عُلِمَ حينئذ أن معرفة ربوبية الله معرفة فطرية لم يأت البشر من أجلها، وهذا ما أكدته الآيات القرآنية ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله**﴾ [لقمان ٢٥ - الزمر٣٨]. قالها المشركون وأقرّوا بها ولم يصيروا بها موحدين.

قال تعالى ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون**﴾ قال ابن عباس « من إيمانهم أنه اذا قيل لهم من خلق السموات ومن خلق الأرض ومن خلقَ الجبال؟ قالوا: الله. وهم به مشركون» [١]. فأثبت الله لهم إيماناً ولكن لا نفع فيه، لأنهم ما اكتسبوه بعملهم وإنما هو إيمان فطري.

واذا جاز أن يكون عند العبد شيء من إيمان ولكن لا ينفعه، فكذلك جاز أن يكون عنده بعض التوحيد (الربوبية الفطري) لا يكمل به التوحيد ولا ينفع الا باتصاله بتوحيد (الألوهية الكسبي).

قال تعالى ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم**﴾ ثم شهد على من أشرك منهم أنهم يعلمون توحيد الله في الخلق والرزق فقال ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾ عن ابن عباس في تفسير هذه الآية

---

١) فتح الباري ٤٩٥/١٣ وحسّن الحافظ ابن حجر إسناده.

«أي أشباهاً»[1]. وقال في قوله تعالى ﴿**وأنتم تعلمون**﴾ « أي كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا الي العبادة ولا تجعلوا لي شريكاً ونداً من خلقي فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني... ولا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره»[2].

ومن هنا قرر الطبري أن العرب «كانت تُقرّ بوحدانية الله غير أنها كانت تشرك في عبادته فقال جل ثناؤه ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**﴾ وقال ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله**﴾[3].

السيوطي يصرح بالحقيقة التالية

قال السيوطي « ولم يكن كفرهم [أي المشركون] إنكاراً للصانع ولألوهيته، ولا ادعوا في الأصنام أنها تخلق وتدبر، بل كانوا يقرون لله بالالهية وأنه الخالق المدبر كما قال تعالى ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**﴾ وكانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم عند الله ﴿**ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**﴾ وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك» كما قال تعالى ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون**﴾.

أضاف « فعرف بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار لوجود الصانع، وأن ذلك صادر عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام»[4]. انتهى.

ثم نقل عن الشهرستاني ما نصه «وكانوا [أي المشركون] يطوفون ويسعون ويلبون ويفعلون المناسك كلها ويهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الأشهر الحرم ويغتسلون ويغسلون أمواتهم ويكفنونهم، وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التي ابتلي بها ابراهيم عليه السلام، ويوفون بالعقود ويكرمون الضيف ويقطعون يد السارق، وكان

---

١) فالشرك تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص ألوهيته من ملك الضر والنفع. فأنتم مشبهة مجسمة تلبسوننا ثوبا أنتم تلبسونه.

٢) تفسير ابن جرير الطبري ١: ١٢٧.

٣) تفسير ابن جرير الطبري ١: ١٢٧.

٤) كتاب التعظيم والمنة ص ١٧٦-١٧٧ (ضمن الرسائل التسع).

دين ابراهيم قائماً والتوحيد شائعاً في صدر العرب»[١].

الدهلوي يصرح بهذه الحقيقة

زاد الدهلوي على ذلك « والغسل من الجنابة واستقبال الصلاة والاختتان والوضوء والصوم من طلوع الفجر الى غروب الشمس وكان تحريم الربا والزنا ...».

أضاف « وقد كانت عقيدة إثبات الصانع سبحانه وتعالى وأنه هو خالق السموات والأرضين... ثابتة فيما بينهم، ويدل على ذلك أشعارهم»[٢].

وذكر من أنواع الشرك: إثبات صفة من صفات الله الى غير الله وأنه متصرف في الكون ويقول للشيء كن فيكون. وهي من أعظم البلايا المنتشرة عند الصوفية يثبتونها لأوليائهم.

وصدق رحمه الله فإنه لما حاصر أبرهة الكعبة قال عبد المطلب « إن للبيت رباً يحميه» ولما دعا النبي ﷺ على طواغيت قريش « اللهم عليك بقريش» فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته. جاء في رواية البخاري « وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة»[٣].

قال المقريزي [٤] « ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والأرض، وإنما أنكروا توحيد الألوهية، فمن عدل به [أي توحيد الألوهية] فقد أشرك في ألوهيته: ولو وحّد ربوبيته، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الاسلام «لا اله الا الله». ولو قال «لا رب الا الله» لما أجزأه عند المحققين. فتوحيد الألوهية هو المطلوب من عباد الله»[٥].

---

١) التعظيم والمنة ١٩٥.
٢) الفوز الكبير في أصول التفسير ١٢-١٣.
٣) أخرجه البخاري رقم (٢٢٠) ومسلم (١٧٩٤).
٤) قال عنه الحافظ ابن حجر « كان إماماً بارعاً مفتياً متقناً ضابطاً ديّناً خيّراً محباً لأهل السنة» (أنظر أنباء الغمر ١٧٠/٩ والضوء اللامع ٢١/٢ والبدر الطالع ٧٩/١).
٥) تجريد التوحيد للمقريزي ص ٥ و٢٠.

أول الواجب عند المعتزلة

ولما صار أول الواجب على المكلف عند المعتزلة هو النظر (أي أن يعلم أن له رباً) غاب عنهم الواجب الحقيقي الأول الذي خلقهم الله من أجله: وهو تحقيق عبودية الله وحده، والحذر من مطبات الشرك وكمائنه بل صاروا هم الدعاة الى ذلك، وصار كثير من مشايخ السوء يبررون للعوام كثيراً من الشركيات التي يقعون فيها.

وقول المعتزلة بأن أول الواجب على المكلف هو النظر تلقفه الأشاعرة [1] فهو من أصول المعتزلة بقي في مذهب الأشاعرة [2]. وهذا المتبقي من مذهب المعتزلة هو مذهب الحبشي [3].

- قال الحافظ ابن حجر « وقد اعترف أبو جعفر السمناني وهو من رؤوس الأشاعرة وكبارهم بأن هذه المسألة من مسائل المعتزلة بقيت في المذهب» [4].

ولقد سفّه أبو المظفر بن السمعاني هذا المبدأ الاعتزالي ووصفه بأنه قول مبتدع لم يعرفه السلف الذين كانوا يدعون الى الاسلام وكان أول ما يدعون اليه الكافر: الشهادتين، فهما أول الواجب [5]. ويشهد لذلك وصيته ﷺ لمعاذ « فليكن أول ما تدعوهم اليه لا اله الا الله.

- قال العز بن عبد السلام « ولا عدة بقول من أوجب النظر عند البلوغ على جميع المكلفين فإن معظم الناس مهملون لذلك غير واقفين عليه ولا مهتدين اليه، ومع ذلك لم يفسّقهم أحد من السلف والصالحين» [6].

- وقال الغزالي « ذهبت طائفة الى تكفير عوام المسلمين لعدم

---

١) أنظر إظهار العقيدة السنية ٢٧ فتح الباري ١/٧٠ الانصاف للباقلاني تحقيق حيدر ٣٣ المحصل للرازي ٦٦ التوحيد للماتريدي ٣ جوهرة التوحيد ٣٠ الانصاف للباقلاني ٣٣ الارشاد ٣ الشامل ١٢٠ للجويني المواقف للايجي ٣٢ نهاية المرام ١٤٩ ونهاية الاقدام ٩٠ للشهرستاني.

٢) أنظر شرح الأصول الخمسة ٣ والمجلد الثاني عشر من كتاب المغني « النظر والمعارف» الارشاد ٨ المواقف للايجي ٦٣.

٣) إظهار العقيدة السنية ٢١.

٤) فتح الباري١/ ٧٠ و٣٤٨/١٣.

٥) مختصر الانتصار لأهل الحديث. اختصره السيوطي في صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ١٧١-١٧٢.

٦) القواعد الكبرى ١٧١.

معرفتهم أصول العقائد بأدلتها : وهو بعيد عقلا ونقلا» [1].

وليس هذا المتبقي الوحيد عند الأشاعرة من المعتزلة، وإنما هناك كثير من مخلفاتهم بقيت في المذهب الأشعري منها :

إثبات الرب بطريقة حدوث الأجسام.

إثبات وجود الأعراض التي هي الأكوان من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون.

إثبات حدوث الأعراض. وأن الأجسام لا تخلوا عن الأعراض.

ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

ذلك أن الأشاعرة اعتمدوا في الرد على خصومهم على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطرهم اعتمادها الى تقليدهم.

---

١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٣٦٤.

مقولات الرازي وتناقضات الأشاعرة

وتناقض الأشاعرة فيما بينهم: فقد استعرض الرازي عقائد أهل الصين والهند واليونان والترك والقبط والحبشة والزنوج، وصرح بأنهم كلهم يعتقدون بوجود الإله المدبر الحكيم.

ثم انتقل الى العرب فقال « أهل الجاهلية: وهم العرب الذين كانوا موجودين قبل ظهور الاسلام، وكلهم كانوا مطبقين على الاقرار بوجود الإله، والدليل عليه قوله تعالى **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾** الى أن قال « فهذا هو ضبط أصناف أهل الدنيا وكلهم مطبقون على وجود الاله» [1].

وهذا رد على من زعم أنهم لم يكونوا جادين فيما يحكي ربنا عنهم كما ادعاه محمد علوي [2]. ويبطله قول السلف الذي نقلناه وإطباق المفسرين على خلاف قوله كقول الطبري « كانت العرب تُقِرُّ بوحدانية الله غير أنها كانت تشرك في عبادته»[3].

وإنما كان شركهم كما قال ابن قتيبة « قولُهم: يا آل فلان، وانما هو استغاثتهم» [4]. والقرآن أثبت جديتهم فقال **﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون﴾**.

فهذا القول من علوي تلاعب بكتاب الله، إذ ماذا يقول فيمن قال: إن الذين نقل الله قولهم **﴿إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر﴾** كانوا هازلين غير جادين!

○ وقال الرازي عن وحدانية الله « إعلم أنه ليس في العالم أحد يثبت لله شريكاً يساويه في الوجود والقدرة والعلم والحكمة، وهذا مما لم يوجد الى الآن، لكن الثنوية يثبتون إلهين، أحدهما حكيم يفعل الخير، والثاني سفيه يفعل الشر، وأما الاشتغال بعبادة غير الله ففي الذاهبين اليه كثرة» [5].

---

1) المطالب العالية ١/٢٥١-٢٥٢.
2) مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي مالكي ٣٦.
3) الطبري ١:١٢٨.
4) غريب القرآن لابن قتيبة ٤٣.
5) التفسير الكبير للرازي ١٣/٣٧ وانظر ٢/١٢٢.

أول الواجب عند الغزالي: الشك

وبينما يصرح الرازي والشهرستاني أن معرفة الله فطرية مخالفين بذلك آخرين في المذهب كأبي المعالي الجويني [١]:

يأتي الغزالي بنظرية عجيبة تناقض مقولة المعتزلة والأشاعرة (أول الواجب على المكلف : النظر) فيزعم أن أول الواجب على المكلف: الشك. قال « إذ الشكوك هي الموصلة الى الحق. فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال» [٢].

○ وبعد أن استعرض الرازي طريقة القرآن في إثبات ألوهية الله نقض طريقة المتكلمين التي كان هو عليها بأنه قد « انفتحت بسببها أبواب الشبهات وكثُرت السؤالات» قال « ومن جرب مثل تجربتي علم أن الحق ما ذكرته، ولما ثبت أن هذا الطريق الذي ذكره الله في القرآن أنفع وفي القلوب أرَجح» [٣].

---

١) الارشاد ص ٣ ونهاية الاقدام ص ١٢٤ وانظر ما نقله الحبشي عن الرازي في الدليل القويم ص ٢٥.
٢) ميزان العمل ١٣٧ دار الكتاب العربي.
٣) المطالب العالية ١/٢٣٦.

الشيطان والمشركون يقرون بالربوبية

ومن ظن أن المشركين لا يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق وحده فقد جهل القرآن وما كان عليه المشركون.

قال تعالى ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾ (الزخرف ٧٨) وقال ﴿**قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله**﴾ [يونس٣١]. وهذه الآية:

إما أن تكون تقريراً في صورة استفهام يفيد تحدي الله لهم بأن يقولوا: نعم، نؤمن بأن أصنامنا خالقة معك، وهم لم ولن يقولوا ذلك.

وإما أن تكون الجملة استفهاماً محضاً، وهذا غير ممكن.

فهم يعترفون بأن الله هو الرب وحده ثم مع ذلك يشركون به.

وانما كان شركهم شرك شفاعة وتوسل الى الله بالصالحين أنبياءً وأولياءً لمكانتهم ووجاهتهم عند الله، ومن هذا الباب جرى تعظيمهم والعناية بقبورهم حتى صارت عندهم موطن الصلة بين العباد وبين ربهم.

ولو كان مشركو قريش يعتقدون أن الأحجار والأصنام خالقون مع الله لصار القلم مرفوعاً عنهم لأنه لا يقول ذلك الا مجنون.

وقد أمر الله رسوله أن يسأل المشركين ﴿**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون**﴾ ثم قال ﴿**قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله: قل فأنى تُسحرون**﴾ [المؤمنون ٢٣].

- وقال قوم عاد لأنبيائهم ﴿**لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون**﴾ [فصلت ١٤]. فأثبتوا لله الربوبية مع أنهم مشركون.

- وقال قوم يس ﴿**ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء**﴾ فلم يجهلوا أن الرحمن من أسماء الله الحسنى.

- وهذا إبليس يقول ﴿**رب أنظرني إلى يوم يُبعثون**﴾ وقال ﴿**رب بما أغويتني**﴾ [الحجر ١٥] بل شهد لله بالعزة قائلا ﴿**فبعزتك لأغوينهم أجمعين**﴾.

وها هو صاحب الجنة يشهد بربوبية الله قائلا **﴿ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾** فلما أحيط بثمره قال **﴿يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾** فشهد على نفسه بأنه كان مشركاً بالرغم من شهادته لله بالربوبية.

وقال تعالى **﴿ذلكم الله ربكم فاعبدوه﴾** وهذا خطاب عام للمؤمنين والكافرين يثبت لنفسه الربوبية عليهم جميعاً ومن ثم يطالبهم بتحقيق توحيد العبودية أو الألوهية.

ومن هنا تعلم أن سر الخصومة والعداوة بين الأنبياء وبين أقوامهم كامن في توحيد عبادة من يقرون بوحدانيته في الخلق والرزق والايجاد.

ولو كان الشرك هو اعتقاد خالق آخر مع الله لكان الشرك نادراً والتوحيد غالباً. ولكن الواقع أن المشركين على اختلاف أصنافهم لا يقولون بخالق آخر مع الله اللهم الا النادر، وهذا باعتراف أئمة الأشاعرة كالرازي والشهرستاني.

وحتى المجوس لما قالوا بإلهين زعموا أن أحدهما إله قديم والثاني شيطان صانع للشر وهو حادث كما نص عليه البغدادي في أصول الدين (ص ٧١).

وإنما كان أكثر ما وقع فيه المشركون وأطال القرآن في بيانه والرد عليه هو شرك اتخاذ الشفعاء والوسطاء من الصالحين مع الله **﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾** ودعاؤهم من دون الله.

وكان قولهم **﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾** دليلا على أنهم لم يكونوا يعتقدون فيهم الخالقية، وقد سجل الله عليهم إقرارهم بأنهم ما يعبدونهم الا لسبب واحد فقط وهو أنهم يتوسطون بينهم وبين الله **﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾**

الربوبية غير الألوهية

التفريق بين الربوبية والألوهية تشهد به اللغة وكتب التفسير:

أما اللغة فتفرق بين كلمة (إله) بمعنى المعبود وكلمة (رب) بمعنى المالك للشيء والصاحب له.

وكتاب ربنا يشهد بذلك ﴿**قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس**﴾ ذكر الرب ثم المالك ثم الإله، فهاتان صفتان مختلفتان (الرب) و(الاله) وهذا ليس تكراراً لا فائدة منه وإنما يظهر به التفريق بين الربوبية والألوهية، إذ لو كان الرب والاله شيئاً واحداً لكان في الآية تكرار تنبو به عن حد البلاغة.

ومن أوجه التفريق الظاهرة في القرآن: تكرر قول الله ﴿**رب السموات والأرض**﴾ ﴿**رب العرش**﴾ ولم يقل مرة واحدة (اله السموات والأرض) (إله العرش) وإنما خص إضافة التأليه لمن أمرهم بتأليهه وعبادته كقوله ﴿**انما الهكم الله**﴾.

فالمشركون يقرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت. لكن المشكلة كانت في دعائهم غير الله واتخاذهم إلهاً آخر معه. وقد احتج الأنبياء عليهم قائلين: إذا كنتم تؤمنون بأن الله خالق السموات والأرض فلماذا اتخذتم من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلَقون؟

❑ وقد انشغل الأشاعرة والماتريدية بإثبات أن الخالق قديم وأن ما سواه مُحدَث حتى صار محور التوحيد عندهم، في حين يلاحظ المطالع للقرآن أن مسألة دعاء الله كانت هي محور التوحيد. وكل آيات القرآن تندد بالمشركين الذين يدْعون مع الله غيره، يؤمنون بالله اذا أُشرِكَ به، ويكفرون اذا دُعِيَ وحده كما قال تعالى ﴿**ذلكم بأنه إذا دُعِيَ اللهُ وحده كفرتم. وإن يُشرك به تؤمنوا! فالحكم لله العلي الكبير**﴾ وبسبب ذلك فارق فتية الكهف قومهم قائلين ﴿**ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من دونه إلهاً**﴾.

ومن كان في شك من ذلك فما عليه إلا أن يرجع الى «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن» (مادة: **دعا**) فيطالع الآيات ليتأكد له أن شرك أهل الجاهلية كان في دعائهم غير الله. وأنهم على جاهليتهم لم يكونوا يجهلون أن خالق السموات والأرض أزلي خالق مدبر وأن ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن.

وأول ما كان يدعو اليه الأنبياء: توحيد الله في عبادته ودعائه ﴿أعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [الاعراف٥٩]. ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي﴾ [مريم٤٨]. ما كانوا يدعونهم الى الايمان بأن الله هو خالق العالم وحده، ولم يكن أول دعوتهم «إعلموا أن الله موجود قديم وأن كل ما سواه مُحدث» ولم يجعلوا أول الواجب عليهم النظر الى معرفة الله. وإنما خالف المتكلمون منهج الأنبياء لأن معرفة الله عندهم تُكتسَب بالعقل، وقد أنساهم ذلك دورَ الفطرة، وفاتهم أن معرفة الله فطرية. وجعلوا معنى لا اله الا الله بمعنى لا شبيه له.

شرط جديد للصلاة عند المتكلمين

وصار أشرف العلوم عند أهل الكلام تعليم الناس أن الأرض غير أزلية وأن الحجر والشجر والبشر ليسوا قديمين حتى جعلوا ذلك شرطاً في الدخول في الصلاة:

فذكر القرافي [1] أن من المتكلمين من قال: يلزم المصلي عند الإحرام أن يذكر حدوث العالم وأدلته وإثبات الأعراض واستحالة قِدَم الجواهر وأدلة العلم بالصانع وما يجب لله وما يستحيل.

وزعم سليم علوان [2] أن صلاح الدين الأيوبي أمر المؤذنين أن ينادوا قبل الابتداء بالأذان (الله موجود بلا مكان).!

وإنما كان يذكّر الأنبياء أقوامهم بالميثاق الأول وأنه بناء على إقرارهم بربوبيته يجب أن لا يعبدوا سواه كما قال ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء﴾ ثم قال ﴿لا اله الا هو﴾ [غافر ٦٢]. فذكّرهم بتوحيدهم له في ربوبيته ثم احتج عليهم بوحدانيته في ألوهيته، ثم ربط بين ألوهيته ودعائه فقال ﴿هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾.

وحين تصدّى المشركون للأنبياء لم يكونوا ينكرون وجود الله، ولهذا صرح الشهرستاني بأنِ تعطيل العالم عن الخالق لا يراها مقالة لأحد ولا يعرف عليها صاحبُ مقالة، وإنما يُنقل ذلك عن شرذمة قليلة

---

١) الذخيرة للقرافي ١٣٦/٢ ط: دار الغرب.

٢) شريط سليم علوان ٣٨٢/١.

من الدهريين[1]. وانما امتنعوا عن تصديقهم استكباراً وعناداً لأنهم نهوهم عن دعاء غير الله واتخاذ شفعاء من دونه يدعونهم ويستغيثون بهم كما قال تعالى **﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾** (فاطر ١٤) وقال **﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين﴾** (الأعراف ١٩٤).

---

١) نهاية الاقدام ١٢٣-١٢٤.

أقسام التوحيد بين السلف والمتكلمين

وقد اعترض الحبشي على تقسيم التوحيد الى توحيد ربوبية وتوحيد الوهية وتوحيد أسماء وصفات واعتبر ذلك بدعة لا دليل عليها[١] ووصف كاتب حاقد تقسيم التوحيد الى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات بأنه مشابهة لعقيدة الثالوث عند النصارى.

❊ الجواب الأول

○ اذا كان تقسيم التوحيد عند أمثال هذا كالثالوث: فما الفرق بينه وبين ثالوث أهل الكلام الأشاعرة الذين قسموا التوحيد الى:

❊ واحد في ذاته لا قسيم له.

❊ واحد في صفاته لا شبيه له.

❊ واحد في أفعاله لا شريك له.

○ أن دليلنا على تقسيم التوحيد هو نفس دليلكم في تقسيم الكفر والتوحيد الى ثلاثة أقسام وعلى تقسيم البدعة، حيث حسّن الحبشي ما ذمه النبي ﷺ بقوله «كل بدعة ضلالة» وجزّأ ما لم يقبل التجزئة.

- أما تقسيمكم للكفرْ فقد جاء في مجلتكم (منار الهدى ٢/١٦ و٣٩) ما نصه «وهؤلاء فقهاء الاسلام الذين قسّموا الكفر الى ثلاثة أقسام أخذوا ذلك مما فهموا من القرآن». وذلك رداً على من طالب الحبشي بالدليل على تقسيم الكفر الى ثلاثة أقسام.

○ وأما تقسيم شيخكم التوحيد الى ثلاثة أقسام فهو مبنيٌّ على طريقة الفلاسفة كابن سينا والفارابي [٢] ويتفق تماماً مع تقسيم المعتزلة كما نجده عند القاضي عبد الجبار المعتزلي وبنفس اللفظ [٣].

حيث يقسّم التوحيد الى ثلاثة أقسام:

❊ واحد في ذاته لا قسيم له. بمعنى نفي الكثرة المصححة

---

١) سبقه الى ذلك صاحب كتاب براءة الأشعريين ٨٩.

٢) نهاية الاقدام ٩٩ الاشارات لابن سينا ٣:٤٤ فصوص الحِكم١٢٣ للفارابي.

٣) كتاب المغني ص ٢٤١ للقاضي عبد الجبار المعتزلي.

للقسمة. وفسّره بمعنى (الأحد) الذي لا ينقسم [1]، وهو من تعبير الفلاسفة كقول الفيلسوف الكندي «ولا ينقسم الله بنوع من أنواع التكثر» [2]. [3]. ولفظ (الأحد) مفهوم عند العامة والخاصة، ولكن جاء المؤولة أهل الكلام واصطلحوا على معنى خفي لهذا اللفظ وهو: الذات المجردة عن الصفات.

* واحد في صفاته لا شبيه له. بمعنى نفي النظير عنه في ذاته [4].

* واحد في أفعاله لا شريك له. بمعنى نفي المساهم في اختراع المصنوعات وتدبير المخترعات [5]. [6].

وليس في شيء من هذه الأقسام الثلاثة تطرقٌ الى التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه: وهو توحيد الله في الدعاء والعبادة والذبح والنذر ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي﴾ [مريم ٤٨] ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن ١٨] ولهذا نجد عندهم

---

١) إظهار العقيدة السنية ٢٦.

٢) مذاهب فلاسفة المشرق ٧٦ للعراقي تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام٣٣٧ آراء أهل المدينة الفاضلة ٣ وفصوص الحكم١٣٢.

٣) وهو تقسيم باطل لأن الإنسان يوصف بأنه واحد مع أنه منقسم، قال تعالى ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ وهذا الوحيد له عينان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة. وقال ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ فوصف المخلوق بأنه (أحد) فمن أين يدّعي أن الأحد خاص فيما لا ينقسم ولا يقبل الاتصاف؟ لا القرآن يفيد ذلك ولا اللغة. فانه لا يعقل أن يكون الواحد مما لا يتصف بالصفات والا كان نفياً للأحد، وإنما يريدون بهذا نفي ما ثبت من صفات الله أن له يدين وأن القلوب بين أصابعه. فهذا عندهم تبعيض لا يليق بالله لكن النبي ﷺ وصف ربه به مما يدل على تعارض منهج النبوة مع منهج أهل الكلام. وتعارض ما وصف الله (الواحد) به نفسه من أنه استوى وينزل ويراه المؤمنون.

٤) وأرادوا من القسم الثاني إدراج نفي الصفات تحت ذريعة نفي التشبيه. وصدق من قال إتخذوا نفيَ التشبيه جُنّةً فصدّوا عما وصف الله به نفسه.

٥) الدليل القويم ٣٣.

٦) وهذا التقسيم غاية التوحيد عندهم به يُثبتون خالقاً واحداً لكن الأنبياء أول ما دعوا اليه الناس عبادة هذا الخالق الواحد لم يكونوا يبدأونهم بأن خالق العالم واحد.

شرك دعاء غير الله على النحو الذي كان عليه أهل الجاهلية من نذر وذبح للأولياء وللأضرحة، مع زعمهم أنهم قرروا التوحيد بهذه الأقسام الثلاثة.

فهذه التعابير مُحدَثَة لم ينطق بها السلف ولا يستسيغها الناس لا لصعوبتها وانما لعُجْمَة لكنتها ولأنها من عند الفلاسفة والمتكلمين الذين هم أكثر الناس مرضاً وشكاً في الله على حد قول الغزالي القائل «إن الايمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً ومشرف على الزوال بكل شبهة» (الإحياء١:٩٤) وقال أيضاً في (فيصل التفرقة ١٥٣) « فَقسْ عقيدة العامّي بعقيدة المتكلمين والمجادلين تجد اعتقاد العامّيِّ في الثبَات كالطوْد الشَامخ لا تُحركه الدواهي والصواعق».

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله « والأحد هو الواحد في ألوهيته وربوبيته. وفسره أهل الكلام بما لا يتجزأ ولا ينقسم» [1].

---

١) تفسير سورة الاخلاص ط: السلفية الكويت.

＊ الجواب الثاني

التوحيد عند الغزالي أربعة أقسام
أفضلها وحدة الوجود

ينقسم التوحيد عند الغزالي «الأشعري» الى أربعة أقسام:

رابعها: وهو أعظمها: أن لا يرى العبد في الوجود الا واحداً.. وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد، وتقسم التوحيد الى توحيد شهودي وتوحيد وجودي.

قال الغزالي « فإن قلتَ: كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحداً وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة: فكيف يكون الكثير واحداً؟

أجاب: فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات: وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر».

أضاف « إن الشيء يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار، ويكون واحدا بنوع واعتبار آخر. وهذا كما أن الانسان كثير إن التفتَ الى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر واحد إذ نقول: إنه إنسان واحد».

« وكم من شخص يشاهد إنساناً ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه... فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق... فهو باعتبارٍ واحدٍ من الاعتبارات: واحد، وباعتبار آخر سواه: كثير...

ويستحسن طريقة الحلاج في وحدة الوجود

والى هذا أشار: الحسين بن منصور الحلاج حيث قال للخوّاص: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك: **فأين الفناء في التوحيد؟**» ثم أكد الغزالي عقيدته في وحدة الوجود قائلا « وليس مع الله موجود: بل الموجودات كلها كالظل من نور القدرة».

وقال في كتابه مشكاة الأنوار « العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق... فقال

بعضهم «أنا الحق» وقال الآخر «سبحاني ما أعظم شأني» [1].
ثم احتج ثانية بالحلاج وبشِعره الذي يقول فيه[2]:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فهذه تقسيمات أربعة للتوحيد ينتهي فيها الغزالي الى عقيدة وحدة الوجود والاحتجاج بالحلاج الذي ينقل الأحباش تحذير أحمد الرفاعي منه غاية التحذير.

ولقد حكم الأحباش بكفر سيد قطب لقوله بأن « الوجود الحقيقي انما هو لله فقط» قالوا: أليس هذا قولا بوحدة الوجود التي اتفق علماء المسلمين على كفر قائلها» غير أنهم لتحيزهم لا يتحدثون عن هذه الكلمات التي كان الزبيدي يقر الغزالي عليها ويشرحها ويصرح بأنه ليس في الوجود على الحقيقة الا الله وأفعاله» [3]!

فانظر الى المتعصبين المشوشين كيف يتكتمون على ما عند الغزالي من الانحراف، ويظهرون في موقفهم من المصلحين بمظهر المصلح. أليس هذا دليلا على أن الدافع على إنكارهم على ابن تيمية ليس نصرة الحق. لو كانوا يريدون الحق لأنكروا على الغزالي عقيدته في وحدة الوجود.

النقشبنديون يقسمون التوحيد الى وحدة الوجود

جاء في البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية « اعلم أن التوحيد قسمان:

توحيد شهودي كقول الحلاج: أنا الحق. وقول أبي يزيد: سبحاني ما أعظم شأني.

توحيد وجودي. فالتوحيد الشهودي لا يخالف العقل بخلاف التوحيد الوجودي[4].

---

١) احياء علوم الدين ٤/٢٤٥-٢٤٧ وانظر كتاب الأربعين للغزالي ١٠٤ ط: دار الآفاق الجديدة - بيروت.

٢) مشكاة الأنوار ١٩-٢٠ ط: مكتبة الجندي - مصر.

٣) إتحاف السادة المتقين ١٠/٢١٩.

٤) البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية العلية النقشبندية ص ٨٠-٨١ ط: مكتبة الحقيقة - وقف الاخلاص. اسطنبول.

* الجواب الثالث

أن المرتضى الزبيدي قسّم التوحيد الى ثلاثة أقسام:
١ - توحيد الذات.
٢ - توحيد الصفات.
٣ - توحيد الأفعال.
وأقرّ التفريق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية ناقلا عن صاحب البصائر أن الصبر لله متعلق بالألهية، والصبر به متعلق بربوبيته، وما تعلق بالألهية أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته»[١]. انتهى.
فهل تتهمون الزبيدي بموافقة القائلين بالثالوث كما اتهمتم ابن تيمية، ولا يخفاكم وصف الزبيدي لابن تيمية بأنه شيخ الاسلام رغم أنوفكم [٢].

أن تقسيم التوحيد الى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية ذكره البيجوري في شرح جوهرة التوحيد (ص ٩٧) ففي تفسير ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ قال «يشير الى تقرير توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الألوهية المقتضي من الخلق تحقيق العبودية». وهو عين ما قاله العلامة الحنفي ملا علي قاري رحمه الله [٣] وزاد عليه «والحاصل أنه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس في القضية لقوله تعالى ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**﴾ بل غالب سُوَر القرآن وآياته متضمنة لنوعَيِ التوحيد بل القرآن من أوله الى آخره في بيانهما» [٤].

وذكر تلميذ الكوثري الشيخ أبو غدة أن هذا التقسيم مستقى مما جاء به الكتاب والسنة[٥].
وأشار صاحب الحدائق الوردية النقشبندي الى هذا الفرق بين توحيد الربوبية التي سماها مرتبة الخالقية والمرتبة الثانية التي أسماها بمرتبة الألوهية[٦].

---

١) اتحاف السادة المتقين ٤٢/٩ و ٦٤٥/٩ وكذلك ٣٦٤/٣.
٢) أنظر اتحاف السادة المتقين ٥٣٧/٤-٥٣٩ و٤٨٢/٣.
٣) وصفه الكوثري بأنه ناصر السنة (تبديد الظلام ١٠٠).
٤) شرح الفقه الأكبر ٨.
٥) كلمات في كشف أباطيل ص ٣٧.
٦) الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ١٨٧.

❊ الجواب الرابع

أن تقسيم التوحيد الى ربوبية وألوهية ليس بدعة بل حكاه الطبري وغيره عن أهل العلم قبل ابن تيمية بمئات السنين: فقد قال في تفسير قوله تعالى ﴿**ذلكم الله ربكم فاعبدوه**﴾ أي فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته وأفرِدوا له الربوبية والألوهية» [١].

وكذلك قوله تعالى ﴿**ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو**﴾ أي الذي فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم هذه النعم هو الله الذي لا تنبغي الألوهية إلا له وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغَيره» [٢].

وفي تفسير قوله ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾ قال «كانت العرب تُقِرّ بوحدانية الله غير أنها كانت تشرك في عبادته» [٣].

وقوله تعالى ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون**﴾ « وايمانهم بالله هو قولهم: الله خالقنا ورازقنا ومميتنا ومحيينا، وإشراكهم هو جعلهم لله شريكاً في عبادته ودعائه، فلا يخلصون له في الطلب منه وحده، وبنحو هذا قال أهل التأويل» ثم روى مثل ذلك عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وعامر وقتادة وعطاء وجمع. قال قتادة « لا تسأل أحدا من المشركين من ربك؟ الا ويقول ربي الله وهو يشرك في ذلك» وقال ابن زيد « ليس أحد يعبد مع الله غيره الا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه خالقه وزارقه وهو يشرك به... ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك: المشركون كانوا يقولون هذا» [٤].

فالتقسيم دليله من كتاب الله كتقسيم الأحكام الى فرض وواجب ومسنون ومباح ومكروه ومحرم وليس في ذلك نص وإنما هو مستفاد من نصوص الشرع، بخلاف التقسيمات المخالفة للنصوص الشرعية كتقسيم البدعة الى بدعة واجبة وبدعة مستحبة وقد قصرها النبي ﷺ على واحدة «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

---

١) المجلد السابع ١١:٦٠.

٢) المجلد ١١/٥٣.

٣) الطبري ١:١٢٨.

٤) تفسير الطبري ١٣/٥٠-٥١.

ومن الأدلة على صحة التقسيم ما أخرجه (مسلم ٣٨٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال « كان رسول الله ﷺ يغير اذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار. فسمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر. فقال « على الفطرة». ثم قال: أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله. فقال رسول الله ﷺ « خرجت من النار». فنظروا فاذا هو راعي معزى».

فقول رسول الله ﷺ لمن قال: الله أكبر « على الفطرة» أفاد أمراً مهماً وهو أن هذا القول وما يدل عليه من توحيد الربوبية مستقر في الفطرة البشرية ولذلك لم يحكم بنجاته من النار واسلامه الا عندما أتى بالشهادة بتوحيد الألوهية.

لماذا نذكر بهذا التقسيم؟

وقد وجب تذكير الناس بهذا حين اعتقدوا أن (لا اله الا الله) تعني أنه لا خالق ولا رازق الا الله وهو المعنى نفسه الذي ذهب اليه المشركون كلما سئلوا **﴿من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر﴾** قالوا **﴿الله﴾**.

ومن هنا وجب تذكير الناس بتوحيد الألوهية لئلا يظنوا أن لهم الفضل في توحيدهم الفطري للربوبية. وليعلموا أنهم مطالَبون بمقتضى توحيد الربوبية الفطريَ أن يوحدوه توحيد الألوهية وذلك بإفراده بالدعاء والذبح والنذَر وسائر الطاعات والعبادات. فان من يعتقد أن الله هو الخالق الرازق وحده وجب عليه بمقتضى ذلك أن يعبده وحده فيجعل صلاته وذبحه ودعاءه له وحده لا يشركه في ذلك ولي ولا صنم ولا ضريح.

وقد احتيج الى هذا التقسيم أيضا لقطع الطريق على أهل الكلام الذين قصَروا الناس على توحيد الربوبية الذي كان يعتقده أبو جهل وجعلوه غاية توحيدهم، كما زعموا أن أحمد الرفاعي قال « غاية

المعرفة بالله: الايقان بوجوده» [1] وليتنبهوا الى أن غاية التوحيد الذي أرسل الله من أجله رسله وأنزل كتبه ليس لمجرد اعتقاد أن صانع العالم واحد وانما غايته افراد صانع العالم وحده بالعبادة. والدعاء عبادة والذبح والنذر عبادة.

---

١) مرشد الحائر في حل ألفاظ ابن عساكر ٣٤.

لماذا قال الملكان: من ربك ولم يقولا من إلهك؟

شبهة: واحتج الحبشي بسؤال الملكين للميت « من ربك» ولم يقولا له « من إلهك» على أن الربوبية والألوهية شيء واحد.

والجواب:

أن هذا الدليل شبهة ليست بأوضح ولا أقوى من النص القرآني ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**﴾ ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾ فالنص القرآني محكم يرد اليه المتشابه الذي احتج به أهل الزيغ.

أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان كما في قوله تعالى ﴿**قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس**﴾ وكما يقال (رب العالمين) و (إله المرسلين). وذلك مثل لفظ (المؤمن والمسلم) (والفقير والمسكين) (والزكاة والصدقة).

وعند الإفراد يجتمعان كما في قول الملَك للميت (من ربك) ومعناه من الهك. لأن الربوبية التي أقر بها المشركون وشهد لهم القرآن بالإقرار بها ما يُمتحن بها أحد. وكقوله تعالى ﴿**ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ ﴿**الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله**﴾ ﴿**قل أغير الله أبغي رباً**﴾ فالربوبية في هذه الآيات هي الألوهية ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة عند الاقتران.

فاذا قيل: فقولوا بأن آية الميثاق ﴿**ألست بربكم قالوا بلى شهدنا: أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل**﴾ تتعلق بالألوهية وليس الربوبية. فالجواب:

أولا: أن هناك قرينة تثبت أن الربوبية هي المراد هنا دون الألوهية، وهي أن الكافر بعد أن يُعرَض عليه مقعده من النار يقول « رب لا تقم الساعة» فهذا يدل على أنه مؤمن به مقرّ بوجوده فكيف يسأل عنه؟

وقد حرمه الله أن يجيب عن هذه الحقيقة التي فُطر عليها ولم يثبّته عند السؤال عقوبة له، والجزاء من جنس العمل: فكَما أنه نسي الله في الدنيا فقد أنساه الله الإجابة عما فيه نجاته في الآخرة. فقال عند السؤال (هاه هاه لا أدري). وقال بعد السؤال (رب لا تقم الساعة).

وقد شهد الله على المشركين أنهم ما غفلوا عن ربوبيته حين اتخذوا معه آلهة أخرى ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض**

ليقولن الله﴾ ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾**. فاذا سألتهم اذن لماذا عبدتم غيره قالوا ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى**﴾. والتجربة تثبت أنه حتى النصارى المثلثة ما زالوا يقولون: نحن نؤمن بالرب الواحد.

ثانياً: أن الرب: المقصود به الإله، ويقويه رواية البخاري «اذا أقعد المؤمن أُتيَ ثم شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله» فهذه الرواية تفَسر الرواية الأخرى الواردة بلفظ «من ربك» ففي آية الميثاق شهدوا بربوبيته، وفي حديث القبر شهد المؤمنون الموحدون منهم بألوهيته دون سواه.

دليل التمانع

وطلب الحبشي الدليل على تقسيم التوحيد من الكتاب أوالسنة يوحي بأنه ملتزم بهما ولكن: من أين أتى بـ (دليل التمانع)؟ أمن كتاب الله أم من عند أرسطو ومِن بعدِهِ المعتزلة؟ هنا تظهر حقيقة الرجل:

فلقد أكد الحافظ ابن حجر أن الرازي [١] أخذ دليل التمانع عن الفلاسفة وسلك فيه سبيل أرسطو [٢].

وفي قول الحافظ تكذيب لما زعمه النسفي في تبصرة الأدلة أن «دليل التمانع أخذه المتكلمون من كتاب الله». وقد قدح التفتازاني الماتريدي في هذا الدليل واعتبره دليلاً ظنياً[٣]. مما أدى بالشيخ عبد اللطيف الكرماني الى تكفيره كما سيأتي.

دليل التمانع سلاح المعتزلة

ودليل التمانع من أقوى الأدلة عند المعتزلة على وجود الله، وقد ذكروه بنفس التفصيل الذي ذكره الأشاعرة، واحتجوا له بقوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾ قال القاضي عبد الجبار « لو كانا اثنين يصح التمانع بينهما فيبطل أن يكون له ثان. فإن قيل فما مقصدكم بأنه لو كان معه ثان لصح التمانع بينهما؟ قِيل: نريد بذلك كونه واحداً في القِدم وأنه لا ثاني له فيها ولذلك نستدل بدليل التمانع»[٤].

---

١) هو من أئمة الأشاعرة وإمام في علم الكلام قال فيه الحافظ ابن حجر « كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورِد شُبه الخصم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهاء (لسان الميزان ٤:٤٢٦-٤٢٨) واعترف السبكي بتراجع الرازي عن منهج المتكلمين وذكر الحافظ أنه كتب وصية تدل على أنه قد حسن اعتقاده. ولكن النص عند السبكي مخالف لما ذكره الذهبي وابن كثير (قارن بين طبقات الشافعية ٥:٣٧ وبين البداية والنهاية ١٣:٥٦ وسير أعلام النبلاء ٢١:٥٠١) فإن رجوع الرازي عن طريقة الكلام الى منهاج السلف لا يروق للسبكي المتعصب الذي زعم أن الذهبي تفرد بنقد الرازي والآمدي اللذين لم يضعف أحد شيئاً من علومهما أو يجرحهما (طبقات السبكي ٢/١٤ محققة).

٢) لسان الميزان ٤:٤٢٨.

٣) شرح العقائد النسفية ٣٣-٣٤.

٤) المغني ٤:٢٤٤ و٢٤٥ و ٢٥٧.

وقال الشهرستاني وقد سلكتِ المعتزلةُ طريق التمانع في استحالة الالـهَيْن كما سلكناه» [1].

وهو من جملة السم الذي سقاه المعتزلة للأشاعرة (أو قل) وبقي من مخلفاتهم وتفاخر به الحبشي وأسلافه مِن خَلَف المعتزلة [2].

ولعلهم تجاهلوا ما ذكره المرتضى الزبيدي أن من الأشاعرة من اورد على هذا البرهان اعتراضات عديدة كالآمدي الذي وصفه بأنه مسلك ضعيف كالسعد التفتازاني الذي ذكر من مفاسد هذا الدليل: أنه لو تعدد الاله لم تتكون السموات والأرض أصلا. ثم نقل عن النسفي إشكالا آخر وذلك أن يسأل سائل: لماذ لا يجوز فرض إلـهين متوافقين في الارادة بحيث يمنع وقوع المخالفة بينهما؟

ثم عاد فنقل عن السعد أن هذا البرهان إقناعي وليس قطعياً ولا يفحم الجاحد، مما أدى بالشيخ عبد اللطيف الكرماني الى التشنيع عليه، مستنداً في تشنيعه الى أن صاحب التبصرة حكم بكفر أبي هاشم لقدحه في دلالة الآية [3].

على أن هذا الدليل بحد ذاته صادق وبرهان تام على امتناع صدور العالم عن اثنين، ولكن الآية لا علاقة لها بإثبات صانع واحد، وإنما معناها أنه لو وُجد من يستحق العبادة مع الله لفسدت السموات والأرض.

وبهذا يبطل الاستدلال بالقرآن على صحة دليل التمانع ﴿**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**﴾ لأن الآية سيقت للرد على المشركين الذين لم يعتقدوا صانعين للعالم أو أكثر بل اتخذوا آلهة لم يعتقدوها أنها خالقة بل جعلوها وسيلة لهم تقربهم الى الخالق الواحد وتشفع لهم عنده. فاذا ثبت بدليل صريح أن المشركين كانوا يعتقدون بوجود خالقين آخرين مع الله فقد صح دليل التمانع وان لم يثبت بطل دليل التمانع.

---

١) نهاية الاقدام ١٠١ رسائل العدل والتوحيد ٢٢٩/١ للمرتضى المعتزلي شرح الأصول الخمسة ٢٨١ للقاضي عبد الجبار.

٢) الإنصاف للباقلاني ٤٩ الإرشاد للجويني ٧١ المواقف للإيجي ٢٧٨.

٣) اتحاف السادة المتقين ١٢٩/٢ و١٣٢ وجوهرة التوحيد بشرح البيجوري ٦١ وغاية المرام للآمدي ١٥١ وشرح العقائد النسفية ٢٨.

ولفظ (آلهة) جمع إله. وهو المألوه أي المعبود. وليس معناه: القادر على الاختراع كما قاله الرازي وحكاه البغدادي عن الأشعري [١]. بينما مطلوب دليل التمانع اثبات خالق رازق مخترع واحد. وهو دليل تمنع الأنبياء عن الدعوة اليه.

وبما ان غاية دليل التمانع [٢] اثبات صانع مبدع للكون لا خالق سواه، وبما أنه ينتهي بعد الخوض في الله بالطريقة الرياضية الحسابية إلى إثبات أن خالق العالم واحد لا شريك له في خلق الكائنات وتدبير المصنوعات، وأنه لم يتطرق الى توحيد هذا الخالق في العبادة والدعاء والاستغاثة وإفراده في الذبح والنذر، اضطر اهل السنة الى تفصيل انواع التوحيد كما وردت في القرآن الكريم فقالوا [٣]:

---

١) لوامع البينات للرازي ١٢٤ وأصول الدين للبغدادي ١٢٣.

٢) هو قاعدة جدلية لإثبات وحدانية الله في الخلق ابتكرها الفلاسفة ثم تلقاها عنهم الجهمية ثم المعتزلة ثم أخذ بها الأشاعرة والماتريدية.

٣) أنظر الصفحة المقابلة.

توحيد الربوبية

هو توحيد فطري، فطر الله العباد عليه، سواء منهم المؤمنون والكافرون حين استخرجهم من ظهر ابيهم آدم ﴿واشهدهم على انفسهم: ألستُ بِرَبِّكم؟ قالوا بلى شهدنا﴾ (الأعراف ١٧٢) فمن جحد ربوبية الله فقد جحد ما استيقنه قلبه كما حكى الله عن فرعون وقومه ﴿وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلواً﴾ [النمل١٤] وقال موسى لفرعون ﴿لقد علمْتَ ما أنزل هؤلاء الا ربُ السموات والارض بصائر﴾ (الاسراء١٠٢).

فاعتقاد أن الله هو الخالق الرازق وحده من المسلّمات الفطرية، ولذلك يخطىء من يفني عمره في استخراج الأدلة على اثبات وجود الله لأن الدليل على ذلك مركوز في الفطرة.

وهذه حقيقة اعترف الحبشي بها بعد كثرة الخوض وايراد الأدلة وهو أن العلم بذلك مستقر في قلوب البشر وفطَرهم، ونقل اعتراف الرازي بذلك [1]. وهو قول الشهرستاني في نهاية الاقدام (ص ١٢٤).
غير أن الغزالي قد شكك بهذه الفطرة حين قال « وليس كل ما تشهد به الفطرة قطعاً هو صادق، بل الصادق ما يشهد به قوة العقل»[2]

فتوحيد الربوبية كان يعتقده المشركون، ولذلك لم يدعهم اليه الرسل لعلْمهم أن الله فطرهم عليه والدليل على ذلك من القرآن الكريم:
﴿ولَئَن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهن العزيز العليم﴾ [الزخرف٩].
﴿قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل افلا تذكرون﴾.
﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾.
﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ [المؤمنون٨٤-٨٩].
وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه «خلقت عبادي حنفاء

---

١) الدليل القويم٢٥.
٢) المستصفى ١/٤٧.

فاجتالتهم الشياطين»[1] . فالحنيفية هي الاسلام.

ولذلك لم يدْعُ الأنبياءُ قومَهم الى اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق، فالقرآن أفاد بأنهم يؤمنون بذلك. وانما كانت اول دعوتهم الى:

توحيد الالوهية

﴿اعبدوا الله ما لكم من اله غيره﴾ [الاعراف٥٩] فقد كانوا يتخذون بينهم وبينه وسائط يتقربون بهم الى الله زلفى.

قال تعالى ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾(يونس ١٨).

فتوحيد الألوهية يدخل فيه توحيد الربوبية، بمعنى أن من أفرد اللهَ بالدعاء والطاعة والامتثال والخوف والرجاء فلا بد أن يكون معتقداً بتوحيد ربوبية الله بالخلق والايجاد وأنه لا خالق الا هو. وأن من أتى بتوحيد الألوهية لا يُطلب منه أن يأتي بتوحيد الربوبية لأن الثاني داخل فيه.

وهذا التوحيد (توحيد الألوهية) لم يعالجه دليل التمانع عند أهل الكلام ولم يتطرق اليه ولذلك تجدهم يبيحون الاستغاثة بغير الله وسؤال اهل القبور وطلب الشفاعة منهم:

والدليل على ذلك ما قاله الحبشي من أن من قال لا اله الا الله فهو موحد وان استغاث بالأنبياء والأولياء، وإن استعاذ بسوى الله، وأن الأولياء يخرجون من قبورهم ليجيبوا دعوة الداع اذا دعاهم!

○ وجملة القول أن من يعتقدون بتوحيد الربوبية فقط ويظنون أنهم موحدون مع لجوئهم الى الأموات، يستغيثون بهم ويتضرعون اليهم ويسألونهم قضاء الحوائج ورفع الكربات، ويظنون ان مشايخهم يتصرفون في الأكوان: متورطون في الشرك وان اعتقدوا فيهم انهم لا يخلقون ولا يرزقون وأنه لا يخلق ولا يرزق الا الله .

---

١) مسلم (٢٨٦٥).

توحيد الأسماء والصفات

وأما « توحيد الأسماء والصفات» فانه بعدما أكثر أهل الكلام من الخوض والالحاد في أسماء الله وصفاته بما أدى بهم الى تعطيلها وتحريفها بضروب التأويلات:

قال أهل السنة حينئذ بأن هذا القسم من اقسام التوحيد: يتعلق باثبات ما أثبته الله ورسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، ولا نقول على الله ما لا نعلم، فان التأويل في أسمائه وصفاته إلحاد فيها، وتحريف للكلم عن مواضعه من جنس عمل اليهود، قال الحافظ في الفتح « قال ابن عباس « ﴿يحرّفون﴾: يزيلون، وليس أحد يُزيل لفظ كتاب من كتب الله، ولكنهم يحرّفونه: يتأولونه عن غير تأويله» ثم نص الحافظ على أن **تحريف أهل الكتاب لمعاني النصوص لا يُنكر بل موجود عندهم بكثرة** [(١)].

ولقد توعّد الله الخائضين فيها بالعقاب فقال **﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه، سيُجزَوْن ما كانوا يعملون﴾** [الأعراف ١٨٠].

فأهل الكلام (والحبشي منهم) يشملهم هذا الوعيد، فانهم يقولون: لا نقطع ان يكون ما تأولناه مراداً لله، وانما يحتمل أن يكون تأويلنا موافقاً لمراد الله ويحتمل أن لا يكون كذلك» [(٢)].

فهم يُقحمون الاحتمالات في أشرف مسائل العقائد بينما يمنعون من الاستدلال بخبر الواحد ولو كان في البخاري ومسلم.

---

١) فتح الباري ١٣/٥٢٤.

٢) الدليل القويم ٤٧ التوحيد للماتريدي ٧٤.

الشفاعة

ومن مغالطات أهل البدع ومخادعتهم للعامة: الخلط بين التوسل وبين الشفاعة ﴿ليلبسوا عليهم دينهم﴾ ويراد بهذا الخلط طمس الشَبَه والمضاهأة بين الشفاعة البدعية الشركية الحاضرة وبين الشفاعة الشركية الماضية التي تذرع بها المشركون الأوائل والتي منعها القرآن.

فمفهوم الشفاعة عند المشركين والفلاسفة كابن سينا والصوفية أن شفاعة الرسول لا تحتاج الى دعاء منه وانما هي رحمة تفيض على الرسول فينعكس هذا الفيض (بما يسميه الصوفية بالمدد) على طالب الشفاعة من غير شعور أو دعاء من الشفيع، ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس اذا وقع على مرآة ثم انعكس الشعاع من المرآة على الحائط. فكذلك تفيض الرحمة على النفوس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم. وهذا الفيض يمكن تحققه عند زيارة قبر ولي أو نبي فتجتمع الأرواح المفارقة والأرواح الزائرة ويبدأ المدد عن طريق الذبذبات الكهرومغناطيسية وأشعات اللايزر! وارتكبوا جناية على الألفاظ أدت الى ارتكاب جناية على الدين حين بدلوا معاني الألفاظ.

جاء في تهذيب اللغة ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة٢٥٥] الشفاعة هنا أي الدعاء.

والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره[١]. وشفع اليه: أي طلب اليه. وعلى هذا يفسَر موارد اللفظ في القرآن والسنة في لفظ الشفاعة.

ومعنى الشفاعة الدعاء. فعن أنس وعائشة عن النبي ﷺ قال «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له إلا شُفّعوا فيه» وفي رواية ابن عباس « ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه» [٢].

---

١) تهذيب اللغة للأزهري ٤٣٦/١.

٢) وهذا يفسر قول الأعمى في الدعاء «وشفعني فيه» أي إقبل دعائي في أن تتقبل منه ﷺ. والحديث رواه مسلم.

شروط الشفاعة

نعم، الشفاعة أعطيَت للأنبياء والصالحين يوم القيامة، ولكن للشفاعة شرطان نص عليهما القرآن الكريم:

الأول إذْنُ الله للشافعِ أن يشفع.
الثاني رضاه عن المَشفوع له.

فشرطا الشفاعة: الإذن والرضا من الله ﴿**يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذِن له الرحمن ورضي له قولا**﴾ [طه ١٠٩]. وقال النبي ﷺ لفاطمة « أنقذي نفسك من النار لا أغني عنك من الله شيئاً» فلو كان يملك الشفاعة لضمنها لابنته، **فإن مالك الشفاعة لا يجوز أن ينتظر أن يأذن له أحد بها وإلا لا يسمى مالكاً لها**.

الآيات القرآنية في الشفاعة

والآيات التي جاءت في الشفاعة على ثلاثة أنواع:

الأول: اختصاص الشفاعة بالله وحده **﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾** [الزمر٤٤] **﴿ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع﴾** [الانعام٥١].

الثاني: مقيد بإذنه ورضاه **﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾** [طه١٠٩] فحق الشفاعة لله حق مطلق لا يقيده حق أحد عليه، وإنما شفاعة غيره مقيدة بأن يأذن للشافع ويرضى عن المشفوع.

الثالث: الشفاعة الشركية، وهي اتخاذ المشركين وسطاء بينهم وبين الله زعموا أنهم يشفعون لهم **﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾** والتقرب بهم الى الله **﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾**.

التفتازاني يعترف أن شرك المشركين توسل وتشفع

قال التفتازاني أن شرك المشركين وقع حين «مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله اتخذوا تمثالا على صورته وعظموه تشفعاً الى الله وتوسلا»[1].

الرازي يشرح قول المشركين: الا ليقربونا الى الله

ذكر الرازي أربعة أسباب مفضية الى الشرك منها « قولُ من قال: إنّا نعبد هذه الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا، فقال تعالى في إبطال أقوالهم **﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذِن له﴾** فلا فائدة لعبادتكم غير الله فإن الله لا يأذن في الشفاعة لمن يعبد غيره، فبِطَلَبِكم الشفاعة تُفوّتون على أنفسكم الشفاعة.

وقال « إعلم أن الكفار قالوا: نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع وانما... لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى **﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء: قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾**[2]. انتهى.

وقال تعالى **﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾** [مريم٨٧].

---

١) شرح المقاصد للتفتازاني ٤/٤١-٤٢.

٢) التفسير الكبير ٢٥/٢٥٤-٢٥٥ و٢٦/٢٨٥.

آلهتهم شفعاؤهم

فمن زعم أن فلاناً يشفع له مما لا برهان له به فسيضل عنه يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم. وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء: لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ [الانعام ٩٤] ونحن لا نشك في أن محمداً ﷺ يشفع لكننا لا نعلم فيمن يؤذن له بالشفاعة؟ لأن الأمر أولا وأخيراً بيد الله.

موقف سلفنا من الشفاعة

ثم الشفاعة ليست خاصة بالنبي محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء، بل باقي الأنبياء يشفعون، وليس هو الحي الوحيد في قبره وإنما باقي الأنبياء أحياء في قبورهم، وكان الصحابة لا يجهلون أن الأنبياء يشفعون، ومع هذا فلم يعلّم أصحابَه أن يسألوه الشفاعة بعد موته، ولا علّمهم طلب الشفاعة من الأنبياء، ولم يقل لهم يجوز طلب الشفاعة من النبي المفضول مع وجود النبي الفاضل كما يدعي الحبشي في فعل عمر.

سؤال : لماذا نجد الشفاعة منفية تارة ومثبتة تارة أخرى؟

والجواب : أن الشفاعة المنفية شفاعة أهل الشرك الذين اتخذوا لأنفسهم عهداً بأن غير الله سيشفع لهم عنده. وهي الشفاعة التي يدافع عنها مشركو اليوم ممن يخاطبون الأموات ويطلبون منهم الشفاعة. **يسيئون العمل ويعلقون على الشفيع الأمل**، وقد قال النبي ﷺ لابنته فاطمة «أنقذي نفسك من النار لا أغني عنك من الله شيئاً».

قال ابن تيمية « وأصل ضلال المشركين أنهم ظنوا أن الشفاعة عند الله كالشفاعة عند غيره... فالله هو رب كل شيء ومليكه وخالقه فلا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يشفع أحد في أحد إلا لمن أذن الله للشفيع أن يشفع، وإذا لم يأذن الله لم تنفع الشفاعة كما لم تنفع شفاعة نوح في ابنه ولا ابراهيم في أبيه ولا لوط في قومه ولا صلاة النبي ﷺ على المنافقين واستغفاره لهم» [١]. فإكرام الله نبيه بالشفاعة ليس مطلقاً من غير تقييد، كما يهوى أهل الهوى والبدع.

---

١) الرد على البكري ٦٠ - ٦١.

الشفاعة لأهل الكبائر لا لأهل الشرك

تحقيق التوحيد أهم أسباب الشفاعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ « من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه»[١].

فلا نصيب في الشفاعة لمن أشرك مع الله في الدعاء ولم يخجل من مناداة غيره جاهلا أن شفاعة النبي ﷺ لا نصيب فيها لمشرك، إنما هي لأهل الكبائر **الموحدين** من أمته لا لأهل الشرك كما قال « فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » [٢]. فحتى الزنا وشهادة الزور وقتل النفس ذنوب يرجى معها المغفرة والشفاعة لا الشرك، فالله أكبر كم غفل الناس عن قباحة هذا الذنب!!!

ثم إن مفهوم الشفاعة عند هؤلاء يودي الى التعلق بالأماني وترك العمل والاستعاضة عنه بالتعلق بنبي أو صالح يستغيث به من دون الله، ويسأله أن يدعو الله له في قبره، فيزعم أن الله لا ينظر اليه لذنوبه وهنا تأتي أهمية الوسيط الصالح المطهر المحبوب عند الله. وكأن هذا الوسيط أرحم بالعباد من رب العباد!!!

وغفل أن الشفاعة بيد الله هو الآذن بها لمن يشاء ويرتضي لها من يشاء للشفيع أن يشفع، وهذا يقطع الطريق على من يتعلقون بالذوات ويربطون نجاتهم بهم فيعتمدون في أمر نجاتهم على الآخرين لا على العمل مضاهأة للنصارى.

قال تعالى ﴿**لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً**﴾ قال ابن جريج «أي عملاً صالحاً» [٣].

ليست كل دعوات الأنبياء مجابة

وليعلم أن دعوات الأنبياء ليست مستجابة كلها، فالله لم يستجب دعوة النبي ﷺ في عبد الله بن أبيّ بن سلول وأصحابه حتى قال ﴿**إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**﴾ [التوبة٨٠] وقد رد

---

١) أخرجه البخاري رقم (٩٩).
٢) رواه مسلم (١٩٩).
٣) رواه ابن جرير عنه بسنده (الطبري المجلد الثامن ج ١٦ ص ٩٧.

الحافظ على من زعم أن « جميع دعوات الأنبياء مستجابة» قائلا « وهذا فيه غفلة عن الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال:إني سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة». وسأل ربه أن يستغفر لأمه فمنعه ذلك. ولما اراد نوح أن يستغفر لابنه قال الله له ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك﴾. وهذا ابراهيم عليه السلام لم تنفع شفاعته في أبيه.

فائدة أخرى من كلام الحافظ: قال « وقد استشكل ظاهر الحديث بما وقع لكثير من الأنبياء من الدعوات المجابة ولا سيما نبينا ﷺ، وظاهره أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط. والجواب أن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة» [1].

وقال الكرْماني في شرح البخاري (١٢٢/٢٢) عند شرح الحديث « معناه لكل نبي دعوة مجابة البتة، وهو على يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهي على رجاء إجابتها: بعضها يجاب وبعضها لا يجاب».

وإذا كان في حياته يشفع لهم بالدعاء، وبعد موته يشفع، وبعد قيامه يشفع: فأي معنى لقوله ﷺ « أنا أول شافع»؟

وما معنى قوله «إني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً»؟ فالرسول يقول « اختبأت» وهؤلاء يتعجلونها ويكذّبونه حين يزعمون أنه لم يختبئها بل هي نائلة من يستغيث به في الدنيا عند قبره، وهم بطلبهم الشفاعة بهذه الطريقة قد يُحرَمُون من الشفاعة، فإن من طلب شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه.

والنبي ﷺ هو الذي أخبرنا أنه سيشفع يوم القيامة فيسجد تحت العرش ما شاء الله له أن يسجد ثم يقال له «أي محمد، إرفع رأسك وقل يُسمع لك، وسلْ تُعطه، واشفع تُشفّع» فشفاعاته في الدنيا وهو حي ثابتة، كقول عكاشة « يا رسول الله أدع الله أن أكون منهم» فقال له «أنت منهم».

وشفاعته في الآخرة ثابتة لا جدال فيها. ويبقى أن يأتينا من يزعم أنه يشفع في قبره بعد موته بدليل صحيح، فإن نبينا ﷺ لم يخبرنا أنه سيكون شافعاً في قبره أيضاً، وليس لدى من يزعمون ذلك دليل واحد من كتابٍ أو سنة. بل لم يصح حديث في الشفاعة لمن زار قبره.

---

١) فتح الباري١١/٩٧.

صحيح أنه ﷺ حيٌّ في قبره ولكن الأنبياء جميعهم يحيون حياة برزخية مختلفة عن حياتنا. فلماذا لم يخطر ببالكم أن تنادوا الأنبياء الآخرين: فتقولوا يا سليمان يا داود يا آدم يا يعقوب يا إسحق: أغيثونا، وقدّمتم عليهم الرفاعي والجيلاني والبدوي والدسوقي: أهؤلاء أحب الى الله وإليكم - من أولئك ؟

وهؤلاء شهداء أُحُد وبدر وغيرهم: أحياء كذلك، وقد نهى الله أن يقال إنهم أموات **﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون﴾** [البقرة١٥٤] فلماذا لم يخطر في بالكم أن تستغيثوا بهم. أم أنكم وجدتم آباءكم ومشايخكم على هذا السبيل وأنتم على آثارهم مقتدون.

ولو كان يجوز طلب الشفاعة ممن ورد أنهم يشفعون لجاز لنا أن نطلب الشفاعة من القرآن والصيام والحجر الأسود، فقد ثبت أنهم يشفعون يوم القيامة، وكذلك الملائكة الذين لا يزالون يستغفرون للمؤمنين **﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِهِم عذاب الجحيم﴾**.

وأنت إذا تأملت نصوص الشفاعة فستجدها كثيرة في حياته ﷺ ولكنك لن تجد منها ما يفيد جوازها في حياته البرزخية. ولذلك لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه طلب الشفاعة منه بعد موته [١] بل إنك تجد ما يضاد ذلك، فقد عدل عمر عن دعاء النبي بعد موته وتوسل الى الله بدعاء عمه العباس وكذلك توسل معاويةُ بيزيد بن الأسود أمام جمع غفيرٍ من الصحابة.

أويس القرني حجة عليكم

وهذا أويس القرني الذي يحتج أهل البدع بأن النبي علّم ﷺ أصحابه إذا هم لقوه أن يسألوه أن يستغفر لهم كما قال «إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويسٌ... فمن لقيَه منكم فليستغفِر لكم» [٢]. فقيّد طلب الاستغفار عند لقائه وليس مطلقاً.

---

١) النبي مات بنص القرآن ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ غير أنه حي بحياة برزخية ذات قوانين أخرى تختلف عن نظام حياتنا.

٢) مسلم (٢٥٤٢).

فهل اكتفوا بطلب الاستغفار منه قبل اللقاء به أم طلبوا منه ذلك حين لقوه كما هو ثابت عن عمر، التزاماً منهم بنص الحديث الذي قيد الطلب باللقاء؟!

وكيف ينص النبي للصحابة بكلام صريح أن يطلبوا من أويس الاستغفار اذا هم لقوه ولم يقل اذا أنا متّ فأتوا قبري فاذا أتيتم فسلوني الاستغفار بعد موتي وسلوني حوائجَكم فإني حي في قبري!

الشفاعة الشرعية والشفاعة الشركية

وقد علمنا ﷺ اذا أردنا الفوز بشفاعته ﷺ أن **نسأل الله له**، **لا أن نسأله من دون الله** كما في صحيح مسلم: قال « سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو. فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»[1].

يسألونه مقاماً لا ينبغي الا له!!!

فقال سلوا الله لي الوسيلة. ولم يقل سلوني الوسيلة.

فخالفوا طريقه: فلم يسألون الله له وإنما صاروا يسألونه.

فكيف نسأله الوسيلة التي سألنا أن نسألها الله له؟ هل تريدون أن تنالوا المقام المحمود الذي لا ينبغي الا للنبي ﷺ فقط؟

- وعلّمنا ﷺ نص الوسيلة، فقال « من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدتَه: حلت له شفاعتي».

- وقال ﷺ «من صلى عليّ عشراً أول النهار وعشراً في آخره: حلّتْ له شفاعتي»[2].

تلك هي الطريقة الشرعية لشفاعة النبي ﷺ:

- فالشفاعة الشرعية السنّيّة **أن ندعو الله من أجل النبي** لينال الوسيلة.

- والشفاعة الشركية البدعية **أن ندعو النبي** ﷺ من دون الله ونطلب منه مقامه الخاص به، فنسأله الوسيلة التي صرح بأنها لا تنبغي الا لعبد واحد.

---

١) رواه مسلم (٣٨٤)

٢) ذكره المنذري ٦٥٩ باسناد صحيح.

التوسل والوسيلة

تسمية التوسل بغير اسمه

أنواع التوسل المشروع

كيف كان توسل الصحابة

توسل الأعمى بالنبي ﷺ وفيه أثر يطعن بعثمان

موقف أبي حنيفة من التوسل

نماذج من بضاعة الحبشي في الحديث

مسألة التوسل

يستخدم أهل البدع ألفاظاً شرعية يصطلحون لها على معان مخالفة للمعنى الذي أراده الشرع، فيطلقون لفظ التوسل ويقصدون بهً الاستغاثة تارة والتوسل بذوات الصالحين أمواتاً تارة أخرى.

وبما أنه قد دخل في لفظ التوسل خلط ولبس، وصار مفهومه عند المتأخرين مخالفا لمفهومه في لغة الصحابة: حيث معناه عندهم: التوسل بدعاء المتوسَل به. وأما عند المتأخرين: التوسل بذاته لا بدعائه: صار الكلام فيَ التوسل داخلا في العقائد لأنك لا تكاد تجد مدافعا عن التوسل الا وهو يعني به الاستغاثة بغير الله ويحتج له بحديث الأعمى يسمونه حديث التوسل وفيه لفظ « يا محمد».

فالكلام على التوسل وإغراء الناس به صار استدراجا للعوام نحو الاستغاثة بغير الله فلهذا لم تعد مسألة التوسل داخلة في مسائل الفقه كما زعم من ظن أنه بلغ الاعتدال وهو الى التساهل في الدين أقرب.

تعقيب على الشيخ فيصل مولوي

وفي ذلك رد على قول الشيخ فيصل مولوي أن كثيرا من المنتسبين للشيخ محمد بن عبد الوهاب قد بالغوا حتى اعتبروا موضوع التوسل من مسائل الشرك، مع أنه من مسائل الفقه [1]. وكيف يكون من مسائل الفقه وهؤلاء تركوا التوسل بأسماء الله الحسنى والتوسل بالعمل الصالح واستبدلوه بالتوسل بالصالحين ليقربوهم الى الله زلفى! وقد وقع الاختلاف فيه حين ضاع المفهوم الصحيح للتوسل وبعدما اتفق السلف على نمط واحد من التوسل هو التوسل بدعاء الرجل الحي الصالح. فالخلاف الذي وقع بعدهم لا اعتبار له.

ولقد ذكر التفتازاني أن شرك المشركين وقع حين « مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله اتخذوا تمثالا على صورته وعظموه تشفعاً الى الله تعالى وتوسلا» [2].

فليتنبه الشيخ الى أن شرك المشركين كان شرك الوسيلة الذي يدعو اليه هؤلاء اليوم.

---

١) مجلة الأمان. عدد ١٥١ ١٤ نيسان ١٩٩٥.

٢) شرح المقاصد للتفتازاني ٤/٤١-٤٢.

يسمونها بغير اسمها

وتذلل وخضوع المستغيثين عند أعتاب وأضرحة الأولياء وبين يدي مشايخهم هو الخشوع الذي لا يجوز أن يكون إلا لله. وقد أفلح الخاشع في صلاته بين يدي ربه.

وهذا الشرك (أعني التذلل والخضوع لغير الله) قد ألبسوه لباس الدين بإعطائه أسماء مختلفة. فبدل أن يسموه عبادة سموه توسلا. وبذلك ارتكبوا جناية على اللغة والدين. فبدلوا اللغة كما بدلوا الدين.

فالاستغاثة: طلب الغوث كما أن الاستعانة طلب العون من المستعان به، فإذا كانت بنداء من المستغيث للمستغاث كان ذلك سؤالا منه وهو واضح وصريحٌ أنّ ذلك ليس توسلا به الى غيره، يسمونها بغير اسمها، وذلك على غرار تسمية الربا (فائدة) والخمرة (أم الأفراح) حتى لا يُقال لهم ﴿**إنكم لمشركون**﴾ !!!

فكما أن هناك من سمى الخمرة بغير اسمها فهناك من يسمى الشرك بغير اسمه يسميه توسلا وتبركا ويسمي التحريف تأويلا ويسمي التعطيل تنزيها ويسمي الرقص ذكرا ويسمي التقديس محبة! هكذا يزَيِنُ الباطل.

○ أن النبي ﷺ قد ندبنا أن نسأل الله كلَ شأن من شؤوننا فكيف نلتفت الى غيره في أشد حوائجنا وشدائدنا ونلجأ الى سواه.

التوسل بالذات أم بالدعاء؟

وقد خالف الموحدون المشركين بتفريقهم بين التوسل بذوات الصالحين وبين التوسل بدعائهم. فتركوا التوسل بذات أفضل الصالحين وسيد المرسلين محمد ﷺ بعد موته وتوسلوا بدعاء غيره من الأحياء، ولهم في ذلك سلف كتوسل عمر بالعباس. وتوسل معاوية بالأسود بن يزيد[1]، وحدث ذلك أمام جمع غفير من الصحابة فكان هذا اجماعا منهم على صحة الفعل. وهذا الترك سنة، وعدم الترك بدعة مخالفة لما تركه خير القرون. وسلوك لغير سبيل المؤمنين. ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾. فلا بد من الرجوع الى المعنى الشرعي للفظ التوسل من القرآن والسنة وفهم سلف الأمة.

---

١) حسن الحافظ إسناده في التلخيص ١٠١/٢ والإصابة ٦٩٨/٦.

ولا اعتبار للخلاف الذي وقع في التوسل بعدهم وبعد قول عمر (كنا نتوسل بنبيك) الذي قاله أمام جموع الصحابة. وقد جعل مؤلفو الحديث كالبخاري هذه الأحاديث تحت باب (سؤال الناس الإمام الاستسقاء اذا قحطوا) ولم يجعلها تحت باب التبرك بقبور الصالحين. إذ لا يوجد ولله الحمد مثل هذا الباب في كتب الحديث المعتبرة.

التوسل في اللغة

قال في القاموس في مادة (وسل) وسل الى الله تعالى توسيلا: أي عمل عملا تقرب به اليه». وفي المصباح المنير « ووسل الى الله تعالى توسيلا: أي عمل عملا تقرب به اليه». و « توسل الى ربه وسيلة: أي تقرب الى الله بعمل».

وفي الصحاح للجوهري « توسل اليه بوسيلة: أي تقرب اليه بعمل».

والتوسل الى الله معناه اتخاذ سبب يزيد العبد قربة من الله. وفي ذلك آيتان من كتاب الله :

* ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة﴾ [المائدة٣٥] عن ابن عباس والسدي وقتادة «أي تقرّبوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه» قال ابن كثير « وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف فيه بين المفسرين» وساق الطبري أقوالا « حاصلها» أن الوسيلة هي التقرب الى الله بطاعته والعمل بما يرضيه [1].

وقال أبو الليث السمرقندي (كبير مشائخ الحنفية) ﴿وابتغوا اليه الوسيلة﴾ «أي اطلبوا القربة والفضيلة بالأعمال الصالحة»[2].

ولم يقل أحد من المفسرين « المعتبرين» أن معنى ﴿ابتغوا اليه الوسيلة﴾ أي سلوا الأموات من دون الله أو اتخذوا الأولياء وسيلة لكم الى الله.

---

١) تفسير ابن كثير٢/٥٢-٥٣. تفسير الطبري المجلد الرابع ج ٦ ص ١٤٦-١٤٧ وانظر الدر المنثور ٢/٢٨٠.

٢) بحر العلوم ٣/٧٣.

هل ابتغى الصحابة الوسيلة؟

ونسأل: هل طبق الصحابة هذه الآية على الوجه الذي تفهمونه؟ هل كانوا يتوسلون الى الله بالنبي ﷺ أم أنكم فهمتم فهماً جديداً فات الصحابةَ فهمُهُ حتى عدلوا عنه وتمسكتم به؟

وقد ذكر النبي ﷺ لعمر ولياً من أولياء الله، وأمره اذا لقيه أن يسأل الله له الاستغفار، ولو كان التوسل بالذات هو المفهوم عند الصحابة لتوسل عمر بأويس قبل أن يلقاه كأن يقول: اللهم إني أسألك بأويس.... لكنه لم يفعل!

قال تعالى **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا: أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾** [الاسراء٥٦].
قال ابن عباس ومجاهد «وهم: عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم» [١].

قال ابن مسعود « نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنّيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون».

قال الحافظ « استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا وصاروا يبتغون الى ربهم الوسيلة. وهو المعتمد في التفسير» [٢].

وقال بعض السلف: « كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة، فبيّن اللهُ لهم أن هؤلاء عبادي كما أنتم عبادي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي، ويتقرّبون اليّ كما تتقرّبون إليّ».

ومن هاتين الآيتين يتبين لنا نوعان من التوسل:

أحدهما توسل شرعي: وهو التقرب الى الله بالوسائل التي شرعها. كالتوسل بأسماء الله الحسنى والتوسل بالعمل الصالح.

وثانيهما: توسل شركي يعتمد التعلق بالذوات واللجوء اليها، والتماسات شركية يظنونها وسائل شرعية تحقق المطلوب وتدفع المحذور.

---

١) تفسير البغوي ١٠١/٥ محقق.

٢) البخاري (٤٧١٤و٤٧١٥) فتح الباري ٣٩٧/٨-٣٩٨.

أنواع التوسل المشروع

١) **التوسل الى الله بأسمائه الحسنى** وهو أعظم أنواع التوسل قال تعالى **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه. سيجزون ما كانوا يعملون﴾** [الاعراف ١٨٠]. ومن أعظم أنواع التوسل الى الله بأسمائه الحسنى: ما رواه بريدة أن رجلا جعل يدعو، فجعل النبي ﷺ يستمع الى دعائه فكان يقول اللهم اني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا اله الا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (أن تغفر لي ذنوبي) فقال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى»[1].

٢) **التوسل الى الله بالايمان والعمل الصالح**: ودليله قصة الثلاثة نفر من بني اسرائيل الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار وحالت دون خروجهم فجعلوا يذكرون أخلص أعمالهم الصالحة ويسألون الله بها أن يفرج عنهم الصخرة ففرجها عنهم [2].

ومن ذلك التوسل بالايمان بالنبي ﷺ ومحبته، ولكن لم يعهد عن أحد من سلف الأمة أنه قال «اللهم أسألك بايماني بنبيك وبمحبتي له» وانما كانوا يقولون **﴿ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ ﴿ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا: ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾**.

ولا شك أن هؤلاء لم يكونوا يجهلون أسماء الأنبياء، فلم يتوسلوا الى الله بإبراهيم أو اسماعيل أو يعقوب، وإنما اقتصروا في هذا الموقف العصيب على التوسل بأخلص أعمالهم، ثم يقرهم الله على ذلك ويكافؤهم بأن يفرج عنهم.

أوكانوا وهابيين لا يرون التوسل؟ أين الأنبياء والأولياء الذين زعم الحبشي أنهم يخرجون من قبورهم فيغيثون الملهوف ثم يعودون اليها؟

ومع مشروعية التوسل بالعمل الصالح فإن النووي رحمه الله كان يخاف أن يكون فيه نوع من ترك الافتقار المطلق الى الله، فكيف بمن يتوسل بالذوات غير المشروع؟!

ومن التوسل بالايمان ما نجده في تلك الآية **﴿ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾** [آل عمران ١٦]. فيجوز للعبد أن يتوسل بايمانه أن يغفر له، ففي الصحيحين أن رجلا سأل رسول الله

---

١) رواه الترمذي رقم (٣٤٧١) وأبو داود (١٤٩٣).

٢) رواه البخاري.

ﷺ « أي العمل أفضل؟ قال: ايمان بالله ورسوله[1].

٣) **التوسل الى الله بدعاء الرجل الصالح** وهذا مشروع. وقد كان الصحابة يتوسلون الى الله بدعاء نبيهم ﷺ وكانوا يتوسلون بعد موته ﷺ بدعاء من يتوخون فيه العلم والصلاح. كقول أم الدرداء لصفوان - وقد كان مسافراً « أدعُ لنا بخير، فإن رسول الله ﷺ كان يقول « دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه مَلَك موكل. كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل: آمين، ولك بمثل» [2]. وهكذا توسلت أم الدرداء بدعاء صفوان في الحج.

---

١) متفق عليه.

٢) رواه مسلم (٢٧٣٣).

كيف كان توسل الصحابة؟

وفي قضية التوسل بالنبي ﷺ نسأل الأسئلة التالية:

السؤال الأول: هل طرأ التوسل بالنبي ﷺ بعد موته أم كانوا يتوسلون به في حياته؟ الجواب: لا شك أنهم كانوا يتوسلون به في حياته.

السؤال الثاني: إذا ثبت أنهم كانوا يتوسلون به في حياته فكيف كانت طريقة التوسل؟ هل كان التوسل بذاته أم بدعائه؟

السؤال الثالث: هل التوسل بالذات مجمع عليه أم مختلف فيه في عهدهم؟ ومتى ابتدأ الخلاف؟

ان الذين لا يجعلون فرقاً بين التوسل به ﷺ حياً وميتاً محجوجون بفهم الصحابة وفعلهم، فإننا اذا اختلفنا في فهم سنة رجعنا الى فهم السلف لها.

فقد ترك عمر التوسل بالنبي ﷺ بعد موته أمام جمع من الصحابة. فكان المشروع ما فعلوه لا ما تركوه. والترك الراتب سنة متبعة، وفاعل ما تركوه سالك غير سبيلهم.

فلقد أصيب الناس في عهده بالقحط فخرج بالناس للاستسقاء ثم قال « اللهم كنا إذا أُجدبنا سألناك بنبيك ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا» [١]. وفي رواية أنس «كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به، فيستسقي لهم فيُسقَوْن. فلما كان في عهد عمر..» [٢].

وفي هذا أكبر تكذيب لقول الأحباش « لم يكن بين المسلمين إنكار للتوسل بالرسول في حياته أو بعد وفاته: المسلمون مجمعون على جواز ذلك» (منار الهدى ٣٢: ٢٧). فقد كره أبو حنيفة التوسل بالنبي ﷺ على ما سترى. فأين هذا الاجماع المزعوم؟!

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رواية تؤكد أن التوسل كان بدعاء العباس فقال عمر للعباس « قم واستسق لنا» فقال العباس « اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بِذَنب، ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك

---

١) البخاري (١٠١٠).
٢) أخرجه الاسماعيلي كما في فتح الباري ٤٩٥:٢ وابن حبان: الإحسان ٢٢٨/٤ رقم (٢٨٥٠).

لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث»[1]. وهذا رد على من زعم أن توسل عمر بالعباس كان بالذات. ولو كان بالذات لما كان ثمة حاجة ليأخذوا العباس معهم ولتوسلوا بمنزلته من النبي ﷺ[2]. فهو توسل بفعل العباس لا بذاته.

ومالك لم يكن يرى فرقا بين حياة النبي ﷺ وبين موته فيما يتعلق بتوقيره وحرمة رفع الصوت في مسجده. ولكنه مع ذلك كان يفرق بين حياته ﷺ وبين موته فيما يتعلق بمسألة التوسل به ﷺ ومسألة زيارة قبره حتى قال « وأكره أن يقال زرت قبر النبي ﷺ».

---

١) فتح الباري ٢:٤٩٧ واحتج به العلامة الكشميري فيض الباري ٢/٣٧٩ والسبكي في شفائه (ص ١٧٢) وهو حجة عليه. وانظر اتحاف السادة للزبيدي ٥/٤٨ و٣/٤٤٤.

٢) وقال بذلك العلامة محمد أنور الكشميري في فيض الباري ٢/٣٧٩.

بطلان قاعدة جواز التوسل بالمفضول

وقد أجابوا عن ترك عمر التوسل بذات النبي ﷺ بأن توسل عمر بالعباس إنما كان لتعليم المسلمين جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل. لو ثبت بإسناد صحيح ولو مرة واحدة أن واحدا من الصحابة توسل الى الله بميت لقلنا صدقتم، بل الثابت توسلهم بدعاء العباس والاسود بن اليزيد مما يبطل زعمكم.

وهذا تعليل لا نسلم لكم به الا بدليل يرد فيه هذا التعليل نصا من كلام الصحابة. بل هذا التعليل ادعاء للغيب، فإن عمر لم يقل شيئا من ذلك ولا أحد من الصحابة، فلم يبق الا أن تدعوا أنكم تعلمون ما كان في قلب عمر ونيته.

ويلزمكم أن تبرهنوا على صحة هذا التعليل بأن تأتوا برواية صحيحة تثبت أن الصحابة استسقوا بالنبي ﷺ بعد موته ولو مرة واحدة حتى نوافقكم على هذه القاعدة (التوسل بالمفضول مع جواز الفاضل).

○ لأن تعليلكم ظن. والظن لا يرفع الخلاف. إذ الروايات تتضمن عبارة (كانوا) و (فلما) الدالان على عدول الصحابة عن الأمر الأول الى الثاني. والظنيات عند الأشاعرة لا يجوز دخولها في أمور العقائد التي تتطلب القطعيات، وكان عليهم أن يحترموا عهودهم وأن لا يحتجوا في أمور العقائد بالمحتملات.

○ أن الأمر ﴿**وابتغوا**﴾ دليل على الوجوب، لا ينصرف عنه الى السنية الا بدليل.

○ أنه يمتنع في العادة أن يلجأ المضطر في حالة الشدة إلى الأدنى المشكوك فيه مع توافر الأعلى المضمون.

○ أن ترك الصحابة التوسل بأنبياء آخرين يبطل قاعدة الخصم (جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل). ويؤكد أن قول عمر (كنا نتوسل بنبيك) تفيد الماضي.

○ أن أحداً من هؤلاء اليوم لا يرضى أن يقول ما قاله عمر (كنا نتوسل بنبيك) لأن الواقع أنهم ما يزالون اليوم يدعون الناس الى

التوسل الذي عدل عنه الصحابة. وهذه علامة الضلالة ومخالفة السلف: أنهم يقولون اليوم (لماذا لا نتوسل بالنبي ﷺ) بينما قال عمر (كنا نتوسل بنبيك).

❊ **شبهة**: وزعموا ان قول عمر (كنا) لا يفيد الماضي وانما هو نظير قوله تعالى ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ والجواب:

أولا: أنه لما قال عمر (كنا) لم يتوسل بالنبي ﷺ مما يدل على أنه استعمل (كان) التي تفيد الماضي. ولا أظن أن هؤلاء يجهلون تلك الحقيقة ولكن علم الكلام يورث المجادلة بالباطل.

ثانياً: ما حكاه الحافظ ابن حجر عن الراغب « أن (كان) عبارة عما مضى من الزمان. لكنها في كثير من وصف الله تعالى تنبىء عن معنى الأزلية كقوله تعالى ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ قال: وما استعمل منه في وصف شيء متعلقاً بوصف له هو موجود فيه فللتنبيه على أن ذلك الوصف لازم له أو قليل الانفكاك عنه كقوله تعالى ﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾[1].

قلت: لاحظ أنه لا يأتي في هذه الآيات بعد (كان) فعل وانما صفة. وأما اذا جاء بعدها فعل فلا بد أن تكون مفيدة للماضي.

○ فالتوسل كان بدعاء النبي ﷺ وهذا ثابت بأدلة متوافرة أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون هلك الحرث فادع الله لنا يا رسول الله.

- ولم يثبت أنهم كانوا يتوسلون بذاته في الاستسقاء. ولم يرد في حديث صحيح ولا ضعيف أنهم كانوا يستسقون برسول الله ﷺ من غير أن يفعل هو الاستسقاء من صلاة ودعاء، فلما مات استسقوا بالعباس وكان هذا بجمع الصحابة كلهم وإقرارهم. ولو كان بذات النبي ﷺ لما قال عمر (**كنا**) ولا قال أنس (**كانوا**). وهذه الأنواع من التوسل قد أجمعت الأمة على مشروعيتها».

---

١) فتح الباري ١٣/ ٤١٠.

وهنا تجاهل نقد الذهبي للرواية

○ ويتمسك الأحباش بحديث باطل وهو « إذا سألتم الله فسلوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» ولو كان هذا الحديث معلوماً عند الصحابة لصار عمر مخالفاً لقوله ﷺ «سلوا الله بجاهي» ولصار الذين جمعهم عمر وتوسل أمامهم بدعاء العباس موافقين له على خلاف ما أمر به ﷺ من التوسل بجاهه أو ذاته. فهل جهل الصحابة - أو تجاهلوا - جاهه ﷺ فتركوا التوسل بجاهه؟

وهل جهلوا جاه موسى الذي قال الله فيه ﴿**وكان عند الله وجيهاً**﴾ وعيسى الذي قال الله فيه ﴿**وجيهاً في الدنيا والآخرة**﴾ فلم يسألوا الله بهذا الجاه؟

○ ويتمسكون برواية ضعيفة مفادها أن عمر قال « يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا برسول الله واتخذوه (أي العباس) وسيلة الى الله» [1]. وهذه الرواية ضعيفة فيها داود بن عطاء المدني وهو ضعيف كما في التقريب للحافظ (١٨٠١). وقد تعقب الذهبيُ الحاكمَ (٣/٣٣٤) في هذه الرواية قائلا « داود متروك». فلماذا لا تحتجون هنا بالذهبي كاحتجاجكم به في موقفه من أبي اسحاق السبيعي؟

ثم على فرض صحة الرواية فإن منزلة العباس من النبي ﷺ لا تُنكر، فاجتمع في كلا الروايتين منزلة العباس ودعاؤه.

فأي محاولة لإثبات أن التوسل كان بمنزلة العباس أو قرابته دون دعائه إنما هو طعن منهم في منزلة النبي ﷺ وفي فعل الصحابة.

وأما أن يقال: إن التوسل بالعباس كان لمجرد منزلته فيقال: أفيجوز أن يتوسلوا بمكانة العباس ولا يتوسلوا بمكانة النبي ﷺ التي لا تزول بموته؟ أم أن التوسل كان بشيء ثان مقرون مع المكانة وهو التوسل بالدعاء؟ وقد انتفى دعاء رسول الله ﷺ بموته فتوجه الصحابة

---

١) فتح الباري ٢/٤٩٧ وقد جمع لها الألباني ثلاث علل: ١ - داود بن عطاء ٢ - ساعدة بن عبيد الله المزني لم يوجد له ترجمة. ٣ - الاضطراب في السند فتارة عن زيد عن أبيه من طريق هشام بن سعد وتارة عنه عن ابن عمر. وهشام أقوى من داود.

الى دعاء العباس وقالوا « قم يا عباس أدع الله لنا».

وإذا كان توسل عمر بالعباس لقرابته ومنزلته فبماذا نفسر توسل معاوية بيزيد بن الأسود أمام جمع من الصحابة أيضاً؟ (١). ولئن كان لكم مخرج في الطعن بمعاوية فأي مخرج لكم في إقرار جموع الصحابة لفعله؟

❊ **شبهة** : وزعموا أن عمر لم يبلغه حديث الضرير ولو بلغه لتوسل به. وهذا باطل فقد كان توسل عمر بدعاء العباس أمام جمع من الصحابة وتكرر هذا الجمع للاستسقاء بموجب قول أنس (كانوا) مما يدل على الاستمرار (٢)، فهذا اتهام له وللمهاجرين والأنصار بجهل حديث الضرير أو اتهام لهم بالسكوت عليه.

❊ **شبهة** (٣): واحتجوا بقوله تعالى ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾ مع مخالفتهم لما فهمه السلف منها حيث معناها المجيء اليه في حياته. فلا يجوز إحداث تأويل في آية أو حديث لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه لأنه يلزم من ذلك الطعن بهم أنهم جهلوا الحق الذي اهتدى اليه الخلوف من بعدهم، أو أنهم علموه ولكن كتموه عن الأمة.

○ وقد ذم الله من تخلف عن هذا المجيء واعتبرهم منافقين مستكبرين غيرِ مغفور لهم فقال ﴿**واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرتَ لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾.

---

١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤٤٤/٧ وأبو زرعة في تاريخ دمشق ٦٠٢/١ وإسناده مسلسل بالثقات الكبار فهو غاية في الصحة.

٢) وهذه اللفظة المفيدة الدالة على الاستمرار تقطع الطريق على من زعموا أن فعل عمر يدل على جواز التوسل بالفاضل مع بقاء المفضول.

٣) تقدمت هذه الشبهة مع الاجابة عليها وانما أوردتها لكثرة الاحتجاج بها في الاستغاثة بالنبي ﷺ وللتوسل به عند قبره.

○ ولم يثبت أن أحداً من الصحابة أتى قبر النبي ﷺ وسأله الاستغفار وهذا يقتضي دخول الصحابة في المنافقين المستكبرين وأن الله لن يغفر لهم لأنهم ما عملوا بهذه الآية، بل ثبت تركهم للتوسل به بعد موته والتوسل بغيره.

ولا يعقل أن يعطل الصحابة تطبيق الآية ثم يأتي هؤلاء الخلوف ويفهمون منها ما لم يفهمه ولم يطبقه الصحابة.

○ ثم ان ايجاب مجيء القبر على كل مذنب من أمة محمد ﷺ تكليف بما لا يطاق، فإن الأمة لا تستطيع مجيء القبر عند ارتكاب كل ذنب.

○ أن في هذا الفهم إلغاء لدور الحج والعمرة، بل يصير القبر حَرَماً يحج اليه الناس. وحينئذ: فلماذا يحج الناس الى مكة؟ أليس ليعودوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم؟ ولماذا يفعلون ذلك والآية تنص بزعمهم على وجوب حج المذنبين الى قبره ﷺ؟ وكأنهم يقولون: من حج الى قبر النبي ﷺ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه!!!

○ ويلزم أن يصير القبر عيداً، بل أعظم أعياد المذنبين، وهذا مخالفة للنبي ﷺ فإنه نهى عن أن يُتخذ قبره عيداً.

○ أن الآية خاصة بحياة النبي ﷺ حيث نزلت فيمن ترك الرسول ﷺ وتحاكم الى الطاغوت فهو بذلك أساء الى الرسول وترك حقا شرعيا لا تتحقق التوبة منه الا بالمجيء الى النبي ﷺ وإعلان التحاكم اليه. فوضح من ذلك أن هذه الآية نزلت في المنافقين **﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾**.

شبهة العبرة بعموم اللفظ

أما ما يدعيه القوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فأخبرونا:

ألم يكن الصحابة من هذا العموم؟

وإذا كان الجواب: نعم.

فمن عمل بمقتضى هذا المفهوم الذي تزعمونه؟ لقد تركوا التوسل به كما عند البخاري ولم يأتوا قبره ولم يثبت عن واحد منهم أنه جاء الى قبره ﷺ وطلب الاستغفار هناك بعد موته.

وهذا يؤكد أن هذا العموم قد انقطع بموته ولو كانت العبرة بالعموم لفعلوه بعد موته ﷺ.

وإن كانت الآية عامة لزم منه أن خير القرون قد عطلوا هذا الواجب وتجاهلوه حتى جاء المتأخرون وعملوا به أو أنهم جهلوه وضلوا عنه وفقهه الخلف!

التوسل بالذوات من خصال المشركين

○ فأما التوسل بالذوات فإنه من خصال المشركين الذين كانوا يتخذون الصالحين وسيلة لهم ليقرِّبوهم إلى الله ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرِّبونا الى الله زلفى**﴾ [الزمر٣] أمثال ود وسواع ويعوق ويغوث ونسر.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿**وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً**﴾ [نوح٢٣] هذه أسماء رجال أولياء صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا بنوا لهم الصور والتماثيل (البخاري ٤٩٢٠). هذا باعتراف الأحباش.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن موسى بن محمد بن قيس: أن يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صوّرنا صُورهم كان أشوقَ لنا الى العبادة، فصوّروهم: فلما ماتوا، وجاء آخرون: دبّ اليهم ابليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبِهِم يُسقَوْن المطر، فعبدوهم [١].

فهؤلاء المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كان منهم من يعبد الأصنام المصورة على صور الصالحين: وُدٍّ وسواع ويغوث فيستسقون بها.

قبور الصالحين مبتدأ عبادة الأصنام

قال الحافظ ابن حجر في الفتح « وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبِعهم مَن بعدهم على ذلك» [٢]. وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين. فكلما مات منهم أحدٌ مثّلوا صورته وتمسحوا بها. فعبدوها بتدريج الشيطان لهم [٣].

قال القرطبي « فعلوا ذلك ليتأنّسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا

---

١) تفسير الطبري مجلد ١٢ ج ٢٩ ص ٦٢ وانظر البخاري رقم (٤٩٢٠) تفسير سورة نوح.

٢) وما زالوا الى يومنا هذا.

٣) فتح الباري ٨:٦٦٨-٦٦٩.

أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنه خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصورة فعبدوها، فحذّر النبي ﷺ عن مثل ذلك.. وسد الذرائع المؤدية الى ذلك فقال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد» [١].

موقف الرازي الأشعري من القبوريين

وذهب الرازي الى أن المشركين « وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى. [اضاف]:

ونظيره في هذا الزمان: اشتغال كثيرٍ من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقادهم أنهم إذا عظموا قبورَهم فإنهم يكونون لهم شفعاء عند الله» [٢].أ هـ.

الاستغناء بالمشروع عن المظنون

ان الله شرع لنا من التوسل المشروع ما يغنينا عن غيره مما لا دليل على مشروعيته اللهم الا من خلال الروايات والمفاهيم الضعيفة، فليس من الحكمة أن يُشغلنا الجدالُ حول أنواع التوسل غير المشروع وغير الثابت عن التوسل المشروع الثابت من الكتاب والسنة كالتوسل الى الله بأسمائه وصفاته، وبالايمان والعمل الصالح.

---

١) تفسير القرطبي لآية (١٠٤ من البقرة).

٢) التفسير الكبير للرازي ١٧/٥٩.

حديث توسل الأعمى بالنبي ﷺ

قالوا: قد توسل الأعمى بالنبي ﷺ فقال « اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد» ثم نشأت الشبهة عندهم فقالوا: لو كان التوسل بالدعاء لما قال الأعمى « أسألك اللهم بنبيك» ولقال « أسألك اللهم بدعاء نبيك» فلماذا تضيفون ما لم ترِد إضافته؟

والجواب: أنه اذا كان الثابت توسلهم بدعاء النبي ﷺ حين كان حيا وتوقفهم عن التوسل به الى التوسل بدعاء غيره من بعده: فلا يعود ثم حاجة الى تقدير مضاف لأن معنى التوسل والاستشفاع في عرف الصحابة ولسانهم هو التوسل بالدعاء لا بالذات والجاه، ومن كان عنده ما يثبت توسلهم بالذات فليأت به.

○ أن النبي ﷺ هو الذي تعلمنا منه هذه الإضافة حين قال « إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها: بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»[1] وعلّمنا أن الدعاء هو المقصود حين قال له « إن شئت دعوتُ لك» فقال الرجل « بل أدعه» ولكن المصرين على التوسل بالذوات لا يتعلمون وإنما يتجاهلون.

وتوسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ هو أمرٌ مشروع لتوافر الأدلة عليه. ولا بد من الوقوف في قصة الأعمى على فوائد مهمة:

○ أن الأعمى ذهب الى النبي ﷺ ليطلب منه الدعاء ولو كان التوسل بالذات مشروعاً لم يكن ثمة حاجة للذهاب اليه إذ كان يكفيه أن يتوسل به من غير أن يذهب اليه. فيقول «اللهم أسألك بنبيك» لكنه ذهب وطلب منه أن يدعو له.

○ أن النبي ﷺ وعده بالدعاء له فقال « إن شئتَ دعوتُ لك» فألحّ عليه الأعمى بالدعاء قائلا « بل أدعُه». وهذا وعدٌ من الرسول ﷺ بالدعاء للأعمى، علّقه على مشيئته، وقد شاءه الأعمى بقوله (بل أدعه) ويقتضي أنه دعا ﷺ له، وهو خير من وفى بما وعد، يؤكد ذلك أيضاً قول الأعمى في دعائه الذي علمه الرسول ﷺ أن يدعو به « اللهم فشفّعه فيّ» أي اقبل دعاءه فيّ. والشفاعة معناها الدعاء كما قال في لسان العَرب « الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره،

---

١) رواه البخاري (٢٨٩٦) والزيادة عند النسائي ٦/٤٨.

والشافع: الطالب لغيره، يتشفّع به الى المطلوب، يقال: تشفعتُ بفلان الى فلان». وبهذا يثبت أن الأمر كان يدور على دعائه ﷺ لا ذاته أو جاهه.

○ أن النبي ﷺ أمره أن يتقرب الى الله بعدة وسائل منها التوسل إليه بالعمل الصالح وهو « إحسان الوضوء» « وإتيان ركعتين» يدعو الله عقبهما أن يستجيب دعاءه في أن يقبل دعاء النبي ﷺ له. وهذا هو معنى قوله « وشفعني فيه» أي أدعوك أن تتقبل دعاء النبي ﷺ لي.

○ وهذه العبارة لا يفقهها الحبشي وأمثاله، بل لا يريدون أن يفقهوها لأنها تنسف بنيانهم من القواعد وتكشف أن التوسل كان بدعاء النبي ﷺ وبالعمل الصالح لا بذات النبي ﷺ. فإن شفاعة النبي ﷺ للأعمى مفهومة عندهم ولكن ما معنى شفاعة الأعمى للنبي ﷺ كما قال « وشفعني فيه»؟ علما بأن معنى الشفاعة في اللغة: الدعاء. إن معناها «اللهم اقبل دعائي في استجابة دعاء نبيك ﷺ لي. ولا يمكن لأحد بعد موت النبي ﷺ أن يقول «اللهم اقبل شفاعته فيّ» فهذا مذهب باطل لا يزعم أحد أن دعاء النبي ﷺ حصل له وهو في قبره.

○ فاللغة والشرع يشهدان بصحة ذلك. ولكن ماذا نفعل في أناس تجنوا على اللغة والشرع؟

ولنتأمل هذين الحديثين فعن أنس وعائشة عن النبي ﷺ قال « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له إلا شُفّعوا فيه» وفي رواية ابن عباس «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئاً إلاّ شفّعهم الله فيه». فمعنى شفّعهم الله فيه أي قبِل دعاءهم له. فيصير معنى «شفعني فيه» أي إقبل دعائي بأن تستجيب دعاءه.

○ أن علماء الحديث كالبيهقي ذكروا هذه الحادثة ضمن معجزات النبي ﷺ. وهو السر في حصول هذه المعجزة التي لم نسمع بعد موته ﷺ مثلها بين الصحابة ولا بعدهم الى يومنا هذا. السر هو دعاؤه ﷺ.

○ أن من الصحابة من أصيبوا بالعمى بعد مماته ﷺ كابن عباس

وابن عمر، ولم يُعهد أنهم استعملوا هذا الدعاء، بل تركوا التوسل به ﷺ بعد موته وتوسلوا بدعاء العباس وغيره. وليس ثمة تفسير لذلك إلا افتقاد شرط دعائه ﷺ وإلا فجاهه عند الله عظيم حيا وميتاً.

هكذا فهم الصحابة التوسل: تركوا التوسل به إجماعاً كما في قصة عمر يوم أجدبوا وسألوا الله بدعاء عمه العباس. فالثابت المروي عن جماعتهم في ترك التوسل به ﷺ بعد موته أصح سنداً مما نقل عن فعل أحد أفرادهم مما يعارض ذلك.

وكل هذه المعاني التي ذكرتُ دالة على وجود شفاعته بذلك، وهو دعاؤه ﷺ له أن يكشف عاهته، وليس ذلك بمحظور، غاية الأمر أنه توسل من غير دعاء بل هو نداء، والدعاء أخص من النداء، إذ هو نداء عبادة شاملة للسؤال بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وإنما المحظور السؤال بالذوات لا مطلقاً بل على معنى أنهم وسائل لله سبحانه بذواتهم، وأما كونهم وسائل بدعائهم فغير محظور، وإذا اعتقد أنهم وسائل لله عز وجل بذواتهم فسأل منهم الشفاعة للتقريب اليهم، فذلك عين ما كان عليه المشركون الأولون» [١].

○ أن قوله « يا محمد اني توجهت بك الى ربي» أي أتوجه بدعائك الذي وعدتني به حين قلتَ « إن شئت دعوتُ لك». وهذا ما فعله الرجل فإنه توجه الى النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو له.

○ فهو يُشهد الله أنه توجه الى نبيه ﷺ ليسأل الله له وكأنه يقدم هذه الشهادةَ بين يدي سؤاله ربه ومثل هذا كثير في الدعاء كقوله تعالى ﴿**ربنا اننا آمنا فاغفر لنا**﴾ وتقديم أصحاب الغار عملهم الصالح بين يدي دعائهم لله.

وهذا التوجه هو حكاية حال، يحكي فيه أنه توجه وذهب الى النبي ﷺ فطلب منه أن يدعو ربه. ولم يسأله في غيابه كما يفعل أهل البدع.

○ وهؤلاء يفهمون من قوله ﷺ « إئت الميضأة» وكأن معناه عندهم، إذهب الى بيتك. ولم لا تكون الميضأة قريبة منه ﷺ كما يفهم من سياق الرواية، وليس هناك دليل على أن الأعمى ذهب الى مكان آخر وصلى ثم دعا بهذا الدعاء؟!

---

١) جلاء العينين ٤٥٥.

وبتقدير أن يكون كلامه من بعيد. فيكون التوجه خطابا لحاضر في قلبه وليس استغاثة كما نقول في صلواتنا (السلام عليك أيها النبي) وكما يقول أحدنا اليوم (بأبي أنت وأمي يا رسول الله). وكما قالت فاطمة حين مات (وأبتاه: أجاب رباً دعاه». ودليل ذلك قوله في نهاية الدعاء (اللهم فشفّعه فِيّ) أي إقبل دعاءه في.

○ فأما التوجه الذي يفهمه الأحباش أي التوجه الى النبي ﷺ الى جهة قبره بعد موته كما علمهم محمد بن حسن الصيادي الرفاعي أن من أصابته ضراء فليتوجه نحو قبر الرفاعي ويخطو ثلاث خطوات ويسأله حاجته [١]. فهذا من سنن النصارى.

○ أما سنة نبينا فقد كان ﷺ يستقبل القبلة في دعائه ويسأل الله وحده، وكان يقول في دعاء الاستفتاح في الصلاة « **وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ان صلاتي** [والدعاء صلاة] **ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**». فالتوجه الى الله بالدعاء هو الملة الحنيفية، ودعوتكم الناس الى التوجه الى مقابر الأنبياء والأولياء هو ملة الشرك.

فإنه توجه بدعاء النبي ﷺ وهذا ما حدث حقاً فقد توجه الى النبي ﷺ ليدعو له فوعده بذلك. ولذلك قال في آخر دعائه « اللهم فشفعه فِيّ» أي اللهم اقبل دعاءه فِيّ.

○ والرجل يحكي ما فعله وليس في صيغة كلامه ما يستدل به على جواز قول المشركين (شيء لله يا رسول الله) وقول المالكي:

فبالذي خصك بين الورى ... برتبة عنها العلا تنزل
عجل بإذهاب الذي أشتكي ... فإن توقفت فمن ذا أسأل

والدليل على ذلك أن ننظر: ماذا قال الأعمى بعد قوله (يا محمد)؟ هل قال: أغثني أعد الي بصري؟

نعم، لقد قال (يا محمد) لكنه لم يسأله، وأنتم اذا قلتم (يا محمد) تقولون: أغثنا أمدنا بأمدادك، تعطف تكرم تحنن علينا بنظرة...

فإن كان سأله بعد قوله (يا محمد) فقد قامت حجتكم، وإن كان لم يسأله فقد قامت الحجة عليكم. فالحديث حجة عليكم لا لكم.

وليس كل خطاب لغير الحاضر استغاثة به، وإلا فقد خاطب عمر

---

١) قلادة الجواهر ٤٣٤ و٢٣٩.

بن الخطاب الحجر الأسود قائلا « والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسولَ الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتُك»[1].

صوفي ضرير يحتج بحديث الضرير

ومن الطريف أن شيخاً صوفياً ضريراً (نقشبندياً) كان يحتج علي بحديث الأعمى، فقلت له: وأنت ألست أعمى؟ قال: بلى، قلت له فهل دعوت بهذا الدعاء؟ قال: دعوتُ ولم يُستجب لي، لأن إيماني ضعيف. فقلت له: ليس هذا هو السبب، بل لأن الشرط الذي تتجاهلونه (وهو الدعاء من النبي ﷺ) غير متحقق بعد موته. وقد خيّر الأعمى - حين كان حياً - بين أن يدعو له أو أن يصبر وله الجنة ولكن: كيف يمكن تخييرك؟

---

١) رواه البخاري (١٥٩٧) ومسلم (١٢٧٠).

قصة لا تليق بعثمان بن عفان

واحتجوا بما أخرجه الطبراني في معجميه عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان فكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته [١] فلقي عثمانَ بنَ حنيف فشكى اليه ذلك فقال: إئت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتُقضىٰ لي. ثم رح حتى أروح معك. ففعل ما قال ثم اتى باب عثمان فجاء البوَّابُ فأخذه بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه فقال: ما حاجتك؟.. فقضاها له ثم قال له: إذا كانت لك حاجة فأْتنا. فخرج الرجل وأتى الى عثمان بن حنيف وقال له جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتى كلَّمتَه فيَّ. فقال له عثمان بن حنيف: والله ما كلمتُه، ولكن شهدتُ رسول الله ﷺ وأتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ إئت الميضأة، فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم ادعُ بهذه الدعوات» قال الطبراني والحديث صحيح. انتهى كلام الحبشي [٢]. قلت: خصص الحديث بالصحة وليس الأثر أم أنكم لا تفرقون بين الحديث والأثر؟

الجواب عن القصة المزعومة

١) والحديث صحيح ولا ريب كما قال الطبراني. غير أن الأحباش يحتالون على الناس فيجعلون كلام الطبراني « الحديث صحيح» شاملا للحديث وللقصة التي بعده، مع أن الطبراني خص الحديث بالصحة فقط دون غيره لأن هذه القصة ضعيفة السند وألصقت ببعض طرق الحديث لا كلها، وهذا احتيال لا يتفطن له عامة الناس.

❊ فإن قصة الرجل مع عثمان رضي الله عنه عند الطبراني ضعيفة السند ولم يتعرض لها الطبراني بتصحيح وانما قال في الصغير (١٨٤/١) « لم يروه عن روح بن القاسم الا شبيب بن سعيد المكي - وهو ثقة - وهو الذي يحدث عنه ابنه احمد بن شبيب عن يونس بن يزيد الأيلي. وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد - وهو ثقة - تفرد به عثمان بن عمر بن فارس

---

١) تأمل كم في هذه الرواية من الانتقاص لشخص عثمان رضي الله عنه، ومثل هذه الروايات تروق للروافض.

٢) الدليل القويم ١٧٣-١٧٤.

عن شعبة: والحديث صحيح».

وقوله « لم يروه...» مشعر بضعف القصة عنده ووقع التفرد فيها وهو الحق. فان آفة إسنادها رواية عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد وهي منكرة عند جميع أهل الحديث كما أشار اليه ابن عدي، وقال: حدث عنه ابن وهب بمناكير [1] «حدّث عنه ابن وهب بأحاديث منكرة» وأقره الحافظ في (التقريب ٢٧٣٩) فقال في ترجمة شبيب « لا بأس بحديثه من روايات ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب». وقال في مقدمة الفتح (ص ٤٠٩) « ولذلك أخرج البخاري من رواية ابنه عن يونس أحاديث ولم يخرج عن يونس ولا من رواية ابن وهب عنه شيئا».

قال ابن عدي « ولعل شبيباً لما قدم مصر في تجارته كتب عنه ابن وهب من حفظه فغلط ووهِم وأرجو أنَ لا يتعمَّد الكذِب» [2].

ويؤكد نكارة تفرد ابن وهب عن شبيب أن أحمد بن شبيب وهو المختص بالرواية عن أبيه روى الحديث من غير زيادة هذه القصة كما عند الحاكم في (المستدرك ٥٢٦/١) وابن السني في (عمل اليوم والليلة ١٧٠) من طريق أحمد بن شبيب بن سعيد قال: ثنا أبي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المدني وهو الخطمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف قال: سمعت رسول الله ﷺ ...الخ).

وهذه الرواية أصح سنداً لأنها من روايات أحمد بن شبيب عن أبيه. وتقدم قول الحافظ في (التقريب ٢٧٣٩) في ترجمة شبيب « لا بأس بحديثه من روايات ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب».

ثم في سند هذه الرواية طاهر بن عيسى شيخ الطبراني وهو غير معروف العدالة ذكره الذهبي ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فهو مجهول الحال.

---

١) الكامل في ضعفاء الرجال ٣٠/٤ رقم ٨٩١ مقدمة الفتح ٤٠٩ ميزان الاعتدال للذهبي ٢٦٢/٢.

٢) وقع خطأ في نقل كلام ابن عدي عند الذهبي في (الميزان ٢٦٢/٢) « كان شبيب لعله يغلط إذا حدَّث من حفظه» والصحيح أن المقصود بالغلط والوهم هو ابن وهب الراوي عنه كما هو ظاهر من كلام ابن عدي نفسه في الكامل ٣١/٤.

* شبهة : واحتجوا بزيادة وردت عند ابن أبي خيثمة في تاريخه في آخر الحديث وهي « وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك» وهي زيادة لم ترد في رواية من رووا عن حماد فقد رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ٦٥٨) وأحمد في (المسند ١٣٨/٤) وليس فيها « وان كانت حاجة ..).

- أن رواية الأعمى جاءت من طريق شعبة وحبان بن هلال من غير هذه الزيادة.

- أنه على القول بأنها من طريق حماد بن سلمة، فإنه وإن كان ثقة إلا أنه خالف بهذه الزيادة رواية من هو أوثق منه ممن لم تتضمن رواياتهم هذه الزيادة.

ولقد قال الحافظ عن حماد في (التقريب ١٤٩٩) « ثقة عابد، تغير حفظه بأخرة» وقال البيهقي في (السنن الكبرى ٩٤/٤) «حماد بن سلمة وإن كان من الثقات إلا أنه ساء حفظه في آخر عمره: فالحفاظ لا يحتجون بما يخالف فيه ويتجنبون ما يتفرد به عن قيس بن سعد خاصة وأمثاله» قال « فالاحتياط أن لا يُحتَجّ بما يخالِف فيه الثقات» [١].

والمسألة في أهم أصول العقيدة فإن القوم يريدون بها تجويز سؤال غير الله عز وجل. لكنهم هنا يخالفون أصولهم في الاقتصار في أمور العقائد على الصحيح المتواتر، فلا يريدون التحقق من هذه الرواية لأنها تؤيد المذهب!

فالرواية إما مكذوبة أو منكرة. فكيف يجوز تقديمها على ما صح في البخاري من أن الصحابة تركوا التوسل به ﷺ بعد موته وتحولوا الى التوسل بدعاء عمه العباس.

أنه على فرض صحة القصة، فإن فعل الصحابي الواحد إذا كان مخالفاً لما أجمع عليه الصحابة لا يكون حجة. وقد جاء توسل عمر بدعاء العباس أمام جمع من الصحابة مخالفاً لقصة عثمان بن حنيف مع عثمان بن عفان على افتراض ثبوت سندها.

---

١) قال في الخلافيات ونقله عنه الزيلعي في « نصب الراية ٢٨٦/١.

تأدبوا مع من كانت تستحيي منه الملائكة

ان في هذا الأثر إساءة الأدب في حق الصحابي الجليل عثمان رضي الله عنه. يلاحظ ذلك كل من تأمل التركيبة الملفقة التي رُكّبتْ منها هذه الرواية التي ترضي أذواق الروافض وتروي حقدهم ضد الصحابة، فلا تسارعوا إليها، فإن مفادها أن عثمان كان يحتجب عن الناس ولا يلتفت الى حوائجهم.

وكفى بذلك ذماً له، فقد دعا رسول الله على من يحتجب عن حوائج الناس فقال « من ولاّه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلّتهم وفقرهم: إحتجب الله دون حاجته وخَلّته وفقره يوم القيامة» وفي رَواية «ما من إمامٍ يغلق بِابه دون ذوي الحاجة والخلّةَ والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماءً دون خَلّته وحاجته ومسكنته» [١].

فلا يجوز التمسك بقصة ضعيفة تطعن َفي صهر رسول الله ﷺ لمجرد مناسبتها هوى دعاة الاستغاثة بالأموات.

---

١) رواه الترمذي (١٣٣٢) وأبو داود ٢٩٤٨).

ذريعة المتعصبين

وزعم الحبشي أن مهمة التضعيف والتصحيح من وظيفة الحافظ فقط، وأنكر على الألباني نقده للأثر الذي صُدِّر به الحديث مع اعترافه بصحة الحديث وأن الألباني قد خرج بذلك على طريقة أهل الحديث. وحرّم عليه الاعتراض على الحافظ أو الاستدراك بتصحيح ما ضعّفه أو تضعيف ما صححه، وزعم أنه يجب الأخذ بالحديث لمجرد قول الحافظ إنه صحيح من غير نظر الى درجته، واستدل [1] بقول السيوطي:

وخُذهُ حيث حافظٌ عليه نص أو من مصنَّفٍ بِجَمعِهِ يُخصُّ

بل تحقق منه حيث حافظ عليه نص

○ وهذا تعصب وعمى، ناهيك عن أنه يمنح الحافظ رتبة الأئمة المعصومين عند الشيعة، فإن مشايخ الشيعة يقولون لأتباعهم من العوام « وخذه حيث سيدٌ (أو إمام) عليه نص»!

○ ومخالف لما أجمع عليه جمهور الأمة وعلماؤها « كل منا يؤخذ منه ويردّ عليه الا صاحب هذا القبر». فكم من حافظ أخطأ في تحسين حديث وتضعيفه حسب ما أدى اليه اجتهاده. فهذا الحافظ الدارقطني يتعقب الحافظ البخاري في العديد من أحاديث صحيحه كما بينه الحافظ ابن حجر في مقدمة صحيح البخاري. وهذا ابن حجر وهو حافظ يتعقب البيهقي فيصحح حديث الصوت الذي ضعفه.

وليس ذلك بقادح فيهم، وإنما يقدح في أهل الكلام والجدل الذين ينهون عن التقليد، وهم أول المقلدين كما قاله الحافظ ابن حجر.

○ فهذه القاعدة منقوضة بما هو معلوم بالاستقراء من حصول الخطأ والاختلاف بين الحفاظ في تحسين الأحاديث الضعيفة أو تضعيف الصحيحة خطأ وسهوا، وإذا كان الحبشي يجوز عنده وقوع صغائر الخطأ عند الأنبياء فكيف لا يجوز لغير الأنبياء! واذا كنا نعتقد أن الأئمة يخطئون وكانوا يقولون « اذا وجدتم قولنا يخالف الحديث الصحيح فاضربوا بقولنا عرض الحائط» فكيف نعتقد احتمال الخطأ عند الشافعي وأحمد ولا نعتقده في الحافظ؟!

---

١) إظهار العقيدة السنية ٢٤٨-٢٤٩.

○ فماذا نفعل اذا ضعّف حافظ حديثاً صححه حافظ آخر؟

○ ونحتج عليهم بالقاعدة التي يحتجون بها فنقول: البخاري حافظ وقد صحح حديث الصوت فلماذا لم يزل الحبشي يرفضه ويحكم بضعفه؟ لماذا لم يأخذه حيث البخاري عليه نص؟

وابن حجر العسقلاني حافظ وقد نص على أن رواية (وهو الآن على ما عليه كان) مكذوبة لا وجود لها في شيء من كتب الحديث (فتح الباري ٦/٢٨٩) فلماذا لا يزال شيخكم متمسكاً بها وقد نص حافظ على وضعها وكذبها؟

والسبكي «عندكم» حافظ وقد حشا كتابه (شفاء السقام) بالأحاديث الموضوعة التي صرح جمع من الحفاظ بوضعها: فلو أننا أخذناها على عماها كما تريدون لوقعنا في الكذب على رسول الله ﷺ ووقع المسلمون في فساد عظيم [1].

بل أنتم لا تأخذونه ولو نص حافظ عليه فقد نص الحافظ الذهبي على صحة وتواتر حديث الجارية كما في كتاب العلو (ص ١٦) ونص عليه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٥٩/١٣) قال « هو حديث صحيح أخرجه مسلم». فهل تأخذونه حيث حفاظ عليه نصوا؟

○ واذا كانت شهادة الحافظ ابن حجر عندكم معتبرة فقد صرح باستحقاق ابن تيمية رتبة (حافظ) كما في (التلخيص الحبير ١٠٩/٣) وكذلك شهد له السيوطي برتبة (حافظ، مجتهد، شيخ الاسلام) [2]: فهل تأخذون بنص شهادة الحافظ في ابن تيمية إن كنتم صادقين؟ أم أنكم تأخذون من قول الحافظ ما يناسب أهواءكم؟

قال تلميذه نبيل الشريف « وهذا الحديث شوكة في أعين الذين

---

١) وقد حكى محقق كتاب (سير أعلام النبلاء) تحامل السبكي المقيت والذي ينبيء عن تحامل وحقد وبُعدٍ عن الانصاف وجهل أو تجاهل بمعرفة القول الفصل في مواطن الخلاف (سير أعلام النبلاء ٤٧١/١٨).

٢) صون المنطق ١ طبقات الحفاظ ترجمة رقم (١١٤٤) الاشباه والنظائر ٦٨٣/٣ نقل فيها ثناء ابن الزملكاني على شيخ الاسلام.

يحرمون التوسل برسول الله ﷺ وبغيره من الأنبياء والصالحين»[1].

○ قلت: قد صح الحديث وليس بشوكة، فإذا صح الحديث أخذنا به بلا حرج وأما القصة المتعلقة به فنحن لا نرضى مضغها أصلا لأنها لم تصح، بخلاف ما أنتم عليه من مضغ الموضوع والضعيف والاحتجاج به في العقائد.

وليس بوسع من يزعم أنه مسلم أن يرد حديثاً صحيحاً لرسول الله ﷺ أو أن يقبله وهو له كاره ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنة إذا قضى اللهُ ورسولُه أمراً أن يكون لهم الخِيرَةُ من أمرهم﴾ [الاحزاب٣٦] بل هذا هو موقفكم من نصوص الصفات كالاستواء والنزول، فأنتم تُثبتونها إثباتاً شكلياً وتبطلونها على الحقيقة بالتأويلات المستبعدة.

فأنتم تُعرِضون عن الصحيح وتتشبثون بالضعيف وتدفعون أسباب ضعفه بشتى الذرائع الواهية كقولكم: يكفي لقول الحافظ في الحديث (صحيح) أن نأخذ به.

عثمان بن حنيف قائد معركة الجمل عندكم من البغاة

وقد تمسكتم برواية عثمان بن حنيف وهو قائد معركة الجمل ضد علي رضي الله عنه، وحكمه عندكم بأنه من الفسقة البغاة بل من أهل النار، هذا تناقض.

وتجاهلتم ترك عمرِ التوسل بالنبي ﷺ بعد موته والتوسل بالعباس بدلا من ذلك، وتجاهلتم قوله «كنا إذا أجدبنا سألناك بنبيك» ولم يقل «ما زلنا» وقول أنس «كانوا يستسقون» فهذه شوكة أثبتها البخاري في أعينكم لا فرار لكم منها. وبالأمس كنتم تتمسكون بقول عمر «نعمت البدعة هذه» واليوم تتجاهلون تركه للتوسل بعد موت النبي ﷺ!!!

وتجاهلتم قول النبي ﷺ للضرير «إن شِئتَ دعوتُ لك، وإن شئتَ

---

1) الشريط الأول من "مجالس الهدى" ١٥ الوجه (١) أ-٥٢٢. وهذا الناشىء الصغير طعن في الألباني وزعم أنه ليس بمحدث ولا عُشر محدِّث، ولا عشر عُشر محدِّث. أترى شيخه هو المحدث وقد رأيت تدليسه واعتماده على الموضوع والضعيف؟ فلنستعرض كتب شيخه ونقارنها بكتب الألباني.

صبرتَ» وقول الضرير «بل أُدعُه» أليس لهذا الكلام عندكم من معنى؟

ثم هناك فرق بين من دعا له النبي ﷺ وبين من لم يدع له، وقد دل عمل الصحابة على هذا الفرق، إذ لو كان كل أعمى توسل به وإن لم يدع له الرسول ﷺ لكان عميان الصحابة يفعلون مثل ما فعله الأعمى لكنهم لم يفعلوا.

ولو كان التوسل بشخصه وليس بدعائه ولا فرق بين التوسل به حياً وبين التوسل به ميتاً فما الذي حدا بالضرير الى أن يذهب إليه ﷺ ويسأله الدعاء له؟ ولماذا توقف عمر عن التوسل بالنبي ﷺ بعد موته؟ إما أن يكون عمر عندكم وهابياً يفضّل العباسَ على النبي ﷺ ثم إذا وافقه جميع الصحابة صاروا وهابيين مثله وإما أنكم مخالفون لما كانوا عليه.

جمعية الصداقة الصوفية الرافضية

ومن هنا نؤكد أنه لم يثبت في أثر أو حديث أن أحداً من الصحابة توسل بالنبي ﷺ بعد موته. وإنما حدث ذلك بعد عصر الصحابة والتابعين حين بذر الفاطميون الروافض بذرة أضرحة الأولياء والاستغاثة بالأموات، فإنهم لما استولوا على بلاد المسلمين نشروا الأضرحة في مساجدهم، وأشاعوا هذه البدعة.

ومن أدعيتهم التي توافقونهم عليها قولهم فيما يسمونه بالزيارة الجامعة عند قبر الحسين « إني مستجير بكم زائر لكم، لائذ عائذ بقبوركم، مستشفع اليه بكم، ومتقرب اليه بكم، بكم فتح الله وبكم يختم، بكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم ينفّس الهمّ ويكشف الضر»[1].

وها هم اليوم يصفون مخالفيهم بأنهم « وهابيون». ويوافقونكم على الاستغاثة بالأضرحة وتأويل الصفات والابتداع في الدين.

---

1) كتاب « من لا يحضره الفقيه ٢/٣٧٠-٣٧٥ زاد الكليني في كتابه الكافي (٣/٣٦١) « وبكم يمحو الله ما يشاء وبكم يثبت وبكم تنبت الأرض أشجارها وبكم تخرج الأرض ثمارها ».

كيف حصل هذا الاتفاق بينكم وبينهم على سب وتضليل من تسمونهم بالوهابية؟
كيف جمع الشيطان بينكم وبين الشيعة في الدفاع عن الاستغاثة بغير الله وتقديس القبور والمزارات.

- ألم تتساءلوا كيف تقرر عندكم أن الاستغاثة بالمقبورين: عقيدة أهل السنة بينما هي عقيدة الرافضة الباطنيين؟ بل وأبرز ضلالات اليهود والنصارى بالنص من كلام النبي ﷺ الذي لعنهم لأنهم « اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد». أتجعلون ضلالات اليهود والنصارى والشيعة هي عقيدة أهل السنة؟!

شبهة : واحتجوا بقوله تعالى ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. ان الله كان عليكم رقيباً﴾. فزعموا أن هذا توسل بالرحم.

والجواب: هذا سؤال بسبب صلته للرحم وهو عمل صالح. كما يدعو أحدنا ربه بصدقته وبره أن يبارك له في عمره. فهذا ليس توسلا الى الله بالصدقة وانما بفعله للصدقة، والصدقة عمل صالح، ويجوز التوسل الى الله بالعمل الصالح، فكذلك صلة الرحم عمل صالح.
وقد عرض ابن جرير الأقوال ثم رجح ما يلي « اتقوا الله واتقوا الأرحام أن تقطعوها أو اتقوا الله في الأرحام» [1].

---

١) تفسير ابن جرير المجلد الثالث ١٥٢/٤.

موقف أبي حنيفة من التوسل

○ جاء في الدر المختار [1] وهو من أشهر كتب الحنفية ما نصه «عن أبي حنيفة قال: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به: هو ما استفيد من قوله تعالى **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** [الاعراف١٨٠].

قال أبو حنيفة « وأكره أن يقول: بحق فلان أو بِحَق أنبيائك ورسلك» [2]. وقال أبو يوسف «لا يُدعىٰ اللهُ بغيَره».

واعترف الحبشي بقول أبي يوسف صاحب أبي حنيفة « لا يُدعىٰ اللهُ بغيره» [3].

قال المرتضى الزبيدي في شرح إحياء علوم الدين « وقد كره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل: أسألك بِحَقِّ فلان، أو بِحق أنبيائك ورسلك، إذ ليس لأحد على الله حق» [4].

وهذا ما قاله البلدجي في شرح المختار. والقدوري في شرح الكرخي. ونقله العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن أبي حنيفة.

قال ابن عابدين في رد المحتار على الدر المختار« قوله: وكره بحق رسلك...) هذا لم يخالف فيه أبو يوسف، بخلاف مسألة المتن السابقة كما أفاده الاتقاني. أ. هـ.

وقال تحت قوله (لأنه لا حق للخلق على الخالق): ومجرد ايهام اللفظ ما لا يجوز كاف في المنع فلا يعارض خبر الآحاد، فلذا والله أعلم أطلق أئمتنا المنع» أ. هـ.

« والمراد بالكراهة كراهة التحريم التي هي في مقابلة ترك الواجب، وقد ذكروا من قواعدهم أن الكراهة حيث أُطلقَت فالمراد منها التحريم، وممن نبّه على ذلك: ابن نجيم في البحر الرائق وغيره، حيث قال: وأفاد صحة إطلاق الحرمة على المكروه تحريماً» [5].

---

1) ٦٣٠/٢ونقله القدوري وغيره عن أبي يوسف وقد أخذ الحبشي يتسخط على الألباني الذي واجهه بقول أبي حنيفة قائلا « قد كفانا أبو حنيفة مؤنة هذه المسألة» فاستشاط غيظاً من قوله.

2) الفتاوى الهندية ٢٨٠/٥ الفقه الأكبر شرح ملا علي قاري ١١٠.

3) صريح البيان ٦٩ وانظر الطبعة الجديدة المجلدة ١٦٣.

4) إتحاف السادة ٢٨٥/٢ جلاء العينين٤٥٢.

5) الرد على القبوريين ١٣٩.

وقد اعترف الأحباش بأن الكراهة عند المذهب الحنفي تطلق على المحرم كما في مجلتهم [1].

ففي هذه النصوص عن أبي حنيفة أبلغ رد على ادعاء السبكي أنه لم ينكر التوسل أحدٌ من السلف ولا من الخلف غير ابن تيمية [2].

فأما السلف: فأبو حنيفة منهم، وقد أنكر التوسل.

وأما الخلف فحدِّث ولا حرج فيما خالفوا فيه سلفهم.

هل حدثكم أبو حنيفة بمقصده؟

وقد حرف الحبشي وأصحابه معنى كلام أبي حنيفة كما فعلوا في كلام ربه، فزعموا أنه قصد كراهة من يظن أن لعباده حقوقا عليه. وكيف يستخرج هؤلاء مقاصد لألفاظ الناس: فاروونا لنا هذا المقصد بسند صحيح ثابت عن أبي حنيفة.

إن هذا المقصد المزعوم شبيه بتحريف آيات الصفات، ومن اعتاد التحريف ابتلي بالادمان عليه كما يبتلى بالادمان شارب الخمر.

ولكن الله أثبت لعباده حقا عليه تكرماً كما في حديث معاذ «أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله» ولم ينص لنا على جواز التوسل بهذا الحق.

لو كان شرعياً ما تركه السلف

وبهذا يبطل زعم الحبشي أن الله جعلهم لنا أسباباً فنحن نتوسل بهم الى الله. فلو كان سببهم مشروعاً لما كرهه أبو حنيفة إلا أن يكون وهابياً قبل أن يولد محمد بن عبد الوهاب؟

لو كان هذا سبباً مشروعاً لما عدل عنه الصحابة واتخذوا دعاء العباس سبباً مشروعاً لاستسقائهم كما كانوا يطلبون من الرسول ﷺ الدعاء لهم في حياته، هكذا كانوا يفهمون التوسل.

---

1) منار الهدى ١٩/٢٧ وانظر الهداية ٤/٧٨.

2) نقله عنه الحبشي في المقالات السنية ٤٣.

موقف الحبشي من ذلك

وقد أجاب الحبشي عن هذه النصوص (الشوكية) [1] بإجابات واهية جداً ثم انتهى الى ردها لأنها تتعارض مع حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار حيث سألوا الله بصالح أعمالهم [2]. غير أن حديث الثلاثة يفيد جواز التوسل بالعمل الصالح، وهذا متفق عليه. فماذا يفهم هو من الحديث؟

هاهو الآن يتقمص شخصية المجتهد الذي يقدم النصوص على أقوال الرجال، مع أنه لم ينف صحة نسبة هذه الأقوال الى أبي حنيفة لكنه طعن فيمن ينكر التوسل بالأولياء والصالحين ونعتهم بالوهابية وبكره النبي ﷺ والأولياء فماذا يقول في أبي حنيفة وصاحبيه وقد قالا ذلك قبل الوهابية. ألعلّه يعني أن هذه آثار ابن عبد الوهاب في أبي حنيفة؟!

نرد اختلافهم الى الكتاب والسنة

وإنما الخلاف في التوسل بالذوات وقد منعه أبو حنيفة وأصحابه. وأجازه ابن عبد السلام بشخص رسول الله ﷺ دون غيره[3] فقال « ينبغي كون هذا مقصوراً على النبي لأنه سيد ولد آدم وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته وأن يكون مما خص به تنبيهاً على علو رتبته وسمو مرتبته». وهو جائز في إحدى الروايات عن أحمد. مع أن ابن تيمية يرويه عنه بصيغة التمريض (رُوِيَ) وتغافل الأحباش عن ذلك وألزموه بالتناقض [4].

فما موقفنا نحن من اختلافهم. هل نترك المسألة هكذا من غير تصويب وترجيح أحد أقوالهم؟

قال ابن تيمية « إن كان في العلماء من سوغه فقد ثبت عن غير واحد من العلماء أنه نهى عنه، فتكون مسألة نزاع، فيُردّ ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله» [5] كما قال تعالى **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه**

---

١) يستشهد الحبشي عادة بأحاديث ضعيفة ثم يقول وهذا الحديث شوكة في أعين منكري التوسل.

٢) صريح البيان ٦٩.

٣) أنظر (حاشية الهيتمي على الايضاح ٤٥٢ فيض القدير للمناوي ٢/١٣٥) وفتاوى العز بن عبد السلام ص ١٢٦.

٤) منار الهدى ٣٢: ٦٤.

٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٢١.

الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلا﴾.

اننا نقول: قد توسل عمر بالعباس وترك التوسل برسول الله ﷺ بعد موته أمام جمهور الصحابة وأقروه بلا إنكار واحد منهم، فنحن مع تقديرنا للعز بن عبد السلام رحمه الله نرغب عن فتواهً تمسكاً بما أجمع عليه أصحاب محمد ﷺ. فإن عدولهم عن التوسل بالنبي ﷺ بعد موته الى العباس (وكان آنذاك حيا) دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره.

لذا فمن لا يفرق بين التوسل بالحي وبين التوسل بالميت نحتج عليه بتوسل الصحابة بالنبي ﷺ وهو حي، فلما مات تركوا التوسل به وعدلوا عن التوسل به الى التوسل بالعباس.

ومن لا يفرق بين التوسل والاستغاثة نحتج عليه بما روى البخاري عن أحمد « لا يستغاث بمخلوق» [1]. وهذه حجة تبطل تلبيس أهل الباطل.

فقد وردت روايتان متعارضتان عن أحمد إحداها تجيز التوسل والأخرى تمنعه ولكن تحريمه للاستغاثة بغير الله ثابت ولم يرد عنه جواز الاستغاثة بغير الله لا من طريق صحيح ولا ضعيف. ولذا فإن من يحتج بأحمد في جواز التوسل بالنبي ﷺ لا يستطيع الاحتجاج به في مسألة الاستغاثة.

وأهل العلم اذا تنازعوا لا يكون قول واحد منهم حجة على الآخر ممن يرى قول معارضه. وإنما الرد الى الله والرسول. فكلٌ يؤخذ من قوله ويُرَدّ عليه إلا رسول الله ﷺ. فإنهم اذا أجمعوا فإجماعهم حجة لا يُجمعون على ضلالة، وإذا تنازعوا فعليهم أن يردوا ما تنازعوا فيه الى الله والرسول.

لكن هؤلاء يتخذون من التوسل برسول الله ﷺ ذريعة يستحلون بها الاستغاثة بالأموات. وهم لا يتفقون مع ابن عبد السلام ولا مع أبي حنيفة في ذلك. وقد خالفوا أبا حنيفة في كراهية التوسل بذات النبي أو غيره، وخالفوا ابن عبد السلام فعمّموا التوسل بعد أن قيّده هو برسول الله ﷺ فقط دون غيره.

---

١) خلق أفعال العباد ص ١٢٣.

فلا العز بن عبد السلام ولا أبو حنيفة يوافقان على استغاثتكم بالرفاعي ووصفه بـ « غوث الأغواث» وقولكم مدد يا مشايخ يا أموات مدد يا جيلاني؟

دعواه مخالفة ابن كثير لابن تيمية في التوسل.

□ وأما دعوى الحبشي أن ابن كثير خالف ابن تيمية في مسألة التوسل [1] فأين نص ابن كثير على تلك المخالفة ؟ لماذا الكذب؟ جلّ ما في الأمر أن ابن كثير روى روايات غير صحيحة وهذا لا يفيد المخالفة المزعومة فإن في تفسير ابن كثير وتاريخه الضعيف والمنكر من الروايات مما يصلح أن يكون حجة للرافضة ضد أهل السنة.

مثال ذلك روايته لقصة الملَكَيْن ﴿هاروت وماروت﴾ اللذين فتنتهما الزهرة حتى مسخها الله الى كوكب... فالحبشي وأتباعه يحذرون من هذه القصة ومع ذلك فقد ذكرها ابن كثير [2].

* شبهة: وقد بتر لصوص النصوص كلاماً لابن تيمية فزعموا أنه تناقض حين روى قصة عن عبد الملك مفادها أن رجلا جاءه فجس بطنه فقال: بك داء لا يبرأ قال: ما هو؟ قال: الدبَيْلة فتحول الرجل فقال: اللهم اني أتوجه اليك بمحمد ﷺ...» قال ابن تيمية « فهذا الدعاء ونحوه قد روي أنه قد دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي التوسل بالنبي في الدعاء».

الى هنا توقف اللصوص مرتكبين عدة جنايات:

○ أنهم تجاهلوا قول ابن تيمية « وفي الباب آثار عن السلف أكثرها ضعيفة وأنه قد ذكر هذه الحكايات من جمعها في كتب الأدعية أمثال ابن أبي الدنيا في كتاب مجابي الدعاء».

○ أنهم نقلوا قوله « فهذا الدعاء روي أنه قد دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي التوسل بالنبي في الدعاء». غير أنهم كتموا الكلمة التي تليها « ونهى عنه آخرون ، فإن كان مقصود المتوسلين التوسل بالايمان به وبمحبته وموالاته وبطاعته فلا نزاع بين الطائفتين، وإن كان مقصودهم التوسل بذاته فهو محل نزاع، وما تنازعوا فيه يُرَدّ الى الله والرسول. وليس مجرد كون الدعاء حصل به المقصود يدل على أنه سائغ في الشريعة، فإن كثيراً من الناس

---

1) المقالات السنية ٤٤.

2) أنظر تفسير قوله تعالى ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾.

يدعون من دون الله من الكواكب والمخلوقين ويحصل ما يحصل من غرضه...» الى أن قال « فحصول الغرض ببعض الأمور لا يستلزم إباحته» [1].

○ أن ابن تيمية ذكر هذه الرواية بصيغة التمريض فقال (ويُروىَ) ومعلوم أن هذه الصيغة تعتبر اشارة الى أنه مشكوك فيها. وهذا ما فعله الحبشي حين ذكر قول البخاري « ويُروىٰ عن ابن عباس وجرهد ومحمد بن جحش عن النبي ﷺ « الفخذ عورة» ثم قال « وقوله (ويُروىٰ) للتضعيف لأنه صيغة تمريض» [2].

١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٠٤-١٠٦.
٢) صريح البيان ٢٩٢ ط: جديدة مجلدة.

رواية اللهم أسألك بحق السائلين

* شبهة: واحتجوا بحديث «اللهم أسألك بحق السائلين عليك» وهو ضعيف فيه عطية العوفي في روايته وهَن وقد ضعَّفوه وهو مشهور بضعفه وتشيعه وتدليسه عند المحدثين [١]. قال الزبيدي «انما ضعفوه من قِبَل التشيع ومن قبل التدليس»[٢].

قال الذهبي «قال أحمد والنسائي وجماعة: ضعيف، وقال سالم المرادي كان عطية يتشيَّع» [٣].

وذكره النووي في (الأذكار ص ٥٨ باب ما يقول اذا توجه الى المسجد) من روايتين في سند الأولى وازع بن نافع العقيلي: قال النووي (متفق على ضعفه) وفي سند الثانية (عطية العوفي) قال النووي وعطية ضعيف».

نعم هذا ما يليق بالعوفي وهو مدلس لا يؤمن تدليسه، وإن حسّن له الترمذي بعض أحاديثه فالترمذي كما هو معروف متساهل في التحسين والتصحيح ولا يعتمد على تصحيحه كما صرح به الذهبي. ونبه عليه المنذري في الترغيب.

ومن بلايا العوفي حديث «يوم السبت يوم مكر وخديعة» وحديث «اليدان جناح والرجلان بريد».

○ وفيه أيضاً الفضيل بن مرزوق كان شديد التشيع ضعفه النسائي وابن حبان وكان يروي الموضوعات عن عطية العوفي [٤]. وثّقه بعضهم وضعّفه آخرون وهو ممن عيب على مسلم إخراج حديثهم في الصحيح كما قال الحاكم؟ وقال ابن حبان «يروي عن عطية الموضوعات» وكان شديد التشيع كما قال ابن معين والعجلي (تهذيب التهذيب ٤/٣٠١-٣٠٢) وانتهى الحافظ في التقريب (٥٤٣٧) الى قوله «صدوق يهم، ورمي بالتشيع».

على أن الشيخ الألباني أعلّ هذه الرواية بعلة أخرى وهي اضطراب عطية أو ابن مرزوق في روايته، فرواه تارة مرفوعاً وتارة موقوفاً على أبي سعيد كما رواه ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مرزوق به

---

١) أنظر تقريب التهذيب للحافظ ترجمة رقم (٤٦١٦).

٢) اتحاف السادة المتقين ٥/٨٨.

٣) ميزان الاعتدال٣:٧٩ تهذيب التهذيب ٧:٢٢٤.

٤) تهذيب التهذيب ٨/٢٩٨.

موقوفاً (السلسلة الضعيفة ١/٣٧).

○ وفيه وازع بن نافع العقيلي قال البخاري «منكر الحديث» وقال النسائي «متروك» وقال أحمد «ليس بثقة» [1] وقد حسّنه الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار حيث قال «حديث حسن... عن فضيل عن عطية قال حدثني أبو سعيد فذكره لكنه لم يرفعه: فقد أمِن بذلك تدليس عطية».

فأفاد الحافظ أن تحسينه للحديث لأجل انتفاء تدليس عطية وفي هذا نظر لما يلي:

○ أن تدليس عطية ليس تدليس الإسناد المعروف حتى يؤمَن بقوله «حدثني» بل هو تدليس آخر فإن عطية يقول حدثني أبو سعيد ويعني به أبا سعيد الكلبي كما أفاد أحمد فيظن السامع أنه أبو سعيد الخدري.

○ أن الحافظ ذكر أن الرواية التي فيها حدثنا أبو سعيد موقوفة فلم يعلّها بالاضطراب، وحقها ذلك.

○ أن من الحفاظ من صرح بضعفها كالحافظ المنذري في الترغيب (٤٥٩/٣) والحافظ النووي في الأذكار (٢٥) وهما من الحُفّاظ: فلماذا لا يأخذه الحبشي حيث نصّا عليه؟!

وأما رواية بلال « كان رسول الله اذا خرج قال: اللهم أسألك بحق السائلين..». فقد زعم دحلان أن إسناده صحيح. وكيف يصح وقد قال النووي في (الأذكار ٥٨) والحافظ في الأبكار «حديث ضعيف، أحد رواته الوازع بن نافع العقيلي: متفق على ضعفه، منكر الحديث».

وجاء الحديث برواية أخرى « أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك» رواه الطبراني في الكبير. قال الهيثمي في الزوائد «فيه فضالة بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه». وهكذا فلم يصح هذا الحديث من طريق.

○ **شبهة**: رواية «كانت يهود خيبر تقاتل غطفان... فتقول اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي...» فيه استدلال بفعل اليهود وركوبٌ لسننهم. هذا اذا صح.

---

١) لسان الميزان ٢٥٩/٦ ميزان الاعتدال ٣٢٧/٤.

نقد سند الرواية:

فيه عبد الملك بن هارون بن عنترة: كذاب . رواه الحاكم في المستدرك (٢/٢٦٣) وقال « أدت الضرورة إلى إخراجه» قال الذهبي « لا ضرورة في ذلك فعبد الملك متروك هالك». مع أن الحاكم قد جرح عبد الملك في المدخل (١/١٧٠) فقال « روى عن أبيه أحاديث موضوعة).

وروي هذا الخبر من طرق أخرى لا تزيده الا ضعفاً وآفتها: الضحاك بن مزاحم والكلبي وعطاء الخراساني [١].

○ أن هذا الخبر معارض لما هو أصح منه وهو ما رواه محمد بن اسحاق صاحب السيرة قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: حدثني أشياخ منا قالوا: لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ منا، كان معنا يهود، وكانوا من أهل كتاب، وكنا أصحاب وثن، فكنا اذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروا به، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل ﴿**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به**﴾. قال قتادة (يستفتحون على محمد) أي يقولون: إنه يخرج» [٢].

وهذه الرواية مؤيدة بثلاث روايات أخرى بمراسيل عن التابعين.

نقد متن الرواية

○ أن الصحابة لم يفهموا ما فهمه الحبشي وإلا لسارعوا الى التوسل بالنبي ﷺ أثناء حروبهم، غير أنهم لم يكونوا يسألون الله بحق نبيهم ﷺ وهم في الحروب، فهل اليهود أحرص على الحق وأشد تمسكاً به من الصحابة الذين تركوه! فسحقا للمتعصبين المنحرفين الذين يتجاهلون سنة الخلفاء الراشدين ويتمسكون بفعل اليهود.

○ أن هذا الخبر يخالف سنة الله وهي أن النصر مشروط بالطاعة ﴿**إن تنصروا الله ينصركم**﴾. واليهود منذ كتب الله عليهم الذلة لم ينتصروا الا مؤخراً بحبل من الناس.

○ أن هذا الخبر يحكي لنا أن الآية كأنها نزلت في يهود خيبر،

---

١) الضعفاء الصغير للبخاري: ٧٣ رقم ٢١٨ العلل لمعرفة الرجال ٢/٣٩٥ الجرح والتعديل ٥/٣٧٤ ميزان الاعتدال ٢/٦٦٦.

٢) تفسير الطبري ١/٣٢٥ دلائل النبوة ٢/٧٥ الدر المنثور ١/٨٧.

وهذا يخالف ما اتفق عليه أهل التفسير والسيَر أن الآية نزلت في يهود المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير، وهمَ الذين كانوا يخبرون الأوس والخزرج بقرب بعثة نبي جديد، وهذه المخالفة دليل صريح على كذب هذه الرواية وهي من كذب جاهل لم يحسن تركيب هذه الكذبة.

قياس الحبشي الفاسد

وبهذا يتبين لنا فساد القياس الذي أتى به الحبشي إذ قال « فإذا كان التوسل بالعمل الصالح جائزاً فكيف لا يصح بالذوات الفاضلة كذوات الأنبياء» [١]. وهذا باطل لما يلي:

○ هذا قياس، والقياس في أمور العبادات غير صحيح. فقد قال السلف منهم ابن سيرين فيما رواه عنه الطبري « ما عُبِدت الشمس والقمر الا بالمقاييس، وأول من قاس ابليس» أي حين قال ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ [٢].

○ أن هذا القياس يُعدّ اعترافاً منهم بأن توسلهم غير منصوص عليه، لأن وجود النص يسقط القياس ويغني عنه. ولأن القياس هو إلحاق شيء غير منصوص عليه بشيء منصوص عليه.

○ أن علة التوسل بالعمل كونها من سبب الانسان وكسبه أما التوسل المبتدع فهو تعلق بصلاح الآخرين واعتماد على أعمال الصالحين ينتج عنه تكاسل عن العمل الصالح وتشجيع على العمل الفاسد، والاستعاضة عن العمل بالأماني والأمل، وبمثل هذا ساد الفساد السلوكي بين الملل الأخرى، وتجرأوا على ارتكاب الذنوب بدءا من صغائرها الى كبائرها وسادت الفواحش والجرائم، وكلما تذكروا ذنوبهم ذكّرهم الشيطان بمن مات بزعمهم كفارة عن خطاياهم.

○ أنه قياس لغير المشروع على المشروع. فإن التوسل بالعمل الصالح ثابت في الشرع فأين ثبوت التوسل بالذوات؟ والقياس كما تقدم لا يجوز استعماله في أمور التوحيد. فقد قال الحافظ ابن عبد البر « لا خلاف في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام» [٣].

○ أن ترك الصحابة التوسل به بعد موته الى التوسل بدعاء عمه العباس دليل على فساد هذا القياس.

---

١) صريح البيان ٦٤ شفاء السقام ١٧٤.

٢) تفسير الطبري ١٣١/٨ والمدخل الى السنن للبيهقي (١٩٦) وجامع بيان العلم لابن عبد البر ٥٨/١ وابن كثير في تفسيره ٢٠٣/٢ وقال «اسناده صحيح».

٣) جامع بيان العلم وفضله ٥٥/٢.

* شبهة : وأتوا بقياس آخر فقالوا: النبي ﷺ من أشرف الوسائل الى الله، وهو ذو المقام المنيع الرفيع عند الله، قال الألوسي « وهي كلمة حق أريد بها باطل، إذ نحن أولى بهذا منكم لاتباعنا أقواله وأفعاله وقد أوجب سبحانه علينا أن نتبع سبيل المؤمنين ونهانا عن الغلو في الدين» (١).

- قلت: قد أمرنا أن نتوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وليس أعظم ولا أشرف من التوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

وكيف يخفى على الصحابة شرف مقام نبينا: فلم يتوسلوا بمقامه ﷺ وإنما خرج بهم عمر الى ضواحي المدينة وأعلن على مسمع منهم أنهم كانوا في عهد النبي ﷺ يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم فيسقيهم الله، فلما مات تركوا التوسل به. فكيف يصرح عمر بترك التوسل بمقام النبي ﷺ؟!

---

١) جلاء العينين ٤٥١.

شبهات أخرى حول التوسل

* **شبهة**: أن الله أمرنا بالتوسل بالأولياء وأن عدم التوسل بهم مخالفة للأمر القرآني ﴿**وابتغوا اليه الوسيلة**﴾ وطعن بالأولياء.

- أما الاستدلال بالآية فهو استدلال باطل. فلا يوجد في شيء من التفاسير المعتبرة كالطبري والبغوي وابن كثير أن معنى الآية هو التوسل بالأنبياء والأولياء، وانما ثبت تفسير التوسل بالعمل:

فعن ابن عباس والسدي وقتادة ﴿**ابتغوا اليه الوسيلة**﴾ «أي تقرّبوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه».

قال ابن كثير « وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف فيه بين المفسرين» وساق الطبري أقوالا مثل ذلك [1]. وقال أبو الليث السمرقندي (كبير مشائخ الحنفية) ﴿**وابتغوا اليه الوسيلة**﴾ «أي اطلبوا القربة والفضيلة بالأعمال الصالحة»[2].

ولم يقل أحد من المفسرين « المعتبرين» أن معنى ﴿**ابتغوا اليه الوسيلة**﴾ أي سلوا الأموات من دون الله أو اتخذوا الأولياء وسيلة لكم الى الله.

ولئن كان هذا هو معنى الآية لصار ابتغاء الوسيلة حينئذ واجبا فكيف ساغ لعمر أن يتخلى عنه فيتركه ويعلن لربه على الملأ أن التوسل بالنبي ﷺ كان شيئا في الماضي لا يفعلونه الآن فقال « اللهم كنا إذا أجدبنا سألناك بنبيك فتسقينا وإنا نسألك بعمه العباس».

وهذا الوجوب يبطل قاعدة «التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل».

- أما أنهم أولياء: فإن للولاية شرطين هما الايمان والتقوى وهما في القلب لا يستطيع أحد أن يطلع على ما في القلوب من تقوى وايمان الا الله. فالشهادة بأنهم أولياء تقتضي الشهادة لهم بأنهم في الجنة وتزكيتهم، وقد نهى الله الواحد منا أن يزكي نفسه فقال ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾ فاذا كان لا يجوز أن تزكي نفسك فكيف تزكي من لا تعلم حقيقة ما في قلبه وما انتهى اليه، فإن الرجل يكون من أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار.

---

١) تفسير ابن كثير٢/٥٢-٥٣. تفسير الطبري المجلد الرابع ج ٦ ص ١٤٦-١٤٧

٢) بحر العلوم ٣/٧٣.

* شبهة: واحتجوا بقوله تعالى ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى﴾. قالوا: دلت الآية على مشروعية التوسل بآثار الأنبياء.

الجواب: أن الآية دلت على أنهم أنكروا ملك طالوت لأنه ليس من سلالة الملوك، فقال لهم نبيهم إن صحة ملكه أن يأتيكم التابوت تسكنون لصحة كونه آية، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تستدلون بهذه البقية على الصحة أيضاً. فكان التابوت علامة على صحة ملك طالوت وليس تشريعا من الله بجواز التوسل بآثار الأنبياء. وقد عرض ابن جرير الأقوال في الآية ثم قال « وأولى الأقوال بالحق في معنى السكينة ما قاله عطاء بن أبي رباح من الشيء تسكن اليه النفوس من الآيات التي يعرفونها.

○ أن هذا فهم فيه افتراء على الصحابة وطعن في فهمهم لكتاب الله، فلماذا لم يفهم الصحابة من الآية ما فهمتم؟ فإنهم أخذوا تفسير القرآن عن نبيهم ﷺ، ومع ذلك لم يكونوا يبعثون شيئاً من آثاره ﷺ مع الجيش ليحصل لهم النصر به، وكانت آثاره من ثيابه وسيفه ما زالت بينهم. فإنه لا يوجد أثر صحيح صريح يحكي حمل الصحابة شيئا من آثار أنبيائهم في حروبهم يتوسلون به الى ربهم. وهُم أعرف بدين الله وأحرص على تطبيق آياته.

وأين هذا من قول عمر بن الخطاب « إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار نبيهم فيتخذونها كنائس وبيعاً». ورأى قوماً يتناوبون مكاناً يصلّون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا مكانٌ صلى فيه رسول الله، قال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا. من أدركته فيه الصلاة فليصلّ وإلا فليمض» [1]، وبلغه أن أناساً يأتون الشجرة التي بويع عندها النبي ﷺ فأمر بها فقُطعَتْ» [2].

ونحن اذا اختلفنا في نص عُدنا الى فهم الصحابة لَه وعملهم به.

---

١) أخرجه ابن وضاح القرطبي في كتاب البدع والنهي عنها ٤١ واللفظ له وابن أبي شيبة في المصنف ٣٧٦/٢ وقال الألباني "رواه سعيد بن منصور في سننه وابن وضاح بإسناد صحيح على شرط الشيخين، أنظر تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص ٤٩ ووفاء الوفا للسمهودي ١٤١٢/٤.

٢) قال الحافظ في الفتح (٤٤٨/٧) "إسناده صحيح" مع أن إسناده منقطع بين نافع وعمر ولكن يلزمهم ما التزموه من ضرورة أخذ ما نص عليه الحافظ.

وعلى افتراض أن القصة تعني ما زعم هؤلاء فأين يجزمون أن شرع من قبلنا شرع لنا؟ وكيف يكون شرعاً لنا وقد جاء في شرعنا ما يخالفه، فلم يكن الاستنصار بالآثار من هدي نبينا ﷺ ولا سلفنا الصالح. بل صرح عمر رضي الله عنه أن بني اسرائيل إنما هلكوا بسبب تتبعهم لآثار أنبيائهم.

* شبهة : عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى نفسه فوق قبر النبي وحثا على رأسه من ترابه وقال « يا رسول الله: قلتَ فسمعنا قولك ووعيت من الله عز وجل ما وعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾ وقد ظلمتُ نفسي وجئتك لتستغفر لي. فنودي من القبر: انه غُفر له». (وفي رواية أن العتبي كان جالساً فرأى أعرابياً) قال الخطيب في (تاريخ بغداد ٣٢٦/٢) وابن خلكان (وفيات الأعيان ٥٢٣/١) « مات العتبي سنة ٢٢٨ هـ». فكم كان عمره لما دخل الأعرابي قبر النبي ﷺ؟ على أن رواية العتبي جاءت من طريق آخر فيه الحسن الزعفراني عن الأعرابي (أي العتبي) وهذا الزعفراني مات سنة (٢٤٩) فكيف يمكن لكليهما أن يكونا معاصرين لعائشة رضي الله عنها؟. فسند الرواية منقطع ضعيف وإن حكاه مصنفو كتب المناسك كما عول عليه السبكي في (شفاء السقام ٨٢).

ثم كيف تشتهر هذه الحادثة (المفترضة) لمجرد فعل أعرابي لها ولا يشتهر شيء مثلها عن أحد من الصحابة. وكيف تعيش عائشة طيلة حياتها مجاورة للقبر ولا يثبت تكليمه لها. وانما يسارع الى تكليم الأعرابي؟ وكيف يفهم أعرابي هذه الآية ويطبقها على وجه لم يفهمه الصحابة ولم يطبقوه؟.

وهل اشتهار الرواية دليل على صحتها؟ أليس حديث « أطلبوا العلم ولو في الصين» مشهوراً وهو مع ذلك لا أصل له. وحديث « أبغض الحلال الى الله الطلاق» وهو ضعيف بالرغم من شهرته؟ فالعبرة في صحة سند الرواية لا مجرد اشتهارها على ألسنة الناس وبطون كتب الفقه التي تفتقر افتقاراً شديداً الى مراجعة أسانيد مروياتها، وهذا أمر يعرفه من يطالع كتب الفقه.

رواية: حياتي خير لكم

واحتجوا بحديث « حياتي خير لكم تحدثون ويُحدَث لكم، ومماتي خير لكم تُعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم».

الحكم على الحديث

١) الطعن في هذه الزيادة التي تفرد بها الراوي وهو عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد المرجئي على حديث «إن لله ملائكة سياحين». فقد نقل الزبيدي حكم الحافظ العراقي على الحديث بأنه «ضعيف لأن فيه عبد المجيد بن عبد العزيز، فهو وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون. وفي رواية الحرث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف» وقال فيه ابن حبان في المجروحين (٢/٢٠٥) «منكر الحديث جداً يقلب الأخبار، ويروي المناكير عن المشاهير: فاستحق الترك». وقال الحافظ في التقريب (٤١٦٠) « صدوق يخطيء وكان مرجئاً».

وذكر الزبيدي طريقا أخرى عند ابن سعد في الطبقات عن بكر بن عبد الله المزني مرسلا [١].

ولما قاله الحافظ البزار «لم نعرف آخره يروى عن عبد الله الا من هذا الوجه» وإنما رواه النسائي (رقم ١٢٨٢) من دون هذه الزيادة.

والحديث ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/٢٤) وقال « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح» وهذه العبارة لا تفيد صحة الاسناد أو الحديث كما هو معروف عند أهل الحديث، فلا يجوز أن يقال « صححه الهيثمي» فهذه تمويه وتلبيس على العامة، فان صحة الاسناد ليست لازمة لصحة الحديث، بل بينهما مراتب، فكم من سند صحيح رواته ثقات وهو شاذ أو معلل، وشرط الحديث الصحيح أن يبرأ من الشذوذ والعلة.

٢) الرواية غير متواترة أيها الأشاعرة المطالبون باشتراط المتواتر في العقائد. بل ضعيفة لا آحاداً فقط، فانظر كيف تجاهلوا ترك عمر للتوسل بالنبي ﷺ بعد موته، وآثروا الضعيف على المتواتر.

٣) أنها تحث على الارجاء وراويها عبد المجيد بن عبد العزيز مبتدع متهم بالدعاية للإرجاء حتى أدخل أباه فيه. وهو الذي روى

---

١) اتحاف السادة المتقين ٩/١٧٦-١٧٧ وانظر الاحياء ٤/١٤٨.

الرواية الموضوعة عن ابن عباس « وما نعلم الحق الا في المرجئة»[1].

وقد شهد عليه أحمد والبخاري بأنه من غلاة المرجئة. قال « كان فيه غلو في الارجاء» وقال أبو داود « كان داعية في الإرجاء»[2].

ومن المقرر عند العديد من علماء الحديث أن المبتدع اذا تفرد برواية تؤيد بدعته فإن روايته مردودة. وهذا جرح مفسر مقدم على التوثيق.

وهذا الحديث يؤيد مذهبه في الارجاء. فإنه ما دام العمل معروضا على النبي ﷺ فيستغفر فلا تضر المعاصي حينئذ كبيرة كانت أو صغيرة إذ جاء الاستغفار في الحديث مطلقا من سائر الأعمال السيئة.

الآثار السلوكية والأخلاقية لهذه الرواية

وكيف يقول النبي ﷺ لابنته فاطمة « أنقذي نفسك من النار لا أغني عنك [لا أملك لك] من الله شيئا» ثم يطمئن الزناة ومرتكبي الكبائر من أمته ويعدهم بأنه سيستغفر لهم؟

فهذا الحديث خطير من الناحية السلوكية على المسلمين إذ يثبط المحسن ويشجع المسيء وينتهي الفريقان الى نهاية واحدة وهي تطمين الفريقين بالمغفرة واستوائهما من حيث النتيجة، أليس هذا التطمين بالمغفرة على ما يعملون شبيه بتطمين النصارى بالمغفرة على خطاياهم لمجرد إيمانهم بالمسيح؟!

ولماذا كان يأمر بإقامة الحد على المذنبين من أمته في حياته ولم يكتف بالاستغفار لهم وهم جزء من أمته؟

واذا كان يستغفر لأمته فلماذا يدخل أفواج من أمته النار؟

٤) أن الحديث اذا كان يفيد استغفار النبي ﷺ لنا فلا يفيد جواز سؤاله لعدم فعل الصحابة ذلك ولأن القرآن أثبت لنا أن الملائكة حملة العرش دائمة الاستغفار للمؤمنين ﴿**فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم**﴾ ولم يقل أحد بجواز سؤالهم مع الله.

والنبي ﷺ مات وسؤال الأنبياء بعد موتهم غير جائز. ولو جاز سؤال النبي بعد موته لاشتهر سؤال الصحابة للأنبياء السابقين، مما يؤكد أنه شرك. وكفى بالشرك مانعاً من الشفاعة.

---

١) ميزان الاعتدال ٦٤٨/٢ وانظر العلل لأحمد ١١٣/٢ الجرح والتعديل ٦٤/٦ تهذيب التهذيب ٣٨١/٦ الضعفاء الصغير للبخاري ٢٣٩.

٢) تهذيب التهذيب ٣٨١/٦-٣٨٢.

٥) أن هذه الرواية تثبت آخر مع الله في عرض الأعمال عليه. فتصير الأعمال معروضة «عليهما» لا على الله وحده. وهذا شرك يعتقده الروافض، فقد قالوا أن « قوله تعالى ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ أنهم الأئمة» [١]. وقد وضع الكذابون من هذه الأمة الأحاديث المكذوبة في ذلك مثل حديث « تعرض عليّ أعمالكم يوم الخميس». أولهم: حسين بن علي العدوي، اتهمه ابن عدي والدارقطني وابن حبان بالكذب [٢]. والثاني: أبو سلمة محمد بن عبد الملك الأنصاري وهو منكر الحديث جداً لا يجوز الاحتجاج بحديثه كما قال ابن حبان[٣].

في حين ثبت في الصحيح أن الأعمال تُعرض على الله. قال ﷺ « تعرض الأعمال في كل خميس واثنين فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا الا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء»[٤]. فكيف (يغفر الله الا) بينما يكون استغفار النبي مطلقا؟

٦) أنها تعارض أحاديث أصح منها تنفي معرفة النبي ﷺ بما يحدث لأمته من بعده. قال ﷺ «ليردنّ عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى اذا رأيتهم وعرفتهم اختلجوا دوني، فأقول يا رب أصيحابي أصيحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما يقول العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾.

وحين كان ﷺ حيا لم يكن يعلم بأحوال من غاب من أمته، من ذلك قصة ضياع عقد عائشة في الصحراء، وقول أصحاب بئر معونة لما وقعوا في الغدر قالوا: اللهم بلغ نبينا» ولم يعتقدوا أنه يسمع كل واحد من أمته قريبا كان أو بعيدا.

---

١) الكافي للكليني ١/١٧١ بصائر الدرجات ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٥٠.

٢) الكامل لابن عدي ٣/٩٤٥ المجروحين ١/٢٤١ و٢٨٨ سؤالات السهمي رقم ٢٨٤ ص ٢١١.

٣) الضعفاء ٤/٩٦ المجروحين ٢/٢٦٦ ميزان الاعتدال ٣/٥٩٨.

٤) رواه مسلم (٢٥٦٥) وأحمد في المسند ٢/٢٦٨.

شبهة : ودعموا الشبهة السابقة بشبهة أخرى فاستدلوا بقوله تعالى ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ وقوله ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ وهذه انما هي الشهادة بما جاء وأنه بلغهم.

○ أنه لو سلّمنا أنهم يسمعون فأين الدليل على أنهم اذا سمعوا استجابوا؟ القرآن نص على أنهم لو سمعوا ما استجابوا. ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ وقوله ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾. يؤكد أن المدعو هم الصالحون وليس الأصنام.

○ أن من أفسد أنواع القياس قياس الحياة الدنيوية على أمور الآخرة. ألا ترى أن النبي ﷺ سمع قرع نعال بلال في الجنة وبلال كان يومئذ حياً.

○ أننا اذا قلنا إنهم أحياء لا يعني ذلك جواز الاستغاثة بهم من دون الله. فإنه ما من آية ولا حديث صحيح ينصان على جواز دعاء غير الله. أو جواز دعاء من كان حياً الحياة البرزخية. وإذا كانت حياة النبي ﷺ دليلا على جواز سؤاله من دون الحي الذي لا يموت فقد قال تعالى ﴿هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾ فهو الحي الوحيد الذي ندعوه.

○ أن الحافظ أكد على اختلاف الحياة الأخروية عن الدنيوية اختلافاً كلياً فقال في قوله تعالى ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ « فلو كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات ويموت ثلاثاً وهو خلاف النص». قال « والجواب بأن المراد بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتحتاج الى ما يحتاج اليه الأحياء، بل هي مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة. فهي إعادة عارضة كما حي خلق لكثير من الأنبياء لمسألتهم لهم عن أشياء ثم عادوا موتى» [1].

لكن الصوفية يجهلون هذا الفارق ويزعمون أشياء يلزمهم منها الاعتقاد بأنهم صاروا صحابة. فقد قال الشيخ الشعراني « ومما من الله علي: شدة قربي من رسول الله وهي المسافة بيني وبين قبره الشريف في أكثر الأوقات، حتى ربما أضع يدي على مقصورته وأنا جالس

---

١) فتح الباري ٣:٢٤١.

بمصر، وأكلمه كما يكلم الانسان جليسه» [1].

○ أن طريقة السجع التي ركب بها هذا الحديث تتعارض وطريقة كلام النبي ﷺ، ولقد كان عروة بن الزبير رضي الله عنه إذا عرض عليه دعاء فيه سجع عن النبي ﷺ قال: كذبوا لم يكن رسول الله ﷺ ولا أصحابه سجاعين» [2].

* شبهة : واحتجوا بقول أبي جعفر المنصور لمالك عند قبر النبي ﷺ «ءأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ؟ قال مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم بل استقبله واستشفع به...».

ثم قلد الحبشي من قالوا بتصحيح الرواية [3].

وإسناد هذه الرواية مظلم، فإن فيه محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كثير المناكير، قال البخاري: في حديثه نظر وقال الجوزجاني هو غير ثقة وقال النسائي ليس بثقة وقال الأسدي « ما رأيت أحداً أجرأ على الله منه وأحذق بالذنب منه» [4].

أن السند في هذه الرواية منقطع، فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكاً إذ توفي سنة ٢٤٨ هـ. بينما توفي مالك سنة ١٧٩. واعتماد الحبشي في العقائد على مثل هذه الرواية طعنٌ في كونه من علماء الحديث ونكوص وارتداد عما اشترطه من قبل وهو أن لا يستدل في العقائد بالحديث الضعيف، وطعنٌ في مدى نزاهته وتجرده للحديث وخدمته له، فإن خادم الحديث لا يصحح الضعيف من الروايات لمجرد موافقتها مذهبه.

أضف الى ذلك مخالفة الرواية لما هو معروفٌ في مذهب مالك من كراهية استقبال القبر عند الدعاء ولكن يستقبله عند السلام فقط. وانما

---

١) لطائف المنن والاخلاق ١٢٣.

٢) الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٢١.

٣) صريح البيان ٦١.

٤) سير الأعلام ٥٠٣/١١. تهذيب التهذيب ١٢٧/٩-١٣١ تاريخ بغداد ٢٥٩/٢ ٢٦٤ ميزان الاعتدال ٥٣٠/٣ المجروحين ٣٠٣/٢ أحوال الرجال رقم ٣٨٢ الكامل ٢٢٧٧/٦) وتناقض الكوثري فاتهم الحافظ ابن عبد الهادي بإغفال من أثنى على الرازي (مقالات ٣٩٢) غير أنه صرح في نفس الكتاب أن الرازي مختلف فيه وأنه كذبه كثيرون أشنع تكذيب ولا يحتج به عند كثيرين (مقالات ٤٥٦ و٥٨.

يستقبل القبلة عند الدعاء.

وعجباً لأهل البدع: لقد حيّرونا :أنستقبل السماء عند الدعاء أم القبلة أم القبر؟

ولم يكن مالك يرى فرقا بين حياة النبي ﷺ وبين موته فيما يتعلق بتوقيره وحرمة رفع الصوت في مسجده حياً وميتاً. ولكنه كان مع ذلك يفرق بين حياته ﷺ وبين موته فيما يتعلق بمسألة التوسل به ﷺ ومسألة زيارة قبره حتى قال «وأكره أن يقال زرت قبر النبي ﷺ».

* **شبهة**: واحتجوا بحديث «لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لي. فقال الله: يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال لأنك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك إلا أحب الخلق اليك. قال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق الي، أدعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك».

رواه الحاكم وقال «صحيح» ٢:٦١٥ قال الذهبي « بل موضوع» وقال السبكي ان هذا لا ينزل عن درجة الحسن. وأخرجه الطبراني في الأوسط (عزاه له الهيثمي في المجمع ٨:٢٥٣) و(الصغير ٣٥٥) [(١)].

ولنا على ذلك مآخذ منها:

أن هذا الحديث الموضوع المكذوب يضاهيء اعتقاد النصارى. قال الشهرستاني عن عقائد النصارى « والمسيح هو الابن الوحيد وهو الذي به غفرت زلة آدم عليه السلام» [(٢)].

أن قوله «وصححه» غلط، فإن الحاكم كتب «صحيح الاسناد» وأهل الحديث يفرّقون بين صحة الاسناد وصحة الحديث.

أن الحبشي احتج بكلام السبكي، بيد أن السبكي اعترف بأنه قلد الحاكم في التصحيح فقال « وقد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم» [(٣)]. مما يبين درجته في هذا الفن. فكيف يستدل مقلد بمقلد؟

أنه قد تواتر عند أهل الحديث تساهل الحاكم في التصحيح وهذا مما يتجاهله الحبشي تارة ويقر به تارة أخرى حسب الحاجة. قال

---

١) صريح البيان ٦١.

٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢/٦١.

٣) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ١٦٣.

الشيخ محمد بن درويش الحوت في أسنى المطالب (ص ٥٧٣) بأن الحاكم متساهل في التصحيح ونقل عن المناوي تعقب الذهبي لكثير من تصحيحات الحاكم.

○ أن الحبشي سكت عن تعقب الذهبي على الحاكم قائلا «بل موضوع» ففيه عبد الرحمن الفهري وهو واه، وقد قال الحاكم نفسه في أول حديث عن عبد الرحمن « رواه عبد الله بن مسلم الفهري ولا أدري من ذا».

ولقد سُئل الحبشي «هل يُقبل تصحيح الحاكم وتضعيفه؟ أجاب «لا يُقبل منه ذلك من غير موافقة الذهبي عليه». غير أنه تعمَّد هنا السكوت عن استدراك الذهبي واكتفى بتصحيح الحاكم.

○ وحكى الحافظ ابن حجر أن بعضهم ذكر أن الحاكم حصل له تغير وغفلة في آخر عمره، ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة من الضعفاء وقطع بترك الرواية عنهم ومنع الاحتجاج بهم ثم أخرج أحاديث بعضهم في مستدركه وصححها، من ذلك أنه أخرج حديثاً لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وكان قد ذكره في الضعفاء فقال انه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها...»[1].

○ بل قد وصف الحافظ ابن حجر هذا الحديث بأنه «خبر باطل» كما في اللسان (٣/٤٤٢) ترجمة رقم (٤٨١٥) وضعّفه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٤٨٩) وصرّح السيوطي بضعف الحديث في مناهل الصفا في تخريج أحاديث «الشفا» [2] والزرقاني في شرح المواهب (١/٧٦) وابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٣٢٣) وملا علي القاري في شرح الشفا (١/٢١٥) والشهاب الخفاجي في شرح الشفا (٢/٢٤٢) وذكر الحافظ عن الحاكم وأبي نعيم أن عبد الرحمن بن زيد هذا كان يروي الأحاديث الموضوعة عن أبيه. وقال ابن الجوزي «أجمعوا على ضعفه» وقال ابن حبان «كان يقلب الأخبار» وقال ابن سعد «ضعيف جدا» [3]. فخذه أيها الحبشي حيث حفاظ عليه نصوا.

---

١) لسان الميزان ٥/٢٦٣ ترجمة رقم (٨٥٩٨).

٢) ص ٩٤ حديث رقم (٣٨١) وقد حقق سمير القاضي الحبشي كتاب السيوطي المذكور وأفادنا بتضعيف البيهقي له في (الدلائل ٥/٤٨٩) ط: مؤسسة الكتب الثقافية ودار الجنان الحبشيتين.

٣) تهذيب التهذيب ٦/١٧٨.

نماذج أخرى من بضاعة الحبشي

* رواية: استسق لأمتك

○ عن مالك الدار « أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا فأتى الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس».

١) فيه اضطراب: مالك الدار مجهول الحال، إذا شهدنا له بالثقة لم نشهد له بالضبط.

٢) وأما ما جاء في رواية سيف بن عمر الضبي أن الرجل هو بلال بن الحارث فهذا مردود: فإن سيفاً هذا زنديق بشهادة نقاد الحديث وكان يضع الأحاديث. قال ابن أبي حاتم «ضعيف» (الجرح والتعديل ٢٧٨/٤) «ورماه ابن حبان والحاكم بالزندقة» (تهذيب التهذيب ٢٩٥/٤).

٣) أن الرواية ليست متواترة، وقد عاهد الأشاعرة ألا يأخذوا بالآحاد في العقائد.

٤) أن البخاري اقتصر على قول عمر (ما آلو الا ما عجزت عنه) (التاريخ الكبير ٣٠٤/٧ رقم ١٢٩٥). ولم يذكر مجيء الرجل الى القبر. وهذه الزيادة دخلت في القصة وهي زيادة منكرة ومعارضة لما هو أوثق منها مما رواه البخاري في صحيحه في ترك جمهور الصحابة التوسل بالنبي الى التوسل بالعباس.

٥) أوَيرضى مسلم أن يقول: إن هذا الرجل المجهول كان أشد تعظيما ومحبة لرسول الله ﷺ ومعرفة بسنته من عمر الذي أخرج جمهور الصحابة الى الصحراء ليشهدهم على ترك التوسل بالنبي ﷺ فيتوسل بدعاء العباس ويقرونه على ذلك.

٦) أن الرواية لم تذكر أن الرجل رأى الرسول ﷺ في منامه، فالرجل مجهول والذي أتاه في المنام مجهول، وربما كان هاتفا من الجن.

٧) أن المنامات لا تقوم بها حجة في العقائد، فما لهؤلاء القوم يرفضون الاستدلال بالآحاد في العقائد ولو كان في صحيح البخاري بينما يحتجون بالمنامات لإثبات عقائدهم؟!

* رواية الكوة الى السماء

○ أن أهل المدينة قحطوا قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت: أنظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كواً الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق.

هذه الرواية منكرة، فيها:

١) أبو النعمان محمد بن الفضل. اختلط[١].

٢) عمرو بن مالك النكري. قال فيه ابن عدي «حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة» والنكري ضعيف عند البخاري [٢]

٣) أوس بن عبد الله (أبو الجوزاء) قال البخاري «في إسناده نظر» [٣].

٤) سعيد بن زيد، فيه ضعف، ضعفه الدارقطني وأبو حاتم والنسائي والجوزجاني والبزار وقال أحمد لا بأس به، وقال ابن حبان: كان صدوقا حافظا يخطىء في الاخبار ويهم حتى لا يحتج به اذا انفرد» [٤].

وعلى فرض صحة سندها فإنها معارضة للروايات الأصح منها سنداً والتي أفادت ترك الصحابة التوسل بالنبي ﷺ بعد موته وخروج عمر الى الصحراء وتوسله بدعاء العباس.

○ حديث « **إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم**» [٥]

(موضوع) قاله ابن الجوزي في (الموضوعات٢/٢٧) وفيه أيوب بن مدرك. قال ابن معين (كذاب) وقال الحافظ في (التلخيص ٢/٧٠) ضعيف.

○ حديث « **انتظار الفرج عبادة**» [٦] موضوع . فيه عمرو بن حميد. قال الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان ١٩١٧) والذهبي في (ميزان الاعتدال٦٣٥٦) « ذكره السليماني في عداد من يضع الحديث»

---

١) أنظر عن اختلاطه في الكواكب النيرات (ص ٣٨٢-٣٨٣) رقم ٥٢.

٢) الكامل ١/٤٠٢ التهذيب ١/٣٨٤ وفي الكامل المطبوع تصحيف والتصويب من التهذيب وهذا الأثر من روايته فيكون غير محفوظ.

٣) التاريخ الكبير ١/١٧٢ الكامل ١/٤٠٢ التهذيب ١/٣٨٤.

٤) تهذيب التهذيب ٤/٣٣ ميزان الاعتدال ٢/١٣٨.

٥) المقالات السنية ٥٣.

٦) المقالات السنية ٩٦.

وذكر أنموذجاً لموضوعاته وهو نفس الحديث « انتظار الفرج عبادة».

○ حديث « **أوحى الله الى عيسى: آمن بمحمد، فلولاه ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار** »[1] صححه الحاكم (٦١٤/٢) وتعقبه الذهبي فقال «أظنه موضوعاً» وفيه عمرو بن أوس الأنصاري قال الذهبي في الميزان ٦٣٣٠) « يُجهل حاله وأتى بخبر منكر» ثم ساق هذا الحديث. وأقر الحافظُ الذهبيَ على ذلك في (اللسان ٤٠٨/٤ ترجمة رقم ٦٢٤٨).

○ حديث « **من زار قبري وجبت له شفاعتي**» [2]، فإنه يحيلك إلى موضع الحديث لكنه لا يحكم عليه لأنه يعلم أنه لم يصح، فهذا الحديث مروي من طريق موسى بن هلال العبدي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر. وهو ضعيف وتجتمع فيه علل عديدة منها جهالة موسى بن هلال هذا. قال أبو حاتم: «مجهول» وقال العقيلي «لا يُتابَع على حديثه» وقال ابن عدي «أرجو أنه لا بأس به». قال الذهبي: هو صويلح الحديث، وأنكر ما عنده حديثه عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ «من زار قبري وجبت له شفاعتي» كذا قاله الحافظ [3] وأشارا كلاهما وابن خزيمة وغيرهم الى الاضطراب في الرواية عن عبد الله بن عمر أو عن عبيد الله بن عمر. ونقل عنه الحافظ قوله « ان الثقة لا يروي هذا الخبر المنكر. ونقل عن العقيلي أنه لم يصح في هذا الباب شيء» ثم أكد الحافظ بنفسه أن طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وأن أصح شيء في هذا الباب هو حديث « ما من أحد يسلم علي الا رد الله روحي حتى أرد عليه السلام» (التلخيص الحبير ٢٦٧/٢) [4].

---

١) المقالات السنية ١٠٦.

٢) صريح البيان ٨٣.

٣) لسان الميزان ١٥٨/٦ ميزان الاعتدال ٢٢٥/٤.

٤) وقد تكلف السيوطي في تأويل الحديث وأتى له بمعان متناقضة بعيدة عن الصواب منها:

- أن تكون الروح كناية عن السمع وأن الله يردّ عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع سلام المسلّم.
- أن تكون الروح بمعنى الارتياح لا بمعنى روح الحياة.
- أن تكون الروح بمعنى الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة عليه.
- أن المراد بالروح هو الملك الذي وكل بقره ﷺ يبلغه السلام، أي بعث الي الملك الموكل يبلغني السلام.

ومع ذلك يأبى الأحباش الا تصحيح الحديث ولم يأخذوا بكلام الحافظ ابن حجر بل قدموا عليه هذه المرة السبكي الذي يدل كتابه (شفاء السقام) على مرتبته في الحديث [1].

○ ومجرد تصحيح هذه الأحاديث الضعيفة انما هو طعن في أئمة هذه الأمة ومنهم الامام مالك، فقد قال الحافظ في الفتح « أما مالك فقد كان رحمه الله يكره أن يقول الرجل: زرت قبر النبي ﷺ». ونص عليه القرافي في الذخيرة والزبيدي في شرح الإحياء أن دليل مالك قوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». [3].

وهذا أعظم دليل على أن مالكاً لم تصح عنده أحاديث الحث على زيارة قبر النبي ﷺ إذ لو صحت لما تجرأ أن يقول « أكره أن يقال زرت قبر النبي».

○ حديث « من حج ولم يزرني فقد جفاني» [4]. قال الذهبي: موضوع (ميزان الاعتدال رقم٩٠٩٥) وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٢١٧) واعترف الحبشي بوضعه ومع ذلك احتج به.

○ حديث « هي المانعة هي المنجية» أي سورة تبارك [5]. فيه يحيى بن عمرو النكري رماه حماد بن زيد بالكذب وضعّفه ابو داود وقال الحافظ في التقريب « ضعيف» (رقم ٧٦١٤) وذكر الذهبي من مناكيره هذا الحديث (الميزان رقم٩٥٩٥).

○ حديث «إقرأوا يس على موتاكم» [6] واحتج بتصحيح ابن حبان تاركاً وراءه تضعيف الحفاظ الآخرين. وأنت تعلم تساهل ابن حبان في التصحيح.

---

١) مجلتهم منار «الهدى» ٣٠/٣٣.
٢) إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٤/٤١٧ بغية الطالب ٢٣٣.
٣) فتح الباري ٣/٦٦ وانظر الذخيرة للقرافي ٣/٣٧٥ تحقيق محمد بو خبزة ط: دار الغرب الاسلامي.
٤) المقالات السنية ١٤٤.
٥) المقالات السنية ١١٧.
٦) إظهار العقيدة السنية ٢١٠.

وهذا الحديث قد اجتمعت فيه عللٌ عديدة كما بيّنه الحافظ ابن حجر في التلخيص، منها:

١- جهالة أبي عثمان ٢- جهالة أبيه ٣- الاضطراب: فقد أعله ابن القطان بذلك. وقال الدارقطني هذا حديث ضعيف الاسناد مجهول المتن ولا يصح حديث في الباب [١].

فليس من خدمة الحديث تجاهل حقيقة ضعف الحديث لمجرد موافقته للهوى والمذهب. إذ من يفعل ذلك لا يجوز أن يشاع عنه بأنه خادم الحديث وسلطان العلماء ومحدث العصر!

○ حديث «**يس قلب القرآن...**» [٢]. وطرفه «البقرة سنام القرآن» (المسند ٥/٢٦) وهذا إسنادٌ ظاهر الضعف، وفي الاسناد ما يلي: «عن رجل عن أبيه»!! فمن هو هذا الرجل ومن هو أبوه؟ لعله أبو عثمان غير النهدي وأبوه كما في الحديث السالف وكلاهما مجهول الحال.

○ حديث «**ليهبطن عيسى بن مريم حكماً...**» احتج به الحبشي [٣] وهو عند مسلم، ولكن الجزء الأخير منه (وليأتينّ قبري) عند الحاكم (٢/٥٩٥) صححها ووافقه الذهبي. وفيها ثلاث علل:

الأولى: جهالة عطاء قال عنه الذهبي (لا يُعرَف تفرّد عنه المقبري).

الثانية: عنعنة ابن إسحاق، فإنه مدلس مشهور بذلك.

الثالثة: الاختلاف عليه في اسناده كما بيّن ابن ابي حاتم في العلل (٢/٤١٣) حين سأل أبا زرعة عن سند الحديث فأشار عليه بالرواية الصحيحة التي ليس فيها الزيادة التي عند الحاكم (وليأتينّ قبري) [٤]. وقد صدق ابن تيمية حين ضعّف رواية الحاكم.

○ حديث «**لا ينبغي للمطي أن تُعمَل**» [٥] فيه شهر بن حوشب صدوق كثير الأوهام كما في التقريب (٢٨٣٠) خالف الروايات الأخرى الصحيحة.

---

١) التلخيص الحبير ٢/١٠٤ إرواء الغليل للألباني (٦٨٨).
٢) إظهار العقيدة السنية ٢١٠.
٣) الدر المفيد ١٣.
٤) لمزيد من التفصيل ارجع الى السلسلة الضعيفة ٣/٦٤٧.
٥) المقالات السنية ١٣٨.

○ حديث « **من صلى علي عند قبري سمعته**» [1]. **موضوع** كما قال ابن الجوزي في (الموضوعات ٣٠٣/١). فيه محمد بن مروان: متهم بالكذب كما عند الحافظ في (التقريب ٦٢٨٤) وعند ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل رقم ٣٦٤) كذاب متروك الحديث لا يُكتَب حديثه ألبتة».

واعجب من المتعصبين الضالين الذين يتجاهلون قوله تعالى ﴿**وهم عن دعائهم غافلون**﴾ ﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم**﴾ ثم يميلون عن كلام الله الى روايات مكذوبة لم يجهلوا قول أهل الجرح والتعديل في وصف راويها بأنه كذاب وضاع! يزعمون أنه لا يجوز في العقائد الا خبر ما كان متواترا، بينما يتمسكون بروايات الكذابين ويطعنون في خبر الواحد الذي رواه البخاري ومسلم!

○ **أن النبي أتي ببرد قطري** فوضعه على يده. رواه أبو داود في مراسيله. والمراسيل لا تقوم بها حجة فضلا عن أن يعارض بها ما هو أصح وأصرح منها كحديث عائشة عند البخاري (اني لا أصافح الناس).

○ **وأبيض يستسقى الغمام بوجهه**... وهو قول محكي عن أبي طالب يحتج به من لم يجدوا في الكتاب والسنة ما يدعمون به حجتهم. ولذا يسلم عليكم أبو طالب ويقول: خذوا عني عقيدتكم.

وهل كان الصحابة يستسقون بوجهه؟ أم أن ذلك قول لأبي طالب تذكره صحابي ولم يثبت عن أحد من الصحابة فعله. بل تركوا التوسل بالنبي ﷺ وتوسلوا بالعباس بعد موته؟ لماذا لا تقولون الصحابة وهابيون؟

وأختم بالاشارة الى رواية طويلة حول مولد النبي ﷺ مليئة بالخرافات لا أستطيع سردها ههنا خشية الاطالة، فابحث عنها في فصل بدعة المولد [2] وانظر الى آثار القصاصين القدامى وناشري الخرافة وزخرف القول.

---

١) المقالات ١١٥.

٢) صفحة ٣٦٠ من هذا الكتاب.

أما بعد يا خادم علم الحديث

فانظروا الى خادم علم الحديث وهو يروي أنكر الأحاديث وأكذبها، ويخالف بها ما ثبت في القرآن بأن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ [الاعراف٢٣].

ولو كان توسل آدم بنبينا ﷺ هو الكلمات التي تلقاها من الله فما معنى ترك الصحابة للتوسل كقول عمر «كنا إذا أجدبنا توسلنا بنبيك» ألم يكونوا يفقهون القرآن؟

وقد ذكر علماء علوم الحديث أن من علامات وضع الحديث مخالفته للقطعي من النصوص. وهذا ما أشار اليه ابن كثير فذكر مخالفة هذه الرواية المكذوبة المنكرة للآية الكريمة (١). فأين قال آدم هذا الكلام المكذب لكلام الله ؟

ثم إن الحبشي يستدل بموافقة الذهبي لتصحيح الحاكم للحديث وإن كان ضعيفاً إن كان ذلك موافقاً لهواه، ويسكت عن اعتراضه على تصحيح الحاكم للحديث إذا وافق ذلك هواه وإن كان الحديث ضعيفاً. ولذلك استدل بتصحيح الحاكم لحديث « ليهبطنّ ابن مريم..» ثم قال: ووافقه الذهبي، مع أن الحديث قد اجتمعت فيه ثلاث علل تكفي الواحدة منها لتوهينه وتضعيفه (٢).

أنه قال « وعزاه له الهيثمي» وسكت عن قول الهيثمي في الحديث «وفيه من لا أعرفه». وهذه ليست طريقة أهل الحديث ولا خُدّامه وإنما هي طريقة أهل الأهواء الذين تميل نفوسهم مع الروايات الضعيفة لمجرد موافقتها أهواءهم وعقائدهم الفاسدة. وإلا فكيف يشترط تعقب الذهبي على الحاكم ثم هو يسكت هنا عن حديث موضوع مكذوب لمجرد أنه يوافق هواه في التوسل! وهذا دليل على أنَّه ليس طالب حق. فإن من سمات أهل الحديث التجرد في تخريج الحديث بصدق ولو كان يخالف المذهب، وهذا ما تحلى به الحافظ ابن حجر والنووي وغيرهما.

---

١) تفسير ابن كثير ١/١١٦.

٢) بغية الطالب ٢٣٣ وانظر تخريجه في سلسلة الضعيفة (١٤٥٠).

بضاعته في الحديث فاسدة

○ كان يجدر بالحبشي أن يكون خادماً للحديث أميناً فلا يروي إلا الصحيح. لقد انتقد الحبشي الحافظ الذهبي [1] واتهمه بالتساهل في رواية الحديث وأنه يأتي بأحاديث غير ثابتة وآثار من كلام التابعين من غير تبيينٍ من حيث الاسناد والمتن [2].

ولكن الذي أطلعتُكَ عليه يكشف أنه هو الذي يجتهد في تصحيح الضعيف بالحيلة تارة وبالسكوت عن العلل والقوادح تارة أخرى. ويتكتم على ضعفِ ما لم يستطع تصحيحه.

ويحتج بمن حسّنه مع علمه بضعفه، ويكثر الرواية عن روايات الشيعة التي تطعن في الصحابة أمثال المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب وسيف بن عمر وهشام الكلبي ولوط بن يحيى الكوفي وغيرهم ممن حذر أئمة الجرح والتعديل من الرواية عنهم لما فيهم من الكذب والغلو والتشيع كقول ابن عدي في لوط بن يحيى « شيعي محترق له من الأخبار ما لا أستحب ذكره» وقول الحافظ ابن حجر « إخباري تالف لا يوثق به» وقول الرازي « ليس بثقة، متروك الحديث» [3].

لكن الحبشي تعلق بهؤلاء الرواة ووجد في رواياتهم الكاذبة ما يشفي عليله من صهر رسول الله ﷺ معاوية [4]. وهذه ليست طريقة أهل السنة وإنما هي طريقة أهل الضلالة والزيغ.

---

١) وأين هو منه.

٢) إظهار العقيدة السنية ٩٧.

٣) الكامل في الضعفاء ٩٣/٦ لسان الميزان ٥٨٤/٤ الجرح والتعديل ١٨٢/٧ سير أعلام النبلاء ٣٠١/٧.

٤) أنظر كتابه صريح البيان ص ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣.

التبـــــرك

سند الشعرة المنسوبة للرسول ﷺ

الرفاعية يفضلون قبر النبي على عرش الله

الجويني سبق ابن تيمية بتحريم شد الرحال

شبهات التبرك بالقبور

أكذوبة تبرك الشافعي بقبر أبي حنيفة

أئمة المذاهب الفقهيـة ينهون عن التبـــرك

أئمـة الشـافعية والحنفيـة والحنابلـة والمالكيـة ينهون عـن التبرك

النووي يفتي بالمنع من مس القبر ويحكي الاجماع على ذلك

موقف أهل البيت من التبرك

التبرك

قبل الدخول في موضوع التبرك أؤكد على ثلاثة أمور مهمة:

١) أن المخالفين ليس عندهم فيما يستندون اليه الا قول رجل يعارضه قول آخر أو قول عالم يعارضه عالم آخر، بل ربما كان لهذا العالم قولان متضاربان: قول بالجواز ورواية أخرى في النهي عن ذلك، ومثل هذا لا يجوز الاحتجاج به في موارد النزاع، بل اذا تضاربت أقوال الأئمة كالشافعي وأحمد وأبي حنيفة فالرد الى الله والرسول، ولم يعد قول أحدهما حجة على الآخر. إذ الاختلاف ليس حجة، وبيان السنة حجة على المختلفِيْن من الأولين والآخرين.

٢) أننا نؤمن بالتبرك بآثار النبي ﷺ خلافاً لما يشيعه عنا الآخرون، وكيف ننكره وقد ثبتت به الأحاديث الصحيحة. غير أن آثاره اليوم ﷺ لم تعد متوفرة بيننا مما يجعل إثارة هذا الموضوع تشغيباً وترويضاً للناس واستدراجاً بهم نحو التبرك بالقبر. والذين ثبت عنهم التبرك بالشعرة لم يصح عنهم التبرك بالقبور.

أثبتوا سند الشعرات التي تتبركون بها!

وأما هذه الشعرات المزعومة والتي تتسلطون بها على الناس وتتحكمون بها في عواطفهم فيُحتاج الى إسنادها مثلما تسندون الحديث النبوي، والصوفية ليسوا أمناء على حديث النبي ﷺ فكتبهم طافحة بالأحاديث الموضوعة، كحديث « إن الله سيدخل الجنة كل من اسمه محمد» وزعم نبيل الشريف أن النبي ﷺ قال « أحبوا العربية لثلاث لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي» (١).

فكيف يؤتَمَنون على شعر النبي ﷺ، فمن لا يؤتمن على حديث رسول الله ﷺ لا يؤمن أن يأتي بشعرة يزعم أنها لرسول الله ﷺ. ونحن نسلم أنه كانت عند أحمد شعرات للنبي ﷺ ولكن لا نسلم لمن ثبت كذبهم فلا يستوي أحمد الصادق والصوفية الكاذبون. فأنتم لستم أمناء على حديث رسول الله ﷺ فكيف نأمنكم على آثاره؟!

واذا كان في أحاديث النبي ﷺ المنقطع والضعيف والمكذوب

---

١) مجلة منار الهدى ٣٠/٢. قال السيوطي "موضوع" (اللآلىء المصنوعة ٤٤٢/١).

فكيف نتمكن من اثبات اتصال سند هذه الشعرة، بل ربما كان إسنادها شديد الضعف بل ربما كان موضوعا، وربما كان سند الشعرة خبر واحد فيصير سندها ظنياً حسب قواعد الأشاعرة!

ولعل متابعة إسناد حديث ما أهون بكثير من متابعة إسناد الشعرة. فأين العلماء المتخصصون بمتابعة أسانيد الشعرة؟

وهذا ليس فيه استهانة بآثاره ﷺ فإن أحاديثه من آثاره:

فكما أننا لا نقبل كل حديث عن رسول الله ﷺ الا بعد التحقق من إسناده فكذلك لا نقبل كل شعرة تنسب الى الرسول ﷺ الا بعد التحقق من إسنادها.

ولا يضرنا أن نترك هذه الشعرة المجهولة السند سداً للذريعة حتى لا تكون الشعرة خطوة على طريق الضريح والمقام، فإن الله لن يسألنا يوم القيامة: لماذا لم تتبركوا ولكنه يثيبنا على سد الذريعة. فإنما أهلك بني اسرائيل بتتبعهم آثار أنبيائهم كما قال عمر.

والفرق بيننا وبين بني اسرائيل ومن شابههم: أننا نتبع سبيل الأنبياء لا آثار الأنبياء.

٣) أن التبرك بغير النبي ﷺ بعد موته لم يثبت، قال الشاطبي « وقد ترك ﷺ بعده أبا بكر وعمر وهما خير هذه الأمة وخير ممن يوصف الناس بعدهم بالأولياء ولم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح أن متبركاً تبرك به على النحو الذي يفعله العامة في المشايخ من لمس الجسد والثياب، فهو إجماع منهم على ترك تلك الأشياء».

قلت: ونحن نلتزم ما التزمه السلف ومن هنا وانطلاقاً من قوله **﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾** نقول: هل كان هذا سبيل المؤمنين من الصحابة فيما بينهم؟ هل ثبت تبرك عمر بأبي بكر، أو هل تبرك علي بابن مسعود؟

ولا أتوقع أن يعتقد أحد أن البدوي والرفاعي والجيلاني أكثر بركة من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال الشاطبي « فعلى هذا المأخذ لا يصح لمن بعده: الاقتداء به ﷺ في التبرك، ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة» (الاعتصام ٢/٩).

ولقد زل كثير من العلماء في التوسع بالتبرك ولم يقف عند حدوده وقاس على النبي ﷺ غيره وهو قياس مع الفارق.

وقال الحافظ ابن رجب « وكذلك التبرك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم فدل على أن هذا لا يُفعل الا مع النبي ﷺ مثل التبرك بوضوئه وفضلاته وشعره وشرب فضل شرابه وطعامه».

○ قال « فهذه الأشياء فتنة للمعظّم والمعظَّم لما يُخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة، وربما يترقى الَى نوع من الشَرك» (١).

ولكن شد من عضد هذه البدعة ما وقع من بعض الفقهاء من تسويغها وحشد الأدلة التي لا يميز العامي صحتها من ضعفها. ومن هنا أقول: وإن كنا نعتبر التمسح بالقبور والاستغاثة بالأموات شركاً إلا أن الحكم على معين من العوام بالشرك من الصعوبة بمكان بسبب تمسك بعض الفقهاء بذلك وايراد الأدلة عليه بما يجعل الأمر ملتبساً على العوام. ومن هنا فلا تناقض بين هذا الموقف وبين قولنا: هذا العمل شرك.

وهذا البلاء الذي أنكره كثير من العلماء قد عمت به البلوى وطمت كما صرح السيوطي (٢).

ولكن سوغه بعض المتأخرين وسكت عنه آخرون فصار سنة حكم العوام على منكرها بأنه مبتدع مخالف يخوض فيما سكت عنه أهل العلم. والقلوب اذاَ اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن.

---

١) الحِكم الجديرة بالاذاعة ص ٥٥.

٢) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١/١٣٩ ط: الحلبي.

الاختلاف بين التوسل والتبرك

التوسل يختلف اختلافاً بيّناً عن التبرك. ومن سوّى بينهما فقد ارتكب خطأً شنيعاً.

- فالتبرك: هو التماس ما يُرجى به الخير الدنيوي فحسب.
- أما التوسل فإنه ما يُرجى به الخير الدنيوي والأخروي معاً ويكون بدعاء المتوسَّل به لا بذاته.
- التوسل لا يكون إلا بدعاء.
- التوسل يجوز فيه دعاء الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.
- أما التبرك فليس من العقل ولا من الدين أن يتوسل الى الله بأثر أحد من الناس. كأن يقول القائل:اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بشعرة نبيك أو ببصاقه أو بحذائه أو ببوله... أن تغفر لي وترحمني. ومن يفعل ذلك فإنه يعرّض نفسه ليشك الناس في عقله.
- أن الصحابة ما فهموا من التبرك التوسل. ولو كان التوسل والتبرك بمعنى واحد فنقول هذا فيه حجة عليكم اذ يصير معنى قول عمر في حادثة القحط « كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبيك» فهذا يفيد إذن أنهم تركوا التبرك به بعد موته وتبركوا بعمه العباس.

التوسل الى الله ببركة الولي

إن لفظ البركة يطلقه أهل البدع ويريدون به شيئاً مخالفاً لما كان عليه السلف الصالح. فيعتقدون أن التبرك هو مس جسد الولي أو جدار قبره. وقد روى البخاري (٥٤٤٤) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم». وجاء بنحوه عند مسلم.

فمع أن المسلم بركة ما أُمرنا أن نتبرك بكل مسلم بحجة أن رسول الله ﷺ وصفه بأنه بركةَ وإنما البركة هنا بركة عمله والخير الذي يثمر من عمله أينما كان.

وقد قال أسيد بن حضير لأبي بكر رضي الله عنه « ما هي أول بركتكم يا آل أبي بكر» وقالت عائشة رضي الله عنها لما تزوج النبي ﷺ جويرية بنت الحارث « فما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها»[1]فلم يفعل أسيد بأبي بكر ما كانوا يفعلونه برسول الله من الاحتفاظ بشعره.

وبركة الصالحين تكون بمجالستهم والاستفادة من علمهم كما في حديث الملائكة الذين يطوفون يلتمسون مجالس الذكر. وفيه قوله تعالى لهم: « أشهدكم أني قد غفرت لهم» فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة. فيقول الله « وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». فهذا العبد الخطاء شملته المغفرة ببركة مجالسة الصالحين.

وأما طلب بركة غير الذوات فيختلف باختلاف أنواعها: فطلب بركة السحور تكون بالتسحر، وطلب بركة ماء زمزم تكون بشربه، وطلب بركة المسجد الحرام تكون بالصلاة فيه.

وأما قول القائل: اللهم اني أسألك ببركة فلان فقد صرح أهل العلم أن هذا القول لا معنى له وهو من الألفاظ الموهمة، ويحتمل أن يكون شركاً أو بدعة على أقل تقدير. وقد نهانا الله عن الألفاظ الموهمة بقوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا**﴾ وهو غير منقول عن السلف في ألفاظ الدعاء، والدعاء عبادة، ومبنى العبادات على النقل الشرعي.

---

١) رواه أحمد٦/٢٧٧ بسند جيد.

ما الحكمة من إجازته ﷺ للتبرك؟

ولقد رأى النبي ﷺ أصحابه وهم يقتتلون على وضوئه ويتبركون بآثاره وكان ذلك كما أشار الألباني لغرض مهمّ حيث هال قريشاً ما رأته من شدة حب الصحابة لنبيهم ﷺ مماً لم تكن تراه من قبل أبداً، ومما يقطع بأنه نبي.

غير أنه ﷺ عمد بعد ذلك الى صرف أصحابه بحكمة ولينٍ عن هذا التبرك وأرشدهم الى أعمال صالحة هي خير لهم من ذلك.

فعن عبد الرحمن بن أبيٍّ قراد أن النبي ﷺ توضأ يوماً، فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال لهم « ما يحملكم على هذا؟» قالوا: حب الله ورسوله.

فقال « من سرَّه أن يحب الله ورسوله - أو يحبه الله ورسوله - فليصدُق حديثه إذا حدث، ولْيؤدِّ أمانته إذا اؤتمن، ولْيُحسِن جوار من جاوره»[1].

التبرك بذات الأنواط تأليه لها

وكان الصحابة في حداثة عهدهم بالاسلام رأوا المشركين يعلّقون سيوفهم عند شجرة يظنون البركة تحل بها، فقالوا للنبي ﷺ إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال « قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى ﴿**إجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ تجهلون**﴾ [الاعراف١٣٨] إنها السنن لتركبُنّ سنن من كان قبلكم»[2].

والصحابة ما أرادوا من اتخاذ الشجرة عبادتها: وانما أرادوا حصول البركة لسيوفهم، ومع ذلك اعتبر النبي ﷺ هذا النوع من التبرك تأليهاً لغير الله ومشابهة لبني اسرائيل ﴿**اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**﴾ وإن كانوا يقولون لا اله الا الله. وأقسم النبي على أن مقالتهم كمقالتهم سواء بسواء. فالصحابة لم يسموا ذلك عبادة ولكن الرسول سماه عبادة وتأليهاً، ولم يقل لهم لا بأس لا يضركم ذلك ما دمتم تقولون لا اله الا الله!!

---

١) رواه الطبراني في معجميه وأشار المنذري الى تحسينه وخرّجه الألباني في سلسلة الصحيحة (٢٩٩٨).

٢) رواه الترمذي (٢١٨١) في الفتن بإسناد صحيح.

فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة تبركاً: اعتبره رسول الله ﷺ تأليهاً لغير الله مشابهاً لقول بني إسرائيل، مع أن الصحابة ما طلبوا ذات الأنواط ليعبدوها ولا ليسألوها مع الله، أليس تحريم شرك القبور من باب أولى حين يعتقد الأحياء أن الأموات متصرفون في قبورهم وأن قبورهم هي الترياق المجرب؟ واذا كانت الفتنة تحصل في شجرة فما بالك في قبر يعتقد الجهال أن صاحبه يأكل ويشرب فيه بل يخرج منه ليغيث البشر ويقضي حوائجهم؟

وكان النبي ﷺ ينهى عن اتخاذ القبور مساجد ويصف الذين اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد بأنهم شرار الخلق عند الله. قاله إنذاراً لأمته لا لمجرد الحكاية عن قوم هلكوا وكفروا، وجاء الإنذار الثاني مباشرة لهذه الأمة أنه سيكون فيها من يلتحق بشرار أولئك فقال « لا تقوم الساعة حتى يلحق أقوام من أمتي بالمشركين ويعبدون الأوثان» لا سيما وأن أصل الأوثان القبور.

قال الحافظ « وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبعهم مَن بعدهم على ذلك» وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين. فلما مات منهم أحدٌ مثّلوا صورته وتمسحوا بها. فعبدوها بتدريج الشيطان لهم [1].

فهل يُعقل أن ينهى نبينا ﷺ عن التبرك بالشجرة ويشبّه قول من قال (اجعل لنا ذات أنواط) بقول اليهود (اجعل لنا إلهاً) ثم يجيز التبرك بالقبور؟

وبناء على هذا الحديث فنحن نسمي استغاثتكم بأصحاب القبور عبادة وتأليهاً لها من دون الله. قلتم والذي نفسي بيده ما كان يقوله قوم نوح لأصنامهم: مدد يا ودّ، مدد يا سواع، مدد يا يغوث، مدد يا يعوق، مدد يا نسر.

---

1) فتح الباري ٨:٦٦٨-٦٦٩.

الاسلام يهتم بسد ذرائع الشرك

وبهذا تعلم أن أصل الشرك سببه التبرك بالقبور، ولهذا كان ﷺ ينهى عن أن يُجصّص القبر وأن يُقعد عليه» [وفي رواية] «وأن يكتب عليه»[1].

وكان قد نهى أول الأمر عن زيارة القبر، ثم أذن بعدما بيّن أصل سبب الزيارة « ألا فزوروها فإنها تذكّر الآخرة» ولم يقل فإن بها قضاء الحوائج، ولا قال بأن منها ما هو الترياق المجرّب؟ وانما منعت أولا ليبرأ الناس من مرض اعتقاد الترياق في القبور.

وإنما صحت الأحاديث على مشروعية زيارة القبور عامة لفائدة تذكر الآخرة والدعاء للميت. واذا كنا في جنازة دعونا للميت - وليس دعونا الميت - وشفعنا له - ولم نستشفع به - وهذا نفعله بعد دفنه من باب أولى.

فبدل أهل البدع قولاً غير الذي قيل لهم فبدلوا الدعاء له بطلب الدعاء منه لأنفسهم والترحم عليه بطلب الترحم منه، وصاروا يطلبون أمور الدنيا ممن خرجوا من الدنيا وحال الموت بينهم وبين ما يشتهون.

وكان ينهى عن الصلاة في المقبرة، وينهى عن الصلاة بعد الفجر وبعد العصر سداً لذريعة الشرك، وحتى لا يحصل التشبه بعبّاد الشمس ولو من دون قصد:

فالنهي عن اتخاذ القبور مساجد أولى بالنهي لأن النبي ﷺ أخبر أن هذا حال اليهود والنصارى استحقوا به اللعنة. ولهذا قال الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي الحنفي « وأما اتخاذ المساجد فلما فيه من التشبه باليهود واتخاذهم مساجد على قبور أنبيائهم وكبرائهم، ولما فيه من تعظيم الميت وشبه بعبدة الأصنام» [2].

وقال ابن قدامة المقدسي « لأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب اليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات باتخاذ صُورهم ومسحها والصلاة

---

١) رواه مسلم رقم (٩٧٠).

٢) الكوكب الدري على جامع الترمذي ص ١٥٣.

عندها» (1).

ولذلك كانوا من بعده ﷺ يقطعون ذرائع الشرك ووسائله. ويتمثل ذلك حين رأى عمر قوماً يتناوبون مكاناً يصلّون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا مكانٌ صلى فيه رسول الله قال:أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا. من أدركته فيه الصلاة فليصلّ وإلا فليمض»(2)« وبلغه أن أناساً يأتون الشجرة التي بويع عندها النبي ﷺ فأمر بها فقُطِعَتْ» (3).

○ وعن ابن عمر قال « رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله» (4) وقد بحث عنها أناس في زمن سعيد بن المسيب أثناء ذهابهم للحج فقال لهم سعيد « حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة. قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها» وفي رواية «فعميت علينا» وفي رواية «ثم أُنسيتُها بعدُ فلم أعرفها». قال سعيد للحجيج الباحثين عنها: « إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم؟» (5).

قال الحافظ في الفتح « وبيان الحكمة في ذلك وهو أن لا يحصل بها افتتان، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم الى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر كما نراه الآن مشاهداً فيما دونها، والى ذلك أشار ابن عمر بقوله « كانت رحمة من الله» (6).

وكيف لا يفعل عمر ذلك وقد غضب النبي ﷺ ممن طلبوا منه أن يتخذ لهم ذات أنواط وهي شجرة كان يعلق المشركون سيوفهم عليها

---

1) المغني لابن قدامة ١٩٣/٢.
2) أخرجه ابن وضاح القرطبي في كتاب البدع والنهي عنها ٤١ واللفظ له وابن أبي شيبة في المصنف ٣٧٦/٢ وقال الألباني "رواه سعيد بن منصور في سننه وابن وضاح بإسناد صحيح على شرط الشيخين، أنظر تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص ٤٩ ووفاء الوفا للسمهودي ١٤١٢/٤.
3) قال الحافظ في الفتح (٤٤٨/٧) "إسناده صحيح" فخذوه أيها المقلدة حيث حافظ عليه نص.
4) رواه البخاري رقم (٢٩٥٨).
5) رواه البخاري (٤١٦٢) و(٤١٦٣) و(٤١٦٤).
6) فتح الباري ١١٨/٦.

للتبرك فقال « قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾.

وهكذا لا زال الصحابة يسدون ذرائع الشرك ويقطعون على الخلق وسائله.

فهذا فعل الخليفة الراشد ممن أوصى الرسول ﷺ باتباع سنتهم، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ « ان الله عز وجل جعل الحق على لسان عمر» [١].

قال يحيى بن معين: حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ. رواه أبو الحسن علي بن عمر القزويني في أماليه والحافظ الذهبي أن ابن عمر كان يكره مس قبر النبي ﷺ [٢].

---

١) رواه أحمد ٢/٩٥ وأبو داود (٢٠٩٦٢).

٢) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط « رجاله ثقات» (سير اعلام النبلاء ١٢/٣٧٣).



استحباب زيارة قبر النبي ﷺ

ومع اعتقادنا بأن زيارة قبر النبي ﷺ مشروعة ومستحبة خلافاً لما يشيعه الآخرون فإننا نؤكد بأنه لم يصح عنه ﷺ حديث في الحث عَلى زيارة قبره، ومن شاء فليرجع الى (التلخيص الحبير٢/٢٦٦) للحافظ ابن حجر وتخريج الحافظ العراقي على (الإحياء ١/٢٥٨) وغيرهم ممن لم يصححوا هذه الأحاديث المحرضة على زيارة قبر النبي ﷺ مثل حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي» الذي يكثر الأحباش من الاحتجاج به [١]. وذكر الشيخ محمد بن درويش الحوت ضعف الحديث في (أسنى المطالب ص ٤٣٤).

وهذا الحديث بمجموع طرقه يرتقي الى درجة الكذب عليه ﷺ فانه لم يصح منها شيء. ولا يجوز العمل بها مع الإعراض عن الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا تُشَدُّ الرِّحال الا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا» ولم يقل «وقبري هذا». والحديث نصٌّ في تحريم شد الرحال الى القبور [٢].

هل حرّم ابن تيمية زيارة القبور ؟

☐ وقد اتهم السبكيُ ابنَ تيمية بأنه يحرّم زيارة قبر النبي ﷺ مع علمه أنه يحرّم شد الرحال اليه ولا يحرّم مجرد الزيارة، فقد أكد أن زيارة المسجد النبوي الشريف (ثم) زيارة القبر النبوي عمل صالح ومستحب [٣].

جلّ ما في الأمر أنه يفرّق بين الزيارة الشرعية وبين الزيارة البدعية التي تتضمن إما السفر من أجل القبر وإما المخالفات التي

---

١) صريح البيان ٨٣ وهو حديث ضعيف وتجتمع فيه علل عديدة منها: جهالة موسى بن هلال. قال أبو حاتم: « مجهول» وقال العقيلي «لا يُتابَع على حديثه» وقال ابن عدي «أرجو أنه لا بأس به». قال الذهبي « هو صويلح الحديث، وأنكر ما عنده حديثه عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ « من زار قبري وجبت له شفاعتي» وقال مثله الحافظ ابن حجر (لسان الميزان ٦/١٥٨ وميزان الاعتدال ٤/٢٢٥) كلهم أشار الى الاضطراب في الرواية عن عبد الله بن عمر أو عن عبيد الله بن عمر

٢) البخاري (١٩٩٥) ومسلم (١٣٣٨).

٣) الجواب الباهر ١٤.

يرتكبها الناس عند القبر من تقبيل الجدران والاستغاثة به ﷺ أو طلب أن يكشف لهم ضراً أو يقضي لهم حاجة. وحصول الخشوع والإقبال على الدعاء لمجرد الوقوف عند القبر بما لا يحصل لهم عادة في المسجد أو أثناء الصلاة، واعتقاد حياة وسمع وبصر المقبور، فيأتون القبر لنيل ما عند صاحبه من برّ وإحسان، وهو أعظم فتح لباب الشرك. وهو أصل عبادة الأصنام.

قال ابن تيمية [1] « فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له، سواء أكان نبياً أو غير نبي، ولهذا كان الصحابة **إذا زاروا قبر النبي** ﷺ يسلّمون عليه، ويدعون له ثم ينصرفون، ولم يكن أحد منهم يقف عند قبره ليدعو لنفسه».

وقال « وقد اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين من الصحابة وأهل البيت أنه لا يتمسح به ولا يقبّله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال « والله إني لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتُك» ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركنَيْ البيت ولا مقام ابراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين، « فهذه هي الزيارة البدعية وهي من جنس دين النصارى وهو أن يكون قصد الزائر أن يُستجاب دعاؤه عند القبر أو أن يدعو الميت أو يقسم به على الله في طلب حاجاته وتفريج كرباته، فهذه من البِدَع التي لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها أصحابه».

قال « وأما **زيارة القبور المشروعة** فهو أن يسلم على الميت ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته كما كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين...» [2].

ولم يكن أحد من السلف يأتي الى قبر النبي ﷺ لقصد الدعاء، وإنما كانوا يسلمون على النبي ﷺ وصاحبيه ويمضون. وهذا المحفوظ عن مالك فيما ذكره اسماعيل بن إسحاق في «المبسوط» قال « لا أرى

---

١) كتاب الزيارة ١٣-١٤.

٢) كتاب الزيارة ٨١-٨٨.

أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يسلم ويمضي» (١).

وهذا لا يعني تحريم زيارة قبرالنبي ﷺ وإنما تحريم السفر من أجله تمسكاً بالحديث. ويجب التفريق بين مجرد زيارة القبر وبين شد الرحال خصيصاً اليه كما يفعله الشيعة.

وأما أن يُقصد بالزيارة سؤال الميت أو الاستمداد الروحاني من سلسلة المشايخ كما يزعم الصوفيون من نقشبنديين وغيرهم كأن يتلقوا البيعة من مشايخهم الأموات عند قبورهم ويحدث الاتصال الروحاني بين قلب الزائر وبين قلب الميت فهذا لم يكن فعل السلف. وإنما الثابت عنهم ترك ذلك والزجر عنه. فقد توسل عمر بدعاء العباس لما مات رسول الله ﷺ. ثم ما يدريهم صلاح الميت وولايته فقد قال إمام الصوفية في زمانه عبد الوهاب الشعراني « كم من قبر يُزار وصاحبه في النار».

---

١) وقد اعترف الحبشي بمقولة مالك في كتابه "المقالات السنية ص ١٥١" نقلاً عن المرتضى الزبيدي ولم يشكك في صحة نسبتها اليه.

منهجية السبكي في رد ابن تيمية

غير أن السبكي لم يلتفت الى تفريق ابن تيمية وكتب كتاب « شفاء السقام في زيارة خير الأنام» مع أنه نقل فيه عنه التفريق بين الزيارة البدعية والزيارة الشرعية [1].

ويا ليت السبكي لم يكتب هذا الكتاب، فقد ملأه بالموضوع والمكذوب من الروايات، فكشف بكتابه هذا عن مدى علاقته بفن الحديث. ودافع الحبشي بدوره عن هذه الروايات بتعصب وانحراف بالغين[2].

وقد اقترح السبكي أن يسمي كتابه « شن الغارة على من أنكر الزيارة» لكن سلاحه لا يصلح لشن الغارة لأنه ضعيف لم يزد خصمه الا رسوخاً وثباتاً فضلا عن أن زعمه أن خصمه أنكر الزيارة هو ظلم كبير لا سيما اذا علم أن لابن تيمية كتاباً اسمه « الرد على البكري واستحباب زيارة قبر خير البرية».

وقد رد الحافظ ابن عبد الهادي على كتاب السبكي المذكور قائلا «أما بعد فإني وقفت على هذا الكتاب فوجدته كتاباً مشتملا على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة» [3].

ويكفي اليوم في الرد على السبكي: مجرد تخريج الأحاديث التي حشاها في كتابه ليتعرّف المنصف على صدق كلام ابن عبد الهادي وعلى ضعف السبكي في علم الحديث، وعلى تعصبه وعدم إنصافه لابن تيمية، ولنذكر بعضاً من هذه الأحاديث من غير توسع في تخريجها:

- « من زار قبري وجبت له شفاعتي» [4].
- « من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً» [5].

---

1) شفاء السقام ١٢٩.
2) أنظر كتابه المقالات السنية ص ١٣٩.
3) الصارم المنكي في الرد على السبكي ١٨-١٩.
4) شفاء السقام ٢ ضعفه السيوطي والألباني (إرواء الغليل ١١٢٧ اللآلىء المصنوعة ٢/١٢٩).
5) شفاء السقام ١٦ ضعفه الحافظ ابن حجر في التلخيص ٢/٢٦٧.

- « ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر» [١].
- « من لم يزر قبري فقد جفاني» [٢].
- « من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي» [٣]. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٤٢٩) « رواه البيهقي وفيه حفص القاريء رمي بالكذب».
- « من حج البيت ولم يزُرني فقد جفاني» [٤]. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٤٦٧) «لا يصح».

وتعجب كيف يمكن أن يقول الرسول ﷺ هذا وهو الذي صح عنه أنه قال » لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثناً ثم يأمر بشد الرحال اليه بل يوبخ من لا يفعل ذلك ويصفه بالمجافاة؟!
- « من زارني الى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً» [٥].
- « من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة» [٦].
- « من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي» [٧]. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٤٣٥) «رواه الدارقطني وفي سنده مجهول». فهذا اعتراف من واحد من المشايخ المعتبرين عند الأحباش فاعتبروا يا أولي الأبصار.

فهذه الروايات الضعيفة التي تحث على اتخاذ القبور مساجد تتعارض مع الروايات الصحيحة الناهية عن اتخاذ القبور مساجد كحديث « لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».
وليس شيء من هذه الأحاديث صحيحاً حتى تكون شفاءً للسقام وإنما هي بين موضوع وضعيف جدا فكيف تكون شفاءً للسقام، بل هذا

---

١) شفاء السقام ٣٧ ضعفه الالباني في كتابه "دفاع عن الحديث" ١٠٩.
٢) شفاء السقام ٣٩ ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢١٧.
٣) شفاء السقام ٢٠ ضعيف أنظر الارواء ١١٢٨ وسلسلة الضعيفة ٤٧ ومشكاة المصابيح ٢٧٥٦.
٤) شفاء السقام ٣٩ قال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء "ذكره ابن الجوزي في الموضوعات" الإحياء ١/٢٥٨.
٥) شفاء السقام ٣٦ ضعفه الحافظ في التلخيص ٢/٢٦٧ وانظر ميزان الاعتدال ١/٥٣.
٦) شفاء السقام ٣١ نقده الذهبي في ميزان الاعتدال ترجمة رقم (٩١٦٨).
٧) ذكره السيوطي في الأحاديث الموضوعة ٢/١٣٠.

السقم نفسه كان رأس مال السبكي في رده على صحاح البراهين التي احتج بها ابن تيمية، ولم يستطع مناقضته ولا بحديث واحد صريح صحيح، لأنه لا يوجد.

فالسبكي يعلم أن أسانيد هذه الروايات على كثرتها لا تنهض بحجة فلذلك يعمد الى تدعيمها بالحكايات والمنامات التي هي من مصادر التشريع الصوفي فيزعم مثلا أن رجلا رأى رسولَ الله ﷺ في منامه فقال له: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتعلم سلامهم؟ قال: نعم وأردّ عليهم» [1]. هكذا يجد السبكي في المنامات فقط ما يتلاءم ومذهبه.

فائدة مهمة: استعرض الحافظ ابن حجر أحاديث الحث على زيارة قبر النبي ﷺ وضعّفها كلها وقال « طرق هذا الحديث كلها ضعيفة» ونقل عن ابن خزيمة أنه لم يصح شيء في هذا الباب [2]. فخذه أيها الحبشي حيث حافظ عليه نص.

هكذا يشاء الله أن يفضح أهل الباطل الذين اتهموا ابن تيمية بأنه حرّم زيارة قبر النبي ﷺ وأنه حرّف أحاديث رسول الله ﷺ فزعم أن أحاديث الزيارة كلها كذب» (منار الهدى ٢٠/٢٨). فماذا يقولون في تضعيف الحافظ ابن حجر لكل روايات الزيارة؟

---

١) شفاء السقام للسبكي ٥١.

٢) التلخيص الحبير ٢/٢٦٧.

رواية « لا ينبغي للمطي »

قد عارض الحبشي تحريم شد الرحال المستفاد من هذا الحديث برواية أخرى ونصها « لا ينبغي للمطي أن تُعمل ...» ليحمل به النهي عن شد الرحال على الكراهة لا التحريم. وهذا باطل لما يلي:

❊ أن لفظ (لا ينبغي) اصطلح عليه المتأخرون من أهل الأصول بأنه يُطلق ويراد به الكراهة دون التحريم ولكنه في كلام الله ورسوله ﷺ يراد به التحريم أيضاً، ومعناه: لا يكون هذا أبداً.

قال تعالى ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ ﴿قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ فلفظ (ينبغي) يدل أيضاً على التحريم ولو حملناه على الكراهية: لصار اتخاذ ولد مع الله جائزا مع الكراهة. فما جوابكم؟

وقال ﷺ « لا ينبغي أن يعذب بالنار الا رب النار». « لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس» « لا ينبغي لصدّيق أن يكون لعاناً».

❊ أن هذه الرواية التي احتج بها الحبشي منكرة تفرد بها شهر بن حوشب وهي من أوهامه خالف بها الروايات الصحيحة. قال الحافظ عنه «صدوق كثير الأوهام» (التقريب رقم ٢٨٣٠) وقد تساهل الحافظ في تحسين الحديث، نقول ذلك بناء على ما قرره هو في النخبة من أن من كان كثير الأوهام فحديثه ضعيف لا يحتج به. وقد تقرر في الأصول أن حديث كثير الأوهام لا يحتج به. فليس عجباً بعد هذا أن يحكم صاحب (مجمع الزوائد ٣/٤) على هذه الرواية بالغرابة.

○ أنها لو صحت لكانت شاذة لمخالفتها الروايات العديدة الأوثق منها والتي لم يرد في شيء منها هذا اللفظ. وهو حجة على وقوع الوهم في هذه الرواية.

○ أنها مخالفة لعمل الصحابة حيث ردوا من أراد شد الرحال لغير المساجد الثلاثة وزجروه عن ذلك.

فقد نهى ابن عمر الذاهب الى الطور وقال له: [دع الطور لا تأته] أما علمت أن النبي ﷺ قال « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة...» (١).

ولقي أبو هريرة بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال له « من أين أقبلتَ؟ قال: من الطور حيث كلم الله موسى. فقال أبو هريرة: أما لو أدركتك قبل أن تخرج اليه ما خرجتَ اليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد...» (٢).

- وهذا يبطل الفهم المبتدع عند الأحباش للحديث زعموا أن معناه « لا فضيلة زائدة في السفر لأجل الصلاة في مسجد الا السفر الى هذه المساجد الثلاثة» (٣).

الجويني سبق ابن تيمية بهذه الفتوى

وممن ذهب الى تحريمه من أئمة الكلام الأشاعرة الإمام الجويني كما حكاه عنه النووي وابن حجر العسقلاني والزبيدي (٤). وذكر السبكي أن الجويني كان ينقل عن شيخه الفتوى بمنع شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة وأنه حرام، وهو الذي أشار اليه القاضي حسين والقاضي عياض في اختياره (٥).

ونقل السبكي قول القاضي بأن وفاء النذر يلزم لمن نذر شد الرحال الى المساجد الثلاثة « بخلاف غيرها مما لا يلزم، ولا يلزم شد الرحال اليها لا لناذر ولا لمتطوع بهذا النهي إلا ما ألحقه محمد بن مسلمة من مسجد قباء» (٦).

---

١) أخرجه الطيالسي (١٣٤٨) وأحمد في المسند ٦/٧ بإسناد صحيح والهيثمي في المجمع ٤/٤ والأزرقي في أخبار مكة ص ٣٠٤ وابن أبي شيبة ٤/٦٥-٦٧.
٢) رواه مالك في الموطأ ١/١٠٨-١٠٩ والنسائي ٣/١١٤ وأحمد ٦/٧ والترمذي ٢/٣٦٢-٣٦٤ والطيالسي (١٣٤٨) والطبراني في الأوسط والطحاوي في مشكله ١/٢٤٢ والفاكهي في أخبار مكة ٢/٩٧-٩٨.
٣) منار الهدى ٤٢/٢٨.
٤) النووي على مسلم ٩/١٠٦ و١٦٨ فتح الباري ٣/٦٥ اتحاف السادة المتقين ٤/٢٨٦.
٥) شفاء السقام ١٢١-١٢٢.
٦) شفاء السقام ١٢٤.

الرافضة يمتازون ببدعة الاستغاثة بالأضرحة

وقد بيّن ابن تيمية أمراً مهماً وهو أن أول من وضع الأحاديث المكذوبة في السفر لزيارة المشاهد (أضرحة الأئمة والأولياء) هم أهل البدع الرافضة **الذين يعطلون المساجد** ويعظمون المشاهد: يتركون بيوت الله التي أمر أن يُذكر فيها اسمُه، ويعظمون المشاهد التي يُشرَك عندها به، **والكتاب والسنة جاءا بتعظيم المساجد لا المشاهد**. قال تعالى ﴿**وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد**﴾ [الاعراف ٢٩] وليس عند كل ضريح أو مقام.

وقال في اقتضاء الصراط المستقيم « وأهل التوحيد يعبدون الله في بيوته التي أذن أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسمه: إياه يعبدون، وبه يستغيثون ويستعينون، وله يدعون ويسألون... وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم واستزلهم عن إخلاص الدين لله الى نوع من الشرك، فيقصدون الى قبر نبي أو صالح، داعين له راغبين اليه، يسألون المقبور الميت كما يسأل الحي الذي لا يموت».

إجماع شيعي صوفي ومخلفات رافضية

وصدق رحمه الله فإليكم مقالات الروافض الموافقة لعقيدة الأحباش:

قال أحد الروافض « وأما الإجماع عند أصحابنا الإمامية من صدر الاسلام الى هذا العصر فانهم لم يزالوا مطبقين على استحسان مشاهد الائمة وتعظيمها.. وأن تقبيل القبر بعد الموت كتقبيل اليد في الحياة» [(١)]

وانتقد الطباطبائي الوهابيين لقولهم: لا يجوز بناء القبور وتشييدها فقال « وقالت الإمامية: يجوز بناء القبور للأنبياء والأولياء وتشييدها لانه من باب تعظيم شعائر الله» [(٢)].

وقال محسن الأمين العاملي الشيعي « ومنع الوهابية تعظيم القبور وأصحابها والتبرك بها من لمس وتقبيل لها ولأعتاب مشاهدها وتمسح

---

١) كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب ص ١٠٤ و١١٨ لعلي نقي ابراهيم اللكنهوري ط: المطبعة الحيدرية بالنجف.

٢) البراهين الجلية في رفع تشكيكات الوهابية ص ٤١ لمحمد حسن موسوي الطباطبائي.

بـها وطواف حولها»[1].

وهكذا ترى ابن تيمية مصلحاً بحق، يرى آثار التشيع بين أوساط أهل السنة في عصره من البكاء عند القبور والتضرع الى الموتى والاستغاثة بهم وإلقاء الأموال والنذور عند أضرحة الأولياء جعله يقف موقفاً غيوراً للحد من هذه الوراثة الشيعية، ومستنده قوي وصحيح وهو حديث (لا تشد الرحال...) فما هو مستند المخالفين له سوى الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

إن قصد القبور للدعاء عندها رجاء الإجابة وكشف الضر أمر لم يشرعه الله ورسوله، وهو أول شرك وقع فيه البشر.

وما يؤكد ذلك ما تقرأه في كتب متصوفة الأشاعرة أن فلاناً يُتمرغ ويُكتحَلُ بتراب قبره، وفلان يبتلع شيئاً من تراب قبر الولي على الريق ليحصل له الشفاء[2]. وفلان يقدس تراب القبور كما قال الحبشي « واما اخذ شيء من تراب القبر ثم يقرأ عليه سورة القدر سبع مرات ثم يوضع في الكفن او في القبر خارج الكفن فلا باس بذلك»[3]. إنه لا يستطيع أن يقول « مشروع» لأنه لا دليل عليه فالمخرج الأنسب أن يقول « لا بأس به».

الرفاعية يفضلون قبر النبي على عرش الرحمن

وذكر الصيادي أن قبر النبي ﷺ أفضل من الجنة بل ومن العرش والكرسي[4].

○ بل ونقل السبكي عن العبدي المالكي أن المسير لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس»[5]. قال الألوسي « وممن نقل ذلك الشهاب الخفاجي في: كتابه طراز المجالس»[6] أن

---

١) كشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبد الوهاب ٤٢٩ ط: ابن زيدون دمشق ١٣٤٦.

٢) جامع كرامات الأولياء ١١٧/١ وهذا النبهاني المأفون زعم أنه حتى الحيوانات والسباع كانت تأتي قبر بدر بن محمد القدسي وتمرغ وجوهها عند ضريحه رجاء حصول البركة لها ٣٦٥/١ وكانت تأتي قبر علي بن عبد الله المعروف بمطيب الوحش وبها أوجاع فتحصل البركة عند قبره فتزول الأوجاع ١٧٣/٢.

٣) بغية الطالب ١٥٨.

٤) قلادة الجواهر ١٠٤ ضوء الشمس١٧٦/١.

٥) شفاء السقام ٦١و٧١.

المتصوفة قد اشتهر عنهم دعاء مخاطبة الموتى والتلقي عنهم وكتبهم مشحونة بذلك. مثاله:

❋ أن أبا المظفر المنصور أنشد قصيدة عند قبر الشيخ الرفاعي فظهر صوت الرفاعي من القبر يقول له : وعليك السلام (١).
وأن السيدة نفيسة - صاحبة الضريح - كانت كثيرا ما تكلم أحد المشايخ المتصوفة وهي في قبرها (٢).

❋ وأن السيد أحمد البدوي أخرج يده من القبر ووضعها بيد الشعراني ليبايعه، وكان من شروط المبايعة أن يكون تحت رقابة البدوي أينما ذهب فأقره البدوي وقال وهو في قبره «نعم» (٣) وينقل عن محمد نور أفندي قوله (٤):

يا ابن الرفاعي الرفيع مقامه   يا سيد الأقطاب والسادات
شرفت قيعان العراق جميعها   فغدت بقبرك مهبط البركات

وقد جاء فيه وصف قبر الشيخ أحمد الصياد بأنه «زيتونة لا شرقية ولا غربية» بتولية فاطمية سبطية محمدية عابدية باقرية جعفرية كاظمية مرتضوية أحمدية» (٥).
وأنا أقول: كان أحرى أن يقول: « شيعية باطنية قرمطية».

❋ ودفع الغلو بالصيادي الى اعتبار قبر النبي ﷺ أفضل من الجنة بل من عرش الرحمن ومن كرسيه (٦). وهذا يعارض ما جاء في الخبر أن « أحب البقاع الى الله عز وجل المساجد» (رواه مسلم).

- وزعم الصيادي أن السلف الصالح (سلفه من الشيعة) اتخذوا مقابر أهل البيت والتوجه اليهم والتوسل بجاههم الى الله ذريعة لقضاء حوائجهم. وأن الناس قد جربوا في المشرق والمغرب مقابر أهل البيت فوجدوها بابا لدفع الأكدار وسلما لبلوغ الأوطار(٧). فالمشروع عندهم مشروع بالتجربة!

---

٦) غاية الأماني في الرد على النبهاني ٢٢٤/١.
١) العقود الجوهرية ٧٧ ترياق المحبين ٨ و ٣٩ للشيخ تقي الدين عبد الرحمن الواسطي.
٢) لطائف المنن والأخلاق ٤٠٣.
٣) طبقات الشعراني ١٨٦/١.
٤) الكنز المطلسم ٨٠-٨١.
٥) بوارق الحقائق ٥٦.
٦) قلادة الجواهر ١٠٤.
٧) قلادة الجواهر ٤٣٩.

- وأمر الصيادي من كانت له حاجة أن يولي وجهه شطر قبر الرفاعي من أي مكان في العالم ويخطو ثلاث خطوات ويقسم على الرفاعي أن يقضي له حاجته [١].

- وزعم أن الرفاعي مجيب الدواعي وأن اليه الملجأ والملاذ وهو ولي النعمة وأن الله به يدفع البلاء وبه يمطر السماء وبه تخضر الأرض وبه يدر الضرع [٢].

- وأن قبر النبي أفضل من عرش الرحمن ومن جنته[٣].

النتيجة : فهذا يدلك على أن القوم لا يكتفون بالاستغاثة بأصحاب القبور وسؤال الله بأصحابها وإنما يخاطبونها كما يُخاطب الحجر والصنم ويزعمون التلقي عنها والاستفادة منها، وهي طريقة الشيعة والباطنيين عموماً ولهذا كان السلف يعلمون هذه الخديعة الشيطانية ويحذرون منها.

فإن الشياطين تلازم هذه القبور وتُضل بها من تُضل عن سبيل الله، ومنهم من يرى في المنام شخصاً يظن أنه هو المَقبور ويكون شيطاناً تصوّر بصورته، ويقول له إذا عرضت لك حاجة فاستغث بي. وهذا النوع من المكر الشيطاني موجود:

ففي صحيح مسلم أن ابن مسعود قال «ان الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم: سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدِّث» [٤].

ومن هؤلاء من تحملهم الجن وتطير بهم من مكان الى مكان أكثرهم لا يدري كيف حُمل، بل يحمل الرجل الى عرفات ويرجع وما يدري كيف حملته الشياطين.. أو يوقعونه بذنب ويغرونه بأن هذا من كرامات الصالحين، وليس هو مما يكرم الله به وليه بل هو مما أضلت به الشياطين وأوهمته أن ما فعله قربة وطاعة [٥].

وكثير من أهل العبادة والزهد من يأتيه في اليقظة من يقول انه رسول الله، ويظن ذلك حقا... وكذلك يأتي كثيرا من الناس في مواضع

---

١) قلادة الجواهر ١٢٩ و ١٦٥ ـ ١٦٦.

٢) قلادة الجواهر ٤٢٧ و ١٧ و ١٣١.

٣) قلادة الجواهر ١٠٤.

٤) أخرجه مسلم رقم (٧).

٥) النبوات ٢٥٩.

ويزعم أمامهم أنه الخضر، فيعتقد أنه الخضر وانما كان شيطاناً من شياطين الجن.

❑ ولهذا لم يجترىء الشيطان على أن يقول لأحد من الصحابة أنه الخضر ولا قال أحد من الصحابة اني رأيت الخضر، وانما وقع هذا بعد الصحابة حتى انه أتي اليهود والنصارى وقال إنه الخضر، ولليهود كنيسة معروفة بكنيسة الخضر، وكثير من كنائس النصارى يقصد هذا الخضر»[1]. وقد أخطأ من ظن حياته، قال الشيخ محمد بن درويش الحوت « حياة الخضر: لم يرد في حياته شيء يعتمد عليه» (أسنى المطالب ٦١٦).

ولذلك يزعم بعض المتصوفة أنهم تلقوا مبادىء طريقتهم عن الخضر الذي أخبر شيخهم بكيفية الذكر كالنقشبندية الذين يزعمون أن الخضر علمهم كيفية الذكر الخفي وهو الانغماس في الماء وذكر الله فيها [2] وقد كان المعلم في الحقيقة شيطاناً.

وساعدتهم الجن والشياطين على ذلك ففعلوا بالناس ما كانوا يفعلونه في السابق بأصنام المشركين حين كانوا يتكلمون من خلالها فيظن الناس أن الكلام صادر من أصنامهم ليزداد اعتقادهم وإيمانهم بألوهية أصنامهم. حتى صار من الناس اليوم من يعتقد أن من أولياء الله من يطوي الله لهم الأرض والزمن [3]. ويظهر في الأماكن المتعددة في الوقت الواحد. وأن منهم من يصلي الصلوات الخمس في اليوم الواحد في خمس بقاع مختلفة من العالم. وأن بعد المسافات لا يحول دون اطلاعه على أحوال تلاميذه ورعايته لهم ولو من بعيد. وأن أولياء الله يتفاوتون في المراتب.

ويذكر السيوطي أن منهم من تعظم جثته بحيث يملأ الكون فيشاهد في كل مكان. ومنهم من يتعدد جسده فيكون له جسدان كل واحد منهما في مكان، وتظهر روحانيته في وقت واحد في جهات

---

١) النبوات ٢٧٣ـ٢٧٤.

٢) المواهب السرمدية ٧٧، والانوار القدسية ١١١.

٣) كتبت في ذلك عدة كتب مثل«القول الجلي (أو المنجلي) بتطور الولي» أي بتطوره في أشكال عديدة وظهوره بمكانين بوقت واحد وكتاب «المعتلي في تعدد صور الولي» كلاهما للسيوطي (أنظر كتاب الحاوي للفتاوي ٢١٨/١).

متعددة، ونقل عن السبكي أن هذا التطور بالأشكال المختلفة تسميه الصوفية بعالم المثال [1]. وهو عالَم لا يمكن الوصول اليه الا بعد تعاطي القات والحشيش.

1) الحاوي للفتاوي ١/٢٢١-٢٢٢ وأنظر أيضاً ٢/٢٥٥.

شبهات التبرك بالقبور

* شبهة: واحتج بما رواه أحمد والحاكم [1] أن أبا أيوب الأنصاري وضع رأسه على قبر النبي ﷺ..» الحديث. وقد احتج به الحبشي وسكت عن تخريجه واكتفى بأن قال «رواه أحمد» [2].

وهذا ليس بتخريج. فإن الحديث ضعيف، وقد رواه أحمد وقال الحاكم صحيح ووافقه الذهبي، وهو من أوهامهما، فإن فيه داود بن أبي صالح وقد قال عنه الذهبي نفسه في الميزان «حجازي لا يُعرف» ووافقه الحافظ في التهذيب [3] فأنىٰ له الصحة؟ زد على ذلك الاختلاف حول كثير بن زيد نفسه فقد قال الحافظ فيه «صدوق يخطىء» وضعّفه النسائي وقال ابن معين «ليس بذاك» (تهذيب التهذيب ٨/٤١٤).

وقد أوقف السبكي في (شفاء السقام ص ١٥٢) جواز مس قبر النبي ﷺ على صحة هذا الحديث. وهذا دليل على أنه ليس متيقناً من المسألة. واذا كان الحديث ضعيفاً فلا نترك إجماعاً حكاه عامة أهل العلم أبرزهم النووي على المنع من مس القبر،

○ والحديث مع ضعفه فيه إشكال كبير يبطل الاستدلال به وهو: كيف يجعل أبو أيوب رأسه على القبر وقد كان القبر مسوى بالأرض غير مرتفع: إذ لو فعل ذلك لاضطر أن يصير على هيئة الساجد. هل يقول عاقل أن الصحابة كانوا يسجدون لقبر النبي ﷺ؟ فان قبره لم يكن بارزا.

يؤكد ذلك حديث عائشة «أن النبي ﷺ قال في مرض موته «لعن الله اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً. قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً» [4].

فقولها «لأبرزوا قبره» يتعارض مع الرواية الضعيفة عن أبي أيوب.

شبهة: عن زيد بن الحباب عن أبي مودودة عن يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال «رأيت نفراً من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا لهم

---

١) المسند ٥/٤٢٢ والمستدرك ٤/٥١٥.
٢) انظر صريح البيان ٦٥.
٣) ميزان الاعتدال (٢٦١٧) تهذيب التهذيب ٣/١٨٨.
٤) رواه البخاري (١٣٣٠).

المسجد قاموا الى رمانة المنبر القرعا فمسحوها»[1].

فيه زيد بن الحباب: صدوق كثير الخطأ [2] لكنه مقبول في غير الرواية عن الثوري. والاضطراب من جهة يزيد بن عبد الملك ابن قسيط حيث لا يوجد راوٍ بهذا الاسم. وفيه أبو مودودة (عبد العزيز بن ابي سليمان) قال فيه ابن حجر مقبول (التقريب ٤٠٩٩) والمقبول عنده يكون ليّناً إذا لم يُتابعه أحد. وهو لم يتابعه أحد في هذه الرواية.

والرواية التي جاءت بعدها عند مصنف ابن أبي شيبة أوثق منها وهي مناقضة لها: حدثنا أبو بكر قال نا الفضيل بن دكين عن سفيان عن عبد الله بن يزيد الليثي عن سعيد بن المسيب أنه كره أن يضع يده على المنبر: صحيحة وعليها عمل السلف.

وتتعارض مع ما ثبت عن عمر رضي الله عنه شدة التحذير من تتبع آثار الأنبياء:

رأى عمر قوماً يتناوبون مكاناً يصلّون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا مكانٌ صلى فيه رسول الله قال:أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا. من أدركته فيه الصلاة فليصلّ وإلا فليمض»[3].

« وَبلغه أن أناساً يأتون الشجرة التي بويع عندها النبي ﷺ فأمر بها فقُطعَتْ» [4].

وعن ابن عمر قال « رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله» [5] وقد بحث عنها أناس في زمن سعيد بن المسيب أثناء ذهابهم للحج فقال لهم

---

١) صريح البيان ٧١.
٢) ميزان الاعتدال ٢/١٠٠ تهذيب التهذيب ٣/٤٠٢.
٣) أخرجه ابن وضاح القرطبي في كتاب البدع والنهي عنها ٤١ واللفظ له وابن أبي شيبة في المصنف ٢/٣٧٦ وقال الألباني "رواه سعيد بن منصور في سننه وابن وضاح بإسناد صحيح على شرط الشيخين، أنظر تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص ٤٩ ووفاء الوفا للسمهودي ٤/١٤١٢.
٤) قال الحافظ في الفتح (٧/٤٤٨) "إسناده صحيح" فخذوه أيها المقلدة حيث حافظ عليه نص.
٥) رواه البخاري رقم (٢٩٥٨).

سعيد « حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة. قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها» وفي رواية «فعميت علينا» وفي رواية «ثم أُنسيتُها بعدُ فلم أعرفها». قال سعيد للحجيج الباحثين عنها: « إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم؟»[1].

فمثل هذه الأحاديث لا يجوز ترجيحها وتقديمها على رواية عمر عند البخاري في ترك التوسل بدعاء النبي ﷺ بعد موته والتوسل بدعاء عمه العباس، فكيف وأن القوم يقدمون حديثاً ضعيفاً ويهربون به من رواية عمر القطعية السند، الدالة على ترك السلف التوسل به ﷺ بعد موته، وهذا ليس سبيل الصادقين المتجردين للحديث. والمتجرد لعلم الكلام لا يمكن أن يتجرد لعلم الحديث. كيف لا وكثير من الحديث يتعارض وأصول علم الكلام.

نعم. روي عن أحمد في مس المنبر والرمانة لكنه لم يرو في مس القبر فأما الرمانة والمنبر فقد احترقا وأما القبر فلم يثبت عن أحد من الصحابة أنه كان يمسه بل الثابت عنهم النهي عن مسه كما ثبت عن ابن عمر.

قال ابن وضاح محدث الأندلس في (البدع والنهي عنهاص٤٣) « وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي ﷺ ما عدا قباءاً وأحداً». وهذا من علامات إعراض الحبشي عن الحق حيث أعرض عن الرواية الثانية ومال الى الأولى الملائمة لمذهبه الشركي ليعلق الناس بالقبور والجدران.

* **شبهة**: عن مالك الدار أنه أصاب الناسَ قحطٌ في زمن عمر فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ فقال: إستسق لأمتك فإنهم قد هلكوا[2] فقيل للرجل في المنام أقرىء عمرَ السلام وأخبره أنهم يُسقون».

- قال الألباني:

أولا: « عدم التسليم بصحة هذا الحديث لأن فيه مالك الدار وهو مجهول الضبط. والعدالة والضبط شرطان أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح. قال المنذري في الترغيب (٤١:٢) «

---

١) رواه البخاري (٤١٦٢) و(٤١٦٣) و(٤١٦٤).

٢) صريح البيان ٥٨ إظهار العقيدة السنية.

لا أعرفه » وكذا قال الهيثمي في الزوائد (٣:١٢٥). وقد تفرد مالك (المجهول) به مع عظم الحادثة وإمكان انتشارها وتواترها بين الصحابة لو كانت صحيحة، فإذا لم ينقلوها وتفرد بها المجهول فكيف توثق وتُعتمد» ؟!

معاوية خازن عمر قبل مالك الدار

- وأما احتجاج الأحباش بأنه ثقة لأنه كان خازن عمر. فهذا توثيق في العدالة إن سلمنا به، ولكن: أين الوفاء بشرط الضبط وقد علم من شرط الراوي: العدالة والضبط وليس العدالة فقط؟

وحتى لو كان مالك ثقة فإن روايته تكون شاذة لمخالفتها رواية خروج عمر بالصحابة عام الرمادة وتصريحه على لسان جميع الصحابة بأنهم تركوا التوسل بالنبي ﷺ وطفق يتوسل بغيره ﷺ. هذه سنة عمر، فان خالفها خازن عمر خالفناه وتمسكنا بفعل عمر. فكيف وأن السند لم يثبت!!!

- وأما قولهم أنه يكفيه توثيقاً أن عمر ائتمنه على خزائنه. فنقول: ألا يكفيكم توثيقاً لمعاوية أن النبي ﷺ قد ائتمنه على وحيه، وأن أبا بكر وعمر وعثمان قد ائتمنوه على ولاية الشام فكان أميناً وفيّاً! وما زلتم الى اليوم تحكمون بفسقه تريدون بذلك تبييض وجوهكم عند أعداء معاوية وأبي بكر وعمر: سوّد الله وجوه أعداء صحابة رسول الله ﷺ.

- وأما محاولة الأحباش توثيق مالك الدار محتجين بقول الحافظ عنه « له إدراك» أي معدود من الصحابة:

فقد تعقبهم شيخنا علي حسن عبد الحميد في كتابه القيم (كشف المتواري من تلبيسات الغماري ص ٨) بأن « إيراد الحافظ لمالك الدار إنما هو في القسم الثالث من كتابه « الاصابة» وهو القسم الخاص في ذكر المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام، ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ ولا رأوه، سواء أسلموا في حياته أم لا، وهؤلاء ليسوا صحابة باتفاق من أهل العلم بالحديث كما قال الحافظ نفسه في مقدمة (الاصابة ٤/١) ومع ذلك فقد كتم هذا الجهول هذا كله ليَسلَمَ له مراده، إمعاناً في التضليل والتلبيس والتغرير: فقد دمج هذا الخسّاف بيانه وشرحه لكلمة الحافظ ابن حجر بها دونما فصل أو إظهار، بل إنه - عامله الله بعدله - جعل علامة (انتهاء النقل أ. هـ) بعد ذلك البيان والشرح كله!!».

وقد ساق الحافظ ابن كثير هذه الرواية من رواية البيهقي في دلائل النبوة وهي معلولة بعلل منها :

عنعنة الأعمش وهو مدلس، والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما قال فيه: حدثنا أو أخبرنا ونحوها دون قال أو عن. إذ احتمال أنه أخذه عن ضعيف يوهي الحديث بذكره كما هو معلوم في «مصطلح الحديث»، مع أن الأعمش في الطبقة الثانية من المدلسين عند الحافظ وغيره.

وقد صحح ابن كثير الاسناد على طريقته في توثيق مجاهيل كبار التابعين كما هو معروف عنه في التفسير وغيره. واذا كان مجهولا فلا علم لنا بتاريخ وفاته.

ثانياً : أن أبا صالح وهو ذكوان - الراوي عن مالك لا يعلم سماعه منه ولا إدراكه لمالك، إذ لم نتبين وفاة مالك. سيما وأنه رواه بالعنعنة فهو مظنة انقطاع لا تدليس» [(١)].

ثالثاً أنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء. كما ورد في أحاديث كثيرة. ومخالفة لقوله تعالى **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسِلِ السماءِ عليكم مدراراً﴾** [نوح١٠] ولم يُنقل عن أحد منهم أنه التجأ الى قبر النبي ﷺ [(٢)]، بل المنقول الثابت عنهم عكس ذلك كما في قصة عمر المشهورة فإنه كان بمجمع من الصحابة ولم يذهب الى قبر النبي ﷺ ليستسق به. بل طلب من العباس أن يستسقي كما مر معنا.

رابعاً : أنها جعلَتْ عمر يضل عن شيء يهتدي اليه رجل من العامة.

* **شبهة:** واحتج الحبشي برواية سيف بن عمر التميمي الضبي وفيها تسمية صاحب القصة أنه الصحابي بلال بن الحارث.

أولا : أن سيفاً هذا منكر الحديث فقد قالوا عنه إنه كان يضع الأحاديث، قال ابن عدي وأبو حاتم متروك الحديث وقال أبو داود ليس

---

١) نقلا عن كتاب «هذه مفاهيمنا» للشيخ صالح آل الشيخ.

٢) التوسل ١٢٠-١٢٢.

بشيء وقال ابن حبان يروي الموضوعات [1].

ثانياً: فيه الضحاك بن يربوع والسحيمي. قال الأزدي في الضحاك: حديثه ليس بقائم. وهو والسحيمي من المجهولين اللذين تفرد بالرواية عنهما سيف.

○ وهذا يُبطل تمسك الحبشي بهذه الرواية التي توهم أن الصحابة كانوا يلجأون عند النوازل والشدائد بقبر النبي ﷺ.

ثالثاً: أن ايراد ابن جرير لها وغيرها من الروايات الضعيفة والموضوعة انما جرى فيه على جمع شتات الروايات من غير تمحيص لها. فقد قال في مقدمة تاريخه (٨/١) «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارؤه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة: فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبَلنا، وإنما أُتِيَ من قِبَلِ بعض ناقليه الينا، وأنّا إنما أدّينا ذلك على نَحوَ مَا أُدِّيَ الينا».

○ فاعجب كيف يردّ الحبشي (والأشاعرة) أخبارَ الآحاد التي في الصحيحين ثم يتمسك بروايات ضعيفة مخالفة للصحيح ليقرر للناس عقيدته الشاذة ناكثاً ما تعهد به من الاقتصار على الصحيح في العقائد.

وهذه طريقة أهل الأهواء: لا يتجردون للحديث ولا يلتزمون فيه بالقواعد العلمية في التصحيح والتضعيف، بل ما كان عليهم ضعفوه ولو كان في نفسه صحيحاً، وما كان لهم صححوه أو «استأنسوا به» ولو كان ضعيفاً.

ألم يتمسك من قبل [2] بقول السيوطي:

وخذه حيث حافظٌ عليه نص   ومن مصنف بجمعه يُخَصّ

---

1) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ٢٩٥:٤ وانظر مقالات الكوثري ٥٢٤.

2) إظهار العقيدة السنية ٢٤٩.

أكذوبة تبرك الشافعي بقبر أبي حنيفة

وقد ادعى الأحباش القبوريون أن التبرك بمس القبر من عقيدة الفرقة الناجية، وتمسكوا بما رواه الخطيب البغدادي عن الشافعي أنه قال « إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء الى قبره في كل يوم - يعني زائراً - فاذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت الى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تُقضى» (١).

هذه الرواية سندها الى الشافعي فيه مجاهيل كما حكى العلامة المعلمي.

قال الشيخ الألباني في (سلسلة الضعيفة ٣١/١) « هذه رواية ضعيفة بل باطلة، فإن عمر بن إسحاق بن ابراهيم غير معروف وليس له ذكر في شيء من كتب الرجال، ويحتمل أن يكون هو (عمرو) بن اسحاق بن ابراهيم بن حميد بن السكن أبو محمد التونسي. وقد ترجمه الخطيب (٢٢٦/١٢) وذكر أنه بخاري قدم حاجا سنة (٣٤١) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا فهو مجهول الحال، ويبعد أن يكون هو هذا، إذ أن وفاة شيخه علي بن ميمون سنة (٢٤٧) على أكثر الأقوال، فبين وفاتهما نحو مائة سنة، فيبعد أن يكون قد أدركه».

أنتم مطالبون بتبيين صحة سند هذه الرواية. والا فأنتم محجوجون بقول الشافعي « مثل الذي يطلب الحديث بلا اسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري» (٢). فأنتم حُطّاب ليل إن لم تأتوا بالسند صحيحاً. هذا من مذهب الشافعي.

○ ومعلوم أن الأحباش أشاعرة، والأشاعرة يشترطون في العقائد تواتر السند ولا يكفيهم مجرد صحته. فهل هذه الرواية متواترة؟

○ أما نحن فنأتيكم بسند قوي عن الشافعي من كتبه، فقد قال « وأكره أن يعظَم مخلوق حتى يُجعَل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه

---

١) تاريخ بغداد ١٢٣/١.

٢) فيض القدير٤٣٣/١.

وعلى من بعده من الناس» [١]. وهذا تناقض بين القول والفعل ينزه عنه الشافعي. ولو كان هذا التبرك صحيحا لقال له الناس كيف تخشى على الناس فتنة لا تخشاها على نفسك!

ولو كان الشافعي محبذا للتبرك بالقبور لما نهى عن البناء عليها وأنتم لا توافقون على ذلك وتعتبرون ما فعله أهل اليمن من هدم للبناء على القبور هدماً للقبر نفسه فاسمعوا فتوى الشافعي الموافقة لما فعله أهل اليمن:

○ ففي عصر الشافعي لم يكن ببغداد قبر لأبي حنيفة ينتاب الناس للدعاء عنده ألبتة. وكان المعروف عند أهل العلم هدم ما يبنى على القبور وذلك باعتراف الشافعي نفسه. فقد روى عنه النووي قوله فيما يبنى على القبر « رأيت من الولاة من يهدم ما بُنِيَ فيها ولم أر الفقهاء يعيبون عليه ذلك» [٢]. والله لو جاءكم الشافعي لرفضتموه ولقلتم له «أصابتك عدوى الوهابية».

وصرح البيضاوي بأن اليهود والنصارى كانوا يتوجهون الى قبور صلحائهم بالصلاة والدعاء [٣].

وجاء في (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ٣١٣/١) النهي عن الدعاء عند القبور [٤]. فالشافعي لا يمكن أن يشابه اليهود والنصارى.

روى عبد الرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة أن علي بن الحسين رضي الله عنه رأى رجلا يأتي فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: « ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي - يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وسلموا علي فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم» قال السخاوي « وهو حديث حسن» [٥].

---

١) أنظر الأم ٢٧٨/١ المهذب ١٣٩/١-١٤٠ روضة الطالبين ٦٥٢/١ المجموع ٢٦٦/٥ و٢٥٧/٨ .

٢) المجموع ٢٩٨/٥ شرح مسلم للنووي ٢٤/٧ الجنائز باب (٣٢). وانظر مواهب الجليل ٦٥/٣.

٣) حاشية سنن النسائي ٤٢/٢.

٤) وانظر حاشية ابن عابدين على رد المحتار ٤٣٩/٢ البحر الرائق ٢٩٨/٢ روح المعاني للآلوسي الحنفي ٣١٣/١٧ مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر ٣١٣/١.

٥) قاله في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص ٢٢٨ ط: مكتبة المؤيد. وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢/٣-٢٨٩ وانظر

ولقد كان أبرز من تمسك بهذه الرواية الواهية شيخكم الكوثري في مقالاته (٣٨١). وهو هو الذي كتب كتاباً اسمه « التأنيب في رد أكاذيب الخطيب» حذر فيه من الروايات المختلقة على أبي حنيفة الطاعنة فيه والتي حواها الخطيب في كتابه. وقد تلقف الرواية عنه رجال متهمون بالوضع والكذب كأبي مقاتل السمرقندي وأبي محمد الحارثي وأبي مطيع البلخي [(١)] وأبي المنذر البجلي وإبان بن جعفر النجيرمي. لكنه لا يعتبر هذه الرواية من الأكاذيب لأنها ترفع من شأن مذهبه ولو على حساب الشافعي.

وكم في تاريخ الخطيب من الأسانيد الواهية. فاذا كنتم مصرين على الأخذ بهذه الرواية من غير تحقق من سندها فخذوا بما ذكره الخطيب من الروايات وسكت عليه:

○ وخذوا برواية « الكرسي الذي يجلس عليه الرب عز وجل، وما يفضل منه الا قدر أربع أصابع، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد» قال الخطيب: قال أبو بكر المروذي قال لي أبو علي الحسين بن شبيب قال لي أبو بكر بن العابد - حين قدمنا بغداد - أخرج ذلك الحديث الذي كتبناه عن أبي حمزة، فكتبه أبو بكر بن سلم بخطه وسمعناه جميعاً، وقال أبو بكر بن سلم « إن الموضع الذي يفضل لمحمد ﷺ ليجلسه عليه، قال أبو بكر الصيدلاني: من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبي بكر المروذي وعلى أبي بكر بن سلم العابد» (تاريخ بغداد ٨/٥٢). ونحن لا نقول بهذا ولا نصححه ولكن ذكرناه للحجة.

وأما رواية ابن عباس التي أوردها الخطيب في تاريخه (٩/٢٥١) والتي تقشعر منها أبدانكم حيث فسر قوله تعالى ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾ قال «كرسيه موضع قدميه». فهي رواية صحيحة يثبتها الخطيب وتستنكرها قلوبكم.

مصنف عبد الرزاق رقم (٦٦٩٤) ومصنف ابن أبي شيبة ٢/٣٧٥.

١) إلا أن روايات أبي مطيع عن أبي حنيفة قد رواها آخرون ثقات ولم يكن من أبي مطيع بعدهم إلا تجميعها كما حكاه المرتضى الزبيدي في إتحاف السادة ٢/١٤ جمعها فقط. فتنبه من تلبيس القوم، فإنهم تارة يحتجون برواياته (الدليل القويم ٥٦ و٧٨) وتارة يردونها اذا كان فيها ما يخالف عقيدتهم كما فعلوا في الراسلة التي تثبت تكفير أبي حنيفة لمنكر علو الله في السماء.

○ وخذوا برواية « رأيت ربي في صورة شاب أمرد» (تاريخ بغداد ١١/٢١٤).

○ وخذوا بحديث أن الله استوى على العرش حتى يُسمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد» (تاريخ بغداد ١/٢٩٥).

○ وخذوا بحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (تاريخ بغداد ٢/٣٧٧).

○ وخذوا بحديث «من لم يقل: عليٌّ خير الناس فقد كفر» (تاريخ بغداد ٣/١٩٢).

فكتب التاريخ لا تلتزم صحة ما تنقله من الأخبار، وقليل منهم من يمحص ما ينقله. مثال ذلك تاريخ الطبري الذي هو أفضل كتاب في التاريخ، ومع ذلك فقد قال في مقدمة تاريخه (٨/١) « فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارؤه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة: فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبَلنا، وإنما أُتيَ من قِبَلِ بعض ناقليه الينا، وأنّا إنما أدّينا ذلك علىَ نحوَ ما أُدِّيَ الينا».

وهذا الشأن ليس في كتب التاريخ فحسب: بل في كتب الحديث، وهو في كتب الفقه أكثر.
فلا حجة تقوم لكم قبل تصحيح السند. قال الامام المازري «عادة المتورعين أن لا يقولوا: قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت» [١].

ولا يخفاك أيها المنصف أنه لم يُكذب على الرسول ﷺ فقط وانما كذب كثيرون على الأئمة لترويج ضلالاتهم باسم أئمة المذاهب. اتخذوا مذهب الشافعي جُنةً فصدوا عن سبيل الله. ويا ليتهم كانوا على مذهب الشافعي ونهجه السني.

وقد جرى كثير من الفقهاء على العناية بسند الحديث فقط. ويتساهلون في الرواية عن أئمة المذاهب من غير توثيق، فإن النهي عن الاستدلال بالضعيف ليس مقصوراً على الحديث النبوي دون غيره!

---

١) طبقات السبكي ٦/٢٤١ محققة.

ألعلهم يظنون أن كل ما ورد عن الشافعي أو أحمد يجب أن يكون صحيحاً تقوم به الحجة؟ إذا كان الأمر كذلك فليأخذوا بما رواه حنبل بن إسحاق عن أحمد أنه كان يقول « وإذا رأيتَ رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الاسلام» [1]. وهم يطعنون صباح مساء في معاوية وعمرو بن العاص وجملة من الصحابة رضي الله عنهم.

○ ثم أين كان يعيش الشافعي ليأتي قبر أبي حنيفة **(كل يوم)** وقد كان في أول أمره بالحجاز ثم انتقل الى مصر.

وقد كان الشافعي بالحجاز بمكة والمدينة وفيها قبر من هو خير من أبي حنيفة: وهو قبر رسول الله ﷺ وقبور أصحابه، فلم يعرف عنه أنه كان يأتيه ليدعو عنده ويتبرك به. فما له يفضل قبر أبي حنيفة على قبر سيد ولد آدم وصحابته؟!

○ أأنتم أعلم بمذهب الشافعي أم النووي الذي حكى اجماع الأمة على النهي عن الاقتراب من القبر ولمسه باليد وتقبيله، ونقل مثله عن الحليمي والزعفراني وأبي موسى الأصبهاني؟ فمن المخالف لإجماع الأمة!

○ قد نهى ابو حنيفة عن التوسل الى الله بأنبيائه - ولا يمكن أن يكون ذلك خافياً على الشافعي - فهل يرضى أبو حنيفة أن يتخذ أحدٌ قبره للصلاة والعبادة؟ نعم الصلاة معناها الدعاء قال تعالى ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم**﴾ والدعاء هو كما قال النبي ﷺ « الدعاء هو العبادة» فمن اتخذ قبراً للدعاء عنده فقد اتخذه للصلاة والعبادة. فأبو حنيفة والشافعي يكرهان ما يكرهه الله.

○ ولم يكن أحد من أصحاب أبي حنيفة وطبقته كمحمد وأبي يوسف يتحرون الدعاء عند قبره بعد موته. ولا يزالون ينكرون على من يمس القبر ويقولون كما في الفتاوى البزازية والتتارخانية ورد المحتار أن مس الرجل القبر للتبرك من عادة النصارى.

○ والحمد لله الذي عصمنا من التقليد الأعمى، فلقد علمنا الشافعي أن ندور مع الكتاب والسنة مهما عظم الرجال قائلا « اذا رأيتم قولي يعارض قول الرسول ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط». وقال

---

١) البداية والنهاية لابن كثير ٨/١٤٢، المسائل والرسائل المروية عن الامام أحمد في العقيدة للأحمدي ٢/٣٦٣ ط دارطيبة.

ابن عباس « ما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويُترَك إلا صاحب هذا القبر». وبناء على تعاليم الشافعي نضرب بفعله المزعوم (إن صح) عرض الحائط ونتمسك بقول النبي ﷺ « ألا لا تتخذوا قبور أنبيائكم وصلحائكم مساجد فإني أنهاكم عن هذا».

وهذا أصل يعلم الله كم خالفتم فيه الشافعي وسائر الأئمة الأفاضل.

فالحق والشافعي حبيبان الى قلوبنا : فان افترقا فالحق أحب الى قلوبنا من الشافعي.

○ وعلى افتراض صحة سندها فانكم لا تزالون مخالفين للشافعي، فالرواية تفيد بأن الشافعي كان يدعو الله عند القبر وأما أنتم فتدعون القبر نفسه فتقولون المدد يا رفاعي مدد يا أولياء وتمسحون وجوهكم وأيديكم بالقبر، وتتوجهون الى قبر الرفاعي من أي مكان في العالم وتخطون نحوه ثلاث خطوات. وهيهات ان يفعل الشافعي ذلك.

قبر معروف الكرخي الشرك المجرب
وليس الترياق المجرب

وأما زعم الحبشي أن « قبر معروف الكرخي هو الترياق المجرب لقضاء الحوائج» [1]: فما أظلم أسانيدها وما أكذبها، وقد نقض بها ما كان تعهد به من أنه لا تجوز الرواية في أمور العقائد الا بما صح سنده بل بما تواتر إن كنتم للعقيدة الأشعرية تتبعون.

والجواب:

قد جرب قبلكم عمرو بن لحي الخزاعي اصنام بلاد الشام حين نزل بركة مياه محاطة بالأصنام فشفي من مرض البرص فقال: لولا بركة هذه الأصنام ما شفيت من مرض الجذام. حتى أتى بها الى جزيرة العرب وعبدها الناس حينئذ.

فالأصنام عند عمرو بن لحي هي الترياق المجرب، وأما أنتم فقبر معروف الكرخي عندكم هو الترياق المجرب. ولكن نسألكم:

هل جرّبتم ترياق الحي الذي لا يموت حتى فضلتم عليه من لا حياة له؟! ﴿أليس الله بكاف عبده﴾؟

ولماذا لم يجرب النبيﷺ قبور الأنبياء من قبله؟ وكأن التجربة هي الميزان في معرفة المشروع من الممنوع.

ولو كان قبر الكرخي كما تزعمون لكان قبر نبينا ترياقاً أولى بالتجربة من قبر معروف الكرخي:

فما بال الصحابة لم يجربوا هذا الترياق، ولم يعكفوا على قبر نبيهم كما هو حال من لا يقتدي بهم ويرى الاقتداء بالشيعة وبالنصارى أولى من الاقتداء بسلف هذه الأمة؟ ما جربوا هذا الترياق المزعوم، ولم يعكفوا على قبر نبيهم بالرغم مما وقعوا فيه من المِحَن والفتن والحروب.

وهؤلاء لا يقولون « قبر رسول الله هو الترياق المجرب» لأنهم اذا قالوا ذلك سألهم الناس: فلماذا لم يجرب صحابته ترياق قبر نبيهم ﷺ؟

---

١) المقالات السنية ص ١٣٣ و١٦٢ صريح البيان ١٤٨ ط: مجلدة.

ثم هل تبحثون عن «صَمَد» آخر غير الله، وقد فسرتم الصمد بمعنى المقصود بقضاء الحوائج [١]. فصار الكرخي بمقتضى تفسيركم هو الصمد.

○ لو كان الله أمر بدعاء المقبورين أو رسوله ﷺ لكان لقولك يا حبشي مسوغ، لكن ليس عندك: قال الله قال رسوله. فما لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ لا يكون ترياقاً وإن زعم أصحاب الخيالات تجربته كالصوفية النقشبندية الذين يزعمون تلقّي العلم وأخذ العهد والبيعة عن مشايخ الطريقة الأموات وهم في قبورهم على النحو الذي يدعيه الشيعة في المهدي صاحب السرداب والذين يصفون قبور الحسين والمهدي والأئمة بالترياق المجرب. فما أشبهك يا حبشي بهم، وقد جرب النصارى قبور القديسين ومقام السيدة مريم فوجدوها: الترياق المجرب.

فلماذا تدافعون عن شيء هلك به المشركون وبنوا لأجله الأصنام؟

إنكم لن تجدوا في أفعال الصحابة ما يوافق ذلك اللهم الا الشيعة ومن قبلهم اليهود والنصارى ومن قبلهم قوم نوح الذين كانوا يعتبرون قبور ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر : **هي الترياق المجرب. أعني الشرك المجرب: هم سلفكم: يا خلفهم!**

○ أن الموحد مؤمن موقن أن رفع الأيدي الى الله هو الترياق المجرب لقضاء الحوائج وكشف الكروب وتفريج الهموم، مؤمن بما قاله صالح عليه السلام ﴿**إن ربي قريب مجيب**﴾ أما أنتم فالقبر عندكم أقرب الى الاجابة من الله القائل ﴿**واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان**﴾ فالله أقرب الينا من قبوركم، هذا هو ترياقنا فجربوه لعلكم تعودوا الى رشدكم أو اصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

وقال الأحباش « قبر السيدة نفيسة معروف بالإجابة» [٢]. يعني **إن قبرها لسميع الدعاء لسريع الإجابة!**

---

١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ١٦ دار المشاريع.

٢) الدائرة العلمية مكتب شئون الخارج ورقة رقم ٤ أ و ٩ بترقيم آخر على نفس الصفحة.

قضاء الحوائج استدراج

قال تعالى ﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾. فهذا ترياق بدني استدرجكم الله اليه. لكن المرض انتقل الى قلوبكم حيث دخلها اعتقاد الاستشفاء بالأضرحة والقبور وهو مرض أشد من الأمراض البدنية التي طلبتم العلاج لها عند قبر الكرخي.

هل الاستجابة دليل على صحة العقيدة

فلا يغرنك أن المستغيث بمخلوق قد تُقضىٰ حاجته فهذا ابتلاء واستدراج وهذا يحصل للبوذيين ممن يستغيثون بالصنم فيتمثل لهم الشيطان بصورة من يستغيثون به كما كان يتكلم في جوف الأصنام ليزيد يقين المشركين بشركهم.

بل إن الله لرحمته وفضله يستجيب حتى للمشركين اذا توجهوا اليه في ضرهم ﴿**فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون**﴾ ﴿**قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء وتنسون ما تشركون**﴾.

والشيطان يضل الناس بما يظن أنهم يطيعونه فيه.:

فيتمثل للنصارى بصورة المسيح أو مريم أو بصورة جرجس أو بولس، وفي كل مرة تخرج صرخة من احدى كنائس العالم من قسيس أو راهبة تزعم أن مريم ظهرت عليها وخاطبتها. وهذا ليس الا شيطاناً فإن الشياطين تظهر للناس بصورة الولي الميت وتقضي لهم حوائجهم باسم الولي كما كانت تفعل عند الأصنام فتخاطب من يدعو الأصنام تحتال على الجهال لتزيدهم تمسكاً بشركهم وتخدعهم بهذه الحيل.

كما يتمثل الشيطان لجهال المسلمين في صورة عبد القادر الجيلاني أو البدوي أو الرفاعي.

وما من أحد دعا غير الله واستغاث به الا وكله الله الى نفسه، وحينئذ يتمكن الشيطان منه ويظهر له بصورة من يستغيث به زاعماً أنه الرفاعي أو الجيلاني أو نحو ذلك. وقد يقضي له حاجة دنيوية فيها خسارة أخروية؟

ورؤية الأموات في المنام تحتمل الصدق والكذب: وأما رؤية ميت في اليقظة فلا شك أنها كذب قطعاً.

○ أن الله قد أغنانا عن التجارب في الدين فقال ﴿**أدعوني أستجب لكم**﴾ فدعاء الله وحده أعظم وأفضل ترياق بشهادة الله وليس بالتجربة. نحن جربنا دعاء الله فوجدناه ترياقاً يغنينا عن ترياقكم المسموم. ومجرد عدم أمر الله به يجعله سُمّاً وإن شربه أكثر الناس، وكيف نسميه ترياقاً ولم يأمر الله به بل قد نهى عنه أكثر من نهيه عن الزنا والربا وشرب الخمر!

○ وقد أخبرنا الرسول ﷺ أين ومتى ترجى الاجابة فترجى في الثلث الأخير من الليل وفي دبر الصلوات المكتوبات وبين الأذان والأقامة، وفي حلقات الذكر ولم يذكر منها قبر نبي ولا غيره. فترياقنا المساجد وترياقكم القبور التي اتخذتموها مساجد.

○ فأنتم - كما عهدناكم - تقدمون بين يدي الله ورسوله، فيصير قول ابراهيم الحربي (الترياق المجرب) أولى عندكم بالأخذ من قول النبي ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى: إتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد». تعارضون ما صح سنده عن النبي ﷺ بهذه الأكاذيب المروية عن غير المعصومين!

وكم كنا نتمنى أن تذكروا الناس أن توحيد الله في الدعاء والتضرع هو الترياق المجرب قبل أن تحدثوهم عن تجربة قبر معروف الكرخي.

○ أن عبارة (الترياق المجرب) عبارة شركية تناقلها الخرافيون من كتب سلفهم وأضرابهم لم يجربوها بأنفسهم وهي تجربة من نسج الخيال، والا: فليدع الحبشي معروف الكرخي أو ليعتكف هو وأضرابه عند قبره لعله يجد عنده ترياقاً لمصائب الأمة كأحوال المسلمين في البوسنة والصومال وفلسطين (ولن يجد) ﴿**فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين**﴾.

فأين أولياؤكم أين أقطابكم وأبدالكم وأنجابكم وأغواثكم: أين أبو العلمين «غوث الثقلين» الذي زعمتم أنه حتى النعجة تستغيث به اذا هاجمها الذئب وتناديه بلسان عربي مبين: أغثني يا سيدي أحمد؟ كلا والله لا تقع هذه النعجة في الشرك فانها أكثر توحيداً منكم، هي على ملة هدهد سليمان.

لقد جرب الموحدون دعاء الله وحده فوجدوه هو الترياق المجرب: جربه رسول الله ﷺ يوم بدر فنصره الله وجربه البراء بن مالك وسعد بن أبي وقاص وغيرهما فأجابهم الله. بل جربوا رفع الأيدي بالدعاء الى الله فوجدوه هو الترياق.

○ وأما احتجاج نبيل الحبشي (مجلة منار الهدى ١٩/ ٣٠) بابن الملقن من حفاظ الحديث والفقهاء الشافعيين، وأنه ذهب بنفسه الى قبر معروف الكرخي فأجيب دعاؤه. فهو احتجاج بصوفي والاحتجاج بصوفي منهم ليس حسماً للنزاع ولا هو حجة الله على خلقه. فان الصوفية يختلط عليهم الليل والنهار وأحوال النوم واليقظة. فقد حكى ابن الجوزي أن شاة صاحت فشهق أحد الصوفية لبيك سيدي (تلبيس ابليس ١٧٠)!.

ولا ننسى أن ابن الملقن الصوفي حشا كتابه (طبقات الأولياء) بالأخبار الباطلة التي تنسب الى الأولياء الإحياء والإماتة. فقد جاء في كتابه أن الرفاعي أكل سمكاً مع تلاميذه ثم قال لعظام السمك: كوني سمكا كما كنت أولا. فما استتم كلامه حتى قامت وتناثرت سمكا حيا: شاهدة لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة وللسيد الرفاعي بالولاية العظمى، وأنها كانت تسأل الرفاعي بحق الله أن يأكلها. وأنه دخل رجل على الرفاعي مكتوب على جبهته سطر الشقاوة فمحاه» أي بدّل ما قدّره الله فصار مكتوباً سعيداً [1].

ومثل هذا لا يؤخذ بشهادته ولا نستفيد من تجربته، فقد شهد لمخلوق بأنه يحيي العظام وهي رميم ويغير ما سطره الله في اللوح المحفوظ.

□ ويجدر بك أن تعلم أن ما يفعله هؤلاء عند القبور ليس مجرد استغاثة بأصحابها. وإنما بلغ الأمر الى درجة الطواف حولها كما يُطافُ بالكعبة. وإن أردت التأكد فما عليك إلا أن تنظر الى قبر الحسين في مصر وغيره من الطواف حول قبره. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٦٠٩) «ومنها المكان المشهور بالمشهد الحسيني بالقاهرة، إذ ليس الحسين رضي الله عنه مدفوناً به بالاتفاق، لأن القاهرة بناها عبد القاهر الفاطمي العبيدي، ودولتهم كانت في القرن الرابع، فلعل الفاطميين هم الذين عمروا المشهد الحسيني لأنهم عظّموا أهل البيت ونسبوا أنفسهم الى الحسين وهم كاذبون».

---

١) طبقات الصوفية ص ٩٩-٩٨ ط: الخانجي - القاهرة ١٩٧٣.

تقديس القبور والتوجه اليها
من سنن اليهود والنصارى

وقد جاءت الشريعة بالنهي عن هذه البدع والشركيات التي انحرف بسببها اليهود والنصارى عن ملة إبراهيم الى ما كان عليه قوم نوح:

قال رسول الله ﷺ « لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر» فقبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض ومع ذلك نهى عن اتخاذه عيداً، فقبر غيره أولى بهذا النهي. والعيد اسم للوقت والمكان الذي يعتاد الاجتماع فيه.

وعن ثابت بن الضحاك أن رجلا نذر أن ينحر إبلاً بـ «بوانة» فأخبر النبيَ ﷺ بذلك فقال له « هل كان فيها وثن من أوثانهم؟ فقالوا: لا. فقال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. قال ﷺ: أوف بنذرك» [١]. وفي الحديث فائدة: وهي أن أعياد المسلمين لا بد أن يكون لها أصل شرعي منصوص عليه.

ثم قال « ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً» أي لا تعطلوها عن الصلاة والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبر الذي يجب أن يخلو من ذلك. فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن ذلك في القبور، والمشركون يفعلون عكس ذلك: بيوتهم خالية من العبادة وهم يتحرّونها عند قبر الولي الفلاني.

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى [٢] إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً» [٣].

---

١) رواه أبو داود رقم (٣٣١٣) واحمد ٤١٩/٢ بإسناد حسن.

٢) والرسول ﷺ لم يلعن اليهود والنصارى لأشخاصهم وإنما لعنهم لفعلهم هذا. فكلما وجد هذا الفعل تبعته اللعنة كائنا من كان. فإن نبينا ﷺ لم يحذر من هذا وهو في نزعه الأخير إلا لعلمه يقينا أن هذا الشر سيقع في أمته كما وقع بين اليهود والنصارى: فهو يقيم عليهم الحجة ويؤكد في التبليغ والبيان وإقامة الحجة قبل أن يموت.

٣) رواه البخاري (١٣٣٠).

قال الحافظ « وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة الى ذم من يفعل فعلهم»[1].

وقول عائشة يدل على السبب الذي من أجله دفنوا النبي ﷺ في بيته: وهو يسد الطريق على من عسى أن يبني عليه مسجداً. يؤكد ذلك قولها في رواية أخرى « يحذر مثل الذي صنعوا».

وقد حذر ﷺ من ذلك فقال « ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك» (مسلم). فما خشي الصحابة قد وقع حيث تم إدخال قبره ﷺ في المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك لضرورة توسعة المسجد[2] من غير أن يكون هناك صحابي واحد وإنما أنكر هذا الفعل التابعي الجليل سعيد بن المسيب كما حكاه العلامة ابن كثير في (البداية والنهاية ٩/٧٥).

قال ابن الجوزي « وكان الوليد بن عبد الملك قد أمر عمر بن عبد العزيز بهدم حُجَر رسول الله ﷺ بعد أن اشتراها من أهلها ليُدخلها في المسجد» [3].

وعن عروة قال « نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ أن لا يُجعَل في المسجد أشد المنازلة فأبىٰ وقال: كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه» [4].

وقد وسّع عمر بن الخطاب المسجد من الجهات الأخرى من غير أن يتعرض للحجرة أو يدخلها المسجد وقال « لا سبيل اليها» [5] ومن هنا يظهر خطأ النووي رحمه الله حين قال في (شرح مسلم ٥/١٤) بأن الصحابة أدخلوا بيوت أمهات المؤمنين الى المسجد.

---

١) فتح الباري ١/٥٣٢.
٢) أكد ذلك الكاساني الحنفي في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ١/٣٢٠ ط: دار الكتب العلمية.
٣) مثير العزم الساكن الى أشرف المساكن ٢/٢٩٣ دار الراية ١٩٩٥.
٤) وفاء الوفا للسمهودي ١/٥٤٨.
٥) طبقات ابن سعد ٤/٢١.

قال الحافظ ابن حجر « وقول عائشة (لأبرزوا قبره) أي لكُشف ولم يُتخَذ عليه الحائل، والمراد الدفن خارج بيته، وهذا ما قالته عائشة قبل أن يُوسَّع المسجد، ولهذا لما وُسِّع المسجد جُعلتْ حجرتُها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهةَ القبر مع استقبال القبلة. قال الكرماني: مفاد الحديث منع اتخاذ القبر مسجداً» [1].

- وقال الحافظ « والمنع من ذلك إنما هو حال خشية أن يُصنع بالقبر كما صنع أولئك الذين لُعنوا، وأما إذا أمن ذلك فلا امتناع» قال « وقد يقول بالمنع مطلقاً من يرىَ سد الذريعة وَهو هنا متجهٌ قويٌّ» [2]. وقد أخبر ﷺ أنهم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بَنَوا على قبره مسجداً، أولئك شرار الخلق عند الله».

- وقال الحافظ العراقي « فلو بنى مسجداً يقصد أن يُدفن في بعضه دخل في اللعنة، بل يحرم الدفن في المسجد، وإن شرط أن يُدفَن فيه لم يصح الشرط: لمخالفة وقفه مسجداً» [3].

واعتبر العلامة ملا علي القاري الحنفي أن سبب لعنهم إما لأنهم كانوا يسجدون لقبور أنبيائهم: وذلك هو الشرك الجلي، وإما لأنهم كانوا يتخذون الصلاة لله تعالى في مدافن الأنبياء وذلك هو الشرك الخفي» [4].

- وقوله «إذا مات فيهم الرجل الصالح» واضح التحذير مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء وواضح التشابه بين ما فعله اليهود في صالحيهم وبين ما يفعله جاهليو هذه الأمة في أوليائهم. ولذلك علّم النبي ﷺ أصحابه أن يهدموا القبور المرتفعة ويطمسوا الصور :

○ فعن أبي الهياج الأسدي أن علياً رضي الله عنه قال له «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أمرني أن لا أدَعَ قبراً

---

١) فتح الباري ٣/٢٠٠.
٢) فتح الباري ٣/٢٠٨.
٣) نقله المناوي في فيض القدير ٥/٢٧٤ وأقره.
٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/٤٥٦.

مشرفاً (أي مرتفعاً) إلا سوّيته (بالأرض) ولا تمثالاً إلا طمستُه» [١].

وعن ثمامة بن شفي قال « كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بِرُودُس فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبر فسُوِّي. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها» [٢].

○ وعن عبد الله بن شرحبيل بن حسنة قال: رأيت عثمان بن عفان يأمر بتسوية القبور، فقيل له هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسُوِّي» [٣].

ولهذا روي عن عمرو بن شرحبيل أنه قال عند موته « لا ترفعوا جدثي - يعني القبر - فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك» [٤].

○ وعن أبي بردة قال « أوصى أبو موسى حين حضره الموت فقال: اذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي ... ولا تجعلوا على قبري بناءً» [٥].

وهذا كان سبب عبادة اللات. فقد روى ابن جرير بإسناده عن مجاهد ﴿أفرأيتم اللات والعُزى﴾ [النجم ١٩] قال: كان رجل صالح يلتُّ السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره [٦].

ولأجل هذه العلة نهى الله عز وجل عن اتخاذ القبور مساجد لأن أصل صناعة صنم اللات نتجت عن تعظيم قبر اللات. ولهذا لعن رسول

---

١) مسلم (٩٦٩) والترمذي (١٠٤٩) (وأبو داود (٣٢١٨) والنسائي ٨٨/٤ وطعن الكوثري والغماري في هذا الحديث على عادتهما في الطعن في روايات البخاري ومسلم مع الاستماتة في الدفاع عن روايات موضوعة معلولة عند الطبراني وغيره. والحديث من رواية مسلم وقد تلقته الأمة بالقبول ولم ينتقده إمام معتبر. فلقد أعل الكوثري الحديث بعنعنة حبيب بن أبي ثابت. مع أن للحديث طرقاً أخرى ليس فيها حبيب. (أنظر مسند أحمد ٨٧/١ و٨٩ و١١١ والطيالسي ١٦).

٢) رواه مسلم رقم (٩٦٨) ٦٦٦/٢.

٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣٨/٤ قال الألباني: وسنده صحيح.

٤) رواه ابن سعد في طبقاته ١٠٨/٦ بإسناد صحيح.

٥) رواه أحمد في المسند ٣٩٧/٤ قال الألباني « وسنده قوي».

٦) تفسير القرطبي ٦٦/١٧ تفسير الطبري مجلد ١١ ج ٢٧ ص ٣٥.

ﷺ من اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد ووصفهم بأنهم شرار الخلق عند الله. ونهى أمته عن أن تتخذ قبره عيداً وأمرهم أن يصلوا عليه حيث كانوا.

فالأصنام نماذج تعريفية لصور أصحاب القبور التي افتتن بها الناس أيضاً حتى صاروا يرجون من بركة العكوف عندها والنذر لها ما يرجون من المساجد. ويحصل لهم عندها من الخشوع والبكاء ما لا يحصل لهم في الصلاة أثناء وقوفهم بين يدي الله عز وجل.

وممن زين الشيطان لهم الشرك وأضلهم الله على علم: ذاك الغماري (أبو الفيض أحمد الصديق) فإن من فيوضاته الشركية كتاب (إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد على القبور). والذي يخالف في عنوانه ومضمونه الصحيح المتواتر من تحذير النبي ﷺ من اتخاذ القبور مساجد. وهذا الغماري ثقة معتمد عند أشباهه الأحباش.

أئمة المذاهب الفقهية ينهون عن شرك التبرك

الاحتجاج عليهم بعبد الباسط فاخوري

ونبدؤهم بالشيخ الفاخوري مفتي لبنان الراحل حيث ذكر أصنافاً من المحرمات منها « اتخاذ القبور مطافاً واستلام القبور باليد»[١].

الاحتجاج عليهم بصاحبهم البوطي

قال محمد سعيد رمضان البوطي « فاذا دنوت من القبر الشريف فإياك أن تلتصق بالشبابيك أو تتمسح بها كما يفعل كثير من الجهال فتلك بدعة... ثم استقبل القبلة ولا تتوهم أن في هذا سوء أدب مع رسول الله ﷺ وأن الدعاء ينبغي أن يكون مع استقبال القبر. فإن الدعاء خطاب لله عز وجل لا يجوز أن يُشرَك فيه غيرُه...»[٢] قال: «ولا تلتفت الى كثرة من قد تراهم من الجهال والمبتدعين»[٣].

المفاجأة الكبرى: السبكي ينهى عن مس قبر النبي ﷺ

قال «وإنما التمسح بالقبر وتقبيله والسجود عليه ونحو ذلك فإنما يفعله بعض الجهال ومن فعل ذلك ينكر عليه فعله ذلك ويعلَم آداب الزيارة»[٤] وقال « ولا يمس القبر ولا يقرب منه ولا يطوف به»[٥].

ونقل قول ابن تيمية بأن الصحابة لم يكونوا يأتون قبره ﷺ للصلاة عنده ولا لمسح القبر ثم قال « ونحن نقول إن من أدب الزيارة ذلك. ننهى عن التمسح بالقبر والصلاة عنده»[٦]. ونقل السبكي قول مالك « ولا يمس القبر بيده»[٧]. فخذه يا حبشي حيث نص عليه حافظك السبكي محتجا بالحافظ ابن تيمية في العقيدة.

مفاجأة من أبي حامد الغزالي

وقال الغزالي « ولا يمس قبراً ولا حجراً فإن ذلك من عادة النصارى» وقال أيضاً « فإن المس والتقبيل للمشاهد من عادة اليهود والنصارى»[٨].

---

١) الكفاية لذوي العناية ١٥٤-١٥٥ تحقيق أسامة السيد.

٢) ما أكثر تناقضات هذا الرجل فإنه يجيز الاستغاثة بغير الله!

٣) فقه السيرة للبوطي ٤٧٨ ط: دار الفكر. الطبعة الثامنة.

٤) شفاء السقام ١٣٠.

٥) فتاوى السبكي ٢٨٩/١.

٦) شفاء السقام ١٥٢ ط: منشورات دار الآفاق الجديدة - لبنان.

٧) شفاء السقام ١٥٥.

الشافعية

نهى الامام الشافعي وأتباعه رحمهم الله عن تجصيص القبور ورفعها والبناء والكتابة عليها وإضاءتها واتخاذها مساجد واستقبالها للدعاء والطواف بها وتقبيلها ومسحها باليد.

وذكر النووي أن هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء (١).

ونقل النووي عن الشافعي أنه قال فيما يبنى على القبر « رأيت من الولاة من يهدم ما بُنِيَ فيها ولم أر الفقهاء يعيبون عليه ذلك»(٢).

وحتى قال ابن حجر الهيتمي « وتجب المبادرة الى هدم القبور المبني عليها المتخذة مساجد، وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضرّ من مسجد الضرار لأنها أسِّست على معصية رسول الله ﷺ» (٣).

○ ولم يفرق بين المقبرة المسبلة وغير المسبلة وبين قبور العلماء وغيرهم حتى قال في (شرح المنهاج ٣٣) « وقد أفتى جمع بهدم كل ما بقرافة مصر من الأبنية حتى قبة الامام الشافعي عليه الرحمة التي بناها بعض الملوك، وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما لم يخش منه مفسدة» (٤).

- وحكى الشيخ علاء الدين بن العطار - تلميذ النووي الملقب بـ «مختصر النووي» لكثرة ملازمته إياه - أنه لما توفي النووي أراد أهله أن يبنوا على ضريحه قبة، فرأته عمته في المنام وهو يقول لها: قولي لهم لا يفعلوا ذلك وأن يهدموا كل شيء بنوه» فأنفذوا وصيته (٥).

---

٨) إحياء علوم الدين ١:٢٥٩ و ٤:٤٩١.

١) المهذب ١/١٣٩ روضة الطالبين ١/٦٥٢ المجموع ٥/٢٦٦ و ٨/٢٥٧ السراج الوهاج ١/١١٤ شرح مسلم للنووي ٧/٤١-٤٢ العقد الثمين ١٨٦ الزواجر ١/١٩٤-١٩٥ شرح مسلم للنووي ٥/١١-١٤.

٢) المجموع ٥/٢٩٨ شرح مسلم للنووي ٧/٢٤ الجنائز باب (٣٢). وانظر مواهب الجليل ٣/٦٥.

٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/١٢٠-١٢١.

٤) الفتاوى لابن حجر ٢/١٨.

٥) (تحفة الطالبين في ترجمة الامام محيي الدين ١٩٧) ط: الصميعي.

قياس مس القبر بمس الحجر الأسود

وفي نهاية المحتاج الى شرح المنهاج لشمس الدين الرملي « يكره تقبيل القبر ومسحه» [1]. غير أنه استثنى ما اذا كان للتبرك بقبور الأولياء ودليله الشرعي « ما قاله الوالد» على حد قوله. وتعقب ابنُ حجر الهيتمي هذا الاستثناء وتعقب استنباطَ السيوطي تقبيل قبور الصالحين بتقبيل الحجر الأسود ولم يسلّم له هذا لأنه يؤدي الى تعظيم القبور [2].

وهذا الاستنباط عين الجهل فإن ما كان عبادة وقربة الى الله لا مدخل للقياس فيه. وقد تقدم بأن القياس لا يجوز استعماله في أمور التوحيد، قال الحافظ ابن عبد البر « لا خلاف في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام»[3].

وقد كان بإمكان عمر أن يقيس الحجر على مثيله من الأصنام فيمتنع من تقبيل الحجر الأسود لكنه ترك القياس وفعل ما رأى النبي ﷺ يفعله.

وقد أذن الله لنا في مس الحجر الأسود وتقبيله، ولم يأذن بتعليق السيوف على الشجرة ذات الأنواط مع أن الصحابة لم يطلبوا التبرك بمسها وإنما بمجرد تعليق السيوف فشبّه النبي ﷺ قولهم بقول بني اسرائيل لموسى ﴿إجعل لنا موسى إلهاً كما لهم آلهة﴾.

- ولكن اذا جاز مس القبر قياساً على مس الحجر الأسود، فماذا نقول فيمن قاس الطواف حول قبور الصالحين بالطواف حول الكعبة أو نجيز لهم مثل هذا القياس؟!

واحتج في المهذب في النهي عن البناء على القبور بحديث « لا تتخذوا قبري وثناً فإنما هلك بنو اسرائيل لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[4] واحتج بقول الشافعي « وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس»[5]. وقال «

---

١) ٣٤/٣ ط: مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ١٩٩٢.

٢) تحفه المنهاج بشرح المنهاج ١٧٣/٣-١٧٤.

٣) جامع بيان العلم وفضله ٥٥/٢.

٤) لعله ليس حديثاً وانما رواه بمعناه من حديثين.

٥) أنظر الأم ٢٧٨/١ المهذب ١٣٩/١-١٤٠ روضة الطالبين ٦٥٢/١ المجموع ٢٦٦/٥ و٢٥٧/٨ معرفة السنن والآثار ٢٠٧/٣ والسراج الوهاج ١١٤/١ شرح مسلم للنووي ٣٧/٧ و١١/٥-١٤ الزواجر

وأكره أن يُبنى على القبر مسجد أو يُصلى عليه... وإن صلى أجزأه وقد أساء»[1].

○ وقال أبو شامة الشافعي « لا يجوز أن يطاف بالقبر وحكى الحليمي عن بعض أهل العلم أنه نهى عن إلصاق البطن والظهر بجدار القبر ومسحه باليد وذكر أن ذلك من البدع»[2].

وجاء في المجموع للنووي والحاشية للبيجوري « وكانوا يكرهون أن يضرب الرجل على القبر مظلة» واستدلا بما رواه البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى مظلة على قبر فأمر برفعها وقال « دعوه؛ يُظله عمله»[3].

وجاء في حاشية البيجوري على ابن قاسم « ويكره تقبيل القبر واستلامه[4] ونقله عنه الامام عبد الله بن محمد الجرداني الشافعي عن شرح البيجوري[5].

○ وروى البخاري في باب (ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور): ولما مات الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رُفِعَتْ، فسمعوا صائحاً يقول « ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا» قال الحافظ[6] « مناسبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر. وقال ابن المنير: فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا».

٢٤٤/١ وانظر الإعلام بقواطع الاسلام.

١) الأم ٢٧٨/١ وانظر معرفة السنن والآثار للبيهقي ٢٠٧/٣ تحقيق سيد كسروي حسن دار الكتب العلمية ١٤١٢.

٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث ١٤٨.

٣) رواه البخاري معلقاً في الجنائز (باب ٨١) والمجموع ٢٩٨/٥ والفروع ٢٧٢/٢ حاشية البيجوري على ابن قاسم في شرحه على متن الزبد ٤٩١/١ تحقيق محمد شاهين دار الكتب العلمية.

٤) ٤٨٨/١ تحقيق محمد شاهين ط: دار السلام ١٩٩٠.

٥) فتح العلام بشرح مرشد الأنام في الفقه على مذهب السادة الشافعية ٣١٣/٣ ط: دار السلام ١٩٩٠.

٦) رواه البخاري معلقاً باب (٦١) من كتاب الجنائز (فتح الباري ٢٠٠/٣).

موقف النووي من مس القبر

قال النووي « ويُكره مسحه - قبر النبي ﷺ - باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه»[1] وهذا تصريح من النووي بالاجماع على ذلك. وبه تثبت مخالفة الحبشي للاجماع وموافقة ابن تيمية له.

قال « وينبغي ألا يُغترّ بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء، ولا يُلتفت الى محدثات العوام وجهالاتهم.

قال « ولقد أحسن الشيخ الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله: اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين. ومن ظن أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع. وكيف يُبتَغى الفضل في مخالفة الصواب؟!» [2].

وقال في المجموع « وقال الامام محمد بن مرزوق الزعفراني - وكان من الفقهاء المحققين - في كتابه (في الجنائز): ولا يستلم القبر بيده ولا يقبله. قال: وعلى هذا مضت السنة. قال أبو الحسن: واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعاً ينبغي تجنب فعله ويُنهى فاعله.

قال: فمن قصد السلام على ميت سلم عليه من قبل وجهه، واذا أراد الدعاء تحول عن موضعه واستقبل القبلة[3]. قال الزبيدي « ويستدبر القبر الشريف» [4] أي قبر النبي ﷺ عند زيارته.

---

1) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٤٤/١ وحاشية الهيتمي على شرح الايضاح في المناسك للنووي ص ٤٥٣ ط: دار الحديث: لبنان ١٤٠٥.

2) الايضاح في المناسك للنووي ١٦١ وص ٤٥٣ ط: دار الحديث والمجموع ٣٧٥/٨ ونقله عنه السمهودي في وفاء الوفا ١٤٠٢/٤.

3) وقد زعم احمد بن دحلان أن ما نقل عن أبي حنيفة أن استقبال القبلة أفضل [من استقبال قبر النبي ﷺ] غير صحيح. ويكذبه قول ابن حجر الهيتمي في الجوهر المنظم « ما ذكرناه من الاستقبال هنا في حالة الدعاء هو مذهبنا ومذهب جمهور العلماء» واذا كان استقبال القبر أفضل من استقبال القبلة فيلزمه أن يتوجه في صلاته الى القبر لا الى الكعبة.

4) اتحاف السادة المتقين ٤٢١/٤.

وقال أبو موسى [الأصفهاني في كتاب آداب الزيارة]: وقال الفقهاء المتبحرون الخراسانيون: المستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا وجه الميت يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى. قال: وما ذكروه صحيح لأنه قد صح النهي عن تعظيم القبور ولأنه اذا لم يستحب استلام الركنين الشاميين من أركان الكعبة لكونه لم يسن مع استحباب استلام الركنين الآخرين: فلأنْ لا يستحب مس القبور أولى والله أعلم» [1].

---

١) المجموع شرح المهذب ص ٣١١/٥.

يستقبل القبلة أم القبر؟

لو سألت نفاة علو الله لماذا نرفع أبصارنا وأيدينا الى السماء عند دعاء الله، لقالوا لك: لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة.

ولو سألتهم هل نستقبل قبر النبي ﷺ عند الدعاء أم نستقبل القبلة ونستدبر القبر لقالوا: ليس من الأدب استدبار القبر بل تستقبل القبر عند الدعاء!!!

ففي كل مسألة لهم فيها قبلة.

والجواب:

١) أن الصحابة كانوا أكثر تعظيماً للنبي ﷺ من السبكي غير أنهم لم يحرضوا الناس على السفر الى قبره، كما علمت من الرواية التي في مصنف عبد الرزاق.

وتقدم قول النووي « وقد صح النهي عن تعظيم القبور» (المجموع ٥/٣١١) وقول الشافعي «أكره أن يعظّم قبر حتى يجعل مسجداً» (الأم ١/٢٧٨).

فقد روى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن أيوب عن نافع قال « كان ابن عمر اذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله.. قال معمر: ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك الا ابن عمر» [١].

ولو كان السبكي معظماً حقيقة للنبي ﷺ لما سارع الى رواية الموضوع والضعيف من الروايات والتعويل عليها، فلا تغتر بما زين له الشيطان.

وفي ذلك الرد على السبكي الذي أوجب السفر لزيارة قبر النبي ﷺ قال: « لأن المبالغة في تعظيم النبي ﷺ واجب» (شفاء السقام ٨٣) مع أنه اعترف بأن المانع من البناء على القبور أن الجاهلية كانت تفعله وتقصد به تعظيم القبور[٢].

ولا تنس أن الشيعة يحرضون الناس على الحج الى قبور أئمة أهل البيت بنفس الحجة وهو أن تعظيمهم واجب.

٢) وهل هلكت المجوس الا من جهة التعظيم؟ قالوا: يتنزه الله عن

---

١) مصنف عبد الرزاق حديث رقم (٦٧٢٤) تحقيق الأعظمي ط: منشورات المجلس العلمي.

٢) فتاوى السبكي ٢/٢٥٧.

خلق الشر. وهل هلك المعتزلة الا من جهة التعظيم؟ قالوا: يتنزه الله عن هذه الصفات المشابهة لخلقه، ينزه الله عن أن يكون خالقاً للشر. وهل هلك النصارى الا من جهة تعظيم المسيح؟!

نص فتوى الغزالي في تحريم مس القبر

○ واليك نص فتوى الغزالي « ولا يمس قبراً ولا حجراً فإن ذلك من عادة النصارى» وقال أيضاً « فإن المس والتقبيل للمشاهد من عادة اليهود والنصارى» [١]. علق المرتضى الزبيدي على ذلك في شرح الإحياء قائلا «ولا تنظر ما أكب عليه العامة الآن وقبل الآن من رفع أصواتهم عند دخولهم للزيارة وتراميهم على شباك الحجرة الشريفة وتقبيلهم اياه». أضاف « وقد ورد النهي عن ذلك فليحذر منه» . وكان قد علق على قول الغزالي (وليس من السنة أن يمسح الجدار ولا يمسه ولا أن يقبله) قال الزبيدي «كما تقوله العامة» وفي موضع آخر قال « وكل ذلك بدعة منكرة انما يفعلها الجهال» قاله السبكي [٢].

فماذا يقول المحتجون بالغزالي والزبيدي بعد ذلك؟!

وكذلك قول ابن حجر الهيتمي في الزواجر: (الكبيرة الثالثة والتسعون : اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السُرُج عليها واتخاذها أوثاناً والطواف بها واستلامها» [٣].

وقال السمهودي في وفاء الوفا « ويجتنب لمس الجدار وتقبيله» ونقل عن الغزالي أن هذا من عادة اليهود والنصارى [٤]. ومثل هذا يتحاشى الأحباش ذكره اذا احتجوا بالسمهودي وكتابه الذي يحوي الشيء ونقيضه، ويأتي بروايات لا تحقيق لأسانيدها، ويلزم من اقتصر في مرويات العقائد على المتواتر دون الآحاد أن يسند هذه الروايات عن أحمد وغيره متواترة.

---

١) إحياء علوم الدين ١:٢٥٩ و ٤:٤٩١.

٢) اتحاف السادة المتقين شرح احياء علوم الدين ٤/٤٥٧ وانظر ٤/٤١٨ وكذلك ١٠/٣٦٤-٣٦٥.

٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/٢٤٤.

٤) وفاء الوفا ٤/١٤٠٢.

هل لفظ الكراهية يفيد التنزيه أو التحريم؟

قد أجاب الشيخ ابن حجر عن هذا السؤال قائلا « والقول بالكراهة التنزيهية غير صحيح إذ لا يُظَنُّ بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ لعنُ فاعله» [1]. قلت: زد عليه أن النبي ﷺ وصّفهم بأنهم شرار الخلق عند الله. وأنهم أشد الناس عذاباً.

والظن بأئمة أهل العلم كالشافعي وغيره أن يعنوا بالكراهة ما يكرهه الله ورسوله من المحرمات كقوله تعالى ﴿**وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان**﴾ وقوله بعد نهيه عن القتل والزنا وأكل مال اليتيم ﴿**كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها**﴾. وقول النبي ﷺ « إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال» وليست إضاعة المال جائزة مع الكراهة.

○ وقد صرح الشافعي بكراهة تزوج الرجل ابنته من الزنى فهل يعني ذلك جواز ذلك مع الكراهة؟ حاشاه أن يبيح ذلك. بل ان هذه الكراهة منه على وجه التحريم لأن الحرام يكرهه الله ورسوله.

○ فالسلف كانوا يستعملون الكراهة في معناها الذي استعملت فيه في كلام الله ورسوله كما تبين لك. وإنما اصطلح المتأخرون على تخصيص الكراهة بما ليس محرماً. ومن هنا وقع الالتباس.

---

1) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٤٦/١.

الهيتمي يتعقب السبكي

وقد اعترض السبكي على حكاية النووي الاجماع على منع مس القبر النبوي وتقبيله ظناً منه صحة حديث أبي أيوب الأنصاري أنه وضع رأسه على قبر النبي ﷺ فقيل له أتدري ما تصنع؟ قال نعم. إني لم آت الحجر انما جئت الى رسول الله ...» فقال السبكي « فإن صح هذا الاسناد لم يكره مس جدار القبر» وهذا دليل على أنه غير جازم بثبوت هذه القصة. بل دليل على تناقضه فإنه اعتبره من عمل الجهال وأن من فعل ذلك ينهى عنه[١].

ولقد تعقبه الهيتمي وردّ عليه قائلا: « الحديث المذكور (يعني حديث أبي أيوب) «ضعيف». فما قاله النووي - أي حكايته الإجماع على النهي عن مس القبر - صحيح لا مطعن فيه» [٢].

○ وتقدم أن الحديث مع ضعفه فيه إشكال كبير يبطل الاستدلال به، إذ: كيف يجعل أبو أيوب رأسه على القبر وقد كان القبر مسنماً كما عند البخاري معلقاً (١٣٩٠) مسوى بالأرض غير مرتفع: إذ لو فعل أبو أيوب لاضطر أن يصير على هيئة الساجد. وهل يقول عاقل أن الصحابة كانوا يسجدون لقبر النبي ﷺ؟ وكيف يتوقع ارتفاع قبر النبي ﷺ وقد نهى أن يُبنى على القبر وبعث ﷺ علياً أن لا يدع قبراً مرتفعاً إلا سوّاه بالأرض كما عند مسلم [٣].

وليس وضع رأس أبي أيوب على القبر - على افتراض صحته - يصلح دليلا على التمسح بالقبر وتقبيله. فالمسح والتقبيل لم يكن من عادة أحد من الصحابة ومن ادعى العكس فعليه الدليل ولكن بشرط: أن يأتي في ذلك بسند صحيح.

○ وقد حكى النووي اجماع العلماء على خلاف ما تزعمونه وبالغ في النهي عن مس القبر وتقبيله والتمسح به حتى قال (هذا ما قاله العلماء وأطبقوا عليه) فكيف تنسبون الى الشافعي شيئاً حكى النووي الاجماع على خلافه؟

---

١) شفاء السقام ١٣٠ فتاوى السبكي ١/ ٢٨٩.

٢) حاشية الايضاح ص ٢١٩.

٣) مسلم (٩٦٩) الترمذي (١٠٤٩) أبو داود (٣٢١٨) النسائي ٤/ ٨٨.

○ وكيف ينهى ابن حجر الهيتمي والحليمي وسلطان العلماء العز بن عبد السلام عن هذا العمل؟ وكيف يجعل الغزالي والهيتمي التمسح بالقبور من عادات النصارى؟ وهل كانا جاهلين بما تزعمون أنه من عقيدة أهل السنة؟ أم أن هذا من عمل الذين قال فيهم نبينا ﷺ «لعن الله اليهود والنصارى: اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد» «ألا لا تتخذوا قبور أنبيائكم مساجد: ألا فإني أنهاكم عن ذلك».

ولكن الحبشي يدعونا الى العمل بعادات النصارى، فقد أجاز للناس التمسح بجدران قبور الصالحين واستدل لذلك بتجربة رجل مسح يده بقبر الإمام أحمد فتعافت بعد ذلك [1] وكأن التجارب أصل في معرفة ما يحسن فعله أو يقبح. ألم يقل من قبل أنه لا حسنَ ولا قبح إلا بالشرع. فما بال الحسن والقبيح صار يثبت الآن بالتجارب ؟!

وقال البغوي «يكره أن يضرب على القبر مظلة لأن عمر رضي الله عنه رأى مظلة على قبر فأمر برفعها وقال دعوه: يظلّه عمله» [2]. وصرح البيضاوي بأن اليهود والنصارى كانوا يتوجهون الى قبور صلحائهم بالصلاة والدعاء [3].

---

١) صريح البيان ٦١.
٢) المجموع شرح المهذب ٥/٢٦٦.
٣) حاشية سنن النسائي ٢/٤٢.



الحنفية

وأما الأحناف فقد نهوا عن تجصيص القبر وتطيينه واتخاذه مسجداً. نص عليه محمد صاحب أبي حنيفة في كتابه الآثار قائلا « ونكره أن يجصص القبر أو يطين أو يجعل عنده مسجداً أو يكتب عليه ونكره ألآجرّ أن يُبنىٰ به أو يدخل القبر وهو قول أبي حنيفة» (1).

قال الكاساني في بدائع الصنائع (١/٣٢٠) « وكره أبو حنيفة البناء على القبر، والكراهة اذا أطلقت فهي للتحريم. وقد صرح بالتحريم ابن الملك من الأحناف.

وجاء في (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ٣١٣/١) النهي عن الدعاء عند القبور (2).

وقد علق الشيخ ملا علي القاري الحنفي على قول مالك في رواية ابن وهب « ويدنو ويسلم ولا يمس القبر» فقال « لأن ذلك من عادة النصارى» (3).

وفي الفتاوى الهندية (١/٢٦٥) « ولا يضع يده على جدار التربة» أي عند زيارة قبر النبي ﷺ.

وذكر محمد علاء الدين الحصكفي أن الذي يفعله العوام من تقديم النذور الى ضرائح الأولياء باطل وحرام بالإجماع (4). وشرح ابن عابدين قوله هذا فقال « كأن يقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك كذا. وعلل سبب بطلان ذلك أن هذا المنذور لميت. قال « **والميت لا يملك**» (5) ولم يقل لا يخلق يا أصحاب الحجا والعقول!

---

١) الآثار ١٩١/٢ لمحمد بن الحسن الشيباني تحقيق الأفغاني. والبحر الرائق ٢٠٩/٢ وانظر جنائز البدائع (١/٣٢٠).

٢) وانظر حاشية ابن عابدين على الرد المحتار ٤٣٩/٢ البحر الرائق ٢٩٨/٢ روح المعاني للآلوسي الحنفي ٣١٣/١٧ مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر ٣١٣/١.

٣) شرح الشفا ١٥٢/٢ ط: دار الكتب العلمية - لبنان.

٤) الدر المختار مع رد المحتار ٤٣٩/٢.

٥) رد المحتار على الدر المختار ٤٤٩/٢ حاشية مراقي الفلاح على نور الايضاح للطحطاوي ٥٧١ الفتاوى الخيرية للرملي ١٧/١ الفتح الرحماني للفرغاني ٢٣٣/٢-٢٣٥.

وقد أخذ شاه ولي الله الدهلوي الهندي الحنفي يستنكر ما وقع فيه أهل زمانه من مشابهة المشركين حيث « يذهبون الى القبور والآثار، ويرتكبون أنواعاً من الشرك وفي الحديث « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل» [١] ووافقه على هذا الاستنكار الامام اسماعيل الدهلوي[٢].

وقال الطحطاوي الحنفي [٣] في حاشيته على مراقي الفلاح ما نصه[٤]: « ولا يستلم القبر ولا يقبّله، فإنه من عادة أهل الكتاب، ولم يُعهَد الاستلام الا للحجر الأسود والركن اليماني خاصة».

---

١) الفوز الكبير في أصول التفسير ١٧ ط: مجلة الازهر.

٢) تقوية الايمان ٢٣-٢٤ رسالة التوحيد ٤١-٤٤.

٣) أحمد بن محمد بن اسماعيل توفي سنة ١٢٣١.

٤) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٣٤٠ ط: دار الايمان دمشق-بيروت.

الحنابلة

قال ابن قدامة في المغني « ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ﷺ ولا تقبيله قال أحمد: ما أعرف هذا. قال ابن الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي ﷺ يقومون من ناحية فيسلّمون» [١].

الأمر بهدم القباب والقبور

والتبرك بمسح جدران القبور ومصافحتها جاهلية مخالفة لما ثبت تخصيصه وهو الحجر الأسود فقد علّمنا النبي ﷺ أن نمسه وأن نقبله ولم يندبنا الى فعل ذلك فيما سواه. فدل على التخصيص. ومع ذلك فقد قال عمر « والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسولَ الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتُك» [٢]. وهذا خاص ببيت الخالق ولا يُقاس بيت المخلوق على بيت الخالق.

وأوصى أبو هريرة أن لا يوضع على قبره فسطاطاً فقال « لا تضعوا على قبري فسطاطاً» [٣] وقال علي رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألاّ تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً (أي مرتفعاً) إلا سوّيتَه (بالأرض) [٤].

وأوصى سعيد بن المسيب الوصية نفسها[٥]. فإيراد التمثال مع القبر في جملة يبين أن كليهما (القبر والصنم) سببان من أهم أسباب وقوع الشرك بين الناس.

وكان أحمد ينهي عن البناء عن القبور ويقول « رأيت الأئمة يأمرون بهدم ما يبنى[٦]. وكان احمد يرى بطلان الصلاة في المساجد المبنية على القبور.

وفي غاية المنتهى [٧] لمرعي بن يوسف الحنبلي « كره رفع قبر فوق شبر وتجصيصه وتقبيله... وكره أحمد الفسطاط والخيمة على

---

١) المغني ٣/٥٥٩ الفروع ٢/٥٧٣ وفاء الوفا ٤/١٤٠٣.

٢) رواه البخاري (١٥٩٧) ومسلم (١٢٧٠).

٣) كشاف المقنع ٢/١٣٩.

٤) مسلم (٩٦٩) والترمذي (١٠٤٩) (وأبو داود (٣٢١٨) والنسائي ٤/٨٨.

٥) رواه أحمد ٢/٤٧٤ وابن سعد في طبقاته ١٤٢/٥.

٦) كشاف القناع ٢/١٣٩.

٧) ٢٦٩-٢٧٠ ط: المؤسسة السعيدية - الرياض.

القبرِ. ونقل عن ابن القيم: يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أُسست على معصية الرسول.. قال: وحرم إسراج القبور وكذا طواف بهَا وجعل مسجد عليها وبينها وتتعين إزالته».

○ ونص السيوطي في حسن المحاضرة على أنه لما عزم الظاهر بيبرس على هدم ما في القرافة من البناء استشار العلماء فكتبوا اليه أنه يجب على ولي الأمر أن يهدم ذلك كله ولم يختلف في ذلك أحد منهم.

قال « فهذا إجماع من هؤلاء العلماء المتأخرين فكيف يجوز البناء فيها؟ فعلى هذا فكل من فعل هذا فقد خالفهم» (١).

○ وروى القاضي أبو يعلى عن أحمد بن حنبل أنه قيل له « قبر النبي ﷺ يُمَس ويُتَمسّح به؟ قال: ما أعرف هذا.

قيل له: فالمنبر؟ قال: نعم قد جاء فيه.

وقيل له: إن من أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون ويقومون ناحية فيسلمون.

قال: نعم، وهكذا كان ابن عمر يفعل».

○ علق القاضي قائلا « وهذه الرواية تدل على أنه ليس بسنة وضع اليد على القبر». وذكر القاضي بأن طريقة التقرب الى الله تقف على التوقيف، واحتج بقول عمر للحجر الأسود « ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك» (٢).

○ وذكر الحافظ ابن رجب في ترجمة أبي محمد التميمي أحد مشاهير علماء الحنابلة أن الخليفة المطيع لله آنذاك أنفذ بمال عظيم ليبني قبة على قبر أحمد بن حنبل. فقال له جدي وأبو بكر بن عبد العزيز: أليس تريد أن تتقرب الى الله تعالى بذلك؟ فقال: بلى. فقالا له: إن مذهبه أن لا يبنى عليه شيء. فقال: تصدقوا بالمال على من ترونه. فقالا له: بل تصدق به على من تريد أنت. فتصدق به» (٣).

وأما ما يروى عن أحمد من أنه كان لا يرى بأساً بتقبيل القبر النبوي. فهذه الروايات ليست من المتواتر القطعي الذي اشترطه الحبشي

---

١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/١٤١.

٢) كتاب الروايتين والوجهين ١/٢١٤-٢١٥.

٣) طبقات الحنابلة ٢/٢٥١ ط: دار المعرفة.

وأضرابه بل تحتاج الى التحقق من سندها مثلما هو الحال في الروايات النبوية. لأن الوضاعين لم يكذبوا على النبي ﷺ فحسب وانما كذبوا على الأئمة أيضاً.

- ثم إن الحافظ ابن حجر العسقلاني ذكر أن بعض أصحاب أحمد قد استبعدوا ذلك [1].

- وشكك ابن حجر الهيتمي في هذه الرواية عن أحمد أيضاً، وذكر أن بعض أصحاب أحمد استبعدوا ذلك. وقرينة ذلك ما رواه عنه الأثرم من أنه سئل عن جواز لمس قبر النبي ﷺ والتمسح به فقال: ما أعرف هذا[2].

قال: ويؤيد ذلك ما جاء في مغني الحنابلة: من أنه لا يستحب التمسح بحائط القبر ولا تقبيله» وجاء سبب هذا النهي في المغني « لأن فيه إفراطاً في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام ولأن الصلاة عند القبور أشبه بتعظيم الأصنام بالسجود ولأن ابتداء عبادة الاصنام كان في تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عندها» [3].
قال ابن حجر الهيتمي: **فتعارضت الروايتان عن أحمد**.

○ قلت: قال صاحب كشاف القناع الذي هو موضع احتجاج الأحباش « ويكره تقبيله والطواف به لأن ذلك كله من البدع والاستشفاء بالتربة من الأسقام، ويحرم إسراجها واتخاذ المساجد عليها لأنه يشبه تعظيم الأصنام» [4]. [5].

○ وفي الانصاف للمرداوي الحنبلي قال « قال أحمد: أهل العلم كانوا لا يمسونه» قال المرداوي: ولا يستحب التمسح بالقبر على

---

١) فتح الباري ٣/٤٧٥. وفاء الوفا ٤/١٤٠٤
٢) حاشية الهيتمي على شرح الايضاح في المناسك ٤٥٤.
٣) نفس المصدر والصفحة. وكلام صاحب المغني انما يفهم منه عدم الجواز لا مجرد الكراهة (المغني ٢/٥٠٧-٥٠٨ ط: مكتبة الرياض الحديثة ١٩٨١.
٤) كشاف القناع ٢/١٤٠-١٤١.
٥) ووجه الشبه أن مشركي الأمس رفعوا حجارة عند قبور أوليائهم جعلوها أوثاناً، وأما مشركو هذه الأمة فقد رفعوا حجارة على قبور أوليائهم وقبابهم بالرغم من نهي النبي الصريح عن ذلك: فمشركو الأمس رفعوا حجارة، ومشركو اليوم رفعوا حجارة لأوليائهم. ولا تنس أن النبي ﷺ وصف القبور المعظمة بالأوثان حين قال « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد».

الصحيح من المذهب»[1].

○ وجاء في (المبدع)[2] «ولا يتمسح بالقبر. وقيل يجوز، وقيل يكره لأن القُرَبَ تُتلقى من التوقيف ولم ترد به سنة وقال ابن عقيل: أبرأ الى الله تعالى منه».

وجاء في (المغني ٥٠٦/٢) «ويكره رفع القبر والبناء عليه وتجصيصه». وجاء النص بتحريم اتخاذ القبور مساجد في (شرح المنتهى ٣٥٣/١).

○ وفي كتاب الفروع[3] «يكره تقبيل القبور والطواف بها... ولا يكفيهم ذلك (أي العوام والجهال) حتى يقولوا للميت: بالسر الذي بينك وبين الله... وأي شيء من الله يسمى سراً بينه وبين خلقه... واستشفوا بالتربة من الأسقام: فهذا يقول جِمالي قد جربت. وهذا يقول: أرضي قد أجدبت. كأنهم يخاطبون حياً ويدعون إلهاً».

○ وصرح السمهودي بأن الشافعي ومالك وأحمد قد أنكروا وضع اليد على القبر أشد الإنكار.

وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى رجلا وضع يده على قبر النبي ﷺ فنهاه وقال: ما كنا نعرف هذا على عهد النبي ﷺ».

قال «وفي تحفة ابن عساكر: ليس من السنة أن يمس جدار القبر المقدس، ولا أن يقبله ولا يطوف به كما يفعله الجهال بل يكره ذلك ولا يجوز. قال: والوقوف من بُعد أقرب الى الاحترام.

وقال ابن جماعة في منسكه: ورأيت حاشيةً على كلام المجد بخط الحافظ جمال الدين بن خياط اليمني: ومما أحدث في دولة الملك الأشرف سُمِّرَت أبواب الدرابزين... قصدوا (أي العلماء) تنزيه المشهد الشريف عن كثرة اللامسين بالأيدي، فان كثيراً من جُهّال العرب وغيرهم يلصقون ظهورهم بصندوق القبر الشريف وجداره قاصدين بذلك التبرك: والخير كله في استعمال الأدب[4].

قال ابن جماعة: وقال السروجي الحنفي: لا يلصق بطنه بالجدار

---

١) الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٥٣/٤ ط: ابن تيمية - القاهرة.

٢) ٢٥٨/٣ و٢٨٤ ط: المكتب الاسلامي ١٩٨٠.

٣) الفروع ٢٧٤/٢.

٤) وفاء الوفاء ٦١٦/٢.

ولا يمسه بيده.

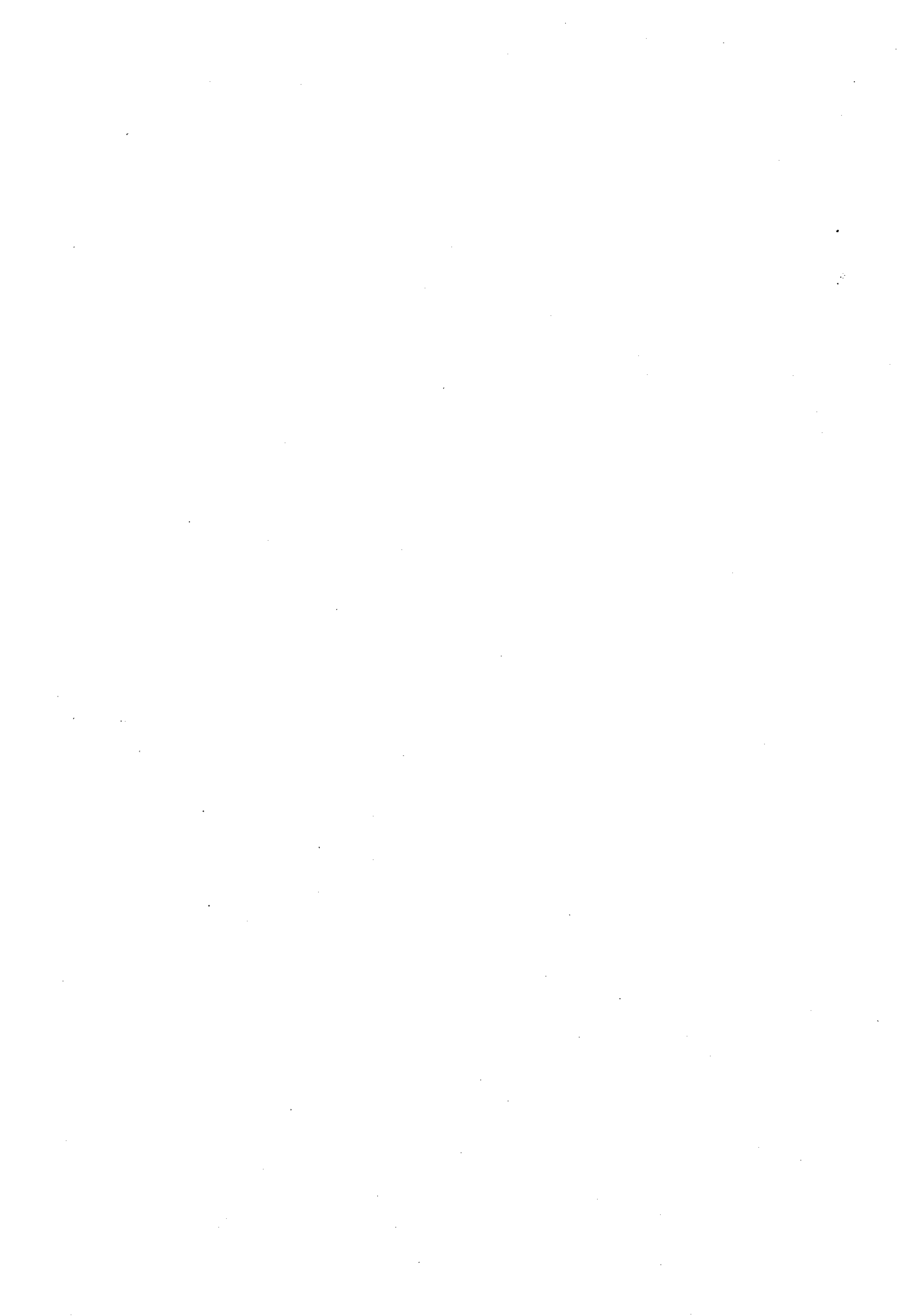
وقال الزعفراني في كتابه: وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تُنكَرُ شرعاً.

وحكى الجزيري في (الفقه على المذاهب الأربعة ٥٥٢/١) قول عامة أهل الفقه «ولا يطوف بالقبر ولا يقبل حجراً ولا عتبة ولا خشباً ولا يطلب من المزور شيئاً».

ومن الملاحظ إطناب مؤلفي الفقه في أبواب الردة من ذكر تفاصيل المكفرات، ما وقع منه وما لم يقع، وإعراضهم عن تفصيل المشرّكات [(١)]

---

١) العقد الثمين ١٨-١٩.



المالكية

قال الحافظ في الفتح « أما مالك فقد كان رحمه الله يكره أن يقول الرجل: زرت قبر النبي ﷺ». ونص عليه القرافي في الذخيرة [١].
وسئل عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ فقال مالك «إن كان أراد القبر فلا يأته، وإن أراد المسجد فليأته» ثم احتج بحديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاث» [٢].

وهذا أعظم دليل على أن مالكاً لم تصح عنده أحاديث الحث على زيارة قبر النبي ﷺ إذ لو صحت لما تجرأ أن يقول « أكره أن يقال زرت قبر النبي».

وقد اعترف الحبشي بقول مالك وعلله بأنه قال هذا القول تأدباً مع النبي ﷺ وحرّف تلميذه نبيل الشريف قول النبي « لا تجعلوا قبري عيداً» بمعنى لا تجعلوا زيارتكم لقبري مرة واحدة في السنة فتجعلوه عيداً ولكن زوروني دائماً».

وكأنه ﷺ بزعمهم يقول «إجعلوا قبري أعياداً كثيرة ولا تجعلوه عيداً واحداً فقط» وهذا قلب للحقائق وتلاعب بكلام النبي ﷺ:

ويبطل هذا التحريف ما قاله المرتضى الزبيدي إن سبب قول النبي ﷺ «لا تجعلوا قبري عيداً» هو قول النبي ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [٣]. فهذه حجة بالغة.

وقول النووي أن مالكاً كره لأهل المدينة [كلما دخل أحدهم المسجد وخرج] الوقوف عند قبر النبي ﷺ محتجاً بقول النبي ﷺ « اللهم لا تجعل قبري عيداً» [٤] فخذوه حيث مالك عليه نص.

وكيف يكون هذا التعليل صحيحاً وقد جاء في تتمة الحديث «وصلوا علي حيث كنتم»؟

---

١) فتح الباري ٦٦/٣ وانظر الذخيرة للقرافي ٣٧٥/٣ تحقيق محمد بو خبزة ط: دار الغرب الاسلامي.

٢) أنظر المدونة ٨٦/٢.

٣) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٤١٧/٤ بغية الطالب ٢٣٣.

٤) الايضاح ص ٤٦٤.

وكيف لم يفهم الصحابة هذا الذي فهمتموه؟

واذا فهموه فكيف لم يعملوا بهذه الوصية ولم يثبت عن الصحابة المداومة على التردد الى قبر النبي ﷺ. فقد روى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن أيوب عن نافع قال « كان ابن عمر اذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله.. قال معمر: ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك الا ابن عمر» (١).

وكيف يقول مالك « أكره أن يقول الرجل: زرت قبر النبي ﷺ» فيما حكاه عنه الحافظ في الفتح والقرافي، بل حكى النووي عنه أنه كان يكره الوقوف عند قبر النبي كلما دخل وخرج مستنبطاً ذلك من حديث يحتج به الأحباش «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد» (٢)؟

فإما أن يكون الصحابة ومالك مخطئين يكرهون التعرض لنفحات القبور وإما أن تكونوا قد حرفتم وبدلتم كلام النبي ﷺ بتأويلاتكم.

وفي الشفاء للقاضي عياض عن مالك قال « لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يسلم ويمضي» وروى ابن وهب عنه أنه قال « ويدنو ويسلم ولا يمس القبر» قال الشيخ ملا على القاري الحنفي معلقاً « لأن ذلك من عادة النصارى» (٣).

وقال ابن الحاج المالكي في كتابه المدخل « قال مالك في رواية ابن وهب: اذا سلم على النبي ﷺ ... لا يمس القبر بيده (٤). ووصف من يطوفون بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة ويتمسح به ويقبله بالجهال الذين لا علم عندهم وصرح بأن ذلك كله من البدع: « لأن التبرك انما يكون بالاتباع له ﷺ» (٥).

ونص القرافي في الذخيرة (٣/٣٨١) على أن التقبيل والاستلام خاصان بالكعبة.

---

١) مصنف عبد الرزاق حديث رقم (٦٧٢٤) تحقيق الاعظمي ط: منشورات المجلس العلمي.

٢) فتح الباري ٣/٦٦ الذخيرة للقرافي ٣/٣٧٥ تحقيق محمد بو خبزة ط: دار الغرب الاسلامي والايضاح للنووي ٤٦٤ ط: دار الحديث.

٣) شرح الشفا ٢/١٥٢.

٤) المدخل ١/٢٦١ ط: دار الفكر.

٥) المدخل ١/٢٥٦-٢٥٧.

وقال القاضي عياض [١] في الشفاء ما نصه « ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر: لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف طويلا عنده [٢]». انتهى مما نقله السمهودي. وقال نحوه الشهاب الخفاجي في نسيم الرياض واصفاً من يقبلون قبور الأولياء بالعوام [٣].

وصرح محمد ابن وضاح المالكي بأن مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة كانوا يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار بالمدينة ما عدا قباءً وأحداً. قال: لأن ذلك يشبه الصلاة عند المقابر، إذ هو ذريعة الى اتخاذها أعياداً والى التشبه بأهل الكتاب».

وقال العلامة زروق المالكي في شرح رسالة القيرواني « من البدع اتخاذ المساجد على قبور الصالحين ... والتمسح بالقبر عند الزيارة وهو من فعل النصارى وحمل تراب القبر تبركاً به: وكل ذلك ممنوع بل يحرم» [٤]. كذا قال في حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر سيدي خليل [٥].

وقال مالك « وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء، فقيل له إن أناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه إلا يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر فيسلمون ويدْعون ساعة. فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره ذلك الا لمن أتى من سفر أو أراده» [٦].

وقال ابن الحاج « ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي: ومن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا» [٧].

قال ابن الحاج المالكي « فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر

---

١) قال عنه السبكي في شفاء السقام (ص ١٥٥) "تاهيك به - يعني القاضي عياض - نبلا وجلالة وثقة وأمانة وعلماً مجمعاً عليه.

٢) وفاء الوفاء ١٤٠٢/٤-١٤٠٤.

٣) نسيم الرياض ٣٣٧/٣ ط: الأزهرية، مصر، ١٣٢٦.

٤) شرح رسالة القيرواني ٢٨٩/١ ط: الجمالية بمصر عام ١٣٣٢هـ.

٥) ٢١٩/٢ ط: دار الفكر ١٩٧٨.

٦) المدخل لابن الحاج ٢٦٢/١ والتمهيد للحافظ ابن عبد البر ١٠/٢٣.

٧) المدخل لابن الحاج ٢٦٢/١.

الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله وذلك كله من البدع لأن التبرك انما يكون بالاتباع له ﷺ. **وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام الا من هذا الباب.** ولأجل هذا كره علماؤنا التمسح بجدار الكعبة أو بجدار المسجد الى غير ذلك مما يتبرك به سداً لهذا الباب لأن صفة التعظيم موقوفة عليه ﷺ: فكل ما عظّمه رسول الله ﷺ نعظّمه ونتبعه.

فتعظيم المسجد: الصلاة فيه لا تقبيله والتمسح بجدرانه... وتعظيم الولي: اتباعه لا تقبيل يده وقدمه ولا التمسح به ... وقد قال عليه الصلاة والسلام « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [1].

وجاء في المدونة ما نصه « قال مالك: أكره تجصيص القبور والبناء عليها [2]. قال سحنون « فهذه آثار في تسويتها فكيف بمن يريد أن يبني عليها». وفي حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤٢٥/١) ما نصه « ويجب هدم القباب.. ويحرم البناء على القبر».

وبالجملة فقد نهى المالكية عن جملة من وسائل الشرك كتجصيص القبور ورفعها واتخاذها مساجد واستقبالها للدعاء والصلاة عليها وشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة [3].

قال القرطبي المالكي ما نصه « فاتخاذ المساجد على القبور ممنوع لا يجوز... قال علماؤنا - أي المالكية - يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد...» قال « وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً فذلك يُهدم ويُزال

---

١) المدخل لابن الحاج ٢٦٣/١.

٢) المدونة الكبرى ١٨٩/١ ط: دار صادر - لبنان.

٣) الكافي لابن عبد البر ٢٨٣/١ والتمهيد له ١٦٧/١-١٦٨ و٢٥/٥و٤٥ و٣٨٣/٦ تنوير المقالة ٣٩/٣-٤٠ الثمر الداني ٢٣٠-٢٣١ تفسير القرطبي ٣٧٩/١٠-٣٨٠ شرح موطأ مالك للزرقاني ٢٣٣/٤ وانظر ٢٢٤/١ شرح الزرقاني لمختصر خليل ٩٣/٣ التاج والاكليل لمختصر خليل ٤٩٨/١ على هامش مواهب الجليل المنتقى ٣٠٦/١-٣٠٧ و١٩٥/٧ مقدمة ابن رشد ١٧٤ وانظر التحرير والتنوير ٢٤٨/١٧ رسالة الشرك للميلي ص ٢٦٨ مختصر خليل ١٣٠/٣.

فإن فيه تشبهاً بمن كان يعظّم القبور ويعبدها. وهو حرام»[1].

○ وقال «التمسك بسد الذرائع وحمايتها وهو مذهب مالك وأصحابه ودل على هذا الأصل الكتاب والسنة» ثم ذكر حديث عائشة «أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا [لرسول الله ﷺ] كنيسة بالحبشة فيها تصاوير فقال رسول الله ﷺ «إن أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله».

○ قال «قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عز وجل عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم انهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصورة فعبدوها، فحذر النبي ﷺ من مثل ذلك وسدّ الذرائع المؤدية الى ذلك فقال «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد» وقال «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد»[2].

وفي هذا الحديث فوائد مهمة:

١) أن المشركين اتخذوا القبور أوثاناً وأن القبور كانت أصل فتنتهم.

٢) أن نبينا ﷺ أطلق صفة الوثن على القبور التي يدعوها الناس من دون الله. والوثن هو: اسم جامعٍ لكل ما عُبِد من دون الله، لا فرق بين الأشجار والأحجار». وقد علمتَ أن الدعاء عبادة كما أن الصلاة والزكاة عبادة.

٣) أن نبينا كان يخشى قبيل موته أن تدب وثنية القبور في أمته كما دبت في الأمم قبلها.

---

١) تفسير القرطبي المسمى جامع الأحكام ٢٤٧/١٠ تفسير سورة الكهف آية (٢١).

٢) الجامع لأحكام القرآن ٤١/٢.

موقف أهل البيت من هذا التبرك

روى عبد الرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة أن علي بن الحسين رضي الله عنه رأى رجلا يأتي فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: « ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي - يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وسلموا علي فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم» قال السخاوي « وهو حديث حسن» [1].

فتوى معاصرة لعلماء المدينة المنورة

وقد صدرت فتوى لعلماء المدينة المنورة نشرت في جريدة أم القرى (عدد ٦٩ تاريخ ١٧ شوال ١٣٤٤هـ) ومما جاء فيها:

« وأما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً لصحة الأحاديث الواردة في منعه، ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه مستندين على ذلك بحديث علي رضي الله أنه قال لأبي الهياج الأسدي « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا الا طمسته، ولا قبراً مشرفاً الا سويته»... وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها والتقرب لهم بالذبح والنذر ودعاء أهلها مع الله فهو حرام ممنوع شرعاً لا يجوز فعله أصلا. وأما التوجه الى حجرة النبي ﷺ عند الدعاء فالأولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب، ولأن أفضل الجهات جهة القبلة، وأما الطواف بها والتمسح وتقبيلها فهو ممنوع مطلقاً» انتهت فتوى علماء أهل المدينة المنورة.

وهذه الفتوى وجدت معارضة من قبل الروافض وبالتحديد من صدر الدين الكاظمي فكتب رسالة بعنوان « رسالة الرد على فتاوى الوهابيين».

---

١) قاله في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص ٢٢٨ ط: مكتبة المؤيد. وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢/٣-٢٨٩ وانظر مصنف عبد الرزاق رقم (٦٦٩٤) ومصنف ابن أبي شيبة ٢/٣٧٥.

بين أهل العلم وأهل الجهل

○ تأمل قول ابن حجر الهيتمي في رده على السبكي بأن « القول بالكراهة التنزيهية [في مس القبر] غير صحيح إذ لا يُظَنُّ بالعلماء تجويز فعلٍ تواتر عن النبي ﷺ لعنُ فاعله» (الزواجر ٢٤٦/١).

○ وتأمل قول السبكي نفسه أن مس القبر انما هو من عمل الجهال (شفاء السقام ١٣٠).

○ وتأمل حكاية النووي اجماع العلماء على عدم مس قبر النبي ﷺ حتى قال (هذا ما قاله العلماء وأطبقوا عليه). وقال « والعمل إنما يكون بأقوال العلماء، ولا يُلتفت الى محدثات العوام وجهالاتهم» (الايضاح ١٦١ و٤٥٣ المجموع ٣٧٥/٨).

○ وتأمل قول ابن الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي ﷺ يقومون من ناحية فيسلّمون» (المغني ٥٥٩/٣).

○ وتأمل قول أحمد: « أهل العلم كانوا لا يمسونه» (الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٥٣/٤).

وتأمل قول مالك حين سئل عن كثرة إتيان قبره ﷺ والوقوف عنده ساعة للدعاء « لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا أنهم كانوا يفعلون ذلك» (المدخل لابن الحاج ١٦٢/١).

ففي أي جانب تضع الحبشي الذي يدعونا الى تقبيل قبور الأنبياء والصالحين ولمسها وسؤالهم من دون الله حتى زعم أنهم يخرجون من قبورهم ليجيبوا المضطر اذا دعاهم ويكشفوا السوء: ثم بعد ذلك تدعون أن هذا من عقيدة الفرقة الناجية؟ لا شك أنك تضعه في جانب جهال العوام، بل في جانب الروافض الباطنيين. بل لا يجد هؤلاء لهم موافقاً الا من كان رافضياً أو صوفياً.

سقوط احتجاجهم بابن تيمية

وقد عمد أحد مدلسي الأحباش الى الاحتجاج بما قاله ابن تيمية « فقد رخّص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي ﷺ ويده» وهنا يقف المدلس ولا يكمل الفقرة « ولم يرخص في التمسح بقبره...» الى أن قال « وكره مالك التمسح بالمنبر كما كرهوا التمسح بالقبر. فأما اليوم فقد احترق المنبر وما بقيت الرمانة.. فقد زال ما رخص فيه» (١).

فلم يعرِّج علي آخر الكلام ولا على أوله حيث قيل لأحمد « قبر النبي ﷺ يُمس ويتمسح به؟ فقال: ما أعرف هذا. قلت له: فالمنبر؟ فقال: أما المنبر فنعم. قد جاء فيه... قلت له: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية فيسلمون. فقال أحمد: نعم. وهكذا كان ابن عمر يفعل» (٢).

فانظر الى هؤلاء الذين يمسخون النصوص ويقتطعون منها ما يوافق أهواءهم، ما أكثر كذبهم وتدليسهم على عوام الناس.

فقول أحمد يرد ما رواه الفروي عن عبيد الله عن ابن عمر أنه كان يضع يده على القبر. فقد خالف فيها الفروي من هو أوثق منه وهو أبو أسامة. قال الذهبي في ترجمة الفروي « قال النسائي: ليس بثقة. وقال الدراقطني ضعيف. وقال مُرّه: مضطرب. ووهّاه أبو داود جداً. وقال العقيلي: جاء عن مالك بأحاديث لا يتابع عليها. وقال البخاري في التاريخ الكبير: تركوه. ونهى ابن حنبل عن حديثه» (٣).

قال يحيى بن معين: حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ. رواه أبو الحسن علي بن عمر القزويني في أماليه والحافظ الذهبي أن ابن عمر كان يكره مس قبر النبي ﷺ (٤).

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم ٧١٩/٢ - ٧٢٠

٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٧١٩/٢ كتاب الروايتين والوجهين للقاضي أبي يعلى ٢١٤/١- ٢١٥.

٣) ميزان الاعتدال ١٩٨/١ تهذيب التهذيب ٢٤٨/١.

٤) قال الشيخ شعيب الارناؤوط « رجاله ثقات» (سير اعلام النبلاء ٣٧٣/١٢).

○ وأما ما رواه اسماعيل التيمي عن محمد بن المنكدر أنه كان يصيبه الصمات فكان يقوم بوضع خده على قبر النبي ﷺ فعوتب في ذلك فقال: انه يستشفي بقبر النبي ﷺ» فهذا الأثر آفته اسماعيل بن يعقوب التيمي. قال الحافظ « ضعفه أبو حاتم وله حكاية منكرة عن مالك ساقها الخطيب» [١].

وأما الاحتجاج بأقوال ابن خلكان وتقريراته للتبرك بالقبور فليس من علامات طلب الحق أن نترك ما قاله كبار أئمة الأمة كلهم ونتمسك بمؤرخ لم يتميز عليهم بعلم ولا حفظ. بل قد رد عليه ابن كثير قائلا « وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور» [٢].

وكذلك احتجاج الأحباش بقول أحمد بن يحيى المرتضى الزيدي الشيعي صاحب كتاب البحر الزخار « لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء» ويخفون عن الناس أنه زيدي والزيدية فرقة من فرق الشيعة. **ومن مهمة الأحباش تقديم التشيع الى طائفة السنة على طبق سني وهي مهمة ماكرة: فضحهم الله تعالى.**

ومن عادة الأحباش الاحتيال على الناس ومن ذلك إخفاؤهم مذهب مؤلف الكتاب الشيعي. هل ضاقت بكم كتب ومذاهب الائمة السنيين حتى طفقتم تحتجون علينا بكتب الروافض؟

وأما ما روي عن النبي ﷺ أنه قال « اسقوني هذا الذي يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدي المسلمين». فقد قال الحافظ زين الدين العراقي «ضعيف» [٣].

○ وزعم أحدهم (جمال صقر) بتناقض ابن تيمية لأنه يحكم على التبرك بقبور الأنبياء والأولياء بالشرك في حين يذكر ابن كثير أنه لما مات ابن تيمية ألقى الناس على النعش مناديلهم وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله وختمت له ختمات كثيرة وتردد الناس الى قبره ليلا ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون». ثم قال « فانظروا كيف رد ابن كثير على الوهابية من حيث لا يشعرون مع أنهم يعتبرونه واحداً منهم».

الجواب: أن ابن تيمية ليس مسؤولا عما يفعله عامة الناس بعد

---

١) لسان الميزان ٤٩٦/١ ترجمة رقم (١٣٨٥) ميزان الاعتدال ٢٥٤/١.
٢) البداية والنهاية ٢٨٧/١٢.
٣) إحياء علوم الدين ٢٢٥/٢.

موته فالناس خالفوا تعاليم أنبيائهم لا تعاليم ابن تيمية فقط. ثم ان ابن كثير مؤرخ يروي ما حدث وهذا لا يعني بالضرورة قبوله ما فعلوه. وانما أوضح ابن كثير عقيدته من التبرك بالقبور حين تعقب ابن خلكان الذي قال في ترجمة الخضر بن نصر « قبره يزار، وقد زرته غير مرة ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبركون به» فقال ابن كثير متعقباً « وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور» [1].

* شبهة [2]: واحتجوا بقوله تعالى ﴿**وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى**﴾. قالوا: دلت الآية على مشروعية التوسل بآثار الأنبياء.

الجواب: أن الآية دلت على أنهم أنكروا ملك طالوت لأنه ليس من سلالة الملوك، فقال لهم نبيهم إن صحة ملكه أن يأتيكم التابوت تسكنون لصحة كونه آية، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تستدلون بهذه البقية على الصحة أيضاً. فكان التابوت علامة على صحة ملك طالوت وليس تشريعا من الله بجواز التوسل بآثار الأنبياء. وقد عرض ابن جرير الأقوال في الآية ثم قال « وأولى الأقوال بالحق في معنى السكينة ما قاله عطاء بن أبي رباح من الشيء تسكن اليه النفوس من الآيات التي يعرفونها.

○ أن هذا فهم فيه افتراء على الصحابة وطعن في فهمهم لكتاب الله، فلماذا لم يفهم الصحابة من الآية ما فهمتم؟ فإنهم أخذوا تفسير القرآن عن نبيهم ﷺ، ومع ذلك لم يكونوا يبعثون شيئاً من آثاره ﷺ مع الجيش ليحصل لهم النصر به، وكانت آثاره من ثيابه وسيفه ما زالت بينهم. فإنه لا يوجد أثر صحيح صريح يحكي حمل الصحابة شيئا من آثار أنبيائهم في حروبهم يتوسلون به الى ربهم. وهُم أعرف بدين الله وأحرص على تطبيق آياته.

وأين هذا من قول عمر بن الخطاب « إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار نبيهم فيتخذونها كنائس وبيعاً». ورأى قوماً يتناوبون مكاناً يصلّون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا مكانٌ صلى فيه رسول الله، قال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان

---

1) البداية والنهاية ١٢/٢٨٧.

2) اقتضت الضرورة تكرار هذه الفقرة وقد تقدمت في باب التوسل.

قبلكم بهذا. من أدركته فيه الصلاة فليصلّ وإلا فليمض»[1]، وبلغه أن أناساً يأتون الشجرة التي بويع عندها النبي ﷺ فأمر بها فقُطعَتْ»[2].

ونحن اذا اختلفنا في نص عدنا الى فهم الصحابة له وعملهم به.

وعلى افتراض أن القصة تعني ما زعم هؤلاء فأين يجزمون أن شرع من قبلنا شرع لنا؟ وكيف يكون شرعاً لنا وقد جاء في شرعنا ما يخالفه، فلم يكن الاستنصار بالآثار من هدي نبينا ﷺ ولا سلفنا الصالح. بل صرح عمر رضي الله عنه أن بني اسرائيل إنما هلكوا بسبب تتبعهم لآثار أنبيائهم.

سقوط احتجاجهم بابن عمر

واما احتجاج الحبشي بأن ابن عمر كان يتحرى الأماكن التي كان يصلي فيها النبي ﷺ[3].

فالجواب:

أن ابن عمر ما كان يطلب البركة بفعله هذا وانما كان يطلب مجرد المتابعة بكل ما فعله النبي ﷺ في جميع أحواله، حتى قيل إنه كان يدخل الماء في عيونه أثناء الوضوء وحتى انه أراد الصلاة في كل مكان صلى فيه رسول الله ﷺ، وما كان يلمس الأماكن التي كان يعلم أن النبي ﷺ وقف أو جلس عندها. ودليل ذلك:

○ ان ابن عمر كان ينهى عن مس قبر النبي ﷺ كما رواه الحافظ الذهبي[4].

○ أن فهمهم لفعل ابن عمر على أنه من باب التبرك يلزم منه أن الصحابة كانوا يتبركون بالأماكن والآثار الأرضية التي كان يصلي فيها

---

1) أخرجه ابن وضاح القرطبي في كتاب البدع والنهي عنها ٤١ واللفظ له وابن أبي شيبة في المصنف ٣٧٦/٢ وقال الألباني "رواه سعيد بن منصور في سننه وابن وضاح بإسناد صحيح على شرط الشيخين، أنظر تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص ٤٩ ووفاء الوفا للسمهودي ١٤١٢/٤.

2) قال الحافظ في الفتح (٤٤٨/٧) "إسناده صحيح".

3) المقالات السنية ١٣٤.

4) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط " رجاله ثقات" (سير اعلام النبلاء ٣٧٣/١٢).

رسول الله ﷺ أو يقعد عليها، وهذا ما لا يمكن الاتيان عليه بدليل ثابت من أقوال أصحاب النبي ﷺ أو أفعالهم بل يرد ذلك ما ثبت سنده عن عمر أنه قد هلكت الأمم الماضية بتتبع آثار أنبيائها.

○ أن ما فعله ابن عمر لم يكن يفعله جماهير الصحابة بل والخلفاء الراشدون وهم مصيبون في مخالفتهم له. بل لم يوافق عليه أبوه عمر رضي الله عنه حين رأى قوماً يتناوبون مكاناً يصلّون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا مكانٌ صلى فيه رسول الله. قال:أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا. من أدركته فيه الصلاة فليصلّ وإلا فليمض». وحين بلغه أن أناساً يأتون الشجرة التي بويع عندها النبي ﷺ أمَر بها فقُطِعَتْ» [١].

وأن ما فعله عمر وأقره الصحابة عليه هو الصواب لا سيما وهو الخليفة الراشد الذي أمرنا رسول الله ﷺ باتباعه فقال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي».

ولعلك تسأل هذا الحبشي: متى كان فعل الصحابي حجة عندهم اذا فعل شيئاً انفرد به عن باقي الصحابة؟ فإن جماهير الصحابة موافقون لفعل عمر رضي الله عنه. فقول الصحابي اذا خالفه نظيره ليس بحجة: فكيف اذا انفرد به عن جماهير الصحابة وعن خليفتهم الذي هو أبوه!!! ولو كان هذا العمل مستحباً لسبقونا اليه.

فهؤلاء تظاهروا بتعظيم رسول الله ﷺ بالأقوال وخالفوا أمره بالأفعال وخالفوا طريقة أصحابه الكرام، ومهما دافعوا عن بدعهم وانحرافاتهم بالأدلة الضعيفة السند فإنهم مخالفون لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

فلم يثبت عن الصحابة احتفالهم بمولد نبيهم ﷺ ولا أقاموا الحفلات أو ضربوا الدفوف والطبول بمناسبة مولده ولا كانت لهم طرق صوفية وانما كانت طريقتهم الوحيدة سنة نبيهم ﷺ ولا كانوا يدافعون عن البدعة السيئة، والله لن ينجو هؤلاء الا أن يتمسكوا بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

---

١) تقدم تخريجهما وانظر قول الحافظ في الفتح (٧/٤٤٨) إسناده صحيح.

ورحم الله الحافظ الحكمي إذ قال:

ومن على القبر سراجاً أوقدا — أو ابتنى على الضريح مسجداً
فانه مجـــدد جهـــــارا — لسـنن اليهود والنصـــارى
كم حذر المختار عن ذا ولعن — فاعلـه كما روى أهل السـنن
بل قد نهى عن ارتفاع القبــر — وأن يزاد فيـه فــوق الشبــر
وكل قبر مشــرف فقد أمــر — بأن يُسوّى: هكذا صح الخبر
وحـذر الأمــة عـن إطرائـه — فغـرهم ابليــس باستجـرائه
فخـــالفوه جهرة وارتكبــوا — ما قد نهى عنه ولم يجـتنبـوا
فانظـر اليهم قد غلــوا وزادوا — ورفعـوا بناءها وشـــادوا
وللقنـــاديل عليـها أوقـــدوا — وكم لـــواء فوقها قد عقـدوا
والتمسوا الحاجات من موتاهم — واتخذوا الهـهـم هـــواهم
قد صادهم ابليس في فخـاخه — بل بعضهم صار من أفراخـه
فليت شعري: من أبــاح ذلــك — وأورط الأمـة في المهـــالك
فياشديد الطـول والإنعـــام — اليك نشكوا محنة الاســـلام



البدعة في الدين

الزيادة في الدين قبيحة لأنها تعديل أو استدراك على الله ورسوله ﷺ. وانتقاضٌ لصريح قوله تعالى ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**﴾ [المائدة٣] فالدين قد كمل والنعمة تمت، فصارت الزيادة في دين الله كالنقص منه.

فاذا كان الله أكمل الدين وأتم النعمة ﴿**أكملت**﴾ و ﴿**أتممت**﴾ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله من بعده؟

وليست كل زيادة على الخير تكون خيراً، فما حكم الزيادة على الوضوء، كأن يتعمد المتوضيء جعل غسل الأعضاء خمساً هل هذا خير أم شر؟ قال النبي ﷺ « هكذا الوضوء. فمن زاد على هذا فقد أساء وظلم وتعدى» (رواه أبو داود بسند صحيح).

ولقد قال نبيل الشريف الحبشي « اذا رفعتَ من الركوع فقل (ربنا لك الحمد) ولا تقل (ربنا ولك الحمد والشكر) لأن لفظ (والشكر) لم يرد في السنة هذه الزيادة»[1]. وهذا ما نقوله لكم.

ولقد زعم الأحباش أن شيخهم كان شديداً على أهل البدع، وكان الأحرى بهم أن يقولوا «كان شديداً على المنكرين على البدع» لأنه في مؤلفاته وأشرطته يحتج في جواز الابتداع بتنقيط المصاحف وعمل الموالد وزيادة صيغة الصلاة على النبي ﷺ ويحارب من يدعو للاقتصار على اتباع السنة والكف عن ابتداع أي شيء في الدين ولو استحسنه الناس. وقد لاحظت أن هذا مدار خطبه ومحاضراته كلها حتى ولو خاطب النصارى فانه لا يتحدث عن شيء آخر سوى مبررات البدع والزيادات في الدين.

ونسأل: هل هذه البدعة من أمور الدين؟ إن كانت كذلك فهو دليل على أن القوم يرون أن الدين لم يكمل! وهذا ضرب للآية وردّ لها، وإن لم يكن من الدين فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟

فاحفظ هذه القاعدة «العبادات مبناها على الاتباع لا على الهوى والابتداع».

---

1) من سلسلة أشرطة مجالس الهدى ٩/ ٩٠٩ إصدار جمعية المشاريع.

قال رسول الله ﷺ « ما تركت شيئا مما أمركم الله به الا وقد أمرتكم به، ولا شيئا مما نهاكم عنه الا وقد نهيتكم عنه» [١].

- وقال « إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على ما يعلمه خيراً لهم، وينذرهم ما يعلمه شرّاً لهم» [٢].

- وقال « مَن أحدث في أمرنا [٣] ما ليس منه فهو رد» [٤] وفي رواية «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» [٥] أي مردود على صاحبه ليس ذلك فحسب، بل يعاقب عليه. بل ويصرفه الله عن التوبة كما يَصرفُ المنافقين عن الجهاد ويثبّطهم.

وكان أحمد يقول «الداعية الى البدعة لا توبة له، فأما من ليس بداعية فتوبته مقبولة»[٦].

فإن أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب، وما ينفثونه من شبهات البدع التي يغرون بها العوام أضر عليهم من إغرائهم بالمعاصي. فإن المعصية مخالفة للشريعة بينما البدعة إضافة في الشريعة وتعديل فيها. واذا اشتغلت القلوب بالبدع: أعرضت عن السنن. ولذا قال سفيان الثوري « البدعة أحب الى ابليس من المعصية: المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها» [٧]. وقال الحافظ ابن رجب « فلهذا تغلظت عقوبة المبتدع على عقوبة العاصي، لأن المبتدع مفتر على الله مخالف لأمر رسول الله لأجل هواه» [٨].

قال الشاطبي في تعريف البدعة بأنها « عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد في السلوك عليها المبالغة في التعبد»[٩].

---

١) أخرجه الشافعي في الرسالة ٨٧ و٩٣ والأم ٧/ ٢٨٩و ٢٩٩ والبيهقي ٧/٧٦ والبغدادي في الفقيه والمتفقه ١/٩٣ بسند حسن.

٢) مسلم (١٨٤٤).

٣) أي في ديننا هذا.

٤) متفق عليه.

٥) أخرجه مسلم. وقوله (في أمرنا) أي في ديننا وليس ابتداع السيارات ولا المدارس بدعة في الدين وانما هي محدثات دنيوية ووسيلة لتحقيق مطلب شرعي في الدين. والناس أعلم بأمور دنياهم.

٦) طبقات الحنابلة ٢/٣٠٥.

٧) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة ١/١٣٢ وذكره ابن الجوزي في تلبيس ابليس ١٣.

٨) الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٤٠.

إقامة الحجة من كلام الأشعري

فيا من زعمت أنك تقتفي أثر الأشعري إسمع كلام الأشعري:
« **ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها** » [1]. وأوصى الأحباش بما يلي « قال العلماء: إتبِع ولا تبتدع حتى في القول» [2]..

وبناء على قولكم (إتبع ولا تبتدع) نسألكم: هل أذن الله بالموالد؟ هل أذن بالصلاة على نبيه بعد الأذان؟ فإذا لم يأذن فأنت مخالف لمنهج من تزعم أنك تنتسب الى مذهبه. وبما أن الأحباش لم يجدوا دليلا على ذلك لجأوا الى القول بأن « الجهر بالصلاة على النبي عقب الأذان توارد عليه المسلمون منذ قرون فاعتبره العلماء بدعة مستحبة» [3]. فالتوارد على العمل صار مبررا لتشريع ما لم يأذن به الله. فهذا اعتراف منهم بأن الزيادة لم يعرفها رسول الله ولا صحابته.

ثم ان النبي ﷺ قال « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي» مما يؤكد أن الصلاة لغير المؤذن. والا فما معنى قوله « فقولوا مثلما يقول ثم صلوا علي» لو كانت الصيغة مما يقوله المؤذن لما كان حاجة للنبي أن يقول ثم صلوا علي ولوجب عليهم أن يقولوا مثلما يقول..

ثم لجأ الحبشي الى اعتساف النصوص على عادته فقال: الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان مستحبة بدليل قوله تعالى ﴿**وافعلوا الخير**﴾ [4].
فنعْمَ الدليلُ ولكن: بئس الاستدلال.
○ فقد قال تعالى ﴿**وافعلوا الخير**﴾ ولم يقل (وافعلوا البدع) وكيف تدخل البدع في مسمى الخير وقد وصفها رسول الله ﷺ بأنها ضلالة؟! ولست أعتقد أنكم ترضون عمن يأتي بثلاث سجدات في الركعة الواحدة محتجاً بأن هذا من فعل الخير وأن الله أمرنا أن نفعل الخير.

---

٩) الاعتصام للشاطبي ٣٧ تحقيق الشيخ سليم الهلالي.
١) تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر ١٦١.
٢) منار «الهدى» ١٣/٢٥.
٣) منار « الهدى ٢٥/٢٩.
٤) صريح البيان ١٨٥ ط: مجلدة وانظر مجلة منار الهدى ٢٥/٢٩ المقالات السنية ١٨٦ ط: جديدة.

وأنتم لستم أسرع ولا أحرص على فعل الخير من أصحاب رسول الله ﷺ ولم يفهموا من هذه الآية ما تفهمونه ولو كان خيراً لسبقونا اليه. فلا هم ولا التابعون فعلوا هذه الموالد التي تجعلونها من فعل الخير. فإما أن تكونوا أهدى منهم أو أنكم شاققتم الرسول واتبعتم غير سبيل المؤمنين. وقد قال أحد أئمة الأشاعرة:

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف[1]

فاتباع السنة هو فعل الخير. والابتداع فعل الشر. فقراءة الفاتحة أثناء الركوع ليست من أفعال الخير. والأذان للعيدين أو لصلاة الاستسقاء أو لصلاة الجنازة بدعة مع أن الأذان في أصله مشروع.

ولا بد لفعل الخير أن يكون مقيداً بموافقة السنة. وإلا صار شرا في صورة خير، وحقا أريد به باطل.

○ أن هذا عين ما يستدل به الشيعة على زيادتهم في الأذان (حي على خير العمل) ويحتجون على المنكر عليهم بقول النبي ﷺ « واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة» ثم يقولون: فلهذا زدناها في الأذان؟

والزيادة لا حدود لها. فقد زعم سليم علوان [2] أن صلاح الدين الأيوبي أمر المؤذنين أن ينادوا قبل الابتداء بالأذان (الله موجود بلا مكان). فتأمل!

قد يبرر المبتدع بدعة من بدع الصلوات أو غيرها بأنه يعمل عملا خيراً يتقرب به الى الله فكيف يكون شراً وهو صلاة أو ذكر؟ والجواب أن هذا تشريع لما لم يشرعه الله فهو شر يعاقب عليه وإن كان في صورة موافقة للشرع.

ولقد رأى سعيد بن المسيّب رجلا يصلي بعد الفجر أكثر من ركعتين يُكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه فقال الرجل: يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟ فقال لا ولكن يعذبك على خلاف السنة» [3].

---

١) جوهرة التوحيد للقاني.

٢) شريط سليم علوان ٣٨٢/١.

٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٤٦٦/٢ والخطيب في الفقيه والمتفقه ١٤٧/١ والدارمي ١١٦/١ بسند صحيح.

وإنما تمكن أهل البدع من التلبيس على العامة لأن كل بدعة تشتمل على حق وباطل. فمحبة النبي ﷺ حق، والاحتفال بمولده باطل لم يأمر به ولم يفعله صحابته.

وبهذا يتضح لك ما عليه الأحباش من التلبيس والظلم فقد جاء في مجلتهم تحت عنوان (احذروا الوهابية) « إن الوهابيين يكرهون حتى كلمة (لا اله الا الله) يحاربونها: هم ضد كلمة «وحدوا الله» [١].
لأن « الوهابية» يمنعون العامة من عادة تعارفوا عليها وهي أن يقولوا (وحدوا الله) أثناء مواكبة الجنازة.

فهذا المنع ليس كراهية لتوحيد الله كما أن مالكا كره أن يجتمع قوم لقرءاة القرآن وقال « هذا مكروه ومنكر لا يعجبنا، لم يكن هذا من عمل الناس» وكما اعتبر أبو شامة رفع الناس أيديهم عند دعاء خطيب الجمعة بدعة قديمة، وأن قراءة القرآن بالألحان على الجنائز من البدع[٢].

وعن نافع أن رجلا عطس الى جنب ابن عمر رضي الله عنهما فقال: الحمد لله والسلام على رسوله. فقال ابن عمر: « وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، وليس هكذا علّمنا رسول الله ﷺ، علّمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال» [٣].

- وقال ﷺ « قد تركتكم على [المحجة] البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك. ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» [٤]. و(كل) عند أهل العربية من ألفاظ العموم.
وهذا الحديث لم يفرّق بين بدعة وأخرى. والنكرة اذا أضيفت أفادت العموم، والعموم لا يُخَصّ الا بالاستثناء: وأين الاستثناء هنا؟

---

١) منار الهدى ٢٩/٦١.
٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ١٢٦ و١٣٨-١٤٣.
٣) رواه الترمذي (٢٧٣٨) والحاكم ٤/٢٦٥ والمزي في تهذيب الكمال ٦/٥٥٣ بسند حسن.
٤) رواه اللالكائي ١:٢٢ وابن ماجه (٤٣) والحاكم ١/٩٦ وأحمد٤/١٢٦ قال الألباني اسناده صحيح (سلسلة رقم ٩٣٧).

هذا ما فهمه الصحابة ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة» [1].

- ونتساءل لماذا غفل الصحابة والتابعون عن استحسان هذه البدعة التي رآها الفاطميون المتأخرون ونشروها رغماً عن أنوف المسلمين، وكيف يحرص أفراخ الفاطميين على تكريم رسول الله ﷺ بعمل الموالد له بما لم يخطر ببال السلف!

فإما أن يكونوا أهدى من أصحاب النبي ﷺ سبيلا وهم ما تركوا خصلة من خصال الخير الا بادروا اليها.

وإما أنهم ضالون متبعون غير سبيلهم.

---

١) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (رقم ١٢٦) والبيهقي في المدخل الى السنة (١٩١) بسند صحيح والسيوطي في صون المنطق والكلام ٤٣ وأبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث ٢١.

البدع كلها مذمومة

فقوله « كل بدعة ضلالة» دليل على الذم المطلق للبدعة في الدين.

قال الشاطبي «إن كل بدعة وإن قلّتْ: تشريعٌ زائد، أو تغييرٌ للأصل الصحيح... ثم إن المبتدع قد نزّل نفسه منزلة المضاهي، لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سننها، وصار هو المتفرد بذلك... وهذا الذي ابتدع في دين الله قد صيّر نفسه نظيراً مضاهياً للشارع، حيث شرّع مع الشارع» [(١)].

○ أن احداث بدعة يؤدي الى اهمال سنة ففي الخبر «ما أحدث قوم بدعة الا رُفع مثلها من السنة، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة» قال الحافظ في الفتح «أخرجه أحمد في المسند بسند جيد» [(٢)].

قال حسان بن عطية « مابتدع قوم بدعة في دينهم الا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها اليهم الى يوم القيامة» [(٣)]. بل يسلبه الله الورع. قال الأوزاعي « ما ابتدع رجل بدعة الا سُلِب الورع» [(٤)].

○ أن تحسين البدع وتقسيمها الى بدعة هدى حسنة وبدعة ضلالة سيئة إنما هو فتح باب من الإفساد على عامة المسلمين. إذ بإمكاننا أن نُفهِمَهم أن البدعة تنقسم الى قسمين وأنها ليست دائماً ضلالة: غير أننا لن نستطيع بعد ذلك أن نقدم لهم ضابطاً أو قانوناً يميزون به بين بدعة الهدى وبدعة الضلالة ولا أن نعطيهم جدولا شاملا ومفصلا بكل نوع من أنواع القسمين، فنفتح لهم باباً من الشر ثم نتركهم للشيطان يخلو بهم ويزين لهم أصناف البدع بعد أن فتحنا لهم باب الهوى على مصراعيه.

وماذا يضر العوام في دينهم أن يفهموا أن كل ما لم ترد به الشريعة يعتبر بدعة حتى يأتي في مشروعيته نص من كتاب الله أو سنة رسوله الصحيحة؟ هل هذا ضلالة يجب على المشاغبين المتعالمين تحذير الناس منها؟!

---

١) الاعتصام ٦١/١ وما بعدها: تحقيق رشيد رضا.

٢) فتح الباري ٢٥٣/١٣ وضعفه الألباني في المشكاة (١٨٧) واذا كان كل ما ينص على صحته الحافظ يكون صحيحاً يصير تضعيفكم للحديث مناقضا لقاعدتكم (وخذه حيث حافظ عليه نص).

٣) رواه الدارمي ٤٥:١ باسناد صحيح.

٤) سير أعلام النبلاء ١٢٥/٧.

○ أنه لا يسوغ تحسين شيء من البدع أو تقسيمها الى حسنة وسيئة بعد أن جعلها الرسول ﷺ سيئة، ولم يرد ذكر البدعة في الشرع الا على مورد الذم. ولو شاء لقسم البدعة الى بدعة هدى وبدعة ضلالة كتقسيمه للسنة الى سنة حسنة وسنة سيئة [١].

وكيف يفهم عاقلٌ بعد قوله ﷺ «**كل بدعة ضلالة**» أن منها ما هو «بدعة هدى»؟ بل منها ما هو بدعة واجبة كماً قال ابن عابدين « قد تكون البدعة واجبة»[٢].

البدعة وردت شرعا على مورد الذم

ولم يَرد ذكر البدعة على لسان نبينا ﷺ إلا على مورد الذم:
قال الَحافظ ابن حجر رحمه الله « البدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فان كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودا أو مذموما » [٣]. وأن المعنى الشرعي للبدعة يختص بما هو مذموم فقط[٤]. ومثله قال السبكي كما حكاه عنه الزبيدي[٥].

وقرينة الحال تؤكد أن تداول لفظ مبتدع يستعمل للنقد والطعن. هذا هو الأصل. فلا يوصف رجل بأنه مبتدع الا والمقصود منه ذمه وتجريحه، واذا وصف جماعة بأنهم أهل البدع وفرق البدَع فإنه يتبادر الى الذهن الذم، ولم نعهد رجلا يوصف بالمبتدع ثم يقول: أي البدعة تريدون هل تقصدون السيئة أم الحسنة! بل يتبادر اليه السيئة لعلمه بأنها لفظ يستعمل للذم لا للمدح.

ولهذا اذا ترجم الأحباش لشيخهم قالوا « كان شديداً على أهل البدع» فهذا يدل على أنهم اذا أطلقوا لفظ البدعة يريدون به البدعة المذمومة.

---

١) سيأتي الرد على استدلالهم بتقسيم السنة.
٢) رد المحتار ٣٧٦/١.
٣) فتح الباري ٢٥٢/١٣ ـ ٢٥٤.
٤) فتح الباري ٢٧٨:١٣.
٥) اتحاف السادة المتقين ٤٢١/٣.

○ أن من المشايخ من إذا ارتقى المنبر بدأ خطبته بالمقدمة المعروفة « **وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**». فاذا نزل عن المنبر قال للمنكرين على البدعة « ليست كل بدعة ضلالة وانما البدعة تنقسم الى بدعة حسنة وبدعة ضلالة». فتارة يستدل بشمول (كل) وتارة يستنكره.

وقد فهم السلف الصالح من كلامه ﷺ ذم البدعة مطلقا، فقد:

- قال عبد الله بن عمر «كل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة»[1].

- وقال عبد الله بن مسعود «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم»[2].

- وقال حذيفة «كل عبادة لم يتعبّدها رسول الله فلا تَعَبَّدُوها»[3]. وقال «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[4].

وقد أثنى الأحباش على هذا القول فقالوا « قال العلماء: إتبع ولا تبتدع حتى في القول»[5]. لكنهم - وشيخهم - يحاربون من يقول لهم (لا تبتدعوا) ويقولون له فورا: كفاك تنطعاً البدعة تنقسم الى بدعة هدى وبدعة ضلالة.

- وقال ابن الماجشون «سمعت مالكا يقول «من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾** فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا، ولا يصلح آخر هذه

---

١) رواه اللالكائي في شرح أصول السنة رقم (١٢٦).

٢) رواه الطبراني والدارمي ١:٦٩ باسناد جيد واللالكائي ١:٩٠ وأحمد ١:١٣٩ والبيهقي في الاعتقاد ٢٣٢ وقال الهيثمي [رجاله رجال الصحيح] «مجمع الزوائد١/١٨١»

٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ١٩ تحقيق ابراهيم رمضان ط: دار الفكر اللبناني.

٤) رواه اللالكائي في شرح أصول السنة ١/٨٦.

٥) منار «الهدى» ١٣/٢٥.

الأمة الا بما صلح به أولها»[1].

○ أن الحبشي يحتج بقوله تعالى ﴿تدمر كل شيء بأمر ربها﴾ على أن لفظ (كل) لا يفيد الشمول بدليل قوله تعالى بعد ذلك ﴿فأصبحوا لا يُرىٰ إلا مساكنُهم﴾ ونحن نوافقه على ذلك، لكن الله بيّن في نفس السياق وفي نفس الآية قرينة تدل على التخصيص، فأين المخصص لـ « كل بدعة ضلالة».

○ أليس الإتباع أولى من الإبتداع؟ أليس اجتماعٌ على السنة خيرا من الافتراق والتنازع على البدعة ؟!

نعم لقد صار الاتباع بين المسلمين غريبا، وصار الابتداع مألوفا غير منفور منه، ألا صدق رسول الله ﷺ حين قال « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغُرباء» [2].

○ ولقد علم أهل البدع أن معهم بضاعة بدعية كعلم الكلام والتصوف وبدعاً غيرها كثيرة، فإذا وافقونا على أن كل بدعة ضلالة ألزمناهم بوجوب التخلي عن بضاعتهم، فلذلك لم يسلّموا لقول النبي ﷺ « كل بدعة ضلالة» حرصاً على بضاعتهم من الكساد. وإن لم يكن علم الكلام وفلسفة التصوف وتمايل أهله وموشحاتهم بدعة فما هي البدعة؟!

---

١) رواه ابن الماجشون وهو مشهورٌ من قول مالك (الاعتصام للشاطبي ١:٤٩).

٢) رواه مسلم (١٤٥).

الاحتجاج بقول عمر «نِعمَتُ البدعة»

فإن قيل: قال عمر «نعمت البدعة هذه» قلنا:

○ أولا: لا يجوز معارضة قول الله ورسوله بقول عمر ولا غير عمر، فإن النتيجة التي ينتهي اليها المبتدعة هي ضرب كلام النبي المعصوم ﷺ «كل بدعة ضلالة» بقول عمر - غير المعصوم - وينتج عنه ترجيح قول عمر على كلام النبي ﷺ. فهل يرضى عمر أن نردَّ كلام النبي ﷺ ونفضل كلامه عليه؟!

○ ثانيا: أن هذا ما تحسبونه تعارضا. وإلا فحاشا أن يُعرف عن عمر أن يأذن لنفسه بالابتداع في الدين، إن مثل هذا لم يعهد عنه.

وما لنا نسمع (قال رسول الله) فنأبى ونقول (بل قال عمر) ؟! أليس من الواجب عند التنازع الرد الى الله والرسول ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ [النساء٥٩].

وقد اختبر الله الناس بعائشة رضي الله عنها حين خرجت على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وصرح عمّار بن ياسر بهذا الاختبار فقال « والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم: إياه تطيعون أم هي»[1].

والله يختبركم ليعلم أتميلون الى قول المعصوم أم تميلون عنه الى كلام غير المعصوم.

○ أننا اذا اختلفنا في قول الصحابي نظرنا الى فعله فإن فعله دليل قوله. فهل كان دأب عمر تحسين البدع أم زجر فاعلها؟ لماذا لم يبتدع المولد ويقول «نعمت البدعة هذه» بل يعتمد حدث الهجرة للتأريخ لا المولد!

لماذا لم يزد في الأذان شيئا ثم يقول عنه «نعمت البدعة هذه»؟

ولستم أنتم بأحرص منه على الخير حتى توفقوا الى ما لم يوفقه الله اليه وهو السباق الى الخير.

فلا يجوز النظر الى مجرد قول عمر من غير الاطلاع على حال الصحابة: هل كانوا يستحسنون البدعة، فإن من تمسك بما تشابه من كلام السلف لا يستطيع أن يستدل بفعلهم على جواز المولد، فهو محجوج بعمل السلف مهما تمسك بما تشابه من كلامهم، فانهم لم

---

١) البخاري (٧١٠٠).

يفعلوا شيئاً من البدع التي فعلها من احتج بكلامهم، فلماذا لم يحتفلوا بمولد نبيهم ولا بالنصف من شعبان ولا ألفوا في المدائح والاناشيد، ولم يزيدوا في الأذان شيئاً. وقد كانوا مسابقين الى الخير متنافسين فيه، لا يتركون باباً من أبواب الخير الا بادروا اليه، فهل جهلوا هذا «الخير» وضلوا عنه واهتدى اليه هذا المخالف في عمله لعملهم؟!

فعمدة أهل البدع في الاحتجاج أمران:

أولهما: قول عمر وفعله في صلاة التراويح وهو أمر مسنون من قبل الله ورسوله ﷺ.

ثانياً: حديث (من سن سنة حسنة) والحديث متعلق بالصدقة المسنونة من قبل الله ورسوله ﷺ. وإنما كان فعل الرجل للصدقة تذكيرا وتشجيعا على الصدقة. وسيأتي تفصيل الحديث. لا ابتداعا للصدقة. وهل كان من أدب الصحابة ابتداع شيء بحضرة نبيهم ﷺ ؟

السبكي يعترف

٢) لو فرضنا أن التراويح أحدثت في عهد عمر فإنها لا تسمى بدعة وإنما سنة لقول النبي ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» فوصف فعلَهم بأنه سنة. وقد أقر السبكي بهذه الحقيقة المهمة فقال « ولَم نعلم أحداً من العلماء المتقدمين ولا المتأخرين أطلق على شيء مما فعل الخلفاء الراشدون بدعة مطلقاً» [١].

○ ولهذا لايجوز أن يقال إن عمر ابتدع صلاة التراويح بل هي سنة لقول النبي ﷺ «إن الله فرض صيام رمضان، وسننتُ لكم قيامه»[٢]. وثبت اجتماع الصحابة وراء النبي على صلاة التراويح[٣].

ولذا قال شيخ الحنفية ملا علي قاري إن قول عمر « نعمت البدعة» إنما هو باعتبار إحيائها أو سبب الاجتماع عليها بعدما كان الناس ينفردون بها، مع أنه ﷺ قال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»[٤].

---

١) فتاوى السبكي ٢/١٠٧ وانظر اتحاف السادة المتقين ٣/٤٢١.

٢) رواه أحمد ١/١٩١ والنسائي ٤/١٥٥ وصحح أحمد شاكر إسناده في تحقيقه للسند ٣/١٢٧.

٣) كتاب التراويح باب فضل من قام رمضان رقم (٢٠١٠و٢٠١٢؛ ومسلم رقم (١٧٨).

٤) شرح الفقه الأكبر ٦٠.

قاعدة حنفية عظيمة

ولا ننسى أن من القواعد التي قررها السادة الحنفية أنه اذا تردد الأمر بين كونه سنة وبين كونه بدعة فتركه محتم وأن ما تردد بين بدعة وواجب اصطلاحي فانه يُترَك كالسنة.

قالوا: لأن ترك البدعة لازم وأداء السنة غير لازم.

والمتابعة كما تكون في الفعل تكون في الترك. وكما أننا نتقرب الى الله بفعل ما فعله النبي ﷺ فاننا نتقرب اليه أيضاً بترك ما تركه ﷺ.

فانه ﷺ لما أمر بالأذان في الجمعة دون العيدين كان ترك الأذان في العيدين سنة.

ولو كان في الأذان مصلحة أو منفعة دينية في العيدين لفعله النبي ﷺ فاذا لم يفعله ولم يحثنا على فعله علم أنه ليس فيه خير في أمر ديننا بل هو بدعة.

قال العلامة اللكنوي « والأمر اذا دار بين الكراهة والإباحة ينبغي الإفتاء بالمنع لأن دفع مضرة أولى من جلب منفعة» [1].

وبهذا الأصل يتحتم ترك هذه البدع المروجة.

قال تعالى ﴿**وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم**﴾ فتوحد المسلمين واجب. وهذه البدع لا يمكن لمبتدعيها أن يجعلوها واجبة، وانما جل ما يقولونه « هي مستحبة» ثم يخالفهم عليها مسلمون آخرون وينتهي الأمر الى تفرق الأمة. ولا شك أن وحدة كلمة المسلمين من أوجب الواجبات ولا يجوز التفريط بهذا الأصل الواجب لمجرد أمر مستحب.

وإذا جاءنا من العلم ما نجتمع عليه، فلِمَ نخوض في شيء يؤدي الى فرقتنا؟!

٤) ما المانع أن يكون في كلام عمر مدحٌ لما كان أحدثه النبي ﷺ لأمته على غير مثال سابق، لا سيما وأن جمع الناس على صلاة التراويح لم يكن مما ابتدعه عمر، وإنما فعله رسول الله ﷺ من قبل في حياته حين اجتمع الناس وراءه على صلاة التراويح. فيكون المعنى نِعمَ ما أنشأه لنا رسول الله ﷺ مما هو وحيٌ من عند الله: وإن الله

---

١) أنظر البحر الرائق لابن نجيم ١٦٥/٢ السعاية شرح الوقاية ٢٦٥/٢ ضياء النور ١٣١ وأصول السنة ٩١.

يُحْدِث من أمره ما يشاء؟!

٥) أن الاستدلال بقول عمر دليل على عجزهم عن إيجاد أي نص من الكتاب والسنة يؤيد مذهبهم في تحليل البدعة وتحسينها بعد تحريم النبي ﷺ وتقبيحه لها. وقد نص الحافظ ابن رجب على أن كلام عمر متعلق بالبدعة اللغوية لا الشرعية «ومراده رضي الله عنه أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت ولكن له أصل في الشريعة يُرجَع اليه»[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «البدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فان كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودا أو مذموما»[٢]. وأن المعنى الشرعي للبدعة يختص بما هو مذموم فقط[٣]. ومثله قال السبكي كما حكاه عنه الزبيدي[٤].

---

١) جامع العلوم والحكم ٢٣٣.

٢) فتح الباري ٢٥٢/١٣ ـ ٢٥٤.

٣) فتح الباري ٢٧٨:١٣.

٤) اتحاف السادة المتقين ٤٢١/٣.

هل يدل الشرع على البدعة الحسنة

وما ورد من كلام العز بن عبد السلام والقرافي بأن البدعة الحسنة ما دل عليها دليل من الشرع. فإنه قول غير مسلم به وأنه لم ينعقد اجماع الأمة على تقسيمهما هذا، بل قد رده علماء آخرون.

فقد قال إمام المالكية الشاطبي:

« إن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة ولكان العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخبر فيها، فالجمع بين عدّ تلك الأشياء بدعاً وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين». ثم انتهى الشاطبي الى أن تقسيم القرافي للبدعة يتعارض مع قوله في نفس الموضع بأن الخير كله في الاتباع وأن الشر كله في الابتداع[1].

واذا اختلفوا رددنا ما تنازعوا فيه الى الله والرسول. فالسنة في مسألة البدعة أن نعتبرها ضلالة. وأما البدعة فكائنة في تقسيمها حيث لم يقسمها المعصوم ﷺ.

---

1) الاعتصام ١/١٩٠-١٩١-١٩٢ تحقيق سليم الهلالي.

شبهة تقسيم البدعة الى نوعين

ويحتجون بقول مأثور عن الشافعي أن البدعة على ضربين :
أحدهما : ما أحدثَ مما يخالف كتابا أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة. والثانية ما أُحدث من الخير، لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهذه بدعة غير مذمومة» [1].

والجواب عن ذلك

١) أنه لا ينبغي القول بأن الشافعي يرى استحسان البدع وهو القائل «من استحسن فقد شرَّع» [2] ردّ بذلك على من جعلوا الاستحسان أصلا في الشرع.
وهو القائل «إنما الاستحسان تلذذ، ولو جاز الاستحسان في الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل الايمان، ولجاز أن يشرع في الدين في كل باب، وأن يُخرج الانسان لنفسه شرعاً جديداً» [3].

٢) فهذا الحافظ ابن حجر (وهو من أعرف الناس بالشافعي) يصرح بأن «البدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فان كل شيء أحدث على غير مثال يسمي بدعة سواء كان محمودا أو مذموما»[4] قال « فيَشمل لغةً ما يُحمَد ويُذمُّ، ويختص في عُرف أهل الشرع بما يُذَمُّ» [5] . وهو قول ابن حجر الهيتمي أيضاً نفسه [6].

٣) هب أن كلام الشافعي يصرح بتقسيم البدعة الى حسنة وسيئة فهل يجوز ضرب قول النبي «كل بدعة ضلالة» بقول غيره وتقديم قوله عليه؟

٤) أن مذهب الشافعي ينص على أنه « إذا رأيتم قولي يخالف

---

١) صريح البيان ٧٦.
٢) أنظر المنخول للغزالي ص ٣٧٤ والمحلي في جمع الجوامع ٣٩٥/٢ ومغيث الخلق للجويني ٣٢.
٣) عن كتابه « الرسالة » فصل « إبطال الاستحسان» وانظر كتابه الأم ٢٩٤/٧-٢٩٨.
٤) فتح الباري ٢٥٢/١٣-٢٥٤.
٥) فتح الباري ٢٧٨:١٣.
٦) فتاوى ابن حجر ٢٨٠.

قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط » فقد أخذنا بمذهب الشافعي في إيثار قول النبي على قول الشافعي. وإلا فما لنا نضرب بقول النبي ﷺ عرض الحائط ونميل الى الشافعي دونه، هل يرضى الشافعي نفسه ذلك منا؟

- صحيح أن البدعة تنقسم من حيث اللغة الى نوعين بدعة حسنة، وبدعة سيئة. غير أن هذا التقسيم لا يجوز من حيث الشرع. ألا ترى أن الصلاة في اللغة معناها الدعاء، والايمان في اللغة معناه مجرد التصديق. غير أن معناهما في الشرع يختلف تماما. فالصلاة عبارة عن أقوال وأفعال مخصوصة تبتدأ بالتكبير وتختتم بالتسليم. وأما الايمان فهو قول وعمل واعتقاد، وليس مجرد اعتقاد فقط.

- والمبتدعون والمخترعون في الدنيا كثيرون، منهم من تكون بدعته حسنة كاختراع السيارات والطائرات. مع العلم أن السيارة مقيسة على الدابة، ولذلك يصح ذكر دعاء ركوب الدابة عند ركوب السيارة لأنها دابة اليوم حلت محل دابة الأمس.

ومنهم من تكون بدعته شرا كاختراع القنابل واستحداث وسائل الرذيلة. واما مشاركة الناس لله ورسوله ﷺ في التشريع فانه شر كله. وقد قال حسان بن عطية « ما ابتدع قوم بدعة في دينهم الا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها اليهم الى يوم القيامة» [١]. وقال ابن مسعود « ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم» [٢].

- واحداث بدعة يؤدي الى اهمال سنة. والله لا يقبل من العمل الا ما كان مشروعاً فأحدثوا لأنفسكم من العمل المبتدع ما شئتم فلن يتقبل الله منكم، لأن الله لا يُعبَدُ إلا بما شرع.

صغار البدع ترويض على كبارها

- والشيطان يزين للناس صغار البدع ويروضهم عليها، فإذا وجدت عندهم قبولا واستساغتها النفوس استدرجهم بخطواته الخبيثة الى بدعة أكبر منها. قال تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ [النور٢١]. ولذا قال الحافظ ابن حجر «إن الذي

---

١) رواه الدارمي ١:٤٥ باسناد صحيح.

٢) رواه مسلم (٦٥٤) في المساجد.

يُحدث البدعة قد يتهاون بها لخفّة أمرها في أول الأمر ولا يشعر بما يترتَب عليها من المفسدة»[1].

- أن الذي شرع الغاية وهي الذكر وأنواع العبادة لم ينس تشريع الوسيلة الى ذلك بما علمنا نبينا من الواجبات والسنن، والمستحبات من الأذكار والصلوات، ونحن سنموت قبل أن نتممها كلها على وجهها الأكمل.

أن أفضل من عبد الله هو محمد ﷺ ولا يصل غيره مهما اجتهد في العبادة الى تطبيق كل ما فعله من فرائض وسنن العبادة. ومن غير المعقول أن تضيق بنا سنة نبينا ﷺ حتى نخرج عنها الى البدعة، وكأننا نقول: قد فعلنا كل ما فعله النبي ﷺ والآن نريد الزيادة على ما فعله.

ومن غير المعقول أن ندعي أننا قد أتممنا الواجبات والسنن: ونحن ننتظر زيادات وبدع جديدة لم تتطرق اليها السنة لنعبد الله ونتقرب اليه بها؟

إننا سنموت قبل أن نتمم كل السنن التي سنها لنا رسول الله ﷺ. وإن لم يكن كذلك فما وجه الابتداع وما عذر المبتدعين؟

هل نحن أشد عبادة وأكثر حرصاً ومسابقة الى الخير منهم ؟ لقد كانوا أكثر عبادة وأكثر عملا ومع ذلك كانوا يشعرون بالتقصير عن تطبيق كل ما نص عليه الكتاب والسنة.

---

١) فتح الباري ١٣/٣٠٢.

ماذا بعد تحسين البدعة

بعد تحسين البدع طرقٌ صوفية [1] وزوايا وتكايا وحضرات وأذكار مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان كحزب البرِّ وحزب البحر وحزب الجو وحزب السيف القاطع وحزب النجم الساطع. ولا تنس التواشيح الدينية وآلات التسبيح الموسيقية والرقص والتمايل الديني على طريقة «**أهل الحق**»!

- أنه لما تساهل الناس في هذا الأمر انتشرت الفوضى والعبث في الدين وبدأت مظاهر البدع وآثارها تبدو على المآذن وفي صلوات الناس ومساجدهم ولم تعد تعرف لها حدا تقف عنده، وتبدل كثير مما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. وهو أمر لا يرضاه الله ولا رسوله.

- أن ما أصابنا اليوم من التخلف وتسلط أعداء الله على هذه الأمة انما هو من عند أنفسنا وبما كسبت أيدينا، وما لم نبادر الى الكف عن الزيادة في الدين والتقليد والجمود والتعصب المقيت وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فان حال هذه الأمة ماض الى الأسوأ.

موقف إمام السنة من البدعة

لقد بين الامام أحمد أصول اتباع السنة بقوله « أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع. وكل بدعة فهي ضلالة. وترك المراء والجدل والخصومات في الدين» [2].

- وهكذا يبقى الاتباع مقياس المحبة ودليلها. فإنه لا يمكن الجمع بين محبة سنة النبي ﷺ وبين الزيادة على سنته بل وعلى كتاب ربه سبحانه وتعالى. لأن الاتباع هو مقياس الحب.

---

١) زعم الحبشي من رفاعية وقادرية ونقشبندية وكونية والرشادية نحو أربعين طريقة كلها تقرب الى الله لأنها توافق القرآن والحديث وإن لم تكن مذكورة بأسمائها (مجالس الهدى ٣٠/٢٦٠) وسنروي لكم شيئاً من مصائب الرفاعية والنقشبندية.

٢) طبقات الحنابلة ٢٤١/١.

سن خبيب ركعتين عند القتل

وأما احتجاجه بقصة خبيب حيث طلب من قريش أن يأذنوا له أن يصلي ركعتين قبل أن يقتلوه. فلا تخدعنك استنباطات الحبشي الباطلة، فإن الصلاة خير موضوع وهي خير ما يفعله من يعلم أنه يموت بعد لحظات. وإنما أراد خبيباً أن يفارق الدنيا على خير حال، ولم يفهم السلف من فعل خبيب ما يفهمه الحبشي وإلا لأحدثوا بدعة الموالد وبدع التصوف، بل كانوا أشد أهل الاسلام على أهل البدع. فهل تجيزون لقائل أن يقول: كان الصحابة يبتدعون في دين الله؟ إن كنتم قلتموها فأنتم زنادقة.

أن فعل الصحابة كان موقوفاً على إقرار النبي ﷺ له، وكان فعل خبيب قبل نزول آية كمال الدين وتمام النعمة. وأما بعدها مما ابتدعه الخلف فمن أين لهم أن يعلموا إن كان النبي ﷺ يقره أو ينهى عنه؟ أبالكشف الصوفي؟

ولئن أقر النبي ﷺ فعل خبيب وبلال في الصلاة بعد كل وضوء فانه لم يقر البراء بن عازب على خطئه في الدعاء « آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت» قال البراء « فجعلت استذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت. فقال ﷺ: لا ، وبنبيك الذي أرسلت» (١).

ولم يقر النبي ﷺ عثمان بن مظعون على التبتل وسماه رهبنة، ولم يقر الصحابة على اتخاذ ذات الأنواط.

فمن أين تضمنون إقرار النبي ﷺ لبدعكم وقد مات؟ وقد بلغكم قبل موته أن البدعة في الدين مردودة؟ هل الأمر في حاجة الى الابتداع أم أنه التشغيب الذي جعلكم الشيطان أداته؟ ألا يكفيكم ما شرعه الله من أبواب الخير والطاعات حتى تحتاجوا الى زيادة بدعية، والعبادات المبتدعة مردودة في الدين!!

- أترضون أن يقال عنكم أنكم أهل بدعة لأنكم تجيزون بالدفاع عن البدعة أم أنكم تكرهون أن توصفوا بذلك؟ فعليكم أيضا أن تكرهوا أن يقال: إن من السنة جواز البدعة.

---

١) رواه البخاري رقم ٦٣١١ وكذلك مسلم.

استدلاله بابتداع الطرق الصوفية

أما احتجاجه بابتداع الطرق الصوفية فما أقبحه من استدلال.
فيعلم الله ما أفسد البلاد والعباد إلا هذه الطرق، وكلمة التصوف واحدة ولكن ينضوي تحتها مئات الطرق المختلفة، بينما طريق الله واحد ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه. ولا تتبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله﴾ [الانعام١٥٣].

الطرق التي يتحدث عنها هي السبل التي نهى الله عنها والتي تجمع بين التشيع والرهبنة وخرافات الملل القديمة.

ومن أراد الوقوف على حقيقة هذه الطرق فليرجع الى كتابَيّ «**الرفاعية** » و «**النقشبندية** » ليرى انحرافهم واقترابهم من الشيعة وموالاتهم لأعداء الدين. فالطريقة التيجانية لها سجل حافل بالخيانة وموالاة الاستعمار الفرنسي، والرفاعية كانوا بالأمس يوالون التتار، وأحفادهم يكملون المسيرة فيتولون سائر الملل ويلوحون بعصاهم أمام من يعترض طريقهم « قرصنة باسم الدين».

إعراض المسلمين سببه التدين المشوه

ويكفي أن المسلمين تحللوا من الدين بسبب ما رأوه من الخرافات باسم الدين، حتى صار الدين دَروَشَة و جنونا ورقصا وهزاً وتواشيح دينية واستئجاراً للمطربين لعمل الموالد.

وهم لا يستطيعون الاعتراض على هذا الشذوذ وإلا واجهوا مجموعة من المتعصبين الذين يتقنون الجدل ويتهمونهم بالاعتراض على الله ومحاربة الأولياء، فكان الاعراض والانحلال من الدين هو الطريقة الأمثل والأسلم بالنسبة لهم.

الاحتجاج بالزيادة في صيغة الأذان

ومن البدع التي يحتج بها الحبشي: الجهر بالصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان والذي أُحدث في القرن الثامن، ولم يكن معمولا به من قبل»[١] ويجاب عن ذلك بما يلي:

○ إن كانت الصلاة على النبي ﷺ مطلوبة بعد الأذان استدلالا منكم بحديث « فقولوا مثلما يقول المؤذن ثم صلوا علي» هل فهمه الصحابة على نحو ما تفهمونه؟ لماذا لم يفهموا من الحديث الجهر بالأذان؟ ثم كيف كان أذان بلال أيام النبي ﷺ ألا يسعنا ما وسع رسولَ الله ﷺ وأصحابه؟ قال ابن كثير « ومن لم تَسَعْه طريقة رسول الله ﷺ وطريقة المؤمنين السابقين فلا وسّع الله عليه» [٢].

○ نص الحافظ ابن حجر على أن الصلاة على النبي ﷺ ليست من الأذان لا لغةً ولا شرعاً [٣] وذم ابن الجوزي فعلها[٤] وذكر الشعراني [٥] أنها أحدثَتْ أيام الفاطميين الروافض [٦]، بل قد جزم السيوطي بأن الصلاة عَلى النبي بعد العطاس بدعة مذمومة [٧]. فهل تعتبرون السيوطي في نهيه عن الصلاة على النبي بعد العطاس وهابياً؟ وهل نهى عنها لكراهيته للنبي ﷺ أم لكراهيته للابتداع في الدين!!

---

١) صريح البيان ٨٠.

٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦١٩/٤.

٣) فتح الباري ٩٢/٢

٤) تلبيس ابليس ١٤٦.

٥) لربما قيل لنا إنكم تحتجون علينا بالسيوطي والهيتمي والشعراني في حين تخالفونهم في مسائل أخرى فإما أن توافقوا كل كلامهم وإما أن لا تحتجوا بهم. والجواب أن منهجنا يدور مع الرجال حيث داروا مع الحق فإذا خالفوه خالفناهم ولا يقال إنه يجب الأخذ بكل كلام الائمة ولكن إذا كان في قولهم ما يخالف كلام الله ورسوله تركنا قولهم. وهذا معنى قول مالك: كلٌ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ عليه إلا صاحب هذا القبر، فهذه طريقتنا التي ندين اللهَ بها، بخلاف طريقة أهل التقليد الذين يحتكمون عند التنازع الى التقليد ويتمسكون بأقوال الرجال، فالحجة تلزمهم ولا تلزمنا.

٦) نقلا عن الإبداع في مضار الابتداع للشيخ محفوظ ١٧٥.

٧) أنظر الحاوي للفتاوى ٣٣٨/١.

○ لماذا استحسنتم الصلاة على النبي بعد الاذان ولا تفعلون ذلك بعد الاقامة؟

○ ولماذا تصلون عليه بعد الأذان ولا تصلون عليه عندما تقولون أثناء الأذان: أشهد أن محمدا **(صلى الله عليه وسلم)** رسول الله؟ أليست الصلاة عليه تكون بعد ذكر اسمه مباشرة؟

وما المانع أن تقولوا أثناء الأذان: أشهد أن لا اله الا الله **(سبحانه وتعالى)** هل تحرمون علينا أن نسبح الله وننزهه أثناء الأذان؟

○ وإليكم سؤالا أستفتي به « سلطانكم»[1]: ما حكم من يصر على زيادة صيغة الصلاة على النبي ﷺ وسط هذه الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي [صلى الله عليه وسلم] إلا أن يؤذن لكم﴾** اذا أجاز ذلك فقد زاد على ما أوحاه الله، وإن رفض ذلك - ولا مفرّ له من الرفض - حكمنا عليه بأنه صار وهابياً يكره الصلاة على النبي ﷺ فهذا تشويش مقابل تشويشكم، فإننا نرفض زيادة صيغة الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان للمؤذن اقتصاراً منا على أن تبقى صيغة الأذان بنفس اللفظ الذي أوحى به الله وبنفس الأذان الذي ثبت عليه بلال بلا زيادة.

إن كان المانع هو التمسك بالنص الثابت فنحن لا ننازعكم إلا لهذا السبب. لكنكم تتناقضون فتارة تتمسكون بالنص وتارة تزيدون عليه.

○ ثم لماذا لا توافقون على زيادات الشيعة في الأذان فتزيدون في الأذان (أشهد أن علياً بالحق ولي الله)؟ ألسنا أهل السنة نشهد أنه ولي الله حقاً؟

○ ثم لماذا لا تزيدون على الأذان (حي على خير العمل) أليست الصلاة خير العمل؟ ألم يقل النبي ﷺ «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة» [2].

○ بأي قانون تحرمون على العبد أن يزيد في الأذان ما يشاء وبأي وجه تمنعون الشيعة الروافض من الزيادة التي أحدثوها ؟

---

١) من ألقاب الحبشي عند أتباعه.

٢) رواه أحمد وابن حبان بسند حسن بمجموع طرقه.

❊ وأما الاستدلال بما رواه أبو داود عن ابن عمر أنه كان يزيد في التشهد «وحده لا شريك له» ويقول:أنا زدتُها [1] فهذا الحديث عند أبي داود برقم (٩٧١) غير أن من يراجع الحديث الذي يليه (٩٧٣) فسيجد أن هذه الزيادة من قول النبي ﷺ وليست من زيادة ابن عمر، فلماذا التلبيس على عامة الخلق؟ ليس هذا من الأمانة العلمية ولا من خدمة الحديث.

○ أنه كان من الواجب الاقتصار والوقوف على ما أوقفنا عنده الشارع الحكيم، وأن لا يكون حالنا كمن قال الله عنهم ﴿**فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم**﴾ [الجاثية١٧] فنُحدث زيادة على السنن مما يؤدي الى التفريط في الواجب والوقوع في المحرّم: وهو تفريق كلمة المسلمين وبث النزاعات بينهم والتشويش والتلبيس عليهم في دينهم.

لقد جاءنا العلم بصيغة الأذان، ثم جاءت طائفة تدافع عن الزيادات والإضافات عليه من بعد ما جاءهم العلم من عند الله. فننشدكم الله أيها الصادقون أن لا تسهموا في الوقوع بمثل ما زلت به أقدام الأمم من قبلنا.

○ وصحيح أن النبي ﷺ أمرنا إذا سمعنا المؤذن أن نصلي عليه وصحيح أنه لم يقل (صلوا عليّ سراً) كما قال الحبشي [2] لكن الأذان في عهده بقي من غير الصلاة عليه، فلماذا لا نجمع بين الأمرين بأن لا نزيد على صيغة الأذان ونصلي عليه كما أمرنا من غير أن يجهر المؤذن بذلك؟!

---

١) صريح البيان ٧٥.
٢) رسالة الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ص ٧ جمعها كنعان الدبوسي من أشرطة الحبشي.

الاحتجاج بالأذان الثاني يوم الجمعة

واحتج الحبشي بأن عثمان رضي الله عنه أمر بالأذان قبل أذان الجمعة ولم يكن مشروعاً قبل ذلك. والجواب:

- أن فعل عثمان سنة شرعية نص عليها رسول الله ﷺ بقوله «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[١].

- أنه لا يجوز أن يقاس عثمان بغيره. فلا يجوز لأحد أن يقول يجوز لي أن أبتدع بدليل أن عثمان ابتدع في دين الله كذا...

- أن عثمان فعل ذلك لمصلحة عارضة حين كثر المسلمون وتباعدت مساكنهم، يبين ذلك ما جاء في رواية السائب بن يزيد عند البخاري « فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء». وهذه علةٌ يدور معها معلولها، فإذا وُجدت وُجِد، وإذا انتفت انتفى.
- ولذا لم ير علي رضي الله عنه نفس الشيء وهو بالكوفة، فكان مقتصراً على الأصل[٢].

---

١) رواه أبو داود والترمذي وقال "حديث حسن صحيح" وهو كما قال. أنظر صحيح الجامع الصغير (٢٥٤٩).

٢) عن كتاب إشراقة الشرعة في الحكم على تقسيم البدعة للأخ أسامة القصاص رحمه الله، فقد كان شوكة في وجه الأحباش ثم قرر "المجرمون" التخلص منه فقُتِل ومُثِل بجسده وأزيح عن الدرب وظن من ظن أنه لم يبق ثم شوكة أمام أهل البدع ولكن سلط الله عليهم من يكمل مسيرة الشيخ أسامة.

الاحتجاج ببدع الرهبانية

ويحتج الحبشي وأصحابه بما زعموا من ثناء الله على رهبان النصارى لابتداعهم الرهبانية. مع أن السياق واضح في الذم:

فإن السلف لم يفهموا من هذه الآية جواز ارتكاب البدع، ولم يفعلوا البدع أصلا، فقد عرف العالم والجاهل أنهم كانوا أبعد الناس عن البدعة ولم يكونوا يأذنون ببدعة بناء على هذه الآية. فإما أن يكون قد فاتهم خير البدعة لجهلهم أو لكسلهم وإما أن تكونوا على خلاف سنتهم ومنهجهم.

* وأيضاً فلو كانت الرهبانية التي ابتدعها الرهبان خيراً لشرعها الله لهم، لكنه قال (ما كتبناها عليهم) والله لا ينتظر من عباده حتى يشرعوا لأنفسهم سبل الهدى، بل ما من خير في دينهم ودنياهم يقربهم الى ربهم الا ويدلهم عليه، ولكن هؤلاء شددوا على أنفسهم كما قال ابن الجوزي والتزموا الزهد والانقطاع عن النساء واعتزال الخلق وذلك جهلا منهم لكنهم لم يلتزموا بما قطعوه على أنفسهم [١].

وكانوا على جهل لكنهم ابتغوا رضوان الله بذلك فآتاهم الله أجر صحة مقصدهم ولم يؤاخذهم لجهلهم، وكانوا على جهل بالدين ولذلك قال تعالى ﴿**فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثيرٌ منهم فاسقون**﴾. بخلاف اليهود المغضوب عليهم إذ كانوا مع علمهم بالكتاب ينحرفون عنه، فالناس مؤاخَذون بمقتضى علمهم وجهلهم. ومن عمل عملا يتقرب به الى الله مع جهله فإنه يؤجر على حسن نيته ويعفى عنه لجهله مع حسن المقصد.

غير أن الحبشي وغيره حين يتمسكون برهبانية النصارى يتجاهلون ذم نبينا ﷺ للرهبنة وبراءته من تنطعها وغلوها حتى قال « لا تكونوا كرهبانية النصارى» [٢]، وأوصى برهبانية من نوع آخر قائلا

---

١) زاد المسير ٨/١٧٦-١٧٧.

٢) رواه البيهقي في السنن ٧/٧٨ بسند حسن وله شواهد.

«وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الاسلام» «[1]. ففرّق بين رهبانية النصارى ورهبانية الاسلام.

وقال لعثمان بن مظعون « يا عثمان إني لم أُبعث بالرهبانية وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة» وفي رواية « إن الرهبانية لم تُكتَب علينا: أفما لك أسوةٌ فيَّ» [2]. فالكتاب والسنة صريحان في ذم الرهبنة وأنها على خلاف الملةَ الحنيفية.

فاذا كان الرسول ﷺ يصرّح بأن « الرهبانية لم تُكتَب علينا» وإذا كان القرآن ينص على أن الله ما كتبها على الذين من قبلنا فمن أين أتى المبتدعة بهذا الثناء المزعوم ؟

أرأيتم كيف ينحرف هؤلاء عن صريح النصوص كقوله ﷺ « **كل بدعة ضلالة**» ويتعلقون بالمتشابه منها ابتغاء فتنة الناس عن الاتباع وإغرائهم بالبدع.

---

١) رواه أحمد ٣/٨٢ بإسناد صحيح (سلسلة الأحاديث الصحيحة٣/٨٢).

٢) وهذه الروايات حسنة الإسناد أنظر سلسلة الصحيحة ٤/٣٨٥.

من سن في الاسلام سنة حسنة

واحتج الحبشي وغيره بقوله ﷺ «من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها..»[1].

فائدة مهمة

○ وقد فسروا قوله ﷺ «من سن سنة حسنة» أي من ابتدع بدعة حسنة. فعلى قولهم يصير معنى قوله ﷺ « كل بدعة ضلالة» أي « كل سنة ضلالة» لأن السنة هي معنى البدعة بزعمهم.

○ وهذا افتراء على الرسول ﷺ فإنه لما تكلم عن البدعة سماها باسمها «بدعة» ولم يستعر لها لفظ (سنة) فهل عندكم دليل يقيني على أنه أراد بالسنة البدعة؟ أم أنه احتمال على غرار ما عندكم من المحتملات في العقيدة وهو خلاف أصلكم أن لا يحتج في العقيدة الا بما كان قطعي السند قطعي الثبوت.

علامة ضلالة أهل البدع أنهم يقسمون البدعة مع عدم تقسيم النبي ﷺ لها وانما اقتصر على أن قال « كل بدعة ضلالة» ولم يقل: كل بدعة بحسب أقسامها الخمسة.

بينما يهربون من تقسيم النبي ﷺ للسنة عند احتجاجهم بحديث « من سن في الاسلام سنة حسنة...» فلا يكملون قوله ﷺ « ومن سن في الاسلام سنة سيئة» وربما أكملوه من غير أن يفقهوه، لأن ورود لفظة «السنة السيئة» في الحديث ينسف احتجاجهم حيث يوهمون الناس أن المقصود بها السنة الشرعية، وليس في سنة رسول الله الشرعية سنة سيئة.

ففي البدعة يقسمون ما لم يقسمه ﷺ، وفي السنة يتجاهلون ما قسمه ﷺ.

وكأنهم يتمنون لو أن النبي ﷺ قسّم البدعة الى حسنة وسيئة ولم يقسم السنة الى حسنة وسيئة.

فتأمل هذا واعتبر بحال أهل البدع: كيف يؤفكون ويُصرفون ولا يعقلون.

---

١) صريح البيان ٧٤.

١ - ونرد عليكم دائماً بفهم السلف لنصوص الكتاب والسنة فانهم لم يفهموا من حديث «من سن سنة حسنة» ما فهمتم من جواز الابتداع في الدين وعمل الموالد وزيادة صيغة الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان، مع حرصهم على الخير ومسابقتهم اليه وتنافسهم عليه، فهل هو خير سبقتموهم اليه أم بدعة أحدثتموها من بعدهم؟

فلنقارن فهمكم بفهمهم ومن ثم عملكم بعملهم. فلو فهموا من ذلك ما فهمتم لابتدعوا ما ابتدعتم.

ولو كان هذا الذي يفهمه الناس هو الفهم الصحيح للحديث لصار في قول النبي ﷺ « فمن رغب عن سنتي فليس مني» تناقضاً واضحاً وتحريضاً على الإعراض عن السنة. وثناءً منه على من رغب عن سنته. فبينما يقول «عليكم بسنتي» داعياً الى التمسك بها والعض عليها بالنواجذ والقبض عليها كالقبض على الجمر يدعونا هنا الى الأخذ بأي سنة يسنها من شاء من المسلمين لا بالتقيد بسنته ﷺ وحده!

وإنه لمن الضروري فهم المعنى اللغوي والشرعي للفظ «السنة» وأؤكد دائماً على ضرورة تفصيل معاني الألفاظ والمصطلحات قبل الدخول في المناقشة لأن هذا يحل كثيراً من المشكلة.

فينبغي ضرورةً الاطلاع على الحديث بكامله وتحريم اقتطاع عبارة منه مما ينتج عنه تغيير معنى الحديث وتحريفه عن المعنى الذي قصده النبي ﷺ. وما لم نقرأ الحديث بطوله لن نستطيع أن ندرك معناه: فإن معنى الحديث ومناسبته يدور حول من عمل بسنة لا من اخترع سنة.

عن جرير بن عبد الله البجلي أنه دخل على النبي ﷺ قوم مجتابو النمار متقلدو السيوف عامتهم من [قبيلة] «مُضَر» فتغير وجه النبي ﷺ بسبب ما رآهم عليه من الفاقة والحاجة الظاهره في ملابسهم الممزقة فصعد المنبر وحث على الصدقة « فجاء رجلٌ من الأنصار بِصُرَّة كادت كفه أن تعجز عن حملها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس، حتىً رأيت كَوْمَيْن من طعامٍ وثياب» فتهلل وجه النبي حين رأى تتابع الناس في الصدقَة بعدما شًجعهم ذاك الرجل الأنصاري. فقال الرسول حينئذ «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعليه

وزرها ووزر من عمل بها من بعده»[1].

□ ولا شك أن هناك ارتباطا بين قول النبي ﷺ وبين فعل ذاك الأنصاري الذي شجع المسلمين على الصدقة.

ولهذا نسأل: ما هي السنة التي سنّها ذاك الأنصاري: هل ابتدع بدعة (ومعنى البدعة إحداث شيء على غير مثال سابق) أم أنه ذكّر الناس بسنة (وهي خصلة الصدقة) قد شرعها الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ! فسياق الحديث واضح لكل من لم يجعل الله على قلبه أكنة أن يفقهه وفي أذنيه وقراً، أن ما فعله الصحابي سنة مشروعة دعا اليها بفعله. مما يدل على أن السنة الحسنة ليست بمبتدعة. وأن قوله ﷺ «من سن سنة حسنة» معناه: من عمل بسنة، لا من اخترع سنة، ومن هنا تعلم انحراف مستحسني البدع إذ يستدلون بقول النبي ﷺ دون إيراد مناسبة الحديث الدالة على معناه[2].

الحجة الدامغة

□ ومن الواضح أن النبي ﷺ لم يقسّم البدعة الى حسنة وسيئة، مع أنه قسّم السنة الى سنة حسنة وسنة سيئة.

وأهل البدع لا يفقهون لماذا منع التقسيم في البدعة ولم يمنع في السنة. واذا قيل لهم ما دليلكم على البدعة الحسنة قالوا دليلنا حديث «من سنّ في الاسلام سنة حسنة».

فحينئذ نقول: اذا كانت (البدعة) معنى (السنة) فما رأيكم لو قلنا لكم: إن معنى قوله ﷺ «كل بدعة ضلالة» أي «كل سنة ضلالة»!!!

□ أن السنة في المعنى الشرعي لا تكون الا حسنة، والبدعة في المعنى الشرعي لا تكون الا سيئة. وهذا دليل على أن النبي ﷺ لم يقصد بلفظ (السنة) المعنى الشرعي، وإنما المعنى اللغوي فقط. ولو قلنا إن المعنى شرعي لجاز لكل واحد أن يستحدث سنة من عنده ويُدخلها في الدين. ولهذا ورد تقييد لفظ (السنة) بالمعنى الشرعي في قوله ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي».

---

١) مسلم (١٠١٧) النسائي ٧٥/٥.

٢) عن كتاب علم أصول البدع ١٢٤ لأخينا الفاضل علي حسن عبد الحميد.

ولأن السنة الشرعية لا تقبل التقسيم الى سنة حسنة وسنة سيئة.
فما سنه الله وما أجمع الخلفاء الراشدون على سنه هو حسن دائماً.

ولذلك لم يكن هناك خوفٌ من استخدام المعنى اللغوي للسنة ما دام معلوماً بالبديهة عند كل عاقل أن سنة الله ورسوله والخلفاء الراشدين لا تقبل التقسيم الى حسن وسيء. أما خصال الناس وأعمالهم فمنها الحسن ومنها السيء، فما كان منها موافقاً لما سنه الله ورسوله فهو حسن، وما كان مخالفاً لما سنه الله ورسوله فهو السيء.

والذي فعله ذاك الأنصاري ليس شرعاً جديداً ولا بدعة سبق بها كتابَ الله وسنةَ رسوله ﷺ، وإنما حثهم على ما نص على أصله الكتابُ والسنة. ولهذا جاء في رواية أخرى «من دعا الى هدى فله أجره وأجر من عمل به، ومن دعا الى ضلالة..» والهدى لا يكون إلا ضمن ما شرعه الله ورسوله.

❑ أن الجمع بين الحديثين «من سن في الاسلام سنة حسنة» وحديث «كل بدعة ضلالة» أولى من ضربهما ببعض وأولى من تحريفهما بتحريف معانيهما. فالأحاديث يفسر بعضها بعضا، وهذا الحديث «من سن في الاسلام سنة حسنة» يفسره قوله ﷺ «من دعا الى هدى» وهو السنة الحسنة. وقوله ﷺ «ومن دعا الى ضلالة» وهي السنة السيئة. وهنا تدخل البدعة، لأن الدعوة الى البدعة دعوة الى ضلالة.

ولا يمكن أن يكون معنى «من سن في الاسلام سنة حسنة» أي من ابتدع في الاسلام بدعة حسنة» لأن النبي ﷺ قال «كل بدعة ضلالة» ولم يقل كل سنة ضلالة. فمن جعل هذا هو معنى ذاك فقد أبعد النجعة وحرف الكلم عن مواضعه.

عودته الى التحسين والتقبيح العقليين

- واستدل الحبشي برواية « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء».

والجواب على ذلك:

- أن هذا ليس بحديث ولم يصح عن النبي ﷺ وإنما ورد موقوفاً على عبد الله بن مسعود [١].

والذين يتمسكون بقول ابن مسعود مخالفون لفهمه وعقيدته، فإنه لم يقصد من ذلك تجويز البدعة بدليل قوله «إتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتُم» [٢]. وقوله «ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم» [٣]. فهل يوافق المَتمسكون برواية « ما رآه المسلمون حسناً» على قوله « اتبعوا ولا تبتدعوا» ورواية « ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم» ؟!

- أن مناسبة هذا القول من ابن مسعود « ما رآه المسلمون..» كان منه عند الاختلاف على الخليفة بعد النبي ﷺ، فقد روى الحاكم قوله هذا وزاد عليه « وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه» [٤].

ويدل على أن المراد بـ (المسلمون) إجماع الصحابة واتفاقهم ما دل عليه السياق، فاللام في (المسلمون) للعهد لا للاستغراق. ولذلك جعل الحاكم هذه الرواية في باب فضائل أبي بكر. وقد اعتمد الصحابة عدة أمور في تقديم أبي بكر: منها أنه أُمر أن يؤم الناس بالصلاة بعد النبي وأن امرأة أتته تسأله قائلة: إن لم أَجدك قال «إئتِ أبا بكر» فكان لرأيهم مستند من السنة.

---

١) قال السيوطي في الأشباه والنظائر الفقهية (٨٩) قال الحافظ العلائي "لم أجده مرفوعاً في شيء من كتب الحديث أصلا، ولا بسند ضعيف بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال، وإنما هو من قول عبد الله بن مسعود موقوفاً عليه" وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/٢٨٠) "تفرد به النخعي: قال أحمد: كان يضع الحديث" وقال الزيلعي في نصب الراية (١٣٣/٤) "غريب مرفوعاً ولم أجده الا موقوفاً على ابن مسعود".

٢) رواه أحمد ١٣٩/١ والطبراني والدارمي ١:٦٩ باسناد جيد واللالكائي في اعتقاد أهل السنة ١:٩٠ وقال الهيثمي في المجمع ١٨١/١ [رجاله رجال الصحيح] ١٨١/١"

٣) رواه مسلم (٦٥٤) في المساجد.

٤) المستدرك للحاكم ٧٨/٣ وصححه ووافقه الذهبي.

من مخلفات المعتزلة

أن الحبشي ومن وافقه لم يتنبهوا أن في استدلالهم برواية «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» رجوعٌ الى التحسين والتقبيح العقلي الذي قالت به المعتزلة، وخالفهم الأشعري فقال «التحسين ما حسّنه الشرع فقط، والقبح ما قبّحه الشرع وليس بآراء الناس وعقولهم خلافاً للمعتزلة».

وقد أغلق الشافعي من قبله عليهم الباب فقال «من استحسن فقد شرّع» فما بال أشاعرة اليوم يقفون في مسألة البدعة والسنة موقفاً مخالفاً للأشعري موافقاً للمعتزلة! ويثبتون شرعاً بالعقل والاستحسان. هذا نكوصٌ آخر عن معتقد الأشعري يُسجَل على الأشاعرة المتأخرين.

موقف الرفاعي من البدعة
يناقض موقف الحبشي

وموقف الحبشي من البدعة لا يتفق وموقف الشيخ احمد الرفاعي رحمه الله، وننقل لك شيئاً من كلامه حيث قال:

* « اياكم ومحدثات الأمور، قال رسول الله ﷺ: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. أطلبوا الله بمتابعة رسول الله ﷺ واياكم وسلوك طريق الهدى بالنفس والهوى، فمن سلك الطريق بنفسه ضل في أول قدم».

ولقد بالغ الرفاعي في الحث على اتباع السنة الى درجة قوله « بلغنا عن بعض الأئمة أنه ما أكل البطيخ لأنه لم ينقل له كيف أكله رسول الله ﷺ. ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا قمع البدعة الا سلّط الله عليهم العدو، وما انتصر قوم للسنة وقمعوا البدعة وأهلها الا ورزقهم هيبة من عنده ونصرهم وأصلح شأنهم»[1]، وقال « لو عبد العابد ربه خمسمائة عام بطريقة غير شرعية، فعبادته راجعة اليه، ووزره عليه، ولا يقيم الله له يوم القيامة وزنا، وركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه» [2].

---

١) الفجر المنير٢١ البرهان المؤيد٣ و٢٠ و ٥٧ و٦٥ المعارف المحمدية ١٣ قلادة الجواهر٢٢٠ ارشاد المسلمين ٤١ و٦٢ الكليات الأحمدية ٧٧ ترياق المحبين ١٠.

٢) كتاب البرهان المؤيد ٤ وحالة أهل الحقيقة مع الله ٤ وللكتابين قبول عند سائر الرفاعية ويعترفون بصحة نسبتهما اليه.

الاحتجاج ببدعة المولد النبوي

هل تعتقدون أن الاحتفال بالمولد يقرب من الله؟

واذا كان الجواب: نعم فما معنى قول النبي ﷺ « ما من شيء يقربكم من الله الا وقد أمرتكم به». فلو كان الاحتفال بمولده يقربكم الى الله لأمركم به النبي ﷺ

وأما أعياد المسلمين فقد حددها الشارع دون غيره. فقد قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية فقال «إن الله تبارك وتعالى أبدلنا خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى»[١]. فلم يبدلهما الله لنا بعيد المولد.

اعترافه بأن أصل الفكرة نصراني

ويزعم الحبشي أن المظفر ملك إربل أول من عمل المولد لما رأى النصارى يحتفلون بعيد ميلاد المسيح فعمل المولد شكراً لله على إبراز سيدنا محمد ﷺ [٢].

ومع أننا نشكره على اعترافه بأن الفكرة نصرانية الأصل نذكّره بأن الصحابة ما شكروا الله على بروز نبيه ﷺ بهذه الطريقة فكيف يكون الخلوف أحرص على الشكر من سلفهم؟ بل كيف يكون النصارى أكثر تعظيماً وتقديراً واحتفاء واحتفالا بالمسيح من الصحابة؟

مولدكم كميلادهم

فالمولد عند هؤلاء تقليد للميلاد الذي عند النصارى فما الفرق بين بدعة ميلادهم وبدعة مولدنا؟ وبهذا يتبين لنا أن فعله هذا جاء مصداقاً لقول النبي ﷺ «لتتَّبِعُنَّ سَنن من كان قبلكم» قالوا «اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال فمن». أي من غيرهم.

فاقتباس مولدنا من ميلادهم مذمة لهذا الملك وليس مدحاً له. ولو كان مدحاً لوجب ذم من قبله لأنهم لم يعبأوا بأمر المولد. ولكان النصارى أشد حباً لأنبيائهم وأكثر احتفاءً بهم منا.

وأمامنا واحدة من اثنتين : إما أن نقول إنهم لم يجعلوا ليوم مولده عيداً لأنهم أقل حباً له من أصحاب الطرق الصوفية والملة النصرانية، أو نقول إنهم لم يفعلوه لأنه ﷺ لم يشرعه لهم. و «لو كان خيراً لسبقونا إليه».

---

١) رواه أبو داود (١١٣٤) والنسائي (١٧٩/٣) وإسناده صحيح.

٢) إظهار العقيدة السنية ٢٤٠ شريط ٩الوجه الأول ٢٤٠.

إبطال دعواه أن أول من عملها ملك إربل

ودعواه ان أول من عملها ملك إربل غير صحيح:

○ فقد ذكر الامام أبو شامة الشافعي أن أول من أحدث المولد بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا، وبه اقتدى ملك إربل» [١]. وهو رجل صوفي ليس فصلا بين المتنازعَيْن، ومتى كان عمل الملوك حجة شرعية يُحسم بها الخلاف بين المختصمين؟!

بل قد ذكرت كتب التاريخ أن أول المروجين لبدعة المولد هم الفاطميون الباطنيون الروافض الذين دسوا في مساجد المسلمين سموماً كثيراً ونشروا بدع المولد وغيرها[٢].

قال الامام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني [٣]: « لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولا يُنقل عملُهُ عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتسكون بآثار المتقدمين: بل هو بدعة أحدثها البطالون... وهو ليس بواجب إجماعاً ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذمٍ على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة ولا التابعون فيما علمت، وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن سئلتُ عنه» [٤].

وقد ساق السيوطي فتوى الفاكهاني بكاملها، ونقلها الشيخ عدوي المالكي في حاشيته على مختصر الشيخ خليل المالكي (١٦٨/٨) حيث قال في مبحث الوصية « أما الوصية على المولد الشريف فذكر الفاكهاني في عمل المولد أن عمل المولد مكروه» وتلقاه عن العدوي بالقبول الشيخ محمد عليش في فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الامام مالك (١٧١/١).

---

١) الباعث على إنكار البدع والحوادث ٣٤.

٢) الخطط المقريزية ٤٣٢ و٤٩٠ صبح الأعشى للقلقشندي ٤٩٨/٣.

٣) وقد شهد أئمة أهل العلم بفضل الفاكهاني فقال السيوطي في حسن المحاضرة (١٩٥/١) وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب (١٨٦) « كان فقيهاً فاضلا متفنناً في الحديث والفقه والاصول والعربية والأدب، صالحاً عظيماً» وأثنى عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة (٢٥٤/٣) وأثنى عليه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٥٣/١٤).

٤) المورد في عمل المولد ٢٠-٢٢ ط: مكتبة المعارف. وانظر الحاوي للفتاوي ١٩٠/١-١٩٢ رسالة: حسن المقصد في عمل المولد.

- وورد في الحاوي (١/١٩٦) والزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية (١/١٤٠) أن أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة».

ومع اعتراف السيوطي أن المولد بدعة إلا أنه يراه بدعة حسنة لاشتماله على أشياء حسنة. ولكننا نسأل السيوطي: كيف فاتت هذه الحسنة سلفَنا الذين كانوا أسبق الى الخير وأكثر توفيقاً اليه منا؟!

ولهذا خالفه ابن الحاج في المدخل حيث رأى أنه بدعة مخالفة للسلف بالرغم من هذه الأشياء الحسنة فقال في المدخل (٢/١١):

« هو بدعة في الدين وزيادة في الدين ليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى بل أوجب... لأنهم أشد الناس اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ... ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم». وكلامه دليل على أن ما تركه الصحابة فلترك النبي ﷺ اياه فمن استحب فعل ما تركه الرسول ﷺ وأصحابه فقد خالفه.

واذا وقع الاختلاف في المولد بين أهل العلم وكانت مخالفة المخالف للمولد معتبرة فإننا نرد ما تنازعوا فيه الى الله والرسول ﷺ.

ونقل محمد الصالحي الشامي - تلميذ السيوطي - عن السخاوي في فتاويه « عمل المولد لم ينقل عن أحد من السلف في القرون الثلاثة الفاضلة وانما حدث بعد» [١]. كذا الشيخ ملا علي قاري الحنفي في المورد الروي في المولد النبوي (ص٢٤).

وتعقب فيه قول السخاوي في التبر المسبوك في ذيل السلوك (ص ١٤) « واذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً أكبر: فأهل الاسلام أولى بالتكريم وأجدر» فقال الشيخ ملا « قلت: مما يرد عليه أنا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب» (ص ٢٩). وكلام السخاوي الأول حجة عليه.

---

١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١/٤٣٩.

وقد منعوا صيام يوم المولد واستقبحوه لأنه عيد عندهم ويوم العيد لا صيام فيه[1]، ولو أنهم صاموا يوم مولده ولم يتخذوه عيداً لكان أقرب الى سنته ﷺ. فقد سئل ﷺ عن صيام يوم الاثنين فقال « ذاك يوم بُعثتُ فيه ووُلدتُ فيه» [2]. ومع أن اللفظ صريح بأن ولادته ﷺ كانت في النهار فقد زعم بعضهم أن مولده كان في الليل وبلغ بهم الغلو واستدراج الشيطان أن جعلوا يوم المولد أفضل من ليلة القدر كما ادعاه القسطلاني في المواهب اللدنية (١/١٣٥). وانتقده على ذلك الزرقاني والشيخ ملا علي القاري في المورد (ص ٩٧).

وجده الهيتمي ولم يجده الصحابة

- وزعم ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (٩٠٩-٩٧٤) أنه قد وجد للمولد دليلا من السنة وهو أمر النبي ﷺ بصيام عاشوراء شكراً لله على نجاة موسى. ولكن كيف فات الصحابة هذا الاستدلال والاستنباط؟ فلم يهتدوا الى شكر الله على ولادة النبي ﷺ؟ هل اليهود أحرص على شكر الله من الصحابة؟

---

١) أنظر مواهب الجليل شرح مختصر خليل ٢/٤٠٦.

٢) رواه مسلم رقم (١١٦٢).

لم يتفقوا الى الآن حول تحديد يوم مولده ﷺ

وكما أننا نحتج على النصارى باختلافهم الشديد حول تحديد وقت ولادة المسيح عليه السلام فكذلك نحتج على المبتدعة بالخلاف حول تحديد وقت ولادة نبينا ﷺ. قال الحبشي « اختلف في عام ولادته ﷺ والأكثر أنه عام الفيل. قال ابن عبد البر: ولد بعد قدوم الفيل بشهر. وقيل بأربعين يوماً وقيل بخمسين يوماً» [(١)]. فاقتصر على أنه « ولد الرسول الأعظم يوم الاثنين عام الفيل في شهر ربيع الأول...».

وسبقه الكوثري في هذه الحيرة فحكى أن الراجح أن مولده ﷺ كان في الثامن من ربيع الأول، وأن بحوثا مضنية ألزمت أن يكون مولده في التاسع لا الثامن، ثم استحسن الكوثري التحديد بالتاسع، واستبعد رواية الثاني عشر واعتبرها رواية لا أسانيد لها. وانتهى الكوثري الى الاعتراف بأن الملك مظفر الدين كوكبري الملقب بـ «الذئب الأزرق» صاحب إربل كان يراعي الخلاف حول المولد النبوي بين العلماء فكان يحتفل بالمولد النبوي في الثامن في عام، وفي الليلة الثانية عشر في عام آخر [(٢)]. وهذه مهزلة.

فالخلاف في تحديد تاريخ اليوم الذي ولد فيه ﷺ كبير:

قال ابن كثير « قيل لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول. قاله ابن عبد البر في الاستيعاب.

وقيل لثمان خلون منه، حكاه الحميدي عن ابن حزم. ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطعوا به. ورجحه ابن دحية في كتابه «التنوير في مولد البشير النذير». قال القسطلاني في المواهب اللدنية « وهو اختيار أكثر أهل الحديث... وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة...» [(٣)]. ونقل الحلبي في «إنسان العيون» أن ابن دحية نص على أنه لا يصح تاريخ غيره.

وقيل لعشر خلون منه، نقله ابن دحية في كتابه» [(٤)] انتهى. ورجح الدمياطي في كتابه السيرة رواية أبي جعفر محد الباقر أن مولده ﷺ

---

١) الروائح الزكية في مولد خير البرية ٢٨ وهذا الكتاب جعلوه بديلا عن كتاب آخر لشيخهم وهو كتاب (المولد الشريف) الذي أخفوه بعد أن كشفت فيه الخرافات والأكاذيب التي حواها.

٢) مقالات الكوثري ٤٧٦-٤٧٩ فوات الوفيات لابن خلكان ٤٣٦/١.

٣) المواهب اللدنية ١٣١-١٣٢.

٤) أنظر كتاب السيرة النبوية لابن هشام ١٩٨/١-٢٠١.

كان لعشر خلون من شهر ربيع الأول.

وقيل ان الراجح رواية ودراية أنه في اليوم التاسع كما في الاستيعاب والتنوير ونتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الاسلام، وفي تحقيق مولد النبي ﷺ عند مقالات الكوثري»[1].

كيف راعى صاحب إربل هذا الخلاف

ولمراعاة الخلاف حول تحديد يوم مولده ﷺ كان صاحب إربل يحتفل سنة بالمولد النبوي في الثامن من شهر ربيع الأول. وفي السنة الأخرى يحتفل في ثاني عشر كما ذكر ذلك ابن خلكان في تاريخه [2]. وهذا من المضحكات المبكيات.

ملك إربل ملك ظالم

وذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان ١٣٨) أن طباع هذا الملك «مختلفة متضادة، فانه كثير الظلم عسوف بالرعية راغب في الأموال من غير وجهها وهو مع ذلك مفضل على القراء كثير الصدقات على الغرباء... وفي ذلك يقول الشاعر:

كساعية للخير من كسب فرجها

لك الويل لا تزني ولا تتصدقي» . هـ

يفرقون بين الله ورسله

وقد أمرنا الله أن لا نفرق بين أحد من رسله، وأنتم أيها المتصوفة تفرقون بين الله ورسله فتحتفلون بمولد محمد ﷺ ولا تحتفلون بمولد موسى وعيسى وداود وسليمان ونوح وابراهيم وغيرهم من الأنبياء. اذا كان جوابكم أنكم لا تستطيعون تحديد تاريخ مولدهم فنقول: ولم تستطيعوا أيضا اعطاء تحديد صحيح لمولد نبينا محمد ﷺ فكلا المسألتين سواء: فما الذي جعلكم تمنعون من الاحتفال بموالد الأنبياء الآخرين وتوجبون الاحتفال بمولد سيدنا محمد ﷺ؟ هذا لأنكم اذا تنازعتم في شيء رددتموه الى العادة التي حكمتموها ولم تحكموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والحجة ههنا أن الله لو أراد أن يكون مولد نبيه ﷺ ديناً يدين

---

١) السيرة النبوية مجتزأة من تاريخ الاسلام للذهبي ص ٧ تحقيق حسام الدين القدسي ط: دار الكتب العلمية ١٩٨٢.

٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤٣٧/١.

الناس به لربهم لقدّر له سنداً صحيحاً يحدد به تاريخ مولده ولهداهم الى معرفته، كما قيد لسنة نبيه ﷺ من يمحصها ويصححها.

ولكن الذين يحتفلون بمولده يوم الثاني عشر من ربيع الأول لا يمكنهم نفي الخلاف الحاصل في تحديد يوم ولادته.

أما يوم الاثنين فصحيح بالاتفاق، ولكن هذا ليس بمسوغ على إحداث بدعة، ألا ترى أن يوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس ومع ذلك يكره الصيام فيه مع عظيم فضله.

مات ﷺ في التاريخ الذي وُلِد فيه!!!

ثم إن الشهر الذي ولد فيه ﷺ هو بعينه الشهر الذي مات فيه. نبه على ذلك غير واحد من أهل العلم، وحكى الحافظ ابن حجر « أن وفاته ﷺ كانت يوم الاثنين بلا خلاف. وكانت في الثاني عشر من ربيع الأول كما عند ابن اسحاق والجمهور» (١).

قال الشيخ الفاكهاني في «المورد في عمل المولد» « إن الشهر الذي ولد فيه رسول الله ﷺ هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه».

وقال ابن الحاج في المدخل « العجب العجيب كيف يعملون بالمغاني والفرح والسرور لأجل مولده ﷺ في هذا الشهر الكريم وهو عليه الصلاة والسلام فيه انتقل الى كرامة ربه وفجعت الأمة وأصيبت بمصاب عظيم لا يعدل ذلك غيرها من المصائب، فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن الكثير... فانظر في هذا الشهر الكريم والحالة هذه كيف يلعبون فيه ويرقصون ولا يبكون ولا يحزنون... مع أنهم لو فعلوا ذلك والتزموه لكان أيضاً بدعة وإن كان الحزن عليه ﷺ واجباً على كل مسلم... إنما وقع الذكر لهذا الفصل لكونهم فعلوا الطرب الذي للنفوس راحة وهو اللعب والرقص والدف والشبابة... ولو قال قائل أنا أعمل المولد للفرح والسرور ولولادته ﷺ ثم أعمل يوماً آخر للمأتم والحزن والبكاء عليه فالجواب أن من عمل طعاماً بنية المولد ليس الا، وجمع الاخوان فان ذلك بدعة، هذا: وهو فعل واحد. فكيف اذا كرر ذلك مرتين: مرة للفرح ومرة للحزن فتزيد به البدع ويكثر اللوم عليه من

---

١) ذكره الحافظ (الفتح ٨/١٣٩ (٤٤٢٧) البداية والنهاية ٥/٢٥٥.

جهة الشرع»[1].

وذكر ابن الحاج أنه لو خلا المولد وسلم من كل المفاسد المركبة فهو بدعة بنفس نيته لأن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن تبع: فيسعنا ما وسعهم».

السيوطي ينقل فتوى ابن الحاج

وقد نقل السيوطي فتوى ابن الحاج في كتابه الحاوي للفتاوي (١٩٣/١-١٩٥) ثم قال عفا الله عنه أن ابن الحاج « لم يذم المولد ولكنه ما يحتوي عليه من المحرمات» والجملة الأخيرة من ابن الحاج تأبى ما قاله رحمه الله. وهو جملة من عجائبه وغرائب مذاهبه[2].

---

١) المدخل لابن الحاج ١٦/٢-١٧.

٢) ومن عجائب أقواله: زعمه أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه عليه الصلاة والسلام، ثم ألقى الله ذلك النور في صلب آدم» (المقامة السندسية في النسبة المصطفوية ١١٣). وزعم أن من خصائص النبي ﷺ أنه لولاه ما خلق الله آدم. (المقامة السندسية ١١٢). وقد جاهد تحسين حديث « ان الله أحيا لي أمي فآمنت بي» (المقامة السندسية ١٤١). ويأتي بغرائب كقوله « قد بشر النبي ﷺ بالإمام أبي حنيفة، في حديث «لو كان العلم بالثريا» تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة ٢٩٤ (ضمن الرسائل التسع). وتكلف في تأويل قوله ﷺ « إلا رد الله الي روحي فأرد عليه السلام» وأتى له بمعان متناقضة بعيدة عن الصواب منها: أن تكون الروح كناية عن السمع وأن الله يردّ عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع سلام المسلّم. ○ أن تكون الروح بمعنى الارتياح لا بمعنى روح الحياة. أن تكون الروح بمعنى الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة عليه. أن المراد بالروح هو الملك الذي وكل بقره ﷺ يبلغه السلام، أي بعث الي الملك الموكل يبلغني السلام. أن المراد بالروح: التفويض... ففوض الله أمر هذه الرحمة الى النبي ﷺ فيصير معنى الحديث « الا فوض الله اليّ أمر الرحمة التي تحصل للمسلم بسببي، فأتولىّ الدعاء بها بنفسي بأن أنطق بلفظ السلام. أن المراد بالروح الرحمة التي في قلب النبي ﷺ على أمته (إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء ص ٢٦٠-٢٦٤) وزعم أن النبي ﷺ قال « من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر» (الحاوي للفتاوي

مفتي الديار المصرية محمد بخيت المطيعي

وكذب الحبشيَ مفتي الديار المصرية الشيخُ محمدُ بخيت المطيعيُ[1] في كتابه « أحسن الكلام» الذي طبعته مؤسسة الكتب الثقافية الحبشية. فأفتى جواباً على سؤال ورد اليه في حكم المولد النبوي ما يلي:

«إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون وأولهم المعز لدين الله. توجه من المغرب الى مصر في شوال سنة ٣٦١ هـ ودخل القاهرة في رمضان فابتدعوا ستة موالد. المولد النبوي ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. ومولد السيدة فاطمة الزهراء ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد الخليفة الحاضر. وبقيت هذه الموالد على رسومها الى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش... وفي خلافة الآمر بأحكام الله أعاد الموالد الستة المذكورة قبل. بعد أن كاد الناس ينسونها... إنما أحدث المولد النبوي في مدينة إربل على الوجه الذي وصف فلا ينافي ما ذكرناه من أن أول من أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميون من قبل ذلك. فإن دولة الفاطميين انقرضت بموت العاضد بالله أبي محمد عبد الله ابن الحافظ ابن المستنصر في يوم الاثنين عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة هجرية. وما كانت عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة هجرية. وما كانت الموالد تعرف في دولة الاسلام من قبل الفاطميين» [2].

---

٤١). وقال السيوطي « يستحب إكثار الصلاة على النبي ﷺ عند أكل الرز لأنه كان جوهراً أودع فيه نور محمد ﷺ فلما خرج النور منه تفتت وصار حباً» (الحاوي للفتاوي ٤١). وقال « نزل جبريل بطبق تفاح وقد كتب في جانبها: بسم الله الرحمن الرحيم: هذه هدية من الله لأبي بكر الصديق، وعلى الجانب الآخر: من أبغض الصديق فهو زنديق» (الحاوي للفتاوي ٢/٤٥). وزعم أن كعب الأحبار وجد اسم محمد مكتوب في الجنة في كل مكان. قال: ولقد رايت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين في الجنة» (الحاوي للفتاوي ٢/١٤٤) فليس من الطعن وصف ما عند السيوطي بالعجائب وتفردات الأقوال وقد حكى ذلك جمع من أهل العلم كالشيخ ملا علي قاري.

١) وقد بالغ الكوثري في الثناء عليه في مقالاته ٢٢٩.

٢) أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام ٥٧-٦٦ ط: مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٨٨.

المطيعي يتحدث عن بدع ملك إربل

ثم تحدث عن تفاصيل البدع التي كان يرتكبها ملك إربل « كان ينصب قباباً من الخشب كل أربع أو خمس طبقات ويعمل مقدار عشرين قبة، فاذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة وقعد في كل طبقة جوق من الأغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق حتى زينوا فيها جوقاً وتُعطل معايشَ الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل الا التفرج والدورآن عليهم... ويسمع غناهم...

وكان يعمل سنة في ثامن الشهر وسنة في ثاني عشرة لأجل الاختلاف الذي فيه. فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغاني والملاهي حتى يأتي بها الى الميدان. ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة. فاذا كانت ليلة المولد عمل السماعات ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير[1]... تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل...».

ولم يطق الشيخ محمد بخيت المطيعي بعد ذكر هذه الطقوس الشاذة أن يخفي نفوره منها، حتى صرح بتحريمها قائلا « وأنت اذا علمتَ ما كان يعمله الفاطميون ومظفر الدين (ملك إربل) في المولد النبوي جزمتَ بأنه لا يمكن أن يحكم عليه بالحل» [2].

واذا كان هذا موقف مفتي الديار المصرية وهو معتبر عند الأحباش بل هم الذين طبعوا كتابه المتضمن لفتوى تحريم عمل المولد فأقل ما في الأمر ما قاله ابن تيمية « اذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكراهيتها وأنكرها قوم... فتكون حينئذ قد تنازع فيها أولو الأمر فترد إذن الى الله والرسول وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ». فحكمُ السنة في المولد أنه خلاف السنة.

---

١) وهل هذا الا تقليد النصارى في طقوسهم؟ ألم تر النصارى كيف يحملون الشموع في احتفالاتهم في الكنائس؟

٢) أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام ٦٦.

شبهات حول المولد

وقد زعم الحبشي أن ابن تيمية لم يحرم عمل المولد بل قال « فيه أجر عظيم»[1]. وقد بتر محترفو « بتر النصوص» النص على عادتهم، فما أكثر ما أنكر ابن تيمية عمل المولد، وقد صرح في أول تلك العبارة « لا ريب أن من فعلها - أي المواسم المبتدعة - متأولا مجتهداً أو مقلداً كان له أجر عظيم على حسن قصده وعلى عمله من حيث ما فيه من المشروع، وكان فيه من المبتدع مغفوراً له وإذا كان في اجتهاده أو تقليده من المعذورين... لكن هذا القدر لا يمنع من كراهتها والنهي عنها والاعتياض عنها بالمشروع الذي لا بدعة فيه».

قال « فإن من الأعمال ما يكون فيه خير لاشتماله على أنواع من المشروع وفيه أيضاً شر من بدع ونحوها». غير أنه أكد أن « جميع المبتدعات لا بد أن تشتمل على شر راجح على ما فيها من الخير... فنحن نستدل بكونها بدعة على أن إثمها أكبر من نفعها».

- ولهذا ذكر أن عمل المولد « قد يكون مضاهاة للنصارى في مولد عيسى، وإما محبةً للنبي ﷺ وتعظيماً، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع... فإن هذا لم يفعله السلف ... ولو كان هذا خيراً لكان السلف أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص: وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته واتباع أمره».

وهكذا فرّق ابن تيمية بين من يفعله وهو عالم بحكمه وبين من يفعله عن حسن قصد وهو جاهل حكم الشرع فيه فيعذر لجهله ويثاب على حسن مقصده. ثم قال « فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده» فهؤلاء البعض معذورون لجهلهم بخلاف العارفين حقيقة الحكم ولذلك قال بأنه «

[1] مجلة منار «الهدى» ٢٩/٤٧ نقلوا هذا عن اقتضاء الصراط المستقيم.

يَحْسُنُ من بعض الناس ما يُستقبح من المؤمن المسدد»[1].

هذا كلام ابن تيمية من غير بتر ولا تقطيع على عادة لصوص النصوص! وهؤلاء قد عرفناهم يتبعون ما تشابه من كلام الله، فلا تعجب أن يتبعوا ما تشابه من كلام العلماء!

وقد فرق ابن حجر المكي الهيتمي بنفس التفريق في بدعة الوقوف عند ذكر مولده ﷺ فقال في الفتاوى الحديثية (٥٨) ما نصه « ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده ﷺ ووضع أمه له من القيام وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء على أن الناس انما يفعلون ذلك تعظيماً له ﷺ فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص». فبهذا نلبس عليهم ما يلبسون.

أن الملك المظفر ليس أول الشاكرين لله على إبراز سيدنا محمد ﷺ فقد شكره السلف من قبل. ليس على طريقة هذا الملك وإنما بإحياء سنته واتباع هديه من غير أن يقيموا له مولداً، فإنهم كانوا أكثر حباً لرسول الله ﷺ من ملك إربل. وقد اعترف الأحباش ولله الحمد أن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة الفاضلة[2].

○ وأما زعمهم أن هذا الاحتفال هو فرح بمولده ﷺ واحتجاجهم بقوله تعالى ﴿**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا**﴾ فهل فرح الصحابة والتابعون بمثل فرحكم أم أنهم أعرضوا عن تطبيق هذه الآية وفطنتم لها أنتم والباطنيون؟

إن من يقول هذا يفضل الباطنيين الذين ابتدعوا المولد على الصحابة الذين لم يفعلوه. فانظر كيف يستدل المبتدعة بالكتاب والسنة ويحملونهما على مذاهبهم ويحسبون أنهم على شيء.

وإنه لمن الضلالة أن نضرب هدي الصحابة بهدي ملك إربل فإنه ليس بأحسن هدياً منهم. وإلا فلماذا لم يحتفل الصحابة بمولده شكراً لله؟ فإن قيل إن الصحابة رأوه وسعدوا به فماذا يقول في التابعين وهم لم يروه وكانوا أكثر حباً له وأحسن هدياً من هذا الملك ؟

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦٠٩-٦١٧ تحقيق ناصر العقل.

٢) مجلة منار الهدى (١١/٢٤).

التقويم بالهجرة لا بالميلاد

لقد ابتدأ عمر رضي الله عنه التقويم السنوي من حدث الهجرة ولم يبدأه من مولد النبي ﷺ. في حين بدأ النصارى تقويمهم بحسب ميلاد من يزعمون ألوهيته.

ومع علم عمر بأن النصارى ابتدأوا التقويم السنوي من يوم ولادة المسيح فانه لم يتخذهم قدوة في ذلك كما اتخذهم ملك اربيل. ولم يقل نحن أحق منهم بأن نجعل التقويم من يوم مولد نبينا ﷺ من النصارى. فتركتم سنة من سنن الخلفاء الراشدين وسننتم سنن النصارى.

فاتخاذ مولد الأنبياء عيدا سنة نصرانية لم يقتد بها السلف: فأنتم تتبعون غير سبيل المؤمنين.

ثم ما موقفكم ممن يبتدع للمسلمين مناسبة أخرى: فيتخذ من يوم موته ﷺ عيداً ويسميه يوم الحزن، فيبكي طوال اليوم لموته وحجته نفس حجتكم: محبة رسول الله ﷺ وتعظيمه وتذكر فراقه الدنيا؟ هل تعارضون مثل هذه الفكرة وما الضابط لرفضها أو أخذها؟

ثم إن الأمر لا يقف عند هؤلاء عند حد مولد النبي ﷺ بل يضطرد الى عمل الموالد للأولياء. فقد زعم الأحباش أن العلماء الذين يمتنعون عن الاحتفال بمولد أحمد البدوي سيصيبهم من الضرر ما يصيبهم، وأنه وقع لكثير منهم المصائب من دخول السجن وتلقي العذاب من الله جزاء على استنكارهم لمولد البدوي[1]!

شبهة: وأما الاحتجاج بتأليف السيوطي كتاباً بعنوان «حسن المقصد في عمل المولد». فالسيوطي كغيره من البشر غير معصوم يخطىء ويصيب، وهو مع جلالته وتبحره في العلم فانه لا يخلو من غرائب انتقده عليها كثيرون أبرزهم الشيخ ملا علي قاري. وقد انتقده الغماري في (المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص ٦) فقال «يورد - أي السيوطي - الحديث الموضوع الذي في نفس متنه ما يدل دلالة واضحة على وضعه... كما فعل في حديث جابر « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» انتهى.

١) مجلتهم منار "الهدى" ٣٥/١٨-١٩.

ويأتي بغرائب كقوله « قد بشر النبي ﷺ بالإمام أبي حنيفة، في حديث «لو كان العلم بالثريا» وزعم فيما حكاه عن ابن المبارك أن أبا حنيفة صلى خمساً وأربعين سنة على وضوء واحد وكان يجمع القرآن في ركعتين في ليلة [(١)].

شبهة: واحتجوا بما جاء في البخاري « قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب أُريه بعضُ أهله بشر حيبة، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة» [(٢)]. فزعموا أن الرواية أفادت أنه يخفف عن أبي لهب لفرحه بولادة النبي ﷺ وعتقه ثويبة لبشراها له بولادة النبي ﷺ.

وهذا كذب على البخاري. فإنه لم يجيء فيه أنه يخفف عن أبي لهب كل اثنين ولا أن أبا لهب أعتق ثويبة من أجل بشارتها إياه بولادة النبي ﷺ. ومن ادعى ذلك فعليه الدليل.

ولقد كان أبو لهب من أشد الناس عداوة وإيذاء للنبي ﷺ ومبالغته في إيذائه تهدم ما سلف من الفرح لو كان صحيحا. ولقد قال تعالى ﴿**وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً**﴾.

وقد صرح الحافظ ابن حجر في الفتح (١٤٥/٩): بأن هذا الخبر مرسل، ولا يليق بمن منع الآحاد أن يحتج بهذه الرواية. وأنه مخالف لظاهر القرآن، أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به. وأوضح الحافظ في الاصابة (٢٥٠/٤) بأن إعتاق أبي لهب لثويبة كان بعد الارضاع بزمن بعيد.

على أن الخبر رؤيا منامية رآها « بعض أهل أبي لهب» ولا تثبت عقيدة بالمنامات. فلا حجة فيه. وبطل هذه الرواية أبو لهب، وما أسهل على الشيطان أن يتمثل بشيطان مثله.

---

١) تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة ٢٩٤ (ضمن الرسائل التسع).

٢) رواه البخاري ٥١٠١.

الحبشي يمدح ابن دحية ويصفه بالحافظ والسبكي يذمه ويصفه بالكذاب

ويحتج الحبشي بأبي الخطاب بن دحية الذي عمل لملك إربل كتاباً بعنوان «التنوير في مولد السراج المنير» ويزعم أنه حافظ من حفاظ أهل الحديث [١]، وزعم أتباعه أن ابن دحية كان محمود السيرة والسريرة (مجلة منار الهدى ٣٤/٣٨).

أما حكمهم على السريرة فهذا افتراء على الله فان الله هو الذي يعلم السريرة.

وأما السيرة: فقد حكى شيخكم السبكي إجماع أهل العلم على الطعن في ابن دحية ورمية بالكذب وعظائم الأمور. وأنه كذاب لا تقبل روايته[٢]. فخذوه حيث سبكي عليه نص.

قال الذهبي « كان معروفاً بالمجازفة والدعاوى العريضة. وقال الحافظ الضياء: لقيته ولم تعجبني حاله، كان كثير الوقيعة في الأئمة. زاد ابن النجار « كثير الوقيعة في السلف الصالح خبيث اللسان أحمق شديد الكبر قليل النظر في أمور الدين متهاوناً... رأيت الناس مجتمعين على كذبه وضعفه وادعائه سماع ما لم يسمع» وقال في العبر « ليس بالقوي ضعفه جماعة وله تصانيف ودعاوٍ ومدحضة وعبارات مقعرة مبغضة» [٣].

وقال الحافظ ابن حجر عن ابن النجار أنه لما دخل ابن دحية أكرمه ملكها فوضع سجادة للصلاة وقبّلها وقال: صليت على هذه السجادة كذا وكذا ألف ركعة وختمت القرآن في جوف الكعبة مرات. وفي آخر النهار جاء رجل فسأل عن ابن دحية وأخبرهم أنه - اي ابن دحية - قد اشترى منه السجادة أول هذا النهار. فسقط من أعين الناس» انتهى.

قال ابن خلكان: صنف لملك إربل كتاباً في المولد ومدحه بقصيدة ثم تبين أنها في ديوان الأسعد بن مماتي. وقال ابن نقطة كان يدعي

---

١) شريط ٩ الوجه الأول ٣٠٠-٣٧٠ و٢٤٣/٥.

٢) أنظر طبقات السبكي ١٨٩/٥ محققة.

٣) ميزان الاعتدال ١٨٨/٣ تذكرة الحفاظ ١٤٢١/٤ العبر في خبر من غبر ٢١٧/٣.

أشياء لا حقيقة لها». ونقل عن أبي القاسم بن عبد السلام قال: أقام عندنا ابن دحية فكان يقول: أحفظ صحيح مسلم والترمذي. قال: فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات فجعلتها في جزء فعرضت عليه حديثاً من الترمذي فقال: ليس بصحيح. وآخر فقال لا أعرفه. ولم يعرف منها شيئاً» كذلك وصفه السيوطي بأنه «كان مجازفاً في النقل مع الدعاوى العريضة» [١].

وقال الحافظ ابن كثير «تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ونسبه بعضهم الى وضع حديث في قصر صلاة المغرب» [٢].

•

فأين أمانتك العلمية يا حبشي؟ لماذا تغش الناس في دينهم وترفع من شأن كذاب شهد عليه نقاد الحديث وأصحاب الجرح والتعديل بالكذب وخبث اللسان وسوء الحال؟ أكلّ ذلك التشغيب والتشويش منك لنشر بدعك التي تدافع عنها.

الأكاذيب والمبالغات في الموالد

ومن المبالغات والأكاذيب حول مولده ﷺ زعموا أن النبي ﷺ قال «من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً» قال الشيخ ملا علي قاري في المورد الروي «قال الحافظ العراقي لا يثبت شيء في هذا كله». وقد ذكر الحافظ ابن حجر من أسباب طعن أهل العلم بالحاكم روايته أحاديث واهية مثل حديث أن النبي ﷺ ولد مسروراً مختوناً ثم قوله: وقد تواتر هذا [٣].

وهذا الطعن موجه الى الحبشي الذي زعم أن النبي ﷺ وُلد مختوناً [٤].

ومن المبالغات التي تحدث في الاحتفال بمولده ﷺ أنهم يقومون عند ذكر ولادته كما أشار الى ذلك أحمد بن زيني دحلان في كتابه (السيرة النبوية والآثار المحمدية ٢٤/١) ووصل الأمر ببعضهم الى

---

١) وانظر ترجمة الحافظ ابن حجر له في لسان الميزان ٣٣٦/٤-٣٤٢ ترجمة رقم ١٦٨٦/٦٠٣٧ طبقات الحفاظ ٥٠١ ترجمة رقم (١١٠٢).

٢) البداية والنهاية ١٣/-١٤٤-١٤٥ وفيات الاعيان ٦٩/١.

٣) لسان الميزان ٢٦٣/٥ ترجمة رقم (٨٥٩٨).

٤) المولد الشريف ص ١٨.

تكفير تارك القيام كما بينه الشيخ محمد علي بن حسي المالكي في تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية ٤/٢٧٧).

ولقد قال الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي « جرت عادة كثير من المحبين اذا سمعوا بذكر وضعه ﷺ أن يقوموا تعظيماً له ﷺ وهذا القيام بدعة لا أصل لها» (السيرة الحلبية ١/٤١٥).

وقال ابن حجر المكي الهيتمي في الفتاوى الحديثية (٥٨) ما نصه « ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده ﷺ ووضع أمه له من القيام وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء على أن الناس انما يفعلون ذلك تعظيماً له ﷺ فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص». وبهذا يصير الهيتمي عند الدحلان كافرا لأنه ينهى عن القيام عند ذكر مولد النبي ﷺ بل يعتبره بدعة.

الله ينتقم ممن لا يحضرون مولد البدوي!

هكذا قالها الأحباش الذين يخوفونك بالذين من دونه.

إنه لم يقتصر الأمر على مولد النبي ﷺ وانما تلاه احتفالات بموالد غير النبي ﷺ كالاحتفال بمولد البدوي والشاذلي والجيلاني وغيرهم. ويحضر مولده ملايين البشر ويتوافد الشيوخ من أنحاء العالم للاحتفال به. وزعم الأحباش أن جماعة سعوا في إبطال هذا المولد فانتقم الله منهم فمنهم من عزله السلطان ونفاه، ومنهم من وضعت السلاسل في يديه ومنهم من أهين ونكل به وضُرِب في مجلس السلطان بعد أن كان وجيهاً من وجهائه[١].

---

١) مجلة منار الهدى ٣٥/١٨-١٩.

أساطير الأولين وقصص المولد الكاذبة

ويكفي للمنصف أن يطلع على هذه الرسالة ليتعرف على حقيقة خدمة الحبشي لعلم الحديث وليتأكد أن من كان يركن الى الضعيف والموضوع من الروايات ويستدل في مسائل العقيدة بالأقاصيص الواهية(١) لا يكون من أهل الحديث ولا من خدامه.

أسوق لك رواية من كتابه المولد الشريف (٢) وما فيها من الأساطير لترى أن هواه يميل مع المكذوب الذي يرمي به الذهبي.

يقول الحبشي:

« لما حملت آمنة برسول الله ﷺ كانت ترى الطيور عاكفة عليها اجلالا للذي في بطنها، وكانت اذا جاءت تستقي من بئر: يصعد الماء اليها الى رأس البئر اجلالا واعظاما لرسول الله ﷺ.

○ قالت: وكنت أسمع تسبيح الملائكة حولي. ثم أتاني ملك ومعه ورقة خضراء. فقال انك قد حملت بسيد المرسلين.

○ ولما مات عبد الله ضجت الملائكة الى باريها وقالت: إلٰهنا يبقى نبيُك وحبيبُك يتيماً؟ قال تعالى: أسكتوا يا ملائكتي (٣).

---

١) يحتج بالخرافات لتجويز الاستغاثة بغير الله (أنظر مقالاته ٤٩).

٢) لقد سارع الأحباش الى إخفاء هذا الكتاب وعدم طبعه بعدما بينت ما فيه في الطبعة الأولى من كتابي (الشبهات). وكانت لهم ثلاثة مواقف من هذا الكتاب:

الأول: من كتاب شيخهم (التعقب الحثيث) إذ وضعوا في مؤخرة الكتاب اعلانا عن توزيع كتاب المولد الشريف مجانا.

الثاني: أثبتوا صحة هذا الكتاب لشيخهم (أنظر كتابه إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية ص ١٦ ط: ١٩٩٢ مختصر عبد الله الهرري ط: ١٩٩٥ صريح البيان الطبعة القديمة ١٩٨).

الثالث: أخفوا ذكر اسم الكتاب واستبدلوه بكتاب آخر بعنوان الروائح الزكية في مولد خير البرية. أما الطبعة الحديثة من كتاب صريح البيان فقد أسقطوا اسم كتاب المولد الشريف وذكروا اسم كتاب آخر عن المولد بعنوان (الروائح الزكية في مولد خير البرية (أنظر الطبعة الجديدة التي زعموا أنها الطبعة الأولى ص ٣٦٦) وذكروا اسم هذا الكتاب في كتاب بغية الطالب الطبعة القديمة وأما الطبعة الجديدة المجلدة فقد خلت من ترجمة شيخهم أو اسم مؤلفاته.

٣) بأي سند يروي هذا الهذيان؟ وهل يتصور أن يتكلم الله ملائكته بمثل هذه الطريقة.

○ قالت آمنة: لما كان أول شهر من شهوري، اذ دخل علي رجل حسن الوجه طيب الرائحة: وهو يشير بيده الى فؤادي ويقول: مرحبا مرحبا بك يا محمد.

○ فلما كان في الشهر الثاني دخل علي رجل جليل القدر، وهو يشير بيده الى فؤادي ويقول: السلام عليك يا رسول الله. قلت له من أنت. قال أنا شيث. أبشري يا آمنة. فقد حملتِ بالنبي الكريم والسيد العظيم. الضبُّ له يكلِّم. والحجر له يسلِّم. ثم انصَرف.

○ فلما كان في الشهر الثالث دخل عليَّ رجلٌ له سكينة ووقار وهو يشير بيده الى فؤادي ويقول: السلام عليك يا مُزمِّل. قلت له: سيدي من أنت؟ قال أنا النبي ادريس. فقلت: وما تريد يا ادريس؟ قال: أبشري يا آمنة، فقد حملت بالنبي الرئيس.

○ فلما كان في الشهر الرابع دخل عليَّ رجلٌ أسمر مليحُ المنظر وهو يشير بيده الى فؤادي ويقول: السلام عليك يا صادق. السلام عليك يا صفوة الكريم الخالق. فقلت له سيدي من أنت ؟ قال أنا نوح. فقلت وما تريد يا نوح ؟ قال: أبشري يا آمنة : فقد حملتِ بالنبي الممنوح الذي ذكاؤه في الآفاق يفوح.

○ فلما كان في الشهر الخامس دخل علي رجل حسنه مُكمَّل، ووجهه مُجمَّل، وهو يشير بيده الى فؤادي ويقول: السلام عليك يا زين المرسلين ويا امام المتقين. قلت له سيدي من أنت ؟ قال أنا النبي هود. قلت وما تريد يا هود. قال: أبشري يا آمنة فقد حملت بالنبي المسعود.

○ فلما كان في الشهر السادس دخل علي رجل جليل المقدار كثير الأنوار وهو يشير بيده الى فؤادي ويقول: السلام عليك يا بغية المطلوب. فقلت له سيدي من أنت؟ قال أنا ابراهيم قلت: ما تريد يا ابراهيم : قال: أبشري يا آمنة: فقد حملت بالنبي الجليل والرسول الفضيل. ثم انصرف.

○ فلما كان في الشهر السابع دخل علي رجل أملح ووجهه من البدر أصبح وهو يشير بيده الى فؤادي ويقول: السلام عليك يا صفوة الاله، السلام عليك يا عظيم الجاه، فقلت له: سيدي من أنت؟ قال: أنا أبوه اسماعيل الذبيح. فقلت له سيدي وما تريد؟ قال أبشري يا آمنة فقد حملت بالنبي المليح. صاحب النسب الصحيح واللسان الفصيح. ثم انصرف.

فلما كان في الشهر الثامن دخل علي رجل طويل القامة مليح الهامة وهو يشير بيده الى فؤادي ويقول: السلام عليك يا امام الأبرار. السلام عليك يا حبيب الملك الجبار. فقلت له سيدي من أنت؟ قال أنا

موسى بن عمران. قلت وما تريد يا موسى؟ قال: أبشري يا آمنة. فقد حملت بمن ينزل عليه القرآن. ويكلمه الرحمن. ثم انصرف [١].

○ فلما كان في الشهر التاسع دخل علي رجل لابس الصوف، وهو بالبادة موصوف. فأشار بيده الى فؤادي ويقول: السلام عليك يا زين الخلائق. فقلت له سيدي من أنت ؟ قال أنا عيسى بن مريم. فقلت وما تريد يا عيسى ؟ قال أبشري يا آمنة : فقد حملت بالنبي الأكرم. وفي هذا الشهر تضعين محمدا ﷺ.

○ قالت آمنة: وبقيت في المنزل وحيدة، اذ سمعتُ حركةً بين السماء والأرض [٢] ورأيت ملكا عظيما بيده ثلاثة أعلام. فنشر الأول على مشرق الأرض والثاني على مغربها والثالث على البيت الحرام. فنظرت الى ركن المنزل وقد ظهر منه أربع نساء طوال كأنهن الأقمار. فقالت الأولى: أنا مريم بنت عمران. والتي على يسارك سارة. والتي تناديك من خلفك هاجر أم اسماعيل الذبيح. والتي أمامك آسيا امرأة فرعون. فتقدمت الأولى وقالت أبشري يا آمنة، من مثلك وقد حملت بسيد أهل الأرض والسماء. ثم جلست بين يدي وقالت: ألق بنفسك علي وميلي بكليتك الي.

○ قالت آمنة: وفي تلك الساعة رأيت الشهب تتطاير يمينا وشمالا، ورأيت المنزل قد اعتكر عليّ بأصوات مشتبهات، ولغات مختلفات، فأوحى الله تعالى الى رضوان: يا رضوان زيِّن الجِنان، واهتز العرش طربا، ومال الكرسي عجبا، وتجلى الملك الديَان من غير حركة ولا انتقال [٣].

○ ثم ان الله تعالى أوحى الى جبريل أن صُفَّ أقداح راح الشراب [٤] وانشر نوافح المسك الذكية، وعطِّر الكونَ بالروائح الطيبة الزكية، وافرش سجادة القرب، وقيل يا مَالك أغلق أبواب النيران، وصفِّدِ الشياطين.

---

١) المولد الشريف ١٠ - ١١.

٢) المولد النبوي ١٢-١٣.

٣) أيعقل أن تنزه آمنة ربها عن الحركة كأنها كانت خبيرة بمذهب أرسطو؟ ثم يتحدث ابنها ﷺ عن علو الله ونزوله ومجيئه من غير أن ينزهه عن الحركة والانتقال. ثم يستأذن ربها بعد موتها أن يستغفر لها فيمنعه من ذلك كما في مسلم (٩٧٧).

٤) أنظر كيف يفترون على الله الكذب. لمن يُوزع الشراب أعلى الملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون أم على أهل الأرض؟ وكيف عرفت أم النبي ﷺ كلام الله الى رضوان وجبريل وكيف علمت باهتزاز العرش؟

○ قالت آمنة: ولم يأخذني ما يأخذ النساءَ من الطلق، الا أني أعرق عرقا شديدا، كالمسك الأذفر لم أعهده قبل ذلك من نفسي، فشكوتُ العطش، فاذا بملَك ناولني شربة من الفضة البيضاء، فيها شراب أحلى من العسل، فشرَّبتها، فأضاء علي منها نور عظيم. فبينما أنا كذلك، اذا أنا بطائر عظيم أبيض قد دخل علي وأمر بجانبة جناحيه على بطني، وقال: انزل يا نبي الله ﷺ. فأعانني عالم الغيب والشهادة على تسهيل الولادة، فوضعت الحبيب محمدا [1]. فلما خرج مني خرج معه نور أضاء له المشرق والمغرب. وولد ﷺ مكحولا مدهونا مسرورا مختونا.

○ وحين وُلدَ سارَعتْ الى طلعته المباركة ثلاثة من الملائكة. مع أحدهم طسط مَن الذهب، ومع الثاني ابريق من الذهب، ومع الثالث منديل من السندس الأخضر.

○ قالت آمنة بنت وهب: فلما وضعت رسول الله ﷺ رأيته رافعا رأسه الى السماء، مشيرا بأصبعه[2]، فاحتمله جبريل وطارت به الملائكة. ولفَّه ميكائيلُ في ثوب أبيض من الجنة. وأعطاه الى رضوان [الملك] يزُقُّهُ كما يزقُ الطيرُ فرخَه [3]. فقال له رضوان: يكفيك يا حبيب الله فما بقي لنبي علم وحلم الا أوتيتَه. واذا مناد ينادي: طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها. وأعرضوه على موارد الأنبياء. وأعطوه صفوة آدم [4]. فقالت الطير نحن نكفله، وقالت الملائكة: نحن أحق به. وقالت الوحوش: نحن نرضعه. قال الله تعالى: أنا أولى بحبيبي ونبيي محمد ﷺ. فاني قد كتبت أن لا ترضعه الا أمتي حليمة [5]. فأدارته الى ثديها الأيسر فامتنع إلهاماً من الله تعالى وتحريكا كأنه قد علم أنْ له في ذلك شريكا [6].

---

1) المولد الشريف ١٦-١٧.
2) لو صح هذا لكان دليلا آخر على علو الله فوق عرشه. وكثيرا ما يأتي أهل البدع بنصوص تثبت ميلهم الفطري الى علو الله.
3) المولد الشريف ١٩.
4) ذكر قبل قليل أنه أعطي صفوة الله. وهنا يذكر أنهم أعطوه صفوة آدم.
5) المولد الشريف ٢٠.
6) المولد الشريف٢٢.

❊ ثم قال بعد هذه الأكاذيب « ليعلم المطالعون لهذا المولد أن أغلب الأحاديث المتعلقة بالمولد ليست صحيحة الأسانيد اذ لم يصح منها الا القليل. وهناك كُتبٌ أُلِفَتْ في المولد فيها الكذب الصريح».

قلت : ومنها هذا الكتاب.

ولا أجد رداً على رواية الحبشي هذه الا أن أنصحه بقراءة كتاب للسيوطي بعنوان « **تحذير الخواص من أكاذيب القُصّاص**».

إن هذه الطريقة التي ينتهجها الحبشي وأهل الكلام الذين يطعنون في أحاديث الآحاد التي في مسلم والبخاري ويعتمدون الأخبار المكذوبة التي تؤيد مذهبهم وهواهم، إن هذا مصداق قوله ﷺ «**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم**» [1].

فانظر فكيف يتهم الحبشي الذهبي بالتساهل في حين يروي صريح المكذوب والموضوع دفاعاً عن عقيدته. ورغبة وميلا الى خرافاته.

---

١) رواه مسلم في مقدمته (٧).

القول في أبوي النبي ﷺ

ونص هذه الرواية يوحي بأن أم النبي ﷺ ماتت على الاسلام.

فقد جاء في مجلة الأحباش وتحت عنوان «**والدا النبي ﷺ ناجيان**» قال نبيل الشريف « قال العلماء إن أم الرسول ﷺ كانت عارفة بالله وان والديه ﷺ ناجيان في الآخرة، **ويحتمل** أنهما التقيا ببعض أتباع سيدنا عيسى المسلمين فتعلموا منهم الاسلام»[1].

وهذه مخالفة صريحة لكلام رسول الله ﷺ وكلام علماء الأمة كقول أبي حنفية بأن « والداي النبي ﷺ ماتا على الكفر».

وقد قال الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي رحمه الله عن حديث نجاة أبوي النبي ﷺ « قال ابن كثير: حديث منكر جداً»[2].

ونقل السيوطي عن ابن دحية الذي يصفه الحبشي بالحافظ أن الحديث في ايمان أمه ﷺ وأبيه «موضوع» يردّه القرآن العظيم: قال تعالى ﴿**ولا الذين يموتون وهم كفار**﴾ وقال ﴿**فيمُت وهو كافر**﴾ فمن مات كافراً لم ينفعه الايمان بعد الرجعة» [3].

تحريف نص في الفقه الأكبر

وتجدر الاشارة قبل الدخول في الموضوع الى أن هذه العبارة الموجودة في الفقه الأكبر قد تعرضت للحذف في أكثر الطبعات المتداولة، ولم ينج من هذا الحذف الا القليل من الطبعات. وقد قمت بمراجعة عدة نسخ خطية قديمة فوجدتها أثبتت هذه العبارة ووجدت واحدة منها تعرضت للمسح غير أن الماسح لم يستطع ازالتها بالكلية فبقيت آثار المسح ظاهرة.

وقد رجح عامة الأشاعرة نجاة أبوي النبي ﷺ منهم البيجوري [4] الذي احتج لذلك بالحديث المكذوب أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يُحيي

---

1) مجلة منار "الهدى" ١٦/٢٧-٢٨.
2) كتاب أسنى المطالب ٥١.
3) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين للسيوطي ٢١٢-٢١٣ ضمن الرسائل التسع.
4) شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٩ ط: دار الكتب العلمية.

له أبويه فأحياهما فأسلما ثم ماتا» [1]. ومع ذلك قال البيجوري [2] «ولعل هذا الحديث صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف». وهو قول منه سخيف. وأسخف منه قوله أن « من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق».

---

١) حكم عليه السيوطي بأنه موضوع كما في اللآلىء الموضوعة ٢٦٧/١.

٢) جوهرة التوحيد ١٥٣.

ينسبون الظلم الى الله

وهذا الذي يقولونه مناقض للمناظرة المشهورة التي جرت بين أبي الحسن الأشعري وبين الجبائي والتي يحتج بها الأشاعرة دائماً وفيها: أنه سأله عن ثلاثة إخوة:

أحدهم كان مؤمنا والثاني كافرا والثالث كان صغيراً.

فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات وأما الكافر ففي الدركات وأما الصغير فمن أهل السلامة.

فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب الى درجات الزاهد فهل يؤذن له؟

قال الجبائي: لا لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل الى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات.

قال الأشعري: فإن قال الصغير: التقصير ليس مني فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

قال الجبائي: يقول الباري: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم. فراعيت مصلحتك.

قال الأشعري: فيصيح أخوه الكافر وأهل النار جميعاً: أفلا راعيت مصلحتنا وأمتنا صغاراً قبل أن نكبر ونعصي؟

وهنا أكمل المناظرة ضد من ينتسبون الى الأشعري.

فيقال لهم: وهنا صاح أهل الكفر فقالوا: أفلا أحييتنا ثانية كما أحييت أبوي نبيك فنؤمن كما آمنوا؟

أوردت ذلك لتعلم أن هؤلاء ينسبون بهذا التحيز الظلم الى الله تعالى.

قال العلامة الحنفي ملا علي قاري تعليقاً على قول أبي حنيفة « ووالدا

رسول الله ﷺ ماتا على الكفر»[1]. قال « هذا رد على من قال: إنهما ماتا على الايمان، أو ماتا على الكفر ثم أحياهما الله تعالى فماتا في مقام الايقان، وقد أفردت لهذه المسألة رسالة مستقلة»[2].

وقد احتج في رسالته هذه بعبارة أبي حنيفة قائلا « ثم هذه المسألة لو لم تكن في الجملة من المسائل الاعتقادية لما ذكرها الامام المعظم المعتبر في ختم فقهه الأكبر»[3].

وذكر ابن حزم[4] أن من أهل بيته ﷺ من بني هاشم من لا تناله الشفاعة «لأنه يخلد في النار كأبويه عليه السلام».

قال البيهقي بعد أن سرد جملة من الأحاديث تدل على أن أبويه ماتا على الكفر « وكيف لا يكون أبواه وجدّه بهذه الصفة في الآخرة وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى ابن مريم ﷺ »[5]. وقال في السنن الكبرى « وأبواه كانا مشركين»[6]. واحتج بحديث « إن أبي وأباك في النار».

قال النووي في شرح هذا الحديث « فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين»[7].

قال الشيخ ملا علي قاري « والعجب من الشيخ جلال الدين السيوطي - مع إحاطته بهذه الآثار التي كادت أن تكون متواترة في الأخبار - أنه عدل عن متابعة هذه الحجة وموافقة سائر الأئمة وأورد أدلة واهية في نظر الفضلاء المعتبرين، مستدلا بحديث ضعيف.. أن النبي ﷺ قال « ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها فآمنت بي، وردّها الله عز وجل» قال « وهذا الحديث ضعيف باتفاق المحدّثين كما اعترف به السيوطي[8].

---

1) الفقه الأكبر ١٣٠ ط: دهلي ١٣١٤.
2) ادلة معتقد أبي حنيفة ص ٤٠.
3) أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام ١٤١ ط: مكتبة الغرباء الأثرية..
4) الدرة فيما يجب اعتقاده ص ٢٩٨.
5) دلائل النبوة ١/١٩٢-١٩٣.
6) السنن الكبرى ٧/١٩٠.
7) شرح مسلم ٣/٧٩.
8) أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم ص ٨٥

ثم أبدى تعجبه من ابن حجر المكي الذي صحح الحديث وأن ذلك منه عيب قبيح مسقط للعدالة لأن السيوطي ذكر الاتفاق على ضعف الحديث ونقل ابن كثير عن ابن دحية أنه قال « هذا الحديث موضوع يردّه القرآن والإجماع» [1]. وابن حية عندك يا حبشي من الحفاظ.

قلت: فكيف اذا علم احتجاج السيوطي بغيره من الروايات الواهية مثل حديث «اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب» وتعليقه بعد ذلك « أورده المحب الطبري وهو من الحفاظ». ومع اعترافه بضعف الحديث فإنه زعم أن الحديث يتقوى بكثرة طرقه[2].

ثم احتج بحديث آخر وهو « ان الله أحيا لي أمي فآمنت بي» (المقامة السندسية ١٤١). قال الذهبي « لا أدري من ذا الحيوان الكذاب فان هذا الحديث كذب مخالف لما صح أنه عليه السلام استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له» [3].

ويزداد العجب من السيوطي اعترافه بضعف حديث «سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها» ومع ذلك احتج بما زعمه ابن شاهين من أن هذا الحديث ناسخ للحديث الذي عند مسلم « استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي»[4].

وأكد الشيخ ملا أن هذا الحديث من وضع الرافضة وموضوع على أصولهم الباطلة الذين نسبوا الحديث الى عائشة تبعيداً عن الظن بوضعهم[5] وهذا عين ما قاله ابو حيان في (البحر المحيط ٤٧/٧) من أن الرافضة هم الذين زعموا أن أبوي النبي مؤمنان مستدلين بقوله تعالى ﴿**وتقلّبك في الساجدين**﴾.

---

١) أدلة معتقد أبي حنيفة ٨٧-٨٨ وانظر تفسير ابن كثير ٤٠٨/٢.

٢) مسالك الحنفاء في والدي المصطفى ص ٢٤-٢٥ (ضمن الرسائل التسع).

٣) ميزان الاعتدال ٦٨٤/٢.

٤) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين ص ٢٠٢ ضمن الرسائل التسع.

٥) .أدلة معتقد أبي حنيفة ٩٠ و١٣٢.

وكان الهيتمي يميل بعصبية لا عن علم الى قول من زعم أن الله أحيا أبوي النبي ﷺ حتى أسلما [1]، ومعتمده في ذلك الأحاديث غير الصحيحة المخالفة للصحيحة مثل قول النبي ﷺ «إستأذنتُ ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي» [2] وقوله لرجل « إن أبي وأباك في النار» [3].

وبعد أن تعقب الشيخ ملا علي قاري ما جاء عند الطبري (٢٣٢/٣٠) عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وفي سنده الحكم بن ظُهير الفزاري، قال يحيى بن معين «ليس بثقة» وقال مرة «ليس بشي، تركوه» وقال البخاري «منكر الحديث» [4]. انتهى الى « أن هذه المسألة من الاعتقاديات التي لا بد لها من الأدلة اليقينية لا من الفروع الفقهية التي تغلب على مدارها القواعد الظنية. وأنه لم يقل بهذه المقالة الا جمع من المقلدين كابن شاهين والخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري وابن المنيّر» [5].

وقد وصف الشيخُ ملا علي قاري السيوطيَ بأنه « حاطب ليل وخاطب ويل: فتارة يقول إنهما مؤمنان من أصلهما فإنهما من أهل الفترة، وأخرى يقول إنهما كانا كافرين لكنهما أحياهما الله وآمنا، ومرة يقول: ما كانا مؤمنين وما كانا كافرين بل كانا في مرتبة المجانين جاهلين، فيمتحنان يوم القيامة، وبالظن يحكم أنهما ناجيان» [6].

وتعجب من موقف السيوطي والفخر الرازي اللذين اختارا أن أبوي ابراهيم ﷺ كانا مؤمنين وأن (آزر) الذي ذكره القرآن ليس أبا ابراهيم وإنما عمه ونسبهما لذلك الى البدعة واصفاً استدلال السيوطي بالاستدلال السقوطي. وهذا تحريف لكلام الله ﴿يا أبتِ﴾.

وقد خالف السخاوي قول السيوطي بنجاة أبوي النبي ﷺ كما نص عليه الصيادي في قلادة الجواهر (ص ٤٢٢).

---

١) الزواجر ٣٣/١.

٢) رواه مسلم (٩٧٦).

٣) رواه مسلم (٢٠٣) باب أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين.

٤) ميزان الاعتدال ٥٧١/١.

٥) أدلة معتقد أبي حنيفة ١٣٣.

٦) أدلة معتقد أبي حنيفة ١٣٣.

وقد نص المرتضى الزبيدي على أن العديد من العلماء المعاصرين للسيوطي وممن جاؤا بعده ردوا عليه ثم قال « والذي أراه الكف عن التعرض لهذا نفيا وإثباتا»[1]. ولو كان في المسألة علم صريح لما شك الزبيدي وتوقف.

التوقف في الاحتجاج بالسيوطي

وزعم السيوطي أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه عليه الصلاة والسلام، ثم ألقى الله ذلك النور في صلب آدم» (المقامة السندسية في النسبة المصطفوية ١١٣).

وزعم أن من خصائص النبي ﷺ أنه لولاه ما خلق الله آدم. (المقامة السندسية ١١٢).

وقد جاهد تحسين حديث « ان الله أحيا لي أمي فآمنت بي» (المقامة السندسية ١٤١).

ويأتي بغرائب كقوله « قد بشر النبي ﷺ بالإمام أبي حنيفة، في حديث «لو كان العلم بالثريا لتناوله رجال من فارس» [2].

وقد تكلف السيوطي في تأويل قوله ﷺ « إلا رد الله الي روحي فأرد عليه السلام» وأتى له بمعان متناقضة بعيدة عن الصواب منها:

- أن تكون الروح كناية عن السمع وأن الله يردّ عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع سلام المسلّم.
- أن تكون الروح بمعنى الارتياح لا بمعنى روح الحياة.
- أن تكون الروح بمعنى الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة عليه.
- أن المراد بالروح هو الملك الذي وكل بقبره ﷺ يبلغه السلام، أي بعث الي الملك الموكل يبلغني السلام.
- أن المراد بالروح: التفويض... ففوض الله أمر هذه الرحمة الى النبي ﷺ فيصير معنى الحديث « الا فوض الله اليّ أمر الرحمة التي تحصل للمسلم بسببي، فأتولىّ الدعاء بها بنفسي بأن أنطق بلفظ السلام.

---

١) اتحاف السادة المتقين ٨/٤٤٠.

٢) تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة ٢٩٤ (ضمن الرسائل التسع).

○ أن المراد بالروح الرحمة التي في قلب النبي ﷺ على أمته [١].

وذكر أن أنساً رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ أنه قال « من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر»[٢].

قال السيوطي « يستحب إكثار الصلاة على النبي ﷺ عند أكل الرز لأنه كان جوهراً أودع فيه نور محمد ﷺ فلما خرج النور منه تفتت وصار حباً»[٣].

وقال « نزل جبريل بطبق تفاح وقد كتب في جانبها: بسم الله الرحمن الرحيم: هذه هدية من الله لأبي بكر الصديق، وعلى الجانب الآخر: من أبغض الصديق فهو زنديق»[٤].

وزعم أن كعب الأحبار وجد اسم محمد مكتوب في الجنة في كل مكان. قال: ولقد رايت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين في الجنة»[٥].

وغير ذلك من غرائب السيوطي وتفرداته الشاذة عفا الله عنه.

---

١) إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء ص ٢٦٠-٢٦٤.
٢) الحاوي للفتاوي ٤١.
٣) الحاوي للفتاوي ٤١.
٤) الحاوي للفتاوي ٢/٤٥.
٥) الحاوي للفتاوي ٢/١٤٤.

الرفاعيون نزاعون الى التشيع

وبهذا تعلم أن الأحباش أصحاب الطريقة الرفاعية يستدرجون المسلمين بعقائدهم نحو التشيع. فالصيادي الرفاعي المعظم عند الأحباش كتب رسالة سماها (السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب) و(الكنز المطلسم) ذكر فيهما أن أهل البيت كلهم مطهرون وأنهم كلهم في الجنة. وأن أبوي النبي ﷺ من أهل الجنة، وأن من رماهما بالنقص يكون مؤذيا لرسول الله ﷺ وبالتالي يكون مقتحما للكفر [١]. ونقل عن الشيخ كمال الدين الحنفي أن من قال بأنهما في النار فهو ملعون. ولذلك اذا ذكر الصيادي أم النبي ﷺ قال «رضي الله عنها» واذا ذكر أباه وصفه بـ «المعظم» [٢].

وقد وافقه الشيعة فصنفوا رسائل عديدة في ايمان أبي طالب منها (مؤمن أهل البيت) للخنيزي و(ايمان أبي طالب) للمفيد و(شيخ الأبطح) للحر العاملي قال فيها « إن الشيعة الامامية يقولون باسلام أبي طالب وأنه ستر ذلك عن قريش لمصلحة الاسلام» [٣].

وأما اعتبار الصيادي ذلك انتقاصاً للنبي ﷺ فالنبي هو الذي قال « أبي في النار» فإن كان ذلك قلة أدب فقد نسبوا هذه الصفة للنبي ﷺ من حيث لا يشعرون.

وأما من تعمد بذلك إيذاء النبي ﷺ فإنه يُمنع من ذكر ذلك. كيف لا وقد كان منافق يُكثر من قراءة ﴿عبس وتولى﴾ فتوعده عمر على ذلك. وأنه لما تعرض أناس لأبي جهل بعد موته نهاهم النبي ﷺ عن سب الأموات لأنهم قد أفضوا الى ما أفضوا اليه.

---

١) ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد ٤- ٥ ط: مصطفى أفندي ١٣٠٧ وانظر النجوم الزواهر ٤٨ لأحمد الرجيبي الحسيني ط: دار الحرية بغداد سنة ١٩٨٠.

٢) ضوء الشمس١ /١١٢.

٣) الأعلام للزركلي ١٦٦/٤.

كيف يحبونه وهم يكذبونه!

وتعجب ممن يدّعون محبته ﷺ وهم يكذبونه، يقول لهم أبي في النار فيقولون له ﷺ: بل قولنا هو الصحيح: إن أباك وأمك في الجنة!

ولكن، ليست هذه المرة الأولى التي يكذب فيها هؤلاء القوم نبيَهم من حيث لا يشعرون:

فقد كذبوه حين قال لهم (كل بدعة ضلالة) فقالوا: ليس كل بدعة ضلالة.

وشهد للجارية بالإيمان حين قالت: إن الله في السماء فقالوا: من أصول الكفر اعتقاد أن الله في السماء:

وقال ﷺ « ينزل الله» فقالوا: لا ينزل، بل ينزل الملك بأمره وليس الله.

وقال « اذا سألت فاسأل الله» فقالوا: اذا سألت فلا تسأل الله فقط. اسأل معه البدوي والرفاعي والجيلاني.

وقال « سلوا الله لي الوسيلة فقالوا: سلوا النبي ﷺ الوسيلة. وهكذا لم يوافقوا قول نبيهم ﷺ. فتأمل!

حال المؤوّلين عند التأويل

مهما تظاهر المؤوّل بالاقتناع بتأويلاته التي بناها بلا علم: فإنه سيجد في نفسه عند تأويلاته البعيدة عن الحق صعوبات في النفس من عدم الاطمئنان والقلق والظلمة وضيق الصدر: ذلك لأنه يتكلم في الله بلا علم ولا دليل، وإنما بالاحتمال.

اعترافهم بأن التأويل محتمل

لقد اعترف الحبشي بأن تأويلاته لصفات الله محتملة لا يجوز القطع بها [1].

واعترف الماتريدي بذلك فقال في معرض كلامه عن معنى الاستواء « ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره» وعرّف التأويل بأنه « ترجيح أحد المحتملات بدون القطع على الله والشهادة على الله [2].

واعترف الكوثري بأنه لم يقدر أحد من مؤولي الصفات أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزماً، ولهذا اختار المحققون عدم تعيين التأويل[3].

واعترف الغزالي والرازي بأن « التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر» [4].

ومع ذلك تراهم يلزمون الناس بالمحتمل ويوجبونه عليهم كقول الرازي بوجوب تأويل الاستواء بالاستيلاء [5].

مع أنهم مختلفون في كثير من الصفات لم يستقروا على رأي واحد فيها كما اعترف كبارهم بذلك كقول العز بن عبد السلام وابن حجر الهيتمي « والعجيب أن الأشعرية اختلفوا في كثير من الصفات كالقدم والبقاء والوجه واليدين والعينين وفي الأحوال وفي تعدد الكلام واتحاده» [6].

---

١) الدليل القويم ٤٧ تحفة المريد للباجوري ٩١ اتحاف السادة ٥٣٢/٤.

٢) الاتقان للسيوطي ٢٢١/٢ وكتاب التوحيد ص ٧٤ والملل والنحل للشهرستاني ١٣٨/١ اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٥٣٥/٤.

٣) تعليق الكوثري على كتاب دفع شبه التشبيه ٧٤ المكتبة التوفيقية.

٤) المستصفى ٣٨٧/١ والرازي في المحصول ٢٣٢/٣/١.

٥) أساس التقديس ٢٠٢.

٦) قواعد الأحكام ١٧٢ الإعلام بقواطع الاسلام ٢٤ ط: دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٧ والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ٣٥٠/٢.

وذكر العز بن عبد السلام أن أصحاب الأشعري مترددون مختلفون في صفات البقاء والقدم هل هي من صفات السلب أم من صفات الذات[1]

وصدق فيما قال فان منهم من يقسم الصفات الى قسمين: نفسية ومعنوية، ومنهم من يجعلها ثلاثة أقسام: ذاتية ومعنوية وفعلية، ومنهم من يجعلها أربعاً: نفسية وسلبية وصفات معان وصفات معنوية [2].

فهم مختلفون في طريقة تنزيه ربهم.

فاذا اختلف الأشعري والماتريدي: هل الله باق ببقاء زائد على الذات أم لا: فماذا نفعل؟ أينتهي الأمر أن نختار أحد القولين بالاقتراع؟

أما السلف فلم يثبت اختلافهم في الصفات مع ثبوت اختلافهم في كثير من الأحكام الفقهية.

○ وإليكم هذا الاعتراف من رجل خاض في التأويل ثم تاب منه وصرح بما كان يشعر به كلما خاض في التأويل بغير علم: قال أحمد بن ابراهيم الواسطي « كنت أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي اليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيّره، المتململ في تقلبه وتغيره» [3].

لماذا ارتد عن مذهب الأشعرية؟

○ ولما سئل أحد الأشاعرة عن سبب رجوعه عن التأويل والتزام طريقة أهل السنة في إثبات الصفات قال: تفكرت في نفسي وقلت: لو أني وقفت أمام الله تعالى يوم القيامة وسألني: لماذا أولتَ صفاتي؟ وهل أمرتك ورسولي بذلك؟ لما كان عندي ما أجيب به. ولكن لو سألني: لماذا أثبَتّ ما وصفتُ به نفسي ولَمْ تتأوله؟ لقلت: يا رب: أنا ما وصفتُك الا بما وصفتَ به نفسك. قال: فلهذا عدلتُ عن التأويل الى الإثبات.

وحكى الشهرستاني رد الباقلاني على شيخه الأشعري في إثبات الحال (الفصل في الملل والنحل ١/١٢١).

١) قواعد الاحكام الكبرى ١٧٠.

٢) أنظر الارشاد للجويني ٥١ ولوامع البينات للرازي ٤٧ واتحاف المريد بجوهرة التوحيد ٦٩و١١٤.

٣) النصيحة في صفات الرب جل وعلا (ص ١٨).

ءأنتم أعلم أم الله؟!

ان هذا الغلو في التحذير من خطر التشبيه بدعة إنما هو تحذير من وصف الله بما وصف به نفسه، ويؤول الى مفاسد عديدة:

١) أن الله لم يعتن بالتنزيه ولم يعطه حقه.

٢) أن علم الكلام هو الذي كان أكثر حرصا على تنزيه الله.

٣) أن الله استدرج العباد الى الكفر حيث أطلق ألفاظا يراها الأشاعرة من أصول الكفر كالاعتقاد أنه في السماء وأنه ينزل منها في الثلث الأخير من الليل. ففصل التشبيه وأجمل التنزيه أو ضرب التنزيه بالتشبيه فناقض تفصيلُهُ إجمالَه! بل فصّل التحذير من شرك الدعاء ولم يفصل من شرك التشبيه. وقال لعبادة ﴿**تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم**﴾ فذكر تحريم دعاء غيره والزنا وأكل اليتيم وقتل النفس بتكرار ولم يتل عليهم شيئا مما يتلوه غلاة التنزيه ليل نهار ويعتبرونه تشبيها!

وأوحى الله بنصوص الصفات كالاستواء والنزول والمجيء واليدين وأنه في السماء وأن الكلم الطيب يصعد اليه والملائكة تعرج اليه وأنه رفع عيسى اليه: وأن قلوب العباد بين اصبعين من أصابعه وأن له عينين. فرّق نبينا ﷺ بينه وبين الأعور الدجال وأنه يضحك ويعجب، واختبر ايمان الجارية فسألها «أين الله» فقالت: في السماء فشهد لها بالايمان، ووصف ربه بأنه ينزل الى السماء الدنيا وأنه يكشف يوم القيامة عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، وأنه يضع رجله أو قدمه في النار فتقول قط قط، وأن الله يدنو من أحدنا حتى يضع كنفه عليه (بخاري ٧٥١٤).

وبعد هذا كله لا يردُ نص واحد في التحذير من الوقوع في خطر التشبيه على طريقة المتكَلمين اللهم الا آيات التنزيه العامة في كتاب الله.

هل أعطت الشريعة التنزيه حقه؟!

ليقف المؤول مع نفسه لحظة ثم ليتأمل: هل أهملت الشريعة هذا الموضوع ولم تعطه حقه من التحذير على النحو الذي أعطاه إياه أهل الكلام: فأطلقت وصف الله بالصفات الكثيرة ثم تركت الناس يضلون بالتشبيه؟ أم أنها ما تركت بيان هذا الأمر الا لعلم الله أنه ما من خطر لنصوص الصفات على البشر في الوقوع بالتشبيه، لأن التنزيه مستقر في الفطرة.

وهذا التهويل من شبح التشبيه منهج بدأه أضل الناس من قبل وهم الجهمية وكان يجب أن يكون هذا كافياً في العبرة، ثم استلمه منهم المعتزلة ثم تلقاه من بعدهم الأشاعرة: حتى صار حديثهم عن خطر التشبيه أكثر بكثير من الكلام على التوحيد الذي جاء به الأنبياء ﴿اعبدوا الله ما لكم من اله غيره﴾؟!

فبماذا تفسر قول النبي ﷺ « يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك: أين الجبارون أين المتكبرون؟» وفي رواية « يأخذ الله عز وجل سمواته وأرضيه بيديه ويقول: أنا الله. ويقبض أصابعه ويبسطها ويقول: أنا الملك، قال ابن عمر: حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟» [1].

وكذلك تلا ﷺ قوله تعالى ﴿ان الله كان سميعاً بصيراً﴾ قال أبو هريرة « رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه. يقرؤها ويضع أصبعيه. قال المقرىء: يعني أن الله سميع بصير. قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية» [2].

وفي رواية عن عقبة بن عامر قال «سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إن ربنا سميع بصير» وأشار الى عينه» [3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال « جاء رجل الى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم: إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على اصبع والشجر والثرى على أصبع والخلائق على أصبع ثم يقول: أنا الملك أنا الملك. فرأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجزه [تعجباً وتصديقاً] ثم قرأ ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾. وحاشا لنبينا أن يُضحكه كفرٌ ثم يقره ولا ينكره.

وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ «أي بعين الله تبارك وتعالى» . وفي رواية أنه أشار بيده الى عينه [4].

---

1) رواه مسلم رقم (٢٧٨٨).

2) رواه أبو داود في كتاب السنة باب في الجهمية ٢٣٣/٤ رقم (٤٧٢٨) وصححه الحاكم ٢٤/١ وقال الذهبي "على شرط مسلم" وحسن اسناده الحافظ ابن حجر ٣٧٣/١٣.

3) ذكر هذه الرواية الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٧٣/١٣ نقلا عن البيهقي في الأسماء والصفات وقال "سنده حسن".

4) الأسماء والصفات ٣٩٦ وشرح أصول السنة ٤١١/٣.

وها هي الجارية تقول كلمة تقشعر منها أبدان نفاة العلو، فقد سألها رسول الله ﷺ أين الله؟ قالت: في السماء. فقال لصاحبها: اعتقها فإنها مؤمنة.

ولا زال الأشاعرة ينهون أن يقول أحد ما قاله رسول الله ﷺ فيقول القشيري «ولا يقال له: أين الله» ؟[1].

وهنا نسأل: لماذا اختبر الرسول ﷺ إثباتها ولم يختبر تنزيهها؟

هل يقر رسول الله ﷺ على باطل؟ وهل حذر الجارية من اعتقاد أن الله في السماء؟ أم هل حذر من ذلك في مجلس آخر؟ كلا لم يتعقب من ذلك شيئاً؟ وهل تجدون من بين المعطلة من يقر الجارية على هذه اللفظة وليحمل في نفسه من المعاني ما شاء؟ لا والله لن يفعل.

ومن أكثر ابتعاداً وحذراً عن نصوص الألفاظ الموهمة للتشبيه؟ رسول الله أم أنتم؟ لم يبق الا أن يقولوا: ان النبي ﷺ قصّر في التبليغ وكان بعدم تعقيبه على قول الجارية أقل حرصاً منكم في التحذير من التشبيه، بل لم يُعر الامر أي اهتمام على النحو الذي نراه من الأشاعرة ومن سبقهم، بل شهد بإيمان من تكلمت بألفاظ التشبيه!

○ ألعلك أيها المؤول تخفي في نفسك إساءة ظن بالشريعة وتضمر العتب عليها أنها تكلمت بهذه الصفات بطريقة مفصلة توقع في التشبيه وتتعارض مع طريقة أهل الكلام ثم هي لا تفصل التنزيه وتترك الناس يضلون من غير أن تبين ولا تحذّر التحذير الذي صار غاية ما تتحدث عنه أنت، فبين علماء الكلام - بزعمهم - ما سكت الله ورسوله وصحابته عنه، بالتأويلات المستقبحة المتكلَفة المظنونة التي لا سلف لك فيها، مع أنك تعلم أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

○ هل تركت الشريعة البيان للمتكلمين ليحذّروا الناس أن يَضلّوا بنصوص القرآن والسنة؟ هل فوضت اليهم أن يقدّموا لهم تأويلات مظنونة لا سلف لهم فيها لتكون بديلا عن هذه النصوص: فاليد كناية عن القدرة و النعمة، والاستواء كناية عن الاستيلاء، والنزول كناية عن نزول الرحمة، والضحك والمحبة والرضا كناية عن الإثابة، والكراهية والغضب كناية عن العقوبة، والسماء مستودع ومهبط الرحمات وقبلة الداعين: أما أن يعتقد أن التوجه اليها لأن الله في السماء كما قال هو ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ فهذا كفر!

---

١) الرسالة القشيرية ص ٥.

○ ألعلك تؤمن حقاً أن الله ما فرّط في الكتاب من شيء، أم أن لسان حالك يؤكد أن التفريط حاصل ويخالجك شكٌ لا تستطيع البوح به، وتتمنى لو أن رسول الله ﷺ لم يصرح بمثل هذا الكلام الذي ترك مشكلة عظيمة في نفسك، وأنه لم يشهد للجارية بالايمان، ولم يضحك تصديقاً لليهودي الذي أخبره أن الله يضع السموات على اصبع والأرض على اصبع... ولم يقل أن الله يكشف عن ساقه وأن الله ينزل الى السماء الدنيا...

لئن كان هذا ما تكنّه نفسك فأنت ضال متهور تظن أن مشايخ علم الكلام أكثر دقة وحرصاً من الله ورسوله في تنزيه الله عما لا يليق به.

الذين يجعلون لله أندادا هم المشبهة

عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾ «أي أشباهاً» [1] فالشرك تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص ألوهيته من ملك الضر والنفع. فأنتم مشبهة مجسمة تلبسوننا ثوبا أنتم تلبسونه. وستقولون غدا يوم القيامة لمن تستغيثون بهم اليوم ﴿**تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**﴾ هذا تشبيه صرح القرآن بالنهي عنه. وأنتم تخالفونه بالاستغاثة بغير الله وتلبسون زورا ثياب التنزيه وتتهمون المنزهة الحقيقيين بالتشبيه!

لقد ضاق هؤلاء ذرعاً بهذه الصفات التي يحتج بها عليهم من يعتقدون فيهم أنهم مشبهة مجسمة.

ونسألكم سؤالا أصدقونا الجواب فيه: هل ما ما وصف الله به نفسه يليق به أم لا؟ إن كان يليق به فلماذا تقشعر أبدانكم مما وصف به نفسه حتى حرفتم معانيه من عندكم لتصير لائقة به؟

إن كان ما وصف به نفسه لائقا به فأثبتوه ولا تحرفوه، وكِلوا العلم بحقيقته الى من هو أعلم بما يليق به منكم؟!

تحذير من خطورة هذا الموضوع

يجب أن يتصف المتكلم في أسماء الله وصفاته بالورع وخشية المتكلَم فيه وهو الله، لأن مزلة هذا الموضوع عظيمة ونتيجته خطيرة وحُرمتُه أعظم من حرمة الخائضين في الحلال والحرام من الأحكام، قال تعالى ﴿**قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ [الاعراف٣٢].

---

١) تفسير ابن جرير الطبري ١: ١٢٧.

اعتراف مهم للقشيري

○ ومن الحجج على الأشاعرة من أنفسهم قول القشيري « الله تعالى نهى العبد في وصفه ما لم يعلمه وإن كان صادقاً في قوله. قال تعالى ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[1].

وتوعّد الله الخائضين في أسمائه وصفاته بغير علم فقال ﴿وذروا الذين يُلحِدون في أسمائه: سيُجزَوْن ما كانوا يعملون﴾ [الاعراف١٨٠]. وسيعلمون حين يُعرَضون على الله خطورة ما كانوا يحسبونه هيناً من التأويل وهو عند الله عظيم ﴿حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون﴾ [النمل٨٤] ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمآ يأتهم تأويله﴾ [يونس٣٩].

فالذين يجعلون صفات الله عرضة لأهوائهم وتأويلاتهم إنما يعرِّضون أنفسهم لخطر عظيم. ويصير الكلام على الله وصفاته مدار خوض الجهال الذين يتكلمون عن الله وصفاته وما يجوز عليه وما يمتنع: كأنما يتكلمون في مسألة رياضية حسابيه بحتة.

وكان الامام أحمد مع ابنه عبد الله فمرّا على قاصّ يقص حديث النزول فيقول «اذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله الى سماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال. قال عبد الله: فارتعد أبي واصفر لونه ولزم يدي وأمسكته حتى سكن ثم قال: قف بنا على هذا المتخرص، فلما حاذاه قال: يا هذا؛ رسول الله أغير على ربه منك، قل كما قال رسول الله ﷺ»[2].

ولما سأل رجل مالكاً «الرحمن على العرش استوى: كيف استوى؟ قال الراوي: فما وجدته غضب من شيء كغضبه من مقالته، حتى علاه الرحضاء (أي العرق) فجعل الناس ينتظرون منه الاجابة. فلما سُرِّيَ عنه قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني لأخاف أن تكون ضالاً: أخرجوه».

---

١) التحبير في التذكير ص ٧٣ تحقيق ابراهيم بسيوني ط: دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٨.

٢) أورد المقدسي هذه القصة في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٠.

إن المتكلمين مع اعترافهم بأنه لا يمكنهم الجزم بأن تأويلاتهم مرادة لله وانما محتملة كما نص عليه الحبشي [1]: وهذا يتعارض مع قواعدهم التي اشترطوها في العقائد أن الاحتمالات ممنوعة في مسائل العقائد، فهم مع ذلك يصرّون على وجوب الأخذ بالتأويل، حتى صاروا ينفون عن الله ما أثبته لنفسه، ويثبتون له ما لا يليق به.

وقد أكسبهم هذا العبث في صفات الله قلة ورع وقسوة في القلب.

التنبيه على احتجاجهم في التأويل بمن تابوا منه

والأشاعرة يستدلون على ذلك بأقوال أئمة انتهى حالهم قبل الموت بالرجوع عن التأويل والتحذير منه كالجويني والغزالي والرازي وغيرهم، وهذه قلة أمانة وتدليس، فانه لا يحق لمن علم رجوع هؤلاء عن التأويل أن يأخذ من أقوالهم التي رجعوا عنها حجة.

---

١) الدليل القويم ٤٧ وانظر التوحيد للماتريدي ٧٤ ورسائل في بيان عقائد أهل السنة لمحمد بن درويش الحوت ٣٥

هل التاويل واجب ؟

زعم الحبشي وجوب تأويل صفات الله، لأن الله لو كان متصفاً بصفة من صفات الخلق لجاز عليه ما يجوز على الخلق من فناء وحدوث... [1]. وسبقه الى ذلك الرازي فحكي أن مذهب جمهورٍ المتكلمين وجوب الخوض في تأويل المتشابهات» [2].

ويناقض البيهقي هذا الايجاب حيث يرى أن التأويل « غير واجب فحينئذ التفويض أسلم» [3]. وهو صريح في تفضيل البيهقي التفويض على التأويل، أو التحريف. وكثير من أشاعرة اليوم يحتجون به بينما هم يفضلون التأويل على التفويض.

ثم انه حكى قول ابن فورك وغيره أن المتقدمين منهم لم يفسروا هذه [أي الصفات] ولم يشتغلوا بتأويلها»[4].

واعترف بأن أبا الحسن الطبري - من خواص أصحاب أبي الحسن الأشعري ذهب الى أن الله في السماء فوق كل شيء مستوٍ على عرشه بمعنى أنه عالٍ عليه، ومعنى الاستواء: الاعتلاء، كما يقول: استويت على ظهر الدابة، واستويت على السطح بمعنى علوته، واستوت الشمس على رأسي، واستوت الطير على قمة رأسي، بمعنى: علا في الجو فوجد فوق رأسي، والقديم سبحانه عالٍ على عرشه» [5].

وقد أقسم أتباعُه الأحباش أن من يثبت الصفات لله من غير تأويل لها فهو أضر على الاسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان [6]. بينما لا يرى شيخهم الحبشي السجود للصنم كفراً وإنما يراه معصية من الكبائر[7]. فتأمل كيف يحقدون على مثبتي الصفات أعظم من حقدهم على الساجد للأصنام.

فيلزمهم أن يعتبروا الأشاعرة « المفوضين» أضر على الاسلام من اليهود والنصارى لأنهم يخالفون الأشاعرة « المؤولين» ويحرمون تأويل الصفات ويوجبون التفويض.

---

١) إظهار العقيدة السنية ٩٨.

٢) أساس التقديس ١٨٢-١٨٣.

٣) فتح الباري ٣/٣٠.

٤) الاسماء والصفات ٤٢٣ محققة ٢/٧٠.

٥) الاسماء والصفات ٥١٧-٥١٨ محققة ٢/١٥٢-١٥٣.

٦) منار الهدى ١٢/٢٦

٧) شرط الحبشي رقم ٣ عداد ٦٤٠.

الاختلاف على التأويل فيما بينهم

لقد جهلوا أن الاختلاف على شرعية التأويل خلاف «أشعري أشعري، أشعري ماتريدي». بل هم مختلفون في كون آيات الصفات من المتشابه كما قال أبو منصور البغدادي «واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله»[1].

فكل تأويل يتأوله المؤولة من الأشاعرة منقوض بتفويض إخوانهم من الأشاعرة المفوضة، وهو اختلاف جوهري في العقيدة.

لو كان تأويلكم بعلم لما صار منكم مفوضة

فأنتم يا مؤولة أو مفوضة: علي هدى أو في ضلال مبين. فلو كانت تأويلاتكم مصداق دعاء النبي ﷺ لابن عباس «اللهم علمه التأويل» لما تخلى عنكم مفوضة الأشاعرة، وانما خالفوكم لعلمهم أنكم تخوضون في أسماء الله وصفاته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

وقد تقدم تفضيل البيهقي التفويض على التأويل واعتبره أسلم. فلو كان التأويل هو عين تأويل ابن عباس لما فضل التفويض عليه. وإنما تأويلكم على غير التأويل.

ونقل المرتضى الزبيدي قول بعض أهل العلم « لم يُنقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من اصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب التأويل ولا المنع من ذكره[2]، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل اليه من ربه وينزل عليه ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ثم يترك هذا الباب...» قال « فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم» [3].

ويعارض الحافظ ابن حجر أيضاً وجوب التأويل وينفى نفياً قاطعاً وجود أي دليل على هذا الوجوب، بل الدليل ثابت على انكفاء السلف عن التأويل واحتج بتوبة الجويني ورجوعه عن التأويل[4].

أضاف: فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لكان اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، واذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل: كان ذلك هو الوجه المتبع» انتهى.

---

١) أصول الدين ١١٢.

٢) أي المنع من وصف الله بما وصف به نفسه أو التحرج من ذلك.

٣) اتحاف السادة المتقين ٢/١١٢.

٤) وتوبة الجويني ثابتة عند الزبيدي (اتحاف السادة المتقين ٢/١٠٩

واستحسن الدهلوي هذا الكلام من ابن حجر [1].

فهذا يبطل قول الكذاب في مجلة منار التحبش «فالأشعرية معتقدهم معتقد السلف» [2].

- واذا كان التأويل واجباً فلماذا جاز تخيير المتمذهب بمذهب الأشاعرة بين التأويل أو التفويض؟ وهل يشمل قسمهم المفوضة أم أن التفويض جائز؟ إن جواز التفويض عندهم مناقض لوجوب التأويل.

وكيف يكون التأويل واجباً ثم يتركه السلف وتابعوهم ثلاثة قرون ثم يوكل بيان التأويل لعصابة من المتكلمين أتباع فلاسفة اليونان؟!

فإن قلتم: العقل يقضي بضرورة التأويل:
قيل لكم: قد كانت للسلف عقول ولم تقضِ عقولهم بضرورة التأويل، إلا أن تكون عقولهم قاصرة في نظركم.

فإن قلتم: قد علم السلف تأويل الصفات بالسليقة: قيل لكم: لقد فسر السلف آيات الصفات بخلاف تأويلاتكم. وكانوا يفسرونها لمن بعدهم. لأن هذا الدين ليس قاصراً على جيل الصحابة.

ولذلك كانت هذه الدعوى اتهاماً للشارع بأنه اهتم بجيل واحد من الأمة ولم يهتم بالبيان الشافي لمن يأتي بعدهم ممن لا يفقهون معاني النصوص.

○ وكذلك يدعي الباطني والاعتزالي أن نصوص عذاب القبر ورؤية الله، عرف السلف معناها بالسليقة أنها تعني انتظار الثواب ورؤية الثواب. وأنهم اضطروا الى تأويل هذه النصوص لما جهل العرب لغتهم.

---

١) فتح الباري ١٣/٤٠٧ (حجة الله البالغة ٦٣).
٢) منار الهدى ٤١/٤٤.

توضيح شبهة

وقبل أن نناقش مسألة التأويل لا بد أن نوضح هذه الشبهة:

أولا : إذا كان الأمر كما يقول الحبشي فلماذا وصف الله نفسه بصفات مشتركة من حيث الألفاظ لا من حيث الحقائق؟

ثانياً: إن الاشتراك في الصفة بين اثنين لا يعني اشتراكهما في حقيقة الصفة المشتركة بينهما، فانه ما من موجودين الا وبينهما قدر مشترك وقدر مميز لا بد منه للإفهام والتفهيم، وإلا لانسدّ باب الافادة والاستفادة المقصودة في تفاهم الكلام وتعقل معانيه.

وإنما يقع الاختلاف عند إضافة الصفة الى كل منهما، وليس بين صفات الله وصفات خلقه إلا موافقة اللفظ. فالانسانٌ حي، والنبات حي، فهذا اشتراكٌ في الصفة، لكنه لا يمكن أن يؤدي الى تشبيه النبات بالانسان.

« وهذه الروح موجودة فينا وموصوفة بصفات الحياة والقدرة والصعود والنزول ومع ذلك فعقولنا قاصرة عن تكييفها وتحديدها لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً، والشيء إنما تُدرك حقيقته إما بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره، فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات، فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته، وأهل العقول أعجز عن أن يحدوه أو يكيفوه منهم عن أن يحدوا الروح أو يكيفوها » (١).

وهذه الجنة فيها فواكه وعنب وأنهار من لبن وعسل... ومع ذلك فما فيها وإن اشترك مع ما في الدنيا في الاسم فإن التماثل في الحقيقة غير واقع. قال ابن عباس «ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء» (٢). فوجود التشابه في الأسماء لم يحصل به وجود التماثل.

---

١) الرسالة التدمرية ٥٠-٥٧ وضمن الفتاوى ٣/ ٣٠.

٢) ذكره المنذري ٤/٢٧٨ بسند جيد (السلسلة الصحيحة رقم ٢١٨٨).

أسباب التشابه في الأسماء

وقد بين ابن تيمية السبب فقال بأن «الإخبار عن الغائب لا يُفهَم إن لم يُعبَّرْ عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد، ويُعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد، مع العلم بالفارق المميز، وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد»[1].

« فقرائن الكلام من السياق والإضافة والتقييد والتخصيص تبين المراد وتنفي التشبيه، إذ ما من شيئين في الوجود الا وبينهما قدر مشترك، وقدر فارق، فمن نفى القدر المشترك فقد عطل، ومن نفى الفارق فقد مثّل، ومن أثبتهما فقد سلِم من التعطيل والتمثيل، حيث أثبت بلا تمثيل: ونزّه بلا تعطيل».

« فما سمى به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته كالحي والعليم والقدير. فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق المخلوق، ونعقل بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلي لا يوجد مشتركاً الا في الأذهان ولا يوجد في الخارج الا معيناً مختصاً فيثبت في كل منهما» [2]

وقد وصف الله نفسه بأنه رؤوف رحيم فقال ﴿وإن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ ووصف رسولَه بأنه ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ وليست رأفة النبي ﷺ ورحمته كرأفة الله ورحمته. ووصف نفسه بأنه حفيظ عليم، وقال عن يوسف ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ ولا يُفهم من ذلك التماثل بين حقيقة حفظ الله وعلمه، وبين حفظ يوسف وعلمه. ومن تنبه الى هذه الحقيقة زال عنه وسواس التشبيه وبرىء من دنس التمثيل ومن جراءة التعطيل.

ثالثاً: أن نفي التشبيه من كل وجه هو التعطيل والجحود، كما أن إثباته مطلقاً هو التسوية والانداد برب العالمين، فإن لفظ التشبيه فيه عموم وخصوص ضل فيه أكثر الناس. لأن المخلوقات وان كان فيها شبه من بعض الوجوه مثل الوجود والحياة والعلم والقدرة والعلم والقدرة فهي ليست متكافئة متماثلة.

قال السيوطي في الحاوي « المماثلة تستلزم المشابهة وزيادة، والمشابهة لا تستلزم المماثلة، فلا يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلا له،... فالمماثلة تقتضي المساواة من كل وجه، والمشابهة تقتضي

١) الرسالة التدمرية ٩٦.

٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١٠٤.

الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها»[1].

وقال العلامة الحنفي ملا علي قاري « المثلية تقتضي المساواة في كل الصفات، والتشبيه لا يقتضيه، بل يكفي لإطلاقه المساواة في بعضه» (الفقه الأكبر ١١٤).

وقد قرر الأشاعرة أنفسهم أن وجود بعض الاشتراك لا يوجب المماثلة، فكان يلزم ذلك في الصفات التي قد نفوها بزعم المشاركة والمشابهة. قال الرازي « فإن قيل: المشاركة في صفات الكمال تقتضي المشاركة في الالهية؟ قلنا: المشاركة في بعض اللوازم البعيدة مع حصول المخالفة في الأمور الكثيرة لا يقتضي المساواة في الالهية، ولهذا المعنى قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾»[2]، فظهر من هذا الاعتراف تناقضهم في التفريق بين المتماثلات.

رابعاً: أنه لو كان لا يجوز وصف البشر بما يوصف الله به على حد زعم الحبشي لصار كل من وصف مخلوقاً بأنه رحيم أو ودود أو لطيف أو عليم لصار كافراً لأنه وصف البشر بما وصف الله به نفسه.

وهذه عقيدة الجهم رأس الجهمية الذي كان يقول « لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً».

قال الذهبي « كان ينكر الصفات وينزه الباري عنها بزعمه»[3].

خامساً: أن « مذهب السلف بين مذهبين وهدىً بين ضلالتين: إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ ردٌّ على أهل النفي والتعطيل، فالممثل أعشى، والمعطل أعمى: المشبّه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً»[4].

قال ابن مندة « وإنما ينفي التشبيه والمثيل: النيةُ والعلمُ بمباينة الصفات والمعاني، والفرق بين الخالق والمخلوق في جميع الأشياء فيما يؤدي الى التمثيل والتشبيه عند أهل الجهل والزيغ... وأن أسامي الخلق وصفاتهم وافقتها في الاسم وباينتها في جميع المعاني لحدوث خلقهم وفنائهم، وأزلية الخالق وبقائه، ومنع استدراك كيفيتها ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[5].

---

١) الحاوي للفتاوي ٢/٢٧٣.

٢) أساس التقديس ١١٥.

٣) الفصل في الملل والنحل ١/١٠٩ سير أعلام النبلاء ٦/٢٦.

٤) مجموع الفتاوى ٥/١٩٦.

٥) الحجة في بيان المحجة ١/٩٤.

الخلاف حول مسألة التأويل

الخلاف حول التأويل يتطلب منا تحديد معنى كلمة التأويل:

فقد ورد التأويل في القرآن على معنيين اثنين لا ثالث لهما (التفسير والمرجع أو المصير). قال ابن جرير «وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير»[١]:

- **التأويل** بمعنى التفسير. قال ابن الجوزي « وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين» [٢]. قال تعالى ﴿**وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**﴾ [يوسف٤٤] ونجد ابن جرير الطبري[٣] يقول عند كل آية « وتأويَل الآية عندنا كذا» أي تفسيرها.

- **التأويل** بمعنى الرجوع والأوَل والمصير قال تعالى ﴿**هل ينظرون إلا تأويله**﴾ [الاعراف٥٣] أي تحققُ ما أخبر الله عنه. كما في حديث عائشة « كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي. يتأول القرآن» قال الحافظ ابن حجر « أي يفعل ما أمر به فيه» [٤]. أي تحقيق قوله تعالى ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره**﴾.

قال ابن شهاب « وكانوا يتأولون قول الله تعالى ﴿**ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**﴾[الأنفال: ٧٢] قال الحافظ ابن حجر «أي كانوا يفسرون قوله تعالى (بعضهم أولياء بعض) بولاية الميراث: أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وغيره [٥].

قال يعقوب: أوَلَ الأمرَ الى أهله أي أرجعه اليهم [٦].

---

١) تفسير الطبري المجلد الثالث ج ٣ ص ١٢٣.

٢) زاد المسير لابن الجوزي ١/٤.

٣) الأحباش تارة يذمون الطبري وتارة يمدحونه ويصفونه بالحافظ المجتهد وأنه كان له مذهباً متبوعاً (أنظر مجلتهم منار الهدى ١٤/٢٢ و٢٢/٦٢) وصفه السبكي بالامام الجليل المجتهد المطلق أحد أئمة الدنيا علماً وديناً. قال السيوطي: هو عندي المبعوث على رأس المائة الثالثة (صون المنطق والكلام للسيوطي ٨٧-٨٨).

٤) فتح الباري ٢/٢٩٩.

٥) فتح الباري ٣/٤٥٢.

٦) معجم مقاييس اللغة ١٥٩:١.

فالوقوف عند قوله تعالى ﴿وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم﴾ يفيد فهم العلماء لمعنى اللفظ كما قال مجاهد « أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله»، وروى ابن قتيبة بسنده عنه قال « تعلمونه وتقولون آمنا به»[١]. مما يدل على ان الايمان به لا يعني الجهل به. ثم إن الله ميزهم عن باقي المؤمنين بالرسوخ في العلم. وجهل ما وصف الله به نفسه ليس علماً. ولو كان المراد مجرد الايمان به لقال: والمؤمنون يقولون آمنا به.

وأما الوقوف عند ﴿وما يعلم تأويله الا الله﴾ فتفيد عدم معرفة العلماء لحقيقته وكيفيته وإن لم يجهلوا المعنى. وكلا الوقوفين ثابت عن السلف ولا تناقض بينهما. وقد اختار المعتزلة الوقوف على الراسخين في العلم وحكى البغدادي موافقة الأشعري لهم بينما اختار البغدادي الوقف على (الا الله)[٢].

- **أما التأويل** بمعنى صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى معنى آخر مرجوح لدليل يقترن به [٣]. فهذا المعنى ليس معنى شرعياً ولم يُعرف عن أحد من السلف. وإنما اصطلح على هذا المعنى كثيرون من علماء الكلام كالمعتزلة والأشاعرة **وأفسحوا له مجالا** في القواميس اللغوية المتأخرة التي دُوِّنَتْ بعد القرون الثلاثة الأولى، بينما تجاهلوا أن كلمة التأويل وردت في القرآن وأنه يجب الالتزام بها على المعنى الذي استعمله القرآن لا على ما اصطلح عليه أهل الفلسفة والكلام.

ولقد عهدنا أهل البدع يتمسكون بالمعنى اللغوي ويتهربون من الاصطلاح القرآني.

وقد أدت اصطلاحات أهل الكلام الى تخبط عجيب في فهم مدلول الألفاظ والعبارات.

وإنما يرجح المتكلمون الوقوف حسب القراءة الأولى ليجيزوا لأنفسهم التأويل باصطلاحهم المتأخر، فيأتون بتأويلات لا سلف لها أحرى أن تسمى تحريفات.

---

١) مشكل القرآن ١٠٠.

٢) أصول الدين ٢٢٣.

٣) كما زعم الأحباش في مجلتهم منار الهدى ١٥/١ و٢٨/١٠ وانظر اساس التقديس ٢٣٥ الإحكام للآمدي ٥٣/١.

وبعد هذه المخالفة لمعنى لفظة التأويل في القرآن يأتي الأحباش فيستخدمون اللفظ القرآني، ولكن يصطلحون عليه باصطلاح يختلف حتى مع التعريف المشهور عند الأشاعرة فيقولون بأن التأويل معناه « صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة». ثم يأتون بتفريق عجيب بين التأويل والتفسير فيقولون بأن التفسير يتوقف على النقل المسموع وأن التأويل يتوقف على الفهم الصحيح [1].

وأما السلف فلم يكونوا يفسرون بالاحتمال، فمن نسب هذا الى السلف فقد طعن فيهم.

والسلف لا يتفقون معكم في تفسير القرآن بالمحتمل الذي لا يمكن القطع بمراد الله منه، بل كانوا يفسرونه بالمأثور ويخافون من التقول على الله ما لا يعلمون، بل يرون هذا مجازفة في الدين وقولا على الله بلا علم، ولأن الاحتمال ليس علماً. وانما هو الى الخرص والظن أقرب ﴿إن يتبعون الا الظن وإن هم الا يخرصون﴾.

وقد نهى الشافعي عن هذا فقال « القرآن عربي، والأحكام فيه على ظاهرها وعمومها، ليس لأحد أن يحيل منها ظاهراً الى باطن الا بدلالة من كتاب الله تعالى فان لم تكن فسنة رسول الله ﷺ... ولو جاز في الحديث أن يحال شيء منه عن ظاهره الى معنى باطن يحتمله: كان أكثر الحديث يحتمل عدداً من المعاني ولا يكون لأحد ذهب الى معنى منها حجة على أحد ذهب الى معنى آخر»[2].

ومن أسباب ذم السلف للجدل المستورد وأهله أن أرباب علم الكلام يأخذون مصطلحات شرعية ثم يحددون لها معان خاصةً بهم يكون لها أكبر الأثر في التشويش في الدين. فإنه ما منّ آية الا قال فيها الطبري « وتأويل الآية ...» وهو يعني بذلك التفسير لا تحريف الألفاظ بالمعاني المستبعدة كما يفعله من حرمه الله تأويل السلف الذي هو التفسير.

فليس لكم أن تستدلوا بألفاظ القرآن حتى توافقوا المعنى القرآني الذي كان يفهمه النبي وأصحابه، ولغة العرب التي أنزل القرآن بها والتي كان النبي ﷺ يخاطب بها أمته، بل لا بد من الرجوع الى

---

١) مجلتهم منار "الهدى" ١/١٥.

٢) اختلاف الحديث للشافعي المطبوع بهامش كتابه الأم ٧/٢٧-٢٨

الاستعمالات الواردة لهذا اللفظ وقت نزول الوحي، ليس لكم أن تحملوا ألفاظ القرآن على معان خاصة بينكم والا كان ذلك تحكماً وتحريفاً. فإن الواحد عندكم: ما لا ينقسم، والتأويل: هو صرف اللفظ الى معنى مستبعد، والتوسل عندكم بمعنى دعاء غير الله.

○ ولقد اعترف الكوثري بأن حمل النصوص والآثار على المصطلحات المستحدثة بعد عهد التنزيل بدهور: بعيد من تخاطب العرب وتفاهم السلف واللسان العربي المبين، ومن زعم ذلك فقد زاغ عن منهج الكتاب والسنة، وتنكب سبيل السلف الصالح، ونابذ لغة التخاطب، وهجر طريقة أهل النقد...» (١).

---

١) تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات ٥٧١.

معنى « اللهم علمه التأويل»

هم يحتجون بدعاء النبي ﷺ لابن عباس « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» ويقولون «حسبنا بهذا دليلا على مشروعية التأويل» [1]. وهو تلبيس ومكر وتحريف للألفاظ. ونرد على ذلك فنقول:

لا بد أن توافقونا أن الله علم رسوله ﷺ التأويل ولكنه لم يعلم أمته شيئاً من تأويلاتكم الباطلة فإما أن يكون كتم التأويل الذي لم تقصروا في تبليغه وإما أن يكون التأويل شيئاً آخر.

ثم إن عائشة ذكرت أن رسول الله كان «يتأول القرآن» [2] فما معنى تأويل الرسول ﷺ للقرآن عندكم؟

إن كان تأويل الاستواء واليد والنزول عند رسول الله ﷺ بالاستيلاء والقدرة ونزول الأمر فلماذا لم يتأوله مع أن الله علمه التأويل؟

بهذا ينكشف تدليسكم وتمويهكم على العامة فإنكم تتمسكون بألفاظ شرعية فتفرغونها من معانيها الشرعية وتستبدلونها بمعان خاصة بكم لا يتنبه لها الناس. فالتأويل عند الرسول وابن عباس: هو التفسير والحقيقة، وأما عندكم فهو صرف المعنى المتبادر للفظ الى معان أخرى محتملة لا يدل عليها اللفظ. به تمكنتم من تحريف كلام الله. فالتأويل بهذا المعنى ما عرفه السلف لأن تأويلهم كان عن علم لا عن احتمال وهذا فرق عظيم يخفى على المدافعين عن السنة.

فالنبي ﷺ دعا لابن عباس أن يعلمه الله التأويل لا التحريف. والذي عندكم تحريف لا علاقة له بدعاء النبي ﷺ لابن عباس.

١) أنكم أخذتم لفظ التأويل ونبذتم معناه القرآني المقصور على التفسير والتحقيق أو المصير وأخذتم بالمعنى الفلسفي الذي اصطلح عليه علماء الكلام والذي هو صرف اللفظ عن معناه المتبادر الى معنى آخر محتمل. فصار معنى التأويل عندكم مخالف للمعنى الذي في القرآن وفي فهم الرسول ﷺ وابن عباس.

ولا أظن من يستدل بهذا الدعاء الا وهو يعلم أنه يلبس الحق بالباطل ويكذب على العوام. والا فهو يعرف أنه يحمل في نفسه معنى

---

١) مجلة منار "الهدى" الحبشية ٢٨/٢٨-٢٩.

٢) أي يحقق قوله تعالى ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾.

آخر للتأويل مخالف لمفهوم التأويل في القرآن والسنة وفهم سلف الأمة. فيقال له كما قال تعالى لأهل الكتاب **﴿يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾**.

٢) فلو كان تأويلكم موافقاً لتأويل ابن عباس لسبقكم ابن عباس الى تفسير الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة والنزول بنزول الرحمة والرجل برجل من جراد والضحك بالثواب لكن المروي عنه عكس ذلك فقد ثبت عنه من التفسير ما يخالف تأويلاتكم. ولو ثبت عنه شيء لتمسكتم به كتمسككم بما لم يثبت عنه من تفسير الساق بالشدة كما سيأتي تخريجه بالتفصيل. واذا لم يثبت عن ابن عباس شيء من هذه التأويلات فإما أن نقول: إن الله لم يستجب لنبيه وعلّمكم التأويل الذي لم يعلّمه ابنَ عباس، أو نقول: تأويلكم هو في الحقيقة تحريف.

فقد قال في تفسير قوله تعالى **﴿وجاء ربك﴾** « فيجيء الله فيهم والأمم جثيّ» [١].

وفي تفسير **﴿ثم استوى الى السماء﴾** قال: اي ارتفع الى السماء[٢].

وفي تفسير **﴿ءأمنتم مَن في السماء﴾** قال: أي وهو الله كما رواه عنه ابن الجوزي [٣]. وفي رواية ذكرها القرطبي «ءأمِنتم عذابَ مَن في السماء إن عصيتموه» [٤].

وروى البخاري أن ابن عباس قال « لما كلم الله موسى كان النداء في السماء وكان الله في السماء» [٥].

ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا

فشتان بين تأويل السلف الذي هو عين مقتضى اللفظ وبين تحريف الخلف المخالف لمقتضى اللفظ. والتحريف هو تفسير بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها. قال تعالى **﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾**.

٣) أنكم قدمتم بهذا الاستدلال الفاسد برهاناً شرعياً للمعتزلة والباطنية يبرر تأويلهم لعذاب القبر بالعذاب النفسي الذي يراه الانسان في المنام، وأوجدتم لهم العذر في تأويل رؤية الله بانتظار الثواب فقد

---

١) تفسير الطبري ج ٣٠ ص ١١٨-١٢٠.

٢) تفسير البغوي ٧٨/١ البقرة آية رقم ٢٩.

٣) زاد المسير ٣٢٢/٨.

٤) تفسير القرطبي ٢١٥/١٧.

٥) البخاري: خلق أفعال العباد ص ٤٠.

قالت المعتزلة كفى بدعاء النبي ﷺ لابن عباس دليلا على جواز تأويل نصوص رؤية الله بالنظر الى ثوابه ومنحتم الباطنية والفلاسفة دليلا على تأويل نصوص المعاد بالبعث الروحي لا الجسدي. فإن قلتم إن الأنبياء جاءت بإثبات معاد الأبدان قال لكم أهل السنة: ونحن نعلم بالضرورة أن الرسل جاءت بإثبات الصفات.

لماذا سمي الباطنيون «باطنيين»؟

قال الزبيدي « قال السعد في شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة لا يعرفها الا المعلم» [1].

* وبناء على هذا فالترخيص لكم بالتأويل سيكون ترخيصاً للمعتزلة والباطنية، فإن الأشاعرة يحرمون على المعتزلة والباطنية ما يحلونه لأنفسهم، ما عندهم الا التحكم المحض.

٤) هل تجيزون لمن يؤوّل الصفات السبعة (الحياة السمع البصر القدرة...) أن يستدل بدعاء النَبي ﷺ على جواز تأويله؟ ليس عندكم من جواب الا التحكم المحض أو التقليد البحت.

٥) إن كان ما تقولونه حقاً فلماذا تخلى الأشعري والجويني والرازي والغزالي عن التأويل في آخر الأمر؟ ولماذا خالفكم أكثر الماتريدية والأشعرية وفضلوا التفويض ونهوا عن التأويل؟ وهل جهل الطحاوي دعاء النبي ﷺ لابن عباس فقال « والتأويل المعتبر ترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين»!

٦) أن ابن عباس كان من فطاحل أهل اللغة ولم يرو عنه أنه كان يقسم الصفات من حيث اللغة الى صفات مجازية يجب حملها على المجاز وعدم الأخذ بظاهرها الموقع في الكفر، وصفات أخرى يجب حملها على الحقيقة والا كان تأويلها كفراً.

٧) أن تأويلاتكم غير المأثورة عن واحد من السلف هي عند ابن عباس من جنس تأويلات اليهود، فقد قال ابن عباس ﴿**يحرّفون الكلم عن مواضعه**﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله» قال الحافظ في الفتح بأن « تحريف أهل الكتاب لمعاني النصوص لا يُنكر بل موجود عندهم بكثرة» [2].

* فأنتم تشابهونهم من حيث نسبة الضعف الى الله، فان قولكم (استولى الله على العرش) شبيه بوصف اليهود لله بالتعب بعد أن خلق السموات والأرض. فالتعب ضعف بعد قوة، والاستيلاء قوة بعد ضعف، فهل كان قبل أن يستولي على العرش خارجاً عن ملك الله؟

بل قولكم هذا تصريح منكم بقيام الحدوث في الله لأنكم أثبتم له

---

١) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٤/٥٣٤

٢) فتح الباري ١٣/٥٢٤.

استيلاءً على ما لم يكن مستولياً عليه قبل خلق السموات والأرض.

والشبه الثاني بهم أنه قيل لهم ﴿قولوا حطة﴾ فبدلوا وقالوا (حنطة) زادوا نوناً. وقيل لكم قولوا ﴿استوى﴾ فقلتم (استولى) زدتم لاماً.

٨) أنه لو كان دعاؤه ﷺ يعني التأويل بالمعنى الذي تذهبون اليه لصار التأويل منقبة عظيمة، ولكن: لماذا تجيزون «للأشعري» أن يختار: إما التأويل وإما التفويض. بل لماذا ينقسم أهل الحق بزعمكم الى اشاعرة وماتريدية ثم ينقسم كل من الأشاعرة والماتريدية الى فريقين: فريق يجيز التأويل وفريق يحرمه ويدعو الى التفويض؟

المخالفون لمصطلحهم الذي اصطلحوا عليه

ومع أنهم قيدوا التأويل بقرينة تبرره، إلا أنهم لم يفوا بوعدهم ولم يلتزموا هذا القيد. وصار التأويل عندهم لمجرد الاحتمال الذي هو (هوى). واعتذر بعضهم بأن القرينة ضرورة التنزيه وهو عذر غير مقبول:

يسمونها بغير اسمها

* فإن الجهمية والمعتزلة عطلوا كل صفات الله بدعوى تنزيه الله عن الشبيه والمثيل. والمعتزلة نفوا القدر بدعوى تنزيه الله عن الظلم والخوارج خرجت على علي بدعوى تنزيه الله عن التحاكم الى غيره. والروافض قالت بعصمة أهل البيت بحجة تنزيههم عما لا يليق بهم. والصوفية جعلوا من الحلول ووحدة الوجود وصولا الى المراقي العلا.

فوقع الشرك بحجة تكريم الصالحين وتعظيمهم.

وسمي الجاحد للصفات منزهاً والمثبت لها مجسماً مشبهاً.

هل الأخذ بظواهر الآيات كفر؟

وزعم الحبشي أن أخذ آيات القرآن على ظاهرها كفر.

- وهذا مطابق لقول المعتزلة القائلين: أخذ نصوص الصفات على ظاهرها كفر[1]. وشاركهم الجهمية بنفس الذريعة فقالوا: من أثبت هذه الصفات على ظاهرها فهو مشبّه. قاله الحافظ [2].

وقد استخفوا بالنصوص وسموها ظواهر خوفاً على رقابهم من السيف فتهيبوا أن يقولوا هذا النص كفر: فقالوا: ظاهره يوهم الكفر فلا يؤخذ على ظاهره.

ولو كان هناك وهم يمكن أن يقع لوقع الناس في وهم من قوله تعالى ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ وقوله عن عيسى ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ ومع ذلك يعلم الله أنها لن توهم الكفر، فكذلك أنزل الله آيات يعرّفنا فيها بصفاته وعلم قبل إنزالها أن البشر لن يضلوا بها ولن يفهموا منها مساواة الخلق بخالقهم. بل علم قبل إنزالها أنه سيضل بها أهل الأهواء، فأوحى بها ولم يبالِ بوساوسهم. فإنه ﴿يُضلُّ به من يشاء ويهدي من يشاء وما يُضِل به الا الفاسقين﴾.

○ وهذا سوء ظن في آيات الله. وجناية على النصوص. ويلزم منه القدح في علم الله وقدرته وبيانه وفي نصحه. فإما أن يكون الله عالماً أن الحق والتنزيه انما هو في تأويلات المتكلمين أو لا. فإن كان عالماً قدحتم في نصحه، وإن كان غير عالم كان ذلك قدحاً في قدرته.

○ وكأن الله يخاطب عباده بألفاظ ظاهرها الكفر، ثم يمرُّ عصر النبوة والخلافات الراشدة والتابعين فلا يحذّر واحد منهم من هذا الكفر ثم يحتاج الاسلام إلى أهل الكلام الأحسن بياناً، والأدق وصفاً من نصوص القرآن والسنة في اجتناب ألفاظ الكفر. الأعلم من الله بما يليق به، فيستخرجون درر التأويلات ويجعلون آيات القرآن مصدر الضلالة والتشبيه، والهدى والبيان في تأويلاتهم. وإثبات الصفات تشبيهاً، ونفيها تنزيهاً.

---

١) متشابه القرآن لعبد الجبار المعتزلي ١٩.

٢) فتح الباري ١٣/٤٠٧.

وكأن الرسول ﷺ أهمل تحذير الأمة مما ظاهره الكفر وكتم ما كان يجب تبيينه فقصَّر هو، وقصَّر خلفاؤه الراشدون حتى جاء أهل الكلام فبلَّغوا أحسنَ التبليغ وسدّوا ثغرة بقيت مفتوحة بعد موته ﷺ وأصحابه!

○ أنه اذا كان ظاهره كفراً فقد صار النصراني واليهودي والمجوسي معذورين في عدم دخول الدين لأنهم يقرأون آيات ظاهرها كفر ولم يتسن لهم مطالعة تأويلاتكم بعد. فلو سألهم الله يوم القيامة: لماذا لم تؤمنوا بالقرآن لقالوا: لأننا وجدنا في ظاهر قرآنك ما يفيد الكفر فلم نؤمن. فاننا لما أردنا أن نسلم جاءنا أتباع الحبشي وقالوا لنا: أخذُ آيات الله وأحاديث نبيه التي ظاهرها التشبيه كفر! فلولا يا رب أرسلت الينا كتب عبدك الحبشي كالدليل القويم على الصراط المستقيم والنهج السليم حتى تقوم علينا الحجة، لأن كتابك موهم للضلال فكيف تقيم به الحجة علينا!!

○ فصارت الحجة تقوم بكتب الأشعري والماتريدي والإيجي والتفتازاني والنسفي والحبشي، ولا تقوم بكتاب الله لأن نصوص القرآن والحديث تغلب فيها نصوص التشبيه وتتحدث عن صعود الله ومجيئه ويده وضحكه وأصابعه.

○ وعلى قولهم هذا يكون الله قد كلف عباده أن يفهموا من نصوص شرعه خلاف ما يدل عليه اللفظ فيكون كلفهم ما لا يطيقون[1]. وهذا فيه عذاب للعقول وحيرة وفساد واضطراب في القلوب، وذلك أن يأمرنا الله أن نتلو القرآن ونفهمه ثم يقول ظاهر ما أوحيت به اليكم هو كفر ، ولكن هناك ألغاز ألهمت بها أهل الكلام لا الشافعي ولا مالك ولا أحمد. من لم يجد هذه الألغاز فقد كفر بما أنزلت لأنه آمن بظاهر ما أنزلت.

○ ويقضي هذا أن لا نقرّ بشيء من معاني الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثاً طويلة مضنية، وبعبارة أخرى يصير الأصل التوقف في القرآن ولا يفهم القارىء مما يقرؤه شيئاً وانما تلاوة مجردة حذراً من الوقوع في الكفر. نعم: ثبت عن الأحباش أنهم يحذرون الأتْباعَ أن يقرأ أحدهم القرآن وهو منفرد حتى لا يتأثر بظواهره الكفرية. فجعلوا لكلام الله مثل السوء، ولأهل الجدل المثل الأعلى.

---

١) من عقيدة الأشاعرة جواز أن يكلف الله عباده ما لا يطيقون.

○ ما الذي يجعل أخذ نصوص صفات (السمع والبصر والقدرة والحياة) على ظاهرها إيماناً، بينما أخذُ نصوص صفات (الاستواء والنزول والمجيء) على ظاهرها كفراً؟ هل عندكم ثم قاعدة تفرق بين الأمرين؟ وهل قولكم هذا يشمل كل ما وصف الله به نفسه أم ماذا؟

○ ونحن نؤمن أن الله وصف كتابه بأنه هدى وتبيان لكل شيء فقال ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾ وأمر رسوله أن يبين للناس معاني آيات الله فقال ﴿**وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزِّل اليهم**﴾ فالتأويل هو بيان مراد المتكلم وقد بيّن الرسول ﷺ مراد الله ولم يكتم.

فمن قال بعكس ذلك فقد زعم أنه ﷺ خان الرسالة.

○ فالمأمور بالتبيين ﷺ لم يصرف نصوص الصفات عن ظواهرها، ولم يرد عن أحد من السلف تأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة أو النعمة والرجل برجل من جراد والنزول بنزول الملَك أو الأمر والغضب بمعنى العقوبة والرحمة بمعنى الثواب، ولا قالوا: يجب تأويلها ويحرم الأخذ بظواهرها، ومعلوم أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. ولم يرد عن السلف أن الأخذ بآيات الصفات على ظاهرها كفر وإنما حمل الجهمية راية هذه المقولة وتبعهم المعتزلة.

○ فهذه المقولة إفك قديم وحجة المعتزلة القائلين: نصوص رؤية الله لا تؤخذ على ظاهرها، وإنما لها معنى باطن هو إثابته. فبماذا تجيبونهم؟

○ أننا نقول لهؤلاء المتناقضين:

أتقولون هذا في كل ما وصف الله نفسه أم تقولون: أخذ بعض الآيات على ظاهرها كفر دون البعض الآخر؟ ما الضابط في ذلك؟

وكيف أخذتم نصوص الرؤية ولم تحدث عندكم تجسيماً؟ فاذا كان التجسيم لازماً لبعض الصفات فهو لازم للصفات التي أثبتموها كالارادة والكلام والسمع والبصر. لأنها صفات لا تقوم في الشاهد بنفسها وإنما بجسم. فاذا قلتم لا نعقل يداً أو رِجْلا أو أصابع أو رضاً أو غضب الا بجسم: قلنا: ولا نعقل سمعاً وبصراً ولا كلاماً الَا ما كان قائماً بجسم. فقولنا فيما أثبتناه كقولكم فيما أثبتم. فإن قلتم: هذه أبعاض: قلنا: وما أثبتموه أعراض لا تقوم الا بجسم. فلا نعقل سمعاً الا ما كان بشحمة ولا نعقل كلاماً الا بلسان، فإن جاز لكم أن تثبتوا أعراضاً

لا تقوم بجسم جاز لنا أن نثبت ما تزعمون أنه أبعاض.

فإما أن تعطلوا ما أثبتموه وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يليق بالله لا يشبهه فيه أحد.

○ أن الشارع اذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره فلا بد أن يبين ذلك للأمة، قال تعالى ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾ ﴿**وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس من نُزّل اليهم**﴾. حتى تقوم الحجة على من تقولون له: أخذ آيات الصفات على ظاهرها كُفر.

واذا أراد أن يقول كلاماً ظاهره ضلالة مخالفة لباطنه فانه لا بد أن ينصب للناس دليلا يبيّن لهم في نفس السياق أن ظاهره غير مراد، ولا يترك العامة يضلون به ولا يترك أهل الكلام والجدل يصلحون ما أفسده هذا الظاهر. كقول الله « يا ابن آدم: مرضتُ فلم تعدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت ربِ العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده. أما علمتَ أنك لو عُدتَه لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، إستطعمتك فلم تُطعمني. قال: يارب، وكيف أطعمُك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَه استطعمك عبدي فلان فلَم تطعمه، أما إنك لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي. يا ابن آدم، إستسقيتك فلمَ تُسقني. قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: إستسقاك عبدي فلان فلم تسقه. أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي» [1].

فبيّن في الحديث نفسه أن قوله (مرضت، استطعمتك، استسقيتك) مفَسَر من خلال ظواهر أخرى، ولم يؤخر بيان النصوص عن وقت الحاجة، ولا نعتقد أن يوحي الله نصوصاً: يضل بظاهرها البشر ثم يترك مجال بيانها حتى ينقب لها خلفاء (صبيغ) عن بواطن أخرى مرجوحة!

وانظر الى قول الله تعالى ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ كان يمكن أن يكون مستمسكاً عظيماً للخوارج الذين يكفّرون بالمعصية ولكن الله أوحى الى نبيه أن يفسرها بقوله تعالى ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾.

ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي لا يستنبطه الا أفراد الناس وفلاسفتهم ويجعل الأخذ به واجباً. فإن هذا تدليس وتلبيس لا بياناً وشفاءً وهدى. فيصير كتاب الله مثار اختلاف الناس ومصدر خصومتهم وليس حكماً بينهم فيما اختلفوا فيه.

---

١) رواه مسلم (٢٥٦٩).

- وبالتالي يصير الهدى ببواطنكم وتأويلاتكم لا في آيات القرآن.
ولا يجوز أن يكون البيان الذي ذكره الله محتاجاً بدوره الى بيانات المتكلمين، وهذا رد على من زعموا أن الله ابتلانا ليعلم أنؤول أم لا.

○ وقد ذكر الشهرستاني أن من معاني التعطيل «تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي دلت عليها» وهو مذهب الفلاسفة الالهيين [1]. فوافقهم الأشاعرة وقالوا جميعاً بأن ظاهر الصفات غير مراد، فجعلوا المعنى الفاسد للصفة هو ظاهر اللفظ ثم جعلوه بعد ذلك محتاجاً الى تأويلات تخالف الظاهر.
وزعموا بلا دليل أن الله أراد معنى باطنا خلاف ظاهر ما أنزل، وهذا يتطلب أن يكون الله أوحى اليهم أنه أراد هذا ولم يرد ذاك.

○ والحبشي يَرُدّ المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ، مع أنه أجاز إثبات الصفات على ظاهرها بشرط نفي التشبيه [2] وهذه هي طريقتنا ونبرأ الى الله ممن يزعمون أننا نأخذها على ظاهرها مع اعتقادنا التشبيه، فهم يعرضون مذهب خصمهم بلا إنصاف كقول الكوثري إننا نثبت لله اللهوات والأضراس[3].

○ وقول الحبشي بالتأويل مخالف لقول السلف «أمرُّوها على ظاهرها من غير كيف» ومخالف لقولهم «تفسيرها ظاهرها» فالسلف يأمروننا بمخالفة الجهمية الذين يجعلون للصفات معان باطنة يكفّرون من لا يوافقهم عليها. فأيهما نتبع؟ هل نتبع السلفَ الذين قالوا: تفسيرها ظاهرها أم نتبع الجهمية الذين قالوا ظاهرها كفر؟.

○ ونحن نطالبكم إن كنتم على يقين مما تذهبون اليه: هل منكم من يقول: يا رب أشهدك أني كافر بظواهر آياتك، وأن الايمان بظاهرها هو الكفر وأن الكفر بظاهرها هو الايمان.

- والحبشي يحتذي حذو الجهمية ويخالف نهج السلف ويهددنا بالتكفير إن أخذنا نصوص الصفات على ظاهرها، ونحن نشاققه ونتبع سبيل المؤمنين ثم الله يفصل بيننا يوم القيامة. ونسأله: هذا الذي ظاهره كفر: هل علم النبي ﷺ أنه كفر أم لم يعلم؟ وهل حذر أمته

---

١) نهاية الاقدام ١٢٣و١٢٧.
٢) الدليل القويم ٤٣.
٣) مقالات الكوثري ٣٩٢ ط: المكتبة الأزهرية.

منه وهو الذي قال «ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة الا أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه»؟ أقيموا علينا الحجة والا لا حق لكم في زعمكم أن من أخذ بظاهر نصوص القرآن والسنة يقع في الردة والكفر!

○ ودعوى أن الله أراد غير هذه الظواهر أمر لا يمكن إثباته، لأنه لا يخرج عن كونه احتمالا باعترافهم. فهم صرفونا عن ظاهر كفري الى بواطن محتملة مشكوك في موافقتها لمراد الله، فلم ينقذونا من الكفر، بل أوقعونا في الحيرة، وقد كان عليهم أن يخرجونا من الكفر الى الايمان لا من الكفر الى الشك.

ثم إن هذه الدعوى يمكن أن تضطرد في جميع الشريعة حتى لا يبقى في ظاهرها متمسك يمكن أن يلتمس منه معرفة مقاصد الشارع الحكيم، وهذا مسخ للشريعة مضى عليه الباطنيون وبقيت مخلفاته في المؤولة الذين يجعلون الظاهر كفراً وضلالاً والباطن هدى وإيماناً.

○ ونحن نسأل: هل هناك سبيل أهدى من هذه الطريقة لنتبعها إن كنتم صادقين؟ ألم يتفق كبار أئمة التأويل على أن التأويل يحتمل أن يكون موافقاً لمراد الله وأن طريق السلف كان إثبات النصوص وتحريم التأويل؟!

قال الجويني « ولو ساغ حمل أي لفظ على أي معنى يحتمله دون دليل لأدى ذلك الى إبطال العمل بظواهر النصوص الشرعية وعدم الثقة بها، ولصار ذلك مدخلا لكل مبطل للطعن في الشرع بتحريف نصوصه وصرفها عن ظاهرها لمجرد الاحتمال دون دليل»[1].

وأوصى الغزالي المؤول « أن يكف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات، فإن الحكم على مراد الله ومراد رسوله ﷺ بالظن والتخمين خطر... فالتوقف في التأويل أسلم»[2].

فأي حجة تقيمونها على الآخذ بالظاهر وليس عندكم من البديل إلا تأويلات باطنية محتملة موافقة لتأويلات المعتزلة، محفوفة بمخاطر الكذب والجرأة على الله، فليس لكم حجة في تكفيره سوى حمل وزر تكفيره بلا برهان فطرحتم حسناتكم له واستبدلتموها بسيئاته؟!

---

١) البرهان في أصول الفقه للجويني ٥١٦/١.

٢) قانون التأويل ٢٤٠-٢٤١.

○ ثم ما المانع أن نقول: ظاهرها مراد لله مع نفي التشبيه، فآية الاستواء على ظاهرها ولكن ليس استواؤه كاستوائنا. وهكذا...

○ ولماذا يصف الله نفسه بما ظاهره الكفر؟ ألعجز في البيان أم لتضليل الناس، مع أنه أنزل كتابه ليكون هدى للناسَ وشفاءً لا ليكون ضلالاً ومرضاً؟ تعالى الله أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه الا الكفر.

○ فإن ما يظهر لنا غير ما يظهر لكم، ونحن لا نسلم لكم أن الظاهر من النصوص الكفر، بل لم يظهر للسلف ما ظهر لكم ولهذا لم يتكلموا بطريقتكم في التنزيه. ولم يعرف الا عن جهم والمعتزلة ثم عنكم.

فنصوص القرآن والحديث لا تتعارض مع العقل السليم المسلّم، والله يوفق لفهمها من شاء ويحرمه من شاء، وعقوبة أهل الكلام الحرمان من فهم كلام الله، وهم بمنزلة من قالوا بعد خروجهم من عند رسول الله ﷺ **﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾** فإن تحريفهم لمعانيه جعل على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً.

لأنهم كما قال عنهم أُوتوا ذكاءً وما أُوتوا زكاءً، وأُعطوا فهوماً وما أُعطوا علوماً، وأُعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة: **﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾**.

○ **القاعدة الأولى**: أنه إن كان الظاهر غير مراد فما الحكمة من إرادة ظاهر غير مراد لا يفيد علماً بل يضرهم في إيمانهم ومفاهيمهم ويغريهم بالتشبيه؟!
كيف يخاطبنا الله بما يريد إفهامنا خلافه؟ أفلا أوحى الى نبينا ﷺ أن لا نفهم حتى نحذر من الكفر كما حذر آدم من الاقتراب من الشجرة ولم يقل له اقترب وهو يريد منه خلاف ظاهره.

هلا نزهتم الله عن الكذب؟

يجيب عن ذلك الرازي بأن الحكمة مراعاة أحوال العوام في أول أمرهم فيخاطَبون بما يدل على التجسيم والتحيز والجهة لأن ذلك

يناسب ما تخيلوه وتوهموه»[1]. وعاد قوله موافقاً لقول الفلاسفة الذين زعموا أن الله خاطب العوام بلغة التجسيم ولم يخاطبهم بلغة التنزيه مثل أن الله ليس في جهة ولا مشار اليه حتى لا يظنوا ذلك تعطيلا ونفياً لوجود الله..

ثم قال الرازي « إن الأخبار المذكورة في باب التشبيه بلغت مبلغاً كثيراً في العدد، وبلغت مبلغاً عظيماً في تقوية التشبيه، وإثبات أن إله العالم يجري مجرى إنسان كبير الجثة عظيم الأعضاء! وخرجت عن أن تكون قابلة للتأويل»[2].

قال التفتازاني « فإن قيل: اذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة [يعني نفي علو الله على عرشه وفوقيته] فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك **من غير أن يقع في موضع واحد تصريح بنفي ذلك**[3]؟

أجاب التفتازاني بأنه « لما كان التنزيه عن الجهة مما تقصُر عنه عقول العامة حتى تكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة: **كان الأنسب في خطاباتهم والأقرب الى اصلاحهم والأليق بدعوتهم الى الحق ما يكون ظاهراً في التشبيه**، وكون الصانع في أشرف الجهات مع تنبيهات دقيقة على التنزيه المطلق عما هو من سمة الحدوث»[4].

ولكن: اذا كان الأنسب والأقرب الى إصلاح الناس والأليق بدعوتهم الي الحق أن يخاطبوا بمثل ذاك الخطاب، فلِمَ لا تخاطبونهم به، ولماذا تكفّرون من خاطبهم بهذا الأليق والأنسب؟

وأين المرحلة الثانية (التنزيه) بعد المرحلة الأولى (التشبيه)؟ لماذا لم يتكلم الله بها؟

إن أقوالكم موافقة لأقوال القرامطة والباطنية الذين زعموا أن الله يستدرج العوام بالكذب ليوصلهم الى الحق.

تباً لكم! أجعلتم آيات الله مصيدة للوقوع في الكفر والتجسيم؟

---

١) أساس التقديس ١٩٢ التفسير الكبير ١٧٢/٧ وانظر الباز الأشهب لابن الجوزي ص ٣٨ اتحاف السادة المتقين ١٨١/١٠.

٢) المطالب العالية ٢١٣/٩.

٣) الحمد لله أن التفتازاني أقر السائل على عدم وجود ذلك.

٤) شرح المقاصد ٥٠/٢ وقد زعم أنه رأى النبي ﷺ يقظة فتفل النبي في فمه فتضلع علماً ونوراً (شذرات الذهب ٣٢١/٦) وكتبه تدل على أنه تضلع فلسفة وجدلا.

○ **القاعدة الثانية**: أن قولهم (ظاهره يوهم الكفر): معناه أن كلام الله يأتيه الباطل من بين يديه. وأن الله تكلم بكلام فاسد ظاهراً. بخلاف كلامكم (استولى) فهو صالح ظاهراً وباطناً، وكأن كلامكم هو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه. فالله يقول عن كتابه ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾ وهؤلاء ينتهون الى أنه يأتيه الباطل من ظاهره.

❊ **القاعدة الثالثة**: أن هؤلاء الذين يمنعوننا من الأخذ بالظاهر ليس عندهم الا بواطن محتملة قد اختلفوا عليها فيما بينهم! فمنهم من يرى اليد لله بمعنى القدرة، ومنهم من يراها بمعنى النعمة، ومنهم من يراها بمعنى الذات، حتى ذكر الحافظ لهم خمساً وعشرين تأويلا مختلفاً [١]، ومنهم من يرى أن معنى ﴿**ءأمنتم من في السماء**﴾ أي جبريل، ومنهم من يرى أن معناه جموع الملائكة. ومنهم من يرى أن نزول الله مؤول بنزول رحمته، ومنهم من يرى أنه نزول الملك بأمره ومنهم من يرى أنه نزول أمره!

بل منهم من يرى إنزال القرآن بمعنى إفهام العباد معاني الفروض وليس كإنزال الأجسام» [٢].

وهكذا قررت عقولكم تقليد المعتزلة في علم كلامهم وتأويلاتهم، ولهذا حكم ابن حجر على علماء الكلام بأنهم أكثر الناس دعوة الى التقليد بينما يدّعون عكس ذلك.

ومن أدلة التناقض ما نقله الحافظ عن ابن المنير قال « أن لأهل الكلام ثلاثة أقوال في موقفهم من صفات الله:

١) أنها صفات ذات أثبتها السمع (أي الشرع) ولا يهتدي اليها العقل.

أرض الأشاعرة مسطحة

وقد فشلت عقولهم في الحكم على المخلوقات فكيف تنجح في حكمها على الخالق؟ فقد اعتبر أبو منصور البغدادي من أصول الايمان: اعتقاد أن الله بسط الأرض ولذلك سماها بساطاً خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين ان الأرض كرية غير مبسوطة» (أصول الدين ٦٠و١٢٤).

---

١) أنظر فتح الباري ١٣/٣٩٤.

٢) قاله ابن بطال (فتح الباري ١٣/٤٦٣).

٢) التأويل: أن العين كناية عن البصر وأن اليد كناية عن القدرة.
٣) إمرارها على ما جاءت مفوضاً معناها الى الله[١]. وبالطبع لم يكن للسلف الصالح ثلاثة أقوال في الصفات.

فإذا اتفقوا على توحيد تأويلاتهم من غير اضطراب وتناقض واختلاف (وهم لن يتفقوا) فسننظر في موقفنا من التأويل حينئذ!
وصدق من وصفهم بأنهم « مختلفون في الكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب».
- وبالطبع ليس عندهم إذن من الله أن ينوبوا عنه في استخراج بواطن المعاني المحتملة المختلفين عليها فيما بينهم، وبالتالي قولهم (يحتمل أن يكون مراده)... هو افتراء محض على الله.

أولا : أن التنزيه متحقق من غير ضرورة اللجوء الى التأويل. وهو قوله تعالى ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ ﴿**ولم يكن له كفوا أحد**﴾. فإذا لم يكن كمثله شيء وجب أن لا يقاس هو سبحانه بقوانين خلقه، لكن المتأولين يقيسونه بخلقه ودليله قولهم (ونحن لا نعرف من الشاهد إلا ما كان جسماً) وهي ظاهرة في قياس الشاهد على الغائب وهذا هو التشبيه.

ولقد تعرض الجويني والغزالي لقاعدة قياس الشاهد على الغائب بالنقد الشديد لعدم فائدة ذكر الشاهد في إثبات حكم للغائب [٢]. حتى قال ابن تيمية « المتكلمون والفلاسفة كلهم على اختلاف مقالتهم هم في قياس الغائب على الشاهد مضطربون، كل منهم يستعمله فيما يثبته ويرده على منازعه ما استعمله في ذلك... وسبب ذلك أنهم لم يمشوا على صراط مستقيم».

ولهذا اعترف الحبشي بأن « منشأ التخبط والوهم هو إعطاء الحق تعالى حكم الشاهد» [٣].
لكنه يقع في هذا الوهم فيقول: الاستواء بمعنى الارتفاع هو حركة. وإذا أثبتنا أنه يستوي فقد أثبتنا أنه جسم، لأن الحركة من

---

١) فتح الباري ١٣/ ٣٩٠.
٢) البرهان في أصول الفقه ١/ ١٠٤ معيار العلم ١٣٥ المنخول ٥٧.
٣) إظهار العقيدة السنية ١١٠.

لوازم الأجسام. والاجسام متماثلة فوقعنا في التجسيم والتشبيه [1] فبسبب هذا هربوا من اثبات ما أثبته الله لنفسه.

وهذه قاعدة باطلة عقلا وشرعاً:
فإن الصفات تقوم بالأجسام وبغير الأجسام، فالليل طويل والنهار قصير وبالعكس، وهما ليسا جسمين.

والأجسام ليست متماثلة، فالهواء جسم والماء جسم وليس الهواء كالماء وأبدان الحيوان ليست كأجسام الحديد فاذا كانت الأجسام المخلوقة تتفق في لفظ الجسم وتختلف حقائقها، فما بين المخلوق والخالق أولى، مع العلم أنا لا نطلق لفظ الجسم على الله، إذ لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه. ثم القول بتماثل الأجسام مخالف للعقل ومأخوذ من المعتزلة فإن الثلج لا يشبه النار ولا الخبز يماثل الحديد.

ثانياً: لو كان التأويل ضرورة للتنزيه لأمر الله به، إذ هو أعظم تنزيهاً لنفسه من خلقه مع علمه أن ذوي الفطر السليمة يكفيهم الجمع بين آيات الصفات وآيات التنزيه. ولكن تنزيهَ هؤلاء: تكذيب في صورة تنزيه. انه استدراج واستدرار لعواطف العوام وترويج لسلعة التعطيل وتزيين للباطل. بل تنزيه أهل الكلام معول هدم للدين.

ومن هنا نسأل الحبشي: هل تعتقد أن هذه الآية **﴿ليس كمثله شيء﴾** كافية في إزالة شبهة التشبيه أم ليست كافية بما يحتم اللجوء الى علم الكلام؟ إن قلت ليست كافية فقد زعمت أن الله ما أكمل البيان وليس كتابه شفاء للصدور، بل يُمرِض الصدور ويوهم الضلال. وإن قلت كافية قامت الحجة.

---

١) وطريقة الاستدلال بحدوث الأجسام موضع اختلاف بين الأشاعرة فالآمدي ضعف استدلالات الرازي ووافقه على كثير منها الأرموي وقدح الغزالي فيها وكتب الأثير الأبهري كتابه المعروف « تحرير الدلائل بتقرير المسائل» وبين فساد أدلة الأشاعرة في مسألة حدوث العالم وأن الأعراض لا تبقى زمانين الخ...» فالقواعد العقلية الأشعرية منقوضة من قبل الأشاعرة أنفسهم.

تحريف معاني الصفات من عمل اليهود

ويجدر التنبه الى أن المؤولة يكتمون الناس حقيقة مهمة وهي: أن أهل الكتاب كانوا يحرّفون معاني النصوص. وهو ثابت عنهم كما قال ابن عباس « ﴿يحرّفون الكلم من بعد مواضعه﴾: يزيلون، وليس أحد يُزيل لفظ كتاب من كتب الله، ولكنهم يحرّفونه: يتأولونه عن غير تأويله» وصرّح الحافظ بأن **تحريف أهل الكتاب لمعاني النصوص لا يُنكر بل موجود عندهم بكثرة** [1].

وقد قسم الدهلوي التحريف الى نوعين. الثاني: **تأويل فاسد يحمل الآية على غير معناها** بتحكم وانحراف عن الصراط المستقيم... **فكانوا يؤولون** آيات فيها بشارة هاجر واسماعيل ببعثة نبي في أولادهما... **كانوا يؤولونها** بأن ذلك إخبار بوجود هذه الملة وأنه ليس فيه أمر بالأخذ بها».

ثم أشار الى وجود من يشابههم في هذه الأمة فقال « فإن شئت أن ترى أنموذج اليهود فانظر الى علماء السوء من الذين يطلبون الدنيا... أعرضوا عن الكتاب والسنة وتمسكوا بأحاديث موضوعة وتأويلات فاسدة» وانتهى الى ما يلي « فاذا قرأتَ القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا، بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان الا وهو موجود اليوم بطريق الانموذج بحكم الحديث: لتتبعن سنن من كان قبلكم» [2].

والمؤولة أمثال الحبشي يتهربون من تبيين هذه الحقيقة حتى لا يقول الناس إن الحبشي يضاهيء أهل الكتاب في تحريف معاني النصوص التي يسميها زوراً بـ (التأويلات) جاعلاً الاستواء بمعنى الاستيلاء والغضب بمعنى العقوبة والرضى بمعنى الثواب الخ... متذرعاً بذريعة التنزيه. ثم يرتكبون جريمة أخرى حيث يزعمون أن السلف كانوا يؤولون هذا التأويل الذي أثبت ابن عباس أنه أصل عمل اليهود.

فهم قد جنوا على النصوص من وجهين: بنفي ظاهرها الذي دلت عليه وبإثبات معنى آخر لا تدل عليه.

---

١) فتح الباري ١٣/ ٥٢٤.

٢) الفوز الكبير في أصول التفسير ٢٧-٢٨-٣١-٣٩.

التنزيه زخرف التعطيل وزينته

وبالطبع لا بد للشر من تزيين، وزينة التحريف دعوى التنزيه. قال تعالى ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ وقال ﴿أفمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً﴾. ويخدعون العامة بذرائع التنزيه فيقولون: تعالى الله عن الأبعاض والحدود والجهات: فيتوهم السامع المغرور أنهم ينزهون الله عما لا يليق به، ولا يعلم أن تحت هذه الألفاظ المزخرفة إلحادا وتكذيبا لله ورسله وتعطيلا لما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ حيث قال « جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءا واحدا» [1]. وأنه « جزّأ القرآن ثلاثة أجزاء»[2].

فتبين ان مرادهم بالتنزيه عن الأبعاض: أن الله ليس له وجه ولا يدان ولا أصابع ومرادهم بالتنزيه عن الحدود تكذيب الله فيما وصف به نفسه أنه في السماء، ومرادهم بتنزيهه عن اللهوات والشفتين واللسان أنه لا يتكلم حقيقة وانما يصوغ جبريل معاني كلام الله النفسي بعبارات من عنده. فالقرآن عند هؤلاء جبريلي!

التأويل تحريف والتحريف تعطيل

- التأويل: تحريف، والتحريف: إمالة الشيء عن حقيقته. وتحريف الكلام:أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين. قال الألوسي [3] في قوله تعالى ﴿يحرّفون الكلم عن مواضعه﴾[النساء٤٦] أي يسمعون التوراة ويؤولونها تأويلا فاسداً حسب أغراضهم. « والى ذلك ذهب ابن عباس والجمهور على أن تحريفها تبديل كلامٍ من تلقائهم».

---

١) رواه البخاري (٦٠٠٠) ومسلم رقم (٢٧٥٢).

٢) رواه مسلم رقم (٨١١).

٣) تفسير الألوسي ٢٩٨/١.

التأويل ليس طريق السلف

وزعم الحبشي أن السلف خاضوا في التأويل [١].

ويدحضه قول الجويني « وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل... والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقلا اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع» [٢]. فتأمل كيف اعتبر التأويل ابتداعاً.

وقول الحافظ ابن حجر « إن السلف لم يخوضوا في صفات الله لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تُعلَم كيفيته بالعقل، لكون العقول لها حد تقف عنده».

وقال « طريق السلف أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله» [٣]. وقول النووي أن مذهب السلف عدم تأويلها. وأن مذهب الخلف تأويلها على ما يليق بالله[٤].

ونرد عليه من خلال أتباعه، فقد اعترف الأحباش بأن السلف قالوا: الله أعلم بالمراد فيها، أما الخلف فحددوا لها معاني» [٥].

ونقل المرتضى الزبيدي عن القشيري اعترافه أن من السلف « الشافعي ومالك وأحمد والمحاسبي والقلانسي اختاروا عدم التأويل للمتشابهات» وأن أحمد سد باب التأويل على الاطلاق [٦] كما نقل عن والد الجويني أن طريقة كثير من السلف كابن عباس وعامة الصحابة الإعراض عن الخوض في التأويل [٧].

فالجويني رجع عن التأويل وصرح بأنه خلاف طريق السلف. قال الحافظ في (الفتح ٤٠٧/١٣) « وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية: الذي صرح بأن أئمة السلف ذهبوا الى الانكفاف عن التأويل». و « مذهب السلف إجراء الصفات على ظاهرها دون تأويل» (النظامية ٢١-٢٤).

وهنا نسأل الخلف: **هل أذن لكم السلف بالتأويل؟** أم أن الخلف شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله؟ هل قالوا لكم: لكم أن تختاروا إما

---

١) إظهار العقيدة السنية ١٢٨.
٢) الرسالة النظامية ٢٣.
٣) فتح الباري ١٣:٣٥٠ و٥٩٦/٨.
٤) شرح مسلم للنووي ٣٦/٦.
٥) مجلة منار الهدى ٥٢/٢٥.
٦) اتحاف السادة المتقين ١٢/٢و٧٩.
٧) اتحاف السادة المتقين ٢/ ١١٠ غير أنه اتهم السلف بالتفويض ورد عليه القشيري كما في نفس الصفحة.

طريقتنا في التفويض أو طريقتكم في التأويل!

بل إن جمهور الأشاعرة والماتريدية متفقون على أن طريق السلف التفويض وطريق الخلف التأويل، ولولا ذلك ما وجدنا صاحب جوهرة التوحيد يفرّق بين طريقة السلف وبين طريقة الخلف فيقول:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شرٍ في ابتداع من خلف

فلم يكن التأويل بهذا المعنى طريقة السلف كما حكى الشهرستاني عن أحمد والسلف المتقدمين أنهم قالوا «لا نتعرض للتأويل» [1]. بل كان التأويل عند السلف هو التفسير وليس التحريف الذي هو حقيقة تأويل الخلف. ولم يكن التفسير بالرأي والاحتمال طريقة السلف كما هو حال الخلف. فان الخلف يشهدون على أنفسهم أن تحريفاتهم محتملة مظنونة. بل هي طريق الجهمية. فقد قال ابن خزيمة « وزعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله تعالى ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ أي النعمتان، وهذا تبديل لا تأويل»[2].

والقائل بأن السلف أولوا:

❊ إما أن يقول: علم السلف تأويلاتنا فنطالبه بالدليل على ذلك. فان عجز - وسيعجز - نسأله إن علموه كيف كتموه ولم يبلّغوه وأنت تميزت عليهم بالتبليغ؟ واذا لم يبلغوه من أين توصلت أنت الى العلم به؟

وإن قال: لم يعلموه. سألناه: إذا لم يعلموه: كيف علمته أنت؟

❊ إن كنتم اخترتم التأويل اقتداء بالسلف فهل قولكم (استوى: أي استولى) اقتداء بقول الصحابة.

وقد قال الطحاوي « وكل ما جاء من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال وعلى معنى ما أراد: **لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا** ولا متوهمين بأهوائنا، وأن التأويل المعتبر **ترك التأويل ولزوم التسليم فإنه ما سلِم في دينه إلا من سلَّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ. ولا تثبُت قدمَ الاسلام** إلا على ظهر التسليم والاستسلام. فمن رام علْم ما حُظرَ عنه علمُه، ولم يقنع فهمُه بالتسليم: حجبه مُرامُه عن خالص التوحيد فَيتذبذب بَين الايمان والكفر [3].

---

١) الملل والنّحَل ١:١٣٧-١٣٨.

٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/١٩٧.

٣) (أنظر متن العقيدة الطحاوية في كتاب إظهار العقيدة ٢٥٢.

٤٢٦

بدعة التأويل الاجمالي والتأويل التفصيلي

وقد أتى الحبشي ببدعة جديدة فقسّم التأويل الى تأويل إجمالي وتأويل تفصيلي.

* فوصف قول السلف « استوى بلا كيف» بأنه تأويل إجمالي، مع أن أهل العلم كالحافظ وغيره سمّوه إثباتاً. ووصف قول الخلف « استوى بمعنى استولى» بأنه تأويل تفصيلي[١].

وهذا التأويل الاجمالي الذي يدعيه لا يسلّم المفوضة الأشاعرة له فيه، بل ينكرونه عليه فإنهم يزعمون أن السلف فوضوا الصفات.

ثم زعم أن ابن تيمية افترى على السلف بإنكار نسبة التأويل اليهم ثم إثبات التأويل عنهم تارة أخرى[٢].

وقد مسخ الحبشي عبارة الطحاوي (**ولا متأولين بآرائنا**) فقال «مراد الطحاوي بذلك التأويل الذي يكون بلا دليل عقلي **قطعي** [٣] ولا دليل سمعي ثابت كتأويل المعتزلة، ولا يعني ردّ تأويل أهل السنة التفصيلي كتأويلهم الاستواء بالقهر... فلا يصح حمل عبارة الطحاوي على أنه ينفي التأويل [٤] وسترى أن كثيراً من تأويلات الحبشي مقتبسة من المعتزلة.

تعقيب: يحتج الحبشي بقول الطحاوي «من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» لتبرير تأويلاتهم، وذلك باطل بدليل:

١) أن الطحاوي حين قال ذلك لم يكن يقصد التأويل، فأنت ترى نصوص كلامه التي مضت للتوّ تفيد تحريم التأويل ووجوب التسليم.

٢) أن تأويلات الحبشي تصف الله بمعاني البشر كقولهم (استوى: استولى) والاستيلاء قوة طارئة بعد عجز وضعف سابقيْن، لا تليق بالخالق إذ لا منازع للخالق في عرشه حتّى يستولي عليه منه وهو قول مرذول اعترف ابن فورك بأنه «قول مخالفينا» [٥]أي المعتزلة.

٣) أنه لا يوجد عند الطحاوي شيء من هذه التأويلات التي عند الحبشي والأشاعرة.

---

١) إظهار العقيدة السنية ٢٣٣.

٢) إظهار العقيدة السنية ٢٣٤.

٣) نذكر هنا بأن الحبشي قد اعترف بأن تأويلاته ليست على سبيل القطع بأن تكون مرادة لله ولكن على وجه الاحتمال (الدليل القويم ٤٧) وانظر رسائل في بيان عقائد أهل السنة ٣٥.

٤) إظهار العقيدة السنية ١٢١-١٢٢ و١٢٤.

٥) مجرد مقالات أبي الحسن الاشعري ص ٣٢٥.

ومن القواعد في نقد التأويل

* **القاعدة الرابعة:** أن أبواب معرفة الله بأسمائه وصفاته مسدودة على الخلق الا من خلال ما وصف الله به نفسه ورسوله ﷺ. وهذا متفق عليه بين جميع المسلمين ولا يستطيع المؤولة معارضته.

* **القاعدة الخامسة:** أن الله أراد من هذه الصفات الثناء على نفسه كما في الحديث « وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك: أنت كما أثنيت على نفسك» فوصف نفسه بصفات الكمال. غير أن المؤولة يزعمون أن إثباتها على ظاهرها نقص على الله يحتاج الى تنزيهاتهم بالتأويل الباطني[1]. والسلف لا يرضون أن يقال إن ظاهر القرآن والحديث كفر وضلالة وإيهام للتشبيه. ويخالف المؤولة سلفهم ويظنون أن في تأويلاتهم ثناء على الله بينما هي النقص بعينه كتأويلهم الاستواء بالاستيلاء.

* **القاعدة السادسة:** أننا أُمرنا أن نتبع أحسن ما أنزِل الينا من ربنا وهؤلاء يقولون إن الحق خلاَف ما أنزل، وعليكم اتباعَ أحسن ما توصلت اليه عقولنا.

القاعدة السابعة: أن الأشاعرة يستدلون بأئمة رجعوا عند الموت عن التأويل وحذروا منه كالجويني والغزالي والرازي، وهذه قلة أمانة وتدليس، فانه لا يحق لمن علم رجوع هؤلاء عن التأويل أن يأخذ من أقوالهم التي رجعوا عنها حجة.

* **القاعدة الثامنة:** أن الذين ينكرون علينا إثبات الصفات مع التنزيه ليسوا منكرين علينا في الحقيقة، وإنما هم منكرون ومستدركون على الله ورسوله، لأن ما نثبته من الصفات ليس من عندنا وإنما هو وحي الله، أمرنا بالايمان به، فنحن آمنا به ونفينا عنه التشبيه. وهذا إجماع سلف هذه الأمة.

ومن أجمل ما سمعته قول نعيم بن حماد « من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف

---

١) قال ابن الجوزي « سموا بالباطنية لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والحديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر» (تلبيس ابليس ١٠٢ ط: دار الفكر ١٣٦٨.

الله به نفسه ولا رسوله تشبيه» [1].

❊ **القاعدة التاسعة**: أن إعمال التأويل في العقيدة إنما هو اجتهاد لا نص عليه من الكتاب والسنة. وهم حرّموا الاستدلال بالظني وبالاجتهاد، لأن الاجتهاد في العقيدة كفرٌ عندهم كما صرح بذلك الماتريدي والجويني وكثير من أئمة علم الكلام. والتأويل في صفات الله اجتهادٌ لا يؤيده نص، وهم متفقون على أنه محتمل قد يوافق مراد الله وقد لا يوافقه. فلو حكمنا على أهل التأويل بمقتضى أحكامهم وشروطهم لحكمنا عليهم بالكفر.

❊ **القاعدة العاشرة**: أن التأويل ليس له قانون يحدد لنا ما يجوز وما لا يجوز تأويله، متى يحرُم ومتى يُباح، فقانون التأويل الذي به أحللتم تأويل الاستواء بالاستيلاء يستخدمه المعتزلة في تأويل النظر الى الله بانتظار ثوابه: هل القانون هو مجرد التحكم؟.

فالقانون عندهم تحكم، وأن يوافق الدليل الشرعي أصولَهم وعقولهم. فما وافق العقل والمذهب أثبتوه، وما خالفهما أولوه: كما زعم أبو حيان النحوي « فما صح في العقل نسْبَتُه اليه [الله] نسبناه، وما استحال أولناه بما يليق به تعالى» [2]. وهذا القول هو الأصل الذي يقول به المعتزلة.

هذا هو قانونهم.

واذا لم يكن لهذا التأويل ضابط فلا ميزان له، فكيف يكون مهيمناً على القرآن الذي أنزله الله ليكون هو الميزان، وكيف استساغ قوم الضلالة فجعلوا تأويلات ومناهج أهل الكلام وأرباب الجدل مهيمنة على كلام ربنا، فقرروا رفض ظواهر وحيه؟!

○ أما نحن فضابطنا في إثبات صفات الله سليم وغير متناقض ونتائجه صحيحة، فإننا نثبت الصفة مع مراعاة التنزيه بضابط ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ كما قال الغزالي « إن علاج وهم التشبيه أسهل من علاج

---

1) سير أعلام النبلاء ١٠/٦١٠ أصول أهل السنة للالكائي ٣/٥٣٢.
2) أنظر تفسير البحر المحيط ١/١٢١ و٢/١٢٤ ٣/٥٢٤.

التعطيل، اذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر ﴿ليس كمثله شيء﴾[1].

فهذه الطريقة القرآنية أغنتنا عن طريقتكم في التنزيه (ليس بذي أبعاض وليس له أصمخة) وأغنتنا عن تأويلاتكم المستقبحة كقولكم (استوى: استولى) (يد الله: قدرته) (ينزل ربنا: ينزل الملَك بأمر ربنا أو ينزل أمر ربنا) (يجيء: يجيء أمره) (في السماء: أي عظيم القدر جداً) فإن القرآن دواء ليس بعده داء، ودواؤكم داء بعده أدواء كمن يتداوى من الجنون بالكي.

○ ولذلك لم يكن للسلف بالتأويل حاجة، وانما كان طريقهم اثبات ما أثبته الله لنفسه. والنفوس اذا لم تنضبط بضابط معين: انفتح لها باب من العبث والهوى فتصير الشريعة عرضة للآراء والأهواء التي لا تتفق فيما بينها في الغالب، كما هو حال الباطنية من التأويلات المتعسفة التي لم تعرف حدا.

ولهذا صرح الغزالي بأن صرْف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة يعتبر من الطامات، فان الباطن لا ضابط له وانما تتعارض فيه الخواطر والعقول، ويمكن تنزيله على وجوه شتى. وهذا من البدع الشائعة العظيمة الضرر[2].

❊ **القاعدة الحادية عشرة**: أن المتكلمين متفقون على أن السلف لم يؤولوا وإنما كان التأويل طريقة الخلف. ولذلك قال اللقاني في جوهرة التوحيد:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شرٍ في ابتداع من خلف

---

1) الجام العوام عن علم الكلام ٩٦و١٠٧و١٠٨ ط الجندي.
2) احياء علوم الدين ٣٧/١.

* **القاعدة الثانية عشرة**: أن أهل التأويل معترفون بأن تأويلاتهم يُحتمل أن تكون مرادة لله، كالجويني والشهرستاني والماتريدي وغيرهم[1] واعترف الكوثري بأنه لم يقدر أحد من مؤولي الصفات أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزماً، ولهذا اختار المحققون عدم تعيين التأويل[2].

والمطالع لتأويلاتهم يلاحظ كثرة استخدامهم لفظ (**يحتمل**) ولو عدَّدنا هذه الكلمة عند كل تأويل لابن فورك [3] لوجدناها تبلغ العشرات. وهذا ما حدا بالكوثري الى الطعن به حتى صرح بأن تأويلاته من قبيل تأويلات الباطنية[4].

ولهذا قال الحافظ في الفتح «وليس من سلك طريق الخلف واثقا بأن الذي يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله» وتكرر قوله بأن « صاحب التأويل ليس جازماً بتأويله». واحتج المرتضى الزبيدي بهذه العبارة [5].

وهذا الذي اعترف به الفخر الرازي معتبراً أن التأويل ترجيح، والترجيح ظن والظن لا يُعوَّلُ عليه في المسائل الأصولية القطعية [6] وقال الشعراني «إن الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن إلا بعين اللفظ الذي أنزله، لا بما أوَّلناه بعقولنا، فقد لا يكون التأويل الذي أوَّلناه يرضاه الله تعالى» [7].

واذا كان الظن هو عمدة التأويل سقط الاستدلال به. حسب القاعدة المشهورة «ما تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال» واذا كان التأويل مجرد ظن فبماذا يجيب المؤول غدا يوم الحساب ﴿**حتى اذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما ام ماذا كنتم تعملون**﴾[النمل ٨٤] ﴿**أتقولون على الله ما لا تعلمون**﴾ [الأعراف ٢٨].

على اننا مستعدون لأن نعيد النظر في موقفنا من التأويلات بشرط أن يعدل المؤولة عن اعترافهم بأن التأويل محتمل.

---

١) التوحيد للماتريدي ٧٤ وانظر الملل والنحل للشهرستاني١/ ١٣٨.

٢) تعليق الكوثري على كتاب دفع شبه التشبيه ص ٧٤ ط: المكتبة التوفيقية.

٣) كما في كتابه مشكل الحديث وصفه الذهبي بأنه صاحب فلتة وبدعة طبقات السبكي ١٣٣/٤ محققة.

٤) تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات ٤٥٢ ط: دار الكتب العلمية.

٥) فتح الباري ٣٥٣/١٣ و٣٨٣ وانظر اتحاف السادة المتقين ١١٢/٢.

٦) التفسير الكبير للرازي ١٦٩:٧.

٧) اليواقيت والجواهر ١٠٦:١.

* **القاعدة الثالثة عشرة**: أنه لو كان تأويلها الباطن قطعياً بأنه مراد الله لما جاز الأخذ بظواهرها، لكن الزاجر لنا عن الأخذ بالظاهر ليس عنده إلا باطناً محتمل التأويل، فكيف يتحكم ويجعل الأخذ بالظاهر كفراً والأخذ بالمحتمل واجباً؟

* **القاعدة الرابعة عشرة**: أن الأصل في الألفاظ الحقيقة ولا يُعدَل عنه الا بدليل وحملها على غير ظاهرها يعتبر إخراجاً لها عن أصلها الا بدليل، وهذا متفق عليه بين الأشاعرة والماتريدية [١].

قال ابن عبد البر «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايمان بها، وحمْلها على الحقيقة لا المجاز، إلا أنهم لا يُكيِّفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة مخصوصة» [٢] وبهذه الطريقة يحصل الجمع بين إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات، وبذلك ينجو العبد من الانجرار في تيار التعطيل وبين تنزيه الله عما لا يليق به مما يليق بالمخلوقين وينجو من تيار التشبيه. وقد اعترف الحبشي أن تأويل النص من الحقيقة الى المجاز عَبَثٌ في النصوص [٣].

* **القاعدة الخامسة عشر**: أن الله جعل القرآن هدى وبيانا وشفاء، وأما هؤلاء فيلزم من كلامهم أن الله لم يبين أحسن التبيين وأن رسوله ﷺ كتم أو جهل ما يجب تأويله، وأن في ظاهر كلام الله ما يؤدي الى الضلالة، وأنه ألغاز لم يفكها ولم يحلها إلا أهل المنطق والكلام، امتازوا بذلك عن الله ورسوله والصحابة والتابعين. وكأن أهل المنطق والكلام خير من القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي ﷺ.

* **القاعدة السادسة عشرة**: ان العلم بكيفية الصفات يستلزم العلم بالذات. فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله. فإذا كانت ذاته لا تماثل ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تماثل صفات المخلوقين. فإن قيل كيف يستوي؟ قيل له: كيف هو؟ فإن قال لا

---

١) الطراز ٧٧/١ المحصول للرازي ٤٧/١/١ تيسير التحرير ٤٦/٢ وانظر شرح الأصول الخمسة ٧٣٥.
٢) التمهيد لابن عبد البر ١٤٥:٧.
٣) صريح البيان ١٤٧.

أدري قيل له: ونحن لا ندري كيفية استوائه. فإن العلم بالصفات يستلزم العلم بالذات.

ولما كان العلم بكيفية ذات الله مستحيلا الا من خلال ما أعلمنا الله به صار تأويل صفاته محرماً ووجب الاقتصار في معرفة الله حينئذ على ما وصف به نفسه ووصفه رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تمثيل، وعلى الوجه اللائق به.

❊ **القاعدة السابعة عشرة**: أن الأشاعرة يكيلون بمكيالين: يجيزون التأويل في الصفات ويحرمونه فيما سواه كعذاب القبر، مع أن القول في القبر بغير علم أقل شأناً من القول في الله بغير علم.

ولهذا لما أنكر الأشاعرة على الفلاسفة تأويلهم عذاب القبر بالعذاب النفسي مثلما يرى النائم الأحلام المزعجة، قال لهم الفلاسفة:

قولنا في عذاب القبر كقولكم في صفات الله. لا يمكن التفريق بينهما في الشأن الواحد.

فإن قلتم: إن الرسل أجمعوا على المجيء بنصوص المعاد فلا يمكن تأويلها.

قيل لكم: وقد أجمعوا على نصوص الصفات، فإن منع إجماعهم هناك من التأويل وجب أن يُمنع هـهنا.

وإن قلتم: العقل أوجب تأويل نصوص الصفات دون المعاد.

قيل: هاتوا أدلة العقول التي أولتم بها الصفات، ونحضر نحن أدلة العقول التي أولنا بها المعاد وحشر الأجساد، نوازن بينها ليتبين أيها أقوى.

فإن قلتم: إنكار المعاد تكذيب لما علم من دين الرسل بالضرورة.

قلنا: وإنكار الصفات تكذيب لما علم أنهم جاؤا به بالضرورة.

فإن كان تأويل عذاب القبر جريمة فتأويل صفات الله جريمة أكبر.

وكيف نعاقَبُ نحن على تأويلنا وتؤجرون أنتم على تأويلكم؟!

❊ **القاعدة الثامنة عشرة: أنه لا مهرب من وصف الله بصفة.**

فإن كل فرقة لا بد لها من وصف الله ببعض الصفات مهما فرَّتْ من ذلك:

- **فالفلاسفة** الذين نفوا كل صفات الله اضطروا أن يصفوه بأنه خيرٌ محض. وأنه معشوق تعشقه المخلوقات.

- **والجهمية** الذين نفوا الصفات لا مهرب لهم من وصف الله

بصفات على وجه الضرورة مثل صفة الوجود فإن أقروا بأنه موجود - والعبد موجود - أقروا على أنفسهم بأن الإشتراك في صفة الوجود لا يؤدي بالضرورة الى التشبيه بين الموجودين. وهذا ما يقوله أهل السنة وهو ما رجحه الرازي في نهاية العقول والجويني في الشامل.

- **والمعتزلة** الذين نفوا الصفات وأقروا بالأسماء، فقيل لهم: لا فرق بين ما أثبتموه وبين ما نفيتموه، فإن كان لا يوصف عندكم في الشاهد إلا ما كان جسماً فكذلك لا يسمى في الشاهد إلا ما كان جسماً. والاحتجاج بالفرار من التشبيه ذريعة مشتركة بين المعتزلة والجهمية ووسيلة الى نفي ما وصف الله به نفسه. ومن المعتزلة من لم يُثبِت من الصفات إلا ثلاث صفات.

- **والأشاعرة** يثبتون لله سبع صفات فقط: هي الإرادة والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام، ويرون أنه لا بد من اتصاف الله بالصفات، وأن إثبات هذه الصفات لا يوهِم تشبيها. فالفرق بين المعتزلة والأشاعرة كان في عدد الصفات المثبَتة. فهي عند المعتزلة ثلاث، وعند الأشاعرة سبع، ومنهم من يثبت بعض الصفات الخبرية كابن فورك والبيهقي[1].

- **والماتريدية** يثبتون لله أربعاً من الصفات بالاتفاق فيما بينهم، وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة، وعندهم خلاف في إثبات السمع والبصر، ويزيدون صفة أخرى يسمونها التكوين هي مرجع جميع صفات الأفعال المتعدية لا يعترف بها الاشاعرة، حيث لا يعدون الصفات الفعلية صفات حقيقية، وأما صفة الكلام فلهم فيها إلحاد يزيد على إلحاد الأشاعرة، وبالجملة فهم يثبتون ثلاث عشرة صفة، وعند بعضهم عشرين صفة، وعند آخرين منهم ثمانية كالبياضي والقاري [2]. وهكذا كلٌ منهم يزيد وينقص بحسب مقدار عقله، جاعلين صفات الله عرضة لأهوائهم. وقد اعترف ابن الهمام بأن ما يدعيه الأحناف المتأخرون من أن الصفات الفعلية راجعة الى التكوين وأنها زائدة على السبع ليس في كلام أبي حنيفة ولا متقدمي أصحابه وإنما حدث هذا القول في زمن

---

١) مشكل الحديث وبيانه ١٢٣ و٢٠٣ و٢٠٥ و٢٠٦.
٢) اشارات المرام ١١٤ الفقه الأكبر ١٩.

الماتريدي[1].

* **القاعدة التاسعة عشرة**: أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

بمعنى أن هذه الصفات السبع يصح إضافتها الى المخلوق أيضاً، فالإنسان حي عليم قدير متكلم مريد سميع بصير.

فما الفرق بين ما أثبتم وبين ما تأولتم؟ ما الفرق بين التي تسمونها عقلية كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وبين الصفات الخبرية التي نفيتموها كالاستواء والنزول واليد والعين، ولماذا لم توهم الصفات السبع عندكم تشبيهاً كما أوهمت صفات الاستواء والنزول واليد والوجه. الخ... وكلٌّ من النوعين مما يصح إضافته إلى الخالق والمخلوق.

○ وبهذا ألزم الجويني المتقدمين من الأشاعرة حين أثبتوا لله الصفات الخبرية كالوجه واليدين وأولوا ما عداها من الصفات كالاستواء والنزول فقال لهم « اذا كنتم أثبتم الصفات الخبرية بظواهر الآيات فيلزمكم أن تثبتوا بقية الصفات كالاستواء والنزول والجنب بظواهر النصوص» [2]. فهذا رد من داخل المذهب الأشعري. وهو رد صحيح:

ابطال دعوى التركيب

فاذا كان لا يستوي ولا ينزل الا ما كان جسماً وتركيباً فيلزمكم أن تقولوا: لا يسمع ولا يبصر الا ما كان جسماً وتركيباً. فاننا نعرف الاجسام في الشاهد بأنها ما كان مؤلفاً من الصفات والأعضاء فيلزمكم نفي الصفات أيضاً.

قال الجويني « فإن قالوا في الإستواء: شبّهتم، قلنا لهم: في السمع شبّهتم، ووصفتم ربكم بالعَرَض... فجميع ما يلزموننا به في الاستواء والنزول... من التشبيه: نلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم... فإن فهموا من هذه الصفات ذلك فيلزمهم من الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض» [3]. لأن هذه الصفات وتلك: جاءت في موضع واحد، وهو الكتاب والسنة، فاذا أثبتنا ذلك بلا تأويل ولم نثبت ذاك بل أولناه كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض.

---

1) المسايرة ٩٠.
2) الارشاد ١٥٧-١٥٨.
3) رسالة في الاستواء والفوقية ١/١٨٢ ضمن الرسائل المنيرية.

- ونفي الصفات بحجة التركيب والتجسيم من شبهات الفلاسفة واعتمدها المعتزلة قاعدة لهم في نفي ما وصف الله به نفسه، وصارت هذه الحجة الفلسفية المتقدمة حجة الأشاعرة المتأخرين. وقد حكاها الغزالي عن الفلاسفة وأبطلها في كتابه قائلا «قول القائل: كل تركيب يحتاج الى مركب كقوله: كل موجود يحتاج الى موجد، واذا أثبتم ذاتاً وصفة وحلولا للصفة بالذات فهذا تركيب» [١]، وعقد الجويني في الشامل (ص ٤١٤) فصلاً حول تبني المعتزلة لحدوث الأجسام وبين فيه عجزهم عن نصب الأدلة على استحالة كون القديم جسماً. وبين الرازي فساد هذا الدليل في المباحث الشرقية والمطالب العالية.

- وبالجملة فيقال لكم ما قد قيل للمعتزلة من قبلكم: سموا إثبات صفات الله تركيباً وحشواً وتجسيماً، ذلك قولكم بأفواهكم، فلو اصطلح على تسمية اللبن خمراً لم يحرم بسبب ذلك.

- فإما أن تثبتوا جميع الصفات على الوجه اللائق به سبحانه واما أن تؤولوا الجميع فتكونون والجهمية سواء بسواء. فان موضوع الصفات من حيث الحكم شيء واحد، فكما أن الانسان يوصف بالاستواء والنزول واليدين ولذلك نزهتم الله عنها: فكذلك يوصف بالحياة والعلم والقدرة - وهي أعراض - فلمَ لم تنزهوا الله عنها بالتأويل، وكيف جاز عندكم قيام الأعراض بالله؟ فاذا أثبتموها على وجه لا يكون تركيباً لزمكم حينئذ أن تثبتوا الاستواء والنزول والأصابع والرجل على وجه لا يكون تركيباً.

مثال ذلك: تأول الأشاعرة صفات الرضا والغضب والمحبة والبغض لله تعالى على معنى الارادة. فقالوا (يغضب) كناية عن إرادة الانتقام، ويرضى بمعنى إرادة الثواب [٢]. وكان هذا من جملة تناقضات الأشاعرة فيما بينهم: حيث زعم جمهورهم بأن كل ما يريده الله فهو يحبه، وأنه يريد الكفر ويحبه ويرضاه، وأن الارادة والرضى والمحبة بمعنى واحد[٣]. وعزا السبكي القول باتحاد الارادة والمحبة الى جمهور الأشاعرة غير

---

١) تهافت الفلاسفة ١٧٦

٢) الاسماء والصفات للبيهقي ٣٠٦/١ تحقيق حيدر تمهيد الأوائل ٤٧. مشكل الحديث وبيانه ٣٣٢-٣٤٤ وقد عارض السبكي ذلك في فتاويه (٤٨٢/٢ وانظر ٢٩٥/١٠ محققة).

٣) أنظر نظم الفرائد ٩ مجرد مقالا ت الأشعري لابن فورك ٤٥ كتاب الأصول والضوابط للنووي ص ٢٤ طبقات السكبي ٣٨٥/٣ محققة.

أنه اختار لنفسه خلاف ما اختاره عامة الأشاعرة فقرر أن الرضا غير الارادة [1].

ومما يبطل تأويل المحبة بالارادة أن يتخلف المراد عن الارادة، فإن كثيراً مما يحبه الله ويرضاه لم يقع، فالله يحب لأبي جهل أن يسلم لكنه لم يفعل فتخلف مراد الله أي محبته.

ومما يُبطله: دعاءُ النبي ﷺ «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك» ففرّق بين الغضب وبين العقوبة.

ثم ان غالب الأشاعرة جوزوا تأويل النزول والاستواء بحجة أن ذلك يوهم الأعضاء والتركيب لله تعالى، ولكنهم تناقضوا حين أثبتوا اليد وهي عضو مشعر بالجسمية موهم بزعمكم للتركيب أيضاً.

□ ونقل شارح الفقه الأكبر عن الامام الطحاوي قوله «ولا يقال إن الرضى إرادة الإكرام والغضب إرادة الانتقام فإن هذا نفيٌ للصفة...».

ثم توجه الشارح الى من تأوّل هذه الصفات قائلا «لماذا تأولتَ الغضب بإرادة الانتقام والرضى بارادة الإنعام؟ فلا بد أن يقول: لأن الغضب غليان القلب، والرضى: الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى. فيقال له: وكذلك الارادة والمشيئة فينا هي ميل الحي الى ما يلائمه ويناسبه، فالمعنى الذي صرفتَ اليه اللفظ كالمعنى الذي صرفْتَه عنه سواءً» [2].

وقال ابن تيمية «لا فرق بين ما تأولتم وبين ما أثبتُم، بل القول في أحد هذه الصفات كالقول في الآخر. لأن الارادة مما يوصف بها المخلوق أيضاً، فإما أن تجعلوا إرادته مثل إرادة خلقه وهذا تمثيل، وإما أن تقولوا له إرادة تليق به وهذا هو الصواب، فقولوا كذلك في صفات الغضب والرضا كما يليق به [3].

ولذلك فإن هؤلاء يفرقون بين المتماثلات. ولو أمعنوا النظر لما وجدوا فرقاً بين ما أثبتوه وبين ما أولوه. وهذه قاعدة في الرد على كل من يتأول صفات الله وهي لازمة له.

---

١) طبقات السبكي ١٠/٢٩٥ و٣/٣٨٥ محققة.
٢) الفقه الاكبر شرح ملا على القاري ٣٤-٣٥.
٣) الرسالة التدمرية ٢١.

* **القاعدة العشرون**: أننا لو وافقناكم على التأويل لكان أول شيء نؤوله هو كلامكم، فنقول: قولكم (استولى) مؤول بمعنى استوى، وقرينة تأويلنا تنزيه الله عن التكذيب، لأن وصف الله لنفسه أكمل وأحق من وصفكم له، فاذا أغضبكم ذلك واعتبرتموه منا عبثاً في كلامكم قلنا: قد أغضبتم الرب بعبثكم في نصوصه وتأويلها على ما يحلو لكم. نحن اذا قيل لنا أنتم مشبهة قلنا: نحن ما وصفنا الله الا بما وصف نفسه، فلفظ (استوى) مشترك، لكن الحقيقة مختلفة.

ولكن لو سألنا المؤولة؟ لماذا شبهتم الله بخلقه فنسبتم اليه الاستيلاء وهو ليس لفظاً مشتركاً بين الخالق والمخلوق، بل هو مما لا يوصف به الا المخلوق، فلا يستطيعون أن يقولوا: استولى استيلاء يليق بجلاله لأن هذا الوصف لا يليق أصلا بالله، ولو كان لائقاً به لوصف به نفسه ولما انتظركم أيها المؤولة حتى تصفوه به. فأنتم أحق بالتشبيه والتجسيم ممن ترمونهم به.

مذهب الشافعي في الصفات

لقد كان الشافعي يعتبر التأويل على طريقة أهل الكلام تعطيلا، إذ قال «إني قد اطّلعتُ من أهل الكلام على التعطيل» [1].

وكان مذهبه إثبات الصفات وليس التأويل كما قال « نثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال ﴿ليس كمثله شيء﴾» هكذا رواه عنه الحافظ في الفتح [2].

وقال « السنّة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذين رأيتهم عليها فأحلف عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الاقرار بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله ينزل الى سماء الدنيا كيف يشاء» [3]. وقال بمثل هذه الكلمة ابن المبارك حين سئل عن حديث النزول - كيف ينزل؟ أجاب: «ينزل كيف يشاء» [4].

○ وروى الحافظ ابن حجر عن الشافعي أنه قال « لله أسماءٌ وصفاتٌ جاء بها كتابُه، وأخبر بها نبيُه ﷺ أمّتَه لا يسع أحداً ردّها. فمن خالف في ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة فمعذورٌ بالجهل[5]، لأن علْمَ ذلك لا يُدرَك بالعقل، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه، كماَ نفاه عن نفسه فقال ﴿ليس كمثله شيء﴾» [6]. وهذا يبطل دعواهم «الصفات العقلية» التي تثبت بالعقل. فإن السمع هو الدليل والأصل على ما نثبته من الصفات لا العقل.

---

1) سير اعلام النبلاء ٢٨/١٠.
2) فتح الباري ٤٠٧/١٣.
3) عون المعبود ٤١/١٣ و٤٧ وساقه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة باسناده المتصل الى الشافعي/١ ٢٨٣.
4) رواه البيهقي في الاسماء والصفات ٥٦٩ نسخة حيدر ١٩٨/٢-١٩٩.
5) وهذا موقفنا في مسائل الاصول لا كما يدعي الخصم المفتري أننا متهورون في التكفير. حيث يستعجل في كيل الاتهامات وقد جهل أنها تحرقه وتسرع في كشفه.
6) فتح الباري ٤٠٧/١٣ سير أعلام النبلاء ٨٠/١٠.

الحبشي يكذب على لسان الشافعي

غير أن الحبشي كذب على لسان الشافعي بما يخالف هذا النص. فبينما قال الشافعي قولا مطلقاً ما نصه « إن علم الصفات لا يُدرك بالعقل» زعم الحبشي أن صفات الله عند الشافعي قسمان:
قسم يعرف بالعقل كالصفات الثلاث عشرة كصفات القيام بالنفس وقيام الحوادث وجاحده يكفر بالله. والقسم الثاني لا يُدرك بالعقل (١).

وقد قال أبو نصر السجزي « وأئمتنا كسفيان وماك والحمّادَيْن وابن عيينة الفضيل وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش وعلمه بكل مكان وأنه ينزل الى السماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء» (٢).

هذا موقف أهل الحديث الذين تخالفونهم: فاكذبوا ما شئتم وموهوا ما شئتم واختلقوا ما شئتم من الأعذار كالتنزيه وغيره. فإن أهل الحديث أثبتوا هذه الصفات وصححوا أحاديثها بعد متابعتها ولم يؤولوها ووضعوها في كتب وأبواب التوحيد وكفى بذلك حجة عليكم.

مذهب عبد القادر الجيلاني في الصفات

وذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله في كتابه الغنية (٣) أن الله « يقبض ويبسط ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويرضى ويغضب ويسخط وله يدان وكلتا يديه يمين وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه، وأنه بجهة العلو مستو على العرش. محتو على الملك. وأن النبي ﷺ شهد بإسلام الجارية لما قال لها: أين الله؟ فأشارت الى السماء»، وأن عرش الرحمن فوق الماء، والله تعالى على العرش ودونه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وأن للعرش حداً يعلمه الله (٤).
وأنه ينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة

---

١) صريح البيان ١٠١-١٠٢ ط: مجلدة.
٢) سير أعلام النبلاء ١٧/٦٥٦.
٣) أثبت المرتضى الزبيدي نسبته اليه (أنظر اتحاف السادة المتقين ٢/٢٤٢و٢٤٩).
٤) الغنية لطالبي الحق ٥٤-٥٥و٥٦.

والكرّامية، ولا على معنى العلو [أي علو المنزلة] والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء كما قالت المعتزلة [١].

وأنه تعالى ينزل في كل ليلة الى السماء الدنيا كيف شاء لا بمعنى نزول الرحمة وثوابه على ما ادعت المعتزلة والأشعرية» [٢]. وإنما أخذ الجهمية التأويل عن الفلاسفة والباطنية، وتلقاه المعتزلة عن الجهمية.

وصدق رحمه الله فقد شهد بذلك ابن عساكر وغيره قال « وقد أخذ الجعد بن درهم [٣] بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيانٌ عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته، وأخذها طالوت عن لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر النبي ﷺ وأخذها لبيد عن يهودي بالمدينة[٤].

هذا هو سند المذهب الأشعري، إنه يصل الى الجهم عن طريق الجعد وواصل بن عطاء، وليس يصل الى أبي موسى الأشعري

وقال الشهرستاني « كان واصل بن عطاء يَشرَع في نفي الصفات على قول ظاهر، وإنما شَرَعَتْ أصحابُه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة»[٥].

---

١) صار هذا القول قول عامة الأشعرية اليوم.

٢) الغنية لطالبي الحق ٥٦-٥٧.

٣) وهو من رؤوس الجهمية قال له وهب بن منبه « إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يداً وأن له عيناً ما قلنا ذلك. (سير أعلام النبلاء ٤٣٣/٥.

٤) البداية والنهاية لابن كثير ٣٥٠/٩.

٥) الملل والنحل ٤٦/١ وانظر ٣٠/١.

مذهب ابي الحسن الأشعري في الصفات

وكان أبو الحسن الأشعري رحمه الله من المعتزلة، غير أنه رجع عن ذلك الى إثبات جميع ما وصف الله به نفسه، وأعلن أن « مذهب أهل السنة والجماعة عدم التأويل، وأنهم يثبتون لله اليدين والعينين» [١] والوجه والاستواء ولا يتأولون ذلك» [٢].

- وقد سرد الذهبي عقيدة الأشعري الموافقة لأهل السنة وخروجه عن التأويل الذي كان عليه المعتزلة [٣].

- غير أن المنتسبين اليه من بعده يتجاهلون ما انتهى إليه حال الأشعري رحمه الله من إثبات ما أثبته الله ورسوله. ويجهلون حقيقة عقيدة المعتزلة في كثير من كتبهم ومن هنا خفي على الأشاعرة المتأخرين التأويلات المتقدمة للمعتزلة فتبنّوا تأويلاتهم ودافعوا عنها معتقدين أنها تأويلات أهل السنة بينما هي عين تأويلات المعتزلة.

وظن آخرون منهم أن المعتزلة لم يكونوا يؤولون الصفات وإنما كانوا ينفونها ويكذبونها. وهذا غير صحيح وإنما كانوا يقولون ما يقوله كثيرون اليوم: نؤمن بهذه الصفات لكننا نعتقد أن ظاهرها غير مراد [٤].

بل نص أحمد على أن جهم بن صفوان كان « يتأول القرآن على غير تأويله»[٥]. فأثبت له تأويل الصفات لا جحودها.

وذكر المرتضى الزبيدي أن المعتزلة « تصرفوا في الألفاظ بمقتضى عقولهم فأولوا وبدلوا» [٦].

---

١) وقوله: والعينين يؤكد أنه لا يتأول هذه الصفة لأن الذي يتأولها لا يثنّيها وإنما يجعلها كناية عن الرؤية.

٢) مقالات الاسلاميين ٢٩١ وهذا الكتاب أثبته الحافظ ابن عساكر من جملة كتب الأشعري (التبيين ١٣١).

٣) سير أعلام النبلاء ١٨:٢٨٤.

٤) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص ١٩.

٥) الرد على الزنادقة والجهمية ٦٦ وقد أقر الحافظ ابن حجر بنسبة الكتاب الى الامام أحمد (أنظر الفتح ١٣/٤٩٣).

٦) اتحاف السادة المتقين ٢/٨٧.

ولو أن المعتزلة نفوا الصفات وردوها نصاً لما اختلف في كفرهم[1] أحد وانما كانوا يؤولون الصفات على النحو الذي نرى الأشاعرة أخذوه عنهم. فيؤولون اليد بالقدرة والاستواء بالاستيلاء والمجيء بمجيء الأمر والنزول بنزول الملك.

ولذلك نقل أبو الحسن الأشعري لنا تأويلاتهم كقولهم « نزول الله معناه نزول آياته أو نزول الملك بأمره [2]. وهذا تأويل يصرّ الحبشي على أنه مذهب أهل السنة.

وفي هذا دليل على أن المعتزلة كانوا يعتمدون التأويل فانه لما ترك أبو الحسن الأشعري الاعتزال ترك معه التأويل. واعتبر تأويل المعتزلة إنكاراً لصفات الله. فأعرض عن طريقتهم وأعلن في كتاب الابانة أنه على ما كان عليه الامام أحمد بن حنبل، هذا الكتاب الذي لا يزال يتجاهله من ينتسبون للأشعري الى اليوم. ويتجاهلون الحال التي انتهى اليها من مخالفة أهل الكلام والتأويل، وموافقة الامام أحمد في السنة واثبات الصفات.

---

١) ويشدد الحبشي على تكفير المعتزلة، ولكن الأمر مختلف فيه، وقد حكى العلامة الحنفي الشيخ ملا علي قاري في شرح الفقه الأكـ (ص ١٣٩) أن الصحيح من الأقوال عدم تكفير المعتزلة.

٢) مقالات الاسلاميين ٢٩١ تبيين كذب المفتري ١٥٠.

مراحل الاشعري الفكرية

وقد نقل المرتضى الزبيدي عن ابن كثير بيان مراحل أبي الحسن الفكرية وهي على ثلاث مراحل:

- الأولى حال الاعتزال التي رجع عنها.
- **الثانية:** إثبات الصفات العقلية السبعة: الحياة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق. وهذه الطريقة اتبع فيها عبدَ الله بن سعيد بن كلاب [١].
- **الثالثة:** إثبات الصفات جميعها من غير تكييف ولا تشبيه، جرياً على منهاج السلف، وهذا ما يظهر في كتابه الإبانة [٢].

غير أن أمر الأشاعرة قد استقر من بعده على المرحلة الثانية فقط.

اعتراف السبكي برجوع الاشعري الى مذهب احمد

وقد أكد السبكي هذا الأمر وهو أن الشيخ الأشعري رجع الى مذهب السلف وأن عقيدته هي عقيدة أحمد بلا شك ولا ارتياب، وأن الأشعري صرح هو نفسه بذلك مراراً في تصانيفه « أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المُبَجَّل، أحمد بن حنبل» قال السبكي: هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه [٣].

---

١) الخطط للمقريزي ٣:٣٠٨.

٢) إتحاف السادة المتقين٢:٤.

٣) طبقات الشافعية ٣/٩٩ أو٤/٢٣٦ محققة.

حول كتاب الابانة للاشعري

وقد حاول البعض التشكيك في المرحلة الثالثة وأنكروا نسبة كتاب الإبانة اليه، ولكن الدراسات الجادة التي قام بها العديد من الباحثين أكدت تمثيل هذا الكتاب للمرحلة الثالثة للأشعري، مستبعدين أن يكون كتاب اللمع واستحسان الخوض في علم الكلام آخر كتبه[1].

وعمد الأحباش الى التشكيك في صحة نسخة الإبانة التي بأيدينا، وزعموا أن النسخ التي يعتمد عليها خصومهم « مدسوسة ولا يستطيعون أن يظهروا نسخة موثوقاً بها»[2].

وهل يملك الأحباش مخطوطة صحيحة سليمة من التحريف؟

لو كانوا يملكون ذلك لأظهروه ولكنه ادعاء وتحكم.

ونحن نحتج عليهم بالفقرات التي نقل الحافظ ابن عساكر من كتاب الابانة واستحسنه الكوثري وأقره في تحقيقه لرسالة التبيين للحافظ ابن عساكر.

توثيق الحافظ ابن عساكر والبيهقي كتاب الابانة

- وخالفهم أعلم الناس بمذهب الأشعري وهو الحافظ ابن عساكر والحافظ البيهقي اللذان اثبتا [3] صحة نسبته اليه. فقد أكد ابن عساكر أن الأشاعرة القدامى لا يزالون يعتقدون ما في كتاب الابانة أشد الاعتقاد [4].

قلت: إلا عند الأشاعرة المتأخرين.

قال الحافظ ابن عساكر « وأنشدني بعض أصحابنا [في الثناء على الابانة]:

لو لم يصنّف عمره   غيـر الابــانـة واللمــع
لكفى، فكـيف وقد   تفنّن في العلوم بما جمع

---

١) مذاهب الاسلاميين للبدوي ١:٥١٨ ومقدمة الابانة لفوقية محمود ٢٧.

٢) قالوا ذلك في مقدمتهم على منتخب حدائق الفصول وجواهر الأصول ط: دار المشاريع ص ١٠.

٣) الاعتقاد ٩٦و١٠٩.

٤) تبيين كذب المفتري ص ٣٨٨ وهذا الكتاب قال فيه المرتضى الزبيدي « ومن أراد معرفة قدر الأشعري وأن يمتلىء قلبه من حبه فعليه بكتاب تبيين كذب المفتري وهو من أجل الكتب وأعظمها فائدة» (اتحاف السادة المتقين ٢/٤) طبقات السبكي ٣/٣٥١ محققة.

وحكى ابن عساكر عن أبي عثمان الصابوني النيسابوري قال: ما كان يخرج الا وبيده كتاب الابانة لأبي الحسن الأشعري ويظهر الاعجاب به[1]. وانما يحكي ابن عساكر والصابوني ما انتهى اليه الأشعري من الاعتقاد على وجه التمدح والثناء على عقيدته.

- كذلك احتج ابن عذبة من الحنفية بالكتاب [2].
- وأثبته المرتضى الزبيدي في كتابه إتحاف السادة المتقين (٢/ ٤).
- وكذلك أثبت الذهبي نسبة كتاب الابانة للأشعري قائلا « وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن، شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه، ونسخه الامام محيي الدين النووي بخطه» [3].

ولعل هذا ما اضطر الكوثري للاعتراف بصحة نسبته اليه غير أنه زعم في تعليقاته على تبيين كذب المفتري أن أبا الحسن كان يساير به الحنابلة ويستدرجهم[4].

---

١) تبيين كذب المفتري ص ٣٨٩.

٢) الروضة البهية ٥٣.

٣) مختصر العلو للذهبي ٢٣٩.

٤) تعليقاته على تبيين كذب المفتري ٣٩٢ وهو جهمي متأخر طعان في السلف والخلف ولعل من المفيد أن تنظر كتاب بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري) لأحمد الغماري وهو عدو له ولكنه كوثري على نمط الكوثري. تحدث الغماري عن الكوثري في (بدع التفاسير ١٨٠-١٨١) فوصفه بأنه متعصب شديد للحنفية حتى قال عنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض (مجنون أبي حنيفة) وكان الكوثري يطعن في أئمة الحديث فاتهم الحافظَ ابن حجر بأنه كان يتبع النساء في الطريق ويتغزل بهن وأنه رمى أنس بن مالك بالخرَف لأنه روى حديثاً يخالف مذهب أبي حنيفة وأنه حاول تصحيح حديث موضوع لمجرد أن فيه البشارة بأبي حنيفة». وكشف حسام الدين القدسي ظلماته في مقدمته لكتاب الانتقاء وكذلك رد عليه محمد العربي التبان في رسالة بعنوان (تنبيه الباحث السري).

وكان الكوثري طعاناً في أئمة السنة وحملة رايتها. فقد كفّر الدارمي وعبد الله بن الامام أحمد (مقالاته ٣٢٤و٣٣٢) وحكم على كتاب التوحيد لابن خزيمة بأنه «كتاب الشرك» (تأنيب الكوثري ٢٩ مقالات الكوثري ٣٣٠ تبديد الظلام ١٠٨). وكذلك طعن في حماد بن سلمة ووصفه بأنه مشبّه وأداة صماء في أيدي المشبهة» (تأنيب الكوثري) مع أن أئمة السنة مدحوا حماد بن سلمة، قال ابن المبارك « ما

ولا نتوقع هذه التقية من الأشعري وهو الذي وقف وقفته الشجاعة في صحن المسجد وأعلن رجوعه عن الاعتزال ولا يزال التاريخ يسجل له هذا الموقف، وهذا الاعتذار الكوثري ليس سوى طعنة في صدر الأشعري.

وقد احتج منكرو كتاب الابانة بأن أبا بكر بن فورك ذكر مصنفات الأشعري ولم يذكر منها الابانة، لكن ابن عساكر استدرك على ابن فورك مصنفات أخرى للأشعري فاتته ولم يذكرها مثل رسالة الأشعري الى أهل الثغر ورسالة الحث على البحث[1] فلِمَاذا لا تكون رسالة الإبانة من بينها؟. والمثبِت مقدّم على النافي.

على أن إغفال ابن فورك كتاب الإبانة لا يؤثر كثيراً فقد دوَّن الأشعري في (مقالات الإسلاميين) التزامه بمذهب السلف وأعلن إثبات الصفات كلها كالوجه واليدين والاستواء والنزول على الوجه اللائق بالله.

رأيت أشبه بمسالك الأوَل من حماد بن سلمة» (تهذيب الكمال ٢٦٢/٧ تهذيب التهذيب ١٢/٣) وقال ابن معين وأحمد «اذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وحماد بن سلمة فاتهمه على الاسلام» (تهذيب الكمال ٢٦٣/٧ تهذيب التهذيب ١٥/٣ تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١) وقد وصف الكوثريُ الامامَ الشوكاني بأنه « يهودي مندس بين المسلمين لافساد دينهم» (مقالات الكوثري ٣٣٧-٣٣٨) بالرغم من وصفه لنفسه بأنه « ليس ممن يجري على لسانه النبز باليهودية في الخطاب لا للأضداد ولا للأحباب» (الترحيب ٢٩٦) بينما يدافع عن أئمة الزندقة كجهم بن صفوان متهماً الآخرين بالتعصب ضدهم (مقدمة الكوثري لتبيين كذب المفتري ١٢) وموقف أبي حنيفة مناقض تماماً لموقف الكوثري من جهم فقد قال « جهم بن صفوان كافر» (تاريخ بغداد ٣٨٢/١٣). زد على ذلك أنه محرف، فقد حرف الأثر المروي عن مالك « الكيف مجهول والكيف غير معقول» أثناء تعليقاته على الأسماء والصفات للبيهقي (٥١٦) وبمقارنتها مع طبعة المحقق حيدر (١٥١/٢ تجد التضارب).

١) تبيين كذب المفتري ١٣٦.

نقد القاعدة الكلية للرازي

ذهب الرازي الى تقديم الدليل العقلي على الأدلة الشرعية وحجته أن العقل أصلٌ في إثبات الشرع فاذا خالف الدليلُ الشرعيُ الدليلَ العقليَ وجب تقديم الدليل العقلي عليه ووجب تأويل الدليل الشرعي بما يوافق الدليل العقلي [1]، وذهب الغزالي الى أن العقل حاكم لا يُكذَّب قط، وأن من كذّب العقلَ فقد كذّب الشرع. ولولا صدق العقل لما عُرِف النبيُ من المتنبي [2].

أصابتهم عدوى المعتزلة

○ وقد زعموا أن الأشاعرة قرروا مذهب أهل السنة بالأدلة العقلية: كذلكم قالت المعتزلة من قبل.

وهو عودة بالناس الى مذهب المعتزلة بعدما أبعدهم الأشعري عنه. فقد صرح القاضي عبد الجبار (رأس المعتزلة) أن «الأدلة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله لا تُنال الا بحجة العقل» [3].

وذكر المرتضى الزبيدي أن المعتزلة «تصرفوا في الألفاظ بمقتضى عقولهم فأولوا وبدلوا» [4]. وكفى بذلك دليلا على تسرب المرض الاعتزالي الى المذهب الأشعري.

فالمعتزلة أنكروا عذاب القبر [5] وبرهنوا لذلك بحجة عقلية جعلتهم يؤولون نصوص الكتاب والسنة فقالوا إننا نشق عن الميت بعد دفنه فلا نرى أثراً لأي تعذيب. وقد حكمت عقولنا بما رأت عيوننا. وبمقتضى تقديم الرازي للعقل يصيرون معذورين فيما تأولوه. وهذا يؤكد أن قانون الرازي يمثل منعطفاً اعتزالياً آخر.

فبأي ميزان حكم الرازي على أن الدليل العقلي (غير المعصوم) مقدم على الدليل الشرعي (المعصوم)؟ وكيف حكمت عقولكم بوقوع

---

1) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ٧١ و١٥٠ أساس التقديس ١٧٢ معالم أصول الدين ٩.
2) قانون التأويل ٩.
3) شرح الأصول الخمسة ص ٨٨ ط: مكتبة وهبة - مصر ١٩٦٥.
4) اتحاف السادة المتقين ٢/٨٧.
5) مقالات الاسلاميين ٤٧٣ فضل الاعتزال ٢٠٢.

العذاب للميت مع انعدام أثر التعذيب لمن عاين القبر؟ يلزمكم أن تقولوا بالعذاب النفساني لوقوع التعارض بين العقل والنقل بمقتضى قاعدة الرازي التي قرر فيها أنه اذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل!

فما أفسد ميزان من جعل المعصوم ظنياً مؤخراً، وغير المعصوم قطعياً مقدماً عليه. هذه دعوة الى التخلي عن الكتاب والسنة بعد أن ضمن النبي ﷺ العصمة لمن تمسك بهما قائلا «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي» ولم يضمن العصمة لمن تمسك بعقله، فإن كثيرا من الضالين عباقرة.

هؤلاء يزعمون أن العصمة حاصلة بما أوتوا من عقل.

هل وقف السلف موقفاً موافقاً لهذه القاعدة أم أن الشرع كان عندهم دائماً مقدم على عقولهم. إسمع وتدبر:

نموذج من استخدام الصحابة للعقل

فإنه لما أنكر أعرابي أن يكون ابتاع النبي ﷺ منه فرساً وطلب شهوداً على ذلك فقدم خزيمة الأنصاري وقال: أنا أشهد أنك بايعته يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ بِمَ تشهد؟ قال بتصديقك يا رسول الله. فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين» [1].

فهذه الحادثة تبين موقف العقل السليم من كلام الله ورسوله وأنه شاهد لهما بالصدق والكمال لا حاكما عليهما. وليس من التسليم للسمع ولا تعظيمه: تقديم العقل عليه والا كان ذلك قدحا في العقل نفسه، حيث شهد بأن نصوص الشرع من عند الله وأن ما يأتي من عند الله لا يحصل فيه تناقض **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾**.

فلا اعتبار لعقل لا يشهد بصدق النقل، فالعقل ليس معصوماً والنقل معصوم والله تكفل بحفظ وحيه ولم يتكفل بحفظ عقول البشر من الزلل والخطأ.

فصفات الله صفات كمال، والعقل دل على اتصاف الله بصفات الكمال ودل أيضاً على أن كل كمال اتصف به المخلوق وأمكن اتصاف الله به فالله أحق بهذا الكمال من المخلوق. والطعن بالأدلة النقلية طعن بالعقل الذي شهد بكمالها وعصمتها عن الزلل والخطأ لأنها من عند خالق العقل.

---

١) رواه أحمد ٢١٦/٥ وأبو داود (٣٦٠٧).

ومن وصية الله لعباده ﴿فإن تنازعتم في شيء فردُّوه الى الله والرسول﴾ [النساء٥٩] ولم يقل فرُدُّوه الى عقولكم. فإن هذه العقول تتفاوت، فمرة تثبت سبع صفات ثم تكتشف عقول المتأخرين ست صفات إضافية فيصير المجموع ١٣ ويكتشف آخرون سبعة أخرى فيصير المجموع ٢٠ صفة ومن هذه العقول من يثبت صفة من الصفات فيأتي عقلٌ آخر ويجعل إثباتها كفراً. وقد تقدم تصريح العز بن عبد السلام بأن الأشاعرة مختلفون في كثير من صفات الله تعالى(١).

وهكذا فالعقول تتخبط ولا تستقر على شيء، بينما أدلة الشرع ثابتة متناسقة لا تتغير. والدليل على ذلك أن ننظر الى عبقرية رجل كابن سينا، لم تستفد أوروبا من كتاب استفادتها من كتابه (القانون في الطب) غير أن علومه الدينية متخبطة ولم يزدد بعقله الا زندقة وبُعداً عن الهدى.

تقليد أعمى لا عقلانية

إن القوم مقلدة في الحقيقة وليس عقلانيين.

فأي عقل دل الأشاعرة على صحة اعتقاد رؤية بلا محل؟

بل يلزم عقلا نفي رؤية الله عز وجل لأن الرؤية تكون في محل ومقابلة، وأما رؤية من ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل ولا خارج محال عقلا ومردود شرعاً.

إن أي عقل يقبل رؤية العدم؟

فإما أن تنفوا أن الله في العلو فيلزمكم معه نفي رؤيته.

وإما أن تثبتوا علوه تعالى كضرورة من أجل إثبات رؤيته.

وإلا فنقول لكم ما قاله لكم المعتزلة « من سلّم أن الله ليس في جهة وادّعى مع ذلك أنه يُرىٰ فقد أضحك الناسَ على عقله» (٢).

---

١) قواعد الأحكام ١٧٢ الإعلام بقواطع الاسلام ٢٤ ط: دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٧ والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ٣٥٠/٢.

٢) شرح الأصول الخمسة ٢٤٩-٢٥٣ المغني لعبد الجبار ١٣٩/٤.

اساءة استخدام العقل

ويقف الاشاعرة من العقل موقفاً متناقضاً:

- ففي مسألة رؤية الله تعالى يساوون بين العقل والنقل.

- وفي التحسين والتقبيح العقليين يقدمون النقل على العقل «خلافاً للمعتزلة» ويقولون بأنه يجب أن تكون التكاليف ومسألة البعث والجزاء شرعية لا عقلية.

- أما مسائل الصفات فإنهم جعلوها عقلية بالدرجة الأولى. وهذا اضطراب منهجي وتناقض صارخ. فإن من يتورع عن تقديم العقل في مسائل الحلال والحرام والبعث والنشور يجب أن يكون أكثر ورعاً في مسائل الصفات الالهية.

عقلانية الماتريدية اعتزالية النزعة

وقد صار العقل عند الماتريدية مصدراً من مصادر معرفة العقيدة وسرت هذه العقلانية المفرطة بينهم حتى حكى الشيخ زادة عن عامة مشايخ الحنفية الماتريدية قولهم أن الله لو لم يرسل الرسل لكفى حجة الله عليهم بعقولهم [(١)] وخالفوا بذلك صريح قوله تعالى ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾[الاسراء١٥] وهذه نزعة اعتزالية.

وهم في ذلك عالة على شيخهم الماتريدي الذي جعل العقل مناط معرفة الدين أصلا وفرعاً كقوله:

والعقل سبيل معرفة حجة الرسل... والعقل سبيل ادراك معنى أوامر الله... والعقل انما هو لادراك العواقب [(٢)].

والعقل سبيل شكر المنعم [(٣)].

ومع هذا كله فقد **اعترف الماتريدي بقصور العقل وأنه «مخلوق له حد كغيره من وسائل الادراك: يعترضه ما يعترض غيره من الآفات مع غموض الأشياء واستغلاقها** [(٤)]. وهذا متعارض مع جعل

---

١) نظم الفرائد ٣٥.

٢) تأويلات أهل السنة ١ / ٤٩٩ و٥٤٤.

٣) تأويلات أهل السنة ١/ ٤٤٤ و٤٩٩ و٥٤٤ و١٨٣/٣ التوحيد ١٨٥ كلاهما للماتريدي تبصرة الأدلة ل ١٠١ بحر الكلام ٥،٦،١٤ وانظر كتاب نثر اللآلىء ٢٠٤ وكتاب نظم الفرائد للشيخ زادة ٣٥..

٤) التوحيد ١٨٣ تأويلات أهل السنة ١/ ٦٨٤.

العقل أصلا يقدمونه على الأدلة السمعية. ويؤكد ذلك أن ما يدفعون به الأدلة السمعية ويستعملونه في تأويلها يكون باعترافهم محتملا لا مقطوعا به. مثال ذلك:

جملة احتمالات الماتريدي

فحين وجد الماتريدي آيات القرآن صريحة في زيادة الايمان وفي بطلان مذهبه في عدم زيادة الايمان كقوله تعالى ﴿**ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم**﴾ لجأ الى استخراج وجوه الاحتمالات فقال:

[١] يحتمل أن تعني الزيادة هنا زيادة الحجج والبراهين.

[٢] يحتمل أن تكون زيادة الايمان داعية الى الوفاء بشروطه.

[٣] يحتمل أن تكون الزيادة من حيث الفضيلة والكمال لا من حيث العدد والعمل.

[٤] يحتمل أن تكون الزيادة بمعنى قوته ونوره وزيادة ثماره.

[٥] يحتمل أن تكون الزيادة بمعنى زيادة الثبات.

جملة احتمالات ابن فورك

- ومن الصعب إحصاء المرات التي كرَّر فيها ابن فورك من قوله (ويحتمل...) ومن أراد عمل احصائية بعدد احتمالات وجوه تأويلاته فلينظر كتابه (مشكل الحديث وبيانه) فإنه ملأه بالاحتمالات وتعجل في تأويل الأحاديث الضعيفة والموضوعة من غير تفحص لأسانيدها.

قال الحافظ عند شرح حديث «ان الله يمسك السموات على اصبع» « وعن ابن فورك: يجوز أن يكون الاصبع خلقاً يخلقه الله فيحمله الله ما يحمله الاصبع ويحتمل أن يراد به القدرة والسلطان» [١].

الأمر الذي حدا بالكوثري الى نقده مرات عديدة قائلا « وابن فورك كثيراً ما يطيش سهمه في باب التأويل ويحاول أن يؤول كل ما استدل به المشبهة « ثابتاً أو غير ثابت» [٢]. بل وصف تأويلاته بأنها من قبيل تأويلات الباطنية.

قلت: ومن ذلك قوله:

«أن الله لما قضى خلقه استلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى. قال «فيه وجهان من التأويل» (مشكل الحديث وبيانه١٢٠-١٢١).

---

١) فتح الباري ٣٩٨/١٣.

٢) تعليقات الكوثري على الاسماء والصفات ص ٤٥٢ و٥١٨. وصدق من أخبر بأن علماء الكلام أبعد الناس عن الحديث وفنه.

« ان الله اذا أراد أن يخوف أهل الأرض أبدى عن بعضه» قال «يحتمل أن يكون المراد بقوله «أبدى عن بعضه» أي عن بعض آياته» (مشكل الحديث وبيانه٢٥٤).

«ساعد الله أشد من ساعدك وموساه أحدّ من موساك» [١]. قال ابن فورك « أي أمره أشد من أمرك... وأما قوله (وموساه أحد من موساك) لما كانت الموسى آلة للقطع عبر عن القطع بالموسى» (مشكل الحديث وبيانه٢٥٧).

« إن الله سبحانه قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم» قال « معنى قرأ أي أظهر وأسمع وأفهم كلامه من أراد من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت» (مشكل الحديث وبيانه٢٨٩).

وهكذا يأتي ابن فورك بالأحاديث الصريحة الكذب ويبحث لها عن تأويل.

قال الحبشي عن الحافظ ما نصه « وقد اشترط الحافظ ابن حجر أن يكون الحديث الوارد في الصفات متفق على ثقة رواته» [٢].

فانظروا الى تناقض أهل البدع في المنهج.

فالمتكلمون لم يوفوا بما اشترطوه وهو أن لا يتكلموا في العقائد الا بالأدلة القطعية. هذا الشرط الذي دفعهم الى رد أحاديث الآحاد واعتبارها ظنية مع أنها في البخاري ومسلم اللذين تلقتهما الأمة بالقبول.

- فالتأويل ظني الدلالة باعتراف الماتريدي [٣] ومع ذلك اعتمدوه في العقائد وبكثرة. والعقل قدموه على الأدلة النقلية السمعية في العقائد، مع اعتراف الماتريدي أيضا بقصوره.

---

١) رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي أسحاق السبيعي.

٢) الدليل القويم ٤٨.

٣) التوحيد للماتريدي ٧٤.

أيهما الأصل العقل أم الشرع ؟

ما هو مصدر التأويل ؟
وما الذي سوغ إثبات الصفات السبع وتأويل غيرها؟
وما الحجة التي دفعت الى اعتماده قبل الشرع؟

يجيبنا الباقلاني والأشاعرة بأن العقل دل على إثبات وجود الله، ووافقه الماتريدية الذين جعلوا العقل مصدر التلقي والحجة التي يقيمها الله على العباد ولو لم يرسل الرسل، إذ الرسل عندهم قد أتوا لبيان مكملات الدين، فان أصله [أي الدين] يُعرف بالعقل [1]. فالأدلة العقلية مقدمة عندهم على الأدلة الشرعية في مسائل الاعتقاد.

وهذا باطل لما يلي:

○ أن وجود الشرع ثابت قبل أن يثبت العقل وجوده، ولا ينتظر الشرع من العقل أن يثبته. وقد شرع الله قبل خلق العقول. فاذا كان الدليل الشرعي موجوداً قبل خلق عقلك فكيف يكون عقلك دليلا مقدَّماً عليه؟

○ أن الأدلة العقلية التي يسمونها (قواطع عقلية) يأتيها الباطل من بين يديها ومن خلفها بينما الأدلة الشرعية لا يأتيها الباطل من بين يديها وما خلفها. والتباس المسائل على العقول دليل على وجوب تقديم شرع الله (الكامل) على عقل الانسان (الناقص). ولقد أحسن الباقلاني حين ذكر مراتب الأدلة وجعل العقل في المرتبة الخامسة[2]: ويا ليت لسان حاله لازم لسان مقاله.

○ أن العقول على نوعين: عقل ضال مختوم عليه وعقل مهتد موفق. فالعقل المختوم عليه تَرِدُ عليه الوساوس ويزين الشيطان فيه الباطل فيستحسنه ويقبح له الحق فيستشنعه. والمرض لا يصيب البطون والأعضاء فقط، وانما يصيب العقول أيضا.

○ أن المعلوم من حال المتكلمين: أن تاليهم يأخذ عن سابقهم، وآخرُهم يأخذ عن أولهم: تقليداً أعمى وليس من نتاج أفكارهم. بلَ إن كثيراً مما زعموا أنه عَقليات ما هو الا نقليات مأخوذة عن المعتزلة.

أن هؤلاء يجترئون على الله أن يقولوا: اذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل، ولكنهم لا يقولون أبداً: اذا تعارض قولي مع قول شيخي قدمت قولي على قول شيخي. بل اذا تصوفوا أخذوا بالمبدأ الصوفي (لا تعترض فتنطرد) فهم يتعاملون مع كتاب ربهم وسنة نبيهم معاملة خالية عن التعظيم والثقة.

---

١) المسايرة٩٧ وشرح الفقه الاكبر٩٧ اشارات المرام ٧٥ و٩٨.
٢) الانصاف ١٩.

موقف أهل السنة من دور العقل

فأهل السنة يؤمنون:

١) أن العقل الصحيح لا يمكن أن يتناقض مع النص الصريح. وقد قال الأحباش « أن الشرع لا يأتي بما تحيله العقول»[١]. فإن العقول لها حد، إن وقفت عند حدها نجت وسلمت، وإن تعدته ضلت وعطبت.

٢) أن العقل شاهد على كمال الشرع وصدق السمع وصحته وعدم تناقضه وأن الرسول معصوم في خبره عن الله، واثق من عدم تناقضه. فما أخبر الصادق المصدوق هو ثابت في نفس الأمر: تبين للعقل ثبوته أم لم يتبين، وعدم العلم ليس علماً بالعدم. فالعقل ليس أصلا لثبوت الشرع.

ولكن هل من العادة أن يقبل العقل الاكتفاء بمسح المتوضىء على الجوارب وغمس الذبابة في الإناء لولا أن الشرع أتى بذلك، ومع ذلك ما زالت عقول بعض الأشاعرة تؤول حديث الذبابة وتنفر منه!!!

أليست العقول متفاوتة في إدراكها بين عقول تحيل رؤية الله وعقول تجوزها! ولو اتبع الحق اختلافات العقول بين محيل ومجوز لفسد وحي الله واختلط الحق بالباطل.

٣) أن العقل من النقل بمنزلة العين من الشمس فالعين ضرورية للرؤية لكن وظيفة الرؤية تتعطل إن لم تمد الشمسُ العينَ بالنور الذي ترى به. ولولا نور الشمس لما أعملت العين وظيفتها. فالشرع منزّل من الله الذي خلق العقل ولا يجوز الوثوق بالعقل أكثر من شرع الله.

٤) أن العقل من النقل بمنزلة العبد من السيد فليس من اللائق تقديم العبد على سيده مثلما يفعل المعتزلة حيث جعلوا عقولهم بمنزلة السيد وجعلوا الشرع عبداً لهم.

٥) أنه لولا الشرع المنزل على محمد ﷺ لكانت عقولُنا إما عقول يهود أو نصارى أو مجوس أو وثنيين. ولذلك كان على العقل أن يعترف بفضل الشرع عليه لا أن يجعل نفسه فاضلا عليه.

٦) أن هؤلاء المتكلمين والفلاسفة الشاكين في نصوص السمع، الذين قدموا عقولهم عليها والذين يقولون في أنفسهم لماذا قال الله ذلك

---

١) الدائرة العلمية لشئون الخارج ورقة رقم (٥).

ورسوله؟ هؤلاء مسبوقون بالمنافقين الذين اذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ قالوا ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ فالله يضل من كان في قلبه مرض بالرغم من وجود عقله المريض، فيظن لمرضه أن الأدلة السمعية لا تتفق مع عقله. نعم: ان الأدلة السمعية لا تتفق مع عقول المرضى.

○ أن على العقل الذي يدعي صاحبه الاسلام أن يسلم للخالق ويخضع له فان الله اشترط لحصول الايمان تحكيم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من غير أن يجدوا في أنفسهم حرجاً ويسلموا تسليماً. ولم يمهلهم أن يعملوا عقولهم قبل التسليم لله. وليس من الايمان أن يقول قائل: أنا أؤمن بالرسول ما لم يظهر لي ما يتعارض مع عقلي! بل ان معارضة النصوص بما تمليه العقول هو من شيم وأفعال الكفار الذين قال الله فيهم ﴿ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا﴾ [غافر٤].

ولو كان هناك تعارض بين العقل والنقل لوقع هذا التعارض بين الأدلة النقلية وعقول السلف، والسلف أرجح عقلا ممن جاء بعدهم. غير أنهم لم يشعروا بهذا التعارض - أعني الوساوس - وبالتالي لم يقدموا عقولهم على الأدلة الشرعية، ولم يستخرجوا لها التأويلات التي استخرجتها عقول الخلف الذين يشترطون للاستدلال بالأدلة الشرعية العلم بعدم المعارض العقلي. حتى قال الايجي بأن « في إفادتها لليقين في العقليات نظر» [1]. وقرر الآمدي أن دلالة الكتاب والسنة تتقاصر عن إفادة القطع[2].

○ أن الشافعي نص على « أن العلم بالصفة قبولا ورداً وتأويلاً مما لا يُدرَكُ بالعقل» [3].

- وقال أبو حنيفة «لا ينبغي أن ينطق في الله بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئاً» [4]. فهل الاستيلاء رأي أم لكم فيه سلف؟ ومن من السلف قال بذلك.

- ومع أنهم يحتجون بحديث «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا» [5] فانهم يخالفونه بكثرة تفكرهم في ذات الله حتى

---

١) المواقف في علم الكلام ٤٠.
٢) غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ١٧٤، ٢٠٠.
٣) سير اعلام النبلاء ١٠/٨٠.
٤) الدليل القويم ١٦١.
٥) رواه أبو نعيم في الحلية باسناد ضعيف ولكن للحديث شواهد تقويه جمعها شيخنا الالباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٧٨٩).

استخرجت أفكارهم أن الاستواء بمعنى الاستيلاء وأن اليد بمعنى القدرة وأن جبريل فهم ما في نفس الله من المعاني وصاغها بألفاظ من عنده. وأن لله تعلقات وإضافات هي فعله وليست من صفاته.. الخ.

- ومع أنهم يقولون « لا قبح ولا حسن الا بالشرع» الا أنهم يستقبحون ما استحسن الشارع وصف نفسه به.

قال ابن السمعاني «فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول» وقال «وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً، وما لم نعقله قبلناه تسليماً واستسلاماً»[1].

ثم إن الواقع أثبت عدم أهلية العقل لهذه المهمة. ولو كان مؤهلا لاستخراج معان غير التي يدل عليها الظاهر فلماذا تخلى العقل عن هذه المهمة عند قسم كبير من الماتريدية والأشاعرة ففوضوا الصفات وتبرأوا من العلم بها. والقسم الآخر منهم أولوا ولكن لم تأت عقولهم بمعان مقطوع بها وإنما محتملة، والاستدلال بالمحتمل محرم في العقائد عندهم.

- أن المؤولة من الأشاعرة والماتريدية يستاؤون من تأويل المعتزلة لنصوص عذاب القبر من عذاب حقيقي الى آلام نفسانية معتبرين ذلك من ضلالات المعتزلة، ويطالبونهم بالرجوع عن التأويل، فهاهم هنا يقدمون الأدلة النقلية على الأدلة العقلية ويطالبون المعتزلة أن يحذوا حذوهم، ويحكمون بكفر من يتأول عذاب القبر الى عذاب مجازي، مع أنهم يقدمون الأدلة العقلية على النقلية في صفات الله، ويستبيحون لأنفسهم الحكم على بعض صفات الله بالمجاز ويعدلون بها عن حقائقها بغير علم ولا هدى **﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾** [القصص٥٠] علماً بأن الخوض في ذات الله أعظم شأناً من تأويل ما دون ذلك. فما هو مستندهم في تقديم عقولهم في الصفات وتأخيرها في مسائل القبر مع أن كلا المسألتين من الغيب الذي لا نعلم عنه شيئاً إلا بنص من كتاب أو سنة.؟

ولهذا لما أنكرت الأشاعرة على الفلاسفة إنكارهم عذاب القبر قال لهم الفلاسفة « قولنا في عذاب القبر كقولكم في صفات الله» بمعنى اننا واياكم في التأويل سواء، فلماذا تبيحون لأنفسكم التأويل في صفات الله وتحرمون علينا تأويل عذاب القبر والصراط والميزان؟

---

١) نقله السيوطي في صون المنطق والكلام ٤٩.

وهم في مسائل البدعة يميلون الى التحسين والتقبيح العقليين فيقولون: ما رأيناه من البدع حسناً فهو عند الله حسن. وهذا تأثر واضح بالمعتزلة الذين يجعلون الرأي في الدين أصلا يعتمدون عليه. ومخالفة لما قرره الأشاعرة بأنه لا مجال للعقل في التحسين والتقبيح وإنما يقتصر على ما استحسنه الشرع حتى قال التفتازاني « لو أمر - أي الله - بما نهى عنه صار حسناً » (١).

بين الاشاعرة المتقدمين والمتأخرين

وكان الأشاعرة المتقدمون يُسَمَّوْن «الصفاتية» بسبب تميزهم عن المعتزلة بإثباتهم جميع الصفات.

ثم افترق المتأخرون من بعدهم: فرقةٌ منهم تؤول الصفات، وفرقة لم تتعرض للتأويل، ويقال لهؤلاء الأشعرية الأثرية (٢) واستمر المتأخرون منهم في الخروج عن خط شيخهم أبي الحسن حتى أدى ذلك الى اختفاء مذهبه في وهجٍ من الفلسفة (٣).

واذا كان الغلط في المتقدمين شبراً فقد استفحل وتطور حتى صار في الأتْبَاع ذراعاً ثم باعاً.

وأبو الحسن قد وُفِّق الى الصواب في أكثر المسائل إلا ما أُخذ عليه في مسألة الكلام وأفعال العباد وهو فيها عالة على عبد الله بَن كلاَّب الذي وصفه الأشاعرة المتقدمون كالبغدادي والشهرستاني بأنه شيخهم (٤).

ويصفه ابن حزم بأنه شيخ الأشاعرة القديم (٥).

ولذا يقول ابن تيمية « والأشعرية غلب عليهم أنهم مرجئة في باب «الأسماء والأحكام» جبرية في « باب القدر» وأما في الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوعٌ من التجهّم»(٦).

---

١) شرح المقاصد للتفتازاني ٤/٢٨٢.
٢) الخطط المقريزية٣:٣١٠.
٣) دائرة المعارف الاسلامية ٣:٣١٠.
٤) أصول الدين ١٠٤ ونهاية الإقدام ٣٠٣.
٥) الفصل ٤:٢٠٨.
٦) مجموع الفتاوى ٦:٥٥.

مذهب الباقلاني من الصفات

وقد انتهى الباقلاني الى الرجوع عن التأويل الى مذهب السلف، وأثبت صفات الوجه واليدين على الحقيقة وذلك في كتابه «التمهيد» الذي احتج به ابن تيمية وابن القيم [1] وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤولة اليوم [2]. وقسَّم صفات الله الى ذاتية وفعلية وذكر أن من الصفات الذاتية لله: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والارادة والبقاء والوجه واليدان والعينان والغضب والرضى.

---

١) حققه عبد الهادي أبو ريدة ومحمود الخضيري ١٩٤٧ إعتماداً على نسخة باريس لكنهما أصيبا بالحيرة حين وجدا في فهرس المخطوطة (باب القول في الوجه والعينين) ولم يجداه في النسخة وازدادا حيرة حين وجدا ابن القيم في (اجتماع الجيوش) وابن تيمية في (الحموية) يحتجان بالتمهيد في إثبات الصفات مما لا يوجد في المخطوطة وزعما أن ما نقله وتلميذه عنه مخالف لمذهبه في التنزيه. فاتصلا بالكوثري الذي زعم أنهما اختلقا على الباقلاني ما لم يقله ليخادعا به المسلمين في نِحلتهما. إلا أن الله شاء أن يثبت براءتهما مما رماهما به الكوثري فقد وُجدت مخطوطتان من كتاب التمهيد في اسطنبول وقامت إدارة الثقافة بجامعة الدول العربية بتصويرهما من مكتبة عاطف في اسطنبول تحت رقم (٢٢٢٣) ثم قام الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة بعمل مقارنة بين المخطوطة وبين مخطوطة باريس ثم قارن الزيادة بكلام ابن القيم وشيخه فوجدها مطابقة تماما لمخطوطة اسطنبول ثم حقق النسخة العاطفية ودحض كلام الاستاذين والكوثري وطالبهما بالاعتراف بخطئهما في نسبة الكذب الى الشيخين. وبهذا تزول حيرة (عواد المعتق) محقق كتاب اجتماع الجيوش (ص ٣٠١) حيث ذكر بأن محققيّ التمهيد صرحا بأنهما لم يجدا هذه الزيادة في مخطوطتهما.

٢) انظر كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ٢٩٥ تحقيق عماد الدين حيدر. وهذا المحقق المذكور يؤول تأويلات بالجملة وكل هذه التأويلات مسبوقة بـ (قد) الاحتمالية وهذا كاف في إبطال تأويلاته بالجملة لان القول على الله بالظن خطيئة.

رجوع الرازي عن التأويل

والرازي من أشهر متكلمي الأشاعرة وهو صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدّمه على الأدلة الشرعية التي صرح بأنها لا تفيد اليقين ولا يجوز التمسك بها [١]. وهذا طعن بالله الذي أنزل هذه الأدلة وسماها برهاناً كما قال ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾. ويلزم منه عدم التيقن بالبعث والنشور الذي قرر الأشاعرة أنه يقتصر في التدليل عليها بالأدلة النقلية. فيلزم منه أن يصير الدين كله ظنياً لأن أساس الدين « قال الله قال الرسول» والله نهى عن اتباع الظن.

شرط اعتزالي لقبول النصوص الشرعية

وكان الرازي قد قرر أنه لا يصح الاعتماد على الأدلة اللفظية - أي الكتاب والسنة - وعدم إفادتها اليقين الا بعشرة شروط: عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ وإعرابها وتصريفها وعدم الاشتراك والمجاز والنقل والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار، والتأخير، والتقديم، والنسخ، وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه»[٢].

وهذا من أصول الإلحاد في الدين والتشكيك فيه، ومدخل للإلحاد وانعدام الثقة بكلام الله ورسوله ﷺ.

ولهذا شهد الحافظ ابن حجر على الرازي بأن له « تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شُبه الخصم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهاء [٣].

وشروطه من باب تكثير المقدمات من غير حاجة، وهو كذب ظاهر فان الصحابة والتابعين وأئمة الفقه والنحو والتفسير لم يطرحوا مثل هذه الشروط التعجيزية لقبول النصوص السمعية.

والذين ﴿بالآخرة هم يوقنون﴾ إنما استفادوا اليقين من الأدلة اللفظية فإن عقولهم لا تعرف شيئاً عن تفاصيل الآخرة ولا تهتدي اليه وهو ما اعترف المتكلمون به وصرحوا بأن أمور الآخرة والمعاد لا مدخل للعقل فيها.

لقد كان الرازي متفلسفاً يأخذ من قواعد الفلاسفة ويصبها في قالب المذهب الأشعري وكانت له شروح على كتب الفلاسفة أهمها (شرح اشارات ابن سينا) و (المباحث الشرقية) وفي هذا الأخير

---

١) المطالب العالية ٩/١١٣-١١٨.

٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ٧١.

٣) لسان الميزان ٤:٤٢٦-٤٢٩.

(١/٣٨٢-٣٨٣) يوجه اللوم على من يشوه صورة الفلاسفة ولا يؤول كلامهم على أحسن المحامل! ولذا وصفه السنوسي في الكبرى بأنه كان مولعاً بآراء الفلاسفة [١].

غير أن الرازي قلَّتْ ثقته بالعقل الإنساني وادرك عجزه فأوصى وصية تدل على انه حسن اعتقاده فقال قبل موته « لقد تأملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروي غليلا...» [٢] ونجد عند السبكي تفاصيل هذه الوصية [٣] وفيها يظهر الندم على تعاطي علم الكلام عندما كان أشعريا، ولم تكن توبته من الاعتزال. فهل يجوز أن يظل بعض الناس مُصرِّين على الاقتداء به في أصل الدين؟ متجاهلين وصيته.

وقد أبدى قلة ثقته بالعقل أثناء استعراض أقوال المعتزلة والأشاعرة حول مسألة التحسين والتقبيح العقليين قائلا « واعلم أن هذه المذاهب ظهر في كل واحد منها من المدائح والقبائح، فعند هذا قال أصحاب الحيرة والدهشة: ان هذه الدلائل ما بلغت في الوضوح والقوة الى حيث تزيل الشك وتملأ بقوتها ونورها: العقل. بل كل واحد منها يتوجه فيه نوع غموض» [٤]. وهكذا لما اعتمدوا على العقل زادت شكوكهم.

رجوع الغزالي عن التأويل

وهو من أبرز الراجعين عن منهج التأويل: ويمتاز بأنه كان يُكثر من نقد علم الكلام وأهله حتى وهو في أعمق مراحل التصوف. غير أنه

---

١) شرح السنوسية الكبرى ص ٤١.

٢) فتح الباري ١٣/٣٥٠ اتحاف السادة المتقين للزبيدي ١/١٧٤. قال الحافظ ابن حجر « كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شُبه الخصم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهاء» (لسان الميزان ٤:٤٢٦-٤٢٩). وقد اعترف السبكي بتراجع الرازي عن منهج المتكلمين وذكر الحافظ أنه كتب وصية تدل على أنه قد حسن اعتقاده. ولكن النص كما عند السبكي مخالف لما ذكره الذهبي وابن كثير (قارن بين طبقات الشافعية ٥:٣٧ وبين البداية والنهاية ١٣:٥٦ وسير أعلام النبلاء ٢١:٥٠١ فإن توبة الرازي وتراجعه عن أهل الكلام والمبتدعين الى منهاج السلف لا يروق للسبكي كيف لا والسبكي يعتبر الرازي والغزالي من مجددي الاسلام (طبقات السبكي ١/٢٠٢).

٣) طبقات الشافعية ٥/٣٣.

٤) المطالب العالية ٤/٤٢٦.

أعلن قبيل موته بأيام معدودة إستنكاره الشديد لطريق التأويل وعلم الكلام وأنه بدعة مذمومة ومخالفة للسلف. ووصف التأويل بصفته اللائقة به « التعطيل» وأفتى بحرمة خوض العلماء والوعاظ في التأويل، حكاه عنه المرتضى الزبيدي. وأوضح أن «علاج وهم التشبيه» أسهل من علاج التعطيل، اذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر ﴿**ليس كمثله شيء**»[1]

مذهب الجويني في الصفات ونقده للتأويل

وبعدما اورد الحافظ ابن حجر مذاهب الناس في صفات الله نقل عن امام الحرمين الجويني رحمه الله قوله كما في رسالته النظامية « والذي نرتضيه رأيا وندين الله به : عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن اجماع الأمة حجة. فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما فلا شك حينئذ أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، واذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع».

- ثم نقل الحافظ عن شهاب الدين السهروردي مثل كلام الجويني وفيه يقول « لم ينقل عن النبي ﷺ التصريح بوجوب التأويل.. ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل اليه من ربه وينزل عليه ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ ثم يترك هذا الباب»[2].

نقد ابن العطار تلميذ النووي للتأويل

وكان ابن العطار من أخص تلاميذ النووي رحمه الله ومع ذلك لم يرتض تأويلات شيخه وصرح بأنه « إذا ثبت نص في الكتاب والسنة مثل أن الله خلق آدم بيده، وأنه كتب التوراة بيده: وجب إثباته وحرم علينا أن نقول: المراد باليدين النعمتين أو القدرتين فهذا تحريف لما فيه من التعطيل، كيف والإجماع على أن الصفات توقيفية[3]: **وهَو فعل المعتزلة والجهمية**» قال « وقد نفى بعضهم النزول وضعّف الأحاديث أو تأولها خوفاً من التحيز أو الحركة والانتقال: والمحققون أثبتوها وأوجبوا الايمان بها كما يشاء سبحانه»[4].

---

١) الجام العوام عن علم الكلام ٩٦و١٠٧و١٠٨ ط الجندي وانظر اتحاف السادة المتقين ٨٣/٢.

٢) فتح الباري ٣٩٠/١٣ وانظر ٤٠٧ اتحاف السادة المتقين ١١٢/٢ والرسالة النظامية ٢٣.

٣) أكد ابن حجر الهيتمي على أن الصفات توقيفية (فتح المبين ٨١).

٤) كتاب الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ٢٢ و٧٥ تحقيق علي الحلبي.

نقد ابن قتيبة والشعراني للتأويل

لما وافق الأشاعرة والماتريدية تقديم دليل العقل على الأدلة السمعية وجعلوا أحكامه ثابتة ودلالاته قطعية أخضعوا النصوص الشرعية لهذا الأصل فما وافق المعقول أقروا به، وما خالفه تأولوه وحملوه على غير معناه الحقيقي المتبادر. ولهذا قال ابن قتيبة [1] «إن المتكلمين يعتنقون الآراء التي يذهبون اليها بعقولهم ثم ينظرون في كتاب الله فإذا وجدوه يخالف ما قاسوا ويبطل ما أسسوا، طلبوا له التأويلات» [2].

ولهذا صدق من قال بأن هؤلاء إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد وليس للاعتماد. إن وافقت ما أنتجته عقولهم قبلوه وإن خالفته أولوه.

---

1) قال الخطيب البغدادي والذهبي وابن الجوزي وأبو طاهر السلفي « كان ثقة ديّناً فاضلا» (تاريخ بغداد ١٧٠/١٠ سير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٣ ميزان الاعتدال ٥٠٣/٢ المنتظم ١٠٢/٥ وفيات الأعيان ٢٤٦/٢) وقال الصلاح العلائي « ابن قتيبة جار على طريقة أهل الحديث في عدم التأويل» (لسان الميزان ٣٥٧/٣.

2) الاختلاف في اللفظ١٢.

هل كان التأويل مذهب السلف

إدعاء الحبشي ثبوت التأويل عن مالك

قال الحبشي « قد ثبت التأويل عن مالك في حديث النزول أنه قال: نزول رحمة لا نزول نقلة» [1].

وقوله هذا مردود من وجوه عديدة:

❊ **أولا**: أن المعتمد عند عامة الأشاعرة أن السلف فوضوا آيات الصفات ولم يتأولوها وانما كان التأويل بدعة الخلف. ولهذا فإن الأشاعرة المفوضة يعترضون على ادعاء الأشاعرة المؤولة أن السلف كانوا مؤولة للصفات.

❊ **ثانياً**: أن الحبشي لم يذكر اتصال سند الرواية عن مالك وانما اكتفى بادعاء ثبوت ذلك عنه.

نعم روى ذلك عنه بعض الكذابين كحبيب كاتب مالك، وجامع بن سوادة.

فأما حبيب فقد ثبت عليه أنه كان يكذب ويروي عن الأئمة الموضوعات (ميزان الاعتدال ٤٥٢/١ الكامل في الضعفاء ٨١٨/٢) كما قال ابن عدي « ولا يحتشم حبيب في وضع الحديث على الثقات وأمره بيّن في الكذابين» ووصفه أبو داود بأنه من أكذب الناس وقال أحمد ليس بثقة.

وأما جامع بن سودة فقد ضعفه الدارقطني وأورد له الذهبي والحافظ روايتين باطلتين هو آفتهما (ميزان الاعتدال ٣٧٨/١ لسان الميزان ٩٣/٢).

فهذه الروايات عن مالك إما أنها تروى بسند فيه مجاهيل أو تُروى عن حبيب الكذاب والذي اتفق أهل الجرح والتعديل على كذبه.

وهل شهادة مثل هؤلاء أولى مما شهد به الشافعي عن مالك وحلف عليه قائلا « السنّة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذين رأيتهم عليها فأحلف عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما:... أن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله ينزل الى سماء الدنيا كيف يشاء» [2].

❊ **ثالثاً** أن الثابت عن مالك خلاف ذلك، فقد ذكر البيهقي صفات الفوقية والنزول والاتيان، ثم روى بسنده عن الوليد بن مسلم قال: سئل

---

١) الدليل القويم ٤٩.

٢) عون المعبود ٤١/١٣ و٤٧ وساقه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة باسناده المتصل الى الشافعي١/ ٢٨٣.

الأوزاعي ومالك والثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا « أمرّوها كما جاءت » هكذا أثبته الصابوني عنهم عند حكايته عقيدة السلف وأصحاب الحديث، وكذلك أثبته ابن عبد البر عن مالك: وهو أعلم بمذهب مالكٍ من غيره [1]. وقد أثنى عليه الكوثري أمانةً وحفظاً[2].

- فالأشاعرة المؤولة يتمسكون بعبارة « نزول رحمة» والأشاعرة المفوضة يتمسكون بعبارة «أمروها كما جاءت» و «تفسيرها ظاهرها».

- وحكى الشيخ عبد القادر الجيلاني عقيدة أهل السنة وأنهم يؤمنون بأن الله تعالى ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء، ونسب تأويل النزول بنزول الرحمة الى الأشاعرة والمعتزلة [3]. ولم ينسبه الى أحد من أئمة الأمة وسلفها.

وقال أبو نصر السجزي « وأئمتنا كسفيان ومالك والحمّادَيْن وابن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش وعلمه بكل مكان وأنه ينزل الى السماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء» [4].

* **رابعاً** أن مالكاً لم يتأول صفة الاستواء بالاستيلاء حين سئل السؤال المشهور عن كيفية الاستواء وانما كان جوابه: «الاستواء معلوم والكيف مجهول». ففرّق بين المعنى المعلوم وبين الكيف المجهول.

ولو كان متأولا شيئا من الصفات لتأول صفة الاستواء من باب أولى. وهذه الرواية المشهورة عن مالك هي المعتمدة في معرفة موقفه من الصفات.

---

١) الأسماء والصفات ٤٥٣.
٢) تأنيب الكوثري ١٧٥-١٧٨.
٣) الغنية لطالبي طريق الحق ٥٧ أثبت الزبيدي نسبته اليه (اتحاف السادة المتقين ٢/٢٤٢و٢٤٩.
٤) سير أعلام النبلاء ١٧/٦٥٦.

○ هذا وقد ادعى الحبشي [1] وجود رواية لمالك عند اللالكائي «الاستواء مذكور» ورجعت الى المصدر المشار إليه فلم أجد فيه شيئاً. وقلده في ذلك تابعه عماد حيدر [2]. والعارف المنصف يأخذ بما اشتهر وتواتر عن مالك ولا يعتمد على هذه الروايات الغريبة المعارضة لما ثبت وتواتر. وهذا القول ضعيف وهو من باب تحصيل الحاصل، فإن السائل ابتدأ سؤاله لمالك بإثبات آية الاستواء. وإنما يشكره إخوانه المفوضة على هذه الرواية المجهولة لأنها لو ثبتت لكانت ترجح مذهبهم في التفويض على مذهب التأويل.

إدعاؤه ثبوت التأويل عن أحمد

قال الحبشي «وقد ثبت التأويل عن أحمد» وذكر رواية البيهقي عن حنبل بن إسحاق عن أحمد...[3].

الجواب: نعم ثبت التأويل بالمعنى القرآني الذي هو التفسير والبيان.

وأما على مفهومك للتأويل فقد أبطله:

المرتضى الزبيدي بقوله: ان المفهوم من ظاهر مذهب أحمد عدم التأويل على الاطلاق وأن الشافعي ومالك وأحمد اختاروا عدم التأويل للمتشابهات» [4].

ومحمد بن درويش الحوت: الذي قال أن «سيدنا أحمد يمنع التأويل» وصرح أن التأويل مذهب المعتزلة [5].

- وما أورده السبكي عن أحمد أنه قال «لا يُوصَف اللهُ تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ: لا نتجاوز القرآن والحديث» [6]. قال الحافظ ابن رجب «ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك ألبتة خصوصاً الإمام أحمد» [7].

- ويبطله ما ذكره الشهرستاني أن عموم أهل الحديث كأحمد ومالك وجماعة من السلف قالوا: نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله لا يشبه شيئاً من المخلوقات» [8].

---

١) الدليل القويم ٣٦.
٢) في تعليقه على الاسماء والصفات ٢:١٥١.
٣) الدليل القويم ٥٠ إظهار العقيدة السنية ١٢٨.
٤) اتحاف السادة المتقين ٢/١٢و٧٩.
٥) رسائل في عقائد أهل السنة والجماعة ٣١ تحقيق كمال الحوت.
٦) طبقات السبكي ٩/٣٩ محققة.
٧) فضل علم السلف على علم الخلف ١٣٩-١٤٠.
٨) الملل والنحل ١/١٣٧.

- بل قد رد أحمد على تأويلات الجهمية التي يحمل الأشاعرة العديد منها كما في كتابه « الرد على الجهمية» الذي أثبت الحافظ ابن حجر نسبته اليه، قال « فيما تأولته من القرآن على غير تأويله»[1]. فأثبت لأهل السنة تأويلا وأثبت للجهمية تأويلات مخالفة لهم.

أما المروي عنه في التأويل فالجواب عن ذلك:

١) ذكر الغزالي أن أحمد حسم باب التأويل الا في ثلاثة نصوص: (الحجر الأسود يمين الله» (قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه) (إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن)[2]. فاذا كان تأويلكم مبنياً على الاقتداء بأحمد فتقيدوا بتأويل النصوص الثلاثة فقط، ولا تتأولوا ما لم يتأوله من تأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة والنزول بنزول الملك أو الأمر إن كنتم تقتدون بأحمد لا سيما وأن الأشعري صرح مراراً بأن « عقيدتي هي عقيدة الامام المبجل أحمد».!

٢) أن الغزالي قال « سمعت بعض أصحاب أحمد يقول: حسم أحمد باب التأويل الا في ثلاث» [3] فهل كان الغزالي معاصراً لأحد من أصحاب أحمد؟ هذا انقطاع في الرواية عن أحمد. وإن كان يعني أصحاب مذهبه فما أكثر من روى من أصحابه أنه لم يكن يرى عمل التأويلات في صفات الله ومنهم من يصفه الأحباش «منزه الحنابلة» إذ روى عن أحمد قوله « ولا تفسر هذه الأحاديث الا مثل ما جاءت به» [4]

فالرواية عن أحمد بعدم التأويل متواترة ورواية التأويل المحدود بثلاثة أحاديث بين آحاد وضعيف لا يجوز لمن تعهد بترك الآحاد في العقائد: التمسك بها، ناهيك عن أن كتب أحمد خالية من الدعوة الى التأويل مملوءة بالدعوة الى إثبات ما أثبته الله لنفسه.

٣) أن الرازي ذكر التأويلات الثلاث التي حكاها الغزالي عن أحمد ثم حكى تأويلا رابعاً لأحمد وهو أنه أوّل مجيء البقرة وآل عمران بمجيء ثوابهما [5]. وهذا يبطل رواية الغزالي في حسم أحمد التأويل الا في ثلاث. ثم رواية الرازي تتناقض مع ما حكاه الرازي من أن طريقة

---

١) أنظر فتح الباري ٤٩٣/١٣.

٢) احياء علوم الدين ١٠٣/١.

٣) قواعد العقائد ١٣٥ ط: عالم الكتب.

٤) مناقب الامام أحمد ١٥٥و١٧٤ وشرح أصول الاعتقاد ١٦٤/١.

٥) أساس التقديس ١٠٧-١٠٨.

السلف وجوب تفويض معاني الصفات ولا يجوز الخوض في تفسيرها[١].

ورواية التأويل التي ذكرها جاءت من طريق حنبل بن إسحاق وهو رجل مُتَكَلَّمٌ فيه. قال الذهبي « له مسائل كثيرة عن أحمد، يتفرَّد ويغرب» [٢]. وقال اسحاق بن شاقلا « هذا غلط من حنبل لا شك فيه».

وعلى كل حال فقد ذكر أهل العلم أن المراد بالمجيء مجيء القراءة التي هي من عمل القارىء، وأعمال العباد مخلوقة، والثواب انما يقع على أعمال العباد لا على صفات الرب وأفعاله» [٣].

٤) إذا كان الحبشي يأخذ برواية حنبل بن إسحاق فليأخذ بروايته عن احمد التي يذم فيها علماء الكلام ويقول فيهم « لا أراهم على الاسلام» كما نقله الحافظ الذهبي عن حنبل بن اسحاق عن أحمد [٤].

٥) أن الثابت **المحفوظ** عن أحمد خلاف ذلك كما رواه عنه المروذي والخلال وغيرهم. بل ومما رواه حنبل بن اسحاق نفسه « أننا نؤمن بهذه الصفات ونصدق بها ولا نردها ونعلم أنها حق» [٥].

كلمة حول موقف ابن الجوزي من التأويل

٦) وقد روى اللالكائي وابن الجوزي عن أحمد أنه قال « ولا تفسر هذه الأحاديث الا مثل ما جاءت به» [٦]. وهذا الذي نقله ابن الجوزي حجة عليه فإننا نأخذ بما رواه عن أحمد وندع كتابه « دفع شبه التشبيه» إن كان ثابتاً له حقاً.

وقد خالف إجماعاً كان قد حكاه عند قوله تعالى ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ « وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية» [٧].

وهذا يؤكد ما حكاه العلماء عن ابن الجوزي، من أنه مضطرب العقيدة في الصفات، يجد المرء في كتبه إثباتا للصفات، وتارة تأويلا وتارة تفويضاً. وقد حكى الحافظ ابن رجب بأن تلون آراء ابن الجوزي

---

١) أساس التقديس ٢٣٦.

٢) سير أعلام النبلاء ١٣:٥١.

٣) مجموع الفتاوى ٥/٤٠٠.

٤) سير أعلام النبلاء ١١:٢٩٠.

٥) سير أعلام النبلاء ١١:٣٠٣.

٦) مناقب الامام أحمد ١٥٥و١٧٤ وشرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٦٤.

٧) زاد المسير ٣/٢١٣ و١/٢٢٥.

تبع لتلون آراء شيخه أبي الوفاء بن عقيل[١].

بل ان كتبه مملوءة بالحث على إثبات ما أثبته الله لنفسه والتشنيع على الأشعرية وعلى تأويلاتهم كقوله « من أضرِّ الأشياء على العوامِّ كلام المتأولين، والنفاة للصفات» [٢] فوصفَ ابنُ الجوزي مؤولة الصفات بأنهم نفاة. ونقض تأويل المعتزلة يد الله بالقدرة، وأنكر أن يكون قد نُقل عن الصحابة أنهم قالوا (استوى) أي (استولى) و(ينزل) أي (يَرحم) [٣].

ثم اعترف بأن طريق السلف مناقض للتأويل إذ قال « أكثر السلف يمتنعون من تأويل مثل هذا ويمرّونه كما جاء» حكاه عنه الحافظ[٤].

بينما نراه في دفع شبه التشبيه (١١٤) يؤولُ اليد بالقدرة. وهذا ما يشكك في الكتاب.

وحتى وإن كان مؤولا فلم يكن متكلماً، بل قد طعن في علم الكلام وأهله وحذر منهم وذكر أقوال الشافعي وأحمد وأبي حنيفة ومالك في ذمهم واتهامهم بالزندقة.

قال ابن الجوزي « قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم... وقالوا: إن الله ليس في السماء وأن الجارية التي قال لها النبي ﷺ أين الله؟ كانت خرساء فأشارت الى السماء، أي ليس هو من الأصنام التي تُعبد في الأرض.

- وقالوا: إن الله ليس في السماء [٥]. ولا يُقال استوى على العرش ولا ينزل الى السماء الدنيا بل النازل رحمتُه، فمحوا من القلوب ما أريد إثباته فيها [٦].

وهذا الذي حكاه عن هؤلاء السفهاء هو عين ما يقوله ابن فورك فقد قال «إنما أشارت الى السماء لأنها كانت خرساء» [٧].

---

١) الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤١٤.

٢) صيد الخاطر ص ١٠١.

٣) صيد الخاطر ١٠٣ ط: المكتبة العلمية ومجالس ابن الجوزي ص ٧ ط: دار الأنصار- القاهرة، تحقيق جهاد عيسى البنا.

٤) فتح الباري ٦/٤٠ زاد المسير ١/٢٢٥.

٥) وهذا يتفق مع ما رواه الذهبي عن ابن الجوزي أنه قال " أهل الكلام يقولون: ما في السماء رب" (سير اعلام النبلاء ٢١/٣٧٦).

٦) كتاب صيد الخاطر١١٥و١١٦ و١٨١ ط: المكتبة العلمية - بيروت.

٧) مشكل الحديث وبيانه١٥٩-١٦٠.

وقد أكد ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص ١٠١) ميله الشديد الى التفويض وترك نصوص الصفات من غير تفسير لها.

واذا ثبت التأويل عنه فقد وقع في تلبيس ابليس من حيث لا يدري، ومع ذلك لا يكون بتأويله أشعرياً، إذ لا بد من التفريق بين زلة تأويل وقع فيها رجل ثبت عنه خلافها في كتبه الأخرى، وبين جماعة جعلوا علم الكلام شعارهم الذي يفخرون به كما يقول الأحباش عن شيخهم (إمام علم الكلام) وجعلوا التأويل الفاسد منهجهم. فمن سوّى بين الفريقين فلا يعرف الإنصاف.

وهكذا فالأمر كما ترى أحد اثنين: إما أن يُحمل على تناقض عند ابن الجوزي وإما أن يكون الكتاب مدسوساً عليه، مثله في ذلك مثل كتاب الفقه الأكبر المنحول للشافعي والله أعلم بالصواب.

ابن الجوزي وابن حزم يوبخان الأشعري

بل قد صرح ابن الجوزي بتوبيخ الأشعري قائلا «لم يختلف الناس حتى جاء علي بن اسماعيل الأشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عنّ له فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس، فأوجبت دعواه هذه أن ما عندنا مخلوق» [1]. وحكى السبكي أن ابن حزم كان يصرح بتكفيره وبنسبته الى البدعة في غير موضع[2].

٧) أن مما نُسب الى أحمد تأويله ما لم يثبت سنداً كحديث «الحجر الأسود يمين الله في الأرض من استلمه فكأنما صافح الله» [3] وليس من منهج أحمد قبول الحديث الضعيف في العقائد ثم تأويله. ثم ان النص يفيد أنه كأنما صافح الله ولم يقل فقد صافح الله.

---

١) كتاب صيد الخاطر١٨١و١٨٣.

٢) طبقات الشافعية للسبكي ١/٩٠ محققة.

٣) اعترف الاحباش بعدم صحته في مجلتهم المنار ١٧/٢٩.

معنى قول السلف ((بلا كيف))

ولما رأى الخلف إثبات السلف لصفات الله مقرونة بعبارة « بلا كيف» تآمروا على هذا اللفظ وحرّفوه وزعموا أن «بلا كيف» تعني انتفاء الكيفية عند السلف لا بمعنى نفي تشبيه الكيفية بكيفيات العباد. واحتجوا لذلك بقول مالك « وكيفٌ غير معقول» الذي فسروه بمعنى لا يُعقَل أن يكون لله كيفية. والجواب:

أولا: أن معنى (بلا كيف) أي من دون الخوض في الكيفية. قال ابن حجر المكي الهيتمي « قال بعض العلماء: يجب السكوت عن (كيف) في صفاته وعن (لِمَ) في أفعاله» [1].

وروى الدارقطني بسنده عن العباس الدوري قال « سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام.

○ وذكر بعض أحاديث الصفات كحديث الرؤية وأن الله يضع قدمه في جهنم - ثم قال « هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا شك فيها، ولكن اذا قيل كيف وضع قدمه وكيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسره» [2]. فدل على أن التفسير المنفي هو تفسير الكيفيات أو التفسيرات الباطلة التي نشرها الجهمية.

ثانياً: أن الحافظ ابن حجر حدد معنى « بلا كيف » حين قال بأن السلف « لم يخوضوا في صفات الله لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تُعلَم كيفيته بالعقل، لكون العقول لها حد تقف عنده» [3].

وقوله « لا تُعلَمُ كيفيته بالعقل» يُبطل تحريف الحبشي وأمثاله ممن يفسرون لفظ (غير معقول) أي (غير ممكن). قال القرطبي « ولم ينكر أحد من السلف استواءه على عرشه وإنما جهلوا كيفية الاستواء» [4] أي أن العقول لا تدرك الكيفية، وقال أبو بكر الاسماعيلي في حكاية مذهب أهل السنة « فإن الله انتهى الى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه» [5].

- فبهذا تدرك أن قول السلف غير معقول بمعنى مجهول كما بينتها الروايات الأخرى.

---

١) فتح المبين شرح الأربعين ٧٣ ط: دار الكتب العلمية.

٢) رواه الدارقطني في الصفات ٣٩.

٣) فتح الباري ١٣: ٣٥٠و٣٩٠ وانظر الحجة البالغة ٦٣/١ للدهلوي.

٤) تفسير القرطبي ١٤٠/٧.

٥) سير أعلام النبلاء ٢٩٥/١٦ تذكرة الحفاظ ٩٤٩/٣.

○ وقال الذهبي تعليقاً على قول مالك « وقول مالك هو قول أهل السنة قاطبة وهو أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها»[1]. وقال الذهبي « قال والد أبي حفص بن شاهين: حضرتُ أبا جعفر الترمذي فسُئل عن حديث النزول فقال «النزول معقول، والكيف مجهول، والايمان به وَاجب، والسؤال عنه بدعة»[2].

ثالثاً: أن سائل مالك إنما أراد العلم بالكيفية ولم يكن معنى سؤاله: هل له كيفية أم لا. ورواية مالك « والكيف مجهول» تؤيد ذلك وهي رواية ثابتة عنه. واستشهد بها الايجي مع روايته لها عن أحمد نظراً لبُعده عن السمعيات وغرقه في المنطق والفلسفة[3] وكذا الغزاليَ والجويني وفي الفقه الأكبر[4].

رابعاً: أنهم كانوا يقولون « بلا كيفية» تارة ويقولون «كيف يشاء» تارة أخرى كما قال الشافعي « وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء، وينزل الى سماء الدنيا كيف يشاء»[5] وكما قال ابن المبارك حين سئل عن حديث النزول - كيف ينزل؟ أجاب «ينزل كيف يشاء»[6].
فقوله كيف يشاء إثباتٌ للكيفية بلا تشبيه لها بكيفيات المخلوقين.

خامساً: أن من ينفي أن يكون الله فوق عرشه ويقول إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول « بلا كيف»: إذ نفي الكيف عما ليس بثابت يُعدّ لغواً من القول، وإنما يقولها الذين يُثبتون لله كيفيةً ليست كمثل كيفية المخلوقات. فالاستواء بلا كيف (على مفهومهم) مفضٍ الى نفيٌ الاستواء، ويناقض قول مالك «الاستواء معلوم ».

سادساً: أن قولهم « بلا كيف » إنما أرادوا به مخالفة المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه.
ولم يحدث أبداً جدلٌ حول إثبات الكيفية أو نفيها. وإنما ثبت الخلاف حول التنزيه والتشبيه: هل نثبت كيفية مشتركةً للصفة المشتركة بين الله وخلقه أم أن التواطؤ في الصفة لا يقتضي التشابه في الكيفية ؟ فالمشبهة قالوا بالأول والمنزِّهة قالوا بالثاني.

---

١) العلو للذهبي ١٠٤.
٢) سير اعلام النبلاء ٥٤٧/١٣ تاريخ بغداد ٣٦٥/١.
٣) المواقف للايجي ٢٧٣.
٤) فيصل التفرقة ١٣٠ العقيدة النظامية ٢٣ الفقه الأكبر ص ٣٤.
٥) عون المعبود ١٣ /٤١ و٤٧ وساقه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة باسناده المتصل الى الشافعي ١/ ٢٨٣.
٦) رواه البيهقي في الاسماء والصفات ٥٦٩ نسخة حيدر ١٩٨/٢-١٩٩.

كما ذكر ابن حجر عن طائفة من السلف والتابعين أنهم كانوا لا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيفَ [1].

ويؤيده قول أهل السنة والحديث حسب رواية الأشعري عنهم « ولا يتأولونها» تفسيرٌ لقولهم « بلا كيف» وهو دليل على أنهم أرادوا بذلك عدم خوضهم في الكيف لا نفي الكيف أصلا.

---

1) فتح الباري ١٣:٤٠٧.

هل في اثبات الصفات تشبيها

أصل التأويل بحجة الهروب من التشبيه حجة جهمية، قال أحمد « وتأول - جهم - القرآن على غير تأويله وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه كان كافراً وكان من المشبهة، فأضلّ بكلامه بشراً كثيراً، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية» [(١)].

وقد نقل الدهلوي عن الحافظ في الفتح أن إجراء هذه الصفات كما هي ليس بتشبيه، وإنما التشبيه أن يقال: سمع كسمع أو بصر كبصر، وهذا مروي عن إسحاق بن راهويه [(٢)].

كراهية أهل البدع لأهل الحديث

ثم شنّع الدهلوي على الخائضين في علم الكلام قائلا « واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسمّوهم مجسمه ومشبهة وهم المتسترون بالبلكفة وقد وضح لي وضوحاً بيّناً أن استطالتهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في مقالتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم بأئمة الهدى» [(٣)].

وقال الزبيدي «وسمّت المعتزلة أهل السنة مشبهة وهذا بواسطة قياس الشاهد على الغائب الذي هو عين التشبيه» ومن العجيب منه رحمه الله أنه قسم التشبيه الى نوعين «أحدهما مذموم وهو تشبيه الحق بالخلق في الذات كما تقوله المجسمة وهو كفر. والثاني: محمود وهو التشبيه بمعنى اثبات الصفات الثبوتية له، وهذا التشبيه أيضا مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال، وأكملها: الجمع بينهما»[(٤)] أي أن لا تشبه ولكن تثبت ما أثبته الله لنفسه ورسوله.

قال عبد الله بن المبارك « من قال لك يا مشبه: فاعلم أنه جهمي»[(٥)]. وقال أبو حاتم الرازي « وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الجهمية أن يسموا أهل السنة مشبهة» [(٦)].

وعن أحمد بن سنان « ليس في الدنيا مبتدع الا وهو يبغض أهل

---

١) الرد على الجهمية ١٠٤-١٠٥.

٢) فتح الباري ٤٠٧/١٣ جامع الترمذي ٥٠/٣.

٣) حجة الله البالغة ٦٤.

٤) اتحاف السادة المتقين ٤٠٧/٩.

٥) رواه ابن مندة في شرح حديث النزول ٥٣.

٦) أنظر اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٧٩/٢ والامام الصابوني في عقيدة السلف ١٣٢/١.

الحديث، وإذا ابتدع الرجل بدعة نزعت حلاوة الحديث من قلبه» [١].

وقال الشيخ **عبد القادر الجيلاني** وابن قتيبة « والجهمية تسمي مثبتة الصفات مشبهة لإثباتها صفات الباري عز وجل من العلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات، **ومن علامات الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالحشوية والمجسمة والمشبهة**» [٢].

وكل من نفى شيئاً قال لمن أثبته «مجسم مشبه» فالأشاعرة عند الجهمية والمعتزلة مجسمة لأنهم أثبتوا بعض الصفات. كما أن أهل السنة مجسمة عند الأشاعرة لأنهم لم يوافقوهم على نفي ما نفوه من الصفات.

إثبات الرؤية تشبيه عند المعتزلة

وبالرغم من غلو الأشاعرة في التأويل بدعوى التنزيه فإنهم لم يسْلموا من نقد المعتزلة، فانهم لما أثبتوا رؤية الله يوم القيامة مع نفي الجهة والمقابلة سخر منهم المعتزلة وألزموهم بالتناقض [٣] قائلين «من سلَم أن الله ليس في جهة وادّعى مع ذلك أنه يُرىٰ فقد أضحك الناسَ على عقله» [٤] « وإنّ كل من أثبت رؤية الله يوم القيامة فهو كافرٌ لأنه شبّه الله بخلقه. وأن من شك في كفره فهو كافرٌ مثله» [٥].

وحجتهم أن « إثبات الرؤية يؤدي الى حدوث الله لأن الشيء إنما يُرى إذا كان مقابلا أو حالاً في المقابل. وهذه من صفات الأجسام فيوجب ذلك أن يكون الله تعالى جسماً وإذا كان جسماً صار محدثاً وإذا كان جسماً تجوز عليه الحاجة» [٦]. والقاعدة عند أهل الكلام عموماً: أن المرئي لا بد أن يكون في جهة موجودة. وبناء عليه فعليكم

---

١) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٤٥ تذكرة الحفاظ ٢/٥٢١ صون المنطق والكلام للسيوطي ٤١ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٤ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ٧٣ ط: إحياء السنة النبوية وشرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٧٣.

٢) الغنية لطالبي الحق ٥٨ وانظر الفقه الاكبر بشرح القاري ١٣ وتأويل مختلف الحديث ٥٥.

٣) ولذا حين يتحدث الأشاعرة عن الرؤية يبدو عليهم الارتباك والتحرّج فإن إثبات الرؤية ملزِمٌ للمقابلة ومبطلٌ للعدم الذي يثبتونه. أنظر على سبيل المثال إظهار العقيدة السنية ١١٧.

٤) شرح الأصول الخمسة ٢٤٩-٢٥٣ المغني لعبد الجبار ٤/١٣٩.

٥) المغني ٤:١٣٩ شرح الأصول الخمسة ٢٣٢ للقاضي عبد الجبار الإنتصار للخياط ٥٤.

٦) شرح الأصول الخمسة ٢٧٦.

أيها الأشاعرة أن تنفوا الرؤية.

فالأشاعرة والماتريدية مُتَّهَمون عند المعتزلة بنظير ما يتهمون به أهل السنة، ونحن نراهم قد سلموا من وساوس التشبيه في مسألة الرؤية ولم يسلموا منها في باقي الصفات. مع أن كلا المسألتين ثابت بالنص من القرآن والسنة. وهذا ظلمٌ يشبه ظلم الأشاعرة القائلين بأن إثبات صفة الاستواء تجسيم لأن القعود من صفات الأجسام والجسم لا يكون إلا بمقعدة ونسبة المقعدة الى الله كفر.

○ ألا ترون أنكم تظلموننا وتلزموننا بما يلزمكم به المعتزلة وتحكمون علينا بمثل ما يحكمون به عليكم. وتتهموننا بالتجسيم لإننا أثبتنا ما أثبته الله لنفسه. بينما اتهمكم المعتزلة بالتشبيه والتجسيم والكفر لمجرد أنكم أثبتم لله صفة الرؤية، فلماذا لا تقفون من باقي صفات الله موقفكم من صفة الرؤية فتجمعون بين الإثبات وبين التنزيه؟

من هنا نؤكد أن المتابع لتأويلات من يزعمون تقديم العقل على النقل يجد أنهم لا يُعملون عقولهم بقدر ما يستنزفونها منافحة عن معتقدات المذهب، ولو كانت تعمل بحرية لتنبهت الى الوقوع في موافقة المعتزلة، ولأشكل عليها صفة السميع الموصوف بها المخلوقون كما أشكل عليها صفة الاستواء والمجيء الموصوف بها المخلوقون. إنهم مبرمَجون يجادلون لنصرة المذهب لا لنصرة العقل.

تارة يكونون معتزلة وتارة يتسننون!

لقد دافع الماتريدي عن موقفه في إثبات الصفات التي أولتها المعتزلة بحجة التشبيه والتجسيم واحتج عليهم بما نحتج نحن عليه فيما أول منها.

قال « ثم الوصف لله بأنه قادر عالم كريم جواد، والتسمية بها حق من السمع والعقل [1] جميعاً... إلا أن قوماً وجهوا تلك الأسماء الى غيره ظناً منهم أن في إثبات الاسم تشبيهاً بينه وبين كل مسمى... ثم الدليل على ما قلنا مجيء الرسل والكتب السماوية بها، ولو كان في التسمية بما جاءت به الرسل تشبيه لكانوا سبب نقص التوحيد» [2].

وهو عين ما نقوله له وللأشاعرة: الوصف بهذه الصفات حق من السمع إلا أن قوماً (الأشاعرة والماتريدية) ظنوا أن في إثبات الصفات تشبيهاً بينه وبين كل موصوف. والدليل على ما قلنا مجيء الرسل والكتب السماوية بها، ولو كان في الوصف بما جاءت به الرسل تشبيه لكانوا هم سبب نقص التوحيد!!!

المشبهة معطلة [3]

التشبيه تعطيل لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ لأن المشبهة أثبتوا إلهاً مماثلا للمخلوقات، ونسوا أن الله ﴿ليس كمثله شيء﴾ غير أن التحذير المبالغ من التشبيه يعتبر من الغلو، فإن النبي ﷺ قد وصف ربه بصفات كثيرة ولكنه لم يحذر مرة واحدة من خطر الوقوع في التشبيه، مما يؤكد أن الغلو في التنزيه من مصائد الشيطان ومزالقه يصطاد به الغلاة الى شباك التعطيل.

فالمتكلمون يعتبرون أنفسهم أكثر تنزيهاً لله وأفضل إعمالا للعقل من السلف والصوفية يعتبرون أنفسهم أكثر عبادة من السلف.

والشيعة يعتبرون أنفسهم أكثر تعظيما لأهل البيت من السلف.

والخوارج يعتبرون أنفسهم أكثر تعظيماً لحكم الله من السلف.

ولهذا نص محمد أنور الكشميري أن الأشعري لما بالغ في التنزيه وشدد فيه لزمه نفي كثير من الصفات التي أثبتها القرآن والسنة حتى قارن التعطيل وأن القرآن لم يسلك هذه التنزيهات الكلامية الباطلة[4].

---

١) أنظر كيف يتأدب مع الشرع عند مناقشته للمعتزلة حيث يقدم الشرع على العقل بخلاف عادته عندما يقدم العقل على الشرع.

٢) التوحيد للماتريدي ٩٣-٩٤.

٣) زعم الحبشي أن المعطلة هم المعتزلة ولم يدخل معهم الأشاعرة والماتريدية مع أنهم موافقون للمعتزلة في كثير من تأويلاتهم. وسنطلعك على توافق تأويلات الاشاعرة والماتريدية مع المعتزلة.

التستر بعامة الناس

إن أهل الكلام والمنطق يستترون بالخوف على العوام من التشبيه وهم إنما يريدون بذلك تقرير مذهب التأويل وشيوعه، وكأن في منهجهم صيانة للعوام من تشبيهات القرآن والسنة !

ولا وجود لهذه الاشكالات بين العوامّ لأن الفطرة تنفر من التشبيه وهو ما أكده ابن قتيبة [1] قائلا « لو تُرِكَ العوام على فطَرهم فإنه لن يخطر عندهم التشبيه» ونص الغزالي علَى أن إيمان العَوام « أثبت من عقيدة علماء الكلام المهلهلة المتزعزعة التي تهزها رياح الشبهات مرة هكذا ومرة هكذا[2].

وهم يستخدمون العوام ويحرضونهم ضد مثبتة الصفات ويستغلون نفورهم من التشبيه لتسليطهم على من يثبتها وإلزامه بالتشبيه. وما من شيء من الكفر ونواقض الإيمان إلا وقد حذر النبي ﷺ منه، غير أنه (والأنبياء من قبل) لم يولوا هذه القضية أي اهتمام.

كيف يستغل الزائغون سلامة فطرة العوام

وأهل الكلام والزيغ يستغلون نفور الطبائع البشرية من التشبيه فيستدرجونهم بذلك الى التعطيل. ومن هنا يمكننا القول بأن كثرة التحذير من التشبيه ليس من أجل تحذير العوام من التشبيه بقدر ما هو تهيئتهم للوقوع في الغلو والانتهاء بهم الى تعطيل ما وصف الله به نفسه. كما قيل: إتخذوا من التنزية جُنَّة ليوقعوا الناس في التعطيل وغطاء يستترون به

وكما قال علي للخوارج (كلمة حق يراد بها باطل) حين تذرعوا بآية ﴿**إن الحكم الا الله**﴾.

فكذلك نقول لنفاة الصفات (كلمة حق يراد بها باطل) حين يتذرعون بآية ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ ولا يكملوها ﴿**وهو السميع البصير**﴾.

فالآيات ان جاءت موافقة لعلم الكلام والتصوف صارت محكمة، وإن جاءت على خلاف سنن علم الكلام والتصوف صارت متشابهة!.

إن التشبيه حبل الشيطان وكيده في أهل الغلو، به دفعهم بوسوسة التحذير من التشبيه الى الوقوع في التعطيل، ولم يكن أحد يتصور أن يجعل الشيطان من نفي التشبيه فخاً ينصبه لأهل الغلو

---

٤) فيض الباري ٤/٤٧٣

١) قال البغدادي والذهبي وابن الجوزي « كان ثقة ديّناً فاضلا» تاريخ بغداد١٠/١٧٠ سير الأعلام ١٣/٢٩٧ ميزان الاعتدال٢/٥٠٣ المنتظم ٥/١٠٢ وفيات الأعيان٢/٢٤٦ لسان الميزان٣/٣٥٧.

٢) احياء علوم الدين ١/٩٤ والمنقذ من الضلال ١٧ للغزالي.

ليوقعهم في هوة التأويل والتعطيل، فلم يرد منهم أن يشبهوا ولكن أراد أن يؤولوا الصفات وأن لا يسلّموا لله ما وصف به نفسه. فلم تدفع تأويلاتهم وسوسة وهم التجسيم، بل أثبتتهما كلاهما وفتحتْ باباً للطعن في هذا الدين. والذي يدفع وهم الوسوسة هو الاستعاذة بالله. وتذكر آيات التنزيه. فإن الانسان قد يتعرض لوساوس من نوع آخر كما قال أحد الصحابة للنبي ﷺ «إني أحدث نفسي بالشيء لو أخرّ الى السماء أحب الي من أن أتكلم به. قال النبي ﷺ ذاك صريح الايمان» أي أن إنكاره والخوف منه صريح الايمان» وفي رواية « الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة»[1].

التأويل تعطيل في الحقيقة

وقد وصف السلفُ أهلَ التأويل بأنهم « معطلة» لأنهم أثبتوا ألفاظ الصفات وحرَّفوا معانيها لمجرد احتمالات. فقد قال ابو حنيفة « ولا يقال يد الله بمعنى قدرته لأن هذا ابطال للصِّفة» [2].

وهم قد حرفوا صفة العلو، فجعلوا علو الله بمعنى المتعالي عن الشبيه. وجردوه سبحانه من علوه فوق سماواته ومنحوها للملائكة. وسلبوا الله صفة التكلم ومنحوها جبريل، وجردوا الله من معاني الرحمة، ففسروا الرحمة بإيصال الخير والغضب بمعنى العقوبة، والمحبة بمعنى الارادة.

ولهذا قال الشافعي «لا تشتغل بالكلام فإني اطلعتُ من أهل الكلام على التعطيل» (سير الأعلام ١٠/٢٨).

وهذا دليل على:

١) أنه يصح شرعا اطلاق وصف النفاة على متأولي الصفات. وهذا القول قاعدة عامة تنطبق على تأويل كل صفة من صفات الله، ومن هنا سمي المؤولة بالمُعَطِّلة.

٢) أن السلف كانوا يرون التأويل تعطيلا لا تنزيهاً. فان المعتزلة لم يصرّحوا بجحود آيات الصفات ولم يقولوا نحن نكفر بالصفات التي في القرآن لكننا لا نأخذها على ظاهرها وإنما نؤولها. وإنما تأولوها لأنها ليست عندهم على ظاهرها، فسماهم السلف معطلة.

٣) أننا نسأل الأشاعرة: ما حكم من يؤول الصفات السبعة [3] عندكم؟ إن كان حكمه عندكم التعطيل فإن حكم من يؤول شيئاً من غير الصفات السبع عندنا التعطيل أيضاً.

---

١) رواه أبو داود (٥١١١) واحمد ٢/٣٩٧ وغيرهما بسند صحيح.

٢) الفقه الاكبر ٣٣.

٣) وهي الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وهي مما يوصف به البشر ومع ذلك لم يؤولوها.

التعطيل ليس دواء التشبيه

وقد ذهب البعض ممن خالف التأويل الى أنه يجوز التأويل في صفات الله إذا استحكمت وساوس التشبيه وقويت في النفس فحينئذ يجوز التاويل. وهذا عليه اعتراضات:

١) قد تبين أن التأويل داء مفض الى محذور وهو التعطيل فمتى كان التأويل دواء من داء التشبيه؟ وقد عشنا تجربة طويلة مريرة أثبتت عقم هذه الطريقة وآثارها السلبية في هذه الأمة.

٢) ماذا لو جاءنا من تحير من مسألة عذاب القبر ورأى وجوب تأويل عذاب القبر تنزيهاً لله ورسوله عن الكذب ودفعاً للوسوسة لأنه يسمع احاديث عذاب القبر فإذا نبش القبور لم يجد أثراً للعذاب ولم يسمع أنيناً [١] هل نبيح له تأويل عذاب القبر ؟.

٣) أنه لا ينبغي لمن ذم التأويل وعلم الكلام أن يعيد فتح باب التأويل الذي عطلوا به أسماء الله وصفاته. ولا يجوز أن يتخذ من الداء دواء وقد قال ﷺ « ما جعل الله دواءكم فيما حرم عليكم»!!!.

تصرف من الحبشي

وقد ذكر الحبشي قول أبي حنيفة (ولا يقال يده قدرته) لكنه حذف قوله «لأن هذا ابطال للصفة» لأن هذه العبارة تفضح مذهب التأويل وتكشفه على أنه تعطيل في الحقيقة، ويلزم من كلام أبي حنيفة أن يصير الحبشي معطلا، ولهذا حذف العبارة من كلام الامام.

وذكر الشهرستاني من معاني التعطيل « تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي دلت عليها» وهو مذهب الفلاسفة الالهيين [٢].

وقال ابن الجوزي « من أضرِّ الأشياء على العوامِّ كلام المتأولين والنفاة للصفات» [٣] فوصفَ مؤولي الصفات بأنهم نفاة للصفات.

وصرح الشيخ علاء الدين العطار عند قوله تعالى ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ بأنه يحرم القول بأن يد الله القدرة أو النعمة قال: « وهذا تحريف لما فيه من التعطيل... وهو فعل المعتزلة والجهمية»[٤].

---

١) شرح الاصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي٧٣٣.
٢) نهاية الاقدام ١٢٣و١٢٧.
٣) صيد الخاطر ص ١٠١.
٤) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ص ٢٥ ط: دار الكتب الاثرية.

التعطيل تشبيه لله بالمعدوم

والمعطلة مشبهة في الحقيقة:

أولا: لأنهم وقعوا في وهم التشبيه ورأوا نصوص الكتاب والسنة ظاهرة في إثبات التشبيه حتى قال كبيرهم الرازي « إن الأخبار المذكورة في باب التشبيه بلغت مبلغاً كثيراً في العدد، وبلغت مبلغاً عظيماً في تقوية التشبيه، وإثبات أن إله العالم يجري مجرى إنسان كبير الجثة عظيم الأعضاء! وخرجت عن أن تكون قابلة للتأويل»[1]. فلجأوا الى التحريف (التأويل) كحل لإغلاق منافذ وسوسة التشبيه، فوقعوا في وسوسة التعطيل. فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ثانياً: أنهم يصفون الله بالصفات السلبية فلا يثبتون في الحقيقة إلهاً محموداً بل ولا موجوداً كالذين يقولون: ليس الله داخل العالم ولا خارجه ولا مباين للعالم ولا محايث له، فشبَّه ربه بالمعدوم إذ لو سألناه: صف لنا المعدوم ؟ فلن يسعه الا وصف المعدوم بما وصف به ربه. ولذلك قيل: المشبِّه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، لأن النفي عدمٌ والعدم ليس بشيء[2]. واذا حقق الرجلُ قولَهم وما يؤول اليه وجد أنهم يجعلون الله شبحاً وخيالاً وسراباً، ويكون حينئذ قد وصف الله بصفة لا شيء كما قاله الامام محمد بن الحسن الشيباني[3].

دليل آخر على فساد قولهم: أنهم بقولهم لا داخل العالم ولا خارجه ألزمهم الصوفية بأننا قد اتفقنا على أن الله ليس فوق العالم، وحينئذ يتعين مداخلته للعالم: إما أن يكون وجوده وجود العالم أو يحل في العالم أو يتحد به. وهذا يبين مدى الارتباط بين أهل الباطل وكيف يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً.

ويلزم الذين يعبدون العدم نفي رؤية الله عز وجل لأن الرؤية تكون في محل ومقابلة، وأما رؤية من ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل ولا خارج محال عقلا ومردود شرعاً.

فإما أن تنفوا أن الله في العلو فيلزمكم معه نفي رؤيته، وإما أن تثبتوا علوه تعالى كضرورة من أجل إثبات رؤيته وإلا فنقول لكم ما قاله لكم المعتزلة[4] «من سلّم أن الله ليس في جهة وادّعى مع ذلك أنه يُرىٰ فقد أضحك الناسَ على عقله».

---

1) المطالب العالية ٢١٣/٩.

2) الرسالة التدمرية ٣٩.

3) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٣٢/٣-٤٣٣.

4) شرح الأصول الخمسة ٢٤٩-٢٥٣ المغني لعبد الجبار ١٣٩/٤.

صفات الله ليست من المتشابه

لا يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا يعلم معناه، لقوله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ ولم يستثن من ذلك آيات الصفات.

فصفات الله أولى أن لا تكون من المتشابه الذي لا يجوز معرفة معناه، بل هي من المحكم واضحة المعنى وإن كانت مجهولة الكيفية. ولوضوح معناها كان السلف يقولون « تفسيرها ظاهرها». وكذلك قول مالك « الإستواء معلوم والكيف مجهول». ولو كان من المتشابه الذي لا يمكن معرفته لقال « الاستواء مجهول والكيف مجهول». وإنما الاشتباه الجائز القول به هو الاشتباه النسبي، فقد يشتبه عليك ما لا يكون مشتبهاً على غيرك. يدل على ذلك قول النبي ﷺ «ان الحلال بيّن وان الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس».

وقد ثبت عن السلف أنهم كانوا يفسرون آيات الصفات، كتفسير مجاهد وأبي العالية للاستواء بالعلو والارتفاع.

قال الترمذي « تأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن معنى اليد القوة» [1]. فهذا نص صريح على أن أهل العلم كانوا يفسرون آيات وأحاديث الصفات على خلاف تأويلات الجهمية وعلى أن الأشاعرة يحذون حذو الجهمية في تفسيرهم اليد بالقوة وغير ذلك.

وهذا بخلاف المتشابه الذين لا يجوز تفسيره. ولو كانت الصفات من المتشابه لما فسَّرها السلف الصالح، فمجرد ثبوت التفسير عنهم يبطل مذهب التفويض ومذهب المتشابه.

بل لم يثبت عن واحد من سلف الأمة أنه قال إن صفات الله من المتشابه بل إن ردودهم على تأويلات الجهمية الباطلة وإثبات المعاني الحقة دليل ضد ذلك.

وقد فسر الأحباش المحكم بالذي لا يحتمل الا وجهاً واحداً والمتشابه بالذي لم تتضح دلالته أو يحتمل أوجهاً عديدة من حيث اللغة واحتيج الى (النظر) لحمله على الوجه المطابق كقوله تعالى ﴿الرحمن

١) سنن الترمذي ٣/٤٢ تعليقاً على حديث رقم (٦٦٢).

على العرش استوى﴾»[1].

وهكذا جعلوا عقولهم هي الفارق بين المتشابه والمحكم، فما وافق عقولهم جعلوه محكماً وما خالفها جعلوه متشابهاً:

فآيات القدر ونصوص القبر عند المعتزلة من المتشابه. ليس عندهم رد المتشابه الى المحكم، بل الى العقل: وقد يردون ما تشابه الى ما هو أيضاً من المتشابه عندهم: فصفة الضحك عندهم من المتشابه فيردونها الى صفة الرضا والرحمة، وكلا الصفتين عندهم من المتشابه.

١) إن الأشاعرة مختلفون فيما بينهم هل آيات الصفات من المتشابه أم لا!

قال أبو منصور البغدادي « واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله» [2]. فهلا اتفقتم فيما بينكم على نوع المتشابه وإلاّ زدتم حيرة الحيارى حيرة.

٢) ويقال لهم: هل كل الصفات من المتشابه أم بعضها دون بعض؟ بالطبع لا، فالأشاعرة يثبتون سبع صفات هي محكمة عندهم وغيرها متشابه، وقد أخذوها على ظاهرها ولم تُحدث في عقولهم تشبيهاً مع أنها مما يوصف به المخلوق كالسمع والبصر والكلام...

فبأي دليل أو ضابط حكمتم بأن الصفات السبعة محكمة لا تشابه فيها وأما غيرها فهو متشابه؟ فإذا طولبوا بالفرق لم يجدوا جواباً مقنعاً.

٣) ونقول لهم: اذا كان ما تشابه عليكم أحلتموه الى اللغة فحينئذ تقعون فيما فررتم منه، فإن الاستواء في اللغة بمعنى الجلوس. لكننا لا نأخذ بها بعد أن ثبت تفسيرها في البخاري عن مجاهد وأبي العالية بالارتفاع والعلو، فالتمسك باللغة مع تناسي ما قاله القرآن والرسول وفسره السلف ضلال حقيقي.

٤) إن الصفات لو كانت من المتشابه لتورع السلف عن تفسيرها. والحق أن تفسير السلف الصالح لكثير من آيات الصفات لا حصر له.

---

١) منار الهدى ٢٥:٦.

٢) أصول الدين ١١٢.

٥) أن قولهم « واحتيج الى النظر» اي العقل، وهذا سير على خطى المعتزلة الذين فسروا الصفات وفق عقولهم المنحرفة، وهو يؤدي الى فقدان الثقة بالسمع لأن الاحتجاج به موقوف على نفي العارض العقلي.

ثم ان هذا القول مخالف للمنهج القرآني الذي جعل الآيات المحكمات هي الأصل الذي يجب رد المتشابه اليه، لا الى العقل.

٦) ونسألهم: هل المتشابه هو كل ما خالف الدليل العقلي؟

هل ما توصلت اليه عقولكم من تأويل الاستواء بالاستيلاء تأويل قطعي أم محتمل؟

إن لم تجيبوا عن هذا السؤال فلقد أجاب عنه شيخكم الحبشي وكذلك الماتريدي حينما صرّح كلاهما بأن تأويلاتنا لا تفيد القطع بأنها مرادة لله وانما تفيد الاحتمال [١].

وقد ورث الأشاعرة عن المعتزلة تفسير الاستواء بالاستيلاء مخالفين بذلك صريح قول الحافظ ابن عساكر بأن الأشعري خالف تأويل المعتزلة هذا ووقف موقفاً وسطاً بينه وبين قول المشبهة.

فيا أيها الأشاعرة لا تتبعوا خطوات المعتزلة[٢]!

---

١) الدليل القويم ٤٧ التوحيد للماتريدي ٧٤ رسائل في بيان عقائد أهل السنة ٣٥.

٢) تبيين كذب المفتري ١٥٠.

التـأويل عـنـد الحـبـشي

يذهب الحبشي في بداية الأمر الى اثبات الصفات قائلا «إعلم أن جميع ما ورد في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية كاليد والعين يجب الايمان به مقرونا بالتنزيه، فان كلا منها صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به» [١].

ويذهب الى وجوب الايمان بما وصف الله به نفسه مقرونا بالتنزيه وترك الرأي لأن « الصريح لا يؤول» و« ردّ النصوص كفرٌ» [٢] و«إذا ثبت الخبر ارتفع النظر»[٣]. وأنه يجوز اثبات صفات الله كلها إذا لم ينو المُثبتُ تشبيهاً، وأن من قال « لله عين أو يد ولم ينو الجسم فلا يكَفر» [٤].

مع أن ما نعهده عنه أنه يُلزِم المثبتين للصفات بإلزامات شتى وينعتهم بالحشوية والمشبهة والمجسمة ولا يسألهم قبل حكمهً عليهم إن كانوا ينوون الجسمية أم لا. فهل قال أحد منهم بأنه يثبت الصفات وينوي تشبيهها بأجسام المخلوقين؟ بل هم متَهَمون دائماً عند الأحباش بأنهم ينوون التجسيم وإن صرّحوا بنفي ذلك.

فقد جاء في مجلتهم « وسر الأمر: أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يدلسون ويقولون: له يد لا كالأيدي» [٥]. ولست أدري من أطلعهم على سر الأمر هذا وهو أمر قلبي غيبي؟

إلا أنه عاد فقال « وقد يُؤوَّل كل ذلك لأجل صرف العامة عن الجسمية» [٦]. وهكذا يسيء بهم الظن ويحكم عليهم بالكفر من غير أن يتبين منهم إن كانوا ينوون الجسمية، بينما تولى الدفاع عن الحكام بالقوانين الوضعية بأنهم - مع تحكيمهم لغير شرع الله - لا يعتقدون أن القوانين الوضعية أفضل من شرع الله. فانظر كيف يزكي نيات العلمانيين مع أنهم لم يعترفوا له بذلك التفصيل، بينما يطعن في نيات من يثبتون صفات الله مع تصريحهم مراراً وتكراراً بأنهم يثبتون الصفات من غير تشبيه.

---

١) الدليل القويم ٤٧.

٢) الدليل القيم ١٥٢و٢٠٨ صريح البيان ٤٧.

٣) صريح البيان ١٢٢ ط: مجلدة.

٤) الدليل القويم ١٥٩.

٥) منار الهدى ١٢/٢٧.

٦) الدليل القويم ٤٧.

حكم تأويلِ الصفات السبع عنده

وبالرغم من قوله (وقد يؤوِّل كل ذلك...) إلا أنه لن يجرؤ على مخالفة الاشاعرة بتأويل الصفات السبع (كالارادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام) لأنها لا توهم عندهم تشبيهاً ولأن العقل دل عليها. بخلاف الصفات الأخرى (كالغضب والسخط والرضى) الموهمة عندهم للتشبيه المخالفة للعقل والتي أدرجوها ضمن هذه الصفات السبع وجعلوها من معانيها.

وهذا الإدراج مزلق عظيم فإن الله أنزل هذه الصفات في القرآن لتكون صفات ذات معان لا لتكون معان لصفات أخرى. وهم لم يكتفوا بتحويل صفات الله الى معان لصفات أخَرى وإنما عمدوا الى وصف الله بما لم يصف به نفسه. كصفات الاستيلاء ومخالفة الحوادث.

ثم إن قولهم إن صفات (الغضب والسخط واليد والعين والوجه والإتيان) توهِم الجسمية قول باطل. فمن المعلوم أن الحواس البشرية تخطىء وتُخدع وتتوهم. والله خالق هذه الحواس ويعلم منها ذلك ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه**﴾ فلم يتركها أسيرة الوهم والوسوسة وإنما جعل لها من آيات التنزيه ما ينسخ ما يُلقيه الشيطان.

شروط التأويل عنده

لقد جعل الحبشي للتأويل القيود التالية:

أولا: أن يكون النص المؤول ثبت اسناده بطريق الآحاد [1] وهذا القيد متعارض مع تأويله لآيات الصفات كآية الاستواء والعلو فضلا عن الأحاديث المتواترة. فان كان التأويل جائزا في الآحاد دون المتواتر فلماذا يتأولون آيات القرآن والاحاديث المتواترة؟

ثانياً: أن لا يكون التأويل عن طريق الاجتهاد فانه « لا مجال للاجتهاد في أصول العقيدة» على حد قوله ولقول أبي حنيفة أنه « لا يجوز العمل بالرأي في صفات الله [2].

- وهذا القيد معارض بتقديمه للأدلة العقلية على الشرعية والذي به يميزون بين ما يجوز تأويله وما يمتنع، بناء على قاعدة الرازي الكلية (الاعتزالية المصدر) والتي حكم فيها لصالح العقل على حساب الشرع واعطاه ميزة قدسية [3].

- وهو بهذه القاعدة التي تجعل من العقل سيدا والشرع عبدا له: يجيز هو وأمثاله عقلا ما لا يجوز شرعا. ولنضرب على ذلك مثالا: يزعم الحبشي أنه يجوز عقلا أن يعذب الله المطيع الذي لم يعص لكن ذلك غير جائز شرعا [4]. وهذه معدودة من غرائب هذه الفرقة لأنهم يصرحون بجواز أن يعذب الله المطيعين: الأنبياء والأولياء وأن يُدخِل الكفار الجنة لأنه متصرف في ملكه، وهو لا يُسأل عما يفعل.

- ومع أنه يتمثّل بقول علي رضي الله عنه « يا أيها الناس إتهموا آراءكم وأحسنوا الظن برسول الله ﷺ فيما يُروىٰ لكم عنه» [5] فإنه لم يتهم رأيه وإنما اتهم نصوص الصفات وأساء الظن بها لأنها تتضمن الاستواء والنزول واليد والقبضة والرجل والأصبع وغيره. وقدّم عليها الرأي كقوله في كل مسألة من مسائل الاعتقاد بأنها « جائزة عقلا وسمعاً » [6]!.

---

1) الدليل القويم ٤٩.
2) الدليل القويم ١٧٦و١٦١ ولكن هل التزم الحبشي بقول أبي حنيفة؟ إن تأويله للصفات هو إعمال للرأي الذي نهى عنه أبو حنيفة.
3) أساس التقديس ٢٢٠-٢٢١ وانظر قانون التأويل ١٦ للغزالي.
4) الدليل القويم ١٤.
5) إظهار العقيدة السنية ١٨٥.

ولو كان صادقاً في الاقتداء بعلي لقدّم الأدلة السمعية (الشرعية) على العقلية، ولسلّم للصفات دون تأويلها لأن التأويل يتعارض مع التسليم كما نص عليه الطحاوي في عقيدته حين قال « لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سلّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ»... وأن التأويل المَعتبر «ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين» [١]. فالتأويل ليس طريقة أهل التسليم وإنما هو طريقة أهل التعطيل.

اعتــرافه بأن التأويل غيــر مـؤكــد

ومع كل القيود التي اشترطها فانه معترف بأن التأويل مفيد للظن لا القطع، ويحتمل أن يكون مرادا لله وأن لا يكون كذلك [٢]. فبئس البديل هو.

من هنا نعلم أن أهل التأويل الباطل ليسوا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله. فإنهم جاؤا إما بتأويلات مخالفة لتأويلات الراسخين في العلم موافقة لتأويلات من سبقهم من الجهمية والمعتزلة، وإما بتأويلات لم يسبقهم الراسخون في العلم اليها، مع اعترافهم بأن تأويلاتهم مظنونة.

أما الراسخون في العلم فان التأويل الذي يعلمونه ليس ظنيا وانما يقينيا لأنهم لا يقولون على الله ما لا يعلمون. ولهذا قال الحافظ ابن حجر « وليس من سلك طريق الخلف واثقا بأن الذي يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله» [٣].

وقد سألتهم « اذا كانت آيات الله لا يجوز أخذُها على ظاهرها فكيف أَعرفُ تأويلَها حينئذ؟ فقالوا: اسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون. يقصدون شيخهم، لكن شيخهم يخبرنا بأن ما تأوله لنا غير مقطوع به، وانما هو ظني فكيف نقبل تأويله فضلا عن أن نعتقد أنه من أهل الذكر الراسخين في العلم؟ فان العلماء الراسخين أشد الناس خشية كما قال تعالى ﴿**انما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ ومن خشيتهم أنهم لا يقولون على الله وصفاته بالظن.

---

٦) أنظر إظهار العقيدة السنية ١١٨ بغية الطالب ٩ الدليل القويم٦٨.

١) العقيدة الطحاوية بذيل كتاب إظهار العقيدة السنية ٢٥٢-٢٥٣.

٢) التوحيد للماتريدي ٧٤ الدليل القويم ٤٧.

٣) فتح الباري ٣٥٣/١٣.

الاصل في الصفات التوقيف

وقد ادعى الحبشي أنه « لا يجوز تسمية الله بغير توقيف مالم يرد الاذن به شرعا» [1].

واستدل بقول ابي حنيفة «لا ينبغي أن ينطق في الله بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئا» [2].

وليته عمل بما رواه عنه، ولكنه توقف فيما سمى الله به نفسه وحدد عدد الصفات الالهية بـ: ثلاث عشرة صفة وزعم أن الشافعي كان يحكم بكفر من لم يثبتها لله [3].

فإن كان الحبشي صادقاً فيما يزعم فليحدد لنا مصدر هذه الادعاء أين حددها وكفّر من لم يقل بها؟ أين ذكر الشافعي من صفات الله: (المخالف للحوادث)؟

إن تحديدها مما أُحدث بعد الشافعي كصفة القديم والمخالف للحوادث. ثم من غير المعقَول ان تتضمن آلاف الآيات القرآنية ثلاث عشرة صفة الهية فقط.

---

1) الدليل القويم ٧٩.
2) الدليل القويم ١٦١.
3) صريح البيان ٣٧.

ابن عبد السلام يعترف باختلاف الأشاعرة

نص العز بن عبد السلام على أن أصحاب الأشعري مترددون مختلفون في صفات البقاء والقدم هل هي من صفات السلب أم من صفات الذات [1]، وعلى أن الأشعري نفسه رجع قبل موته عن القول بتكفير جاهل الصفات الضرورية بعد أن كان يقول بتكفير أهل القبلة. قال «لأن الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوفات».أضاف « والعجيب أن الأشعرية اختلفوا في كثير من الصفات كالقدم والبقاء والوجه واليدين والعينين وفي الأحوال وفي تعدد الكلام واتحاده، ومع ذلك لم يكفّر بعضهم بعضاً» [2]. ولهذا قال الغزالي « ذهبت طائفة الى تكفير عوام المسلمين لعدم معرفتهم أصول العقائد بأدلتها: وهو بعيد عقلا ونقلا» [3].

ويعارض دعواهم حديث الرجل الذي أمر بإحراق نفسه كما في الصحيحين فقال عند موته « إذا أنا متُّ فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرّوني في اليَمِّ، فوالله لئن قدر الله علَيّ ليعذبنّي عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، ففعلوا به ذلك، فقال الله له: ما حملك على ما فعلتَ؟ قال: خشيّتُك. فغفر له».

فهذا رجلٌ شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِيَ بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كُفرٌ باتفاق المسلمين، لكنه كان جاهلًا لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف أن يعاقبه الله فغفر له بذلك.

علق الحافظ ابن عبد البر على هذا الحديث بقوله « وأما جهل هذا الرجل في هذا الحديث بصفة من صفات الله في علمه وقدره فليس ذلك بمخرجه من الايمان» [4] أ. هـ.

وفي هذا رد على من اشترط للايمان حفظ ثلاث عشرة صفة كما يدعي الحبشي.

مع أن الحبشي اعترف بأن الأشاعرة اتفقوا على إثبات سبع صفات فأين الصفات الست المتبقية؟ ألا يكفّر الشافعي من أخذ سبعاً منها ورمى بالستة الأخرى؟!

---

١) قواعد الاحكام الكبرى ١٧٠.

٢) قواعد الأحكام ١٧٢ وانظر أصول الدين للبغدادي ص ٩٠و١٠٩ والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ٢/٣٥٠.

٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٣٦٤.

٤) التمهيد ١٨/٢٤.

وكما أن لفظ الثالوث عقيدة لا وجود لها حتى في أناجيل النصارى المحرفة، وهذا من الحجج عليهم، فلفظ صفة (المخالف للحوادث) لا وجود له في القرآن ولا في السنة ولا في كلام أحد من الصحابة، وهو حجة عليكم.

هل الصفات توقيفية

نقل الحبشي عن الخطابي موقف أهل السنة من الصفات الالهية بأنه « جاء بها التوقيف. فنحن نطلقها على ما جاءت، ولا نكيِّف. وننتهي حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة» [1] بيد أن موقف الأشاعرة والماتريدية وغيرهما من فِرَق المتكلمين متعارضة مع هذه القاعدة التي حددها الخطابي.

فقد نفوا عن الله ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، وأثبتوا له من الصفات ما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله ﷺ. ومن ذلك:

١) صفة القدَم.
٢) صفة مخَالفة الحوادث.
٣) صفة القيام بالنفس.
٤) صفة التكوين قال الحبشي «وهو مفهوم من صفة القدرة»[2].

وقوله « مفهوم» دليل على استخراج صفة بالرأي، وهي (أي صفة التكوين) شرح لمعنى صفة (القدرة) ومعنى مستنبط منها وليست مما وصف الله به نفسه، ولكن كيف صار هذا « المفهوم» أحد الصفات الثلاثة عشر؟ ولماذا لا يكتفي بما وصف الله به نفسه: أليس فيما وصف الله به نفسه كفاية في الإثبات والتنزيه؟!

وهذا الموقف مناقض لمذهب الأشاعرة أن الأصل في الصفات التوقيف، ومناقض لما رواه هو عن ابي حنيفة « لا ينبغي أن ينطق في الله بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئا» [3].

---

١) الدليل القويم ٨١.
٢) الدليل القويم ١٠١.
٣) الدليل القويم ١٦١.

لقد صُمِّمَت هذه الصفات بعناية لتتناسب مع علم الكلام المبني على اصطلاح القديم والمحدث والمخالف للحوادث. فمن أجل تعويد الناس على هذه المصطلحات الدخيلة لا بد من إعطائها صبغة شرعية، فوصفوا الله بها من غير أن يصف بها نفسه بل وصف نفسه بصفات أبلغ منها قصُرَتْ عنها هذه الصفات الدخيلة:

- فصفة القديم مما لم يصف الله به نفسه وإنما وصف بها مخلوقاته كما صرح به المرتضى الزبيدي [1].

فإن قلتم إن هذه معان مشتقة من صفات ثابتة، قيل لكم: فلماذا حددتم صفات الله بثلاث عشّرة منها هذه وقلتم من لم يعرفها فهو عاص لله تعالى؟ وما تقولون فيمن عرف صفة الأول والآخر ولم يعرف صفة القدم والمخالفة للحوادث: أيكون عاصياً.

واذا كانت صفة التكوين مفهومة من القدرة فلماذا جعلتموها صفة مستقلة ذات رقم ثلاث عشرة من مجموع الصفات. فالمشتقات المفهومات من الصفات ليست صفات لأن الصفات توقيفية.

لماذا تستنبطون من الصفات صفات من عندكم ما دامت صفة القدرة ثابتة بنص القرآن فلماذا تستخرجون منها صفة غير ثابتة من القرآن تسميها التكوين؟

لو قلتم إن هذه معان لما وصف الله به نفسه من باب الإخبار حيث أن باب الإخبار أوسع من باب الإنشاء لكان الأمر مختلفاً، أما أن تحصروا ما وصف الله نفسه بثلاث عشرة صفة منها هذه الصفات فأين دليلكم من الكتاب والسنة؟

ثم إن ما وصف الله به نفسه أبلغ وأشمل من هذه الصفات التي يراد بها تهيئة وتقريب مصطلحات المتكلمين الى أذهان المسلمين كالحادث والقديم والأزلي. فصفة (الخالق) أولى من (المخالف للحوادث) وصفة (الأول والآخر) أولى وأشمل من (القديم والأزلي) وصفة (القيوم) أبلغ وأشمل من (القائم بالنفس) فالتعبير بالمنصوص الذي من عند الله أولى وأحرى من التعبير بغير المنصوص الذي من عند غير الله.

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/٢١.

صفـــة القديــم

- قال الحبشي «القديم في اصطلاح علماء الكلام [١] ما لا ابتداء لوجوده» [٢]. وهذا التعريف لم يرتضه الجويني بل مال الى تعريف أبي الحسن الأشعري بأنه المتقدم على الوجود على شريطة المبالغة وليس يتخصص بالذي لا أول لوجوده بل يطلق عليه، ويطلق أيضاً على المتقدم المتقادم من الحوادث» وهذه الصفة وصف الله بها مخلوقاً من مخلوقاته واحتج بقوله تعالى ﴿**والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**﴾».

حتى قال ابن حزم « لا يجوز أن يسمى الله قديماً لأنه تعالى لم يُسمّ نفسه بذلك وهو أيضاً من صفات المخلوقين» [٣].

- ولهذا قال بعضهم: كيف يجوز وصف الكبير بما يوصف به الحقير [٤].

- وإنما وصف الله نفسه بـ (**الأول**) الذي ليس قبله شيء (**والآخر**) الذي ليس بعده شيء، وهما أبلغ من القديم وليس صفة القديم مرادفاً لهما كما يدعي الحبشي [٥] وما طرأ عليه بداية جاز أن يطرأ عليه الفناء [٦].

وقد دافع الفيومي في المصباح المنير عن شرعية هذه الصفة وذكر أن البيهقي ذكر لها أدلة شرعية [٧]. وقد رجعت الى كتاب الأسماء والصفات فلم أجد عنده أي دليل شرعي صريح ينص على صفة القدم.

إن هذا ليؤكد أن هذه الصفات إنما أريد بها التمهيد لتسويغ علم الكلام. ومعلوم أن أي علم من حقول العلم لا يتم تعليمه وتفهيمه إلا بالتعريف بمصطلحاته وألفاظه.

---

١) وهذا اعتراف منه بأن هذا شيء اصطلح عليه علماء أهل الكلام وليس مما وصف الله به نفسه.

٢) إظهار العقيدة السنية ٢٨.

٣) الدرة فيما يجب اعتقاده ٢٤٧.

٤) المصباح المنير للفيومي ٤٩٣.

٥) إظهار العقيدة الطحاوية ١٦٣.

٦) إظهار العقيدة السنية ٢٨.

٧) نفس المصدر.

ابطال المجاز في صفات الله

ابطال التفويض في صفات الله

أشاعرة وماتريدية مؤولة وأشاعرة وماتريدية مفوضة

الاختلاف الشديد بينهم هل يفوضون أم يؤولون

الأشاعرة المؤولة يردون على الأشاعرة المفوضة

القشيري يشن حملة على أشاعرة التفويض ويتهمهم بتجهيل النبي

ما يلزم من التفويض

إبطال المجاز في أسماء الله وصفاته

الحبشي يجعل بعض الصفات مجازية وبعضها حقيقياً وينقل عن السبكي أن المجاز قد يضطرد[1] ويجاب عن ذلك بما يلي:

١) أن الحبشي قد اعترف بأن « نقل النصوص من الحقيقة الى المجاز عبث في النصوص»[2]. وكفى بقوله هذا حجة عليه.

٢) أن الأشاعرة المفوضة يخالفون الأشاعرة المؤولة الذاهبة الى المجاز.

٣) أن المجاز اصطلاح غير مستقيم وفيه مفاسد في العقل واللغة والشرع. أما العقلية فهو عدم تحديده بضابط وقانون مستقيم. وأما اللغوية ففيه تغيير للأوضاع اللغوية التي اصطلح عليها الشرع واللغة. وتغيير ذلك تمهيد لتحريف المعاني الشرعية. وأما الشرعية فتحريف كلام الله والتشكيك فيه بأنه كلام غير حقيقي والدعوى المجردة من العلم أن الله لم يُرد ما أنزل، وإنما أراد خلافه.

٤) تجويز المجاز في بعض كلام الله دون البعض الآخر تحكم لا دليل عليه. فما الضابط الذي نعرف به ما يجوز من المجاز وما لا يجوز؟ إن الذين يفرقون بين الحقيقة والمجاز لم يستطيعوا أن يفرقوا بينهما بحد صحيح!

٥) اتفق القائلون بالمجاز على أن الأصل في الكلام الحقيقة وأن المجاز على خلاف الأصل. ولا ينقل عن حقيقته الى المجاز الا بشرط وجود قرينة تبيح ذلك. وهو شرط لم يلتزم به من استعملوا المجاز في أصول الدين.

٦) ماذا لو اضطرد المجاز ليشمل صفة الرؤية؟ فإن رؤية الله في الآخرة عند المعتزلة مجازيَة كما أن صفات العلو والغضب والرضى والمجيء والرحمة عندكم مجازية! وكما أنه ليس للمعتزلة مستند شرعي في مجازية الرؤية فليس عندكم مستند شرعي فيما تجعلونه مجازياً.

٧) بِمَ تحرمون على المعتزلي الاضطراد في التأويل؟ بضابط شرعي أم بتحكُّم محض! ولماذا يجوز ويحلّ لكم المجاز ويحرم عليهم؟ قال الآلوسي « القول بالمجاز في بعض الصفات، والحقيقة في أخرى لا

---

١) الدليل القويم ٣٩.
٢) الدليل القويم ١٤٧.

أراه إلا تحكُّماً بحتاً»[1] ووصف هذه التأويلات بأنها نزعة اعتزالية.

فالمعتزلة زعموا أن النصوص المصرحة بزيادة الايمان مؤولة بزيادات الهدى[2].

وتأولوا «خروج قوم من النار» على معنى يخرجون من عمل أهل النار. وحديث «شفاعتي لأهل الكبائر» أي: اذا تابوا»[3].

وتأولوا قوله تعالى ﴿تسبح له السموات السبع والأرض﴾ بمعنى أنها تدل على توحيده بلسان حالها فكأنها تنطق بذلك»[4].

وتأولوا قوله تعالى ﴿ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ أي زادهم الشيطان طغيانا، وأسند ذلك الى الله إسناد الفعل الى المسبب مجازاً[5].

وتأولوا قوله تعالى ﴿اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا﴾ على المجاز أي اذا كانت منهم بمرأى الناظر سمعوا صوت غليانها، ويجوز أن يراد: اذا رأتهم زبانية جهنم تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار وشهوةً للانتقام[6].

وتأولوا قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾. فحملوا السجود على الخضوع وذلك أن العقل يستحيل عنده أن يسجد الجبل أو أن تسجد الأرض.

٨) أن بعض الكلمات لها معان كثيرة، ومن ذلك لفظ الرأس، فإنه يُطلق على رأس الانسان ومنبع العين وسيد القوم وأول الشهر وأول الطريق، وبعضها يدل على المعنى وضده كالجون الدال على السواد وعلى البياض، والقرء الدال على الطهر والحيض، والدلوك الدال على الزوال والغروب، فأيهما حقيقة وأيهما مجازاً؟

٩) أن المجاز كذب لأنه يتناول الشيء على خلاف حقيقته.

١٠) أن المجاز كان سلّماً ومطية ووسيلة لتعطيل ما يتعارض مع منهج المتكلمين: فقد جعل الأشاعرة القرآن كلام الله مجازاً: كلام جبريل حقيقة، واليد مجازية والاستواء مجازي والعلو مجازي والنزول مجازي، بل والرحمة مجازية[7]، ودلالة لفظ الايمان على الأعمال عند

---

١) تفسير روح المعاني ١:٦٠.
٢) متشابه القرآن ٢٦٢.
٣) شرح الأصول الخمسة ٦٧٢ فضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار ٢١٠.
٤) تنزيه القرآن عن المطاعن ٢٢٩ الكشاف للزمخشري ٢/٤٥١.
٥) نقلا عن تفسير البيضاوي ١/٢٩.
٦) تنزيه القرآن عن المطاعن ٣٩٨.

الأشعرية المرجئة مجازية وعلى التصديق حقيقية[1]، وأفعال العباد منسوبة إليهم مجازاً لا حقيقة. وقال المشركون: الطلب من الصنم مجاز من الولي أو النبي. وقال الغزالي وأهل وحدة الوجود: وجودنا مجاز ولا وجود على الحقيقة الا وجود الله وأفعاله.

بينما جعل المعتزلة رؤية الله مجازية لا حقيقية، وعذاب القبر مجازياً لا حقيقياً. وجعل الفلاسفة البعث والجنة والنار مجازيين.

١١) المجاز: مما يجوز نفيه، فلو قيل مثلا « طار زيدٌ من الفرح» فيتضمن هذا المجاز نفيَ أن يكون طار على الحقيقة. ولا شيء في القرآن يجوز نفيُه، فيدل ذلك على نفي المجاز فيه.

فحملُ صفات الغضب والرضا والاستواء والنزول على المجاز يعني نفي حقيقة هذه الصفات، ولا يجوز نفي ما أثبته الله لنفسه.

لذا كان إعمال المجاز في صفات الله ليس من تنزيهه وإنما إلحادٌ فِي أسمائه وقد قال تعالى ﴿**وذروا الذين يلحدون في أسمائه. سيجزون ما كانوا يعملون**﴾ [الاعراف١٨٠].

قال الحافظ ابن عبد البر «وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق» وقال «ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل الى اتباع ما أنزَل الينا من ربنا الا على ذلك، وانما يوجه كلام الله عز وجل الى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عز وجل أن يخاطب الا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين»[2].

١٢) أن المجاز بدعة وضع المعتزلة أسسها وبنوا عليها نفي الصفات، وأول من تكلم فيها الجاحظ [3] ثم تلقاه عنهم الأشاعرة والماتريدية. وترتب على ذلك مفاسد في جحد أسماء الله وصفاته. حين صار المجاز الذريعة الأولى لنفي ما وصف الله به نفسه.

وإن من القواعد المقررة أن درء المفاسد مقدَّمٌ على جلب المصالح. وفي المقابل لا نرى أحداً من سلفنا الصالح دعا الى هذا

---

٧) جعل السبكي الرحمة كناية عن إنعامه (الفتاوى السبكية ١/٨).

١) أنظر الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ص ٣٩ و٩٧ ط: البشائر وطبقات السبكي ١/١٣٠ محققة.

٢) التمهيد ٥/١٦ و٧/١٣١.

٣) كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن ١١.

المجاز، ولم يقل أحد منهم بأن في القرآن آيات تُحمَل على الحقيقة وأخرى تُحمل على المجاز. فهذا ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعطاء وغيرهم قد فسروا القرآن كله ولم يقل واحد منهم بالمجاز في شيء من صفات الله.

قال ابن عبد البر « وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يُكيِّفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، والجهمية والمعتزلة لا يحملون شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقرَّ بها فهو مُشَبِّهٌ» أضاف « ومن حق الكلام أن يُحمَل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز... ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات»[1].

١٣) أن تقسيم الألفاظ الى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لا أصل له في الشرع واللغة، ولم يقل به أحد من أهل اللغة كسيبويه والخليل وأبي عمرو بن العلاء، ولم تقسّم العربُ اللفظ الى حقيقة ومجاز وإنما كان منشؤه من الجهمية والمعتزلة، قصدوا به التوصل الى نفي صفات الكمال عن الله عز وجل.

وهذا كتاب محمد بن الحسن الشيباني (الجامع الكبير) في اللغة لم يذكر فيه تقسيم العرب اللغة الى حقيقة ومجاز، والشافعي أول من تكلم في علم الأصول وليس في كتبه ما يشير الى تقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز.

١٤) أن موقف الأشعري من اللغة أنها توقيفية وأن اصل صحة الاستعمال السماع خلافاً للمعتزلة الذين قالوا إنها إصطلاحية حتى جعلوا أكثرها مجازاً لا حقيقة [2] يمثلهم في ذلك القاضي عبد الجبار والجاحظ والزمخشري، وحملهم هذا على التوسع في تأويل النصوص، فلماذا يميل الأشاعرة المتأخرون اليهم دون أبي الحسن؟

١٥) أن المجاز لا يجوز عندكم بدون قرينة. وربما خفيت فيقع الالتباس على المخاطب فلا يفهم مراد الله وهذا يخالف حكمة الخطاب.

١٦) أن المجاز غير مقطوع به. بل هو ظني، حاله في ذلك حال التأويل لا نص عليه وإنما هو مجرد ظن، والشريعة ذمت اتباع الظن، والظن من الشيطان، فكيف يمكن إزالة وسوسة الشيطانَ بالظن الذي

---

١) التمهيد ٧:١٤٥ وانظر ١٣١ منه.

٢) المزهر للسيوطي ١:٢٠٧- ٢١٠.

هو من وسوسة الشيطان؟!

١٧) أن المجاز هو الذي فتح الباب للفرق الزائغة وأصحاب المقاصد السيئة لهدم الاسلام.

لقد كان المجاز سلَّمُ الباطنية، به نسفوا الشريعة وعطلوا النصوص. فصارت الصلاة عندهم موالاة الإمام، والحج القصد الى مرقد الامام، والصيام إمساكُ سرِّ الإمام، والبقرة في قوله ﴿**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾ هي عائشة و﴿ **الجبت والطاغوت**﴾ هما أبو بكر وعمر[1].

وقد زعم الغزالي أن الفرق بين حرمة تأويلات الباطنية وإباحة تأويلات الأشاعرة أن للأشاعرة معياراً في التأويل وهو أن ما دل نظر العقل ودليله على بطلان ظاهره علمنا ضرورة أن المراد غير ذلك» [2]. ولكن أنى يصح معيار الأشاعرة وقد اعترفوا مراراً بأن تأويلاتهم محتملة ليس مقطوعاً بها أن تكون مرادة لله. وقد تضاربت تأويلاتهم فمنهم من يرى اليد قدرة ومنهم من يراها نعمة ومنهم من يرى من العقل عدم إعمال العقل واللجوء الى التفويض؟!!

١٨) أن العدول عن الحقيقة الى المجاز يقتضي نسبة العجز الى الله، ولا يمكن أن نقول: إن الله لم يجد لفظاً أفضل من لفظ ﴿**استوى**﴾ فجاء المتكلمون وأتوا بأفضل منه وهو لفظ (استولى).

١٩) أنه لو فتح باب التأويل والمجاز لارتفعت الثقة بالنصوص، ولم يعد يثبت شيء من العبارات، ولا يمكن لأي فرد أن يثق بكلام الآخرين لاحتماله التأويل، ولا يمكن لأي قاض حينئذ أن يحكم في قضية ما. وبلغ بقوم تأويل عبارات الكفر لمشايخهم حتى قالوا: قول الواصلين أنا الحق وسبحاني ما أعظم شأني وما في الجبة غير الله عبارات لها تأويل. وبهذا الاعتذار لا يعود على الأرض كفر.

قال ابن حجر الهيتمي « المدار في الحكم بالكفر على الظواهر لا على المقاصد والنيات، ولا نظر للمقصود والنيات ولا نظر لقرائن حاله». وقد قال العلماء: لو نطق بكلمة الردة وزعم أنه أضمر تورية

---

١) الفرق بين الفرق ٢٧١-٢٧٨

٢) فضائح الباطنية ٥٣.

كفر ظاهراً وباطناً»[1].

٢٠) أننا لو قلنا بالمجاز لقلنا إنه لا يجوز بغير قرينة شرعية، عندنا فيها من الله برهان، فقوله تعالى ﴿**واخفض لهما جناح** [2] **الذل**﴾ وقوله ﴿**واسأل** [3] **القرية**﴾:

رجعنا الى هذه الموصوفات وعاينّاها، فعرفنا بعد المعاينة أن خفض الجناح ليس بخفض يده وإنما بخفض نفسه وتواضعها، وأن القرية جمادٌ لا يمكن تكليمها.

ولكن هل من طريقة يمكن بها رؤية الله والإحاطة به علماً حتى نقرر إن كانت بعض صفاته تُحمَل على الحقيقة أو المجاز؟ هذا غير ممكن، لأن الله غيب عنا ولا نعلم عنه شيئاً إلا من خلال ما وصف به نفسه، لذا كان إعمال المجاز في الله وصفاته حراماً لأنه مبني على الاحتمال والظن والرجم بالغيب ﴿**حتى إذا جاءوا قال أكذَّبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون**﴾ [النمل٨٤].

لذا كان التوقف على ما استعملته العرب في مجاري كلامها هو التحقيق في المسألة.

فما يسميه المجيزون مجازاً هو عند النافين أسلوب من أساليب اللغة، واللغة العربية كلها حقيقة، والحقيقة تكون لفظية: أي يدل اللفظ على معناه بمفرده، وتكون تركيبية: أي تدل الألفاظ على معانيها بتركيبها.

والفرق بين هذا وبين القول بالمجاز: أن المجاز أعم، وقول المحققين أخص. فالمدّعون للمجاز يجوّزون عبارات وأساليب لم تعهدها العرب في كلامها بتقدير محذوفات في الكلام وتقدير نسب لا ضابط لها. وحينئذ يمكن لأي مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سَنح له، وإن لم يكن له سند في اللغة.

لذا فانه ليس عند من يدّعون المجاز ضابط مستقيم لمجازهم.

والعقل ليس أصل اللغة جزماً، بل أصل صحة الاستعمال في موارده قُبِلَ وسُمّي حقيقة. وما لم يستعملوه فلا يستعمل في دلالات الألفاظ ومَفرداتها لا قواعدها وأبنيتها.

---

١) أنظر الزواجر ١/٣٢ والاعلام بقواطع الاسلام ١٩.

٢) الجناح في اللغة هي اليد.

٣) ذكر ابن تيمية أن القرية لا تطلق إلا على الآهلة بمن فيها، فأما التي لا سكان لها فلا تسمى قرية في اللغة ولذلك قال تعالى ﴿فتلك مساكنهم لم تُسكَن من بعدهم إلا قليلاً﴾ ولم يقل فتلك قراهم.

هل في نفي المجاز مخالفة للاجماع؟

وقد زعم المخالف أن نفي المجاز مخالف لما عرف من اللغة بالضرورة وما أجمع عليه اللغويون.

قال الأستاذ مراد شكري في بحثه المشكور « دفع الشُبَه الغوية عن شيخ الاسلام ابن تيمية:

« وهذا لا يقوله الا أجنبي عن هذا البحث، فإن الخلاف فيه قديم نقل ذلك شُرّاحُ «المنهاج» كالسبكي والإسنوي والبدخشي.

○ أن القائلين بالمجاز في اللغة العربية اختلفوا في جواز إطلاقه في القرآن، فقال قوم: لا يجوز أن يقال في القرآن مجاز، منهم: ابن خويز منداد من المالكية وابن القاص من الشافعية [1].

قال الإسنوي في (نهاية السول) « إن أبا بكر بن داود الأصفهاني الظاهري منع من دخول المجاز في القرآن والحديث، ثم قال: وهذا الدليل يؤدي الى منع المجاز مطلقاً، وهو مذهب أبي إسحاق الإسفراييني وجماعة» انتهى.

ومثله عند السبكي، قال « إنه قول أبي علي الفارسي اللغوي المشهور» (الابتهاج ١/٢٩٦). « ومشهور أن ابن الحاجب نفى المجاز المركب...» [2].

---

١) هذه مفاهيمنا ١٢٧-١٢٨.

٢) عن كتاب دفع الشُبَه الغوية عن شيخ الاسلام ابن تيمية ص ١٣٢.

التأويل والتفويض

التفويض هو إثبات لفظ الصفة مفرغة من المعنى وبتعبير آخر: قبول ألفاظ الصفات مع إخلائها من معانيها الصحيحة.

أراد به قسم من الأشاعرة الهروب من مصيدة تحريف معنى الصفة الذي يسميه أشاعرة آخرون (التأويل) ولكنهم سقطوا في مصيدة منع معنى الصفة، ظن المفوض أنه نجا بذلك ممن يجعلون لألفاظ الصفات معان باطلة، وانما انتقل من المعنى الباطل الى لا معنى.

فإنه: اذا كان التأويل: هو إيجاد المعاني المستبعدة لنصوص الصفات. فان التفويض هو إبعاد المعاني الحقة لنصوص الصفات.

والتفويض فرع مذهب المعتزلة الذين كانوا يعتبرون أسماء الله أعلاماً محضة، بينما يعتبر المفوض الصفات أعلاماً محضة. والنتيجة لكليهما التعطيل، وحينئذ لا فرق بين المعتزلة الذين جعلوا أسماء الله أعلاماً محضة وبين الأشاعرة المفوضة الذين جعلوا صفات الله أعلاماً محضة. فانه لو كانت أسماء الله وصفاته أعلاماً محضة لم تكن حسنى.

والمفوضة ضاقوا ذرعاً بالتحريف (التأويل) ولم يحتملوا ما أثمره في قلوبهم من قسوة وظلمة ولكنهم لم يحلوا الاشكال الوارد في النصوص التي يسمونها «نصوص التشبيه» فكان الحل أن يُبقوا هذا الاشكال في صدورهم ولا يتحدثوا به. فمرض التشبيه باق ولكن اكتمه في صدرك ولا تحدث به واشك مصيبتك الى الله!

لقد سُمِح بالتفويض في المذهب الأشعري لسببين:

السبب الأول : أن كثيراً من أئمة الأشاعرة كالغزالي والجويني والسمرقندي تركوا التأويل وكانوا قبل تركه يُكرهون فِطَرَهُم على قبول المحال والمتناقض ويرغمونها على ما تأباه وتنفر منه. كقولهم إن الله قَهَرَ العرش وأن النبي ﷺ قال للجارية أين الله أي ما اعتقادك في عظمة الله فقالت في السماء أي عظيم القدر جداً..الخ. ووجدوا من الصعوبة الجمع بين طلب التقوى والصدق مع الله، والقول على الله بهذه الاحتمالات في العقيدة التي تصيب القلب بالقسوة وقلة الورع. ولو لم يكن التأويل اجتهاداً ورأياً لما سُمِح بالتفويض. ولوجب الاقتصار على التأويل.

السبب الثاني: أن التفويض ينتهي الى ما انتهى اليه التأويل، فهما يسيران في طريقين مختلفين ثم يلتقيان معاً في النهاية.

فإن المفوض يصرف اللفظ عن المعنى الراجح: ولكن لا الى معنى، بينما المؤول يصرف اللفظ عن المعنى الراجح الى معنى مرجوح، فيتفقان في صرف اللفظ عن المعنى المتبادر. ويفترقان في أن أحدهما يعطيه معنى آخر محتملا، والثاني يمنع عنه المعنى. ولكنهم في النهاية يلتقون عند نتيجة مشتركة: وهي: رفض وصف الله بما وصف به نفسه وتنزيهه عما وصف به نفسه.

ولهذا قيل إن التأويل والتفويض وجهان لعملة واحدة، فإنهما يلتقيان عند تعطيل معنى الصفة المرادة لله، ومن هنا ندرك سر الإذن به من قبَل الأشاعرة والماتريدية. فنتائج التفويض مثل نتاج التأويل من حيث الجِناية على النصوص وتعطيل معانيها.

لقد نظر جماعة من الأشاعرة الى زجر السلف عن تأويلات الجهمية والمعتزلة، وعرفوا ما يُحدث التفويض عند أبناء المذهب من النفور من التأويل وعدم اطمئنان النفوس إليه، وخافوا من الارتداد عن المذهب فأوجدوا لهم بديلا أسموه التفويض وزعموا أن السلف كانوا يمنعون حتى مجرد تفسير آيات الصفات.

وكل من هاتين الطائفتين تمتاز بصفة ذكرها الله في أهل الكتاب:
فالمؤولة **﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾**.
والمفوضة **﴿لا يعلمون الكتاب الا أماني﴾** أي إلا تلاوة للمعنى، لا يفهمونه ولا يتدبرونه. مع أن ثمرة التلاوة يجب أن تكون التفكر وتدبر المعاني.

وقد أراد المفوض التخلص من أذى التأويل - أعني التحريف - الذي يمرض القلوب فوقع في مرض آخر هو التفويض الذي حقيقته تجاهل معاني أسماء الله وصفاته والادعاء بأن الله أنزلها ولم يرد منا معرفة معناها فجهلها رسول الله وأصحابه وكان ﷺ يحفظ أسماء مجردة عن المعاني.

اللجوء الى مرض التفويض هربا من مرض التأويل

التفويض مذهب ظاهره التقوى والكف، وباطنه سوء الظن بالنصوص وتجاهل ما أراد الله من عباده أن يعلموه، وثبت عن السلف تفسيره، فقد دعا النبي ﷺ لابن عباس أن يفقهه الله في الدين، ويعلمه التأويل، أي التفسير.

وقد قال ابن عباس «كل القرآن أعلم الا أربع: حنان وأواه وغسلين والرقيم». ثم علم ذلك بعد كما حكاه ابن قتيبة.

وهذا دليل على أن السلف كانوا اذا جهلوا شيئاً من القرآن صرحوا بذلك. وهم لم يصرحوا بنفي العلم بمعاني صفات الله تعالى. واذا امتنع أحدهم عن تفسير لفظ ما فلا يدل على أن ذلك منهج لهم.

الدليل على أن السلف فسروا آيات الصفات

ونضرب مثالا على أن السلف ما تجاهلوا معاني الصفات: فقد قال مجاهد ﴿**استوى على العرش**﴾ أي علا على العرش. وقال أبو العالية استوى أي ارتفع [1].

وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿**واصنع الفلك بأعيننا**﴾ «أي بعين الله تبارك وتعالى». وفي رواية أنه أشار بيده الى عينه [2].

وقد قال مجاهد أخذت التفسير عن ابن عباس من أوله إلى خاتمته أقفه آيةً آيةً. فلم يستثن من ذلك آيات الصفات. وقد ثبت تفسير مجاهد لصفةٍ كثر الجدل حولها وهي صفة الاستواء.

وهذا يؤكد أن الرسول ﷺ قد بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه كما أمره الله بذلك فقال ﴿**وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل اليهم**﴾.

وأما هؤلاء فينتهون الى أنه ﷺ اكتفى بإبلاغ الأمة الألفاظ وترك لهم هذا الباب دون بيان.

وهذا من المحال:

○ إذ كيف يكون القرآن السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات الى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما

---

١) رواه البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء.

٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٣٩٦ واللالكائي في شرح أصول السنة ٣/٤١١.

اختلفوا فيه أن يترك باب الايمان بصفات الله مشتبها متلبسا بالباد مما يضطر البعض أن يصف آياته بـ «آيات التشبيه» أو «الآيات التي ظاهرها كفر». ولم يميز ما يجب وما لا يجوز عليه وما يستحيل؟

○ وكيف يترك النبي ﷺ هذا الباب ملتبسا مشتبهاً وهو الذي أشهد أمته على أنه بلغ وبين ونصح وقال « تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» [1].

1) رواه أحمد ١٢٦/٤ وابن ماجه (٤٣) والحاكم ٩٦/١ واللالكائي ٢٢/١ قال الألباني اسناده صحيح (سلسلة رقم ٩٣٧).

الأشاعرة المؤولة

يردون على

الأشاعرة المفوضة

يجهل كثيرون أن:

- الأشاعرة فرقتان: أشاعرة مؤولة وأشاعرة مفوضة.
- والماتريدية فرقتان: ماتريدية مؤولة وماتريدية مفوضة.

فهم في الحقيقة أربع فرق لا فرقتان.

وسترى كيف يضلل كل فريق منهم الأخر ويتهمه بتجاهل معاني كلام الله بل ونسبة الجهل وما لا يليق الى النبي ﷺ.

والاختلاف على جواز التفويض أوالتأويل خلاف أشعري - أشعري وكذلك أشعري - ماتريدي.

فقد انتهى كبار الأشاعرة كالغزالي والجويني وجماعة من الماتريدية الى ترجيح التفويض ومنع التأويل بالرغم من نزعتهم العقلانية فتوقفت عقولهم عن استخراج التأويلات.

لقد جهلوا أن الاختلاف على شرعية التأويل خلاف « أشعري أشعري -أشعري ماتريدي».

بل هم مختلفون في كون آيات الصفات من المتشابه كما قال أبو منصور البغدادي « واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله» [١].

- فكل تأويل يتأوله المؤولة من الأشاعرة منقوض بتفويض إخوانهم من الأشاعرة المفوضة، فهذا اختلاف جوهري في العقيدة فأنتم يا مؤولة أو هم علي هدى أو في ضلال مبين. فلو كانت تأويلاتكم مصداق دعاء النبي ﷺ لا بن عباس لما تخلى عنه الأشاعرة المفوضة.

- فالتفويض ليس شيئاً مسَلّماً به لا فيما بين الأشاعرة

---

١) أصول الدين ١١٢.

والماتريدية ولا من قِبَل غيرهم. فلماذا يخاصمون من يرده عليهم؟

وانقسام الأشاعرة الى فرقتين: فرقة مفوضة وفرقة مؤولة هو تفرق في أصول الدين يكشف لك التناقض داخل المذهب. والانشطار الذي بينهم مما يسترونه عن أعين الناس، وينكشف التناقض في نسبتهم كلاً من التفويض والتأويل الى السلف.

فالأشاعرة تارة يحكون عن السلف التأويل كقولهم: وقال ابن عباس ﴿يكشف عن ساق﴾ أي يكشف عن شدة. وتارة يحكون عن السلف التفويض فيقولون: قال السلف: أمروها على ظاهرها من غير تأويل.

وقد رد ابن فورك على المفوضة الذين يزعمون أن ألفاظ الصفات مما لا يُفهم معناه قائلا « لو كان معنى الصفات غير مفهوم لكان خطاب الله خالياً من الفائدة، وعارياً عن معنى صحيح: وهذا مما لا يليق بالنبي ﷺ» [1]. واذا كان لا يليق بالنبي فهو باطل!

ولكن هل تمسك ابن فورك بالمعنى الصحيح المتبادر من اللفظ أم أنه انصرف عنه الى معاني أخرى محتملة والمحتمل لا تقوم به حجة؟!

والعجيب أن الأشاعرة يجعلون هذا الباطل أحد طريقي أهل السنة في تنزيه الله (التأويل والتفويض) ويجيزون لأتباعهم أن يختاروا أياً من الطريقين شاؤا: إما التأويل وإما التفويض. حتى قال اللقاني في جوهرة التوحيد[2]:

وكل وصفٍ أوهَمَ التشبيها   أوِلْهُ أو فوض ورُم تنزيها

---

١) مشكل الحديث وبيانه ٤٩٦.

٢) جوهرة التوحيد ص ٩١ وهو كتاب مقرر في الأزهر في تدريس مادة العقيدة.

القشيري يطعن في المفوضة

ولما قال والد الجويني أن الحروف المقطعة من قبيل الصفات ورجح التفويض زاعماً أنه طريق السلف [1]:

رد عليه القشيري في التذكرة الشرقية قائلا:

« وكيف يسوغ لقائل أن يقول في كتاب الله ما لا سبيل لمخلوق الى معرفته ولا يعلم تأويله الا الله؟ أليس هذا من أعظم القدح في النبوات وأن النبي ﷺ ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله تعالى ودعا الخلق الى علم ما لا يعلم [2]؟ أليس الله يقول بلسان عربي مبين؟ فإذن: على زعمهم يجب أن يقولوا كذب حيث قال ﴿**بلسان عربي مبين**﴾ اذ لم يكن معلوما عندهم، وإلا: فأين هذا البيان؟

وإذا كان بلغة العرب فكيف يدعي أنه مما لا تعلمه العرب»؟

أضاف « ونسبة النبي ﷺ الى أنه دعا الى رب موصوف بصفات لا تعقل: أمر عظيم لا يتخيله مسلم فان الجهل بالصفات يؤدي الى الجهل بالموصوف، وقول من يقول: استواؤه صفة ذاتية لا يعقل معناها، واليد صفة ذاتية لا يعقل معناها، والقدم صفة ذاتية لا يعقل معناها تمويه ضمنه تكييف وتشبيه ودعاء الى الجهل... وإن قال الخصم بأن هذه الظواهر لا معنى لها أصلا فهو حكم بأنها ملغاة وما كان في إبلاغها الينا فائدة وهي هدر. وهذا محال... وهذا مخالف لمذهب السلف القائلين بإمرارها على ظواهرها»[3]. ورجح النووي ذلك فقال «يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل الى معرفته»[4].

○ وألزم الرازي المفوض بأحد أمرين:

- إما أن يقطع بتنزيه الله عن المكان والجهة فقد قطع بأنه ليس مراد الله من الاستواء الجلوس. وهذا هو التأويل.

- وإما أن لا يقطع بتنزيه الله عن المكان والجهة بل بقي شاكاً

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/١١٠.

٢) قال جابر بن عبد الله في حجة النبي ﷺ "ورسول الله بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله" (مسلم رقم ١٤٧).

٣) اتحاف السادة المتقين ٢/١١٠-١١١ صريح البيان ٣٥ ط: مجلدة.

٤) شرح مسلم للنووي ١٦/٢١٨.

فيه فهو جاهل بالله تعالى»[1]. وبهذا يكون الرازي قد أفصح عن حقيقة التفويض ولوازمه الفاسدة وكشف قناعه.

○ وطعن أبو حيان النحوي في التفويض ورجح التأويل عليه.

ونقل قول ابن عباس عن آيات الصفات بأن «هذا من المكتوم الذي لا يفسر» وكذلك نقل قول الشعبي وسعيد بن المسيب والثوري « نؤمن بها ونقر كما نصّتْ، ولا نعيّن تفسيرها ولا يسبق النظر فيها». ثم وصف هذين القولين بأنهما قول من لم يمعن النظر في لسان العرب».

ونسب الى جماهير المسلمين أن الصفات تفسر على قوانين اللغة ومجازات الاستعارة. فما صح في العقل نسبته اليه [أي الى الله] نسبناه، وما استحال أولناه بما يليق به تعالى»[2]. وهذا القول هو الأصل الذي بنى المعتزلة مذهبهم عليه.

واذا كان الأمر كذلك فالتفويض ليس أمراً يجوز للمتأشعر الاختيار بينه وبين التأويل. فالقشيري المؤول ينسب المفوضة الأشاعرة الى الجهل.

واذا كان علم النبي تأويلها فهل كان يكتم أن الاستيلاء هو معنى الاستواء، وهل أخذتم هذا التأويل منه أو من صحابته أم من المعتزلة؟

○ وجاء بدر الدين العيني فصرح في كتابه «إيضاح الدليل» أن أهل الحق انقسموا الى قسمين:

أحدهما: أهل التأويل.

ثانيهما: القائلون بـ «قول السلف» وهو السكوت عن تعيين المراد.

ولكنه ناقش هذا القسم الثاني حتى وصل الى نقده وإبطاله مع اعترافه الخاطيء أنه نهج السلف قائلا « وهذه المعاني المسماة إن لم تكن معلومة ولا معقولة للخلق ولا لها موضع في اللغة استحال خطاب الله الخلقَ بها! لأنه يكون خطاباً بلفظ مهمل لا معنى له، وفي ذلك ما يتعالى الله عنه، أو كخطاب عربي بلفظ تركي لا يعقل معناه... وهذا على قول هؤلاء لا يمكن أن يعلم معناه الا الله، فيكون خطاباً بما يحير السامع، ولا يفيده شيئاً، ويلزم منه ما لا يخفى على العقلاء ما يتقدس خطاب الله عنه». والعجب منه أن ينتهي الى أن « من اعتقد مذهب

---

1) التفسير الكبير للرازي ٢٢/٦.

2) أنظر تفسير البحر المحيط ١/١٢١ و٢/١٢٤ ٣/٥٢٤.

السلف المذكور أو مذهب التأويل الحق فهو على هدى»[1]. ويظهر أن ابن جماعة لم يرتض طريق التفويض لنفسه فكيف يرتضيه لغيره ويوصي به!

فالتفويض مذهب يدعو الى تغييب العقل، وقد زعموا أنه طريق السلف الصالح، وهو ليس مذهب السلف لأنه يؤدي الى أفول العقل، والسلف لا يحبون الآفلين.

هل نهى الله عن الاقتراب من الصفات
كما نهى آدم عن الاقتراب من الشجرة

ويدعي المفوض أن الله أوحى بآيات تتحدث عن الصفات لكن منعنا من معرفة معناها مثلما أن الله خلق الشجرة ونهى آدم عن الاقتراب منها. ولكن الله لم يمنعنا من الاقتراب من معاني الصفات كما منع آدم من الاقتراب من الشجرة، وكان منعه منها حجة من الله عليه.

فأي حجة تقوم على من يطلب فهم معاني الصفات، والله لم يحذرنا من ذلك، وشأن الصفات أعظم أن تنتهك من الشجرة أن يأكل منها آدم **﴿أفلا تعقلون﴾**!

وزعموا أن التفويض هو الايمان بما وصف الله به نفسه من غير تعرف على معانيها مثل الرحيم والرحمن واللطيف والرقيب... الخ.
وهذا إيمان لا نسلم به كلياً، فإن الايمان بها: فهم معانيها.

---

١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ٩٢-٩٦ تحقيق وهبي غاوجي الألباني.

تناقض المفوضة فيما بينهم

فقولهم: أمروها على ظاهرها يناقض قولهم بأن ظاهرها غير مراد، إذ أن إجراء النصوص على ظاهرها يقتضي الايمان بهذا الظاهر من غير تأويل.

وقولهم بأن ظاهرها غير مراد يقتضي إبطال هذا الإيمان وعدم إجرائها عن ظاهرها.

وقولهم تجرى على ظاهرها يناقض قولهم لها تأويل لا يعلمه الا الله، فإنهم بإجرائها على ظاهرها أبطلوا كل تأويل يخالف هذا الظاهر، ثم أثبتوا لها تأويلا يخالف هذا الظاهر لا يعلمه الا الله.

فهم تارة يجعلون الظاهر مرادا، وتارة يجعلونه غير مراد وإنما المراد هو التأويل الباطن الذي لا يعلمه أحد حتى الراسخون في العلم!

انقسام المفوضة فيما بينهم

وقد انقسم المفوضة الى قسمين:

١ - قسم يزعمون أن ظواهر نصوص الصفات تقتضي التمثيل، فيحكمون بأن المراد بها خلاف ظاهرها، ثم لا يعينون المراد.

٢ - قسم يقولون: تجرى على ظاهرها ولها تأويل لا يعلمه الا الله خلاف الظاهر منها وهؤلاء متناقضون[١].

تارة التفويض واجب وتارة التأويل واجب

وبينما يزعم الرازي أن مذهب السلف «وجوب» تفويض معاني الصفات ولا يجوز الخوض في تفسيرها، يبطل مذهبهم المزعوم بإجماع أهل الكلام فيقول «وقال جمهور المتكلمين بأنه يجب الخوض في المتشابهات»[٢].

ثم يأتي متناقض معاصر وهو الحبشي فيناقض قول الرازي ويزعم بأن التأويل التفصيلي كان طريقة السلف[٣].

وهم يفرضون على المسلم أن يختار واحداً من تناقضهم:

- إما أن نردّ ما وصف الله به نفسه بتجاهل معاني صفاته.
- أو نردّ ما وصف به نفسه باختلاق معان بعيدة عن اللفظ

---

١) مذهب التفويض ص ٥٦٨ للأستاذ أحمد القاضي.

٢) أساس التقديس ٢٣٦ وانظر مجرد مقالات الأشعري ١٨٩.

٣) صريح البيان ٣٨ الطبعة الرابعة التي زعموا أنها الأولى.

تصرفنا عن المعنى المراد لله. فإذا رفضنا نصير عندهم مشبهة مجسمة حشوية.

فاعجب لفريق التأويل من الأشاعرة والماتريدية كيف يوجبون علينا التأويل بينما هم مختلفون مع فريق التفويض من الأشاعرة: هل يؤولون أم يفوضون؟ وكان حريا بهم أن ينهوا هذا الخلاف بينهم قبل أن يفرضوا علينا شيئاً لم يتفقوا عليه فيما بينهم!

والناس في التفويض على اتجاهين:

- منهم من يقول: لا نعلم معاني صفات الله كما نسبه كثيرون الى السلف، وهذا باطل، فقد قال الترمذي في سننه « تأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن معنى اليد القوة» [(١)]. فهذا نص صريح على أن أهل العلم كانوا يفسرون آيات وأحاديث الصفات.

- بل قد رد أحمد على تأويلات الجهمية التي يحمل الأشاعرة العديد منها اليوم كما في كتابه « الرد على الجهمية» الذي أثبت الحافظ ابن حجر نسبته اليه قال فيه « فيما تأولته من القرآن على غير تأويله»[(٢)]فأثبت لأهل السنة تأويلا وأثبت للجهمية تأويلات مخالفة لهم.

- ويحتجون بقوله تعالى ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**﴾. ولكن ليس من الرسوخ في العلم رفض معاني الصفات الثابت تفسيرها عن السلف مما تمتلىء به كتب التفسير كالطبري.

- ومنهم من يقول: التفويض المطلوب انما هو تفويض كيفية الصفة وليس العلم بمعناها. فقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام « لذا قيل كيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا، ولا سمعنا أحداً يفسره» [(٣)]. لاحظ كيف تركز السؤال عن تفسير الكيفية.

○ وفي المراد بنفي التفسير فائدة كبيرة، فإن الله أنزل هذا القرآن للناس جميعاً وليس لأهل الجدل الذين أضلهم الله على علم. فوصف نفسه بصفات بينة واضحة المعنى والتفسير، ولا يحتاج معها

---

١) سنن الترمذي ٤٢/٣ تعليقاً على حديث رقم (٦٦٢).

٢) أنظر فتح الباري ٤٩٣/١٣.

٣) سير أعلام النبلاء ٥٠٥/١٠ التمهيد ١٤٩/٧.

الى الخوض والجدل واستخراج المعاني الخفية ولا يلتبس فيها الحق بالباطل، وإنما يزعم الضالون أن ما أنزله الله من الصفات سبب كل التباس ومشكل، وإلا فلماذا يصف نفسه بأنه يستوي وينزل ويأتي ويقبض الأرض ويخلق آدم ويكتب التوراة بيده ويضحك ويعجب!!

وكذلك قول السلف الصالح « أمرّوها كما جاءت بلا **كيف**» وكما ذكر الحافظ ابن حجر عن طائفة من السلف والتابعين أنهم كانوا لا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون **كيف** (١). فهذه النصوص ظاهرة في النهي عن الخوض في الكيفية على النحو الذي هلك فيه أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشعرية.

قال القرطبي « ولم ينكر أحد من السلف استواءه على عرشه وإنما **جهلوا كيفية الاستواء**» (٢) أي أن العقول لا تدرك الكيفية، فبهذا تدرك أن قول السلف غير معقول بمعنى مجهول كما بينتها الروايات الأخرى.

فالذين روي عنهم أنهم قالوا: أمروها كما جاءت من غير كيف. ثبت عنهم تفسير نصوص الصفات، مما يؤكد أن هذا القول لم يسلم هو الآخر من عبث الأشاعرة أيضاً فأوجدوا له تأويلاً باطلاً.

وقول السلف « أمروها كما جاءت» يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، وتحذير الناس من التماس معان مخالفة للمعنى المتبادر من اللفظ. فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة» (٣).

ويؤكد هذا رسالة السنة التي رواها عبدوس بن مالك العطار عن أحمد أن من السنة: الايمان بالقدر والتصديق بالأحاديث فيه والايمان بها، لا يقال: لِمَ وكيف... ومثل أحاديث الرؤية... والحديث عندنا على ظاهره، كما جاَء عن النبي ﷺ والكلام فيه بدعة ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره ولا نناظر فيه أحداً، والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء» (٤).

وهذا القول شبيه بقوله في نصوص الرؤية كما عند الخلال « سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى«إن الله تبارك وتعالى ينزل

---

١) فتح الباري ٤٠٧:١٣.
٢) تفسير القرطبي ج ١٧-١٨ ص ٢١٥-٢١٦.
٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤١/١٥.
٤) طبقات الحنابلة ١٧٩/١-١٨٠ واللالكائي ١٥٦/١.

كل ليلة الى السماء الدنيا» و « أن الله يُرى» و «إن الله يضع قدمه» وما أشبهه؟ فقال: نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى...»[1].

فقوله (لا كيف) رد على المشبهة.

وقوله (ولا معنى) رد على المعطلة الذين ينفون المعنى الصحيح بإيراد معانٍ باطلة لا سلف لهم بها.

فالإمام أحمد يسوق الكلام في نصوص الوعيد والقدر والصفات والقيامة سوقاً واحداً، ولم يعرف عن أحمد تفويض معاني نصوص القدر والميزان والرؤية.

ويجب فهم [illegible] مقيداً بموقفه الفعلي من الصفات كما يدل عليه كتابه « الرد على الجهمية»[2]، حيث رد فيه معاني الجهمية الباطلة ولم يقف عند هذا الحد [illegible] بيّن المعنى الصحيح لها، ولم يقل لا معنى لها.

---

١) طبقات الحنابلة ١٤٣/١.

٢) أثبت الحافظ هذا الكتاب الى الامام أحمد (الفتح ٤٩٣/١٣).

إبطال مذهب التفويض

الحجة البالغة

ولذلك كان أول ما يُسأل عنه المفوضة السؤال الآتي:

هل هذه الصفات التي في القرآن: ألفاظ دالة على معان أم أنها ألفاظ لا معنى لها؟

فاذا أقروا بأنها دالة على معان يُسألون: هل علم النبي ﷺ بهذه المعاني أم جهلها؟

فإما أن يقروا بأنه علمها فيُحاجون بالتبليغ. وإما أن يقولوا بأنه ﷺ جهل ما يليق بالله، فيقال لهم: كيف يكون النبي أعرف بالله من غيره وقد جهل بزعمكم معاني صفات الله. وعلمها إخوانكم المؤولة من الأشاعرة الذين ما تركوا صفة منها إلا أولوها!

وقد أثر عن أحمد أنه قال « أمروها كما جاءت» في نصوص لا علاقة لها بالصفات كقوله عن حديث « من غشنا فليس منا» « لا أدري الا على ما روي» وقول سفيان في حديث « ليس منا من لطم الخدود» « من الله عز وجل العلم، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم»[1].

وقول مالك « الاستواء معلوم والكيف مجهول» هو الفصل، قال الذهبي « وقول مالك هو قول أهل السنة قاطبة وهو أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها»[2] مع أنه أثبت العلم بمعنى الاستواء لا الكيفية.

○ وليس للتأويل ولا للتفويض قانون ثابت يبين متى يجوز التأويل ومتى يجوز التفويض، وأهل الكلام مضطربون بين التأويل والتفويض:

فالماتريدي يعتمد التأويل ويجزم به بلا قيد، بينما يجيزه ابن الهمام عندما تدعو اليه الحاجة، ويعتبر الزبيدي ذلك توسطاً، ويشترط ابن دقيق العيد أن يكون التأويل على مقتضى لغة العرب[3].

في حين يبدي أبو المعين النسفي تحفظا عليه. أما البياضي فيذهب الى ما يسميه بالتأويل المجمل، والماتريدية من بعده خالفوه

---

1) أنظر السنة للخلال رقم (٩٩٩) و (١٠٠١).

2) العلو للذهبي ١٠٤.

3) اتحاف السادة المتقين ٢/١٠٩ الفقه الأكبر شرح ملا قاري ٣٦.

حتى إن أبا القاسم السمرقندي - وهو أشهر تلاميذ الماتريدي - رجّح التفويض مطلقا وحرّم تفسير آيات الصفات التي يعتبرها من المتشابه بدعوى أنها تنتهي الى التعطيل. قاله في السراج الأعظم، كذا قال ابن قطلوبغا ونسبه الناصري الى عامة أئمة الماتريدية بإطلاق. ولكن لو كانت من المتشابه لما فسرها السلف.

وجاء الكوثري فصرح بأن « الذي كان عليه السلف إجراء ما ورد في الكتاب والسنة المشهورة في صفات الله على اللسان مع التنزيه بدون خوض في المعنى ومن غير تعيين المراد». وأكد أن هذا طريق السلف [1].

غير أن الأحباش يرون هذا من الخطأ:

فقد قال أحد تلامذة الحبشي (محمد الولي) « ونسبة النبي ﷺ الى أنه دعا الى رب موصوف بصفات لا تُعقَل أمر عظيم لا يتخيله مسلم، فان الجهل بالصفات يؤدي الى الجهل بالموصوف» (مجلة منار الهدى ٢٦/١٢) وهذا رد جيد من الولي الحبشي الاشعري على الكوثري الأشعري.

أما النسفي فقد ترك للمرء مطلق الخيار: إما أن يؤول وإما أن يفّوض، بينما يرى ابن الهمام جواز التأويل عندما تدعو اليه الحاجة فيُحِلّه لأهل النظر والاستدلال ويحرمه على العوام من الناس [2].

وقال الناصري زين الدين الحلبي في حاشيته على المسايرة «قال مشايخنا ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ لا يعلم تأويله الا الله وكذلك جميع المتشابهات. وهو مخالفة صريحة لشيخهم الماتريدي الذي يرى التأويل أمراً لازماً. ومخالفة أخرى لما أقره الماتريدية وعامة الأشاعرة من تأويل الاستواء بالاستيلاء كما نراه عند الحبشي الذي يجزم بأن المُقدِم على تفسير الاستواء بالاستيلاء لم يرتكب محظورا

---

١) تعليق الكوثري على السيف الصقيل للسبكي ص ١٣ وتعليقه على تبيين كذب المفتري ص ٢٨.

٢) أنظر: السواد الأعظم ٢٧ سلام الأحكم ١٥٣ النور اللامع ٩٦ التمهيد ١٩ المسايرة٣٠،٣٢-٣٣ إشارات المرام ١٨٩.

ولم يصف الله بصفة نقص [1]، وهم انما ينتابهم التردد والحيرة فتارة يقدمون التأويل، وتارة يقدمون التفويض، وتارة يخيرون المرء في الأخذ بأيهما شاء كما يفعل صاحب جوهرة التوحيد [2] وهو دليل على عدم الرضا عن التأويل والاطمئنان اليه.

ولهذا انتهى حال كثير من أئمتهم الى الوقف والحيرة، كالجويني والرازي والغزالي، واعترفوا بخطأ الطريق التي سلكوها، وكان يسعهم ما وسع النبي والسلف، وأن يأخذوا الأمر ببساطة فيثبتوا ما أثبته الله لنفسه ويُحكموا ما تشابه عليهم بـ ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.

○ أن التفويض جاء ردة فعل عكسية ضد التأويل، وجاء كدليل على وقوع التردد والتململ النفسي والشعور بالذنب من التأويلً المتعسف الذي ضاقت به الصدور ولم تطمئن اليه القلوب حتى قسَت به، وزادت به الشكوك، وقلَّ به الإيمان، ولم يرتفع به وهمُ التشبيه.

○ أن المفوض إنما يجعل آيات الصفات بمنزلة فواتح السور (حم عسق ألم طسم) التي نقول عند قراءتها: الله أعلم بمرادها. لكن الصفات كلمات عربية ذات معان بخلاف هذه الحروف المجموعة التي لا تَشكل كلمة عربية ذات مدلولٍ ومعنى. ولا فائدة من تنزيل آيات مع استبقاء معانيها عند الله من غير تنزيل. فإن إصدار كلام بدون معنى مما ينزه عنه المخلوق، فالخالق أولى بهذا التنزيه من المخلوق.

○ أنهم بذلك جهلوا السبب الذي أنزل الله لأجله هذه الصفات، فإن هذه الصفات سبب كل خير للعبد لأنه يتعرّف الى ربه من خلالها، فمن ردّ معانيها فقد فاته الخير والعلم الذي أنزلها الله لأجله.

ولهذا قال ابن قتيبة « ولم ينزل الله «شيئاً» من القرآن الا لينفع به عباده، ويدل به على معنىً أراده» [3].

فطلب معاني هذه الصفات على طريقة أهل الايمان لا أهل الالحاد ينبت التقوى في القلب، ولهذا لما كان الراسخون في العلم أعلم بالله من غيرهم كانوا أكثر خشية، وأثنى الله عليهم فقال ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾.

---

١) الدليل القويم ٣٨ـ ٣٩.

٢) جوهرة التوحيد ٩٢.

٣) مشكل القرآن ٩٨-٩٩.

أما هؤلاء المفوضة فإنهم يقولون: كلما جهلنا معاني الصفات كنا أكثر خشية لله.

فأي إيمان هذا؟ وهل الجهل علم يستحق الثناء؟ وهل يكون الجهل رسوخاً في العلم؟!!

الله يبتلينا هل نؤمن لا هل نعطل!

○ وقد زعم أهل الكلام أن الله يبتلي العباد بها، فمن أثبت الصفات على ظاهرها فقد كفر. تعالى الله عما يقول الظالمون. ويلزم من دعواهم تكفير عوام المسلمين لأنهم يثبتون ولا يعرفون التأويل.

بل العكس هو الصحيح وهو أن العباد مأمورون بإثبات ما أثبته الله لنفسه مع نفي التشبيه عنه، يؤكد ذلك قولُه تعالى ﴿**وذروا الذين يُلحِدون في أسمائه: سيُجزَوْن ما كانوا يعملون**﴾ [الاعراف ١٨٠] وصدق الله، فقد ماجت الفتن بالمؤولين وماتوا على أسوأ خاتمة كالجهم والمريسي والجعد وغيرهم. فالمثبت للصفات هو الفائز وليس المؤول لها، لأن الله لن يحاسبنا على إثبات ما أثبته هو. وإنما يحاسبنا على نفينا وتحريفنا لما أثبته.

إذ كيف يخاطبنا بما يريد إفهامنا خلافه؟ هل هذا الا نصب الشراك لتزل أقدام العباد ثم يحاسبهم على الزلة؟ تعالى الله عما يلزم من أقوال المعطلة!

أفلا أوحى الى نبينا ﷺ أن لا نفهم ما يظهر من هذا الكفر حتى نحذر من الكفر كما حذر آدم من الاقتراب من الشجرة ولم يقل له اقترب وهو يريد منه خلاف ظاهره. ان قصة آدم تبين عظيم رحمة الله وأنه لما أراد من آدم ألا يأكل منها قال ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ فما عصى آدم الا وقد بين الله له بياناً واضحاً. فصفات الله أولى بهذا التحذير من التحذير من مجرد شجرة. قال ابن حزم رحمه الله « ولا يحتج الله عز وجل إلا بما يُفهم لا بما لا يُفهم لأن الله تعالى قد تطول علينا باسقاط الإصر عنا، ولا إصر أعظم من تكليفنا فهم ما ليس في

نيتنا فهمه»[1].

والله أنزل آياته ليختبرنا: أنؤمن بها أم لا؟ وليس ليختبرنا هل نعطلها بالتأويلات المحتملة المتضاربة المتناقضة أم لا؟ فان الله لا يؤخر فهم الناس لتأويل كتابه الى أن يأتي أهل الكلام وإنما يبين لهم أسباب الهدى ويبتليهم هل يؤمنون كما قال ﴿**وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون**﴾ ولو كان نزول آيات الصفات ابتلاء لنا من الله: هل نؤول أم لا. فبماذا تفسرون اختلاف تأويلاتكم عن تأويلات السلف؟!

○ أن دعوى اشتمال القرآن على آيات لا يعلم معناها الا الله باطلة:
فإنه يقال لهؤلاء هل تستثنون النبي ﷺ من الجهل بها؟ أم أن الجهل بها يشمله؟
لا أعرف أحدا من الأشاعرة المفوضة استثنى من ذلك النبي ﷺ. وكفى بذلك قدحاً به.

ثم إن الله أمر المؤمن بل والكافر بتدبر القرآن كله من غير استثناء فقال ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ فكيف يأمر الله الكفار بتدبر القرآن وينهانا عن تدبر بعض آياته ﴿**كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته**﴾. فجعل الله العلة من تنزيل كتابه المبارك: التدبر والتذكر. ولهذا نهى النبي ﷺ عن أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاثة أيام حتى لا يكون مجرد تلاوة من غير فهم. وقال « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم». ففرّق بين التلاوة والمدارسة. فالتلاوة: قراءة ألفاظه. والتدارس طلب فهم المعاني.

واذا كان في العادة يمتنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يطلبون شرحه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم!

○ أن الله قد جعل قرآنه هينا سهلا للتدبر والتذكر والاتعاظ فقال ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ ولو كان فيه ألفاظ لا يمكن حتى الراسخين في العلم من معرفة معانيها لم يكن ميسراً للذكر والاتعاظ والتدبر بل كان معسراً، فإن التيسير يشمل أموراً عديدة منها:

---

1) الفصل في الملل والنحل ٤/٧١.

- تيسير ألفاظه للحفظ
- تيسير معانيه للفهم.
- تيسير أوامره ونواهيه للامتثال.

○ وقد وصف كتابه بأنه نور وبيان وبرهان ومبين وهدى وشفاء، بينما يعطل المفوضة هذه الصفات فيجعلونه ألغازاً يحرم حلها. وانتهى بهم الأمر الى شك مدفون في نفوسهم تزداد القلوب به مرضاً.

○ صحيح أن الشريعة نهت عن الخوض في الآيات بالباطل لكنها لم تنه عن تعلم معانيها الحقة بل أمرت بتدبر آيات الله كلها ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ فترك المفوضة التدبر المأمور به وظنوا أن الله ما أنزلها الا للتلاوة المجردة.

وليس من دليل على استثناء آيات الصفات من ذلك.

○ أن كلاً من التفويض والتأويل نقيض للآخر. فالتأويل يعتمد العقل ويخالف النص، والتفويض يعطل العقل ويتجاهل معاني الألفاظ التي فسَّرها النبي ﷺ والصحابة. فيقول المفوض: لا أعلم المعنى. بينما هو يعلم المعنى، فإنه يفرِّق بالضرورة بين الرحيم والعليم وبين اللطيف والمنتقم. وهذه التفرقة الضرورية التي نجدها تبطل مذهب التفويض.

- ومعلوم أن عدم العلم ليس علماً بالعدم. فلو كان صادقاً في عدم عِلمه فإن ذلك لا يعني أن ما جهله ليس معلوماً عند غيره.

ما يلزم من التفويض

ويلزم من التفويض:

○ أن نبينا ﷺ كان غير عالم بما أنزله الله تعالى عليه من النصوص بل يقول كلاماً لا يعقل معناه. أو علم معاني هذه الصفات لكنه كتمها، وهذا يتعارض مع قوله تعالى ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك**﴾ وقوله تعالى ﴿**حريص عليكم**﴾. فلو كان حريصاً علينا لما سكت عن النصوص الموهمة للتشبيه.

فالمفوضة أمام محظورَيْن: إما تجهيل الأنبياء والسلف باعتقاد أنهم كانوا يجهلون معاني ما أنزل الله، والله عز وجل قال ﴿**إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ وإما اتهامهم بكتمان بيان معاني ما أنزل الله.

○ أن في القرآن آيات لا يريدنا الله أن نعقلها؟ فأي فائدة لنا من نزولها؟

وما الحكمة من تنزيل آيات يحرم علينا أن نعقلها ونفهمها؟ والحكمة: وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، وليس من الحكمة توجيه كلام الى من لا يفهمه. فمخاطبة العجم بلغة العرب لا يفعلها حكيم! ومن منا يرضى أن يخاطبه أحد بلغة لا يفهمها؟

قال تعالى ﴿**وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربياً**﴾ ثم قال بعد ذلك ﴿**ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي**﴾ فقالت المفوضة: نعم: أعجمي بما فيه من الصفات، وعربي فيما سواها.

○ أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله لأن آيات الصفات مجرد ألفاظ لا نعلم معناها. وإنما حظنا منها أن نتعبد الله بتلاوتها فقط، فلا فرق بين الغفور والمنتقم.

لا شك أن الله أراد بالصفات تعريف الناس بصفاته خيراً:

فأبطل المفوضة هذا السبب، وجعلوها ألفاظاً لا معاني لها، وفوّتوا على الناس هذا الخير بذرائع واهية زعموا أن ما أنزله الله يوهم الضلالة، وأن الهدى:

إما بتأويل تُستخرج له معاني باطلة، تُسقط هيبة الرب من القلوب.

وإما بتفويض يمنعون به الناس من معرفة الحق ويفوّتون عليهم الخير.

فإن ما أنزله الله على رسوله ﷺ انما هو بيان وهدى للعالمين، وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم اليه، ولا أن يكون فيه ما بهم اليه حاجة ثم لا يكون بهم الى علم تأويله سبيل... ولن يذهب علم ذلك عن علماء الأمة

طريق السلف أعلم وأحكم

وقد حكم المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة بتجهيل السلف حين قالوا « طريق السلف أسلم، وطريق الخلف أعلم وأحكم»[(١)].

وهم بذلك قد جمعوا بين الكذب على السلف وبين ضلالة تصويب طريقة الخلف في التحريف. فصار السلف عندهم بسطاء عوام لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، محرومين من الخير الكثير لأن الله تعالى قال ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ بينما حاز الخلف على هذا الخير الكثير وفاقوا سلفهم في تنزيه الله وفهم معاني كلامه وإعطاء معان لصفاته إما غفل عنها السلف أو عجزوا عنها!

فإنه لم يعهد عن طريقة المتكلمين الا التردد والحيرة والشك والتناقض كما حكاه الغزالي والحافظ ابن حجر وابن الجوزي[(٢)].

ولقد اعترف الباجوري بأن « طريق السلف أسلم لسلامتها من تعيين معنى قد لا يكون مراداً لله»[(٣)].
وهذا اعتراف منه بالشك والتردد اللذين بنى عليهما المؤولة منهجهم، ويعارض قولهم بأن طريقة الخلف أعلم لما فيها من مزيد إيضاح وتقرير أدلة وبراهين.

فكيف يوصف الشك والتردد بالعلم والحكمة، ولو كان هؤلاء مستيقنين مما يزعمون لجزموا بأن طريقتهم أسلم، ولكنهم لم يفعلوا لأن شكهم وجدلهم لا يزيد القلوب الا قلقاً، فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم.

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/١١٢ فتاوى السبكي ٢/٣٦٧ تحفة المريد ٩١ شرح المقاصد للتفتازاني ٤/٥٠ شرح العقائد النسفية ٤٢ رسائل عقائد أهل السنة لمحمد درويش الحوت ٣٢ براءة الأشعريين ٨٠ يرجح بعضهم أن يكون لابن العربي التبان صاحب (تنبيه الباحث السري في الرد على الكوثري.

٢) المنقذ من الضلال ١٤ -١٧ فتح الباري ١٣/٣٥٠-٣٥٢ تلبيس ابليس ٨٢.

٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ٩١.

أخبـــــار الآحـــــاد

حجة في العقائد و الأحام

فكرة رد خـــبر الواحـــد تســـربت كغيرهـــا مـــن الجهميـــة والمعتزلة

التعديل الأشعري لفكرة رد خبر الواحد

تناقض فكرة التفريق بين العقائد و الأحكام

أخبار الآحاد حجة
في العقائد والأحكام

لا يجوز عند الأشاعرة التمسك بخبر الواحد في العقائد كما نص عليه كبارهم كالرازي [١]. أن أخبار الآحاد ضعيفة السند [٢] لأن فيها علة التشبيه. ويلزم من ذلك الطعن في صحيحي البخاري ومسلم.

وحجته أن الملاحدة وضعوا أخباراً منكرة واحتالوا فيها على أهل الحديث الذين استساغوها لسلامة قلوبهم، وكذلك الرواة الذين سمعوا الروايات من النبي ﷺ رووها بعد عشرين سنة بألفاظ تختلف عما سمعوه من النبي ﷺ [٣].

ما مدى علاقة أهل الكلام بالحديث

ولم يكن الرازي وأضرابه من علماء الكلام ممن يتقنون صناعة الحديث [٤]، فكيف يستطيعون التمييز بين المتواتر والآحاد بهذه البساطة والسهولة؟ فقد كان عاكفاً على مقدمات المنطق والفلسفة لا على كتب الحديث ومن أبرزها كتاب الإشارات لابن سينا. واليك الدليل:

فقد ذكر الرازي حديث أن الدجال أعور وأن الله ليس بأعور. ثم قال «إنه من البُعد صدور مثل هذا الكلام عن الرسول ﷺ» وزعم أن رواية «حتى يضع الرب رجله» ضعيفة.[٥]. وهذا جهل وتحامق وتكذيب وقلة أدب مع النبي ﷺ وتطاول على فن الحديث.

---

١) أساس التقديس ٢١٥ تحقيق السقا ط: الكليات الأزهرية ١٩٨٦.

٢) المطالب العالية ٩/٢١٣.

٣) أساس التقديس ٢١٧-٢١٨ وهذا طعن وتهكم بأهل الحديث واتهام لهم بالسذاجة والبلاهة الى درجة تنطلي عليهم حيل الملاحدة. وغفل الرازي أن الله الذي وعد بحفظ وحيه (الكتاب والسنة) حفظ سنة نبيه على يد هؤلاء الذين كانوا أكثر ورعاً ودقة في تلقي الروايات الصحيحة وضبطها وتنقيتها من الضعيف والمكذوب من غيرهم، فهم خير من أهل الكلام الذين لو وُكلت اليهم السنة لعاثوا فيها فساداً كما فعلوا في أصول الدين. فنحن نوافقه على وضع الملاحدة للأحاديث ولا نوافقه على أن المحدثين لم يعرفوها. وقوله « لسلامة قلوبهم» يذكرك بقول أصحابه عن طريقة السلف بأنها « أسلم» وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم. فهم دائماً يرون طريقة السلف وأهل الحديث طريقة البسطاء طيبي القلب!

٤) أنظر قول الحافظ ابن حجر فيه لسان الميزان ٤:٤٢٦-٤٢٩.

٥) أساس التقديس ١٥٩ و١٨٦.

○ وزعم الجويني أن الحشوية تتمسك بحديث « ان الله خلق آدم على صورته» وأن هذا الحديث غير مدون في الصحاح» [1]. مع أن الحديث عند البخاري ومسلم.

وزعم أن حديث النزول ليس بمتواتر باطل. وأنه لو أضرب عن جميع أخبار الآحاد وعدم اعتبارها لكان سائغاً.

وردّ حديث «الايمان بضع وسبعون شعبة» وأنه مؤول لأنه من الآحاد[2].

○ وزعم الغزالي أن أكثر أحاديث التشبيه غير صحيحة، وهذا ما دعا الحافظ ابن حجر الى التصريح بعدم خبرتهما وعنايتهما بكتب الحديث المشهورة فضلا عن غيرها[3] واعترف الغزالي بأن بضاعته في الحديث مزجاة كما في (قانون التأويل ١٦). وقد اعترف الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٥٧٢) بأنه لا يعتمد على الغزالي في الحديث لذكره في كتابه الاحياء جملة من الأحاديث الموضوعة.

○ وأما ابن فورك فهو أبعد الناس عن فن الحديث. قال الحافظ ابن حجر « وبالغ ابن فورك فجزم بأن لفظ (الرجل) غير ثابتة عند أهل النقل، وهو مردود لثبوتها في الصحيحين». وكذلك قال الزبيدي «زعم ابن فورك أن لفظة «حتى يضع الله رجله» غير ثابتة [4].

○ وقال أبو منصور البغدادي « فإن روى الراوي ما يحيله العقل، ولم يحتمل تأويلا صحيحاً فخبره مردود... وإن كان ما رواه الثقة يروع ظاهره في العقول ولكنه يحتمل تأويلا يوافق قضايا العقول، قبلنا روايته وتأولناه على موافقة العقول». وضرب لذلك مثلا بحديث « ان الله يضع قدمه في النار» [5]. فضابط خبر الرواية قبولا ورداً هو العقل.

---

١) الارشاد ١٥٢-١٥٣ للجويني وانظر البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٦١٢ قال ابن حزم "وقد رأيت لابن فورك وغيره من الأشعرية أن الله خلق آدم على صورته إنما هو على صفة الرحمن... وهذا كفر مجرد لا مرية فيه لأنه سوّى بين الله عز وجل وبين آدم في الحياة والعلم" (الفصل ١٦٨/٢) قلت: هربوا من تشبيه الصورة فوقعوا في تشبيه الصفات إذ جعلوا صفات آدم مثل ما لله من الصفات!

٢) أنظر ارشاد ١٦١ و٣٩٩.

٣) أنظر التلخيص الحبير ٢٥٦/١ و١٩/٢و٥٠و٢٧٥ وانظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ١٧٧ ط: مكتبة الجندي تحقيق محمد أبو العلا.

٤) فتح الباري ٥٩٦/٨ اتحاف السادة المتقين ٣٤١/٨.

٥) أصول الدين ٢٣.

وهذا التحريم المخالف لأهل السنة يعتبره الحبشي احتياطاً فيقول « وقد احتاط العلماء في الاحتجاج بالأخبار الواردة في الصفات فاشترط الأشاعرة القطعي الثبوت وهو المتواتر»[(١)].

ومن حقه أن يقول « اشترطت الأشاعرة» ولم يقل اشترط الشافعي اشترط أحمد لأن الأشاعرة لهم شروط لا سلف لهم فيها، وهم يعلمون أن الشافعي كان أبرز من انتصر لخبر الواحد كما في كتابه «الرسالة» الذي تضمن ما يقارب المئة صفحة كلها في تثبيت خبر الواحد وكتابه « اختلاف الحديث » الذي أثبت فيه حجية خبر الواحد.

وقد كذبه الحافظ ابن عبد البر فحكى مذهب أهل السنة أنهم « يدينون بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويوالون ويعادون عليها»[(٢)].

فمن هم العلماء الذين احتاطوا؟ إنهم المعتزلة والجهمية، كان أول المحتاطين منهم معاصراً للامام الشافعي رضي الله عنه، واسمه ابراهيم بن اسماعيل بن عليَّة أحد كبار الجهمية، قال عنه الذهبي «جهمي هالك»[(٣)] ناظره الشافعي وأبطل حجته في إنكار خبر الواحد[(٤)]، ولما بلغه إصرار ابراهيم بن عليّة عليَ إنكار خبر الواحد قال «إن ابن عليَّة ضالّ، قد جلس بباب الضَّوالِّ يضِلّ الناسَ »[(٥)].

ثم ما الدليل على رد خبر الواحد في العقائد من الكتاب أو السنة أو كلام سلف الأمة؟

قد يقولون لك: قال الأسنوي. قال الآمدي. قال السرخسي.

أما أن يقولوا قال الله قال رسوله قال الشافعي قال أحمد قال مالك: فلا ولن يستطيعوا أن يحتجوا بواحد من هؤلاء، لأنهم لم يشترطوا هذا الشرط، بل قبول خبر الواحد الثقة العدل المتصل السند هو الثابت عنهم.

---

١) الدليل القويم ٤٨ وانظر التوحيد للماتريدي ٨ والتحرير ٣٣٤.

٢) التمهيد ١/٨.

٣) ميزان الاعتدال ١/٢٠.

٤) أنظر مناقب الشافعي للبيهقي تحقيق أحمد صقر ١/٢١١ و٢/٢١٠ تبيين كذب المفتري ٣٤٠-٣٤١.

٥) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٤ ومناقب الشافعي للبيهقي.

لقد اشتد نكير علماء هذه الأمة - على رأسهم الشافعي - على من أنكر خبر الواحد، وأكد الشافعي أن أهل السنة قد تلقوا خبر الواحد العدل بالقبول [1]. ولم يقل أحد من الأئمة لا الشافعي ولا أبو حنيفة ولا أحمد ولا مالك أن خبر الواحد يُقبل في الأحكام ويُردُّ في العقائد مع أن الشافعي أول وأبرز واضعي علم الأصول.

ونجد عند البخاري كتابا كاملا في صحيحه اسمه (**كتاب أخبار الآحاد**) يثبت فيه حجية خبر الواحد قد وقف الحافظ ابن حجر في الفتح في هذا الباب موقف الشافعي نفسه [2].

---

١) الرسالة للشافعي ٤٥٣ و ٤٥٧ تحقيق شاكر.

٢) فتح الباري ٢:٦و٦٨و ١٣:٣٥٥.

رد خبر الواحد في العقائد
بدعة اعتزالية اقتبسها الأشاعرة

○ وبهذا يتبين أنه لم يكن العلماء « المحتاطون» إلا ثلة من نفاة الصفات الذين تذرعوا بالاحتياط المزعوم ليتوصلوا به الى نفي الصفات التي وصف بها النبي ﷺ ربه. فقد ذكر الحافظ ابن حجر أن المعتزلة أنكروا صحة الأحاديث الواردة في الصفات كالنزول وغيره[1].

وإننا لا نزال نجد أصل الاعتزال ممزوجاً في ثنايا الفكر الأشعري الماتريدي. وأبرز هؤلاء المحتاطين الشيعة كما قال الجويني « وذهب طوائف من الروافض الى أن خبر الواحد لا يناط به وجوب العمل» [2].

○ ولما كتب المعتزلة في أصول الفقه وانتشر إنكار خبر الواحد في كتبهم كقول أبي الحسين البصري المعتزلي «إن أخبار الآحاد لا يجوز قبولها في توحيد الله وعدله» [3]: وافقهم عليه الأشعرية مع تعديل متناقض حيث حرّموا الأخذ بخبر الواحد في العقائد وأحلّوه في الأحكام ومسائل الحلال والحرام.

- وهم فيما بينهم يتناقضون **فالجهمية والمعتزلة** نفوا حجية أخبار الآحاد مطلقاً، ولا اعتبار لها عندهم لا في العقائد ولا في الأحكام.

○ وجاء **الأشاعرة والماتريدية**. فحرَّموا الأخذ بخبر الواحد في العقائد وأجازوه في الأحكام. والماتريدية أجازوا قسم المشهور من خبر الواحد في العقائد فقط [4] وهذا غير مقبول منهم حتى يجيزوا خبر الواحد الثقة المستوفي لشروط الصحة حسبما نادى به الشافعي وأئمة أهل السنة [5] وليس بحسب أهواء أهل الكلام الذين تارة يحرمونه مطلقاً وتارة يحلونه وتارة يفضّلون الإجماع عليه ويجعلونه أقوى منه كما هو حال الحبشي [6].

---

١) فتح الباري ٣/ ٣٠.

٢) البرهان ١/ ٣٨٨.

٣) المعتمد ٢/ ٥٧٨ تحقيق محمد حميد الله.

٤) إظهار العقيدة السنية ٢٢٢.

٥) إظهار العقيدة السنية٢٢٢.

٦) النهج السوي في الرد على سيد قطب وتابعِه فيصل المولوي ٤٩.



صفات منكري خبر الواحد

وليس من طعن في خبر الواحد من أتقياء هذه الأمة. إذ لو كان عندهم ورعٌ وحيطة لتورعوا عن التوسع في التأويل الذي اعترفوا جميعهم أنه يُحتمل أن يكون مراداً لله ولا يمكن القطع به، ولوافقوا سلف الأمة وأئمتها في حجية خبر الواحد.

فإنه لم يعهد عن سلف الأمة ومحدثيها أنهم نهوا عن حديث صحيح بحجة أنه ظني وإن كان صحيحاً ولا عهدناهم أنهم قسموا الأحاديث الى صحيحة ظنية وصحيحة قطعية. وإن كان الصحيح على مراتب بعضه أقوى من بعض.

– وإنما اتفقت الفِرَق الضالة على الطعن فيه كالفلاسفة والجهمية والمعتزلة التي وجدت أن أكثر أحاديث الصفات من الآحاد فأرادت أن تُوجِدَ لنفسها مبرراً تردُّ به هذه الأحاديث. فابتدعت القول بأن أحاديث الآحاد مردودة ولا يستدل بها على الإطلاق.

قال عبد القاهر البغدادي « وكان الخياطي منكر الحجة في أخبار الآحاد، وما أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد»(١).

وقد سلك الأشاعرة ما سلكه الخياطي والمعتزلة قبلهم.

– فالأشاعرة والمعتزلة ليسوا من المتميزين بالاشتغال بطلب الحديث وحفظه والبراعة في حفظ الرجال ونقدهم، بل هم شلة من المتكلمين الذين هم بمعزل عن هذا الفن. وإنما كان موقف المشتغلين بفن الحديث كأحمد والشافعي وغيرهم: إثبات خبر الواحد وتضليل من طعن فيه.

– ولهذا يعجب المتأمل في حال هؤلاء الطاعنين في خبر الواحد ومصنفاتهم حين يراهم يعتمدون كثيراً من الروايات الواهية والضعيفة ولا يحققون درجتها، فلم يفوا بما التزموه وألزموا الناس به.

○ ثم إن قولهم « حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة» هو في ذاته عقيدة، فإنهم اشترطوا أن تكون العقيدة مبنية على النص القاطع الصريح وأنه لا مجال للرأي في العقائد: فأين الدليل الصريح المتواتر من كلام الله أو رسوله أو السلف على هذه العقيدة؟

---

١) الفرق بين الفرق ١٦٥.

هل هذا الا تشريع بما لم يأذن به الله، وافتراء على الله بتحريم ما لم يحرمه على عباده؟ قال تعالى ﴿**أم شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**﴾[الشورى٢١] وقال ﴿**ولا تقولوا لِما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب. إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**﴾ [النحل١١٦].

○ أن أي مسألة في الأحكام لا بد أن يصحبها اعتقاد بتحريمها أو تحليلها، فمثلا إن من حرّم على نفسه نكاح المرأة على عمتها أو خالتها فإنه يحرّم ذلك اعتقاداً منه أن الله قد حرّم عليه ذلك.

○ أنهم جعلوا خبر الواحد مظنوناً وقالوا « لا يجوز الحجية الظنية في المسألة القطعية. مع تجويزهم أن يكون في نفس الأمر كذباً أو خطأ، ثم يوجبون العمل به في نفس الوقت مع ما يخالج نفوسهم من احتمال كونه باطلا. ولا شك أن هذا التوقف يدفع الثقة بأصول الدين وفروعه. ويفتح باباً للطعن في مصادر هذه الأمة. فيتسلط الأعداء على المسلمين بتمكين من المسلمين أنفسهم من حيث لا يشعرون، ويتهمونهم بإيجاب العمل بالخرص والظن. كأن يقولوا لهم: كيف تأمرون بما نهى الله عنه وهو الظن والخرص؟! وكيف يكون خبر الواحد تارة حراماً وتارة واجباً !!!

○ أن الله تعالى قال ﴿**إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون**﴾ والسنة من الذكر الذي تكفل الله بحفظه. ويخطىء من يظن أن الله قد تكفل بحفظ القرآن دون السنة، فإن الله قيد للسنة من يحفظونها ويصونونها من الدس والكذب وهذا من الاعجاز الالهي الذي يغيب عن أذهان المتكلمين ممن احتجوا بأن الواحد يجوز عليه السهو والنسيان.

فإن الاعجاز الالهي يقتضي أن يكشف الله هذا السهو والنسيان، فإن الأمة معصومة من تضييع النص الذي أُمِرَتْ باتباعه.

ثم إن السهو والنسيان جائز على الأنبياء وعلى نبينا ﷺ كما هو ثابت، فهل يقبل عاقل أن يرد خبر واحدهم بمثل هذه الحجة؟!

○ أن غالب أحاديث الصحيحين من نوع خبر الواحد، ومعلوم أن الأمة قد تلقت هذين الكتابين بالقبول والتسليم. وهي لا تجتمع على ضلالة. فإجماعها حجة على من زعم رد خبر الآحاد.

وقد أدى موقف هؤلاء الى الطعن في أكثر أحاديث الشيخين اللذيْن اتفقت الأمة على صحتها وتلقتها بالقبول. وأثاروا الشك في أوثق مصدرَيْن لهذه الأمة بعد كتاب الله. ولم يستفيدوا من هذه الوسوسة إلا التشويش والتهويل على أهل السنة. وفتح ثغرة أمام المستشرقين والطاعنين بالسنة كالقرآنيين، وإلا فقد رأيناهم في مسائل التوسل والاستغاثة بالأموات يحتجون بما هو أدنى من خبر الواحد، رأيناهم يحتجون بالضعيف بل وبالموضوع من الروايات.

○ أن الله أمر بطاعته ورسوله ﷺ ولم يستثن من الطاعة ما ثبتت روايته بطريق الواحد. بل إن أكثر أخبار السنة من أخبار الآحاد. وهذا بذاته حجة تبطل من ادعى التفريق بين العقائد والأحكام في مسألة خبر الواحد.

مسائل عقائدية ثابتة بخبر الواحد

واليكم مسائل في العقيدة وردت الينا بطريق خبر الواحد:

* أفضلية نبوة نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين. ثبتت الأحاديث فيه عن طريق الآحاد[1].
* خصوصيات النبي ﷺ مثل دخول الجنة ورؤية أهلها وما أُعدّ للمتقين فيها. وإسلام قرينه ﷺ من الجن.
* الايمان بأن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.
* القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة.
* الايمان بسؤال منكر ونكير في القبر.
* شفاعة النبي ﷺ العظمى في المحشر.
* شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته.
* الايمان بأن أهل الكبائر لا يُخلّدون في النار.
* الايمان بأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة.
* معجزات النبي ﷺ ما عدا معجزة القرآن.
* نزول عيسى عليه السلام[2].
* كثير مما ورد في صفات الجنة والنار. وتفاصيل أخبار اليوم الآخر.
* حديث أن الحجر الأسود من الجنة ثبت بطريق الآحاد.
* الايمان بعذاب القبر وبضغطة القبر والميزان ذي الكفتين واللسانين والمحشر والنشر يوم القيامة مما ليس في القرآن.
* الايمان بالصراط وبحوض النبي ﷺ وأن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها. ويتناقض أهل الكلام حين يجعلون من العقائد الثابتة بخبر الواحد كالصراط، فها هو الجويني يذكر الصراط والحوض

---

١) كنت قد ذكرت من قبل أن نبوة آدم لم تثبت في القرآن، ولعل الصحيح ثبوتها لقوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ وهذا دليل على تلقي آدم الوحيَ من الله.

٢) وقد ألف الكوثري كتاباً بعنوان (نظرة عابرة) رد فيه على الذين ردوا خبر نزول عيسى بحجة أنه خبر واحد لا تثبت به عقيدة. وأرجو أن لا يكون دفاع الكوثري عن عقيدة النزول بسبب ما تقرر عند الأحناف أن عيسى سوف يحكم حين ينزل بمقتضى مذهب أبي حنيفة كما قال الحفصكي في (الدر المختار شرح تنوير الأبصار ١:٥٥).

والميزان من جملة ما يجب الايمان به معتمداً في ذلك على خبر الواحد، واحتج بسحر لبيد بن أعصم للنبي ﷺ[1].

* دخول سبعين ألفاً من أمته ﷺ بغير حساب.

* الايمان بالقضاء والقدر خيره وشره وأن الله كتب على كل انسان سعادته وشقاوته ورزقه وأجله.

* الايمان بالقلم وأن الله كتب فيه كل شيء.

* الايمان بأن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغون النبي سلام أمته.

---

١) الارشاد ٣٧٩ و٣٢٣.

فكرة التفريق بين العقائد والأحكام

وظن الأشاعرة أنهم توسطوا حين ردوا خبر الواحد في العقائد وقبلوه في الأحكام. فوقعوا في تناقضات عديدة منها:

○ أنهم أتوْا بتفريق لم يسبقهم إليه أحد من السلف ولا يخلو من اعتراض. إذ أن الأئمة الذين شدّدوا على وجوب الأخذ بخبر الواحد الثقة كالشافعي وأحمد ومالك وغيرهم: لم يفرقوا في قبوله بين العقيدة والأحكام.

ثم إن كان إفادة الخبر الواحد للعلم مما اختلف أهل العلم فيه فإنهم لم يختلفوا في وجوب الأخذ به والعمل به.

○ أن الله تعالى قال ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب: هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الكذب**﴾. فان لم يكن عندكم دليل على تحريم الأخذ بخبر الواحد في العقائد وتحليله في الأحكام فقد وصفت ألسنتكم الكذب فزعمتم أن هذا حلال وهذا حرام، وافتريتم على الله الكذب. وأخبار الآحاد هذه يجوز أن تكون أحكاماً تحلل بها الدماء والفروج أو تحرم، فهل يجوز اعتماد الظن في مثل هذه الأمور؟

روى البيهقي عن اسحاق بن راهويه قال « دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب، تقول ان الله ينزل كل ليلة؟ فقلت: أيها الأمير: إن الله تعالى بعث الينا نبياً نقل الينا عنه أخباراً، بها نحلل الدماء وبها نحرم، وبها نحلل الفروج وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك» فأمسك الأمير[1].

○ أن الظن مذمومٌ بعمومه[2].

١) فقد وصف الله الظن بأنه ﴿**لا يُغني من الحق شيئاً**﴾[يونس٣٦] فجعلوه مُغنياً من الحق في الأحكام غير مغنٍ من الحق في العقائد؟

٢) ووصفه بأنه وهمٌ وخَرَصٌ كما قال تعالى ﴿**إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون**﴾[الأنعام ١٤٨] وهذا الوهم والخرص لا

---

١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٥٦٨.

٢) وهؤلاء أجازوه في قسم من الشريعة وحرموه في جانب آخر.

منزلة له في الدين لا في العقائد ولا في الأحكام.

○ أن المشركين اتبعوا الظن في العقائد والأحكام. فقالوا في العقائد ﴿لو شاء اللهُ ما أشركنا﴾ وفي الأحكام ﴿ولا حرمنا﴾ فأجابهم الله ﴿إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ فالظن لا يُعمَل به لا في العقائد ولا في الأحكام. بالدليل من هذه الآية.

○ أنه قد يقول قائل لمن يجيز الظن في الأحكام: أنا أرفض الأخذ بالظن في العقائد والأحكام لا في العقائد فقط لأن خبر الواحد يفيد الظن. فكيف تقيمون عليّ الحجة؟ بل الحجة عندي قائمة ضدكم لأن الظن مذموم ممنوع مطلقاً، فليكن ممنوعاً في سائر الدين لا بعضه.

- ولهذا كان المعتزلة أقرب الى المنطق من الأشاعرة، فإنهم لما اعتبروا خبر الواحد ظنياً: ردّوه مطلقاً لأن الظن مذموم مطلقاً. وإنما تناقض من جمع بين تحريم الظن ووجوب الظن.

○ أن النبي ﷺ كان يرسل الآحاد من الصحابة الى البلاد ليدعوا الى الاسلام ويبلغوا هذا الدين، وأول ما يبلغون مسائل الاعتقاد، قبل أحكام الوضوء والصلاة والحيض والنفاس، كما قال لمعاذ: إنك تأتي قوماً أهل كتاب: فليكن أول ما تدعوهم اليه لا اله الا الله. ولولا أن أخبارهم تفيد العلم وتقوم بها الحجة - عقيدة وأحكاماً - لم يرسلهم ﷺ لأنه لا يحصل حينئذ البلاغ. ولكان من يرفضون الأخذ بالاسلام من آحاد الصحابة معذورين لأن خبر العقائد يتطلب أن يكون المبلغون متواترين.

○ أن الله قال ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ وفي قراءة ﴿فتثبتوا﴾. فلما أمر بالتثبت في خبر الفاسق دل على عدم ضرورة التثبت من العدل الصادق. وإلا لم يكن لتخصيص الفاسق معنى. ثم التثبت في النبأ لا يكون خاصاً في العقائد فقط دون الأحكام.

○ أن منكري خبر الواحد يحتجون بأحاديث كانت مدار احتجاج المعتزلة من قبلهم كخبر ذي اليدين وقصة تثبت عمر من خبر الاستئذان. وقد فاتهم أن هذا الاستدلال يعني موافقة المعتزلة، لأن هذه الأخبار تتعلق بالأحكام وليس في العقائد. وقد احتج المعتزلة بهذه الأخبار في رد خبر الواحد في العقائد والأحكام.

/ ❍ قولهم: إنه يفيد العمل ولا يفيد العلم قول متناقض. فإن العمل بالشيء فرعٌ عن العلم به. وهم لمّا رأوا إطباق السلف والخلف على العمل بها لم يجدوا بدّاً من القول بأنها توجب العمل، مما هو هدمٌ لقواعدهم من الأساس.

ولهذا صرح الجويني بأن خبر الواحد لا يفيد العلم ولا العمل وأن من زعموا أنه يفيد العلم متساهلون « فلو جزمنا بصدقه لأفضى الى العلم ولو جزمنا بكذبه لما أوجب العمل» وهذا خلاف ما قال به في الورقات[1].

❍ أن أهل الحديث أجازوا العمل بالحديث الضعيف في حدود ضيقة. ومنعوه في جوانب أخرى وليس ذلك إلا لعدم صحته. وأما هؤلاء فقد جعلوا حديث الواحد الصحيح شبيهاً به. فمع وصفهم له بأنه « صحيح» إلا أنهم ينزلونه منزلة الحديث الضعيف فصار بذلك صحيحاً مجازاً ضعيفاً حقيقة !

تناقض نفاة خبر الواحد

قال الجويني « ثم افترق نفاة العمل بخبر الواحد فذهب بعضهم الى أن العقل يحيل التعبد بالعمل به، وذهب الأكثرون الى أنه لا يستحيل ورود الشرع به، وهو من تجويزات العقل.

ثم افترق هؤلاء من وجه آخر: فذهب ذاهبون الى أن في الشرع ما يمنع التعلق به، وقال آخرون لم تقم دلالة قاطعة على العمل به، فتعين الوقف»[2].

❍ أن أهل الحديث كأحمد ومالك والشافعي أولى بالحكم على خبر الواحد من أهل الكلام والجدل الذين هم أبعد الناس عن فن الحديث، ورأي أولئك في خبر الواحد هو الأولى بالأخذ وليس رأي أتباع المعتزلة والجهمية. أو أعدائهما ممن يلتزمون منهجهما في الكلام والمنطق.

❍ أن المعتزلة نفوا أحاديث الآحاد بإطلاق. وكان الرد عليهم من الشافعي بإطلاق. من غير أن يأتي بأي تفريق بين الأخذ به في الأحكام

---

١) البرهان ٣٨٨/١ الورقات ١١.

٢) البرهان ٣٨٨/١ فقرة (٥٣٩).

ومنعه في العقائد. فمن أين أتى الأشاعرة بهذا التفريق؟ قد يستشهدون بالكرخي والسرخسي والآمدي والأسنوي بعد أن عمّت البلوى بهذه الفتوى فتلقفها من تلقفها: أما أن يأتوا بالدليل على ذلك من كلام سلف الأمة وأئمتها فلم ولن يأتوا بشيء من ذلك.

○ أنهم لم ينقذوا الأمة من مرض التجهم والفلسفة والاعتزال، وإنما قاموا فقط بتعديل طفيف على انحراف المعتزلة من غير أن يقضوا عليه. وشككوا في غالب أحاديث رسول الله ﷺ.

○ أنهم قد فتَحوا بهذه البدعة ثغرة على الدين نفذ منها المستشرقون وطعنوا في أحاديث النبي ﷺ ونسبوا الإسلاميين إلى التناقض حين جعلوا الصحيح ظنياً. وهؤلاء لا يقدرون على الإجابة على شبهات المستشرقين والقرآنيين، وإنما يقدر عليها من سَلم من أحكام أهل الكلام المتناقضة وأثبت خبر الواحد على طريقة أحمد والشافعي.

○ أن الله أمر بطاعته ورسوله فقال ﴿**وأطيعوا الله ورسوله**﴾ وقال ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ وعلى المسلمين أن يقولوا سمعنا وأطعنا. والسمع والطاعة واجبان في كل ما ثبت عن الله ورسوله ﷺ من غير تفريق بين العقائد والأحكام. فلا يجوز أن يقول: سمعنا في الأحكام دون العقائد فيما ورد الينا بطريق الآحاد.

وإلا فعقوبة رد أمر الله الفتنة ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ قال أحمد: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك. لعله أن يردّ شيئاً مما أمر الله به ورسوله فيصيب قلبه الزيغ فيهلك.

○ والقيد الذي أفاده قول الشافعي « خبر الواحد العدل » يفيد بأنه ليس كل خبر واحد يُقبَل مطلقاً وإنما خبر الواحد الثقة العدل الضابط المتصل السند.

وإلا فالخبر ثلاثة أنواع:

- ما اتصل سنده وثبتت روايته. فهذا حجة ومقبول.
- ما انقطع إسناده وضعفت روايته فهذا مردود.

- ما لا أصل لسنده وعُرف وضعه وكذبه. فهذا تحرم روايته والأخذ به. وأبو بكر بن فورك يكَثر من الاتيان بهذين النوعين الأخيرين من خبر الواحد ويتعسف تأويلها، وقد كان ضعْفُ سندها كاف في ردها من غير ضرورة الى هذا الاعتساف. وقد ينكر ثبوتَ روايةٍ ثابتة في الصحيحين [(1)].

فما صح سنده فهو قطعي الثبوت سواء أكان متواتراً أو آحاداً. وهذا وسط بين من نفوا خبر الواحد. ومن تناقضوا بين نفيه وإثباته من جهة، وبين من أثبتوه كله من غير نظر الى سلامته من العلل القادحة في بعض أسانيده.

قال أبو المظفر السمعاني الشافعي « إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الأئمة الثقات، وأسنده خلفهم عن سلفهم الى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا عامة قول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به: شيء اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار» [(2)].

قارن كلامه بكلام الجويني القائل « إن الحديث وإن رواه الأثبات ونقله الثقات فلم يُجمع أهل الصنعة على صحته، على معنى أنه منقول عن الرسول قطعاً، وإنما انكف أهل التعديل عن التعرض للحديث الذي نقلوه من حيث لم يظهر لهم ما يتضمن مطعناً وقدحاً في النقلة، وهم مع ذلك يجوزون على رواة الخبر أن يزلوا ويغلطوا، ولا يوجبون لهم العصمة» [(3)]. ولا تنس أن الجويني تاب في آخر حياته عن اتباع أهل الصنعة وآثر عليهم عجائز نيسابور.

وخذ مثالا على جرأة المتكلمين وتطاولهم حتى على الصحابة: فقد قال الرازي «إن أجلّ طبقات الرواة قدراً وهم الصحابة. ثم إنا نعلم

---

1) أنظر فتح الباري ٥٩٦/٨.
2) رسالة الانتصار لأهل الحديث اختصرها السيوطي في صون المنطق والكلام ص ١٦٠-١٦٧ وذكر مثله في كتاب القواطع الذي أثنى عليه السبكي في طبقاته ٣٤٣/٥.
3) الشامل للجويني ٥٥٧-٥٥٨.

أن رواياتهم لا تفيد القطع واليقين» (أساس التقديس ٢١٦).

وقال الامام أحمد لما سئل عن أحاديث الرؤية « أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر» [١].

ما هو ضابط المتواتر؟

لقد اختلف « المحتاطون» في ضابط المتواتر.

فذكر الجويني أن الذين يشترطون العدد في تحقيق المتواتر اختلفوا في تعيين أقل العدد الذي يتحقق معه التواتر:

فمنهم من اعتبر الأربعين شرطاً لأنه عدد الجمعة عند بعض الفقهاء.

ومنهم من اعتبر عدة أهل بدر شرطاً هم ثلاثمائة وثلاثة عشر.

ومنهم من ذكر أهل بيعة الرضوان وهم كانوا ألفاً وسبعمائة.

ومنهم من ذكر السبعين لقوله تعالى ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا﴾.

وذهب بعض الفقهاء الى أنه ينبغي أن يبلغوا مبلغاً لا يحويهم عدد ولا يحصيهم بلد» [٢].

وذهب الباقلاني الى أقل من ذلك بكثير فحدده بأربع [٣].

فان لم يستقم لنا عدد محدد مجمع عليه رجعنا الى الظن الذي هربنا منه.

ولهذا رد الجويني هذه التحديدات ونص على أنه لا اعتبار لشيء منها ثم انتهى الى أنه « لا يتوقف حصول العلم بصدق المخبرين على حد محدود وعدد معدود، ولكن اذا ثبتت قرائن الصدق ثبت العلم به» [٤].

واعترف الغزالي بوقوع الخلاف بين الأشاعرة حول أقل العدد الذي يحصل به التواتر [٥].

---

١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣/٥٠٧ رقم الرواية ٨٨٩.

٢) البرهان في أصول الفقه للجويني ١/٣٧٠ (فقرة ٤٩٥).

٣) التمهيد ٤٣٩.

٤) البرهان في أصول الفقه ١/٣٧٤-٣٧٥ فقرة: ٥٠٤ و٥٠٥.

٥) المنخول من تعليقات الأصول ص ٢٣٩.

خبر الواحد مظنون عند الأشعرية ولو أجمعت عليه الأمة!

وبالغ الجويني حتى زعم أنه لا يُحكَم بصدقه وإن تلقته الأمة بالقبول قولا وقطعاً. ووافق القاضي بأن إجماع الأمة على قبول خبر الواحد لا يوجب العمل به ولا يحكم بصدقه[1].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أربعة أنواع للخبر المحتف بقرائن الصحة، وأهمها آخرها:

(الرابع) « وهذا التلقي وحده أقوى في إفادته العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر».

وقال الحافظ «.. منها ما أخرجاه في الصحيحين مما لم يبلغ حد المتواتر، فإنه احتفت به قرائن منها: جلالتهما في هذا الشأن وتقدمهما في تميز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول»[2].

وذهب الى ذلك الكوثري واحتج في ذلك بما قاله أبو المظفر السمعاني في القواطع [3] أن خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول يُقطع بصدقه، ونقل عن السخاوي في فتح المغيث أن هذا القول جماعة من أهل العلم أن ما اتفق عليه البخاري ومسلم يفيد العلم لاحتفافه بالقرائن [4].

ونقل أبو اسحاق اسماعيل بن محمد الاسفراييني الملقب بركن الدين إجماع أهل الحديث على قبول الصحيحين فقال « أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بها عن صاحب الشرع» [5]. وكذا قال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي وابن الصلاح».

ومنهم الامام عمر بن رسلان البلقيني. والدكتور خليل ملا خاطر[6].

---

١) البرهان ٣٧٩/١١ فقرة ٥٢٠.

٢) نزهة النظر وشرحها ٢٦ ط: مكتبة طيبة ٢٦.

٣) أثنى السبكي على كتاب القواطع للسمعاني ٣٤٣/٥ محققة.

٤) نظرة عابرة ١٠٩ وانظر قوله هذا في مقالات الكوثري ١٣٥-١٣٦.

٥) النكت على ابن الصلاح ٣٧٧/١ نزهة النظر ٢٧ شروط الأئمة الستة ٢١.

ومنهم أبو بكر السرخسي كما في فيض الباري (المقدمة ١/٤٥) والسخاوي[١] والسيوطي القائل « وهو الذي أختاره ولا أعتقد سواه» [٢].

ومنهم العلامة محمد السندي الحنفي ومنهم شاه ولي الله الدهلوي الحنفي القائل « أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران الى مصنفيهما، وأنه كل من يهوّن من أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين» [٣].

وقال محمد أنور الكشميري الديوبندي « خبر الصحيحين يفيد القطع... فإن قيل: إن فيهما آحاداً؟ قلت: لا ضير، فإن هذا باعتبار الأصل، وذاك بعد احتفاف القرائن واعتضاد الطرق، فلا يحصل القطع الا لأصحاب الفن الذين يسر لهم الله سبحانه التمييز.. ورزقهم علماً من أحوال الرواة، والجرح والتعديل، فإنهم اذا مروا على حديث وتتبعوا طرقه، وفتشوا رجاله وعلموا حال إسناده - يحصل لهم القطع، وإن لم يحصل لمن لم يكن له بصر ولا بصيرة» [٤].

وقال أبو بكر الجصاص إمام الحنفية في وقته « ما تلقاه الناس بالقبول من أخبار آحاد فهو عندنا في معنى المتواتر» [٥].

وقال أبو اسحاق الشيرازي (إمام الشافعية) « خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول، فيقطع بصدقه سواء عمل الكل به أو عمل البعض وتأوله البعض: فهذه الأخبار توجب العمل ويقع العلم بها استدلالا» [٦].

قال الكوثري « فخبر الآحاد الذي تلقته الأمة بالقبول: يُقطَع بصدقه».

---

٦) مكانة الصحيحين ١٣٥-١٣٩.

١) فتح المغيث ١/٥١.

٢) تدريب الراوي.

٣) حجة الله البالغة ١/١٣٤.

٤) مقدمة فيض الباري ١/٤٥.

٥) أحكام القرآن ١/٣٨٦ ط: دار الكتاب العربي.

٦) اللمع ٢١٠ وشرح اللمع ٢/٥٧٩.

تطابق التأويلات بين المعتزلة والأشاعرة

أول التطابق قبول منهج علم الكلام المذموم

تطابق تأويل الاستواء بالاستيلاء وغيره

هل كان البخاري مؤولا

تطابقهم في جعل إعمال العقل أول الواجب على كل مسلم

تطابقهم في القول بالجوهر الفرد

تحدث ابن تيمية عن هذا التطابق

التوافق الأشعري الباطني في تأويل الصفات

قواعد كلامية مشتركة بين الأشاعرة والشيعة

الصفات الذاتية والفعلية

الرازي يلزم الأشاعرة بالقول بقيام الحدث في الله

العدم نهاية التنزيه

توحيد التاويلات بين الاشاعرة والمعتزلة

((مشبهة)) بالمعتزلة

من المتفق عليه بيننا وبين الأشاعرة والماتريدية أن فرقة المعتزلة [١] فرقة ضالة منحرفة معطلة لأسماء الله وصفاته، غير أن تفاصيل عقائد هذه الفرقة صار مجهولا لدى كثيرين بسبب حملات الأشاعرة ضدهم والتي أدت الى انقراض كثير من كتبهم ومن هنا خفي على كثيرين من الأشاعرة المتأخرين أن كثيراً من التأويلات التي يسمونها اليوم بتأويلات أهل السنة هي عينها تأويلات المعتزلة.

وقد ظن البعض أن المعتزلة لم يكونوا يؤولون الصفات وإنما ينكرونها، والصحيح أنهم كانوا يقولون ما يقوله كثيرون اليوم: نؤمن بهذه الصفات لكننا نعتقد أن ظاهرها غير مراد [٢] ثم يأتون لها بمعانٍ فاسدة.

ونحن لا نزعم أن أي موافقة مع المعتزلة تكون باطلا، وإنما على الأقل تلك التأويلات التي نسبها إمام الأشاعرة أبو الحسن الى المعتزلة وردّ بسببها عليهم والتي تتطابق مع تأويلات المنتسبين اليه اليوم.

ولهذا كانت تأويلات الأشاعرة المتفقة مع تأويلات المعتزلة غير متفقة مع سلف الأمة وأئمتها كاتفاقهم على نفي أن يكون الله في السماء بينما قال مالك «الله في السماء وعلمه في كل مكان».

ولذلك فعندما أوردُ مسألةً متفقاً عليها بين الاشعرية والمعتزلة فاني أبدأها بنص من الأشعري عن مخالفة المعتزلة فيها لأهل السنة حتى لا يقول قائل كالحبشي أن هذه المسائل مما وافقت المعتزلةُ فيه أهلَ السنة.

١ - تطابقهم في منهج علم الكلام

ليس التطابق بين الأشاعرة وبين المعتزلة منحصراً في مسألة أو مسألتين، وانما في أصل المنهج الذي كان السبب في نشوء فِرَق الاعتزال والجهمية. فالمعتزلة تبنّت منهج علم الكلام: به هلكت وضلت عن الصراط المستقيم، وعلم الكلام والجدل يحوي مقدمات باطلة تؤول الى نتائج فاسدة. وهذا المنهج أخذه الماتريدية والأشاعرة (خصوم المعتزلة) عن المعتزلة فمن هنا تشابهت تأويلاتهم.

---

١) المعتزلة بالأمس هم الشيعة.

٢) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص ١٩.

فالفرقة التي بقيت فيها مخلفات مذهب الاعتزال وتمسكت بعلم الكلام الذي ضلت به المعتزلة لا تستحق الوصف بأنها «أهل السنة والجماعة».

٢ - تطابقهم في القول بالاستيلاء

قال الأشعري رحمه الله « وقالت المعتزلة ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ يعني استولى [١].

وقال في رسالته الى أهل الثغر « وليس استواء الله استيلاءً كما قال أهل القدر» [٢] وأهل القدر هم المعتزلة.

- وقال أبو منصور البغدادي « زعمتِ المعتزلةُ أن استوى بمعنى استولى» مستدلين بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

قال « وهذا تأويل باطل»، وهو قول ابن حزم [٣].

وقال ابن فورك « إن مخالفينا يقولون إن معنى الاستواء الاستيلاء» [٤].

---

١) مقالات الاسلاميين ١٥٧و٢١١ التبيين لابن عساكر ١٥٠ وانظر رسائل العدل والتوحيد لمجموعة من المعتزلة ٢١٦/١ وشرح الأصول الخمسة ٢٢٦ ومتشابه القرآن ٧٢ للقاضي عبد الجبار.

٢) ص ٢٣٣-٢٣٤.

٣) أصول الدين ١١٢ الفِصَل ١٢٣/٢.

٤) مجرد مقالات ابي الحسن الاشعري ٣٢٥.

وهذا يبطل زعم الحبشي أن المعتزلة وافقت في تأويلها هذا أهلَ السنة. فقد قال الحافظ ابن عساكر في تبيينه أن المعتزلة قالت استوى أي استولى وأن المشبهة قالت استوى بذاته بحركة وانتقال. ثم قال « **فسلك أبو الحسن طريقاً وسطاً بينهما** »[1]، وإنما ذكرت ذلك لتبيين كذب المفتري فيما نسبه الى أبي الحسن الأشعري من موافقة المعتزلة في تأويل الاستواء بالاستيلاء!

ولقد عمد أحد الأحباش الى حذف هذه العبارة[2] عند استشهاده بنفس الصفحة من كتاب التبيين (وقالت المعتزلة استوى أي استولى) لأنها:

أولا: تثبت موافقة أشاعرة اليوم لمقالة المعتزلة.

ثانياً: تثبت مخالفة أبي الحسن الأشعري لهم حين قال ابن عساكر (فسلك رضي الله عنه طريقة وسطاً بينهما). أي لم يرتض قول المعتزلة ولا قول المشبهة.

٣ - تطابقهم على تأويل النزول

قال ابو الحسن الاشعري «وقالت المعتزلة: نزول الله معناه نزول آياته أو نزول الملك بأمره »[3] ويوافق الحبشي المعتزلة على قولهم تماماً حيث يحمل النزول على معنى نزول الملك بأمر الله وأن الله يأمر ملكاً فيقول (هل من سائل...) [4] بل نجد هذا التأويل بات مقبولا وسائغا عند عامة الأشعرية والماتريدية لا عند الحبشي فحسب[5].

الأشعري يكذّب الحبشي المعتزلي

- وهذا أولا يا من تزعم أنك متبع للأشعري مخالف لما قاله شيخك أبو الحسن الأشعري فإنه صرح فيما نقله الحافظ ابن عساكر أن الله هو الذي « يقول (هل من سائل هل من مستغفر) خلافاً لما قاله أهل الزيغ والضلالة» [6]. فاعدد: كم من المسائل خالفت بها الأشعريَ ووافقت بها المعتزلة.

---

١) تبيين كذب المفتري ص ١٥٠.
٢) مجلتهم منار الهدى ٤٧/١٠.
٣) مقالات الاسلاميين ٢٩١ وانظر تبيين كذب المفتري لابن عساكر ١٥٠.
٤) الدليل القويم ٤٩.
٥) الدليل القويم ٥٢.
٦) تبيين كذب المفتري ص ١٦١.

- بل هذا هو تأويل بشر المريسي عينه والد المعتزلة ومؤسسهم حيث قال بأن نزول الله عبارة عن نزول أمره أو نزول رحمته [1].

- وقد استدل لذلك بحديث « إن الله عز وجل يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع فيُستجاب له...» فهذه رواية منكرة وردت عند النسائي وفيها ابراهيم بن يعقوب وهو ثقة حافظ إلا أنه منكر بهذا السياق ويغلب على الظن أن الخطأ فيه جاء من حفص بن غياث، فإنه قد تغير حفظه باخرة كما في التقريب. وخالفه غير واحد من الثقات مثل شعبة بن الحجاج ومنصور بن المعتمر وفضيل بن غزوان الكوفي ومعمر بن راشد فرووه بلفظ «إن الله عز وجل يُمهل حتى اذا ذهب ثلث الليل الأول نزل الى السماء الدنيا...» الحديث. وقد تناول الشيخ شعيب الأرناؤوط سند الحديث بتفصيل جيد [2] والألباني [3] وجاء في الرواية الضعيفة أن الله ينزل في الثلث الأول من الليل وهو مناقض للصحيح من الروايات التي أفادت أن النزول إنما يكون في ثلث الليل الأخير. فكيف يلقبون هذا الرجل بسلطان العلماء وهو يحتج بالضعيف من الروايات! وقد قال « وقد اشترط الحافظ ابن حجر أن يكون الحديث الوارد في الصفات متفقاً على ثقة رواته» [4].

٤ - تطابقهم على تأويل صفة اليد

- قال الأشعري « وقالت المعتزلة: يد الله بمعنى نعمة الله».

وقال أبو منصور البغدادي: « وقالت المعتزلة يد الله معناه: قدرة الله قال: وقولهم باطل» [5] وقال « وقال القدرية [6] يد الله أي قدرته» وقولهم باطل، قال «وزعم الجُبَّائي من المعتزلة أن يد الله بمعنى النعمة « وهذا خطأ لأن الله تعالى أخبر أنه خلق آدم بيديه، والنعمة مخلوقة، والله لا يخلق مخلوقاً بمخلوق» [7].

---

١) أنظر رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ٢٠ وشرح الأصول الخمسة ٢٢٩ ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي ١٢١.

٢) أقاويل الثقات للمقدسي ٢٠٥.

٣) إرواء الغليل٢:١٩٨ السلسلة الضعيفة (٣٨٩٧).

٤) الدليل القويم ٤٨.

٥) مقالات الاسلاميين ١٥٧و١٦٧و٢١١و١٩٥و٢١٨و٢٩١ الابانة ٩٥ تبيين كذب المفتري ١٥٠ واصول الدين ١١٠ وانظر شرح الأصول الخمسة ٢٢٨ ومتشابه القرآن ٢٣١ للقاضي عبد الجبار المعتزلي.

٦) والقدرية هم المعتزلة.

٧) أصول الدين ١١٠و١١١.

وذكر الامام الدارمي أن الفعل اذا عُدّيَ بالباء كقول القائل: ضربني فلان بيده وكتب بيده، فإنه يستحيل أن يرادَ باليد هنا النعمة، بل لا بد أن تكون اليد التي بها يضرب وبها يكتب.

وتأويل اليد بالقدرة ليس فقط قول المعتزلة بل هو قول الجهمية. فقد ذكر الترمذي في سننه أن الجهمية قالوا إن معنى اليد القوة [١]. وهذا دليل على موافقة الأشاعرة للجهمية فإنهم يفسرون اليد بالقدرة وانتقدهم البياضي لذلك [٢]. مع أن منهم من يمنع هذا التأويل وربما أتى بتأويل أبعد منه.

- والماتريدية والأشاعرة ذهبوا الى نفْس تأويل المعتزلة كالرازي والايجي والجويني وشُرَّاح الجوهرة [٣]. غير أنهم تناقضوا فيما بينهم: فبعضهم يمنع تأويل صفة اليد والبعض الآخر يؤولها بمعنى النعمة كالماتريدي الذي فسر قوله تعالى ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ أي نعمتان مبسوطتان وهو عين قول القاضي عبد الجبار [٤].

وأولها بعضهم بمعنى القدرة وبعضهم بمعنى المُلْك وبعضهم بمعنى العناية. ويأتي ابن فورك فيجمع بين كل هذه المتناقضات ويرى أنه لا مانع من تأويل اليد على هذه المعاني جميعها [٥] علماً بأن الحافظ ذكر أن ابن فورك كان يرى اليد بمعنى الذات [٦]. وأورد الرازي أقوالا متناقضة وهي النعمة والقدرة وقد يراد بها صلة الكلام كقوله تعالى ﴿**فقدموا بين يدي نجواكم**﴾.

- وأما الحبشي فلم يذكر لها تأويلا ونقل اثباتها عن البيهقي، وأراه تهرُّباً من إتهامه بالاعتزال بمقتضى قول أبي حنيفة « ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن هذا قول أهل الاعتزال» [٧] وكان عليه أن يفعل ذلك في باقي الصفات لا في اليد فقط، فإما أن يؤوّل الكل أو يثبت الكل على الوجه اللائق بالله تعالى كما فعل في صفة اليد[٨].

---

١) سنن الترمذي ٤٢/٣ تعليقاً على حديث رقم (٦٦٢).
٢) اشارات المرام ١٨٩.
٣) أساس التقديس ١٦٢و١٦٦ ومشكل الحديث ٩٨-٩٩ والمواقف ٢٩٨ والارشاد ١٥٥ وجوهرة التوحيد٩٣ الباز الأشهب ٤٤.
٤) تأويلات أهل السنة تفسير الآية ٦٤ من سورة المائدة وانظر متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ٢٣١.
٥) مشكل الحديث وبيانه ٢٣٦ ط عالم الكتب.
٦) فتح الباري ٣٩٤/١٣ مشكل الحديث ٣٢٣.
٧) الفقه الأكبر ٣٣ وانظر أصول الدين للبغدادي ١٠٩-١١٠.

وقد صرح ابن الجوزي بأن تأويل اليد بالقدرة تأويل المعتزلة وهو باطل [١]. وقال أبو منصور البغدادي « وزعم بعض القدرية أن اليد بمعنى القدرة»[٢].

وقال الخطيب البغدادي « ولا نقول ان معنى اليد القدرة» [٣].

- وأما أتباع الحبشي فقد تأولوا صفة اليد بمعنى العناية [٤]. ويقال له كما قيل لغيره: العناية لا تثنى فلا يقال (عنايتاه) وبماذا يفسر كتابة الله التوراة بيده؟!

وقالوا لا يجوز تأويل اليد بالقدرة إذ ما وجه تخصيص آدم باليد مع أن الله خلق الجميع بقدرته؟!

وزعم الكوثري أن تأويل اليد بمعنى القدرة استعمال عربي صحيح، وذهب الجويني الى جواز حمل اليدين على القدرة [٥]. وبه قال القشيري [٦] كما حكاه عنه المرتضى الزبيدي. وكفى بكلام أبي حنيفة حجة عليهما. والكوثري متناقض، فتارة ينتصر للتأويل وتارة ينتصر للتفويض.

فهذه شهادة من أبي حنيفة في حق الكوثري والقشيري أنهما معتزليان.

وقد ذكر عماد حيدر [٧] بأنه لا يجوز تأويل اليد بالقدرة مع أنه نقل تأويلات عديدة لمن أسماهم بأهل النظر منها تأويل اليد بالقدرة، وأقرهم على هذا التأويل [٨]. وجاء البياضي فزعم أن السلف أجمعوا على منع تأويل اليد وتبعهم الأشعري [٩]. وهذا تناقض مذهل.

- قال ابن خزيمة « وزعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله تعالى ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ أي النعمتان، وهذا تبديل لا تأويل»[١٠].

---

٨) الدليل القويم ٤٧.

١) مجالس ابن الجوزي ٧.

٢) أصول الدين ١١١.

٣) سير أعلام النبلاء ٢٨٣/١٨ تذكرة الحفاظ ١١٤٢/٣.

٤) تعليق حيدر على الأسماء والصفات ٢:٤٩.

٥) حاشية الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٠١ وانظر الارشاد ص ١٥٥ للجويني.

٦) اتحاف السادة المتقين ١٠٨/٢.

٧) محقق الأسماء والصفات ص ٢: ٤٩.

٨) تمهيد الأوائل ٢٩٦ تحقيق حيدر.

٩) اشارات المرام للبياضي ١٩١.

فانظر الى تضارب أهل النظر والتأويل، قد صدق فيهم قول الغزالي بأن تأويلات أهل الكلام « تخمينات وظنيات» [(١)]. انتهوا بعدها الى موافقة أقوال الجهمية والمعتزلة.

ووقف أحد الأحباش على المنبر وهو يقول: إن الله لا يحتاج الى يدين ليخلق الأشياء وانما خلق بقدرته، وكتب اللوح المحفوظ بقدرته [(٢)] وهذا التبرير شبيه بكلام المعتزلة، به توصلوا الى التأويل، فما موقفه من شيخه وقد أثبت هذه الصفة لله ؟ ولماذا لا يقول إن الله لا يحتاج الى يد ليكتب التوراة، وإنما كتبها بقدرته! وقد أخبر النبي ﷺ أن الله كتب التوراة بيده. وهل يقتضي تكليف الملائكة بنفخ الروح أو تعذيب القرية أو كتابة الأعمال اثبات حاجته اليهم؟

- إن طرق المسائل الفطرية ليس فيه تنزيه لله فإن المشركين يعلمون أن الله منزه عن الحاجة. وكان المطلوب منكم أن تنزهوه عن شركاء الأضرحة وألا تشجعوا الناس على الاستغاثة والاستعاذة بغيره كما قرر شيخكم، فإن هذا مناقض لألوهية الله من أصلها.

إبطال الجويني وغيره تأويل اليد

على أن الجويني صرَّح بأن التأويل بالقدرة غير سديد لأن الله ذكر خلق آدم بيديه، وهذا فيه تخصيص لآدم عن باقي الخلق، ولو كان ذلك بمعنى القدرة لبطل التخصيص فانه خلق كل الخلق بقدرته [(٣)].

- وذكر البيهقي أن مجيء صفة اليد بصيغة التثنية **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾** يُبطل التأويل بالنعمة والقدرة لأن نعم الله أكثر من أن تحصى [(٤)]. قال أبو منصور البغدادي « أجمع أهل السنة على أن قدرة الله على المقدورات كلها قدرة واحدة»[(٥)].

- ويبطل الاحتجاج بقوله تعالى **﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾** لأن دلالة الآية الأولى أصرح من الثانية.

ثم ماذا نقول في قوله ﷺ « يطوي السماوات بيد، ثم يطوي الأرض بيده الأخرى» هل نقول ان لله نعمة أخرى أو قدرة أخرى غير نعمته وقدرته الأولى؟!

---

١٠) كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/١٩٧.

١) فيصل التفرقة ١٣١.

٢) شريط ٥/٢٨٥ وجه ب و٧/٢٧٤ و٢٨٨ وجه ب.

٣) الارشاد ١٥٦.

٤) الاعتقاد ٨٨.

٥) الفرق بين الفرق ٣٢٢ أصول الدين ٩٣.

ثم ماذا نقول بقوله ﷺ « ان الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم أفاض بهم في كفه» هل هذه الكف كف القدرة أم كف النعمة والثواب[1] ؟!

○ ولقد استدل ابن بطال بهذه الآية على ابطال قول من جعل اليد لله بمعنى النعمة.

○ واستدل ابن التين بقول النبي ﷺ « وبيده الأخرى الميزان» في ابطال هذا التأويل أيضا [2].

○ واستدل الحافظ ابن حجر برواية « يمين الله » في الرد على من جعل اليد لله بمعنى النعمة أو القدرة [3].

○ وصرح الأشعري بأن « أهل السنة والحديث يثبتون لله اليدين والعينين والوجه والاستواء ولا يتأولون ذلك...» إلى أن قال « وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب » [4]. فالأشعري حنبلي المذهب أيها الأشاعرة. واعتبار الأشعري تثنية العين منسوبة الى أهل السنة يتوجه ضد من يشغبون على أهل السنة باسم السنة ممن يخالفون الأشعري ويدعون الانتماء اليه. وممن خالفه البغدادي الذي أول العين برؤية الله للأشياء[5].

○ ونقل الحافظ ابن عساكر عنه هذا القول [6].

○ وقال أبو حنيفة « ولا يقال إن يد الله قدرته أو نعمته لأن هذا ابطال للصفة، ولكن يقال يده صفته بلا كيف» [7].

○ وقول ابي حنيفة (ولا يقال يده قدرته لأن هذا ابطال للصفة) حجة ودليل على أنه لا يصح تأويل الصفات ويقاس عليه غيره، فلا يقال (رجله) أي رجل من جراد، ولا يقال (نزوله) نزول أمره ولا يقال (استوى) أي استولى لأن هذا إبطال للصفة.

---

١) حمله ابن فورك على الملك والقدرة والسلطان (مشكل الحديث ١٠٩و٢٣٦).

٢) فتح الباري ١٣/ ٣٩٣_٣٩٤.

٣) فتح الباري ١٣/ ٣٩٥ ولا شك أن المؤولين اذا عرضت عليهم تأويل ما لم يعتادونه لاستقبحوا ذلك كتأويل قوله تعالى ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ ولا يمكنهم أن يقبلوا أن ابراهيم كان يضرب الأصنام بنعمته أو قدرته من دون يمينه التي هي يده.

٤) مقالات الاسلاميين٢٩١.

٥) أصول الدين ١١٠.

٦) تبيين كذب المفتري ١٥٠.

٧) الدليل القويم ٤٩ وانظرالارشاد ١٦١ مشكل الحديث وبيانه ٤٧٢ الغنية ٧٨ شرح النسفية ٧٠ والباجوري على الجوهرة ٩٣.

وقوله حجة يصح بها وصف مؤولة الصفات بأنهم «نفاة الصفات». فإن التأويل يعود على النص بالإبطال.

○ وهنا يحسن الاستشهاد باعتراف مهم لأبي الفضل أحمد بن الصديق الغماري - أخي عبد الله الغماري - في كتابه (الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد ص ٤٦) عند تفسير قوله تعالى ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة**﴾ قال « أما الأشعرية فأنكرت أن تكون لله يد بالمرة، فهم أظلم منهم، وزعموا أن من قال لله يد وعين وقدم: مشبّه ومجسّم، وحرّفوا معنى قوله تعالى ﴿**بأعيننا**﴾ بالحفظ والقدرة، وهو خلاف الحق ومذهب السلف، فكانوا في ذلك أعلم من الله الذي أثبت ذلك لنفسه على المعنى الذي أراده، لا على معنى الجارحة الذي فهمه الأشعرية وغيرهم من المؤولة، وضلّ من قال « قدرتاه مبسوطتان» فإنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة بلفظ التثنية، بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله تعالى ﴿**أن القوة لله جميعاً**﴾.

○ وقال في الكتاب نفسه (ص ٥٩) في تفسير قوله تعالى ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ قال « استواءً يعلمه الله تعالى ويجب علينا الايمان به وتسليم معناه لله ورسوله، لا **استولى** كما يقول **الاشعرية المبتدعة** تعالى الله عن قولهم وعن مذهبهم علواً كبيراً».

موقفهم من صفة الأصابع

ووجد الأشاعرة في حديث الأصابع معضلة كبيرة وهو الحديث الذي رواه البخاري (٧٤١٤) عن عبد الله بن مسعود أن يهودياً جاء الى النبي ﷺ فقال « يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه [تعجباً وتصديقاً له] ثم قرأ ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾. حتى قال الخطابي[1] « ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودي،

---

١) الخطابي رحمه الله متناقض في موقفه من الصفات فتارة يؤول النص وتارة يتوقف فيه كقوله في قوله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال "هذا الحديث مما تهيب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهره ولم يكشفوا عن باطن معناه" (الاسماء والصفات للبيهقي ٤٣٦) وتراه في غير ذلك يتأول كثيرا من الصفات فقد أثبت الوجه واليدين والعين وفوض في صفتي النزول والاستواء فالتذبذب عنده واضح بين التفويض وبين التأويل.

فإن اليهود مشبهة» ثم أنكر ثبوت أي ذكر للأصابع في القرآن ولا في حديث مقطوع به. وهذا باطل فإنه ليس في المخلوقات يد تمسك السموات ويد تقبض الأرضين السبع ولا اصبع توضع عليها الأرض، واصبع توضع عليها الجبال.

وقال القرطبي في المفهم « وضحك النبي ﷺ إنما هو للتعجب من جهل اليهودي ولهذا قرأ (وما قدروا الله حق قدره) ثم زعم أن زيادة (تصديقاً) ليست بشيء وهي باطلة أو أن الراوي ظن التعجب تصديقاً» [(١)] . انتهى.

وقد تعقب الحافظ قول القرطبي بأنه يرد الأخبار الثابتة لأن زيادة (تصديقاً) ثابتة. ثم رد عليه بأنه يلزم من تأويلاته هذه تقرير النبي ﷺ لليهودي على الباطل وسكوته عن الإنكار وحاشا لله من ذلك.
قلت: كان رسول الله ﷺ يغضب اذا انتهكت محارم الله، وما عهدناه يضحك اذا انتهكت.

ثم قال الحافظ « وقد اشتد إنكار ابن خزيمة [(٢)] على من ادعى ان الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار قائلا: قد أجلّ الله تعالى نبيه ﷺ عن أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاته فيجعل بدل الإنكار والغضب على الواصف: ضحكاً!! بل لا يصف النبي ﷺ بهذا الوصف من يؤمن بنبوته» [(٣)] .
وبهذا يرد على ما ذكره الخطابي أن البخاري أول الضحك بالرحمة. فانه لا يعرف هذا عن البخاري، ولذلك تعقب الحافظ ابن حجر دعوى الخطابي فقال «لم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري»[(٤)] .

---

١) فتح الباري ١٣/٣٩٨.
٢) يصفه الحافظ عادة بأنه إمام الائمة (أنظر فتح الباري ١٣/٤٩٢).
٣) فتح الباري ١٣/٣٩٩.
٤) قارن بين فتح الباري ٦/٤٠ وبين ٨/٦٣٣

ماذا يريد هؤلاء؟

وهذه الاستنكارات والتأويلات التي أورثها المعتزلة للأشاعرة وغيرهم والتي أفرزتها وساوس الشيطان تحمل في طياتها الاشمئزاز والرد لكلام الله ورسوله.

وكيف لا يكون موقف الرسول ﷺ موقف تصديق وقد قال « ان القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء». ومع ذلك لم يستسغ الأشاعرة هذه اللفظة حتى حرفوا معناها فقال ابن فورك «قال بعض أهل العلم: ان الاصبعين هنا بمعنى النعمتين. فان قيل: فما تفصيل ما بين النعمتين اللتين يتصرف القلب بينهما؟ قيل: يحتمل أن يكون بمعنى النفع والرفع ويحتمل أن المراد به القدرة والملك والسلطان على معنى قول القائل: ما فلان الا بين أصبعي»[(١)].

ومن عادة هؤلاء اتهام الصحابة الرواة بالتصرف والوهم كما فعل القرطبي آنفاً وكما فعله الخطابي وابن بطال وابن فورك في حديث « لا شخص أغير من الله». وقال ابن بطال « أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شخص لأن التوقيف لم يرد به». وقد تعقبهم الحافظ جميعاً وأثبت صحة هذا اللفظ وعدم وقوع الوهم به، وأن هذا يقتضي اتهامهم بالقصور في فهمهم، ناقلا عن الكرماني أنه « لا حاجة لتخطئة الرواة.. بل قد يكون المراد بالشخص: أي المرتفع لأن الشخص هو ما ظهر وشخص وارتفع»[(٢)].

وقد ضاق الخطابي صدراً بحديث « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى» حتى قال « ليس في هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورَيْن.. هذا الى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل». ثم زعم الخطابي أن هذه حكاية يرويها أنس من تلقاء نفسه».

وقد تعقب الحافظ أقوال الخطابي بكاملها وأكد أن قول أنس له حكم

---

١) مشكل الحديث وبيانه٢٣٨-٢٣٩ و٢٤٢.

٢) فتح الباري ٤٠١/١٣.

الرفع لأنه لا مجال للرأي فيه. قال « فالتعليل بذلك مردود»[1].

وقال ابن بطال في قوله تعالى ﴿قد أنزل الله اليكم ذكرا﴾ يحتمل أن يكون المراد بالذكر هنا وعظ الرسول اياهم» [2].

وهذه التأويلات تحمل في طياتها الاستدراك على رسول الله والتنزه عما لم يتنزه عنه وسوء الظن بنصوص الكتاب والسنة وتحريفها بجملة من الاحتمالات التي تحمّلها ما لا تحتمل والطعن في ضبط الرواة واتهامهم بالقصور والوهم. كل ذلك استجابة لوساوس استحكمت واسترضاءً لقواعد ارسطية ترجمت. نسأل الله الثبات على الحق.

---

١) فتح الباري ١٣/٤٨٤-٤٨٥.

٢) فتح الباري ١٣/٤٩٧.

إبطال تأويل الوجه

قال الحبشي « وأما الوجه فقد ورد في القرآن اطلاقه على الله بمعنى الذات ويتعين تفسيره بالذات» (١) وقال « اللهم متعنا برؤية وجهك ذاتك الكريم» (٢). وهذا ما قالته المعتزلة كما نقله الأشعري (٣) عن أبيَ الهذيَل العلاف أنه يثبت لله وجهاً هو هو.

ولهذا عارض ابن فورك هذا التأويل بعد أن نسبه للمعتزلة ثم قال « وجه الله صفته ولا يقال هو الذات ولا غيرها» . وناقضه البغدادي معتبراً وجهه ذاته (٤).

أولا : هذا تأويل اعتزالي لا يختلف مع قول القاضي عبد الجبار المعتزلي (٥).

وهو تأويلٌ باطل لقوله تعالى ﴿ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾ قال البيهقي « فأضاف الوجه الى الذات وأضاف النعت الى الوجه فقال ﴿ذو الجلال﴾ ولو كان ذكرُ الوجه صلة ولم يكن صفة للذات لقال «ذي الجلال» فلما قال ﴿ذو الجلَال﴾ عَلمنا أنه نعتٌ للوجه وأن الوجه صفةٌ للذات» وأثبته الباقلاني (٦). وتفسير الوَجه هنا بأنه الرب يلزم عليه إضافة الشيء الى نفسه ويكون فيه تكرار للفظ دون معنى.

ألم تر في قوله تعالى ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام﴾ أن الله خفض ﴿ذي﴾ وخفض الباء في ﴿ربك﴾ قال ابن القيم « إنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، وغاية ما شبه به المعطل وجه الرب أن قال: هو كقوله: وجه الحائط ووجه الثوب ووجه النهار ووجه الأمر... فيقال له: هذا مبطل لقولك، فإن وجه الحائط أحد جانبيه» (٧). بل رد ابن الجوزي على من زعم أن الوجه هو الذات ونسبه الى المعتزلة قائلا « وقول المعتزلة: إنه أراد بالوجه الذات فباطل، لأنه

---

١) الدليل القويم ٨١ وانظر أصول الدين ١١٠.
٢) المولد النبوي ٢٨.
٣) مقالات الإسلاميين ١٦٥.
٤) مشكل الحديث وبيانه ٣٥٨ وقارنه بأصول الدين ١١٠.
٥) متشابه القرآن ٦٣٧-٦٣٨.
٦) الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ص ٨٨ ط: دار الآفاق، التمهيد ٢٥٨ وانظر تفسير الطبري وأقاويل الثقات للمرعي المقدسي ١٤٣.
٧) مختصر الصواعق المرسلة ٣٣٧.

أضافه الى نفسه، والمضاف ليس كالمضاف اليه، لأن الشيء لا يضاف الى نفسه» [١]. وذكر أنه لو كان الوجه هو الذات لجاز لقائل أن يقول: يا وجه الله اغفر لي.

وفي دعائه ﷺ عند دخول المسجد «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم» فتأمل كيف استعاذ ﷺ مرة بالوجه ومرة بالذات. فذكر الوجه من قبيل ذكر البعض وإرادة الكل كما تقول (أعتقت رقبة) أي عبداً. وكذلك نهى النبي ﷺ أن يسأل بوجه الله الا الجنة. ومنها حديث الحجاب ولو كشفه الرب لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى اليه بصره.

○ ولقد تناقض الحبشي، فتارة يفسر وجه الله بذات الله. وتارة بقبلة الله [٢]وتنوع التأويلات واختلافها دليل على أنها من عند غير الله.

○ وأما قوله تعالى **﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾** [البقرة١١٥] فقد ذهب الشافعي الى أن المعنى « فثم الوجه الذي وجّهكم الله اليه» وعن مجاهد « قبلة الله فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن الا اليها» [٣].
ويقال: سافرت الى هذا الوجه أي الى هذه الجهة.

وهنا يتبين لك موافقة ابن تيمية للسلف حيث ذهب الى أن « هذه الآية ليست من الصفات المتنازع عليها أصلا ولا تندرج في عموم قول من يقول: لا تؤول آيات الصفات. فإن المراد بالوجه هنا القبلة، فان الوجه هو الجهة في لغة العرب، يقال: قصدت هذا الوجه وسافرت الى هذا الوجه أي الى هذه الجهة. وهذا كثير مشهور.

فالوجه هو الجهة. وهو الوجهة كما في قوله تعالى **﴿ولكل وجهة هو موليها﴾** أي متوليها. فقوله تعالى **﴿وجهة هو موليها﴾** كقوله **﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾** كلا الآيتين في اللفظ والمعنى متقاربان، وكلاهما في شأن القبلة» [٤]. وإنما هذه الصفة (الوجه) ثابتة بنصوص أخرى غير هذه الآية.

---

١) مجالس ابن الجوزي.
٢) شريط ٧: الوجه الثاني ٢٢٥.
٣) الاسماء والصفات للبيهقي ٣٥/٢ وانظر تفسير القرطبي ٤٠٢/١.
٤) لمزيد من التفصيل أنظر مجموع الفتاوى ١٥/٦-١٧ و٤٢٨/٢-٤٢٩.

صفة النور لله تعالى

قال الحبشي ﴿وأشرقتِ الأرضُ بنور ربها﴾ « لايجوز ان يتوهم ان لله نورا متصلا بذاته ينشر حتى يملأ جوانب العرش بل المعنى ان هناك نورا عظيما خلقه الله» [1] وفسر ﴿الله نور السموات والأرض﴾ أي هادي أهل السموات والأرض. وعمدتهم ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي رواية ضعيفة منقطعة، وقد صح عن ابن عباس عكسها وهو إثبات صفة النور.

ويرد عليه قوله تعالى ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ وقوله ﷺ « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه» ونحن معه في أن نور الله ليس كالضوء الذي نعهده وهذا كمثل قولنا إن له ارادة وحياة ليست كإرادة المخلوقين وحياتهم وإرادتهم. ولكننا نثبت له نوراً يليق بجلاله هو أثبته لنفسه وهو أعلم بما يليق به، ولو كان لا يليق به ما وصف به نفسه. وإثبات النور لله عقيدة أهل السنة كما حكاه الأشعري « وأهل السنة والحديث يؤمنون أن الله نورٌ كما قال ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [2].

وقد أسأتم الظن بربكم حيث فهمتم أن النور حقيقته بأنه سبحانه هذا النور الواقع على الجدران، ولو كان الأمر كما تزعمون لما وجدت الظلمة ولبقي النور وما حجبه شيء، لأن ذهاب النور أفول: ونحن لا نحب الآفلين.

قال ابن تيمية « وقول من قال من السلف أن الله نور بمعنى الهادي لا يمنع أن يكون في نفسه نوراً، فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسَر من الأسماء أو بعض أنواعه، ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى بل قد يكونان متلازمين» [3].

النبي والرفاعي مخلوقان من نور الله

هذا الحبشي يظهر لك بمظهر المدافع عن الشريعة ويتجاهل ما في كتب مشايخه الرفاعية من الكفر الصريح. فقد زعم الصيادي الرفاعي أن الشيخ أحمد الرفاعي قال « قبض العزيز جل جلاله من نور وجهه قبضة

---

١) الدليل القويم ١٩١.

٢) مقالات الاسلاميين ٢١١.

٣) مجموع الفتاوى ٦/٣٩٠.

فخلق منها سيدنا المصطفى محمداً ﷺ فرشحت فخلقني منها»[1]
ويعتقد الرفاعيون أن أهل البيت أجزاء ومخلوقات نورانية، وأن الشيخ منصور [خال الشيخ الرفاعي] كان اذا فتح فمه يخرج منه عمود من نور يخرق السموات السبع[2].

جسد النبي ﷺ نور ليس له ظل

وقد زعم النقشبنديون أن جسد النبي ﷺ نوراني لأن أصل خلقته نورانية ولهذا كان لا يُرى له ظل بالغدو والآصال[3] ويكذب ذلك ما رواه مسلم عن عائشة قالت « فقدت رسول الله ﷺ من الفراش فالتمسته، فوقعت يدي في بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك» وفي رواية « افتقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب الى بعض نسائه، فتحسست ثم رجعت فاذا هو راكع أو ساجد»[4].

اتفاقهم والمعتزلة على تأويل صفة العينين

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « ما من نبي الا حذّر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم عز وجل ليس بأعور»[5]. وفي رواية حسّنها الحافظ « وأشار ﷺ بيده الى عينه»[6].

ومع كون الرواية في مسلم فقد سارع المتكلمون الجهال بالحديث الى الطعن بالرواية فقال الرازي « إنه من البعد صدور مثل هذا الكلام عن الرسول ﷺ الذي اصطفاه الله تعالى لرسالته، وأمره ببيان شريعته»[7].

وقد عقد البيهقي لذلك باباً بعنوان (باب ما جاء في إثبات العين) واحتج لذلك بحديث الدجال المذكور وبتفسير ابن عباس لقوله تعالى ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ أي بعين الله تبارك وتعالى» [8].

---

١) قلادة الجواهر ١٣٣ الفجر المنير ص ٨.
٢) أنظر الكنز المطلسم ٢٦ وقلادة الجواهر ٤٤.
٣) نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان ص ٢٤ محمد أسعد صاحب زاده النقشبندي.
٤) مسلم رقم (٤٨٦ و٤٨٧) في الصلاة باب ما يقول في الركوع والسجود.
٥) فتح الباري ٣٧٣/١٣ و٣٨٩ مسلم رقم ٢٩٣٣.
٦) فتح الباري ٣٧٣/١٣ حديث رقم (٧٣٧٦).
٧) أساس التقديس ١٥٩.
٨) الاسماء والصفات ٤٠/٢-٤١.

وقد احتج البعض بورود هذه الآية بلفظ الجمع ﴿**واصنع الفلك بأعيننا**﴾ وكذلك ﴿**والسماء بنيناها بأيد**﴾ للتشويش على المثبتين: ومن احتج بما ذكره الله عن نفسه بلفظ الجمع على العدد فهو ممن تمسك بالمتشابه وترك المحكم، وشابه احتجاج نصارى نجران بـ ﴿**إنا**﴾ و﴿**نحن**﴾ في القرآن على صحة الثالوث.

فمن المعروف في القرآن استعمال الجمع في موضع التثنية في المضاف اذا كان متصلاً بالمضاف اليه كقوله تعالى ﴿**إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما**﴾ والمعنى قلباكما، غير أن النطق بلفظ الجمع أسهل. وكذلك ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ والمعنى فاقطعوا أيْمانهما إذ لا تقطع الا يد واحدة فقط. ولكن وضع الجمع موضع التثنية لسهولة الخطاب.

قال ابن القيم « ودعوى الجهمي: أن ظاهر الآية ﴿**واصنع الفلك بأعيننا**﴾ إثبات أعين كثيرة كذب ظاهر، فانه إن دل ظاهره على أعين كثيرة دل على خالقين كثيرين، وكذلك قوله ﴿**تجري بأعيننا**﴾ إنما ظاهره بزعمك أعين كثيرة على ذوات متعددة لا على ذات واحدة».

○ فهذه الصفات كاليدين والساق والعينين والصورة لا يجوز أن توهم تشبيهاً بحجة أن العباد يتصفون بها، حكمها في ذلك حكم صفات الكلام والقدرة والحياة التي يتصف بها البشر أيضاً، وأهل الباطل يحرفون النصوص فيزعم ابن فورك أن الضمير في قوله ﷺ «رأيت ربي في أحسن صورة» يحتمل أن الضمير راجع الى النبي ﷺ أي رأيت ربي وأنا في أحسن صورة»[١].

ورحم الله ابن قتيبة حيث قال [٢] « والذي عندي - والله أعلم - أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصبع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد».

---

١) مشكل الحديث وبيانه ٧٠.
٢) اختلاف الحديث ١/٥٤١.

٥- اتفاقهم (والحبشي) على تأويل صفة المجيء

وقد خالف الأشاعرة شيخهم الأشعري إذ قال « ونقول إن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾ [١]، ثم اتفقوا مع المعتزلة على تأويل صفة المجيء لله تعالى فقالوا ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾ يجيء أمر الله كقول المعتزلة [٢].

وقد أتى الرازي بتحريف عظيم فزعم « أن الرب هو المربي، فلعل ملكاً عظيماً هو أعظم الملائكة كان مربّياً للنبي ﷺ وكان هو المراد من قوله وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[٣]. وهذا نموذج لجرأة أهل الكلام على تحريف كتاب الله كل ذلك باسم التنزيه!

❊ الماتريدي يحرّف آية المجيء

وزاد الماتريدية تحريفاً وجحوداً فحرّف أبو منصور الماتريدي الآية مستبدلا الواو في ﴿**والملك**﴾ الى الباء « بالملك» فصار المعنى « وجاء ربك بالملك صفاً صفاً»[٤]. وهم يسمونه إمام أهل السنة! وهذا تحريف شبيه بمن زاد اللام في الاستواء فجعلها (استولى).

وجاء النسفي فنسف الآية بتأويلاته ووافق قول الماتريدي [٥] وقال « **لا يجوز** أن يوصف الله بالمجيء والذهاب» [٦]. وهو قولٌ عظيم فإن الذي وصف الله بالمجيء هو الله نفسه. فكيف يُحكم على ما أجازه الله بأنه غير جائز ؟!

الجواب عن هذه الشبهة

- أن في سياق الآية ما يبطل هذا التأويل فإن مجيء الملك معطوفٌ على مجيء الله، والتفريق بين المجيئين بجعل أحدهما مجازياً والآخر حقيقياً تحكّمٌ محض لا تؤيده اللغة ولا الدينَ. قال ابن عباس في تفسير الآية « فيجيء الله فيهم والأمم جثيّ» وعن الضحاك « ثم

---

١) تبيين كذب المفتري ١٦١ والابانة ٢٥.
٢) أساس التقديس ١٣٦ تفسير النسفي ١/١٠٥و٢/٤٢ متشابه القرآن ٦٨٩ شرح الأصول الخمسة ٢٢٩ و٢٤٧ للقاضي عبد الجبار المعتزلي، رسائل العدل والتوحيد١/٢٢٩
٣) أساس التقديس ١٤٣.
٤) تأويلات أهل السنة ١/٨٣-٨٥ تحقيق عوضين وذكره ابن فورك في مشكل الحديث ص ٢٠٨ عن بعض أهل التفسير.
٥) تفسير النسفي ٤/٣٥٦.
٦) بحر الكلام ٢٣.

ينزل الملك الأعلى» وعن قتادة « وجاء الله يومئذ بجهنم، وقال كذلك « جنبتيه الجنة والنار حين ينزل من عرشه الى كرسيه لحساب خلقه» [١].

○ ولذلك روى الامام أبو عثمان الصابوني[٢] عن محمد بن الحسن الشيباني أنه قال « قال حمّاد بن أبي حنيفة: قلنا للجهمية: أرأيتم قول الله عز وجل ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾ قالوا أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً، وأما الرب فإنّا لا ندري ما عني بذلك ولا ندري كيفية مجيئه.

فقلت لهم: إنّا لم نكلّفكم أن تعلموا كيفية مجيئه ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيتم من أنكر أن الملَكَ يجيء صفاً صفاً ما هو عندكم؟ قالوا كافر مكذب. قلت: فكذلك من أنكر أن الله سبحانه يجيء فهو كافر مكذب» [٣].

وكذلك الأمر بالنسبة للإتيان لفصل القضاء ﴿**هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام**﴾ قال مجاهد « يأتي يوم القيامة لفصل القضاء» [٤]. وحكى الطبري قول أبي العالية « تأتي الملائكة في ظلل من الغمام ويأتي الله عز وجل فيما شاء» [٥].

٦- اتفاقهم على تأويل صفة العين

وأنكرت المعتزلة العين لله تعالى وتأولوا الآيات الواردة في ذلك بأن المراد منها العلم [٦]وتأولها الأشاعرة بالرؤية والعلم [٧]. وهكذا مضى الجويني على تأويل صفة العين ثم انتهى في النظامية الى ترك التأويل والتزام التفويض.

---

١) تفسير الطبري ج ٣٠ ص ١١٨-١٢٠.

٢) قال عنه السبكي « الفقيه المحدث المفسر الخطيب الواعظ الملقب بشيخ الاسلام» ٢٧١/٤ محققة وانظر شذرات الذهب ٢٨٢/٣.

٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ١١٨/١.

٤) الدر المنثور ٣٨٨/٣.

٥) تفسير الطبري ١٩١/٢ الدر المنثور ٢٤١/١.

٦) مقالات الاسلاميين ٢١٧.

٧) الارشاد١٥٥ اصول الدين ١١٠ اساس التقديس١٢١ الاصول الخمسة٢٢٧.

٧- اتفاقهم (والحبشي) على تأويل صفة الساق

- وتأول الحبشي صفة الساق بالكرب والشدة وقال « قد فسر ابن عباس الساق بالكرب والشدة»[١] وهو تأويل المعتزلة[٢].

وأنكر صحة الرواية التي ورد فيها لفظ الساق مقروناً بالضمير المضاف الى الله (ساقه) قائلاً: « واما الساق فلم يرد مضافا الى الله في حديث صحيح والرواية الصحيحة هي الموافقة لما جاء في قوله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ ولا يعول على رواية ساقه بالضمير.

وهذا غلطٌ منه. فكيف لا يُعوَّل على رواية الساق بالضمير وقد رواها البخاري وغيره بأسانيد صحيحة في حديث طويل وفيه « فيأتيهم الجبَّار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء. فيقولون هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون الساق. فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن»[٣].

وللحديث شاهد عند الدارمي في سننه (٢/٢٣٦) « اذا جمع الله العباد بصعيد واحد... فيكشف لهم عن ساقِه فيقعون سُجّداً، وذلك قول الله تعالى ﴿يوم يُكشف عن ساق ويُدعون الى السجود فلا يستطيعون﴾ ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد»[٤].

فإثبات هذه الصفة ليس بأعجب من إثبات اليد لله وقد أثبتها الحبشي على الوجه اللائق به.

وبهذا يردّ على الاسماعيلي الذي أعل رواية البخاري من طريق سعيد بن أبي هلال لورود لفظ (ساقه) مخالفة بذلك نص القرآن (ساق) «ولأن الله ليس بذي أبعاض وجوارح»[٥]. وقد رد الحافظ على ابن حزم الذي وصف سعيد بن أبي هلال بالضعف فقال « وسعيد متفق على الاحتجاج به فلا يلتفت اليه في تضعيفه»[٦]. وقال « ولم أر لابن

---

١) الدليل القويم ٨٢.

٢) رسائل العدل والتوحيد ١/٢١٧.

٣) البخاري (٧٤٣٩).

٤) سنده قوي. قال الألباني « وهذا إسناد جيد رجاله ثقات رجال الصحيح، الا أن ابن اسحاق انما أخرج له مسلم متابعة (السلسلة الصحيحة ٢/١٢٨-١٢٩).

٥) فتح الباري ٨/٦٦٤.

٦) فتح الباري ١٣/٣٥٧ قال الأخ الشمس الأفغاني في كتابه القيم « عداء الماتريدية لأهل السنة» (٢/٤٤٦) « وقد غمز الكوثري يحيى بن عبد الله بن بكير مع أن الجمهور على توثيقه لا سيما في الليث

حزم سلفاً في تضعيفه» [1].

فأما رواية سعيد فقد جاءت موافقة لما صح سنده عن الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وابن عمر وأبي موسى الأشعري وشهد بصحته الحافظ ابن حجر نفسه كما في المطالب العالية (٣٦٧/٤) والهيثمي (مجمع الزوائد ٣٤٣/١٠) والحاكم (٣٧٦/٢) والحافظ المنذري (الترغيب ٣٩٥/٤) .

أن قوله ﷺ « فيكشف عن ساقه» مطابق لقوله تعالى ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ وتنكيره للتفخيم والتعظيم.

وأما ما يُروى عن ابن عباس من تأويل الساق بالكرب والشدة فمروي من طرق ضعيفة تابعها واحدة بواحدة فضيلة الشيخ سليم الهلالي في كتابه العظيم (المنهل الرقراق في تخريج ما روي عن الصحابة والتابعين في تفسير «يوم يكشف عن ساق» وهاك خلاصة ما انتهى اليه بعد تفنيد الروايات المسندة الى ابن عباس على كثرتها:

١ - أن بعضها ضعيف ضعفاً شديداً لا ينجبر مثل طريق اسامة بن زيد عن عكرمة عنه. وطريق العوفيين ومسائل نافع بن الأزرق.

٢ - أن بعضها ذات علة واحدة وهي الانقطاع، واذا كانت كذلك فانها لا تشهد لبعضها. ولا يقوى أمرها. وهي طريق علي بن أبي طلحة عنه، وطريق ابراهيم النخعي عنه، وطريق الضحاك عنه. ونقل قول السيوطي في الاتقان «وهذه التفاسير الطوال التي أسندوها الى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل» [2].

٣ - أن بعضها لا يشهد لبعض لأنها ذات معان مختلفة: ففي بعضها أنه قال «كرب وشدة» وفي آخر أنه قال « يكشف الأمر وتبدو الأعمال» وفي ثالث أنه قال «عن أمر عظيم» وفي آخر أنه قال «يقوم

بن سعد فهو أثبت الناس فيه. وحديث الساق الذي رواه البخاري عن يحيى بن عبد الله بن بكير هو من حديث الليث. وهو لم ينفرد بهذا الحديث عن الليث فقد رواه البخاري عن آدم عن الليث.

وغمز الكوثري « سويد بن سعيد الهروي» في رواية مسلم وهو صدوق في نفسه الا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه، ولم يقل أحد إن مسلماً أخذ عنه في حال عماه، وعلى كل حال فالحديث مروي في صحيح البخاري من غير طريق سويد.

١) تقريب التهذيب ٢٤١٠.

٢) الاتقان ٢٤١/٢ تحت فصل (طبقات المفسرين).

القيامة والساعة لشدتها»[1]. وتعقب الروايات المروية عن غير ابن عباس كمجاهد وقتادة وغيرهما[2].

ثم انتهى الى الجزم بعدم ثبوت الأثر عن ابن عباس، وتعقب الحافظَ ابن حجر رحمه الله في تحسين بعض الروايات بالرغم من اضطرابها فمنها ما يفسر الساق بالكرب والشدة وفيها أسامة بن زيد وهو ضعيف جداً، ومنها ما يفسرها بيوم القيامة. وفي أخرى أنه يكشف عن نور عظيم. وفيها روح بن جناح وقد ضعفه البيهقي[3].

هل يحتج أهل البدع بالسلف «دائما»؟

ونسأل هؤلاء: هل احتجاجكم بقول ابن عباس يعني أنكم تقيدون أنفسكم بالمأثور عن السلف؟ لقد فسرتم الاستواء بالاستيلاء مع أن الثابت عن السلف خلاف هذا التأويل تماما. ما ضربوه لك إلا جدلا؟! وإلا: فإن الذي فسر كشف الساق بكشف الكربة لم يفسر الاستواء بالاستيلاء.

---

1) المنهل الرقراق ٣٠ جزاه الله عن الاسلام خيرا.
2) المنهل الرقراق ٣٧ ط: دار ابن الجوزي.
3) المنهل الرقراق ٣٢-٣٣.

ما يلزم من التفسير بمجرد اللغة

بل هم يحتجون بالأبيات الشعرية ويتهربون من الاحتجاج بقول رسول الله اذا لم يوافق معتقدهم. فيحتجون بما روي عن ابن عباس « اذا خفي عليكم شيء فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر: وقامت الحرب بنا على ساق» [1].

ونسأل: كيف نتخطى تفسير رسول الله ﷺ وهو أحق أن يتبع، ألستم تقولون: أفضل أنواع التفسير: تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسير القرآن بالسنة؟ ما بالكم الآن تجاهلتم ما ثبت من تفسيره كما أثبته البخاري بالسند الصحيح؟ ألأن الحديث لا يتفق مع قواعد علم الكلام التي أغرقتكم في الوسوسة؟ كيف اذا خفي علينا شيء ان نبتغيه في دواوين الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ولا نبتغيه في سنة رسول الله ﷺ أو فهم سلف هذه الأمة؟

ويلزم من قولهم اذا خفي عليكم شيء فابتغوه في اللغة أن نفسر الاستواء بالجلوس لأن اللغة تشهد بذلك. قال تعالى ﴿**وجعل لكم من الفلك ما تركبون لتستوا على ظهوره**﴾.

- أن معنى الآية اذا أوّلت بالشدة يكون يوم يكشف عن شدة ويُدعَون الى السجود، وهذا غير صحيح لأن وقت كشف الساق هو في وقت الشدة وهي لم تذهب بعد، فلا يصح هذا التأويل. وفي كشف الشدة والهول على معنى إذهابها وإزالتها يقال: كشفت الشدة، ولا يقال كشف عنها، كقوله تعالى ﴿**فلما كشفنا عنهم العذاب**﴾ فالعذاب هو المكشوف لا المكشوف عنه، فاذا قيل كشف عنها أصبح المعنى أنها أظهرت وبينت. وعلى هذا الشاهد « اذا شمرت عن ساقها الحرب» أي أعلنت فظهرت مشتدة لا تخفى على أحد.

وفي الحديث « هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون الساق. فيكشف عن ساقه». فلما قالوا « الساق» ثم كشف عن ساقه وحصل السجود أو محاولته تبين أن المقصود بالساق شيء خاص بالله تعالى هو صفة له، وليس إذهابا للشدة لأنها موجودة بعد كشفه. بل إن أشد

---

1) هذه الرواية مروية من طريق عبد الله بن المبارك: أنبأنا أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس. فيها أسامة بن زيد بن اسلم القرشي العدوي أخو عبد الله بن زيد بن أسلم. وهو مضطرب سنداً ومتناً. فتارة يرويه مقطوعاً على عكرمة وأخرى موقوفاً على ابن عباس.

الشدة عند حال السجود خاصة ممن لا يستطيعون. فليس الكرب والشدة هو العلامة. وفي حديث مسلم « ذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق». فكيف يفسر الكشف عن الساق بأنه كشف عن الشدة وقد أخبر أن يوم الكشف هذا تشيب منه الولدان؟ هذا تناقض!

٨- اتفاقهم (والحبشي) على تأويل صفة الرجل

وتأوّل صفة القدم في قوله ﷺ «لاتزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط» معناه « الجماعة الذين يقدمهم الله للنار فتمتلىء بهم» وعارضه تأويل أصحابه كابن فورك قال « يحتمل أن يكون هذا تمثيلا بالأمر الذي يوطأ بالقدم» (مشكل الحديث وبيانه٢٣٤).

وزعم الحبشي أن قوله ﷺ « حتى يضع فيها رجله» بمعنى الجماعة كما يقال: رجلٌ من جراد». قال « وما ورد ان النار لا تمتلىء حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط: فالمراد بالرجل الفوج الذين يملأ الله بهم النار.

وقد تناقض الأشاعرة في ذلك تناقضاً شديداً حتى أورد المرتضى الزبيدي لها ثلاث تأويلات محتملة لا يدري أيها يرجح. فزعم أنه يجوز أن يكون معنى الرجل رجل بعض خلقه. أو أن هناك مخلوقا يخلقه الله يسمى بهذه التسمية، أو أن يكون معناه جماعة من الناس. ثم انتهى ان طائفة من أهل الكلام تفضل السكوت والتفويض [١].

فهل هذه عقيدة أهل السنة إيراد عدة تأويلات متضاربة ما خرجت عن علم وانما عن احتمال وخرص وظن. واعترف الآمدي في أبكار الأفكار ببعد كل هذه التأويلات.

ومنهم من شكك في صحة هذه الألفاظ كابن الجوزي ومنهم من شكك في صحة الرواية أصلا كابن فورك فزعم أن لفظ الرجل غير ثابت عند أهل النقل، وتعقبه الحافظ ابن حجر والزبيدي ورد عليه وعلى ابن الجوزي الذي زعم أن لفظ الرجل محرفة [٢]، بل منهم من ضعف هذه الروايات لجهله بفن الحديث كالرازي في (اساس التقديس ١٨٦).

قال الحبشي « ولا يجوز جعل القدم والرجل من باب الصفات بل الاضافة فيهما اضافة ملك فمن جعل لله قدما ورجلا بمعنى الجزء فقد

---

١) مشكل الحديث ٤٦ الباز الأشهب ٨٤ فتح الباري ٨/٥٩٦ اتحاف السادة ٨/٣٤١.

٢) فتح الباري ٨/٥٩٦ اتحاف السادة ٨/٣٤١.

جعل الله مثل خلقه وذلك كفر، وكذبه قوله تعالى ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾ [1]».

قلت: وهذا التأويل مطابق للمعتزلة، فقد قالوا « والمراد بالساق الشدة» [2]. والآية لا تتعارض مع الحديث فإن الآلهة المزعومين حين يردونها يحترقون فيها. ولا يقول ذلك عاقل في حق رب العزة. نعوذ بالله من وساوس من يعتقدون أن النار المخلوقة تحرق خالقها.

- ولا يجوز أن يكون هذا معنى الحديث بدليل قوله ﷺ «قدمه» وقوله «الجبار» وقوله « رب العزة» وغيرها مما هو قرينة على أن المراد رجل الله وقدمه.

وهنا أحجم الحافظ ابن حجر عن التأويل قائلا « اختلف في المراد « بالقدم» فطريق السلف في هذا أن تُمرَّ كما جاءت ولا يتعرّض لتأويله» [3].

وصدق الحافظ فقد تناقضت تأويلات الأشاعرة فيما بينهم شر تناقض: فزعموا أن المراد بالقدم:

قدم جبار معين من المتجبرين في الأرض ويلهم الله النار طلب المزيد الى حين وضع قدم ذلك الجبار.

أو بمعنى المتقدم من الكفار.

أو معنى القدم: خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدماً[4]. أو أن هذا مجاز عن إسكات النار[5].

ولهذا انتهى الحافظ الى مخالفة كل هؤلاء وأكد أن طريق السلف إمرار هذه الصفات من غير تعرض للتأويل. لا سيما وأن الأحاديث الصحيحة قد وردت بلفظ القدم والرجل والساق بما لا سبيل الى تأويله وكل واحدة من هذه الألفاظ تفسر بالأخرى.

ثم إن هذه الأحاديث رتبها المحدثون كالبخاري ومسلم وغيرهما تحت أبواب العقائد والصفات والمعنى أن هذا ما يجب أن نؤمن به من صفات الله. وإلا فحديث الساق والرجل المذكورين لهما علاقة باليوم الآخر فكان أحرى أن يرتبا ضمن كتاب الزهد والرقائق.

---

١) الدليل القويم٨٣.

٢) شرح الأصول الخمسة ٢٢٩.

٣) فتح الباري ٥٩٦/٨.

٤) وهذا القول ينافي ما علم من حكمة الله وعدله من كونه لا يعذب أحداً بلا ذنب إذ كيف يخلق الله خلقاً لم يعملوا شراً قط فيعذبهم؟

٥) فتح الباري ٥٩٦/٨ مشكل الحديث ٤٥ أصول الدين ٧٦ الإرشاد ١٦٣ الأسماء والصفات للبيهقي ٤٤٤ أو ٨٢/٢.

هل كان البخاري مؤولا؟

وهذا يدحض شبهة الأحباش أن البخاري كان مؤولا للصفات بدليل تأويله قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ قال (ملكه).

والجواب: اعترف الأحباش في مجلتهم (٢٥/٥٢) أن السلف قالوا الله أعلم بالمراد فيها أما الخلف فحددوا لها معاني» وحكى الرازي في أساسه (٢٣٦) أن طريقة السلف وجوب تفويض معاني الصفات ولا يجوز الخوض في تفسيرها. وصرح الحافظ أن « السلف لم يخوضوا في التأويل» (الفتح ١٣/٣٥٠) وقال الطحاوي « التأويل المعتبر: ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه جماعة المسلمين» فهو يحكي الإجماع.

وذكر البيهقي صفات الفوقية والنزول والاتيان، ثم روى بسنده عن الوليد بن مسلم قال: سئل الأوزاعي ومالك والثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا « أمرّوها كما جاءت » (الأسماء والصفات ٤٥٣).

وذهب البيهقي الى أن التأويل « غير واجب فحينئذ التفويض أسلم» (فتح الباري ٣/٣٠) وحكى قول ابن فورك أن المتقدمين منهم (الأشاعرة) لم يفسروا هذه [أي الصفات] ولم يشتغلوا بتأويلها» (الاسماء والصفات ٤٢٣ محققة ٢/٧٠).

وقال ابن الجوزي ﴿ثم استوى على العرش﴾ أن « إجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية» (زاد المسير ٣/٢١٣ و١/٢٢٥). قال الحافظ فطريق السلف في هذا أن تُمرَّ كما جاءت ولا يتعرّض لتأويله» (فتح الباري ٨/٥٩٦).

وساق السبكي عن أحمد قوله « لا يُوصَف اللهُ تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ: لا نتجاوز القرآن والحديث» (طبقات السبكي ٩/٣٩ محققة). قال الحافظ ابن رجب « ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك ألبتة خصوصاً الإمام أحمد» (فضل علم السلف ١٣٩-١٤٠).

وساق الزبيدي اعتراف القشيري أن من السلف « الشافعي ومالك وأحمد والمحاسبي والقلانسي اختاروا عدم التأويل للمتشابهات» وأن أحمد سد باب التأويل على الاطلاق. ونقل عن والد الجويني أن طريقة كثير من السلف كابن عباس وعامة الصحابة الإعراض عن الخوض في التأويل (اتحاف السادة٢/ ١١٠ و١٢و٧٩).

ولم يعهد عن البخاري مخالفته لطريق السلف المخالف للتأويل باعتراف الأحباش.

بل كان التأويل سبيل الاعتزال، قال الشيخ محمد بن درويش الحوت « التأويل مذهب المعتزلة (رسائل في عقائد أهل السنة ٣١).

ولو كان التأويل منهج البخاري لرأينا منه تأويل أحاديث الصفات الأخرى، فإن الحاجة الى تأويلها أعظم من تأويل الوجه بالملك. فقد نص في كتابه (خلق أفعال العباد ٩٨) أن صوت الله لا يشبه صوت المخلوقين» وأثبت المجيء والاستواء والنزول والضحك واليد ولم يؤول شيئا منها؟

ومن رزقه الله إنصافا يلاحظ انعدام التأويل عند السلف فلم يثبت عن الشافعي ولا البخاري ولا مالك تأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة.

فإن هذه الأدلة تؤكد إجماع السلف على عدم التأويل.

فكيف يقال إن البخاري اعتمد التأويل في صفات الله؟

ولقد ساق الذهبي عقيدة البخاري كما في العلو (١٣٧) واعتمد على كتابه هذا المتضمن إثبات عقيدة السلف والرد على الجهمية.

لقد كان مراد البخاري من إدراج أحاديث الصفات في جامعه الصحيح ضمن كتاب أسماه (كتاب التوحيد والاعتصام بالسنة) التنبيه على ضرورة الايمان بصفات الله التي وردت فيها وفي كتاب التوحيد ليُدلل على أن إثباتها من التوحيد، يؤكد ذلك منهجُه في كتابه « خلقُ أفعال العباد» حيث أثبت هذه الصفات التي يفرُّ منها المتكلمون الجهمية وشدد على اقترانها بـ ﴿ليس كمثله شيء﴾.

قال الحافظ « غرض البخاري في هذا الباب إثبات ما ذهب اليه أن الله يتكلم متى شاء» (فتح الباري ١٣/٤٩٦). فاعتقاد البخاري مماثل لعقيدة أحمد التي خالفها الأشاعرة كما حكاه الحافظ عن أحمد أنه يثبت أن الله يتكلم بصوت، في حين أن الأشاعرة قالوا: إن كلام الله ليس بصوت (فتح الباري ١٣/٤٦٠).

وفي الاستواء روى البخاري تفسير السلف قوله تعالى ﴿استوى على العرش﴾ قال مجاهد: أي علا على العرش. وقال أبو العالية استوى أي ارتفع.

فالآية ﴿إلا وجهه﴾ ليست من آيات الصفات التي تثبت بها صفة الوجه لله تعالى، وإنما يثبت صفة الوجه بنصوص أخرى ذكرها البخاري من غير أن يتعرض لها بتأويل، فقد روى قوله ﷺ « أعوذ بوجهك» وقوله « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله» « ولا عتاقة الا لوجه الله» وهي لا يمكن تأويلها بالملك، لكنه لم يؤول شيئاً منها، مما يدل على أن الآية ليست عند البخاري من آيات الصفات.

٩- اتفاقهم (والحبشي) على تأويل صفة الضحك

الضحك صفة كمال حقيقية لله، ولا علم لنا بكيفيتها، ولو كانت صفة نقص لما وصف الله نفسه بها، وإنما يدعي النقص من أصابت الشبهات قلبه، فلجأ الى التعطيل ظناً منه أن ذلك طريق النجاة من الشبهات. قال الحبشي في تفسير قول النبي ﷺ « ضحك الله من فعالكم» قال « وضحك أي رضي وليس كضحك البشر»[١].

وهذا تناقض وخطأ:

١) فإنه لا يحق للمؤول أن يقول (ليس كضحك البشر» بعد أن صَرَفَ الصفة عن موصوفها وحرّفها الى الرضا. وإنما هذا حق من أثبت صفة الضحك على حقيقتها وقال: يضحك الله كما أخبر نبينا ﷺ ولكن يضحك لا كما يضحك البشر.

٢) أما التأويل فان الأشاعرة ليسوا أصلا متفقين على تأويل واحد فيما بينهم فالرازي يؤول قول النبي ﷺ «ضحكتُ لضحك ربي» أي أن الضحك الحاصل في ذاتي بسبب أن الرب خلق ذلك الضحك». أو أن يُحمل الضحك على حصول الرضى والإذن. ثم زعم أن قوله ﷺ «فيضحك الرب منه» قد حصل فيه الغلط في إعراب هذا اللفظ وأن الصواب أنه بضم الياء أي يُضحكُ اللهُ الملائكةَ» [٢]. كذا أوله الخطابي تارة بالرضا وتارة بإضحاك الملَائكة [٣]. بينما يفسر ابن فورك الضحك بالظهور والبيان ووافقه البغدادي [٤].

وجاء العز بن عبد السلام رحمه الله فزعم أن لضحك الله ثلاثة معان:

الأول : أن يريد الرب بمن أطاعه ما يريده الضاحك بمن أضحكه.

الثاني: أن يعامله معاملة الضاحك بمن أضحكه.

الثالث : أنه لمّا أشبهت معاملته معاملة الضاحك بمن أضحكه تجوّز عنها بالضحك، ووصف الله سبحانه بالضحك محمول على الرضى

---

١) صريح البيان ١٧٧.

٢) أساس التقديس ١٨٩.

٣) الاسماء والصفات للبيهقي ٢/٢١٦-٢١٨.

٤) مشكل الحديث ١٣٩ أصول الدين للبغدادي ص ٨٠.

والقبول»[1]. ولا شك أن هذا تلاعب بالنصوص الشرعية.

٣) أن قولهم مُشعِر بأنهم يثبتون صفة الرضا وهذا تناقض لأن صفة الرضا عندهم مؤولة بالإرادة كما حكاه البيهقي عن شيخه الأشعري في الأسماء والصفات (٣٠٦/١). والتشابه عندهم سبب للتأويل لأن الصريح لا يؤول، فكيف يُحكمون المتشابه بمتشابه، وكيف يؤولون صفة بصفة مؤولة أصلا؟؟

٤) أن التأويل محتمل باعتراف المؤولة كما مضى.

٥) أن الأشاعرة المتقدمين كانوا يمتنعون من تأويل هذه الصفة بخلاف خلوفهم، فهذا البيهقي يعترف بأن المتقدمين من أصحابه (أي الأشاعرة) لم يشتغلوا بتفسير مثل هذه الصفة [2]. وهذا يرد تأويل الصفة الذي نسبه الخطابي الى البخاري، فاذا كان متقدمو الأشاعرة لم يشتغلوا بتأويل الصفة فالبخاري من باب أولى.

وهذا ابن الجوزي (وهو من منزّهة الحنابلة عندكم) يقول «أكثر السلف يمتنعون من تأويل مثل هذا ويمرّونه كما جاء» حكاه عنه الحافظ [3] وقال « لم ينقل عن الصحابة أنهم قالوا (استوى) أي (استولى) و (ينزل) أي (يرحم)[4].

٦) أن في نصوص الحديث ما يردّ هذا التأويل الفاسد، فقد أخبر رسولنا ﷺ عن أهل الجنة « فيضحك [الله] في وجوههم» وفي رواية « يتجلى لنا ربنا ضاحكاً» [5]. والتجلي بالضحك في وجوه المؤمنين يأبى التأويلات الفاسدة. وقوله « ضحك ربنا من قنوط عبده» وقوله «ضحكتُ لضحك ربي».

وفي صحيح مسلم (رقم ١٨٧) عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فاذا ما جاوزها التفت اليها فقال: تبارك الذي نجاني منك ..» فضحك ابن مسعود فقال « ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول

---

١) الاشارة الى الايجاز ص ١٠٧ ط: دار البشائر.
٢) الاسماء والصفات ٢٢٤/٢.
٣) فتح الباري ٤٠/٦.
٤) صيد الخاطر ١٠٣ ط: المكتبة العلمية.
٥) مسلم (٣١٦) وابن خزيمة (١٥٣) وأحمد ٤٠٧/٤.

الله؟ قال: من ضحك رب العالمين...» فضحكُ رسول الله ﷺ من ضحك رب العالمين يبطل تأويلاتكم يا من تتورعون عما لم يَتورع عنه رَسولكم.

فما يمنع أن نسلّم لله ورسوله ونقرنها بـ ﴿**ليس كمثله شيء**﴾. ولكن سوء ظن المعطلة بربهم أرداهم فأصبحوا من أهل التحريف.

٧) أن الرسول ﷺ ذكر قصة آخر رجل يُخرجه الله من النار ويُدخله الجنة ثم ضحك وقال «ألا تسألوني ممَّ أضحك؟ (قال الراوي: هكذا ضحك رسول الله ﷺ) فقال الصحابة: مَمَّ تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين» [١]. وضحك الرَسول مما ضحك الله منه ظاهر فَي إبطالَ تأويل الضحك بالرضى.

٨) أنه اذا كان الضحك بمعنى الرضا: فهل تقولون إن تفسير قوله تعالى ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين**﴾ معناه ضحك لهم. وهذا لا يمكن أن يكون معنى الآية.

٩) أن الرضا صفة مستقلة منصوص عليها في الكتاب والسنة وهي ليست معنى لصفة أخرى هي الضحك بل هي من ثمار الضحك. قال الدارمي في رده على المريسي « وأما قولك إن ضحكه: رضاه ورحمته: فقد صدقت في بعض لأنه لا يضحك لأحد الا عن رضىً، فيجتمع منه الضحك والرضا ولا يصرفه الا عن عدو، وأنت تنفي الضحك عن الله وتثبت له الرضا وحده»[٢].

١٠) أن هذا المؤول هرب مما يتصف به البشر فوقع فيما هرب منه، إذ الرضا من صفاتَ البشر أيضاً: فيلزمه في الثاني نظير ما هرب من الأول.

١١) أن تأويل الضحك بالثواب: على طريقة المعتزلة حين زعموا أن ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ أي منتظرة ثواب ربها مع أن الأشاعرة يمنعون تأويل المعتزلة، فلماذا تبيحون لأنفسكم تأويل الضحك بالثواب وتحرمون تأويل المعتزلة للنظر بالثواب هل عندكم الا التحكم المحض؟ ولئن جاز تأويلها جاز حينئذ تأويل رؤية الله الى رؤية ثوابه وجاز تأويل الصفات السبع!

---

١) رواه مسلم (١٨٧) كتاب الايمان باب (٨٣).

٢) رد الدارمي على المريسي (ص ٥٣٢) ضمن عقائد السلف.

١٠- اتفاقهم على تأويل المحبة والغضب والرضا

وتأول الأشاعرة صفات الرضا والغضب والمحبة والبغض على معنى الارادة [١] قال الحبشي «إن رضى الله وغضبه ليس من الانفعالات التي تحدث في ذاته تعالى لانه لو كانت تحدث له صفة لكان ذاته حادثا. وكذا يقال في محبته لما يحب وكراهيته لما يكره ليس انفعالا حادثا في ذاته بل جميع ذلك مما يضاف اليه تعالى من الصفات الازلية»[٢].

قال شارح الفقه الأكبر عند عبارة أبي حنيفة (وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف) « فلا يؤولان بأن المراد بغضبه ورضاه: ارادة الانتقام ومشيئة الإنعام» [٣].

والتزم المؤولة بأن كل ما يريده الله فهو يحبه، وأن الله يريد الكفر ويحبه ويرضاه، وأن الارادة والرضى والمحبة بمعنى واحد[٤].

وعزا السبكي القول باتحاد الارادة والمحبة الى جمهور الأشاعرة غير أنه اختار لنفسه خلاف ما اختاره عامة الأشاعرة فقرر أن الرضا غير الارادة [٥].

وقال الرازي بأن « الله يحب عبيده: أي يريد الخير لهم» [٦].

كل ذلك هروباً من الاقرار بالصفات الفعلية لأنها توجب عندهم حدوث الله.

قال ابن تيمية «لا فرق بين ما تأولتم وبين ما أثبتُّم بل القول في أحد هذه الصفات كالقول في الآخر لأن الارادة مما يوصف به المخلوق[٧].

ويلزم من تأويل الغضب بالعقاب أن الله غير غاضب على الكفار اليوم بل راض عنهم لأنه لا يزال يمدهم بالعافية، فعدم معاقبتهم يعني أنه يحبهم، لا سيما وأن معنى المحبة عندهم إيصال الخيرات؟!!

---

١) الاسماء والصفات ١/٣٠٦ تحقيق حيدر. تمهيد الأوائل ٤٧ مشكل الحديث ٣٣٢-٣٤٤ طبقات السبكي ٣/٣٨٥ محققة.

٢) الدليل القويم ٨٣.

٣) شرح الفقه الأكبر للقاري ٣٣ وخالفه البغدادي فأول ذلك كله (أصول الدين ٤٦).

٤) أنظر كتاب الأصول والضوابط للنووي ص ٢٤ طبقات السكبي ٣/٣٨٥ محققة أصول الدين ٤٦.

٥) طبقات السبكي ١٠/٢٩٥ و٣/٣٨٥ محققة.

٦) لوامع البينات المسمى شرح أسماء الله الحسنى ٢٨٧.

٧) الرسالة التدمرية ٢١.

فما أبعد هذه التأويلات عن الحق. وبم تفسرون الحديث « ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه» فلو كانت المحبة هي معنى الاثابة فانها متحققة حينما كان يؤدي الفرائض قبل أن يزيدها بالنوافل. فالمحبة شيئ آخر غير الثواب أبطلته تأويلاتكم. وبماذا تفسرون قوله ﷺ « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب».

١١- اتفاقهم (والحبشي) على مسألة النظر

مبدأ القصد والنظر اللذان هما عند الأشعرية أول الواجب على المكلف» [(١)]هو من أصول مذهب المعتزلة بقي من جملة ما بقي عند الأشاعرة [(٢)].

وقد سطر الحافظ ابن حجر اعتراف أبي جعفر السمناني وهو من رؤوس الأشاعرة وكبارهم بأن هذه المسألة من مسائل المعتزلة بقيت في المذهب» [(٣)].

وسفّه أبو المظفر ابن السمعاني هذا المبدأ الاعتزالي ووصفه بأنه قول مبتدع لم يعرفه السلف الذين كان أول الواجب عندهم الإتيان بالشهادتين [(٤)].

بل هو مبدأ شيعي

قال محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية بوجوب النظر والمعرفة في أصول الدين ولا يجوز تقليد الغير فيها[(٥)]وقال محمد بن الحسن الطوسي « لا يمكن الوصول الى الله الا بالنظر... ويحتاج الكلام في حدوث الأجسام ثم بيان أن لها محدثا يخالفها فيكون ذلك

---

١) أنظر أولا إظهار العقيدة السنية ٢٧ والانصاف للباقلاني تحقيق حيدر ٣٣ المحصل للرازي ٦١-٦٢ أصول الدين ٢١٠ التوحيد للماتريدي ٣ وجوهرة التوحيد ٣٠ والانصاف للباقلاني ٣٣ والارشاد ٣ والشامل ١٢٠ والمواقف للايجي ٣٢ ونهاية المرام ١٤٠ ونهاية الاقدام ٩٠ للشهرستاني.

٢) شرح الأصول الخمسة ٣ وكتاب المغني « النظر واا ١٢) والارشاد للجويني ٨ والمواقف للايجي ٦٣.

٣) فتح الباري١/ ٧٠ و١٣/٣٤٨.

٤) مختصر الانتصار لأهل الحديث. اختصره الس المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ١٧١-٢

٥) عقائد الامامية محمد المظفر ٦٦ ط: دار الزهراء.

علما بالله» (١).

١٢- اتفاقهم (والحبشي) في مسألة الجوهر الفرد

ومما يتفق المعتزلة والأشعرية عليه ما يسمونه بالجوهر الفرد، أو الجزء الذي لا يتجزأ ولا ينقسم. وهذا المبدأ من أهم مبادىء المعتزلة استخدموه في مواجهة الدهريين القائلين بقدم العالم. غير أنهم أخذوه من الفلاسفة الأوائل ديمقراتيس وبرقلس الذي له كتاب «الجزء الذي لا يتجزأ» (٢) وهذا باعتراف الفخر الرازي في المباحث المشرقية(٣) وبنوا عليه مثلما بنت عليه المعتزلة نفي الصفات الفعلية لله تعالى.

○ وذكر الأشعري في المقالات تجويز أئمة المعتزلة كالهذيل والجبائي وهشـــام الفوطي وروافض المعتزلة أن يفرق الله الجسم حتى يصير جزءا لا يتجزأ (٤). وهذا يردّ دعوى الحبشي أن الفلاسفة والنظام أنكروا الجوهر الفرد (٥). وقد أراد أن يجعل منه إبداعاً أشعرياً في حين نرى أصله عند الفلاسفة أخذه عنهم المعتزلة.

○ وهم متى شاؤا نقضوا قانونهم بقانون آخر، فبينما يستحيل عندهم تعدد الجوهر أجازوا لما تصوفوا أن يتعدد الجوهر الواحد فقالوا بتعدد جسد الولي الواحد وهو أن يكون له جسدان أحدهما في الهند والثاني في الصين فيراه أناس في الصين وأناس في الهند في وقت واحد.

١٣- تطابقهم في وصف أهل السنة بالحشوية

وقد قلّد الأشاعرة المعتزلة حتى في كلمة الحشوية التي كان يطلقها المعتزلة على كل من يثبت صفات الله (٦)، وأراد المعتزلة بهذه الكلمة تشنيع طريقة أهل السنة مثبتة الصفات أمام الناس.

---

١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص ٤٢ محمد بن الحسن الطوسي توفي ٤٦٠ ط: دار الأضواء: بيروت.

٢) الفهرست لابن النديم.

٣) المباحث المشرقية ١٠/٢ وانظر المطالب العالية ١٩/٦-٢٢.

٤) مقالات الاسلاميين ٥٩ وانظر ٣١٤ و٣١٥.

٥) إظهار العقيدة السنية ٢٧.

٦) أنظر متشابه القرآن ٢٣١ و٢٧٣ و٣٠٢ و٤٥٤ و٧٠٨.

تحدث ابن تيمية عن هذا التوافق

وصدق ابن تيمية حين قال:

« وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات الذي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب « التأويلات » [1] وذكرها الفخر الرازي في كتابه الذي سماه «أساس التقديس» يوجد كثير منها في كلام الجبائي والقاضي عبد الجبار وأبي الحسين البصري [2] وأبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم، وهي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه» [3].

ومن الأمثلة على توافق الغزالي مع المعتزلة في التأويلات تصريحه بضرورة تأويل الميزان لأنه عرض والأعراض لا توزن، وبضرورة تأويل خبر الإتيان بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح بدعوى أن الموت عرض والعرض لا يؤتى به ولا ينقلب جسماً [4]. وقد وافق بذلك المعتزلة الذين أولوا الميزان بناء على مذهبهم أن الميزان عرض وأن الأعراض لا توزن» [5].

- فهذه تأويلاتهم مختلفون عليها فيما بينهم، متفقون في كثير منها مع المعتزلة، متفقون جميعاً على مخالفة السلف.

فهل يعتبر المنصف بعد هذا كله ويتنبه الى خطورة ما عليه أهل الكلام من التأويل المخالف لما كان عليه سلف الأمة وأئمتها؟

- وهل يأخذ العبرة من كبار علماء الكلام الذين أقلعوا عنه لما وجدوا فيه من التجرؤ على الله والخوض في آيات الله تأويلا وتحريفا بغير علم؟

---

١) يعني كتابه المشهور تأويل مشكل الحديث وبيانه.

٢) ليس أبا الحسن التابعي الفاضل.

٣) مجموع الفتاوى ٥/٢٣.

٤) قانون التأويل ٢٣٨-٢٤٠.

٥) فتح الباري ١٣/٥٣٨ مقالات الاسلاميين ٤٧٢ شرح المقاصد ٥/١٢٠-١٢١ للتفتازاني المواقف للايجي ٣٨٤.

تنزيهات شيعية المصدر

وطريقة الأحباش في تنزيه الله، وعمدة استدلالاتهم التي يتمسكون بها مأخوذة من مصادر شيعية نسبها الشيعة الى أئمة أهل البيت، ولا يخفاك كم أضيف اليهم مما لم يصح سنده.

مثال ذلك تمسك الأحباش بالقول المنسوب الى علي رضي الله عنه « كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان» وجدت هذه الرواية في الكافي للكليني الشيعي. قال الحافظ ابن حجر في الفتح « هذا الرواية لا توجد في شيء من كتب الحديث» مؤكداً على أن « العلامة ابن تيمية - على حد قوله - نص على ذلك» (١).

واليكم هذه العبارات التي يستعملها الحبشي وأتباعه دائماً كقولهم « من قال عن الله أين؟ فقد حيّزه، ومن وصفه فقد حدّه، ومن حده فقد عدّه، هو السميع لا بأداة، البصير لا بتفريق آله» (نهج البلاغة ٤٠/٢) فاعل لا بمعنى الحركات والآلة (نهج البلاغة ١٦/١) لا يتغير بحال ولا يتبدل بالأحوال (نهج البلاغة ٣٥٧/١) وفي (الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص٤٤) للطوسي الشيعي « إنا نعلم أن الجسم يكون على صفات من اجتماع وحركة فيتغير الى أن يصبح مفترقا» (٢).

قال الحبشي « قال الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في الصحيفة السجادية المنقولة بالاسناد المتصل الى أهل البيت « سبحانك لا اله الا أنت لا يحويك مكان» (٣).

وقال « قال الامام علي عليه السلام « إن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته لا ليجلس عليه» (٤).

وقال « قال الامام جعفر الصادق عليه السلام « من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك. إذ لو كان على شيء

---

١) فتح الباري ٢٨٩/٦.

٢) قال ابن تيمية في الرد على شبهة التغير « التغير بالمعروف في اللغة العربية لا يراد به كون المحل قامت به الحوادث، فالناس لا يقولون للشمس والقمر والكواكب اذا تحركت: أنها تغيرت، ولا يقولون للانسان الذي يمشي ويتكلم: إنه تغير، وانما يقولون لمن استحال من صفة الى صفة كالشمس اذا اصفرت قالوا تغيرت» (مجموع الفتاوى ٢٤٩/٦-٢٥٠).

٣) منار الهدى (!) عدد ٥ ص ٣٠.

٤) منار الهدى (!) عدد ٥ ص ٣٧.

لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا، ولو كان من شيء لكان محدثاً (أي مخلوقاً) [1]. وقال علي عليه السلام: من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود [2].

وهذا الحرص على التنزيه بطريقة التعطيل نجده مسلكاً شيعياً تمتلىء به كتب الشيعة، فيقول محمد رضا مظفر الشيعي في كتابه (عقائد الإمامية ٧٠) من قال إن الله ينزل الى السماء الدنيا فإنه بمنزلة الكافر» ثم توجه بالتوبيخ الى الممتنعين عن التأويل قائلا بأنهم « جمدوا على ظواهر القرآن وأنكروا عقولهم، فلم يستطيعوا أن يتصرفوا بالظواهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد الاستعارة والمجاز».

هذه نماذج من التقارب الذي لا يقف عليه الا المتابع لهذه الفرقة، ناهيك عن أنواع أخرى من التقارب كالاستغاثة بالموتى والتبرك بترابهم وشد الرحال الى الأضرحة بدلا من المساجد الثلاثة، وإلقاء النذور وطلب الحوائج الدنيوية ممن أخرجهم الله من الدنيا. والخوض فيما ابتلى الله به الصحابة والابتداع في الدين. وافتراء شتى أنواع الأكاذيب من الروايات عن النبي وأهل بيته شرّفهم الله. والاعتقاد بإمامة الاثني عشر وزاد الرفاعية عليهم واحداً وهو الشيخ أحمد الرفاعي فصاروا به ثلاثة عشر إماماً. والاعتقاد بكتاب الجفر المملوء بالطلاسم والرموز وادعاء الغيبيات والذي أثنت عليه كتب المتصوفة الرفاعية كالمهدي الرواس الرفاعي.

ثم هناك سر مهم يجدر التنبه اليه وهو أن علماء الشيعة القدامى كانوا في باب الصفات من المعتزلة، وكان مما دسوه على أهل البيت روايات تؤيد مذهب الاعتزال أبرزهم في ذلك ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة. وبهذه الطريقة اندس بين الأشاعرة كثير من أصول المعتزلة ورواياتهم التي كانوا يحتجون بها لإساغة التأويل. فكل فرقة من الفرق الباطلة تأخذ من الأخرى: علمتْ بذلك أم لم تعلم.

---

١) منار الهدى (!) عدد ٥ ص ٥٦.

٢) منار الهدى (!) عدد ٧ ص ٣٧.

التوافق الشيعي الباطني الأشعري في تأويل الصفات

ان الدراسة المقارنة للفرق مهمة جدا، بها تظهر مضاهأة الفرق المتأخرة للمتقدمة. وقد وصف الله النصارى الذين جعلوا له الولد أنهم ﴿**يضاهئون قول الذين كفروا من قبل**﴾. واليك طائفة من تأويلات الشيعة والباطنية الاسماعيلية التي لم يقل السلف في تفسيرهم للصفات شيئا منها:

التأويل عند الشيعة

قال أبو علي الطبرسي في مجمع البيان ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ أي عذاب من في السماء سلطانه... لا بد أن يكون هذا معناه لاستحالة أن يكون الله في مكان أو جهة، وقيل ﴿**من في السماء**﴾ أي الملك الموكل بعذاب العصاة» [١].

وقال الطوسي الشيعي «ولا يجوز أن يكون تعالى في جهة» [٢].

وفي كتاب الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي وجوامع الجامع للطبرسي ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ أي القدرة» [٣].

وفي مجمع البيان للطبرسي ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ «يمكن أن يكون المراد بالنعمة، وقيل إن المراد باليدين: القوة» [٤].

وقال الشريف الرضي صاحب نهج البلاغة «وهذه استعارة والمراد به المبالغة في وصف النعمة وليس يريد به الجارحتين» [٥].

وقال الطبرسي «وقوله تعالى ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾ قيل معناه خلقته بقدرتي» [٦]. وقال في قوله تعالى ﴿**وجاء ربك**﴾ «أي أمر ربك» [٧].

---

١) مجمع البيان في تفسير القرآن ج ١٤/٢٩ مكتبة الحياة بيروت.

٢) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ٧٣.

٣) الميزان في تفسير القرآن ٣٣/٦ ط: مؤسسة الأعلمي بيروت جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد ٤٣١/٢ للفضل بن الحسن الطبرسي ط: دار الأضواء.

٤) مجمع البيان ١٤٧/٦ مكتبة الحياة بيروت.

٥) تلخيص البيان في مجازات القرآن ١٣٣ تحقيق محمد عبد الغني حسن. ط: دار الأضواء بيروت.

٦) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ١٣٢/٢٣.

٧) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ١٣٣/٣٠.

وقال الشريف الرضي صاحب نهج البلاغة ﴿**والسموات مطويات بيمينه**﴾ أي بقدرته، واليمين هـهنا بمعنى الملك وليس اليمين التي هي الجارحة، وقد يعبرون عن القوة باليمين»[1].

في كتاب الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ كناية عن استيلائه» [2].

وقال أيضا « هذه استعارة. لأن حقيقة الاستواء انما يوصف بها الأجسام التي تعلو البساط وتميل وتعتدل، والمراد بالاستواء هـهنا الاستيلاء» [3].

وقال الطوسي الشيعي [4] « معناه استولى عليه كما قال الشاعر:

استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

قال الشريف الرضي صاحب نهج البلاغة في كتابه تلخيص البيان في مجازات القرآن ﴿**رفيع الدرجات ذو العرش**﴾ أي منازل العز ومراتب الفضل التي يخص بها عباده الصالحين وأولياءه المخلصين رفيعة الأقدار، فالدرجات المذكورة هي التي يرفع عباده اليها لا التي يرتفع هو بها: تعالى عن ذلك علوا كبيرا» [5].

قواعد كلامية مشتركة

قال محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية بوجوب النظر والمعرفة في أصول الدين ولا يجوز تقليد الغير فيها[6]وقال محمد بن الحسن الطوسي « لا يمكن الوصول الى الله الا بالنظر... ويحتاج الكلام في حدوثها - أي الأجسام - ثم بيان أن لها محدثا يخالفها فيكون ذلك علما بالله» [7] وهذا شبيه بقول الماتريدية والأشاعرة أن أول الواجب على المكلف هو النظر وشهد الحافظ ابن حجر أنه مما تبقى عند الأشاعرة من مخلفات المعتزلة (أنظر الفتح ١/ ٧٠).

---

١) تلخيص البيان في مجازات القرآن ٢٨٧.

٢) الميزان في تفسير القرآن ٨/ ١٥٠.

٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن ١٥٣-١٥٤.

٤) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ٧١-٧٢.

٥) تلخيص البيان في مجازات القرآن ٢٨٩.

٦) عقائد الامامية محمد رضا المظفر ٦٦ ط: دار الزهراء ٦٦.

٧) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص ٤٢ محمد بن الحسن الطوسي توفي ٤٦٠ ط: دار الأضواء: بيروت.

وقال الطوسي « إنا نعلم أن الجسم يكون على صفات من اجتماع وحركة، فيتغير الى أن يصير مفترقا وساكنا » (٤٤).

وقال محمد رضا المظفر « الله ليس بجسم ولا صورة وليس جوهرا ولا عرضا ليس له ثقل أو خفة ولا حركة أو سكون ولا مكان ولا زمان ولا يشار اليه. ومن قال بأن له وجها وعينا ويدا أو أنه ينزل الى السماء الدنيا.. فانه بمنزلة الكافر... فإن أمثال هؤلاء المدعين جمدوا على ظواهر الألفاظ في القرآن الكريم أو الحديث، وأنكروا عقولهم وتركوها وراء ظهورهم، فلم يستطيعوا أن يتصرفوا بالظواهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد الاستعارة والمجاز» [١].

وقال « والله تعالى واحد من جميع الجهات لا تكثر في ذاته المقدسة ولا تركيب في حقيقة الواحد الصمد»[٢].

أضاف: « فمن وصفه فقد حده ومن حده فقد عده» « فاعل لا بمعنى الحركات والآلة» [٣]. « البصير لا بتفريق آلة والسميع لا بأداة» « لا يتغير بحال ولا يتبدل بالأحوال»[٤]. « لا يحويه مكان»[٥].
وقال الداعي الاسماعيلي ابن الوليد «المكان منفي عن الله».
« ومن قال: أين، فقد شبهه، ومن قال أين فقد بوّأه»[٦].

فهذا الداعي الاسماعيلي تجمعه مع الأشاعرة قواسم مشتركة منها نفي علو الله، وعن طريقهم يحاول الفكر الباطني الانسلال الى عقيدة أهل السنة « **وغزوها فكرياً** »!!!

---

١) عقائد الامامية ٧٠.
٢) عقائد الامامية ٧٤.
٣) نهج البلاغة ١٦ و٢٧٤ و٣٥٤.
٤) نهج البلاغة ١/٣٥٧ و٣٧٥.
٥) نهج البلاغة ١/٣٣٢.
٦) تاج العقائد ومعدن الفوائد ٢٨ و٣١.

النفي التفصيلي عند أهل البدع

وأصل الانحراف عند أهل البدع في أسماء الله وصفاته:

١) اعتمادهم طريقة النفي المفصل كأن يقولوا إن الله ليس بطويل ولا قصير ولا شبح ولا لون ولا قامة. ويسمون هذه الصفات بالصفات السلبية. وهذا مخالف للطريقة القرآنية التي تعتمد إثبات الصفات المفصل والنفي المجمل ﴿ليس كمثله شيء﴾

٢) الإثبات المجمل كأن يجعلوا الصفات الثابتة المنصوص عليها مندرجة ضمن الصفات السبع (الحياة القدرة...) فتصير عندهم معان للصفات السبع كقولهم (يحب) أي (يريد) مع أن الله وصف نفسهً بصفات أكثر من هذه الصفات السبعة.

بدعة الصفات السلبية

ثم هذه الطريقة في وصف الله بالصفات السلبية هي طريقة الجهمية والمعتزلة وليس فيها مدح ولا كمال ولا تنزيه لله تعالى، بل قد نقل أبو الحسن الأشعري عن المعتزلة هذه الطريقة الشاذة كقولهم بأن الله « ليس بذي لون ولا طعم ويتنزه عن الالوان والطعوم ولا رائحة ولا حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يتحرك [١] ولا يسكن ولا تجوز عليه المساحة وليس بذي جهات ولا يجري عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة» [٢].

وهذه الطريقة التي حكاها الأشعري عن المعتزلة قد انتقلت اليوم الى الأشاعرة وصارت معتمدة عندهم: كقولهم بأن الله لا يذوق ولا يشم[٣] وليس موصوفاً بالألوان والطعوم والروائح ولا يتألم ولا يتلذذ[٤] وليس بمعدوم [٥] وليس بجسم وليس بجوهر ولا عرض وليس في زمان [٦]. وأنه منزهٌ عن القيام والقعود والاتكاء والتعلق والاتصال والانفصال والمقابلة والمدابرة وقصير وطويل ونور وظلمة ومماس وساكن ومتحرك [٧] ومنزهٌ عن الذوق للمطعومات والمشمومات والروائح والشهوة والكمية والكيفية، ويرى بلا حدقة ويسمع بلا صماخ أذن.

---

١) تأمل كيف تتسرب سلبيات المعتزلة فيمن جاؤا بعدهم.

٢) مقالات الاسلاميين ١٥٥و٣٠٥.

٣) الارشاد للجويني ٨٩ تحقيق الحوت.

٤) المواقف للايجي ٢٧٨ المحصل ٢٣٠-٢٣١ أصول الدين ٧٨.

٥) تمهيد الأوائل للباقلاني ٥٠.

٦) المواقف ٢٧٣-٢٧٤.

٧) من كلام الحبشي في كتابه الدليل القويم ١٤١.

فهذه طريقة المعتزلة في تنزيه الله عما لا يليق به نجدها في كتب الأشاعرة اليوم بنفس العبارة[1].

نفي الصفات تشبيه لله بالمعدوم

والذين يصفون الله بالصفات السلبية لا يثبتون في الحقيقة إلهاً محموداً بل ولا موجوداً كالذين يقولون: ليس الله داخل العالم ولا خارجه ولا مباين للعالم ولا محايث له،

فهذا قد شبَّه ربه بالمعدوم إذ لو سألنا هذا النافي لصفات الله: صف لنا المعدوم؟

فلن يسعه الا وصف المعدوم بمثل ما وصف به ربه. ولذلك قيل: المشبِّه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً.

والمدقق في مقالتهم يعلم أنهم إنما أثبتوا للخالق وجوداً مطلقاً ليس له وجود حقيقي في واقع الأمر، وليس له إلا وجود خيالي في الأذهان لا حقيقة له في الأعيان. والنفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال. وذلك لأن النفي عدمٌ والعدم ليس بشيء[2].

١) إظهار العقيدة السنية ١١٤و١٦٠ الدليل القويم٥٢.
٢) الرسالة التدمرية ٣٩.

لزوم تادب الحبشي مع الله

وتنزيه المتكلمين لله مقترن بسوء الأدب في حقه.

ولا أدلّ على هذا التنقيص من كلام الحبشي، فإنه أخذ يحذر الناس من الألفاظ السيئة في حق الله تعالى لكنه أخذ يفترض ويفصل ما ليس من الأدب تفصيله كقوله: من قال « أخت ربك » « خلصني من ربك» « حل عني أنت وربك» « وحياة شوارب الله» « يا «دخيل رجلين ربك » « وَحياة شوارب الله » « أكون قوادا ان صليت » [1].

ولو أنك قلتَ للملك: أنت لستَ بزبَّال ولا سبَّاك ولا غبي ولا بهيم لبادر الى تأديبك على هذا التنقيص. مع أنك تنفي عنه ما لا يليق به، فكيف يستخدم هذه الألفاظ بحق ملك الملوك سبحانه.

ليس كل من أراد التنزيه أصابه

كل الفرق الضالة تدَّعي أنها تريد تمجيد معبودها وتقدِّسه، ولكن: ليس كل منَ أراد التنزيه أصاب التنزيه:

فالمجوس زعموا أن الله منزه عن أن يخلق الشر حتى قالوا بإلٰهين: إله للنور والخير، وإله للظلمة والشر.

والمعتزلة قاربوهم حين نزهوا الله عن خلق الشر فزعموا أن العباد يخلقون أفعال أنفسهم، وسلبوا عن الله قدرته بل وبعضهم سلبه علمه السابق.

وعامة أهل الكلام زعموا أنه لا يجوز أن يتصف الله بصفات الاستواء والنزول واليد والأصابع والوجه وغير ذلك مما نزل به الكتاب وصحت به السنة. كل هذا بدعوى تنزيهه عما لا يليق به.

إن هذه الطريقة في التنزيه متسمة بالتنقيص والجرأة على الله وسوء الأدب معه، وتجريد الرب من صفات الكمال حتى ألجأهم هذا التنزيه الى تعطيل ما وصف به نفسه، وصارت تلك الصفات في مخيلاتهم الفاسدة صفات نقص، وصار إثباتها دليلا على التشبيه والتجسيم والحشوية. بل صارت سبباً للوقوع في الكفر والردة والعياذ بالله. ﴿أفمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً﴾[فاطر٨] ﴿قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالا: الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسِنون صنعاً﴾[الكهف١٠٤].

---

١) النهج السليم ٥٧و٦٤ الدليل القويم ١٤٥و١٤٩ بغية الطالب ٤١.

الصفات الذاتية والصفات الفعلية

ولا يفرق الحبشي بين الصفات الذاتية لله تعالى وبين الصفات الفعلية. فقد خلط بين النوعين بقوله « وأما العين واليد والرضا والغضب ونحو ذلك فمحمول على أنه صفة أزلية» [١]. ولو كان واثقاً مما يدعي لما قال « محمول» فهذا الحمل « احتمال» والاحتمال مرفوض في العقيدة.

إنه يتجاهل ما اعترف به المحققون من الأشاعرة (كالرازي) أن صفات الله تعالى على نوعين:

صفات ذاتية: فهذه لم يزل متصفا بها لا يجوز القول انه اتصف بشيء منها بعد أن لم يكن، مثل صفات العليم، الحكيم، القدير، الرحيم.

أما الصفات الأخرى كالاستواء والنزول والمجيء فهي **صفات فعلية**: وليست أزلية. وهي صفات قائمة بمشيئته واختياره كما قال الشافعي « يقرب من خلقه كما يشاء» [٢].

ولا يقال ان الله غضب أزلا ورضي أزلا، فإن هذا مما لا يوافقه عقل ولا يسعفه نقل. بل الأدلة من الكتاب والسنة متوافرة في نقيض من يقول بذلك فقد جاء في حديث الشفاعة «ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله» [٣] وهذه لا يلزم من عدمها في وقت ما نقص على الله تعالى.

وكثير من أهل الكلام أنكروا قيام الصفات الفعلية بمشيئة الله واختياره. لئلا يلزم من ذلك قيام الحوادث به سبحانه، فقالوا صفات الله كلها أزلية. واضطروا الى القول بعد ذلك إن الله تعالى كان يحب الصحابة أيام كانوا كفارا ويبغض المرتدين قبل حصول الردة منهم يوم كانوا مؤمنين.

وحجتهم في ذلك أنهم قالوا: اذا أثبتنا الصفات الفعلية الاختيارية قلنا بحلول الحوادث بالرب[٤].

وخالفهم آخرون في قضية الصفات الفعلية: فقالوا بحدوثها لئلا

---

١) الدليل القويم ٨٢.

٢) عون المعبود ٤١/١٣ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٨٣/١.

٣) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم رقم (١٩٤).

٤) وستجد كيف يلزمهم الرازي بالقول بالإقرار بحلول الحوادث بالرب وإن أنكروه.

يلزم أن يكون المخلوق قديما [1] حتى إن البيهقي وجماعة قسموا جميع الأسماء المذكورة في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة الى قسمين:

١ـ صفات الذات: وهو ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال.
٢ـ صفات الفعل: وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل [2] قاله الحافظ العسقلاني في الفتح.

كما نقل عن الكرماني تقسيم الصفات الى ثلاثة أقسام آخرها صفات حادثة مثل الخلق والرزق قال «ولا يلزم من حدوثها تغير في ذات الله» [3].

ولهذا قال البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿**كل يوم هو في شأن**﴾ وقوله ﴿**لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا**﴾ بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ وقال ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله عز وجل يُحدث من أمره ما يشاء» [4]. ففعل الله للمخلوقات حادث، ولا يمكن حدوث المخلوق بغير فعل وسبب حادث. وإلا لزم أن يكون المفعول أزلياً.

والله تعالى ذكر أفعاله شيئاً بعد شيء، فهو خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش ثم خلق الانسان ثم صوره ثم قال للملائكة اسجدوا لآدم.

وهذا يتعارض مع ما أساء الحبشي فهمه عن البخاري [5] وينسف بالتالي دعواه من أساسها أن صفات الله كلها أزلية، وأنه لا ابتداء لوجودها [6]، وينسف دعوى أتباعه أن المُحدَث مُحدث بجميع صفاته، وأن القديم قديم بجميع صفاته[7]: فهذا القول قال به الماتريدية والمتأخرون من الأشاعرة (وليس الأشعري وأصحابه) معتبرين أن الصفات كلها تتعلق بالذات فحسب. ونتج عنه عدم توافق بين قولهم وبين الكثير من الصفات الخبرية مما اضطرهم الى التأويل العشوائي. وخالفهم فيه المحققون منهم.

---

١) فتح الباري ٤٩٦/١٣.
٢) فتح الباري ٣٥٧/١٣ وانظر كتاب الاعتقاد ٧٠ للبيهقي.
٣) فتح الباري ٤٩٧/١٣.
٤) البخاري ٤١٠/٤ تحقيق عبد الباقي.
٥) (أنظر إظهار العقيدة السنية ٣١).
٦) إظهار العقيدة السنية ٣٧-٣٨.
٧) نشرة الشئون الخارجية لمكتب جمعية المشاريع ص ١٢.

والسلف لم ينزهوا الله عن الفعل ولم يفهموا هذا الفهم الفلسفي الغريب عن الاسلام، فعن قتادة « لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه» [1]. وقال الطبري « فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش» [2]. فهذا إثبات فعل موقت بوقت خاص.

خطورة عدم التفريق بين الذاتية والفعلية

وقد نشأ عن عدم التفريق فساد وإلحاد في أسماء الله وصفاته بل نشأ عن القول بقدم الصفات الفعلية القولُ بقدم المخلوقات لأنه لا يمكن التفريق بين الفعل الأزلي حينئذ وبين المفعول الحادث، فليس الذنب ذنب من توهم قدم المخلوقات كما اشتكى منه الحبشي [3] وانما هو ذنب من أوقع الناس في هذا الفساد الاعتقادي حين جعل صفات الله الفعلية والذاتية شيئاً واحداً، فإن قيام الحدث في أفعاله ليس حدثاً في صفاته الذاتية الأزلية. كما نص عليه البيهقي والحافظ وليس ابن تيمية فقط.

---

١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات بسند صحيح٢:١٢٠ والذهبي في مختصرالعلو ٩٨.

٢) تفسير الطبري ١/١٥٢.

٣) إظهار العقيدة السنية ٣١.

الرازي كبير الاشاعرة
يصرح بضرورة الاعتراف بحلول الحوادث في الله

وقد سطر الحافظ اعتراف الفخر الرازي في المطالب العالية بأن قول من قال: انه تعالى متكلم بكلام يقوم بذاته وبمشيئته واختياره هو أصح الأقوال نقلا وعقلا [١]. كما قال بذلك الآمدي ذاكراً أن المحتجين بنفي الحوادث احتجوا بحجج ضعيفة [٢].

وصرح الرازي في الأربعين في أصول الدين بأن « أكثر العقلاء يقولون بقيام الحوادث بالرب وان أنكروه باللسان:

- فأبو علي وأبو هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا بارادة حادثة لا في محل. وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته تعالى علوما متجددة بحسب تجدد المعلومات.
- والأشعرية يثبتون نسخ الحكم، ويثبتون للعلم والقدرة تعلقات حادثة.
- والفلاسفة يقولون بأن الاضافات وهي القبلية والبعدية موجودة في الأعيان. فيكون الله مع كل حادث». ثم انتهى الى القول:

« وذلك الوصف الاضافي حدث في ذاته» [٣].

وهذه ورطة حبشية أشعرية فقد قال حبشي اسمه (نبيل شريف) إن العلماء قالوا: إن من قال إن الله تقوم به الحوادث فهو كافر لأنه كذب قول الله ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[٤] فهل يحكم الأحباش بكفر الرازي الذي استحسن الحافظ قوله أم أنهم يجتنبون ويتجاهلون المسألة مثل اجتنابهم وسكوتهم عن كثير من المسائل التي يلزمهم بها أهل السنة؟!

وقد صدق الرازي فيما قال فحتى الأحباش وقعوا في إلزامهم بالقول بالحدوث في أفعال الله فقد قالوا في نشرة لهم بأن المراد بصفة الغضب لله: **أثر** الغضب، وأنها **تحدث** من ذلك اليوم [الذي يغضب فيه] **ثم تنقضي** فيه» [٥] فهذا قول منهم بقيام الحدث في ذات الله، وهذه التعلقات الحادثة هي التي أشار الرازي الى اضطرار الأشاعرة الى القول بها.

---

١) فتح الباري ١٣/٤٥٥.

٢) درء تعارض العقل والنقل ٤/٢٧.

٣) الأربعين في أصول الدين للرازي ١١٨.

٤) الشريط الأول من مجالس الهدى عداد رقم (٥٥٠).

٥) نشرة جمعية المشاريع/ مكتب شؤون الخارج ص ٦-٧.

وهذا الاعتراف من الرازي يبطل دعوى الحبشي أنه يستحيل على الذاتِ القديمة الاتصاف بصفة حادثة [1]. ويبطل زعمهم أن المُحدَث مُحدَث بجميع صفاته وكذلك القديم قديم بجميع صفاته» [2].

فإن أراد بذلك صفات الذات فمقطوع ومُسَلَّمٌ به، وإن أراد صفات الفعل فينازعه في ذلك الأشعري وابن عساكر وابن كلاّب والبخاري والحافظ ابن حجر والبيهقي والكرماني، وآخرهم « **ابن تيمية** »!!

---

١) إظهار العقيدة السنية ٣٠.

٢) نشرة جمعية المشاريع/ مكتب شؤون الخارج ص ٦-٧.

الأشعري يقول بقيام الحوادث بالله

ثم ان مسألة قيام الحدث في الله محل خلاف بين الأشعرية والماتريدية قبل أن تكون خلافاً مع ابن تيمية. وقد اعترف ابن حجر المكي الهيتمي والعسقلاني بهذا الخلاف بين الفرقتين فقال الهيتمي « صفات الأفعال حادثة عند الأشاعرة قديمة عند الماتريدية» [١].

وقد زعم الحبشي تارة أن الخلاف بين الاشاعرة والماتريدية خلاف لفظي ليس في أصول الدين، وتارة أخرى بأنه خلاف في الفروع. فإن حكمتم على المخالف إياكم بأنه كافر لقوله بقيام الحدث في الله فقد حكمتم على الأشعري ومن وافقه بالكفر.

بمعنى أنه: إن كان ابن تيمية كافراً لقوله بقيام الحدث في صفات الله فليكن أبو الحسن الأشعري والبيهقي والبخاري والحافظ ابن عساكر والكرماني كفاراً أيضاً لأنهم موافقون لابن تيمية قائلون بقوله لا سيما أبو الحسن الأشعري كما نص عليه الحافظ في الفتح [٢] والذي يتشدق الحبشي بالحرص على اتّباعه والبراءة من مخالفيه بينما هو أول المخالفين لطريقته.

وان أراد أن هذا الحدث مثل حدث المخلوقات فهذا يُنزّه الله عنه، وتقدم نص البخاري في باب قول الله تعالى ﴿**كل يومٍ هو في شأن**﴾ وقوله ﴿**لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا**﴾ بأن حدَثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

وقال ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله عز وجل يُحدث من أمره ما يشاء» [٣]. فالمتكلم اذا تكلم بعد سكوت لا يقال إنه حَدث له كلام ولكن يقال للأبكم إنه حدث له الكلام بعد أن لم يكن الكلام صفة له.

وهؤلاء جعلوا أنفسهم أحرص على انتقاء الألفاظ لرب العالمين من رب العالمين. فهم لا يرضون أبداً أن يصفوا كلام الله بهذه الصفة التي وصف بها نفسه لأن المحدث عندهم مخلوق.

---

١) فتح المبين شرح الأربعين ٧٨ وانظر فتح الباري ١٣/٤٣٩.
٢) فتح الباري ١٣/٤٣٩.
٣) البخاري ٤/٤١٠.

ولكن لغة القرآن تخالف هذا الأصل الكلامي العقيم. فقد قال تعالى ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون﴾ وقال ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾. وهذا لا يعني أن كلامه مخلوق لأننا لا نلتزم قواعد أهل الكلام، بل نقول كما قال البخاري (حدث فعله سبحانه لا يشبه حدث أفعال المخلوقين).

صفات الافعال عند اهل السنة

إن أهل السنة الذين يفرقون بين صفات الذات وصفات الأفعال، وأن قيام الحدث في أفعاله تعالى ليس قولا بالحدث في شيء من ذاته واثقون:

- أن الله تعالى لا يصف نفسه الا بما يليق به، وأما المؤولة فإنهم غير واثقين من ذلك ويتساءلون: لماذا يصف الله نفسه ورسوله بهذه الصفات كاليد والرجل والاتيان والنزول والاستواء والأصابع والضحك والفرح والغضب والرضا، مما يزيدهم شكاً، ولا يزول هذا الشك الا بإثبات ما وصف الله به نفسه مع نفي التشبيه عنه.

- أن من يفعل بمشيئته واختياره أكمل حالا ممن لا يفعل بمشيئته ولا اختياره.

- أن القول بأزلية أفعاله تعالى مناقض للعقل والنقل، ولهذا تراجع عنه كثيرون من أهل الكلام واضطروا الى القول بقول أهل السنة.

- أن هذا الأمر بقي محل خلاف بينهم وبين المصرّين على مخالفة العقل والنقل (أي بين الأشاعرة والماتريدية) قبل أن يكون خلافاً مع أهل السنة أصلا.

موقف الحبشي من كلام الله

جبريل عندهم منشيء ألفاظ القرآن

يثبتون معان بلا كلام ويقولون نؤمن بكلام الله

ما يلزم من هذا الاعتقاد الفاسد

أسماء الله الحسنى عندهم مخلوقة لأنها ذات حروف

أسماء الله ليست أسماؤه وإنما تسمياته !

شهادة ابن الجوزي تكشف مصدر الأشاعرة

هل هناك بين فرق بين الأشاعرة والمعتزلة في كلام الله

مسألة الحرف والصوت والتبعيض والأزلية

موقف الحبشي من كلام الله

يجهل العديد من أتباع الحبشي حقيقة معتقده ومعتقد الأشاعرة في القرآن، ولا يدرون أن الأشاعرة يفرقون بين القرآن وبين كلام الله، فالقرآن عندهم عربي لكن كلام الله ليس بعربي. وكلام الله عندهم ليس لغة، ولا يجوز أن يتكلم الله بلغة. وما سمعه موسى: فليس حرفاً ولا صوتاً.

وهذا ينتهي بهم الى أن القرآن ليس كلام الله، والى خلاف قول النبي ﷺ « ألا رجل يحملني الى قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي» (١).

وبعد أن تحرزوا من وصف القرآن بأنه كلام الله أضافوا كلمة « عبارة عن كلام الله» (ليصححوا) خطأ من يعتقد أن القرآن كلام الله، فصار الأولى أن يسمى هذا القرآن عندهم: «التعبير» لأنه تعبير بلغة عما ليس بلغة.

وبعد هذا الظلم ظلم آخر:

فلم يكن الأشاعرة أمناء في نقل عقيدة مخالفيهم المثبتين للحرف والصوت لله، بل افتروا عليهم ونسبوا اليهم ما لم يقولوه. حتى زعم الكوثري أنهم اعتقدوا أن الله له فم وأضراس ولهوات (٢). وتبعه الأحباش فزعموا أن (بعض الحنابلة!) بالغوا فقالوا « إن هذا الصوت أزلي قديم وأن أشكال الحروف التي في المصحف أزلية قديمة» (٣) وأن جلد القرآن وورقه أزلي (٤).

ولكن؛ أين قالوه؟ ومن هؤلاء البعض من الحنابلة المبالغين؟

فهم ساقطون عن منزلة التثبت في النقل والأمانة، أهل أهواء: إن مدحوا بالغوا، وإن ذموا بالغوا واتبعوا أهواءهم.

وفي هذا البحث نكشف حقيقة معتقد الأشاعرة في كلام الله ونثبت أنهم وإن كانوا يصرحون بعدم خلق القرآن إلا أن مآل مذهبهم ينتهي

---

١) أبو داود (٧٤٣٤) الترمذي (٢٩٢٥) أحمد (٣/٣٩٠) وسنده صحيح.

٢) مقالات الكوثري ٣٩٢ ط: المكتبة الأزهرية للتراث.

٣) تعليق الولي على رسالة استحسان الخوض في علم الكلام ٢١ شرح العقائد النسفية ٥٧.

٤) الفقه الأكبر بشرح القاري ١٦.

بهم الى القول بما يحذرون منه، وأن القرآن لم يكن من الله تعالى، ولا يعتقدون أن الله يبتدىء كلاماً متى شاء.

فقد تأوّل الحبشي قول أبي جعفر الطحاوي عن كلام الله بأنه (من الله بدأ) على معنى أنه: منه ظهر. أي أن جبريل حوّل كلام الله من معانٍ نفسية الى ألفاظ من عنده. وبهذا يصير عنده:

جبريل عندهم منشىء ألفاظ القرآن!

لقد أعلن الحبشي أن القرآن في الحقيقة كلام جبريل حين اعتبر لفظ القرآن المنزل «عبارة عن كلام الله» قال «ويدل عليه قوله تعالى ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ حيث أضافه الى جبريل... وقد ورد إسناد القراءة الى الله تعالى مراداً به قراءة جبريل لأنها بأمر الله تعالى، قال تعالى ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾، ثم استدل بقول أبي القاسم الأنصاري «أن كلام الله القديم هو الذي تدل عليه العبارات وليس منها»[1]. أي أن كلام الله ليس له علاقة بهذه العبارات التي هي عبارة جبريل عن كلام الله.

وقد صرح الحبشي بأن «القرآن بمعنى اللفظ المنزل هو غير كلام الله». وهذا تصريح منه بأن القرآن ليس كلام الله[2].

فهذه هي عقيدة الأشاعرة تبناها الحبشي وزعم أنها عقيدة أهل السنة وهي قول المعتزلة في ثوب آخر. وهو قول قديم مشهور في المذهب الأشعري حكاه البيجوري في شرحه على جوهرة التوحيد.

فقد حكى البيجوري أن بعض الأشاعرة يرى أن ألفاظه من عند جبريل. والبعض الآخر يرى ألفاظه من عند محمد. وهو قول الأمير في شرحه على الجوهرة.

فهؤلاء وافقوا قول من قال ﴿إنْ هذا إلا قولُ البشر﴾[المدثر٢٥].

ورجح البيجوري أن جبريل عبَّر عنه بألفاظٍ من عنده»[3].

---

١) إظهار العقيدة السنية ٥٨-٥٩و٦٢.

٢) الدليل القويم ٦٩.

٣) شرح جوهرة التوحيد ٧٣ وهو كتاب مريض يتخرج عليه كثير من المرضى الذين يخرجون لمداواة المرضى!

ابن حزم يشنع على الباقلاني هذا القول

وهذا الرأي يمثله الباقلاني الذي صرح أن « النظم العربي في القرآن هو قول جبريل لقوله تعالى ﴿انه لقول رسول كريم﴾ وهو الذي تلاه باللغة العربية» [١] فصار القرآن عندهم كلام جبريل حقيقة كلام الله مجازا! وهذا ما حمل ابن حزم على التشنيع على الباقلاني خاصة والأشاعرة عامة بالشناعات العظيمة، متهماً إياهم بأنهم صرحوا جميعاً وبلا مخالفة واحد منهم أن هذا القرآن هو عبارة جبريل [٢].

وهذا من أبطل الباطل، فإن نصوص القرآن تنطق بأن قرآنه هو كلامه. ألا ترى أن الجن قالت فيما أخبر الله سبحانه ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ وفي آية أخرى ﴿إنا سمعنا كتابا أُنزل من بعد موسى﴾ فبين جل جلاله أن الكتاب هو القرآن لا غير.

وجبريل رسول ﴿وما على الرسول الا البلاغ﴾ وليس عليه الترجمة من كلام نفسي الى كلام بحرف وصوت! وهو قد نزل به الى محمد ولم يُنشيء ألفاظه كما قال تعالى ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾، إذ لو كان منشئاً لم يكن رسولا ولا مبلغاً. ولكن الأشاعرة يقولون: أنشأه ثم أنزله!

ما يلزم من هذا الاعتقاد الفاسد

ويلزم من هذا الاعتقاد لوازم فاسدة منها:

- عدم تكفير من ينكر ما بين الدفتين أن يكون كلام الله تعالى.
- وعدم كون المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي.
- عدم كون المقروء والمحفوظ كلام الله تعالى حقيقة.
- الإثابة على ما هو في الحقيقة تلاوة وترتيل ألفاظ جبريل.

وزاد ابن تيمية بأنه يلزم من هذا التعريف:

أن الأبكم متكلم.

وأن من حدث نفسه في الصلاة تبطل صلاته.

ومن حدث نفسه بالطلاق ولم ينطق به طلقت زوجته بمجرد تكلمه بالطلاق في نفسه.

---

١) الانصاف ١٤٧.

٢) أنظر الفصل في الملل والنحل ٣/٥-٧ و٤/٢٠٦-٢٠٧ و٢١١.

كل ذلك يدل على أنه بدعة دخيلة في الدين.

والله أثبت الكلمات لنفسه فقال ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ (الأعراف ١٥٨).
وقال ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ (الأنعام ٣٤).
وقال ﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾ (يونس ٨٢).
وقال ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾ (التحريم ١٢).
وتواتر عن النبي ﷺ الاستعاذة بكلمات الله التامة.
فكيف يقال ان كلام الله معنى قديم قائم بالنفس ليس بكلمات؟

ويُفسد هذا التأويل قولُه ﷺ «نبدأ بما بدأ به الله» (١).
ولما شعر الحبشي باعتساف تأويله وعدم هضم الفطر السليمة له قال عن الطحاوي «فعبارة المؤلف دقيقة جداً لا يفهمها على وجهها إلا من فتح الله تعالى قلبه لفهم الحق» (٢). ولكن متى كان الغموض والإبهام معبراً عن دقة التعبير؟!

فقوله هذا ليس فيه إثباتٌ لكلام الله، بل هو:
١) إثباتٌ للخرس. وهذا شرٌ من قول المعتزلة الذين أثبتوا لله كلاماً وإن كانوا ضلوا باعتقادهم أنه مخلوق.
٢) أن هذا القول لو صح فإنه يؤيد كلام الوليد بن المغيرة ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾.
٣) أنه زعم تنزيه الله عن مشابهة كلام البشر فشبّهه بعجل بني إسرائيل الذي قال الله فيه ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا﴾.

قال أحمد فيما رواه عنه أبو الفضل التميمي «إن لله عز وجل كلاماً هو به متكلم، وذلك صفة له في ذاته خالف بها الخرس والبكم والسكوت، وامتدح بها نفسه فقال عز وجل في الذين اتخذوا العجل ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديم سبيلا﴾ فعابهم لما عبدوا إلهاً لا يتكلم ولا كلام له، فلو كان إلهنا لا يتكلم ولا كلام له رجع العيب عليه

---

١) رواه مسلم (١٢١٨) وأبو داود (١٩٠٥) والموطأ ١/٣٧٤.
٢) إظهار العقيدة السنية ٥٩.

وسقطت حجته على الذين اتخذوا العجل»[1].

٤) أنه عاد بالناس الى مذهب المعتزلة أن القرآن مخلوق لأن جبريل الذي هو منشىء ألفاظ القرآن: مخلوق. وسبب هذا تسليمهم للمعتزلة أصولا فاسدة بقيت في المذهب الأشعري الذي لم يتحرر من ربقة التسلط الاعتزالي.

٥) أن القول بأن كلام الله معان نفسية يجعل القرآن بمنزلة الحديث القدسي فان الحديث القدسي مروي عن الله بالمعنى فهؤلاء لا يفرقون بين القرآن وبين الحديث القدسي.

---

١) طبقات الحنابلة ٢/٢٩٦.

الجواب المفحم

أن القرآن ليس متضمناً للكلام ذي المعنى فقط، وإنما هو متضمن لحروف مركبة لا معنى لها في اللغة عادة. مثل ﴿ألم﴾ ﴿حم عسق﴾ ﴿كهيعص﴾ ﴿طسم﴾ فمن الذي حدد هذه الألفاظ وتكلم بها مع أنها لا تعبر عن معنى وليست لغة؟!

وهذا الجواب طامة، إذا واجهت به أهل الزيغ تدور أعينُهم كالذي يُغشى عليه من الموت.

رجوع محققي الأشاعرة والماتريدية عن ذلك

وقد تناقض الأشاعرة فذهبوا الى أن مسمى الكلام هو اسم لمجرد المعاني وإطلاق اللفظ عليه مجاز لأنه دال عليه، ثم جاء المتأخرون منهم كالرازي والجويني، فقالوا بأن الكلام يطلق على كل من اللفظ والمعنى بطريق الاشتراك اللفظي، وهذا لجأوا اليه كمهرب من التناقض الذي وقعوا فيه. بينما أهل السنة على أن الكلام يتناول اللفظ والمعنى جميعاً عند الاطلاق، وعند التقييد يراد به هذا تارة وذاك تارة أخرى.

يثبتون لله معان بدون كلام

فمن أظلم ممن جعل كلام الله معنى مع أن المعلوم عند العامة والخاصة أن كلام الله له معنى وليس هو بذاته معنى. فكما أننا لا نعرف ألفاظا لا معاني لها فكذلك لا نعرف معاني بلا ألفاظ. بل إن ما يجول في النفس من الكلام هو بحرف وإن لم يكن بصوت.

يقولون ما لا يفقهون

فقولكم بالكلام النفسي الذي أثبتموه: **﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾**.

لَمْ تثبتوه: ما هو؟ ولا تصورتموه حتى وصفه الجرجاني بأنه العزم والتخيل؟ [1] ومن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز له أن يثبته؟

إن هذا الخبر يجب أن يكون من السماء، وهو لم يتكلم به نبي، فهل عند الأشاعرة وحي يعلمون به ما لم يعلمه الأنبياء؟

أمن كلام الله أم من سنة نبيه أم أن ما استنتجته عقول ورثة المعتزلَة لا معقب له؟

عيسى لا يعلم ما في نفس الله لكن جبريل يعلم!

وكيف تسنى لجبريل الذي لا يعلم ما في نفس البشر أن يعلم ما في نفس رب البشر؟

هذا نبي الله عيسى يصرح بأن الله يعلم ما في نفوس الخلق لكنهم لا يعلمون ما في نفسه قائلا **﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾**. وتمتدح الملائكة ربها **﴿إنك أنت علام الغيوب﴾**. فكأن جبريل بنظرهم يقول لله (تعلم ما في نفسي وأعلم ما في نفسك) فجعلوا جبريل مطلعا على ما نفس الله!

ولهذا اعترف الرازي في آخر الأمر أن القول بالكلام الأزلي الذي ليس حرفاً ولا صوتاً فغير معلوم التصور وهو محض الجهالة [2].

○ وتتحدثون عن كيفية تلقي جبريل كلام الله النفساني ثم صياغته للمعاني النفسانية وتحويلها الى كلمات لفظية ببساطة متناهية وكأن الله أطلعكم عليها من دون أنبيائه وأصحابه. فيلزم توجيه سؤال الله لكم **﴿هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾**.

إن الله قال فيمن سلف من المفترين **﴿أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون﴾** ونحن نقول لكم: أم اطلع جبريل على ما في نفس الله وأنتم شاهدون؟

إن عقولكم حكمت على الأرض بأنها مسطحة. فاذا كنتم تجهلون حقيقة المخلوق فأنتم أجهل الأرض بالأرض، فكيف حكمت عقولكم على الطريقة التي تلقى فيها جبريل كلام الله الذي ليس حرفا ولا صوتا؟!

---

١) شرح المواقف للجرجاني ٨/٩٧.

٢) محصل أقوال المتقدمين والمتأخرين ٢٦٦.

إن كنتم تعلمون المعبر أو «المترجم» الذي ترجم كلام الله من أزلي الى حادث ومن «لا لغة» الى لغة: فلا بد أن تكونوا على علم بما يلي: من الذي عبّر لموسى بالكلام العبراني. أهو جبريل أم من؟
وأين الدليل المتواتر يا من تشترطون المتواتر في العقائد على هذه الكيفية بالتحديد الذي حددتموه؟

ثم ما حكم من يرفض مذهبكم في الكلام النفسي؟
واذا كنتم تعتقدون أن الله أوحى الى جبريل فقد أوحى اليه كلاماً وألفاظاً.
واذا كان الله كتبه في اللوح المحفوظ ثم أخذه جبريل من هناك فقد كتب الله ألفاظاً ونزل بها جبريل. دليل ذلك أن الله كتب في اللوح كل ما هو كائن الى يوم القيامة ولا يمكن أن يكون المكتوب بلا ألفاظ ولا لغة.
وهذا محير للأشاعرة. واذا أردت أن تقف على مزيد حيرة الأشاعرة فاقرأ ما نقله السيوطي في كتاب الحاوي [1].

ولذلك رجع بعض محققي الأشاعرة عن هذا القول منهم الرازي و«الايجي» صاحب المواقف كما حكاه عنه «الجرجاني» ومال اليه[2] «والشهرستاني» ومن المتأخرين ابن الهمام والشيخ «ملا علي القاري» والشيخ «ابراهيم الكوراني» في كتابه «إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام» قاله الألوسي[3]. وهذا الرجوع انتصار للحق الذي دعا اليه ابن تيمية وردّ على الحبشي في أن هذا القول لا زال قول أتباع ابن تيمية الى اليوم [4].
وبقي أكثرهم على عقيدة أن الله لا يتكلم متى شاء وأن كلامه غير متعلق بمشيئته وقدرته. وإنما التكليم عندهم هو خلق الإدراك فقط.

---

١) الحاوي للفتاوي ١/٣٣٦-٣٣٧.
٢) يظهر أن موقف الايجي محذوف من المواقف على عادة أهل الباطل في حذف المشكل من كتب سادتهم كما فعلوا في المضنون على غير أهله والاحياء للغزالي ولكن الجرجاني ذكره في شرحه على مواقف الايجي (٨/١٠٣-١٠٤) كما اعترف برجوع الشهرستاني عن مقالة الاشاعرة في الكلام النفساني.
٣) فتح الباري ١٣/٤٥٥ المطالب العالية ٢/١٠٦-١١١ و٢/١٠٦ و٣/٢٠٤-٢٠٧ نهاية الإقدام ٣١٢ المسامرة على المسايرة ١/٨٩.
٤) إظهار العقيدة السنية للحبشي ٧٩.

أما الماتريدية فاستدل الشيخ أبو المحاسن منهم بقول الامام الطحاوي في كلام الله « منه بدأ بلا كيفية» في الرد على من قال بأن كلام الله معنى واحد لا يتصور سماعه [١] وأن إثبات كلام يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته غير معقول ولا معلوم، فكيف نثبت بالدليل المعقول شيئاً لا يعقل؟.

قال ويؤيده المأثور عن السلف من أنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم» [٢].

الله لا يتكلم عندهم متى شاء

قال الحافظ « غرض البخاري في هذا الباب إثبات ما ذهب اليه أن الله يتكلم متى شاء» [٣].

ونقل عن أحمد قوله إن الله لم يزل متكلماً اذا شاء» وعزا العلامة الحنفي الشيخ ملا علي قاري هذا القول الى أئمة السنة والحديث القائلين بأن كلام الله حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء.

وأن نوع الكلام قديم وهو مختار الإمام (أي أبي حنيفة) والطحاوي [٤].

وأن كلام الله «منه خرج واليه يعود». حسبما رواه البيهقي[٥].

وذكر البيهقي أن هذا ما أدرك عمرو دينار الصحابة عليه وأجلّة التابعين، وعلى هذا مضى صدر الأمة ولم يختلفوا عليه».

مسخ وطمس وتحريف

ولكن حتى هذه العبارة «منه خرج واليه يعود» مسخها التأويل الأشعري فقد جعل أبو بكر بن فورك معناها « أي هو الذي يسألك عما أمرك ونهاك» [٦].

---

١) الفصل في الملل والنحل ١٢٣/١.

٢) نظم الفرائد ١١-١٣.

٣) فتح الباري ٤٩٦/١٣.

٤) فتح الباري ٤٩٣/١٣و٤٥٥/١٣ الفقه الاكبر ٢٩-٣١.

٥) الاسماء والصفات ٣١٥-٣١٦ محققة: ٣٨١/١-٣٨١.

٦) مشكل الحديث وبيانه ٢٨٨

لماذا ينفون أن يكون القرآن كلام الله

لأنهم يرون أن الله تعالى يتكلم بكلام أزلي أبدي لا بداية له ولا نهاية وهو ليس كلاما مؤلفا من الحروف والالفاظ المتعاقبة التي تتجزأ وتتبعض، وانما هو كلام نفساني تكلم الله به في نفسه لأن كلام الله ليس لغة ولا حرفاً ولا صوتاً.

○ وبما أن هذه الشروط لا تتفق والقرآن الذي بين أيدينا من حيث احتواؤه على الحروف والكلمات وعلى تجزئته كما في قوله ﷺ «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء» (١): اعتبروا حينئذ هذا القرآن الذي بين أيدينا مخلوقاً وأنه يطلق عليه كلام الله مجازا لا حقيقة، لذا فهو « عبارة عن كلام الله» بمعنى أنه يحكي كلام الله وليس هو كلام الله (٢). ولو كانت العبارة هي نفس المعبر عنه - أي القرآن - لما احتاجوا الى استعمالها ولقالوا: القرآن كلام الله وانتهى الأمر!

ولا نزال نسألكم: من المعبر عن هذه العبارة؟ ولماذا تقولون « فإن عُبِّر عن كلام الله» لماذا تصيغونها بصيغة نائب الفاعل فتجعلون الفاعل مجهولا؟ هلا أفصحتم عن شخصية هذا المعبِّر؟

وقد جاء في رواية الخلال وأبي الفضل التميمي عن أحمد بن حنبل أنه كان يضلل من يقول: إن القرآن عبارة عن كلام الله عز وجل، وأنه قد جهل وغلط (٣).

فكلام الله النفسي الذي ليس هو حرفا ولا لغة هو كلام الله الحقيقي عند هؤلاء، أما القرآن ذو الألفاظ فهو مخلوق لكن يمكن اطلاق لفظ القرآن عليه مجازاً، وهذا الكلام موافق تماماً لما قاله الماتريدي في تأويلاته (٤) وهذا لا يختلف مع الجهمية والمعتزلة القائلين بأن القرآن الذي هو كلام الله مخلوق.

---

١) مسلم (٨١١).

٢) الدليل القويم ٦٦و٦٧.

٣) العقيدة للإمام احمد بن حنبل برواية الخلال ١٠٧ تحقيق السيروان ط: دار قتيبة - دمشق. طبقات الحنابلة ٢/٢٩٦.

٤) النهج السليم ٢٦ الفقه الاكبر ٢٧ تأويلات أهل السنة آية (٥١-٥٢) سورة الشورى إشارات المرام ١٧٧-١٧٨ عقيدة الخير لأبي الخير البنغلاديشي ٣٧٦-٣٧٧.

أسماء الله عندهم مخلوقة

وهنا وقع الأشاعرة في ورطة كبيرة أظهرت مدى موافقتهم للمعتزلة، فإنه عندما جعلوا كلام الله معان نفسية والألفاظ مخلوقة قيل لهم: ماذا عن ألفاظ اسماء الله (الله والرحمن) هل هذه ألفاظ أزلية أم مخلوقة وهي في القرآن؟

فتحيروا وتخبطوا ولم يأتوا بجواب واضح. فقالوا: بأن الله صالح أزلا لهذه الأسماء أو أنه علم بها أزلا[1].

وهذا قول باطل فإن الله عالم أزلا بجميع مخلوقاته قبل خلقهم، فما الفرق بين مخلوقاته وبين أسمائه حينئذ؟ وإذا كان الكلام نفسياً بلا حرف ولا صوت وإنما هو شيء قديم فما الفرق بينه وبين الارادة والعلم؟

وهم يعتبرون ألفاظ أسماء الله مخلوقة لأن الله كان ولم يكن لفظ ولا لافظ كما صرح الرازي [2].

واختاروا بأن الاسم مشتق من (السمو) ومنعوا أن يكون من السمة ليصفو لهم القول بأن الله لم يزل موصوفاً.

وجعلوا لفظ (المسمى وهو الله) بمعنى التسمية. وهو باطل فإن التسمية هي وضع الاسم للمسمى وتخصيصه به وهذا وحده كاف في المغايرة، إذ الوضع غير الموضوع بداهة[3]. ولو تفحصت هذا القول ملياً لأدركت أنهم على الحقيقة موافقون لقول من قال بخلق القرآن. قال إسحاق بن راهويه « أفضوا [أي الجهمية] الى أن قالوا: أسماء الله مخلوقة، وهذا هو الكفر المحض» [4].

---

١) تحفة المريد ٨٧.

٢) لوامع البينات شرح أسماء الله ٢٤.

٣) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله ٢/٤٨٩ لخالد نور. ط: مكتبة الغرباء بالمدينة. وهو من الكتب الجديرة بالقراءة.

٤) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٢١٤.

زعمهم أن أسماء الله ليست في الحقيقة أسماءه

وكما أنهم جعلوا القرآن عبارة عن كلام الله وليس كلام الله، فكذلك جعلوا أسماء الله عبارة عما يستحقه الله من الصفات:

كما قال الماتريدي « الأسماء التي نسميه (أي الله) بها عبارات عما يقرب الى الأفهام. أنها في الحقيقة أسماؤه»[١]. وقال صاحب فيض الباري « والأسماء الحسنى عند الأشاعرة عبارة عن الإضافات، وأما عند الماتريدية فكلها مندرجة في صفة التكوين»[٢]. فماذا يفعلون في لفظ الجلالة (الله) هل يدرجونه في صفة التكوين وهو الاسم الأعظم؟!

الحقيقة أنهم ألحدوا في اسم الجلالة (الله) فصرح الماتريدية بأن اسم (الله) علم على الذات لا معنى له[٣].

وكما قال الباقلاني في حديث « لله تسع وتسعون اسماً» قال: أي تسع وتسعون تسمية هي عبارات عن كون الباري تبارك وتعالى على أوصاف شتى» [٤].

- ويلزم من ذلك أن الله لم يكن له اسم في الأزل، ويلزم منه موافقة المعتزلة في أن أسماء الله مخلوقة، إذ كيف تكون أسماء الله أزلية مخلوقة في آن واحد؟ فصاروا موافقين للجهمية والمعتزلة في المعنى وموافقين لأهل السنة في اللفظ فقط.

ولقد وصفنا أسماء الله بأنها حسنى لاشتمالها على أحسن المعاني. وبهذا يصير قولهم بخلق أسماء الله الحسنى كقولهم بخلق القرآن.

وهذا ما جعل البيجوري يجيب عن هذا بإجابة تنمّ عن حيرته وتردده إذ قال « وبالجملة فهذا البحث لم يَصْفُ» [٥].

قلت: كيف يصفو وهو لوثة اعتزالية ورثها القوم عنهم؟!

والجواب الصحيح عدم التسليم بأن الأسماء مخلوقة، فإن أسماءه من كلامه وكلامه غير مخلوق كما قال الدارمي « أسماء الله لم تزل له كما لم يزل» [٦].

---

١) التوحيد للماتريدي ٩٣-٩٤.

٢) فيض الباري ٥١٧/٤ للشيخ أنور شاه الكشميري.

٣) نظم الفرائد ٢١.

٤) التمهيد ٢٦٣ تحقيق حيدر.

٥) تحفة المريد ٨٨.

٦) النقض على بشر المريسي ١٣ قال الذهبي « العلامة الحافظ الناقد فاق أهل زمانه وكان لهِجاً بالسنة وكان جِذعاً في أعين

شهادة خطيرة لابن الجوزي

تكشف أن سفهاء الأعاجم مصدر عقيدة الحبشي

وقد أحدث هذا القول الخطير جماعة من الأعاجم السفهاء كما قال ابن الجوزي [١] «قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم فارتقوا منابر التذكير والوعظ وكانوا يقولون في مجالسهم : ليس لله في الأرض كلام. وهل المصحف إلا ورقٌ. ثم قالوا : أين الحروفيّة الذين يزعمون أن القرآن حرفٌ وصوت؟ هذا عبارة جبريل» [٢].

« وقالوا : لم ينزل القرآن ولا يُتصور نزوله، وكيف تنفصل الصفة عن الموصوف وليس في القرآن إلا حبرٌ وورَق.

وقالوا : إن الله ليس في السماء وأن الجارية التي قال لها النبي ﷺ أين الله؟ كانت خرساء فأشارت الى السماء [٣]. أي ليس هو من الأصنام التي تُعبد في الأرض.

- وقالوا : إن الله ليس في السماء ولا يُقال استوى على العرش ولا ينزل الى السماء الدنيا بل النازل رحمتُه، فمحوا من القلوب ما أريد إثباته فيها [٤] فما زالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في صدور أكثر العوام».

ابن الجوزي يوبخ الأشعري ويلزمه بالقول بخلق القرآن

قال « لم يختلف الناس حتى جاء علي بن اسماعيل الأشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عنّ له فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس[٥]، فأوجبت دعواه هذه أن ما عندنا مخلوق»[٦].

المبتدعة» (سير أعلام النبلاء ٣١٩/١٣-٣٢٤).

١) وهو ممن يحتج به الحبشي ويمتدحه ويقول بأنه من مُنزّهة الحنابلة.

٢) صيد الخاطر ١٨١ ط المكتبة العلمية وانظر المنتظم ٣٣٢/٦.

٣) وهذه المقولة يرددها أتباع الحبشي ولا يدرون أن مصدرها هؤلاء الأعاجم السفهاء كما وصفهم ابن الجوزي بذلك.

٤) كتاب صيد الخاطر١١٥و١١٦ ط المكتبة العلمية بيروت.

٥) وهو ما حكاه الشهرستاني عن الأشعري في الفصل في الملل والنحل ١٢٣/١.

٦) كتاب صيد الخاطر١٨١و١٨٣.

وقال أبو نصر السجزي[1] رحمه الله « إعلموا أرشدنا الله وإياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق... في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً الى أن ظهر ابن كلاب والقلانسي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة»[2].

موقف الجيلاني من كلام الله

- وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله « ونعتقد أن القرآن حروف مفهومة وأصوات مسموعة، لأن بها يصير الأخرس والساكت متكلماً، فمن جحد ذلك فقد كابر حسه وعميت بصيرته» [3] وذلك خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم قديم بالنفس [4]. وانتهى الى أن الآيات القرآنية والآثار تدل على أن كلام الله صوت لا كصوت الآدميين كما أن علمه وقدرته وبقية صفاته لا تشبه صفات الآدميين، كذلك صوته، وقد نص أحمد وجماعة من الأصحاب على ذلك[5] فإذا وافقونا على أن لله سمعاً ليس كسمع المخلوقين فلماذا لا يوافقون على أن لله صوتاً ليس كأصوات المخلوقين؟

وكيف يكون الكلام النفسي هو قول أهل السنة؟ فليأت الحبشي بدليل على ذلك من كلام الشافعي أو أحمد أو مالك أو واحد من السلف؟!

نعم انفرد الأشعري به وشدد ابن الجوزي النكير عليه حتى قال «ادعى [الأشعري] أن الكلام صفة قائمة بالنفس، فأوجبت دعواه هذه أن ما عندنا مخلوق» [6] مع أنهم يصفون ابن الجوزي بأنه من منزّهة الحنابلة.

---

١) قال الذهبي « الامام الحافظ شيخ السنة شيخ الحرم ومصنف الإبانة الكبرى وهو مجلد كبير دال على سعة علم الرجل بفن الأثر» (سير أعلام النبلاء ١٧/٦٥٤ ووصفه السيوطي في طبقات الحفاظ (ص ٤٢٩) بأنه « عَلَمُ السُنة».

٢) رسالة السجزي الى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ٨٠ تحقيق محمد عبد الكريم باعبد الله.

٣) الغنية لطالبي الحق ٥٩.

٤) الغنية ٦٠.

٥) الغنية ٦٢.

٦) كتاب صيد الخاطر ١٨٣ وانظر المنتظم ٦/٣٣٢.

المعتزلة والأشاعرة متفقون على خلق الكلام

○ واذا رجعنا الى الوراء حيث وقعت فتنة القول بخلق القرآن التي ثبت أمامها امام السنة أحمد بن حنبل، نجد أنه كان يوضع أمام علماء عصره المصحف ويؤمر أحدهم أن يقول هذا مخلوق، يشير بيده الى المصحف وهو يقصد أن ابهامه مخلوق.

وهو من الادلة على أن الجهمية والمعتزلة لما قالوا بخلق القرآن ارادوا هذا الذي بين أيدينا لا الكلام النفسي الذي لم يكن معروفا من قبل ومن هنا نرى مدى التطابق بين قول الحبشي وبين قول المعتزلة والجهمية. حيث انتهوا الى القول بأن هذا القرآن مخلوق. ولهذا قالوا إن الاشاعرة والماتريدية خالفوا المعتزلة في اللفظ ووافقوهم في المعنى.

تصريحهم بموافقة المعتزلة

والأشاعرة والماتريدية يفرقون بين القرآن وبين كلام الله، فيجيزون لك أن تقول كلام الله غير مخلوق. ولكن لا يجيزون أن تقول: «القرآن غير مخلوق» اذا كان المقصود هو الكلام النفسي، لأنهم يفرقون بين كلام الله النفسي وبين الكلام المخلوق اللفظي. ويلزم من هذا أن نقول: القرآن الذي بين أيدينا ليس كلام الله.

ولقد صرح الأشاعرة والماتريدية بأنهم متفقون مع المعتزلة في أن القرآن مخلوق والفرق بينهم وبين المعتزلة أن المعتزلة لا يؤمنون بالكلام النفسي [١].

○ فقد صرح الجويني بأن «الاختلاف مع المعتزلة هو اختلاف في العبارة والتسمية مع أنهم متفقون مع الأشاعرة في المعنى والجوهر فان معنى قول المعتزلة: هذه العبارات أنها خلقه، ونحن لا ننكر أنها خلق الله ولكن نمتنع عن تسمية خالق الكلام متكلماً به، فقد أطبقنا على المعنى، وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته»[٢].

اذن فالأشاعرة متفقون مع المعتزلة في أن كلام الله مخلوق ولهذا لا يرضى الأشاعرة تسمية القرآن الذي بين أيدينا: كلام الله. وانما

---

١) إشارات المرام ١٤٤ شرح العقائد النسفية ٥٧ شرح الفقه الأكبر، عقيدة الاسلام والامام الماتريدي ٣٧٤ لابي الخير محمد علي.

٢) الارشاد ١١٦-١١٧ والمحصل للرازي ٢٦٥-٢٦٦.

(عبارة) عن كلام الله.

وأفصح البيجوري عن حقيقة مذهبهم في كلام الله بأنه مخلوق لكنه نصح بكتمان هذا القول عن عوام الناس حتى لا تتضح معالم هذه الموافقة فقال « يمتنع أن يقال ان القرآن مخلوق الا في مقام التعليم» [1] .

ولكن كان الماتريدية أكثر تصريحاً بموافقة المعتزلة حين صرحوا بأن الكلام الذي كلم الله به موسى **مخلوق**. فقد قال الماتريدي بأن الله أفهم موسى كلامه بصوت تولى تخليقه في الشجرة. قال محمد أبو زهرة « وهو بذلك يلتقي مع المعتزلة» [2]. وصدق أبو زهرة فقد قال الحافظ « وقالت المعتزلة ان الله كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة»[3] .

وقد سب الحبشي المعتزلة لقولهم أن الله خلق كلاماً في الشجرة، غير أنه تجاهل أن هذا عين قول الماتريدي. مع أنه أثبت للماتريدي بأن الله خلق صوتاً كلم به موسى[4]. ولذلك رفض ابن الهمام قول الماتريدي ورجح مذهب الأشعري عليه [5].

ويكثر الأشاعرة والماتريدية من تحذير المسلمين من القول بخلق القرآن وهذا ليس الا ترويجاً للمذهب ومنفقة للسلعة فلعلك تسألهم:

اذا كان القرآن عندكم غير مخلوق فعن أي قرآن تتكلمون وعن أي قرآن كان يتكلم المعتزلة حين قالوا: القرآن مخلوق؟

هم لم يثبتوا الكلام النفسي أصلا حتى يقولوا إنه مخلوق وإنما أطلقوا قول « القرآن مخلوق» كانوا يتحدثون عن القرآن الذي تعتبرونه أنتم مخلوق بحجة أنه حرف وصوت وألفاظ وحروف وتنزهون الله عن كل ذلك.

أجيبوا يا من تحترفون تلبيس الحق بالباطل: هل قالت المعتزلة: كلام الله النفسي مخلوق؟

---

١) جوهرة التوحيد ٧٢ تحفة المريد ٩٤.

٢) التوحيد للماتريدي ٥٩ تاريخ المذاهب الاسلامية ١٨٣ تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات ٢٥٤.

٣) فتح الباري ١٣/٤٥٤ـ٤٥٥.

٤) الدليل القويم ٧٠.

٥) المسامرة شرح المسايرة ١/٨٩.

القول بالكلام النفسي مخالف لأهل السنة

وزعم الحبشي أن أهل السنة يقولون أن كلام الله معنىً في النفس[1].

وكذبه البخاري فروى معلقا حديث « أن الله ينادي بصوت يسمعه من قرُب» ثم قال « وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذكرُه يُسمع من بُعد كما يُسمع من قرب، وأن الملائكة يُصعَقون من صَوته. فإذا تنادى الملائكة لم يُصعَقوا» [2].

وقد شهد الحافظ ابن حجر بكذب هذا القول حين نسب الكلام النفسي الى الأشاعرة، بينما ذكر هو والمرتضى الزبيدي تمسك أحمد بأن الله يتكلم بصوت، وهو ما أثبته أبو الفضل التميمي في روايته عن أحمد [3].

وفي ذلك تكذيب للحبشي الذي زعم أن ابن تيمية افترى على أحمد القول بأن الله يتكلم بصوت [4].

وبناء على قول الأشعري « ونحن بما كان عليه أحمد قائلون: **ولمن خالف قوله مجانبون**» [5] نحكم عليكم بأنكم على منهج مناقض لما كان عليه أحمد رحمه الله. فإن موقف أحمد هو موقف أهل السنة بشهادة الأشعري رحمه الله.

وكتب الموفق المقدسي رسالة « تحريم النظر في كتب علم الكلام» أثبت فيها بالأدلة أن الله يتكلم بحرف وصوت رداً على ابن عقيل شيخ ابن الجوزي.

ونبه الزبيدي الى أن من قال بالصوت نظراً للأحاديث الواردة فيه لا ينسب الى الجهل» [6].

---

١) إظهار العقيدة السنية ٦٩.

٢) خلق أفعال العباد للبخاري ١٣٧ فقرة رقم (٣٦٤).

٣) فتح الباري ١٣/٤٦٠ اتحاف السادة المتقين ٢/٧٩-٨٠ طبقات الحنابلة ٢/٢٩٦.

٤) أنظر المقالات السنية ص ٧٥.

٥) تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر ١٥٨.

٦) اتحاف السادة المتقين ٢/١٥٠.

ومن الأدلة على ذلك ما حكاه السبكي من أن الحسين بن علي الطبري كان أشعرياً جرت مناظرات بينه وبين الحنابلة القائلين بالحرف والصوت[1]. فكيف يكون الأشاعرة موافقين لمذهب احمد؟

وأنشد ابن أعين [2] في أحمد هذه الأبيات:

أضحى ابنِ حنبل محنة مأمونة   وبحُبِ أحمد يُعرَف المتنسك
وإذا رأيتَ لأحمد متنقصاً   فاعلَم بأن ستوره ستُهتَك

---

١) طبقات السبكي ٤/٣٥٠.

٢) فيما نقله ابن عساكر عنه (التبيين ٤٢١).

الأدلة على بطلان الكلام النفسي:

١) إن القول بالكلام النفساني قول لا يستند الى أي دليل من كتاب ولا سنة ولا حتى اللغة تشهد بذلك، فان الله أطلق لنفسه صفة الكلام ولم يقيدها بالكلام النفسي دون الكلام الحقيقي واذا أطلق الكلام فانه يشمل اللفظ والمعنى ولا يجوز تقييده الا بقرينة تدل على ذلك. قال ابن فارس في معنى الكلام « يدل على نطق مُفهِم» (١).

ولا يسمى الكلام كلاماً ما دام قائماً بالنفس.

- وفي الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» (٢).

فههنا نوعان من الكلام احدهما في النفس وثانيهما التكلم مع الملائكة. والكلام الثاني غير الكلام الأول.

- وقال تعالى ﴿**ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾ [المجادلة ٨] وهذا التقييد دل عليه قوله تعالى ﴿**في أنفسهم**﴾.

- وقال رسول الله ﷺ «ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم به»(٣). وهذا الحديث ظاهر في اخراج حديث النفس عن مطلق الكلام.

وقال عمر رضي الله عنه « زورت في نفسي كلاما» والتزوير إصلاح الكلام وتهيئته كما قال الأصمعي (٤). فلو كان الكلام عند الإطلاق يدل على المعنى فقط لما قيده بقوله « في نفسي».

أما اذا أطلق الكلام من غير أن يقترن به ما يدل على التقييد فيمتنع حينئذ تقييده. كقول النبي ﷺ «ان الله يحدث لنبيه ما شاء، وان مما أحدث لنبيه أن لا تكلموا في الصلاة» (٥) ولا يقول عاقل إن الكلام الممنوع في الصلاة هو الكلام النفسي، لأن المتبادر عند اطلاق الكلام: الكلام الحقيقي لا النفسي.

---

١) معجم مقاييس اللغة ١٣١/٥.

٢) البخاري ٣٢٨/١٣ ومسلم رقم (٢٦٧٥).

٣) البخاري ٤٧٨/١١ ومسلم (١٢٧).

٤) البخاري (٦٨٣٠) وفتح الباري ١٤٥/١٢ وانظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٤٢/٣.

٥) أخرجه البخاري تعليقا ٤٩٦/١٣ وأحمد ٣٧٧/١ وأبو داود (٩٢٤).

هذا ما تقرره اللغة ويقره عرف التخاطب، فان أهل العرف يسمون الناطق متكلما وما عداه ساكتا أو أخرس.

من طرائف المقدسي

ولذلك فإنه لما كان عبد الرحمن بن عساكر يمر بالموفق ابن قدامة المقدسي فيسلم عليه لا يرد الموفق عليه السلام. فسئل عن سبب امتناعه عن ذلك فقال: إنه يقول بالكلام النفسي وأنا أرد عليه في نفسي» [(١)].

فالكلمة اذا أطلقت: أريد بها اللفظ والمعنى وليس المعنى دون اللفظ. ومن يقول: أريد بها المعنى دون اللفظ كان محرفا لحقيقة معنى (الكلمة). قال النجم الطوفي «إن الكلام مشتق من «الكَلْم» لتأثيره في نفْسِ السامِع، والمؤثر في النفس إنما هو العبارات لا المعاني النفسية.

٢) أن اثبات « الكلام النفسي» لا يُثبت له صفة الكلام وانما ينفيها، فانه يجوز حينئذ وصف الأبكم بأنه متكلم لأنه قادر على الكلام النفسي مع عجزه عن الكلام الحقيقي. فإن من لم يكن قادراً على الكلام فهو الأخرس، واذا كان قادراً ولم يتكلم فهو الساكت.

الباقلاني يشبه ربه بالأبكم

ومن العجب أن نرى الباقلاني يحاول تقرير الكلام النفسي مستدلا بالأخرس «الذي لا ينطق باللسان ولا يسمع بالصوت وانما يفهمنا كلامه القائم بنفسه ونفهمه كلامنا القائم بأنفسنا بالاشارة دون نطق اللسان» [(٢)]!

وذلك ليقرب الى أفهامنا حقيقة الكلام النفسي الذي يعتقده فان حقيقة عقيدته هي هذا المثل الذي ضربه لنا. وهذا وصف مذمة لله تعالى فان من يجتمع فيه الكلام الحقيقي مع الكلام النفسي أكمل ممن يتصف بالكلام النفسي دون الحقيقي.

٣) أن الله تعالى فرق بين مراتب تكليمه لرسله. فكلامه لموسى يختلف عن ايحائه لغيره من الأنبياء، فان الله كلمه من غير واسطة. كما أنه سبحانه يكلم عباده يوم القيامة بلا واسطة، وهذا ما أكده القشيري

---

١) طبقات السبكي ٨/١٨٤ محققة.

٢) الانصاف ١٥٩ وهذا يُحمل على ما كان قبل توبته.

من أن الله أفرد موسى «في وقته» بأن أسمعه كلام «نفسه» بغير واسطة وأن مذهب القدرية أن موسى سمع كلاماً من الشجرة فلزمهم أن يقولوا إنه سمع كلام الشجرة» [1].

٤) أنهم يمنعون مثبت الاستواء له أن يقول: (الله في السماء بذاته) لأنه لا يجوز عندهم إطلاق لفظ لم يرد به الشرع ولم يقل به السلف.

أما أن يقولوا هم: (تكلم بكلام نفساني لا حقيقي) فهذا مشروع وإن لم يقل به السلف!!!

حقيقة الكلام النفسي هو: صِفَتَيْ العِلم والارادة

اذا كان الكلام نفسياً بلَا حرف ولا صوت، وإنما هو شيء قديم فما الفرق بينه وبين الإرادة والعلم؟ ولهذا فإن المنقب عن عقيدة الأشعرية والماتريدية يجد في النهاية أنهم حينما يتكلمون عن كلام الله تعالى إنما يتكلمون عن صفة الارادة والعلم. لأنهم لا يثبتون تكلماً لله بالفعل المضارع ولا بالمستقبل ﴿ويوم يناديهم﴾ ولا يثبتون لله النداء ولا الصوت. وإنما يثبتون كلاماً نفسياً.

فإن إفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى بن مريم. فإنه مخلوق ويجعلونه نفس الكلمة.

ولذا شابهت هذه التعقيدة تعقيدة القائلين بالتثليث حيث إنهم يثبتون ما لا يتصورون، ولا يبينون، ويكتفون بزجر السائل بأن هذه المسألة فوق فهومنا!

ولو كان كلام الله معنى مجردا في النفس لم يعد لموسى ميزة على غيره في التكليم. فان افهام المعنى المجرد يشترك فيه الجميع. قال تعالى ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ والتكليم هو المشافهة بالكلام.

قال الحافظ: قال الأئمة هذه الآية أقوى ما ورد في الرد على المعتزلة. وقال النحاس: إن الفعل إذا أُكِّد بالمصدر لم يكن مجازاً

١) طبقات السبكي ٤١٧/٣ وانظر شكاية أهل السنة بحكاية ما لهم من المحنة ص ٣٩ ضمن الرسائل القشيرية تحقيق د. فير محمد حسن.

ووجب أن يُحمل على الحقيقة التي تُعقَل [1]. واحتج بها الامام أحمد على الجهمية في مناظرته أمام المأموم ليؤكد ميزة موسى على غيره في سماع كلام الله الحقيقي [2].

لكن الماتريدية وغيرهم يقولون (فهم موسى كلام الله) ولا يقولون (سمع كلام الله) لأن كلام الله لا يُسمع عندهم [3]. وهم في ذلك مخالفون لصريح قول أبي حنيفة القائل « وسمع موسى عليه السلام كلام الله»[4]. متفقون مع عبد الله بن كلّاب شيخ الأشعري الذي قال **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾** أي حتى يفهم كلام الله [5]!

لكن الفهم لا يحصل الا بعد السماع: فموسى سمع أولا، ثم فهم معنى ما سمع ثانياً.

ومع مقاربة الحارث المحاسبي له فقد خالفه في ذلك فقال مثبتاً التكليم والفوقية « إذ تكلم الله عز وجل به تكليماً من نفسه من فوق عرشه من فوق سماواته» [6].

---

1) فتح الباري ١٣:٤٧٩ الفقه الأكبر بشرح القاري ٢٦.
2) رواه عنه حنبل في المحنة ٦٣.
3) التوحيد للماتريدي ٥٩ الدليل القويم ١٩٠.
4) الفقه الأكبر ٢٦.
5) مقالات الاسلاميين ٥٨٥.
6) فهم القرآن ص ٣٠٢ و٣٠٩.

مرة أخرى يتناقضون

ومن التناقض ما حكاه السبكي من أن القول بأن الكلام النفسي يُسمَع: هو أحد قولي الأشعري مرة قال يُسمع ومرة قال: لا يُسمَع[1]. وبالطبع لا يقال إن المعنى النفسي يُسمع!

حين يتصوف الأشاعرة يثبتون الحرف والصوت

ومع قول القشيري إن الله أفرد موسى في وقته بأن أسمعه كلام «نفسه» بغير واسطة، (بشهادة السبكي).

ولا يكاد صوفي - أشعريا أو ماتريديا - اذا تصوف - الا وهو يُخرج من فمه ما يثبت التكليم بحرف وصوت.

فإن هذا الشاهد السبكي لا يتقيد بالمذهب الأشعري حين تهوى نفسه حكاية صوفية، فقد حكى قصة المكالمة المباشرة التي جرت بين الله وبين أبي الحسن الخلَعي قال «غشيتني حُمّى، فهتف بي هاتف ناداني باسمي. فقلت لبيكَ داعي الله، فقال: لا بل قل: لبيك ربي الله. ما تجد من الألم؟ فقلت: الهي وسيدي ومولاي: قد أخَذَتْ مني الحمى ما قد علمت. فقال: قد أمرتها أن تقلع عنك» [2].

- ولهذا اعترف السرهندي النقشبندي الماتريدي أن كلمات كبار المشايخ تثبت لله الكلام والمكالمة. وها هو صاحب الرحمة الهابطة على هامش مكتوبات السرهندي يحكي أن ابن عربي كان يقول: إن لله لسانا يتكلم به وأذناً يسمع بها[3].

٥) أن صفة النداء لله تُبطل هذا الكلام النفسي الذي أتوا به: قال تعالى ﴿وناداهما ربهما﴾ وقالَ ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ ولا يتصور أن يكون الله نادى موسى وابراهيم وآدم في نفسه. وهذا ما دعا الامام الطحاوي الى التأكيد: أن كلام الله «قولٌ على الحقيقة» [4].

لكن الحبشي [5] مسخ كلام الطحاوي وزعم أنه قصد بذلك الكلام النفسي.

---

١) طبقات السبكي ١٠/٢٩٤.

٢) طبقات السبكي ٥/٢٥٤-٢٥٥.

٣) مكتوبات الامام السرهندي ٢٩١ وانظر هامش المكتوبات ٩٧ و٩٩.

٤) العقيدة الطحاوية ٢٤.

٥) إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية ٧٧.

هل كلام الله معان من غير صيغة ؟

حقيقة معتقد الأشاعرة في الكلام هو الارادة والعلم

وزعم الأشاعرة أن الكلام هو الخبر والأمر والنهي. وقد أجاب ابن تيمية على ذلك بأن « الخبر بدون صيغة ليس في الحقيقة الا العلم الذي يقوم بالنفس. وأن الأمر والنهي الذي في النفس ليس في الحقيقة الا الارادة التي تقوم بالنفس. فهذا يؤدي الى إنكار صفة الكلام لله لأن ما أثبتموه من الكلام النفسي لم يكن غير العلم والارادة وليس الكلام.

والفرق واضح بين إرادة الله للكلام وبين التكلم في قوله تعالى **﴿إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾** و(اذا) هنا ظرفية لما يستقبل من الزمان تبين وقوع الكلام متأخراً عن حصول الارادة. وإلا فإذا كان الكلام نفسياً بلا حرف ولا صوت وإنما هو شيء قديم فما الفرق بينه وبين الارادة والعلم؟

فاضطر بعدها الأشاعرة الى القول بأن الخبر غير العلم مستدلين بأن الانسان قد يحكم بما لا يعتقده ولا يظنه. فرد عليهم ابن تيمية بإيراد هذه الآيات التي وصف الله فيها كلامه المنزل على نبيه ﷺ بأنه أنزله بعلمه فقال **﴿فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾** [هود١٤] وقال **﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم﴾** [آل عمران٦١].

واضطروا الى القول بأن الأمر والنهي غير الارادة مستدلين بأن الله قد يأمر بما لا يريد وينهى عما يريد. وهذا غاية وشر ما أوصل اليه اعتقادهم الباطل أن ينتهوا الى أن الله قد يخبر بخلاف ما يعلم ويأمر بخلاف ما يريد.

قال تعالى **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾** زعم ابن كلاب شيخ الأشعري أن معناها (حتى يفهم

كلام الله) [1] والفهم لا يحصل الا بعد السماع: فموسى سمع أولا ففهم معنى ما سمع ثانياً.

وفي الحديث « ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان» [2]. فهل معنى ذلك أن كل واحد منا سيفهم ما في نفس الرب من غير أن يسمع كلامه كما يزعمون في جبريل؟

وقال ﷺ لجابر بن عبد الله يوم استُشهد أبوه « إن الله كلّم أباك من غير حجاب» وكيف يكلم الله أبا جابر بنَ عبد الله، وما ميزة « من غير حجاب»؟!!.

إن هذا الادعاء المجرد من الدليل يجعلكم تلتحقون بمن قال الله فيهم ﴿يريدون أن يبدّلوا كلام الله﴾[الفتح١٥].

---

١) مقالات الاسلاميين ٥٨٥.

٢) أخرجه البخاري (٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦).



كلام الله عندهم من نظم مخلوقاته

وإذا لم يكن هذا القرآن كلام الله (حقيقة قولا) على شدد عليه الطحاوي رحمه الله [1] وانما مجازا كما زعم المخالفون له: فمن الذي نظم حروفه وكلماته ؟

ونترك الجواب على هذا السؤال للبيجوري والأمير في شرحهما على جوهرة التوحيد حيث ذكرا أن أهل السنة (يقصد الأشاعرة) على خلاف في ذلك:

فبعضهم يرى أن ألفاظه من عند جبريل.

والبعض الآخر يرى ألفاظه من عند محمد. وهو قول الأمير في شرحه على الجوهرة فهؤلاء وافقوا قول من قال ﴿إنْ هذا إلا قولُ البشر﴾[المدثر ٢٥].

ورجح البيجوري أن جبريل عبَّر عنه بألفاظ من عنده»[2].

وهذا الرأي يمثله الباقلاني الذي صرح أن « النظم العربي في القرآن هو قول جبريل لقوله تعالى ﴿انه لقول رسول كريم﴾ وهو الذي تلاه باللغة العربية» [3] فصار القرآن عندهم كلام جبريل حقيقة كلام الله مجازا!

وهذا من أبطل الباطل، فإن جبريل رسول ﴿وما على الرسول الا البلاغ﴾ وليس عليه الترجمة من كلام نفسي الى كلام بحرف وصوت! وهو قد نزل به الى محمد ولم يُنشىء ألفاظه الى محمد كما قال تعالى ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾، إذ لو كان منشئاً لم يكن رسولا ولا مبلغاً. ولكن الأشاعرة يقولون: أنشأه ثم أنزله!

٥) أنه يلزم من هذا الاعتقاد لوازم فاسدة منها:

- عدم تكفير من ينكر ما بين الدفتين أن يكون كلام الله تعالى.
- وعدم كون المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي.
- عدم كون المقروء والمحفوظ كلام الله تعالى حقيقة.
- الإثابة على ما هو في الحقيقة تلاوة وترتيل ألفاظ جبريل.

٦) أن الله أثبت الكلمات لنفسه فقال ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ (الأعراف ١٥٨).

---

١) أراد بها التأكيد على أن الله تكلم حقيقة.

٢) شرح جوهرة التوحيد ٧٣.

٣) الانصاف ١٤٧.

وقال ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ (الأنعام ٣٤).
وقال ﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾ (يونس ٨٢) .
وقال ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾ (التحريم ١٢).
وتواتر عن النبي ﷺ الاستعاذة بكلمات الله التامة.
فكيف يقال ان كلام الله معنى قديم قائم بالنفس ليس بكلمات؟

عبد الله بن كلاب
صاحب بدعة الكلام النفسي

(٧) أن أول من أحدث القول بالكلام النفسي عبد الله بن سعيد بن كلاب شيخ الأشعري حيث جعل الكلام الذي تكلم الله به: صفة ذاتية قائمة به، وأنكر أن يتكلم الله بقدرته ومشيئته [١]. وهو أول من قال بأن القرآن «حكاية» كلام الله وليس كلام الله.

- قال الذهبي « وهذا القول لم يسبقه فيه أحد» [٢].

- وحتى الرازي فقد وصف موقف ابن كلاب من كلام الله «غاية في البُعد» [٣].

- وصدق الذهبي فان هذا القول لم يعرف عن سلف الأمة وأئمتها بل ولم يخطر ببال أحد من أهل الأهواء والبدع كالجهمية والمعتزلة. وادعاؤهم أن قولهم موافق للسلف غير صحيح: لأن مذهب السلف كان معروفاً قبل ابن كلاب، ولما ابتدع مقالته تلك اشتد نكير جماهير السلف عليه وعلى أتباعه.

حكم عبد القادر الجيلاني في ابن كلاب

- وقد نص الشيخ عبد القادر الجيلاني أن عبد الله بن كلاب كان ينفي أن يكون القرآن حروفاً [٤].

- ثم جاء الأشعري من بعده فاستنكر قوله بأن القرآن « حكاية» كلام الله واستبدلها بلفظ « عبارة».

- ثم جاء الباقلاني [٥]وقرر أنه « ليس من مذهب أهل السنة والجماعة أن يقال: ان كلامه حكاية أو عبارة بل نقول: نتلو كلام الله ونكتب كلام الله ونتلو كتاب الله» وهكذا نجد التضارب بينهم.

ولقد وافقَ ابن كلاب السنة في كثير من أصولها غير أنه خالفها في مسألة كلام الله وغيرها من الصفات الاختيارية. قاله ابن تيمية. ولذا كان الامام أحمد يحذر من مجالسته هو وأمثاله ممن كانوا يتصدون للبدعة ببدعة كالحارث المحاسبي والقلانسي وغيرهم.

---

١) فتح الباري ١٣/٤٥٥.

٢) سير أعلام النبلاء ١١/١٧٤ ونقل ابن تيمية عن أبي نصر السجزي كلاماً مماثلا نقله عن رسالته « الرد على من أنكر الحرف والصوت».

٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ٢٦٦.

٤) الغنية لطالبي الحق ٩٤.

٥) الانصاف١٦٢.

هل يجوز الاستدلال بالنصارى في العقائد ؟

(٨) أننا نقول للمحتجين بقول الأخطل النصراني:

انِ الكلام لفي الفؤاد وانما جُعل الكلامُ على اللسان دليلا[١]

بِئسَت عقيدة القوم أن يردوا اختلافهم عند التنازع الى كلام النصارى:

- فاذا نوزعوا في الكلام النفسي قالوا: قال الأخطل: ان الكلام لفي الفؤاد... [٢].

- واذا نوزعوا في استواء الله قالوا: قال الأخطل: قد استوى بشر على العراق... [٣].

- واذا نوزعوا في صفة اليد قالوا: قال الأخطل:

أعاذل أن النفس في كف مالك

اذا ما دعاً يوماً أجابت بها الرسلا[٤].

وقد لعن ابن حزم من يحتج بهذا البيت من الشعر فقال « ملعون ملعون قائل هذا البيت وملعون من جعل هذا النصراني حجة في دين الله»[٥].

وقد انتقدهم واحد من كبار علماء الحنفية، فقد ذكر المرتضى الزبيدي أن «الشيخ علي الغزي الحنفي ممن لهم تقدمٌ ووجاهة قال في شرح عقيدة الطحاوي « وأما من قال بأنه [كلام الله] معنى واحد مستدلا بقول الأخطل النصراني فاستدلال فاسد، ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد. مع أنه يكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول... فلا يجوز الاستدلال به فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام» [٦].

---

١) غاية المرام للآمدي ٨٨ الإرشاد للجويني ١١١ لمع الادلة ٩١ وجاء الاعتراف بنسبة هذا البيت للأخطل النصراني في تبصرة الأدلة ١١٨ وشرح العقائد النسفية ٥٤ واعترف الزبيدي بأن هذا البيت تهافت عليه أكثر الأشاعرة والماتريدية (إتحاف السادة ١٤٦/٢).

٢) البيجوري على الجوهرة ٧٢ المسايرة ٦٩ إشارات المرام ١٣٨.

٣) البيجوري على الجوهرة ٩٢.

٤) مشكل الحديث لابن فورك ٢٣٥ واعترف بأنه هذا البيت للأخطل.

٥) الفصل في الملل والنحل ٢١٩/٣.

٦) اتحاف السادة المتقين ١٤٦/٢.

فهلا ردوا الاستدلال بأقاويل النصارى في مسائل العقائد؟.

لقد تحاكموا الى كلام الأخطل بما لم يتحاكموا الى كلام الله ورسوله وخضعوا لنصوص الأخطل بما لم يخضعوا لنصوص الكتاب والسنة.

وهم عادة لا يخضعون للشعراء كخضوعهم هنا. ففي مسألة الاسم والمسمى لم يتردد الرازي في رد احتجاج مخالفيه بأشعار لبيد قائلا بأن تمسكهم بقول واحد من الشعراء والأدباء مما لا يُلتفَت اليه ولا يُعَوّل عليه» [1].

- ولقد قيل: الخطل هو الخطأ في الكلام.
- وفي مختار الصحاح: هو المنطق الفاسد [2].
- وقيل أيضاً «أبَتِ العربيةُ أن تتنصّر».

وصدق الشاعر حيث قال:

قبحٌ لِمَن نبذ القرآنَ وراءهُ   واذا استدلّ يقول:

قال الأخطلُ

وقيل إن البيت المذكور فيه تحريف، والصحيح المشهور :

إن البيان لفي الفؤاد...

بلِ قال ابن الخشاب « فتشت في دواوين الأخطل العتيقة فلم أجد هذا البيتَ من بينها»[3].

---

1) لوامع البينات شرح الأسماء الحسنى للرازي ٢٩.

2) ص ١٨١.

3) جلاء العينين في محاكمة الأحمدَيْن ٢٧٦.



القرآن والتوراة والانجيل والزبور
عند الحبشي شيء واحد

والتوراة والانجيل والقرآن عند هؤلاء شيء واحد لأن كلام الله عندهم شيء واحد لا يتغير لكن نزول كلامه (أو نزول ما يدل على كلامه!!) بلغات مختلفة كان هو السبب في اختلاف التسمية. ونزولها باللغات انما كان تعبيرا عن كلام الله« فاذا عبر عن كلامه بالعربية فقرآن وبالعبرانية فتوراة، أو بالسريانية فانجيل» [1]. وأما كلام الله الذاتي القديم الذي ليس توراة ولا انجيلا ولا قرآنا فانه منزه عن اللغة ولا يجوز عنده أن يقال أن الله تكلم بالعربية أو السريانية أو العبرية.

الرد على ذلك

أولا: ونسألهم: على من يعود قولهم «فاذا عُبِّر عنه» من المُعَبِّر؟

ثانيا: إذا كان كذلك فما ترجمة ﴿ألمّ﴾ ﴿حم عسق﴾ ﴿كهيعص﴾ ﴿طسم﴾ الى العبرية أو السريانية؟ إن هذه ألفاظ تكلم الله بها وليست كلمات دالة على معان، فبماذا تجيبون؟

ثانياً: أن هذا القول لمّ يتكلم فيه أحد حتى جاء ابن كلاب وأحدثه وتابعه الأشعري والقابسي [2] لم يُعرَف عند سلف الأمة.

ونقل الشهرستاني قول العلماء أن القول بحدوث حروف القرآن وأنه كلام الله مجازاً: قول ابتدعه الأشعري وخرق به الإجماع وهو عين الابتداع[3].

ثالثاً: أن قولكم « عُبِّرَ عنه» جهمي المصدر بشهادة أحمد أن الجهمية قالوا « إن الله لم يتكلم ولا يتكلم وإنما كوّن شيئاً فعبّر عن الله» [4].

رابعاً: أنه يلزم من هذا القول أن يصح تسمية القرآن توراة اذا ترجم الى العبرانية، أو تسمى التوراة « قرآنا» اذا ترجمت الى العربية ولا يخفى بطلان هذا. فاننا لو ترجمنا أحد هذه الكتب الى لغة الكتاب الآخر لم نجد معنى هذا يوافق معنى ذاك. وكذلك معنى ﴿قل هو الله أحد﴾ ليس هو معنى ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾. ولذا وصف القاري أقوال هؤلاء بأنه قول فاسد وردّ عليه[5].

- فاذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا وأنواع

---

١) الدليل القويم ٦٦ـ٦٧.

٢) فتح الباري ١٣/ ٤٥٥.

٣) نهاية الإقدام ٣١٣

٤) الرد على الجهمية ١٣٠-١٣١ احتج به الحافظ في الفتح ٤٩٣/١٣.

٥) الفقه الأكبر ٢٨.

الكلام راجعة الى معنى واحد: فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع شيئا واحدا [١].

- وهذا الزام قوي ليس من السهل التخلص منه ويبطل به قول من ذهب من أئمة الأشعرية وغيرهم كالباقلاني والبيجوري الى أن الكلام النفسي شيء واحد لا يتغير ولا يختلف وأن النهي والأمر والوعد والوعيد فيه شيء واحد على الحقيقة [٢]. وهذا يؤدي الى بطلان الشرائع حيث يجعل المنكر والمعروف والثواب والعقاب شيئاً واحداً، ويجعل الخبر واحداً وهو باطل. فالخبر عن الله ليس كالخبر عن الشيطان. وآية الكرسي ليست كآية الدين، ومعنى قصة بدر ليست كمعاني التوراة التي نزلت على موسى ولا كمعاني الانجيل الذي نزل على عيسى.

وكيف يجعلون الصفات شيئا واحدا وقد استعاذ النبي ﷺ ببعضها من بعضها فقال «أعوذ برضاك من سخطك».

- وقد اعترف أحد كبار أئمتهم بقوة هذا الرد حتى قال الآمدي في أبكارِ الافكار « والحق أن ما أورد من الاشكال على القول باتحاد الكلام وعود الاختلاف الى التعلقات والمتعلقات مشكل، وعسى أن يكون عند غيري حله. ولعسر جوابه ذهب بعض أصحابنا الى القول بأن كلام الله تعالى القائم بذاته خمس صفات مختلفة» [٣].

بل إن الشهرستاني اعترف بأن هذا الإشكال « هو الطامة الكبرى على المتكلمين حتى فرّ أبو بكر الباقلاني رضي الله عنه منها الى السمع وقد استعاذ بمعاذ والتجأ الى ملاذ والله الموفق» [٤].

ثالثا: أنه لو كان في ادعائهم شيئاً من الصحة لوجب على أقل تقدير أن تكون كلمة (الانجيل) هي المعنى السرياني لكلمة (القرآن) وكلمة التوراة هي المعنى العبراني لكلمة القرآن. والقرآن هو المعنى العربي لكلمتَي التوراة والانجيل.

رابعا: أن الله كتب التوراة بيده وكلم موسى حقيقة بلا واسطة: فبأي لغة كتب التوراة وبأي لغة خاطب موسى؟

---

١) ومعناه أن صفات الله في القرآن ليست شيئاً واحداً، فإن كان القرآن شيئاً واحداً صارت صفاته شيئاً واحداً أيضاً وهذا باطل.

٢) جوهرة التوحيد ٧٢ الانصاف للباقلاني ١٥٨.

٣) أبكار الافكار ٢ / ٣٢٤ غاية المرام في علم الكلام ١١٧-١١٨.

٤) نهاية الإقدام ٢٣٦-٢٣٧.

دعواه أن القرآن لا يتبعّض

- وأما قوله وأسلافه إن كلام الله لا يتجزأ ولا يتبعض وليس حروفا متعاقبة:

فيقال لهم: **هل سمع موسى كلام الله كله أو بعضه؟**

فان قالوا سمعه كله فقد خالفوا العقل والنقل، وزعموا أن موسى صار يعلم علم الله، والله يقول ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء**﴾.

وان قالوا سمع بعض كلام الله (وهو الصحيح) فقد أبطلوا مقالتهم بأنفسهم والتزموا التبعيض.

وفي الحديث « ان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء. فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن » [1].

- أن بعض القرآن أفضل من بعض، فآية الكرسي أفضل آية في كتاب الله، وسورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن.

- وأما قوله بان القرآن ليس أحرفا أو كلمات متعاقبة فيقال له:

- قد وردت نصوص فيها ذكر الحرف في كلام الله. كحديث « إن الله يأمرك أن تقرأ على أحرف» [2]. وحديث «أقرأني جبريل على حرف» [3]. وحديث «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف» [4].

- ثم أليست السين في (بسم الله) بعد الباء؟ أليست كلمة (أحد) في آية ﴿**قل هو الله أحد**﴾ بعد كلمة (قل)؟

مسألة الحرف والصوت

وقوله إن موسى سمع كلام الله الذي ليس حرفاً ولا صوتاً ولا لغة: يُعتبر نفياً لتكليم موسى بعد ادعائكم إثباته، وإلا فكيف سمع موسى ما ليس صوتاً ولا حرفاً ولا لغة؟ وما الذي سمعه موسى إذن؟ هل سمع كلام الله القديم الذي لا أول له ولا آخر له؟!

- أنتم لم تشهدوا تفاصيل ما جرى أثناء الوحي فبأي سلطان تشهدون؟ هل عندكم شيء من كتابٍ أو سنة أم تقولون بالاحتمال والظن؟!.

- أن الله تعالى قال ﴿**وناديناه من جانب الطور الأيمن**﴾ [مريم٥٢] والنداء لا يصح على ما ليس بحرفٍ ولا صوت. ولهذا سأل

---

١) مسلم رقم (٨١١).

٢) رواه مسلم رقم (٨٢١).

٣) رواه البخاري (٤٩٩١) فتح الباري ٩/٢٣.

٤) رواه البخاري (٤٩٩٢).

عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل أباه عن قوم يقولون: لما كلم الله موسى لم يكلمه بصوت فقال أحمد: بلى ان ربك عز وجل تكلم بصوت. هذه الأحاديث نرويها كما جاءت»[1].

---

1) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٣٣) وانظر فتح الباري ٤٦٠:١٣ اتحاف السادة المتقين ٢/ ٨٠.

كلام الله بحرف وصوت: هل هو قول الحشوية
وموقف الجيلاني من ذلك

يقسّم الحبشي الناسَ في كلام الله الى ثلاث طوائف [١]:

❊ الفرقة الأولى: أهل السنة (سنته هو) الذين يقولون إن كلام الله معنى في النفس. وقد تقدم الرد عليه في ذلك.
❊ الفرقة الثانية: المعتزلة الذين لا يثبتون كلام النفس.
❊ الفرقة الثالثة: الحشوية الذين يقولون إن الله يتكلم بصوت[٢].

وبهذا الكلام جعل النبيَ ﷺ من الحشوية لأنه قال ﷺ إن الله يتكلم يوم القيامة بصوت يسمعه من قَرُب كما يسمعه من بعد فيقول: أنا الملك الديان» [٣]. فالنّبي ﷺ أول القائلين بذلك.

أحمد الرفاعي يثبت لله صوتاً رفيعاً

وجعل شيخه أحمد الرفاعي من الحشوية حيث زعم أن رسول الله ﷺ « ان الله عز وجل قائم على عرشه ينادي بصوت له رفيع غير فظيع. يُسمِع البعيد كما يسمع القريب» [٤].

ويلزمه أيضاً اعتبار أحمد بن حنبل من الحشوية لأنه صرح بأن الله يتكلم بصوت كما روى الحافظ ابن حجر عنه [٥].

بل إن هذا يكشف تستر الأشاعرة بأحمد ففي حين يحكي الحافظ عن أحمد أنه يثبت أن الله يتكلم بصوت يحكي قول الأشاعرة المخالف لقول أحمد إذ قالوا: إن كلام الله ليس بصوت[٦]. وهذا يبين أن الفرق بين الأشاعرة وبين أحمد كبير جداً.

وأكد الشيخ عبد القادر الجيلاني صحة عقيدة أحمد في ذلك وقال « فالأخبار تدل على أن كلام الله صوتٌ لا كصوت الآدميين.. وذلك خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم بالنفس» [٧] فماذا

---

١) إظهار العقيدة السنية ٦٩.
٢) صريح البيان ١٢ طبعة جديدة مجلدة.
٣) فتح الباري ١٣/٤٥٨.
٤) البرهان المؤيد ٦٥.
٥) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٣٣) وانظر فتح الباري ١٣:٤٦٠.
٦) فتح الباري ١٣/٤٦٠.

يقول في قول شيخه عبد القادر وقد زعم أنه على طريقته أم أنه على تقاليد خرافية تم لصقها بشخصية عبد القادر. وهو لا ولن يبالي بنقد الجيلاني للأشاعرة.

ان هذا النفي كان الأداة التي أدت بالجهمية والمعتزلة الى نفي أن يكون الله كلم موسى، ولذلك اضطر الماتريدية الى موافقتهم حين زعموا أن هذا القرآن العربي مخلوق وأن الله أفهم موسى كلامه بحروف خلقها وصوت أنشأه [١]. مخالفين بذلك الأشاعرة الذين أجازوا سماع كلام الله النفساني [٢].

ومع أن البيهقي أطال الرد على من قال بتخليق الصوت الا أنه نفى بدوره أن يصح حديث في اثبات الصوت وحمل حديث « اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء» [٣] على احتمال أن يكون الصوت للسماء أو للملك الآتي بالوحي أو لأجنحة الملائكة» [٤].

وهذا التأويل المحتمل للصوت مردود فقد جاء في الحديث أن الملائكة اذا سمعوا صوته صعقوا» وهم لا يصعقون اذا سمع بعضهم بعضا.
ولهذا تعقبه الحافظ ابن حجر في الفتح بأن هذا حاصل كلام من ينفي الصوت من الأئمة. ويلزم منه أن الله لم يسمع أحدا من ملائكته ورسله كلامه بل ألهمهم اياه...». وتعقبه أيضا في تضعيفه لأحاديث الصوت مبينا صحة طرقها ومنها حديث حشر العباد الذي أخرجه البخاري، وفيه « فيناديهم بصوت يسمعه من قرب: أنا الملك الديان» [٥].
وصدق الحافظ ابن حجر فإن البيهقي قال « ولم يثبت صفة

---

٧) الغنية لطالبي الحق ٦٠.
١) التوحيد للماتريدي ٥٩ وشرح الفقه الأبسط للسمرقندي ٢٥ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ٥٨-٦١ والمسايرة لابن الهمام ٨٧ وإشارات المرام.
٢) اتحاف السادة المتقين ١٤٧/٢.
٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٣٦) وابن خزيمة ١٤٦ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٦٢ قال الالباني "اسناده صحيح" على شرط الشيخين (سلسلة الصحيحة (١٢٩٣).
٤) الأسماء والصفات ٣٤٧ وقال الشيء نفسه ابن فورك كما في كتابه (مشكل الحديث ٤٥٠-٤٥١).
٥) فتح الباري ٤٥٧/١٣ والحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد معلقا باب قول الله "ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له".

الصوت في كلام الله أو في حديث صحيح عن النبي ﷺ غير حديثه، وليس بنا ضرورة الى إثباته»[1].

- وانتهى الحافظ ابن حجر الى القول بأن هذه الأحاديث أطبق أهل السنة على قبولها ثم قال « واذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الايمان به»[2].

وقد طعن الحبشي في هذا الحديث، وطعنه مطعونٌ فيه:

فقد رواه البخاري تعليقا ١/١٧٤ كتاب العلم وفي الأدب المفرد٣٣٧ باب المعانقة واحتج في التاريخ الكبير ١٧٠/١/٤ بأن أحمد واسحق كانا يحتجان بعبد الله بن عقيل، ونقله عنه تلميذه الحافظ الترمذي كما في التهذيب ١٣/٦ وهذا يرد من زعم أنه رواه بصيغة التمريض. ورواه الحافظ المنذري والحاكم في المستدرك ٤٣٨/٢ و٥٧٤/٤ وصححه ووافقه الذهبي.

فالبخاري حافظ وتلميذه الترمذي حافظ، والمنذري حافظ والحاكم حافظ والذهبي حافظ، وقد اعتمد الحبشي تصحيح الحافظ في أحاديث أخرى لمجرد كونه حافظاً محتجاً بقول السيوطي في تدريب الراوي (وخذه حيث حافظ عليه نص)[3] لكنه غير رأيه الآن فقلب المسألة هنا وأعرض عن تصحيح كل هؤلاء الحفاظ؟ حاكماً بضعف الحديث؟ فهل هذا الا التعصب؟

وليُعلم أن البخاري احتج بهذا الحديث ثم قال « وفي هذا دليلٌ أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق لأن صوت الله يُسمع من قرب كما يُسمع من بُعد وأن الملائكة يُصعَقون من صوته. فإذا تنادى الملائكة لم يُصعَقوا»[4] وهذا التعقيب يصلح توجيهه الى الحبشي الذي احتج بنفي البيهقي لصفة الصوت.[5] وطعن في صحة الحديث[6].

---

١) الاسماء والصفات ٣٤٧.

٢) فتح الباري ٤٦٠/١٣.

٣) إظهار العقيدة السنية ٢٤٩.

٤) كتاب خلق أفعال العباد للبخاري ٩٨.

٥) الدليل القويم ٧١.

٦) أنظر توسع الألباني في تخريج الحديث في السنة رقم (٥١٤).

هل كلام الله أزلي؟

والذي أغرق المتكلمين في هذه المتاهات : اعتقادهم أن كلام الله صفة ذاتية أزلية كحياته وعلمه وقدرته.

ولقد ذكر الحبشي أن الله يتكلم بكلام أزلي قديم لا بداية له ولا نهاية، وأن موسى سمع كلام الله الأزلي الذي ليس بحرف ولا صوت (١)
.

- وهذا مخالف للعقل والنقل، فان الله لم يناد موسى الا بعد مجيئه الى الشجرة قال تعالى ﴿**فلما اتاها نودي يا موسى**﴾ (طه١١).
بل قد حدد جهة صدور النداء فقال ﴿**نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة**﴾ [القصص٣٠].
- فالنداء لم يحصل الا بعد أن أتى الشجرة. ولا يقول عاقل: أن الله لم يزل يكلم موسى قبل خلق السموات والأرض وقبل خلقه ولا يزال الى الآن يقول له ﴿**اني أنا ربك فاخلع نعليك**﴾ هكذا وحتى بعد موته وهكذا الى ما لا نهاية!
بأي عقل تقبلون: أن الله ما زال يقول يا موسى قبل خلق موسى، وحين كان رضيعا ولا زال يقول يا موسى حتى بعد موته.
وأي ضلالة أعظم أن يقول الله ﴿**فلما أتاها نودي**﴾ ثم يأتي هؤلاء فيقولون: لا يزال يناديه قبل أن يأتي الشجرة وبعد أن أتاها ولن يزال يناديه الى الأزل.

وهذا القول مخالف لما يعتقده الماتريدية المنتسبون اليه لأن كلامه يثبت حدوث الفعل، ولهذا قال أبو حنيفة « وقد كان الله متكلماً ولم يكن كلم موسى» (٢).

أفلا تعقلون؟؟؟

- تقولون أن الله يسمع أزلا ولكن كيف تجيبون عن سؤال السائل: كيف يقول الله بصيغة الماضي ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك**﴾ قبل أن يخلق السموات والأرض وقال ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء**﴾.

---

١) الدليل القويم ٦٧.
٢) الفقه الأكبر ٢٦.

قالوا...).
وكيف لا زال يسمع قولهم وهم قد ماتوا؟
وهل كل من يدعو الله لا يزال الله يسمع دعاءه حتى وإن توقف عن الدعاء؟

وكيف ما زال الله يقول للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا سجدة واحدة قاموا عنها بعد ذلك، ولو كانوا لا يزالون يسمعون الأمر لكانوا لا يزالون ساجدين الى الأبد!!
ولهذا قال ابن حزم « ولو كان لم يزل يسمع الأصوات لكانت الأصوات لم تزل، وهذا لا يقوله مسلم»[(١)].

- ثم لا يعقل أن يخاطب الله بشراً فيأمرهم وينهاهم وهم لم يُوجَدوا بعد! كيف يقول الله قبل خلق موسى ﴿**لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل...**﴾. فإن نداء الله لموسى - حين ناداه - صفة كمال، وهي صفة كمال وقت وجود موسى، ولو ناداه قبل أن يجيء لكان صفة نقص وليس كمالا.

ولهذا نقد الجويني شيخه الأشعري في مسألة أزلية كلام الله حين تساءل: اذا كان كلام الله أزلياً فكيف يخاطب الله معدوماً بالأوامر والنواهي. قال « إن ظن ظان أن المعدوم مأمور فقد خرج عن حد المعقول... فلا شك أن الوجود شرط في كون المأمور مأموراً» ثم ذكر بأن مسألة « أمر بلا مأمور» هي معضلة حقاً.

- وانتهى الجويني والشهرستاني الى التوقف والحيرة، وزاد عليه الشهرستاني بأن ساق أقوال جماعة من العلماء في أبي الحسن الأشعري أنه خرق الاجماع بهذا الكلام النفسي الذي أتى به، وانتقد الرازي أصحابه الأشاعرة لهذا السبب أيضاً ونص على أن ما زعموه غاية في البعد[(٢)].

---

١) الدرة فيما يجب اعتقاده ٢٧٣.
٢) البرهان في أصول الفقه ١/ ٢٧٠-٢٧٣ نهاية الإقدام للشهرستاني ٣٠٤-٣٠٥ و٣١٣ والمحصل للرازي ١٨٤.

- ولما شرع النبي ﷺ في السعي بالحج قال « نبدأ بما بدأ به الله. فبدأ بالصفا » [1].

- ومجيء كلام الله مكرراً في كتابه الكريم يبطل زعمهم أن كلامه أزلي لا بداية له ولا نهاية كقوله تعالى ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وقوله ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾. فالتكرار ينافي الأزلية.

- ثم ان هذا مخالف لما أطبق عليه السلف من أن الله لم يزل متكلما اذا شاء وأنه يتكلم بصوت، كما حكاه عنهم المرتضى الزبيدي [2] وأن كلامه متعلق بمشيئته وقدرته.

وهذا يبطل بتر الحبشي لعبارة أحمد « لم يزل الله متكلماً » [3] فحذف منها « اذا شاء» كما هي ثابتة من كتابه الرد على الجهمية (١٣٣) الذي أقر الحافظ نسبته اليه وأقر هو والزبيدي بصحة نسبة عبارة (لم يزل متكلماً اذا شاء) اليه [4] وفي رواية أخرى عنه قال « وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء» وفي رواية «وإذا شاء أنزل كلامه، وإذا شاء لم ينزله».

ومن أوضح الأدلة على تعلق كلام الله بمشيئته قوله تعالى ﴿**إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ ولكن هذا القول عند الأشاعرة مجازي وليس حقيقياً كما قاله الباقلاني وغيره[5].

○ وهي عقيدة البخاري. فقد قال الحافظ عند شرحه للآية التي ذكرها البخاري « غرض البخاري في هذا الباب إثبات ما ذهب اليه أن الله يتكلم متى شاء» [6].

ولكن الماتريدي الذي زعموا أنه إمام الهدى حرف هذه الآية فزعم أن قوله «**كن**» ليست هي قول الله، لكنها عبارة بأوجز كلام يؤدي المعنى التام المفهوم» إنما هو مجاز وتمثيل عن «سرعة التكوين» [7].

ولقد نقل العلامة ملا علي قاري الحنفي [8] تشنيع السرخسي في

---

١) رواه في الموطأ ١:٣٧٤ والنسائي ٥:٢٤٣ بسند صحيح.
٢) اتحاف السادة المتقين ٢/٧٩.
٣) إظهار العقيدة السنية ٦٥.
٤) فتح الباري ١٣/٤٩٣ و٤٥٥ إتحاف السادة ٢/٧٩-٨٠.
٥) التمهيد للباقلاني ٢٧٤.
٦) فتح الباري ١٣/٤٩٦.
٧) بحر العلوم للسمرقندي ١/٤٦٥ مدارك التنزيل ١/٨٣ إرشاد العقل السليم ١/١٥١.
٨) وصفه الكوثري بناصر السنة كما في تبديد الظلام (١٠٠).

أصوله على أبي منصور الماتريدي لقوله في هذه الآية بالمجاز محتجاً عليه بقوله تعالى ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ [1].

ولقد اعترف الفخر الرازي في المطالب العالية بأن قول من قال: انه تعالى متكلم بكلام يقوم بذاته وبمشيئته واختياره هو أصح الأقوال نقلا وعقلا [2].

وقال في المطالب العالية « هل يعقل أن يكون الله محلا للحوادث؟ قالوا [3] هذا قول لم يقل به الا الكرامية. وأنا أقول: إن هذا قول قال به أكثر أرباب أهل المذاهب، أما الأشعرية: فإنهم يدعون الفرار من هذا القول إلا أنه لازم عليهم».

ثم صرح بأن عقيدة الأشاعرة في الكلام النفسي هي قول بعيد عن الصواب [4].

وهذا اعتراف أشعري بالتناقض في المذهب. حتى قال العز بن عبد السلام «إن هذا ليس بأول إشكال في المذهب الأشعري».

---

١) الفقه الاكبر بشرح ملا علي قاري ٣٦.
٢) فتح الباري ١٣/٤٥٥ وانظر المطالب العالية ٢/١٠٦-١١١.
٣) يعني أصحابه من الأشاعرة.
٤) المطالب العالية ٢/١٠٦ و٣/٢٠٤-٢٠٧.

الدليل على أن أزلية الكلام
مخالف لاعتقاد السلف

ويبطل هذا الاعتقاد:

* ما نقله الحافظ ابن حجر عن ابن التين عن الداودي فقد شرح حديث «ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه..» فقال «في هذا الحديث رد على من قال:ان الله لم يزل متكلما بجميع كلامه لقوله «فيؤمر بأربع كلمات» لأن الأمر بالكلمات انما يقع عند التخليق» (١).

- وفي باب ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم**﴾[فصلت٢٢] قال الحافظ «غرض البخاري في هذا الباب اثبات ما ذهب اليه أن الله يتكلم متى شاء» (٢).

* قوله تعالى ﴿**ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون**﴾ [القصص٧٤] ولا يقول عاقل أن الله لم يزل يناديهم منذ الأزل، فالآية صريحة في أن النداء لم يحصل بعد، وأنه سوف يكون يوم القيامة. وهذا مثل قوله تعالى ﴿**ويوم نسير الجبال**﴾ ﴿**ويوم يحشرهم جميعاً**﴾ ﴿**يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده**﴾ ﴿**يوم نطوي السماء**﴾.

فهذه أفعال يفعلها الله في المستقبل لم يفعلها الآن، فكذلك نداؤه لم يقع الآن ولكنه سيحصل في المستقبل.

«فان الله وقّتَ النداءَ بظرف محدود، فدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف، وجعل الظرف للنداء لا يسمع النداء الا فيه» (٣).

* وقوله ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾[الاعراف١١]. وفي آية أخرى ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾. وهذا يفيد توقيت أقوال الرب بوقت معين، لأن قوله للملائكة كان بعد الخلق والتصوير، فمن ساوى بين المراحل الثلاثة أو قدم القول على الخلق والتصوير فقد خالف النص.

---

١) فتح الباري ١٣ /٤٤١.
٢) فتح الباري ١٣/ ٤٩٦.
٣) مجموع الفتاوى ١٢/١٣١.

الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» [1]. وقال « اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله» [2].

وحتى كبار الأشاعرة فانهم يوردون روايات ضد معتقدهم كما قال الغزالي « قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام» [3].

وهذا الحديث ضعيف كما بينه الحافظ العراقي ولكن: لماذا يروي الغزالي رواية تحدد قراءة الله للسورتين بألف عام قبل خلق الخلق؟ أليس لأنه يعتقده أم أنه يروي ما يخالف معتقده ومعتقد أصحابه الأشاعرة؟

* أن الله يتكلم متى شاء ويسكت متى شاء ودليله قول النبي ﷺ « ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو» [4]. وقال « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها... وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها» [5].

ثم لا يعقل أن يكون كلام الله قديما ثم يكون فيه اخبار عما مضى، اذ كيف قال الله ﴿انا أرسلنا نوحا الى قومه﴾ ولم يكن خلق نوحا بعد؟

وكيف قال لموسى ﴿اخلع نعليك﴾ ولم يكن خلق موسى؟

- أن كلام الله لا نهاية له كما قال تعالى ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا

---

1) رواه البخاري (٨٤٦) وانظر الفتح ٣٣٣/٢ ومسلم (٧١).
2) رواه البخاري (٤٧٠١ و٤٨٠٠) وفي الفتح ٣٨٠/٨ و٥٣٧/٨.
3) احياء علوم الدين ٢٧٣/١ واتحاف السادة المتقين ٤٦٤/٤.
4) رواه الحاكم ٣٧٥/٢ وقال: صحيح. ووافقه الذهبي. والبزار في كشف الأستار رقم (١٢٣، ٢٢٣١،٢٨٥٥) وقال إسناده صالح. وقال الهيثمي في المجمع ٥٥/٧ رواه البزار ورجاله ثقات. وقال ١٧١/١ رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن. وانظر تحسين الألباني له في غاية المرام رقم (٢٢).
5) رواه البيهقي في السنن ١٢/١٠ والحاكم ١١٥/٤ وحسنه النووي في رياض الصالحين (١٨٣٢) وقال الألباني « وهذا إسناد رجاله ثقات رجال مسلم» والحديث له علتان ناقشهما الألباني لكنه حسن بشواهده (أنظر غاية المرام رقم ٤ ومقدمة تحقيقه لرياض الصالحين ص ١١).

- أن كلام الله لا نهاية له كما قال تعالى ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً**﴾[الكهف١٠٩] وقال ﴿**ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**﴾ [لقمان٢٧].
قال ابن القيم «أفهذا صفة من لا يتكلم ولا يقوم به كلام؟ فاذا كان تكليمه وخطابه ونداؤه وأمره ونهيه مجازاً لا حقيقة له بطلت الحقائق كلها»[١].

اعتراف خطير للرازي

ان هذه الاشكالات واجهت كبار الأشاعرة حتى تفرقوا واضطربوا:

- فمنهم من اضطر الى القول بتعلقات حادثة للصفات الأزلية كالغزالي[٢].
- ومنهم من اعترف بأن هذا من الالزامات التي لا مفر منها كالرازي الذي اعترف بأن أكثر العقلاء يقولون بقيام الحوادث بالرب وان أنكروه باللسان:
- فأبو علي وأبو هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا بارادة حادثة لا في محل.
- وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته تعالى علوما متجددة بحسب تجدد المعلومات.
- والأشعرية يثبتون نسخ الحكم، ويثبتون للعلم والقدرة تعلقات حادثة.
- والفلاسفة يقولون بأن الاضافات وهي القبلية والبعدية موجودة في الأعيان، فيكون الله مع كل حادث.

قال: وذلك الوصف الاضافي حدث في ذاته»[٣].
وعجباً نسألكم « من أين أتيتم بالعبارة عن كلام الله والإضافات والتعلقات ومن منكم شهد موسى عند ميقات ربه حتى شهد زوراً أنه فهم كلام الله؟ ومن منكم شهد جبريل يحول كلام الله النفسي الذي ليس حرفاً ولا صوتاً ولا لغة الى الألفاظ والحروف والأصوات وعبر عنه بألفاظ من عنده؟

---

١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٢٨٦.
٢) أنظر كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ٩٦.
٣) الاربعين في أصول الدين ١١٨.

الصفات الذاتية والصفات الفعلية [١]

وصفات الله تعالى على نوعين :

الصفات الذاتية: فهذه لم يزل الله متصفا بها، ولا يجوز أن يقال انه اتصف بشيء منها بعد أن لم يكن. مثل صفات : العليم، الحكيم، القدير، الرحيم. ومنها الصفات الفعلية: كالاحياء والاماتة والقبض والبسط والاستواء والاتيان والمجيء والغضب والرضى.

فهذه الصفات قائمة باختيار الله ومشيئته. وهذه لا يلزم من عدمها في وقت ما نقص على الله تعالى.

ولا يقال ان الله غاضب أزلا ولا راض أزلا فهذا [٢] لا يوافقه عقل ولا يسعفه نقل. بل الأدلة من الكتاب والسنة متوافرة في نقيض ذلك.

فقد جاء في حديث الشفاعة « إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله» [٣].

○ وزعم الحبشي أن المقصود بذلك أثر الغضب وليس الغضب نفسه، ومنشأ ذلك هو الاعتقاد بمتعلقات الصفات التي قال بها الفلاسفة والمتكلمون، وقد نقدهم الرازي على ذلك وقال : وهذه التعلقات هي وصفٌ إضافي وهي تصريح بالحَدَث في صفات الله [٤].

وكثير من أهل الكلام أنكروا قيام الصفات الفعلية بمشيئة الله تعالى واختياره لئلا يلزم من ذلك قيام الحوادث به سبحانه، فقالوا صفات الله كلها أزلية. واضطروا الى القول بعد ذلك أن الله تعالى كان يحب الصحابة أيام كانوا كفارا. ويبغض المرتدين قبل حصول الردة منهم أيام.

وحجتهم في ذلك أنهم قالوا: اذا أثبتنا الصفات الفعلية الاختيارية قلنا بحلول الحوادث بالرب.

وخالفهم آخرون في الصفات الفعلية: فقالوا بحدوثها لئلا يلزم

---

١) هذا الموضوع قد تقدم غير أني أعيده للحاجة اليه ههنا.

٢) وقد ادعى الحبشي ذلك. أنظر إظهار العقيدة السنية ٢١٢.

٣) قطعة من حديث الشفاعة: أخرجه البخاري ومسلم رقم (١٩٤).

٤) الأربعين في أصول الدين ١١٨.

أن يكون المخلوق قديما» [1]. حتى ان البيهقي رحمه الله وجماعة قسموا جميع الأسماء المذكورة في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة الى قسمين :

١ـ صفات الذات : وهو ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال .
٢ـ صفات الفعل: وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل، وهو قول البيهقي حكاه الحافظ العسقلاني في الفتح [2].

- كما نقل عن الكرماني تقسيم الصفات الى ثلاثة أقسام آخرها صفات حادثة مثل الخلق والرزق قال « ولا يلزم من حدوثها تغير في ذات الله» [3].

مثال آخر على تجدد آحاد الصفات

ومن ذلك قوله تعالى ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير**﴾.

فقوله ﴿**ان الله سميع بصير**﴾ دليل على ثبوت السمع والبصر المطلقَيْن لله. وكل واحد نوع لأفراده. وقوله ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك**﴾ وقوله ﴿**والله يسمع تحاوركما**﴾ دليل على تجدد أفراد ذلك النوع، وأن هذا السمع الخاص فرد من ذلك السمع المطلق، وإلا فهل يعقل أن الله تعالى سمع قول تلك المرأة وسمع محاورتها مع رسول الله ﷺ في الأزل قبل أن يخلقهما وقبل أن يخلق كلامهما وأصواتهما؟ فهذا يدل على أن أفعال الله صفات له قائمة تحت مشيئته واختياره، وأن نوعها قديم وآحادها تتجدد [4].

○ وهذا يبطل تهور الحبشي في تكفير ابن تيمية في مسألة الحدث في صفات الله وزعمه أنها بدعة لم يقل بها أحد. فإن أهل السنة لا يسلّمون للاصطلاح الكلامي القائل بأن كل محدث مخلوق. بل قد قال تعالى ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحدَث**﴾ [الأنبياء ٢]. وقال البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿**كل يومٍ هو في شأن**﴾ وقوله ﴿**لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا**﴾ بأن حدَثه

---

١) فتح الباري ٤٩٦/١٣.
٢) فتح الباري ٣٥٧/١٣ والاعتقاد للبيهقي ٧٠-٧٢.
٣) فتح الباري ١٣ /٤٩٧.
٤) عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ١/ ٤٢٣ لأخينا الشمس السلفي.

سبحانه لا يشبه حدَث المخلوقين لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وقال ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله عز وجل يُحدث من أمره ما يشاء» [1]. ونقل الحافظ عن الكرماني تقسيم الصفات الى ثلاثة أنواع آخرها صفات حادثة مثل الخلق والرزق قال «ولا يلزم من حدوثها تغير في ذات الله» [2].

○ والله حين أنزل هذه الآية كان يعلم بلا شك أن عصابة من المتكلمين سيصطلحون فيما بينهم على قاعدة باطلة وهي أن كل محدث مخلوق. ولو كانت حقاً لما قال بخلافها. وهذه حجة دامغة.

ففعل الله للمخلوقات حادث، ولا يمكن حدوث المخلوق بغير سبب حادث. والله تعالى ذكر أفعاله شيئاً بعد شيء، فهو خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش ثم خلق الانسان ثم صوره ثم قال للملائكة اسجدوا لآدم.

○ ومن يفعل ما شاء متى شاء شيئاً بعد شيء أكمل ممن لا يفعل بمشيئته كالجماد.

ويبطل دعواه أن صفة الله معنى قائم بذات الله تعالى من الأزل الى الأبد بلا ابتداء ولا انتهاء [3]. وهو على حق في الصفات الذاتية دون الصفات الفعلية.

وقد درج كثير من الماتريدية والأشاعرة المتأخرين على اعتقاد أن الصفات كلها تتعلق بالذات فحسب. ونتج عن ذلك اضطراب بين منهجهم وبين الكثير من الصفات الخبرية الفعلية مما اضطرهم الى التأويل العشوائي.

ولم يرتض الأشعري وابن كلاب وغيرهما كابن عساكر والبيهقي ذلك حتى قال البيهقي بأن « ما كان اثباته من الصفات ورود الخبر به كالاستواء على العرش والاتيان والمجيء والنزول يجب اثباته لورود الخبر به على وجه لا يوجب التشبيه» [4].

---

١) البخاري ٤/٤١٠ تحقيق عبد الباقي.

٢) فتح الباري ١٣/٤٩٧.

٣) إظهار العقيدة الطحاوية ١٦٥.

٤) الأسماء والصفات ١٣٨.

فالأشاعرة المتأخرون كانوا أقرب الى طريق الماتريدي منه الى طريق الأشعري والأشاعرة المتقدمين. ولهذا تجد في كلام المنكرين لذلك ما يؤكد تناقضهم. فإن الحبشي نهى أن يقال إن الله رأى العالم في الأزل. قال «لأننا لو قلنا ذلك لاقتضى وجود العالم في الأزل وهو محال، وحين وجد العالم نقول : بأنه رأى العالم برؤيته الأزلية» (١).

وهذا تراجع منه عن أزلية الرؤية الى تحديد زمني لها لئلا يلزم منه أزلية المرئي. فما الفرق بين قوله هذا وبين قولنا إن الله خلق المخلوقات بفعل غير أزلي، لئلا يلزم منه القول بأزلية المخلوق؟!

بدعة حبشية

وزعم الحبشي أن الله اذا اتصف بصفة تجردت هذه الصفة عن الزمان والمكان. وهذه الضلالة أثر من آثار آرسطو والفلاسفة. ومبطلة لصفات الله كصفة الأول والآخر وقد فسرهما النبي ﷺ بأن الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء. وأن الله كلم موسى في وقت دون وقت وأنه سيكلم أناسا يوم القيامة بكلام لا يقوله الآن.

---

١) إظهار العقيدة السنية ١١٩.

هل الكلام بلسان وشفة دائماً ؟

ومن حججهم أن الكلام لا بد أن يكون بلسان وشفتين وإطباق وانفتاح واصطكاك أجرام وهذا غير جائز على الله. والجواب :

- ماذا عن السموات اللتين قالتا ﴿أتينا طائعين﴾ هل تكلمتا بلسان وشفتين؟

- وماذا عن الحصى الذي سبّح بيد النبي ﷺ هل سبّح بلسان وشفتين ؟

- وماذا عن الحجر الذي كان يسلم على النبي ﷺ هل كان له لسان وشفتان.

- وماذا عن الجذع الذي سُمع له حنين أكان ذلك باصطكاك أجرام وإطباق.

- وماذا عن الأعضاء التي تنادي اللسان كل يومٍ تقول له «إتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا».

- وماذا عن الجلود التي يُنطقها الله يوم القيامة أتنطق بلسان وشفتين ولهوات وأضراس كما يتخيله المعطل بفعل الوسوسة؟

- وماذا عن المذياع اليوم الذي يتكلَم بأي لغة تريد سماعها هل يتكلم بلسان وشفتين. فإن قلتم إنما هو ناقل للكلام الذي يبثه من له لسان وشفتان. قلنا وما المانع أن يكون لساني وشفتي ينطقان بكلام الله الذي لا يكون من الله بنفس الطريقة التي أنطق بها بالضرورة، بل يتكلم به بالكيفية التي تليق به بما لا يشبه كيفية نطق الخلق به؟

كلمة الختام حول مسألة الكلام

ومن كان هذا موقفه من كلام الله: كيف يرزقه الله الخشوع والتدبر والبكاء عند تلاوته للقرآن! بل كيف يرزقهم تعظيم كتابه وهم يؤولونه ويمسخون معاني نصوصه، ولهذا تجد أهل البيئة الأشعرية الصوفية: يخشعون ويبكون عند سماع أنشودة صوفية ما لا يحصل لهم عند سماع كلام الله.

الاستواء والعلـــو للـــه

الأدلة من القرآن و السنة على علو الله
عقيدة الحبشي و المعتزلة حول الاستواء سواء
الأشاعرة القدامى يثبتون لله الجلوس و الاعتلاء
الاستواء هل هو بالذات
هل الشريعة تخدع العوام
التخليط بين العالي و العلي
هل السماء قبلة الدعاء
و هو معكم أينما كنتم
حديث النزول متواتر و هل ثبت تأويل مالك له

أدلة العلو بالجملة

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مليئان بالنصوص المثبتة لعلو الله تعالى على عرشه فوق خلقه، بلا أي نهي عن الاعتقاد بهذا العلو.

وانظر اعتراف التفتازاني بذلك حيث قال « فإن قيل: اذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة [يعني نفي علو الله على عرشه وفوقيته] فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك من غير أن **يقع في موضع واحد تصريح بنفي ذلك؟**

أجاب بأنه:

« لما كان التنزيه عن الجهة مما تقصر عنه عقول العامة حتى تكادُ تجزم بنفي ما ليس في الجهة: **كان الأنسب في خطاباتهم والأقرب الى اصلاحهم والأليق بدعوتهم الى الحق ما يكون ظاهراً في التشبيه**، وكون الصانع في أشرف الجهات مع تنبيهات دقيقة على التنزيه المطلق عما هو من سمة الحدوث» [١].

وكلامه هذا هو عين كلامَ ابنِ سينا الذي قال « فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمون مقرِّباً ما لا يفهمون الى أفهامهم بالتشبيه والتمثيل» [٢].

فأي فائدة في كتاب جعل الباطل في صورة الحق؟

هل هذا الا استدراج الى الباطل ثم العقوبة عليه بزعمكم؟!

---

١) شرح المقاصد ٢/٥٠.

٢) رسالة أضحوية في أمر المعاد ٤٤-٥١ تحقيق سليمان دنيا.

نصوص العلو من القرآن والسنة وكلام السلف

فمن نصوص القرآن قوله تعالى:

○ **﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾**.

○ **﴿وهو العلي العظيم﴾** قال البغوي «أي العالي على كل شيء[١] والطبري « وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء والأشياء كلها دونه»[٢].

○ **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾**. روى البخاري (٧٤٣٠) قول النبي ﷺ « ولا يصعد الى الله الا الطيب»[٣].

○ **﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ﴾** قال الطبري عن الحسن رضي الله عنه « رفعه اليه فهو عنده في السماء» [٤].

○ **﴿أأمنتم من في السماء﴾** سيأتي حولها تفصيل كثير.

○ **﴿تعرج الملائكة والروح اليه﴾** قال البخاري « قال مجاهد « يقال ذي المعارج: الملائكة تعرج الى الله»[٥]. وقال الطبري يعني تصعد الملائكة والروح الى الله عز وجل، والهاء في قوله **﴿اليه﴾** عائدة على اسم الله عز وجل» [٦]. يؤكد صحة هذا التفسير قول النبي ﷺ «ألا تصُفّون كما تصُفّ الملائكة عند ربها» مسلم (٤٣٠) وأبو داود (٦٦١). وقوله « وذكرهم الله فيمن عنده» (مسلم ٢٦٩٩) وقد قال تعالى:

○ **﴿ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ ﴿قل نزّله روح القدس من ربك بالحق﴾**.

○ **﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾** [٧].

---

١) تفسير البغوي ٢٦/٥ وصفه السبكي بمحيي السنة الامام الجليل الورع الزاهد المحدث المفسر الجامع بين العلم والعمل السالك سبيل السلف (طبقات السبكي ٧٥/٧).

٢) جامع البيان للطبري مجلد ١١ ج ٢٥ ص ٦.

٣) ومع أن البيهقي تأول صعود العمل بالقبول إلا أنه حار في التعامل مع قوله (الى الله) ففضل تفويضه زاعماً أنه جرى في ذلك على طريقة السلف (فتح الباري ٤١٦/١٣).

٤) تفسير الطبري ٢٠٣/٣/٣.

٥) البخاري ٣٨٩/٤ كتاب التوحيد باب رقم ٢٣.

٦) جامع البيان مجلد ١٢ ج ٢٩ ص ٤٤.

٧) وزعم بعضهم أن الفوقية هنا هي فوقية الرتبة. وهو باطل لأن الظروف لها أحوال، ومنها (فوق وتحت) فاذا دخل عليهما حرف الجر (من) تعين فيهما وجه واحد كقوله تعالى ﴿وجعل فيها رواسي

ومن نصوص السنة

☐ قول النبي ﷺ للجارية « أين الله؟ قالت: في السماء. قال لمولاها: أعتقها فإنها مؤمنة» [(١)].

☐ وكان ﷺ في خطبة يوم عرفة يقول: ألا هل بلّغت؟ فقالوا: نعم. فجعل يرفع أصبعه الى السماء وينكتها اليهم ويقول: اللهم اشهد» (مسلم ١٢١٨). فهذه إشارة حسّية الى العلو ممن هو أعلم بما يجب على الله ممن وافق في نفيه المعتزلة والجهمية.

☐ وقال النبي ﷺ « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» [(٢)].

☐ وقال ﷺ « الراحمون يرحمهم الرحمن: إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[(٣)]. قالها الذي قال « أنا أمين من في السماء» (مسلم رقم ١٤٤).

قال البيهقي في الأسماء والصفات (١٦٥:٢) « ومعنى قوله في هذه الأخبار «من في السماء» أي فوق السماء على العرش كما نطق به الكتاب والسنة». وذكر البيهقي قول جهم أن الله مع كل شيء وفي كل شيء ثم قال « كذب عدو الله: إن الله في السماء كما وصف نفسه» (الاسماء والصفات ٢: ١٧٠). وقول البيهقي يبطل مزاعم الحبشي أن المراد بقوله تعالى ﴿أأمنتم من في السماء﴾ أي جبريل أو الملائكة.

من فوقها﴾ وقوله ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم) فأنت يمكنك أن تقول (الذهب فوق الفضة) ولكن لا يمكنك أن تقول (الذهب من فوق الفضة) فهذا استعمال باطل لا يعرفه العرب. (أنظر كتاب استواء الله على خلقه ٨٦) للشيخ أسامة القصاص تقبله الله في الشهداء.

١) رواه مسلم (٥٣٧) وأحمد ٤٤٧/٥ والبغوي في شرح السنة ٢٣٧/٣.

٢) زعم بعضهم أن المراد بالذي في السماء هو جبريل. لكن جبريل نفسه أمين من في السماء كما قال تعالى ﴿نزل به الروح الأمين﴾.

٣) وزعموا أن الضمير عائد على جبريل. ويبطل ذلك قوله ﷺ (انما يرحم الله من عباده الرحماء (البخاري ١٢٨٤ مسلم ٩٢٣) وقوله (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله) (الترمذي ١٩٢٣ صحيح). ثم السياق لا يستقيم اذا جعلنا الراحم في السماء جبريل، لأن الضمير في أول السياق يعود على الله (الراحمون يرحمهم الرحمن). وما عهدنا من خطاب الشرع تذكيرنا برحمة الملائكة. ثم إن الملائكة عند الله كما قال ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته﴾ فلم يستفد المؤول شيئاً إلا التعطيل والعبث.

☐ وقال رسول الله ﷺ: في ذكر المسافر « يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء: يا رب يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام: فأنى يُستجاب لذلك».

☐ وقال « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأة فلى فراشها فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها» (مسلم ١٤٣٦). ولا يمكن أن يكون الساخط جبريل.

☐ وقال ﷺ « إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه إليه يدعوه أن يردهما صفراً» (الترمذي ٣٥٥١ وأبو داود ١٤٨٨) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٤٣/١١ «سنده جيد».

☐ وقال « إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض... فاذا تفرقوا صعدوا الى السماء فيسألهم - وهو أعلم - من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عباد في الأرض» (مسلم ٢٦٨٩).

☐ وقيل لعائشة « برّأكِ الله من فوق سبع سموات» (أحمد ٢٧٦/١ والحاكم وصححه).

☐ وقول زينب « زوّجني الله من فوق سبع سموات» (البخاري رقم ٧٤٢٠) [١].

☐ وقول عمر في خولة بنت ثعلبة « هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات» (البيهقي ١٦٢/٢ طبري ٢٨/٤-٥).

☐ حديث معراج النبي ﷺ وفيه «ما زال يعرَج بالنبي ﷺ حتى بلغ السماء السابعة». وأنه ﷺ ما زال يتردد بين موسى وبين ربه، في كل مرة يقول له موسى إرجع الى ربك. ونص الحديث: « ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاوحى اليَّ ما أوحىٰ».

☐ وقال النبي ﷺ لسعد بن معاذ « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات» [٢].

☐ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « فان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تتفجر أنهار الجنة» (البخاري ٢٧٩٠) وعن

---

١) وقد زعم بعضهم أن الله زوّجها بالقدر المكتوب في السماء على اللوح المحفوظ، وهذا ينفي المزية التي جعلتها تفتخر بما خصها الله به عن النساء الأخريات.

٢) الاسماء والصفات ١٦١:٢ والحاكم في المستدرك ١٢٤:٢.

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق: كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي» (البخاري ٧٤٠٤).

❊ قول ابن عباس « لما كلم الله موسى كان النداء في السماء وكان الله في السماء» (البخاري: خلق أفعال العباد ص ٤٠).

❊ وقال عبد الله بن مسعود « والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»[(١)].

❊ وسئل ابن المبارك « كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة (وفي لفظ) فوق سبع سموات على عرشه» [(٢)].

❊ وقال أبو بكر رضي الله عنه « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت»[(٣)].

❊ وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿**ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم**﴾ قال: لم يستطع أن يقول «مِن فوقِهِم» عَلِم أن الله فوقهم» [(٤)].

---

١) رواه الحافظ ابن عبد البر في التمهيد ١٣٩/٧ والبيهقي بلفظ مقارب في الأسماء والصفات ٥٠٧ وقال الحافظ الذهبي "اسناده صحيح" (العلو ص ٦٤).

٢) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ١٠ باب يريدون أن يبدلوا كلام الله والبيهقي في الاسماء والصفات ٢: ١٦٩ وعبد الله بن أحمد في السنة ١٧٥/١ وقال الذهبي " هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك (العلو ١١٠) سير أعلام النبلاء ٤٠٢/٨.

٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢٠٢/١.

٤) تفسير الطبري ١٠١/٨ الدر المنثور ٧٣/٣ واللالكائي والطبري ٣٩٧/٣.



عقيدة الحبشي والمعتزلة
حول الاستواء سواء

يتناقض الحبشي في موقفه من صفة الاستواء فمرة يقول « بل نقول استوى استواء يليق به هو « أعلم»!! بذلك الاستواء» (الدليل القويم ٣٥) ومرة يفسر الاستواء بما لا يليق به (بالاستيلاء) فلم يعد يوكل العلم بالصفة الى الله، ثم فسر ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ بمعنى « العرش بالرحمن استوى» أخذها عن الشبلي[١] الذي دخل المارستان (مأوى المجانين) مرتين لكثرة عشقه لله. حكاه الوتري[٢]. فلا نأخذ العقيدة من أفواه المجانين. والجنون نهاية طبيعية لمن لزم التصوف:

قال الشافعي « لو أن رجلا تصوف أول النهار، لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق، وما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد اليه عقله أبداً» [٣].

ثم انتقد الحبشي ما رواه البخاري من تفسيرَ مجاهد وأبي العالية للاستواء على العرش بأنه (علا وارتفع) متجاهلا أنه عين قول أحمد بن حنبل كما في رواية أبي الفضل التميمي عنه[٤].

وأبطله بقول ابن بطال « فيه نظر» مع أن ابن بطال لم يأخذ التفسير من حيث أخذا (عن ابن عباس). غير أنه اعترف بأن ابن فورك حكى عن أصحابه (الأشاعرة) تفسير (استوى) بمعنى (علا) (الدليل القويم ٤٤): وأنكر أبو منصور البغدادي تأويل الاستواء بالاستيلاء لكنه أوله بالملك وزعم أن العرش معناه الملك [٥]. وحتى لفظ العرش مؤول عند هؤلاء.

فيقال للبغدادي ما قاله هو للمعتزلة: هل أتى على الله زمن لم يكن مالكاً للعرش ثم امتلكه؟!

---

١) طبقات السبكي ٨٦/٩.
٢) روض الرياحين ١٧١ ط: البابي الحلبي ١٩٥٥.
٣) تلبيس ابليس لابن الجوزي ٣٧١.
٤) طبقات الحنابلة ٢٩٦/٢.
٥) اصول الدين ١١٣-١١٤.

وزعم الحبشي أن المعتزلة وافقت أهل السنة [١] (سنة الأشاعرة والماتريدية) على تأويل الاستواء بالاستيلاء، وهذه كذبة قصيرة الأمد سترى الآن كيف تنكشف:

○ قول الأشعري رحمه الله « وقالت المعتزلة ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ يعني استولى [٢]. وقال في رسالته الى أهل الثغر «**وليس استواء الله استيلاء كما قال أهل القدر**» [٣]. وأهل القدر هم المعتزلة.

وقال أبو بكر ابن فورك في مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري (ص ٣٢٥) « إن مخالفينا يقولون إن معنى الاستواء: الاستيلاء». فالأشاعرة المتأخرون مخالفون لسلفهم. فكيف صار المخالفون عند ابن فورك موافقين عند الحبشي؟!

○ قال الحافظ ابن عبد البر « والاستواء معلوم في اللغة مفهوم، وهو العلو والارتفاع على شيء، وقولهم في تأويل الاستواء (استولى) فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة» [٤]. قلت: هو معلوم عند المعتزلة. وصرح الحافظ ابن عساكر بأن الأشعري رفض الأخذ بهذا التأويل الباطل وسلك طريقا وسطا بين المعتزلة وبين المشبهة.

الحجة الدامغة في كشف كذب المفتري

قال الحافظ ابن عساكر في تبيينه أن المعتزلة قالت استوى أي استولى وأن المشبهة قالت استوى بذاته بحركة وانتقال. ثم قال كلمة تهتك ستر الكذابين، قال « فسلك أبو الحسن طريقاً وسطاً بينهما» [٥]، وإنما ذكرت ذلك لتبيين كذب المفتري (!) فيما نسبه الحبشي الى أبي الحسن الأشعري من موافقة المعتزلة في تأويل الاستواء بالاستيلاء.

---

١) إظهار العقيدة السنية ١٣١.

٢) مقالات الاسلاميين ١٥٧و٢١١ التبيين لابن عساكر ١٥٠ رسائل العدل والتوحيد لمجموعة من المعتزلة ٢١٦/١ شرح الأصول الخمسة ٢٢٦ متشابه القرآن ٧٢ للقاضي عبد الجبار.

٣) ص ٢٣٣-٢٣٤ تحقيق الجنيدي.

٤) التمهيد لابن عبد البر ١٣١/٧.

٥) تبيين كذب المفتري ص ١٥٠.

جميل حليم يتكتم على مذهب الأشعري

وقد سكت جميل حليم عن قول الحافظ ابن عساكر « فسلك أبو الجسن طريقاً وسطاً» أي بين المعتزلة القائلين (استوى أي استولى) وبين قول المشبهة استوى كاستوائنا (مجلة منار الهدى ١٠/٤٧-٤٨) لأن هذه اللفظة حجة على كل من انتسب الى الأشعري.

- وقال أبو منصور البغدادي « زعمتِ المعتزلةُ أن استوى بمعنى استولى» مستدلين بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

قال «وهذا تأويل باطل» [١] كذلك قال ابن حزم بل قال « ملعون ملعون ملعون قائل هذا البيت وملعون من جعل قول هذا النصراني حجة في دين الله» [٢]. مع أن الحبشي يحتج بهذا البيت ويقول (قال الشاعر) [٣]، وهو يكتم عن أتباعه التصريح باسم هذا الشاعر الذي هو الأخطل النصراني والذي يعارض به أقوالَ اللغويين المسلمين.

وقد نقد ابن الجوزي تأيل الاستواء بالاستيلاء وقال « وهذا منكر عند اللغويين» وذكر أن هذا البيت لا يعرف له قائل، كذا قال ابن فارس اللغوي، وذكر ابن الجوزي أن القول بالاستيلاء « لا حجة فيه لما فيه من استيلاء من لم يكن مستولياً نعوذ بالله من تعطيل الملحدة» [٤]. وقال « ما نُقِل عن الصحابة أنهم قالوا: استوى بمعنى استولى» [٥].

- وقد عارض أبو بكر بن فورك هذا التأويل أيضا وقال بأن الاستيلاء غلبة مع توقع ضعف [٦].

- وذكرابن حجر أنه « يلزم من هذا التأويل: أن يصير الله غالبا بعد أن لم يكن» [٧].

---

١) أصول الدين ١١٢.
٢) الفِصَل في الملل والنحل ٢/١٢٣ ٣/٢١٩.
٣) إظهار العقيدة السنية ١٥٠.
٤) زاد المسير ٣/٢١٣.
٥) صيد الخاطر ١٠٣.
٦) الأسماء والصفات ٥١٩.

بعد أن لم يكن» [١].

- وجاء في الفقه الأكبر « ولا يقال ان استواءه على العرش استيلاؤه» [٢].

- وذكر ابن بطال تأويل قول المعتزلة (استولى) فقال « فأما قول المعتزلة فهو قول فاسد» نقله الحافظ العسقلاني عنه ووافقه عليه [٣].

واحتج بقول ابن الأعرابي [٤] بأن الاستيلاء ليس من معاني الاستواء في اللغة، وأن العرب لا تقول (استولى على العرش فلان حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل: استولى عليه، والله تعالى لا مضاد له» [٥]. ومع هذا فترى هذا التأويل معتمداً عند الأشاعرة والماتريدية[٦].

وهذا البيت الشعري لو صح لكان حجة على الحبشي فاذا كان استواء بشر على العراق بمعنى استيلاؤه عليها فهذا دال على أنها لم تكن في ملكه قبل أن يستولي عليها، فلما استوى عليها صارت في ملكه وتحت سلطانه. ولم تكن كذلك قبل أن يستولي عليها.

وقد اغتر الغزالي بهذا التأويل الاعتزالي الأصل. وقال « واضطر أهل السنة الى التأويل» [٧]. وتعجب من هذا الاضطرار الذي لم يضطر اليه السلف. وكأنه اعتراف منه بشناعة هذا القول مع الاضطرار اليه كشناعة أكل لحم الخنزير اضطر الجائع اليه!

---

١) فتح الباري ١٣/٤٠٥.

٢) الفقه الأكبر٣٣ ملا علي القاري.

٣) فتح الباري ١٣/٤٠٥-٤٠٦ وانظر اتحاف السادة المتقين ٢/١٠٧.

٤) الذي وصفه الحافظ الذهبي بأنه « إمام اللغة » سير الأعلام ١٥/٤٠٧.

٥) فتح الباري ١٣/٤٠٥-٤٠٦ الأسماء والصفات ٢:١٥٤ اتحاف السادة المتقين ٢/١٠٨ تاريخ بغداد ٥/٢٨٣ واللالكائي ٤/٩٩٣ ونقله ابن منظور في لسان العرب ١٤/٤١٤.

٦) أنظر أصول الدين ١١٣ والإقتصاد في الاعتقاد ٣١ للغزالي ومشكل الحديث لابن فورك ٤٥٣ وأساس التقديس ١٥٦ وأصول الدين ٢٥-٢٨ للبزدوي والمسايرة ٣٣.

٧) احياء علوم الدين ١/ .

الحبشي يثني على تاويلات المعتزلة

- وهذا القول المرذول الذي قالته المعتزلة وافقهم عليه الحبشي وقال بأنه « **أحسن التأويلات وأقربها الى الحق وأشرفها** » [1] مخالفاً بذلك الأشعري وابن عساكر والبيهقي والبغدادي وابن بطال وابن الأعرابي اللغوي الشهير وابن حجر [2] أليس هذا أقوى دليل أمامك على أن هذا الرجل يفتري على السنة ويجعل هذا التأويل الاعتزالي تأويلا سنياً بعد أن رأيت نقد الأشعري وغيره لهذا التأويل.

- قال الباقلاني « لا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش استيلاؤه عليه لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً. وقوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن. فبطل ما قالوه» [3]. « ولازم تأويلهم أنه كان مغالَباً فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه» [4].

هذا وقد ساق الحافظ أقوال أئمة أهل السنة في إثبات صفة الاستواء - بعد أن أبطل القول بالاستيلاء وأثبت أصوله الاعتزالية - ثم قال معقباً « فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة» [5].

- وقال ابن عبد البر « وقولهم استوى: أي استولى لا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد»

- وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني «وليس الاستواء على معنى الاستيلاء كما قالت المعتزلة» [6].

---

1) إظهار العقيدة السنية ٣٧و١٢٧و١٥٠و١٥١.
2) مقالات الاسلاميين ١٥٧ و٢١١ أصول الدين١١٢ تبيين كذب المفتري ١٥٠ الأسماء والصفات ١٥٤/٢.
3) التمهيد ٢٦٢ تحقيق ونشر مكارثي.
4) فتح الباري ٤٠٦/١٣.
5) فتح الباري ٤٠٧/١٣-٤٠٨.
6) الغنية لطالبي الحق ٥٦.

وهكذا نرى مخلفات المعتزلة واضحة في هذا الاستيلاء المزعوم بل نرى الحبشي يحتج بنفس البيت الشعري الذي كانت تحتج به المعتزلة:

فلما علونا واستوينا عليهم   جعلناهم مرعى لنسر وطائر[1].

وصف الله بمعنى من معاني البشر كفر

أكثر ما يحتج الأحباش بهذه العبارة للطحاوي « من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر». غير أننا الآن نحتج عليكم بما تحتجون به عادة. فقد لزمكم القول بقيام الحوادث بالله لأنكم أثبتم له استيلاء لم يكن قبل خلق السموات والأرض

فالاستيلاء وصف يليق بالبشر. ومعنى من معانيهم لائق بِبِشرٍ الذي زعمتم أنه استولى على العراق لا يليق برب بِشْرٍ. بل هو تصريحٌ منكم بقيام الحدوث في الله لأنكم أثبتم له استيلاءً على ما لم يكن مستولياً عليه قبل خلق السموات والأرض.

فها قد قامت عليكم الحجة بعد اطلاعكم على اجتماع كبار علماء الأمة على إنكار هذا القول الاعتزالي الفاسد.

---

١) قارن بين الدليل القويم ٣٩ وبين شرح الأصول الخمسة ٢٢٦ ومتشابه القرآن ٧٢ للقاضي عبد الجبار المعتزلي.

نموذج التدليس والتلاعب

وجاء رجل اسمه خليفة عليوي وافترى على النبي ﷺ كذبا وإن كتب على غلاف كتابه «خريج الأزهر»، فقد زعم أن النبي ﷺ هو الذي فسّر (استوى) أي (استولى) [1].

فقد تساءل في أول الأمر: هل أوّل رسول الله ﷺ شيئاً من الصفات؟ ثم قال: نعم. فعن وكيع بن حدس عن رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله: أين كان ربنا؟ قال: كان في عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش ثم استولى عليه».

وعند الرجوع الى المصدر الذي استقى منه هذا الحديث لا تجد فيه هذه الزيادة (ثم استولى عليه). والحديث أخرجه أحمد في مسنده (١١/٤، ١٢) والترمذي (٢٨٨/٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٧٨). وانما استغل هذا الرجل تحريفاً وقع في احدى النسخ المطبوعة من كتاب «العلو» للذهبي وظن أنه حسم الأمر وانتصر على الخصم. ولو كان لمثل هذا وجود لتمسك به أسلافه من الأشاعرة وانتهى الخلاف.

وهذا إسناد ضعيف لأن وكيع بن حدس مجهول كما أفاده البيهقي والذهبي [2]. وقد ضعّفه جمع من العلماء. وعلى كل حال وبالرغم من الضعف فالرواية عند البيهقي، ولكن النص (ثم استوى عليه) وليس (ثم استولى عليه).

---

١) أنظر كتابه: هذه عقيدة السلف والخلف ص ٧٨-٧٩. وقد لقيته في الرياض بمكتبة طيبة سنة ١٩٨١ وسألته عن كتابه هذا فأخبرني أنه تراجع عنه وأنه يعدّ رسالة يعلن فيها رجوعه عنه. ولكن يبدو أنه لم يفعل.

٢) الاسماء والصفات ٤٧٩ ميزان الاعتدال ٣٣٥.

من تمويهات الحبشي

زعم الحبشي أن الأشعري ذهب في أحد قوليه الى تأويل الاستواء بالاستيلاء [1] وهذا تلبيس يبطله ما يلي:

أولا: اعتراف ابن فورك بأن المتأخرين من الأشاعرة ذهبوا الى تأويل الاستواء بالقهر والغلبة خلاف قول الأشعري والمتقدمين من أصحابه [2].

ثانياً : أن عزو ابي الحسن هذا التأويل الى المعتزلة واعتراف ابن فورك يؤكدان أن الأشعري ترك القول بالاستيلاء بعد تركه الاعتزال، ولا يخفى خبرته بمذهب المعتزلة فانه لازمهم أربعين سنة.

ثالثاً : أنه لو كان الحبشي يؤمّ الصدق في نفسه لقال (في أول قوليه) حسبما أثبته له ابن عساكر [3] والبغدادي [4] والبيهقي الذي [5] نقل عن ابن فورك أن هذا التأويل ذهب اليه المتأخرون من الأشعرية.

فلماذا التمويه والتلبيس.

١) إظهار العقيدة السنية ٣٧.
٢) الاسماء والصفات ٢/١٥٢-١٥٣.
٣) تبيين كذب المفتري ١٥٠.
٤) أصول الدين ١١٢.
٥) الأسماء والصفات ٢/١٥٤.

الاستيلاء ليس له مستند لغوي

- وقد دأب حيدر من أتباع الحبشي على تخطئة ابن الاعرابي تعصباً لشيخه وللسبكي الذي اكتفى بأن « قول ابن الاعرابي لا يُلتفت اليه لأنه مخالف لكلام اللغويين» من غير أن يقدم دليلا، ولعل اللغوي المعتمد عند السبكي هو الأخطل النصراني [١].

غير أن حيدر تجاهل - وهو الذي حقق كتاب البيهقي - أن البيهقي استبعد هذا التأويل ونقل عن ابن فورك أن الاستيلاء غلبة مع توقع ضعف، محتجاً بقول ابن الأعرابي نفسه [٢].

وهنا يحسن أن تسأل الحبشي الأشعري: هل تأويلكم الاستواء بالاستيلاء متفقون عليه فيما بينكم أم بينكم خلاف فيه؟
فإن قالوا بلى: قلنا: قد علق المرتضى الزبيدي على تأويل الغزالي للاستواء بالاستيلاء بأنه تأويل محتمل، وأنه لا دليل على تعيين هذا التأويل، بل نص على أنه تأويل «بعض» الخلف [٣]. ويأتي الرازي فيجعل هذا التأويل الاحتمالي بالاستيلاء واجباً على المسلم[٤].

والغزالي متناقض في إثبات الاستواء فتارة يدعي العلم به بأنه استيلاء وتارة يزعم أن الله استوى على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده وعلق عليه الزبيدي « هو سبحانه أعلم به»! [٥].

ويدعي كثيرون من نفاة الصفات أن مستند تأويلاتهم متوافق مع اللغة وأن اللغويين قد أجمعوا على أن الاستواء في اللغة بمعنى الاستيلاء، فاذا نظرنا في كلام أهل اللغة لم نجد شيئاً، وربما وجدنا شيئاً من ذلك أدخله لغوي معتزلي أو أشعري فيقوم علماء الكلام الأشاعرة بالاحتجاج بعلماء اللغة الأشاعرة: وهذا تحكم ومكر كما يقول الأحباش « واللغوي السبكي واللغوي الزبيدي...» وهما أشاعرة أقحاح.

---

١) تعليق حيدر على كتاب البيهقي ٢:١٥٤.
٢) الاسماء والصفات ٢:١٥٣ تحقيق حيدر.
٣) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٢/١٠٤-١٠٥.
٤) أساس التقديس ٢٠٢.
٥) اتحاف السادة المتقين قارن ٢/١٠٤ بـ ٢/٢٤.

ونحن اذا سلمنا بأن هناك عدة معان لغوية للاستواء فما الضابط الذي يجعلنا نختار واحداً دونها؟

فقد فسر العز بن عبد السلام قوله تعالى ﴿فأخذناهم بذنوبهم﴾ بمعنى استولى عليهم. قال «لأن الاستيلاء بالقهر والغلبة يشبه الاستيلاء باليد»[1].

ثم ألم يرد تحديد معنى واحد للاستواء عن السلف دون المعاني الأخرى؟ ألم تقرأوا في صحيح البخاري في كتاب التوحيد (باب: وكان عرشه على الماء) قول مجاهد: استوى أي علا. وقول أبي العالية استوى أي ارتفعَ؟ وقول أحمد بن حنبل: الاستواء هو العلو والارتفاع. وهو القول الموافق للغة أيضاً حيث أن « استوى» متعدية بأداة (على).

واستواء الرب المعدى بأداة (على) المعلق بعرشه المعرف باللام، المعطوف بثم على خلق السموات والأرض، المطّرد في موارده على أسلوب واحد ونمط واحد: لا يحتمل الا معنىً واحداً، لا يحتمل معنيين ألبتة، فضلا عن ثلاثة أو خمسة عشر كما يزعم الأحباش أن (استوى على).

أعذار التأويل الواهية

- وتعذّر المؤولة عن تأويلهم هذا بأعذار مثل قولهم: إن الاستواء لا يكون إلا بالتمكن. مع أن معنى الاستيلاءً هو التمكن وبلوغ الغاية كما صرح به الفيروزأبادي وغيره [2] وفي المعجم الوسيط [3]: «إستولى عليه أي تمكن منه وصار في يده وظهر عليه».

- ويقال للقائلين بالاستيلاء: هل يجوز أن نقول استوى الله على البحار والأرض والجبال واستوى على مخلوقاته؟ نطالبكم أن تقولوا: لا مانع أن نشهد أمام الله أن الله استوى على الأرض واستوى على القمر واستوى على الشمس واستوى على البشر أي استولى عليهم.

قال السيوطي «إن الله تعالى مستولٍ على الكونين والجنة والنار

---

١) الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز ٩٤.
٢) القاموس المحيط ١٧٣٢.
٣) ص ١٠٥٧.

وأهلهما، فأي فائدة في تخصيص العرش بالذكر»[1]. هذه الكلمة التي قالها السيوطي اعتبرها الأحباش من قول المجسمة[2]. فهل يعتبرون السيوطي مجسماً؟

ويجيب الأشاعرة عن وجه تخصيص العرش بالذكر فيقول الرازي مقلداً المعتزلة «وخُصَّ العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات». وهذه كشفت تطابقهم مع تأويلات المعتزلة وتقليدهم لهم. فقد قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في شرح أصوله «فإن قالوا: فما وجه تخصيص العرش بالذكر؟ قلنا: لأنه أعظم ما خلق الله تعالى فلهذا اختصه بالذكر»[3].

---

1) الإتقان ٢/٩ وانظر فتح الباري ٤٠٦/١٣.

2) ذكر ذلك رأس من رؤوسهم وهو محمد الولي كما في مجلة منار الهدى ٢٧/١٢.

3) شرح الأصول الخمسة ص ٢٢٧ وقالها في كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن ص ١٧٥، ٢٥٣.

شبهاتهم حول الاستواء

قالوا: لو كان مستوياً للزم أن يكون جسماً والأجسام متركبة من الجواهر الفردة، وللزم أحد ثلاثة أمور:

إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر منه أو مساوياً له، ولكان محتاجاً اليه، وللزم منه إثبات المقعدة لأنه لا يعرف في الشاهد مستوياً الا ما كان له مقعدة.

وهذا كله من باب قياس الشاهد على الغائب، والغائب عن شهودنا ﴿ليس كمثله شيء﴾ أيها المشبهة الذين سبق تجسيمُكم تعطيلَكُم.

فلو كان مثلنا للزم أن يكون جسماً وللزم تركيبه من الجواهر الفردة.

واذا كان لا يستوي الا ما كان جسماً فقولوا لا يسمع ويبصر الا ما كان جسماً.

ولا يُرى يوم القيامة بالعين الا ما كان جسماً.

يصفون ربهم بالضعف كاليهود

وقد نسب هؤلاء الحاقدون الى خصومهم أنهم يعتقدون ان خلق السموات والأرض ثم تعب فاستراح وأنه جالس علىالعرش [١].

هم الذين اقتربوا من اليهود بنسبة الضعف الى الله، وهو ا قولهم (استولى). لأن الاستيلاء عبارة عن إثبات قوة مسبوقة بضع وذلك بشهادة الفقهاء واللغويين بل وبشهادة الأشاعرة القدامى ال ردوا على المعتزلة القائلين بالاستيلاء.

فكلاهما مثبت للضعف والفرق أن اليهود جعلوا الضعف القوة، بينا جعل المعتزلة والأشاعرة القوة بعد الضعف.

وقد تجاهلوا قول (الغزالي) الملقب بحجة الاسلام والذي قال ليس في الإمكان أفضل مما كان» وأنه « ليس في الإمكان أبدع صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا»[٢]. فصرح جهارا بعجز الله وج لقدرته حدا.

الأشاعرة القدامى يثبتون لله الجلوس والاعتلاء

وقد اعترف البيهقي بأن أبا الحسن الطبري - من خواص أصحا أبي الحسن الأشعري - صرح بأن الله في السماء فوق كل شيء مسن على عرشه بمعنى أنه عالٍ عليه، ومعنى الاستواء: الاعتلاء، كما يقول استويت على ظهر الدابة، واستويت على السطح بمعنى علوته، واستو الشمس على رأسي، واستوت الطير على قمة رأسي، بمعنى: علا ف الجو فوجد فوق رأسي، والقديم سبحانه عالٍ على عرشه» [٣].

فهذا قول الأشاعرة شهد عليه البيهقي بأن استواء الله على العرش هو اعتلاؤه كما تقول استويت على ظهر الدابة. فهل يكفرون الطبر: تلميذ الأشعري؟!

---

١) أنظر مجلتهم: منار الهدى ٣٤/٢٣ و٢٢/٢٦ و٦١/٢٩).

٢) الاملاء في إشكالات الإحياء ٣٥/٥ (ملحق بالإحياء) وكذلك أنظر الإحياء ٢٥٨/٤.

٣) الاسماء والصفات ٥١٧-٥١٨ محققة ١٥٢/٢-١٥٣.

زعمه أن العرش بالرحمن استوى

وذهب الحبشي الى أن من قال بأن العرش بالرحمن استوى أمثل ممن قال بأن الرحمن بالعرش استوى [١].

وزعم أن من أقدم على تفسير الاستواء بالاستيلاء لم يرتكب محذورا ولم يصف الله بما لا يجوز عليه [٢].

ولو كانت كلمة (استولى) أنسب وأفضل من كلمة (استوى) لوصف الله بها نفسه فانه أعلم من الحبشي بما يليق به من الصفات. ثم ان هذا التحريف بدعوى التنزيه من سنن اليهود ولذلك قيل :

لامُ الجهمية في استولى كَنُونِ اليهودية في حِنطة

قيل لليهود ﴿**قولوا حطة**﴾ فقالوا حنطة.
وقيل للمعتزلة والأشاعرة: قولوا استوى كما قال الله ﴿**فبدَّلوا قولا غير الذي قيل لهم**﴾ وقالوا : استولى.

فنحن اذا قيل لنا أنتم مشبهة قلنا: نحن ما وصفنا الله الا بما وصف به نفسه، ولكن لو سألنا المؤولة؟ لماذا شبهتم الله بخلقه فنسبتم اليه الاستيلاء وهو مما لا يوصف به الا المخلوق، فلا يستطيعون أن يقولوا: استولى استيلاء يليق بجلاله لأن هذا الوصف لا يليق أصلا بالله، ولو كان لائقاً به لوصف به نفسه ولما انتظركم أيها المؤولة حتى تصفوه به. فأنتم أحق بالتشبيه والتجسيم ممن ترمونهم به.

بل يلزم من تفسيركم الاستواء بالاستيلاء « نسبة الشريك المغالب لله المضاد له في أمره، لأن الاستيلاء لغة لا يكون الا بعد المغالبة فاذا وقع الظفر قيل أستولى على كذا، فمن هو المضاد لله حتى تمكن الله تعالى من التغلب عليه والاستيلاء على ملكه منه»؟ أيكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستول عليه ثم تمكن منه واستولى عليه؟ إنَ الاستيلاء لا يُطلَق الا في حق مَن كان عاجزاً ثم ظهر، والله سبحانه لا يُعجِزه شيء» [٣].

---

١) الدليل القويم ٣٧. نقلها عن القشيري (اتحاف السادة ١٠٨/٢).
٢) الدليل القويم (٣٧_٣٩).
٣) من كتاب شيخنا سليم الهلالي (أين الله رواية ودراية ٤٩-٥٠).

زعمه أن (ثم) لا تفيد الترتيب

وزعم الحبشي أن (ثم) في قوله تعالى ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾ لا تفيد الترتيب في الحدوث والوقوع، وإنما هي ترتيب في الإخبار، أي أن هذه الآية تدل على أن الله يُخبرنا بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم يُخبرنا بأنه قاهرٌ للعرش الذي هو أعظم منهما» [1].

- وهذا باطل يكذبه الباقلاني القائل « وقوله ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن. فبطل ما قالوه» [2].

ويحتج الحبشي بقوله تعالى ﴿**ثم الله شهيد على ما تعملون**﴾ ليبطل في الأخرى الترتيب الذي تفيده (ثم) وكان بودنا أن نوافقه لولا أننا وجدنا فهم السلف يخالف فهمه: فقد جاء في حديث قتادة « لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه» [3]. وقال الطبري « فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش» [4].

ويبطل ذلك أيضا:

○ ما حكاه البيهقي أن ابا الحسن الأشعري كان يذهب الى أن الاستواء من صفات الفعل لله، وأن الله فعل فعلا سماه الاستواء، وأن (ثم) تفيد التراخي وأن التراخي إنما يكون في الأفعال [5].

○ قولُ الله ﴿**وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء**﴾ وهذا بخلاف قوله ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ فالعرش (كان) قبل خلق السموات والأرض، أما الاستواء الذي تحدث الله عنه فهو فعلٌ فعله الله بعد خلق السموات والأرض.

وهذا يقتضيه عمل (ثم) التي إذا أتت بين فعلين ماضيين أفادت الترتيب بينهما.

أما الحبشي فلا مانع عنده أن يقال إن الله استوى على العرش ثم خلق السموات والأرض!!! وهذا تجنّ على النصوص واللغة.

○ أن قوله (ثم) يفيد أنه استوى اي (علا) على العرش كما فسره ابن عباس ومجاهد وأبو العالية [6].

---

١) إظهار العقيدة السنية ١٥١.

٢) التمهيد ٢٦٣.

٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات بسند صحيح٢:١٢٠ والذهبي في مختصرالعلو ٩٨.

٤) تفسير الطبري ١/١٥٢.

٥) الاسماء والصفات ٢/١٥٢.

٦) البخاري كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء. الاسماء والصفات للبيهقي ١٥٥.

وروى الامام ابن جرير الطبري بسنده عن الربيع بن أنس ﴿ثم استوى الى السماء﴾ أي ارتفع الى السماء وكذلك « علا عليه» [١].

ثم قال « والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ الذي هو بمعنى العلو والارتفاع». وهو قول ابن عباس (ارتفع الى السماء) كما رواه عنه البغوي في تفسيره حيث قال « وهو قول أكثر المفسرين [٢].

بل قال الحافظ ابن حجر « ونقل محيي السنة البغوي عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع» [٣].

○ وروى اللالكائي بسنده عن بشر بن عمر قال « سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: الرحمن على العرش استوى: ارتفع [٤].

بل قد حكى أبو بكر بن فورك أن (استوى) بمعنى علا مروية عن بعض أصحابه (أصحاب مذهبه) [٥].

وحكى البيهقي عن أبي الحسن الطبري تلميذ الأشعري أن أهل النظر ذهبوا الى أن الله تعالى في السماء أي فوق كل شيء، مستو على عرشه بمعنى أنه عال على عرشه، والاستواء هو الاعتلاء كما يقول: استويت على ظهر الدابة: واستويت على السطح بمعنى علوته.

○ اعتراف أبي بكر بن فورك أن المتأخرين من الأشاعرة أوّلوا الاستواء بالقهر والغلبة خلافاً لقول إمامهم الأشعري الذي صرّح بأن القهر والغلبة من تأويلات المعتزلة [٦].

فليثبت الحبشي أن التأويل بالقهر من كلام الأشعري وهو الذي بقي يزعم أنه بريء من كل من يخالفه متمثلا بهذا الشعر:

اثنان من يعذلني فيهما فهو على التحقيق مني بري
حب ابي بكر إمام الهدى ثم اعتقادي مذهب الأشعري.

وهذا القول منه دعوة الى التقليد الأعمى ويشبهه قول أحد المذهبيين المتعصبين:

حسبي من الخيرات ما أعددته يوم القيامة في رضى الرحمن
دين النبي محمد خير الورى ثم اعتقادي مذهب النعمان[٧].

---

١) تفسير الطبري ١/١٥٠ و١٣/٦٢.
٢) تفسير البغوي ١/٧٨ البقرة آية رقم ٢٩.
٣) فتح الباري ١٣/٤٠٦ .
٤) شرح أصول الاعتقاد ٢/٣٩٧.
٥) الاسماء والصفات ٢/١٥٢.
٦) الاسماء والصفات ٢/١٥٣.

شبهة: خلق العرش إظهارا لقدرته
متى شاؤوا أجازوا التعليل

وزعم الحبشي أن الله تعالى إنما اتخذ العرش إظهاراً لقدرته أمام الملائكة ليزدادوا خشوعاً وتعظيماً له [1].

لو قلتم: خلق الله الجن والانس ليعبدوه. لصدقناكم لأن الله أبان علة خلقه الجن والانس. مع أن هذا عندكم تعليل والتعليل عندكم لا يجوز على الله لأن فيه إثبات الحاجة.

ولكن حين تقولون: خلق الله العرش ليزداد الملائكة خشوعا لكذبناكم لأن هذا التعليل من عندكم لم يبينه الله.

ثم أليس قولكم (ليزدادوا خشوعا) يعني ليزدادوا ايمانا؟ وهل ايمان الملائكة متفاوت بحسب طاعتهم ومعصيتهم؟

ثم إن هذا قول باطل: إذ ما الذي يظهر لنا من العرش حتى يكون مخلوقاً لإظهار قدرته؟ فالله تعالى قال **﴿أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت﴾** فلم يقل تعالى أفلا ينظرون الى العرش!

وهذا الإظهار لمن؟ ولم يكن قبل خلق العرش أحد مع الله. بل قد بين الله حكمته من خلق العرش فقال **﴿وهو الذي خلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾** [هود ٧].

ولو سألت الحبشي من من السلف قال بهذه الرواية؟ فسيقول: رواه أبو منصور البغدادي. وهذه رواية أشعرية، لا أصل لها، رواها البغدادي وليس هو معدوداً من المحدّثين، وكيف يكون من المحدثين وقد اشترط لصحة الحديث أن يكون موافقاً للعقل وإلا كان خبراً

---

٧) حكاه السيوطي في (تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة ٣٢٣).

١) الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ٥٦ و١٣٩ نقله عن البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ٣٢١ وهو من أهل الكلام، وأهل الكلام ليسوا من أهل السنة. قال الذهبي في السير (٥٢١/١٨) « له كتب في النظر والعقليات».

مردوداً (أصول الدين ٢٣). وكتابه (أصول الدين) أحرى أن يسمى (أصول علم الكلام) لو كان الشافعي حياً لحذر منه كما كان يحذر من حفص الفرد. ثم الاحتكام الى كتب الأشاعرة عند الخلاف تحكم وليس تحاكماً.

بل قد قرر الأشاعرة أن كل خبر في العقيدة لا بد أن يتواتر سنده والا كان مردودا. وهذه الرواية المنسوبة الى علي رضي الله عنه هي «عقيدة» فنشترط عليكم ما اشترطتموه على أنفسكم أن لا ترووا في العقائد الا المتواتر. فهل تواترت الرواية عن علي أم ليس عندكم رواية صحيحة أخرى غير هذه الرواية لتثبتوا بها دعواكم؟

هل استوى بذاته

يردد الأحباش هذا السؤال في وجه من أثبت صفات الله فيقولون: هل تعتقدون أن الله استوى بذاته؟

والجواب:

١) قد قالها الشيخ عبد الله القادر الجيلاني من قبل، بأن الاستواء لله « هو استواء الذات» [١]. فهل أنتم قادريون الطريقة في التصوف لا في العقيدة؟

وقالها الحارث المحاسبي فذكر أدلة الفوقية من القرآن **﴿ءأمنتم من في السماء﴾ ﴿اليه يصعد الكلم الطيب﴾** ثم قال « فهذا يوجب أنه فوق العرش لأنه أبان في هذه الآية أن (((ذاته بنفسه))) فوق عباده» [٢].

وقالها أبو المظفر السمعاني إمام الشافعية في زمانه في قصيدته التي شرح بها عقيدة أهل السنة:

عقائدهم أن الإله بذاته　　على عرشه مع علمه بالغوائب[٣]

٢) هل تكلم الله بذاته؟ يجيب الأحباش فيقولون: إن الله قد تكلم بكلامه الذاتي [٤]، فاذا كان كلامه ذاتي بمعنى أنه هو الذي تكلم به، فما المانع أن يقولوا: استوى بذاته كما أنه تكلم بذاته؟ فاذا كانوا يؤمنون بكلامه الذاتي فنحن نؤمن باستوائه الذاتي.

٣) أمامكم واحدة من اثنتين: إما أن تقولوا استوى بذاته أو تقولوا استوى بغيره. أنتم تجعلون لله صفة القيام بالنفس مع أن الله ذكر بأنه قائم على كل نفس. فلماذا قلتم هو قائم بالنفس وليس على كل نفس. فقولنا: استوى بذاته لا بغيره كقولكم قائم بنفسه لا بغيره.

---

١) الغنية لطالبي الحق ص ٥٦.
٢) فهم القرآن ٣٤٦-٣٥٠.
٣) طعن السبكي في نسبتها اليه (طبقات السبكي ١٤١/٦ محققة).
٤) مجلة منار الهدى ٢٩/١١.

(فـــــائـــــدة)

قال الشيخ أسامة القصاص رحمه الله « قال لي أحدهم (أي الأحباش): أعطني دليلا على أن الله في السماء بذاته بهذا اللفظ.

فقلت له: وهل اذا أخبرتك أن أبي في البيت تقول لي بذاته أم بغير ذاته! سؤالك ليس سؤال الفاهمين بل الجاهلين للعربية لأن هذا معنى العبارات وملزوماتها... ثم هل يجرؤ متقول على أن يقول: (الله خالق بذاته؟). فهذه الزيادة ركيكة، ولهذا كان الامام الذهبي يستشنعها لأنها متضمَنَة غير مطلوبة رسماً، إذ كيف لا يكون الله تعالى خالقاً بذاته؟

ثم هل من العربية أن تسأل المتكلم عن أي شيء، كأن تقول له: هل أتى أبوك بذاته؟ هل أنت هنا بذاتك؟ هل أمك ولدتك بذاتها؟ بل هل يعقل أن يقول قائل: هل الله موجود بذاته؟

قال: فالمعاني شقائق الألفاظ والعبارات» [1]. انتهى رحمه الله.

وهذا الكلام صحيح ونفيس جدا، فإن الخبر عن الذات لا عن اللفظ، فإذا قيل: قدمَ فلان كان الخبر عن ذاته لا عن اسمه، وهذا أمر يفهمه كل عربي، ووضع العربية يقتضي هذا، فلا ينازع فيه إلا من أعمى الله قلبه.

---

١) إثبات علو الله على خلقه ١/٥٠.

الفوقية بين الأشعرية والمعتزلة

تحريف العلو الى علو المنزلة

ومن أصول الكفر عند الحبشي: اعتقاد أن الله في السماء، فلا يجوز عنده أن يوصف الله بالفوقية [1]. وقد عارض ابن حجر الهيتمي هذا القول وذكر أن الصحيح أن من قال إن الله في السماء لا يكفر[2]. وقال ابن فورك «إعلم أنه ليس يُنكر قولُ من قال: إن الله في السماء. لأجل أن لفظ الكتاب قد ورد به، وهو قوله ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ ومعنى ذلك أنه فوق السماء» [3]. وهو حجة على هؤلاء الذين يصرفون الضمير في الآية عن الله الى الملائكة.

○ وما ثبت من النصوص في العلو فإنه يؤوَّل عند الحبشي بمعنى علوٌّ المنزلة أي العلي [4]. لأنه يستحيل عنده جهة العلو لله.

○ وهذا التأويل يشكره عليه المعتزلة لأنه نفس تأويلهم باعتراف الأشعري الذي نص على أن الجبائي - من المعتزلة - لا يجوز عنده أن يوصف الله بالفوقية، فان وُجِد في القرآن ما يثبت الفوقية فهو مؤول بالقهر والاستيلاء وأن الله مستولٍ على العباد» [5].

في حين أثبت الأشعري أن شيخه عبد الله بن سعيد القطان الملقب بابن كلاّب كان يعتقد أن الله مستو على عرشه كما قال وأنه فوق كل شيء» [6]. وأثبت الحارث المحاسبي أن الله عز وجل تكلم بالوحي « تكليماً من نفسه من فوق عرشه من فوق سماواته» [7].

وذكر أدلة الفوقية من القرآن ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ ﴿اليه يصعد الكلم الطيب﴾ ثم قال « فهذا يوجب أنه فوق العرش لأنه أبان في هذه الآية أن ذاته بنفسه فوق عباده» [8].

---

1) الدليل القويم ١٥٧ وكتاب معرفة الاسراء والمعراج ١٤.
2) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٣٦٥.
3) مشكل الحديث وبيانه ٣٩٢.
4) الدليل القويم ٤٣ إظهار العقيدة السنية ١٣٢.
5) مقالات الاسلاميين ٥٣٢.
6) مقالات الاسلاميين ٢٩٨-٢٩٩.
7) فهم القرآن ص ٣٠٢ و٣٠٩.
8) فهم القرآن ٣٤٦-٣٥٠.

○ شبهة: واحتج الحبشي بقول الطحاوي « لا تحويه الجهات الست» وهي كلمة تحتاج الى استفصال، وليس من الانصاف المسارعة اليها فإن الله أثبت لنفسه جهة العلو، ولا يجوز التمسك بقول مخلوق بما يؤدي الى نفي ودفع كلام الخالق الذي هو أعلم بنفسه وبما يليق به من مخلوقه.

ومع تعظيمنا للطحاوي فإن الله أعظم. ونفيه متروك معارَض بإثبات الله لنفسه جهة العلو إذ قال ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ﴿يخافون ربهم منْ فوقهم﴾.

ولا يلزم التسليم بكل كلمة قالها الطحاوي. وإلا لزم الأحباش التسليم بقول الطحاوي « وبُغضُهم - أي الصحابة - كفر» [(١)] وهم يحذرون الناس من تكفير ساب الشيخين!

○ وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني « وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء (الذات) على العرش لا على معنى القعود والمماسة ولا على العلوِّ والرِّفعة كما قالت الأشعرية، بل إنه في السماء على العرش كما قال ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [(٢)].

○ وروى البخاري عن سعيد بن عامر أنه قال «الجهمية شرٌّ من اليهود ومن النصارى، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان على أن الله تبارك وتعالى على العرش، وهؤلاء قالوا: ليس على العرش شيء» [(٣)].

وقال حماد بن زيد وأبو بكر بن عياش « إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء» وقال عباد بن العوام « كلمت بشر المريسي وأصحابه، فرأيت آخر كلامهم ينتهي الى أن يقولوا ليس في السماء شيء» [(٤)].

---

١) إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية ٢١٢.

٢) الغنية لطالبي طريق الحق ٥٦ ونقل الحافظ ابن رجب كلامه هذا في طبقات الحنابلة ٣/٢٩٦.

٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ١١.

٤) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ٩ السنة للخلال ٥/٩١ رقم ١٦٩٥ و٥/١١٣ رقم ١٧٥٣ و٥/١٢٣ رقم ١٧٧٦ و١٧٨١ ورواه عبد الله بن احمد في السنة ١/١١٧ رقم (١٤) وانظر سير اعلام النبلاء ٦/٢٤ ومختصر العلو ص ٢٤٦.

قال ابن الجوزي « قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم... وقالوا: إن الله ليسَ في السماء وأن الجارية التي قال لها النبي ﷺ أين الله؟ كانت خرساء فأشارت الى السماء، أي ليس هو من الأصنام التي تُعبد في الأرض. وقالوا: إن الله ليس في السماء».. ولا يُقال استوى على العرش ولا ينزل الى السماء الدنيا بل النازل رحمتُه، فمحوا من القلوب ما أريد إثباته فيها [(١)]. وهذا متوافق مع ما رواه الذهبي عن ابن الجوزي أنه قال « أهل الكلام يقولون: ما في السماء رب» [(٢)].

وقد وافق الأشاعرة هؤلاء الأعاجم السفهاء أمثال ابن فورك حيث قال «إنما أشارت الجارية الى السماء لأنها كانت خرساء» [(٣)].

وليت شعري لو كانت الجارية خرساء، إذن: كيف نطقت وقالت « أنت رسول الله»؟!

وروى البخاري عن سليمان التميمي أنه قال « لو سُئِلتُ أين الله لقلتُ في السماء» [(٤)].

البيهقي يصرح بأن علو الفوقية طريقة بعض أصحابه

قال البيهقي « وقد أشار أبو الحسن الى هذه الطريقة حكاية فقال: وقال بعض أصحابنا... أن الله مستو على عرشه أنه فوق الأشياء[(٥)].

وكل ما سبق من الأدلة من كلام الله ورسوله ﷺ وكلام السلف بل وكلام متقدمي الأشاعرة يدحض قول سمير القاضي « وليس اختصاص الله بجهة فوق كمالاً في حقه سبحانه كما يظن بعض الجهلة» [(٦)].

---

١) كتاب صيد الخاطر١١٥و١١٦ و١٨١.

٢) سير اعلام النبلاء ٢١/٣٧٦.

٣) (مشكل الحديث وبيانه ١٥٩-١٦٠).

٤) خلق أفعال العباد ٣٧ واللالكائي في شرح أصول السنة ٢/٩٢ العلو للذهبي ٩٩.

٥) الاسماء والصفات ٢/١٥٢.

٦) مرشد الحائر في حل ألفاظ فخر الدين ابن عساكر ٢٨ ط: المشاريع.

التخليط بين (العلي) الذاتية و(العلو) الفعلية

فقلبُ صفة العلو (وهي صفة فعل) الى صفة العلي (وهي صفة ذات) هو عين الإلحاد في أسماء الله وصفاته، وهو باطل لما يلي:

- أننا نثبت لله ثلاث أنواع للفوقية: فوقية القهر ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ وفوقية القدر والمكانة والمنزلة ﴿**وهو العلي الكبير**﴾ وفوقية الذات ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ فهو علو مطلق، وأما أهل البدع فإنهم يقرون بالصفتين الأوليين ويكتمون الصفة الثالثة وهي فوقية الذات لله.

أما ربط صفة القهار بالاستواء فنسألهم: هل معنى صفة (القهار) أي المستوي؟

إن الله أعطى للقهر معنى آخر غير الاستواء فلماذا تخلطون بين الأمرين؟

- أن صفة العلي ذاتية أزلية كقوله تعالى ﴿**وهو العلي الكبير**﴾. ولا يقال إن الله صار علياً بعد أن لم يكن قبل خلق السموات والأرض. في حين أن اتصافه باستوائه على عرشه مسبوق بخلق السموات والأرض. كما قال تعالى ﴿**الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾.

- أن الله لو أراد بالاستواء القهر لذكر القهر بالتعيين كما قال ﴿**وهو الواحد القهار**﴾. ولقال: ثم قهر العرش أو: الرحمن على العرش قهر! ولكن القوم يفترون على الله الكذب.

وهل وصفُ الله بأنه قاهر للعرش فيه إثبات قدرة لله؟ فالقهر هو الغلبة[1].

ماذا لو وصفنا شيخكم بأنه قاهر الكراسي؟ ما ترك كرسيا الا قهره؟ هل فيه إثبات قوة له؟

---

١) أنظر مختار الصحاح ٥٥٤ والمفردات للأصبهاني ٦٨٧.

الحبشي يحرف قول أبي حنيفة

نقل الحبشي قول أبي حنيفة « مـن قال لا اعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال انه على العرش ولا أدري: العرش في السماء أو في الأرض». قال الحبشي «انما كفّر أبو حنيفة قائل هاتين العبارتين لأنه جعل الله في جهة وحيز» [1]. وهذا توجيه باطل.

واذا رجعنا الى نص الرواية عن أبي حنيفة لوجدناه على عكس ادعاء الحبشي حيث نجد أن أبا حنيفة حكَمَ بِكُفرِ من ينكر أن الله في السماء، وعبارته كالآتي:

قال أبو حنيفة «من قال لا أعرف ربي : في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذلك من قال: إنه على العرش ولا أدري : العرش في السماء أو في الأرض؟ لأن الله تعالى قال ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [2].

قيل له: فإن قال: ان الله تعالى على العرش استوى ولكن (القائل) يقول: لا أدري : ألعرش في السماء أم في الأرض؟

قال: هو كافر لأنه أنكر كون العرش في السماء لأن العرش في أعلى عليين [3]، والله تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل، لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية في شي. انتهى.

---

١) الدليل القويم ٥٤.

٢) أنظر الفقه الاكبر ٣٦-٣٧ والعلو للذهبي ١٠١.

٣) كما في نسخة الكوراني.

وذكر شيخ الاسلام الهروي هذه الرواية في كتابه الفاروق [١] [٢].

○ ويؤيد هذا ما رواه البيهقي من أن امرأة كانت تجالس جهم بن صفوان، جاءت الى أبي حنيفة وقالت له «أنت الذي تعلّم الناس المسائل وقد تركتَ دينك. أين إلـهك الذي تعبده؟

فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج اليها وقد وضع كتابَيْن: عنوان أحدهما: (الله تبارك وتعالى في **السماء دون الأرض**).

فقال له رجل: أرأيت قول الله عز وجل ﴿**وهو معكم**﴾ فقال: هو كما تكتب الى الرجل إني معك. وأنت غائبٌ عنه» [٣].

قال البيهقي بعد هذه القصة « **لقد أصاب أبو حنيفة** رضي الله عنه فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض، وفيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع في قوله: إن الله عز وجل في السماء.

---

١) حكى المرتضى الزبيدي أن المعتزلة لا يثبتون هذه الرسالة لأبي حنيفة لما فيها من إبطال أصولهم» قلت: وهي تبطل أصول من زعم مخالفتهم بالرغم من موافقته إياهم في أكثر تأويلاتهم. ثم عارض الزبيدي ذلك قائلا « والصحيح أن هذه المسائل المذكورة في هذه الكتب من أمالي الامام التي أملاها على أصحابه كحماد وأبي يوسف و «أبي مطيع البلخي» فمنهم الذين قاموا بجمعها وتلقاها عنهم جماعة من الأمة... الى أن وصلت بالإسناد الصحيح الى الامام أبي منصور الماتريدي. فمن عزاهن الى الامام صح لكون تلك المسائل من إملائه، ومن عزاهن الى أبي مطيع البلخي أو غيره ممن هو في طبقته أو ممن هو بعدهم صح»

٢) اتحاف السادة المتقين ٢/١٣ و١٥٩.

وقد نقل محمد الولي هذا الكلام بحروفه وأقر الأحباش في منشورهم بعنوان (العقيدة الحقة) الذي أعدته اللجنة الدينية في جمعية المشاريع نسبة كتاب (الوصية) و (العالم والمتعلم) و (الفقه الأبسط) الى أبي حنيفة، وهو حجة على الأشاعرة والماتريدية والحبشية، فإن الأحباش يشككون في صحة نسبة كتاب الوصية وغيره من الرسائل المتلقاة عن أبي مطيع البلخي.

قال العلامة الحنفي ملا علي قاري «اعلم أن الامام أبا حنيفة رحمه الله صنف الفقه الأكبر في حال الحياة والوصية عند الممات» (شرح الفقه الأكبر ٩٣).

٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٢:١٧٠ تحقيق حيدر.

وهذا القول مطابق لقول أحمد. قال الخلال في كتاب السنة « حدثنا يوسف بن موسى قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان، قال: نعم لا يخلو شيء من علمه.

قال الخلال: وأخبرني الميموني قال: سألت أبا عبد الله عمن قال: إن الله ليس على العرش، فقال: كلامهم يدور على الكفر. قيل له فما معنى قوله ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم**﴾ قال: علمه بحيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة» وحكى أحمد عن الجهمية أنهم « يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها».

وهذا أيضاً مطابق لقول مالك رضي الله عنه حيث قال « الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء» [1]. وقد قال أبو محمد بن أبي زيد المالكي في رسالته بنفس القول وهو أن الله فوق عرشه بائن من خلقه[2].

لماذا كفر النصارى

ولقد طفق أحد أتباعه «جميل صقر» يعلن على المنبر أن الله أكفر النصارى لأنهم قالوا أنه في السماء».

زعم هذا وهو يعلم يقينا أنه لن يجد دليلا على ذلك من الكتاب والسنة بل الكتاب ظاهرٌ في تكذيبه، فكيف يكفّر الله النصارى لقولهم إنه في السماء ثم يصف نفسه بذلك فيقول ﴿**ءأمنتم من في السماء**﴾ ثم يشهد النبي ﷺ بايمان الجارية حين سألها « **أين الله** » فقالت « **في السماء** » ثم قال لسيدها « أعتقها فإنها مؤمنة»[3].

---

١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ١/١٠٦-١٠٧ (رقم ١١) وأبو داود في المسائل (٢٦٣) والآجري في الشريعة (ص ٢٨٩) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة ٤٠١/٣ والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠١/٨ والتمهيد ١٣٩/٧-١٤٢ والانتقاء ٣٥ كلاهما لابن عبد البر وترتيب المدارك ٤٣/٢.

٢) أنظر الرسالة مع شرحها الثمر الداني ص ١١ وفي كتاب الجامع (ص ١٠٨) له أيضاً "أنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه".

٣) قال الذهبي في العلو (ص ١٦) عن هذا الحديث بأنه متواتر وقال الحافظ في الفتح (٣٥٩/١٣) " هو حديث صحيح أخرجه مسلم".

ولو تنبّه لوجد أن قوله هذا يؤدي الى تكفير النبي ﷺ وتكذيب كتاب الله، لأنه جاء في القرآن وصفُ اللهِ بأنه في السماء وكذلك وصف الرسولُ ربَّه بأنه في السماء.

أسأل الله أن يهدي هذا الرجل، فكم كنت أجلّه وأحترمه لكنه تغير منذ أن تبع الحبشي الذي جاء بمنهج الجهمية متستراً بلبوس التنزيه.

فرعون ((المتعالي)) إمام منكري علو الله

وفي قوله تعالى ﴿وقال فرعونُ يا هامان ابنِ لي صرحاً لعليَ أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلِع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾.

قال الأشعري في الإبانة والجويني وابن خزيمة أن فرعون «كذّب موسى في قوله: إن الله سبحانه فوق السموات [1]».

وقال الطبري «... يقول: وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدّعي: **إن له في السماء رباً أرسله الينا**» [2].

وحكاه ابن الجوزي في (زاد المسير ٦/٢٢٣).

وقال الدارمي[3] « ففي هذه الآية بيان بيّن ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون الى معرفة الله بأنه **فوق السماء**، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الاطلاع اليه» [4].

وقال ابن عبد البر في التمهيد « فدلّ على أن موسى عليه السلام كان يقول **إلهي في السماء** وفرعون يظنه كاذباً» [5].

فمن أنكر علوّ الله **فهو فرعوني** ويستشهد بعقيدة فرعون من حيث يظنها عقيدة الرسول ﷺ الذي أقر الجارية على اعتقادها بأن الله في السماء.

ومن هنا نرى في سلوكيات المنكرين تجاه إخوانهم شيئاً من الفرعنة. كما فعل المعتزلة في أحمد وغيره وكما يفعل أفراخهم بالعلماء اليوم. فهؤلاء رضوا بأن يكون فرعون إمامهم في نفي علو الله..

إكراه الفطرة على ما تمتنع عنه

فإن لم يكن الأمر كذلك فما وجه تكذيب فرعون لموسى. بل لو قيل

---

١) الابانة ١٠٦ رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ١/١٧٧ ضمن المنيرية والتوحيد لابن خزيمة ١١٤.

٢) تفسير الطبري مجلد ١١ ج ٢٤ ص٤٣ ومجلد١٠ ج٢٠ ص ٤٩.

٣) قال عنه الذهبي « كان لَهِجاً بالسنة وفاق أهل زمانه... وكان جذعة في أعين المبتدعة. قال أبو الفضل الجارودي « كان عثمان الدارمي إماماً يُقتدى به في حياته وبعد مماته» (سير اعلام النبلاء ٣/٣١٩-٣٢٥).

٤) الرد على الجهمية ٢١.

٥) التمهيد ٧/ ١٣٣.

إنه كان يعلم ذلك لكان صحيحاً، فإن البشر كلهم (وفرعون منهم) يعلمون بالفطرة أن الله في السماء. فالناس مفطورون على اعتقاد علو الله كما اعترف به عبد الله بن كُلاّب شيخ أبي الحسن الأشعري [1].

---

1) سير أعلام النبلاء ١١:١٧٥.

إنكار العلو مناف للفطرة

فانكار العلوّ مناف للفطرة البشرية التي تجعل الناس يتوجهون بالدعاء اليه. قال ابن قتيبة رحمه الله « ولو أن هؤلاء رجعوا الى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق سبحانه لعلموا أن الله تعالى هو العلي وهو الأعلى وهو بالمكان الرفيع وأن الأيدي ترتفع بالدعاء اليه» [(١)].

قال ابن عبد البر تعليقاً على حديث الجارية « ولم يزل المسلمون في كل زمن ومكان اذا همهم أمر وكربهم غم يرفعون وجوههم وأيديهم الى السماء رغبة الى الله عز وجل» [(٢)].

وهذه الحقيقة مربكة لنفاة علو الله. فقد قعد الجويني في مجلس وعظه يورد الأدلة على نفي علو الله، فقال له أبو جعفر الهمداني « أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها: ما قال أحد: يا الله إلا وجد في قلبه ضرورةً تطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ هل عندك دواء لدفع هذه الضرورة؟ فصرخ الجويني «حيّرني الهمداني»[(٣)].

ولهذا تصدر عن منكري العلو عبارات تتضمن إثبات علو الله، فقد قال أحد الأشاعرة الرفاعيين « كان عز الدين الصياد مكث طيلة حياته لم يرفع طرفه الى السماء حياءً من الله تعالى» [(٤)]. تُرى هل كان استحياؤه من البركات المخزونة في السماء بزعمهم أم كان من الملائكة الساكنين فيها؟ أم كان حياؤه من الله الذي في السماء؟

- وقال السبكي « آخر كلمة تكلم بها أبو محمد المزني أن قبض على لحيته ورفع يده اليمنى الى السماء» [(٥)].

---

١) تأويل مختلف الحديث ص ١٨٣.

٢) التمهيد ٨١/٢٢ و١٣٤/٧.

٣) سير اعلام النبلاء ٤٧٥/١٨ والعلو (مختصره ص ٢٧٦) وقد شكك السبكي في صحة نسبة هذه القصة الى الجويني لأنها تكشف إكراه الجويني وأمثاله فِطَرَهم على ما يخالفها من اعتقاد علو الله وفوقيته.

٤) خزانة الامداد في سيرة بني الصياد ٢٤ و ٣٦ وهو أشعري وأحد كبار الرفاعية وانظر كتاب « حالة أهل الحقيقة مع الله» للشيخ أحمد الرفاعي ١٣٤ـ١٣٥ وكتاب « روضة الناظرين » للوتري ٩٠ وقال بمثل ذلك الهيتمي في تطهير الجنان عن التفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان ص ٢.

٥) طبقات السبكي ١٩/٣ محققة.

- وقال الغزالي حاكيا عن ابتهالات الأولياء « فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله سبحانه أيديهم وامتدت اليه أعناقهم وشخصت نحو السماء».

وقد تنبه الزبيدي الى أن في هذا اثباتا لعلو الله فعلق قائلا « الذي هو قبلة الدعاء» [1].

---

١) اتحاف السادة المتقين ٤/٤٥٣.

هل الشريعة تخدع العوام؟

ولما أحس التفتازاني بانعدام الأدلة الشرعية على نفي العلو وإنما العكس قال:

« فإن قيل: اذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة [يعني نفي علو الله على عرشه وفوقيته] فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك من غير أن **يقع في موضع واحد تصريح بنفي ذلك؟**

أجاب التفتازاني بأنه « لما كان التنزيه عن الجهة مما تقصر عنه عقول العامة حتى تكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة: **كان الأنسب في خطاباتهم والأقرب الى اصلاحهم والأليق بدعوتهم الى الحق ما يكون ظاهراً في التشبيه**، وكون الصانع في أشرف الجهات مع تنبيهات دقيقة على التنزيه المطلق عما هو من سمة الحدوث» [١].

فأقوال هؤلاء موافقة لأقوال الباطنيين؟

وكيف يكون هؤلاء ممثلين للسواد الأعظم وقد اعترفوا بأن السواد الأعظم يعتقدون علو الله وأن الله وصف نفسه بصفات التشبيه ليقربهم بالتشبيه الى التوحيد، وأن الأنبياء جاءت والكتب نزلت على خلاف الحق وجاءت بالذب لمصلحة دعوة العوام؟

يخافون ربهم من فوقهم

أما قوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ فالذهاب فيه الى التأويل والمجاز مستحيل، لأن معنى خوف الملائكة من قوة الله وقهره متحقق تحققاً كاملاً في قوله تعالى ﴿يخافون ربهم﴾ دون الحاجة لذكر الظرف ﴿من فوقهم﴾ فتعيّن أن الفوقية هنا فوقية ذات».

وقال تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ فماذا يعني الصعود والارتفاع. ولماذا تصعد الملائكة بأعمال العباد إن لم يكن صعودهم بها الى الله؟ إن هذا الذي جعل الأشاعرة وغيرهم يزعمون أن المقصود بارتفاع الأعمال إنما هو مجاز عن تفاوتها في

---

١) شرح المقاصد ٢/٥٠.

المراتب ارتفاعاً وانخفاضاً[1]. إذ لما جعلوا علو الله علو المنزلة اضطروا الى التزام أن ارتفاع الأعمال ارتفاع في المنزلة أيضاً. وهو من باب ترقيع التحريف بتحريف آخر.

﴿تعرج الملائكة والروح اليه﴾ فماذا يعني عروج الملائكة اليه؟ ووقوفهم عنده صفاً كما قال ﷺ «ألا تصُفّون كما تصُفّ الملائكة عند ربها»[2]؟ أكلّ هذا لا يفيد عندكم معنى؟ أم أن قلوبكم استمرأت التعطيل وأشربت التحريف وصارت في أكنّة من فَهْمِ آيات الله؟ أم أنه يعني أن منزلة الملائكة تعرج لتصير بمنزلةَ علو مكانةَ الله؟

الظاهر والباطن

قال تعالى ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ ومعنى «الظاهر» عند الحبشي أي أن كل شيء يدل عليه عقلا. وهو قول بلا علم بل تحريف متعمد. فإن كان معنى الظاهر: ما يدل كل شيء عليه عقلا فهذا القمر كل شيء يدل عليه عقلا فهل نسميه الظاهر أيضاً. وأما الباطن عنده فهو بمعنى أن العقول لا تتصوره ولا تتوهمه فهو باطن بهذا المعنى، وهذا تحريف وتلاعب بكلام الله ورسوله وإلحاد في صفاته.

وهذه الصفة لم يتركها رسول الله ﷺ من غير تفسير بل فسرها تفسيراً هو أولى بالأخذ من غيره.

○ فنحن نتمسك بتفسير النبي ﷺ لصفة (الظاهر) حيث قال.« أنت الظاهر فليس فوقك شيء». ولم يقل أنت الظاهر فلا يدل العقل على شيء كدلالته عليك. ومن عادة الحبشي القول « وخير ما فسرته بالوارد». فانظر الى تفسير النبي ﷺ للآية ولا تتجاهله هداك الله. فانه اذا عُرف التفسير من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك الى تفسيرك المقرمط.

فهذه الصفة مع تفسير النبي ﷺ لها، نصٌّ في إثبات علو الله تعالى، ولأن الظاهر في اللغة هو العالي كما قال تعالى ﴿ومعارج عليها يظهرون﴾ أي يعلون ويرتفعون. وقال ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ أي يعلوه.

---

1) الاشارة الى الايجازفي بعض أنواع المجاز ٩٦-٩٧.
2) رواه مسلم (٤٣٠) وأبو داد (٦٦١).

قال الطبري «الظاهر» أي العالي على كل شيء دونه وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه» [1] وقال ابن الأثير أي الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه [2].

وأما الباطن فعلى معنى أنه لا يدانيه أحد من خلقه، غير أن البيهقي روى أن **الباطن** معناه أنه مع ظهوره وعلوّه فإنه الباطن القريب من عباده العالم بهم، المطلع على سرهم وعلنهم وإن كان فوق الجميع. وهو فوق عرشه [3]. وكما قال ابن مسعود « والله فوق العرش ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم»[4]. وعلى كلٍ فليس تفسير أحد بحجة بعد تفسير الرسول ﷺ لهذه الآية.

وما أفسد ما يقوله هؤلاء بأن اعتقاد علو الله في السماء منقوض بوضع الجبهة على الأرض عند السجود، فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمَن فوقه بالذل والخضوع لا أن يميل إليه برأسه إذ هو تحته، بل هذا لا يخطر في قلب ساجد. نعم، سُمع من بشر المريسي أمير المعتزلة وأول منكري علوّ الله أنه كان يقول «سبحان ربي الأسفل» وهو سلف منكري علوّ الله اليوم.

وما أفسد قولهم: ولو لم يكن الله متصفاً بالعلو لكان متصفاً بضده وهو السفول، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده. وهذه القاعدة معتمد الأشاعرة والماتريدية في ردودهم على المعتزلة والجهمية[5]. كقول الشيخ ملا علي قاري « لو نفيت الحياة يلزم الموت، ولو نفيت القدرة لزم العجز»[6].

---

١) تفسير الطبري المجلد ١١/٢٧/١٢٤.

٢) جامع الأصول ٣/١٦٤.

٣) الاسماء والصفات للبيهقي ٢/١٧٣.

٤) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ٤٣ والبيهقي في الاسماء ٢/١٤٥ بسند جيد.

٥) أنظر شرح العقائد التفتازانية ٣٦.

٦) الفقه الاكبر بشرح القاري ١٩.

معنى « في السماء » في مفهوم أهل السنة

والذي نعتقده وندين اللهَ به :

أن الله ﴿في السماء﴾ بمعنى في أعلى العلو فإن « في » ليست ظرفية هنا كما حققه البيهقي وغيره حين قال «وكل ما علا فهو سماء» وإنما بمعنى « على » وهذا ما حكاه أبو بكر بن فورك والبيهقي عن أحمد بن اسحاق بن أيوب الفقيه أن العرب تضع (في) بمعنى (على) كما في قوله تعالى ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أي على النخل وقوله ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي سيروا على الأرض وفوقها، فكذلك قوله ﴿من في السماء﴾ أي على العرش فوق السماء كما صحّت به الأخبار» ونقل الحافظ ابن حجر كلام البيهقي (١).

○ وهذا الكلام يجعل البيهقي في عداد مثبتي جهة العلو لله في السماء، فقد نقل النووي عن القاضي عياض ما نصه « فمن قال بإثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين تأول « في السماء» أي على السماء» (٢).

والسماء في قوله ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ ليست هي نفس المخلوق العالي: العرش فما دونه، وإنما هي اسم جنس للعالي لا يخص شيئاً. فقوله (في السماء) أي في العلو دون السفل ليس بمعنى السماء الدنيا أو التي تحت العرش كما يفتري الحبشي (٣).

---

١) الاسماء والصفات ٢/١٦٢-١٦٣ تحقيق عماد الدين حيدر مشكل الحديث وبيانه ١٧٢و٣٣٥و٣٩٢ وانظر فتح الباري ١٣/٤١٨ وانظر أيضاً ٨/٦٧ حديث رقم (٤٣٥١) وفي كتاب التوحيد ١٣/٤١٥ وانظر كتاب الاعتقاد للبيهقي ص ١١٣.

٢) شرح النووي على مسلم ٥/٢٤-٢٥.

٣) إظهار العقيدة السنية ١١٢.

ومما يؤكد أن السماء لفظ اصطلاحي يراد به العلو قول النبي ﷺ « الخيمة درّة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها أهلٌ للمؤمن لا يراهم الآخرون» (متفق عليه). يبين ذلك أيضاً قول الامام النووي رحمه الله « قوله (طولها في السماء) أي في العلو» [١].

قال الشيخ أسامة القصاص رحمه الله « فها هو النبي ﷺ يخبرنا عن خيمة في الجنة طولها في السماء ستون ميلا، فكيف تكون الجنة فوق السماوات السبع ثم يذكر النبي سماءً فوقها؟ فهذا الجاهل لو بقي على قوله الساقط لكان على مقتضى قوله عدم وجود الكرسي والعرش في السماء لأنهما فوق السماوات السبع» [٢].

مفهوم (في السماء) كما قرره شيخ الاسلام

واعلم أن ابن تيمية يكفّر من يقول إن الله في السماء بمعنى التي تحت العرش، وإنما نعني بالسماء العلو المطلق الذي هو فوق السموات.

قال ابن تيمية « من توهم بأن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره، ضالٌ إن اعتقده في ربه، بل هو فوق كل شيء، وهو مستغن عن كل شيء وكل شيء مفتقرٌ اليه وهو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته» [٣].

تحرير مذهب السلف

ولربما أصيب البعض بالحيرة وتساءلوا ما يدرينا أن ما تقوله هو قول السلف أهل السنة والجماعة، فإن هؤلاء يزعمون أنهم على منهج السلف وأنهم أهل السنة والجماعة ؟!

فأقول: إقرأوا ماذا قال السلف الصالح وما نُقِل عنهم، هل قال واحد منهم إن: الله ليس في السماء.

واسمعوا ماذا قال الأوزاعي وهو من أئمة أهل السنة؟

قال الحافظ في الفتح « وروى البيهقي **بسند جيد** عن الأوزاعي أنه قال: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته» [٤].

وقال الحافظ الذهبي « مقالة السلف وأئمة السنة بل الصحابة والله ورسوله ﷺ والمؤمنون: أن الله عز وجل في السماء وأن الله

---

١) شرح النووي على مسلم ج ١٧/١٧٦.
٢) إثبات علو الله على خلقه ١/١٢٢.
٣) الفتوى الحموية٦٢ مجموع الفتاوى ٥/١٠٦.
٤) فتح الباري ١٣:٤٠٦. الأسماء والصفات للبيهقي ٢:١٥٠ وأورده الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/١٧٩ وسير أعلام النبلاء ٧/١٢٠-١٢١ و٨/٤٠٢ ومختصر العلو ص ١٤٦.

على العرش، وأن الله فوق سماواته. ومقالة الجهمية أنه في جميع الأمكنة.

ومقالة متأخري المتكلمين: أن الله تعالى ليس في السماء، ولا على العرش ولا على السموات ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارجه ولا هو بائن عن خلقه ولا هو متصل بهم...

قال لهم أهل السنة والأثر... إن هذه السلوب نعوت المعدوم، تعالى الله جل جلاله عن العدم بل هو متميز عن خلقه موصوف بما وصف به نفسه من أنه فوق العرش بلا كيف»[1].

وقال الحافظ ابن عبد البر في (التمهيد ٧/١٢٩-١٣٥) ما نصه « وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة» أضاف « ومن الحجة أيضاً على أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم اذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم الى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج الى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليه مسلم».

وقال عثمان الدارمي « اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سماواته»[2].

إقرأوا كتاب خلق أفعال العباد للبخاري والأسماء والصفات للبيهقي وانظروا ما فيهما من الروايات الثابتة عن الصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة، كلها تنص على أن أهل السنة يثبتون كل ما وصف الله به نفسه لا يتأولونها كما يفعل أولئك المحرفون المعطلون.

---

١) العلو للعلي الغفار ١٠٧-١٩٥ مختصر العلو ١٤٦ و٢٨٧.

٢) سير أعلام النبلاء ٣٢٥/١٣ قال عنه الذهبي « العلامة الحافظ الناقد فاق أهل زمانه وكان لهجاً بالسنة وكان جذعاً في أعين المبتدعة» (سير أعلام النبلاء ١٣/٣١٩-٣٢٤).

هل السماء قبلة الدعاء

وزعم الحبشي أن الناس يرفعون أيديهم الى السماء لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة ولأنها مهبط البركات [١] واحتج لذلك بالاحتمالات والأقاويل[٢].

وقد سبقه الرازي باحتمال من أعجب ما يكون: فقد زعم أن الرفع الى السماء لأن الأنوار تنبعث من جانب السموات، أو لأن الحياة متوقفة على الهواء وهو دائماً فوق الأرض. أو لأن الغيث ينزل من السماء» [٣]. وقد زعم الأشاعرة أن الاحتمالات لا تجوز في العقائد باعترافه.

وهذه الدعوى باطلة لوجوه:

١) أن القبلة لا تثبت الا بالشرع، ليس للرأي فيها نصيب، فنسألهم:

* من أين عرفتم أن الكعبة قبلة المصلين؟ أبعقل المتكلمين أم بكشف المتصوفة أم بالوحي؟

واذا كانت معرفتكم هذه مصدرها وحي الله فنسألكم:

* من أين عرفتم أن السماء قبلة الداعين؟ أمن عقولكم أم من كشوفاتكم أم من وحي الله؟

وهذه الحجة نتوجه بها الى من زعموا أنهم يتبعون الأشعري القائل بأن الواجب يثبت بالشرع لا بالعقل. وقد ثبت بالشرع قبلة الصلاة كما قال تعالى ﴿**فول وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ فما لكم تحسّنون قبلة للدعاء غير القبلة التي كان يتوجه ﷺ نحوها في الصلاة والدعاء؟ وما الدليل على أن قبلة الدعاء في جهة غير قبلة الصلاة؟ أرأيتم لو أن رجلاً حدد للناس قبلة في اليمن ودعا الناس للتوجه اليها أنقبل منه ذلك، أم أننا نطالبه - كما نطالبكم - بالدليل على هذه البدعة.

٢) أن النبي كان يستقبل القبلة عند الدعاء والاستسقاء، فهي قبلة الدعاء والصلاة، ففي البخاري «فلما أراد ﷺ أن يدعو استقبل القبلة» [٤] وكم كنا نود أن يقرأ الحبشي باب (الدعاء مستقبل القبلة)

---

١) الدليل القويم ٣٥.
٢) إظهار العقيدة السنية ١٠٨.
٣) أساس التقديس ص ٧٦-٧٧.
٤) البخاري (١٠٢٨).

عند البخاري [١]، ولما دعا على نفر من قريش رفع يديه واستقبل القبلة[٢].

فمن ذا يزعم أن النبي ﷺ قد سن لنا أن نستقبل قبلتين؟ قبلة الأرض وقبلة السماء؟؟؟

٣) أن القبلة هي ما يستقبله العابد بوجهه ولذلك سميت وجهة. فأما ما حاذاه الانسان برأسه فهذا لا يسمى قبلة لا حقيقة ولا مجازاً. والسماء فوق الأرض من جميع الجهات كما أن الأرض تحتها من جميع الجهات.

فكروية الأرض دليل على علو الله لأن الله عال على جميع خلقه. أينما كانوا فهو فوقهم. ولكن الأحباش يجادلون حتى في هذه. فيزعمون أن سكان الأرض من الجهة الأخرى تحتنا، بينما هم يقولون إننا نحن تحتهم. ولو كانوا هم تحتنا لكان مجيء المطر اليهم من أسفل الى أعلى.

على أن الجهة الدائرية تختلف عن الجهة المستقيمة، وتأمل كيف يؤم إمام المسجد الحرام المصلين وراءه بينما يصل بعضهم الى أن يصيروا أمامه. فأهل البدع أسارى خيالاتهم وحساباتهم الفاسدة. وهم لم يقولوا ذلك الا جدلا وإلا فهم لا يعتقدون بكروية الأرض أصلا. ولقد قالوا لأحد أخواننا: ان الشهادة بكروية الأرض منشؤها من الكفار وشهادتهم باطلة.

٤) أن النبي ﷺ كان يرفع أصبعه الى السماء ويخاطب ربه كقوله «ألا هل بلغت؟ قالوا نعم» فجعل يرفع أصبعه الى السماء وينكتها اليهم ويقول اللهم فاشهد [٣] وهذا إشهاد منه لله تعالى على تبليغه ليس إشهاداً للخزنة ولا للملائكة ولا للبركات المخزونة في السماء.

٥) اذا كانت السماء قبلة الدعاء فما معنى قول عائشة «برّأني ربي من فوق سبع سموات» وقول زينب «زوّجني ربي من فوق سبع سموات» وقول عمر عن خولة بنت ثعلب «هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات»؟

٦) أن هذا الادعاء ليس فيه نص من كتاب أو سنة أو سلف، وإنما هو اجتهاد محض، فما بال منكري الاجتهاد في العقيدة يجتهدون

---

١) أنظر كتاب الدعاء حديث رقم (٦٣٤٣) ومسلم (١٧٦٣).

٢) البخاري (٣٩٦٠).

٣) مسلم (١٢١٨).

في تحديد قبلة للناس غير التي في قوله تعالى ﴿**فلنولينك قبلة ترضاها**﴾؟ فقد جعلوا ببدعتهم الآية هكذا: فلنولينك قبلتين ترضاهما.

والله تكلم عن قبلة مؤقتة حين قال لبني اسرائيل ﴿**واجعلوا بيوتكم قبلة**﴾ فلماذا لم يخبرنا أنه جعل السماء لكل الخلق قبلة؟

٧) أن رسول الله ﷺ قال « إن ربكم حييّ كريم، يستحيي من عبده اذا رفع يديه «الى الله» أن يردهما صفراً» [١]. فأثبت النبي ﷺ أن رفع اليدين إنما هو في الحقيقة الى الله.

٨) أن الله لم يختر له السماء قبلةً مع أنه رآه يقلب وجهه في السماء كأنه كاد أن يتخذها قبلة ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولنيك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ فلا يجوز بعد هذا أن يقول قائل « السماء قبلة» بعدما حوّل الله نبيه ﷺ عنها الى قبلة واحدة دون التي كان يقلّب وجهه فيها. فكيف تختارون ما لم يختره الله؟

٩) أن قولكم (نرفع أيدينا الى السماء لأنها مهبط البركات) قول فيه سخف ووثنية. فهل يجوز اذا وضع الله بركته في موضع ما أن تتوجه الأيدي الى هذا الموضع بالتضرع والدعاء، فاذا جعل الله بركته في جوف الأرض فهل يجوز أن نتخذ هذا الموضع قبلة لنا ومن ثم تتوجه أيدينا الى جوف الأرض حيث صارت موضع الرحمات والبركات!

واذا كانت الأيدي ترفع الى السماء لأنها مهبط البركات فان الأرض منبت البركات ومخزنها فاجعلوها قبلة لكم أيضاً!

قبر الرفاعي قبلة اخرى للدعاء

قد زعم الرفاعيون - والحبشي منهم - أن قبر الشيخ الرفاعي قبلة الدعاء يتوجه المكروب اليها ويخطو نحوها ثلاث خطوات من أي مكان من العالم ويُقسم على الرفاعي أن يكشف عنه همّه وكربه [٢].

والشيخ عندهم « كعبة القاصدين وقبلة المريدين، كما أن عرش الرحمن قبلة أصحاب الهمم » [٣]!

وهكذا شأن أهل البدع يبتدعون ما تشاؤه أهواؤهم فتارة تكون السماء قبلة الدعاء وتارة يكون قبر الرفاعي هو الآخر قبلة الدعاء ولست أعلم أي القبلتين عندهم أفضل من الأخرى.

---

١) رواه أبو داود (١٣٣) باسناد صحيح.

٢) قلادة الجواهر ٤٣٤-٤٣٥ و ٢٣٩.

٣) القواعد المرعية ٧ والتاريخ الأوحد ١٠٣ والفخر المخلد٢ وقلادة الجواهر ١٣٢ والفجر المنير ٨٨.

جارية ترغم أنوف أهل الكلام

٥) حديث الجارية التي قال لها رسول الله ﷺ « أين الله ؟ قالت في السماء فقال لسيدها : أعتقها فانها مؤمنة [١].

○ وقد زعموا أن معنى قول النبي ﷺ للجارية «**أين الله**» أي أين اعتقادك من التعظيم لله. فأجابت «**في السماء**» أي رفيع القدر جدا [٢]. وبهذا جعلوا التخاطب بطريقة الألغاز لأن التخاطب على هذه المعاني لا تستعمله العرب بهذه الطريقة.

إن موقفه من حديث الجارية مطابق لموقف المعتزلة حرفاً بحرف. فقد زعم سؤال النبي ﷺ للجارية « أين الله» إنما هو سؤال عن المكانة لا المكان» [٣].

ويلزم من هذا التأويل السمج أن كل من كان عظيم القدر من البشر نصفه بأنه في السماء. وهذا مخالف للغة التخاطب التي يتخاطب بها العرب.

وزعم ابن فورك أنها كانت خرساء ولهذا أشارت بيدها الى السماء[٤].

وهذا تأويلٌ سنه الأعاجم الذين دخلوا العراق كما قال ابن الجوزي « قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم... وقالوا : إن الله ليس في السماء وأن الجارية التي قال لها النبي ﷺ أين الله؟ كانت خرساء فأشارت الى السماء [٥].

ولكن نص الحديث يدل على أنها كانت ناطقة، ولذلك لما سألها رسول الله ﷺ « من أنا؟» قالت: « أنت رسول الله».

تناقض أشعري

وإليك واحد من تناقضات الأشاعرة. فقد زعموا أن الرواية التي عند مالك في الموطأ أن النبي ﷺ قال لها : أتشهدين أن لا اله الا الله؟ فقالت: أشهد أن لا اله الا الله»[٦].

وهذا من تناقضهم، فقد زعم شيخهم ابن فورك أن الجارية إنما كانت خرساء لا تتكلم[٧].

---

١) رواه مسلم (٥٣٧) وأحمد ٤٤٧/٥ والبغوي في شرح السنة ٢٣٧/٣.

٢) شريط ٧ وجه ب ١٩٣ الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ١٣٧.

٣) الدليل القويم ٥١.

٤) مشكل الحديث وبيانه ١٥٩-١٦٠.

٥) صيد الخاطر١١٥و١١٦ و١٨١ ط: المكتبة العلمية - بيروت.

٦) منار "الهدى" ٢٧/١٦ وسيأتي الرد على هذه الشبهة.

وقول الجارية للنبي ﷺ « أنت رسول الله» تزيد من حيرة هؤلاء وتناقضهم.

على ان القوم معترفون بأن التأويل لا يمكن الجزم أن يكون مراداً لله ورسوله [١]. وهذا الرد كاف في إبطال ذلك التأويل السمج البارد المتكلف. البعيد عن الحق الكاذب على الشرع واللغة.

○ فالحبشي يخلط بين صفتين لله إحداهما صفة **(العلي)** وهي أزلية والثانية **(العلو)** وهي صفة فعليه ورد تحديدها بوقت بعد خلق السموات والأرض كما دلت عليه **(ثم)**. فلماذا الخلط والتلبيس بين الصفتين؟

○ إذا كان قول الجارية **(في السماء)** بمعنى رفيع القدر جدا، فيصير معنى قوله ﷺ **(ينزل الى السماء الدنيا)** ينزل قدرُه! تعالى الله عن ذلك. ولكان قول الله لعيسى **﴿إني متوفيك ورافعك إليّ﴾** معناه: إني رافعك لتصير بمنزلتي. وعروج الملائكة اليه بلوغ منزلته وقدره: ألا فليجيبوا عن هذه.

○ ثم هو لا يفيد شيئاً فإن العلي من كان عالياً فوق خلقه ولذلك قال الطبري « وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه» و « أنه تعالى ذو ارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه» [٢] وقال البغوي **﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾** أي العالي على كل شيء [٣] وقال الطبري « وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه» [٤].

فأهل السنة على عقيدة هذه الجارية ويبرؤون الى الله ممن لا يتأدبون مع نبيهم ﷺ فيظنون أنه يُقرّ باطلا. ويبرؤون من كل من يشهد بخلاف ما شهد لها به، فقد شهدت لله بالعلو فشهد لها ﷺ بالايمان:

في حين يشهد هؤلاء بكفر من يقول بقولها، كقول الحبشي: إن من أصول الكفر اعتقاد أن الله في السماء. فان كان ذلك من أصول الكفر فكيف أقرها النبي ﷺ عليه؟ وهل الحبشي أعلم بالله من الله ومن رسوله ﷺ؟

---

٧) مشكل الحديث وبيانه ١٥٩-١٦٠.

١) الدليل القويم ٤٧ التوحيد للماتريدي ٧٤.

٢) الطبري المجلد (٣) ٣/٩ والمجلد (١١) ٦/٢٥.

٣) تفسير البغوي ٢٦/٥.

٤) جامع البيان للطبري مجلد ١١ ج ٢٥ ص ٦.

المبتدعة يطعنون في صحة الحديث

○ ويعمد بعض المبتدعة الى الطعن بالحديث مع وروده في صحيح مسلم فيزعم نبيل الشريف (حبشي) أن حديث الجارية مضطرب «ظاهر الاضطراب!! فقد رواه مالك بلفظ: أتشهدين أن لا اله الا الله؟ فقالت: أشهد. وأما رواية مسلم: قال لها: أين الله؟..» قال: فهذا الاختلاف في اللفظ يوضح الاضطراب. ومالك أضبط للحديث من مسلم، بل اتفق العلماء على أن مالكاً أضبط رواة الحديث»[1]. انتهى.

وهؤلاء لا يحبون رواية هذا الحديث ولا كتابته ولعله لهذا السبب لم يدرج حيدر عند تحقيقه لكتاب الأسماء والصفات هذا الحديث في فهارس أحاديث الكتاب حتى لا يمكن إيجاد الحديث بسهولة. وكان ينبغي له أن يدرجه بلفظ «إيتني بها» أو لفظ «أين الله» لكنهم لا يجيزون لأنفسهم كتابة هذا السؤال الذي تقشعر منه أبدانهم.

والجـــواب:

○ قد شهد الحافظ ابن حجر بصحة الحديث ولم يذكر في اضطراباً ولا علة فقال « وهو حديث صحيح أخرجه مسلم»[2]. فخذه «حيث حافظ عليه نص».

○ بل الرواية عند مالك بلفظ: «أين الله» فلماذا التلبيس والخداع[3]؟ غير أنكم تتجاهلونها وتتمسكون بالرواية التي تليها وهي حادثة أخرى لا تتعلق بما قبلها بتاتاً بدليل رواية عتبة بن مسعود أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ بجارية له سوداء فقال لرسول الله ﷺ « إن علي رقبة مؤمنة، فإن كنتَ تراها مؤمنة أُعتقُها. فقال لها رسول الله ﷺ أتشهدين... الخ». أما رواية معاوية بنَ الحكم ففيها أنه ضربها وأسف لما فعل فاستدعاها رسول الله ﷺ وسألها: «أين الله». وقد استغل أهل الزيغ إبهام اسم الرجل من الأنصار وجعلوه وحديث معاوية بن الحكم حديثاً واحداً مروياً من عدة طرق ليتمكنوا بعد ذلك من ادعاء الاضطراب فيه. بينما الحديثان متنان اثنان لقصة متعددة كما نص عليه

---

١) مجلة منار "الهدى" ٢٧/١٦ قال ابن حجر الهيتمي في فتح المبين (٥٥) تعليقاً على قول الشافعي " لا أعلم كتاباً بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك" (إنما كان قبل ظهورهما [أي البخاري ومسلم] فلما ظهرا كانا أحق بذلك وأولى).

٢) فتح الباري ٣٥٩/١٣.

٣) موطأ مالك ٧٧٦/٢ كتاب العتق والولاء باب عتق أمهات الأولاد.

الحافظ ابن عبد البر ونقله عنه في « شرح الزرقاني على موطأ مالك ٨٦/٤». ألا فبُعداً وسُحقاً لمن ورث مكر اليهود في تلبيس الحق بالباطل.

○ أن كون الامام مالك رحمه الله أضبط من مسلم: فهذا ليس قاعدة دائمة يحتج بها، والدليل على ذلك أن مالكاً أخطأ في ضبط اسم راوي هذا الحديث حينما روى حديث (أين الله) فسماه (عمر بن الحكم) وإنما هو (معاوية بن الحكم السلمي).

وقد نبه الشافعي على ذلك فروى حديث الجارية (أين الله) ثم استدرك على مالك هذا الخطأ فقال « وهو معاوية بن الحكم: وأظن مالكاً لم يحفظ اسمه» (الرسالة ص ٧٦) وكذلك انظر كتابه (الأم ٢٨٠/٥).

وكذلك استدرك النسائي هذا الوهم في (التفسير من الكبرى ٤٢٧/٨ تحفة).

وقال الحافظ ابن حجر في (التلخيص الحبير ٢٢٢/٣) « وهو من أوهام مالك في اسمه». فها هو الشافعي الذي تدعون اتباعه يصرح لكم بأن مالكاً أخطأ فتجاهلتم تنبيهه وتنبيه الحافظ ابن حجر والنسائي وتمسكتم بخطأ مالك!

طعن الكوثري في الحديث

○ وممن طعن في الحديث الكوثري حيث زعم أنه قد وقع في رواية أنها أشارت ولم تتكلم مما يدل على أن حديث الجارية لم يكن الا بالاشارة وأن الراوي (الصحابي!) سبك ما فَهِمه من الاشارة بلفظ من عنده، وهو لم يكن فقيهاً بدليل أنه كان يتكلَم في الصلاة، وهذا دليل عنده على أن «أين الله» لم يكن من لفظ الرسول»! ثم أصدر حكمه على الحديث بالاضطراب لا سيما وأن فيه يحيى بن أبي كثير وهو مدلس وقد عنعن [1].

الجواب على ذلك:

○ **أولا** : أن الحديث الذي عند الذهبي في «العلو» ضعيف الاسناد لأنه من رواية سعيد بن زيد: ضعفه القطان جدا كما في الجرح والتعديل (٢١/٤). وذكره ابن حبان في المجروحين (٣٢١/١) ومع توثيق البخاري ومسلم فقد جرحه آخرون كيحيى بن سعيد وأبي حاتم والنسائي والجوزجاني والدارقطني والبزار (تهذيب التهذيب ٣٣/٤) والظاهر أنه كان صدوقاً له أوهام كما لخصه الحافظ في (التقريب ٢٣١٢). وأين هذا السند على افتراض صحته من رواية مسلم؟

○ أن هذا الحديث رواه غير يحيى بن أبي كثير كما عند الطبراني والموطأ. وأن يحيى بن أبي كثير قد صرح بالتحديث في روايته عن هلال عند أحمد رووه وليس فيه هلال وهو لا يحدث الا عن ثقة.

○ وقد صرح الحافظ الذهبي (الذي تحتجون به في تصحيح أثر خدر رجل ابن عمر) بأن هذا الحديث متواتر [2].

○ أن أبا حنيفة روى هذا الحديث [3]، وذكر أنه لم يطعن أحد فيه الا المعتزلة هو والسمرقندي [4]. واذا كان أبو حنيفة مجتهداً ولا ريب، فقد ذكر الكوثري وتلميذه أبو غدة والتهانوي أن استدلال المجتهد بحديث يعتبر تصحيحاً له [5]. وأنه لا يستساغ تضعيف أحاديث رواها

---

١) تعليقات الكوثري على الاسماء والصفات ص ٥٣٢.

٢) العلو للذهبي ١٦، ١٧، ومختصر العلو ٨٢-٨٣.

٣) مسند أبي حنيفة لأبي محمد الحارث باختصار صدر الدين الحصكفي مع شرح ملا علي قاري ١٥٧.

٤) الفقه الأبسط بشرح أبي الليث السمرقندي ٢٠ والتعليق الصبيح ٧٢/٤.

أبو حنيفة[1].

○ **ثانياً** : دعوى اضطراب رواية مسلم دعوى مضطربة، لأن الرواية الأخرى لا تساويها في السند وإنما تقل عنها،

○ **ثالثاً** : إن كان الصحابي سبك هذا اللفظ من عنده ثم اشتهر هذا اللفظ بين الصحابة: أليس هذا دليلا واضحاً على أن الراوي والصحابة قد ارتضوا هذا اللفظ (أين الله) ألم يكن هؤلاء الصحابة يفهمون عقيدة التنزيه حتى يختاروا هذا اللفظ؟ وهل يرضى أحد منكم أن يختار لفظاً كهذا؟ هذا قشيريكم وابن عساكركم وسبكيكم يقولون «تعالى الله عن أن يقال (أين) [2]. وهذا سبكيكم يقول «ولا يقال له أين، هذا مذهب أهل السنة» [3].

كيف تناقله الصحابة والتابعون ودوّنه المحدّثون ثم ابتدأ جهم والمريسي والمعتزلة بإنكاره فحرّموا على الناس أن يقولوا: إن الله في السماء، ثم تلقيتموه عنهم؟

أرى أن الكوثري قد ورّط نفسه بعدة ورطات أهمها أن الصحابي قد كذب على الرسول وعلى الجارية. فبينما قال الرسول ﷺ لها: أتشهدين، سبكه الصحابي بلفظ (أين الله). وبينما قالت الجارية (أشهد أن لا اله الا الله) أو أشارت: سبك لها الصحابي لفظاً أخر وهو (الله في السماء).

وغمز الصحابي معاوية بن الحكم، ورماه بالجهل وهو ليس أول صحابي يطعن فيه الكوثري فقد طعن في أنس بن مالك ووصفه بالهرم والخرف وردّ حديثه الصحيح[4].

وهذا دليل من جملة الأدلة على انغماس الكوثري في منتهى الضلالة.

قال أبو المظفر السمعاني « التعرض الى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله، وهو بدعة وضلالة» [5]. نقله عنه الحافظ في الفتح.

---

٥) مقالات الكوثري ٧٠ وقواعد في علوم الحديث تحقيق أبي غدة ٥٧.

١) تأنيب الكوثري ٢٢٥ وهي قاعدة باطلة.

٢) الرسالة القشيرية ص ٢ مرشد الحائر في حل ألفاظ ابن عساكر ٣٨.

٣) طبقات السبكي ٩/٤١ محققة.

٤) تأنيب الكوثري ١١٧ بدع التفاسير للغماري ٨٠.

٥) فتح الباري ٤/٣٦٥.

○ وقد امتحن الله أهل الزيغ بزلة للبيهقي وهي قوله أن مسلماً أورد حديث معاوية بن الحكم غير أنه لم يذكر معه خبر الجارية، وهذا وهم منه رحمه الله. فقد أثبته علماء الحديث كاملا كالبغوي في (شرح السنة ٣/٢٣٩) والحديث جاء بتمامه عند مسلم [١] متضمناً قصة الجارية، كما أن الحافظ المزي أثبته في تحفة الأشراف (٨/٤٢٦) الى مسلم متضمناً قصة الجارية. غير أن مسلماً رواه في كتاب السلام [٢] من غير هذه الزيادة، ومعلوم أن الزيادة من الثقة مقبولة.

وأثبته شرّاح صحيح مسلم بتمامه وشرحوه كالحافظ النووي [٣].
ولم يطعن أحد منهم في قصة الجارية.

وقد ذهب أحدهم وهو عبد الله الغماري المغربي الى أن الحديث شاذ ومردود [٤].

قلت: بالطبع مردود عند أتباع جهم بن صفوان الذين يعرضون الكتاب والسنة على موازين عقولهم المتلوثة بعلم الكلام فما استساغته عقولهم أثبتوه، وما نفرت منه أولوه أو حكموا بشذوذه.

ثم إن الشاذ في اصطلاح المحدثين: مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه. فأين يوجد في الحديث ما يفيد ذلك.

فما نصروا الدين ولا رفعوا راية السنة وانما ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وضربوا السنة بعضها ببعض كل هذا من أجل تنزيه مزعوم حملهم على العبث والتشكيك.

ولم يستفيدوا بعد هذه المحاولات من الطعن بالحديث لأن القرآن أثبت أن الله في السماء. قال تعالى ﴿**ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾ والضمير عائد على الله بدليل قوله تعالى ﴿**أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض**﴾.

---

١) حديث رقم ٥٣٨ ١/٣٨٢ كتاب السلام.
٢) حديث رقم (٢٢٢٨).
٣) مسلم رقم (٥٣٨) وأنظر شرح النووي على صحيح مسلم ٥/٢٤-٢٦.
٤) فتح المعين بنقد كتاب الأربعين ص ١٦.

موقفه من حديث الجارية كالمعتزلة

ودعواه أن سؤال النبي ﷺ للجارية «أين الله» سؤال عن المكانة لا المكان»[1]. فباطل لوجوه:

○ أن الأشعرية لا يرضون أصلا بإطلاق هذا الوصف على الله. كما قال القشيري «تعالى الله أن يقال (أين)[2]».

○ أن المكانة لا يقال عنها (أين) ولا يجاب عنها بأنها في السماء. اللهم إلا إذا دخلت عليها (من) كقولك: أين أنت من فلان. أين الثرا من الثريا.

○ أنهم جعلوا فوقية الله على خلقه بمعنى أنه خير منهم وأفضل منهم منزلة، فإن الله لم يمتدح نفسه ابتداءً بأنه أفضل من أحد من خلقه. وكيف يقبل عاقل فيه شيء من إيمان أن يعتقد أن (الله فوق العرش) بمعنى هو خير وأفضل منزلةً من عرشه؟ وأن معنى قول زينب «زوّجني الله من فوق سبع سموات» بمعنى أن الله خير وأفضل من السموات؟

وهذا إنما يقال في المتقاربين في المنزلة وأحدهما أفضل من الآخر، وأما اذا لم يتقاربا فانه لا يصح ذلك، وحينما يقول الله ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ فإنه العلو الحقيقي، إذ لا يعرف في اللغة استعمال «فوق» مقروناً بـ (من) بمعنى فوقية الخيرية والأفضلية فلا يصح أن يقال «الذهب من فوق الفضة» ولا يقال «العالِم من فوق الجاهل».

واذا كان من القبيح أن تقول: الجوهر فوق البصل، والذهب فوق التنك، مما يُضحك الناس منك: فكيف تقول: الله فوق عباده بمعنى أنه خير منهم وأفضل؟!

○ أن قوله مردود بحديث النزول، فاذا كان العلو علو مكانة: فماذا نقول عن حديث النزول؟ أنقول بأنه نزول مكانة؟ تعالى الله عن قبح تأويل أدعياء التنزيه.

○ أن المكانة تأنيث المكان، والمنزلة تأنيث المنزل.

---

١) الدليل القويم ٥١.

٢) الرسالة القشيرية ص ٢.

ولما ذكرت لأحد أتباعه حديث الجارية وأنها قالت أن الله في السماء، بادرني بالقول أن الجارية قصدت بذلك تنزيه الله.

فقلت له: فاذا كان هذا القول من التنزيه فلماذا لا تقولون به أنتم بل وتحرمون على أنفسكم التلفظ بما قالت به؟ وهل يرضى أحد منكم أن يختار لفظاً كهذا؟ هل يرضى أن يقول: نشهد أن الله في السماء كما قال هو ﴿أأمنتم من في السماء﴾ فقد قال ابن فورك «إعلم أنه ليس يُنكر قولُ من قال: إن الله في السماء. لأجل أن لفظ الكتاب قد ورد به، وهو قوله ﴿أم أمنتم من في السماء﴾ ومعنى ذلك: أنه فوق السماء» (١).

وكنت ألح عليه مرارا أن يقول بقولها لفظا ولو من غير اعتقاد تأدبا مع النبي ﷺ الذي وافق ظاهر لفظها ليوافق رضاه رضا رسول الله منها، فأبى أن يقول بمثل ما قالت.

فقلت له: إن النبي ﷺ لا يقرُّ باطلا فهل لي أن أختبرك كما اختبرها النبي ﷺ فأسألك بمثل ما سألها: أين الله؟ فقال: بلا مكان.

قلت له: أهكذا كان جواب الجارية ؟ تالله لقد فازت هذه الجارية في الاختبار وفشلت فيه أنت.

الحبشي يكمل مسيرة الاعتزال

○ وهذا التأويل يشكرهم عليه المعتزلة لأنه هو نفس تأويلهم. فقد ذكر الأشعري (٢) أن الجبائي - من المعتزلة - لا يجوز عنده أن يوصف الله بالفوقية، فان وُجد في القرآن ما يثبت الفوقية فهو مؤول بالقهر والاستيلاء وأن الله مستول على العباد» وبهذا تبدو المطابقة والتشابه واضحة بين الحبشي والمعتزلة.

---

١) مشكل الحديث وبيانه ٣٩٢.

٢) مقالات الاسلاميين ٥٣٢.

آية شاهدة على كذب المؤولة

وسألتُ الحبشي عن معنى قول الله تعالى ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ فأجابني بأن الضمير في الآية يعود على الملائكة لا على الله.

وكان أتباعه يقولون إن الضمير يعود على جبريل.

فقلتُ له: ولكن تلاميذك يقولون إن الضمير عائد على جبريل.

فقال « تلاميذي يقولون عني ما لم أقل»[1].

قلت: وأنت ماذا تقول؟ قال: أقول إن المعنى (ءأمنتم الملائكة).

قلت: هذا غير صحيح:

فلماذا جاءت الآية بصيغة المفرد (أن يخسف) ولم تأت بصيغة الجمع (أن يخسفوا)؟

قال: قد ثبت إطلاق الجمع على المفرد.

فقلت: ولكن لم يصح اطلاق المفرد على الجمع. فبهت.

قلت: ثم في سورة الإسراء آية شبيهة بآية (تبارك) تُبطل هذا الزعم.

﴿**وإذا مسّكمُ الضُرّ ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم الى البر أعرضتّم وكان الإنسان كفوراً**﴾ ولا ريب أن الضمير هنا عائد على الله ولذلك قرن الامام ابن قتيبة بين الآيتين ثم قال « هكذا قال المفسرون» [2]. وخير تفسير القرآن بالقرآن.

حجة على الهامش

وقد خالف أبو بكر بن فورك هذا التحريف للضمير عن الله الى الملائكة فقال «إعلم أنه ليس يُنكر قولُ من قال: إن الله في السماء. لأجل أن لفظ الكتاب قد ورد به»[3].

ونتابع الآية ﴿**أفأمِنتُم أن يخسف بكم جانب البَرِّ أو يرسل عليكم حاصباً**﴾. ولا يزال الضمير عائداً على الله. فالخسف وإرسال الحاصب من الله وليس يصح الإرسال من جبريل لأنِ جبريل يأتي به بنفسه ولا يرسله فالله هو المرسل وجبريل هو المرسَل. ولا توجد آية يذكر الله فيها أن الملائكة هي التَي ترسل العذاب.

- ففي آية الإسراء ﴿**أفأمنتم أن يخسف... ءأمنتم أن يرسل**﴾.
- وفي سورة تبارك ﴿**ءأَمنتم أن يخسف... أم أمنتم أن يرسل**﴾.

---

1) وتجد له هذا التأويل في صريح البيان ٤٨ ط: مجلدة.

2) تأويل مختلف القرآن ٥٤٦.

3) مشكل الحديث وبيانه ٣٩٢.

واعلم أنه لم يطلق لفظ ﴿**أأمنتم**﴾ في كتاب الله الا كان المقصود بذلك هو الله لا غيره. ففي سورة النحل ﴿**أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض**﴾. وفي سورة الأعراف ﴿**أفأمنوا مكر الله**﴾.

- أن الله يخوّفنا نفسه كما قال ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ ولا يخوفنا بملائكته. ولا يعقل أن يكون معنى الآية: ألا تخافون ملائكتي أن يخسفوا. وأثنى على المؤمنين فقال ﴿**ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله**﴾ [الاحزاب ٣٩].

- وهاتان الآيتان الأخيرتان حجة عظيمة على المتأولين الذين يجعلون الضمير في سورة تبارك ﴿**ءأمنتم من في السماء**﴾ عائدا على غير الله. ولا يجرؤون على تحويل الضمير في سورة الإسراء الى غيره، فهكذا يجب مقابلة أهل الزيغ بالمحكم من القرآن بعد استغلالهم للمتشابه منه. وهم دائما يقولون لنا « أفضل التفسير تفسير الوارد بالوارد». فلما بينت ذلك للحبشي سكت.

شبهة: ومن علامات زيغهم احتجاجهم بأن النبي ﷺ كان يقلب يديه في الاستسقاء فتارة يوجه باطن كفه الى السماء وتارة الى الأرض. بمعنى أنه إذا كنا نوجه الأيدي الى السماء لأن الله في السماء فهذا مردود بتوجيه يديه الى الأرض.

* لقد تجاهلوا قول الله ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ ﴿**اليه يصعد الكلم الطيب**﴾ وتجاهلوا شهادة النبي ﷺ للجارية بأنها مؤمنة لأنها صرحت بأن الله في السماء. وتمسكوا بفعل لا يعني ما يذهبون اليه.

فتقليب اليدين في الاستسقاء حالة خاصة تعني زيادة التذلل وتبيين الحاجة الى الله. وأما رفع اليدين الى السماء فهي متواترة جمع السيوطي رواياتها فبلغت قرابة المائة رواية في رسالة بعنوان «فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء». فقليلا من الانصاف يا من تصفون أنفسكم بالمعتدلين.

تضارب تأويلات المؤولين

والحقيقة أن الذين يتأولون هذه الآية لم يتفقوا على تأويل واحد، فمنهم من زعم أن ﴿من في السماء﴾ أي ملكوته كما قاله أبو حيان النحوي، [١] ومنهم من قال (ملائكته) ومنهم من قال (جبريل). ومنهم من قال « أي من تزعمون أنه في السماء» قاله النسفي والبيضاوي والرازي[٢].

ويفسر العز بن عبد السلام آية ﴿ثم استوى الى السماء﴾ بمعنى « قصد الى السماء: ويحتمل ثم استوى أمره وخلقه الى السماء، وكلاهما مجاز لا يترجح أحدهما الا بدليل من خارج»[٣]. وهكذا تجد عقيدتهم بنيت على الاحتمال الذي غزا كل تأويلاتهم.

وبهذا يكونون قد نقضوا قاعدتهم التي ردوا بسببها أحاديث الآحاد وهو أن لا مجال للمحتملات في العقائد بل لا بد من القطعيات، وقد اعترفوا بأن التأويل محتمل.

أقوال المفسرين

قال الطبري [٤] ﴿ءأمنتم مَن في السماء﴾ وهو الله [٥]. كذا روى ابن الجوزي عن ابن عباس [٦]. والبغوي والسيوطي [٧].

وقال أحمد ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ فهذا خبر من الله أنه في السماء ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموماً» [٨].

وقال البيهقي « معنى الآية والله أعلم: ءأمنتم مَن على العرش» « أي مَن فوقَ العرشِ [٩]. فلم يقل بأن المعنى جبريل أو الملائكة ولكنه

---

١) تفسير البحر المحيط ٣٠٢/٨ والنهر الماد ١١٣١/٢.

٢) مدارك التنزيل للنسفي ٥٦١/٣ وتفسير الرازي ٧٠/٣٠ والبحر المحيط ٣٠١/٨-٣٠٢.

٣) الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز ١١٠.

٤) وصفه الأحباش بالحافظ المجتهد (مجلة منار "الهدى" ٢٢/١٤).

٥) تفسير الطبري المجلد ٢٩/١٢ وتقدم وصف السبكي له بأنه الامام الجليل المجتهد المطلق أحد أئمة الدنيا علماً وديناً. قال السيوطي: هو عندي المبعوث على رأس المائة الثالثة (صون المنطق والكلام للسيوطي ٨٧-٨٨).

٦) زاد المسير ٣٢٢/٨.

٧) معالم التنزيل للبغوي ٣٧١/٤ والدر المنثور للسيوطي ٢٣٨/٨.

٨) الرد على الجهمية ٤١ و٤٨.

٩) الاسماء والصفات ١١٦/٢ و١٦٨ تحقيق حيدر وكتاب الاعتقاد ١١٣ ١١٣ تحقيق أحمد عصام الكاتب.

أثبت الضمير لله.

وروى القرطبي عن ابن عباس «ءأمِنتم عذابَ مَن في السماء إن عصيتموه» [1].

وروى السيوطي عن مجاهد ﴿من في السماء﴾ أي هو الله تعالى[2].

وقال الألوسي ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ « وهو الله عز وجل.. وأئمة السلف لم يذهبوا الى غيره.. فهُم مؤمنون بأنه عز وجل في السماء على المعنى الذي أراده سبحانه مع كمال التنزيه، وحديث الجارية من أقوى الأدلة لهم في هذا الباب، وتأويله بما أوّل به الخلف خروجٌ عن دائرة الإنصاف عند أولي الألباب» [3].

○ وقد اجتمع عند السلطان جماعتان اختلفتا حول علوِّ الله: فطلب من الجماعة الأولى أن تعرض عقيدتها فقالت إننا نؤمن بإن الله على عرشه فوق سمواته. وقالت الأخرى: نحن نؤمن بأن الله ليس فوق العالم ولا تحته ولا داخله ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه. فقال : هؤلاء قومٌ أضاعوا ربهم.

وقوله هذا حق فإن العقل والمنطق يوجبان أن ما لا يكون في الشيء ولا خارجا عنه فإنه لا يكون شيئا وهو صفة العدم

فالأشاعرة قوم أضاعوا ربهم فهم يقولون ليس لله مكان وليس له زمان ولا هو داخل العالم ولا خارجه[4].

وهل يقول الشيوعيون الا بمثل هذا؟ يقولون: لا يوجد اله فوق ولا تحت ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه. فهم داخلون في حكم الجهمية الذين قال فيهم ابن المبارك « كل قوم يعرفون ما يعبدون الا الجهمية»[5]. وقال فيهم محمد بن الحسن الشيباني « من قال بقول الجهم فقد وصف الله بصفة لا شيء[6] وقولهم هذا كقول القائل: العدد لا زوج ولا فرد. وهو شبيه بقول الباطنية القائلين عن الله لا عالم ولا لا عالم.

---

١) تفسير القرطبي ٢١٥/١٧.

٢) تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٤٩/٦.

٣) روح المعاني ١٥/٢٩.

٤) المواقف للإيجي ٢٧٢-٢٧٤ شرح أم البراهين ٢٤.

٥) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ٢٠.

٦) رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أصول أهل السنة ٤٣٢/٤-٤٣٣.

شبهة: واحتجوا برواية منسوبة الى زين العابدين علي بن الحسين بن علي وفيها «أنت الله الذي لا يحويك مكان» وقالوا « رواها الحافظ الزبيدي في إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين (٣٨٠/٤) بالاسناد المتصل الى أهل البيت» [١].

وهذا قول غير مقبول أولا:

نحن نثبت له الاستواء فوق المكان ولا نعتقد أن المكان يحويه. وكيف يحوي المخلوق خالقه، تعالى الله عن ذلك، فلا اعتراض على هذه العبارة من حيث المبدأ.

ولكننا حين نثبت علوه فوق المكان وفوق العرش كما أثبت هو لنفسه ورسولُه ﷺ فاننا لا نعتقد أن شيئا يحويه.

وبالمناسبة فإليكم عبارة مروية عن أهل البيت أكثر وضوحا من العبارة التي تحتجون بها: فقد روى الطبري بسنده عن الحسن رضي الله عنه أنه قال ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك الي﴾ « رفعه اليه فهو عنده في السماء» [٢].

فإذا كان مقصودكم من هذه العبارة المنسوبة نفي ما أثبته الله لنفسه من استوائه فوق عرشه: فهذه الصحيفة من وضع الشيعة. طبعت في النجف بالمطبعة العلوية سنة (١٣٥٢) ثم صورتها دار (صادق) الشيعية ببيروت. قال عنها محمد جواد مغنية في تفسيره (الكاشف ٥١٥/١٠) « تعظمها الشيعة وتقدس كل حرف فيها».

○ أن اتصال السند ليس كافيا في الحكم على الرواية بالصحة. بل لا بد أن يخلو من العلل الأخرى ومنها في هذه الرواية: جهالة الراوي، وهي علة ترد بها الرواية كما هو معروف عند أهل الفن. ويجب متابعة السند للتأكد من سلامته من الشذوذ أو العلل القادحة. فكيف اذا علمت أن أسانيد أهل البيت تركيبات رافضية يروج لها الرافضة ويختلقونها وما أكثر كذبهم على أهل البيت. يضاف الى هذه الشروط: شرط أشعري وهو التواتر!!!

○ أن رجال هذه الرواية الى موسى الكاظم مجاهيل وليسوا معروفين بفن الرواية، لذا فهذه الرواية عملة لا يمكن صرفها عند أهل صرافة الحديث.

---

١) منار الهدى (!) عدد ٥ ص ٣٠.

٢) تفسير الطبري ٢٠٣/٣/٣.

○ أن الزبيدي لم يكن يتوثق مما يرويه الشيعة بل يكثر من الاتيان براواياتهم في كتابه ويكرر الرواية عن علي وأهل بيته رضي الله عنهم من كتب الشيعة الأصيلة ككتاب نهج البلاغة للشريف المرتضى، ومن ذلك قوله «روى الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين «شيعتنا الحلماء العلماء الذبل الشفاه، الأخيار الذين يعرفون بالرهبانية من العبادة» ومثل هذا النقل غير مرتضى لكثرة ما كذب الشيعة على أهل البيت [1].

○ أن هذه مقالة في العقيدة لا يؤخذ فيها الا بخبر المتواتر كما اشترط الأشاعرة. فكيف وأن السند غامض.

○ أن الزبيدي شرح كتابا ذمه كثير من أهل العلم كابن الصلاح وابن الجوزي وغيرهما وسماه أهل المغرب في حياة الغزالي «إماتة علوم الدين» وقالوا «هذا إحياء علوم دينه، أما ديننا فلا» وانتقد بعض ما جاء فيه أكثر أهل العلم ومنهم تلميذه ابن العربي.

○ أن أهل البيت ليسوا معصومين خلافا لما عليه الشيعة من عصمتهم وأن كل ما يقولونه حق وأن الراد عليهم كالراد على الله. بل هم داخلون في قول مالك «كل منا يؤخذ من قوله ويرد عليه الا صاحب هذا القبر».

○ أنني أقتدي بالحافظ ابن حجر والعراقي والسخاوي والزبيدي، فأستدل بابن تيمية في الحكم على الروايات كما فعلوا فأقول: إن ابن تيمية قد نقض هذه الصحيفة قائلا «إن أكثرها كذب على علي بن الحسين»[2].

فإن قلتم: هو غير معتبر عندنا. قلنا لكم: هو معتبر عند من هو خير منكم، فكم أخذ الحافظ ابن حجر والزبيدي والسخاوي والسيوطي بحكمه في التضعيف والتصحيح، وكذلك الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي كما في كتابه أسنى المطالب. فإن كان عندكم كافرا، فهو عند الزبيدي «شيخ الاسلام»[3].

---

١) أنظر كتابه اتحاف السادة المتقين ١٠/١٣٢و٢٦١ وانظر ٨/٤٣٢ و٥٤٨ و٦٢٣ و٦٣٠ ٩/٧و١٦٩.

٢) منهاج السنة النبوية ٣/٢٠٩.

٣) اتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ٤/٥٣٧.

أين كان قبل خلق المكان؟

شبهة: ومن شبهاتهم التي يعارضون بها من يثبت علو الله فوق سماواته:

أين كان ربنا قبل خلق المكان؟ فاذا قال: كان بلا مكان. قالوا: فاذا كان بلا مكان فهو الآن على ما عليه كان لأنه لم يكن محتاجاً للمكان.

○ ويجاب عن شبهتهم برد مستفاد من رد الإمام أحمد على الجهمية:

لا شك أن الله خلق الكون بعد أن لم يكن.

فعندما خلقه: هل خلقه في ذاته أم خارجاً عن ذاته؟

فإن قالوا: خلقه في ذاته كفروا. وإن قالوا: خلقه خارجاً عن ذاته: رجعوا الى مقالة أهل السنة. وبه يبطل زعمكم أن الله لا داخل العالم ولا خارجه. وإن نفوا كليهما قلنا لهم: عارضتم الفطرة البشرية وأكرهتموها.

وهم يشهدون على أنفسهم بمخالفتهم للفطرة واختيارهم التعسير والتعقيد في الدين.

فقد نصّ العز بن عبد السلام على أن « اعتقاد موجود ليس بمتحرك ولا ساكن ولا منفصل عن العالم ولا متصل به ولا داخل فيه ولا خارج عنه لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة في العادة ولا يهتدي اليه أحد الا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عسرة الفهم» (١).

واعترف الغزالي بان مقولة الأشاعرة «لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه قد حيرت عقول أقوام حتى أنكروه».

فقد اعترف كلاهما - ولله الحمد - بعسر مدارك طريقة أهل الكلام ومخالفتها لما فطر الله عليه البشر.

ونسألهم: هل وجود رب العالمين وجود ذهني أم وجوده وجود خارجي».

فإن قلتم وجوده وجود ذهني فقد صرتم في غاية التعطيل لرب العالمين.

وإن قلتم وجوده وجود خارجي فحينئذ نسألكم:

هل وجود رب العالمين هو عين وجود هذه الأكوان أم غيرها؟

---

١) قواعد الأحكام الكبرى ١٧٠.

فإن قلتم: وجوده عين وجود الأكوان كفرتم. وإن قلتم: هو غير هذه الأكوان سألناكم:

هل هذه الأكوان في ذات رب العالمين أم ذات الرب في هذه الأكوان؟

فبأيهما قلتم صرتم حلوليين شراً من النصارى.

وإن قلتم ننفي الأمرين معاً سألناكم:

هل رب العالمين مستغن عن هذه الأكوان قائم بنفسه أم هو عرض من الأعراض قائم بغيره؟

فإن قلتم بالثاني كفرتم. وإن قلتم بالأول: اعترفتم بأن الله خارج عن هذه الأكوان مستغنٍ عنها وهو المقصود[1].

فالله تعالى فوق المكان. هذا هو التنزيه الذي نقوله وهو الأوفق لأدلة القرآن من قولكم (ليس في مكان) الذي لا نعتد به لأنه ليس مما تكلم به الله ولا رسوله ولا السلف بل أصله مكتوب في كتب الجهمية والمعتزلة والروافض، تصطادون به الناس في حُفر التعطيل.

---

١) عن كتاب: عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ٢/٤٨٧-٤٨٨ للشمس الأفغاني.

وهو معكم أينما كنتم

شبهة: واذا قيل [كما قال الله] ﴿**في السماء**﴾ قال الذين في قلوبهم مرض [كما قال المعتزلة من قبل] وماذا تفعل بقوله ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ فاذا قيل لهم (بعلمه) قالوا: أرأيت كيف اضطررت للتأويل فلماذا تنكر علينا تأويلنا بأن ﴿**في السماء**﴾ أي المَلَك الذي في السماء، وتسمح لنفسك أن تؤول المعية بمعية العلم؟ ﴿**ما ضربوه لك الا جدلا**﴾.

والجواب:

قد كان الجهمية قبلهم يحاولون صفع وُجوه مَن قَبلَنَا بهذه الآية ﴿**وهو معكم**﴾ من غير أن يتنبهوا الى أن الآية تضمنت إثبات الاستواء والمعية ﴿**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير**﴾. فأثبت علوه في السماء على العرش وأثبت شمول علمه في كل مكان.

○ ثم نسأل هؤلاء اللغويين الفطاحل: هل لفظ (مع) يدل على معنى واحد وهو المخالطة؟ فإن قالوا: نعم، خالفوا كل أهل اللغة، وإن قالوا: لا، ردوا على أنفسهم.

ونحن نقول: المعية في اللغة تعني مطلق المصاحبة - فهذا هو القدر المشترك في موارد المعية فإنها قد تقتضي النصر والتأييد كما تقتضي العلم - ولا يُحكم بواحدة منها حتى يُنظر في سياق النص!

وسياق النص يبين أن المعية معية العلم كما دل على ذلك أول الآية وآخرها، ونقل ابن عبد البر في التمهيد الاجماع على ذلك وتواتر عن سلف هذه الأمة.

فنحن لنا في هذا الفهم سلف، فمَن سلفكم في القول بـ (الاستيلاء) والقول بنزول الملك بأمر الله؟ اللهم إلا المعتزلة كما أثبتُّ ذلك بالدليل؟

من من السلف فسر ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ أي الملائكة كما يزعم شيخكم؟

○ أما عن السلف «الصالح» فلكم أن تفتحوا كتاب الأسماء والصفات للبيهقي لتجدوا أن هذا التفسير هو قول سفيان الثوري ومقاتل بن حيان وأحمد بن حنبل والضحاك ونعيم بن حماد (هو على العرش وعلمه معهم) [١] وروى ابن جرير ذلك عن طائفة من السلف واحتج بذلك ابن الجوزي والسيوطي أيضاً [٢].

○ والسلف الذين نقلوا هذا المعنى لم يكن دأبهم تأويل الصفات على طريقة الخلف الذين هم سلفكم ولذلك لم يؤولوا الاستواء بالاستيلاء مما يدل على أنكم شاققتم الرسول واتبعتم غير سبيل المؤمنين.

وأما قوله تعالى ﴿**وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون**﴾ [الانعام٣] معناه: هو الله الذي يعلم سركم وجهركم، والله يتحدث عن علمه بدليل قوله تعالى ﴿**ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**﴾[المجادلة٧].

قال القرطبي « يعلم ويسمع نجواهم. يدل عليه افتتاح الآية بالعلم ثم ختمها بالعلم» فالمعية معية علم. غير أن أهل الزيغ تعلقوا بوسط الآية وأغفلوا فاتحتها وخاتمتها.

---

١) الأسماء والصفات ١٧٣/٢ والمسائل لأبي داود ٢٦٣ وانظر خلق أفعال العباد للبخاري ١٢.

٢) تفسير الطبري مجلد ١٢ ج ٢٨ ص ١٠ وزاد المسير ١٦٠/٨ سير أعلام النبلاء ١١٦/١٠ والدر المنثور ١٧١/٦.

فوائد مهمة في مسألة المعية

○ ولفظ (مع) لا يقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر. فهذا القمر موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان.

○ أن لفظ (مع) له عدة معان لا يُحكم بواحدة من هذه المعاني إلا بحسب سياق الجملة. ولهذا استُعملت (مع) في مواطن من القرآن تختلف فيما بينها.

فمن معانيها معية النصرة ومعية المراقبة ومعية الذات.

فإذا قال الله ﴿والله مع الصابرين﴾ ثم فُسِّر ذلك بمعية التأييد والنصرة لا يقال إن هذا تأويل.

وإذا قال ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ لا يقال إن هذا تأويلٌ لأن لفظ المعية لفظ مشترك يتحدد معناه بحسب إضافته.

○ وهذا التفريق تعرفه الفطرة بحسب السياق. لكن علم الكلام لا يتعامل مع الفطرة بل هو عامل خطير من عوامل إفسادها.

وأما قوله تعالى ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ قال مجاهد وقتادة في تفسير هذه الآية « يُعبَد في السماء ويُعبد في الأرض» [١]. وحكى الحافظ ابن عبد البر الاجماع والاتفاق على هذا المعنى، وقال ابن جرير بنحو ذلك [٢].

فالإله هو المعبود الذي يألهه أهل السماء كما يألهه أهل الأرض. وهكذا جميع المفسرين وشرّاح الحديث يفسرون الاله بالمعبود.

قال الجوهري « أَلَه بالفتح إلاهة أي: عبده عبادة، قال: ومنه قولنا: الله. وأصله: إلاه، على فِعَال، بمعنى: مفعول. بمعنى معبود، كقولنا: إمام: فِعَال بمعنى: مفعَول لأنه مؤتم به. والتأليه: التعبيد والتأله: التنسك والتعبد [٣]. ولذلك لم يقل الله تعالى ﴿إله السموات والأرض﴾ وانما قال ﴿رب السموات والأرض﴾.

---

١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٢٠ تفسير البغوي ٧/٢٢٤ زاد المسير لابن الجوزي ٧/٣٣٣.

٢) التمهيد ٧/١٣٤ تفسير الطبري المجلد الحادي عشر ج ٢ ص ٦٢ .

٣) مختار الصحاح ٢٢.

وهو الآن على ما عليه كان

حجة الجهمية والمعتزلة ردها ابن تيمية ووافقه الحافظ

ما زال الجهمية ومن وافقهم يضربون نصوص علو الله فوق خلقه بهذه الرواية «كان الله ولا مكان» «وهو الآن على ما عليه كان» وقد أنكر ابن تيمية الجزء الثاني من الرواية [1] (وهو الآن على ما عليه كان) وأكد أنها مختلقة مكذوبة ولا أصل لها.

وابن تيمية غير مصَدَّقٍ عند هؤلاء لكن الله قيَّد له من يصدِّقه من الأئمة الحفاظ المعتبرين.

فقد قال الحافظ ابن حجر: « **تنبيه**: وقع في بعض الكتب في هذا الحديث [كان الله ولا مكان] [وهو الآن على ما عليه كان] وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبَّه على ذلك العلاّمة تقي الدين ابن تيمية، وهو مسلَّمٌ في قوله [وهو الآن] الى آخره» [2] فقد أيَّد ابن تيمية في أن الجزء الثاني من الرواية موضوع.

وهذه الرواية أجلُّ عندهم من قوله تعالى **﴿ءأمنتم من في السماء﴾** **﴿ثم استوى على العرش﴾** إذ هذه الآيات عندهم موهمة للتشبيه والتجسيم والكفر، أما هذه الرواية المكذوبة فهي صريحة في التنزيه.

ألم يعلم هؤلاء أن هذه الرواية المكذوبة كانت من أعظم ما يحتج به المعتزلة، وذكرالأشعري احتجاج المعتزلة بها وأنها من جملة مقالاتهم [3]. فانظر كم ورثوا عن المعتزلة حتى الآن من أمور يظنونها راية أهل السنة والجماعة.

---

١) مجموعة الرسائل والمسائل ١٠٥/٤.

٢) فتح الباري ٢٨٩/٦

٣) مقالات الاسلاميين ١٥٧.

معراج النبي ﷺ دليل على الفوقية

وحديث معراج النبي ﷺ يبطِل مذهب منكري علو الله لا سيما وقد ورد فيه:

- أنه ما زال يعرَج بالنبي ﷺ حتى بلغ السماء السابعة.
- وأنه ﷺ ما زال يتردد بين موسى وبين ربه، في كل مرة يقول له موسى إرجع الى ربك. ونص الحديث:
- « ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاوحى اليَّ ما أوحىٰ».

قلت: وجاء في الرواية التي عند البخاري (رقم ٧٥١٧) «ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله، حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى».

وهنا ثار الخطابي غفر الله له وطار صوابه حتى قال « ليس في هذا الكتاب أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل فانه يقتضي تحديد المسافة... الى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل»[١].

قلت: هذا تشبيه عند من استحكمت وساوس التشبيه منه.

وقد تناقض الخطابي رحمه الله، فتارة يسلم للصفات قائلا « جاء بها التوقيف. فنحن نطلقها على ما جاءت، ولا نكيِّف. وننتهي حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة» [٢]. وتارة يؤول النص، وتارة يتوقف فيه كقوله في قوله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال «هذا الحديث مما تهيب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهره ولم يكشفوا عن باطن معناه» (الاسماء والصفات للبيهقي ٤٣٦). وتراه في غير ذلك يتأول كثيرا من الصفات فقد أثبت الوجه واليدين والعين وفوض في صفتي النزول والاستواء فالتذبذب واضح بين التفويض وبين التأويل.

ثم أخذ يشكك في رواية أنس التي اقشعر منها بدنه فزعم أن « القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها الى النبي ﷺ» ثم غمز شريكاً وزعم أنه كثير التفرد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة».

---

١) فتح الباري ١٣/٤٨٣.

٢) الدليل القويم ٨١.

ولقد تعقبه الحافظ ابن حجر فقال « وما نفاه من أن أنساً لم يسند هذه القصة الى النبي ﷺ لا تأثير له، فأدنى أمره فيها أن يكون مرسل صحابي فإما أن يكون تلقاها عن النبي ﷺ أو عن صحابي تلقاها عنه، ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالرأي فيكون لها حكم الرفع، كما رجحه الحاكم وحكاه عنه الزبيدي [1].

ولو كان لما ذكره تأثير لم يحمل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلا وهو خلاف عمل المحدثين قاطبة **فالتعليل بذلك مردود**».

ثم نقل الحافظ قول الخطابي « إن الذي وقع في نسبة التدلي للجبار عز وجل مخالف لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير ممن تقدم منهم ومن تأخر». ثم تعقبه ثانية بأن ذكر ما أخرجه الأموي في مغازيه ومن طريقه البيهقي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ قال: دنا منه ربه».

قال الحافظ ابن حجر « وهذا **سندٌ حسن وهو شاهد قوي لرواية شريك**». وقال « وأما ما جزم به الخطابي من مخالفة السلف والخلف لرواية شريك عن أنس في التدلّي **ففيه نظر**، فقد ذكرتُ من وافقه».

ثم ذكر الحافظ تحريف القرطبي - مما هو عند أهل الكلام تأويل - لقول ابن عباس «ولقد رآه نزلة أخرى: أي دنا منه ربه». قال القرطبي « والمعنى دنا أمره وحكمه» ثم تعقبه الحافظ بقوله «ويعكر عليه بعد ذلك ﴿**فأوحى الى عبده ما أوحى**﴾.

ثم تعقب طعن ابن حزم وعبد الحق في جرحهما لشريك بأن نقل عن أبي الفضل بن طاهر قوله « تعليل الحديث بتفرد شريك ودعوى ابن حزم أن الآفة منه شيء لم يسبق اليه: فإن شريكاً قبِله أئمة الجرح والتعديل ووثّقوه ورووا عنه وأدخلوا حديثه في تصانيفهم واحتجوا به، وروى عبد الله بن أحمد الدورقي وعثمان الدارمي وعباس الدوري عن يحيى بن معين: «لا بأس به» وقال ابن عدي «مشهور من أهل المدينة حدث عنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه اذا روى عنه ثقة لا بأس به إلا أن يروي عنه ضعيف، قال ابن طاهر: وحديثه هذا رواه عنه ثقة وهو سليمان بن بلال، وعلى تقدير تسليم تفرده قبل أن يوحى اليه لا يقتضي طرح حديثه، فوهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع

---

١) اتحاف السادة المتقين ٥٣١/٤.

الحديث ولا سيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور، ولو ترك حديث مَن وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من أئمة المسلمين»[1].

ثم ذكر الحافَظ جملة من المآخذ والاشكالات على هذه الرواية وأجاب عنها.

قلت: وتضعيف الحديث للهروب من صفة الدنو لا يفيد شيئاً، فعند البخاري أن رسول الله ﷺ قال «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه» وفي لفظ «يدنو أحدكم من ربه» وفي لفظ «يُدنى المؤمنُ من ربه» (٢٤٤١و٦٠٧٠و٧٥١٤و٤٦٨٥) وأنا أقول ما قاله أبو بكر يوم سأله المشركون عن موقفه من قول النبي ﷺ إنه أسريَ به «إن كان قالها فقد صدق». وأنا أقول لهؤلاء: قد قالها من هو أعلم منكم بربكم وأشده له خشية منكم.

قال في حديث المعراج:

ففرض علّي خمسين صلاة في كل يوم وليلة

فنزلت الى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على امتك؟ قلت خمسين صلاة.

قال: إرجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك.

قال: فرجعت الى ربي فقلت: يا رب خفف على امتي. فحطّ عني خمساً، فرجعت الى موسى فقلت: حط عني خمسا.

قال: إن امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى فاساله التخفيف.

قال: فلم ازل أرجع بين ربي وبين موسى عليه السلام.

فقال: إرجع الى ربك فاساله التخفيف.

فقلت: قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه»[2].

فليُحصِ هؤلاء كم مرةٍ كرر موسى ومحمد عليهما السلام عبارة «إرجع الىَ ربك» «رجعتُ الى ربي» «فلم أزل بين ربي وبين موسى» ثم لْيسألوا أنفسهم هل يجوز استعمال هذه العبارات عند أهل الكلام؟ أم أنها كفرٌ وتجسيم.

لماذا لا نجد في القرآن ولا في السنة هذه الحساسية المتكلفة في التنزيه. إنها فخ نصبه الشيطان ولا يقع فيه إلا أهل الأهواء.

---

١) فتح الباري ١٣/٤٨٤-٤٨٦.

٢) الدليل القويم ١٨٨.

تناقض الجهمية وأفراخهم

إن المتابع لفرق الجهمية يلاحظ تناقضاً عجيباً جديراً بالتفحص والتأمل والتحليل: إنه يلحظ أنهم كانوا أحرص الناس على نفي علوّ الله على عرشه وتكفير من قال إن الله في السماء. ولكن مع ذلك فإن لهم مقالة أخرى نُقلَتْ عنهم، وذلك أنهم يقولون بأن الله في كل مكان، ولعل سائلا أن يسأل كيف يصدر هذان القولان المتناقضان عن فرقة الجهمية؟

والجواب: أنهم أنكروا علوّه أولا فقالوا كل فعل في الحقيقة هو فعلُه وهو ليس في مكان. فلما تصوّفوا طلبوه فلم يجدوه فقالوا: هو في كل مكان. وصارت الفوقية من هذا الكل!!!

أنهم لما أنكروا علوّ الله في السماء صرف الله قلوبهم الى أسفل سافلين، فتوجهوا بالدعاء الى أعماق الأرض حيث الموتى. وصارت آمالهم متعلقة هناك بعدما انتكست فطَرُهُم فصرفهم الله عن التوجه اليه **﴿صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾**[التوبة١٢٧].

ولهذا نرى كيف أن الغزالي الأشعري وابن عربي وابن الفارض وغيره من المتصوفة (وهم بين أشعري وماتريدي) يصرحون بوحدة الوجود كالنقشبندية وغيرهم، ويجعلون الله ومخلوقاته شيئاً واحداً.

بل نرى عبد الغني النابلسي (حبيب الحبشي) يدافع عن عقيدة وحدة الوجود دفاع المستميت وينسب الطاعنين فيها الى الغباوة والجهل، ويكتب عنها كتباً عديدة مثل كتاب :

ايضاح المقصود من وحدة الوجود.

الظل الممدود في معنى وحدة الوجود.

إن أصل هذا الانحراف سببه نفي علو الله تعالى على عرشه. ولو أن هؤلاء سلّموا لله علوّه فوق خلقه فوق سمائه كما أثبت ذلك لنفسه لوفروا على أنفسهم وعلى المسلمين هذا الخلاف الذي مضى عليه قرون طويلة، أضاعوا فيه أوقاتهم وشقوا فيه وحدة المسلمين وشغلوهم بمسائل لا قيمة لها حتى سبقنا من كان خلفنا وتخلفنا نحن عن قيادة العالم. وتركنا مليارات من الأمم الوثنية التي تنتظر من يدعوها الى الحق والى الصراط المستقيم.

ولهذا تجد هؤلاء المشوشين أمثال الحبشي وغيره من الصوفية يتلقون الدعم لأن مجرد خوضهم في هذه القضايا يلهي المسلمين ويبعدهم عن منافسة الأمم الأخرى التي كانت - ولا تزال - تعيش قروناً مظلمة.

حديث النزول صحيح متواتر

حديث النزول صحيح وهو من الأحاديث المتواترة، ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ينزل الله الى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»[١].

وهو أغيظ حديث للجهمية، ولهذا ظهر غيظ الكوثري من هذا الحديث وطالب بإخراجه من أحاديث الصفات [٢].

قال يحيى بن معين واسحاق بن راهويه « اذا سمعت الجهمي يقول: كفرت برب ينزل من سماء الى سماء فقل: آمنت برب يفعل ما يشاء» [٣].

وقد ذكر الحافظ أن المعتزلة والخوارج أنكروا صحة الحديث. وهذا الطعن ظهر في مذهب الأشاعرة فقد طعن الجويني في حديث النزول وأنه ليس بمتواتر [٤]، وهو دليل على جهل أهل الكلام بفن الحديث.

فقد نص على تواتره الحافظ ابن عبد البر والحافظ ابن عبد الهادي والحافظ الذهبي [٥].

ونقل العيني عن أبي زرعة أن «أحاديث النزول متواترة وهي عندنا صحاحٌ قوية» [٦] وذكرها الكتاني مع الأحاديث المتواترة في كتابه نظم المتناثر في الحديث المتواتر (ص ١٧٨-١٧٩).

فتأمل تشابه المواقف بين الأشاعرة والمعتزلة في الطعن بحديث النزول.

---

١) البخاري (١١٤٥) مسلم (٧٥٨) الموطأ ٢١٤/١ واختلفت الرواية في تحديد وقت النزول واتفق العلماء على أن أصح الروايات رواية "الثلث الآخر من الليل" حكاه الحافظ عن الترمذي (الفتح ٣١/٣).

٢) تبديد الظلام ٩٠ ومقالات الكوثري ٣٤٩.

٣) وكانت من اسحاق رداً على أحد الجهمية أوردها الذهبي في سير الأعلام ٣٧٦/١١ وتذكرة الحفاظ ٤٣٥/٢ وصححها ورواها البيهقي في الاسماء والصفات (٤٥٢). وانظر خلق أفعال العباد للبخاري ص ٣٦ وأصول اعتقاد أهل السنة ٤٥٢/٣ للالكائي.

٤) أنظر الأرشاد ١٦١ و٣٩٩.

٥) التمهيد ١٢٨/٧ العلو ٧٣ ومختصره ١١٦ إرواء الغليل ٤٥٠.

٦) عمدة القاري ٢١١/٦.

وقال حنبل بن اسحاق: سألت أبا عبد الله - أي أحمد بن حنبل - عن الأحاديث التي تروى عن النبي: إن الله ينزل الىالسماء الدنيا» فقال: نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئا منها» [١].

وكان الامام أحمد مع ابنه عبد الله فمرّاً على قاصّ يقص حديث النزول فيقول «اذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله الى سماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال. قال عبد الله: فارتعد أبي واصفر لونه ولزم يدي وأمسكته حتى سكن ثم قال: قف بنا على هذا المتخرص، فلما حاذاه قال: يا هذا؛ رسول الله أغير على ربه منك، قل كما قال رسول الله ﷺ» [٢].

---

١) سير أعلام النبلاء ١١/٣٠٣ـ ٣٠٤.

٢) أورد القصة عبد الغني المقدسي في الاقتصاد في الاعتقاد ١١٠.

شهادة الاشعري على المعتزلة
حجة على المنتسبين اليه

- قال الأشعري « وقالت المعتزلة نزول الله معناه نزول آياته أو نزول الملك بأمره »[1]. وقد حكى ابن فورك عن مشايخه ضبط الحديث بضم الياء (يُنزل) أي يأمر ملكاً لينزل، هو تحريف للكلم عن مواضعه فما مدى صحة هذه الرواية المضبوطة عند أهل الكلام.

سلمنا جدلا أن الحق حليف المؤولة في أن نزول الله هو نزول الملك بأمره أو نزول بعض آياته، ولكن:

١ - هذا التأويل محتمل وغير قطعي باعترافكم، والإشكال لا يزول بالمحتمل، ولا يجوز للمحتمل أن نتبناه تفسيراً شافياً.

٢ - هذا التأويل ليس متفقا عليه بين المؤولة بل مختلفا فيه:

٣ - كيف نجيب عن قوله « من يدعوني..الخ» فهل يعقل أن يكون هذا قول الملك؟ فإنه حينئذ يكون كافراً. قال تعالى ﴿**ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم**﴾.

○ ولذلك تناقض المؤولون: فمنهم من فسر النزول بنزول الملك بأمره، ومنهم من فسر النزول بنزول بره وعطائه، ومنهم من زعم أنه الاطلاع والإقبال على العباد بالرحمة [2].

وهذا التأويل مع وضوح موافقته لمذهب المعتزلة بات مقبولا وسائغا عند عامة الأشعرية والماتريدية لا عند الحبشي فحسب [3]. بل هو تأويل بشر المريسي والمعتزلة عينه حيث قالوا بأن نزول الله عبارة عن نزول أمره أو نزول رحمته» [4].

وهذه المقالة الاعتزالية نجدها اليوم مقالة الأشاعرة: ولذا قال الشيخ عبد القادر الجيلاني « والله ينزل كل يوم الى السماء كيف شاء وليس بمعنى نزول الرحمة والثواب كما تدعي المعتزلة والأشعرية» [5].

---

١) مقالات الاسلاميين ٢٩١ وانظر التبيين لابن عساكر ١٥٠.

٢) اشارات المرام للبياضي ١٨٩ بحر الكلام للنسفي ٢٣.

٣) الدليل القويم ٥٢.

٤) أنظر رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ٢٠ وشرح الأصول الخمسة ٢٢٩ متشابه القرآن لعبد الجبار المعتزلي ١٢١.

٥) الغنية لطالبي الحق ٥٧.

وصدق الجيلاني فالحبشي وأشباهه يتفقون مع المعتزلة على هذه التأويلات، فقد قال « والأولى أن يحمل (حديث النزول) على نزول الملك بأمر الله [(١)].

* ويُبطل التأويلَ بنزول الرحمة سياقُ الحديث « ينزل ربنا... فيقول» فهل الرحمة تتكلم؟ ولو سألناكم إعراب (فيقول) أين الفاعل؟ أفتقولون: الفاعل ضمير مستتر تقديره: هو (أي الله) أم: هي (أي الرحمة)؟

ثم أن نزول الرحمة لا معنى له ولا طائل تحته، فقد أخبر النبي ﷺ أن الله جعل الرحمة في السماء وأنزل منها رحمة واحدة الى الأرض. غاية ما في الأمر انه انتقال من طبقة الى طبقة السماء الدنيا. ولا يعود لحديث النزول أي معنى ولا فائدة، فماذا يستفيد العباد من نزولها من سماء الى سماء؟

* ويُبطل التأويلَ بنزول الرحمة أو نزول الملك: حديثُ رفاعة الجهني وفيه « اذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله عز وجل الى السماء الدنيا فيقول لا أسأل عن عبادي أحدا غيري، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له» [(٢)]. أي أنه تعالى ينزل ولا ينتظر صعود الملائكة السياحين الذين يعرجون اليه كما في حديث مسلم مثلا « فيسألهم - وهو أعلم - من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عباد في الأرض...».

* ويبطله حديث « إذا كان يوم القيامة نزل الرب الى العباد» [(٣)]. فلا تزال رحمته وملائكته تنزل قبل يوم القيامة مما يدل على أن النزول الموقت بيوم القيامة هنا هو نزول خاص بالله.

---

١) الدليل القويم ٤٩.

٢) رواه أحمد ٤/١٦ والدارقطني في كتاب النزول ص ١٤٥.

٣) رواه الترمذي والحاكم ١/٤١٩ وصححه ووافقه الذهبي.

أولا: أن النبي ﷺ أثبت نزول رحمة من الله مرة واحدة وهي في قوله « جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءا واحدا »[1]. فهذا تصريح بنزول الرحمة مرة واحدة لجزء واحد من مائة جزء. وأنتم خالفتموه وقلتم ينزل لا يزال ينزل رحمات كل يوم غير هذا الجزء.

ثانيا: أن نزول الله من أجل الرحمة فهو ينزل ليرحم، وأنتم عرفتم أن رحمته تنزل في الليل من نص الحديث، ولكنكم تجاهلتم أنه ينزل ليرحم فخالفتم نص الحديث وقلتم: يرحم من غير أن ينزل. وخالفتم صريح الحديث الآخر الذي يثبت نزولا واحدا غير متكرر لجزء واحد من رحمة الله.

ثالثا: واذا كان تأويل النزول بالرحمة بزعمكم فلماذا قرر البيهقي أن أسلم الطرق فيما يتعلق بحديث النزول هو الايمان بلا كيف والسكوت عن المراد (أي عن طلب المعنى) الا أن يرد ذلك عن الصادق [ﷺ] فيصار اليه، ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم»[2]. ولماذا يحكي الحافظ ابن حجر أن جمهور السلف آمنوا بالحديث على وجه الإجمال.

فترك التأويل عند البيهقي أسلم من تأويل الأشاعرة النزول بالرحمة المماثل لتأويل المعتزلة.

---

1) رواه البخاري (٦٠٠٠) ومسلم رقم (٢٧٥٢).
2) فتح الباري ٣/ ٣٠.

الحبشي يستعير عقل المعتزلة

قال « ويلزم من حديث النزول أن يكون الله فيما بين النصف الثاني من الليل والفجر مستمراً في النزول والصعود، وذلك أن الليل يختلف باختلاف البلاد، فنصف الليل في بلد هو أول النهار في بلد آخر»[1].

فتراه هنا يعترض على الحديث بالدليل العقلي على طريقة المعتزلة، مع أنه تناقض في موطن آخر فأبطل دور العقل في الأمور المتعلقة بالآخرة وذلك حين ذكر الاشكال الواقع في حديث « ما من أحد يسلّم عليّ الا رد الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام» إذ يلزم منه كثرة رجوع روحه اليه لكثرة المسلمين عليه.

فنقل عن الحافظ ابن حجر حلا لهذا الاشكال. قال الحافظ « وقد استشكل ذلك (الحديث) وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه ﷺ في أقطار الأرض ممن لا يحصى كثرة، وأجيب بأن **أمور الآخرة لا تُدرك بالعقل**، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة» [2].

فاذا كان العقل لا يدرك كيفية رجوع الروح الى جسد النبي فمن باب أولى أن لا يدرك كيفية نزول الله. ولكن أهل البدع يتناقضون: فتارة يقدّمون العقل على النقل وتارة يقدمون النقل على العقل وتارة يجوّزون عقلا ما لا يجوز شرعاً وتارة يجوّزون شرعاً ما لا يجوز عقلاً.

وهذا المثال يظهر به ما تعانيه نفوسهم من مرض التشبيه، وحيازتهم لأدواء فاسدة يسمونها التأويل يظنون أن بها شفاءهم.

والحجة الدامغة في ذلك أن أفاضل هذه الأمة رووا هذا الحديث وكتبوه في كتبهم وسئلوا عن معناه فلم يعارضوه بعقولهم ولم يضربوا له مثل السوء الذي ضربتموه، بل المعروف عنهم عدم التعرض لأحاديث الصفات بما يعرض للعقول من وساوس.

ولهذا أجاب الحافظ ابن رجب [3] على من قال « إن ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين» فقال رحمه الله « معلوم بالضرورة قبح هذا الاعتراض وأن رسول الله ﷺ وخلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه، بل بادروا الى عقوبته وإلحاقه بزمرة **المخالفين المنافقين المكذبين**».

---

1) المقالات السنية ٨٢.
2) المقالات السنية ١١٥.
3) فضل علم السلف على علم الخلف ١٣٤.

احتجاج أدعياء التنزيه بالضعيف

○ ويحتج الحبشي [1] لاثبات تأويل المعتزلة النزول بنزول الملك بحديث « إن الله عز وجل يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول: هل من داعٍ فيُستجاب له...»[2].

والجواب على ذلك:

أولاً: أن هذه الرواية لا ذكر فيها: لا لنزول الله ولا نزول الملك، فمن أين حكمت بأن النزول هو نزول الملك بأمره؟ فالتعويل على هذه الرواية يلغي موضوع النزول برمته.

ثانياً: أن هذه الرواية منكرة وردت عند النسائي وفيها ابراهيم بن يعقوب وهو ثقة حافظ إلا أنه منكر بهذا السياق ويغلب على الظن أن الخطأ فيه جاء من حفص بن غياث، فإنه قد تغير حفظه بأخرة كما في التقريب [3].

وخالفه غير واحد من الثقات مثل شعبة بن الحجاج ومنصور بن المعتمر وفضيل بن غزوان الكوفي ومعمر بن راشد فرووه بلفظ «إن الله عز وجل يُمهل حتى اذا ذهب ثلث الليل الأول نزل الى السماء الدنيا فيقول...» الحديث. وقد فصل في تضعيفه الشيخ الألباني [4] وشعيب الأرناؤوط [5].

وقد قال الحبشي « وقد اشترط الحافظ ابن حجر أن يكون الحديث الوارد في الصفات متفقاً على ثقة رواته» [6]. فهل رواية النسائي متفق على صحتها؟ وكيف تكون رواية النسائي الضعيفة حاكمة على الرواية الصحيحة المتفق عليها وهي التي تنص على نزول الله لا نزول الملك بأمره؟

فكيف يلقبون هذا الرجل بسلطان العلماء وهو لا يحتج الا بالضعيف وقد عاهد أن لا يأخذ في العقائد الا بما صح من الروايات

---

١) الدليل القويم ٤٩ إظهار العقيدة السنية ١٢٧.

٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٧٥ مؤسسة الكتب الثقافية.

٣) التقريب ترجمة رقم ١٤٣٠.

٤) إرواء الغليل ٢:١٩٨ وسلسلة الضعيفة برقم (٣٨٩٧).

٥) راجع تعليقه على كتاب أقاويل الثقات للمقدسي ٢٠٥.

٦) الدليل القويم ٤٨.

مع أنه لا يزال كما نراه يستدل بالضعيف. وأخبرني أحد من كانوا من تلاميذه أن الحبشي كان يتحدى الناس في مسألة دخول الحائض المسجد بحديث « لا أحلّ المسجد لحائض ولا جنب» ويعتبره سلاحاً في جعبته، وهذا الحديثَ ضعيف فيه جسرة بنت دجاجة

وعجباً لقوم لا يكفيهم أن يتفق البخاري ومسلم على صحة الحديث، فهم يطّعنون فيه ويعارضونه بالضعيف، كل ذلك دفاعاً عن مخلفات أرسطو وقواعده.

ثالثا : أن الرواية على ضعفها خبر آحاد وتمسككم ينقض ما زعمتم التزامه وهو عدم الاحتجاج بحديث الآحاد في العقائد.

رابعاً : أن تحريفكم هذا يحقق حكم أبي الحسن الأشعري فيكم أنكم من أهل الزيغ والضلالة. فقد روى الحافظ ابن عساكر عن أبي الحسن الأشعري أن الله هو الذي « يقول (هل من سائل هل من مستغفر) خلافاً لما قاله أهل الزيغ والضلالة» [١].

وقال « ومما يؤكد أن الله عز وجل مستو على عرشه دون الأشياء كلها، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا عز وجل كل ليلة الى السماء الدنيا» [٢].

فاعدد: كم من المسائل خالفت بها الأشعري ووافقت بها المعتزلة.

---

١) تبيين كذب المفتري ص ١٦١ الابانة ٢٥.

٢) الابانة ٨٨ وانظر مقالات الاسلاميين ٢٩٠-٢٩١.

إدعاؤه ثبوت تأويل مالك للنزول

قال الحبشي « فقد ثبت التأويل عن مالك في حديث النزول أنه قال: نزول رحمة لا نزول نقلة» [1] وقوله هذا مردود من وجوه عديدة:

أولا: أن هذه الرواية إن صحت (وهي ضعيفة السند) تعارض رواية مالك الصحيحة المشهورة في الاستواء.

والأشاعرة تتناقض مواقفهم ففي حديث العلو يحتجون بقول مالك (وكيف عنه مرفوع) وفي حديث النزول يجعلون الكيف معقولا ومؤولا بنزول الرحمة.

ففي حين ينهى مالك عن إعطاء كيفية للإستواء يجيز حسب هذه الرواية إعطاء تكييف للنزول بأنه رحمة لا نقلة. وكان بإمكانه أن يقول في الاستواء (علو مكانة لا علو جهة وتحيز). فكيف ينهى مالك عن طلب الكيفية في الاستواء ثم يفصل النزول بكيفية نزول؟ هذا تناقض!

ثانياً: أن المعتمد عند الحبشي وعند عامة الأشاعرة والماتريدية أن السلف فوضوا آيات الصفات ولم يتأولوها وانما كان التأويل بدعة الخلف. فكيف يذهب مالك الى قول الخلف ؟

ثالثاً: أن الرواية عن مالك لم تصح، فيها حبيب بن أبي حبيب قال أحمد « كان يكذب» وقال أبو داود « كان من أكذب الناس» وقال ابن حبان « أحاديثه كلها موضوعة، كان يُدخل على الشيوخ الثقات ما ليس من حديثهم» [2].

وقال الحافظ ابن عبد البر شيخ المالكية في عصره عن رواية حبيب « وأنكره آخرون فقالوا: هذا ليس بشيء لأن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبداً في الليل والنهار». وشكك الذهبي في صحة الرواية عن حبيب[3].

---

1) الدليل القويم ٤٩.
2) تهذيب التهذيب ٢/١٨١ وانظر التقريب (١٠٨٧).
3) التمهيد ٧/١٤٣ سير أعلام النبلاء ٨/١٠٥.

وفيها محمد بن علي الجبلّي فقيل إنه كان رافضياً شديد الرفض[١].

وفيها جامع بن سوادة «ضعيف»[٢] ومطرف بن عبد الله بن مطرف اليساري أبو مصعب المدني ابن أخت الامام مالك: كان مضطرب الحديث وكان يحدث عن مالك وغيره بالمناكير فلعل هذا من مناكيره[٣].

○ فرواية الاستواء قد تلقاها سائر أهل العلم بالقبول وتواترت عندهم. أما رواية النزول فهي واهية معلولة لو صحت لكانت شاذة فكيف وقد ثبت ضعفها!

رابعاً: أن الثابت عن مالك خلاف ذلك، فقد ذكر البيهقي صفات الفوقية والنزول والاتيان، ثم روى بسنده عن الوليد بن مسلم قال: سئل الأوزاعي ومالك والثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا « أمرّوها كما جاءت »[٤].

هكذا أثبته الصابوني عنهم في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث، وأثبته ابن عبد البر عن مالك: وهو أعلم بمذهب مالك من غيره.

ولذا حكى الشيخ عبد القادر الجيلاني عقيدة أهل السنةً وذكر منها إيمانهم بأنه تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء، ونسب تأويل النزول بنزول الرحمة الى الأشاعرة والمعتزلة[٥].

خامسا أن مالكاً لم يتأول صفة الاستواء حين سأله السائل عن كيفية الاستواء، وانما اكتفى بالقول : الاستواء معلوم والكيف مجهول. ولو كان متأولا شيئا من صفات الله لتأول صفة الاستواء من باب أولى. وسئل أبو حنيفة عن النزول فقال « ينزل بلا كيف» فأثبت أبو حنيفة النزول ولم يبطلة بنزول الملك بأمره أو نزول رحمته. وليس من العقل الجمع بين النقيضين كأن تقول: ينزل، ولكن ينزل الملك بأمره!

---

١) أنظر ترجمته: تاريخ بغداد ٣/١٠١-١٠٣ والمنتظم لابن الجوزي ٨/١٣٥ وميزان الاعتدال ٣/٦٥٧ ولسان الميزان ٥/٣٤٣ ترجمة رقم (٧٨٠٥).

٢) ميزان الاعتدال ١/٣٨٧ لسان الميزان ٢/١١٩ ترجمة رقم (١٨٩٦).

٣) الكامل لابن عدي ٦/٢٣٧٤ ميزان الاعتدال ٤/١٢٤ تهذيب التهذيب ١٠/١٧٥.

٤) الأسماء والصفات ٥٦٩.

٥) الغنية لطالبي طريق الحق ٥٧.

- أن تأويل النزول بنزول الرحمة باطل فإن الرحمة لا ينقطع نزولها. وتأويلها بنزول الملائكة أكثر بطلانا فان الملائكة لا تزال تنزل بالليل والنهار وليس في الثلث الأخير من الليل فقط.

- وقولهم ينزل أمره باطل ومتناقض فإنه ليس عندهم في السماء شيء فمن أين ينزل أمره؟ أليس ينزل الأمر ممن هو فوق؟.

- ومن المعلوم عند أهل الكلام أن الرحمة صفة، وأن الصفة لا تقوم بنفسها بل لا بد لها من محل، وهي لا تتكلم بنفسها ولا تقول أنا الله، فالقائل هو الله حقيقة والفاعل هو الله حقيقة. ثم اذا نزلت الرحمة الى السماء الدنيا ولم تنزل الينا فأي منفعة لنا في ذلك؟

سابعاً : أنه اذا ثبت عن مالك وأحمد وغيرهما تأويل شيء في موارد النزاع فهو تنازع يُرَدّ الى الكتاب والسنة. وهو تنازع مسبوق بتنازع الصحابة في تفسير القرآن وغيره. فقد اختلف ابن عباس وابن مسعود في قوله تعالى **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾** قال ابن عباس « هو دخان يجيء قبل يوم القيامة، بينما قال ابن مسعود « هو ما أصاب قريشاً من الجوع.

- وروى البخاري عن الفضيل بن عياض أنه قال «إذا قال لك الجهمي أننا لا نؤمن بربٍ ينزل عن مكانه فقل له أنت : أنا أؤمن بربٍ يفعل ما يشاء» (١).

وسئل ابن المبارك عن حديث النزول - كيف ينزل؟ فأجاب: «ينزل كيف يشاء» (٢).

- فلماذا الميل الى تأويل صفة النزول؟ أخوفاً من التشبيه، فإنه لا يعتبر تشبيهاً الا عند أهل الوسوسة. فكما أنهم يؤمنون بإرادةٍ لله

---

١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٧ وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤٥٢/٣ وعقيدة السلف للصابوني ١١٨/١ واحتج بها الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه الغنية لطالبي الحق (ص ٥٨) وانظر الاسماء والصفات للبيهقي ٥٦٩ أو ١٩٧/٢ تحقيق حيدر.

٢) رواه البيهقي في الاسماء والصفات ٥٦٩ نسخة حيدر ١٩٨/٢-١٩٩ وهذا القول من ابن المبارك يبطل تحريف الأشاعرة لقول السلف (بلا كيف).

ليست كإرادتنا وبكلام ليس ككلامنا: فما الذي يمنعهم أن يؤمنوا بنزول ليس كنزولنا وباستواء ليس كاستوائنا؟!

وأما احتجاجهم بقول الحافظ ابن حجر أن « المشبهة حملوا النزول على ظاهره» [1].

والجواب: أننا نحتج عليكم وعلى الحافظ رحمه الله بقوله هو « أن المعتزلة والجهمية تذرّعوا بالذريعة عينها فقالوا من أثبت هذه الصفات فهو مشبّه . ثم نقل عن الجويني ارتضاؤه في نهاية المطاف ترك التأويل. ونقل عن اسحاق بن راهويه أن التشبيه انما يكون اذا قيل: يد كيد وسمع كسمع [2].

ونقول: نعم، من حمله على ظاهره من غير الضابط الحاسم للنزاع وهو ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ فهو مشبه حقاً، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يراعون هذه الآية دائماً عند إثبات كل صفة أثبتها الله لنفسه.

---

١) مجلة منار الهدى ٢٨/١١.

٢) فتح الباري ٤٠٧/١٣.

علم الكلام والجدل

ومن أعظم بدع العقائد التي طغت على المسلمين بدعة علم الكلام. حتى إن الأحباش ليصفونه بأنه أشرف العلوم وأعظمها على الاطلاق [1]. لأن علم الكلام عندهم هو التوحيد الذي أمر الله به[2].

أما السلف فلم يكونوا يتطلعون الى مصادر أخرى تزيدهم إيماناً، فقد أغناهم الله بكتابه وسنة نبيه وأكمل لهم الدين وأتمّ عليهم النعمة كما قال ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم**﴾.

مواقف عُمرية فذة

ولما فُتحتْ فارس ودخلها المسلمون، وجدوا فيها كتباً كثيرة، فكتب سعد بنَ أبي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنه في تنقيلها للمسلمين، فكتب عمر أن اطرحوها في الماء، فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منها، وإن تكن ضلالاً فقد كفانا الله. فطرحوها في الماء، وذهبت علوم الفرس منها عن أن تصل الى المسلمين [3].

الغزو الفكري القديم لا المعاصر فقط

وليت المسلمين مضوا على هذا المنهج، ولو فعلوا لحفظوا عقائد الناس، ولكن لمّا فُتحَتْ أبوابُ البدع على مصراعيها وَجَدَتْ علومُ الأمم الأخرى طريقَهَا الىَ المسلمين، ودخل على الأمة غزو فكري منذ القدم، وهو علم اليونان بشقيه: الجدلي والصوفي، فأُشربَتْه الأمة واستساغته، وصار يُطلق على علم الكلام: علم الكلام السني، وعلى التصوف: الزهد. وصار يتخرج مشايخ ومعلمون من الجامعات الاسلامية يتعلمون هذين الأصلين ويعلمونهما الناس، حتى صار هذان العنصران هما السنة ومنكرهما هو المبتدع.

إن الغزو الفكري الذي يحذر منه المصلحون اليوم يكاد ينحصر في المناهج المعاصرة التي دسها الغربيون والتنصيريون في هذا القرن، ولا يتحدثون عن غزو فكري ما زال موجودا في الأمة منذ ألف ومئتي سنة وهو غزو علم الكلام الذي دخل في علم أصول الأمة، والتصوف الذي في دخل روحها، وما زال العديد من المحذرين أنفسهم يسوغون التصوف بالرغم من تحذيرهم من الغزو الفكري المعاصر.

---

١) مجلة منار «الهدى» ٢٢/٢٩.

٢) صريح البيان ١١ طبعة مجلدة.

٣) مقدمة ابن خلدون ٤٨٠.

أول متكلمي هذه الأمة

وكان أول متكلمي هذه الأمة صبيغ، فقد أتى عمرَ بنَ الخطاب وأخذ يسأله عن متشابه القرآن فضربه عمر حتى أدمي رأسه ثم نفاه وكتب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد[1]، وهذا موقف آخر من عمر في تحصين الدين من مخلفات الجدل.

كيف دخل علم الكلام الى هذه الأمة

وعلم الكلام وريثة **أهل المنطق والكلام** كأرسطو وأفلاطون. وهو كما قال الزبيدي « أكثره احتمال وهمي» [2]. استحسنه المأمون وأمر بترجمة كتب اليونان الي العربية. فأعجب بها وطلب من ملك الروم شراء مكتبة ضخمة في علم المنطق فسُرّ النصارى.

قال السيوطي « قال صلاح الصفدي في شرح لامية العجم: حكى أن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى - أظنه صاحب جزيرة قبرص - كتب يطلب خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد. فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشار عليه بعدم تجهيزها اليه، الا بطراق [قسيس] واحد، فانه قال: جهّزها اليهم، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسَدَتها وأوقَعت بين علمائها» [3].

وكان المأمون يستخدم النصارى لترجمة علوم المنطق كإسحاق بن حنين وغيره. وجرت بسببه فتن كثيرة كالقول بخلق القرآن ونفي الصفات وأدى ذلك الى اضطهاد العلماء الذين ثبتوا على السنة وفي طليعتهم الامام أحمد. وبقيت حركة الترجمة تنشط، وقواعد علم الكلام ومصطلحاته تتداخل في كتب المسلمين، حتى افتتن الناس به، وظهر نتيجة ذلك أناس كجهم بن صفوان وبشر المريسي، ونفوا صفات الله بحجة أن ظاهرها يوهم تشبيه الله بخلقه.

وأحسن البعض الظن به وظنوه يساعد على مجادلة خصوم الإسلام حتى صارت مادته اليوم توجد في أكثر كتب العقائد.

---

١) الاصابة ١٦٧:٥ الشريعة للآجري٧٣ الدارمي ١٤٦ الاتقان٢:٤.
٢) اتحاف السادة المتقين ٢/٥١.
٣) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ٩.

زعموا أن ابراهيم عليه السلام أوصى بعلم الكلام

واعجب لما يقوله الحافظ ابن عساكر أن الجويني رأى ابراهيم عليه السلام فسأله عن علم الكلام فأثنى عليه قائلا « يدفع به الشبه والأباطيل» [1]. والمنامات الدليل الأخير عند انعدام الدليل.

ولكن: اذا كان أوصاه بعلم الكلام فلماذا تاب الجويني منه عند موته وقال « ليتني لم أشتغل بعلم الكلام»؟

وأعجب من ذلك حين تجد ابن عساكر يطعن على الطاعن في علم الكلام بالجهل أو بالانتماء الى مذهب فاسد يخشى أن يفضحه أهل الكلام [2]. وبمثله قال القشيري الذي تعجب بدوره من قول القائل ليس في القرآن شيء من علم الكلام[3].

ولا زال قومٌ يعملون على تقريبه حتى أدخلوه في أصل الدين، وروّج لعلم الكلام جماعة من الزنادقة تستّروا بالاسلام وأدخلوا في الدين مخلفات اليونان لإفساده.

ثم ما لبث علم المنطق والكلام أن اختلط في أصول العقيدة الإسلامية حتى صار البعض يُطلق على علم الكلام **علم التوحيد** ويصف أهله «**أهل الحق والتوحيد**». وصار يُعرف بعلم التوحيد، حتى قال صاحب الجوهرة «وسُمّيَ علم التوحيد لأن مبحث التوحيد أشهر مباحثه، ويسمى علم الكلام» [4]. مع أن السلف عابوه وحذروا من أهل الكلام باعتراف الحبشي [5]، وحرموا الاشتغال به كالشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من أئمة السنة.

---

١) تبيين كذب المفتري ص ٣٥٦.

٢) تبيين كذب المفتري ٣٥٩.

٣) شكاية أهل السنة بحكاية ما جرى لهم من المحنة ٤٧.

٤) جوهرة التوحيد ٢١..

٥) إظهار العقيدة السنية ٦٣و٨٠.

السيوطي يحكي الاجماع على ذمه

قال السيوطي لما سئل عن علم الكلام:

الجواب « روينا باسناد صحيح من طريق المزني أن رجلا سأله عن شيء من الكلام فقال إني أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، فلقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال مالك « محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله». فما عُصم به الدم والمال هو حقيقة التوحيد». قال السيوطي « هذا جواب مالك عن هذا السؤال وبه أجبتُ».

واعترف المرتضى الزبيدي بذم السيوطي لعلم الكلام [١]. وحكى عن الحافظ ابن عبد البر أنه قال « الكلام في الدين أكرهه وأنهى عنه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه» [٢].

وصدرت لابن الصلاح فتوى في مقدمة كتابه علوم الحديث بتحريم الاشتغال بعلم الكلام.

وكذلك كتب الامام موفق الدين المقدسي صاحب (المغني) رسالة «تحريم النظر في كتب الكلام».

وللإمام الخطابي كتاب الغنية عن الكلام وأهله، وصف فيه مقالات المتكلمين بأنها سريعة التهافت كثيرة التناقض [٣].

---

١) الحاوي للفتاوي ١٢٩/٢ اتحاف السادة المتقين ١٧٧/١ سير أعلام النبلاء ٢٦/١٠.

٢) جامع بيان العلم وفضله ٩٥/٢.

٣) سير أعلام النبلاء ٢٦:١٧ وصون المنطق للسيوطي ٩١-٩٩.

موقف الائمة الاربعة من علم الكلام

○ قال الشافعي للربيع « لا تشتغل بالكلام فإني اطلعتُ من أهل الكلام على التعطيل» وقال « لو رأيت رجلا من أهل الكلام يمشي على الماء فلا تركن اليه» [١].

وحكى الزبيدي أن الشافعي كان ينهى عن الاشتغال بعلم الكلام ويأمر بالاشتغال في الفقه[٢]. وحكى السبكي أن أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم في الله وصفاته[٣].

وقال الشافعي « لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد» [٤].

القدرية والجبرية ثمرة علم الكلام

وهذا النص يرد على من زعم أن ذم الشافعي إنما هو موجه للقدرية المعتزلة الذين كانوا ينفون القدر، حيث أطلق الذم ولم يقيده بالقدر دون تأويل الصفات. ويؤكده ما رواه أشهب بن عبد العزيز عن الامام مالك أنه قال « إياكم وأهل البدع، قالوا: ما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة»[٥].

والأشاعرة لم يسكتوا عما سكت عنه السلف، بل تكلموا بالجوهر والعرض والكسب والكلام النفساني والجزء الذي لا يتجزأ ومتعلقات الصفات وتأويلاتها، وخاضوا في القدر فقالوا بالجبر في مقابل المعتزلة القدرية، وان العبد لا مشئية له فيما يفعل عندهم الا في أنه يكسب الفعل من الله فقط. فالمعتزلة يمثلون االافراط والأشاعرة يمثلون التفريط وهما نتيجة علم الكلام.

وقد شهد الجويني على الأشعري مخالفته للحق في مسألة كسب العبد. واضطر هو والباقلاني وجماعة من الأشاعرة الى مخالفته.

والتعطيل واحد من نتائج علم الكلام. يؤكد ذلك قول الشافعي لمحمد بن الحكم « يا محمد إن سألك رجل عن «شيء» من الكلام فلا

---

١) سير اعلام النبلاء ٢٨/١٠ صون المنطق والكلام ٦٤.

٢) اتحاف السادة المتقين ١١/٢.

٣) فتاوى السبكي ٥٧٨/٢.

٤) حلية الأولياء ١١١/٩ سير أعلام النبلاء ١٦/١٠.

٥) ذكره البغوي في شرح السنة ٢١٧/١ والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ٥١.

تجبه» وقوله « لا أحب أن ينسب الي منه شيء» [١]. غير أن الحبشي ينسب علم الكلام الى الشافعي، وهو خلاف وصيته وخلاف ما حكاه الزبيدي أن الشافعي كان ينهى عن الاشتغال بعلم الكلام ويأمر بالاشتغال في الفقه [٢].

- وقال « حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الابل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام» [٣].

- واحتج بقول مالك في الرد على أهل الكلام فقال « مُحالٌ أن نظن بالنبي ﷺ أنه علّم أمته الاستنجاء، ولم يعلّمهم التوحيد» [٤].

- وكان مالك يقول « أوَكلّما جاءنا رجلٌ أجدَل من رجلٍ تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجَدَله [٥].

- وذكر البخاري عن أبيَ الزَناد أنه قال « لا يقيم [المجادلون] على أمر - وإن أعجبهم - إلا نَقَلهم الجدلُ إلى أمر سواه، فهُم كل يوم في شبهةٍ جديدة ودين ضلال» [٦].

- ولهذا لم يكن السلف يناظرون أهل البدع على طريقة أهل البدع، بل كانوا يفحمونهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ولمَّا قيل لعبد الرحمن بن مهدي « إن فلاناً صنَّف كتباً يردُّ فيها على المبتدعة. قال : بأي شيء: بالكتاب والسنة ؟ قالوا: لا ولكن بعلم المعقول والنظر. فقال: أخطأ السُّنَّة، وردَّ بِدعةً ببدعة» [٧].

فيا من تفتخرون بأنكم تنافحون عن الدين اليكم ما قاله أحمد بن حنبل «لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة»[٨]. فلا يغرنكم من يسمي علم الكلام « علم التوحيد» أو علم الكلام السني.

- وقال أبو حنيفة « اني وجدت أهل الكلام قاسية قلوبهم، غليظة أفئدتهم، لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة، وليس عندهم ورع ولا تقوى»[٩]. وهذا مطابق لقول الشافعي «المراء في الدين يقسي القلب»[١٠]

---

١) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٨ و٣١.
٢) اتحاف السادة المتقين ٢/١١.
٣) سير الأعلام ١٠/٢٩ صون المنطق ٦٥ الحلية لأبي نعيم ٩/١١٦، ومناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٦٢.
٤) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٦.
٥) سير أعلام النبلاء ٨/٩٩ حلية الأولياء ٦/٣٢٤.
٦) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ٨٩.
٧) صون المنطق ١٣١ للسيوطي.
٨) رواه ابن الجوزي في مناقب أحمد ص ٢٠٥.

- وصدق فيما قال، فإن علم الكلام يخالف الكتاب والسنة في طريقة عرض مسائل العقيدة، حين يعرضونها في قالب فلسفي جدلي يحوطه التعقيد والجفاف والتخليط بطريقة غريبة على الاسلام وطبيعته المميزة التي يفهمها العالم والعامي، تكثر فيها الايرادات والردود عليها ويندر فيها كلام الله وكلام رسوله ﷺ وهذا ما جعل المخضرمين من المتكلمين ينتهون الى أن الطريق الى المعرفة مسدودة من هذا الوجه.

وقال السبكي « وليس على العقائد أضر من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية» [١]. وقال بتفضيل طريقة أهل الحديث على طريقة المتكلمين المستدلين بالجوهر والعرض وحدوث العالم « لأن أهل الحديث أقرب الى الحق، والشكوك التي ترد عليهم أقل».

ولو علم الله في علوم (الجوهر والعرض) نفعاً لأوحى بشيء منها الى نبيه ﷺ ولكن: علم الله أن تنزيهه لا يتحقق بها: بل هي التي علمت الناس سلب ما وصف به نفسه وآلت بأصحابها الى الشك والحيرة، وجرّأتهم على الله وصفاته ووحيه.

وما أدل على ذلك من قول الرازي حين استعرض أقوال المعتزلة والأشاعرة حول مسألة التحسين والتقبيح العقليين: « واعلم أن هذه المذاهب ظهر في كل واحد منها من المدائح والقبائح، فعند هذا قال أصحاب الحيرة والدهشة: ان هذه الدلائل ما بلغت في الوضوح والقوة الى حيث تزيل الشك وتملأ بقوتها ونورها: العقل. بل كل واحد منها يتوجه فيه نوع غموض» [٢].

- وقال في غياث المفتي « رأيت بخط شمس الأئمة الحلواني عن أبي يوسف رحمه الله أنه لا تجوز الصلاة خلف المتكلم [٣].

- وسئل أبو حنيفة: ما تقول فيما أحدثه الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف واياك وكل محدثة فانها بدعة [٤]. وكان أبو حنيفة يلعن عمرو بن عبيد الذي ابتدع بدعة الكلام [٥].

---

٩) سير أعلام النبلاء ٦/٣٩٩ مفتاح دار السعادة٢:١٣٦.

١٠) رواه أبو نعيم في الحلية ٩/١١١.

١) مقدمة السيف الصقيل ص ١٢ وذكرها المرتضى الزبيدي في شرح الاحياء ٢/١٠.

٢) المطالب العالية ٤/٤٢٦.

٣) مفتاح دار السعادة ٢:١٣٧.

٤) رواه السيوطي في صون المنطق والكلام ٣٢ وتبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة ٣٢٤.

وهناك روايات تفيد بأن أبا حنيفة رحمه الله خاض في أول الأمر في علم الكلام غير أنه رجع عنه كما قال قبيصة بن عقبة « كان الامام أبو حنيفة رحمه الله في أول أمره يجادل أهل الأهواء حتى صار رأساً في ذلك ثم ترك الجدل ورجع الى الفقه والسنة وصار إماماً» [١] وفي رواية أن أبا حنيفة قال «لا حاجة لي في علم الكلام» [٢].

ثم صار ينهى الناس عنه حتى قال لابنه حماد « يا حماد دع الكلام» [٣]. قال البزدوي « ونحن نتبع أبا حنيفة فإنه إمامنا... وإنه كان يُجَوِّز تعليمه وتعلّمه والتصنيف فيه ولكن في آخر عمره امتنع عن المناظرة فيه ونهى أصحابه عن المناظرة فيه»[٤].

وسأل رجل الحسنَ بن زياد الؤلؤي عن زفر بن الهذيل: أكان ينظر في الكلام؟ فقال: سبحان الله ما أحمقك، ما أدركت مشيختنا زفر وأبا يوسف وأبا حنيفة ومن جالسنا وأخذنا عنهم يهمهم غير الفقه والاقتداء بمن تقدمهم»[٥].

فكيف يدعي الحبشي أن الماتريدي المخالف لشيخه أبي حنيفة كان إمام أهل السنة والجماعة وكتبه مشحونة بالفلسفة وعلم الكلام وقد رأيت نهي شيخه عن علم الكلام؟!

قال مالك « لا تجوز شهادة أهل البدع» وذكر حافظ المغرب وفقيهها ابن عبد البر بسنده عن فقيه المالكية أبي بكر بن خويزمنداد[٦] أنه قال معلقاً على قول مالك **(لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء)** قال «أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، **فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري** ولا تُقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويُهجَر ويؤدّب على

---

٥) صون المنطق والكلام ٣٠.

١) عقود الجمان ١٦١ مناقب أبي حنيفة للمكي ٥٣ وللكردري ١٣٧.

٢) تاريخ بغداد للخيب البغدادي ١٣/٣٣٣.

٣) مناقب أبي حنيفة للمكي ١٨٣.

٤) أصول البزدوي ص ٤.

٥) صون المنطق والكلام ١٣٦ عن الحسن بن زياد اللؤلؤي.

٦) هو محمد بن أحمد (٣٩٠ هـ) كان متمسكاً بالسنة شديداً على أهل البدع (أنظر ترتيب المدارك ٧/٧٧ والديباج المذهب ٢/٢٢٩ والوافي بالوفيات ٢/٥٢.

بدعته» [1]. وهذا أكبر دليل على أنهم كانوا يرون مذهب الأشعرية مذهب بدعة وعلم كلام كمذهب المعتزلة. وقد استحسن هذا الكلام السيوطي وابن عبد البر والموفق المقدسي.

○ وتحدث (التفتازاني) عن اختلاط علم الكلام بالفلسفة فقال «لما نُقلت الفلسفة الى العربية وخاض فيها الاسلاميون، حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا به الشريعة فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة.. حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات» [2].

وذكر ابن خلدون أيضا أن علم الكلام اختلط بعلم الفلسفة حتى كاد لا يتميز أحدهما عن الآخر [3].

ويحدثنا الشهرستاني أن المعتزلة أول من خلط علم الكلام بالفلسفة [4]. وهذا مما يسجل على الأشاعرة أنهم تلقوا أصول منهجهم وقواعده عن المعتزلة.

وقال أبو طالب المكي « ثم ظهرت بعد سنة مائتين مصنفات الكلام وكتب المتكلمين بالرأي والهوى والمعقول والقياس» [5].

وكان ابراهيم الحربي يقول « وأحرّج على من كان من أهل الكلام والجدال أن يحضر مجلسي أو يسألني عن شيء فانه لا علم لي بالكلام ولا أقول به ولو عرفته ما حدثته» [6].

واعتبر ابن الجوزي أن أساس البدع دخلت على الأمة من طريقين:

١) الفلسفة التي عكف عليها خلق من العلماء لم يقنعوا بما قنع به رسول الله ﷺ حتى خاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب ردية أفسدوا بها العقائد.

٢) الرهبنة حيث أخذ خلق من المتزهدين عن الرهبان طريق التقشف» [7]. ويعني بهم الصوفية.

---

١) جامع بيان العلم وفضله ٢:٩٦ صون المنطق والكلام للسيوطي ١٣٧ مفتاح السعادة ٢:١٣٧ واحتج به الموفق المقدسي في رسالته (تحريم النظر في علم الكلام ص ٤٢ بتحقيقي) وقد حذف طاش كبرى زادة من النص ما يتعلق بالاشاعرة.

٢) شرح العقائد النسفية ٨.

٣) مقدمة ابن خلدون ٤٦٦.

٤) الملل والنحل ١/ ٣٢.

٥) قوت القلوب ٢/ ٣٧ صون المنطق للسيوطي ١٢٧.

٦) صون المنطق والكلام ١٣١.

وقال أبو محمد ابن قتيبة الدينوري في كتاب تأويل مختلف الحديث «لقد تدبّرتُ مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون، ويفتنون الناس بما يأتون، يتهمون غيرهم في النقل (أي استدلالهم بالنصوص) ولا يتهمون آراءهم في التأويل [١].

وقال « الكلام ليس من شأننا ولا أرى أكثر من هلك إلا به» [٢].

---

٧) صيد الخاطر ٢٢٦.

١) تأويل مختلف الحديث ١٢ وانظر ٤٣.

٢) الاختلاف في اللفظ ص ٢٢٥.

الحبشي يطعن في الائمة الاربعة

فكيف يدعي رجلٌ كالحبشي أن أهل الأهواء هم المعتزلة دون غيرهم ممن شاركهم في مادة علم الكلام؟! ثم يضرب بأقوال أئمة أهل السنة عرض الحائط، ويسفه ويحكم بجنون كل من عاب علم الكلام قائلا:

عاب الكلامَ أناسٌ لا عقول لهم
وما عليه إذا عابوه منْ ضرر [1].

وهذا: طعن في الأئمة الأربعة وغيرهم واتهام لهم بأنه لا عقل لهم. وطعن في إجماعهم لأنهم أجمعوا على ذم علم الكلام.

وافتراء على نبي الأمة بأنه كان متكلما على نسق افتراء الصوفية عليه بأنه كان صوفيا... وهكذا.

وقد تواتر ذم الشافعي وأبو حنيفة واحمد ومالك لعلم الكلام، فيلزم الأحباش أن هؤلاء الأئمة لا عقول لهم، لا سيما وأن الأحباش وصفوا من ذموا علم الكلام بأنهم «جهلة غوغائيون لا عبرة بهم لأنهم يذمون علم الكلام» وزعموا أن النبي ﷺ خص نفسه بهذا العلم حيث قال أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له» [2].

ولقد زعم الحبشي أن ابن تيمية خرق إجماع الائمة الأربعة، غير أنه هو الطاعن فيهم على الحقيقة، الخارق لاجماعهم، الواصف لهم بأنهم بلا عقل. دفاعاً منه عن علم الكلام الذي كان راية المعتزلة والجهمية.

وبالرغم من اعتراف الأشاعرة بالتزام شيخهم الأشعري بما كان عليه أحمد، كقول السبكي أن عقيدة الأشعري هي عقيدة أحمد بلا شك ولا ارتياب، وأن الأشعري صرح هو نفسه بذلك مراراً في تصانيفه «أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المُبَجَّل، أحمد بن حنبل» [3].

الا أنهم سرعان ما يتناقضون فيزعمون أن الناس كانوا يدرسون عند الأشعري علم الكلام [4] وهذه مخالفة لطريق أحمد فانه لم يكن

---

١) إظهار العقيدة السنية ٢٢ صريح البيان ٢١ ط: مجلدة تحقيق الولي لرسالة استحسان الخوض في علم الكلام ٣٢ للأشعري.

٢) مجلة منار "الهدى" ٢٥/ ٥٤.

٣) طبقات الشافعية ٣/ ٩٩ أو ٤/ ٢٣٦ محققة. اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢/ ٤.

٤) طبقات السبكي ٣/ ٢٩٤ و٤/ ٣٣٢.

يوماً يسمح بعلم الكلام فضلا عن أن يرضى به مذهباً ، بل يذمه مطلقاً .

وذكروا أن محمد الديباجي كان مقدماً في الفقه وعلم الكلام على مذهب الأشعري، وأن ابن تومرت كان ينصر علم الكلام على مذهب الأشعري [١] وأن ابن الكيال متكلم على مذهب الأشعري [٢] **ولماذا لا يقولون: المتكلم على مذهب الشافعي؟**

وزعم أن الشيخ البالسي كان شافعي المذهب: أشعري العقيدة[٣] فلم يقل: كان شافعي العقيدة لأن الأصول الأشعرية مبنية على علم الكلام الذي سبه الشافعي واتهم متبعيه بالزندقة [٤].

---

١) طبقات السبكي ١٠٩/٦ و٨٨/٦ محققة.
٢) طبقات السبكي ١١٣/٧ محققة.
٣) طبقات السبكي ٤٠١/٨.
٤) طبقات السبكي ٤٠١/٨.

مصطلحات اليهود والنصارى في توحيد المتكلمين

○ قال الحبشي في مطلع كلامه عن التوحيد « بيان أن التوحيد من أفضل العلوم وأشرفها» [١]، يقصد بذلك توحيد أهل الكلام الذي ذمه أهل التوحيد كالشافعي وأبو حنيفة وأحمد، ودليل مقصده هذا جريه على المصطلحات الفلسفية التي يستخدمها في كلامه عن التوحيد كقوله «وأما الجوهر والعرض في اصطلاح علماء التوحيد» [٢].

الجوهر والعرض والحادث والمُحدَث

هي مصطلحات دخيلة ذمها السلف، بل هي مما جرى على ألسنة اليهود والنصارى. قال الأشعري «اختلف الناس في الجوهر فقالت النصارى الجوهر هو القائم بذاته وكل قائم بذاته فهو جوهر» [٣].
ورأى الدكتور علي النشار « أن المعتزلة والأشاعرة تأثروا بالنصرانية في تقسيم الموجودات الى جوهر وعرض ذلك أن النصارى كانوا في مناقشاتهم مع المعتزلة يستخدمون لفظ الجوهر والعرض مما دفع المعتزلة الى بحث مسألة الجوهر والعرض» [٤]. فهؤلاء سلف أهل علم الكلام.

الأشاعرة يعملون بوصية المعتزلة

وقد أوصى القاضي عبد الجبار المعتزلي لمن يريد إثبات وجود الله عن طريق الجواهر والأعراض « أن يثبتها ثم يوضح حدوثها وأنها تحتاج الى مُحدث وفاعل يغاير الحوادث، وهو الله»[٥].

فعمل الرازي والايجي والأشاعرة عامة بهذه الوصية وقالوا « قد عرفت أن العالم إما جواهر وإما أعراض، وقد يُستدل بكل واحدة منهما على وجود الصانع إما بإمكانه أو حدوثه» [٦].

ونحن نرضى فيهم بحكم أبي حنيفة الذي سئل: ما تقول فيما أحدثه الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات

---

١) الدليل القويم ١.
٢) الدليل القويم ١٤.
٣) مقالات الاسلاميين ٣٠٦.
٤) نشأة الفكر الفلسفي١:٩٩.
٥) شرح الأصول الخمسة ٩٢.
٦) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ٢١٣ المواقف ٢٦٦.

الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف واياك وكل محدثة فانها بدعة [١].
وكان أبو حنيفة يلعن عمرو بن عبيد ابتدع بدعة الكلام [٢].
فمذهب الأشعري مقالات الفلاسفة وهو بدعة تحادّ نهج السلف وتحذر منه.
أما سلفنا: فيقول ابو الوِفا ابن عقيل «أنا أقطع بأن الصحابة ماتوا ولم يعرفوا الجوهر والعرَض، فإن رضيتَ أن تكون مثلهم فكُن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت»[٣].
وقد شهد الجويني بمخالفة المتكلمين للسلف وبالابتداع بعدهم فصرح بأن « الجوهر والعرض ألفاظ اصطلح عليها المتكلمون ولم يكن معروفاً عند السلف»[٤].

وهذا ما دفع بالغزالي الى القول بأنه ينبغي أن يعرف الخلق ربهم بأدلة القرآن لا بقول المتكلمين أن الاعراض حادثة وأن الجواهر لا تخلو عن الأعراض الحادثة فانه ما ثار الشر الا منذ نبغ المتكلمون [٥].
هذا بالرغم من أن الغزالي هو أول من خلط المنطق بأصول الدين. حكاه السيوطي[٦].
وياليت الغزالي ثبت على هذا القول ولم يتناقض، فقد صرح بضرورة تأويل الميزان لأنه عرض والأعراض لا توزن، وبضرورة تأويل خبر الإتيان بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح بدعوى أن الموت عرض والعرض لا يؤتى به ولا ينقلب جسماً [٧]. وقد وافق بذلك المعتزلة الذين أولوا الميزان بناء على مذهبهم أن الميزان عرض وأن الأعراض لا توزن» [٨].

١) رواه السيوطي في صون المنطق والكلام ٣٢ وتبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة ٣٢٤.
٢) صون المنطق والكلام ٣٠.
٣) تلبيس ابليس ٨٥.
٤) لمع الأدلة للجويني ص ٧٦.
٥) الجام العوام عن علم الكلام ٨٧-٨٩ احتج به المرتضى الزبيدي.
٦) صون المنطق والكلام ص ١٣.
٧) قانون التأويل ٢٣٨-٢٤٠.
٨) فتح الباري ١٣/٥٣٨ مقالات الاسلاميين ٤٧٢ شرح المقاصد ٥/١٢٠-١٢١ للتفتازاني المواقف للايجي ٣٨٤.

موقف الحافظ ابن حجر من علم الكلام

ولهذا كان الحافظ ابن حجر يحذر من الدخول في متاهات ومغالطات الجوهر والعرض، لما لها من نتائج فاسدة قائلا « وكان مما أمر به النبي ﷺ: التوحيد. بل هو أصل ما أمر به، فلم يترك شيئا من أمور الدين الا بلّغه، ثم لم يدعُ الى الاستدلال بما تمسكوا به من الجوهر والعرض» [1] قال « فالحذر من كلامهم والاكتراث بمقالاتهم فإنها سريعة التهافت» [2].

ونقل عن أبي المظفر السمعاني « بيان فساد طريقة» المتكلمين في تقسيم الأشياء الى جسم وجوهر وعرض. وزعمهم أن الجسم ما اجتمع من الافتراق، والجوهر ما حمل العرض، والعرض ما لا يقوم بنفسه. « فجعلوا الروح من الأعراض» [3].

قال: فالجوهر والعرض هما أهم دعائم العقيدة عند أهل الكلام والجدل، ومن أبرز مصطلحات أهل الفلسفة والمنطق.

وبهذا يبطل زعم الحبشي أن « الجوهر والعرض من اصطلاح أهل التوحيد».

أضاف: «ويكفي في الردع عن الخوض في طرق المتكلمين: ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كعمر بن عبد العزيز ومالك والشافعي، وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة ماتوا ولم يعرفوا الجوهر ولا العرض.. وقد أفضى الكلام بكثير من أهله الى الشك، وببعضهم الى الالحاد». « وصح عن السلف أنهم نهوا عن علم الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب» [4].

وصدق فيما قال، فقد أفضى الكلام بالجويني الى أن يصرح بنفي علم الله بالجزئيات. مقارب بذلك لمذهب الفلاسفة فيقول « علم الله اذا تعلق بجواهر لا تتناهى فمعنى تعلقه بها استرساله عليها من غير فرض تفصيل الآحاد» [5] مع أن له كلاماً آخر يخالف هذه الزلة

---

١) فتح الباري ١٣/٥٠٧.

٢) ولكن زعم السبكي وابن عساكر أن الاشعري رأى النبي في المنام فأخبره أنه ترك علم الكلام فبادره ﷺ قائلا « أنا ما أمرتك بترك الكلام» (طبقات السبكي ٣/٣٤٨ محققة).

٣) أي كيف تكون الروح عرضا مع أن الجسم لا يقوم الا بها؟.

٤) فتح الباري ١٣/٣٥٠-٣٥٢.

٥) البرهان في أصول الفقه ١/١٤٥.

الاعتزالية والتي جعلت جملة من العلماء يشنعون عليه بها كالمازري القائل « انما سهَل عليه ركوب هذا المذهب إدمانه النظر في مذهب أولئك». قال الذهبي « هذه هفوة اعتزال هُجِر أبو المعالي عليها »[١].

ثم ذكر الحافظ قصة ندم الجويني عند موته على اشتغاله بعلم الكلام. قال « وقد توسع من تأخر عن القرون الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم. ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلا يردون اليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرها. ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو من أشرف العلوم [٢] وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل... فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف »[٣].

ثم بين موقف السلف من هذا العلم فقال « واشتد انكار السلف لذلك كأبي حنيفة وأبي يوسف والشافعي، وكلامهم في ذم أهل الكلام مشهور. وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبي ﷺ وأصحابه [٤].

وفي عبارة الحافظ رد على قول الحبشي إن أبا حنيفة والشافعي وأحمد كانا من أئمة علم الكلام والبارعين فيه وهذا خداع وتلبيس [٥]، نعم روي عن أبي حنيفة ذلك ثم روي تراجعه عنه في قصة طويلة خلاصتها أنه قال « وكنت أعدّ الكلام أفضل العلوم فراجعت نفسي وتدبرت وقلت إن أصحاب النبي ﷺ والتابعين وأتباعهم لم يخوضوا بهذا العلم بل أمسكوا عن ذلك ونهوا أشد النهي... فلما ظهر لنا من أمورهم ذلك تركنا الخوض في الكلام ورجعنا الى ما كان عليه السلف[٦]
.

١) سير أعلام النبلاء ١٨/٤٧٢.
٢) وهو كقول الحبشي الذي ذكرته في أول هذا الباب.
٣) فتح الباري ١٣/٣٥٠_٣٥٢.
٤) فتح الباري ١٣/٢٥٣.
٥) أنظر الدليل القويم ٤ و٥.
٦) مفتاح السعادة طاش كبري زادة ٢:١٣٦ نقلا عن المرغيناني وذكره في كشف البزدوي.

موقف الغزالي من علم الكلام
وطعنه في توحيد المتكلمين

وقد ضاق الغزالي ذرعا بمن وصف علم الكلام بـ (علم التوحيد) فقال « قد جُعِل التوحيدُ الآن عبارةً عن صناعة الكلام.. وسُمّيَ المتكلمون بعلماءَ التوحيد، مع أن جميع خاصة هذه الصناعة لم يكن يُعرف منها شيء في العصر الأول: بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة [١].

قال « والدليل على مضرته: ما ثار من الفتن بين الخلق منذ نبغ المتكلمون» [٢].

ووصف الغزالي المتكلمين بأنهم « من أشد الناس غلواً، كفروا عوام المسلمين وزعموا أن من لم يعرف الكلام معرفتنا، ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتها التي حررناها فهو كافر، وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة يسيرة من المتكلمين».

الى أن قال مبدياً انكاره الشديد على من زعم وجوب تعلمّ هذا العلم المبتدع:

« فليت شعري: متى نقل عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم: احضار اعرابي أسلم وقوله له: الدليل على أن العالم حادث أنه لا يخلو عن الاعراض. وما لا يخلو عن الحوادث حادث [٣]. قال « بل لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد» ثم أكد أن جميع عقائد العوام مبادئها التلقين المحض [٤].

وقد حكى تجربته الفاشلة مع علم الكلام ثم قال « لم يكن الكلام في حقي كافياً ولا لمرضي الذي كنت أشكو منه شافياً... ولم يكن من كلام المتكلمين الا كلمات ظاهرة التناقض والفساد» [٥].

---

١) أنظر احياء علوم الدين ١/٩٥ لكن المماراة التي هي الاشتغال بعلم الكلام عند الحبشي من الأسس التي وضعها أهل السنة والجماعة (أنظر كتابه إظهار العقيدة السنية ١٦٤) ولعله يعني بذلك حفنة من الجهمية والمعتزلة ومن تفرع منهم من أصحابه.

٢) اتحاف السادة المتقين شرح احياء علوم الدين ٢/٤٤.

٣) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ١٥٠-١٥١ واحتج بها السيوطي في صون المنطق ١٨٥.

٤) احياء علوم الدين ١/٩٤.

٥) المنقذ من الضلال ١٤ - ١٧

صدق الغزالي هم مكفرون

ولهذا قال الغزالي « ذهبت طائفة الى تكفير عوام المسلمين لعدم معرفتهم أصول العقائد بأدلتها : وهو بعيد عقلا ونقلا» [1].

وكان محمد بن عبد الله الخاني النقشبندي يحذر من علم الكلام فيقول « وإياك وتقليد أهل الكلام فإنهم ملعبة الشيطان... وإياك والتأويل فإنه دهليز الإلحاد والزندقة»[2].

الدليل على أن أهل الكلام مقلدون

بل هم دعاة الى التقليد. قال الشيخ خالد البغدادي النقشبندي الملقب بالطيار ذي الجناحين ما نصه «وكل مسلم ومسلمة عليه أن يقلد أحد الإمامين (أي الماتريدي والأشعري) في المسائل الاعتقادية»[3].

فانظر الى تقلبهم واختلافهم تارة ينهون عن التقليد وتارة يزينونه ويدعون اليه.

---

1) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٣٦٤.

2) البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية ١٤ ط: مكتبة الحقيقة - وقف الاخلاص بتركيا - اسطنبول.

3) كتاب الايمان والاسلام ص ٥٥ ط: مكتبة الحقيقة بتركيا.

اهل الكلام عند ابن حجر اهل التقليد

ولقد أبدى الحافظ ابن حجر استياءه من ذلك فقال « والعجب ممن اشترط ترك التقليد من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول الداعين اليه.. فآل أمرهم الى تكفير من قلد الرسول ﷺ في معرفة الله تعالى. وكفى بهذا ضلالا، ويلزم من ذلك الى القول بعدم ايمان أكثر المسلمين»[1].

- ونقل عن البيهقي في كتاب الاعتقاد أن غالب من أسلم من الناس في عهد النبي ﷺ لم يعرفوا اثبات الصانع وحدوث العالم عن طريق استدلال المتكلمين وذكر أن هذا لا يكون تقليدا وانما اتباعا [2].

- وأثبت الحافظ أن هذا الاشتراط الذي عرفه المتكلمون انما قلدوا به المعتزلة الذين سبقوهم الى تكفير من لم يعرف الله عن طريق الاستدلال. قال « وذهب أبو هاشم من المعتزلة الى أن من لم يعرف الله بالدليل فهو كافر» [3].

قال أبو منصور البغدادي « قال أصحابنا: كل من اعتقد أركان الدين تقليداً... فهذا غير مؤمن بالله ولا مطيع له، بل هو كافر... ومنهم من قال: لا يستحق اسم المؤمن الا اذا عرف الحق في حدوث العالم وتوحيد صانعه... وهذا اختيار الأشعري وليس المعتقد للحق بالتقليد عنده مشركاً ولا كافراً وإن لم يسمّه على الاطلاق مؤمناً»[4].

فهكذا يجعل الأشعري المقلد في منزلة بين المنزلتين على نسق المعتزلة في مرتكب الكبيرة.

وبناء على فتوى الأشعري يصير الأشاعرة اليوم في منزلة بين المنزلتين. فإنه قال غير مرة « قالت المعتزلة: استوى أي استولى» [5]. والأشعرية بعده يقلدون المعتزلة ويقولون: استوى أي استولى.

---

1) فتح الباري ١٣/٣٥٤.
2) فتح الباري ١٣/٣٥٣.
3) فتح الباري ١٣/٣٥٠.
4) أصول الدين ٢٥٤-٢٥٥.
5) مقالات الاسلاميين ١٥٧و٢١١ التبيين لابن عساكر ١٥٠ ورسالة الاشعري الى أهل الثغر ٢٣٣ وانظر كلام المعتزلة: رسائل العدل والتوحيد لمجموعة من المعتزلة ٢١٦/١ شرح الاصول الخمسة ٢٢٦ متشابه القرآن ٧٢ للقاضي عبد الجبار.

اكذوبة علم الكلام السني

ولما كثُر ذم الائمة لعلم الكلام، وثبت تحذيرهم منه بالاسانيد الصحيحة كقول الشافعي «لأن يبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من ان يبتليه بالكلام». وقد اعتبر الغزالي مقولة الشافعي هذه من مقالات أهل الغلو والإسراف [1].

وقوله «وما من شيء أبغض إليّ من الكلام وأهله» [2] وقول احمد « لا يفلح صاحب كلام أبداً، علماء الكلام زنادقة» [3] وقول الشافعي « ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح» [4]: لجأ الحبشي وأمثاله الى حيلة أخرى: فجعلوا علم الكلام منقسماً الى قسمين:

١) علم كلام (سني) مطلوب.
٢) وعلم كلام (مذموم) مردود.

تماماً كما قسموا البدعة الى بدعة حسنة وبدعة سيئة، تمويهاً على الناس وخداعاً ليظنوا ان علم الكلام الذي أتى به ليس ذاك الذي ذمه الأئمة، وإنما « علم الكلام السني» هو ما كان يتقنه الأئمة ويدعون الناس إليه، وإنما علم الكلام المذموم ما كان عليه المعتزلة [5].

هذا الرجل قد أجاز الحيلة على الله فلماذا لا يجيزها على الناس فيزعم أن علم كلامه يختلف عن علم كلام الجهمية والمعتزلة!

ونجيب عن ذلك بما يلي

أولا: لو كان كما قلت لما أطلق الشافعي الذم، ولقسّمه كما قسّم البدعة الى ضربين: بدعة محمودة وبدعة مذمومة. وما ثبت أبداً تقسيم أئمة هذه الأمة المعتبرين لعلم الكلام الى نوع ممدوح ونوع مذموم.

ثانياً: ثبت رجوع الجويني والرازي والباقلاني والغزالي عن علم

---

١) احياء علوم الدين ٩٥/١.
٢) اتحاف السادة المتقين ١٨٥/١ سير أعلام النبلاء ١٠/١٦و١٩ حلية الأولياء ١١١/٩ تلبيس ابليس ٨٢.
٣) اتحاف السادة المتقين ١٨٣/١ ٤٩/٢ شرح الفقه الأكبر ٤ تلبيس ابليس لابن الجوزي ٨٣ صون المنطق للسيوطي ١٢٨.
٤) سير أعلام النبلاء ١٨/١٠ مناقب الشافعي لابن أبي حاتم ١٨٢ تبيين كذب المفتري ٣٣٥ حلية الاولياء ١١١/٩ السنن الكبرى ٢٠٦/١٠ اتحاف السادة المتقين ٤٨/٢ شرح أصول السنة ١٤٦/٢.
٥) إظهار العقيدة السنية٢١و١٦٥.

الكلام كما نص عليه الحافظ ابن حجر والذهبي، وكانوا قبل توبتهم على المذهب الأشعري ولم يكونوا آنذاك معتزلة. ولذلك احتج شارح الفقه الأكبر (ملا علي قاري) بتوبة الجويني والرازي عن علم الكلام في معرض تحذيره منه[1].

ولذلك قال ابن الجوزي « وكان الجويني قد بالغ في الكلام (علم المنطق والجدل) وصنّف الكتب الكثيرة فيه، ثم رأى أن مذهب السلف أولى» [2]. وكان يظن أنه يكتب على مذهب أهل الحق ثم تاب عنه وصرح بأنه باطل.

قلت: وكيف لا يقول ذلك وهو الذي طعن في علم الكلام حتى قال « وقد أفضى الكلام بأكثرهم الى الشكوك وببعضهم الى الالحاد» [3].

وذكر ابن كثير في البداية (٥٥/١٣) رجوع الرازي عن علم الكلام الى عقيدة السلف.

القاري يحكي جواز الاستنجاء بكتب الكلام

ولهذا لما رأى العديد من علماء الشافعية والحنفية ما نتج عن تعلم علم المنطق من فرقة بين المسلمين وتناحر أفتوا بجواز الاستنجاء به اذا كان خالياً عن ذكر الله[4].

قال ابن الصلاح « أخبرني القطب الطوعاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول « يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام، وبكى» [5]. فاذا كان على علم الكلام السني فلماذا تندم على الاشتغال به؟

وما موقف الحبشي من هذه الحقيقة الفاضحة؟ إنها فاضحة المتعصبين الذين لا يهمهم ضياع الناس وفساد عقائدهم بقدر ما يهمهم صيانة مذهب الآباء والأجداد، الذين يأبون إلا أن يحيوا مبادىء علم الوسوسة التي انشىء على وزنها لفظ الفلسفة.

وهذه سنة الله في خلقه:

فالمتكلمون ينتهون الى الشك.

والمتصوفون ينتهون الى الشطح.

---

١) الفقه الاكبر بشرح ملا علي قاري ص ٥-٦.

٢) المنتظم ١٩/٩ وتلبيس ابليس ٨٥ لابن الجوزي، شذرات الذهب ٣٦١/٣ طبقات الشافعية ٢٦٠/٣ سير أعلام النبلاء ٤٧١/١٨.

٣) تلبيس ابليس ٨٢.

٤) الفقه الاكبر ١٤٦ بشرح القاري.

٥) شذرات الذهب ٢١/٥ والبداية والنهاية ٦١/١٣.

ثالثاً: هذه كتب الشافعي واحمد ومالك ليس فيها شيء من الكلام عن الاعراض والجواهر الذي ملأ الحبشي به كتابه. مع أنهم تكلموا في العقائد كثيرا، ولم يَرِد على لسانهم ذكرٌ لأهل الكلام إلا على مورد الذم والتحذير منهم. وقد نصَّ أحمد وابن المديني أن «من خاض في شيء من علم الكلام لا يُعتبر من أهل السنة **وإن أصاب بكلامه السنة** حتى يدع الجدل ويسلّم للنصوص» [1]. وروى المروذي عن أحمد أنه قال «لا يُفلح من تعاطى الكلام، ولا يخلو من أن يتجهّم» [2]. أي يصير جهمياً. ويذكر ابن الجوزي أن أحمد كان يكره الكلام ويمنع منه ويغضب لسماعه ويقرأ ﴿**وهم يجادلون في الله**﴾[3].

فإن كان الحبشي صادقاً في زعمه أن الشافعي تكلم على طريقة أهل الكلام فليأت بشيء من كتبه تضمن الكلام في العقائد طريقة الحادث والمحدث والعرض والجوهر.

وسبقه الى هذا الزعم أشاعرة متقدمون كأبي منصور البغدادي[4] فقد زعم أن علي بن أبي طالب وابن عمر وعمر بن عبد العزيز والشافعي وأبا حنيفة من أرباب علم الكلام[5]. ويدحض قوله ما نقله السيوطي عن الخطابي أنه قال « ولو كان في الصحابة قوم يذهبون مذاهب هؤلاء في الكلام والجدال لعُدوا في جملة المتكلمين ولنقل الينا أسماء متكلميهم كما نقل أسماء فقهائهم» [6].

رابعاً: أن الله ينصر دينه بالمتمسك بالسنة، ويؤيد بنصره من يشاء، وهو غني عمن يستعمل أقيسة جاهليّة اليونان يستعملها وسيلة لتحصين الدين (بزعمه)، وكأن التحصّن بالكتاب والسنة لا يكفي ولا يفي بالغرض؟! بينما الحق الذي لا محيص عنه أن الكتاب والسنة فيهما ما يغني عما ابتدعه هؤلاء من علم الكلام.

---

١) شرح أصول الاعتقاد ١:١٥٧ للالكائي.
٢) سير أعلام النبلاء ١١:٢١٦ ٢٩١ وقاله الشافعي أيضاً ٢٧/١٠.
٣) مناقب احمد لابن الجوزي ص ١٢٤ ترجمة احمد في مقدمة المسند ٨٥ طبقات الحنابلة ٢٧٠/٢.
٤) يكثر الأحباش من الاحتجاج به وهو متكلم أشعري قال الذهبي في السير « له كتب في النظر والعقليات.
٥) اصول الدين ٣٠٧-٣١٠.
٦) صون المنطق للسيوطي ٩٦.

خادم علم الحديث أم علم الكلام [1]؟

هذا العلم المذموم يتفاخر أتباع الحبشي في وصفه به. كقول أحد أتباعه (قال شيخنا امام علم الكلام) [2] ولا يدري أن هذا الوصف فيه أعظم الذم له لكثرة ما ذم السلف علم الكلام وعابوا المشتغلين به. فاذا كان السلف وصفوا علماء الكلام بأنهم زنادقة فقد جعل الأحباش شيخهم إمام الزنادقة.

وأهديه من شعر تاج الدين السبكي هذا البيت يُسمعه لشيخه:

وليس للناس في علم الكلام هدىً
بل بِدعةٌ وضلالٌ في تكسُّبه [3]

- وقد قال أبوه من قبل «وليس أضرُّ على العقائد من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية» [4].

قال ابن تيمية رحمه الله «فمن الناس من يظن أنهم - أي الأئمة - إنما أنكروا كلام القدرية فقط كما ذكره البيهقي وابن عساكر في تفسير كلام الشافعي ليُخرجوا أصحابهم [أي الأشاعرة] من الذم، وليس الأمر كذلك بل الشافعي أنكر كلام الجهمية: كلام حفص الفرد وأمثاله ممن كانت منازعاتهم في الصفات والقرآن والرؤية لا في القدر فقط، وكذلك أحمد بن حنبل: خصومه من أهل الكلام هم الجهمية».

أضاف « وطائفة تظن أن الكلام الذي ذمه السلف هو مطلق النظر والاحتجاج والمناظرة... وهؤلاء أيضاً غالطون... والقرآن فيه مناظرة الكفار والاحتجاج عليهم... والرسل كانوا يحاجون ويجادلون أقوامهم... والسلف لم يذموا جنس الكلام، فإن كل آدمي يتكلم... بل ذموا الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة» [5].

---

١) علم الحديث مصدره قال رسول الله ﷺ وعلم المنطق المتناقض مصدره قال أرسطو: هل يستويان مثلاً؟

٢) تعليق عماد الدين حيدر على كتاب الانصاف للباقلاني ١٤٩.

٣) طبقات السبكي ٦:١٦٠.

٤) مقدمة السيف الصقيل ١٢.

٥) النبوات ١٥٦ مجموع الفتاوى ١٣/١٤٧.

وقد بالغ بعض خلفاء المتكلمين في تلبيسهم وتمويههم فقال: أول متكلمي هذه الأمة سيدنا علي فإنه كان يناظر الخوارج. وهذا اعتساف وكذب: والا فليقولوا: محمد ﷺ كان أول متكلمي هذه الأمة لأنه كان يناظر أهل مكة واليهود وغيرهم.

وهذه الدعاوى يفتريها كل من أراد الترويج لفرقته:
فالشيعة يزعمون أن عليا رضي الله عنه كان شيعيا.
والصوفية يزعمون ان أبا بكر رضي الله عنه كان صوفيا.
واليهود من قبل زعموا أن ابراهيم يهوديا.
والنصارى زعموا أن ابراهيم كان نصرانيا.

زعمه أن الشافعي إمام علم الكلام

والحبشي واحد من المموهين. فقد زعم أن أول متكلمي هذه الأمة هو الشافعي فقد قال «أحكمنا هذا قبل ذاك» زعم أن معناه أحكمنا علم الكلام قبل علوم الفقه. فقد حكى الزبيدي أن الشافعي كان ينهى عن الاشتغال بعلم الكلام ويأمر بالاشتغال في الفقه [1].

وعلم التوحيد الذي أتقنه الشافعي هو علم التوحيد على طريقة سلف الأمة لا على طريقة أهل الكلام الذين بالغ الشافعي في ذمهم والتحذير منهم!. فانظر الى أهل الزيغ كيف يتتبعون ما تشابه من أقوال الأئمة ويتجاهلون قولهم الصريح في ذم علم الكلام.

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/١١.

حيرة أهل الكلام

شكوك أهل العقول تورث المرض في القلوب

واليكم نموذجاً من نماذج علم الكلام:

○ **سيف الدين الآمدي**: قال الذهبي «قال شيخنا ابن تيمية: يغلب على الآمدي الحيرة والوقف، حتى إنه أورد على نفسه سؤالا في تسلسل العلل وزعم أنه لا يعرف عنه جواباً، وبنى إثبات الصانع على ذلك، فلا يَقرر في كتبه إثبات الصانع ولا حدوث العلم ولا وحدانية الله ولا النبوات».

- قال الذهبي «وكان القاضي تقي الدين سليمان يحكي عن شيخه ابن أبي عمر قال: كنا نتردد على الآمدي فشككنا: هل يصلي أم لا؟ فنام، فعلّمنا على رجله بالحبر، فبقيت العلامة يومين مكانها، فعلِمنا أنه ما توضأ، نسألَ اللَه العافَية في الدين» [1].

صدق أبو حنيفة في حكمه على الكلام وأهله بقسوة القلب والجفاء عن الدين. وخلو النفس من الورع والتقوى وعدم المبالاة بمخالفة الكتاب والسنة [2]. وصدق الجنيد القائل « أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب» [3]. وكيف يكون علماء الكلام مدافعين عن الدين وهم بعيدون عن الدين

- لقد كان الآمدي من أكثر الناس انكباباً على علم الكلام وكان يمسك التدريس بمدرسة العزيزية فلما تولى الملك الأشرف عزله عنها ونادى أن لا يشتغل أحد بغير التفسير والحديث والفقه، ومن اشتغل بعلوم الأوائل (علوم ما قبل الاسلام) نفيتُه، فاعتزل الآمدي وبقي في منزله حتى مات [4].

فأهل الكلام أوتوا ذكاءً وما أتوا زكاءً، وأُعطوا فهوماً وما أُعطوا علوماً، وأُعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة: ﴿**فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله**﴾.

---

١) وأثنى الذهبي على ابن تيمية قائلا "هذا يدل على كمال ذهنه، إذ تقرير ذلك بالنظر لا ينهض وإنما ينهض بالكتاب والسنة (السير ٣٦٦/٢٢).

٢) سير اعلام النبلاء ٣٩٩/٦ مفتاح دار السعادة ١٣٦/٢.

٣) صون المنطق والكلام للسيوطي ٧٤و٧٧.

٤) البداية والنهاية ١٤١/١٣.

رجـوع كبـار المتكلمين الاشـاعـرة
عن علم الكلام بعد كثرة اضطراب وتناقض

وقد ثبت رجوع أناس من كبار الأشاعرة عن علم الكلام ونفضوا اليد منه وأعلنوا الرجوع عنه، ومن هؤلاء:

(١) **الامام الجويني**: الذي قال « يا أصحابنا لا تشتغلوا بعلم الكلام، فلو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به» [١]، قال ابن الجوزي « وكان الجويني قد بالغ في علم الكلام وصنّف الكتب الكثيرة فيه، ثم رأى أن مذهب السلف أولى» [٢]. ورجوع الجويني الى مذهب السلف دليل من ابن الجوزي على أن علم السلف مخالف لطريق الخلف.

ولكن السبكي زعم أن قول الجويني ليس فيه شيء مستنكر الا ما يوهم أنه كان على خلاف السلف» [٣]. وهذا تعصب من السبكي:

فإن للجويني كلاماً يصرح فيه بمخالفة السلف إذ قال « وغصت في الذي نهى أهل الاسلام عنه» [٤].

(٢) **فخر الدين الرازي**: الذي أوصى وصية قبل موته قال فيها « لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا» الى أن قال « ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» [٥].

وجاء في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة [٦] ما نصه « قال ابن الصلاح: أخبرني القطب الطوغاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام. وبكى». ونحن نعلم أن الرازي لم يكن إلا أشعرياً حين كان على علم الكلام.

وقد نقد الحافظ ابن حجر مسلك الرازي عندما كان على منهج أهل

---

١) فتح الباري١٣/٣٥٠ سيرأعلام النبلاء ١٨/٤٧٤ طبقات السبكي٣/٢٦٠ و٥/١٨٥ طبعة محققة شرح الفقه الأكبر للقاري ٦ المنتظم لابن الجوزي ٩/١٩ صون المنطق ١٨٤.

٢) المنتظم لابن الجوزي ٩/١٩.

٣) طبقات السبكي ٥/١٩١ محققة.

٤) سير أعلام النبلاء ١١/٥٠٧.

٥) سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠١ اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢/٥٤ طبقات السبكي ٥/٣٧.

٦) طبقات الشافعية ٢:٨٢.

الكلام، وذكر أنه كان ميّالاً الى التشيع وأنه كان يورد شبهات المخالفين في المذهب والدين على غاية من الدقة والتفصيل، ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهاء.

قال الحافظ «وقد مات الفخر الرازي يوم الاثنين سنة ست وست مائة وأوصى بوصية تدل على أنه حسُن اعتقادُه» [1] فعلى أي عقيدة كان وإلى أي عقيدة انتقل!.

ويعطينا ابن كثير ملخصاً عن هذه الوصية فيقول « وقد ذُكِرَتْ وصيتُه عند موته وأنه رجع عن علم الكلام فيها الى طريقة السَلف وتسليم ما ورد على الوجه المراد اللائق بجلال الله» [2].

(٣) **الامام الغزالي** الذي صنف كتاب « إلجام العوام عن علم الكلام» قبل موته بأيام [3]، حرَّم فيه تعاطي علم الكلام وقرر أن مذهب السلف هو الحق، أن من خالفهم في منهجهم فهو مبتدع [4]، وأنه ينبغي أن يعرف الخلق ربهم بأدلة القرآن لا بقول المتكلمين أن الاعراض حادثة وأن الجواهر لا تخلو عن الأعراض الحادثة:

فانه ما ثار الشر الا منذ نبغ المتكلمون. وعلم الكلام ليس الا معالجة المرضى بالمرض ودفع الشر بالشر ومن لا يقنعه أدلة القرآن لا يقمعه الا السيف والسنان، فانه ما بعد بيان الله بيان [5].

---

١) لسان الميزان ٤٢٨/٤.

٢) البداية والنهاية ٥٥:١٣.

٣) انظر دراسة الدكتور بدوي للترتيب الزمني لهذا الكتاب «مؤلفات الغزالي٢٣١».

٤) الجام العوام عن علم الكلام٦٢.

٥) الجام العوام ٨٧و٨٩.



الاختلاف بين الأشعرية والماتريدية

علامة الفرقة الناجية عند الحبشي

قد أعطانا الحبشي علامة نعرف بها الفرقة الناجية من غيرها، ومن علاماتها:

* أنها لا تختلف فيما بينها في أصول العقيدة التي كان عليها الرسول ﷺ وأصحابه، وانما تختلف في فروع الأحكام، وذلك تأسيا منها بالصحابة الذين لم يختلفوا في أصول العقيدة وانما حصل الخلاف بينهم في الأحكام. قال: فهذه الفرقة تسمى لذلك (أهل السنة والجماعة). والى هنا نتفق مع الحبشي.

وهذا ما قاله العز بن عبد السلام « فأصول الدين ليس فيها مذاهب فإن الأصل واحد، والخلاف في الفروع» [١].

ولكننا نخالفه عندما يزعم أن السنة يمثلها اثنان مختلفان فيما بينهما هما أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي [٢].

ولا يخفاك كلام العلماء في الأشعري كقول ابن حزم « وأبعدهم (أي المرجئة) عن أهل السنة: أصحاب جهم بن صفوان والأشعري». وقول ابن الجوزي « لم يختلف الناس حتى جاء علي بن اسماعيل الأشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عنّ له فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس، فأوجبت دعواه هذه أن ما عندنا مخلوق»[٣].

وقد وافق الماتريدية المعتزلة القائلين بأن الله لما كلم موسى تولى تخليق كلام في الشجرة باعتراف الحبشي الذي قال بأن البيهقي زيف هذا الرأي [٤].

وكتم على الناس أن البيهقي ذكر بأن الاشعري قد استشنع هذا القول وأبطله بحجة قوية وهي أنه يلزمه أن تكون الشجرة بذلك الكلام

---

١) طبقات السبكي ٨/٢٣٣ محققة.

٢) وهذا تجاهل للإمام أحمد الذي هو أقرب الى السنة والحديث منهما وكان له دورٌ متميز في تقرير السنة بالاتفاق ومع ذلك لم يشتق للعقيدة أسماً مشتقاً من اسمه. ومذهب أهل السنة مذهب معروفٌ قبل أن يخلق الله الأشعري والماتريدي.

٣) كتاب صيد الخاطر ١٨١و١٨٣.

٤) الدليل القويم ٧١.

متكلمة وأن يكون مخلوقاً من المخلوقين قال ﴿انني أنا الله﴾ وهذا القول من الماتريدي مخالفة عظيمة لأهل السنة»[1].

ومع ذلك يزعم الحبشي أنه ليس هناك من خلاف بين المذهب الأشعري وبين المذهب الماتريدي في أصول العقائد. وأن السنة قد تقرَّرتْ بهذين الرجلين العظيمين» [2].

وبناء على ما قال : يتقرر لدينا أن لا يكون هناك أي خلاف بين أفراد هاتين الطائفتين، والا فأي خلاف بينهما في أصول العقائد يكون دليلا على:

- أنهما لا تمثلان الفرقة الناجية.
- أن السماح للفرقتين بالاختلاف في أمور العقائد هو تجويز للاجتهاد والقوم يحرمون الاجتهاد في أمور العقائد. فكثيرا ما يقولون « لا اجتهاد في أمور العقائد».

الرد على ذلك:

ولكن كيف تكون الفرقتان فرقة واحدة وناجية مع أن أحدهما (الاشاعرة) لم تنج من تبديع الأخرى (الماتريدية) لها بل وتكفيرها في بعض المسائل.

---

1) الاعتقاد للبيهقي ٩٦ تحقيق أحمد عصام الكاتب.

2) الدليل القويم ١٧٥ وهو يخفي بذلك حقيقة مهمة سطرها الحافظ ابن عساكر وهي أن الاشعري انتهى الى التسليم بما كان عليه الامام أحمد لأنه الامام الكامل الذي أظهر الله على يديه السنة وقمع به البدعة» (تبيين كذب المفتري ١٥٨).

السبكي يتبرم من تكفير الأحناف للاشاعرة

الحقيقة أننا نجد الخلاف بين الماتريدية والأشعرية عميقاً جدا وبينهما اختلافات كثيرة في أصول الدين لا في فروع الأحكام. كيف لا وقد تبرم السبكي من تكفير جماعة من الحنفية (الماتريدية) للشافعية وفتواهم بعدم جواز الصلاة خلفهم لأنهم أقروا قول القائل (أنا مؤمن إن شاء الله) وأن الشافعية يكفرون بذلك[1]، وحكاه المرتضى في اتحاف السادة المتقين (٢٧٨/٢). وكذلك نهوا عن الصلاة وراء الأشعرية لقولهم بخلق الإيمان!!!

يقول الشيخ محمد أبو زهرة « لقد كان كثيرون يعتقدون أن الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية ليس كبيرا، ولكن وعند الدراسة العميقة لآراء الماتريدي وآراء الأشعري في آخر ما انتهى اليه نجد ثمة فرق في التفكير، بيد أن أحدهما كان يعطي العقل سلطانا أكثر مما يعطيه الآخر»[2]. يقصد الماتريدية الذين اقتربوا بمدرستهم العقلانية من المعتزلة.

---

١) فتاوى السبكي ٥٣/١.

٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ١٧٦.

اول خلافهما حول وجود الله

وأول مسألة اختلف الماتريدية والأشاعرة حولها هي: وجود الله: هل هو عين الذات أم زائد على الذات؟ حكاه المرتضى الزبيدي عن السبكي [1]. بل صار خلافاً بين الأشاعرة أنفسهم فقد قال الرازي بأن وجود الله زائد على ذاته مخالفاً بذلك الأشعري نفسه.

فكيف يكون خلافهما فرعياً وأول خلافهم حول وجود الله؟

الرسائل المؤلفة حول الفرق بين الفرقتين

ولولا وجود هذا الخلاف لما أفرد أتباع كل من الفرقتين مؤلفات تتناول أوجه الخلاف بين الفرقتين، ومن بين هذه المؤلفات:

١) قرة العين في جمع البين للسبكي.

٢) مرتضى الزبيدي في كتاب (إتحاف السادة المتقين).

٣) العقد الجوهري في الفرق بين الماتريدي والأشعري: تأليف خالد بن أحمد بن حسين النقشبندي، أثبته له الكوثري [2].

٤) رسالة في الفرق بين الأشعرية والماتريدية: عمر الهاتفي الفاروقي [3].

٥) رسالة في الفرق بين مذهب الأشاعرة والماتريدية للشيخ يحيى بن علي بن نصوح [4].

٦) الدرر المضية فيما وقع فيه الخلاف [5] لعبد الملك بن عبد الله الجويري.

٧) نظم الفرائد وجمع الفوائد في المسائل المختلف عليها بين الأشاعرة والماتريدية للشيخ زادة (علي بن عبد الرحيم) [6].

٨) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لابن عذبة.

٩) اشارات المرام للبياضي: عقد فيه فصلا ذكر فيه خمسين مسألة من مسائل النزاع بين الأشاعرة والماتريدية.

١٠) رسالة في الفرق بين الماتريدي والأشعري لأحمد بن الحسين

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/٩٥.

٢) محفوظ بدار الكتب المصرية (٣٢٥) وانظر كتاب إرغام المريد في شرح النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية ٣٨.

٣) المكتبة الأزهرية [٣٩٣].

٤) مكتبة ليدن بهولندة ١٨٨٢.

٥) المتحف البريطاني برقم ٧٧٥٥٧٤.

٦) عبد الرحيم بن علي بن المؤيد الاماسي الرومي الحنفي الماتريدي الشهير بشيخ زادة. أنظر اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢/١٢.

عبد الكريم الجوهري [1].

١١) خلافيات الحكماء مع المتكلمين وخلافيات الأشاعرة مع الماتريدية لعبد الله بن عثمان بن موسى (مخطوط).

أما أهم الكتب المعاصرة التي تناولت الاختلافات بين الفرقتين فهي:

١٢) نشأة الأشعرية وتطورها. ألفه جلال موسى.

١٣) امام أهل السنة أبو منصور الماتريدي لعبد الفتاح المغربي.

١٤) تاريخ المذاهب الاسلامية. تأليف محمد أبي زهرة.

١٥) عقيدة الاسلام والامام الماتريدي. تأليف محمد أيوب علي.

١٦) مقدمة وتحقيق كتاب التوحيد للماتريدي د. فتح الله خليف.

وهؤلاء جميعهم بين ماتريدي وأشعري معترفون بكثرة الاختلافات الواقعة في أصول العقيدة بين الفريقين لا في فروع الأحكام. وبعض هذه الخلافات أدى الى تضليل وتسفيه بل وتكفير بين الفرقتين. حتى اننا نجد في فتاوى الكردري أن الحنفية اتفقوا على عدم جواز الصلاة خلف من يقول من الأشاعرة بأن الايمان مخلوق بل وتكفيره [2]. ومعلوم أن الأشعرية يقولون بأن الايمان مخلوق.

وهناك كتب قد حسمت الخلاف بين الفريقين وأثبتت القول الموافق للحق مؤيداً بالأدلة من الكتاب والسنة منها :

١) كتاب الماتريدية: لأحمد الحربي.

٢) الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس السلفي الأفغاني طبع في ثلاثة مجلدات.

٣) المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين: تأليف الدكتور محمد العروسي عبد القادر. وقد ألفيته كتاباً من أهم الكتب التي تحدثت عن مسائل الخلاف بين الأشعرية والماتريدية.

---

١) محفوظ بدار الكتب المصرية ١/٣٣٩.

٢) أنظر نظم الفرائد وجمع الفوائد ص ٤٣ - ٤٤ للشيخ زادة ط: المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧ هـ.

وبناء على براءة الحبشي ممن خالف الأشعري حيث قال شعراً:

شيئان من يعذلني فيهما فهو على التحقيق مني بري
حب أبي بكرٍ إمام الهدى ثم اعتقادي مذهب الأشعري [١]

فيلزمه بمقتضى قوله: البراءة من الماتريدية لأنهم مخالفون للأشعري في كثير من أمور العقائد:

[١] الماتريدي لا يفرق بين صفات الذات وبين صفات الفعل لله تعالى، فهي عنده كلها قديمة، قال « والقول بحدوث شيء منها يؤدي الى القول بتغير الله وهو يؤدي الى عبادة غير الله» [٢] **بينما يفرق الأشعري** بينهما. وقد اعترف ابن حجر المكي الهيتمي والشيخ ملا علي قاري بهذا الخلاف بين الفرقتين فقالا « صفات الأفعال حادثة عند الأشاعرة قديمة عند الماتريدية» [٣].

فالخلاف في صفات الله هل هي قديمة أم مسبوقة بالعدم ليس خلافاً في الفروع لا سيما وأن الماتريدية يرون مخالفهم في هذه المسألة عابداً لغير الله.

وقد أشار ابن عذبة في الروضة الى أن الماتريدية يخالفون بذلك رأي أبي حنيفة الذي نجده يوافق مذهب الأشاعرة في التفريق بين صفات الذات وصفات الفعل كما نقله عنه الطحاوي [٤].

وترتب عليه اختلافهم في أسماء الله الحسنى، فقال صاحب فيض الباري « والأسماء الحسنى عند الأشاعرة عبارة عن الإضافات، وأما عند الماتريدية فكلها مندرجة في صفة التكوين»[٥].

- وترتب على هذا الاختلاف أيضا خلاف في صفة الحكمة لله تعالى فهي أزلية بمعنى الاتقان والاحكام كما عند الماتريدي وليست

---

١) الدليل القويم ٧.
٢) التوحيد للماتريدي ٥٣ و ١٠٨ اتحاف السادة المتقين ١٥٨/٢.
٣) فتح المبين شرح الأربعين ٧٨ الفقه الاكبر بشرح القاري ١٤.
٤) الروضة البهية ٣٩ لابن عذبة.
٥) فيض الباري ٥١٧/٤ للشيخ أنور شاه الكشميري.

كذلك عند الأشعري [١].

وترتب على ذلك تسوية الأشعري بين الارادة والرضى. فالله عند الأشعرية يحب الكفر ويرضاه كفراً معاقباً عليه. فإن من أراد شيئاً أو شاءه فقد رضيه وأحبه، واعتبر البزدوي ذلك من جملة مخالفات الأشعري لأهل السنة (يريد الماتريدية) الذين يرون المشيئة شيئاً غير المحبة والرضا. حكاه المرتضى الزبيدي. فالماتريدية يذهبون إلى أن الارادة لا تستلزم الرضى والمحبة[٢].

[٢] ذهب الماتريدية الى أن الواجب تحقق الحقيقة في نفسها بحيث تتنزه عن قابلية العدم. أما **الأشاعرة** فيرون أن الذات مقتضى الوجود[٣].

[٣] الوجوب عند الماتريدية ليس أمرا زائدا على الذات. **وعند الأشاعرة** أن الوجوب أمر اعتباري لا وجود له في الخارج [٤].

[٤] الماتريدية لا يرون تكليف الله لعباده الا فيما يقدرون عليه. أما الأشعري فقد أجاز على الله أن يكلف عباده ما لا يطيقونه، فلو أمر الله عبده بالجمع بين الضدين لم يكن سفهاً ولا مستحيلا، حكاه عنه المرتضى الزبيدي وانتقده عليه. ونقل عن علماء الحنفية أنه خالف بذلك قول أبي حنيفة: والله لا يكلف العباد ما لا يطيقون» وخالفه الاسفراييني والغزالي [٥].

وقد نقل الزبيدي عن علماء الأشاعرة بأن التكليف بما لا يطاق جائز عقلا ممنوع شرعاً[٦] وقد خالف الجويني شيخه الأشعري فمنع تكليف ما لا يطاق مع أنه كان يقول به [٧].

---

١) اللمع للاشعري ٣٨ نظم الفرائد ٢٨.
٢) اتحاف السادة٢/١٧٦ أصول الدين للبزدوي٢٤٥ الروضة البهية ١٧.
٣) نظم الفرائد ٣.
٤) نظم الفرائد ٤ اتحاف السادة المتقين ٢/٩٤.
٥) اتحاف السادة المتقين ٢/١٨١-١٨٢ نظم الفرائد ٢٥ التوحيد ٢٢١ اللمع ٦٨ الارشاد ٢٣٦ الروضة البهية.
٦) اتحاف السادة المتقين ٢/١٨٣.
٧) البرهان في أصول الفقه ١/٨٩ (فقرة ٢٨).

[٥] الماتريدية يرون أن الله يفعل لحكمة تقتضي الفعل، بينما يرى الاشاعرة أن أفعاله تعالى على الجواز لا على اللزوم. وألزمهم الماتريدية باعتقاد جواز العبث في أفعاله تعالى [١]. بينما ألزمهم الاشاعرة بالقول بحاجة الله للأسباب

[٦] ذهب الماتريدية الى امتناع ان يخلف الله وعيده ووعده، وذهب الاشاعرة الى جواز اخلاف الله لوعيده [٢].

[٧] ذهب الماتريدية الى أن الله لا يفعل القبيح. وقالوا: لا يجوز ما يقوله الأشاعرة من جواز تعذيب المطيعين وتخليد الأنبياء في النار، وادخال الكافرين الجنة. وعلل الاشاعرة القول بأن الله مالك مطلق يحق له التصرف في عباده كيف يشاء حتى قالوا بجواز عفو الله عن الكافر.

ونقل الزبيدي عن النسفي أن الأشاعرة يرون جواز تخليد الكفار في الجنة وتخليد المؤمنين في النار عقلا وإن كان ورد الشرع بخلافه[٣]

○ ولقد صرّح الفخر الرازي بقول عجيب حين تناول تفسير قوله تعالى ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ وافترض السؤال التالي: كيف جاز لعيسى أن يقول: (وإن تغفر لهم). والله لا يغفر الشرك؟ قال: يجوز على مذهبنا من الله تعالى أن يُدخِلَ الكفارَ الجنة، وأن يُدخل الزّهاد والعبّاد النار». قال: وقوله ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به﴾ نقول: إن غفرانه جائز عندنا» [٤].

وبعد هذا تتبجحون بأن الدليل العقلي مقدم على الدليل الشرعي: أهذا ما أنتجته عقولكم المريضة؟

[٨] وذهب الماتريدية الى أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها وأن معرفة الله بالعقل، حتى قال الصدر في التعديل « كل ما هو واجب عقلا فهو حسن عقلا، وكل ما هو حرام عقلا فهو قبيح عقلا ومن هنا قالوا ان العقل آلة في معرفة الله وأنه كاف في القاء الحجة على صاحبه وان لم يرسل الله رسلا. وعلى هذا فكل من لم تبلغه رسالة الأنبياء ولم

---

١) نظم الفرائد ٢٧.
٢) نظم الفرائد ٢٩.
٣) اتحاف السادة المتقين ٢/ ١٨٥ نظم الفرائد ٣٠ وانظر الروضة البهية ٣٢ ـ٣٣ اتحاف السادة المتقين ٢/ ٩.
٤) التفسير الكبير للرازي ص ١٢/ ١٣٦.

[٨] وذهب الماتريدية الى أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها وأن معرفة الله بالعقل، حتى قال الصدر في التعديل « كل ما هو واجب عقلا فهو حسن عقلا، وكل ما هو حرام عقلا فهو قبيح عقلا ومن هنا قالوا ان العقل آلة في معرفة الله وأنه كاف في القاء الحجة على صاحبه وان لم يرسل الله رسلا. وعلى هذا فكل من لم تبلغه رسالة الأنبياء ولم يؤمن فهو كافر مخلد في النار. وخالفهم الأشاعرة في ذلك مستدلين بقوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ » [١] وقالوا «أن ارادة الله في الشرع مطلقة لا يقيدها شيء، فهو خالق الأشياء وهو خالق القبيح والحسن... ولا عبرة بأوامر العقل، انما العبرة بأوامر الشارع الحكيم» [٢]. وترتب على هذا خلاف آخر وهو:

[٩] معرفة الله تعالى : هل هي بالعقل أم بالسمع؟ فعند الأشعري بالشرع، وأنه لا يجب إيمانٌ ولا يحرم قبل ورود الشرع. وعند الماتريدي: بالعقل. قال صاحب النونية:

أما الماتريدية فكانوا في مخالفة الأشاعرة أقرب الى قول المعتزلة بل قولهم وقول المعتزلة على السواء كما ذكر ابن عذبة، الا أنهم يختلفون معهم في وجوب ذلك على الصبي العاقل غير البالغ: اذا مات بدون تصديق هل هو معذور أم لا ؟ [٣].

[١٠] الماتريدية يرون وجوب الايمان بالعقل، ولا يرون زيادة الايمان ونقصانه. ويحرمون الاستثناء فيه ومن قال آمنت بالله ان شاء الله فهو كافر لأنه شاك في ايمانه. والاسلام والايمان واحد[٤]. **بينما يرى الأشاعرة** وجوب الايمان بالشرع. والايمان يزيد وينقص ويجوز الاستثناء فيه. ولا يرونه والاسلام شيئا واحدا وانما أحدهما مغاير[٥].

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/١٩٣ نظم الفرائد ٣٥، الروضة البهية ٣٤-٣٧ اشارات المرام ٩٣.

٢) أصول الفقه للشيخ محمد أبي زهرة ٥٥ المسايرة ٩٧ لابن الهمام شرح الفقه الاكبر١٣٧ وتأويلات أهل السنة للماتريدي ١/ ٤٤٤ وهذا يلزم منه أن الناس لا يعرفون قبيحاً قبل ورود الشرع، وهذا باطل فالبشرية تعارفت على أمور قبيحة وجاء الشرع بتأكيد قبحها وكذلك العكس وقد قال النبي ﷺ لحكيم بن حزام " أسلمت على ما أسلفت من خير" متفق عليه.

٣) الروضة البهية ٣٤ - ٣٧.

٤) وممن قاله أبو بكر محمد الفضلي الكماري البخاري.

ومن تناقضات الأشاعرة أنهم ينصرون مذهب السلف في الاستثناء مع مناصرتهم لمذهب الجهمية في الايمان، حيث حدوه بالمعرفة أو التصديق، ولكنهم يعلقون الايمان على ما يختم للمرء من العمل ويسمونه بالموافاة أي أن الايمان « المعتبر هو ايمان الموافاة الواصل الى آخر الحياة»(١). وهذا تناقض.

○ وقد تقدم تبرم السبكي من تكفير جماعة من الحنفية (الماتريدية) للشافعية وفتواهم بعدم جواز الصلاة خلفهم لأنهم أقروا قول القائل (أنا مؤمن ان شاء الله) وأن الشافعية يكفرون بذلك(٢)، وحكاه المرتضى في اتحاف السادة المتقين (٢/٢٧٨).

[١١] ذهب الماتريدية الى أن الايمان غير مخلوق. **وذهب الأشاعرة** الى أنه مخلوق. قال الكردري « قال الامام محمد بن الفضل: من قال الايمان مخلوق لا تجوز الصلاة خلفه. واتفقوا على أنه كافر (٣) وبناء على ما نقله الكردري **يصير الأشاعرة** في نظر الماتريدية غير مسلمين فضلا عن أن يكونوا من الفرقة الناجية !.

واننا لنعجب حين نجد ابن عذبة وهو يروي لنا أن أول من قال بخلق الايمان أبو حنيفة نفسه، وأن الخلاف في هذه المسألة ناشيء بين أهل بخارى وسمرقند وكلاهما ماتريديون (٤).

[١٢] اتفق الماتريدية والأشعرية على الكلام النفسي ثم ما لبثوا أن اختلفوا في سماع موسى كلام الله: هل سمع كلامه القديم أم أنه سمع ما يدل على سماعه؟ فاختار الماتريدي أنه لم يسمع وحملوا نصوص السماع على أن الله خلق صوتا في الشجرة (٥) **وأجاز الأشعري** سماع الكلام النفسي القديم، وذكر ابن عذبة أن أبا الحسن ذكر في كتابه «الابانة» مقالة أهل السنة والحديث في مسألة الكلام. وهذا اثبات بأن الكتاب معتمد عند القوم، وتجاهل المتأخرين له مكابرة.

---

٥) نظم الفرائد ٣٩و٤٨ الروضة البهية ٦.

١) الفقه الاكبر شرح القاري ١١٨ مشكل الحديث لابن فورك ١٨٨.

٢) فتاوى السبكي ١/٥٣.

٣) نظم الفرائد ٤٣ اتحاف السادة ٢/٢٨٣ الفقه الاكبر ١٢٠.

٤) الروضة البهية ٧١ ـ ٧٥.

٥) اتحاف السادة ٢/١٤٧ نظم الفرائد ١٥ الروضة البهية ٥٠ـ٥٣.

[١٢] ثم اختلفوا - ولا يزالون مختلفين - هل اذا كان الله متكلماً أزلا بمعنى أنه لم يزل آمراً ناهياً وهذا الأمر والنهي متعلق بمكلَف معدوم سيوجَد ولم يُخلَق بعد؟ ذهب **الأشعري** الى ذلك بينما خالفهم الماتريدية، ومخالفتهم للأشعري تبطل نفيهم لصفات الأفعال الالهية[١].

[١٣] اتفقت الماتريدية على خلق الله لأفعال العباد ثم اختلفوا: هل لقدرة العبد تأثير؟ فإلى الأول ذهب الماتريدية والى الثاني **جنحت الأشاعرة**. ورأى الماتريدي وجود أثر القدرة للعبد في وصف الفعل، ورأى الأشعري أن كل شيء خاضع قسرا للقدرة الالهية المطلقة.

واعتبر البزدوي بأن مسألة الأفعال هي من شر المسائل التي خالف بها الأشعري أهل السنة (يريد الماتريدية). وذكر ابن عذبة أن الجويني غلا في اثبات الأثر لقدرة العبد. قال « وهذا مذهب المعتزلة »[٢]

[١٤] واختلفوا في مسألة التكوين والمكون، فرأى الماتريدية أن التكوين صفة أزلية والمكوَن حادث، وهي تغاير بذلك القدرة لتساوي القدرة في جميع المخلوقات [٣].

وترتب عليه اختلافهم في أسماء الله الحسنى، فقال صاحب فيض الباري « والأسماء الحسنى عند الأشاعرة عبارة عن الإضافات، وأما عند الماتريدية فكلها مندرجة في صفة التكوين»[٤].

فهي عند الأشاعرة سبع وعند الماتريدية ثمانية. قال القاري « فالصفات الأزلية عندنا ثمانية لا كما زعم الأشعري من أن الصفات الفعلية إضافات، ولا كما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر بكون كل من الصفات الفعلية صفات حقيقية أزلية: فإنه تكثير للقدماء» [٥]. أي اعتقاد بتعدد الآلهة.

غير أن ابن الهمام قد اعترف بأن ما يدعيه الأحناف المتأخرون من أن الصفات الفعلية راجعة الى التكوين وأنها زائدة على السبع ليس

---

١) اتحاف السادة المتقين ١٤٩/٢.
٢) التوحيد ٢٤٣ العلم الشامخ ٢٢٦ الروضة البهية ٢٩-٣٠.
٣) البزدوي ٦٩ البداية للصابوني ٦٧ الروضة البهية ٣٩.
٤) فيض الباري ٥١٧/٤ للشيخ أنور شاه الكشميري.
٥) الفقه الاكبر شرح القاري ٢٠.

في كلام أبي حنيفة ولا متقدمي أصحابه وإنما حدث هذا القول في زمن الماتريدي[1]. وهذا اعتراف منه بمخالفة الماتريدية الأحناف لأبي حنيفة في العقيدة.

أما الأشاعرة فيرون أن التكوين هو عين المكون وهو حادث. قال أبو المعين النسفي « وقول أكثر المعتزلة وجميع النجارية والأشعرية: أن التكوين والمكون واحد قولٌ محال» [2].

وقد انتقد السرهندي عقيدة الأشعري لذلك فقال « ولما لم يطلع الأشعري على حقيقة فعل الحق جل سلطانه قال بحدوث التكوين وحدوث أفعاله تعالى ولم يدر أن هذه الحادثات آثار فعله تعالى الأزلي لا نفس أفعاله»[3]. وهذا اعتراف من الزبيدي بمخالفات الأشعري في العقيدة.

[١٥] واختلفوا في صفة (كن) التي يخلق الله بها الأشياء، فذهب الماتريدية الى أنها كناية عن سرعة الايجاد فهي ليست كلمة على الحقيقة وانما هي كلمة مجازا. وذهب الأشعري الى أن وجود الأشياء متعلق بكلامه الأزلي، وأن هذه الكلمة دالة عليه [4].

[١٦] ذهب الماتريدية الى أن التوفيق: هو التيسير والنصرة، وذهب الأشعري الى أن التوفيق هو خلق القدرة على الطاعة [5].

[١٧] واختلفوا في السعادة والشقاوة هل تتبدلان أم لا؟ فقال الماتريدية: إن السعيد قد يشقى والشقي قد يسعد. وسبب اجازة الماتريدي تبدل السعادة والشقاوة : لأنهما من أفعال العباد وليس في تغيرهما تغير لما كان مكتوبا في اللوح المحفوظ. واستنكر مشايخ الحنفية مقولة من يمنعون تبدل الشقاوة والسعادة (يريدون الأشعري ومن وافقه) وذكروا أن ذلك يؤدي الى إبطال الكتب وارسال الرسل [6]

---

١) المسايرة ٩٠.
٢) التمهيد ٢٩ وتبصرة الادلة ١٩٣.
٣) مكتوبات الامام الرباني ٢٦٢.
٤) التوحيد للماتريدي ٤٩ تأويلات أهل السنة ٢١٨/١ الابانة ٢٥ اللمع ١٢٣ نظم الفرائد ١٩.
٥) نظم الفرائد ٢٤-٢٥.
٦) نظم الفرائد ٤٦ الابانة ٦٥ الروضة البهية ٨-١١.

وخالفهم الأشعري فقال: ان السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه. قال الخاطري: ان الأشاعرة قالوا إن أبا بكر وعمر كانا مؤمنين في حال سجودهما للصنم. وأن سحرة فرعون كانوا مؤمنين في حال حلفهم بعزته (١). وهذه شهادة ماتريدية على مخالفة الأشعري لكتب الله ورسله.

[١٨] اتفقوا على جواز رؤية الله في الآخرة، واختلفوا في الدليل عليه فذهب الماتريدية الى أن الدليل على ذلك سمعي مستدلا عليه بالكتاب والسنة. أما الأشعري فيرى أن الدليل عقلي ولم يرتض بعض الأشاعرة رأي امامهم كالرازي فانحازوا الى رأي الماتريدية (٢).

[١٩] واختلفوا في صفة البقاء لله : هل هو باق ببقاء زائد على الذات أم أنه باق بذاته لا ببقاء؟ فذهب الأشعري وأكثر أصحابه الى أن البقاء صفة زائدة على الذات. وأيده بعض الماتريدية في حين ذكر ابن عذبة مخالفة امام الحرمين والقاضي أبي بكر لرأي الأشعري. وأرجع الآمدي في أبكار الأفكار أصل قولهما الى المعتزلة (٣).

[٢٠] وذهب الماتريدية الى أن صفة السمع والبصر تتعلق بما يصح أن يكون مسموعا ومبصرا. وذهب الأشعري الى أنهما يتعلقان بكل موجود، يسمع ويرى في الأزل ذاته العلية ويسمع فيما لا يزال ذوات الكائنات كلها وجميع صفاتها الوجودية. ورد الشيخ علي القاري ذلك بأنه قول مجرد عن الأدلة وهو بدعة في الشريعة (٤).

[٢١] واختلفوا في ايمان المقلد فاشترط الأشعري والباقلاني والاسفراييني وامام الحرمين على المسلم أن يعرف كل مسألة بأدلتها كشرط لصحة ايمانه والا كان كما يصفه القشيري « ساقطا عن سنن النجاة، واقعا في أسر الهلاك» (٥) بينما ينكر القشيري نفسه نسبة هذا القول للأشعري مؤكدا أن ذلك من مفتريات الكرامية على الامام. ويلاحظ كما في الروضة البهية انكار القشيري نسبة المسائل التي لا

---

١) نظم الفرائد ٤٧.

٢) اللمع ٦١ المحصل للرازي ١٧٨.

٣) مقدمة د. خليف على كتاب التوحيد للماتريدي ١٩ الروضة البهية ٦٦ أبكار الافكار ١/٢٢٩.

٤) نظم الفرائد ١٠ -١١.

٥) نظم الفرائد ٤٠-٤١. الروضة البهية ٢١ ـ ٢٣.

تتناسب ومذهب **الأشاعرة** الى الاشعري. ويعزو هذه النسبة الى مفتريات الكرامية. ولكن صرح البغدادي بأن الأشعري قال عن المقلد « خرج من الكفر لكنه لم يستحق اسم المؤمن» [١]. وهذا شبيه بالمنزلة بين المنزلتين التي قررها المعتزلة.

وأفرط بعض الأشعرية كالقاضي ابن العربي والجويني فقالا « يلزم المصلي عند الاحرام أن يذكر حدوث العالم وأدلته، وإثبات الأعراض، واستحالة قدم الجواهر وأدلة العلم بالصانع، وما يجب لله وما يستحيل» [٢].

[٢٢] وأنكر الماتريدية أن يكون الله أرسل رسلا نساء واشترطوا ذكورة النبي **أما الأشاعرة** فلم يروا ذكورة النبي شرطا ، بل صحت نبوة النساء عندهم بدليل قوله تعالى ﴿وأوحينا الى أم موسى﴾ [٣] »(القصص٧). وليت شعري لمَ لا تصح عندهم نبوة النحل وقد قال تعالى **﴿وأوحى ربك الى النحل﴾**.

[٢٣] واختلفوا في القدرة : هل تصلح للضدين ؟ فذهب الماتريدية الى أنها تصلح للضدين، وذهب **الأشاعرة** الىأنها لا تصلح للضدين، بل لكل منهما قدرة على حدة [٤].

[٢٤] واختلفوا في القضاء والقدر: فالقضاء عند الأشاعرة يرجع الى الارادة والقدر الى الخلق، وعند الماتريدية هما غير الارادة فالقضاء بمعنى الخلق والقدر بمعنى التقدير خلافاً للأشاعرة[٥].

[٢٥] واختلفوا في الأعمال التي حبطت بالردة: هل تعود بعد التوبة منها أم لا؟ فقال الماتريدية لا تعود، وخالفهم **الأشاعرة** فقالوا تعود[٦].

---

١) أصول الدين ٢٥٥ منشورات دار الآفاق - لبنان.
٢) الذخيرة للقرافي ١٣٦/٢ ط: دار الغرب.
٣) نظم الفرائد ٤٩-٥٠.
٤) نظم الفرائد ٥٢.
٥) اتحاف السادة المتقين ١٧٢/٢.
٦) نظم الفرائد ٥٦ - ٥٧.

[٢٦] واختلفوا في الكفار: هل يعاقبون على ترك الفروض والواجبات بجانب الكفر؟ فقال الماتريدية: يعاقبون على ترك الاعتقاد دون الفروض وقال الأشاعرة يعاقبون على ترك العبادات زيادة على عقوبة الكفر(١).

[٢٧] واختلفوا في توبة اليأس: هل هي مقبولة أم لا ؟ فذهب الماتريدية الى أنها مقبولة وأن ايمان اليأس غير مقبول. وذهب الأشاعرة الى أن توبة اليأس لا تقبل كايمان اليأس (٢).

[٢٨] وذهب الماتريدية الى أن الشم والذوق واللمس ليسوا صفة زائدة لله بل هو نوع من العلم في حقه، بدليل أن ذلك الادراك يهم العروض بأمور حادثة ينزه الله عنها. وذهب الأشاعرة الى أن المماثلة تثبت بالاشتراك حتى لو اختلفا في وصف لا تثبت المماثلة. فاستنكر النسفي ذلك وقال: « لا نقول ما يقول الأشاعرة من أنه لا مماثلة الا بالمساواة في جميع الأوصاف»(٣). ويا ليتهم طردوا ذلك في غيره من الصفات إذن لبرأوا من مرض التعطيل.

[٢٩] واختلفوا في عصمة الأنبياء: فمنع الأشاعرة وقوع الكبائر من الأنبياء مطلقا، وجوزوا عليهم الصغائر سهوا، ومنهم من منع وقوع شيء من ذلك مطلقا كالاسفراييني والقاضي عياض المكي (٤) وهم بذلك موافقون للماتريدية.

فهذه بعض ما عند الماتريدية والأشاعرة من الخلاف عدها عبد الرحيم شيخ زادة الى خمسين مسألة في كتابه نظم الفرائد وقد أثنى المرتضى الزبيدي على صاحب الكتاب واعتمد كتابه(٥).

---

١) نظم الفرائد ٥٨.
٢) نظم الفرائد ٥٩.
٣) نظم الفرائد ٥٩.
٤) الروضة البهية ٥٧و٦٢.
٥) اتحاف السادة المتقين ٢/١٢.

التعقيب على الزبيدي

ثم إن الزبيدي أضاف الى الماتريدية والأشعرية « الناجيتين» فرقة ثالثة: وهم أهل الكشف الصوفية» [1].

فهل هما اثنتان أم ثلاثة؟!

قال الزبيدي بأن القائلين بأن كل مجتهد مصيب هم جمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة»[2]. فقال كلمة الحق وجعل الأشاعرة من جملة المتكلمين المعتزلة.

السرهندي يطعن في المذهب الأشعري

وقد انتقد السرهندي الفاروقي مجدد الطريقة النقشبندية المذهب الماتريدي فقال « يا ليت شعري! ماذا أراد أصحابنا الماتريدية من قولهم باستقلال العقل في بعض الأمور كإثبات وجود الصانع تعالى ووحدانيته حتى كلفوا من نشأ في شاهق الجبل وعبد الصنم بهما وإن لم تبلغه دعوة الرسول وحكموا بترك النظر فيهما بكفره وخلوده في النار، ونحن لا نفهم الحكم بالكفر والخلود في النار الا بعد البلاغ المبين والحجة البالغة المنوطة بإرسال الرسل»[3].

ثم انتقد المذهب الأشعري في القدر واعتبره داخلا في دائرة الجبر الحقيقي. واعتبر أن كثيرين من ضعيفي الهمة يحتجون بقدر الأشعري ويميلون الى مذهبه لهذا السبب [4].

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/٦-٧.

٢) اتحاف السادة ١٢٣/٦.

٣) مكتوبات الامام الرباني ص ١٣٨.

٤) مكتوبات الامام الرباني ٣٣١.

الماتريدي والمعتزلة

واعجب كيف يكون الماتريدي إمام أهل السنة ولم يشتهر بعلم الحديث وقد كان فلسفياً لا صلة له بالحديث كما يظهر من كتبه لا سيما كتاب التوحيد وكتاب تأويلات أهل السنة [1]. فأهل السنة لهم آثار تدل عليهم.

وهو في اتباعه العلم الكلام مخالف لشيخه أبي حنيفة الذي تراجع عنه ونهى عنه كما قال قبيصة بن عقبة «كان الامام أبو حنيفة رحمه الله في أول أمره يجادل أهل الأهواء حتى صار رأساً في ذلك ثم ترك الجدل ورجع الى الفقه والسنة وصار إماماً» [2] وقال أبو حنيفة «لا حاجة لي في علم الكلام» [3]. وكان يقول لابنه حماد «يا حماد دع الكلام» [4]. قال البزدوي «ونحن نتبع أبا حنيفة فإنه إمامنا... وإنه كان يُجَوِّز تعليمه وتعلّمه والتصنيف فيه ولكن في آخر عمره امتنع عن المناظرة فيه ونهى أصحابه عن المناظرة فيه»[5].

وقال زفر بن الهذيل «ما أدركت مشيختنا زفر وأبا يوسف وأبا حنيفة ومن جالسنا وأخذنا عنهم يهمهم غير الفقه والاقتداء بمن تقدمهم» [6].

فكيف يدعي الحبشي أن الماتريدي كان إمام أهل السنة وكتبه مشحونة بالفلسفة وعلم الكلام وقد رأيتَ نهي شيخه عن علم الكلام؟!

---

١) وبالمقارنة بين هذين الكتابين وبين رواج كتب ابن تيمية وابن القيم واستفادة الصحوة منهما تجد كتب أهل البدع كالماتريدي والقشيري والسبكي والشعراني لا إقبال عليها حتى لا تكاد تعرف.
سل السواد الأعظم: من منهم يعرف كتاب التوحيد للماتريدي والرسالة القشيرية وكتاب الرد على الكعبي وشفاء السقام. ثم سلهم عن زاد المعاد لابن القيم وعن فتاوى ابن تيمية كم يتلقفها الناس في شرق البلاد وغربها حينئذ تذكر قوله تعالى ﴿فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

٢) عقود الجمان ١٦١ مناقب أبي حنيفة للمكي ٥٣ وانظر أيضاً مناقب أبي حنيفة للكردري ١٣٧.

٣) تاريخ بغداد للخيب البغدادي ١٣/٣٣٣.

٤) مناقب أبي حنيفة للمكي ١٨٣.

٥) أصول البزدوي ص ٤.

٦) رواه السيوطي في صون المنطق ١٣٦ عن الحسن بن زياد اللؤلؤي.

وإن من شيوخ الماتريدي: محمد بن مقاتل الرازي قال فيه البخاري « لأن أخر من السماء الى الأرض أحب الي من أروي شيئاً عن محمد بن مقاتل الرازي» [١]. قال الشمس السلفي « فبعض شيوخ الماتريدي من الضعفاء وبعضهم من المجاهيل وبعضهم من المقلدين الأجلاد والمتعصبين الأصلاب مع جلالتهم في الورع والعلم في الفقه ولا صلة لهم بالحديث وأهله» [٢].

لقد صدرت حول الماتريدي بحوث ورسائل كتبها أناس يعتقدون الماتريدية والأشعرية أهل السنة والجماعة. وأثنوا على الماتريدي، الا أنهم أخذوا عليه موافقته للمعتزلة في مسائل عديدة.

وسبب هذه الموافقة أن أهل الكلام قد انطلقوا جميعاً في مناهجهم من أصول واحدة، وردّوا على البدعة ببدعة. ولم يلحظوا أن أصل الانحراف ومصدره كامن في المنهج فسكتوا عنه وراحوا ينكرون الأخطاء الناتجة عنه.

لقد أسس المعتزلة منهج علم الكلام ورتبوه، ثم جاء الأشعرية من بعدهم وأخذوا أصولهم ومناهجهم الكلامية ثم ردّوا على بعض أخطائهم ولم ينقدوا علم الكلام الذي هبط بالمعتزلة الى مهاوي الضلال.

يقول ابن تيمية « وأما أهل الكلام فإن عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والإيمان بالرسول، ثم ظنوا أن ما يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه.

فلهذا نجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى، إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك. والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردّها كيف أمكن، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول، بل أن يدفع مُنازِعه عن الاحتجاج بها...» [٣].

---

١) تهذيب التهذيب ٩/٤٧١.

٢) عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ١/٢٢٦.

٣) مجموع الفتاوى ١٣/٥٨-٥٩.

موقف الشيخ ابي زهرة من الماتريدي

وقد حمل الشيخ محمد أبو زهرة على الماتريدي « صبغته العقلانية» المتمثلة في مبدأ وجوب النظر وموافقته للمعتزلة في العقلانية مثل: ضرورة النظر ومعرفة الله بالعقل والتحسين والتقبيح العقليين» الى أن قال « فآراء الماتريدي أقرب الى آراء المعتزلة منها الى آراء الفقهاء والمحدثين، والماتريدي في القسم الذي يلي المعتزلة». قال « ولذا كان قول صديقنا المرحوم الكوثري إن الأشاعرة بين المعتزلة والمحدثين، والماتريدية بين المعتزلة والأشاعرة قولا صادقا» [١].

ولقد قام الدكتور محمود قاسم (في مقدمته على مناهج الأدلة) بتقييم مذهب الماتريدي وانتهى الى أنه أقرب الى الاعتزال وأنه لا يتفق في الحقيقة مع الأشعري الا في مسائل قليلة ليست بالجوهرية [٢].

واستنكر محقق كتاب التوحيد (للماتريدي) في بداية الامر [٣] ما قاله الدكتور قاسم، غير أنه عاد واعترف بهذه الحقيقة في مقدمته حيث أثبت تأثره بالمعتزلة في العديد من المسائل.

وتتجلى أدلة الماتريدي العقلانية التي بناها على قواعد المعتزلة في مواضيع مثل: أن الأجسام حادثة وأنها لا تخلو عن اجتماع وسكون وافتراق، وهي حوادث بالعقل والحس لأن الضدين لا يجتمعان فثبت التعاقب». علق المحقق على ذلك قائلا « هذه الأدلة المستمدة من شهادة الحس والعقل عند الماتريدية نجدها عند النظام المعتزلي» [٤].

وقد زعم الماتريدية أن النصوص اذا كانت خلاف العقل: فإن كانت متواترة فهي وإن كانت قطعية الثبوت لكنها ظنية الدلالة، فالعقل مقدم عليها».

وهكذا لم تسلم السنة من مسخهم: لا آحادها ولا متواترتها.

ومن هنا أؤكد أن منهج الماتريدي في نصوص الوحي منهج فاسد باطل لأنه صريح في أن العقل أصل والشرع فرع.

---

١) تاريخ المذاهب الاسلامية ١٧٨ أصول الفقه له أيضاً ٥٥٦ مقدمة الكوثري على تبيين كذب المفتري ١٩.

٢) مناهج الأدلة في عقائد الملة ١٨و١٢٢.

٣) قدم تحقيق كتاب التوحيد كرسالة دكتوراه في الأزهر بمصر..

٤) مقدمة كتاب التوحيد ٣١ ومقدمة كتاب مناهج الأدلة ١٢٥.

الماتريدي وتكفير المقلد

وأنكر على الماتريدي تصدير كتاب التوحيد بفصل «ابطال التقليد» على طريقة المعتزلة إذ ذكر أن من بلغ الاحتلام ولم يعرف الله بجميع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر حلال الدم. وقد خالف السرهندي الماتريدي هذا القول [(١)].

قال المحقق « فلا تخرج أقوال الماتريدي عما يقوله المعتزلة وليس بينهما اختلاف الا في العبارة» [(٢)]. حيث تضمنت عبارة الماتريدي في «تكفير من لم يعرف الله بجميع أسمائه من طريق استدلال المتكلمين» الحكم بكفر غالبية هذه الأمة.

وبالجملة فمسألة تكفير المقلد في العقيدة هو تقليد في العقيدة للمعتزلة، لأن القول قولهم أصلاً.

اهل الكلام عند ابن حجر اهل التقليد

ولقد أبدى الحافظ ابن حجر استياءه من ذلك فقال « والعجب ممن اشترط ترك التقليد من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول الداعين اليه.. فآل أمرهم الى تكفير من قلد الرسول ﷺ في معرفة الله تعالى. وكفى بهذا ضلالا، ويلزم من ذلك الى القول بعدم ايمان أكثر المسلمين» [(٣)].

- ونقل عن البيهقي في كتاب الاعتقاد أن غالب من أسلم من الناس في عهد النبي ﷺ لم يعرفوا اثبات الصانع وحدوث العالم عن طريق استدلال المتكلمين وذكر أن هذا لا يكون تقليدا وانما اتباعا [(٤)].

- وأثبت الحافظ أن هذا الاشتراط الذي عرفه المتكلمون انما قلدوا به المعتزلة الذين سبقوهم الى تكفير من لم يعرف الله عن طريق الاستدلال. قال « وذهب أبو هاشم من المعتزلة الى أن من لم يعرف الله بالدليل فهو كافر» [(٥)].

---

١) مكتوبات الامام الرباني ٢٩٣.
٢) مقدمة كتاب التوحيد ٢٧-٢٨.
٣) فتح الباري ٣٥٤/١٣.
٤) فتح الباري ٣٥٣/١٣.
٥) فتح الباري ٣٥٠/١٣.

الاسم والمسمى

ومن المسائل التي خاض فيها الماتريدية مسألة الاسم والمسمى حيث ذهبوا الى أن الاسم هو المسمى وقد عد الامام الطبري الخوض فيها من الحماقات والمتاهات [1] وكان الامام أحمد يشق عليه هذا الخوض ويكتفي بأن الاسم للمسمى كما قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾.

الماتريدي وفكرة الشر

وقد استغرب محقق كتاب التوحيد ما وجده عند الماتريدي من الاستدلال بوجود الشر في العالم كدليل على أن للكون صانعا « ولو كان العالم من غير صانع لانتفى وجود الشر» [2].

قال المحقق « ومن الغريب أن يختار الماتريدي فكرة الشر ليبني عليها برهانا على وجود الله، وحتى الفلاسفة لم يخطر عندهم مثل هذا الاستدلال فأفلاطون مثلا يتخذ من فكرتي الجمال والخير دليلا على وجود الله [3]. وحتى الدكتور المغربي الذي صنف كتاب « إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي» استغرب من الماتريدي هذا الاستدلال [4].

الماتريدي وموقفه من السببية

وعارض الدكتور عاطف العراقي موقف الماتريدي من السببية ورأى أن انكار العلاقة بين الأسباب والمسببات مبني على المغالطة وهو افراط في مقابل تفريط المعتزلة الذين ربطوا الأسباب بمسبباتها على وجه الضرورة من غير اعتبار لمسببها. فجاء الماتريدي وفرط في انكار الضرورة بين الأسباب ومسبباتها لكي يثبت الحاجة الى الله. ولا تعارض بين القدرة الالهية المطلقة وبين القوانين الثابتة للأشياء [5].

---

١) صريح السنة ٢٦ تحقيق بدر معتوق.

٢) أنظر كتاب التوحيد للماتريدي ١٧.

٣) مقدمة التوحيد ٣٤.

٤) امام أهل السنة والجماعة ١٣٢.

٥) امام أهل السنة والجماعة ١٣١.

وفي تعريف الماتريدي للارادة يميل الى قول النجارية من المعتزلة، اذ يعرفها بأنها صفة لكل فاعل يخرج فعله على غير سهو أو غفلة(١).

وفي رده على الكعبي يذهب الى أن من ليس بمريد بمعنى أنه ليس بمغلوب. وان من ليس مكروها معناه من كان مريدا (٢). ونجد الماتريدي في كتابه التوحيد يوافق المعتزلة في ربطهم بين الارادة والعلم (٣).

وهنا تساءل الدكتور المغربي « هل معنى هذا الربط القول بأن الارادة تجري مجرى العلم على النحو الذي يقول به الكعبي؟

على أن المؤلف المذكور لم ينس في ختام رسالته أن يعترف لنا بأنه يجد موافقة عند الماتريدي لآراء المعتزلة مع أنه يراه امام أهل السنة والجماعة كما عنون رسالته، وأرجع سبب هذه الموافقة الى أخذه بالعقل الى جانب النص» (٤).

---

١) التوحيد ٢٨٦.
٢) التوحيد ٢٩٤ و ٣٠٤.
٣) التوحيد ٢٩٣.
٤) امام أهل السنة والجماعة ٤٤٤.

تأثره بارسطو والفلاسفة

بل قد أثبت المؤلف المذكور تأثر الماتريدي من بعض قواعد الجدل الآرسطي ومناهجه مثل قوله بأهمية المعرفة الحسية وصدقها بالضرورة، وأن من فقد حساً فقدَ علماً [١].

- وكذلك تأثره بنظَرية المثلَ لأفلاطون حيث رأى أن الانسان هو العالم الصغير بمعنى أنه يوجد لكل أمر من أمور العالم الكبير مثال له في العالم الصغير، وأن الانسان صورة العالم الصغير الذي انطوى فيه العالم الكبير أي أن الانسان مثال وصورة من الله [٢].

نزعة الماتريدي العقلانية

ويجعل من العقل أصلا في مسائل أصول الدين وفروعه كقوله:

والعقل سبيل معرفة حجة الرسل [٣].

والعقل سبيل ادراك معنى أوامر الله [٤].

والعقل انما هو لادراك العواقب [٥].

والعقل سبيل شكر المنعم [٦].

ومع ذلك كله فقد اعترف الماتريدي بقصور العقل وأنه «مخلوق له حد كغيره من وسائل الادراك: يعترضه ما يعترض غيره من الآفات مع غموض الأشياء واستغلاقها» [٧].

وحكى الشيخ زادة عن عامة مشايخ الحنفية الماتريدية أنهم يقولون أن الله لو لم يرسل الرسل لكفى حجة الله عليهم بعقولهم [٨]. وخالفوا بذلك صريح قول الله تعالى **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**.

وهذا متعارض مع جعل العقل أصلا يقدمونه على الأدلة السمعية. ويؤكد هذا التعارض أن ما يدافعون به الأدلة السمعية ويستعملونه في تأويلها يكون باعترافهم محتملا لا مقطوعا به. مثال ذلك:

---

١) امام أهل السنة والجماعة ٤٤٨.

٢) التوحيد ١٠٢ تأويلات أهل السنة ١/٦٥٢.

٣) تأويلات أهل السنة ٣/١٨٣ التوحيد ١٨٥ تبصرة الأدلة ل ١٠١ بحر الكلام ٥،٦،١٤ نثر اللآلىء ٢٠٤ نظم الفرائد ٣٥.

٤) تأويلات أهل السنة ١/٤٩٩.

٥) تأويلات أهل السنة ١/٥٤٤.

٦) تأويلات أهل السنة ١/٤٤٤.

٧) التوحيد ١٨٣ تأويلات أهل السنة ١/٦٨٤.

٨) نظم الفرائد ٣٥.

حين وجد الماتريدي آيات القرآن صريحة في رد مذهب الاحناف بعدم زيادة الايمان ونقصه ﴿ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم﴾ ﴿فزادهم ايمانا﴾ استخدم عقلانيته على وجه الاحتمال لا على وجه اليقين فقال:

[١] يحتمل أن تعني الزيادة هنا زيادة الحجج والبراهين.
[٢] يحتمل أن تكون زيادة الايمان داعية الى الوفاء بشروطه.
[٣] يحتمل أن تكون من حيث الفضيلة والكمال لا العدد والعمل.
[٤] يحتمل أن تكون الزيادة بمعنى قوته ونوره وزيادة ثماره. وهو اعتراف بزيادة الايمان لأنه بزيادة الايمان يزداد النور.
[٥] يحتمل أن تكون بمعنى زيادة الثبات [١] والاستقامة [٢]. وهذا القول تحريف ظاهر. فان من لم يثبت على الايمان ولم يدم عليه فقد انتقل الى الكفر.

وهكذا نجد عند أهل الكلام من الاحتمالات في أمور العقائد الشيء الكثير. ويصعب إحصاء المرات التي كرَّر ابن فورك في كتابه مشكل الحديث قوله (ويحتمل).

ومن هنا نستطيع القول بأن المتكلمين لم يوفوا بما اشترطوه وهو أن لا يتكلموا في العقائد الا بالأدلة القطعية. هذا الشرط الذي دفعهم الى رد أحاديث الآحاد واعتبارها ظنية مع كونها موجودة عند البخاري ومسلم اللذين تلقت الأمة أحاديثهما بالقبول.

فالتأويل ظني الدلالة باعتراف الماتريدي [٣] ومع ذلك اعتمدوه في العقائد وبكثرة. والعقل قدموه على الأدلة النقلية السمعية في العقائد، مع اعتراف الماتريدي أيضا بقصوره. والاحتمالات تتوارد عندهم وتكثر في سبيل رد الصريح من النصوص كما رأينا مع الماتريدي في تأويل النصوص الدالة على زيادة الايمان.

وبهذا نخلص الى أن من حمل هذه التناقضات وثبت عليه مشابهة المعتزلة كيف يقال بأنه رئيس أهل السنة والجماعة ؟

---

١) تأويلات أهل السنة والجماعة ١/٢٧٣.

٢) عاب الباحث في رسالته (ابو منصور الماتريدي٣٨٥) موقف الماتريدي من الايمان قائلا "واذا كان الايمان لا يزيد ولا ينقص في حقيقته عند الماتريدي فعلى ذلك فقد استوينا والرسل في أصل الايمان، فكيف صار الثواب لهم والخوف من الله أكمل"؟!

٣) التوحيد للماتريدي ٧٤.

الاختلاف بين الماتريدية والأشاعرة حول مهمة العقل

لقد كان الماتريدية من أكبر المنتصرين للتحسين والتقبيح العقليين حتى أدى ذلك الى وصفهم بمخانيث المعتزلة.

فقد ذهب الماتريدية الى أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها وأن معرفة الله بالعقل، حتى قال الصدر في التعديل « كل ما هو واجب عقلا فهو حسن عقلا، وكل ما هو حرام عقلا فهو قبيح عقلا ومن هنا قالوا ان العقل آلة في معرفة الله.

وخالفهم الأشاعرة في ذلك مستدلين بقوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ » [1].

وقالوا «... لا عبرة بأوامر العقل، انما العبرة بأوامر الشارع الحكيم» [2].

---

١) نظم الفرائد ٣٥، الروضة البهية ٣٤_٣٧ اشارات المرام ٩٣.

٢) أصول الفقه للشيخ محمد أبي زهرة ٥٥ المسايرة ٩٧ لابن الهمام شرح الفقه الاكبر١٣٧ وتأويلات أهل السنة للماتريدي ١/ ٤٤٤.

من هي الفرقة الناجية؟

ان هذه الخلافات العميقة بين الفرقتين لدليل على أنهما ليستا من الطائفة الناجية. فإن الفرقة الناجية ليست مركبة من فرقتين متناحرتين في العقائد، وانما هي طائفة واحدة كما في الحديث.

فنحن نستطيع أن نقول: إن عقيدة الشافعي وأحمد ومالك واحدة، إذ لم ينقل عنهم خلاف في العقيدة مع كثرة اختلافهم في الفروع.

والأشعري والماتريدي إنما أتيا بعدهم. فهل كان الشافعي أشعرياً أم كان أبو حنيفة ماتريدياً؟

وليس من سمات الفرقة الناجية تقديم العقل على النقل ولا التأويل في أسماء الله وصفاته. بل إن هذه الخلافات في ذاتها رد على الماتريدية القائلين بوجوب الايمان بالله عقلا وأن العقل آلة في معرفة الله فان العقول تختلف من عقل الى آخر. فعقول الماتريدية لم تتفق مع عقول الأشاعرة.

وانما تقدم الطائفة الناجية النقل على العقل من غير تعطيل لدور العقل. فلا تقدم العقل على النقل على النحو الذي مضى عليه الفلاسفة والمتكلمون والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية.

ولا تقدم القلب والكشف على النقل كما يفعل الصوفية والباطنية.

ان الفرقة الناجية هي الطريق التي ثبت عليها أحمد أمام مؤولة الصفات. هي الفرقة التي أعلن الأشعري الانتهاء اليها: على طريقة أحمد كما اعترف به ابن عساكر والزبيدي بل والسبكي. وشهادة الأمة بفضل أحمد وإمامته وثباته على السنة وبروزه في الحديث قد جعل له الامامة والقبول في الأمة.

ولم يعرف الناس أيام الأشعري أن من أراد الحق فليكن أشعرياً، وانما كانوا يعرفون أن من أراد الحق فليتبع طريقة أحمد بن حنبل لأنه «الامام الكامل.... الذي أبان الله به الحق وأظهر به السنة»[١]. ولو كان التأشعر هدى وفرقة نجاة لما ذمهم الشيخ عبد القادر الجيلاني وقرن تأويلاتهم بتأويلات المعتزلة[٢].

---

١) تبيين كذب المفتري.

٢) أنظر الغنية ٥٤و٥٦و٥٨.

يعزفون على وتر الكثرة

وكثيراً ما يدق الحبشي على وتر الكثرة فيقول « إن الأشعرية الذين هم أهل السنة يبلغ تعدادهم مئات الملايين، أما من خالفهم فهم قلة قليلة بالنسبة اليهم، وفي أندونيسيا وحدها أكثر من مئة مليون كلهم أشعريون» [1]. وهذا دليل واه وحجة داحضة:

الحجة الدامغة

ونردّ على الحبشي:

أولا: من خلال كلمات تلميذه أسامة السيد إذ قال « قال لي شخص: لماذا أنتم أيها الأحباش كل المجموعات الدينية ضدكم فهل تظنون أنفسكم على حق بمفردكم وهُم أهل الباطل بمجموعهم؟ فقلت له: إن الكثرة ليست مقياس الحق، لا سيما إن من تستكثر بهم مئات الملايين من المقلدة الذين لا يعرفون حقيقة المذهب الأشعري بل هم من المقلدة العوام. بل الجمهرة الغالبة للمسلمين تؤمن بهذا الدين بإجمال ولا تعرف المداخل الكلامية والقضايا العقلية التي يعتمدها أهل الكلام.

وعلى أي حال فقد قال الفضيل بن عياض: لا يغرّنّك كثرة الهالكين» [2]. ولست أدري لِمَ لم يقل له: بل نحن كثرة، كما زعم شيخه؟

ثانياً: قال الحافظ ابن عساكر « قد يقول قائل: إن أكثر الناس لا يقتدون بالأشعري ولا يرون مذهبه: وهم **السواد الأعظم**: والجواب أنه لا عبرة بكثرة العوام ولا التفات الى الجهال الأغتام وإنما الاعتبار بأرباب العلم والاقتداء بأصحاب البصيرة والفهم وأولئك في أصحابه أكثر ممن سواهم ولهم الفضل على من عداهم، على أن الله عز وجل قال **﴿وما آمن معه الا قليل﴾** وقال **﴿وقليل من عبادي الشكور﴾** وقال الفضيل بن عياض: لا تستوحش طرق الهدى لقلة أهلها ولا تغترنّ بكثرة **الهالكين**» [3]. فهذا ابن عساكر يصرح بأن السواد الأعظم خلاف الأشاعرة.

ثالثا: متى كانت الكثرة ميزاناً بين الحق والباطل؟ بل الحق حق وإن اتبعه الأقلون، والباطل باطل وإن اتبعه الأكثرون. الحق لا يعرف بالكثرة أيها المدلس. فإن النبي يأتي يوم القيامة ومعه الرجل

---

١) منار الهدى (!) عدد ٨ ص ٤٥.

٢) مجلة منار "الهدى" ٢٥/٧٤.

٣) تبيين كذب المفتري ص ٣٣١.

والرجلان، ويأتي آخر وليس معه أحد؟ وقد قال تعالى عن نوح **﴿وما آمن معه الا قليل﴾**. أما الشرك فعليه الأكثرية: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون﴾**.

رابعا: أن الله قد أخبرنا أن الكفر والشرك والإعراض كانت عليه الكثرة من الناس فقال **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ﴿لا يؤمنون﴾ ﴿معرضون﴾ ﴿لا يشكرون﴾ ﴿بلقاء ربهم لكافرون﴾ ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ ﴿فمنهم مهتد، وكثير منهم فاسقون﴾ ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾**. وقد قالت عائشة للنبي ﷺ « أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»[1]. ولما قيل له: «أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ ((كثير)) ولكنكم غثاء كغثاء السيل».

وأما المتمسكون بسنته ﷺ فليسوا بغثاء مهما قل عددهم فقد أثنى ﷺ عليهم فقال « بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء. قيل ومن الغرباء يا رسول الله؟ فقال: ناس صالحون (((قليل))) في ناس سوء (((كثير))) من (((يعصيهم))) (((أكثر))) ممن يطيعهم».

فأهل الاسلام بين أكثر الناس غرباء. وأهل الايمان بين أهل الاسلام غرباء. وأهل السنة المتميزين عن أهل البدعة والشرك غرباء.

خامسا: لئن كانت الكثرة ميزاناً في الحق والقلة دليلا على الباطل فيصير دين البوذيين والنصارى بهذا الميزان الفاسد هو الدين الحق، والمسلمون على الدين الباطل لأن تعداد البوذيين أكثر من النصارى، وتعداد سكان النصارى أكثر من المسلمين.

ثم إن مئات الملايين هؤلاء محسوبون زوراً على الأشاعرة بينما لا يعرفون شيئاً عن الأشعري ولا تأويلات وجبر الأشعرية ولا سمعوا بالماتريدي، وإنما هم مسلمون بالفطرة، وعامة المسلمين يعتبرون أهل سنة ما تُركوا على فطرهم كما أكده ابن قتيبة. بل لهذا فضل الغزالي عقيدة العوام على المتكلمين وأكد أن « إيمان العوام أثبت من عقيدة علماء الكلام المهلهلة المتزعزعة التي تهزها رياح الشبهات مرة هكذا

---

١) رواه البخاري (٧٠٥٩) ومسلم (٢٨٨٠).

ومرة هكذا[١]. ومعلوم أن الأشاعرة علماء كلام.
ولهذا أيضاً تمنى الجويني حين أعلن توبته عن مذهب الأشاعرة وهو على فراش الموت أن يموت على دين عجائز نيسابور.

أما تمسكهم بحديث « إن أمتي لا تجمع على ضلالة فاذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم» فهذا الحديث والله أعلم ضعيف. في سنده أبو خلف الأعمى واسمه حازم بن عطاء قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي « وقد جاء الحديث بطرق كلها فيها نظر».
وقال الزبيدي في الاتحاف (١٤١/٨) «وفي السند مجهول».

والعجيب أن الجويني وهو من كبار الأشاعرة رد هذا الحديث بحجة أنه خبر آحاد ويؤوله بأن يحتمل أن يكون معناه « أن أمته ﷺ لا ترتد الى قيام الساعة» ثم قال « ولا حاصل لمن يقول قد تلقته الأمة بالقبول».
ولا ننسى أن حديث الآحاد عندهم يبقى ظنياً يحتمل الكذب وإن تلقته الأمة بالقبول وأجمع على تلقيه أهل العلم كما حكاه عن ابن فورك في أحد قوليه والقاضي ولم يعقب عليه[٢].
والجويني لا يرى وجود دليل سمعي قطعي على حجية الاجماع - وإن كان لا ينكر الاجماع - ويرد على الشافعي احتجاجه بقوله تعالى ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى**﴾ ويرى أنها ليست نصاً في الموضوع وإنما تعني عنده « من أراد الكفر وتكذيب المصطفى ﷺ»[٣].

وإن صح الحديث فانه يُفهم منه الجماعة كما في الروايات الأخرى. فقد أورد له المرتضى الزبيدي زيادة فيها « قالوا: ما السواد الأعظم؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي»[٤].

والسواد الأعظم هم جماعة أهل السنة ومن تمسك بما كان عليه جماعة الصحابة. قال ابن حجر الهيتمي في فتاويه « ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه: ليس الجماعة بكثرة الناس، من كان معه الحق فهو الجماعة وإن كان واحداً».

---

١) احياء علوم الدين ٩٤/١ والمنقذ من الضلال ١٧ للغزالي.
٢) البرهان في أصول الفقه ٣٧٩/١.
٣) البرهان في أصول الفقه ٤٣٥/١.
٤) اتحاف السادة المتقين ٢٦٥/١.

وقد قال عمرو بن ميمون « سمعت عبد الله بن مسعود يقول: عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة. وقال لي: تدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك».

وقد اشتد نكير أبي المظفر السمعاني على أهل الكلام وسخر من طريقتهم وأكد أنهم يكفّرون من خالف طريقهم من الناس وهم السواد الأعظم[1]. فالمصابون بداء علم الكلام شرذمة قليلون ليسوا شيئاً» [2].

قال أبو شامة « حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق وأتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف كثيراً، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه، ولا تنظر الى كثرة أهل الباطل بعدهم» وقال نعيم بن حماد « اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك. فإنك أنت الجماعة حينئذ» [3].

وجاء في الميزان للشعراني « ولذا كان سفيان الثوري يقول: المراد بالسواد الأعظم هم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً».

وكان ابن المبارك يصف من اجتمعت فيه صفات الاتباع الكامل للكتاب والسنة بالجماعة، فتراه اذا سئل عن الجماعة قال «أبو بكر وعمر. فاذا قيل له قد مات أبو بكر وعمر قال: أبو حمزة السكري جماعة. قال الترمذي: أبو حمزة هو محمد بن ميمون وكان شيخاً صالحاً وإنما قال هذا في حياته عندنا» [4].

وأما الجماعة الذين يتولون الظالمين ويستظهرون بهم على المسلمين ويدعون غير الله فهؤلاء هم جماعة الظالمين وليسوا جماعة السنة، ولو أننا لزمنا طريقهم لألزمونا بموالاة أوليائهم الظالمين ومدحهم والتسبيح بحمدهم!

الجماعة الذين يدعوننا الى الشرك الى دعاء غير الله وطلب الغوث من الأموات ويبررون الابتداع في الدين فهؤلاء ليسوا من الجماعة، بل يليق بهم حديث النبي ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من

---

١) فتح الباري ١٣/٥٠٧.
٢) فتح الباري ١٣/٥٠٧.
٣) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد السنة رقم ١٦٠ والبدع والحوادث لأبي شامة ص ٢٩-٢٨.
٤) الترمذي رقم ٢١٦٧.

أمتي بالمشركين ويعبدون الأوثان»[1].

فسوادكم الأعظم أيها المبتدعة: رفاعية نقشبندية شاذلية قادرية سهرودية دسوقية يشرطية أشاعرة ماتريدية، خرافات وبدع وارتماء على القبور واستغاثة واستعاذة بالأموات من دون الحي الذي لا يموت. والله كلما ازددتم زاد الدين بزيادتكم غربة.

وأما مخالفة الجمهور:

فقد خالف أبو حنيفة الجمهور في أن النجاسة لا تزال الا بالماء فقال: تزال بكل مائع غير الأدهان.

وخالف الشافعي الجمهور فقال بكراهة استعمال الماء المشمس في الطهارة.

وخالف أحمد الجمهور فقال بكراهة الماء المسخن بالنجاسة.

بشرى سارة للأشاعرة

جاء في مجلة منار الأحباش ما يلي: «بشرى سارة للأشاعرة» قالوا « روى الامام أحمد بسند صحيح عن الرسول ﷺ أنه قال « لَتُفتَحنّ القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» فتحقق هذا الحديث عندما فتحها السلطان محمد الفاتح رحمه الله تعالى وكان أشعرياً يحب الأشاعرة والصوفية»[2].

بشرى غير سارة للأشاعرة

ولكن لماذا تراجع الجويني والغزالي والرازي عن مذهب التأويل الأشعري إن كان هو المذهب الذي يرضاه الله ورسوله ﷺ؟ ولماذا كان يبكي الجويني على فراش الموت وهو يقول « يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام».

ولماذا يكتب الغزالي قبل موته رسالة بعنوان «إلجام العوام عن علم الكلام» ثم يحرم على الناس تأويل صفات الله الذي تميز به الأشاعرة بعد المعتزلة؟

ولماذا يقول الحافظ ابن حجر عن الرازي أنه كتب وصية قبل موته تدل على أنه حسّن اعتقاده.

ولماذا الأشاعرة منقسمون على أنفسهم: منهم من يوجب التأويل ومنهم من يحرمه ويفرض التفويض؟

---

١) رواه أبو داود بإسناد صحيح رقم (٣٠٧٢).

٢) منار الهدى ٣٢/٣٥.

وقد كان من المفترض أن تكون هذه البشرى للماتريدية لا للأشاعرة لأن الفاتح والعثمانيين ماتريديون في العقيدة، أحناف في الفقه وليسوا أشاعرة فماذا عن الماتريدية المختلفون مع الأشاعرة فيما يزيد على أربعين مسألة اعتقادية؟ هل يدخلون في هذه البشرى مع أنهم يحكمون بكفرهم في مسائل كخلق الايمان والاستثناء فيه؟!

ما هذه الدعايات الرخيصة التي تموهون بها على الناس؟

خدعة أخرى

ويعزف هؤلاء أيضاً على وتر آخر عجيب جداً فيدعون الناس الى اعتناق مذهب الأشعري لمجرد أن نسبه يصل الى أبي موسى الأشعري الصحابي ولأن النبي ﷺ أثنى على قبيلة الأشعريين وأن آية ﴿**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ قال ﷺ هم قوم هذا» [1].

١ - ان هذا يستلزم وجود طائفة الأشاعرة بين أبي موسى وأبي الحسن يتلقى عنهم الناس علم العقائد. وما علمنا أحمد بن حنبل ولا الشافعي ولا أبا حنيفة كانوا يبحثون عن أحد من قبيلة الأشعريين ليتلقوا عنه العلم.

وأين كان الأشعريون يوم بقي أبو الحسن أربعين سنة مع المعتزلة: أفلم يوجد بينهم من ينبهه الى عقيدة جده أبي موسى؟

وحتى بعد أن تاب من الاعتزال لم يكن يعلم شيئا هذه الميزة الأشعرية، بل أعلن حالا أن عقيدته هي عقيدة الامام المبجل أحمد بن حنبل.

هب أن الحديث صحيح - مع عدم التسليم بصحته لأن عياضاً لم تثبت له صحبة على الراجح - فعلى افتراض صحته نسأل:

هل الحديث يتناول كل الأشعريين؟ وهل فيه نص وتعيين على أبي الحسن؟ هذا ما لا يمكن لهم إثباته.

٢ - وهل تحقق مصداق الآية فوقع الارتداد عن الدين حتى أتى الله بأبي الحسن الأشعري؟

٣ - وهل يجوز لأحد أن يثبت أن الآية تعني أبا الحسن الأشعري وعقيدته التي انتقدها الماتريدية بل الأشاعرة المتأخرون؟ كقول الجويني: ومذهب الأشعري في القدر عندي مختبط.

---

١) مجلة منار الهدى ٢٦/٢٣.

ولقد رد الله فتنة الجهمية بأحمد بن حنبل في وقت لم يزل الأشعري فيه على مذهب الإعتزال. وبعد أن تركهم أعلن أن أحمد هو الامام الحجة الكامل الذي نصر الله به السنة وقمع البدعة وأظهر الحق وأقام الحجة؟!

فأي ميزة وفضل للأشعري وقد أحال الناس الى التمسك بمنهج الامام أحمد فيما رواه عنه الحافظ ابن عساكر أنه قال « ونحن بما كان عليه أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالفه مجانبون[1]. لذا وجب على كل مقلد للأشعري أن يتبع ما كان عليه أحمد.

لا يجوز أن تُستغل نصوص عامة في دعوة الناس الى مذهب رجل من القوم، قد يكون مبطلا. ولا يعارض مدح النبي ﷺ لأهل اليمن أن يكون بينهم من يضل. فقد خرج من اليمن أئمة ضلال كعبد الله بن سبأ أصل انشقاق المسلمين الى سنة وشيعة الى يومنا هذا، وكذلك الأسود العنسي مدعي النبوة. ثم لا زالت الآية ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾ سنة ماضية سواء في أهل اليمن أو غيرهم. وما أكثر ما يحتج الشيعة بنصوص يدعون بها الناس الى التشيع مثل « لو كان العلم معلقاً في الثريا لتناوله رجال من فارس».

فالحق لا يُعرف بالرجال وكما علي رضي الله عنه «ويحك، أتعرف الحق بالرجال؟ إعرف الحق تعرف أهله».

والرسول ﷺ ندبنا الى التمسك بكتاب الله وسنته اللذين هما علامة الهدى ودليله، ولم يعلقه بشخص أو عائلة أو قبيلة. ولم يقل: تركت فيكم ما إن تمسكتم بهم لن تضلوا بعدي أبداً: آل الأشعري!

لو كان الأمر كذلك لحكمنا على من اتبع الأشعري خلال أربعين سنة من اعتناق الاشعري لمذهب المعتزلة معذوراً لاعتماده على ثناء النبي ﷺ على قبيلة الأشعريين؟

واذا كان ثناء النبي ﷺ على قبيلة دليلا على ثناء شخص بعينه: فقد أثنى النبي ﷺ على بني تميم - ومحمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم - فقال أبو هريرة « ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم: هم أشد أمتي على الدجال. وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ: هذه صدقات قومنا. وكانت سبيّة منهم عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل» (رواه البخاري رقم ٢٥٤٣ ٢/٢١٩).

---

١) تبيين كذب المفتري ١٥٨ وانظر طبقات الشافعية للسبكي ٣/٩٩.

الخونة يحتجون بالبطل صلاح الدين

ويكثر الأحباش من الاحتجاج بعقيدة صلاح الدين وأنه كان أشعرياً ونشر العقيدة الأشعرية وفتح لها المدارس. واذا كان صلاح الدين أشعرياً فقد مال ابنه الأشرف العادل الى الحنابلة وأهل السنة في العقيدة[1].

أما كون صلاح الدين أشعري المذهب فهذا ليس دليلا على صحة المذهب، كان المعتزلة يحتجون على صحة مذهبهم بموافقة المأمون لهم، وكان الإمام أحمد آنذاك علماً لأهل السنة وكانوا يخالفون طريقته، بل ويحثون المأمون على ضربه وسجنه، وقد جعله الله علماً من أعلام الهدى.

والمذهب الأشعري اليوم يحتج بصلاح الدين، وقد غرر بصلاح الدين لكونه واحدا من عوام المسلمين مثلما غررت المعتزلة بالمأمون.

بينما لا يمكن للمذهب الأشعري الادعاء بأنه على ما عليه علماء المسلمين كالامام أحمد بالرغم من رجوع أبي الحسن الأشعري عند توبته الى طريقة الامام أحمد.

وبالرغم من زجر الامام أحمد عن علم الكلام والجدل والخوض في تأويل الصفات، يتخل المذهب الأشعري حتى اليوم عن علم الكلام وتأويل الصفات الذي زجر عنه أحمد وسائر أئمة هذه الأمة.

ولئن كان المذهب الأشعري على السنة فليثبت موافقته في أصول مذهبه لأحمد.

وقد اعترف القشيري - وهو أشعري - أن من السلف « الشافعي ومالك وأحمد والمحاسبي والقلانسي اختاروا عدم التأويل للمتشابهات» وأن أحمد سد باب التأويل على الاطلاق [2] كما نقل عن والد الجويني أن طريقة كثير من السلف كابن عباس وعامة الصحابة الإعراض عن الخوض في التأويل [3].

وقال محمد بن درويش الحوت بأن « سيدنا أحمد يمنع التأويل» وصرح أن التأويل مذهب المعتزلة [4].

○ ولعلك أخي القارىء لا تنسى أن تقارن بين الدور الذي لعبه صلاح الدين حيث قضى على الباطنيين وطهر الأمة من تسلط الدولة الفاطمية وبين موقف الأحباش المناقض لموقف صلاح الدين. قال السبكي « ولو لم يكن له الا الحسنتان العظيمتان، وهما: فتح بيت المقدس، وإبادة الفاطميين، وقد علم الناس سيرتهم كيف كانت، وسبهم

---

١) طبقات السبكي ٨/٢١٨ محققة.

٢) اتحاف السادة المتقين ٢/١٢و٧٩.

٣) اتحاف السادة المتقين ٢/ ١١٠.

٤) رسائل في عقائد أهل السنة والجماعة ٣١ تحقيق كمال الحوت.

للصحابة وفعالهم القبيحة التي لا تعد ولا تحصى من عدم مبالاتهم بأمور الدين وقلة نظرهم الا في فساد المسلمين» [١].

ويحتجون بابن الجوزي ويسمونه (منزّه الحنابلة) وقد كتب كتاباً بعنوان (النصر على مصر) أوجب فيه على المسلمين قتال القرامطة وأنهم مرتدون. وطعن في أبي الحسن الأشعري وألزمه بالرجوع الى القول بخلق القرآن، وطعن في الصوفية واعتبرهم زنادقة.

○ نحن أثبتنا لكم من كلام السبكي في الطبقات والحافظ ابن عساكر في التبيين نفسه أن ابا الحسن الأشعري انتهى الى مذهب أحمد في العقيدة ولم يدّع لنفسه مذهباً خاصاً فلماذا تعرضون عن هذه الحقيقة.

لهذا نقول: نعم، كان صلاح الدين أشعرياً ولكن لم يكن الأشعري أشعرياً بل هو حنبلي العقيدة باعتراف كبار أئمة الأشاعرة وأبرزهم السبكي الذي روى قول الأشعري «عقيدتي عقيدة الامام المبجل أحمد».

○ ثم متى كانت علامة الفرقة الناجية انتماء رجل اليها، ولو قلتم كان الجويني والغزالي والباقلاني والرازي أشاعرة - وهؤلاء علماء فطاحل - لكانت حجتكم داحضة، فكيف تحتجون برجل عرف بالفضل والانصاف والشجاعة وحسن القيادة غير أنه لم يكن من علماء الأمة ليكون مجرد انتمائه التقليدي الى مذهب حجة.

قال محقق كتاب سير اعلام النبلاء «وكانت بلاد الشام تشهد نزاعاً مذهبياً وعقائدياً حاداً، كان الحُكّام المماليك يتدخلون فيه في كثير من الأحيان فيُناصرون فئة على أخرى، وكان الأيوبيون قبل ذلك قد عُنوا بنشر عقيدة الأشعري واعتبروها العقيدة الحقة التي يجب اتّباعها، وكان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله أشعرياً متعصباً كما هو معروف من سيرته، فلذلك أصبحت للأشاعرة قوة عظيمة في مصر والشام» [٢].

ومع فضله ولكن ما من أحد الا يُردّ عليه الا نبينا ﷺ. فقد زعم الأحباش [٣] أن صلاح الدين الأيوبي أمر المؤذنين أن ينادوا قبل الابتداء بالأذان (الله موجود بلا مكان). فتأمل!

---

١) طبقات السبكي ٧/ ٢١ محققة.

٢) سير اعلام النبلاء ١/ ١٣.

٣) شريط سليم علوان ١/ ٣٨٢.

وقد ابتلي صلاح الدين بمشايخ قمة في التعصب أمثال الخبوشاني.

قال السبكي « دخل يوماً القاضي الفاضل وزير السلطان لزيارة الشافعي، فوجده - الخبوشاني شيخ صلاح الدين - يلقي الدرس على كرسي ضيق، فجلس وجنبه الى القبر، فصاح الشيخ فيه، قم، قم، ظهرك الىالإمام؟ فقال الفاضل: إن كنت مستدبره بقالبي فأنا مستقبله بقلبي، فصاح فيه أخرى وقال: ما تُعُبِّدنا بهذا. فخرج وهو لا يعقل»[1].

يجب نبش قبور مثبتي صفات الله

قال « وأخذ الخبوشاني في بناء الضريح الشريف (ضريح الشافعي) وكان ابن الكيزاني رجل من المشبهة مدفوناً عند الشافعي رضي الله عنه فقال الخبوشاني: لا يكون صديق وزنديق في موضع واحد. وجعل ينبش جثته ويرمي عظامه وعظام الموتى الذين حوله من أتباعه، وتعصبت المشبهة عليهم، ولم يبال بهم»[2].

○ ثم ان صلاح الدين لم يكن ماتريدياً فبطل ما تزعمونه من كون الماتريدية من أهل الحق. ولو كانوا على الحق لأنتمى اليهم صلاح الدين ولنشر مذهبهم كما نشر مذهب الأشعرية.

كيف انتشر المذهب الاشعري

○ وكان الأشاعرة ينشرون مذهبهم عن طريق الارهاب الفكري والالزام بالكفر والردة والتشبيه والتجسيم ولا يتورعون عن الافتراء على خصومهم، فقد حرضوا السلطان ألب أرسلان على شيخ الاسلام الهروي وزعموا أنه مجسم وأنه كان يعبد صنماً في محرابه. ولكن الله أبطل كيدهم[3].

ولم يكن الأشاعرة يدعون الى مذهبهم بالحكمة والموعظة والبرهان ولكنهم كانوا يتسلطون على المخالف ويلجأون الى التعلق بالسلاطين حماية لعقيدتهم الباطلة، ويتسببون في كثير من الفتن، فقد سجل التاريخ استنجادهم واحتماءهم بالعبيديين الباطنيين لتثبيت عقائدهم والتخلص من خصومهم كما فعل القشيري يوم فتنة بغداد حين صاح

---

١) طبقات السبكي ١٥/٧-١٧ محققة.

٢) نفس المصدر.

٣) الذيل على طبقات الحنابلة ٥٤/١-٥٥.

هو وأصحابه «يا منصور» يعنون العبيدي الباطني صاحب مصر[1].

وكان الأشاعرة يمارسون الضغط والارهاب الفكري العقدي كما فعل ابن تومرت في المغرب، وكان يكفي لمخالف المذهب الأشعري أن يوصف بالتشبيه والتجسيم بما يكفي الى ادانته والحكم عليه بالاعدام واستباحة دمائه في سبيل الله.

ثم اعتقاده مذهب الاشعري !!

وبالرغم من مخالفة الحبشي للأشعري فإنه أعلن براءته من كل من يخالف الأشعري، متمثلاً بهذين البيتين:

شيئان من يعذلني فيهما ... فهو على التحقيق مني بري
حب أبي بكرٍ إمام الهدى ... ثم اعتقادي مذهب الأشعري[2]

وهذا قبل كل شيء دعوة الى التقليد في العقيدة، وتبرؤ من مخالفة الأشعري في أي شيء، مع أن الأشعري بشر يخطىء ويصيب وليس معصوماً فلا يجوز تقليده لا سيما وأن أهل الكلام قرروا أن التقليد في العقيدة كفرٌ. مع ان الجويني والباقلاني والرازي كانت لهم مخالفات للمذهب الأشعري، فقد اعتبر الجويني مذهب الأشعري غارقا في الجبر فيلزم الحبشي البراءة منهم.

وقد تظاهروا بأن طريقتهم عقلية محضة وقدّموها على الأدلة الشرعية مع أنهم أشد الناس تقليداً كما نص عليه الحافظ في الفتح حيث قال « والعجب ممن اشترط ترك التقليد من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول الداعين اليه»[3].

فالأشاعرة وغيرهم من أهل الكلام في الحقيقة بين مقلد للمذهب بلا دليل وبين مقلد لدليل المذهب لا يخرج عن دليل مذهبه الكلامي كما ذكر الغزالي.

---

١) الذيل على طبقات الحنابلة ١/١٩-٢٠.

٢) الدليل القويم ٧.

٣) فتح الباري ١٣/٣٥٤.

هكذا قرر الأشعري السنة

ومن نماذج هذا التقليد أني لقيت واحدا من أتباع الحبشي فذكرت له شيئا عن السُنّة:

فقال لي : هل أنت أشعري أو ماتريدي ؟ إذا لم تكن كذلك فأنت لست على مذهب أهل السنة والجماعة.

فقلت له: إذا كنت تنتسب لمذهب الأشعري فقد قرر الأشعري مذهب أهل السنة والجماعة وقال بأن:

« الحق والصواب ما عليه أهل الحديث الذين يثبتون آيات وأحاديث الصفات، القائلين بأن لله يدين ووجهاً وعينين وسمعاً وبصراً وأنه ينزل الى السماء الدنيا وأنه يجيء يوم القيامة كما أخبر، وأنه يقرب من خلقه كيف شاء **لا يتأولونها**»[١].

و« أننا بما كان عليه الامام أحمد قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون»[٢].

- فهل أنت موافق له فيما قرر أم أن شيخك سيضيف أبا الحسن الى قائمة الحشوية اذا تيقن أنه صار حنبلي العقيدة؟!

- ويلزم من هذين البيتين براءة الحبشي من نفسه لأنه كما رأيت مخالفٌ للأشعري في الصفات الالهية مقلد لتأويلات المعتزلة التي رجع عنها الاشعري بالدليل من مقالاته وتبيين تلميذه ابن عساكر والزبيدي والسِيَر للذهبي.

---

١) مقالات الاسلاميين ٢١١و ٢١٧و٢٩١ـ٢٩٥ وأثبت ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨:٢٨٤.

٢) تبيين كذب المفتري ١٥٨.

عقيدة أبي الحسن الأشعري

وكان أبو الحسن الأشعري رحمه الله من المعتزلة، غير أنه رجع عن ذلك الى إثبات جميع ما وصف الله به نفسه.

وأعلن أن « **مذهب أهل السنة والجماعة عدم التأويل**.

وأنهم يثبتون لله اليدين والعينين» [١].

والوجه والاستواء ولا يتأولون ذلك» [٢].

قال «وأهل السنة والحديث يؤمنون أن الله نورٌ كما قال تعالى **﴿الله نور السموات والأرض﴾** [٣]».

○ وصرح أن « أهل السنة والحديث يثبتون لله اليدين والعينين والوجه والاستواء ولا يتأولون ذلك...» إلى أن قال « وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب» [٤].

مراحل الاشعري الفكرية

وقد نقل المرتضى الزبيدي عن ابن كثير بيان مراحل أبي الحسن الفكرية وهي على ثلاث مراحل:

○ **الأولى** حال الإعتزال التي رجع عنها.

○ **الثانية**: إثبات الصفات العقلية السبعة: الحياة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق. وهذه الطريقة اتبع فيها عبدَ الله بن سعيد بن كلاب [٥].

○ **الثالثة**: إثبات الصفات جميعها من غير تكييف ولا تشبيه، جرياً على منهاج السلف، وهذا ما يظهر في كتابه الإبانة [٦]. وهذا في الجملة وإلا فعنده بعض المسائل بقي عليها، ولعله لو مد الله في عمره لرجع عنها كما رجع عن كثير غيرها.

---

١) وقوله: والعينين يؤكد أنه لا يتأول هذه الصفة لأن الذي يتأولها لا يثنّيها وإنما يجعلها كناية عن الرؤية.

٢) مقالات الاسلاميين ٢٩١.

٣) مقالات الاسلاميين ٢١١.

٤) مقالات الاسلاميين٢٩١.

٥) الخطط للمقريزي ٣٠٨:٣.

٦) إتحاف السادة المتقين٢:٤.

اعتراف السبكي برجوع الاشعري الى مذهب احمد

وهذا ما أكده السبكي وهو أن الشيخ الأشعري رجع الى مذهب السلف وأن عقيدته هي عقيدة أحمد بلا شك ولا ارتياب، وأن الأشعري صرح هو نفسه بذلك مراراً في تصانيفه « أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المُبَجَّل، أحمد بن حنبل» قال السبكي: هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه (١).

فهؤلاء يحملون مذهب أئمة تراجعوا عن المذهب أولهم أبو الحسن الأشعري وثانيهم الجويني وثالثهم الرازي ورابعهم الغزالي وغيرهم كثير. فليس من العدل التمسك بقول من تاب عن قوله، متجاهلا توبته.

الحافظ ابن حجر يُثبت فرقا بين الأشاعرة وبين أحمد

ومن الأدلة على مخالفة المذهب الأشعري لعقيدة أحمد، ما قاله الحافظ ابن حجر من أن الأشاعرة يمنعون أن يتكلم الله بحرف وصوت، وذكر هو والزبيدي أن أحمد تمسك بأن الله يتكلم بصوت، وهو ما أثبته أبو الفضل التميمي في روايته عن أحمد (٢).

هل وافقت المعتزلة أهل السنة في التأويلات؟

○ ونقل الحافظ ابن عساكر عنه هذه الجملة (٣). ثم نقل قول الأشعري « فان قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون».

فبادر الأشعري الى سرد عقيدته المخالفة لما أورده عن المعتزلة من قبل من أقوال المعتزلة وغيرهم. واثبت لله الاستواء لا الاستيلاء.

---

١) طبقات الشافعية ٣/٩٩ أو٤/٢٣٦ محققة.

٢) فتح الباري ١٣/٤٦٠ اتحاف السادة المتقين ٢/٧٩-٨٠ طبقات الحنابلة ٢/٢٩٦.

٣) تبيين كذب المفتري ١٥٠.

من اعظم الحجج على الاشاعرة

الحجة الأولى: أعظم حجة على مخالفة الأشاعرة للأشعري: أن ايراد الأشعري التأويلات الاعتزالية كقولهم ﴿استوى﴾ أي استولى انما كان على سبيل الإنكار لا الاستحسان. ويدل عليه قوله (فان قيل: قد أنكرتم قول المعتزلة) [1].

وبهذا يرد على من زعموا أن المعتزلة وافقت أهل السنة في تأويل الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الرحمة واليد بالقدرة. وكتاب تبيين كذب المفتري الذي يحتج به الأحباش أعظم حجة عليهم.

الحجة الثانية: ذكر الحافظ ابن عساكر في تبيينه أن المعتزلة قالت استوى أي استولى وأن المشبهة قالت استوى بذاته بحركة وانتقال. ثم قال كلمة تهتك ستر الكذابين، قال « **فسلك أبو الحسن طريقاً وسطاً بينهما**» [2]، وإنما ذكرت ذلك لتبيين كذب المفتري فيما نسبه الى أبي الحسن الأشعري من موافقة المعتزلة في تأويل الاستواء بالاستيلاء!!

وسرد الذهبي عقيدة الأشعري وخروجه عن التأويل الذي كان عليه المعتزلة، وقول الذهبي هذا دليل على أن المعتزلة كانوا ينفون الصفات بطريقة التأويل [3].

---

١) تبيين كذب المفتري ١٥٧ - ١٥٨.
٢) تبيين كذب المفتري ص ١٥٠.
٣) سير أعلام النبلاء ١٨:٢٨٤.

حول كتاب الابانة للاشعري

وقد حاول البعض التشكيك في المرحلة الثالثة وأنكروا نسبة كتابه الإبانة واحتجوا بأن أبا بكر بن فورك ذكر مصنفات الأشعري ولم يذكر منها الابانة، لكن ابن عساكر استدرك على ابن فورك مصنفات أخرى للأشعري فاتته مثل رسالة الأشعري الى أهل الثغر ورسالة الحث على البحث[1] فلمَاذا لا تكون رسالة الإبانة من بينها لا سيما وأن السبكي قد أقر بأنَها النسخة المعتمدة عند الأشاعرة!.

○ على أن إغفال ابن فورك ذكر كتاب الإبانة لا يؤثر كثيراً فقد دوَّن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين التزامه بمذهب السلف وأعلن التزامه بإثبات الصفات كلها لله كالوجه واليدين والاستواء والنزول على الوجه اللائق بالله.

وقد أكدت الدراسات الجادة التي قام بها العديد من الباحثين تمثيل هذا الكتاب للمرحلة الثالثة، مستبعدة أن يكون كتاب اللمع واستحسان الخوض في علم الكلام آخر كتبه [2].

○ أن كل من ذب عن الأشعري وأغرى به الناس إنما اعتمد في الذب عنه على كتاب الابانة كما فعل ابن عساكر.

توثيق ابن عساكر والبيهقي والسبكي كتاب الابانة

وقد أثبت الحافظ البيهقي [3] صحة نسبته اليه.

وقد ألف الحافظ ابن عساكر كتاب (تبيين كذب المفتري فيما نُسبَ الى الامام أبي الحسن الأشعري) نقل فيه فصولا من كتاب الابانة للأشعري ثم أكد أن الأشاعرة القدامى لا يزالون يعتقدون ما في كتاب الابانة أشد الاعتقاد [4].

---

1) تبيين كذب المفتري ١٣٦.

2) مذاهب الاسلاميين للبدوي ١:٥١٨ ومقدمة الابانة لفوقية محمود ٢٧ سير اعلام النبلاء ١٥/ ٩٠ وفيه أنه رد على أهل البدع فلم يقبلها منه الحنابلة فذهب وكتب الابانة.

3) الاعتقاد ٩٦و١٠٩.

4) تبيين كذب المفتري ١٥٢-١٥٨.

السبكي يثني على كتاب الابانة

وقد وصف السبكي كتاب التبيين بأنه الكتاب الذي يعتمد على نقله الأشاعرة [(١)].

فافتخار الأشاعرة بكتاب الابانة كدليل على صحة عقيدة الأشعري بعد موته يؤكد أنه الكتاب الممثل الحقيقي والأخير لمذهب الأشعري.

واحتج ابن عذبة من الحنفية بالكتاب [(٢)].

وصرح أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس (توفي ٦٠٥ هـ) أن كتاب الابانة هو آخر ما استقر عليه أمر الأشعري فيما كان يعتقده» [(٣)]. وذكر عن إمام القراء أبي علي الحسن بن علي بن ابراهيم الفارسي أن الأشعري صنف الإبانة في بغداد لما دخلها[(٤)].

وصرح ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب ٢/٣٠٣) أن كتاب الإبانة هو آخر ما ألفه الأشعري. ويعتمد عليه أصحابه في الذب عنه ضد من يطعن فيه.

---

١) طبقات السبكي ١/١٣٣ محققة.

٢) الروضة البهية ٥٣.

٣) ذكر ذلك في رسالة ألفها بعنوان رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري ص ١٠٧ تحقيق الفقيهي.

٤) رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري ص ١١٥.

مخالفة الاشاعرة للاشعري

غير أن المنتسبين اليه من بعده إليه يجهلون نهاية حاله رحمه الله من إثبات ما أثبته الله ورسوله. ويجهلون حقيقة مهمة وهي أن طريقة ووسيلة المعتزلة في نفي الصفات انما كانت في التأويل، فلما جهلوا ذلك تبنَّوا تأويلات المعتزلة ودافعوا عنها معتقدين أنها تأويلات أهل السنة بينما هي عين تأويلات المعتزلة.

وظنوا أن المعتزلة كانوا ينفون الصفات وهذا غير صحيح وإنما كانوا يقولون ما يقوله كثيرون اليوم: نؤمن بهذه الصفات لكننا نعتقد أن ظاهرها غير مراد [١].

ولذلك نقل أبو الحسن الأشعري لنا تأويلاتهم فقال:

« قالت المعتزلة: نزول الله معناه نزول آياته أو نزول الملك بأمره[٢]

وفي ذلك دليل على أن المعتزلة كانوا يعتمدون التأويل فانه لما ترك أبو الحسن الأشعري الاعتزال ترك معه التأويل. واعتبر تأويل المعتزلة إنكاراً لصفات الله. فأعرض عن طريقتهم وأعلن في كتابه الابانة أنه على ما كان عليه الامام أحمد بن حنبل، هذا الكتاب الذي لا يزال يتجاهله من ينتسبون للأشعري الى اليوم.

قال « وقالت المعتزلة ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ يعني استولى [٣].

من الأدلة على مخالفة الأشاعرة للأشعري

قال ابو الحسن الاشعري «وقالت المعتزلة: نزول الله معناه نزول آياته أو نزول الملك بأمره [٤]وذكر الأشعري والجويني وابن خزيمة أن فرعون «كذَّب موسى في قوله: إن الله سبحانه فوق السموات [٥].

---

١) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص ١٩.

٢) مقالات الاسلاميين ٢٩١ تبيين كذب المفتري ١٥٠.

٣) مقالات الاسلاميين ١٥٧و٢١١ رسالة الأشعري الى أهل الثغر ص ٢٣٣-٢٣٤ التبيين لابن عساكر ١٥٠ وانظر رسائل العدل والتوحيد لمجموعة من المعتزلة ٢١٦/١ وشرح الأصول الخمسة ٢٢٦ ومتشابه القرآن ٧٢ للقاضي عبد الجبار.

٤) مقالات الاسلاميين ٢٩١ وانظر تبيين كذب المفتري لابن عساكر ١٥٠.

٥) الإبانة ١٠٦ رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ١٧٧/١ ضمن المنيرية والتوحيد لابن خزيمة ١١٤.

أما الماتريدية والأشاعرة فقد ذهبوا الى نفْس تأويل المعتزلة كالرازي والايجي والجويني وشُرَّاح الجوهرة [1]. وهذا هو تأويل بشر المريسي عينه وهو والد المعتزلة ومؤسسهم حيث قال بأن نزول الله عبارة عن نزول أمره أو نزول رحمته[2].

واعترف ابن فورك أن المتأخرين من الأشاعرة ذهبوا الى تأويل الاستواء بالقهر والغلبة خلاف قول الأشعري والمتقدمين من أصحابه. واعتبر أبو منصور البغدادي أن قول المعتزلة (استوى: أي استولى) قولا فاسدا باطلا [3].

قال الأشعري « وقالت المعتزلة: يد الله بمعنى نعمة الله» وقال أبو منصور البغدادي: « وقالت المعتزلة يد الله معناه: قدرة الله قال: وقولهم باطل»[4] وقال « وقال القدرية [5] يد الله أي قدرته» وقولهم باطل، قال «وزعم الجُبَّائي من المعتزلة أن يد الله بمعنى النعمة « وهذا خطأ» [6].

وذكر الأشعري أن الجبائي - من المعتزلة - لا يجوز عنده أن يوصف الله بالفوقية، فان وُجِد في القرآن ما يثبت الفوقية فهو مؤول بالقهر والاستيلاء وأن الله مستولٍ على العباد» [7].

---

١) أساس التقديس ١٦٢ ومشكل الحديث ٩٨-٩٩ والمواقف ٢٩٨ والارشاد ١٥٦ وجوهرة التوحيد٩٣.

٢) أنظر رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ٢٠ وشرح الأصول الخمسة ٢٢٩ ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ١٢١.

٣) الاسماء والصفات ٢/١٥٢-١٥٣ تحقيق الأحباش.

٤) مقالات الاسلاميين ١٥٧و١٦٧و٢١١و١٩٥و٢١٨و٢٩١ الابانة ٩٥ تبيين كذب المفتري ١٥٠ واصول الدين ١١٠ وانظر شرح الأصول الخمسة ٢٢٨ ومتشابه القرآن ٢٣١ للقاضي عبد الجبار المعتزلي.

٥) والقدرية هم المعتزلة.

٦) أصول الدين ١١٠و١١١.

٧) مقالات الاسلاميين ٥٣٢.

انتقادات العلماء على الاشاعرة

انتقاد الجيلاني

وانتقد الشيخ عبد القادر الجيلاني الأشاعرة من أن كلام الله معنى قائم قديم بالنفس (١).

وصرح أن اللّه « يقبض ويبسط ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويرضى ويغضب ويسخط وله يدان وكلتا يديه يمين وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه، وأنه بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك.

وأن النبي ﷺ شهد بإسلام الجارية لما قال لها: أين الله؟ فأشارت الى السماء»، وأن عرش الرحمن فوق الماء، والله تعالى على العرش ودونه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وأن للعرش حد يعلمه الله (٢).

وأنه ينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرّامية، ولا على معنى العلو [أي علو المنزلة] والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء كما قالت المعتزلة (٣).

وأنه تعالى ينزل في كل ليلة الى السماء الدنيا كيف شاء لا بمعنى نزول الرحمة وثوابه على ما ادعت المعتزلة والأشعرية» (٤)..

وقال مالك « لا تجوز شهادة أهل البدع» ووذكر حافظ المغرب وفقيهها ابن عبد البر بسنده عن فقيه المالكية أبي بكر بن خويزمنداد أنه قال معلقاً على قول مالك (**لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء**) قال «أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، **فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري** ولا تُقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويُهجَر ويؤدّب على بدعته» (٥).

---

١) الغنية ٦٠.

٢) الغنية لطالبي الحق ٥٦ لا دليل عليه. والحديث في مسلم بدون عدد.

٣) صار هذا القول قول عامة الأشعرية اليوم.

٤) الغنية لطالبي الحق ٥٦-٥٧.

٥) جامع بيان العلم ٢:٩٦ صون المنطق ١٣٧ مفتاح السعادة ٢:١٣٧ وحذف طاش كبري زادة من النص ما يتعلق بالأشاعرة.

وروى السيوطي من طريق أبي عبد الله الحاكم قال: سمعت أبا زيد الفقيه المروزي يقول: أتيت أبا الحسن الأشعري بالبصرة فأخذت عنه شيئاً من الكلام فرأيت من ليلتي في المنام كأني عميت فقصصتها على المعبر فقال: إنك تأخذ علماً تضل به فأمسكت عن الأشعري، فرآني في الطريق فقال لي: يا أبا زيد، أما تأنف أن ترجع الى خراسان عالماً بالفروع جاهلا بالأصول، فقصصت عليه الرؤيا فقال: أكتمها على ههنا»[1].

لقد رأيت بما لا يدع مجالا للشك أن الأشعرية مخالفون لعقيدة الأشعري، موافقون في كثير من تأويل الصفات للمعتزلة. متبعون علم الكلام الذي تركه الأشعري وهو الآلة التي هلك بها المعتزلة وكل من نحا نحوهم.

من هنا تعلم أن المذهب الأشعري مذهب تنطبق عليه مواصفات الفرَق المبتدعة كما قال مالك « أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصَفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»[2].

وذكر السبكي أن الهروي بالغ في ذم المذهب الأشعري حتى قال بأن ذبائح الأشعرية لا تحل»[3]. وكان الناس يقاطعون من يتمذهب بهذا المذهب الكلامي. فقد انقطع الناس عن أبي عصرون - من علماء الأشاعرة - فقال لهم: لماذا انقطعتم عني؟ قالوا: إن أناساً يقولون: إنك أشعري. فقال: والله ما أنا بأشعري»[4].

موقف ابن حزم من المذهب الأشعري

ولا يخفاك كلام العلماء في الأشعري كقول ابن حزم « وأبعدهم (أي المرجئة) عن أهل السنة: أصحاب جهم بن صفوان والأشعري»».

وقد تعجب ابن حزم من الأحوال التي يقول بها الأشاعرة حيث يقولون « إن ههنا أحوالا لا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معلومة ولا مجهولة ولا حق ولا باطل وأن النار ليست حارة والثلج ليست باردة».
وكان يصف فرقة الأشعرية بالفرقة الضالة[5].

---

١) صون المنطق والكلام للسيوطي ص ٧٦-٧٧.
٢) ذكره السيوطي في صون المنطق ٥٧.
٣) طبقات السبكي ٤/٢٧٢ محققة.
٤) طبقات السبكي ٧/١٣٤ محققة.
٥) الفصل في الملل والنحل ٤/١١١ و٥/١١٧.

ابن الجوزي يوبخ الأشعري

وقد انتقد ابنُ الجوزي أبا الحسن الأشعري لأنه فتح على الناس باباً أدى الى النزاع على العقائد والاختلاف، فتارة قال بقول المعتزلة وتارة يزعم أن الكلام صفة قائمة بالنفس. قال ابن الجوزي « لم يختلف الناس حتى جاء علي بن اسماعيل الأشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عنّ له فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس، فأوجبت دعواه هذه أن ما عندنا مخلوق»[1].

وهذا القول يُحمل على المرحلة الوسط التي كان عليها الأشعري رحمه الله قبل انتهائه الى مرحلة الالتزام بما عليه أحمد.

موقف أبي نصر السجزي من المذهب الأشعري

قال أبو نصر السجزي [2]« إعلموا أرشدنا الله واياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان الى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والصالحي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم بل أخس حالا منهم في الباطن.

ثم قد أطلق الأشعري أن هذه التسميات لم يستحقها كلام الله، وقوله: القرآن غير مع هذا القول تلاعب».

قال « فاذا كان الأشعري عنده القرآن غير هذا النظم العربي وأهل الحل والعقد لا يعرفون ما يقوله ارتفعت أحكام الشريعة ولا خلاف بين المسلمين بأن من جحد سورة من القرآن أو آية منه أو حرفا متفق عليه فهو كافر.

ثم أوصى أبو نصر السجزي رحمه الله كل مسلم « أن ينظر في كتب من درج وأخبار من سلف: هل قال أحد منهم ان الحروف ليست من كلام الله؟ فإن جاء ذلك عن أحد من الأوائل والسلف قبل مخالفينا الكلابية والأشعرية: عُذروا في موافقتهم اياه».

قال « وينبغي أن يتأمل قول الكلابية والأشاعرة في الصفات ليعلم أنهم غير مثبتين إلهاً في الحقيقة».

---

١) كتاب صيد الخاطر١٨١و١٨٣ وانظر المنتظم ٦/٣٣٢.

٢) قال الذهبي « الامام الحافظ شيخ السنة شيخ الحرم ومصنف الإبانة الكبرى وهو مجلد كبير دال على سعة علم الرجل بفن الأثر» (سير أعلام النبلاء ١٧/٦٥٤ ووصفه السيوطي في طبقات الحفاظ (ص ٤٢٩) بأنه « عَلَمُ السُنة».

« والمعتزلة مع سوء مذهبهم أقل ضرراً على عوام أهل السنة من هؤلاء».

وانتهى الى ان قول الأشعرية في القرآن يدعو الى الحيرة، يدْعون قرآنا ليس بعربي وأنه الصفة الأزلية. وأما هذا النظم العربي فمخلوق عندهم. يقولون الايمان التصديق وقال أبو نصر السجزي رحمه الله « إعلموا أرشدكم الله وإياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق... في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً الى أن ظهر ابن كلاب والقلانسي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة»[1].

موقف العلامة محمد أنور الكشميري

كذلك انتقده العلامة الشاه محمد أنور الكشميري الحنفي [2] قائلا « ألا ترى أن الأشعري لما بالغ في التنزيه وشدد فيه لزمه نفي كثير من الصفات التي أثبتها السمع حتى قارن المعطلة فلم يبق للاستواء المنصوص عنده مصداق، وصار نحو ذلك كله من باب المجازات عنده، فالقرآن يأبى عما يريده الأشعري من تنزيهه هذا.

وقد نقلنا لك أننا لم نجد تعبيراً في القرآن أزيد إيهاماً من قوله تعالى ﴿إني أنا الله﴾ ومن قوله ﴿بورك من في النار﴾ وكان ذلك مسموعاً. فالأشعري يزعمه خلاف التنزيه قلت: فعليه أن يكره هذا التعبير أيضاً ولكن القرآن قد أتى به ولم يبال بذلك الايهام، ولا أراه مخالفاً للتنزيه... وبالجملة قد ثبت إسناد كثير من الأشياء في السمع ولا يرضى الأشعري إلا بقطعها عن الله تعالى، مع أن القرآن على ما يظهر لا يسلك مسلك تلك التنزيهات العقلية».

وهذا كلام جيد غير أن الرد على الأشعري والسكوت على الماتريدي ليس من الإنصاف في شيء، ثم أليس هذا اعترافا منه بأن إثبات الصفات لا يعد تشبيهاً.

---

١) رسالة السجزي الى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ٨٠ تحقيق محمد عبد الكريم باعبد الله.

٢) قال الشيخ الشمس السلفي « وهو الذي يبجله الكوثري وأبو غدة ويعظمانه ويبجلانه غاية الاجلال » (مقالات الكوثري ٣٥٩ ومقدمة (التصريح بما تواتر في نزول المسيح ١٢-٣٢).

موقف السرهندي من المذهب الأشعري

وانتقد السرهندي الفاروقي النقشبندي مذهب الأشعري في القدر واعتبر مذهبه داخلا في دائرة الجبر الحقيقي. واعتبر أن كثيرين من ضعيفي الهمة يحتجون بقدر الأشعري ويميلون الى مذهبه لهذا السبب[1].

○ ومن المعاصرين أبو الفضل أحمد بن الصديق الغماري - أخو عبد الله الغماري - الذي قال عند تفسير قوله تعالى ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة**﴾.

قال « أما الأشعرية فأنكرت أن تكون لله يد بالمرة، فهم أظلم منهم، وزعموا أن من قال لله يد وعين وقدم: مشبّه ومجسّم، وحرّفوا معنى قوله تعالى ﴿**بأعيننا**﴾ بالحفظ والقدرة، وهو خلاف الحق ومذهب السلف، فكانوا في ذلك أعلم من الله الذي أثبت ذلك لنفسه على المعنى الذي أراده، لا على معنى الجارحة الذي فهمه الأشعرية وغيرهم من المؤولة، وضلّ من قال « قدرتاه مبسوطتان» فإنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة بلفظ التثنية، بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله تعالى ﴿**أن القوة لله جميعاً**﴾.

○ وقال في تفسير قوله تعالى ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ قال « استواءً يعلمه الله تعالى ويجب علينا الايمان به وتسليم معناه لله ورسوله، لا استولى كما يقول الاشعرية المبتدعة تعالى الله عن قولهم وعن مذهبهم علواً كبيراً»[2].

---

١) مكتوبات الامام الرباني ٣٣١.

٢) كتاب الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد ص ٤٦.

أشنع ما في المذهب الأشعري

ستجد في هذا الفصل بالرغم من الاختصار الشديد عجائب المذهب الأشعري وفظائع أقوالهم في العقائد:

ونبدأ بالرازي الذي أتى بتحريف عظيم للآية ﴿وجاء ربك﴾ فزعم « أن الرب هو المربي، فلعل ملكاً عظيماً هو أعظم الملائكة كان مربياً للنبي ﷺ وكان هو المراد من قوله وجاء ربك والملك صفاً صفاً »[1]. وهذا نموذج لجرأة أهل الكلام على تحريف كتاب الله كل ذلك باسم التنزيه!

وزعم أن قوله ﷺ «فيضحك الرب منه» قد حصل فيه الغلط في إعراب هذا اللفظ وأن الصواب أنه بضم الياء أي يُضحِكُ اللهُ الملائكةَ»[2].

وزاد الماتريدي تحريفاً آخر فحرّف الآية مستبدلا الواو في ﴿والمَلَك﴾ بالباء فصار المعنى « وجاء ربك بالمَلَك صفاً صفاً »[3]. وهم يسمونه إمام أهل السنة! وهذا تحريف شبيه بمن زاد اللام في الاستواء فجعلها (استولى). بل أعظم، لأن تغيير لفظ القرآن أعظم من تحريف المعنى.

وجاء النسفي فنسف الآية بتأويلاته ووافق قول الماتريدي[4] وقال « لا يجوز أن يوصف الله بالمجيء والذهاب»[5]. وقوله إفك عظيم، فإن الذي وصف الله بالمجيء هو الله نفسه. فكيف يحكم على ما أجازه الله بأنه غير جائز ؟!

وهم يعتقدون أن منشيء ألفاظ القرآن هو جبريل وهو المقصود بقولهم « فإن عُبِّر عنه» فالمعبِّر جبريل يا مسلمون.

وقد حكى البيجوري هذه العقيدة الأشعرية الخبيثة وأن منهم من يرى أن ألفاظه من عند جبريل. والبعض الآخر يرى ألفاظه من عند محمد. وهو قول الأمير في شرحه على الجوهرة.

---

1) أساس التقديس ١٤٣.
2) أساس التقديس ١٨٩.
3) تأويلات أهل السنة ١/٨٣-٨٥ تحقيق عوضين وذكره ابن فورك في مشكل الحديث ص ٢٠٨ عن بعض أهل التفسير.
4) تفسير النسفي ٤/٣٥٦.
5) بحر الكلام ٢٣.

ثم رجح أن جبريل عبَّر عنه بألفاظٍ من عنده»[1].

فهؤلاء وافقوا قول من قال ﴿إنْ هذا إلا قولُ البشر﴾[المدثر٢٥].

وهذا الرأي يمثله الباقلاني الذي صرح أن « النظم العربي في القرآن هو قول جبريل لقوله تعالى ﴿انه لقول رسول كريم﴾ وهو الذي تلاه باللغة العربية» [2] فصار القرآن عندهم كلام جبريل حقيقة كلام الله مجازا! وهذا ما حمل ابن حزم على التشنيع على الباقلاني خاصة والأشاعرة عامة بالشناعات العظيمة، متهماً إياهم بأنهم صرحوا جميعاً وبلا مخالفة واحد منهم أن هذا القرآن هو عبارة جبريل [3].

ولكن حتى هذه العبارة «منه خرج واليه يعود» مسخها التأويل الأشعري فقد جعل أبو بكر بن فورك معناها « أي هو الذي يسألك عما أمرك ونهاك» [4].

وهنا وقع الأشاعرة في ورطة كبيرة أظهرت مدى موافقتهم للمعتزلة، فإنه عندما جعلوا كلام الله معان نفسية والألفاظ مخلوقة قيل لهم: ماذا عن ألفاظ اسماء الله (الله والرحمن) هل هذه ألفاظ أزلية أم مخلوقة وهي في القرآن؟

فتحيروا وتخبطوا ولم يأتوا بجواب واضح. فقالوا: بأن الله صالح أزلا لهذه الأسماء أو أنه علم بها أزلا[5].

وهذا قول باطل فإن الله عالم أزلا بجميع مخلوقاته قبل خلقهم، فما الفرق بين مخلوقاته وبين أسمائه حينئذ؟ وإذا كان الكلام نفسياً بلا حرف ولا صوت وإنما هو شيء قديم فما الفرق بينه وبين الارادة والعلم؟

وهم يعتبرون ألفاظ أسماء الله مخلوقة لأن الله كان ولم يكن لفظ ولا لافظ كما صرح الرازي [6].

قال الماتريدي « الأسماء التي نسميه (أي الله) بها عبارات عما يقرب الى الأفهام أنها في الحقيقة أسماؤه»[7]. وقال صاحب فيض

---

1) شرح جوهرة التوحيد ٧٣ وهو كتاب مريض يتخرج عليه كثير من المرضى الذين يخرجون لمداواة المرضى!

2) الانصاف ١٤٧.

3) أنظر الفصل في الملل والنحل ٣/٥-٧ و٤/٢٠٦-٢٠٧ و٢١١.

4) مشكل الحديث وبيانه ٢٨٨.

5) تحفة المريد ٨٧.

6) لوامع البينات شرح أسماء الله ٢٤.

7) التوحيد للماتريدي ٩٣-٩٤.

الباري « والأسماء الحسنى عند الأشاعرة عبارة عن الإضافات، وأما عند الماتريدية فكلها مندرجة في صفة التكوين»[١]. فماذا يفعلون في لفظ الجلالة (الله) هل يدرجونه في صفة التكوين وهو الاسم الأعظم؟!

الحقيقة أنهم ألحدوا في اسم الجلالة (الله) فصرح الماتريدية بأن اسم (الله) علم على الذات لا معنى له[٢].

وزعم ابن فورك أن الضمير في قوله ﷺ «رأيت ربي في أحسن صورة» يحتمل أن الضمير راجع الى النبي ﷺ أي رأيت ربي وأنا في أحسن صورة»[٣].

وكلام الأشاعرة حول النبوة فيه طعن في النبوات، فالجويني لا يؤمن بصدق النبي الا بالمعجزة [٤]. لا يعرف صدقهم الا بها.

أما القشيري فقد أفرط في الثناء على الجويني حتى قال « لو ادعى إمام الحرمين اليوم النبوة لاستغنى بكلامه عن إظهار المعجزة» [٥]. فالجويني غني عن هذا الشرط!

وهم حين يثبتون كرامات الأولياء لا يجعلون بينها وبين معجزات الأنبياء فرقاً، وقد يذكرون فروقات شكلية لا حقيقة لها، حتى إن البغدادي يصرح [٦] بأن الفرق بين المعجزة والكرامة في كونها ناقضة للعادات من حيث التسمية فقط للتمييز بينهما، وهو شبيه بالتفريق بين الجبر والكسب.

وتارة يجعلون الفرق بينهما أن الكرامة لا يُتحدى بها. والثابت وجود كرامات للصحابة تحدوا، ومعجزات للنبي ﷺ لم يتحدَّ بها.

وحاصل كلامهم لا يُشعر بأي فرق بين الكرامة والمعجزة، كقولهم «ما كان معجزة لنبي: جاز أن يكون كرامة لولي».

ويقضي أكابر فضلائهم مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر فلا يجدون.

قال ابن تيمية « ولهذا كان منتهى كلامهم في هذا الباب الى التعطيل، وهذا ما جعل الغزالي وغيره يعدلون عن طريقة الأشاعرة في الاستدلال بالمعجزات على أصولهم، لأنها لا تدل على نبوة نبي [٧].

---

١) فيض الباري ٥١٧/٤ للشيخ أنور شاه الكشميري.

٢) نظم الفرائد ٢١.

٣) مشكل الحديث وبيانه ٧٠.

٤) الارشاد ٣٣١.

٥) طبقات السبكي ١٧٤/٥ محققة.

٦) أصول الدين ١٧٤.

والأشاعرة يحشرون أنفسهم في كل شيء ويختمون عليه خاتم أهل السنة. فقد جعل أبو منصور البغدادي من جملة أصول الايمان: اعتقاد أن الله بسط الأرض ولذلك سماها بساطاً خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين ان الأرض كرية غير مبسوطة» (كتاب أصول الدين ١٢٤).

وللرازي كلام يفضل فيه الحقيقة على علم الشريعة. قال « لما كملت مرتبة موسى في علم الشريعة بعثه الله الى هذا العالم ليعلم موسى أن كمال الدرجة في أن ينتقل الانسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم الباطن المبنية على الإشراف على البواطن والتقطع على حقائق الأمور» (تفسير الرازي ٢١/١٦٠).

وله كلام يوحي بالحلول ووحدة الوجود يقول « وقد اتفقت كلمة العارفين على أن مقامات السالكين الى الله لا تخلو عن الفرق والجمع وأما الفرق ففيما سوى الله وأما الجمع ففي الله» (الاشارات ٢/١٢٠).

وقال في (لوامع البينات ٨٥) بأن (هو) له هيبة عظيمة عند أرباب المكاشفات». وأن لفظ (هو) نصيب المقربين السابقين الذين هم أرباب النفوس المطمئنة» (لوامع البينات ١٠١-١٠٧).

وقد اعتمد الرازي في كتابه (المباحث الشرقية) على أقوال ابن سينا كتب الفلسفة وشرح كتاب الاشارات واختصرها وشرح كتاب عيون الحكمة لابن سينا ودافع عن عموم الفلاسفة فقال « واذا أمكن تأويل كلام القوم على الوجه الذي فصلناه فأي حاجة بنا الى التشنيع عليهم وتقبيح صورة كلامهم» (المباحث الشرقية ١/٣٨٢).

وصرح بالجبر فقال « فثبت أن الانسان مضطر باختيار وأنه ليس في الوجود الا الجبر» (المباحث الشرقية ٢/٥١٧).

وقال « إن صدور الفعل عن العبد يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى، ومتى وجدت هذه الداعية كان الفعل واجب الوقوع واذا كان كذلك كان الجبر لازماً» (المحصول في أصول الفقه جـ ١ ف ٢ ص ٣٨٠).

وقال في أساس التقديس (ص ٨١) بتماثل الأجسام محتجاً به على نفي العلو والصفات الخبرية، لكنه في المباحث الشرقية (٢/٤٧) وشرح اشارات ابن سينا (١/٢١-٢٢) رد ذلك وقال بعدم تماثلها.

---

٧) النبوات ١٩٨.

وهو يقرر عادة أن الأدلة النقلية (السمعية) لا تفيد القطع واليقين (أساس التقديس ١٧٢و١٨٢) (معالم أصول الدين ٢٥و٤٨) ولما وصل الى صفة السمع والبصر ضعف دليل الأشاعرة في إثباتها ورجح أن الأولى الاستدلال لهما بنصوص السمع (المحصل ١٧١-١٧٢).

ورجح أدلة القرآن في إثبات وجود الله على أدلة الحكماء والمتكلمين (المطالب العالية ١٩٨).

وفي مسألة الرؤية ضعّف دليل الأشاعرة العقلي واقتصر في إثباتها على الأدلة السمعية [١].

ونقد الأشاعرة في حصرهم الصفات الثابتة بسبع نقدهم قويا.

وفي صفة الكلام لله ضعّف أدلتهم وأدلة المعتزلة ثم صرح بأن الحروف والأصوات محدثة (المحصل ١٧٣ الاربعين ١٧٧-١٧٩ و١٨٤).

هلا نزهتم الله عن الكذب؟

يجيب عن ذلك الرازي بأن الحكمة مراعاة أحوال العوام في أول أمرهم فيخاطَبون بما يدل على التجسيم والتحيز والجهة لأن ذلك يناسب ما تخيلوه وتوهموه» [٢]. وعاد قوله موافقاً لقول الفلاسفة الذين زعموا أن الله خاطب العوام بلغة التجسيم ولم يخاطبهم بلغة التنزيه مثل أن الله ليس في جهة ولا مشار اليه حتى لا يظنوا ذلك تعطيلا ونفياً لوجود الله..

ثم قال الرازي « إن الأخبار المذكورة في باب التشبيه بلغت مبلغاً كثيراً في العدد، وبلغت مبلغاً عظيماً في تقوية التشبيه، وإثبات أن إله العالم يجري مجرى إنسان كبير الجثة عظيم الأعضاء! وخرجت عن أن تكون قابلة للتأويل» [٣].

كان محمد ﷺ رسول الله عندهم!!

وللأشاعرة طعن في النبوة حكاه أئمة أهل العلم كابن حزم وأبي الوليد الباجي بل نقاد الجرح والتعديل كالحافظ الذهبي وهو قول كبير أئمتهم أبي بكر ابن فورك « كان رسول الله ﷺ رسولا في حياته فقط، وأن روحه قد بطل وتلاشى وليس هو في الجنة عند الله تعالى»

---

١) الاربعين ١٩١-١٩٨ معالم أصول الدين ٧٤.

٢) أساس التقديس ١٩٢ التفسير الكبير ١٧٢/٧ وانظر الباز الأشهب لابن الجوزي ص ٣٨ اتحاف السادة المتقين ١٨١/١٠.

٣) المطالب العالية ٢١٣/٩ وانتهى الى وصف أخبار الآحاد بأنها ضعيفة. ويلزمه تضعيف غالب البخاري ومسلم.

مما دفع محمود ابن سبكتكين الى قتله بالسم [١].

ونقل ابن حزم عن الأشعرية أنهم قالوا: إن رسول الله ﷺ ليس هو اليوم رسول الله ولكنه كان رسول الله» وأوضح ان هذا القول منهم هو كفر صريح وتقليد لقول أبي الهذيل العلاف... ثم اتبعه على ذلك الطائفة المنتمية الى الأشعري» [٢].

وحكى ابن حزم سبب مقولتهم: وهو اعتقادهم أن العرض (الصفة) لا تبقى زمانين، فلا تبقى صفة النبوة في النبي زمانين: زمن حياته وزمن مماته.

المذهب الأشعري وتكفير عامة المسلمين

قال أبو منصور البغدادي « قال أصحابنا: كل من اعتقد أركان الدين تقليداً... فهذا غير مؤمن بالله ولا مطيع له، بل هو كافر... ومنهم من قال: لا يستحق اسم المؤمن الا اذا عرف الحق في حدوث العالم وتوحيد صانعه... وهذا اختيار الأشعري وليس المعتقد للحق بالتقليد عنده مشركاً ولا كافراً وإن لم يسمّه على الاطلاق مؤمناً» [٣].

وبناء على فتوى الأشعري يتعرض الأشاعرة اليوم لفتوى الأشعري بأنهم بين المنزلتين. فإنه قال غير مرة « قالت المعتزلة: استوى أي استولى» [٤].

والأشعرية بعده يقلدون المعتزلة ويقولون: استوى أي استولى.

بل هم دعاة الى التقليد. قال الشيخ خالد البغدادي النقشبندي الملقب بالطيار ذي الجناحين ما نصه «وكل مسلم ومسلمة عليه أن يقلد أحد الإمامين (أي الماتريدي والأشعري) في المسائل الاعتقادية» [٥].

وخالف الرازي شيخه الأشعري الذي حكم بكفر جاهل صفات الله

---

١) النجوم الزاهرة ٢٤٠/٤ وفيات الأعيان ٤٨٢/١ سير اعلام النبلاء ٨٣/٦ الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٨٨/١ طبقات السبكي ١٣٢/٤ محققة. وقد دعا ابن حزم للسلطان بخير لقتله ابن فورك (سير أعلام النبلاء وأقره ٢١٦/١٧).

٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٨٨/١ و٧٦ والدرة فيما يجب اعتقاده ٢٠٤-٢٠٥ له أيضاً.

٣) أصول الدين ٢٥٤-٢٥٥.

٤) مقالات الاسلاميين ١٥٧و٢١١ التبيين لابن عساكر ١٥٠ ورسالة الأشعري الى أهل الثغر ٢٣٣ وانظر كلام المعتزلة: رسائل العدل والتوحيد لمجموعة من المعتزلة ٢١٦/١ شرح الأصول الخمسة ٢٢٦ متشابه القرآن ٧٢ للقاضي عبد الجبار.

٥) كتاب الايمان والاسلام ص ٥٥ ط: مكتبة الحقيقة بتركيا.

فرجح بأنه لا يكفر، وعلل ذلك بأنه يلزم منه تكفير كثير من أئمة الأشعرية بسبب اختلافهم في الصفات (نهاية العقول ٢٨٧-ب). ورجح أن أهل التقليد في العقائد ناجون.

ولقد أبدى الحافظ ابن حجر استياءه من ذلك فقال « والعجب ممن اشترط ترك التقليد من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول الداعين اليه.. فآل أمرهم الى تكفير من قلد الرسول ﷺ في معرفة الله تعالى. وكفى بهذا ضلالا، ويلزم من ذلك الى القول بعدم ايمان أكثر المسلمين»[١].

قلت: كيف لا، وهم يقولون: إن ظواهر آيات الصفات كفر يجب تأويلها وعدم الأخذ بظاهرها. والعامة لا تعرف هذا التأويل ولا تعرف أن اليد هي القدرة وأن ﴿أأمنتم من في السماء﴾ أنه جبريل وأن المجيء مجيء الأمر أو الملائكة.

- ونقل الحافظ عن البيهقي في كتاب الاعتقاد أن غالب من أسلم من الناس في عهد النبي ﷺ لم يعرفوا اثبات الصانع وحدوث العالم عن طريق استدلال المتكلمين وذكر أن هذا لا يكون تقليدا وانما اتباعا[٢]

- وأثبت الحافظ أن هذا الاشتراط الذي عرفه المتكلمون انما قلدوا به المعتزلة الذين سبقوهم الى تكفير من لم يعرف الله عن طريق الاســتدلال. قال « وذهب أبو هاشم من المعتزلة الى أن من لم يعرف الله بالدليل فهو كافر» [٣].

وجاء الآمدي فنقد أدلة الأشاعرة في حدوث العالم كدليل الشهرستاني وقال فيه « وهو عند التحقيق سراب غير حقيق» (غاية المرام في علم الكلام ص ٢٦٠).

واستعرض أدلة الأشاعرة على نفي حلول الحوادث ثم نقدها واحدة واحدة (غاية المرام في علم الكلام ١٨٧-١٩١).

وللآمدي رد على الرازي (لا يزال مخطوطاً) اسمه (المآخذ على الرازي أو (تلخيص المطالب العالية ونقده). ورد عليه في مسألة حلول الحوادث (غاية المرام ص ٤٥٦) .

وذكر ابن عبد السلام أن التصوف عبارة عن علوم الهية يكشف بها عما في القلوب فيرى أحدهم بعينيه من الغائبات ما لم تجر العادة

---

١) فتح الباري ٣٥٤/١٣.
٢) فتح الباري ٣٥٣/١٣.
٣) فتح الباري ٣٥٠/١٣.

بسماع مثله... ومنهم من يرى الملائكة والشياطين والبلاد النائية، بل ينظر الى ما تحت الثرى ومنهم من يرى السموات وأفلاكها وكواكبها وشمسها وقمرها على ما هي عليه، ومنهم من يرى اللوح المحفوظ ويقرأ ما فيه، وكذلك يسمع أحدهم صرير الأقلام» (قواعد الأحكام ١/١٤٠).

ولما خلت أفعال الله من الحكمة والعلة عند الأشاعرة جوّزوا على الله الشرور والظلم والإعراض عن الحق حتى قال البيجوري « فليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب وإنما هما إمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى حتى لو عكس دلالتهما بأن قال الله «من أطاعني عذبتُه، ومن عصاني أثَبْتُهُ» لكان ذلك حسناً منه» [١].

وحكى المرتضى الزبيدي في عقيدة الأشاعرة « أن الرب له أن يعذب الطائعين ويثيب العاصين». ونقل عن النسفي أن الأشاعرة يرون جواز تخليد الكفار في الجنة وتخليد المؤمنين في النار عقلا وإن كان ورد الشرع بخلافه [٢].

قال الغزالي « يجوز على الله أن يعذب الخلق من غير جرم أو ذنب اقترفوه[٣].

وهذا ما قال به الحبشي بأنه يجوز عقلا أن يعذب الله المطيع الذي لم يعص لكن ذلك غير جائز شرعا [٤].

وقال الفخر الرازي بأنه يجوز على مذهب الأشاعرة أن يُدخَلَ الله الكفارَ الجنةَ، وأن يُدخل الزّهاد والعبّاد النار. قال: وقوله **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾** نقول: إن غفرانه جائز عندنا» [٥].

قال الغزالي « لو شاء الله غفر للكافرين وعاقب جميع المؤمنين ولا يستحيل ذلك في نفسه»[٦].

- وعندهم يجوز أن يكلف الله الانسان فوق ما يطيق [٧] ولذلك

---

١) شرح جوهرة التوحيد ١٠٨.

٢) اتحاف السادة المتقين ٢/٩ و١٨٥.

٣) احياء علوم الدين ١/١١٢.

٤) الدليل القويم ١٤ مجلة منار الهدى ٢٣/٢٨-٢٩.

٥) التفسير الكبير للرازي ص ١٢/١٣٦.

٦) الاقتصاد في الاعتقاد ١٥٥.

٧) أنظر الارشاد ٢٠٣ للجويني المواقف للايجي ٣٣٠ الاقتصاد في الاعتقاد ١٥٠ قواعد العقائد ٢٠٣ ط: عالم الكتب إحياء علوم الدين ١/١١٢ كلها للغزالي.

اضطر الماتريديون الى مخالفة الأشاعرة حيث قالوا « يمتنع خلو أفعال الله تعالى عن المصلحة».

وترتب على نفي التعليل نفي الأسباب في أفعاله الكونية فسلبوا النار خاصية الإحراق وسلبوا الماء خاصية الإرواء، فقال الأشعري « إن الخبز لا يُشبع والماء لا يُروي والنار لا تَحرق» [(١)]، وأن القول بأن الأسباب مؤثرة في مسبباتها يفضي الى القول بشريك مع الله يؤثر في الأفعال، والله عز وجل هو المؤثر وحده» [(٢)]. وذكر الزبيدي أن الله « يخلق الري عند شرب الماء ويخلق الشبع عند أكل الخبز ومن اعتقد غير ذلك فقد جعل له شريكا في أفعاله» [(٣)].

وقد شنع عليهم ابن حزم فقال « ذهبت الأشعرية الى إنكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في العالم طبيعة أصلا، وقالوا: إنما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة.

قالوا: ولا في الخمر طبيعة إسكار ولا في المني قوة يحدث بها ولكن الله عز وجل يخلق منه ما شاء، وقد كان ممكناً أن يحدث من مني الرجال جملا ومن مني الحمار انساناً ومن زريعة الكزبرة نخلا. ما نعلم لهم حجة شغبوا بها في هذا الهوس أصلا» [(٤)].

فأي عقيدة أقبح من هذه العقيدة التي توجب اعتقاد الظلم في الله، وأنه خلق الخلق بلا حكمة ولا سبب؟

وهم اذا تصوفوا أثبتوا تعليلا باطلا فقالوا: الله خلق الخلق من أجل محمد ﷺ. ولولا محمد لما خلق الله الخلق!

والأشاعرة يجردون الله مما وصف به نفسه ويجعلونها صفات لمخلوقين لم يخلقهم الله بعد. فقد قال الحافظ عند شرح حديث «أن الله يمسك السموات على أصبع» « وعن ابن فورك: يجوز أن يكون الاصبع خلقاً يخلقه الله فيحمله الله ما يحمله الاصبع ويحتمل أن يراد به القدرة والسلطان» [(٥)]. وعن حديث القدم قالوا: يجوز أن يخلق الله يوم القيامة مخلوقا يسميه قدما. وعن حديث الرِجلِ قالوا: يجوز أن

---

١) حكاها عنه السبكي في طبقاته ٨/٢٢٧ محققة وانظر مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري ٢٨٢.

٢) تحفة المريد للباجوري ص ٩٨-٩٩ ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

٣) اتحاف السادة المتقين ٨/٥٠٨.

٤) الفصل في الملل والنحل ٥/١٤.

٥) فتح الباري ١٣/٣٩٨.

يخلق الله مخلوقا يسميه رجلا[1].

وهكذا يجيزون لأنفسهم التأويل الباطل أما المعتزلي والرافضي والفلسفي والجهمي فيحرم التأويل عليهم لأنهم ليسوا أشاعرة!

اشتهر مذهب الأشاعرة بالميل نحو الارجاء على نحو يشبه قولهم في الكلام النفسي حيث حصروه دون الألفاظ، وفي الايمان جعلوا معناه المعرفة أو التصديق. قال ابن حزم « وأقرب المرجئة الى أهل السنة أبو حنيفة [2]. وأبعدُهم أصحاب جهم بن صفوان والأشعري، فإن جهماً والأشعري يقولون إن الإيمان عقد بالقلب فقط». قال « وما قال أحد من أهل الاسلام: إن الايمان عقد بالقلب دون نطق باللسان الا طائفة من أهل البدع والشذوذ كجهم بن صفون وأتباعه وابن الباقلاني وابن فورك» [3].

واعترف السبكي بأن الايمان عند الأشعري المعرفة، أو قول النفس» [4]. وهو عين قول الجهمية باعتراف أبي منصور البغدادي[5].

وذكر القشيري في شكايته أن مذهب الأشعري أن الايمان هو التصديق [6].

---

١) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ٤٦ وانظر فتح الباري ٥٩٦/٨ واتحاف السادة المتقين ٣٤١/٨ الباز الأشهب ٨٤.

٢) ذكر الحافظ ابن عبد البر في التمهيد ٢٣٨/٧ أن أبا حنيفة وأصحابه ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى إيماناً. قالوا: إنما الايمان التصديق والإقرار.

٣) الملل والنحل ١١١/٢ والدرة فيما يجب اعتقاده ٣٢٩-٣٣٠.

٤) طبقات السبكي ٩٧/١ و١٢٩ محققة.

٥) أصول الدين ٢٤٩.

٦) طبقات السبكي ٤١٩/٣ محققة.

الأشاعرة يعترفون بجبر الأشعري

ونختم بمسألة الجبر التي يسميها الأشعري بالكسب، وقد تفحص الأشاعرة أنفسهم هذا الكسب فوجدوه لا يختلف عن جبر جهم بن صفوان. فقد ذكر الشهرستاني أن أصحاب المقالات عدّوا أبا الحسن الأشعري موافقاً للجهم بن صفوان في الجبر، والجهم جبري خالص يرى أن العبد مضطرٌ مجبورٌ فيما يفعل، وأن الأفعال تُنسبُ اليه مجازاً كما يقال: أثمرَت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر [1].

أضاف: وعلى أصل أبي الحسن الأشعري فإنه لا تأثير للقدرة في الإحداث [2].

وانتقد السرهندي مذهب الأشعري النافي لتأثير العبد في قدرته، واعتبره داخلا في دائرة الجبر الحقيقي، وأن كثيرين من ضعيفي الهمة يحتجون بعقيدة الأشعري في القدر ويميلون الى مذهبه لهذا السبب [3].

ولهذا تجد المرتضى الزبيدي يصف مسألة الكسب بأنها « من معضلات المسائل التي حارت فيها أفكار المتقدمين ولم تحصل على طائل في تحقيق المتأخرين... حتى قال السعد التفتازاني في شرح العقائد بأن فحول أهل السنة قد عجزوا عن تحقيق معناه» [4].

وتجد الرازي يحدد الكسب الأشعري بأنه « اسم بلا مسمى» [5].

ووصفه ابن عذبة بأنه « صعب دقيق» [6].

وحكى الشيخ محمد بن درويش الحوت أن كسب الأشعري بلغ من غموضه أن صار يضرب به المثل فيقال «هذا أخفى من كسب الأشعري» [7].

وصرح الجويني بتخبط مذهب الأشعري في مسألة القدرة قائلا « ومذهب أبي الحسن مختبط عندي في هذه المسألة... فقد لاح سقوط مذهبه في كل تقدير» [8]. وأن في نفي أثر قدرة للعبد إبطال للشرائع وتكذيب للرسل. وهذا ما يأباه العقل والحس، وأن إثبات قدرة لا أثر لها فهو كنفي القدرة. وعن لفظ الكسب قال « ولا ينجي من هذا البحر المتلطم ذكر اسم محض، ولقب مجرد من غير تحصيل معنى» [9].

---

1) الملل والنحل ١:١١٠.
2) الفصل في الملل والنِحَل ١:١٠٩و١١٠
3) مكتوبات الامام الرباني ٣٣١.
4) اتحاف السادة المتقين ٢/١٦٩.
5) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ١٩٩.
6) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ٤٢.
7) رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة ص ٦٠.
8) البرهان في أصول الفقه ١/١٩٥-١٩٦ فقرة (١٨٦).
9) العقيدة النظامية ٣٢.

تناقضات المذهب الأشعري
أو الاختلاف الأشعري الأشعري

في هذا الفصل يبطل اعتقاد النجاة في طائفة الأشاعرة فإنهم اختلفوا في كثير من مسائل الصفات وغيرها من مسائل أصول الدين. والتناقض علامة على أن ما عند الفريقين ليس من عند الله ولو كانت من عند الله لما تناقضت. قال تعالى ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾.

والأشاعرة حين يختلفون مع خصومهم يتكتمون أن الخلاف واقع بين أبناء المذهب الأشعري أنفسهم، وقد اعترف العز بن عبد السلام بكثرة اختلاف الأشاعرة على ربهم قائلا « والعجيب أن الأشعرية اختلفوا في كثير من الصفات كالقدم والبقاء والوجه واليدين والعينين وفي الأحوال وفي تعدد الكلام واتحاده» (١) وأن أصحاب الأشعري مترددون مختلفون في صفات البقاء والقدم هل هي من صفات السلب أم من صفات الذات (٢).

واعترف بذلك أبو منصور البغدادي بوقوع الخلاف بينهم حول هذه الصفة وكذلك ابن حجر الهيتمي المكي، (٣).

أول اختلافهم حول ألوهية الله

○ وأول ما اختلف فيه الأشاعرة في معنى الاله، قال البغدادي « فمنهم من قال إن الاله مشتق من الالهية وهي القدرة على الاختراع وهو اختيار أبي الحسن الأشعري وعلى هذا القول يكون الاله مشتقا من صفة. وقال القدماء من أصحابنا انه يستحق هذا الوصف لذاته وهو اختيار الخليل بن احمد وبه نقول».

واختلفوا أيضاً: هل يجوز اطلاق وصف القديم على الله؟ واختلفوا في معنى القديم على أربعة مذاهب؟ فذهب الأشعري الى أن القديم بمعنى المتقدم على غيره، أي أنه قديم لذاته. وخالفه عبد الله بن كلاب والقلانسي فذكر أنه قديم أي قائم به (٤).

---

١) قواعد الاحكام ١٧٢

٢) قواعد الاحكام الكبرى ١٧٠.

٣) أصول الدين ٩٠ الإعلام بقواطع الاسلام ٢٤ ط: دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٧ والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ٢/٣٥٠..

٤) اتحاف السادة المتقين ٢/٩٥أصول الدين للبغدادي ص ١٢٣.

الأشاعرة يكفر بعضهم بعضاً

وقد قال اكثر الأشعرية أن الله موجود وكل موجود يصح أن يُرى.

وأورد الرازي على هذا المسلك اعتراضات عديدة. مرجحاً أن تكون الصحة أمرا عدميا وليست حكماً ثبوتياً. ونص على أن مسلكهم هذا يودي الى السفسطة بل الى الكفر [١].

اختلافهم حول أسماء الله

○ واختلفوا في أسماء الله. قال التفتازاني « للأشاعرة في أسماء الله ثلاثة أقوال:

الأول: أن أسماء الله على التوقيف، وهو قول الأشعري.

الثاني: أنه لا يشترط أن يكون على توقيف من الكتاب والسنة وهو قول الباقلاني.

الثالث: جواز ما كان من قبيل إجراء الصفات وإن لم يأت بها الشرع ومنع التسمية إن لم يأت بها الشرع وهو قول الرازي والغزالي[٢]

○ واختلفوا في كون الاسم هو المسمى نفسه فذهب معظم الأشاعرة الى أن الاسم هو عين المسمى وذهب آخرون كالغزالي والرازي الى التفريق بين الاسم والمسمى والتسمية[٣]. واحتج بأنه لو كان الاسم هو عين المسمى للزم كثرة المسمى بكثرة الأسماء. وأن الله قال ﴿ولله الاسماء الحسنى﴾ ولم يقل (هو الأسماء الحسنى).

اختلافهم حول وجوده

اختلف الأشاعرة فيما بينهم هل الوجود هو الموجود ذاته أم هو قدر زائد على الموجود؟ اختار جمهور الأشاعرة الى أنه صفة نفسية بمعنى أن الوصف به يدل على الذات نفسها لا على صفة وجودية زائدة. فالرازي والجمهور أنه زائد والأشعري أنه عين ذاته[٤]. وخالف الجويني والباقلاني أئمة المذهب في عدم اعتباره البقاء صفة زائدة على الوجود فقالا « ذهب العلماء من أئمتنا الى أن البقاء صفة الباقي زائدة على وجوده بمثابة العلم في حق العالم، والذي نرتضيه أن البقاء يرجع الى نفس الوجود المستمر من غير مزيد» [٥].

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/١٢٠.

٢) شرح المقاصد للتفتازاني ٤/٣٤٤-٣٤٥ لوامع البينات للرازي ٤٠.

٣) أنظر لوامع البينات ٢١ المقصد الأسنى للغزالي ٢٩.

٤) اتحاف السادة المتقين ٢/٩٤.

٥) الارشاد ١٣٨ أصول الدين للبغدادي ٩٠.

اختلافهم حول صفات الله

ذكر ابن المنير لهم ثلاثة أقوال في صفات الله:
١) أنها صفات ذات أثبتها السمع (الشرع) ولا يهتدي اليها العقل.
٢) التأويل: أن العين كناية عن البصر وأن اليد كناية عن القدرة.
٣) إمرارها على ما جاءت مفوضاً معناها الى الله[1]. وبالطبع لم يكن للسلف الصالح ثلاثة أقوال في الصفات. وإنما تكثر تناقضات أهل الكلام لأن ما عندهم من عند غير الله.
٤) وجاء الغزالي بقول رابع ظن أنه وسط بين من يؤولون وبين من يثبتون فقال « والقصد - أي الوسط - بين هذا وذاك: طريق الكشف. فما أثبت الكشف تأويله أولناه، وما أثبت إثباته أثبتناه»[2].

نموذج من تناقضاتهم

وتتجلى تناقضات الأشاعرة فيما ينسبونه الى الأئمة. ففي حديث العلو يحتجون بقول مالك (الاستواء معلوم والكيف مرفوع) وفي حديث النزول يجعلون الكيف معقولا وينسبون الى مالك تأويله بنزول الرحمة. ولو كان مالك يرتضي تأويل النزول لتأول نصوص العلو. فكيف ينهى مالك عن طلب الكيفية في الاستواء ثم يفصل النزول بكيفية؟ هذا تناقض!

اختلافهم: هل صفات الله من المتشابه

○ وتناقضوا في الصفات: قال البغدادي « واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله... ومنهم من قال ان استواءه على العرش فعل أحدثه في العرش سماه استواء» [3]. ونقد الجويني تأويلَ الأشعري في الاستواء بأنه فعل فعله الله في العرش وفضل عليه تأويل الاستواء بالقهر والغلبة والاستيلاء كما في الارشاد. وأما في الشامل والرسالة النظامية فقد رجح التفويض[4]. وأما أشاعرتنا المعاصرون فإنهم يرجعون بنا الى ما رجع الجويني عنه. ولا يزالون يقولون لنا: قال الجويني في الإرشاد.

نموذج آخر من مخالفة الأشاعرة للأشعري

وبينما يؤول الأشاعرة حديث النزول فيزعمون أن الذي ينزل فيقول

---

١) فتح الباري ١٣/ ٣٩٠.
٢) إحياء علوم الدين ١/ ١٠٤.
٣) أصول الدين ١١٢-١١٣.
٤) قارن بين الارشاد ٤٠ والشامل ٥٥٠-٥٥٣ والنظامية ٢١ و٣٢.

« من يستغفرني فأغفر له» هو الملك وليس الله: نجد الحافظ ابن عساكر يروي عن أبي الحسن الأشعري أن الله هو الذي « يقول: هل من سائل هل من مستغفر، خلافاً لما قاله أهل الزيغ والضلالة» [١].
فمن ذا الذي يصدق أن مقالة الأشاعرة اليوم كانت عند الأشعري بالأمس مقالة أهل الزيغ والضلالة؟!

تناقض مواقف عقولهم من مسائل العقيدة

ويقف الاشاعرة من العقل موقفاً متناقضاً:

- ففي مسألة رؤية الله تعالى يساوون بين العقل والنقل.
- وفي التحسين والتقبيح العقليينْ يقدمون النقل على العقل «خلافاً للمعتزلة» ويقولون بأنه يجب أن تكون التكاليف ومسألة البعث والجزاء شرعية لا عقلية.
- أما مسائل الصفات فإنهم جعلوها عقلية بالدرجة الأولى. وهذا اضطراب منهجي وتناقض صارخ. فإن من يتورع عن تقديم العقل في مسائل الحلال والحرام والبعث والنشور يجب أن يكون أكثر ورعاً في مسائل الاعتقاد والصفات.

وقد جعل الرازي المتشابه « ما خالف الدليل العقلي، والإحكام هو عدم المعارض العقلي». فما وافق عقله حكم بأنه محكم وما خالف حكم بأنه متشابه. وصار الرد الى العقل عند التنازع لا الى الله والرسول. واحتج عليهم الفلاسفة في نصوص المعاد فقالوا: اذا كانت نصوص الصفات توهم التجسيم وهو كفر فكذلك نصوص المعاد وعذاب القبر توهم الكذب فان الله يتحدث عن تعذيب الكافر في القبر ونحن نفتح القبور فلا نرى أثراً للتعذيب. فلم يجد الأشاعرة فرقاً الا أن يقولوا قولا ملؤه التحكم: أن المعاد معلوم بالاضطرار من دين الرسول.

فمنهج الأشاعرة في تعاملهم مع نصوص الكتاب والسنة في أبواب الصفات هو منهج من لا يرى لها حرمة بل هي إما مردودة ان كانت أخبار آحاد وإما مؤولة ان كانت ثابتة بالتواتر.

ومما اشترطه الأشاعرة في الدليل النقلي ليتم به الاستدلال على وجه القطع واليقين: العلم بعدم المعارض. وذكروا بأنه على فرض وجود القرائن المرجحة لافادة الأدلة النقلية القطع. الا أنه يبقى « في إفادتها لليقين في العقليات نظر لأنه مبني على أنه هل يحصل

---

١) تبيين كذب المفتري ص ١٦١ الابانة ٢٥.

بمجردها الجزم بعدم المعارض العقلي؟ وهل للقرينة مدخل في ذلك؟ وهما مما لا يمكن الجزم به بأحد طرفيه» (١).

وهذا القول من أفسد الأقوال كما قال ابن القيم ومن أعظم أصول الالحاد والزندقة وليس في عزل الوحي عن مرتبته أبلغ من هذا.

وهذا الدليل الذي قاله الأشاعرة في الدليل النقلي يُلزَمون به في الدليل العقلي، إذ أين الدليل على عدم وجود المعارض العقلي فيه؟ فإن قالوا: إنه لا دليل على وجود المعارض العقلي فيدل على عدمه قيل لهم: لقد أثبتم أنتم أنفسكم ضعف هذا الدليل فقد قال الايجي في المواقف (ص ٣٧) «المقصد الخامس:

وههنا طريقان ضعيفان:

الأول: قالوا: ما لا دليل عليه يجب نفيه.

الثاني: قياس الغائب على الشاهد». انتهى.

ولم يبق بعد هذا الا قولهم: «عدم المعارض والغلط في المقدمات القطعية ضروري» (المواقف ٣٧).

وهذا الجواب صحيح ولكن يقال: أليس التجويز قائماً عقلا بوجود المعارض العقلي؟

مثال ما ذكره الرازي في (المطالب العالية) من أنه اذا رأى شخصاً أمامه ثم أغمض عينيه ثم نظر اليه ثانياً فإنه يحتمل أن يكون شخصاً آخر يماثله، إذ أن الله يقدر على إفناء الشخص الأول في تلك اللحظة اللطيفة ويوجد شخصاً آخر يماثله».

ومع بقاء هذا الاحتمال قالوا: «إنه لا يمتنع أن يكون الشيء معلوم الجواز والإمكان، ومع ذلك فإنه يكون الجزم والقطع حاصلا بأنه لم يحصل ولم يوجد» (المطالب العالية ٩٧/٨). وقالوا: «قد يحصل القطع والجزم مع قيام هذا التجويز» (المطالب العالية ٩٩/٨).

فعندئذ يقال لهم: أليس اختياركم هذا مناقضاً لما ذهبتم اليه من أن الدليل النقلي لا يكفي بمجرده في الجزم بعدم المعارض العقلي ولو كانت القرائن شاهدة على إفادته اليقين؟ لا شك أن هذا تناقض بين. لا سيما اذا عرفنا أن جمهور المتكلمين يصرحون بأن المعاد إنما عُلم بالنقل.

---

١) المواقف للايجي ٤٠.

اختلفوا في صفات الله: هل تؤول أم تفوض ؟

الأشاعرة المؤولة ترد على الأشاعرة المفوضة

هذا الاختلاف بينهم يُظهر الحقيقة التالية: أن الأشاعرة فرقتان لا فرقة واحدة:

الفرقة الأولى: تؤول صفات الله وتتهم التي تفوّض بأنها تصف النبي بالجهل وتصف الله بالكذب كما سترى.

الفرقة الثانية: لا تتعرض للتأويل بل تحرمه وتدعو للتفويض. وتتهم الأولى بأنها تقول على الله ما لا تعلم. لأن التأويل محتمل والمحتمل مطرود في العقائد.

ولما قال والد الجويني أن الحروف المقطعة من قبيل الصفات، مرجحاً بذلك التفويض زاعماً أنه طريق السلف [١]:

رد عليه القشيري في التذكرة الشرقية قائلا:

« وكيف يسوغ لقائل أن يقول في كتاب الله ما لا سبيل لمخلوق الى معرفته ولا يعلم تأويله الا الله؟

أليس هذا من أعظم القدح في النبوات وأن النبي ﷺ ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله تعالى ودعا الخلق الى علم ما لا يعلم؟

أليس الله يقول بلسان عربي مبين؟ فإذن: على زعمهم يجب أن يقولوا كذب حيث قال ﴿بلسان عربي مبين﴾ اذ لم يكن معلوما عندهم، وإلا: فأين هذا البيان؟

واذا كان بلغة العرب فكيف يدعي أنه مما لا تعلمه العرب؟

ونسبة النبي الى أنه دعا الى رب موصوف بصفات لا تعقل: أمر عظيم لا يتخيله مسلم فان الجهل بالصفات يؤدي الى الجهل بالموصوف.

وقول من يقول: استواؤه صفة ذاتية لا يعقل معناها واليد صفة ذاتية لا يعقل معناها والقدم صفة ذاتية لا يعقل معناها تمويه ضمنه تكييف وتشبيه ودعاء الى الجهل.

وإن قال الخصم بأن هذه الظواهر لا معنى لها أصلا فهو حكم بأنها ملغاة وما كان في إبلاغها الينا فائدة وهي هدر. وهذا محال... وهذا مخالف لمذهب السلف القائلين بإمرارها على ظواهرها». انتهى.

---

١) راجع النص بكامله في اتحاف السادة المتقين ٢/١١٠-١١١.

فهذا خلاف أشعري أشعري وفيه اتهام للمفوضة من الأشاعرة بأنهم نسبوا النبي الى الجهل ونسبوا الله الى الكذب وأنهم واقعون في التكييف والتشبيه وملزمون بإلغاء الوحي لأنهم ألغوا معانيه، وهي اتهامات تعني الكفر.

تناقض المفوضة فيما بينهم

فاحتجاج المفوضة بعبارة « أمروها على ظاهرها» يناقض قولهم بأن ظاهرها غير مراد، إذ أن إجراء النصوص على ظاهرها يقتضي الايمان بهذا الظاهر من غير تأويل.

وقولهم بأن ظاهرها غير مراد يقتضي إبطال هذا الإيمان وعدم إجرائها عن ظاهرها.

وقولهم تجرى على ظاهرها يناقض قولهم لها تأويل لا يعلمه الا الله، فإنهم بإجرائها على ظاهرها أبطلوا كل تأويل يخالف هذا الظاهر، ثم أثبتوا لها تأويلا يخالف هذا الظاهر لا يعلمه الا الله.

فهم تارة يجعلون الظاهر مرادا، وتارة يجعلونه غير مراد وإنما المراد هو التأويل الباطن الذي لا يعلمه أحد حتى الراسخون في العلم!

انقسام المفوضة فيما بينهم

وقد انقسم المفوضة الى قسمين:

١ - قسم يزعمون أن ظواهر نصوص الصفات تقتضي التمثيل، فيحكمون بأن المراد بها خلاف ظاهرها، ثم لا يعينون المراد.

٢ - قسم يقولون: تجرى على ظاهرها ولها تأويل لا يعلمه الا الله خلاف الظاهر منها وهؤلاء متناقضون[١].

وبينما يزعم الرازي أن مذهب السلف « وجوب» تفويض معاني الصفات ولا يجوز الخوض في تفسيرها، ينقد هذا الزعم بإجماع جمهور المتكلمين بأنه « يجب» الخوض في المتشابهات» [٢].

ثم يأتي متناقض معاصر وهو الحبشي فيناقض قول الرازي ويزعم بأن التأويل التفصيلي كان طريقة السلف[٣].

---

١) مذهب التفويض ص ٥٦٨ للأستاذ أحمد القاضي.

٢) أساس التقديس ٢٣٦ وانظر مجرد مقالات الأشعري ١٨٩.

٣) صريح البيان ٣٨ الطبعة المجلدة الأخيرة التي زعموا أنها الطبعة الأولى.

الجويني ينتقد الأشاعرة الأوائل
لتأويلهم بعض الصفات دون البعض الآخر

واعترف ابن فورك أن المتأخرين من الأشاعرة ذهبوا الى تأويل الاستواء بالقهر والغلبة مخالفين بذلك قول الأشعري والمتقدمين من أصحابه. وقد رد أبو منصور البغدادي قول المعتزلة (استوى: استولى) و (يده: قدرته) واصفا إياه بأنه قول فاسد وباطل [١]. بينما هو موجود بكثرة في كتب الأشاعرة المتأخرين.

ولقد ردّ الجويني على الأشاعرة المتقدمين الذين أثبتوا الصفات الخبرية كالوجه واليدين قائلا « اذا كنتم أثبتم الصفات الخبرية بظواهر الآيات فيلزمكم أن تثبتوا بقية الصفات كالاستواء والنزول والجنب بظواهر النصوص» [٢].

وإثبات الأشاعرة لرؤية الله فيه تناقضان:

أن الرؤية لا تكون الا بمقابلة وجهة. يلزمكم إما أن تنفوا أن الله في العلو فيلزمكم معه نفي رؤيته، وإما أن تثبتوا علوه تعالى كضرورة من أجل إثبات رؤيته وإلا فنقول لكم ما قاله لكم المعتزلة من قبل: «من سلّم أن الله ليس في جهة وادّعى مع ذلك أنه يُرىٰ فقد أضحك الناس على عقله» [٣] والقول برؤية يوهم التشبيه مثله في ذلك مثل الصفات الأخرى كالضحك والرجل. فإما أن تثبتوا الكل وإما أن تعطلوا الكل.

اختلافهم حول قيام الحوادث بالله

نقد صفي الدين الهندي في رسالته التسعينية في الأصول الدينية رد فيها على الرازي في مسألة حلول الحوادث بالله حين قال الرازي بأن أكثر العقلاء يقولون بقيام الحوادث بالرب وان أنكروه باللسان.

وألزم الرازي الأشاعرة بالتناقض وأنهم يثبتون نسخ الحكم، ويثبتون للعلم والقدرة تعلقات حادثة. وصرح الى أن هذا قول بالحدث في ذات الله. ونقل عنه الحافظ ابن حجر أن القول بأن الله يتكلم بكلام يقوم بذاته وبمشيئته واختياره هو أصح الأقوال عقلا ونقلا [٤].

○ وهذه ورطة حبشية فقد قال الأحباش «إن العلماء قالوا: إن من قال إن الله تقوم به الحوادث فهو كافر» [٥] فهل يحكم الأحباش بكفر الرازي الذي استحسن الحافظ قوله؟

---

١) الاسماء والصفات ٢/١٥٢-١٥٣ تحقيق الأحباش.

٢) الارشاد للجويني ص ١٥٧-١٥٨.

٣) شرح الأصول الخمسة ٢٤٩-٢٥٣ المغني لعبد الجبار ٤/١٣٩.

٤) الأربعين في أصول الدين للرازي ١١٨ وانظر فتح الباري ١٣/٤٥٥.

٥) شريط مجالس الهدى (١) رقم (٥٥٠) لنبيل الشريف.

فيا من حكمتم بكفر ابن تيمية لقوله بقيام الحوادث بالله[1]: ماذا تقولون في الرازي الذي نصر هذا القول ونسبه الى العقلاء وحكم على الأشاعرة بالتناقض؟!

اختلافهم حول أول الواجب على المكلف

○ وتناقض الأشاعرة فيما بينهم حول مسألة (أول الواجب على المكلف) فبينما يصرح الجويني بوجوب النظر والأشعري بالتوقف في ايمان من لا ينظر: نجد الرازي يردّ على الجويني ويصرح في نهاية العقول والشهرستاني في نهاية الإقدام أن معرفة الله فطرية[2].

وهذا أيضا من تناقضهم حيث يقدّمون العقل تارة ويؤخرونه أخرى. ففي الوقت الذي يوجبون فيه النظر ويجعلونه مصدر عقيدتهم (فقط لمحاجّة المعتزلة) يتجاهلون ذلك عند مناظرتهم للمعتزلة فيقولون: لا واجب الا بالشرع خلافاً للمعتزلة. بينما يذمون من لا يؤول الصفات ويصفونه بأنه جامد على النصوص لا يستخدم عقله.

○ ويجيء الغزالي الأشعري بتناقض آخر فيزعم أن أول الواجب على المكلف: الشك قبل النظر. ويقول « إن الشكوك هي الموصلة الى الحق. فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال»[3].

على أن الغزالي قال بصحة ايمان المقلد خلافاً للمشهور من مذهب الأشاعرة، ونقد القواعد الكلامية التي بنى عليها المتكلمون أصولهم وأوجبوا بها على جميع المسلمين تعلم علم الكلام فقال « متى نقل عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم: احضار اعرابي أسلم وقوله له: الدليل على أن العالم حادث أنه لا يخلو عن الاعراض. وما لا يخلو عن الحوادث حادث[4]؟.

وحكي تجربته الفاشلة مع علم الكلام ثم قال « لم يكن الكلام في حقي كافياً ولا لمرضي الذي كنت أشكو منه شافياً... ولم يكن من كلام المتكلمين الا كلمات ظاهرة التناقض والفساد»[5].

وبالطبع كانت تجربته لعلم الكلام على مذهب الأشعري لا على مذهب المعتزلة.

---

١) لا يسلّم للأشاعرة قولهم إن كل حدث مخلوق، فإن هذا الخطأ هو سبب ضلالهم في هذه المسألة.

٢) الارشاد ص ٣ ونهاية الاقدام ص ١٢٤ وانظر ما نقله الحبشي عن الرازي في الدليل القويم ص ٢٥.

٣) ميزان العمل ١٣٧ دار الكتاب العربي.

٤) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ١٥٠-١٥١.

٥) المنقذ من الضلال ١٤ - ١٧.

انتقادات الجويني للاشعري

○ وانتقد الجويني أبا الحسن الأشعري في مسألة أزلية كلام الله. فذكر بأنه: اذا كان كلام الله أزلياً فكيف يخاطب الله معدوماً بالأوامر والنواهي. وهذا ما جعل الجويني يقول « إن ظن ظان أن المعدوم مأمور فقد خرج عن حد المعقول... فلا شك أن الوجود شرط في كون المأمور مأموراً» ثم ذكر بأن مسألة « أمر بلا مأمور» هي معضلة حقاً[1]. وانتهى الى التوقف والحيرة.

○ وحكى السبكي أن الأشعري له قولان في كلام الله النفسي مرة قال: أن كلام الله النفسي يُسمع ومرة قال: لا يُسمع.

ونقل الشهرستاني عن بعض أهل العلم أن القول بحدوث حروف القرآن وأنه كلام الله مجازاً: قول ابتدعه الأشعري وخرق به الإجماع وهو عين الابتداع[2]

وقد تناقض الأشاعرة فذهبوا الى أن مسمى الكلام هو اسم لمجرد المعاني وإطلاق اللفظ عليه مجاز لأنه دال عليه، ثم جاء المتأخرون منهم كالرازي والجويني، فقالوا بأن الكلام يطلق على كل من اللفظ والمعنى بطريق الاشتراك اللفظي، وهذا لجأوا اليه كمهرب من التناقض الذي وقعوا فيه. بينما أهل السنة على أن الكلام يتناول اللفظ والمعنى جميعاً عند الاطلاق، وعند التقييد يراد به هذا تارة وذاك تارة أخرى.

○ وانتقد الجويني مذهب الأشعري في تجويزه تكليف الله عباده ما لا يطيقون ومنع ذلك. مع أنه كان رجحه في الارشاد ودافع عنه[3].

الأشعري عند الجويني جبري

وانتقد الجويني الأشعري في موقفه من أفعال العباد واعتبر مذهبه مختبطا فقال « ومذهب أبي الحسن مختبط عندي في هذه المسألة... فقد لاح سقوط مذهبه في كل تقدير»[4].

مع أنه ذكر في الشامل (١٨٢) ولمع الأدلة (١٠٧) والارشاد (٢٠٨) أنه لا تأثير لقدرة العبد تبعا للأشاعرة، ثم رجع في النظامية عن ذلك فأعلن أن « المصير الى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله: قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون»[5]. فالجويني يلزم

---

١) البرهان في أصول الفقه ١/٢٧٠-٢٧٣.

٢) طبقات السبكي محققة ١٠/٢٩٤ محققة ونهاية الإقدام ٣١٣.

٣) الشامل ٥٤٩ البرهان في أصول الفقه ١/٨٩ (فقرة ٢٨) وانظر في مقابل النقد الترجيح كما في الارشاد ٢٢٦.

٤) البرهان في أصول الفقه ١/١٩٥-١٩٦ فقرة (١٨٦).

٥) العقيدة النظامية ٤٣ و٥١.

شيخه الأشعري بأن كلامه يؤول الى تكذيب النبي ﷺ!

○ وانتقد الجويني قول الأشعري « كل مجتهد مصيب» فقال « هذا الأصل لا نقول به وهذا أصل باطل بل الحق واحد» «فإن كان كل مجتهد مصيباً فلا يتحقق الترجيح في المجتهدين» (١).

○ وتناقض الجويني حين نقد استدلال الأشعري إثبات حدث العالم بالنطفة، فقال « لا يتوقف حدث العالم على إثبات الأعراض، فان المقصد يثبت بدون ذلك» (٢). لكنه لما أخذ يرد على الكرامية في مسألة القول بأن الله جسم قال « وسبيل الكلام أن يُسئلوا عن دلالة حدث العالم، فإن ترددوا فيها بان عجزهم عن قاعدة الدين، فان السبيل الذي به تتوصل الى معرفة المحدث: ثبوت الحدث» ومن أصول أدلة حدوث العالم عند الجويني أن « الجَواهر لا تخلو عن الأعراض» (٣).

وطريقة الاستدلال بحدوث الأجسام موضع اختلاف بين الأشاعرة فالآمدي ضعف استدلالات الرازي ووافقه على كثير منها الأرموي وقدح الغزالي فيها وكتب الأثير الأبهري كتابه المعروف « تحرير الدلائل بتقرير المسائل» وبين فساد أدلة الأشاعرة في مسألة حدوث العالم وأن الأعراض لا تبقى زمانين الخ...» فالقواعد العقلية الأشعرية منقوضة من قبل الأشاعرة أنفسهم.

تردد الأشعري في صفتي السمع والبصر لله

قال المكلاتي (٤) « تردد جواب أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه في ذلك [أي صفة السمع والبصر لله] فتارة قال: إن كونه سميعاً بصيراً: هما صفتان زائدتان على كونه عالماً، والى هذا المذهب ذهب القاضي وأبو المعالي وجماعة من الأشعرية، وتارة صرف كونه سميعاً بصيراً الى كونه عالماً، والى هذا ذهب أبو حامد وجماعة من الأشعرية، وهذا المختار عندنا» (٥).

---

١) مغيث الخلق ٨-٩.

٢) الشامل ص ٢٤٧.

٣) الشامل ٤١١ وانظر ٢٠٤ و٢٠٩ و٢٢٠.

٤) هو أبو الحجاج يوسف بن محد بن المعز المكلاتي (ت ٦٢٦ هـ) من كبار علماء الأشاعرة في بلاد المغرب.

٥) لبَاب العقول في الرد على الفلاسفة ص ٢١٣-٢١٤ تحقيق فوقية حسين محمود ط: دار الأنصار - القاهرة.

اختلافهم في صفات المعاني

○ ادعى الأشاعرة أن صفات المعاني السبع ثابتة حقيقة لله. وأن النصوص الدالة عليها معلومة علماً صحيحاً من حيث المعنى والمفهوم الا أن حقائقها غير معلومة - ثم ادعوا في بقية النصوص الدالة على غير هذه الصفات أنها دالة على معنى غير صحيح ظاهراً - فيجب صرفها - وأن تحديد المراد منها غير معلوم!! وهذا تناقض.

○ واختلفوا في الصفات المعنوية:

فقال بها من أثبت الحال كالباقلاني وقال الأشعري والجمهور: بنفي الحال، والمعنوية عندهم راجعة الى المعاني [1].

وصرح بعض علماء الأشاعرة بأن إثبات واسطة بين الوجود والعدم أمر متعذر متكلف فقال المقري[2]:

والسبع لازَمَت صفاتٌ تسمى بمعنوية اليها تُنْمَى
كون الاله عالماً قديراً حياً مريداً سميعاً بصيراً
وذا كلام والمقال حال بعدّها على ثبوت الحال
واسطة بين الوجَود وَالعدم ونهجها تشكو الوَجَا فيه القَدَم

أي طريق إثباتها فيه إشكال وألم.

○ وتناقضوا في مسألة أصوات العباد فحين يردون على المعتزلة يقولون: انها ليست فعلا للعباد، فاذا جاؤا الى مسألة القرآن قالوا: أصوات العباد فعل لهم. وهذا تناقض[3].

---

١) شرح أم البراهين ٢٠-٢١ الفصل في الملل والنحل ١/١٢١.
٢) إضاءة الدجنة مع شرحها ص ٣٩.
٣) الصفدية ١/١٥٤.

تناقضات الرازي

تناقض الرازي كثير جدا. ومن ذلك:

تناقضه في مسألة حدوث الاجسام: فمرة يثبته ومرة يذكر فساد حجج من يثبته.

وفي إثبات العلو قال في نفيه بالدليل العقلي: إنه يلزم منه النقص على الله، وفي نهاية العقول ذكر أن امتناع النقص على الله لم يعلم بالعقل.

وسورة الاخلاص قال فيها مرة انها من المحكمات. وفي موضع آخر جعلها من المتشابهات. والجوهر الفرد وما يتعلق به من كون الحركة لها وجود أو ليس لها وجود، مرة أثبت ذلك ومرة نفاه.

وهل القدرة تستلزم وجود المراد؟ مرة أثبت ذلك ومرة نفاه.

وتناقض الآمدي:

فقال بأن العلة قد تتقدم المعلول. وفي موضع آخر نفى ذلك.

وقال بأن الله ليس بجوهر لأنه يلزم منه أن يكون مثل الجواهر الأخرى فلا تبقى له مزية على غيرها، لأنهما يتساويان فيما يجب ويجوز ويمتنع.

ولكنه في دليل حدوث الاجسام قال: ولا يلزم من كون القديم مماثلا للحوادث من وجه أن يكون مماثلا للحادث من جهة كونه حادثا، بل لا مانع من الاختلاف بينهما في صفة القدم والحدوث وإن تماثلا بأمر آخر.

وهذا يناقض ما ذكر في مسألة الجواهر.

وفي موضع التركيب تناقض قوله تناقضا عجيبا.

وفي مسألة وجود الكلي المطلق هل يوجد مطلقا أو لا يوجد الا معينا؟ مرة قال بهذا ومرة بهذا.

وأثبت في دقائق الحقائق المشترك الكلي في الخارج وفي إحكام الأحكام (١٨٣/٢) نفاها ورد على الرازي كما ذكر بأن الرازي نفاها أيضاً في الملخص.

○ وتناقض الأشاعرة في مسألة الترجيح بلا مرجح فتارة يقولون ان القادر المختار يرجح أحد طرفي الممكن بلا مرجح، ومرة يقولون بعكس ذلك وأن القادر لا يرجح أحد طرفي الممكن الا بمرجح.

وسبب التناقض اختلاف الحالة التي يستدلون لها:

فاذا كانوا في مناظرة مع الفلاسفة الدهرية حول حدوث العالم ردوا على الفلاسفة قائلين: إن القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح، وقالوا: ان ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر بغير مرجح

يصح من القادر المختار ولا يصح من العلة الموجبة. وهذا بعينه جواب المعتزلة على الفلاسفة.

والأشاعرة اذا كانوا في مناظرة مع المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد وأن الله هو الخالق لها: ردوا المعتزلة قائلين: إنه لا يتصور ترجيح الممكن لا من قادر ولا من غيره الا بمرجح يجب عنده وجود الأثر.

قال ابن تيمية « فهؤلاء اذا ناظروا الفلاسفة في مسألة حدوث العالم لم يجيبوهم الا بجواب المعتزلة، واذا ناظروا المعتزلة في مسائل القدر يحتجون عليهم بالحجة التي احتجت بها الفلاسفة، فإن كانت هذه الحجة صحيحة بطل احتجاجهم على المعتزلة، وان كانت باطلة بطل جوابهم للفلاسفة. وهذا غالب على المتفلسفة والمتكلمين المخالفين للكتاب والسنة تجدهم دائماً يتناقضون، فيحتجون بالحجة التي يزعمون أنها برهان باهر ثم في موضع آخر يقولون: ان بديهة العقل يعلم بها فساد هذه الحجة»[1].

ففي مسألة الاختصاص اعتبروا أن كل ما كان جسما فلا بد له من مخصص وكل مفتقر الى مخصص فهو محدث. وهي حجة متهافتة متناقضة احتجوا بها على نفي علو الله، وذكر الآمدي احتجاج الشهرستاني بدليل الاختصاص ثم بين ضعف هذا الدليل في غاية المرام (ص ١٨١).

○ وتناقض الشهرستاني والآمدي والرازي فأثبتوا جواهر معقولة غير متحيزة موافقة للدهرية والفلاسفة، وقالوا: أنه لا دليل على نفيها.

فقال لهم ابن تيمية « انتم اذا ناظرتم الملاحدة المكذبين للرسل فادعوا اثبات جواهر غير متحيزة عجزتم عن دفعهم أو فرطتم فقلتم: لا نعلم دليلا على نفيها أو قلتم بإثباتها.

واذا ناظرتم اخوانكم المسلمين[2] الذين قالوا بمقتضى النصوص الالهية والطريقة السلفية وفطرة الله التي فطر عباده عليها، والدلائل العقلية السليمة عن المعارض وقالوا: ان الله فوق خلقه سعيتم في نفي لوازم هذا القول وموجباته فقلتم: لا معنى للجوهر الا المتحيز بذاته. فاذا كان هذا القول حقا فادفعوا به الفلاسفة، وان كان باطلا فلا تعارضوا به المسلمين.

أما كونه يكون حقا اذا دفعتم ما يقوله المسلمون ويكون باطلا اذا عجزتم عن دفع الملاحدة في الدين: فهذا طريق من بخس حظه من

---

١) دراء تعارض العقل والنقل ٣٦٦/١.

٢) تأمل أدب النقاش عند ابن تيمية فإنهم لا يزال ينسبهم الى الاخوة الايمانية.

العقل والدين وحسن النظر والمناظرة عقلا وشرعا[1].

فهذا التناقض انما هو لمن قال بالجواهر العقلية أو قال انه لا دليل على نفيها.

ورجوع كثير من الاشاعرة دليل قوي على بطلان ما كانوا عليه. ودليل على أن تمسك السلف بالكتاب والسنة وإعراضهم عن تعاليم اليونان وقد كانت في عهدهم انما كان تمسكهم نابعا من اعتقاد جازم وايمان عميق أن الهدى والرشاد والطمأنينة لن تكون الا باتباع الوحي المنزل.

كيف يمسك الفلاسفة والمعتزلة بخناق الأشاعرة

وقالت الفلاسفة للأشاعرة: أنتم وافقتمونا على أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وأن الأعراض حوادث لا تبقى زمانين. والصفات أعراض. فوجب عليكم أن تنفوا الصفات لأنها حوادث أعراض والعرض لا يقوم بنفسه بل لا بد له من جوهر يقوم به.

فاذا قال: أنا لا أسمي ما يقوم به عرضا لأن العرض لا يبقى زمانين: وصفاته باقية عندي:

قالوا: قولكم إن العرض لا يبقى زمانين مخالف لصريح العقل ومما يعلم فساده بالضرورة. واذا كان العرض لا يبقى زمانين فلا فرق بين صفاته وصفات غيره. فالمخلوقات لها صفات. فإما أن تسمي الجميع عرضاً أو لا تسمي الجميع عرضاً.

واذا قال: إنما قلت إنه لا يقبل الحوادث لأن ما قامت به الحوادث لا يخلو منها: قالوا له: واذا كان عندك قد صار فاعلا بعد أن لم يكن ولم يلزم من ذلك أنه لا يخلو من الفعل فقل: انه قد قام به الفعل بعد أن لم يكن. كما قال اخوانك من مثبتة الصفات كالكرامية وغيرهم. ولا يلزم من ذلك أن يكون الفعل لم يقم به.

وهكذا حال من نفى الأفعال أو نفى الصفات فان الفلاسفة تأخذ بخناقه ويبقى حائرا شاكا مرتابا مذبذبا.

فان الفلاسفة لما رأوا المتكلمين متناقضين في دليلهم حول حدوث الاجسام قالوا: لما كان دليلكم متناقضا صح قولنا بقدم العالم لأنكم لم تستطيعوا الاستدلال على إفساده.

وكذلك ألزمهم الفلاسفة بجواز تأويل نصوص المعاد أو الأحكام الشرعية فإنه أقل شأناً من تأويل نصوص صفات الله.

---

١) درء التعارض ١٦٣/٤.

بالموجود انكشفت سميت سمعا أو بصرا.

وإذا عادت حقيقة الصفات السبع الى صفة واحدة فلِمَ لا يجوز رد هذه الصفة الى الذات.

المشابهة عند الأشاعرة لا تقتضي المماثلة

وتناقض الأشاعرة حين قرروا أن وجود بعض الاشتراك لا يوجب المماثلة، فكان يلزم ذلك في الصفات التي قد نفوها بزعم المشاركة والمشابهة، فمن أقوالهم في هذه المسألة قول الرازي « فإن قيل: المشاركة في صفات الكمال تقتضي المشاركة في الالهية؟ قلنا: المشاركة في بعض اللوازم البعيدة مع حصول المخالفة في الأمور الكثيرة لا يقتضي المساواة في الالهية، ولهذا المعنى قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾»[1]، فظهر من هذا الاعتراف تناقضهم في التفريق بين المتماثلات.

يثبتون لله القيام

ومما اعتمدوا عليه في التنزيه: نفي الجسمية، فنفوا صفات كثيرة ذاتية وفعلية وردت في الكتاب والسنة مثل: العلو والاستواء واليدين.

فيلزمهم الناس بالتناقض، إذ أثبتوا أن الله قائم بنفسه، فما معنى القيام بالنفس.

والله تعالى قال بأنه قائم على كل نفس ولم يقل إنه قائم بنفسه.

وذكروا أن بعضهم أورد هذا على أبي اسحاق الاسفراييني، ففر الى قوله « إنما أعني بقولي: قائم بنفسه: أنه غير قائم بغيره!

وهذا عجب! فإنه اذا كان موجوداً - والموجود إما قائم بنفسه وإما قائم بغيره.

فقوله « غير قائم بغيره إنما حاصله أنه قائم بنفسه، فحاصل جوابه انما يعني بقوله: قائم بنفسه: أنه قائم بنفسه!!

فإن كان لا يلزمهم من قولهم: إنه قائم بنفسه، إثبات الجسمية فكذلك لا يلزم من إثبات العلو والاستواء واليدين ونحو ذلك من الصفات إثبات الجسمية، فإن كان يلزم في الثانية فقد لزم في الأولى، فيلزم الوقوع في التناقض.

---

١) أساس التقديس ١١٥.

تناقضهم حول النبوة

بعد الضجة التي أقامها الأشاعرة في أنه لا بد من القواطع العقلية في المسائل الاعتقادية وحكموا على الأدلة النقلية بأنها ظواهر لفظية لا تفيد اليقين اذا بهم يصلون الى مسألة عظيمة ليتوصلوا بها الى الشرع وهي اثبات النبوات فقالوا: ان اثباتها بالمعجزات فقط. وأن دلالتها على النبوات عادية أي ليست عقلية محضة، وهم يجوزون خرق العادة وعليه فلا تكون المسألة قطعية على قولهم هذا.

وقولهم: ان دلالتها عادية الا أنها ضرورية يستدعي عدم دقتهم في تحديد الأمور الضرورية كمسألة وجود الله تعالى اذ جعلوها من الأمور النظرية لا الضرورية مع أنها ضرورية.

التناقض الثاني حول النبوة: أنهم جعلوا دلالة المعجزة على صدق الرسول بمنزلة القول الصريح من الله بأن مدعي الرسالة صادق، وهذه الدلالة لا تتم الا اذا قيل بامتناع الكذب على الله تعالى ، ولذلك قال الجويني « فصل: امتناع الكذب على الله تعالى شرط في دلالة المعجزة»[١].

لكن القشيري يستثني من ذلك الجويني فيقول « لو ادعى إمام الحرمين اليوم النبوة لاستغنى بكلامه عنِ إظهار المعجزة» [٢]. فالنبي يلزمه شرط المعجزة لكن الجويني في غنىً عنه!

○ ومن تناقضهم قولهم: ان دلالة المعجزة على التصديق معلومة بالاضطرار، ثم يقولون: ان الله لا يفعل لحكمة، وليست أفعاله تعالى معللة.

وهذا تناقض اذ كيف تدل المعجزة - التي هي من أفعال الله ومفعولاته - على صدق النبي، والله لا يفعل لحكمة على مذهبهم لأن الحكمة شيء شنيع يسمونه تعليلا، والتعليل فيه إثبات الحاجة لله.

وأما الطريقة الثانية وهي أجود وهي التي اختارها أبو المعالي فهو أن دلالة المعجز على التصديق معلوم بالاضطرار، وهذه طريقة صحيحة لمن اعتقد أن الله يفعل لحكمة.

○ وتناقض الأشاعرة فحكموا على الأدلة النقلية بأحكام مفادها تقديم العقل عليها في حالة التعارض بزعمهم وعدوا أخبار الآحاد من الظنون التي لا يجوز التمسك بها، بل جعل بعضهم الأدلة النقلية كلها ظنية مما يترتب عنه عدم الأخذ بها في المسائل العلمية فأين هذا من

---

١) الارشاد للجويني ٢٣١ أو ٢٧٨ ط: مؤسسة الخدمات الثقافية.

٢) طبقات السبكي ١٧٤/٥ محققة.

أصلهم القاضي بمنع تحسين العقل وتقبيحه؟

ثم هم قد نصوا على أن المسائل التي يتوقف عليها الشرع لا تثبت الا بالعقل، ومنها: معرفة وجود الله. فقالوا: طريق إثباتها العقل فقط، ووجوب المعرفة لا يثبت الا بالشرع، فألزموا بالدور، ولا يخرجهم من هذا الا بأن يسلموا أن المعرفة فطرية، أو يقولوا بتحسين العقل وتقبيحه على مقتضى الفطرة.

ولذلك حكم أبو نصر السجزي على أبي الحسن الأشعري بالتناقض قائلا « وقال الأشعري: (العقل لا يقتضي حسن شيء ولا قبحه، وانما عرف القبيح والحسن بالسمع، ولولا السمع ما عرف قبح شيء ولا حسنه). ثم زعم أن (معرفة الله سبحانه واجبة في العقل قبل ورود السمع، وأن تارك النظر فيها مع التمكن منه مستحق للعقوبة) والنص انما دل على ترك عقوبته لا أنه مستحق لها. فإن قال: إن معرفة الله وجبت ولم يعلم حسنها، واستحق تارك النظر فيها اللوم: كان متلاعباً. وإن قال: إنها حسنة فقد أقر بأن العقل يقتضي معرفة الحسن والقبيح، وإنما ضاق به النفس لما قالت المعتزلة: الظلم قبيح في العقل، وإذا أراد الله شيئاً ثم عذب عليه كان ظالماً، فركب الطريقة الشنعاء في أن لا حسن في العقل ولا تقبيح» [١].

إن الاشاعرة بإنكارهم تحسين العقل وتقبيحه مطلقاً يقابله افراط منهم في تقديم العقل، فمع أنهم يقولون « لا قبح ولا حسن الا بالشرع» الا أنهم يستقبحون ما استحسن الشارع وصف نفسه به.

---

١) الرد على من أنكر الحرف والصوت ط: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

اضطرابهم في الأسماء والصفات

الاضطراب الأول: أثبت الأشاعرة من الصفات الوجودية الثبوتية سبع صفات، أسموها صفات المعاني، ونفوا ما عداها من الصفات الخبرية الذاتية والفعلية، فألزمهم الناس إلزاماً قوياً وهو: أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض آخر، فإن كان لا يلزم من الصفات السبع أي محذور من المعاني الباطلة من الجسمية أو حلول الحوادث أو التركيب، فكذلك لا يلزم من إثبات بقية الصفات تلك المحاذير.

الاضطراب الثاني: أن طريقة إثباتهم لصفات المعاني طريقة غريبة أوقعتهم في بعض الاشكالات المتناقضة

منها: أنهم أثبتوا إرادة قديمة ذاتية - وهذا حق - ولكنهم نفوا تخصيصاً فعلياً فلزمهم أحد أمرين:

إما أن يقولوا إن الحوادث كلها قديمة لقدم موجبها - وهم لا يقولون به - أو يقولوا إن كل حادث حدث بعد أن لم يكن لتخصيصه بالارادة في وقته المعين، فيلزم إثبات الصفات الاختيارية وهو الصواب.

ومنه: أنهم جوزوا عقلا وقوع الكذب في كلام الله ومنعوا وقوعه بالدليل الشرعي فوقعوا في اضطرابين:

١- الدور، إذ هم قالوا: إن امتناع الكذب عليه يثبت بالشرع والشرع يثبت بالمعجزة، وهي لا تثبت الا بالعلم بامتناع الكذب على الله فحصل الدور.

٢- جواز إفحام الأنبياء، إذ يمكن على أصلهم إفحام الأنبياء بأنه لا يلزم من الإتيان بالمعجزة إثبات صدقهم.

والحبشي يجيز على الأنبياء الوقوع في صغائر الذنوب فقط ولكن ابن حزم يحكي عن الباقلاني قوله بجواز أن يرتكب الأنبياء جميع الذنوب حاشى الكذب في البلاغ فقط[1].

ومنها: أنهم أثبتوا تعدداً للكلام بحسب تعلقاته أما هو في أصله فمعنى واحد، فألزموا بأمرين:

١- اذا كان التعدد في الكلام انما هو بحسب التعلق فاذا كان طلب فعل سمي أمرا، واذا كان طلب ترك سمي نهياً... وهكذا. فلمَ لا يجوز أن يقال: إن الصفات السبع التي أثبتموها حقيقتها صفة واحدة، وتعددها إنما هو بحسب التعلقات فقط، فمثلا اذا تعلقت تلك الصفة بالممكن ايجاداً سميت قدرة، وبه تخصيصاً: سميت ارادة، واذا تعلقت

---

١) الدرة فيما يجب اعتقاده ٣٧٩.

وكذلك مال الأشاعرة الى مذهب المرجئة في مسألة الاسماء والأحكام فقالوا مخالفةً لمذهب المعتزلة: لا نعلم الفسّاق هل يدخل أحد منهم النار أو لا يدخلها، فوقفوا وشككوا في نفوذ الوعيد في أهل القبلة جملة. وهذا أشد ابتداعاً من مذهب المعتزلة. والسلف لا يتنازعون في أنه لا بد أن يدخل النار من يدخلها من أهل الكبائر ولكن لا يخلدون فيها. وهذا خلاف مذهبي المعتزلة والمرجئة. وهو حكم على أن هذا سيحصل ولا يلزم منه تعيين لكل مرتكب للكبيرة وانما وردت النصوص أن الله سيخرج من النار كثيرا من أهل الكبائر بتوحيدهم. ومن ثم يدخلهم الجنة.

ومن هنا سهل على المعتزلة والفلاسفة الدخول من خلال ضعف الأشاعرة للطعن في الدين. لأنهم دائما يقولون للأشاعرة: يلزمكم في نصوص الصفات ما تلزموننا به في نصوص المعاد وعذاب القبر. وقولنا في عذاب القبر كقولكم في صفات الله.

والمؤمنون بالله ورسوله يقولون لهم: قولنا لكم في الصفات كقولكم للفلاسفة في نصوص المعاد، فاذا قلتم: إثبات عذاب القبر والمعاد معلوم بالاضطرار من دين الرسول: قلنا لكم: وكذلك إثبات صفات الله من العلو والنزول واليدين والوجه والعين والأصابع معلوم بالاضطرار من دين الرسول. «قاله ابن تيمية».

وفي الحكمة والتعليل ذكروا بأن افعال الله لا تخلو عن الحكم ولكنها، غير مقصودة، فنفوا القصد مع أنهم أثبتوا هذا القصد شرطاً لاثبات صفة العلم لله لأن الفعل المتقن إن لم يكن بالقصد والاختيار فانه لا يدل على علم فاعله، بخلاف الفعل المتقن المقصود، فنفيهم للقصد في الحكمة وإثباتهم له في العلم تناقض واضح، وكذلك من نفى الحكمة وأثبت التعليل والقياس فقد تناقض[1].

وهم اذا تصوفوا تناقضوا واستغاثوا بالأموات وافتروا على الله كذبا فقالوا: إن الله جعلهم أسبابا لنا لنستغيث بهم، وأما ما جعله الله سببا كحصول الذبح بالسكين وحصول الاحتراق بالنار فإنهم ينفونه بحجة أن لا يقال إن الأسباب تخلق الفعل حتى زعموا إن الذبح والحرق يحصل عندها لا بها!!!

1) أنظر المطالب العالية ٣/١١٧-١١٨.

فالاشاعرة مختلفون في اثبات الجوهر الفرد فأكثرهم يثبته وبعضهم ينفيه.
مختلفون في الأعراض والجواهر هل تكون شاملة أو مخصوصة بأنواعها.
مختلفون هل يبقى العرض زمانين.

قولهم بعدم التيقن من انتفاء المعارض العقلي في الدليل النقلي مع الجزم بانتفائه في الدليل العقلي.

الأشاعرة قطعوا بعلمهم في الآخرة مع عدم التيقن بانتفاء المعارض العقلي في الدليل النقلي.

الأشاعرة مضطربون في تحديد ما يستدل له بدليل العقل فقط أو بدليل النقل فقط؟

الأشاعرة متناقضون في أصل الأدلة عندهم « دليل الحدوث».

الأشاعرة يعتمدون العقل ويقدمونه على الأدلة الشرعية وكفى به تقليدا للمعتزلة، ولكن مع ذلك بقيت عندهم إشكالات لم يستطيعوا الاجابة عنها عقلا.

الأشاعرة مختلفون في موقفهم من الفتنة التي جرت بين الصحابة.
منهم من يتبنى موقف المعتزلة ومنهم من يتبنى موقف اهل السنة.
فبينما يصف الحافظ ابن عساكر معاوية بأمير المؤمنين ناقلا قول أبي الحسن الأشعري « ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ ونكف عما شجر بينهم» [(١)].
يأتي الحبشي فلا يكف عما شجر بينهم بل يصف معاوية ومن معه من الصحابة بالفسقة. ويزعم أن القول بفسق مقاتلي علي هو قول أكثر الأشاعرة [(٢)].

---

١) تبيين كذب المفتري ١٦١.

٢) أنظر صريح البيان ص ٢١٥-٢١٦ الطبعة الجديدة المجلدة و٢٣٤.

التناحر الأشعري الأشعري
دليل على أن فرقتهم ليست ناجية

○ ومن الأدلة على تجويزهم للاجتهاد في العقيدة قول الجويني عند تعريف الأشعري للكلام « قال شيخنا رحمه الله: الكلام ما أوجب لمحله كونه متكلماً وهذا فيه نظر عندنا »[1].

ومنها أنهم أثبتوا نوعين من الكلام: نفسي قديم أزلي وآخر لفظي مخلوق، ثم قالوا بأن الاسماء الحسنى - وهي كلام الله - غير مخلوقة فاضطربوا وحاولوا تخريج هذا القول فلم يوفقوا.

ثم إن احتجاج الأشاعرة بأن ضد الكلام هو الخرس والسكوت وأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده... إن أصحابهم المتأخرين كالرازي والآمدي خالفوهم في هذا.

ذكر الرازي خمسة براهين على حدوث العالم قدح الأرموي في كل منها. بل ان الرازي نفسه ضعفها في كتابه المطالب العالية وهي آخر ما صنفه والمباحث الشرقية.

أما الآمدي فقد ذكر في حدوث العالم سبعة مسالك زيف ستة منها واختار المسلك السابع الذي هو المسلك المشهور للأشاعرة وهو دليل الأعراض وحدوث الأجسام.

وقد ذم هذه الطريقة جمع من الأشاعرة كأبي الحسن الأشعري والخطابي والبيهقي والحليمي والقاضي أبي يعلى.
وذكر الخطابي في الغنية أن هذا الدليل طويل المقدمات لا يفهمها كثير من الناس. وكأن الدين لم يتنزل الا لطائفة من الناس وهم الفلاسفة، وهو دليل مبتدع لم يدع اليه رسول الله ﷺ ويلزم منه لوازم فاسدة من نفي صفاته ونفي قدرته على الفعل.

وشهد الجويني بأن المتكلمين والفلاسفة كلهم على اختلاف مقالتهم هم في قياس الغائب على الشاهد مضطربون.

وخالف الجويني الشافعي في احتجاجه بقوله تعالى ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾ على حجية الاجماع وأن من

---

١) الارشاد ١٠٤ ط: الخانجي.

خالفهم وتعرض للوعيد المذكور في الآية.

○ ذكر الحبشي قول ابن حجر الهيتمي « أما اولية نور النبي ﷺ فهي أولية مطلقة» [1]. ومع أن هذا قول بأزلية غير الله فلم يزد الحبشي على أن قال وهذا التأويل مخالف للحديث الصحيح.

مع أن الأحباش صرحوا بأنه من الكفر قول إن محمداً خُلق من نور لأن ذلك تكذيب للقرآن لأن الله قال ﴿**قل انما أنا بشر مثلكم**﴾ [2]. فهل يحكم الأحباش بكفر الهيتمي ودحلان وقد قالا بذلك؟

---

1) صريح البيان ٥٤ ط: مجلدة ١٣٢.

2) مجلة منار الهدى الحبشية ٢٤/٣٤).

تناقض أنواع تأويلاتهم

والأشاعرة متناقضون في تأويلاتهم: فحكى الزبيدي لهم في صفة الرجل ثلاثة معان:

أن تكون الرجل رجل بعض خلقه.

أو أن هناك مخلوقا يخلقه الله يسمى بهذه التسمية.

أو أن يكون معناه جماعة من الناس. ثم انتهى الى ان طائفة من أهل الكلام تفضل السكوت والتفويض [1].

وتناقضت تأويلات الأشاعرة لصفة القدم فيما بينهم شر تناقض:

فزعموا أن المراد بالقدم:

قدم جبار معين من المتجبرين في الأرض ويلهم الله النار طلب المزيد الى حين وضع قدم ذلك الجبار.

أو بمعنى المتقدم من الكفار:

أو معنى القدم: خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدماً [2].

أو أن هذا مجاز عن إسكات النار [3].

ولهذا انتهى الحافظ الى مخالفة كل هؤلاء وأكد أن طريق السلف إمرار هذه الصفات من غير تعرض للتأويل. لا سيما وأن الأحاديث الصحيحة قد وردت بلفظ القدم والرجل والساق بما لا سبيل الى تأويله وكل واحدة من هذه الألفاظ تفسر بالأخرى.

وقال ابن فورك «بين اصبعين من أصابع الله» يجوز أن يخلق الله يوم القيامة مخلوقا يسميه اصبعا فيحمله ما يحمل الاصبع» [4].

فهذه صفات ثلاثة وصف الله بها نفسه جعلها هؤلاء صفات مخلوقة بعقيدة الاحتمال، فتارة يخلق يوم القيامة مخلوقا يسميه اصبعا وتارة مخلوقا اسمه قدم وتارة مخلوقا اسمه رجل!

---

١) مشكل الحديث ٤٦ الباز الأشهب ٨٤ وانظر فتح الباري ٥٩٦/٨ واتحاف السادة المتقين ٣٤١/٨.

٢) وهذا القول ينافي ما علم من حكمة الله وعدله من كونه لا يعذب أحداً بلا ذنب إذ كيف يخلق الله خلقاً لم يعملوا شراً قط فيعذبهم؟

٣) فتح الباري ٥٩٦/٨ مشكل الحديث ٤٥ أصول الدين ٧٦ الارشاد ١٦٣ الاسماء والصفات للبيهقي ٤٤٤ أو ٨٢/٢.

٤) فتح الباري ٣٩٨/١٣.

ومن تناقضات الأشاعرة. زعمهم تارة أن الجارية التي سألها النبي ﷺ « أين الله» كانت خرساء. وهذا ما ادعاه شيخهم ابن فورك بأن الجارية إنما كانت خرساء [١].

وتارة يأتيك قوم كالأحباش فيزعمون أنها لم تقل « في السماء» وإنما قال لها ﷺ « أتشهدين أن لا اله الا الله» فقالت « أشهد» كما عند مالك في الموطأ» [٢].

وهذا من تناقضهم، فقد قالت الجارية للنبي ﷺ « أنت رسول الله» مما يؤكد تناقضهم، إذ دل النص على أنها كانت ناطقة تتكلم، ولذلك شهدت للنبي ﷺ بالرسالة.

ثم تأمل تفسير العز بن عبد السلام آية **﴿ثم استوى الى السماء﴾** بمعنى « قصد الى السماء: ويحتمل ثم استوى أمره وخلقه الى السماء وكلاهما مجاز لا يترجح أحدهما الا بدليل من خارج» [٣]. فهذا احتمال في أمر العقيدة لم تستطع ترجيحه.

وتناقضوا في صفة الضحك فقال الحبشي « وضحك أي رضي وليس كضحك البشر» [٤].

وفسر الرازي قول النبي ﷺ «ضحكتُ لضحك ربي»: أي أن الضحك الحاصل في ذاتي بسبب أن الرب خلق ذلك الضحك».

أو أن يُحمل الضحك على حصول الرضى والإذن.

ثم زعم أن قوله ﷺ «فيضحك الرب منه» قد حصل فيه الغلط في إعراب هذا اللفظ وأن الصواب أنه بضم الياء أي يُضحِكُ اللهُ الملائكةَ» [٥].

أوله الخطابي تارة بالرضا وتارة بإضحاك الملائكة [٦]. بينما يفسر ابن فورك الضحك بالظهور والبيان ووافقه البغدادي [٧].

وذكر العز ابن عبد السلام لضحك الله ثلاثة معان:

الأول : أن يريد الرب بمن أطاعه ما يريده الضاحك بمن أضحكه.

الثاني: أن يعامله معاملة الضاحك من أضحكه.

---

١) مشكل الحديث وبيانه ١٥٩-١٦٠.

٢) منار "الهدى" ٢٧/١٦ وسيأتي الرد على هذه الشبهة.

٣) الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز ١١٠.

٤) صريح البيان ١٧٧.

٥) أساس التقديس ١٨٩.

٦) الاسماء والصفات للبيهقي ٢/٢١٦-٢١٨.

٧) مشكل الحديث ١٣٩ أصول الدين للبغدادي ص ٨٠.

الثالث: أنه لمّا أشبهت معاملته معاملة الضاحك بمن أضحكه تجوّز عنها بالضحك، ووصف الله سبحانه بالضحك محمول على الرضى والقبول»[1].

ولا شك أن هذا تلاعب بالنصوص الشرعية.

١) أن قولهم مُشعر بأنهم يثبتون صفة الرضا وهذا تناقض لأن صفة الرضا عندهم مؤَولة بالإرادة كما حكاه البيهقي عن شيخه الأشعري في الأسماء والصفات (١/٣٠٦). والتشابه عندهم سبب للتأويل لأن الصريح لا يؤول، فكيف يُحكمون المتشابه بمتشابه، وكيف يؤولون صفة بصفة مؤولة أصلا؟؟

فقد التزم المؤولة بأن كل ما يريده الله فهو يحبه، وأن الله يريد الكفر ويحبه ويرضاه، وأن الارادة والرضى والمحبة بمعنى واحد[2].

وعزا السبكي القول باتحاد الارادة والمحبة الى جمهور الأشاعرة غير أنه اختار لنفسه خلاف ما اختاره عامة الأشاعرة فقرر أن الرضا غير الارادة [3].

○ وتناقض الحبشي في صفة وجه الله، فتارة يفسر وجه الله بذات الله. وتارة بقبلة الله [4] وتنوع التأويلات واختلافها دليل على أنها من عند غير الله.

○ وتناقضوا في صفة اليد فمنع بعضهم التأويل وبعضهم أوجد لها عدة معان منها:

أن اليد بمعنى النعمة وهو عين قول القاضي عبد الجبار [5].

وبعضهم بمعنى القدرة وبعضهم بمعنى المُلْك وبعضهم بمعنى العناية. ويأتي ابن فورك فيجمع بين كل هذه المتناقضات ويرى أنه لا مانع من تأويل اليد على هذه المعاني جميعها [6] علماً بأن الحافظ ذكر أن ابن فورك كان يرى اليد بمعنى الذات [7].

---

١) الاشارة الى الايجاز ص ١٠٧ ط: دار البشائر.

٢) أنظر كتاب الأصول والضوابط للنووي ص ٢٤ طبقات السكبي ٣٨٥/٣ محققة أصول الدين ٤٦.

٣) طبقات السبكي ٢٩٥/١٠ و٣٨٥/٣ محققة.

٤) شريط ٧: الوجه الثاني ٢٢٥.

٥) تأويلات أهل السنة تفسير الآية ٦٤ من سورة المائدة وانظر متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ٢٣١.

٦) مشكل الحديث وبيانه ٢٣٦ ط عالم الكتب.

ويتناقض أهل الكلام حين يجعلون من العقائد الثابتة بخبر الواحد كالصراط، فها هو الجويني يذكر الصراط والحوض والميزان من جملة ما يجب الايمان به معتمداً في ذلك على خبر الواحد، واحتج بسحر لبيد بن أعصم للنبي ﷺ [١]. مع انه هو وعامة الأشاعرة يقررون أن العقائد لا تثبت الا بما تواتر سنده. ويتناقض المذهب الأشعري حين يجمع بين تحريم الظن ووجوب الظن. فالظن في العقائد حرام، أما في الأحكام فهو واجب.

وقولهم أنه يفيد العمل ولا يفيد العلم قول متناقض. فإن العمل بالشيء فرعٌ عن العلم به.

يتناقض الحبشي في موقفه من صفة الاستواء فمرة يقول « بل نقول استوى استواء يليق به هو « أعلم» بذلك الاستواء» (الدليل القويم ٣٥) ومرة يصير الحبشي أعلم بذلك الاستواء فيفسره بما لا يليق به (أي بالاستيلاء) تارة، وتارة أخرى بأن معنى ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ أي « العرش بالرحمن استوى» [٢]. ثم يزعم أن مما اتفقت فيه المعتزلة مع « أهل السنة» (أهل سنته) تفسير الاستواء بالاستيلاء (إظهار العقيدة ١٣١).

والغزالي تارة يفسر الاستواء بالاستيلاء وتارة يزعم أن الله استوى على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده [٣]. وعلق المرتضى الزبيدي على تأويل الغزالي للاستواء بأنه تأويل محتمل لا دليل على تعيين هذا التأويل، بل هو تأويل « بعض» الخلف [٤]. ويأتي الرازي فيجعل هذا التأويل الاحتمالي بالاستيلاء واجباً على المسلم [٥].

وفسر العز بن عبد السلام قوله تعالى ﴿**فأخذناهم بذنوبهم**﴾ بمعنى استولى عليهم. قال «لأن الاستيلاء بالقهر والغلبة يشبه الاستيلاء باليد» [٦].

---

٧) فتح الباري ٣٩٤/١٣ مشكل الحديث ٣٢٣.
١) ارشاد ٣٧٩ و٣٢٣.
٢) طبقات السبكي ٨٦/٩.
٣) اتحاف السادة المتقين قارن ١٠٤/٢ بـ ٢٤/٢.
٤) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١٠٤/٢-١٠٥.
٥) أساس التقديس ٢٠٢.
٦) الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز ٩٤.

وتناقض الأشاعرة في تأويل الآية ﴿أأمنتم من في السماء﴾ فقال أبو حيان: أي ملكوته [1] وقال عامة الأشاعرة (ملائكته) وقال بعضهم (جبريل). وقال بعضهم « أي من تزعمون أنه في السماء» قاله النسفي والبيضاوي والرازي[2].

وخالف الأشاعرة شيخهم الأشعري الذي قال « ونقول إن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ [3] ، ثم اتفقوا مع المعتزلة على تأويل صفة المجيء لله تعالى فقالوا ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ يجيء أمر الله كقول المعتزلة [4].

ثم أتى الرازي بتحريف عظيم فزعم « أن الرب هو المربي، فلعل ملَكاً عظيماً هو أعظم الملائكة كان مربّياً للنبي ﷺ وكان هو المراد من قوله وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[5].

وتناقضوا في صفة النزول: فمنهم من زعم النزول بنزول الملك بأمره ومنهم من زعم أن النزول نزول بره وعطائه ومنهم من زعم أنه الاطلاع والإقبال على العباد بالرحمة [6].

علم الكلام علم التناقض

الأشاعرة ورثوا علم الكلام الذي تسبب في كل هذا التناقض فما تمسك به قوم وأفلحوا. وهو يودي الى الشك والريبة والتردد كما جاء في الفتح (١٣/٣٥٠) للحافظ ابن حجر « وقد أفضى الكلام بكثير من أهله الى الشك، وببعضهم الى الالحاد». قال « وصح عن السلف أنهم نهوا عن علم الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب.

وحكى الغزالي في المنقذ من الضلال (ص ١٤) تجربته الفاشلة مع علم الكلام فقال « لم يكن الكلام في حقي كافياً ولا لمرضي الذي كنت أشكو منه شافياً... ولم يكن من كلام المتكلمين الا كلمات ظاهرة

---

١) تفسير البحر المحيط ٨/٣٠٢ والنهر الماد ٢/١١٣١.
٢) مدارك التنزيل للنسفي ٣/٥٦١ وتفسير الرازي ٣٠/٧٠ والبحر المحيط ٨/٣٠١-٣٠٢.
٣) تبيين كذب المفتري ١٦١ والابانة ٢٥.
٤) أساس التقديس ١٣٦ تفسير النسفي ١/١٠٥و٢/٤٢ متشابه القرآن ٦٨٩ شرح الاصول الخمسة ٢٢٩ و٢٤٧ رسائل العدل والتوحيد١/ ٢٢٩
٥) أساس التقديس ١٤٣.
٦) اشارات المرام للبياضي ١٨٩ بحر الكلام للنسفي ٢٣.

التناقض والفساد».

وللإمام الخطابي كتاب الغنية عن الكلام وأهله، قال وصف فيه مقالات المتكلمين بأنها سريعة التهافت كثيرة التناقض [١].

ولهذا شهد الغزالي وابن حجر العسقلاني وابن الجوزي بأن طريقة المتكلمين تورث التردد والحيرة والشك والتناقض [٢].

وهذا ما دفع بالغزالي الى القول بأنه ينبغي أن يعرف الخلق ربهم بأدلة القرآن لا بقول المتكلمين أن الاعراض حادثة وأن الجواهر لا تخلو عن الأعراض الحادثة فانه ما ثار الشر الا منذ نبغ المتكلمون [٣].

هذا بالرغم من أن الغزالي هو أول من خلط المنطق بأصول الدين. حكاه السيوطي[٤].

وياليت الغزالي ثبت على هذا القول ولم يتناقض، فقد صرح بضرورة تأويل الميزان لأنه عرض والأعراض لا توزن، وبضرورة تأويل خبر الإتيان بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح بدعوى أن الموت عرض والعرض لا يؤتى به ولا ينقلب جسماً [٥].

وبالرغم من اعتراف الأشاعرة بالتزام شيخهم الأشعري بما كان عليه أحمد، كقول السبكي أن عقيدة الأشعري هي عقيدة أحمد بلا شك ولا ارتياب، وأن الأشعري صرح هو نفسه بذلك مراراً في تصانيفه « أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المُبَجَّل، أحمد بن حنبل» [٦].

الا أنهم سرعان ما يتناقضون فيزعمون أن الناس كانوا يدرسون عند الأشعري علم الكلام [٧].

---

١) سير أعلام النبلاء ١٧:٢٦ وصون المنطق للسيوطي ٩١-٩٩.

٢) المنقذ من الضلال ١٤ - ١٧ فتح الباري ١٣/٣٥٠-٣٥٢ تلبيس ابليس ٨٢.

٣) الجام العوام عن علم الكلام ٨٧-٨٩ احتج به المرتضى الزبيدي.

٤) صون المنطق والكلام ص ١٣.

٥) قانون التأويل ٢٣٨-٢٤٠.

٦) طبقات الشافعية ٣/٩٩ أو٤/٢٣٦ محققة. اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢/٤.

٧) طبقات السبكي ٣/٢٩٤ و٤/٣٣٢.

موقف أهل السنة من الصحابة
وموقف الحبشي منهم

ومن أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة محبة أصحاب النبي ﷺ وعدم سب أحد منهم وحفظ وصيته فيهم، قال ﷺ « لا تسبوا أحدا من أصحابي»[1] بل قال ﷺ « من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» زاد في رواية « لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا» [2] وفي رواية « لعن الله من سبّ أصحابي» [3]. فلذلك لا يسبون أحدا منهم.

وقال ابن عباس «وإياك وشتم أحد من أصحاب محمد ﷺ فيكبّك الله في النارِ على وجهك» [4]. وقال «لا تسبّوا أصحاب محمد ﷺ فإن الله قد أمَرَ بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون» [5].

وقال التابعي شهاب بن خراش «أدركتُ من أدركتُ من صدَرَة هذه الأمة وهم يقولون: أذكروا مجلس أصحاب رسول الله ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتُحرّشوا عليهم الناس»[6].

معاوية عند الحافظ ابن عساكر « أمير المؤمنين»

ولقد كان سب معاوية نزعة اعتزالية [7] خالفها الأشاعرة الأوائل:

فقد كان الحافظ ابن عساكر يصف معاوية بأمير المؤمنين ويترضى عنه ويذكر أن المعتزلة كانوا لا يقبلون بشهادة معاوية وعائشة وطلحة والزبير ولو شهدوا على حبة واحدة ما قُبِلَتْ شهادتهم لأنهم كانوا على الخطأ.

فخالفهم أبو الحسن الأشعري ووقف وقفة وسطية سنية وقال « **ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ ونكف عما شجر بينهم**» [8] والباقلاني الأشعري يثني على معاوية ويترضى عنه[9].

---

1) البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٨٢٩).
2) الطبراني بإسناد صحيح ٣/١٧٤/١ (السلسلة الصحيحة ٥/٤٤٦).
3) السلسلة الصحيحة (٤٩٨٧) وانظر تطهير الجنان عن التفوه بثلب سيدنا معاوية بن سفيان ص ١ للهيتمي.
4) أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة ٤/٦٣٣.
5) رواه أحمد في الفضائل رقم (١٨٧-١٧٤١) وروي ذلك عن الضحاك كما في الاعتقاد للبيهقي ٣٢٣.
6) سير أعلام النبلاء ٨/٢٨٥.
7) ولا ننسى أن أكثر المعتزلة الأوائل كانوا من الروافض.
8) تبيين كذب المفتري ١٦١.

ولأن عند القوم من الحسنات ومن الفتوحات ما يكفّر الله عنهم به خطاياهم، وليس لأحد أن يُنَصِّب نفسه قاضياً فيما اختلفوا فيه. ثم ألا يمكن أن يكون معاويَة قد تاب من خطئه؟ فإن كان تاب فأين تذهب شتائمكم وخوضكم فيه وتفسيقكم إياه؟ أيذهب إليه أم يرجع إليكم أوزاراً تحملونها على ظهوركم؟

يا قوم ألا تحتاطون لدينكم؟!!

حجة مرتضوية زبيدية

قال المرتضى الزبيدي « والحق الذي عليه أهل السنة الامساك عما شجر بين الصحابة وحسن الظن بهم والتأويل لهم وأنهم مجتهدون لم يقصدوا معصية الله ولا محض الدنيا»[1] اذن: فالحبشي ليس على السنة.

وكان المرتضى الزبيدي اذا ذكر معاوية يقول « رضي الله عنه» [2] . واستحسن قول ابن عربي « معاوية كاتب رسول الله ﷺ وصهره وخال المؤمنين فالظن بهم جميل، رضي الله عنهم أجمعين، ولا سبيل الى تجريحهم وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم وهم مأجورون في كل ما صدر عنهم عن اجتهادٍ سواء أخطأوا أو أصابوا».

علق الزبيدي قائلا « وهو كلام نفيس يفتح باب حسن الاعتقاد في سلفنا ويتعين على كل طالب للحق معرفة ذلك». وكان ابن الجوزي أيضاً يترضى عن معاوية عند ذكر اسمه وكذلك النووي [3] .

والماتريديون مخالفون للحبشي

قال ابن الهمام في المسايرة «وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة» [4]

فلله الحكمة البالغة كم استخرج الله بمعاوية من انطوت نفوسهم على الغلو وقلة الانصاف والافساد بدعوى الاصلاح وعدم سلامة الصدر كما استخرج بأمر السجود لآدم ما في نفس إبليس من الكبر والحسد.

---

٩) إعجاز القرآن ١٤٦ تحقيق كمال الحوت الحبشي ط: عالم الكتب.

١) اتحاف السادة المتقين ١٠/١٠.

٢) اتحاف السادة المتقين ١/٢٠١ و٢/٢٢٣-٢٢٤و٢٢٥.

٣) تلبيس ابليس ٩٠ شرح النووي على مسلم ١/٣٢٢ حديث رقم ٣٤.

٤) المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة ص ٤٧.

عقيدة الطحاوي في الصحابة

قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته المسماة بالعقيدة الطحاوية «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم. ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم الا بخيرٍ، وحبُّهم دين وايمان واحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

وأوضح موقف أهل السنة من الخلاف الذي جرى بين علي ومعاوية كما في كتاب (النفائس ص ٥٩) الذي جمعه (الحوت) تلميذ الحبشي:

وانما نازعه معاوية — بشبه عن الصواب نائية
تأولا بقاتلي عثمانا — خطأ فيه وادعى عدوانا
لكنه مع الخطأ لا يكفر — قد ضل أهل الرفض فيما ذكروا
إذ هو من أكابر الصحابة — العارفين سبل الاصابة

حجة غزالية

وقال الغزالي « واعتاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم. وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد» [١] وذكر أن الروايات التي تحكي عنه العجائب من روايات الآحاد وأن الصحيح منه مختلط بالباطل وأكثره من اختراعات الروافض.

ثم نهى عما خاض به من لعن معاوية والطعن فيه فقال « فلو سكت إنسان مثلاً عن لعن إبليس أو لعن أبي جهل لم يضره السكوت، ولو هفا هفوة بالطعن في مسلم بما هو بريء عند الله تعالى فقد تعرض للهلاك»[٢].

١) إحياء علوم الدين ١/١١٥.

٢) الاقتصاد في الاعتقاد ٢٠٢-٢٠٣ ط: مكتبة الجندي تحقيق أبو العلا.

إبطال نفي الحبشي اجتهاد معاوية بكلام أئمته

لقد أعلن الأشعري أن « الصحابة لم يختلفوا في الأصول وانما في الفروع فأدى اجتهاد واحد منهم الى شيء فهو مصيب وله الأجر والثواب على ذلك [١].

وهذا ما ذهب اليه الحافظ ابن حجر العسقلاني وابن حزم [٢].
فخذه حيث حافظ عليه نص!!!

وذكر ابن فورك من مقالات الأشعري في حرب معاوية لعلي أنه « كان باجتهاد منه، وأن ذلك كان خطأ وباطلاً ومنكراً وبغياً على معنى أنه خروج على إمام عادل ولكنه كان بنوع من الاجتهاد ممن له أن يجتهد فيما له الاجتهاد فيه، ولم يطلق عليه اسم الفسق والكفر، وكان يجري ذلك مجرى اختلاف الحاكمين اذا اجتهدا فأخطأ أحدهما وأصاب الآخر» [٣].

ولقد أسقط الحبشي الجُمَل التي تحتها خط حين نقل فقرة الأشعري بطولها من مقالات الأشعري لابن فورك، ثم زعم أنه يُفهم من كلام الأشعري أن الذين قاتلوا علياً لا يدخلون تحت حديث « اذا اجتهد الحاكم فأصاب...» وهو كذب صريح على كلام الأشعري اذا أعدت مراجعته في المقالات. ثم أكد على أن القول بتفسيق مقاتلي علي هو قول أكثر الأشاعرة [٤] كما نص عليه الآمدي.

عادوا الى موافقة المعتزلة

ولقد أبان ابن عساكر وابن فورك موقف الأشعري الوسط بين المعتزلة الذين سبوا معاوية وبين من غلوا في تأييده حتى وافقوه على موقفه الخاطىء من علي رضي الله عنه.

○ غير أن هذا المفهوم الاعتزالي عاد ليشق طريقه في بعض المتأخرين المنتسبين الى الأشعري فصاروا يخوضون فيما شجر بين الصحابة ويسبون معاوية وغيره من الصحابة. وهذه وريثة إعتزالية رافضية يبرأ أهل السنة منها.

---

١) تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الأشعري ١٥٢ مع عدم التسليم بأن كل مجتهد مصيب فقد نقد الجويني هذا القول للأشعري قائلا «فإن كان كل مجتهد مصيباً فلا يتحقق الترجيح في المجتهدين» (مغيث الخلق ص ٨-٩) ولو أنه قال لكل مجتهد نصيب لكان أصوب.

٢) فتح الباري ٦٣/١ الدرة فيما يجب اعتقاده ٣٦٩.

٣) مجرد مقالات أبي الحسن لابن فورك ص ١٨٨.

٤) أنظر صريح البيان ص ٢١٥-٢١٦ الطبعة الجديدة المجلدة.

حجة رفاعية

وهكذا كان اعتقاد اصحاب الطريقة الرفاعية التي ينتمي اليها الحبشي، فقد كانوا يترضّوْن عن معاوية كلما أوردوا اسمه في كتبهم فيقولون «رضي الله عنه» (١). والحبشي يحتج بهذا الكتاب كما في قائمة مصادر كتابه (المقالات «السنية»!).

الحبشي يخالف احمد الرفاعي ويتهمه بالشطح

بل قد نقلوا عن الشيخ أحمد الرفاعي نفسه أنه «كان يأمر بالكف عما شجر بين الامام علي ومعاوية ويقول: معاوية اجتهد وأخطأ وله ثوابُ اجتهاده، والحق مع علي وله ثوابان، وعليٌّ أكبر من أن يختصم في الآخرة مع معاوية على الدنيا، ولا ريب بمسامحته له، وكلهم على الهدى»(٢).

وقد أثبت الرفاعيون كلام شيخهم في أكثر كتبهم، بل ذكر محمد أبو الهدى الصيادي أن الله عفا عنهم جميعهم ولا يؤاخذهم بما جرى بينهم (٣).

لكن الحبشي لا يرضى أن يقال إن معاوية اجتهد وأخطأ وأنه مثاب على خطئه، بل يعتبره من كلام أهل الشطح.

فقد قال « ومن الشطح الذي وقع فيه بعض الفقهاء أنهم بعد ذكرهم لحديث « تقتل عمّاراً الفئةُ الباغية» يقولون: إن علياً اجتهد فأصاب فله أجران وإن معاوية اجتهد فأخطأ فله أجر» (٤). وبهذا أدخل شيخه الرفاعي في الشطح والخطأ.

وكأنه يردّ بذلك ما قرره ابن حجر الهيتمي من أن معاوية مجتهد مخطىء خطئاً معفواً عنه وأنه ساعٍ في رضا الله بحسب اجتهاده (٥).
بل أحسن ابن حجر حين احتج بقولِ ابن عباس في معاوية (إنه فقيه)(٦) ثم قال « والفقيه في عُرف الصحابة هو المجتهد المطلق، وصدور هذا الوصف من حبر الأمة وترجمان القرآن وابن عم رسول الله وابن عم علي من أجلّ مناقب معاوية» (٧).

---

١) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ص ٢٩١.
٢) روضة الناظرين ٥٦.
٣) ضوء الشمس في قول النبي ﷺ بني الاسلام على خمس ١/٢٢٥.
٤) صريح البيان ١٠٨-١٠٩.
٥) تطهير الجنان ٦-٧ و١٩-٢١ و٤٧.
٦) رواه البخاري رقم ٣٧٦٤.

والحبشي ينسب هذا الشطح الى أبي الحسن الأشعري أيضاً الذي نقل ابن عساكر قوله بأن « كل مجتهد مصيب، وأن الصحابة لم يختلفوا في الأصول وانما في الفروع، فأدى اجتهاد واحد منهم الى شيء فهو مصيب وله الأجر والثواب على ذلك» [١].

فهل الحبشي صادق في اعتقاد مذهب الأشعري، وقد كان فيما مضى يتشدق بهذا البيت من الشعر:

إثنان من يعذلني فيهما   فهو على التحقيق مني بري
حب أبي بكر إمام الهدى   ثم اعتقادي مذهب الأشعري

حجة جيلانية قادرية

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله «اتفق أهل السنة على وجوب الكفّ عما شجر بين أصحاب رسول الله والإمساك عن مساوئهم وإظهار فضائلهم ومحاسنهم، وتسليم أمرهم الى الله عز وجل على ما جرى من اختلاف عليّ وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم» [٢]. وأكد ابن حجر الهيتمي اتفاق أئمة هذه الأمة على ذلك [٣].

خلافة معاوية عند الجيلاني شرعية

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني « وأما خلافة معاوية فثابتة صحيحة بعد موت علي رضي الله عنه وبعد خلع الحسن بن علي نفسه عن الخلافة وتسليمها الى معاوية لرأي رآه الحسن ومصلحة عامة تحققت له، وهي حقن دماء المسلمين وتحقيق قول النبي في الحسن رضي الله عنه «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بيْنَ فئتين عظيمتين من المسلمين» فوجبت إمامته بعقد الحسن له، فسمّي عامه عام الجماعة لارتفاع الخلاف بين الجميع واتّباع الكلّ لمعاوية رضي الله عنه» [٤].

---

٧) تطهير الجنان ٢٦.

١) تبيين كذب المفتري فيما نسب الى أبي الحسن الأشعري ١٥٢ .

٢) الغنية لطالبي الحق ٧٩و٨٦ والكتاب أثبت المرتضى الزبيدي نسبته الى الجيلاني (اتحاف السادة المتقين ٢/٢٤٩) هذه طريقة عبد القادر الجيلاني التي يتبجح الحبشي بالانتماء اليها. وإذا لم يكن قادرياً في العقيدة فبماذا يكون قادرياً: بالهز والرقص الصوفي والأحزاب والأوراد المبتدعة التي افتروها عليه؟!

٣) تطهير الجنان عن التفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان ٤٠.

حجة نقشبندية

قال خالد النقشبندي ما نصه « فتفسير الحروب التي وقعت بين الصحابة بأنها كانت لأجل الرئاسة ومن أجل هوى النفس والظن بهم ظن السوء علامة على النفاق وسبب للهلاك... كيف يجوز التفكير بأنهم تقاتلوا من أجل جيفة الدنيا... كلا لا يجوز تفكير مثل هذه الأشياء القبيحة لأصحاب النبي ﷺ... ولهذا قالت أئمة الدين: ما آمن بالرسول ﷺ من لم يوقر أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ولن تكون محاربة الجمل وصفين سببا لذمهم... والمحاربة التي دارت بين كبار الصحابة ليست نتيجة العناد أو العداوة بل نتيجة الاجتهاد منهم... علينا أن نحفظ لساننا من التكلم في حقهم... كما أن الله لم يلطخ أيدينا بدماء هؤلاء العظماء رضي الله عنهم... والمحاربات التي وقعت بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين»[١].

وكان أحمد فاروقي السرهندي (صاحب المكتوبات) يترضى عن معاوية كلما ذكره، ويجعل خطأه خيراً من صواب أويس القرني وعمر بن عبد العزيز لشرف صحبته للنبي ﷺ[٢]. بل استحسن قول عبد الله بن المبارك بأن الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز كذا مرة[٣].

وصرح بأن معاوية ومن معه أخطأوا وكان خطؤهم اجتهادياً واحتج بأن ابن حجر الهيتمي جعل هذا القول من معتقدات أهل السنة. ونقل مثله عن التفتازاني ثم قال « ولا شك أن الخطأ الاجتهادي بعيد عن الملامة عليه، والطعن والتشنيع مرفوعان عن صاحبه ينبغي أن يذكر جميع الأصحاب الكرام بالخير مراعاة لحقوق صحبة خير البشر ﷺ»[٤].

قال « فلا يجوز تفسيق مخالفي الامام علي وتضليلهم... كيف وقد كانت الصديقة وطلحة والزبير من الصحابة منهم... فتضليلهم وتفسيقهم مما لا يجترىء عليه مسلم إلا أن يكون في قلبه مرض وفي باطنه خبث، وما وقع في عبارة بعض الفقهاء من إطلاق لفظ الجور في

---

٤) الغنية٧٨ و٧٤.

١) كتاب الايمان والاسلام ص ٣٦-٣٩ ط: مكتبة الحقيقة بتركيا.

٢) رسالة في رد الروافض ولها عنوان آخر (المقدمة السنية في الانتصار للفرقة السنية) ص ٧٣ وانظر المكتوبات ١٢٠ و٢٣٠.

٣) المكتوبات الشريفة (أو مكتوبات الامام الرباني ٨٧ و٧٠ و١٧٥.

٤) مكتوبات الامام الرباني ٢٧٧.

حق معاوية حيث قال: كان معاوية إماماً جائراً فمراده بالجور عدم حقية خلافته في خلافة علي، لا الجور الذي مآله فسق وضلالة... ولا يجوز الزيادة على القول بالخطأ، كيف يكون جائراً وقد صح أنه كان إماماً عادلا في حقوق الله سبحانه وحقوق المسلمين كما في الصواعق... وقد ورد في الأحاديث النبوية بأسانيد الثقات أن النبي ﷺ دعا لمعاوية...»[1] انتهى.

حكم الحبشي عند مالك التعزير بالقتل

ثم حكى أن الامام مالكاً كان يحكم بقتل شاتم معاوية، وحكى مقولة الشافعي المشهورة المروية عن عمر بن عبد العزيز «تلك فتنة قد طهر الله منها سيوفنا، أفلا نطهر منها ألسنتنا».

وكتب الفرهاروي النقشبندي كتاباً بعنوان (الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه) طُبِعَ في تركيا لدى مكتبة الحقيقة أو وقف الإخلاص.

حجة شافعية على الحبشي «المتشفع»

وكان الشافعي اذا سئل عما جرى بين الصحابة يردد قول عمر بن عبد العزيز «تلك فتنة قد طهر الله منها أيدينا، أفلا نطهر منها ألسنتنا» وهو عين احتجاج الامام أحمد بالآية ﴿**تلك أمة قد خلت**﴾[2].

فأهل السنة لا يخوضون في هذه الفتن ويقولون ما قاله الشافعي، خلافاً لمن لبس ثوب الشافعي وخالفه.

---

١) مكتوبات الامام الرباني ٢٣٠ وانظر ص ١٨٣ و٢٧٧.

٢) مناقب الشافعي للرازي١/٤٤٩ الحلية ٩/١١٤ جامع بيان العلم ٢/٩٣ الفقه الأكبر ٥٨ طبقات الحنابلة ٢/٢٧٢.

حجة هيتمية

وكتب أحمد بن حجر الهيتمي كتاباً بعنوان « تطهير الجنان واللسان عن التفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان» دعاه الى تأليفه السلطان همايون أكبر سلاطين الهند.

وجاء في كتابه الزواجر « الكبيرة رقم [٤٦٥] شتْمُ واحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين» (١). واعتبر الخوض فيما شُجر بينهم من أشد الأمور تحريماً لما فيه من الفساد العظيم وإغراء العامة على تنقيص أصحاب رسول الله ﷺ» (٢).

حجة جوينية

قال الجويني في مغيث الخلق « فإن علياً كرم الله وجهه قاتل معاوية رحمه الله في الإمامة، وعلي كان مصيباً ومعاوية كان مخطئاً رضوان الله عليهما وكان معذوراً في خطئه لقوله ﷺ: من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر» (٣).

حجة سبكية

ذكر السبكي قول الناس في الحاكم صاحب المستدرك بأنه « كان منحرفاً غالياً عن معاوية وأهل بيته يتظاهر به ولا يعتذر منه» ثم عقب السبكي بقوله « ولم يبلغنا أن الحاكم ينال من معاوية ولا يُظن فيه ذلك... ومقام الحاكم أجلّ عندنا من ذلك» (٤).

فهذا السبكي يستقبح أن ينال السني من صهر رسول الله. تُرى! ماذا يكون حكم السبكي في الحبشي الذي جعل من علامات الهدى سب صهر رسول الله؟! فخذه أيها الحبشي حيث سبكيٌّ عليه نص!

وجاء في كتاب الزبد :

وما جرى بين الصحاب نسكت عنه وأجر الاجتهاد نثبت

وقد عهدنا الأحباش يحفظون كتاب الزبد ولكن: ألم يحفظوا معه هذا البيت الذي يبين موقف أهل السنة مما جرى بين الصحابة!

---

١) الزواجر ٢/٣٧٩.
٢) تطهير الجنان ٤١.
٣) مغيث الخلق في ترجيح القول الحق ٩ ط: المطبعة المصرية ١٩٣٤.
٤) طبقات السبكي محققة ١٦٣/٤ أو غير محققة ٦٨/٣.

ضابط التشيع عند المحدثين

وكان يكفي لرمي الراوي بالتشيع عند المحدثين أن يطعن في معاوية ويسبه ويخوض في الفتنة مع الخائضين.

قال الذهبي في محمد بن عبد الله الأبار « فيه تشيع» ومن أسباب ذلك أنه كان يطعن في معاوية وآله [1].

وقال عن (محمد بن يوسف ابن مسدي) « فيه بدعة وتشيع» لأنه كتب قصيدة طويلة ينال فيها من معاوية وذويه [2].

وتقدم دفاع السبكي عن الحاكم صاحب المستدرك تهمة التشيع بدعوى أنه « كان منحرفاً غالياً عن معاوية وأهل بيته يتظاهر به ولا يعتذر منه» ثم عقب السبكي بقوله « ولم يبلغنا أن الحاكم ينال من معاوية ولا يُظن فيه ذلك... ومقام الحاكم أجلّ عندنا من ذلك» [3].

فانظروا كيف خلط الحبشي مذهبه من مخلفات الاعتزال والتشيع والتجهم وجمعه في قالب سماه زوراً (أهل السنة) فصدّقه المغفلون.

---

١) سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٣٦.

٢) تذكرة الحفاظ (١١٤٩).

٣) طبقات السبكي محققة ١٦٣/٤ أو غير محققة ٦٨/٣.

سب الصحابة عند الحبشي «تبليغ للعلم»

بيد أن الحبشي يملأ مجالسه بالخوض فيما شجر بين الصحابة ويقول « هذا أقرره في مجالسي من باب تبليغ العلم» [١].

○ هكذا يخاف الحبشي (الورع) من عدم تبليغ ما نهى الأئمة عن الخوض فيه. وقد طاب له هذا التبليغ في ظل التسلط والقهر الذي يعانيه أهل السنة.

ولكن! لماذا لا يبلغ علماً عن الحافظ ابن عساكر حيث وصف هذا الأخير معاوية بأنه أمير المؤمنين! أليس هذا من العلم أم كان الحافظ ابن عساكر مخطئاً؟! أما علم الحبشي أن أحمد بن حنبل كان يأمر بضرب من يجمع الأحاديث التي فيها شيء على أصحاب رسول الله ﷺ زجراً له عن ذلك وكان اذا سئل عن كتابتها قال: لا تنظر فيها. وأي شيء في تلك من العلم؟ عليكم بالسنن والفقه وما ينفعكم [٢].

ولماذا يقول ما لم يقله أفاضل أئمة هذه الأمة حتى خالفهم وقال « إن الذي يظن أن كل فرد من أفراد الصحابة تقي ولي: كأنه ليس عنده خبر بأحوال من صحب رسول الله، وليس له إلمام في الحديث فلو سكت عن ذلك كان خيراً له» [٣]. هذا هو علم الحبشي تحذير الناس من اعتقاد أن الصحابة كلهم أتقياء!!!

قال الأوزاعي « لا تذكر أحداً من أصحاب نبيك الا بخير، العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجيء عنهم فليس بعلم» [٤].

بل إن هذا الذي يزعم أنه «علم» هو أشبه بمناسبة عاشوراء التي تحرض الناس على سب الصحابة وتذكرهم بالفتنة القديمة.

ونسأل الحبشي: هل وافقت الأشعري في تولي « سائر» أصحاب النبي ﷺ؟ وهل كففت عما شجر بينهم أم خضت فيهم خوض الروافض!!

وهل من تبليغ العلم في شيء أن تزعم أن معاوية كان يبيع الأصنام الى الوثنيين في الهند ليشتري بها ثمناً قليلا. وأنه لا ورع

---

١) مجلة منار "الهدى" ٢١/٢١.

٢) أنظر السنة للخلال ٥٠١/٢ رقم ٨٠٠ و٥٠٦/٢ رقم ٨١١.

٣) صريح البيان ١١٦ أو ٢٤٥ من الطبعة الجديدة المجلدة التي زعموا أنها الطبعة الأولى.

٤) سير أعلام النبلاء ١٢٠/٧.

عنده ولا تقوى وكان يأمر بأكل أموال الناس بالباطل وأنه أمر بقتل ابن الزبير وتقيطعه إربا إربا، وأنه كان ملِكاً جباراً في الأرض يأمر بسبّ علي رضي الله عنه[1].

ثم تزعم أن رسول الله ﷺ قال «من سب علياً فقد سب محمداً ﷺ ومن سب محمداً فقد سبّ الله»[2].

مع اعترافك في أحد الأشرطة المسجلة لك بضعفه[3]. مع اشتراط أهل الحديث أن لا يُروى الضعيف بصيغة (قال) حتى لا يُظن صحته.

الحبشي ملزم بتكفير معاوية

وهو لم يكتف بتفسيق معاوية بل زعم أنه كان يبيع الأصنام للوثنيين. وترويج عبادة الأوثان كفر. فهذا يفهم منه تكفيره لمعاوية، إذ لا نظن بالحبشي عدم تكفير من يروج لعبادة غير الله[4].

---

١) صريح البيان ٩٦ و٩٧ و٩٩ و١٠٢ أو ٢٢٧ من الطبعة الجديدة المجلدة! وإظهار العقيدة السنية ١٨٢.

٢) صريح البيان ١١٦.

٣) شريط رقم ١٠ الوجه الثاني.

٤) الصحيح أنه متهاون جدا فقد سمعت له فتوى بصوته يحكم فيها بفسق من يسجد لصنم وليس بشركه.

الزركشي يسطر اعتراف الأشاعرة

وقد نقل الحبشي اعتراف الزركشي بأن أكثر الأشاعرة وافقوا الشيعة في تفسيق معاوية وأصحابه وأن منهم من لم يوافق عليه كالقاضي أبي بكر[١].

فهذا اعتراف من الحبشي بموافقة المعتزلة، قال ابن فورك « ولم يطلق [أبو الحسن] اسم الفسق أو الكفر» [٢] يعني على معاوية وقومه.

واذا قيل للحبشي كيف يعتمد البخاري والمحدثون عامة مرويات معاوية مع كونه عندك فاسقا؟ قال: أجاب بأننا « لا نعتقد أنهم فسقوا فسقاً يمنع قبول روايتهم للحديث».

وهذا تناقض؛ فإن الحبشي وأتباعه يلعنونه ويفسقونه ويرى شيخهم أنه مات ميتة جاهلية هو ومن تبعه، فقد ذكر حديث « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» ثم قال بأن هذا الحديث ينطبق على كل من قاتل علياً [٣]. وبهذا تدخل عائشة في هذا الحكم.

بل يصفه الحبشي بأنه كان يتاجر ببيع الأصنام للوثنيين في الهند، فكيف يقبل برواية من يروج لبيع الأصنام؟

وبعد أن تجاهل الحبشي قول الأشعري بأن معاوية كان مجتهداً وله الثواب والأجر على اجتهاده كما نقله عنه الحافظ ابن عساكر [٤] حذر من بعض كتب الأشاعرة كالغزالي لمخالفتها عقيدة الأشعري في اعتبارها معاوية مجتهداً ثم أوصى بعدم الالتفات اليها [٥]. فاعدُد كم ظهر لهذا الرجل من التدليس والكذب وكتم الحق الذي يعلمه.

وقالت عائشة « أُمِروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبّوهم» [٦].

---

١) إظهار العقيدة السنية ٢٢٦.
٢) مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري ١٨٨.
٣) صريح البيان ٢٣٤ ط: مجلدة.
٤) تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الأشعري ١٥٢.
٥) صريح البيان ٢١٦ ط: مجلدة.
٦) مسلم (٣٠٢٢).

لا نطعن في (واحدٍ) منهم

وقد نُهينا عن سب أي واحد منهم.

○ قال القاضي عياض «وسب أحدهم من الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يُعزَّر ولا يُقتَل»(١).

○ وروى ابن الجوزي عن الامام أحمد أنه كان لا يمس معاوية بسوء بل كان يرى له فضلا ويُعرض عمن يتكلم عنه بسوء، واذا سئل عما جرى بين علي ومعاوية يقول: ما أقول فيهما الا الحسنى(٢).

وكان لا يتبرأ من عين رأت رسول الله ﷺ إلا أن يُجمع المسلمون على التبري منها ويقول «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساوئهم، ولا أن يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص»(٣)، وكان يقول «من انتقص أحداً من أصحاب رسول اللهً ﷺ كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً... رحمهم الله أجمعين: ومعاوية وعمرو بن العاص» وكان يقول «وإذا رأيتَ رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوءٍ فاتهمه على الاسلام»(٤).

○ وقال أبو زرعة الرازي «إذا رأيتَ الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق، وإنما أدّى الينا هذا القرآنَ والسنةَ أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا [الصحابة] ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»(٥).

○ وقال ابن الجوزي في قوله تعالى ﴿**يُعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار**﴾ «وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور»(٦). وقد سبقه الى هذا القول الشيخ عبد القادر الجيلاني(٧). فتأمل قول أحمد - إمام

---

١) الشفاء ١١٠٨/٢.

٢) المناقب لابن الجوزي ١٦٤ مقدمة المسند للذهبي ص ٨١ والسنة للخلال ٤٦٠/٢ رقم ٧١٣ وانظر مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠.

٣) طبقات الحنابلة ٢٤/١و٣٠٣ للحافظ ابن رجب.

٤) مناقب احمد لابن الجوزي ١٦٠ البداية والنهاية ١٤٢/٨ المسائل والرسائل المروية عن الامام أحمد في العقيدة للأحمدي ٣٦٣/٢ ط دارطيبة.

٥) الكفاية للخطيب البغدادي ٦٧ دار الكتاب العربي تحقيق أحمد هاشم.

٦) زاد المسير ٢٠٤/٢.

أهل السنة - « يذكر أحداً» وقول ابي زرعة « ينتقص أحداً» فإنهم لم يستثنوا معاوية ولا غيره.

وقال أبو نعيم في الحلية [1] « فمن أظلم حالاً ممّن خالف الله ورسوله، ألا ترى أن الله أمر نبيه ﷺ بأن يعفو عنَ أصحابه وأن يستغفر لهم، قال تعالى ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم﴾ فمن سبّهم وأبغضهم، وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم: على غير الجميل الحسن فهو العادل (أي المنحرف) عن أمر الله، لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والاسلام والمسلمين» [2]. قال « ولا يتتبّع هفوات أصحاب رسول الله وزللهم إلا مفتونُ القلب في دينه» [3].

تلك عقيدة أهل السنة وليقل الهالكون ما قالوا فإنهم قد سقطوا في فتنة الخوض بغير علم فتنة الطعن في خير هذه الأمة، إنهم هالكون مع الهالكين خائضون مع الخائضين ولا يضرنا من ضل إذا اهتدينا.

---

٧) الغنية لطالبي الحق ٧٩.

١) وهو الذي روى عنه الحافظ في الاصابة (٤٣٣/٣) قوله: كان معاوية من الكتبة الحسبة الفصحاء، حليماً وقوراً وصحب النبي وكتب له.

٢) الإمامة لأبي نعيم ٣٧٥-٣٧٦ ط مكتبة العلوم والحكم.

٣) الإمامة ٣٤٤.

موقف مالك من ساب الصحابة

قال مالك رحمه الله « من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية»[1]. أي قوله تعالى ﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾.

قال القرطبي « لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين»[2].

قال ابن كثير « ومن هذه الآية انتزع مالك في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك».

وقال ابن حجر الهيتمي المكي مثل قول ابن كثير وزاد « وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية، ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله عنه في قوله بكفرهم، ووافقه أيضاً جماعة من الأئمة»[3].

1) رواه أبو نعيم في الحلية ٦/١٢٧.
2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/١٩٥ وابن كثير ٤/٢٠٤ والبغوي ٧/٢٣٨.
3) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ٣١٧- ٣١٨ ط: دار الكتب العلمية ببيروت. وقد ألحق بالكتاب: كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان.

هل ثبتت لمعاوية فضائل؟

يذكر الحبشي عن اسحاق بن ابراهيم الحنظلي أنه لم يصح عن النبي ﷺ شيء في فضل معاوية [١].

الجواب: قد أجاب ابن حجر الهيتمي عن ذلك فقال « الذي أطبق عليه أئمتنا الفقهاء والأصوليون والحفاظ أن الحديث الضعيف حجة في المناقب». فهذا مذهب من تحتجون به كالهيتمي، وأما نحن فلا عبرة للضعيف عندنا.

ولكن ابن حجر يؤكد وجود فضائل صحيحة لمعاوية. فقد تعقب من قال بأن البخاري لم يجد في فضائل معاوية شيئاً بأنه إن كان المراد أنه لم يصح منها شيء وفق شرطه فأكثر الصحابة كذلك [٢].

وعلى كل حال فقد كان البخاري يترضى عنه كلما ذكر اسمه. وهذا يثبت التباين والاختلاف بين عقيدة البخاري وعقيدة من خالفه وأرضى الروافض. ثم قد ثبت عند البخاري صحبته لرسول الله ﷺ وفقهه كما نص عليه ابن عباس عنده، وكفى بهما فضيلة.

فكيف وقد ثبت دعاء النبي ﷺ لمعاوية عند غير البخاري وفيه « اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهده، واهد به» وقد أخرجه البخاري في التاريخ ٣٢٧/١/٤ وابن عساكر في تاريخة ١/١٣٣/٢) ورجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وحكم عليه الألباني بالصحة وذكر تحسين الترمذي له في (سننه ٣٨٤٢) وذكر له خمسة طرق صحيحة وقال « وبالجملة فالحديث صحيح وهذه الطرق تزيده قوة» [٣] مستدركاً بذلك على تضعيف الحافظ له.

واعتبر ابن حجر الهيتمي هذا الحديث من غرر فضل معاوية وأظهرها ثم قال «ومن جمع الله له بين هاتين المرتبتين كيف يتخيل فيه ما تقوّله المبطلون ووصمه به المعاندون؟» [٤].

وتحت عنوان (معاوية بن أبي سفيان وخلافته رضوان الله عليه) احتج الخلال بحديث « يكون بعدي اثنا عشر أميراً أو قال خليفة» (رواه البخاري).

وقد احتج ابن حجر الهيتمي بهذا الحديث وبالحديث الذي أثنى فيه النبي ﷺ على الحسن لتنازله عن الخلافة الى معاوية حاقناً بذلك

١) الموضوعات ٢/٢٤. فتح الباري ١٠٤/٧.

٢) تطهير الجنان عن التفوه بثلب سيدنا معاوية بن ابي سفيان ١١-١٢.

٣) السلسلة الصحيحة ٩٦٦٩١/٤.

٤) تطهير اللسان ١٤.

دماء المسلمين حيث قال « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين». قال ابن حجر « وبعد نزول الحسن لمعاوية اجتمع الناس عليه، وسمي ذلك العام عام الجماعة، ثم لم ينازعه أحد من أنه الخليفة الحق يومئذ»[١].

○ وقال الخلال « أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: قلت لأحمد بن حنبل: أليس قال النبي ﷺ « كل صهر ونسب ينقطع إلا صهري ونسبي»؟ قال: بلى، قلت: وهذه لمعاوية؟ قال: نعم، له صهر ونسب، قال: وسمعت ابن حنبل يقول: ما لهم ولمعاوية.. نسأل الله العافية»[٢]. وقد عدّ ابن حجر الهيتمي ذلك من أبرز فضائله فقال « ومنه فوزه بمصاهرته ﷺ فإن أم حبيبة أم المؤمنين- رضي الله عنها- أخته... فلعلك تنكف أو تكف غيرك عن الخوض في عرض أحد ممن اصطفاهم الله لمصاهرة رسوله»[٣]. قال « وحاشا معاوية صاحب رسول الله ﷺ وصهره وكاتبه وأمين وحيه... أن يكون جاهلاً أو مغروراً»[٤]. قلت: وأمين ولاية الشام طيلة عهد الخلفاء الراشدين.

معاوية خال المؤمنين

قال الخلال « أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم قال: وجّهنا رقعة الى أبي عبد الله: ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي ولا أقول إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف غصباً؟ قال أحمد بن حنبل: هذا قول سوء رديء يجَانَبون هؤلاء القوم ولا يجالَسون ونبيّن أمرَهم للناس»[٥]

تفضيل السلف معاوية على عمر بن عبد العزيز

وقال « أخبرنا أبو بكر المروذي قال: قلت لأبي عبد الله: أيهما أفضل؟ معاوية أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: معاوية أفضل، لسنا نقيس بأصحاب رسول الله ﷺ أحداً، قال النبي ﷺ « خير الناس

---

١) أنظر تطهير الجنان ١٩ و٢١-٢٢ و٤٩ للهيتمي وسير أعلام النبلاء ٣/١٤٥-١٤٦ وتاريخ بغداد ١/١٣٩ والبداية والنهاية لابن كثير ٨/١٧-٢٠، ٢٤، ٤٥.

٢) السنة للخلال ٢/٤٣٢ رقم ٦٥٤ واسناد الحديث حسن.

٣) تطهير الجنان ص ١٧-١٨.

٤) تطهير الجنان ٥١.

٥) السنة للخلال ٢/٤٣٤ رقم ٦٥٩.

قرني الذين بُعثتُ فيهم»[1].

وفي روايَة « من رأى رسول الله ﷺ» أي من رآه فهو أفضل[2]. وفي رواية ذكرها ابن حجر الهيتمي « لا يقاس بأصحاب النبي ﷺ أحد، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله»[3]. وفي رواية أخرى « كان معاوية أفضل من ستمائةٍ مثل عمر بن عبد العزيز»[4].

بل قد نهى أحمد بن حنبل عن مؤاكلة منتقص معاوية. فعن أبي بكر (حبيش) بن سندي قال: سمعت أبا عبد الله وسأله رجل: لي خال ينتقص معاوية وربما أكلت معه، فقال أبو عبد الله مبادراً: لا تأكل معه»[5] بل قد نهى أحمد عن التسليم على الرافضي أو الصلاة عليه اذا كان داعية لمذهبه[6].

طعنه في خالد بن الوليد

غير أن الحبشي يرى أن الحديث «لا تسبوا أصحابي» خاص في طائفة خاصة من الصحابة فقط وليس كلهم أمثال خالد بن الوليد وغيره ممن ليس لهم سابقية في الفضل على غيرهم لا سيما كان موجهاً الى خالد بن الوليد نفسه.

قال «وهؤلاء لا يدخل فيهم خالد بن الوليد الذي سمّاه النبي ﷺ «سيف الله» ولا معاوية بن أبي سفيان[7] وهذه وسوسة واستنتاج غير موفق، فإن النبي ﷺ نهى أن ينال الصحابي من عرض أخيه الصحابي. وخالد من كبار الصحابة رغم أنوف أفراخ الرافضة.

○ ويبطل هذه الوسوسة قولُ النبي ﷺ لأبي بكر حين أغلظ القول لسلمان وبلال « يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنتَ أغضَبتَهم: لقد أغضبت ربك»[8] مع أن أبا بكر من أفاضل الصحابة وأحبهم الى النبي ﷺ.

---

1) السنة للخلال ٤٣٤ رقم ٦٦٠ والحديث رواه البخاري.
2) السنة للخلال ٢/٤٣٤ رقم ٦٦١.
3) تطهير الجنان ١٢.
4) السنة للخلال ٢/٤٣٥ رقم ٦٦٤.
5) رواه الخلال في السنة ٢/٤٤٨.
6) السنة للخلال ٢/٤٩٤ رقم ٧٨٥. لكن الأحباش لا يؤاكلون من يسبون معاوية فقط بل يأكلون بهم.
7) صريح البيان ١١٠.
8) مسلم (٢٥٠٤) واحمد ٥/٦٤.

وقد نص الذهبي على أنه يجب « الكفّ عما شجر بين أصحاب النبي ﷺ وعن قتالهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمر بنا [قصص] في الكتُب، ولكن أكثر ذلك منقطعٌ وضعيف، وبعضه كذبٌ، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيُّه وإخفاؤه لتصفو القلوب، وتتوفّر على حب الصحابة والترضّي عنهم، وكتمان ذلك متعيِّنٌ على العامّة وآحاد العلماء.

○ قال « وقد يُرخَّص في مطالعة ذلك خلوةً للعالم المنصف، العريّ من الهوى، **بشرط أن يستغفر لهم** كما علّمنا الله حيث يقول ﴿**والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا**﴾[الحشر١٠].

○ فأما ما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك فأكثره باطلٌ وكذبٌ وافتراء، فطريقة الروافض رواية الأباطيل» وقال بمثله الغزالي [١].

وقال في معاوية « ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم وما هو ببريء من الهنات، والله يعفو عنه» [٢].

وهكذا رأيت أيها المقلد للحبشي اتفاق أهل العلم والفضل على هذا الموقف الوسط، ومنهم الأشعري نفسه الذي يدعي شيخك الانتساب اليه. فماذا أنت فاعل؟ أتترك كل هؤلاء وتتبع رجلاً أباح لك الربا وأعفاك من الزكاة وحرضك على سب إخوانك حتى وصل بك الى سبّ الصحابة: أليس هذا هو التشيع؟!

وأخرج ابن عساكر [٣] في ترجمة معاوية من طريق ابن مندة ثم من طريق أبي القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي قال «جاء رجل الى عمي فقال اني أبغض معاوية. قال: لماذا؟ قال : لأنه قاتل عليا بغير حق. قال أبو زرعة الرازي « رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم فما دخولك بينهما» ؟

لكن الحبشي يدخل بينهما ويقول « كل من قاتل عليا فهم بغاة ولو

---

١) سير أعلام النبلاء ٩٣/١٠ وانظر الاقتصاد في الاعتقاد ٢٠٢.

٢) سير أعلام النبلاء ١٥٩/٣.

٣) فتح الباري ٨٦/١٣.

كان من هم من خيار الصحابة» [1] ويحكم على معاوية بأنه مرتكب للكبيرة وأنه ومن معه آثمون، وأنه ما قصد القتال إلا طلباً للدنيا، وطمعاً في الملك، وهذا دخولٌ في مسألة النيات [2].

ثم إن هذه الفرية يكذبها الجويني قائلا بأن « معاوية - وإن قاتل علياً - فإنه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً أنه مصيب وكان مخطئاً، وعليّ رضي الله عنهم وعنه متمسك بالحق [3].

وقال الذهبي « ولا نذكر أحداً من الصحابة الا بخير، ونترضى عنهم ونقول: هم طائفة من المؤمنين بغت على الامام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار « تقتلك الفئة الباغية» فنسأل الله أن يرضى عن الجميع وأن لا يجعلنا ممن في قلبه غل للمؤمنين، ولا نرتاب أن علياً أفضل ممن حاربه، وأنه أولى بالحق: رضي الله عنه» [4]

محدث عصره يحتج بالأكاذيب

وحتى من توقف من الصحابة فإنهم عنده آثمون لأنهم تقاعسوا عن طاعة رسول الله فيما أمر به، ودليل الحبشي في ذلك حديث موضوع مكذوب لا أصل له منسوب الى علي رضي الله عنه أنه قال «أُمرتُ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» [5].

وهذا الحديث ردّه ابن الجوزي والذهبي والسيوطي وابن حجر الهيتمي وغيرهم [6] فإن فيه حكيم بن جبير وهو كذاب يُترَك حديثُه. وقد احتج به الحبشي من غير أن ينظر في سنده على عادته في ذلك [7] . مع أنهم يزعمون أنه وحيد عصره في خدمة الحديث النبوي. فأي خدمة للحديث من غير تبيين صحيحه من سقيمه؟! بل كيف يكون خادماً للحديث من يستشهد بالموضوع والمكذوب في حين يردّ أحاديث الآحاد الصحيحة التي في البخاري ومسلم. وهي أكثر ما في كتابَي الشيخين؟!

---

1) بغية الطالب ٣٥٢.
2) لكن يجوز لأهل الكشف والتصوف ذلك!!
3) لمع الأدلة ص١١٥ تحقيق الدكتورة فوقية محمود.
4) سير أعلام النبلاء ٨/٢٠٩.
5) الدليل القويم ٢١٣.
6) ميزان الاعتدال ترجمة رقم (٢٢١٥) اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/٤١٠ للسيوطي، تطهير الجنان ٥٢.
7) صريح البيان ٨٦-٨٧.

موقفنا من عائشة رضي الله عنها

ويلزم من قول الحبشي « كل من قاتل عليا فهم بغاة ولو كان من هم من خيار الصحابة» [١] الطعن في عائشة. فإنها بغتْ على علي وقامت بقتال الجيش الذي أرسله قتالا شديدا، ويلزم منه سب من خرجوا معها من الصحابة كطلحة والزبير وعمرو بن العاص وغيرهم ممن قاتل مع عائشة في تلك الموقعة أو مع معاوية.

قال ابن حجر الهيتمي « وسبقه - أي معاوية - الى مقاتلة علي من هو أجلّ من معاوية كعائشة والزبير وطلحة ومن معهم من الصحابة فقاتلوا علياً يوم الجمل» [٢].

قال السرهندي في مكتوباته « فلا يجوز تفسيق مخالفي الامام علي وتضليلهم... كيف وقد كانت الصدّيقة وطلحة والزبير من الصحابة منهم... فتضليلهم وتفسيقهم مما لا يجترىء عليه مسلم إلا أن يكون في قلبه مرض وفي باطنه خبث» [٣] انتهى.

فما يقول الحبشي في قول السرهندي النقشبندي الملقب بالمجددي!

مفهوم البغي

وعلى الحبشي أن يصحح المفهوم من إطلاق صفة البغي فإن جمهور أهل السنة شهدوا بأن البغي من معاوية ومن معه هو الخروج على علي رضي الله بتأويل واجتهاد خاطىء لا ينقص من قدرهم.

بينما يصر الحبشي على أن البغي معناه أنهم فسقة من أهل النار ملعونون فهذا يلزمه أن يشاركه فيه آخرون ممن وقفوا معه من أفاضل الصحابة والصحابيات وأمهات المؤمنين، وهو ما لا يرضاه علي ذاته رضي الله عنه القائل عن أهل الشام «إخواننا بغوا علينا».

ولقد ذكر الحبشي حديث النبي ﷺ في عمار « يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار» وتعقب به قول من قال:

---

١) بغية الطالب ٣٥٢.

٢) تطهير الجنان عن التفوه بثلب معاوية بن ابي سفيان ٤٧.

٣) مكتوبات الامام الرباني ٢٣٠ وانظر ص ١٨٣ و٢٧٧.

فقد صح في الأخبار أن قتيلهم وقاتلهم في جنة الخلد خلدا[١]

لأن معنى الحديث أنهم يريدونه أن يدخل معهم النار: فهل يريد بهذا التعقيب أن معاوية ومن وافقه من أكابر الصحابة: في النار؟

نعم، لقد همت عائشة أن تعود عن عزمها على التوجه الى البصرة حين تذكرت قول النبي ﷺ «كيف باحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب»[٢] لكنها لم تفعل كما زعم البعض، وذلك عندما أدركها جيش علي ووقع حينئذ من القتال ما وقع بين الجيشين الى أن زال النهار وقتل من جيش علي الكثير وكثرت الجراحات في الفريقين [٣].

وقد ساق الحافظ مجموعة من الروايات بأسانيد صحيحة تثبت تحديد تلك الوقعة وذلك في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وأن علياً رضي الله عنه بقي يقاتلهم الى غروب الشمس [٤].

وقد أدت هذه المعركة الى نقمة الخوارج على علي رضي الله عنه لأنهم لما قاتلوا معه في معركة الجمل أباح لجنوده سلب أموالهم ولم يستحل لهم النساء والذرية، فقال لهم علي «لو أبحتُ لكم النساء: فأيُّكم يأخذ عائشة في سهمه؟» [٥] وهذا دليل على أنها شاركت رضي الله عنها.

ولذلك قال عمّار بن ياسر «إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي» [٦].

الروافض يفحمون الحبشي

فإنكار هذه الحقيقة لا يسلّم لهم بعد أن أثبته الحفاظ بالأسانيد الصحيحة، ولا يسد الثغرة التي يمكن للشيعة أن ينفذوا منها. ولذلك لو سألهم شيعي كيف فرقتم بين معاوية وبين عائشة في الحكم مع ثبوت المعركة معها بأسانيد كبار مشايخكم؟ لما استطاعوا أن يجيبوا.

وهذا الكذب لا ينهي المناظرة مع الروافض لا سيما اذا أتوا بالروايات التي أسندها كبار الحفاظ كابن حجر وغيره.

---

١) الدليل القويم ٢١٤.

٢) رواه أحمد في المسند ٥٢/٦.

٣) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٣٢/٧ـ٢٣٤.

٤) فتح الباري ٥٧/١٣.

٥) أنظر الفرق بين الفرق ٥٨.

٦) رواه البخاري في الفتن (٧١٠٠).

جواب الحافظ ابن حجر على شبهة
(يدعونه الى النار) موقف سني سلفي

وقد قال شيخهم « كل من قاتل عليا فهم بغاة ولو كان من هم من خيار الصحابة». ومفهومه من الدعوة الى النار أنهم أصحاب النار لقول النبي « ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار».

وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن قول النبي ﷺ يدعونه الى النار قائلا « فان قيل: كان قتل عمار في « صفين » وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء الى النار؟

قال: « فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم كانوا يدعون الى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم. فالمراد بالدعاء الى الجنة: دعاء الى سببها وهو طاعة الامام. وكذلك كان عمار يدعوهم الى طاعة علي وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك، وكانوا هم يدعون الى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم». انتهى كلامه [1].

وهكذا نرى الحافظ في تبيين ما أشكل فهمه في الحديث مثال الأدب مع أصحاب رسول الله ﷺ فلم يحكم عليهم بالنار، ولم يتعرض لهم بالسب والشتم كما هو حال الحبشي وأتباعه هداهم الله.

ولقد اشتهر عن الحبشي وأتباعه سبهم لمعاوية وتسخطهم عليه بألفاظ نابية حتى نقل عنهم القول من على المنابر أنه فاسق وفاجر وأن ذنوبه ملأت السموات والأرض [2].

---

١) فتح الباري ٥٤٢/١ وحمله ابن حجر الهيتمي على بعض أتباع معاوية الغير مجتهدين (تطهير الجنان ٦٥.

٢) رد الشيخ عدنان ياسين على رسالة الحبشي في مسألة:اعانة الله للكافرين ٩.

جواب النووي على شبهتين

الشبهة الأولى: حكم الحبشي على معاوية بأنه كان يأمر بأكل أموال الناس بالباطل والقتل [1] محتجاً بما عند مسلم أن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال لعبد الله بن عمرو بن العاص «إن ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا، فسكت عبد الله بن عمرو ساعة ثم قال: أطِعه في طاعة الله واعصه في معصية الله»[2].

- ولا بد للحبشي أن يكون قد اطلع على تفصيل النووي لهذه الشبهة لكنه على عادته يؤثر بث الشبهات وكتمان محكماتها.

○ فلقد أحكم النووي الجواب عن هذه الشبهة فقال « المقصود بهذا الكلام أن هذا القائل لما سمع كلام عبد الله بن عمرو بن العاص وذكر الحديث في تحريم منازعة الخليفة الأول وأن الثاني يُقتَل: فاعتقد هذا القائل أن هذا الوصف [صار لازما] في معاوية لمنازعته علياً رضي الله عنه وكانت قد سبقت بيعةُ علي، فرأى هذا أن نفقة معاوية على أجناده وأتْباعه في حرب علي ومنازعته ومقاتلته إياه من أكل المال بالباطل ومن قتل النفس لأنه قتالٌ بغير حق، فلا يستحق أحدٌ مالاً في مقاتلته» [3]. أ. هـ.

وهذا الجواب منه صحيح ولا غبار عليه، يؤيده أن مسلماً جعل هذا الأثر في كتاب الامارة وضمن باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول. فأسأل الله أن ينفّس عنه بذلك كربةً من كُرَب يوم القيامة.

الشبهة الثانية: كما احتج الحبشي بما رواه مسلم [4] عن النبي ﷺ أنه قال في معاوية « لا أشبع الله بطنه» [5].

والجواب عن ذلك:

١- أن الحبشي يتغاضى عن تسمية النووي لهذا الباب عند مسلم الذي يندرج تحته الحديث، وهو (باب من لعنه النبي ﷺ أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة).

ولذلك صدّر مسلم هذا الباب بقول النبي ﷺ «اللهم إنما أنا بشر،

---

١) إظهار العقيدة السنية ١٨٢.

٢) مسلم (١٨٤٤).

٣) شرح النووي على مسلم ١٢/٤٧٦.

٤) رقم (٢٦٠٣).

٥) إظهار العقيدة السنية ٢١٤.

فأي المسلمين لعَنتُه أو سببتُهُ فاجعله له زكاة وأجراً» وفي رواية «إنما محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذتُ عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيما مؤمن أذيتُه أو سببتُهُ أو جلَدتُه فاجعلها له كفارة وقربة». والاطلاع على الأبواب التي اندرجت تحتها الأحاديث فيه فقه عظيم.

ولذا قال الامام النووي « وأما دعاؤه على معاوية أن لا يُشبع بطنه حين تأخر ففيه جوابان:

أحدهما : أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجبٌ له، فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك. وهو ﷺ مأمورٌ بالحكم بالظاهر، والله يتولّى السرائر.

الثاني : أن هذا ليس بمقصود وإنما هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نيّة، كقوله تَربَتْ يمينك و [ثكلتك أمك] وفي حديث معاوية «لا أشبع الله بطنه» ونحو ذلك لا يقصدون بشي من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً، وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان، ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعّاناً ولا منتقماً لنفسه، وقد قالوا له: أدعُ على دَوس فقال: « اللهم اهد دوساً» وقال: « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» [(١)] أ. هـ رحمه الله وحشره مع أصحاب رسوله ﷺ بما ذبّ عن أعراضهم. وقال بمثل ذلك ابن حجر الهيتمي في كتابه (تطهير الجنان ص ٣٧).

وإذا كان هذا موقفه ﷺ من قبيلة دوس وهم كفار: فما بالك بموقفه من المسلمين!

○ قال ابن حجر المكي « وكان معاوية يكتب الوحي للنبي ﷺ وناهيك بهذه المرتبة الرفيعة» [(٢)]. وهؤلاء إذا ذُكرَت أمامهم فضائل معاوية وأنه كان كاتب الوحي قالوا قد كان الربيع بن العاص من كتبة الوحي ثم ارتد على أعقابه. ما ضربوه إلا جدلا ﴿بل هم قومٌ خصمون﴾ ونقول: إن كتابة معاوية للوحي تبقى من مآثره، لأنه بقي طيلةَ عهد الخلفاء الاربعة والياً على الشام ولاّه خير البشر بعد الأنبياء

---

١) شرح النووي على مسلم ٨/٣٨٧-٣٩٠.

٢) تطهير الجنان ١٢.

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ومجرد ذمه يُعتَبَرُ ذماً ونقيصةً موجهة الى الخلفاء الذين كانوا يرون فيه الأمانة والكفاية للولاية. ولذلك قال الذهبي «حسبُك بمن يؤمِّره عمرُ ثم عثمانُ على إقليمٍ (وهو ثغر) فيقوم بمهمته أتمَّ قيام ويُرضي الناس بسخائه وحلمه» (١).

قال ابن حجر الهيتمي « واذا تأملت عزل عمر لسعد بن أبي وقاص الأفضل من معاوية بمراتب، وإبقائه لمعاوية على عمله من غير عزل له: علمتَ بذلك أن هذه تنبىء عن رفعة كبيرة لمعاوية» (٢).

سؤال مهم

ونسأل القارىء الكريم: إن هذا الموقف من النووي وابن حجر واضح في أن التعرض لما جرى بين الصحابة وشجر بينهم والطعن في بعضهم ليس من منهج أهل السنة، ولو كان النووي وابن حجر يريان في معاوية ما يراه الحبشي ما رأيَا ضرورة توضيح هذه الآثار. ويكفينا أن نعلم أن الانحراف بدأ عند الشيعة بسبِّهم الصحابة وآل بعد ذلك الى كمٍّ من الانحرافات كالقول بالمتعة والتقية واعتقاد التحريف في القرآن ورفض كتب الحديث كالبخاري ومسلم، فلنعتبر من ذلك الانحراف لنحذر من ازدياد الانحراف عند الأحباش فتنقسم بهم الأمة انقساماً جديداً ويحدث شرخ جديد بين المسلمين.

○ ومن فضائل معاوية التي لا يجوز نسيانها أنه فتح الشام كلها، ومنها لبنان وقبرص. ولولا ذلك لكان شاتموه اليوم إما يهوداً وإما نصارى، مع أن عبد الله المبارك اعتبرهما خيرا من منكري علو الله، وقال عن الجهمية: شر من اليهود والنصارى. وأشار البخاري الى هذا في خلق أفعال العباد، فكيف اذا أضيف الى ذلك سب الصحابة والاعتكاف عند الأضرحة والحيل على الله وفتاوى السوء التي يستدرجون بها العوام نحو الرذيلة والفاحشة!.

---

١) سير اعلام النبلاء ٣/ ١٣٢.

٢) تطهير الجنان ٢١.

الصحابة بشر وليسوا معصومين

وإذا كان الرسول ﷺ يقول (إنما أنا بشر فأيما امرىء ساببته...) مما يبين ما يمكن أن يعتري النفس البشرية من ثورة وغضب مع أنه نبي، فحصوله من غير الأنبياء من باب أولى، وقد وقع بين الصحابة شجار وسباب لا يجوز أن يستغله الصائدون في الماء العكر ويجيرونه لتأييد عقائدهم الخبيثة، بل نسكت عما شجر بينهم، فإن ستر عورات الصحابة أولى من ستر عورات عامة المسلمين.

ثم ان السباب من باب ما يقع للأقران مما يجب الإعراض عنه مثلما يحدث بين العلماء الأقران في حق بعضهم البعض. بل السباب ليس شيئاً أمام القتال وقد تقاتلوا.

وزعم الحبشي ثبوت أن معاوية كان يأمر بسب علي رضي الله عنه حيث أمر سعد بن أبي وقاص بذلك قائلا « ما منعك أن تسب أبا التراب؟» [1].

مع أن النووي قد نص على أن قول معاوية ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً فان كان ذلك تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعداً قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم وعجز عن الانكار وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال» [2].

وإذا كان الحبشي يستغل هذا المتشابه في رواية تفيد أن معاوية أمر بسبّ علي فإن حوادث شبيهة وقعت بين غيرهم، فقد سب المغيرة علياً رضي الله عنه فقام اليه زيد بن أرقم وقال: « يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن سبّ الأموات فلِمَ تسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه» [3].

فهل يحكم الحبشي على المغيرة بحلول غضب الله عليه بناء على الرواية المكذوبة التي ذكرها الحبشي « من سبّ علياً فقد سبّني ومن

---

1) صريح البيان ١١١ أو٢٣٧ من الطبعة الجديدة المجلدة التي زعموا أنها الطبعة الأولى.

2) شرح مسلم للنووي ١٥/١٧٥-١٧٦ أو طبعة الميس ١٥/١٨٤-١٨٥.

3) أخرجه الحاكم ١/٣٨٥ وصححه.

سبّني فقد سبّ الله» [١]!

ثم أليس هذا ميلا منه الى الرفض أن يتمسك برواية ضعيفة تجعل سب علي سباً لله، في حين يحذر من تكفير ساب الشيخين قائلا « نص أكثر العلماء على أن من سب الشيخين أبا بكر وعمر لا يكفر» واحتج بما جاء في فتاوى ابن عابدين (١:٣٦٦) « والحاصل أن الحكم بالكفر على ساب الشيخين أو غيرهما من الصحابة مطلقا قول ضعيف، لا ينبغي الافتاء به ولا التعويل عليه» [٢].

وتناسى ما ذكره السبكي في فتاويه أن « مذهب أبي حنيفة وأحد الوجهين عند الشافعي والظاهر من الطحاوي في عقيدته: كُفرُ ساب أبي بكر [٣]. وقال في شرح الفقه الأكبر « وقد ذكر في كتب الفتاوى أن سب الشيخين كفر وكذا إنكار إمامتهما»[٤] ونقله عن القونوي.

ولماذا لا يكون سب الشيخين سباً لله أيضاً؟ اللهم الا أن تكون هناك موافقة للرافضة على تمييز علي على سائر الصحابة!

وقد تقدم استدلال مالك بالآية على كفر الروافض « من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية»[٥]. أي قوله تعالى **﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾**.

○ قال القرطبي « لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله».

وقال ابن كثير « ومن هذه الآية انتزع مالك في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك».

وقال ابن حجر الهيتمي المكي مثل قول ابن كثير وزاد « وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية، ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله عنه في قوله بكفرهم، ووافقه أيضاً جماعة من الأئمة» [٦].

---

١) صريح البيان ١١٦.

٢) صريح البيان ٤٢ حذف هذا الكلام من الطبعة الجديدة المجلدة الخامسة للكتاب والتي زعموا أنها الطبعة الأولى.

٣) فتاوى السبكي ٥٩٠/٢.

٤) الفقه الأكبر ١٢٨ و١٣٥.

٥) رواه أبو نعيم في الحلية ١٢٧/٦.

٦) أحكام القرآن ١٩٥/١٦ ابن كثير ٢٠٤/٤ البغوي ٢٣٨/٧ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ٣١٧.

كتاب صريح البيان
خطوة على طريق التشيع

هذا الفصل من الكتاب هو من أهم الفصول وبه فضيحة الحبشي وانكشاف توجهه الشيعي. إن الخوض فيما شجر بين الصحابة ليس طريقة أهل السنة بل هو دأب الشيعة وطريقهم فإنهم لم ولن يسكتوا عما جرى بين الصحابة حتى تقوم الساعة، ومن نحا نحوهم فإنه مثلهم.

وهذا شأن الحبشي فإنه يأتي بالضعيف والموضوع ليتجمّل الى الشيعة لأن هذا الوقت موسمٌ للتجمل كما لا يخفاك!

○ فقد زعم أن النبي ﷺ قال «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله» [1] وهو ضعيف فيه أبو إسحاق السبيعي اختلط بأخرة [2]. نص عليه الحافظ. وأنتم تقولون: خذه حيث حافظ عليه نص.

○ وزعم أن معاوية كان يأمر الخطباء بسبّ علي على المنابر بمقتضى الحديث الضعيف فقد كان معاوية يسب النبي ﷺ بل يسب الله. لأنه كان بزعم الحبشي يسب علياً.

○ وحشا جملة من أحاديث الشيعة ورواياتهم في كتابه (صريح البيان) أذكرها بتفصيلها لأنها مسألة تتعلق بالأمانة العلمية.

روايات التشيع

ومنهج الحبشي في روايات الاختلاف بين علي ومعاوية منهج حاطب ليل، يجمع من روايات الشيعة من غير تحقق ولا تثبت، ويأتي بروايات يستقيها من المسعودي صاحب مروج الذهب وهو شيعي جلد[3] قال الحافظ « كتبُه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً [4] وذكر طعنه وأكاذيبه على الصحابة. ومع هذا فالحبشي لا يمانع من الأخذ عمن جمع بين التشيع والاعتزال.

○ ويستخدم الحبشي كتاب تاريخ الطبري وهو كتاب عظيم لكنه يعتمد في تأريخ اختلاف الصحابة على الواقدي وأبي مخنف وسيف بن

---

١) صريح البيان ١١٦.

٢) تقريب التهذيب ٤٢٣.

٣) صريح البيان ٩٣.

٤) لسان الميزان ٤/٢٥٦-٢٥٨ ترجمة رقم (٥٧٩٧) سير أعلام النبلاء ١٥/٥٦٩ طبقات السبكي ٣/٤٥٦ وانظر أعيان الشيعة ٤١/١٩٨ وقد ترجموا له لأنه من شيعتهم.

عمر وهشام الكلبي. فليُعلَم أن هذا العلم الذي يحرص الحبشي على تبليغه هو من رواية هؤلاء الكذابين الذين يعتمد أكاذيبهم. وقد جمع من تاريخ الطبري أكذب الروايات وأضعفها، مستخدماً رواة حذر منهم الكوثري لكل من يكتب شيئا من التاريخ الاسلامي، ونبه الكوثري الى أن الطبري قد نبه على أنه جمع الروايات في تاريخه من غير تحقيق لها فقال في مقدمة تاريخه (٨/١) « فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارؤه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة: فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أُتيَ من قِبَلِ بعض ناقليه الينا، وأنّا إنما أدّينا ذلك على نَحَو ما أُدّيَ الينا»[1].

وبعد ذلك يأتي من في قلوبهم مرض ويستغلون هذه السقطة ويجمعون من هذه الروايات الضعيفة ما يمكّن لهم من نفث سمومهم.

○ وفي صفحة (١٠٢) من كتابه يأتي بروايات شيعية مصدرها لوط بن يحي الكوفي (أبو مخنف) الشيعي الكذاب وفيها أن معاوية أوصى ولده أنه إذا أمسك بابن الزبير أن يقطّعه إرباً إرباً [2]. وأنه ذاق حلاوة الدنيا وأراد الملك والعلو في الأرض فتباكى على دم عثمان ولم يكن له سابقة في الاسلام يستحق بها طاعة الناس وليس في قلبه خشية لله ولا تقوى وأنه (معاوية) ملك جبار خدع أتباعه بقوله إمامُنا قُتل مظلوماً.. الخ» [3].

وهذه الفرية يكذبها الجويني فيقول بأن « معاوية - وإن قاتل علياً فإنه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً أنه مصيب وكان مخطئاً، وعليّ رضي الله عنهم وعنه متمسك بالحق [4].

○ والذي يروي عنه الحبشي هو أبو مخنف لوط بن يحي الكوفي قال فيه ابن عدي « شيعي محترق: له من الأخبار ما لا أستحب ذكره» وقال ابن حجر «إخباريٌ تالف. لا يوثق به» وقال أبو حاتم الرازي في

---

١) مقالات الكوثري ٥٢٤-٥٢٩.
٢) صريح البيان ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠و ١٠٣.
٣) صريح البيان ١٠٢.
٤) لمع الادلة ص ١١٥ تحقيق الدكتورة فوقية محمود.

الجرح والتعديل « ليس بثقة متروك الحديث»[1].

○ لكن الحبشي لم يتركه بل تعلق بأكاذيبه لحقد وتشيع عنده وقدمها في طبق مسموم الى هذه الأمة، فكيف يكون أميناً على عقائد الناس.

○ قال ابن الجوزي (منزه الحنابلة عند القوم) ما نصه « تعصب قوم من «الرافضة» فوضعوا في ذمه (معاوية) أحاديث»[2].

قلت: وروّجها لهم الحبشي.

هذا ولا يزال أتباعه يقولون للناس «انظروا عمن تأخذون دينكم» يدعون الناس الى النظر والحذر من أئمة الضلال وهُمْ والله لا ينظرون عمن يأخذون دينهم ولا يفحصون ما يورده لهم الحبشي من أكاذيب الشيعة ومخلفات المعتزلة والجهمية أسأل الله أن ينوّر قلوبهم بالحق وأن يهدينا وإياهم سواء السبيل.

○ وفي صفحة (١٠٥) من كتابه يقول « وعن بحير عن خالد قال: قدم وفد المقدام بن معديكرب على معاوية...» والرواية طويلة مفادها أن معاوية كان يلبس الحرير ويفترش في بيته جلود النمور والسباع وأن المقدام وبخه على ذلك فقال له معاوية «قد علمتُ أني لن أنجو منك» وقد قطع الحبشي الإسناد وبدأه عن بحير ولم يذكر الراوي عن بحير لئلا يفتضح أمر هذا التدليس فإن الراوي عن بحير هو بقية، وهو مدلّس جاءت روايته بصيغة العنعنة ولقد قيل «أحاديث بقية ليست نقية فكن منها على تقية» وبقية هذا يُقبَل حديثه إذا أُمِن شرُّ تدليسه.

فهذه الرواية عند أبي داود (٤١٣١) ضعيفة فبطل الاحتجاج بها، على أن بقية قد صرح بالتحديث كما عند أحمد (١٣٢/٤) وليس فيها هذه القصة المكذوبة على معاوية. فكيف يدعي هؤلاء أن شيخهم خادم علم الحديث وهو لا يزال كما ترى يروي رواية حاطب ليل لا يستند فيما يروي على الصحيح. وإنما جُلّ اعتماده على المتشيعين والمدلسين والضعاف والمناكير؟

---

١) أنظر الكامل في الضعفاء ٩٣/٦ ميزان الاعتدال ٤١٩/٣ لسان الميزان ٥٨٤/٤ الجرح والتعديل ١٨٢/٧ سير أعلام النبلاء ٣٠١/٧-٣٠٢.

٢) الموضوعات لابن الجوزي ١٥/٢.

○ قال في صفحة (١٠١) وأخرج البيهقي عن أبي بكرة قال « سمعت رسول الله يقول «خلافة النبوة ثلاثون عاماً ثم يؤتي الله الملك من يشاء» فقال معاوية رضينا بالملك»، وهذا سند ضعيف من أجل علي بن زيد فإنه ضعيف كما صرح به الحافظ ابن حجر في التقريب (٤٠١). وضعّفه النسائي وقال عنه الامام أحمد «ليس بشيء» [١]. غير أن حديث (خلافة النبوة...) مروي من طرق أخرى صحيحة بدون هذه الزيادة المتعلقة بمعاويةَ.

○ ومع أن معاوية وغيره بغوا على علي رضي الله عنه، لكن ذلك لا يُكسبهم صفة البغي الدائم، ولا يبرر سبّهم على المنابر. ولأن ذلك تجمُّلٌ الى الرافضة ومغازلة وتقربٌ اليهم، وتشبّهٌ بهم، فإن منابر الرافضة لا تسكت عن شتم معاوية بمناسبة وغير مناسبة. وشتم من وقف موقف معاوية من علي رضي الله عنه وبالتحديد وهي أمنا أم المؤمنين عائشة.

والتحقيق أن البغي مختلف عن القتل المتعمد فهو بغي تشوبه شبهة. وقد ذكر ابن الهمام في المسايرة أن كثيرا من العلماء ذهبوا الى أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة بل ظلمة وقتلة وعتاة لعدم الاعتداد بشبهتهم[٢]. ففرق بين البغي وبين غيره.

---

١) الكامل في الضعفاء ١٩٥/٥.

٢) اتحاف السادة المتقين ٢٢٥/٢.

من أنكر صحبة عمر والصحابة لا يكفر!

قال الحبشي « من أنكر صحبة أبي بكر بالقلب أي اعتقد أن أبا بكر ليس صاحباً لرسول الله ﷺ فقد كفر، أما من أنكر صحبة عمر أو صحبة عثمان أو صحبة علي فلا يُكفّر، وذلك لأن الله ما نص في القرآن على صحبة عمر أو علي أو عثمان، أما أبو بكر فقد نص الله على صحبته في القرآن فقال تعالى ﴿**إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾ فقد أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا هو أبو بكر. فمن شك في ذلك وفسّر هذا الصاحب بغيره من الصحابة فقد كفر، لأن ذلك يتضمن تخوين أمة محمد ﷺ وتضليلهم، وفي ذلك هدم للدين، والقرآن أثنى عليهم وذلك بقوله تعالى ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**﴾ [1].

والمتأمل يجد أن الحبشي في الحقيقة يحتج بالاجماع وليس بالآية. واذا كان الاحتجاج بالاجماع فقد أجمعوا على أن عمر وعثمان وغيرهم داخلون في قوله تعالى ﴿**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار**﴾ فلماذا لم يحكم الحبشي بكفر من خالف الاجماع هنا؟!

ثم لا يظهر ان هذا الاجماع قد انعقد على كفر منكر صحبة أبي بكر فقط. فقد حكى ابن حجر الهيتمي اختيار بعض أهل العلم أن إنكار صحبة غير أبي بكر المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة كُفر[2].

---

1) (بغية الطالب ٣٢ طبعة جديدة ٤٧.

2) الإعلام بقواطع الاسلام ص ٤٨.

افعال العباد عند الحبشي

○ يرى الحبشي أنه «لا دخل لمشيئة العبد الا[1] في الكسب» أي الا أنه يكتسب الفعل فقط [2] وأن جميع أفعاله من خلق الله لا تأثير فيها لقدرة العبد. وقد تكرر قوله « لو كان فعل العبد بقدرته...» [3] وأنه « يجب على المكلف أن يرضى عن الله في تقدير الخير والشر فالمعاصي من جملة مقدورات الله ومقضياته» [4].

فعلى قوله يجوز أن يقول العاصي إذا سئل عن ذنبه: قدّر الله وما شاء فعل، ليدفع عن نفسه اللوم، وما كان بقدر الله يجب التسليم به.

فالفعل فعل الله لا فعل العبد، والمشيئة مشيئته لا مشيئة العبد، ويجب الرضا عن أعمال الكفر لأنها من قضاء الله وقدره. أليس هو والأشاعرة يحتجون بمناظرة آدم وموسى ويفهمون منها أن آدم احتج بالقدر على معصيته [5].

وقد رد الشيخ زادة الحنفي الماتريدي ذلك قائلا « لا يُقال الكفر والمعاصي بقضاء الله، والرضا بالقضاء واجب فيكون الرضا بالكفر واجبا» [6]. والرضا بالكفر كفر [7].

---

١) سقط في الطبعة الأولى من كتابي «الحبشي» و «الشبهات» حرف الاستثناء (الا) واستغل الأحباش هذا الخطأ ولو تأملوا لوجدوا أن إثبات حرف الاستثناء شر من حذفه فإنه يفيد التأكيد والحصر أنه لا علاقة للعبد في فعله سوى أنه يكتسبه من الله. وأنا أبرأ الى الله أن أستخدم التحريف الذي أستنكره من الأحباش، هذه شهادة أقف بها أمام محكمة الله يوم القيامة.

٢) الدليل القويم ٩٤.

٣) الدليل القويم ٩١.

٤) بغية الطالب ٢٧٠ والدليل القويم ٨٥.

٥) والسبب في محاجة آدم أن خروجه من الجنة ونزوله الى الأرض مقدر من الله. قبل أن يعصي وكان الله عالماً ما يقع منه. ولذا كان سؤال موسى لآدم (لماذا أخرجتنا) ولم يقل: لماذا خالفت أمر ربك أو لماذا عصيت الله؟ لأن آدم كان قد تاب من الذنب وغفر له. فاللوم واقع على المصيبة وهي مقدرة فحج آدم موسى. واما إن كان على المعصية فانما ينفع اذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم، بخلاف من يحتجون به على من لا يزالون يزاولون المعصية بهذه الحجة.

٦) نظم الفرائد ١٠.

فإذا كان الأشاعرة لا يرضون أن يحتج العبد بالقدر على معصيته فلماذا يحتجون باحتجاج آدم على موسى عندما يتكلمون عن أفعال العبد سيئها وحسنها؟

أليسوا يحتجون بقوله تعالى ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ احتجاجا خاطئاً؟

فقد عهد عن المشركين احتجاجهم فيما يشركون بالقدر. ﴿**وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا**﴾ فكيف يكون قول ابراهيم لمشركي قومه لو شاء الله ما أشركتم لأن فعلكم هذا مخلوق لله؟ فيحتجون قائلين: فلماذا تنكر علينا شيئا خلقه الله فينا؟ وأول الآية يبين معنى قوله ﴿**أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون**﴾ أي أنتم والأحجار التي صنعتموها مخلوقون.

وإننا لنرى الحبشي يشبِّه أعمال العباد بالأمراض التي تصيبهم[١] مع أنه يجب التفريق بين الأمرين. وإلا فمن اعتبر أعمال العباد بمنزلة الأمراض التي تصيبهم فهو جبري محض.

ولذا رأى ابن حزم أن هناك فرقاً بين الرضى بما قضاه من المصائب وبين المعاصي، فيجب الرضا بما قضاه من المصائب دون المعاصي[٢].

وبالجملة فكل ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو من فعله. وما لم تستطع فهو من فعل الله، فالله يقول للعبد يوم القيامة لمَ كفرتَ، ولا يقول له لمَ مرضتَ: فإن المضطر لا يستحق الذم، بخلاَف القادر المختار فإن الذَم يوجه اليه.

اعانة الله الكافر على الكفر

○ ويرى الحبشي أن الله قد اضطر الكافر على الكفر. وأنه لولا الله ما استطاع الكافرُ أن يكفر [٣] وهذا مذهب الجهمية:

فقد ذكر البغدادي أن جهم بن صفوان كان ينكر الاستطاعات كلها[٤] وقال الأشعري «ان عبّاداً من المعتزلة كان يقول: « إن الله قد

---

٧) الإعلام بقواطع الاسلام ص ٦٦.

١) الدليل القويم ١٣٦.

٢) الفصل في الملل والنِحَل ٣/٩٢.

٣) النهج السليم شرح الصراط المستقيم ٦٧ بخط تلميذه عبد الرزاق الحسيني. صريح البيان ٤٣.

٤) الفرق بين الفرق ١٩٩ الملل والنحل ١١٠.

قوّى الكافرَ على الكفر وأقدره عليه» [1]. وهذا عين ما يقوله الأحباش فقد فسروا قول شيخهم (الإعانة) بالإقدار والتمكين لأن الله يعين على الايمان والكفر» [2].

وهذا فيه تثبيط عن دعوة الكفار الى الاسلام لأن من كان الله معينه على شيء كيف نعينه على ضده، فاذا كان الكافر لا يستطيع الايمان لعون الله له على الكفر فمعناه أننا لا نستطيع أن نعينه على الايمان. ولكن ماذا نقول فيمن كانوا كفارا ثم أسلموا عند دعوتهم الى الايمان: أليس يلزم من دعواه أن عون المخلوق على الايمان غلب عون الخالق على الكفر؟!

وهذا الاضطرار الذي يدعيه، فيه نسبة الظلم الى الله عز وجل. بل زادوا من نسبة الظلم اليه حين قال قائلهم « يجوز أن يعاقب الله الطائع ويثيب العاصي لو أراد ولا يكون ظلماً. لأنهم اصطلحوا للظلم على معنىً مخالف للغة العرب: فقالوا: الظلم: هو التصرف في ملك الغير. وهذا تجويز باطل مخالف لقوله تعالى ﴿**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً**﴾ [طه١١٢].
وهكذا تجد المشكلة تبدأ من اصطلاحاتهم المخالفة للغة القرآن، تماماً كما فعلوا في لفظ التأويل.

ومن مخالفات الحبشي لمعاني المصطلحات القرآنية تفسيره لكلمة (اختيار العبد) أي ما كتبه الله عليه فعله في اللوح المحفوظ. هكذا يفهم معنى الاختيار. وكذلك تفسيره (المشيئة) بالتخصيص. فقولنا: شاء الله أن نعصي: أي خصصنا الله بالمعصية. وضرب أحد أتباعه مثلا أمامه بأننا كما أن الله خصصني باللون الأبيض وخصص فلانا باللون الأسود فكذلك نقول: إن الله خصصني بالايمان وخصص فلانا بالكفر. فأقره الحبشي على ذلك[3].
أضف الى تشبيهه أعمال العباد بالأمراض التي قدر الله أن تصيب الانسان.
وهذا منتهى الجبر والتجهم.

---

١) مقالات الاسلاميين ٢٣٩.
٢) مجلة منار «الهدى» ٥٣/٢٥.
٣) شريط رقم ٢ الوجه الثاني.

تحديدهم لقدرة الله

مع أن الأحباش يعتقدون أن الله غير قادر على الظلم، فلو أراد أن يظلم ما استطاع. وأن القول بأن الله قادر على الظلم ولكنه لا يفعل: هو قول المعتزلة، وزعموا أن ما في كتاب الله كاف لإبطال فساد عقيدتهم». قالوا: « ومن هنا يتبين فساد من زعم أن الله قادر على الظلم لكن لا يفعل، فانه قول بالمحال فان القدرة على الظلم انما تتصور من المخلوق».

وصرح شيخهم بأن قوله تعالى ﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾ تعني أن الله على غالب الأشياء قدير (إظهار العقيدة ٤٠) وأنه على كل شيء قدير مجازاً وليس حقيقة وذلك حتى يخرجوه عن القدرة على فعل الظلم. فأخرجوا العموم المستفاد من ﴿**على كل شيء قدير**﴾ فصارت (على غالب الأشياء قدير) تماماً كما أخرج المعتزلة العموم المستفاد من قوله تعالى ﴿**الله خالق كل شيء**﴾ فصارت عندهم (الله خالق غالب الأشياء).

ثم تهوّر هذا التلميذ الحبشي على عادته قائلا « وقد أجمعت الأمة الاسلامية على كفر من نسب القدرة على الظلم الى الله. واتفقوا على كفر من يقول: الله يقدر علىالظلم ولكن لا يفعل» [1].

وكذبه ابن حجر المكي فذهب في شرحه على الأربعين نووية «شرح حديث اني حرمت الظلم على نفسي» الى أن بعضهم ذهب الى أن الله قال ان الله حرم الظلم على نفسه أي نزّه نفسه عنه. فاعجب من جرأتهم على استعمال عبارة (اتفقوا وأجمعوا).

وهذا القول هو قول النظّام من المعتزلة كما في مجرد مقالات أبي الحسن عند ابن فورك (ص ١٤٨) حيث قال « مذهب النظّام أنه لا يصح وصف الباري بالقدرة على الظلم» وكما في مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ص ٥٥٥).

وفاتهم قول شيخهم الأشعري بعد أن حكى تناقض أبي الهذيل المعتزلي « فأما أنا فأقول إن كل ما وُصف بالقدرة على أن يخلقه كسباً لعباده فهو قادر أن يضطرهم اليهِ وجائز أن يضطرهم الله سبحانه الى الجور» وقال أيضاً « وقال بعض المتكلمين: يقدر الله أن يفعل الظلم وخلافه والصدق وخلافه، فإن قال قائل: أفمعكم أمان من أن يفعله؟ قلنا: نعم هو ما أظهر من حكمته على نفي الظلم والجور

---

١) مجلة منار "الهدى" ٢٩/٢٣ وهي كلمات "جميل حليم".

والكذب»[1]. فبين الأشعري أن المانع من فعل الظلم هو حكمة الله وليس عجزه.

وقد تأولوا حديث « إني حرمت الظلم على نفسي» على معنى أنه غير قادر عليه، ويبطل تأويلهم ما جاء في الحديث « وجعلته بينكم محرماً » وهي معطوفة على ما قبلها، فإن كان معنى « اني حرمت الظلم» أي بمعنى استحالة الظلم: صار الظلم بين العباد مستحيلاً عليهم.

ثم إن الله يمدح نفسه بترك الظلم مع القدرة عليه. وترك الظلم مع إمكانه والقدرة عليه أمدح من تركه لاستحالته عليه والعجز عنه، كما أن ترك الفحل للزنا أمدح له بالعفاف من ترك الخصي والعِنّين له، وكما أن العفو عند المقدرة أمدح من العفو عند العجز.

وأي مدحٍ في ترك الأعمى النظر الى النساء وهو عاجز عنه محال عليه؟ إنما يُمدح المبصر الممتنع عن النظر.

فلو أن أعمى قال لمجموعة من العميان: ان النظر الى النساء حرام علي وعليكم فلا تنظروا لتعجب السامع من هذا وقال: كيف يقول هذا من لا يستطيع النظر أصلا؟ فإن كان تارك الظلم مع القدرة عليه أكمل ممن يتركه لعدم القدرة عليه فالله أولى بهذا الكمال من العبد.

وقد كنا نتمنى منه أن يرجع عن نظرية الكسب الأشعرية إن كان حقاً حريصاً على تنزيه الله عن الظلم، لأن فيها نسبة الظلم الى الله ولكونها تعود في مفهومها الى جبر جهم بن صفوان كما شهد بذلك كثير من أهل العلم والنظر: منهم الأشاعرة أنفسهم.

وهكذا تتلخص أقوال الحبشي على النحو التالي:

(١) أنه لا دخل لمشيئة العبد الا في كونه مكتسباً للفعل فقط.

(٢) أن معنى مشيئة الله الكفر للعبد بمعنى تخصيصه بذلك وتخصيص المؤمن بالايمان فقط. وضرب تلميذه (عبد القادر الفاكهاني) أمامه مثلا على ذلك وهو اختصاص الله اللون الأسود لبعض عباده دون غيرهم وتخصيص آخرين باللون الأبيض. فكذلك من شاء الله له الايمان

---

١) مقالات الاسلاميين ٥٥٢ و٥٥٦.

أي خصصه بالايمان ومن شاء له الكفر معناه خصصه بالكفر[1].

وهذا إن تدبرته وجدته جبراً محضاً فإن الله يسأل العباد يوم القيامة عن أعمالهم ولن يسألهم عن ألوانهم لأنه لا اختيار لهم لألوانهم.
(٣) أنه لا تأثير لقدرة العبد في الفعل إلا في كونه يفعل فقط.
(٤) أن أفعال العبد من قضاء الله وقدره. ويجب الرضا عما قضى.
(٥) أن الكافر لم يستطع الكفر حتى أعانه الله عليه.

وهذه اقوال لا تختلف عن مذهب الجبرية الذين يجعلون مشيئة العباد وافعالهم مجازية والفاعل على الحقيقة هو الله. قال الحافظ: قال الجهم بن صفوان: إنما يُنسَب الفعل الى العبد مجازاً» [2].
ولهذا فإثبات الأشاعرة لأفعال العباد ليس إثباتاً حقيقياً، لأنهم جعلوها مفعولات الله ومعلوم أن المفعولات لا تقوم به، وإنما يتصف الباري بالأمور التي تقوم به.

(٦) أن قول الحبشي يفتح باب الهوى فيحتج العاصي على ربه بقضائه لأنه سلب التأثير عنه في القدرة والمشيئة. ناهيك عن كونه مدعاة الى الفساد، ولجاز أن يحتج المجرم أمام القاضي بقضاء الله في ارتكاب جريمة القتل فيقول المجرم « قضاء الله وقدره» لما كان للقاضي سبيل الى معاقبته.
وقد روي أن سارقاً احتج في زمن عمر بالقدر على سرقته فقال له عمر« وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره»[3] ثم أمر بقطع يده، وقيل ثم جُلد حد الافتراء بعد ذلك.

(٧) أن الشرّ لا يُنسب الى الله ابتداءً تأدبا معه وان كان الحق أن الله خالق العبد وأفعاله. وإنما أخبرنا الله أنه لا يهدي القوم الكافرين ولا يهدي القوم الظالمين وأنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون.
والقول بأنه أمكنهم من الكفر من قبل أن يُعرضوا عن ذكره قبل أن يسلكوا سبيل الباطل فهو من قول اليهود الذين قالوا ﴿**قلوبنا غلف**﴾ فرد الله عليهم ﴿**بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا**

---

١) شريط (الحبشي) رقم ٢ عداد ١٢٠-١٤٠.
٢) فتح الباري ١٣/٣٤٥.
٣) شرح الفقه الأكبر ٣٩.

قليلا﴾[النساء١٥٥] وهو من قول المشركين **﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾** [الأنعام ١٤٨] فرد الله عليهم **﴿إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾** وأخبرهم أنه لو شاء لأجبرهم على الهدى واضطرهم إليه من غير منحهم الاختيار **﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين﴾**.

ولذا جاء في الفقه الأكبر «خلق الخلق سليما من الكفر والايمان. ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم. فكفر من كفر بفعله وانكاره وجحوده الحق وبخذلان الله تعالى اياه. وآمن من آمن بفعله واقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى اياه ونصرته له [١].

- فلم يقل: وكفر من كفر بتوفيق الله واعانته كما يقول الحبشي. وانما فرق بين ما يقال في ايمان المؤمن وبين ما يقال في حق الكافر. ثم إن هذا القول إن أحسنّا الظن به يكون من باب **﴿يمدهم في طغيانهم يعمهون﴾** [البقرة ١٥] وهذا عقوبة من الله للكافرين ومكرٌ بهم، فإن كبرياءهم لم يزِدهم إلا إمعاناً في الكفر.

لكن الحبشي يرمي بالكلمات الموهمة أمام عامة الناس ولا يفصّل ولا ينبّه، والظاهر أنه أراد أنه لا دخل لمشيئة الكافر وفعله، لأن الَله هو الذي أراد ذلك منه شاء أم أبى، وهذا القول الشائع عند الأشاعرة استغله المتصوفة واستغلوا قول الأشعري « لا فاعل على الحقيقة إلا الله» [٢] وأن وجود الله غير زائد على الذات، فصرّحوا بالجبر والبطالة، وزعموا أن أفعالنا هي أفعال الله على الحقيقة، لأن وجودنا وجوده على التحقيق حتى راح الغزالي يشبّه أفعال العباد بالدمى التي يحركها المشعبذ من وراء الصندوق، وراح يكرر هذه العبارة دائماً في إحيائه « وليس في الوجود سوى الله وأفعاله» [٣].

ثم الاعانة تقتضي المشاركة في الفعل فكيف يعاقب الله العبد بعد ذلك على ما أعانه عليه وأراده منه من غير أن يمنحه الاختيار على فعله؟

هذا ما لن يستطيع الاجابة عليه، فقد افترض السؤال التالي « فان

---

١) الفقه الاكبر ١٦٨.
٢) إظهار العقيدة السنية ٢٠٤.
٣) الإحياء ١/٣٣٠، ٤/٨٦ و٢٤٥ جواهر القرآن ١١ مشكاة الأنوار ١٨ الإملاء ٥/٣٠.

قيل كيف يخلق الله في الكفار الامتناع عن قبول الحق ثم يعاقبهم على ذلك أليس هذا قبيحا؟ أجاب « ما المانع ان تكون تلك الأفعال مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها لمصلحة وحكمة استأثر بها»؟[1].

وهذا الجواب عجز وليس اجابة. ثم إن قوله «الله يعاقب لمصلحة وحكمة» اعترافٌ منه بالحكمة والتعليل اللذين ينفيهما الأشاعرة [2] فالله عند الأشاعرة يفعل لا لحكمة لأن ذلك موهمٌ بالنقص والحاجة في صفات الله، وإن كانوا يقرون بأن الله حكيم لكنهم لا يربطون بين فعله وحكمته، وهذا من جملة الوساوس التي أثمرها علم الكلام.

○ وكذلك لم يستطع الاجابة عن سؤال وجهه اليه احد الحاضرين وهو أن « المنطق يقتضي أن يترتب الثواب والعقاب على فعل العبد، وأن الله ترك له المشيئة ليختار العمل». وكأن الحبشي لا يرى للعبد مشيئة ولا اختيارا فبادر المعترض بقوله: « القرآن هنا أتى بخلاف رأي الانسان فنحن نترك الرأي ونتبع القرآن فنتبع الشرع [3] أي ما أنزله الله علينا [4].

لكنه هو الذي أتى بخلاف العقل والنقل، وليس القرآن، فان الشريعة لا تأتي بخلاف العقل ولا تعارضه، ولا بد لصريح العقل أن يوافق صحيح النقل وقد قال تعالى ﴿**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ (الكهف ٢٩). فاذا كان الله أثبت مشيئة حقيقية فلا يجوز لأحد بعده أن ينفيها والا كان هو المخالف للعقل والنقل. فالله خلق الأسباب وربط بينها وبين مسبباتها وفق سنته الجارية في الكون.

○ وحكى الأشعري عقيدة أهل السنة أنهم يقولون إن الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرض بالشر وإن كان مريداً له[5] فاذا كانوا لا يقولون إنه يأمر بالشر فكيف بقول الحبشي «يعين عليه ».

---

١) الدليل القويم ١٣٥.

٢) سنتطرق الى مفهوم الخير والشر والحكمة والتعليل عند الأشاعرة.

٣) لماذا لم يترك الرأي ويتبع القرآن في صفات الله فيُثبت ما وصف الله به نفسه ويتخلى عن وساوس التشبيه التي قادته الى التعطيل؟

٤) شريط (٢) عداد (٢٤٢) الوجه (٢).

٥) مقالات الاسلاميين ٢٩٤.

إن إطلاق هذه العبارة الجبرية مخالف لطريق أهل السنة. لو أراد الحبشي بقوله هذ أن الله يمد عتاة الكفار الممعنين في الكفر في طغيانهم يعمهون: لكان صحيحاً. لكنه لا يريد ذلك، وإنما يعني أن الله يعين كل كافرٍ على كفره.

ودليل ذلك أنه حكى مذهب الأحناف فيمن سمى اسم الله على الشاة المسروقة أنه مرتد لأن التبرك بالشيء لا يُتصور الا فيما أذنه ورضاه. ثم تعقب الحبشي ذلك بما حكاه عن شيخه الأمير أن هذا مردود لأن الإنسان يستعين بالله في جميع شهواته لأن الله هو المعين له على الخير والشر [(١)].

دليل آخر أن من الكفار من يطلب الحق ويبحث عنه لفترة طويلة ثم يجده في الاسلام فهل كان الله يعينه على الكفر في الوقت الذي كان يبحث فيه عن الايمان؟ فهذا اللفظ المجمل « إعانة الكافر » يحمل المعنى القرآني الصحيح ويحمل المعنى الجبري الخالص الذي يدعو اليه الحبشي.

مذهب الجبرية

وقد عرّف الشهرستاني الجبر بأنه « نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته الى الله» ثم بيّن أن الجبرية على أنواع منها: الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل، والجبرية المتوسطة الذين يثبتون قدرة للعبد غير مؤثرة.

قال « فأما من أثبت لقدرة العبد الحادثة أثراً وسمى ذلك كسباً فليس بجبري. ثم صرح بأن أصحاب المقالات عدّوا أبا الحسن الأشعري موافقاً للجهم بن صفوان في الجبر، والجهم جبري خالص يرى أن العبد مضطرٌ مجبورٌ فيما يفعل، وأن الأفعال تُنسَبُ اليه مجازاً كما يقال: أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر [(٢)].

أضاف: وعلى أصل أبي الحسن الأشعري فإنه لا تأثير للقدرة في

---

١) صريح البيان ٤٣.

٢) الملل والنحل ١:١١٠.

الإحداث [1].

وهذا قياس مع الفارق: فالشجرة والماء لا ارادة لهما أصلا، بينما الانسان له ارادة جعلها الله للتفريق بين ارادة الخير وارادة الشر. ومن سوى بين الماء وبين الانسان فقد وافق الجبر وخالف العقل.

وقد اعترف الحبشي بأن الجبرية سلبوا العبد الاختيار حين أسندوا الفعل الى العبد مجازاً كما يسند الى الماء فيقال: سال الماء، والى الشعر، فيقال: طال الشعر [2] وكأني به لا يعلم أن هذا هو ما انتهى اليه الأشعري رحمه الله. فقد صرح السرهندي بأن المؤثر في الأفعال انما هو قدرة الله تعالى لا تأثير لقدرة المخلوق. مع أنه انتقد مذهب الأشعري النافي لتأثير العبد في قدرته، واعتبره داخلا في دائرة الجبر الحقيقي، وأن كثيرين من ضعيفي الهمة يحتجون بعقيدة الأشعري في القدر ويميلون الى مذهبه لهذا السبب [3].

---

١) الفصل في الملل والنِحَل ١:١٠٩و١١٠

٢) إظهار العقيدة السنية ٢٠٢.

٣) مكتوبات الامام الرباني ٣٣١.

مفهوم كسب العبد عند الاشاعرة

يستخدم أهل البدع ألفاظاً قرآنية ويصطلحون لها بمعان ومفاهيم خاصة تختلف عن المفهوم القرآني فيزعمون أن معنى الكسب « المقارنة». اي اقتران المقدور بالقدرة الحادثة من غير أن يكون لها أثر فيه.

وهذا تفسير باطل. فإنه ما دام العبد ليس بفاعل ولا له قدرة مؤثرة في الفعل، فالزعم بأنه كاسب: وتسمية فعله كسباً لا حقيقة له، فإنه لا يمكن أن يفرق بين الفعل المنفي عن العبد والكسب المثبت له.

ومن المعلوم بالضرورة أن من فعل العدل هو عادل، ومن فعل الظلم فهو ظالم، ومن فعل الكذب فهو كاذب، فإذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه وعدله، بل الله فاعل ذلك: لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم.

جاء في القاموس المحيط « الكسب في اللغة بمعنى الطلب والجمع». ويستعمل في القرآن في فعل الصالحات والسيئات [1] كقوله تعالى ﴿**أنفقوا من طيبات ما كسبتم**﴾ وقوله ﴿**وويل لهم مما يكسبون**﴾ فتفسير الأشاعرة للكسب بالمقارنة شيء جديد لم يُسبَقوا اليه.

والكسب الذي أثبته الأشعري لا يمكن فهمه لأنه نفى أيَ أثر لقدرة العبد في إحداث الفعل، أو في صفاته، فما معنى الكسب إذن وما الفائدة منه إذا كان لا أثر له ؟! إذ لا فرق بين قدرة لا أثر لها وبين عدم القدرة إلا بما هو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

كيف يصف الأشاعرة كسب الأشعري

ولهذا تجد المرتضى الزبيدي يصف مسألة الكسب بأنها « من معضلات المسائل التي حارت فيها أفكار المتقدمين ولم تحصل على طائل في تحقيق المتأخرين... حتى قال السعد التفتازاني في شرح العقائد بأن فحول أهل السنة قد عجزوا عن تحقيق معناه» وأن

---

١) القاموس المحيط مادة كسب وانظر مفردات القرآن للراغب ٧٠٩.

الأشاعرة هم مجبرة متوسطة [1].

وتجد الرازي يحدد الكسب الأشعري بأنه « اسم بلا مسمى» [2]. ووصفه ابن عذبة بأنه « صعب دقيق» [3]. لاحظ الحيرة والشك وما تحويه قلوبهم أكبر.

وحكى الشيخ محمد بن درويش الحوت أن كسب الأشعري بلغ من غموضه أن صار يضرب به المثل فيقال «هذا أخفى من كسب الأشعري»[4].

وتبرم الجويني من الشكوك والحيرة اللتين أورثهما الكسب الأشعري فقال « ولا ينجي من هذا المتلطم ذكر اسم محض، ولقب مجرد من غير تحصيل معنى» [5].

لقد صار هذا الكسب يخالف مذهب الجبرية اختلافاً صورياً في اللفظ ويوافقه في المعنى، وذلك لأن نظرية الكسب بدورها تنفي أي قدرة للعبد او تأثير، ولذلك لم يفهمها الأشاعرة أنفسهم فضلا عن ان يحاولوا تفهيمها للناس. إذ لا يسمون أفعال العباد أفعالا وإنما كسباً. وإذا طولبوا بالتفريق بين الكسب وبين الفعل لم يأتوا بفرق، فتحيروا حينئذ، وصاروا لا يفرقون بين الفعل الاختياري وبين الفعل الاضطراري :

○ وانتهى فهم الرازي والأشاعرة لنظرية الأشعري في الكسب الى أن قال بأن الانسان مجبور في صورة مختار [6]. وقد امتدحه الحبشي لهذا القول واعتبره من أفضل الأقوال **وأكثرها إنصافاً** [7]. وصرح الرازي والإيجي بأن « القول بالجبر هو القول الحق» [8]. فتأمل ما عند المذهب الأشعري من موافقة مذهب الجهمية: فإن أبرز ما كان عند الجهمية من الضلال: تعطيل الصفات والقول بالجبر!

---

1) اتحاف السادة المتقين ٢/١٦٩ المواقف للإيجي ٤٢٨.
2) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ١٩٩ ط: مكتبة الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.
3) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ٤٢.
4) رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة ص ٦٠.
5) العقيدة النظامية ٣٢.
6) معالم اصول الدين ١٠٧ شرح المقاصد للتفتازاني ٤/٢٦٣.
7) إظهار العقيدة السنية ١٩٦.
8) المطالب العالية ٨/١٩-٢٠ المواقف للايجي ٣٢٤-٣٢٥.

الغزالي ومذهب الجبرية

○ وانتهى الغزالي الى أن العبد مضطرٌ في جميع أفعاله ومشيئته وأنه مجبورٌ على الاختيار وأنه محلٌ لارادة حدثتْ فيه جبراً [١] ثم شبّه افعال المخلوقات بالدّمى التي يراها الناظر وهي تتحرك فيظن أنها تتحرك من تلقاء نفسها [٢] وإنما تحركها خيوط عنكبوتية ممتدة من السماء حُجب العوام عن رؤيتها ورآها الخواص من أهل الكشف!

ولهذا لم يكن الغزالي يرى في الوجود إلا الله وأفعاله فكان يكثر أن يقول «وليس في الوجود إلا الله وأفعاله» يكرر هذا في كتبه [٣].

قال «فالعبد وفعلُه مخلوقان لله وهو محلٌ للطاعة والمعصية فقط وليس فاعلا لهما. فأنت وفعلُك عطاءٌ من الله ومن حيث أنت محلُه فقد أثنى عليك. فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى وصار أحد فعلَيْه سبباً لانصراف فعله الثاني، فالمخلوقات مجاري قدرة الله ومحل أفعاله» [٤].

أضاف «وقالوا يا أيها الرجل تحركت ورميتَ وكتبْتَ. ونودي من وراء حجاب الغيب **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**» [٥].

والآية تحكي معجزة للنبي حين رمى المشركين بالتراب من مكان بعيد فأصابهم فأثبت الله له الرمي **(إذ رميت)** ونفى عنه الإيصال **(وما رميت)**.

ومثل هذا الاحتجاج يضطرد في جميع الأفعال وليس في الرمي، فإن الزنىً والسرقة من أفعال العباد فهل يقال: وما زنيت وما سرقت ولكن الله فعل [٦] وماأكلت إذ أكلت وما شرِبت إذ شربت...

---

١) احياء علوم الدين ٤/٤ و ٥و٢٥٥و٢٦١.

٢) الإحياء ٤/٩٧.

٣) الإحياء ١:٣٣٠ و٤:٨٦ و٥:٣٠ جواهرالقرآن ١١ مشكاةالأنوار١٨.

٤) الإحياء ٤:٨٩.

٥) الإحياء ٤:٦.

٦) هذا يؤكد استغلال الصوفية للجبر الأشعري حيث صرحوا بما يسمى مقام الشهود أي رؤية الله من خلال أفعاله في خلقه، وقد ضعف المذهب الأشعري عن إدانة الصوفية في انحرافهم وغلوّهم في الجبر ولم يستطع معالجته وحسمه لأن الصوفية تذرعوا بالجبر الأشعري ولأن أقوالهم مأخوذة من مشكاة العقيدة الأشعرية التي تنفي أثر العبد في فعله، مما فتح الباب للصوفية وجعلهم يصرحون

ولذلك لما حاصر الخوارجُ عثمانَ وقف يكلمهم فرموه بالحجارة فقال لهم لماذا ترمونني؟ قالوا: ما رميناك إن رميناك ولكن الله رمى. فقال: كذبتم، لو رماني الله لأصابني وأنتم ترمونني وتخطئونني.

فهذه الأقوال توافق مذهب الجهمية أصحاب جهم بن صفوان الذي كان يرى أن العبد مجبور في أفعاله وأنه لا فاعل على الحقيقة الا الله، وأما العباد فإن الفعل ينسب اليهم مجازا. وهذا عين قول الايجي والتفتازاني (١).

وقيل بأن الكسب الأشعري في الحقيقة «جبرٌ مبطّنٌ» متستِّرٌ في كلمة الكسب حالٌ فيها.

ولذا صرح العقلاء بأن مفهوم الكسب عند الأشاعرة مضطرب يَظهرُ في اللفظ وكأنه شيءٌ غيرُ الجبر، بينما هو في الحقيقة الجبر نفسه. ومن هنا قيل:

مما يُقال ولا حقيقة تحته ... معقـــولة تدنـــو الى الأفهـــام

الكسب عند الأشعـري (٢) ... والحال عنـد البهشي وطفـرة النظام

قال الدكتور عاطف العراقي «إن آراء الأشاعرة برغم ما بذلوه من جهد كبير في التوصل اليها تمثل الغموض والتناقض والتذبذب الى درجة كبيرة جداً. إنهم مثلا يحيطون فكرتهم عن الكسب بهالة من الغموض حتى يُدخلوا في أذهاننا أنها دقيقة وعميقة، وأنها اكتشاف بكر، ولكن متى كان الغموض معبراً عن دقة الفكرة» (٣).

بالجبر بكل اطمئنان مستظلين بالفكرة الاشعرية تاركين الدفاع عنه للأشاعرة.

١) المواقف للإيجي ٣٢٣ وشرح المقاصد للتفتازاني ٢٨٢/٤.

٢) حيث رأى أفعال العباد فعلا لله فيهم فهي فعل الله وكسبهم ولم يقل فعلهم لأن الفعل عنده خلق ولا خالق الا الله.

٣) تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية ٣٨.

تعديل نظرية الكسب

وقد تعرض الكسب الأشعري للنقد والتعديل من قبل كبار الأشاعرة.

* فالباقلاني أعطى للكسب مفهوماً يختلف عن شيخه الأشعري حيث فرّق عند تعريفه للكسب بين حركة الانسان الاختيارية وبين حركة المرتعش من الفالج كالتفريق بين المشي بالاختيار وبين السحب والجر[١] فهو يثبت تأثيراً للعبد في القدرة بخلاف المصاب بالفالج الذي تدفعه دفعاً ليتحرك. وقد كانت هذه محاولة منه لسد الثغرة التي كان ينفذ منها من الزموا الأشعري بالقول بالجبر [٢].

* وأجرى الجويني تعديلا على مذهب الأشعري في الكسب وأثبت تأثيراً لقدرة العبد بعد أن كان الأشعري ينفيها [٣] حتى قال « أما نفي القدرة والاستطاعة فمما يأباه العقل والحسّ، وأما إثبات قدرةٍ لا أثر لها فهي كنفي القدرة...الخ.

وذكر أن « المصير الى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله: قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون» [٤].

ثم انتهى الى أن نسبة العبد الى قدرته حقيقة لا على وجه الإحداث والخلق» [٥].

قال « وقد زعم من لم يُوفق لمنهج الرشاد أنه لا أثر لقدرة العبد في مقدورها» وأجاب عن تمسكهم بقوله تعالى ﴿**لا يُسأل عما يفعل**﴾ فقال «كلمة حق أريد بها باطل» وذكر بأن نفي تأثير قدرة العبد في فعله « فيه إبطالٌ للشرائع وردٌّ لما جاء به النبيون [٦].

وقد صرح الجويني بتخبط مذهب الأشعري في مسألة القدرة قائلا « ومذهب أبي الحسن مختبط عندي في هذه المسألة... فقد لاح سقوط مذهبه في كل تقدير» [٧].

---

١) التمهيد٣٤٧ تحقيق حيدر وانظر الفصل في الملل والنحل ١٢٧/١.
٢) القضاء والقدر ٣٥٢:٣-٣٥٤ فاروق الدسوقي.
٣) الملل والنحل ١٢٥-١٢٨.
٤) العقيدة النظامية ٣٠.
٥) الملل والنحل ٢٨ لمع الأدلة ١٢١ تحقيق د. فوقية محمود.
٦) العقيدة النظامية ٣١-٣٢ تحقيق الكوثري.
٧) البرهان في أصول الفقه ١٩٥/١-١٩٦ فقرة (١٨٦).

ويفتقد الأشاعرة المعاصرون لمثل هذا الموقف الشجاع من الجويني والباقلاني اللذين تراجعا عن الجبر الجهمي المتدثر في الثوب الأشعري [١]. بيد أن الجويني قد تعرض للتضليل والتسفيه من المتعصبين للمذهب حتى اتهموه بالارتداد الى مذهب المعتزلة[٢]. وأنكر آخرون صحة نسبة هذا الكلام الى الجويني لكن المرتضى الزبيدي أكد أن هذا كلامه كما في رسالته النظامية التي هي من آخر مؤلفاته [٣]. وذكر أن صفي الدين القشاشي ألف رسالة وافق فيها امام الحرمين.

ومن هنا اضطر الرازي في الأربعين الى مخالفة الأشعري وإثبات قدرة للعبد مؤثرة في الفعل [٤].

الحبشي وتهمة المجوسية

ولا يزال الحبشي يتهم من يثبت للعبد قدرة ومشيئة حقيقيتين بأنه مجوسي بناء على مذهبه الجبري، وهي تهمة تليق بمن قال من المعتزلة أن العبد خالق فعله وأن الله لم يخلق الشر. ومع ذلك فقد نص ابن حجر الهيتمي على أن من زعم أن الله لا يخلق فعل العبد لا يكفر لأن هذا القول نظير قول المعتزلة [٥].

ونحن لا نقول ذلك وإنما نقول بأن قدرة العبد ليست خالقة وإنما هي مؤثرة في مقدورها بحسب سنة الله التي أجراها. وهو عين ما صرح به الجويني والباقلاني.

فإن كنا مجوساً بذلك فليكن هذان الإمامان الأشعريان (الجويني والباقلاني) مجوسيين أيضاً لأنهما خرجا عن طور أبي الحسن الأشعري وأثبتا للعبد قدرة ومشيئة حقيقيتين لا مجازيتين.

---

١) وحتى الكوثري طعن في نظرية الكسب الأشعرية ونقدها نقداً شديداً.
٢) اتحاف السادة المتقين ٢/٩.
٣) اتحاف السادة المتقين ٢/١٦٩.
٤) الأربعين في اصول الدين ٢٢٧.
٥) الاعلام بقواطع الاسلام ص ٦٨.

الزبيدي يحكي قصة الجبر الأشعري

ونقد الشيخ السنوسي القائلين بالكسب فقال « فاذا قيل لهم ما معنى التأثير الذي نفيتموه أنتم مع تسميتكم لها قدرة؟ لم يأتوا من الجواب الا بجعجعة ليس لها طحين، وهمهمة ليس معها تبيين، مع أن الشيخ - أي الأشعري - مصرح بعدم تسميته وصف العبد قدرة الا على وجه المجاز... وقد تحاشى الأقدمون من أهل السنة والسلف الصالح [1] عن تسمية وصف العبد قدرة فلا تكاد تسمع في مؤلفاتهم الا الكسب... فقالوا: قدرة لا تأثير لها. فأثبتوا للعبد قدرة فرارا من قول الجبرية وقالوا: لا تأثير لها: فرارا من قول القدرية. ولعمري انها لعبارة حسنة في بادىء الرأي متوسطة بين قولَيْ الافراط والتفريط: وانها إذا حُكَت على معيار التحقيق وطولب صاحبها كل المطالبة أدت الى شيء لا يدرك له صاحبه معنى ولا يجد له مفهوماً».

« ولقد تكلمت مع بعض من زعم أنه ألف في الرد عليه فقال لي: إني حرت في كلام هذا الرجل، فبينما أنا أقول: هو قدري محض لما يظهر من كلامه إذ رجع رأيي فيه الى أنه جبري محض فلا أدري مَن أي الجهتين هو... وهكذا كلام العارف: اذا سمعت قوله: لقدرة العبد تأثير قلت: هذا قريب من مذهب القدرية، واذا سمعت قوله: انما هي قدرة واحدة ولا قدرة للعبد أصلا انما يظهر من أثر قدرة الحق في محله: قلتَ هذا قريب من مذهب الجبرية، وهذا لعمري غاية التحقيق لمن علمه» [2]. انتهى من كتاب اتحاف السادة.

وهكذا اضطرب الأشاعرة ولم يثبتوا على قدم الاستقرار، واحتاروا كيف يقفون من موقف شيخهم؟ فآثروا الى يومنا هذا التقليد ولم يعلن منهم المخالفة الا قليل، وانتهى المذهب الى أنه لا تأثير للقدرة مع ما لهذا القول من مخالفة عظيمة لأهل السنة وموافقة صريحة للجهمية.

وقد صدق الحافظ ابن حجر أن أهل الكلام يمنعون التقليد في العقائد وهم أول الواقعين في التقليد.

---

١) يعني سلفه من الأشاعرة.

٢) اتحاف السادة المتقين ٢/١٧١.

عقيدة أهل السنة في أفعال العباد

وأهل السنة يخالفون المعتزلة ويعتقدون أن الله خالق أفعال العباد: لا خالق سواه وليس بوسع المخلوق أن يخلق فعله « ولكن إذا قيل إن الله خالق أفعال العباد فليس معنى هذا أنه يجوز أن يتصف بها أو تعود أحكامها إليه، وإنما تعود أحكامها الى الانسان الذي فعلها وقامت به، وصارت فعلا له، فالله خالق أفعال العباد حقيقة والعباد فاعلون لها حقيقة، ولا منافاة بين الأمرين وليس في ذلك ما يقلل من جلال الله ولا صفاته. ومن لم يفرق في هذه المسألة بين فعل الله القائم به وبين مفعولاته المنفصلة عنه فإنه يلزمه محظوران اثنان:

الأول : إما أن يوصف اللهُ بأفعال عباده، وفيها الظلم والكذب. وهو أصل ضلال الأشاعرة في هذا الباب حيث قالوا ان الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق، فلم يفرقوا بين ما يقوم بالله من الأفعال، وما هو منفصل عنه، فلما جاؤوا الى أفعال العباد اعتقدوا أنها مفعولة لله.

قالوا: هي فعله، لأن الفعل عندهم هو المفعول، فلما سئلوا: أهي فعل العبد أيضاً؟ اضطربوا في الاجابة ولم يأتوا الا بتفريق لا وجه للتفريق فيه وهو أن الفعل فعل الله وكسب العبد. وتجاهلوا حقيقة بديهية وهي أن الفعل يقوم بالفاعل. والكذب يقوم بالكاذب، والعدل يقوم بالعادل. ويقال لهم ما قالوه للمعتزلة أن من قام به الكلام فهو المتكلم، وأن الكلام اذا كان مخلوقاً كان مخلوقاً للمحل الذي فيه، وحبذا لو أنهم تنبهوا الى أن كلامهم هذا يضطرد حتى في القدر وأفعال العباد.

الثاني : وإما أن يُنفىٰ عنه ما أثبته لنفسه من خلقه لكل شيء.

وكلا الأمرين عظيم، لأن الله تعالى لا يوصَف بشيء من مخلوقاته، بل صفاته قائمة بذاته، وهذا مطّردٌ على أصول أهل السنّة أنهم يفرّقون بين الخلق والمخلوق» [١].

---

١) منهاج السنة النبوية. نقلا عن كتاب قضية الخير والشر للأستاذ الفاضل محمد السيد الجليند ٣٠١.

الفصل بين الأشاعرة والمعتزلة
في مسألة القضاء والقدر

إن كلا من المعتزلة والأشاعرة لم يفرقوا بين معنى الارادة والمحبة، بل صرح الأشاعرة بأن كل ما يريده الله فهو يحبه، وأن الله يريد الكفر ويحبه ويرضاه، وأن الارادة والرضى والمحبة بمعنى واحد[١]

.

وعزا السبكي القول باتحاد الارادة والمحبة الى جمهور الأشاعرة غير أنه اختار لنفسه خلاف ما اختاره عامة الأشاعرة فقرر أن الرضا غير الارادة [٢] . وهو ما اختاره الشيخ محمد بن درويش الحوت[٣] .

- فالمعتزلة فهموا الارادة على أنها دينية فقط، بينما فهمها الأشاعرة على أنها كونية فقط. ولذا نفى المعتزلة إرادة الله الكفر والمعصية والقبائح لأنه لا يحبها.

- أما الأشاعرة فقالوا إن كل ما وقع في الأرض من الكفر والشرور فالله يحبه لأنه يريده ويرضى به. وبذلك فإن كلا منهما قد أخذ نصف الحقيقة ليعارض بها نصفها الآخر من الأدلة التي يمسك بها طرفه الآخر. ولو تأمل كل فريق ما عند الفريق الآخر من الحق لالتقوا وما اختلفوا ولكن كلا منهما يمسك بحظ من الكتاب وينسى آخر.

ولو جاز القول إن القضاء الأزلي أجبر الإنسان على فعل المعصية فلماذا أبطل الله حجج المشركين حين قالوا ﴿**لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا**﴾ فأجابهم ﴿**قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون الا الظن وإن أنتم إلا تخرصون**﴾ ثم أنهاهم بحجته البالغة فقال ﴿**قل فلله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين**﴾ أي لو شاء لأجبركم على فعل الخير ولما خيّركم بينه وبين فعل الشر. لأن جبر العبد:

١) يبطل فكرة الثواب والعقاب.

٢) يبطل مهمة الأنبياء، إذ لماذا يأتون ويدعون ويحذرون والأمر مكتوب مقدور. والعبد مجبور.

٣) قال تعالى ﴿**وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون**﴾ وقال ﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾ وكانت الضلالة عقوبة الفسق والظلم والتكبر ونتيجته

---

١) أنظر كتاب الأصول والضوابط للنووي ص ٢٤ طبقات السكبي ٣٨٥/٣ محققة وانظر الارشاد للجويني ٢٣٩.

٢) طبقات السبكي ٢٩٥/١٠ و٣٨٥/٣ محققة.

٣) رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة ص ٦٧.

﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ﴿ويضل الله الظالمين﴾ فكفرهم وظلمهم السابق كان سبباً في طبع الله على قلوبهم. لكن الله قضى ذلك قبل أن يكون وعلم أزلا بما سيؤول اليه أمرهم قبل خلق السموات والأرض. وكتابة ذلك عليهم. وليس مجرد العلم مؤثراً في وجود الأشياء.

التفريق بين القضاء الكوني والديني

ومن هنا يجب التفريق بين نوعين من القضاء:

* قضاء كوني قدري ضروري الوقوع تعبيرا عن مشيئة الله النافذة في ملكه التي لا تخلو من الحكمة والغاية. وهذا لا يحاسَب الانسانُ عليه.

* قضاء ديني تكليفي شرعي مبني على الاختيار وارادة الانسان وهو يتعلق بالشريعة أمرا ونهياً وهو مناط الثواب والعقاب.

ويلزم من عدم التفريق بين القضاء الكوني وبين القضاء الديني:

١) إما أن يقول بأن الله يحب الكفر والمعاصي والفسوق والعصيان لأنه قضاه وقدره. ولا ننسى أن صفة المحبة مدرجة عند الأشاعرة والماتريدية ضمن صفة الارادة. وفسروا قوله تعالى ﴿والله لا يحب الفساد﴾ بأن هذا خاص بمن لم يقع منه الفساد. وهذا من أعظم الباطل.

٢) وإما أن يقول بأن الله لم يقدر ذلك ولم يقضه على العباد لأنه لم يحبه، وقد قال بكل واحدة منها طائفة:

- فالمعتزلة قالوا إن الله لا يحب الكفر والفسوق والعصيان فهو لم يقضها ولم يشأها.

- والأشاعرة قالوا إن الله قضى المعصية والكفر والعصيان فهو يرضاها ويحبها لأنه لا يكون في الكون إلا ما يريد، وسبب هذا الخطأ يرجع الى عدم التفرقة بين المحبة والمشيئة أو بين نوعي القضاء لأن المحبة لا تلزم إلا مع القضاء الديني فقط [١].

- وقد أخطأ المعتزلة حين قصروا حديثهم على القضاء الديني فقط فأبطلوا أثر القضاء الكوني والمشيئة الالهية العامة.

- وأخطأ الأشاعرة حين جعلوا أفعال العباد من متعلقات القضاء الكوني فقط، فنفوا اختيار العبد وأثر قدرته في فعله.

---

١) أنظر كتاب قضية الخير والشر لمحمد السيد الجليند ١٢٠-١٢٥.

إدراج بعض الصفات ببعضها سبب الانحراف

إن مكمن الخطأ عند الأشاعرة تسويتهم بين الإرادة والمشيئة العامة، فلا يوجد شيء في كونه إلا وهو خاضع لمشيئته [1].

والباقلاني (إمام الأشاعرة) جعل المحبة والرضى والغضب كلها معان ترجع الى الإرادة قائلا « ورضا الله وغضبه وسخطه إنما هي إرادته وقصده الى نفوذ مَن في المعلوم أنه ينفعه وضرر من سبق علمه وخبره أنه يضره» [2] ولا فرق عنده بين الإرادة والمشيئة والاختيار، وصفاته أزلية ولهذا فإنه لم يزل راضياً عن سحرة فرعون يوم كانوا طائعين لفرعون مروجين للسحر، ولم يزل راضياً عن الفاروق عندما كان يعبد الأصنام قبل إسلامه [3].

وذكر البغدادي قول بعض الأشاعرة إن الله يريد حدوث جميع الحوادث خيرها وشرها، لكنه يمتنع في التفصيل عن القول بأن الله يريد الكفر والمعاصي، ومنهم من قال أراد الكفر والمعاصي كسبا للعباد وقبيحاً منهم ولم يقل أراد الكفر والمعصية على الاطلاق من غير تقييد، ونسب هذا القول للأشعري. وهذه التفرقة إن دلت على شيء فإنها تدل على تحرج الأشاعرة من إطلاق القول بأن الله يريد القبائح.

الطبع والختم

وأما آيات الختم والطبع فلا توجد آية واحدة تفيد أن الختم والطبع وقع فيهم ابتداء، وإنما حدث بسبب أفعالهم. فالله يضل الظالمين ويطبع على قلوب الكافرين وعلى قلب كل متكبر جبار.

ولا يجوز بحال من الأحوال أن نقول إن الله دعا قوماً الى الايمان ولكنه ختم على قلوبهم قبل ذلك ومنعهم وحال بينهم وبين الهدى من غير ما سبب يجعلهم يستحقون ذلك وإلا أدخل ذلك الشك في قلوب الناس. ولما قال اليهود قلوبنا غلف أجابهم الله بل طبع الله عليها بكفرهم. وأنه يصرف عن آياته الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق.

---

١) الابانة ٥٥.

٢) التمهيد ٤٨ الإنصاف ٦٣.

٣) الإنصاف ٦٩.

فالخطأ الذي وقع فيه الأشاعرة:
١) ربطهم بين الارادة والخلق.
٢) ربطهم بين الإرادة والعلم.
٣) جعلوا الإرادة والمحبة شيئاً واحداً، فالمحبة عندهم مندرجة في الإرادة. وقد تأولوا صفة المحبة بالإرادة، وهو تناقض منهم، فإن صفة المحبة التي هربوا من وصف الله بها لا تفترق عن صفة الارادة التي يتصف بها الانسان أيضاً.

وقد نتج عن الخطوتين السابقتين أن الكفر والمعاصي والشرور تقع بإرادة الله لأنه خالقها، وهو يحبها ويرضى عنها: لأنه لا يقع في ملكه ما يكره. ولأنها من خلقه، وكل مخلوق مراد له سبحانه. وهذا خطأ واضح، فإن المحبة والرضا لا تستلزمان الإرادة، وقد ظنوا أن كل مخلوق لا بد أن يكون محبوباً ومراداً وهو مخالف للشرع والعقل، فالمريض قد يريد الدواء غير أنه لا يحبه. فكذلك الله أراد الكفر كوناً لا ديناً وهو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان.

وظن المعتزلة أن الإرادة تستلزم الأمر، وهو خطأ[1]، فقد يوجد أحدهما ولا يوجد الآخر. فالله أمر جميع الناس بالايمان غير أن الكافر لم يؤمن، ولا يقال إنه كفر بغير إرادة الله وقهراً لسلطانه فالله أراد ذلك.

---

١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ٦/٥١-٥٦.

يجب التفريق بين نوعين من الإرادة:

النوع الأول : وهي ارادة دينية شرعية لا تستلزم وقوع مرادها لأنها متعلقة بإرادة التكليف الذي هو مبني على الاختيار. كما قال تعالى ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ ﴿**والله يريد أن يتوب عليكم**﴾.

- وهذه الارادة هي التي تستلزم محبة الله ورضاه. ولا تؤثر في العبد إيجاداً وإعداماً. ويتعلق بها الثواب والعقاب، فقد يتوب العبد وقد لا يتوب.

- والمعتزلة قصروا إرادة الله عليه فقط وقالوا إن ما أراده الله لا بد أن يكون محبوباً مأموراً به. ونتج عن ذلك قولهم أن كل ما وقع في الأرض من المعاصي ليس بإرادة الله لأن الله لم يأمر به ولا يحبه. وإنما وقع بإرادة الإنسان وحده.

النوع الثاني : الارادة الكونية القدرية: وهي المشيئة العامة الشاملة المحيطة بجميع الكائنات. وهي التي يعنيها المسلمون عند قولهم « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» والله أراد من العالم ما هم فاعلوه من الخير والشر.

فكل ما كان وما يكون لا يخرج عن سلطان الله وإرادته. كما قال تعالى ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يُرِد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء**﴾ وقوله ﴿**يضل من يشاء ويهدي من يشاء**﴾.

ولكن لا ننسى أن ذلك ﴿**جزاء بما كنتم تعملون**﴾. وهذا النوع قصر الأشاعرة الإرادة الإلهية عليه. فقالوا إن الله خالق كل شيء من الكفر والفسوق والشرور وما دام خلق فلا بد أن يكون ما يخلقه محبوباً... والمحبة عندهم أحد معاني الارادة.

ولو تأملنا موقف المعتزلة والأشاعرة لظهر لنا أن كلا منهما قد نظر الى الإرادة من جهة واحدة وأهمل الجهة الأخرى، وظن أن جهته هي المعنى العام للإرادة.

وكل فريق معه أدلة يحتج بها على جهته، لكنه لا يستطيع إبطال جهة الآخر بها. لأن كلا منهما سكت عن صحة جهة صاحبه. وكل منهما قد أخذ حظاً ونسي حظاً مما ذُكّر به.

لقد راح كل فريق يأخذ في مذهبه معنى واحداً من معاني الإرادة ويحاول أن يبطل به النوع الآخر. مع أن ما مع الفريقين صحيح في بابه ولا يبطل ما مع الفريق الآخر.

الحكمة والتعليل

ذهب الأشاعرة الى أن أفعال الله تعالى ليست معللة ولا يجوز أن يقال إنها لحكمة.

وهذا المفهوم الخاطىء عند الأشاعرة متفرع من موقفهم من الحكمة والتعليل فإنهم أنكروا ارتباط أفعال الله بالحكمة مع أنهم لم ينكروا أن الله عليم حكيم. وفسروا معنى الحكمة بالإرادة. وقالوا إن الله لا يفعل لحكمة وإنما لمحض المشيئة. لأن الفعل لحكمة غرض وتعليل ونقص ينَزَّهُ اللهُ عنه.

- قال الزبيدي « ومن معتقد أهل السنة أن الصانع جل وعلا لا يفعل شيئاً لغرض» [١]. واستعمال لفظ « الغرض» ليس إلا تشنيع يوهمون به الناس أن فعل الله لحكمة تعني لحاجة والله ينزه عن الحاجة.

- وليس هناك مانع أن يصرح أحدهم بأن الله خلق العالم لا لعلة ولا سبب [٢]، وبهذا النفي أثبتوا خلقاً بلا غاية ولا حكمة وإنما خلقاً مجرداً عن الغاية والقصد. وهذا مذهب الجهمية قبل الأشاعرة «نفاة الحكمة».

ففصلوا أفعال الله عن الحكمة وحملوا الآيات التي تتضمن التصريح بـ « لام » الحكمة والتعليل مثل قوله تعالى ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ ﴿**ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا**﴾ على أنها « لام العاقبة» [٣]. وهو حمل باطل للأسباب التالية:

❊ أن لام العاقبة صفة نقص إنما تجيء في حق من لا يكون عالماً بعواقب الأمور ونتائجها كقوله تعالى ﴿**فالتقطه آلُ فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً**﴾ [القصص ٨]. فلو كان يعلم أن هلاكه على يد من التقطه لقتله قبل التقاطه. فلام العاقبة هذه لم تنزه الله عن صفات نقص موهومة. وإنما وصفت الله بأقبح مما هربوا منه.

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/١٩٩.

٢) تمهيد الأوائل ١٥ غاية المرام ٢٢٤ الارشاد للجويني ٢٦٨ نهاية الإقدام ٢٩٧ محصل أفكار المتقدمين ٢٠٥.

٣) البيجوري على جوهرة التوحيد ٦٩.

* ثم الحكيم لا يفعل الا لحكمة والنقص كل النقص في خلو فعله عن الحكمة. ومن ارتضى أن يفصلَ فعل الله عن حكمته فهو فاسد الفطرة فاسد الرأي قريبٌ من المعتزلة القائلين: حكيم من غير حكمة. ولذا قال العلامة السفاريني:

وربنا يخلــق باختيــار   من غير حاجــة ولا اضطـرار
لكنه لا يخلق الخلق سُدىً   كما أتى النصُّ فاتبع الهــدىٰ

وكما أن الله يفعل الفعل بقدرته لأن القدرة صفة له، فكذلك يفعل الفعل لحكمة، لأن الحكمة صفة من صفاته وليست صفة غيره حتى يقال إن الحكمة والتعليل نقص. قال تعالى ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون**﴾ [المؤمنون ١١٥] ﴿**أيحسب الإنسان أن يُترك سدى**﴾ [القيامة].

* أنه ما من محذور من تجويز أن يفعل الله لحكمة، وإنما المحذور كله أن يعتقد معتقد أن الله يخلق لا لحكمة.

* أن نفاة التعليل لا بد أن تجد في كلامهم ما يثبتون به التعليل لأنه شيءٌ بديهيٌ لا يمكن إنكاره. فقد ذكر الحبشي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها لمصلحة وحكمة استأثر بها [١] وهذا صريح في التعليل.

وقد قال من قبله الرازي « إن غالب أحكام الشرع معلل برعاية المصالح المعلومة» وذكر أدلة تفيد التعليل ونقضها بأدلة أخرى على عادته في التأرجح[٢].

وقال التفتازاني « والحق أن تعليل بعض الأفعال لا سيما شرعية الأحكام بالحِكَم والمصالح ظاهر... ولهذا كان القياس حجة الا عند شرذمة لا يعتد بهم، وأما تعميم ذلك بأن لا يخلو فعل من أفعاله عن غرض فمحل بحث» [٣].

---

١) الدليل القويم ١٣٥.
٢) المحصول في علم أصول الفقه ٥/١١٤.
٣) شرح المقاصد ٤/٣٠٢-٣٠٣.

الصوفية يثبتون التعليل

* أنه لمَّا أنكر هؤلاء حكمة الله في خلق الخلق ونفوا التعليل أتوا بتعليل للخلق أقبح مما ظنوه قبيحاً فزعم المتصوفة أن الله ما خلق الخلقً إلا من أجل النبي ﷺ كقول محمد الصيادي الرفاعي:

« واعلم أن النبي ﷺ هو العلة الغائية لخلق الخلق» [١]. وأنشد يقول:

أنت الذي لولاك ما كان الورى ولغير فهْمِك سِرُّهُ مجهولُ

وأنشد الواسطي في ترياقِ المحبين [٢]:

هو الذي خلق اللهُ الوجودَ له هو الذي فضْلُهُ جاءت به الكتبُ
لولاه لم تكن الأكوان كائنـــة ولم يكن للـورى نسكٌ ولا قُربُ

وإذا كان شخص النبي ﷺ هو الغاية الأولى من وجودنا وقد علمتَ أن النبي ﷺ قد مات، فأي غاية وقيمة تبقى لوجودنا بعد موته ومَاذا كانت قيمة البشر الذين ماتوا قبل ولادته ﷺ!

* أن من يفعل لحكمة وغاية مطلوبة يُحمد عليها أكمل ممن يفعل الشيء لمحض المشيئة ولغير حكمة. ولا ريب أن الحكمة غير الإرادة، إذ لو كانت الحكمة هي الإرادة لكان كل مريد حكيماً وهذا مخالف لأبسط العقول، فإن الارادة منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم.

ولا ريب أن المحبة والرضا لا تستلزمان المشيئة فان المريض يريد الدواء وهو لا يحبه.

ومن هنا يجب التفريق بين نوعين من الارادة: الارادة الدينية وهي التي تستلزم محبة الله ورضاه وبين الارادة الكونية التي لا تستلزم محبته ولا رضاه بالضرورة.

* أن الفعل لغير غاية ولا حكمة مرتبطة به: عبثٌ يُنزَّه الله تعالى عنه. ويكون لمانع يمنع من إرادة تلك الغاية ولا مانع يمنع الرب سبحانه من فعل ما يريد.

---

١) ديوان الفيض المددي ٣٩.
٢) ترياق المحبين ٧١-٧٢ وروضه الناظرين للوتري ١٠٥-١٠٦.

❊ أن الله خلق الخلق لغاية العبادة له وحده كما قال ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾. فإذا أخذنا أن اللام للعاقبة بقولكم لم يكن للآية معنى، فانه لم تتحقق العاقبة في جميع الجن والإنس، بل الواقع أن أكثر الناس ﴿**فاسقون**﴾ ﴿**للحق كارهون**﴾ ﴿**عن آياتنا لغافلون**﴾ وسوف تقوم الساعة على شرار الخلق. فأين تحققت العاقبة.

نعم إن كانت اللام للتعليل بمعنى أنه خلقهم ليأمرهم شرعاً بعبادته فلا يتعارض ذلك مع عصيان أكثر الخلق. ومن تأمل الآيات القرآنية أيقن بطلان ما ذهبت اليه الأشاعرة.

❊ ولماذا أيد الله الرسل بالمعجزات أليس لتصديقهم وتأييدهم. وهذا تعليلٌ لنزول المعجزة.

❊ أن الله أتى بلفظ « **كي** » ﴿**كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم**﴾ والآية صريحة في تبيين علة قسمة الفيء.

❊ أن الله أتى بلفظ « **لعل** » وهي في كلام الله صريحة في التعليل المحض ولا تصلح للترجّي قال تعالى ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ وقال ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾.

- وعندهم يجوز أن يكلف الله الانسان فوق ما يطيق [1]. ولذلك اضطر الماتريديون الى مخالفة الأشاعرة حيث قالوا « يمتنع خلو أفعال الله تعالى عن المصلحة».

---

١) أنظر الارشاد ٢٠٣ للجويني المواقف للايجي ٣٣٠ الاقتصاد في الاعتقاد ١٥٠ قواعد العقائد ٢٠٣ ط: عالم الكتب إحياء علوم الدين ١/١١٢ كلها للغزالي.

يجوز على الله تعذيب المطيع وإثابة العاصي

ولما خلت عندهم أفعال الله من الحكمة والعلة جوَّزوا على الله الشرور والظلم والإعراض عن الحق حتى قال البيجوري « فليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب وإنما هما إمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى حتى لو عكس دلالتهما بأن قال الله (من أطاعني عذبتُه، ومن عصاني أثَبْتُهُ) لكان ذلك حسناً منه»[1].

مخالفاً بذلك صريح قول الله تعالى ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟ ما لكم كيف تحكمون**﴾ وقوله ﴿**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**﴾ وقوله ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم: ساء ما يحكمون**﴾.

فأعقب نفي الحكمة والتعليل وحسن الفعل وقبحه تخبطاً عندهم في مفهوم عدل الله حتى قالوا: « لو فعل الله شيئاً تحكم عقولنا بقبحه لما كان قبيحاً، بل يحسن منه أن يخلد الأنبياء في نار جهنم ويثيب العصاة والكفار في جنات النعيم.

وقال الحبشي « يجوز عقلا أن يعذب الله المطيع الذي لم يعص»[2]. ولست أدري عند أي عقل يجوز ذلك!

وذكر المرتضى الزبيدي أنه يجوز أن يعذب الله الطائعين والأطفال والمجانين بل والأنبياء ويخلدهم في النار، وأن يثيب العاصين والكفار ويدخلهم الجنة لكنه لا يفعل[3].

وقال الغزالي «ندعي أن الله تعالى اذا كلف العباد فأطاعوه لم يجب عليه الثواب، بل إن شاء أثابهم وإن شاء عاقبهم ولا يبالي لو غفر لجميع الكافرين وعاقب جميع المؤمنين»[4].

قال السبكي « لله عندنا أن يعذب الطائعين ويثيب العاصين» وأنشد يقول[5]:

---

1) شرح جوهرة التوحيد ١٠٨.
2) الدليل القويم ١٤.
3) اتحاف السادة المتقين ٢/٩.
4) الاقتصاد في الاعتقاد ١٥٥.
5) طبقات السبكي ٣/٣٨٦ نسخة محققة.

لله تعذيب المطيع ولو جرى ... ما كان من ظلم ولا عدوان
فنفى العقاب وقال سوف أثيبهم ... فله بذلك عليهم فضلان
هذا مقال الأشعري إمامنا ... وسواء مأثور عن النعمان

وقد عللوا سبب مفهومهم أن الله متصرف في ملكه، وهو لا يُسأل عما يفعل. لأن إرادته مطلقة وقدرته عامة. كما يجوز منه أن يعذب الأطفال في الآخرة بغير جرم منهم ولا ذنب. ويكون ذلك منه عدلا وحكمة، لأن الملك ملكه والمشيئة مشيئته ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، ولو عذب المطيعين وكافأ العاصين لم يكن ظالماً.

وكأنهم يقولون: يجوز على الله أن يفعل الشر ولا يكون شراً.

فإذا كنتم تجيزون أن يعذب الله الطائعين ويثيب العاصين (على ماذا؟) لكنه لا يفعل: فيلزمكم أن تجيزوا عليه أن يظلم لكنه لا يفعل.

ويبطل ذلك قوله تعالى ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾:

فالله يَعِدُ المحسن بأحسن منه، وأنتم يا مثبطة تَعِدُونه بالمجازاة بالسيئة على الاحسان بحجة أن الملك ملكه!

والله يقول «اذا تقرب الي باعاً تقربت منه ذراعاً واذا أتاني يمشي أتيته هرولة» وأنتم يا مثبطة تقولون: اذا تقرب منه يجوز أن يتباعد عنه ويعاقبه.

والله يقول ﴿**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً**﴾. ويقول ﴿**ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى**﴾.

وعندكم يا مثبطة يجوز أن يجزي الذين أساؤا بالحسنى ويجزي الذين أحسنوا بالسيئة.

ويقول النبي ﷺ لمعاذ «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال معاذ: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» [1]. فلا واجب على الله الا ما أوجبه هو على نفسه.

وكان عليهم أن يربطوا فعله بعدله وحكمته كما ربطوها بقدرته من غير وساوس ولا افتراضات (لو) التي تلوح بين قرنَي شيطان ومن نتاج عمله. حيث أخبر ﷺ أن «لو» تفتح عمل الشيطان» من غير أن يأتوا بهذه الافتراضات بعد أن قال الله تعالى في الحديث القدسي « إني

---

١) رواه البخاري (٧٣٧٣).

حرّمت الظلم على نفسي». فالله يمدح نفسه بترك الظلم ولا يمدح نفسه بإثبات العجز عن فعل ذلك.

ولقد صرّح الفخر الرازي بقول عجيب حين تناول تفسير قوله تعالى ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ وافترض السؤال التالي: كيف جاز لعيسى أن يقول: (وإن تغفر لهم). والله لا يغفر الشرك؟ قال: يجوز على مذهبنا من الله تعالى أن يُدخِلَ الكفارَ الجنة، وأن يُدخل الزّهاد والعبّاد النار». قال: وقوله ﴿**إن الله لا يغفرَ أن يُشرَك به**﴾ نقول: إن غفرانه جائز عندنا» [١].

عودة الى التحسين والتقبيح العقليَيْن

وأما قولهم إن التحسين والتقبيح لا يكون إلا بالشرع فهو قول خاطىء لا يوافقه الشرع نفسه لما يلي:

* أن الله يحل شيئاً ثم يحرمه لحكمة وهو لم يكن قبيحاً قبل تحريمه، مثلما أن الله عاقب بني اسرائيل بتحريم أشياء لم تكن محرمة قال تعالى ﴿**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم**﴾. فليس كل ما حرمه الله قبيحاً لذاته.

* أن نفي الحسن والقبح مطلقاً لم يقل به أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل أكثر الطوائف على إثباته وهو قول الحنفية نقلوه عن إمامهم أبي حنيفة رحمه الله [٢]، بل قال به من أصحاب الشافعي أبو علي بن أبي هريرة الفقيه القاضي (ت ٣٤٥ هـ) وأبو بكر القفال الشاشي الكبير (ت ٣٦٥هـ) وأبو نصر السجزي من المحدّثين (ت ٤٤٤هـ) وأبو القاسم الزنجاني (ت ٤٧١هـ).

وهؤلاء ذكروا أن نفي الحسن والقبح من البدع التي حدثت في الاسلام زمن أبي الحسن الأشعري حين ناظر المعتزلة وأبطل قولهم بنفي الحسن والقبح العقليَّين لكنه بالغ - وأتباعُه من بعده - فاحتاجوا إلى نفي قول المعتزلة من أصله. وكان عليهم أن يثبتوه بقيود لا أن يقابلوا تحسين المعتزلة المطلق بنفي مطلق. فأثبت المعتزلة مع الحق باطلا، ونفى الأشاعرة مع الباطل حقاً.

- أن الله حرّم أشياء وأحل أشياء. وسكت عن أشياء رحمة بنا غير نسيان.

---

١) التفسير الكبير للرازي (ص ١٢/١٣٦).

٢) أنظر تيسير التحرير.

- وأمرنا النبي ﷺ أن نستفتي قلوبنا وإن أفتانا المفتون في حالات معينة.
- والخمر لم تكن حسنة قبل ورود الشرع بتحريمها، بل كانت قبيحة مضرة وإن سكت الشرع عنها في أول الأمر.
- والأعمال قد تكون حسنة ظاهراً قبيحة باطناً كعمل المنافق.
- أنه ترتب على ذلك لوازم فاسدة منها:

قول الأشعرية بجواز أن يعذب الله الطائعين والأطفال والمجانين بل والأنبياء ويخلدهم في النار، وأن يثيب العاصين والكفار ويدخلهم الجنة لكنه لا يفعل[1]. ويجوز أن يأمر بالظلم والشرك والفواحش لأنه ليس في الطاعة معنى يناسب الثواب، ولا في المعصية معنى يناسب العقاب. ويلزم منه إنكار ما جاءت به الشريعة من المصالح والمفاسد والمعروف والمنكر وجحد ما في الشريعة من المناسبات بين الأحكام وعللها.

فهكذا ترى التنزيهات المزعومة في أسماء الله وصفاته وفي قضائه وقدره لم تكن في الحقيقة إلا تشويشات وشبهات على المسلمين في دينهم، لم يحصل بها نصر السنة، ولم تثمر حججاً وبراهين، وإنما حصل بها التدابر والتنازع والتفرق والتضليل وسفك دماء المسلمين: ولو علم بها كافر يريد الاسلام لفر منه فراره من الأسد.

وهي شبهات يستطيع عدوا المسلمين أن يستعملها للتشنيع على عقيدة الاسلام وتشكيك المسلمين في دينهم كأن يقول: أنتم تدّعون أن ربكم لا يفعل لحكمة لأن الحكمة تعليل والتعليل نقص على الله بزعمكم، وأنه يجوز أن يعذب المطيع ويخلد الكافر في الجنة ويحمّل عباده فوق ما يطيقون، إن كانت هذه مبادىء الاسلام فلا أدخل في دين كهذا!!!

فما أسوأ أثر علم الكلام على الاسلام والمسلمين!!

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/٩.

ثمرات نفي الحكمة والتعليل

وترتب على نفي التعليل نفي الأسباب في أفعاله الكونية فسلبوا النار خاصية الإحراق وسلبوا الماء خاصية الإرواء، فقال الأشعري « إن الخبز لا يُشبِع والماء لا يُروي والنار لا تَحرق» [1]، وأن القول بأن الأسباب مؤثرة في مسبباتها يفضي الى القول بشريك مع الله يؤثر في الأفعال، والله عز وجل هو المؤثر وحده» [2]. وذكر الزبيدي أن الله « يخلق الري عند شرب الماء ويخلق الشبع عند أكل الخبز ومن اعتقد غير ذلك فقد جعل لله شريكا في أفعاله» [3].

وقد شنع عليهم ابن حزم فقال « ذهبت الأشعرية الى إنكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في العالم طبيعة أصلا، وقالوا: إنما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة.

قالوا: ولا في الخمر طبيعة إسكار ولا في المني قوة يُحدث بها ولكن الله عز وجل يخلق منه ما شاء، وقد كان ممكناً أن يحدث من مني الرجال جملا ومن مني الحمار انساناً ومن زريعة الكزبرة نخلا.

ما نعلم لهم حجة شغبوا بها في هذا الهوس أصلا» [4].

مع أن هذه الأسباب الكونية هي أوامر كونية أودعها الله الأشياء ومنحَها خاصيّة التأثير في القابل والمنفعل بها [5].

وظنوا أن الله لو كان له غرض وغاية لقصد اليها ابتداء بدون خلق سببه، وهذا الظن خاطىء لأن الله شاء أن يرتب المسببات على أسبابها والغايات على وسائلها، والنتائج على مقدماتها ليكون هناك

---

1) حكاها عنه السبكي في طبقاته ٨/٢٢٧ محققة وانظر مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري ٢٨٢.

2) تحفة المريد للباجوري ص ٩٨-٩٩ ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

3) اتحاف السادة المتقين ٨/٥٠٨.

4) الفصل في الملل والنحل ٥/١٤.

5) لكن الحبشي يتناقض فيثبت الأسباب ومسبباتها حين يتكلم عن الوسيلة فيزعم أن هذه الوسيلة واسطة وأنه لا يفهم من الواسطة إلا السببية لأن الله أجرى العادة بربط المسببات بالأسباب (أنظر المقالات السنية ٤٧). ومن ثم يلجأ الى هذا السبب ويستغيث به من دون المسبب.

نوع من الثبات والاطراد الذي يؤدي الى ايجاد نوع من النواميس والسنن الدائمة التي لا تتغير ولا تتبدل.

○ وترتب على إنكار التأثير فتح باب وحدة الوجود حتى قال الغزالي « لا فاعل على الحقيقة الا الله وليس في الوجود سوى الله **وأفعاله**».

القرآن أثبت الأسباب

ونحن نثبت هذه الأسباب كما أثبتها القرآن ولا نعتقد أنها هي الخالقة، قال تعالى ﴿**فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات**﴾ أي بالماء ﴿**فأحيينا به الأرض بعد موتها**﴾. ونُثبت له ما أثبته لنفسه وشهدت به الفطرة والعقل من الحكمة في خلقه وأمره، إن كل ما خلقه وأمرَ به فله فيه الحكمة البالغة، لكن هذه الحكمة ليست مماثلةً للمخلوق، بل الفرق بين حكمة الخالق وحكمة المخلوق كالفرق بيَن صفات وأفعال الله تعالى وبين صفات وأفعال خلقه.

إن إثباتنا لله الحكمة في أفعاله يختلف عن طريقة المعتزلة الذين يوجبون على الله ويحرمون عليه بالقياس على أفعال عباده. وقياسهم الفاسد هذا أدى بهم الى مشابهة المجوس حيث حرموا على الله أن يكون خالقاً للشر. بينما شابه الجبريون قول المشركين ﴿**لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا**﴾.

صلاة المتلبس بالنجاسة

اشتهرت فتوى الحبشي للنساء بأنه اذا أصاب بولُ الطفل يدَ أمه أثناء وضع الرقعة (الحفايض) تكون قد ارتكبت بذلك كبيرة من الكبائر[1] مما أدى بتلميذاته الى لبس القفازات (الكفوف) أثناء عملية التغيير!

○ لكننا في المقابل نجده يتساهل في شأن صلاة المتلبس بالنجاسة، فيجيز الصلاة بالنجاسة ولو من بول الكلب أو عذرته، سواء كانت النجاسة على ثوب المصلي أو بدنه. محتجا في ذلك بفتوى (يوسف الزيات) والتي نص الإجابة فيها على السؤال التالي:

س: ما تقول السادة المالكية فيمن صلى متلبسا بالنجاسة متعمدا؟
الجواب: أن للمالكية ثلاثة أقوال في التطهر منها:
الأول : الوجوب
الثاني : السنية
الثاث : الاستحباب

والقول بالسنية قوي في المذهب، قال به جمهور المالكية. وعليه فمن صلى بالنجاسة صحت صلاته: لا فرق عند المالكية بين النجاسة المغلظة والمخففة وهذا الراجح في المذهب.. فلو كان المقلد شافعيا فانه يقلد المالكية في القول **بسنية ازالة النجاسة لصحة صلاته**، لأن المعتمد **جواز التلفيق في العبادة** بين مذهبين. **فيجوز للمصلي الصلاة بما مسه ريق الكلب من ثيابه وبدنه وبوله وعذرته**، ويجوز له أن يأكل بيده من غير غسل ولو خالط بها ريق الكلب: لأن دين الله يسر لا عسر[2].

علّق الحبشي على هذه الفتوى التي نقلها قائلا «انتهى الجواب بحروفه وهو نفيس جدا» [3]. وهكذا ظلم الحبشي بفتواه الأطفال حيث جعل بول الطفل أشد نجاسة من بول الكلب وعذرته!

فجعل التلبس بالبول حلالا داخل الصلاة، حراما خارج الصلاة!

بل يعتبر الحبشي الماء الخارج من فم النائم نجسا [4]، فصار

---

١) الفتوى مسجلة بصوته (شريط خالد كنعان ٤٢٩ الوجه الأول).

٢) اذا جاز عند الحبشي الصلاة بالنجاسة بحجة أن دين الله يُسْر: فليعتبر طلاق الثلاث واحداً لأنه يُسرٌ سنه رسول الله ﷺ ومن رغب عن سنة النبي ﷺ فليس منه.

٣) بغية الطالب ٩٩ ـ١٠٠ ط: جديدة ١٣١ ونقل هذه الفتوى النفيسة تلميذه أسامة السيد عند تحقيقه لكتاب الكفاية لذوي العناية ٢٧.

٤) بغية الطالب ١٢١-١٢٢ الطبعة الجديدة الثانية.

حكم ماء الفم عنده كحكم البول.

أما الماء الخارج من فم الحبشي فهو عطر يفوح. فقد ذكر تلميذه (نبيل الشريف) أنهم كانوا يعطون شيخهم المنديل لأن البلغم يخرج من فمه بكثرة. فكان يبصق في المنديل ويناولهم اياه فتتعلق بأيديهم رائحة عطرة تنتشر في أرجاء الغرفة. وتعلق الرائحة في يد من يتناول المنديل[1].

وهذه الفتوى التي وصفها الحبشي بأنها نفيسة تتعارض مع قوله تعالى ﴿وثيابك فطهر﴾ وقول نبينا ﷺ « لا صلاة الا بطهور». هكذا الفقه عند الحبشي: تقليد أعمى وتلفيق بين المذاهب وترجيح لشواذ الفتاوى.

○ بل هي فتوى موافقة لابن كرام (رأس الكرامية) قد ذكر أبو منصور البغدادي من حماقاته في الفقه « قوله بصحة الصلاة في ثوب كله نجس» [2].

ولقد جاء جبريل الى النبي ﷺ وهو يصلي وأخبره أن في نعله أذى فخلعها النبي ﷺ وهو في صلاته. فلو كان في الأمر يسر لما كلف نفسه بالتحرك المنهي عنه لأجل نزع أذىً ربما كان أقل نجاسة من العذرة.

ثم أليس من التناقض أن يقول « وأما الاستنزاه من البول وترك التضمخ به فإنه واجب بالإجماع» و« لا يليق بمقام النبوة أن يترشش بالبول بفعله ويتضمخ به وهو المعلم لأمته أحكام الشريعة» [3] ثم هو يجيز التلبس بالبول والغائط!

ومن التناقض جعل من معاصي البدن تنجيس المسجد ولو بشيء طاهر كالبزاق والمخاط[4]. قال الشريف « هذا حرام». فدخول المسجد بالبصاق والمخاط حرام، أما الدخول بالبول والغائط والصلاة مع إبقاء شيء من أثر الغائط عند مخرج البدن تصح به الصلاة. ويبرز هذا التناقض عندما يدافعون عن فتوى شيخهم قائلين « أليست الكلاب كانت تقبل وتدبر في مسجد رسول الله ﷺ».

لا يحب الاستنجاء بالماء

ويكره الحبشي أن يستعمل الرجل يده عند الاستنجاء ويرى ذلك

---

١) شريط مجالس الهدى للشريف رقم ٢٨.

٢) الفرق بين الفرق ٢١٢.

٣) صريح البيان ٢٨٢ و٢٨٧ من الطبعة الجديدة المجلدة.

٤) بغية الطالب أو ط: جديدة ٤٣٩ وقارنهما بصفحة ٣٢٥ جديدة ٤١٥.

أمرا قبيحا لا يعجبه [١]. وكذلك استعمال الماء عند الاستنجاء:

يقول: « وما يفعله بعض الناس عند الاستنجاء من الغائط من أن يأخذوا بالكف اليسرى ماء ثم يدلكوا به المخرج فذلك قبيح» [٢]. ونقل عن ابن التين انكاره أن يكون النبي ﷺ قد استنجى بالماء. مع أن العز بن عبد السلام قد نص في فتاويه أن الاستنجاء بالماء أفضل من الاستجمار [٣]

وهذا الذي سماه قبيحاً كان يفعله رسول الله ﷺ. فعن أنس رضي الله عنه قال « كان رسول الله يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام معي إداوة من ماء وعنزة فيستنجي بالماء» (متفق عليه).

وقول أبي هريرة كان النبي ﷺ اذا أتيته بماء في تور أو ركوة فاستنجي..». وعنه مرفوعاً « نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية» [٤].

وبناء على هذا وبمقتضى ما قيل لسلمان رضي الله عنه « علّمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة» نقول: هذا الحبشي لا يحسن تعليم أتباعه حتى الخراءة.

○ وأفتى بأنه يسن تقديم الاستنجاء على الوضوء غير أنه قال: فإن أخّر الاستنجاء الى ما بعد الوضوء صح [٥].

ولعلك تتساءل: ما هذا الذي (صح)؟ هل صح استنجاؤه بعد الوضوء؟ أم بقيت صحة وضوئه مع استنجائه؟

واذا كان وضوؤه صحيحا مع تعلق بقايا النجاسة في بدنه صحت صلاته! فأيهما أسوأ: تعلق النجاسة بحذاء المصلى بما اقتضى نزول جبريل ليحذر النبي ﷺ منها: أم تعلقها ببدن المصلي!

---

١) شريط خالد كنعان (٤٧٠) الوجه الأول.

٢) بغية الطالب ٦٨.

٣) فتاوى العز بن عبد السلام ص ٢١٥.

٤) رواه أبو داود والترمذي والبيهقي وابن ماجة بسند فيه علتان: يونس بن الحارث وابراهيم بن أبي ميمونة كما نص عليه في المجموع (٢/٩٩) والحافظ في التلخيص (١/١٤) خلافاً لما قاله في الفتح (٧/١٩٥) غير أن للحديث شواهد تحسنه من ذلك ما جاء عن عويم بن ساعدة الأنصاري أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: ان الله تبارك وتعالى قد أحسن الثناء عليكم في الطهور...» رواه أحمد ٣/٤٢٢ والحاكم ١/١٥٥ وانظر الارواء للألباني ١/٨٥.

٥) (بغية الطالب ٦٨ (طبعة جديدة ٩٦).

وهذه فتوى قال بها بعض علماء الأمة ولكن غرضنا هنا تبيين تناقض الحبشي فإنه يرى أن الأم اذا إصاب بول طفلها يدها فإنها تكون مرتكبة كبيرة من الكبائر، وهذه الفتوى مسجلة بصوته. فهل بول الطفل أعظم من بول وغائط الكلب. وكيف يفتي بجواز ترك آثار الغائط على البدن من حكم بحرمة وصول شيء من بول الطفل على البدن؟!

تجوز الصلاة عنده مع كشف العورة

○ زعم الحبشي أنه يجوز دخول الحمام ولو كان فيه كشف للعورات ويحفظ بصره، ولا يلزم الإنكار الا في السوأتين، وأنه لا يُنكَر على من يصلي بالكلسون فقط. يعني يقر الحبشي على من يصلي وجسده كله مكشوف الا السوأتين فقط» [1]. مع أنه أفتى بأن الفخذ عورة، أثبت ذلك في الطبعة الجديدة من كتابه (بغية الطالب ٣٦٩ ط: مجلدة) بينما صرح في كتابه صريح البيان بأن الفخذ ليس بعورة [2].

فيا فقهاء الاسلام أفتونا في صلاة رجل تعلقت ببدنه النجاسة وتلبس بنجاسة الكلب وبوله وعذرته وصلى بالكلسون؟

والحقيقة أن مناقشة الحبشي ليس من أجل مسألة فرعية ثانوية بالنسبة لمخالفته التوحيد ولكن المناقشة بسبب الانحراف في مسلكه المنحرف في معالجة المسائل:

فقد نقل عن المرداوي في الانصاف (٤٤٩/١) أن مذهب أحمد أن العورة هما الفرجان فقط. وهذا تلبيس ماكر منه حيث تجاهل قول المرداوي « الصحيح من المذهب أن العورة هي ما بين السرة والركبة. وعليه جماهير الأصحاب» [3].

ومن هنا أحذر من التسليم بالنصوص التي يحيل اليها الأحباش من غير توثق منها فبعد التجارب العديدة تبين لنا أنهم يقتطعون النص ويأخذون منها حاجتهم ويكتمون منها ما يثبت خيانتهم.

وقد نقل عن النووي في المجموع (١٦٩/٣) « وقال داود ومحمد

---

١) بغية الطالب ١٣٩ (الطبعة الجديدة).

٢) صريح البيان ١٥٦ أو ٢٩١ من الطبعة الجديدة المجلدة.

٣) الانصاف للمرداوي ٤٤٩/١.

بن جرير وحكاه في التتمة عن عطاء عورته (أي الرجل) الفرجان فقط»[1]

وزعم الحبشي أن القول بأن الفخذ ليس بعورة هو قول مالك. وهي لعبة قديمة في نقل أقوال بعض المالكية ومن ثم نسبتها الى مالك صاحب المذهب.

والحق الذي لا أعتقد يخفى عليه أن القول بأن الفخذ عورة هو قول الجمهور، فقد ذكر النووي خمسة أوجه عند الشافعية الصحيح المنصوص منها أنها ما بين السرة والركبة» وذكر النووي أن مذهب مالك كمذهب الشافعية والجمهور في كون الفخذ عورة [2]. فليست هذه طريقة أهل الحق في عرض المسائل.

مذهب النبي ﷺ أن الفخذ عورة

وقد اعتمد جماهير العلماء القاعدة المتفق عليها وهي أنه اذا تعارض قول وفعل قدم القول على الفعل.

ولقد قال ﷺ « غط فخذيك فان الفخذين عورة» رواها البخاري في تاريخه (١٣/١/١) وأحمد (٢٩٠/٥) قال الحافظ ابن حجر « فوقع لنا عالياً مع اتصال السماع» [3].

وأما حديث عائشة « كان النبي ﷺ متكئاً في بيته كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه...» ففي النص شك وقع من الراوي هل كان كاشفاً فخذيه أو ساقيه. ولهذا قال الحافظ ابن حجر « وفي الاستدلال به نظر من أجل الشك فيه» [4].

وقد أدرك الحبشي هذا الشك الذي سببته عبارة (أو ساقيه) وأنه يبطل الاحتجاج بالحديث فأسقطها من الحديث مما حدا بأحد الاخوة الغيارى الى تعميم منشور بعنوان (عبد الله الحبشي والدعوة الى الفواحش) كشف فيه هذا التحريف قائلا « أسقط - أي الحبشي - من الحديث لفظة (أو ساقيه) ليروج قوله». الأمر الذي اضطر الحبشي الى إثباتها في الطبعة الأخيرة المجلدة من كتاب صريح البيان والتي زعموا أنها الطبعة الأولى [5].

---

١) صريح البيان ٢٩٢ ط: مجلدة.

٢) المجموع ١٦٨/٣.

٣) كتاب موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر ١٢٠/٢.

٤) كتاب موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر ١٢١/٢.

٥) قارن بين صريح البيان ١٥٦ وبين الطبعة الجديدة المجلدة٢٩٢.

وأما حديث أنس « ثم حسر الازار عن فخذه» فقد قال فيه الحافظ ابن حجر « وقد اختلف في ضبط الإزار هل هو بالرفع أو بالنصب؟ والمشهور الثاني ورجح الاسماعيلي الأول» [١].

قلت: فكيف اذا انضاف الى ذلك وقوع لفظ (الانحسار) فقد وقع في رواية مسلم بلفظ « انحسر الإزار عن فخذ النبي» وكذلك رواها أحمد بنفس اللفظ[٢].

وهذه رواية صحيحة معتمدة في حل الإشكال في الرواية الأخرى. والحديث يفسر بعضه بعضا. ولكن الحبشي لا يشير اليها، وإنما يتجاهلها لأن طريقة أهل الكلام المجادلة عن الباطل مع العلم ببطلانه.

- وانحسار الازار عنه ﷺ ليس حجة على جواز كشف الفخذ كما أن انكشاف عورة موسى عليه الصلاة يوم أن كان يغتسل ليست حجة على جواز كشف العورة.
وهل من تعظيم النبي ﷺ التشكيك بين أقواله وأفعاله، وفتح باب من الطعن فيه ﷺ بأن يقال: لقد نهى نبيكم عن كشف الفخذ ونص على أنها عورة ثم هو يكشف عمدا عن فخذه؟!

والمهم في المسألة أن الحبشي يحتج بذلك على جواز صلاة الرجل بالكلسون والنبي ﷺ الذي انحسر إزاره وهو على الفرس لم يحسر عنه ويكشف فخذه في الصلاة. ولم يثبت عن أحد من أصحابه أنه فعل ذلك. وهناك فرق بين العورة داخل الصلاة وخارجها، ومثل لذلك ستر المنكبين في الصلاة لأنهما عورة في الصلاة وليس كذلك خارج الصلاة.

فماذا يقول الحبشي في رجل دخل المسجد للصلاة وهو باللباس الداخلي (الكلسون) فهل يجوز لنا أن ننكر عليه أم نتركه لوجود الخلاف في ذلك، أو نسأله: هل تعتقد أن الصلاة هكذا جائزة، فإن الحبشي يحتج بأنه اذا كان يعتقد أن الصلاة بالكلسون فقط جائزة فنتركه.

ولكن: ماذا عساه أن يقول لو كثر عدد الداخلين الى المسجد على هذه الهيئة وكانوا مئة أو مئتين؟!

---

١) كتاب موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر ٢/١٢٠.
٢) مسلم رقم (١٣٦٥) كتاب الجهاد باب غزوة خيبر. المسند ٣/١٠٢.

هل الخلاف حجة في عدم الانكار[1] ؟

وذكر الحبشي أن الإنكار على كاشف فخذه «ممنوع». وأن الذي ينكر هو «جاهل» بالقاعدة المتفق عليها: « لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه» [2].

أن هذا الاتفاق اذا استُعمل حجة للجواز فغير مسلم به.

ولذلك قال الشاطبي « وقد زاد الأمر على قدر الكفاية حتى صار الخلاف في المسائل معدودا في حجج الاباحة، وتأخر من الزمان الاعتماد في جواز الفعل على كونه مختلفا فيه بين أهل العلم... فيقال: لِمَ تمنع والمسألة مختلف فيها؟ فيجعل الخلاف حجة في الجواز لمجرد كَونها مختلفا فيها، لا لدليل يدل على صحة مذهب الجواز. ولا لتقليد من هو أولى بالتقليد من القائل بالمنع وهو عين الخطأ على الشريعة حيث جعل ما ليس بمعتمد معتمدا، وما ليس بحجة حجةً» [3]. ونقل الحافظ ما حكاه ابن النحاس عن قوم: أن الحرام ما أجمعوا عليه، وما اختلفوا فيه ليس بحرام. قال: وهذا عظيم من القول يلزم منه القول بحل كل شيء اختلف في تحريمه ولو كان مستند الخلاف واهيا» [4].

وسئل السخاوي عمن قال: لا يجب على المرء إنكار ما لم يجمع على تركه فذكر عن المحققين من أهل العلم استثناءهم أربع صور:

الأولى: من يعتقد التحريم كواطىء الرجعية وشارب النبيذ ولو لم يسكر.

الثانية: الحاكم فانه يحكم بما يؤدي اليه اجتهاده، ولذا قال الشافعي: أحدّ شارب النبيذ ولو كان يعتقد حله، وأقبل شهادته.

الثالثة: اذا كان الخلاف واهياً بحيث ينتقض بمثله الحكم.

الرابعة: الزوج يمنع زوجته مما تعتقد تحريمه وإن اعتقدت حله، كما لو شربت مسلمة النبيذ، وكذا الذمية لو شربت الخمر على الصحيح» [5].

---

1) وللتوسع في هذه المسألة يرجع الى فصل التقليد ص ٩٧٩.
2) صريح البيان ٢٩٢.
3) الموافقات ١٤١/٤.
4) فتح الباري ٣٥/١٠.
5) الفتاوى الحديثية ١٣٦ ط: دار المأمون للتراث دمشق ١٤١٦.

غلــو ووســوســة

يرى الحبشي أن من غلط فمد لفظ (أكبر)الى (أكبار) فسدت صلاته لأن معنى ذلك هو (الطبل) فتكون صلاته فاسدة وان جهل المعنى[1]. فحكم على المصلي بفساد صلاته وان جهل أن هذا المعنى خطأ يفسد الصلاة.

وتشدد في حكمه ببطلان صلاة من صدر عنه صوت ما في الصلاة فيقول «وتبطل الصلاة بالكلام ولو بحرفين أو حرف ولو لم يكن لهما معنى كأن يقول (أي) أو (أو) أو(آ). لكن السبكي يناقض ذلك فيذهب الى أن التنحنح في الصلاة لا يبطلها وإن بان منه حرفان»[2].

وفي مقابل هذا التشدد نجده يتهاون فيجيز مطلق التكلم في الصلاة بما هو نذر قال « ولا تبطل الصلاة بالكلام الذي هو نذر، فلو قال: نذرت لله أن أصوم الخميس. لم تفسد صلاته»[3]. ويعارض ذلك قول النبي ﷺ « نُهينا عن الكلام في الصلاة الا بالقرآن والذكر»[4] وقوله ﷺ لمعاوية بن الحكم « إن هذه الصلاة لا يحل فيها شيء من كلام الناس هذا، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[5].

وذكر تلميذه نبيل الشريف أنه « لو أن شخصا نوى بعد المغرب أن يصوم غدا ثم بقي كل ساعة يقول: أصوم غدا أصوم غدا أصوم غدا قال العلماء هذا فيه ثواب. كذلك لو أن شخصاً يتوضأ أول مرة قال نويت رفع الحدث وغسل وجهه وبعد ذلك بقي يقول: أتوضأ أتوضأ أتوضأ هذا يسمى استصحاب النية فيه ثواب. كذلك في الصلاة قال الفقهاء: لو أن شخصاً قال: أصلي الظهر الله أكبر. دخل في الصلاة، وأثناء الصلاة صار يقول: أنا أصلي الظهر أنا اصلي الظهر أنا أصلي الظهر استدامة النية فيه ثواب» (مجالس الهدى ٢٧/١٥١).

ولكن ذكر الزبيدي نقلا عن ابن الهمام عن بعض العلماء أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ بطريق صحيح ولا ضعيف أنه كان يقول عند الافتتاح أصلي كذا ولا عن أحد من الصحابة والتابعين... وهذه بدعة (اتحاف السادة ٣/٣٥) وكذلك اعتبرها الامام السرهندي الفاروقي النقشبندي من البدع المفسدة للصلاة (مكتوبات الامام السرهندي ١٦٠).

---

١) بغية الطالب ١١١.

٢) طبقات السبكي ١٠/٢٣٨.

٣) بغية الطالب ١٠٥ وقارن ذلك بصفحة ١٠٦ ١٠٧.

٤) أخرجه الطبراني ٣/٦٥/١.

٥) رواه مسلم (٥٣٧).

فتواه بإباحة الربا
من الكفار الحربيين

وأفتى بجواز أخذ الربا من الكفار الحربيين محتجاً بما أفتى به أحد أئمة الحنفية وهو محمد بن الحسن الشيباني. وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.

○ سئل الحبشي عن حكم أخذ الربا في لبنان فقال:

« هذه دار حرب عند الامام محمد بن الحسن الشيباني، عنده يكفي لكون الدار دار حرب: إظهار أحكام الكفر على وجه الاشتهار».

قيل له: اذن. أخذ الربا جائز ؟

أجاب: عنده (أي عند محمد بن الحسن) يجوز، يجوز في لبنان وغيره من كل بلد يظهر فيها أحكام الكفر على الاشتهار [١].

هذا ما قاله. ولكن كيف يمكن التمييز بين الكافر الحربي وغير الحربي؟ وهل للكافر الذمي وجود اليوم ؟

هل أعلن الحبشي الحرب على النصارى؟

أجاب قائلا « والذميون لا وجود لهم اليوم في الدنيا، وانما كانوا أيام الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين» [٢]. واذا كان الذميون لا وجود لهم اليوم فلا يعود للربا اليوم أية حرمة. ثم إن كان لا يوجد ذميون فمعناه أننا يجب أن نسميهم « **كفاراً حربيين**»

واذا كان الحبشي يجري على نصارى لبنان وغيرهم أحكام الكفار الحربيين فلا يعاملهم فقط بالربا، لأن أحكام الكفار الحربيين لا تقتصر على أخذ الربا منهم فقط وإنما يشمل ذلك سرقة أموالهم واستعباد نسائهم لتكون جواري ومملوكات لدى المسلمين فليسرق حينئذ أموالهم (أعني يغنمها!) ويسبي نساءهم.

وهل يجوز تملق الكفار الحربيين والتظاهر عندهم بالاعتدال!

نعم هذه نهاية فتواه وفتاوى أخرى له أجاز فيها سرقة النصارى واليهود ومقامرتهم واتخاذ أي طريقة تؤدي الى سلب أموالهم.

---

١) شريط: خالد كنعان في الرد على الحبشي الوجه الأول ١٦٩.

٢) شريط (٣) ٢٠ الوجه (١).

فتنبه لهذه الملاحظة وقارن بين فتواه التي تعلن الحرب على النصارى واليهود وبين الموقف المنافق الذي يقفونه اليوم من أهل الكتاب. فانهم اليوم لا يصفون النصارى بأنهم « كفار حربيون» بل يصفونهم بالمواطنين الشرفاء، مع أنهم يسرقونهم كما هو متواتر عنهم.

فالأحباش يسرقون النصارى ثم يقولون لهم: نحن معتدلون!

○ سئل: هل يجوز لنا أن نعتمد على فتوى محمد بن الحسن ؟

أجاب: يجوز لأنه امام مجتهد. ثم هذا ليس عن محمد بن الحسن فقط. بل قال ذلك امام أقدم منه اسمه عطاء بن أبي رباح، وهو تعلم العلم من الصحابة وهو يقول « لا ربا بين مسلم وكافر حربي».

غير أن الحبشي تراجع بعد ذلك قليلا فقال « والأحسن ألا تضع أموالك. فتتوكل على الله وتضعه في البيت فان كتب الله عليه الضياع فلا بد من ذلك. وان حفظه الله يُحفظ. ولكن ان لم يكن عندك قوة على هذا التوكل فضعه في بنك ليس له مساهم مسلم بل يكون كل المؤسسين كفارا. ضعه هناك وخذ عليه فائدة، هذا ان أردت أن تستفيد فان تحققت الاستفادة فانه يجوز» انتهى كلام الحبشي [(١)]. هكذا تنتقل المسألة عنده من الحرمة الى الحل بمجرد تحقق الاستفادة. ولهذا أسماها الربويون ((فائدة)).

---

١) شريط (٣) ابتداء من الوجه الأول.

التعقيب على فتواه

وهذه في الحقيقة فتوى أبي حنيفة رحمه الله، استدل لها بحديث لا أصل له، وهو «لا ربا بين مسلم وكافر حربي». وقد رد عليه الأوزاعي وغيره.

قال الشافعي رحمه الله « قال أبو يوسف: انما قال أبو حنيفة هذا لأن بعض المشيخة حدثنا عن مكحول عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا ربا بين أهل الحرب (أظنه قال): وأهل الاسلام. قال الشافعي « وهذا ليس بثابت ولا حجة فيه» [1].

وانما أراد الشافعي بقوله هذا منع الاحتجاج بهذه الرواية في اباحة الربا بعد أن جاء الاسلام بتحريمه.

ولقد بلغ أبو يوسف رحمه الله غاية الانصاف حين خالف ما ذهب اليه أبو حنيفة رحمه الله ووافق الأوزاعي قائلا « القول ما قال الأوزاعي، لا يحل هذا ولا يجوز [2].

على أن رجوع أبي يوسف دليل على عدم صحة رواية مكحول وإلا لما أجاز لنفسه الرجوع عن قول الرسول ﷺ الى قول الأوزاعي. لكن الحبشي نقل عن السرخسي أن الإرسال من الثقة مقبول وهو خلاف قول جمهور أئمة أهل الحديث وعلى رأسهم النووي ومسلم. والقبول ليس على إطلاقه، فإن الجمهور على أن هذه المراسيل لا تقوم بها حجة ولا يجوز معارضة الثابت القطعي بها [3] لا سيما اذا أراد مبطل مخالفة القرآن بها.

---

١) أنظر نصب الراية للزيلعي ٤٤/٤ وقد ذكر الجويني أن بضاعة أبي حنيفة في الحديث مزجاة (مغيث الخلق ٣٥).

٢) أنظر كتاب: الام للشافعي ٣٥٨/٨ـ٣٥٩.

٣) وهو مذهب النووي في التقريب. ونسبه لأكثر الأئمة من حفاظ الحديث ونُقّاد الآثار، وهو قول مسلم كما في صحيحه ٣٠/١. ومنهم من قبله بشروط كالشافعي، وقال الحافظ في النكت نقلا عن الاسفراييني: إذا قال التابعي « قال رسول الله» فلا يُعَدّ شيئاً ولا يقع به ترجيح فضلا عن الاحتجاج به» (النُكت ٥٤٥/٢).

والحق أن مكحولا موصوف بالتدليس كما صرح الذهبي [١]. قال الحافظ في التقريب « كان يدلس عن عائشة وعبادة والكبار، وذكر ابن أبي حاتم جماعة من الصحابة ممن روى عنهم مكحول ولم يسمع منهم كأنس وأبي أمامة وواثلة» [٢].

وأما التعلق بأن عطاء أخذ العلم من الصحابة، فهذا تعلقٌ بقشة. وإلا فما من أحد من الصحابة ثبت عنه مثل هذه الفتوى. وكون عطاء أخذ العلم من الصحابة فهذا لا يجعله معصوما من الخطأ فقد قال ابن عباس بجواز المتعة حتى نهاه عن ذلك عمر. وقد قال أبو بكر « أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم». فما من عظيم من عظماء الأمة الا ويُعرض قولُه على الكتاب والسنة.

الاحباش يستدرجون شيخهم

○ سئل الحبشي : البنوك الفرنسية مثلا في لبنان ليس فيها أجانب (غير مسلمين) وانما القائمون عليها مسلمون فهل يشترط أن يكون الموظف كافرا؟ أجاب: ليكن الموظف كافرا.

○ سئل: هذا يصعب فان موظفي البنك الفرنسي مسلمون! أجاب: يوجد يوجد. أطلبوهم، يوجد مدير للبنك كافر في بيروت.

○ ثم زاد الأمر تسهيلا أمام المكثرين من الأسئلة الذين يستدرجونه الى مزيد ترخص فقال ((ووجود موظفين مسلمين لا يؤثر. انما الشرط أن يكون مقاولك الذي تتفق معه كافرا. المهم أن تجري عقدك مع كافر)).

○ سئل : وهل يجوز أن يوكل رجل موظفا مسلما موظفا في البنك فيقول : وكلتك في فتح حساب مع موظف نصراني ؟ أجاب: يجوز. فقام واحد من تلاميذه وزاد على قول شيخه: فان لم تجد في صيدا مثلا موظفا نصرانيا فانك توكل الموظف المسلم أن يفتح لك حسابا في بيروت مع موظف نصراني. فوافق الحبشي قوله ذلك.
ثم قال الحبشي للسائل: فان وضعته فتكون وافقت مذهب هذين الامامين الجليلين ما عليك حرج.

---

١) . تعريف أهل التقديس ١١٢ الثقات لابن حبان ٥/٤٤٧.
٢) تهذيب التهذيب ١٠/٢٩٢ والتدليس في الحديث للدميني ٣٥٢-٣٥٤.

أخلاق اليهود

وهذا ليس من خُلُق الاسلام ولا من هدي نبينا ﷺ بل هو من أخلاق اليهود القائلين [1] « لا تقرض أخاك بربا: للأجنبي تُقرض بربا ولكن لأخيك لا تُقرض بربا لكي يباركك الرب الهك في كل ما تَمتد اليه يدك في الأرض التي أنت داخل اليها لتمتلكها» . فأين هذا من أخلاق الاسلام وأخلاق النبوة؟

تحايل على الله

ثم نبه الحبشيُ السائلَ فيما لو قيل له : هذا المال الذي تعطيه للكافر: أليس هو يستفيد منه ويأخذ به الربا من مسلمين آخرين ؟

فعلمه التحايل بأن يقول « أنا ما عندي علم يقين بأن البنك سيأخذ مالي ويعطيه دَيْناً للناس. بل يجوز أن يكون هذا البنك يأخذ مالي للتجارة أو يشتري به بضاعة، ليس عندي علم يقين، أنا أعرف أني وضعت مالي عنده وآخذ منه المبلغ الذي شرط لي كل شهر أو ثلاثة أشهر أو كل سنة» انتهى. وهو مسجل بصوته.

تعقيب أخير

هذه فتوى الحبشي في اباحة الربا، وقد كانت على مراحل ثلاث:

الأولى : اباحة الربا في البلد الذي تظهر فيه أحكام الكفر.

الثانية : اباحته في البنك الذي مؤسسوه من النصارى وان كانوا في بلد مسلم بشرط أن يكون العقد مع موظف نصراني.

الثالثة: جواز ابرام عقد الربا مع موظف مسلم بالنيابة عن الكافر.

كلمة وردها

قد ادعى الحبشي أننا نقول إن الذي يصلي على النبي ﷺ يكون مثل الذي يزني بأمه [2] وهذه تهمة لا يقول بها عاقل. فالذي يضيف على صيغة الأذان ما لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه يكون مبتدعاً ولا نؤمن أنه يكون مثل الذي يزني بأمه: ولكن الربا الذي يستحله الحبشي أدنى درجاته كأن يزني الرجل بأمه، قال ﷺ « الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه» وفي رواية «كاضطجاع

---

١) التثنية١٩:٢٣ وانظر ١:١٥.

٢) كراس الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ٦ مفرغ عن أشرطة الحبشي جمع كنعان الدبوسي.

الرجل مع أمه»[1] . فالحبشي يروج لمعصية شر من الزنا .

لقد قام أحد أتباعه المقربين اليه (نزار حلبي) يحذر في أحدى خطبه من مشايخ السوء وأئمة الضلال، الذين يفتون بغير علم، يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله منتهزين فرصة الفوضى في لبنان فقال: قال ابن سيرين «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم. قال: فلا يجوز لك ان سمعت فتوى خاطئة أن تقبلها وتقول هذه فتواه ولا علاقة لي. فلو أفتاك بجواز الربا فعندنا قول الله تعالى ﴿**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**﴾. وقوله تعالى ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ [2].

ولكن ماذا يقول في شيخه الذي استحل الربا وجعله كالبيع؟ هل يلتمس له التأويلات ؟؟

جواز مقامرة الكافر لسلب ماله

وأجاز للمسلم سلب أموال الكفار ولو بطريق القمار، وذلك تقليداً منه لابن عابدين [3]. قال « وكذلك لو باعهم ميتة أو قامرهم وأخذ منهم مالاً بالقمار فذلك المال طيب عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله». واستدل بمراهنة أبي بكر للمشركين يوم نزلت ﴿**ألم غُلِبَت الروم في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غَلَبِهم سيغلِبون**﴾ [4]. وروايات هذه القصة لا تخلو من قول **الصحابي** «وذلك قبل أن يُحرَّم الرهان» [5].

وأفتى بجواز المراهنة، وإن حرّمه في الابتداء. وأن جواز ذلك يكون من المسلم في حق الكافر مستدلا بمراهنة النبي ﷺ لركانة على غنم[6] والرسول قبِل بمراهنة ركانة ثم ردّ عليه السلام على ركانة غنمه.

---

١) الطبراني في الاوسط وهو حسن بشواهده (الصحيحة ٤/٤٨٨).
٢) شريط (٣) ٣١٠ الوجه الأول.
٣) صريح البيان ١٣٣.
٤) صريح البيان ١٣٤.
٥) البغوي ٦/ ٢٦٠ زاد المسير ٦: ٧٠ الطبري١٤/ ٢٠
٦) صريح البيان ١٣٤.

فتواه في السرقة

وسئل عن قوم عندهم مزرعة وجيرانهم غير مسلمين: هل يجوز سرقة زروعهم وبقرهم؟ فأباح ذلك للسائل بشرط أن لا تؤدي سرقته الى فتنة [1].

* **ومن صور التحايل** أنه سُئل عن حكم من ربح من عمل حرام واشترى به لباسا فماذا يعمل بهذا اللباس بعدما تعلم الشرع ؟

أجاب: الذي بيده مال حرام: ان كان من سرقة أو غير ذلك وجاء الى مكان تباع فيه البضائع أو باب أو دكان فقال: بكم تبيعني هذه البضاعة؟ قال: بكذا. قال: اشتريتها بهذا المبلغ فقال ذاك: خذها بعتُك.

هذا بعد ذلك دفع له الثمن من هذا المال الحرام. فهذا الشيء دخل في ملكه: إن كان ثوبا يجوز أن يلبسه، إن كان سيارة يجوز أن يستعملها[2].

هذا موجز عن أهم مسائل الربا والقمار والرهان والسرقة التي أفتى هذا الرجل بحلّها تحت ذرائع شتى، مع أن العالَم يخبط خبط عشواء بسبب هذه المَفاسد الثلاثة: الربا والقمار والرهان. فهل هذا من التقوى والورع واتباع السنة الذي وصفوا به شيخهم عندما ترجموا لسيرته وحكوا عن منهجه وأنه شديد الحرص على السنة، شديد على أهل البدع؟!

وهي فتاوى تعمل بها فرقة الأحباش تتقرب الى الكفار زلفى بشعار الاعتدال ومحاربة التطرف، وهذا تناقض، فقد كثرت سرقات الأحباش.

واذا سئلوا: كيف تسرقون وأنتم تزعمون أنكم على حق؟
قالوا: اتق الله ولا تقل (تسرقون) فانه سلْب حلال، وليس سرقة.
واذا قيل لهم: كيف تثنون على من تعتبرونهم كفارا حربيين؟
أجابوا: الحرب خدعة.
وسيعلمون غدا من المخدوع الحقيقي.

---

1) شريط٢ وجه ب (٧٠٩).

2) شريط (٦) وجه ١١٠٠/١ وقد بلغني أن الأحباش ادعوا أني اختلقت له هذه الفتوى وأنه لم يقل شيئا من ذلك. وقد صدر مني شريط حول موقف الحبشي من السرقة وفيه نص كلامه هذا بحروفه.

فتـــواه فـي الزكــاة

يرى الحبشي أن العملة الورقية المستعملة في هذا العصر كالدولار وغيره لا زكاة عليها لأنها ليست داخلة في قوله تعالى ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة**﴾ [التوبة ٣٤] وأن هذه العملة المستعملة في هذا العصر لا تجب فيها الزكاة عند الامامين الشافعي ومالك. وتجب عند أبي حنيفة لأنها تروج رواج الذهب والفضة [١].

ثم أيد القول بعدم الزكاة عليها قائلا « لا زكاة في الأثمان غير الذهب والفضة، لأن النبي ﷺ لم يذكر زكاة غيرها». انتهى [٢]. ونهى عن الاعتراض على القائلين بعدم الزكاة عليها فقال « فان اعترض معترض على الامامين المذكورين قيل له: ليس لك أن تنكر، فان مذهبيهما يلحظان الى أن الله تبارك وتعالى ما ذكر في آية براء وعيدا الا فيمن منع زكاة الذهب والفضة. قال تعالى ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾. فكيف يعترض على الامامين ومأخذهما هذا النص. فليس للحنفي أن يعترض على مذهبَيْ الامامين [٣].

منهج الحبشي في التحليل والتحريم

وقبل الرد على هذه الفتوى نشير الى أن الحبشي داعية الى التقليد المحض والتعلق بفتوى أي إمام معتبر تعلقا لا يحتاج معه الى دراسة أدلته، مع أنه يوجد أئمة معتبرون آخرون خالفت فتواهم فتواه وأتوا بأدلة أخرى مخالفة لأدلته. فلا يهم عند الحبشي معرفة أين الحق في الأمر أو تمييز المجتهد المصيب من المجتهد المخطىء والتمسك بالقول الحق المؤيد بالدليل. وإنما المهم أن تتمسك بفتوى تميل اليها نفسك.

ثم إن موقفه هذا يعتبر استهانة بركن الزكاة، فان التعامل النقدي كان مقصورا على الذهب والفضة دون غيرهما ولذلك رأى بعض الأئمة قصر الزكاة عليهما. أما اليوم فانهما قد استبدلا بالعملة الورقية التي تؤدي عملهما من حيث الحقيقة وتخالفهما من حيث الشكل.

---

١) بغية الطالب ١٦٠ (٢٠٧ من الطبعة الجديدة).

٢) بغية الطالب ١٦٩.

٣) بغية الطالب ١٦٠ صريح البيان ١٢٨.

فاستعمال هذه الفتوى اليوم ليس من النصيحة في الدين بل من الغش والخداع وإغراء الناس بالمذهب عن طريق عرض الفتاوى المتساهلة في الدين والتي تناسب أهواء المترخصين.

وهذه القضية لم تطرأ الا في هذا العصر وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى حين حرمت أغلب الدول التعامل بالذهب والفضة وجعلتهما أرصدة مخزونة يغطيان الأوراق المتداولة نيابة عنهما. بينما كان الأمر على عهد الشافعي ومالك مختلفا تماما، فان الذهب والفضة لم يكونا من قبل ممنوعين. أما اليوم فقد صارا مكنوزين في البنوك المركزية لتغطية العملة الورقية المتداولة. وصارت هذه العملة الورقية بمنزلة الذهب والفضة بدليل:

- أنه يمكنك أن تشتري بهذا الورق ما شئت من ذهب ومن فضة.
- أن النبي ﷺ قال « من أعطى زكاة ماله» وهذا الورق يصح اطلاق لفظ المال عليه. فمن ملك هذا المال يسمى عند الناس غنيا، ومن لم يملكه يسمى فقيرا، ومن أخذ قليله اغتنى به.
- أن النبي ﷺ قال لمعاذ لما انتدبه على أهل اليمن «فأعلمْهم أن الله قد افترض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وتُرَدُّ على فقرائهم». فهذا حق الفقراء، وهذه الفتوى الباطلة انما تؤدي الى حرمان الفقير حقه من أهل الأموال.
- أن من كان يملك آلافا مؤلفة من العملة الورقية ولا يملك الذهب والفضة: ففي أي جانب يكون؟ أيكون في جانب الأغنياء أم الفقراء؟
- أن جمهور فقهاء العصر على وجوب زكاة الأوراق النقدية سوى الأحناف الذين اشترطوا لزكاتها صرفها بالمعدن الثمين (الذهب والفضة)[1].
- أنها صارت ثمنا للأشياء بدلا من الذهب والفضة وينتفع بها صاحبها انتفاعه بهما.
- أنها مغطاة بالذهب والفضة متأثرة بهما سلبا وايجاباً ولو سحبا من البنوك المركزية لم يعد للأوراق قيمة.
- أن القول بعدم الزكاة فيها منع لركن الزكاة وتعطيل له، فانها اليوم من أعظم أنواع أموال الزكاة.
- أن القائلين بعدم الزكاة فيها أحد اثنين:

---

١) الفقه الاسلامي وأدلته٢:٧٢.

إما مجتهد مخطىء مخالف لما أجمع عليه جمهور الأمة وقوله شـاذ.

واما مفسد يتحرى الشاذ من الفتاوى لينشرها بين المسلمين بغرض اضلالهم وفتنتهم في دينهم.

أما الأول فنسأل الله له المغفرة وأن يجعل له نصيبا من الأجر ان كان مجتهدا متأولا.

وأما الثاني فنسأل الله تعالى أن يمكر به ويفضحه بين المسلمين.

وتجدر الاشارة الى أنه حتى زكاة الذهب أو الفضة التي لا مفرّ للأحباش من أدائها فإنهم لا يلبثون أن يستردوها بطريق الحيلة على الله، فيعطيها أحدهم لأخيه المستحق للزكاة ثم يطلب منه أن يوهبه اياها أو بعضها من باب الهدية.

فهذا مذهب من لم يقدر الله حق قدره، ولم يع ما يليق بالله من صفات السمع والبصر والعلم بما تخفي الصدور.

من فتـاوى الحـبشـي

سئل الحبشي عن حكم ذبيحة من لا يصلي فقال «تؤكل» فقيل له: وهل يجوز أن تؤكل اذا لم يذكر اسم الله عليها؟ قال: نعم تؤكل» (١).

○ فتواه حول حكم شرب الخمر

وسئل عن حكم شرب الخمر فقال « عند بعض الفقهاء لا يجوز التداوي بالخمر في حال من الأحوال. يجوز عند بعضهم اعطاء المريض جرعة من الخمر لاساغة اللقمة بالنسبة لمن أصيب بالغصة، يجوز أن يسيغ اللقمة بالخمر، وقال بعضهم يجوز التداوي بالخمر ان لم يوجد دواء غيره» (٢).

فهذه فتوى ينشرها هكذا أمام عوام الناس الذين لا يخفى ميلهم الى الرخصة والتسهيل والاتكال على فتوى شيخ.

قلت: حقاً إن هذا الرجل مدلس. فالعلماء لم يقولوا: يجوز شرب الخمر لدفع الغصة، وإنما إذا لم يجد الماء، بل لم يجد أمامه الا الخمر وأصابته غصة وخشي على نفسه الهلاك، قالوا: فله دفعها بشيء من الخمر تزول به الغصة، وهذا من باب الضرورات المفترضة.

ولا يمكن لرجل أوتي الحكمة أن يخاطب العوام بما يفتح لهم ذرائع الشر وأبوابه. ودليل ذلك أن هذا الرجل لم يذكرهم بقول النبي ﷺ « ما جعل الله دواءكم من حرام». ولكنه أحالهم على شواذ الفتاوى.

ولقد اعتبر الأحباش ابنَ تيمية قائلا بفناء النار لمجرد حكايته قولين للعلماء مع أنه صرح في عديد من كتبه أن القول بفناء النار بدعة الجهمية مخالفة للسلف. فماذا يقول الحبشي لو ألزمناه بأنه يتبنى القول بجواز شرب الخمر لإساغة اللقمة؟ وكيف كان الخمر جاهزا عند المسلم حتى استطاع أن يتناول جرعة لازالة الغصة أثناء الطعام؟ وماذا لو تكررت الغصة فشرب مع كل غصة كأساً؟

---

١) شريط: الحبشي رقم ٣ عداد ٦١٦.

٢) شريط رقم ٧ عداد ٤٠٠.

فتواه جواز القمار(اليانصيب)

في البدء حرّم الحبشي اليانصيب ولكن على الغني فقط، بينما أباحه للفقير.

وتبدأ مرحلة الاستدراج وخطواتها بإباحة القمار للمحتاج الفقير وذلك بأن يأخذ ما يربحه من أموال اليانصيب فيأخذ منه حاجته ويوزع الباقي على المستحقين، فهذا المال عنده بمنزلة المال الضائع، قال: ويجوز إنفاق المال الضائع على المرافق العامة للمسلمين [١].

غير أن هذا المال مأخوذ من أموال الناس بالباطل وبالتالي تم تضييعه عمداً، وساعد على ذلك الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ولا يزال الناس يَعدون أنفسهم بالربح العظيم ويلقون بكل أموالهم بل قد يقترضون أموالا من أجل شراء قسائم اليانصيب ومع ذلك فقد لا يربحون شيئاً. وفرقٌ بين المال الضائع وبين المضيَّع بطريق العمد.

استباحة القمار والمراهنة

وزعم أن النبي ﷺ أجاز القمار بين أبي بكر وبين قريش بسبب أنه كان بمكة في دار الشرك[٢].

وزعم أن جوازه إنما يكون من المسلم في حق الكافر، لكنه احتج بمراهنة النبي ﷺ لركانة على غنم[٣] مع أنه قبِل ﷺ بمراهنة ركانة ثم ردّ عليه غنمه. فهل كان ركانة آنذاك كافراً؟!

وأما الاحتجاج بمراهنة أبي بكر للمشركين على انتصار الروم فإن هذه الروايات لا تخلو من قول الصحابي « وذلك قبل أن يُحرَّم الرهان»[٤].

وبالرغم من تصريحه بأن النبي ﷺ أجاز لأبي بكر القمار فإنه قد ختم فصل القمار بتلك العبارة المظهرة للشك والتناقض إذ قال « ونحن لا نحبذ لأنفسنا ولا لغيرنا العمل بذلك وإنما ننقل ما قاله من قبلنا من الائمة، لأن كثيراً من الناس اليوم صاروا منغمسين في الربا المتفق على

---

١) صريح البيان ١٣٦.

٢) صريح البيان ٢٦٥ الطبعة الجديدة المجلدة.

٣) صريح البيان ١٣٤ أو ٢٦٥ من الطبعة الجديدة المجلدة.

٤) تفسيرالبغوي٦/ ٢٦٠ زاد المسير٦:٧٠ الطبري ١٤/ ٢٠

تحريمه... فقلنا لهم: بعض الشر أهون من بعض»[1]

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لا يحبذ ذلك وقد صرح بإجازة النبي ﷺ ذلك؟ وكيف يكره العمل بشيء فعله أتقى هذه الأمة بعد نبيها وهو أبو بكر!!!

ولا ننسى أيضاً أنه حتى الربا المتفق على تحريمه قد جعل الحبشي للربويين فيه مخرجاً في أخذه.

فاستخف قومه فأطاعوه

ثم إن الحبشي يتحدث عن جواز مقامرة الكافر بطريقة تبدو وكأن الربح والحظ سيظلان حليفَي المقامر المسلم وكأن الكافر سيظل هو الخاسر الدائم، هذا استخفاف بعقول العامة، إذ ماذا لو كان المسلم أولا هو الرابح ثم صار في الجولة التالية هو الخاسر وسأله الله يوم القيامة عن ماله: من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وقال له: أفتاني الحبشي أن أكتسبه من مقامرة الكافر ولكني أنفقته رغما عني على الكافر حين غلبني بالمقامرة!!

1) صريح البيان ٢٦٦ الطبعة الجديدة المجلدة ٢٦٦.

طريقته في اباحة الحيلة على الله

لقد جعل الاسلامُ من أصوله الهامة مبدأ سد الذرائع، وذلك لتجنيب الناس ليس الحرام فقط، وإنما قطعهم أيضاً عن الوسائل المؤدية إليه ليسدّ الطريق الى الفساد بكل ممكن، غير أن ثلة من المحتالين يأبون إلا فتح الطريق اليها بحيلهم التي يظنونها تنطلي على عالِم الغيب والشهادة.

انما الاعمال بالنيات

- قال ابن بطال في قوله ﷺ « انما الأعمال بالنيات» والاستدلال بهذا الحديث على سد الذرائع وابطال التحيل من أقوى الأدلة»[1].

ومن المقرر عند أهل العلم أن كل حيلة يتوصل بها الى ابطال حق أو اثبات باطل فهي حرام. كما بين الحافظ ذلك. وأن العمدة في البيوع والمعاملات على المقاصد والمعاني لا على الألفاظ والمباني.

- وذكر الحافظ أن مذهب الشافعي كراهية تعاطي الحيل وأكد المحققون في مذهبه أن كراهيته كراهة تحريم ويأثم بقصده، ويدل عليه قوله « وإنما لكل امرىء ما نوى» فمن نوى بعقد البيع الربا: وقع في الربا ولا يخلصه من الإثم صورة البيع.

ومن نوى بعقد النكاح التحليل كان محللا ودخل في الوعيد على ذلك باللعن ولا يخلصه من ذلك صورة النكاح، وكل شيء قُصد به تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله كان إثماً، ولا فرق في حصول الإثم في التحليل على الفعل المحرم بين الفعل الموضوع له والفعل الموضوع لغيره إذا جعل ذريعة له» وذكر ما نقله النسفي الحنفي في الكافي عن محمد بن الحسن أنه قال « ليس من أخلاق المؤمنين الفرار من أحكام الله بالحِيَل الموصلة الى إبطال الحق»[2].

---

١) فتح الباري ١٢/٣٢٦.

٢) فتح الباري ١٢/٣٢٨ - ٣٢٩.

موقف أهل العلم من الحيل في الدين

- وقد نفى ابن بطة أن يقال لمن يفتي بالحيَل « مفتي أو فقيه» لأن الفتوى عند أهل العلم **تعليم الحق والدلالةَ عليه**، وأما من علّم الحيلة والمماكرة في دين الله والخديعة لمن **يعلم خائنة الأعيُن وما تخفي الصدور** حتى يُخرج الباطل في صورة الحق: فلا يقال له مفتي ... وقد علم المؤمنون والعلماء... أن الحيلة على الله وفي دين الله لا تجوز ... ﴿**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه**﴾ [البقرة ٢٣٥] ﴿**قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله**﴾ [آل عمران ٢٩] ﴿**ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه**﴾[ق ١٦].

- قال ابن بطة « وأصل الحيلة في شريعة الاسلام خديعة، والخديعة نفاق، والنفاق عند الله عز وجل أعظم من صراح الكفر، قال تعالى ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون**﴾[البقرة ٩].

- قال « أفلا ترى أن المنافقين أظهروا قبول الأحكام الاسلامية وألزموا أنفسهم التديّن بها حيلةً بذلك وخديعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين ليحقنوا بذلك دمائهم ويحفظوا أموالهم، فأعطاهم ما أرادوا بما أظهروا وأكذبهم فيما ادعوا بما أسرّوا وأبطنوا.

- أفلا ترى أن الله عز وجل شرع رُخَصاً وضعها عند الحاجة اليها وشدة الضرورة عند نزولها، فقال حين فرغ من فرض الصيام ﴿**ومن كان مريضاً أو على سفر فعدّة من أيام أخر**﴾ وقال ﴿**وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة**﴾[1].

إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم

وهذه الحيل يراد بها ابطال واجب من الواجبات. وقد صارت ذريعة عند أتباعه في التهاون بهذا الواجب لسبب ولغير سبب. قال تعالى عن المنافقين ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم**﴾.

---

١) إبطال الحِيَل ٤٢ - ٤٥.

وقال ﷺ « الخديعة في النار» [١].

تاريخ التحايل في هذه الامة

وقد انتشر التحايل عند الحنفية أكثر من غيرهم، وأشار الذهبي الى ذلك حيث قال « الحنفية على خير إن سلموا من التحيل والحِيَل على الربا وإبطال الزكاة، ونقر الصلاة والعمل بالمسائل التي يَسمعون النصوص النبوية بخلافها» [٢].

الحيلة على الله مسلك يهودي قديم فيه نسبة الغفلة والجهل لله

وسوء اعتقاد الأحباش (أدعياء التنزيه) في صفات الله ألجأهم الى هذا التحايل حتى ظنوا أنه ينطلي على رب العباد.

فالذي يعلّم الناس التحايل على الله انما يعلمهم العبث والمكر بالله، وهي خطة يهودية اشتهرت بها أمة الغضب سنّوها فيما بينهم وليست من سنة رسولنا الكريم ﷺ. ولهذا مسخهم **الله** قردة جزاء وفاقاً لمّا مسخوا شريعته.

ولهذا؛ فلا يهمني أن أثبت أن الحبشي يهودي مدسوس كما فعل البعض، فهذا لا أملك عليه دليلا في الوقت الحاضر، لكن الذي أملك الدليل عليه أن هذا المسلك سلوك اليهود اشتهروا به من قبل وتعرضوا للمسخ بسببه. وقد حذرنا النبي ﷺ من ذلك فقال ﷺ « لا ترتكبوا ما ارتكبته اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيَل» [٣].

واليكم نماذج من الحيَل التي يظن أنها تقلب الحرام حلالا. يتعاملون مع الله كما يتعاملَ المتهربون من الضرائب مع حكوماتهم :

فتواه في حكم الكحول

وبينما يرى الحبشي تحريم مادة الكحول (الاسبيرتو) لمن يقصدها للسُكر أو الوقود والتداوي: يفتي لمن يحتاجه للتداوي في الجروح والوقود ونحوها : أن يستعمل حيلة كأن يقول للبائع: بعني هذه القنينة بكذا : ليس الاسبيرتو الذي فيها، فإني آخذه من غير مقابلة بهذا المبلغ، وانما هو ثمن القنينة» قال « **وهذه حيلة يراد بها**

---

١) البخاري ٣/٢٤.

٢) زغل العلم للذهبي ٣٤.

٣) ذكره ابن كثير ٢/٢٥٧ وابن بطة في إبطال الحيل وسنده حسن.

التخلص من الحرام»[(١)]. لكنه لم يتكرّم ببيان من الذي استُعمِلتْ في حقه هذه الحيلة. وهل كانت خافية عليه؟

فهي حيلة يراد بها استحلال الحرام لا التخلص منه.

* **ومن الأدلة عنده على الحيلة الشرعية**: ما قاله تلميذه (نبيل الشريف) في (مجالس الهدى ٢١/ب/٦٤٤) والدليل على أنه يجوز استعمال الحيلة الشرعية أن رسول الله ﷺ أكل يوماً تمراً عند صحابي فأعجبه فقال: أكل تمر المدينة هكذا؟ فقال: إنا لنأخذ الصاع بالصاعين، فقال النبي ﷺ لا تفعل: بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيباً»[(٢)] قال: فالرسول هنا علمه حيلة شرعية».

واعجب لهذا الاستدلال. فقد روى البخاري الحديث في أربعة مواضع: في البيوع وفي الوكالة وفي المغازي وفي الاعتصام. ولم يروه في باب الحيل: هذا الباب الذي أراد به الرد على من يجوز الحيلة ويسميها «حيلة شرعية». ورواه مسلم في المساقاة. ولم يدرجه في باب الحيل. ولئن كانت الحيلة جائزة فلماذا لم يحتج به الحافظ ابن حجر وغيره على جواز الحيلة ووقفوا من موضوع الحيلة موقفا سلبيا؟ إلا أن يكون السقم في أفهامكم؟

* **ومن صور التحايل** تحريمه على المستأجر أن يأخذ (خلوّ) مبلغاً من المال من المؤجِّر لقاء ترك المنزل. إلا أنه نصح السائل أن يستعمل حيلة ليتخلص من أكل الحرام، يقول له: بعتُك هذه الطاولة ويفرض مبلغ الخلو على أنه ثمن لشراء الطاولة لا لخلوّ الشقة فإن فعل تلك الحيلة باع ما يملكه[(٣)]. ووالله لو أخذ مال الخلوّ لكان أقل حرمة من استباحة التحايل على الله.

* **ومن صور التحايل** فتواه بعدم جواز أن يشتري الرجلُ الكتب الكفرية المخالفة للدين ولو كان لمطالعتها من أجل الرد عليها، ولكن إن أراد الحصول عليها فليكن بدون شراء، فيقول للبائع أنا

---

١) بغية الطالب ٢٥٧ أو صفحة ٣٣٠ من الطبعة الجديدة).

٢) البخاري في البيوع باب اذا أراد بيع تمر بتمر خير منه. وفي الوكالة: باب الوكالة في الصرف وفي المغازي: باب استعمال النبي على أهل خيبر وفي الاعتصام: باب اذا اجتهد العالم فأخطأ ومسلم (١٥٩٣) في المساقاة والنسائي ٢٧١/٧ والموطأ ٦٢٣/٢.

٣) الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد١١٣.

أعطيك مجاناً كذا من المال وأنت أعطني هذه النسخة مجاناً. فيعطيه المبلغ مجاناً ويأخذ النسخة مجاناً : لماذا يشتريه [1].

فهل يفعل هذا عاقل يتدبر صفات الله وأنه مطلع على الضمائر، يبدو أن هذا ثمرة العبث والتأويل في أسماء الله وصفاته أن صار هؤلاء يتعاملون مع الله وكأنه يسمع تنادي الأصوات ولا يعلم ما تعقده النيات!

* ومن صور التحايل تحريمه أخذ شيء من أموال شركات التأمين لأن التأمين عندهم حرام، غير أنهم يرسلون أموالا اكتسبوها الى أقربائهم ثم يطالبونهم أن يرسلوا اليهم ما أخذوه من مال بنية الهدية. وبهذه الحيلة على الله يعود المال اليهم في شكل هدية.

* ومن صور التحايل المشهورة عن الحبشي فتواه بجواز أكل البصل والثوم على وجه الحيلة للتخلص من إثم وحرمة التخلف عن صلاة الجمعة، وذلك حين شكا اليه جماعة من طلاب الجامعة الأمريكية ببيروت التزامهم يوم الجمعة بحضور الدروس ومتابعة المحاضرات في الجامعة. ثم صار أتباعه يستخدمونها إذا كانوا في بلد أهله كفار كالوهابية على حد زعمهم.

* ومن صور التحايل فتوى له مكتوبة بخط تلاميذه وفيها: يبيح لمن عنده مال حال عليه الحول أن يصرفه قبل حَوَلان حوْله ولو بوقت قصير يسير، وذلك تهربا من الزكاة. قال « فهذا ليس حراما، وانما مكروه فقط، الا عند من شذ» [2]. غير أن الحافظ ابن حجر نقل عن المهلب قوله « من رام أن ينقص شيئاً من فرائض الله بحيلة يحتالها أنه لا يفلح، وأن الإثم عنه غير ساقط وأن الزكاة لا تسقط بالحيلة» [3].

---

١) الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ١٣٦.

٢) هذه الفتوى مأخوذة من كراس غازي الشريف ٢٤ الحاوي لكثير من فتاوى شيخه نقلها من نبيل الشريف ومهدي برو. وجاء فيه « فائدة: قال الامام ابن سريج مجتهد عصره: بشر الصيارفة بأنه لا زكاة عليهم».

٣) فتح الباري ١٢/٣٣١ - ٣٣٣.

* **ومن صور التحايل** أنه سُئل عن حكم من ربح من عمل حرام واشترى به لباسا فماذا يعمل بهذا اللباس بعدما تعلم الشرع ؟

أجاب: الذي بيده مال حرام: ان كان من سرقة أو غير ذلك وجاء الى مكان تباع فيه البضائع أو باب أو دكان فقال: بكم تبيعني هذه البضاعة؟ قال: بكذا. قال: اشتريتها بهذا المبلغ فقال ذاك: خذها بعتُك.

هذا بعد ذلك دفع له الثمن من هذا المال الحرام. فهذا الشيء دخل في ملكه: إن كان ثوبا يجوز أن يلبسه، إن كان سيارة يجوز أن يستعملها[1].

وهذا تعليم للسرقة باسم الدين وكثير من أتباعه يلف ويسرق ثم يأتي بما سرقه الى بائع (ربما كان حبشيا) فيطلب منه أن يبيعه ما لا يملكه هذا البائع وانما يبيعه ما سرقه هذا السارق الحبشي، وبهذه الطريقة يبيحون لأنفسهم سرقة السيارات وغيرها. وأخبارهم في الدانمارك وألمانيا لم تعد خافية.

* **ومن صور التحايل**: اعتماده جواز التلفيق في العبادة بين مذهبين [2] فاذا كان هواه يميل الى تحريم مسألة أحلها الشافعي وحرمها مالك: ترك الشافعي وان كان مقلداً له في العادة. وان كان هواه اباحة ما حرمه أحمد: انتقل عن مذهبه في هذه المسألة الى أبي حنيفة. وهو لا يشترط في ذلك معرفة الدليل. وهذا يناقض مبدأ النزاهة والتجرد في طلب الحق ومعرفته بدليله. وهل ذاك إلا هوى النفس!

قال الحافظ عن متتبع الرخص «الأوجه أن يُفسَّق به. وقال الشيخ محمد الرملي يأثم. وقال التاج السبكي: يمتنع تتبُّعُ الرُّخَص [3].

الحذلقة والتلفيق بين المذاهب

ومن معاني الإحتيال: المخادعة والمراوغة بإظهار أمر جائز ليتوصّل به الى أمرٍ محرم. لقد اصبح حبك الحِيل في الدين دليلا على براعة الفقيه وسعة علمه وتوسيعه وتيسيره.

---

1) شريط (٦) وجه ١/١١٠٠.
2) بغية الطالب ٩٩.
3) جمع الجوامع ٢:٤٠٠.

❋ وسئل عمن يقول للشيء الغالي الثمن « هذا سرقة» قال: إن قال هذا عن المغالاة الفاحشة في الثمن من باب التشبيه يكون ذلك رِدّة. وأما من يقول: هذا سرقة من غير مغالاة للثمن لمجرد أنه ما وافق هواه وأسماه سرقة فهذا كفر» [١].

فهاهم يحكمون بكفر من يقول لا اله الا الله. ويرمون تهمة التكفير على الجماعات الاسلامية الأخرى، .

❋ وسئل عن حكم من يقول « حلّ عن ربي » فقال هل يعني بذلك أتركني وشأني؟ فقال الحاضرون: نعم. قال: لا يفهم غير هذا المعنى؟ إن كان لا يفهم من الكلمة إلا هذا المعنى فإنّا لا نكفّره لكنه صار فاسقا عاصيا، أما إن كان يفهم منها معنى التنحي عن الله أي أن الله له مكان، ويطلب من الانسان أن يتنحى عن مكان الله فإنه حينئذ يكفر [٢]

وقد تساهل في حكم من يقول (يلعن ربك) وطلب الاستفصال من هذا القائل: إن قصد سيرته (يعني يلعن سيرتك) فلا يكفر». وسئل عمن يقول لامرأته » أنت أحب اليّ من الله» أو قال « أعبدك» فقال : كفر إن كان يفهم منها العبادَة التي هي خاصة لله تعالى [٣].

أنظر كيف يلتمس العذر لمن صرحوا بسبّ الاسلام وحب الزوجة أكثر من الله ولم يلتمس العذر للعلماء الذين حكم بكفرهم. إن طلب التفصيل عن قصد العلماء الذي كفّرهم الحبشي أولى من هذا الذي يسب الدين. فلو أنه أحسن الظن بهم لكان خيرا له من رجل أعلن سب الاسلام وآخر فضّل زوجته على الله. وأما من قال الله في السماء فلا يسأله الحبشي عن قصده وإنما يقول له كفرت بالله.

فتوى الأحباش بجواز التدخين

سئل نبيل الشريف عن حكم الدخان فقال « العلماء فصّلوا في أمرها فقالوا: إنها تحرم على من يعلم أنها تضره **لأن الله حرّم على الانسان أن يتعاطى ما يضره** وقالوا: مع كونها ليست حراماً لمن لا تضره: يُكره له تعاطيها لأنها مضيعة للأنفاس التي ينبغي استعمالها في الخير» [٤].

هكذا يغشون المسلمين، فانهم اعترفوا أن الله حرّم على الانسان أن يتعاطى ما يضره، ولكن هل يترك للمدخن المتبع لهواه أن يقرر إن كان التدخين مضراً له أم لا بعد أن أجمع الأطباء على أن التدخين مضر بلا

---

١) شريط رقم ٦/٩٩٥ الوجه الثاني.
٢) شريط ١٠ الوجه الثاني (١٨٥).
٣) من كتابه الصراط المستقيم ص ١٠.
٤) مجلة منار الهدى العدد ٢ صفحة ٣٠.

استثناء؟ وهل يجادل المنصف في أن التدخين مضر ولو كان من المدخنين؟

وهل رأيت أخي المسلم شيخاً حبشياً معمماً يدخن أمام الناس، قد اصفرت أسنانه وأصابعه من كثرة حملها ومجها، يصعد المنبر ليعظ الناس وعلبة الدخان في جيبه ويحضهم على اتباع الدين واجتناب كل ما يضر المسلم في دينه ودنياه! ثم ينزل ويشعلها أمام الناس فينزعج الناس من دخان سجائر مشايخهم!

- ولقد أخبر ربنا عن نبيه ﷺ أنه ﴿ **يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾ والدخان لا يمكن وضعه في قائمة الطيبات التي عناها الله في هذه الآية:

- وإذا كان الأحباش يفتون بجواز التدخين فأنصحهم أن يبتدئوا التدخين ببسم الله وينهوه بالحمد لأنه صار مما رزق الله من الطيبات!

وله مخالفات لصريح أقوال النبي:

○ ففي قوله ﷺ « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه وتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر» قال الحبشي «المراد بالجلوس: الجلوس للبول أو الغائط، فلا يحرم الجلوس على القبر لغير ذلك » [1] وهذا رأي باطل أبطله النووي حيث قال «المراد بالجلوس: القعود عند الجمهور. وقال عن قول مالك (المراد بالقعود للحدث) «هو تأويل ضعيف أو باطل» نقله الحافظ في الفتح [2].

وقال في المهذب (١٣٩/١) « فإذا لم يجز الجلوس على القبر لم يجز الدوس عليه من باب أولى».

○ وأما حديث « من جلس على قبر يبول عليه أو يتغوط فكأنما جلس على جمرة». فقد ضعّف الحافظ اسناده ثم قال « ويؤيد مذهب الجمهور ما أخرجه أحمد من حديث عمرو بن حزم الأنصاري مرفوعاً « لا تقعدوا على القبور» وفي رواية له عنه « رآني رسول الله ﷺ وأنا متكىءٌ على قبر فقال: لا تؤذ صاحب القبر» وإسناده صحيح، وهو دال على أن المراد بالجلوس القعود على حقيقته.

- قال واستدل ابن حزم بما ورد في قوله ﷺ « لأن يجلس أحدُكم على جمرة فتحرقَ ثيابه فتخلُصَ الى جلده » قال ابن حزم « وما عهدنا أحداً يقعد علىَ ثيابه للغائط، فدل على أن المراد القعود على حقيقته.

---

١) بغية الطالب ٣٢٥.

٢) فتح الباري ٣:٢٢٤ وانظر المغني للمقدسي ٥٠٨/٢.

وقال ابن بطال « التأويل المذكور بعيد، لأن الحدث على القبر أقبح من أن يُكرَه، وإنما يُكره الجلوسُ المتعارف »[1].

○ في حديث « إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها في النار سبعين خريفا». قال الحبشي «وذلك محل الكفار لا يصله عصاة المسلمين»[2]. وبناء عليه يصير الوعيد في الحديث موجها الى الكفار لا الى المسلمين وهو باطل، والا فكيف يهدد النبي المسلم بشيء لا يصل اليه ولا يبلغه؟ وكيف يهدد الكافر بان لسانه يهوي به في النار ما لم يجتنب سيء الكلام في حين لم يقر بالشهادتين بعد؟ !

إنها طريقة أهل الكلام في تبديل مقاصد النصوص وألفاظه.

وذكر الحبشي حديث أنس « أنهم كانوا إذا رأوه ﷺ لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك» ثم قال « فليس فيه - أي الحديث - دليل الكراهية، لأنه متأول على أنه عليه السلام كان يخاف أن يفرض عليهم فكانت كراهيته لذلك شفقة عليهم لأنه كان يحب التخفيف على أمته»[3].

فتـواه في مخارج الحروف

وأفتى الحبشي بوجوب تشديد مخارج السين والصاد لأنها من الأحرف المستقبحة. ثم علمهم كيفية التلفظ بهما بطريقة مستقبحة حتى صارت أحرف الصفير الساكنة مشددة، وصارت المشددة أصلا: لها شدتان فصار هناك تنوين من نوع آخر غير الفتحة والضمة والكسرة: هو تنوين الشدة!!!

وقد سئم الناس من هذا السلوك الشاذ والوسوسة في التلفظ حتى مِن إن أردت سماع تغريد البلابل وأصوات العصافير فعليك بالصلاة في مسجد برج أبي حيدر ببيروت الذي اتخذه الأحباش مسجدا للضرار.

وشدد عليهم في ألفاظ النية، حتى صار تشديدها عند أتباعه في الصلاة هو الشغل الشاغل، وشق عليهم إتمام أداء تكبيرة الإحرام عند الشروع في الصلاة، فقد قال (والتشديدات) وهي أربعة عشر شدة فمن ترك واحدة لم تصح صلاته، وأولى الحروف عناية بإخراجها وهي الصاد (الموالاة). وذلك بأن لا يَفصل بين شيء منها وما بعده فصلا طويلا أو قصيراً بنية قطع القراءة. (والترتيب) أي الإتيان بها على نظمها المعروف،

---

١) فتح الباري ٣:٢٢٤ - ٢٢٥.

٢) بغية الطالب ٢٦.

٣) صريح البيان ١٦٥ أو٣١٤ من الطبعة المجلدة.

وأولى الحروف عناية وهي الصاد...»[1].

وهكذا تشاغلوا عن التدبر والخشوع وأشغلوا المصلين معهم، لا سيما حين علمهم شيخهم أن على المصلي في الصلاة السرية أن يُسمع نفسه تلاوته للقرآن حتى صار يُسمع من أمامه ووراءه ومَن عن يمينه وعنَ شماله.

فشغلهم بالوسوسة عن تدبر التلاوة واستحضار الخشوع. حتى شكا غير واحد من أتباعه كثرة الوسوسة عند الشروع في الصلاة. واضطر بعضهم الى اعادة تكبيرة الاحرام مرات عديدة من أجل أن توافق ألفاظ النية تكبيرة الاحرام، وقد يفوت وقت الصلاة من غير أن يستطيعوا الدخول في تكبيرة الاحرام.

روى الشعراني عن الشيخ الفتوحي الحنبلي أنه قال « قد أتعب الموسوسون أنفسهم في ألفاظ النية التي أحدثوها، واشتغلوا بمخارج حروفها، ولم يصح عنه ﷺ في ذلك شيء، انما كان ينوي بقلبه فقط، وكذلك أصحابه. فاستحوذ الشيطان على طائفة، وأشغلهم بمخارج حروف النية ليصرف قلوبهم عن الحضور مع الله تعالى الذي هو روح الصلاة ».

أضاف الشعراني « وكان الشيخ شمس الدين اللقاني المالكي يقول: لو أدرك النبي ﷺ هؤلاء لمقتهم. ولو أدركهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لضربهم. ولو أدركهم أحد من الصحابة والتابعين لبدّعهم وكرههم»[2] انتهى.

واستنكر الزبيدي ما فشا من بدع استحضار النية ليس بين العوام فحسب بل بين من يعتد بهم ويشار اليهم بالعلم، وأكد أن من طالع سيرة السلف الصالح عرف أنهم كانوا يتساهلون في مثل هذا. وانتهى الى أن الخير كل الخير في اتباع السلف[3].

ومع أن الحبشي نفسه نهى عن التنطع في أمور الطهارة والصلاة وعدَّ ذلك من الوسوسة كقوله « والتعمق والتنطع معناهما واحد وهو التشديد في الطهارة والصلاة ونحوهما من أنواع العبادات. وقد قالوا: ان للموسوسين شيطانا يضحك عليهم ويستهزىء بهم »[4]. إلا أنه لم يتنبه الى أن تعاليمه هو الآخر أضحكت الشيطان لأن التلاوة والصلاة من أنواع العبادات، ويحصل لأتباعه من مثل هذه الوسوسة في التلاوة الشيء الكثير. وتجد بعضهم يكرر تكبيرة الاحرام مراراً ولا يتمكن من اجتيازها إلا بشق الأنفس. فلماذا لا نقول بأن الشيطان يضحك من هؤلاء أيضا؟

---

1) صريح البيان ١٢٣.
2) لطائف المنن والأخلاق ٥٦١ ط عالم الفكر القاهرة.
3) اتحاف السادة المتقين ٣/٣٢٣.
4) بغية الطالب ١٠٠.

فتواه بتحريف جهة القبلة

وأثار الأحباش فتنة في الغرب حول الاتجاه الصحيح للقبلة، وزعموا أن الناس في أمريكا وكندا يتجهون الى غير جهة الكعبة التي يتوجه اليها المسلمون هناك، حتى صارت للأحباش مساجدهم الخاصة بهم وقد انحرفت قبلتهم عن الاتجاه المعروف بتسعين درجة.

ومع أنهم لم يفعلوا ذلك في لبنان إلا أنهم ينحرفون الى جهة اليمين قليلا مما جعلهم يضايقون المسلمين في الصلاة ويثيرون الجدال فيها.

وكانوا يصرون في امريكا وكندا بأن الأرض مسطحة لا كروية، ثم تراجعوا عن ذلك الى القول بأنها بيضاوية ثم بلغني مؤخراً أنهم توصلوا الى أنها على هيئة نصف برتقالة. أي أسفلها كروي وسقفها مسطح [١].

- واذا قال لهم قائل: أليست الأرض كروية قالوا: هذا الموضوع يحتاج لوحده الى جلسة طويلة. واذا أتاهم بصور تدل على كروية الأرض قالوا هذه من عمل الكفار ونحن لا نثق بأخبارهم.

ولكن: ألا يثقون بمشايخهم كالكوثري الذي شدد على أن العقل والنقل دلا على كروية الأرض[٢].

ولكن: اذا كانت أخبار الكفار لا يوثق بها عند الأحباش فاسألهم كيف اعتمدوا رواية الجاسوس الانجليزي همفر في حق محمد بن عبد الوهاب وأنه كان عميلا للانجليز؟ هم لا يقبلون بخبر الواحد المسلم[٣] ولو كان في البخاري ومسلم فكيف أخذوا بخبر واحد كافر؟!

---

١) أنظر اتحاف السادة المتقين ٣٤٧/٣ بما يؤكد اعتقاده كرويتها.
٢) مقالات الكوثري ٣٨٢ المكتبة الأزهرية تفسير البيضاوي ٣٦/١.
٣) في مسائل العقائد.

هزيمة الاحباش في مقابلة تلفزيونية

وأدت وسوستهم الى ضحك غير المسلمين عليهم حتى قالوا أنظروا الى تخلف المسلمين ما زال منهم من يجادل الى اليوم حول كروية الأرض ويجهل كرويتها. وكانت المهزلة الكبرى في المقابلة التلفزيونية مع عدنان طرابلسي وصاحبه عبد القادر الفاكهاني على قناة الـ (أم. تي. في) برنامج (خمسة على سبعة)[1].

ووجه اليهما السؤال التالي: يقول الناس عنكم أنكم تقولون بأن الأرض مسطحة. فهل هي عندكم كروية أم مسطحة؟

فزعم الفاكهاني أن الاجابة تتطلب جلسة علمية طويلة والى مراجع عديدة. فانصدم السائل وقال: ما أتوقع منك أن تجيبني هكذا، بل كنت أظن أنك ستجيب ببساطة بأن الأرض كروية.

ثم عاد وسأله عن كرويتها فقال الفاكهاني:
يقال بأنها كروية. فحشره المذيع قائلا:
وأنتم ماذا تعلمون أولادكم في المدارس؟
فقال له: شبه كروية.

---

١) ومما جرى فيها:
* تصريحهم بأنهم لم ولن يطالبوا بإقامة دولة اسلامية.
* ردهم على من اتهمهم بصدور قرار رسمي عن جمعيتهم ينص على أن الدين هو الركن الأساسي في جميع الشئون الثقافية والاجتماعية. فقالوا: هذا كلام لم يرد على لسان جمعيتنا.
* بروز امرأة غير مسلمة شهدت باعتدال الجمعية وأنها هي بدورها تعمل متطوعة في مكتب الاحباش وأنها معجبة «بشباب» جمعية المشاريع الحبشية لاعتدالهم ومرونتهم بالرغم من أنها لا تزال على دينها.
* تصريحهم بأنهم يعرفون العديد من غير المحجبات هن أفضل من العديد من المحجبات.
* تطمينهم لجميع المسيحيين والعلمانيين بأن جمعية المشاريع موجودة بمعنى أنها درع لهم من الجماعات الاسلامية الأخرى المتطرفة.

فهكذا عهدنا الأشاعرة يحشرون أنفسهم في كل شيء ويختمون عليه بخاتم أهل السنة المزور.

- فقد زعم أبو منصور البغدادي أن أصول الايمان: اعتقاد أن الله بسط الأرض ولذلك سماها بساطاً خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين ان الأرض كرية غير مبسوطة» (أصول الدين ١٢٤).

فمنازعة الأحباش المسلمين في جهة القبلة مرجعه الى منازعتهم حول كروية الأرض واعتقادهم أنها مسطحة.

رد من امريكا على الحبشي

وقد صدر في أمريكا كتاب يرد عليهم ويبطل استدلالاتهم الفاسدة التي أثارت موجة من القلاقل والى سخرية الكفار بالمسلمين الذين يأتي الى اليوم منهم من يخالف أبسط البديهيات الجغرافية. واسم هذا الكتاب:

THE HABASHIS AND THE ISSUE OF QIBLAH

وذكر صاحب الكتاب المذكور (ص ٣) أنه تم طرد أتباع الحبشي من مونتريال ومن ولاية اوكلاهوما وتامبا وفلوريدا عندما حاولوا تغيير اتجاه القبلة من الجهة الشمالية الشرقية الى الجهة الجنوبية الشرقية.

ولا بد عند عرض هذه المسألة معهم من وضع مجسم للكرة وليس مجرد صورة على ورقة لأنهم يناقشون المسألة بناء على سطحية الأرض. وإنما تظهر حقيقة المسألة عند وضع مجسم كروي للأرض بين أيديهم.

والطريقة التي عالجوا بها هذه القضية اتسمت باثارة الفتنة وعدم التسامح والفوضى في المساجد الأمر الذي جعلهم عرضة للطرد في أي مكان حلوا فيه هناك.

لا تأخذوا عنه دينكم

بعد هذا أذكّر بما قاله الحبشي لا يجوز استفتاء من ليس له كفاءة في علم الدين لقول ابن سيرين: ان هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم» [1] لأؤكد من خلال كلامه أنه ليس كفؤا في علم الدين ولا الفتوى.

وأتوجه الى المغترين به فأقول « أنظروا عمن تأخذون دينكم واحذروا ممن أرسله أعداؤكم ليضلوكم عن دينكم» ولا تغتروا بالمقولة التي يرددها أتباعه «من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان». يريدون بها جلب الزبائن لمشايخهم إن المشكلة الأطم حين يكون الشيخ نفسه شيطانا فحينئذ يكون شيطاناً أكبر من الكتاب.

وقد حذرنا النبي ﷺ من أئمة الضلال فقال « **إن أخوف ما أخافه عليكم من بعدي الأئمة المضلون**» [2] ووصفهم بأنهم « **دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم اليها قذفوه في النار**» وأنهم « **يهدون الناس بغير هديه**»[3].

---

١) بغية الطالب ٢٦٤.

٢) رواه أحمد ١٤٥:٥ والدارمي ١/٧٠ باسناد صحيح.

٣) رواه البخاري (٧٠٧٤).

فتاوى تتعلق بالمرأة

- يجيز الحبشي للمرأة الخروج ولو رغما عن ارادة زوجها.
- يجيز لها أن لا تلتزم بطبخ ولا غسيل ولا ارضاع إلا أن تتطوع بفعل ذلك. وتفرض على زوجها أن يأتي بخادم تفعل كل ذلك.
- يجيز لها الخروج متزينة بجميع أدوات الزينة متعطرة متطيبة.
- يجيز للرجل أن ينظر اليها النظرة الأولى فقط مهما طالت.
- يجيز لها لبس البنطلون الضيق أو حتى الفيزون الشفاف الضيق.
- يجيز لها كشف ساقيها ولا يلزمها تغطيتها كلها.
- يجيز لها الاختلاط بالرجال، وينبه الى ان المعنى الحقيقي للاختلاط انما هو التضام والتلاصق (أي المباشرة)!
- يجيز للرجل أن يكلم المرأة الأجنبية ولو من غير حاجة الى ذلك.
- يجيز للرجل أن ينظر من محارمه كل شيء ما عدا بين السرة والركبة.
- يحرم عليها أن تعتقد أن المفاخذة زنا لأن الزنا ليس الا ما يقام فيه حد الرجم أو الجلد.

هذه هي فتاوى الحبشي بالنسبة للمرأة وسنفصل ذلك:

النظر الى المرأة الأجنبية

يقول الحبشي «الرسول ﷺ قال لعلي: «إن لك النظرة الأولى وليست لك النظرة الآخرة». قال «معنى النظرة الأولى أن الشخص اذا وقع نظره من دون نية التلذذ الى وجه امرأة: ما عليه ذنب لو استدام هذا النظر، لو ثبت عليه ليس حراما» [1].

قال: وليس في الحديث تعرض لتحريم النظر لو استمر واستدام بلا شهوة» [2]. ثم حكم بخطأ الامام النووي في ترجيحه لتحريم النظر الى الوجه والكفين على الاطلاق» [3].

الرد على ذلك

○ إن النظر من دواعي الشهوة ومن وسائل تحريكها، ولذلك كان غض البصر من دواعي تحصين الفرج. وهذا ما تفيده الآية **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾**. وفيها أن في

---

1) بغية الطالب ٢٢٤ (الطبعة الجديدة ٢٨٠).
2) بغية الطالب ٢٨٧ (الطبعة الجديدة ٣٦٦).
3) بغية الطالب ٢٨٨.

غض البصر حفظاً للفرج. وأن من لم يغض بصره لن يمكنه حفظ فرجه. ولذلك قال **العز بن عبد السلام** «والنظر الى الأجنبية محرم لكونه وسيلة الى الزنا»[1].

○ أن النبي ﷺ نهى عن النظر مهما كان يسيرا فعن جرير قال «سألت رسول الله عن نظر الفجأة فقال «اصرف بصرك»[2]. وفي الآية والحديث المذكورين رد على دعوى الحبشي الاجماع على جواز النظر الى الأجنبية من غير شهوة.

○ أن النبي ﷺ قال «لا تنعت المرأة المرأة لزوجها كأنه ينظر اليها» وعند البخاري بلفظ «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر اليها» [3]. فاذ كان النبي ﷺ ينهى عن مجرد الوصف فكيف يأذن بالنظر؟!

وفرّق الشيخ الجيلاني بين المرأة الشابة والعجوز فقال «ولا ينظر الى امرأة شابة إلا بعذر من شهادة أو علاج في المرض، ويجوز النظر الى المرأة العجوز لعدم الافتتان بها»[4]فالعبرة عنده دفع وسائل الفتنة.

○ أن النظر إن لم يكن في البداية بشهوة: فسيصير كذلك لأن النظرة سهم من سهام ابليس، والحبشي انما يسدد بهذه الفتوى سهام ابليس ويعينه على الرمي. ويبدو أن الحبشي لا يعترف بقاعدة سد الذرائع ووصد أبواب الشر.

- عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أردف الفضل بن عباس خلفه في الحج فجاءت جارية من بني خثعم تستفتي رسولَ الله، فلوىٰ رسولُ الله ﷺ عُنُقَ الفضل لئلا ينظر اليها. فقال له عمه العباس: لوَيتَ عنق ابن عمك يا رسول الله. فقال ﷺ: رأيتُ شاباً وشابّة فلم آمن عليهما الشيطان» [5] فهذا التدبير الوقائي يسد الطريق على الشيطان، لكن الشيطان قد أصبح اليوم مسروراً بفتاوى بعض المتعالمين الذين يعيدون فتح طريقه بفتاويهم الباطلة.

---

١) القواعد الكبرى ١٠٧.
٢) مسلم (٢١٥٩) وأبو داود (٢١٤٨) باب ما يؤمر به من غض البصر.
٣) رواه البخاري رقم (٥٢٤٠).
٤) الغنية لطالبي الحق.
٥) أخرجه الترمذي (٨٨٥) وأبو داود (١٧٣٥) بسند حسن.

مقدار ما ينظر الرجل من محارمه

❍ يجوز عند الحبشي كشف المرأة شيئاً من بدنها بحضرة من يحرم نظره اليها. ويجوز أن ينظر الرجـل الى شيء من بدن المرأة الأجنبية التي لا تحل له بلا شهوة [١]. وقد بحثت عن كلامه هذا في الطبعة الثانية من كتابه فلم أجده واعتقد أنه تم حذفه.

❍ ويجوز له النظر الى محارمه من النساء مطلقا ما عدا ما بين السرة والركبة اذا كان بغير شهوة. وأما من ذهب الى أن العورة تزيد على ذلك أي أنها تكون فوق السرة وتحت الركبة فقوله ضعيف [٢]. وقد بحثت أيضاً عن كلامه هذا في الطبعة الثانية من كتابه فلم أجده واعتقد أنه تم حذفه أيضاً.

❍ ويحلّ النظر الى الصبي أو الصبية (الأنثى) اللذين دون سن التمييز الى ما عدا فرج الأنثى، فيحرم النظر الى فرج الأنثى لغير الأم. قال «وأجاز بعضهم ذلك لغير الأم أيضاً» [٣].

---

١) بغية الطالب ٢٨٨.

٢) بغية الطالب ٢٩٠.

٣) بغية الطالب ٢٩٠.

حكم خروج المرأة متعطرة ؟

قال الحبشي « إعلم أن خروج المرأة متزينة أو متعطرة مع ستر العورة مكروه تنزيهاً دون الحرام، ويكون حراماً إذا قصدت المرأة بذلك التعرض للرجال لتستميلهم الى المعصية. وأما إذا خرجت متعطرة أو متزينة ساترة ما يجب عليها ستره من بدنها ولم يكن قصدها ذلك فليس في ذلك أكثر من الكراهة التنزيهية، أي أنها لا تعصي» [1].

○ قال : وأما من فهم من الحديث تحريم التطيب للمرأة فلا يكون إلا واهماً [2].

قلت: وهل وَهِمَ الشيخ عبد الباسط فاخوري التحريم فحرم[3] على المرأة الخروج متَعطرة متزينة [4]. وقال « .ولا تخرج من بيتها الا بإذنه، وإذا خرجت من بيتها بإذنه فلا تخرج متزينة فإن الملائكة تلعنها حتى ترجع» [5].

وهل وَهِمَ الشيخ خالد البغدادي النقشبندي حين قال ما نصه « ان خروج النساءِ من بيوتهن وهن يلبسن ملابس خفيفة وشفافة ومزركشة وضيقة **متطيبات** بروائح عطرة حرام ، وأن الذين أذنوا لهن هكذا يشتركون معهن في الإثم) أي أنهم سيحترقون معا في الجحيم»[6]

هل وعيت أيها الحبشي النقشبندي ما قاله خالد النقشبندي؟!

---

١) بغية الطالب ٣٥١ (طبعة جديدة ٤٤٦).

٢) بغية الطالب ٢١٦ (طبعة جديدة ٢٦٩).

٣) الكفاية لذوي العناية ص ١٥١ تحقيق أسامة السيد (الحبشي).

٤) ولقد جاء تلميذ الحبشي (أسامة السيد) ليحقق كتاب الفاخوري فأدخل في نص كلام الفاخوري الذي أطلق التحريم عبارة (ليجد الناس ريحها) ليجعل التحريم مقيداً بعلة قصد التعرض للرجال، وكان يسعه أن يزيد في الحاشية ما شاء ولكن؟... من يدري: فعند الطبعة الثانية للكتاب قد يزيلون الأقواس وهذه حرفة المحرفين الذين يتدرجون بالتحريف خطوة خطوة، يمهدون للتحريف بوضع الأقواس أولا ومن ثم بنزعها ثانياً .

٥) الكفاية لذوي العناية ص ١٧٣.

٦) الايمان والاسلام لخالد البغدادي ص ١٧ ط: مكتبة الحقيقة - تركيا .

قال الحبشي « فإن قصدت أن يشم الرجال ريحها فهي « شبه» زانية»[1] وهو تعديلٌ طفيفٌ على وصف النبي ﷺ لها! وقد قال من قبل في قول النبي ﷺ «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» أي قريب من الكفر».

وكأنه أشد ورعاً منه في وصفها بما تستحق.

ولولا اعتقاده أنها لا تستحق ما وصفها به لما نفاه عنها، وهو قول ينتهي الى مخالفة الغاية من هذا النهي الذي قصد الشرع به سد ذرائع الفتنة، وهل حسن مقصد المرأة يغير شيئاً من افتتان الرجال بطيب ريحها وربما اشتهاء طلب الوقوع بها؟!.

وبناء على قولهم هذا فيجوز لها أن تخرج متعطرة والأمر مقيد بحسب قصدها فقط بمقتضى قوله ﷺ « ليجدوا ريحها» لأنه قد ثبت في سنن الدارمي (٢٥٤٨) أن أبا موسى قال « أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فيوجد ريحها فهي زانية وكل عين زانية. قال أبو عاصم يرفعه بعض أصحابنا» [2].

فهذا يؤكد أن اللام هنا للعاقبة وليست للتعليل. والقاعدة الأصولية « إعمال النصين ولو بوجه أولى من إهمال أحدهما». فالقول بلام التعليل يؤدي الى إبطال رواية الدارمي.

○ لقد نهى النبي ﷺ الذاهبة الى المسجد عن التطيب فقال «إذا شهدت إحداكنّ المسجد فلا تمس طيباً» وقال «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة» [3] قال ابن دقيق العيد « إن الطيب إنما مُنع منه لما فيه من تحريك داعية شهوة الرجال [4] وصرح بأن الفقهاء اشترطوا على الخارجة الى المسجد أن لا تتطيب. فهل ابن دقيق عند الحبشي من الواهمين؟

وعن أبي هريرة أن امرأةً لقِيَتْهُ، فوجد منها ريح الطيب، فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ جئتِ من المسجد؟ قالت: نعم. قال وله تَطَيَّبْتِ؟ قالت نعم قال سمعت رسول الله يقول لا تُقبَل صلاة امرأة

---

١) بغية الطالب ٣٥١ (طبعة جديدة ٤٤٦).

٢) سنن الدرامي ٢٧٩/٢.

٣) رواهما مسلم (٤٤٤).

٤) أنظر إحكام الاحكام ١٩٩/١.

تطيّبَتْ للمسجد حتى تغتسل غُسْلَها من الجنابة» [1] وفي رواية «إذا خرجت المرأة الى المسجد فلتغتسل من الطيب كما تغتسل من الجنابة» [2].

○ ألم تلاحظ أخي كيف أن أبا هريرة سألها عن قصدها؟ قائلا (وله تطيبت؟ أي للمسجد) فاعترفت بأن قصدها المسجد. وفي رواية عند البيهقي في السنن (١٣٣/٣) فاستحلفها قائلا (آلله؟) فحلفت له ثلاث مرات أنها ما أرادت بالتطيب الا المسجد. ومع ذلك أمرها أن ترجع وتغتسل غسلها من الجنابة، ولم يسمح لها بالمضي الى المسجد بعد حلفها.

فأي شيء أوضح من هذا أيها الزائغون. ما فهم أبو هريرة هذا التفريق الباطل الذي تفرقونه. ولم يأذن لها أن تكمل طريقها الى المسجد مع أنها أخبرته عن نزاهة قصدها. ولم يعهد عن نساء الصحابة خروجهن متطيبات، ومن ادعى ذلك فهو كذاب مفتر.

○ فأي مقصد أشرف من التطيب للمسجد ومع ذلك فقد أمر النبي ﷺ المرأة أن تغتسل من التطيب للمسجد غُسلها من الجنابة، فما بالك بالتطيب لغير ذلك. ومع هذا فقد أمرها أبو هريرة بناء على ما سمعه من النبي ﷺ أن تغتسل اغتسالها من الجنابة.

التطيب من الكبائر عند ابن حجر

لقد عدَّ ابن حجر الهيتمي خروج المرأة متعطرة متزينة من كبائر الذنوب، فقال في كتابه «الزواجر عن اقتراف الكبائر» ما نصه (الكبيرة رقم ٢٧٩): خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة ولو بإذن زوجها» [3]. وقال الذهبي « ومن الأفعال التي تُلعَن عليها المرأة إظهار الزينة... وتطييبها بالمسك والعنبر» [4].

---

١) أبو داود (٤١٧٤) وابن ماجة (٤٠٠٢) وسنده ضعيف ولكن رواه البيهقي باسناد آخر صحيح (مشكاة المصابيح١/ ٣٣٤ الصحيحة٣/ ٢٨).

٢) النسائي ٢/ ٢٨٣ والبيهقي ٣/ ١٣٣ بسند صحيح (الصحيحة ١٠٣١).

٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ٧١.

٤) الكبائر ص ١٠٢ الكبيرة الثامنة والعشرون.

شبهة الحبشي في جواز التطيب

واحتج بقول عائشة « كنا نخرج مع النبي ﷺ الى مكة فنضمخ جباهنا بالسُّك المطيب للاحرام، فاذا عرقت احدانا سال على وجهها فيراه النبي ﷺ فلا ينهاها» [١] . فالقائل بحرمة خروج المرأة متعطرة على الاطلاق ماذا يفعل بهذا الحديث وهو صحيح [٢] .

التعقيب على هذه الشبهة

أما ما نفعله بهذا الحديث هو أن نجيب عنه بما يلي:

○ أولا : قال الحافظ « المرأة مأمورة بالاستتار حال بروزها من منزلها، والطيب الذي له رائحة لو شرع لكانت فيه زيادة فتنة بها [٣] واذا كان الخبر ثابتاً - يعني حديث أبي هريرة - فالجمع بينه وبين حديث عائشة [٤] أن لها مندوحة أن تغسل أثره اذا أرادت الخروج لأن منعها خاص بحالة الخروج والله أعلم» [٥] .

○ ثانيا : أن أهل الزيغ يتّبعون ما تشابه من الروايات ويتمسكون به، ويتركون المُحكم منها، فإن الثابت عنه ﷺ في تحريم تطيب الخارجة من منزلها صريح وواضح كالشمس، لكن الحبشي يُعرض عنه ويُعارضه بالمتشابه، فهو ممن قال الله تعالى فيهم ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾.

○ ثالثا : أن الصحابة فهموا من منع النبي ﷺ النساء عن الخروج متطيبات النهي عن ذلك، ولذلك كان أبو هريرة وغيره من الصحابة ينهون النساء عن ذلك كما سبق من الحديث: وأما أنت أيها

---

١) رواه ابو داود (١٨٣٠) في الحج: باب ما يلبس المحرم وسنده صحيح.

٢) صريح البيان ١٨١.

٣) فلماذا لا نسمي الحبشي فتاناً وقد زاد الفتنة بفتواه بجواز خروج المرأة متعطرة.

٤) يعني قولها « طيبت النبي ﷺ بيدي لحرمه وطيبته في منى قبل أن يفيض».

٥) فتح الباري ٣٧٨/١٠.

الحبشي فإنك تنهى من ينهى عن ذلك، فهل وافق دفاعك عن الخارجة وهي متعطرة نهي أبي هريرة عن ذلك، كلا والله إنك جئت بخلاف ما كان عليه السلف الصالح. عجل الله بكشف أمرك.

○ أنه لم تفهم واحدة من نساء الصحابة ما فهمه هذا الحبشي وأضرابه من فقهاء آخر هذا الزمن فلم تخرج واحدة منهن على النحو الذي تخرج به المتحبشات من حمرة على الشفاه ومساحيق على الخدود وحجاب مزخرف مزركش ورائحة عطرة، ولا نصدق أن شكل حجاب تلميذاته ولباسهن وحشمتهن وزينتهن متوافقة مع ما كان عليه نساء الصحابة. بل المخالفة واضحة مهما حاول المجادلون المموهون المماراة في ذلك.

○ رابعا: أن نساء النبي ﷺ لم يكنّ يخالطن الرجال أثناء الحج بل كن يطفن في معزل عن الرجال فقد روى البخاري (١٦١٨) أن عائشة رضي الله عنها كانت تطوف حجرة من الرجال لا تخالطهم.

ثم إن النووي ذكر شروط العلماء في ذهاب المرأة أن لا تكون متطيبة [١]. لكنه استثنى من ذلك الطيب في الحج للمرأة كما في الايضاح فسنّه للرجل والمرأة سواء.

○ خامسا : أن الحديث يتعلق بحكم ما يضعه المُحرم على نفسه، ومعلوم أن وضع المحرم الطيب يفسد احرامه، واجتماع تحليل التطيب هنا مع تحريمه في موضع آخر يعتبر تناقضاً، والصحيح أن هذا السُّك المطيب هو مادة فيها أثر الطيب وليست طيباً خالصاً، كما ليس من نوع الطيب ذي الرائحة القوية الذي نهى عنه النبي ﷺ وإنما خفي الرائحة. ومن هذا قول النبي ﷺ « طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه» [٢]. ذكر الغزالي هذا الحديث وعلق عليه الزبيدي فنقل عن سعد «أراهم حملوا قوله «وطيب النساء...» على ما اذا أرادت الخروج، أما عند زوجها فتتطيب بما شاءت» [٣]. مما يبين أن هناك طيبا مستعملا عند النساء يخرجن به وهو ما ظهر لونه وخفي ريحه هو غير أنواع الأطياب الأخرى.

---

١) مسلم بشرح النووي ٤٠٦/٤.

٢) رواه الترمذي (٢٧٨٧) والنسائي (٤٧٣٥) وصححه الالباني في المشكاة (٤٤٤٣).

٣) اتحاف السادة المتقين ٢٥٢/٣.

فالحبشي أمام مشكلتين:

* إما أن يحتج بتطيب المحرم بناء على حديث عائشة فيضطر الى إباحة استعمال المحرم الطيب وهو مخالفة صريحة لنهي النبي ﷺ وشذوذ عن أقوال الأئمة المعتبرين.

* وإما أن يضطر الى القول بأنه طيب خفي الرائحة يُستثنى من أنواع الطيب الخالصة، وبالتالي فحتى لو ثبت خروج عائشة به خارج البيت فلا يكون داخلا في أنواع الطيب المنهي عنها للمُحرم، وبالتالي فلا يكون من أنواع الطيب المنهي عن الخروج بها للمرأة.

○ سادسا: وأما إذا قيل إن عائشة وضعته قبل إحرامها فما أبعده من قول فإنه يصير لا معنى للنهي لأن عائشة نفسها كانت تضمخ النبي ﷺ بالطيب لإحرامه قبل أن يُحرِم. فكيف تتوقع أن ينهاها عن طيب وضعته قبل إحرامها.

ولو كان الخلاف مع الحبشي مقصورا على هذا ونحوه من الخلافات الفقهية لكان الأمر هينا بيننا وبينه مع التنبيه الى أن في فتاويه تلبيسا على العوام وإيجاد مخارج لهم مما تهواه نفوسهم من المحرم.

ولكن الخلاف الذي لا يمكن التغاضي عنه هو تجويزه الاستغاثة والاستعاذة بغير الله وجواز التحايل على الله وتحريف صفاته... الخ.

التحريض بين الزوج وزوجته

فتواه بجواز خروجها رغماً عن إرادة زوجها

وأباح للمرأة الخروج على طاعة زوجها إذا لم يأذن لها بالذهاب لطلب العلم. بل أجاز لها السفر ولو بغير إذنه لتَعَلّم العلم الديني واستفتاء المشايخ في أي وقت. قال « **تخرج بدون رضاه**»[1]. وخالفه في ذلك الشيخ عبد الباسط الفاخوري[2].

فالحبشي بهذا داعية الى نشوز المرأة، واستطالتها على زوجها، وداعية الى أن يكون داخل البيت الزوجي ولاء للشيخ أعظم من الولاء للزوج. وبالفعل فقد انفتح من جراء هذه الفتوى باب من الشر بين الأزواج بعد أن صارت زيارة الشيخ مقدمة على طاعة الزوج.

من هنا نتوجه بحضرات المشايخ والقضاة بالسؤال عما يقضون به في حال حدوث طلاق بسبب إصرار المرأة على الخروج لطلب العلم المزعوم رغماً عن إرادة الزوج، هل يبررون لها ذلك بناء على فتوى حبشية تشجع النشوز وتبرر عصيان أمر الزوج وتجعل كلمة الشيخ هي العليا وكلمة الزوج هي السفلى؟!

ليس عليها إرضاع ولا تربية ولا طبخ ولا غسل

- ويرى أن تربية الأطفال ليست من الواجبات على المرأة وإنما كلفة الحضانة على زوجها.
- وأما إرضاع أطفالها فليس واجباً عليها إلا أن تتطوع لذلك، ولها أن تفرض على زوجها مبلغاً من المال لقاء إرضاعهم وإلا فعليه إذا لم توافق هي على إرضاعهم أن يستأجر من ترضع له أولاده.
- وليس فرضاً عليها أن تطبخ الطعام لأولادها وتغسل ثيابهم بل هذا العبء كله يتحمله الزوج هو مفروض عليه هو[3] ترى ماذا يحكم قضاتنا في رجل جاء يشكو زوجته ويريد طلاقها لأنها تخرج بدون رضاه لتتعلم التوحيد ولا تقوم بإرضاع صغارها ولا طهي الطعام لهم ولا غسل ثيابهم ولا تربيتهم: هل يعذرونه بتطليقها أم يؤاخذونه؟

---

١) بغية الطالب ٢٠٢ و٢٦٨ و٣٤٠ (الطبعة الجديدة ٣٤٢) والدر المفيد١٤٣.

٢) الكفاية لذوي العناية ١٧٣.

٣) الدر المفيد ١٤٤.

حكم خروج المرأة متزينة

وأباح للمرأة أن تخرج متزينة واحتج بقول القرطبي أنه يجوز أن تخرج المرأة متزينة إذا لم تقصد التعرض للرجال، وإنما أرادت الفرح بنفسها [1]وقال في مواهب الجليل (٤٠٥/٣) « وللمرأة أن تتزين للناظرين (أي للخطبة)، ولو قيل إنه يجوز لها التعرض لمن يخطبها إذا سلمت نيتها في قصد النكاح لم يبعد» وقال البهوتي في كشاف القناع [2]. ولها تحسين وجهها وتحميره ونحوه من كل ما فيه تزيين» [3].

هكذا يستخدم نصوصاً متعلقة بالتزين للخطبة ويطلقها عامة. أما نصوص النهي عن خروج المرأة متعطرة فلا يأخذ بها مع أنها جاءت مطلقة!.

○ قال « وقد أجمعت المذاهب الأربعة على أنه يجب على المرأة المعتدة للوفاة الاحداد وهو الامتناع عن الزينة والطيب. فلو حرمنا عليها في جميع الأحوال معتدة أو غير معتدة فلأي معنى خصت المعتدة بهذا، فتحريم خروج المرأة متعطرة على الاطلاق هو تشريع. قال الأصوليون فيه: التشريع كفر أو كبيرة» [4].

التعقيب أن المرأة ممنوعة من الزينة أثناء الاحداد ولو في بيتها، بينما يباح لها في غير فترة الاحداد لزوجها **وليس للمارّة**. فلم يكن يحرم عليها التزين في غير وقت إحدادها وإنما كان تحريمه خارجه. ثم الذين اتفقوا على تحريم خروجها متزينة منعوها من الخروج لسبب الاحداد، فصار الخروج والتزين ممنوعين بعد أن كان التزين ممنوعاً دون الخروج.

تشبه أحد الجنسين بالآخر

لقد شدد الحبشي على تحريم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وأجاد في إيراد الأدلة من نصوص الكتاب والسنة: ولكن؛ ماذا عن اللباس الذي تلبسه تلميذاته من السروال الضيق مع الحجاب في نفس الوقت. أليس لبس السروال الضيق فيه تشبهٌ بالرجال.

---

١) صريح البيان ١٨٢.
٢) كشاف القناع عن متن الاقناع ٨٢/١.
٣) صريح البيان ١٨٦.
٤) صريح البيان ١٨٦.

○ فقد أفتى أن الحجاب يكون بستر لون الجلد والشعر [١]، وبناء على هذا يجوز للمرأة اليوم أن تخرج لابسة هذه الثياب الضيقة التي تلتصق بالجسم مثل الفيزون. وهو ما تلبسه نساء الأحباش اليوم ولهذا أفتى نزار حلبي بجواز لبس الجينز وهو السروال الضيق والسروال المعروف بـ (الفيزون) فقال « نعم! فتياتنا يتعطرن ويرتدين الجينز لأننا نجمع بين السترة والموضة» [٢]. ولهذا نرى نساء الأحباش يخرجن بزينتهن وروائح عطرهن تصل الى آخر الطريق ويلبسن السراويل الضيقة (الجينز أو الفيزون).

ففتوى الحبشي تحرض النساء على أن تصرن كاسيات عاريات متزينات متطيبات مائلات مميلات.

شرط الثياب أن لا تشف ولا تصف

وغاب عنهم أن شروط لباس المرأة أن لا تشف ولا تصف.

قال أسامة بن زيد رضي الله عنه « كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي فكسوتها امرأتي. فقال: ما لك لم تلبس القبطية؟ قلت: كسوتها امرأتي، فقال: مُرها فلتجعل تحتها غلالة فاني أخاف أن تصف حجم عظامها» [٣].

وعن عبد الله بن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كسا الناس القباطي ثم قال لا تدّرعْها نساؤكم، فقال رجل: يا أمير المؤمنين قد ألبستُها امرأتي فأقبلتَ في البيت وأدبرت فلم أره يشف. فقال عمر: إن لم يشف فإنه يصف» [٤]. وهو عين ما قالت أسماء فيما رواه عنها هشام بنَ عروة [٥]. وما قالته فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضي الله عنها وأرضاها حين قالت لأسماء « يا أسماء إني قد استقبحت ما يصنع النساء أن يطرح على المرأة الثوب فيصِفُها» [٦].

---

١) بغية الطالب ١٠٤ (طبعة جديدة ١٣٧).

٢) جريدة المسلمون عدد ٤٠٧ سنة ١٩٩٢.

٣) أخرجه الضياء في المختارة ١/٤٤١ وأحمد ٥/٢٠٥ والبيهقي في سننه ٢/٢٤٣.

٤) قال الألباني « أخرجه البيهقي ٢/٢٣٤ وقال «انه مرسل» يعني منقطع بين عبد الله بن أبي سلمة وعمر. لكن رجاله ثقات ويقويه قول البيهقي عقبه (وقد رواه أيضاً مسلم البطين عن أبي صالح عن عمر».

٥) قال الألباني «أخرجه ابن سعد ٨/١٨٤ باسناد صحيح الى المنذر» (حجاب المرأة ٥٧.

وتلميذاته يكشفن عن سيقانهن لفتواه بجواز ذلك، ويزدرين بالمرأة التي تطيل ثيابها الى اسفل القدمين، ويعتبرن ذلك من التطرف والتنطع، وأذا سُئلنَ عن ذلك أجَبْنَ بأن الشيخ رخّص لهن بذلك. وقد غفلن عن فتوى رسول الله ﷺ المتعارضة مع فتوى شيخهن:

- قال ﷺ «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة : فكيف تصنع النساء؟ قال: يُرخين شبراً، فقالت أم سلمة: إذن، تنكشف أقدامهنّ [1]، قال: فيُرخِين ذراعاً، لا يزدِنَ عليه»[2]

- وفي رواية «حين ذُكر الإزار قالت: فالمرأة يا رسول الله؟ قال: تُرخيه شبراً، قالت: ينكشف عنها، قال: فذراعاً، لا تزيد عليه» [3].

- وقالت لها امرأة: إني امرأة أطَيل ذيلي وأمشي في المكان القذر. قالت: قال رسول الله ﷺ «يُطهّرُه ما بعده» [4]

فأي القولين أحبُّ اليهن: قول النبي ﷺ أم قول علماء السوء؟

وقد أبدى أحد من أعرفه استياءه من تلميذات الحبشي وقد دخلن على زوجته وأخذن ينهينها عن تطويل ثوبها ويحرِّضنها على أن تخرج متزينة بالمساحيق على وجهها وتقصر ثيابها وأخذنَ يُقنعنها أن الشيخ رخص بذلك ويسّره عليهن.

وبلغت الوقاحة بهم أن زعم الفاكهاني في لقاء مع النصارى أنه يعرف نساء غير محجبات هن أفضل من العديد من المحجبات! قال ذلك ليثبت أمامهم اعتدال الملة الحبشية.

---

٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/٤٣ والبيهقي ٤/٣٤.

١) وذكر الحافظ في الفتح (١٠/٢٥٩) أن للرجال حالين: حال استحباب وهو أن يقتصر بالازار على نصف الساق، وحال جواز وهو الى الكعبين، وللنساء حالان: حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جوازٍ بقدر الذراع».

٢) رواه الترمذي (١٧٣١) والنسائي ٨/٢٠٩ وأبو داود (١١٩) وقال الترمذي حديث حسن صحيح. وهو كما قال.

٣) رواه مالك في الموطأ ٢/٩١٥ وأبو داود (٤١١٧) والنسائي ٨/٢٠٩ وهو حديث صحيح.

٤) رواه مالك في الموطأ. قال الالباني: وهو ضعيف لجهالة المرأة أم ولد لابراهيم بن عبد الرحمن لكن الحديث صحيح لأن له شاهداً بسند صحيح» (مشكاة المصابيح رقم ٥٠٤).

زنا المفاخذة

ان مثل هذه الفتاوى جرّت الكثيرين الى فساد عظيم، حيث خرجت تلميذاته بمظهر مثير للفتنة وبكامل الزينة، وطاب لأتباعه النظر اليهن، بل ادى الى التهاون في أمور تؤول الى الفاحشة مثل مفاخذة المرأة، وسبب هذا التهاون مركب من ذريعتين:

الأولى : أن المفاخذة من صغائر الذنوب.

الثانية: أنه لا يجوز وصفها بالزنا. لأن حد الزنا إما الجلد وإما الرجم وما سوى ذلك مما لا حدّ فيه لا يجوز تسميته بالزنا.

وعدم الحد لا يمنع عقوبة أخرى بما يسميه الشرع «تعزيراً» والتعزير حدٌّ غير محدد [١]، وقد أُتِيَ عليٌّ برجل وامرأة كانا في لحافٍ واحد فأقام عليهما الحد تعزيراً.

١) أن النبي ﷺ وصف ما دون المفاخذة بأنه زنا. قال ﷺ «العين تزني وزناها النظر، والفم يزني وزناه القُبُل» [٢] « فوصف ما دون المفاخذة بأنه زنى مع أنه ليس فيه حدّ الزنى» وإنما الزنى درجات فإذا كان مجرد النظر الى المرأة يوصف بأنه زنى فالمفاخذة أولى بهذا الوصف من مجرد نظر العين. ومعلوم أن السارق الذي يسرق أقل من ربع الدينار لا يُقامُ عليه الحد ومع ذلك يقوم به وصف السرقة.

وقد احتج الحبشي بهذا الحديث أثناء رده على التحريرية حول مصافحة المرأة قائلا « واليد زناها البطش» قال: والبطش هو الإمساك باليد» [٣]. فوصف ما دون الزنا بأنه زنا. وقال تلميذه (نبيل الشريف) «زعم التحريريون في منشور لهم أن المشي من أجل الزنا لا يعتبر زنا والفجور بالصبي لا يعتبر زنا وانما الزنا هو ادخال الآلة. وهم قد كفروا بذلك» واحتج عليهم بحديث « واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها الخطى» ولكن لما سأله سائل أن يفسر معنى قول النبي ﷺ «وكل عين زانية» ارتبك في الاجابة [٤].

---

١) الحد عقوبة مقدرة شرعاً والتعزير عقوبة مقدرة بحسب ما يراه القاضي.

٢) رواه البخاري (٦٦١٢) و (٦٦٤٣).

٣) صريح البيان ٢٧٨ الطبعة الجديدة المجلدة.

٤) مجالس الهدى شريط رقم (٢٥/ب/١٠٢٣) ورقم (٢٩) الوجه (ب).

٢) ولسنا بأدق وصفاً وأفصح لساناً وأكثر ورعاً من النبي ﷺ. ولا يجوز أن نبدل كلامه ولا ننفي الوصف الذي أثبته، أو أن نتورّع عما لم يره ورعاً حيث وصف ما دون المفاخذة بالزنا، في حين لا نجد عندهم الورع في أسماء الله وصفاته وفي تكفير وسب ولعن العلماء وموالاة أعداء الله وفي إيذاء المسلمين!

وهكذا أدت فتاوي الحبشي المتساهلة الى التبرج والسفور والتعري على شواطىء البحور، بحجة أنها من صغائر الذنوب كما أفتى الحبشي تلميذه صاحب مسبح (ناجي بيتش) في طرابلس بذلك.

- بل أخبرني كثير ممن كانوا مع أتباع الحبشي أن أتباعه لا يرون بأساً في النظر الى أفلام الجنس العارية لأنها مجرد صورة.

- وحدثني بعض الإخوة في الدانمارك أن من أتباعه من يخرجون في بلاد الكفر مع النساء فيزنون بهنّ «نكايةً في دينهنّ» كذا زعموا وهو اتباع محض للهوى والشهوة وتزيينٌ من الشيطان كما قال تعالى ﴿الشيطان سوّل لهم وأملى لهم﴾.

دفاع الحبشي عن كشف الوجه: لماذا

قال «إلتبس الأمر على بعض الناس فظنوا أن هذه الآية ﴿ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن﴾ يراد بها تحريم الزينة على النساء في غير حضرة الزوج والمحارم للنساء، متوهمين أن الزينة هي الزينة الظاهرة باللباس والحلي فوضعوا الآية في غير موضعها. والأمر الصحيح المراد بالآية كشف الزينة الباطنة من الجسد وهو ما سوى الوجه والكفين والقدمين عند بعض الائمة بخلاف الزينة المستثناة في آية ﴿الا ما ظهر منها﴾ فان الله أباح كشف الوجه للحرة وغيرها لحاجة الخلق الى ذلك» [1].

ولا ننسى أن الحبشي حين يدافع عن كشف الوجه فإنه يدافع عن شيء آخر: وهو جواز التعطر والتزين وكشف شيء من القدم، والخروج عن طاعة الزوج بذريعة التعلم. ووضع المساحيق على وجهها، حتى صارت الزينة الظاهرة على تلميذاته في الشارع أعظم من فتنة زينة المتبرجات.

وحتى الذين رأوا جواز كشف الوجه فإنهم اشترطوا لذلك :

١) أن لا تضع المرأة الأصباغ على وجهها وكذلك الحلي، ومع أن الألباني لا يرى وجوب ستر الوجه إلا أنه يقيده بما إذا لم يكن على الوجه والكفين شيءٌ من الزينة لعموم قوله تعالى ﴿ولا يُبدين زينتهن﴾ وإلا وجب ستر ذلك [2].

٢) أن لا يكون الوجه مثيراً للفتنة. قال ابن عابدين في الدر المختار « وتُمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة» [3]. وهو قول أبي البركات الدردير من المالكية[4].

ونقل القرطبي عن ابن خويزمنداد شيخ المالكية ما نصه «المرأة إذا كانت جميلة وخيف من كشف وجهها فعليها ستر ذلك» [5].

---

١) صريح البيان ١٨٦.
٢) حجاب المرأة المسلمة ٤٢.
٣) حاشية رد المحتار على الدر المختار ٥/٢٤٤.
٤) الشرح الصغير على أقرب المسالك الى مذهب الامام مالك ١/٢٨٩.
٥) تفسير القرطبي ١٢/٢٢٩.

مصافحة الرجل للمرأة الاجنبية

وقد أباح للرجل أن يضع يده في يد امرأة لا تحل له إذا كان ذلك بحائل محتجاً بحديث أم عطية «بايعنا النبي ﷺ فقرأ عليَّ أن لا يُشركنَ بالله شيئاً ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت أسعدتني فلانة». قال الحبشي « ويصح أن يُجاب عنه أن المبايعة كانت تقع بحائل، فقد روى أبو داود في المراسيل عن الشعبي أن النبي ﷺ حين بايع النساء أُتيَ ببرد قطري فوضعه على يده وقال « لا أصافح النساء». وروى عبد الرزاق من طريق ابراهيم النخعي مرسلا نحوه» [١].

وبهذه الطريقة استدرج الناس الى إباحة مصافحة المرأة للرجل بعد التحريم. وهو من الباطل فإنه يصح فيمن تشابكت يده بيد امرأة ولو بحائل أن يقال إنه صافحها. كما يصح فيمن وضع يده بيد رجل يلبس قفازين أن يقال إنهما تصافحا، وكما أنه لا يجوز مس ذكر الأجنبي بحائل كذلك لا يجوز مس يده بحائل، لا فرق بينهما.

غير أن الحبشي لا يبالي بقول عائشة « لا والله ما مست يد النبي يد امرأة قط في المبايعة» [٢]. بل إنه رد هذه الرواية الصحيحة الصريحة بحديث أم عطية الذي أدى الى جدل طويل حول جواز النياحة على الميت فإن فيه أنه ﷺ أباح لأم عطية النياحة على الميت حتى قال المالكية بإباحة النياحة مطلقاً لهذا الحديث [٣].

ومع هذا كله فليس في حديث أم عطية أي تصريح للمسّ من غير حائل. قال الحافظ « يُفهم منه بأن مد الأيدي كان من وراء حجاب وإن لم تقع مصافحة».

وكان من فقه الحافظ ابن حجر لرواية عائشة أن قال « وكأن عائشة أشارت بذلك إلى الرد على ما جاء عن أم عطية» [٤].

○ ومما تضمنته رواية عائشة قول النبي لإحدى النساء « قد بايعتك كلاماً » قال الحافظ «أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعة» وإنما بِمَدِّ الأيدي من

---

١) صريح البيان ١٤٤.
٢) البخاري (٤٨٩١).
٣) فتح الباري ٨/٦٣٩.
٤) فتح الباري ٨/٦٣٦.

دون مصافحة[1] يؤكد ذلك قولُه ﷺ في حديث أميمة بنت رقيقة «إني لا أصافح النساء، وإنما قوْلي لمئة امرأة كقولي لامرأةٍ واحدة» [2].

ثم لا يجوز معارضة قول عائشة بمراسيل أبي داود فإن هذه المراسيل لا تقوم بها حجة [3] فضلا عن أن تُستعمل في ردّ صريح قول عائشة الصحيح في البخاري.

○ وهذا الانحراف لا يصدر من مؤمن مخلص يريد النصيحة ويسد أبواب الذريعة لا سيما وقد ثبت عن النبي ﷺ الوعيد الشديد فيمن يمس امرأة لا تحلّ له، كما في حديث معقل بن يسار مرفوعاً «لأَن يُطعن في رأس رجُلٍ بمَخيطٍ خيرٌ من أن يمس امرأة لا تحِلّ له» [4].

تناقض الحبشي في موقفه من حديث أم عطية

غير أننا نجده في أثناء رده على التحريريين يقف موقفاً آخر من حديث أم عطية فصرح بأن معنى حديث أم عطية أنهن « كنّ يشرن بأيديهن عند المبايعة بلا مماسة، فتعين تأويله توفيقاً بين الحديثين الثابتين (يعني حديث أم عطية وحديث:إني لا أصافح النساء). قال ابن منظور « وبايعه عليه مبايعة : عاهده. ثم انتهى الى أنه ليس من شرط المبايعة مس الجلد للجلد.

ثم احتج على التحريريين بحديث عائشة (والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة) كدليل على كذبهم» [5].

---

1) فتح الباري ٦٣٦/٨.

2) إسناده صحيح رواه ابن حبان (١٤) والترمذي (١٥٩٧) والنسائي ١٤٩/٧، وان ماجه (٢٨٧٤).

3) وهو مذهب النووي في التقريب. ونسبه لأكثر الأئمة من حفاظ الحديث ونُقّاد الآثار، وهو قول مسلم كما في صحيحه ٣٠/١. ومنهم من قبله بشروط كالشافعي، وقال الحافظ في النكت نقلا عن الاسفراييني: إذا قال التابعي « قال رسول الله» فلا يُعَدّ شيئاًولا يقع به ترجيح فضلا عن الاحتجاج به» (النُكَت ٥٤٥/٢) وذكر مسلم في مقدمته أن المرسل ليس بحجة، وحكى ابن الصلاح في المقدمة (ص ٢٦) استقرار جماهير المحدثين ونقاد الأثر سقوط الاحتجاج بالمرسل.

4) صححه الألباني (سلسلة الصحيحة رقم ٢٢٦) وصححه من يخرّج الأحاديث للحبشي (إظهار العقيدة السنية) ٢٣٠.

5) الغارة الايمانية في رد مفاسد التحريرية ص ٢٣ - ٢٤.

اختلاط المرأة بالرجل

وأخذ الحبشي يحشد الأدلة لإثبات جواز اختلاط الرجال بالنساء وأنه لا يحرم من الاختلاط الا ما كان فيه ضم وتلاصق بين الرجل والمرأة، ثم انتهى الى هذه الحقيقة الفقهية قائلا : « فمن أحاديث رسول الله ﷺ وكلام العلماء يتبين لنا أن اختلاط الرجال بالنساء ان لم يكن فيه خلوة ولا تضام ولا تلاصق ونحو ذلك لا يكون حراما»[١].

ولكن إذا كان الأمر كذلك عند الحبشي فلماذا وقف موقفاً مناقضاً حين سأله مدرّس عن الحجاب بين الرجل والمرأة شرعاً حيث إنه يدرّس خمسين امرأة وليس بينه وبينهن ستار:

أجاب الحبشي: مطلوب أن يكون هناك ستار. هذا هو الأصل. الأصل أن يُضرَب الستار. هكذا أحوط للرجل حتى لا يفتتن بهن [٢].

ألم يكن يتذكر الأدلة التي حشاها في كتابه حين أجاب المدرّس بالنهي عن الاختلاط؟!.

ونود التذكير بمرحلة اختلاط تسبق مرحلة التضام والتلاصق التي لا يعترف الحبشي الا بها: وهي مرحلة التعارف والتلاطف والإعجاب المتبادل والمسامرة والتواعد والتوادد والتلاقي ثم تأتي مرحلة التضامّ والتلاصق.

ونرى الأحرى بهذا التضام والتلاصق الذي يسميه (**اختلاطاً**) أن يُسمى (**مباشرة ومداعبة**). وهو داخل في باب الزنى لا باب الاختلاط.

ولذا ندعو الى الحذر من مراحل الاختلاط كلها سداً للذريعة، غير أنه لا مكان لسد الذرائع عند الحبشي وهذا ما جعله ينقم على الشيخ فيصل مولوي الذي رأى عدم جواز الجلوس مع المرأة والتحدث اليها ولو في الدعوة الى الاسلام.

ثم لا ننسى أنه ليس مع الحبشي جواز الاختلاط فقط، وإنما معه جواز محادثة الرجال لها ولو كان لغير حاجة، وجواز التزين والتعطر وتحمير الوجه وتقصير الثياب الى السيقان بل ربما الى الركبة وحتى الكشف الى ما فوق ذلك ولبس السراويل الضيقة واستدامة النظر اليها وكشف الشعر فإن هذا كله من صغائر الذنوب ومحقراتها! ولذا تلازم النساء مجالس العلم بين الرجال وهن على هذه الصفات. وبعد

---

١) صريح البيان ١٧٩.

٢) الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ١٩٠.

ذلك إن حصل ما لا تُحمَد عقباه كالمفاخذة ونحوها فهذا يذهب بالمضمضة والوضوء!

والأدلة التي تعلق بها في إباحة الاختلاط ستكون بعد ذلك ستراً للاختلاط المشتمل على المجالسة والمسامرة والممازحة، وهي من الآفات المشهورة بين الأحباش والحبشيات. ولهذا تجد الفساد في الخلق والسلوك بين أتباعه وتابعاته أعظم إذا ما قورن بأتباع وتابعات الآخرين.

ولذا تجد من بين تابعاته وتلميذاته من ليست محجبة أصلا. وإذا سئلت عن ذلك قالت: المهم أن تتقن عقيدة التوحيد وإن كانت متبرجة[1].

إن الغيور على الشريعة يوافق أن الجدل حول الاختلاط والتزين والدفاع عنه لن يؤول إلا الى مزيد من التهاون بين عامة الناس، وسيكون نشر وذيوع هذا الدفاع عن شرعية الاختلاط والتزين والتعطر خارج المنزل مفهوماً على أسوأ وجوهه ولن يفهموه على الوجه الصحيح وسيودي الى مزيد من التهاون والفساد.

وهذه النقطة لا يلقي الحبشي لها بالا، وتدل على افتقاده عامل الحكمة، فليس كل شيء يجوز إلقاؤه بين العامة وأمام الرعاع. ونحن نقول بمنع الاختلاط لكثرة ما يودي الى ما لا تُحمد عقباه، وهو إن لم يعتبره البعض حراماً بعينه فهو حرام لكونه وسيلة من وسائل الفساد وقد قرر أهل العلم أن الوسيلة الى الحرام حرام.

أما اجتناب الاختلاط فهو عند الحبشي وأتباعه دليل على التطرف والتعسف، فقد غضب (جميل صقر) أحد كبار أتباعه في احدى حلقات الدروس الدينية في منزل (عماد نخال) بمدينة الرياض حين رفضت أخت زوجة هذا الأخير مشاركة الحاضرين والحاضرات في جلستهم «الدينية» المختلطة وهدد الحاضرين بترك المنزل إن بقيت في المطبخ ولم تنضم الى مجالس «الذكر المختلطة».

---

١) ولا يخفاك أي نوع من التوحيد يتقنه الأحباش فهو استعاذة واستغاثة بغير الله، وتقبيل للعتبات وجدران المزارات وتعلق بالأموات من دون الحي القيوم.

من الآثار في التحذير من الاختلاط

إن النصوص في التحذير من الاختلاط من أقوال الرسول ﷺ وأقوال السلف الصالح كثيرة ومنها :

○ قوله تعالى ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب**﴾.

○ وقالت عائشة « خير للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يراها الرجال».

○ وخطب النبي ﷺ بالناس في العيد ثم أتى النساء فوعظهن وأمرهنّ بالصدقة. قال الحافظ في الفتح « **قوله** (ثم أتى النساء): يُشعر بأن النساء كنّ على حدة من الرجال غير مختلطات بهم. وفي إحدى المرات اشتكين النساء للرسول ﷺ قائلات غلَبَنَا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً تعظنا فيه». وهذا دليل صريح على عدم اختلاط النساء بالرجال.

○ وعن مالك بن ربيعة أنه سمع النبي ﷺ يقول وهو خارج من المسجد، وقد رأى اختلاط النساء مع الرجال «إستأخرنَ، فليس لكُنَّ أن تحقُقنَ الطريق، عليكُنَّ بحافات الطريق. فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلّق بالجدار من لصوقها به» يفسره قوله ﷺ «ليس للنساء وسط الطريق»[1]. وهذا الحديث يبطل من ادعى قصر الاختلاط على التلاصق والتضامّ، لأنه يلزم من ذلك إبطال العمل بالحديث ومواصلة المرأة للمشي وسط الطريق عند عدم التضام والتلاصق.

○ لو جاز الاختلاط لجاز في الصلاة. قال ﷺ « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» [2]. ومع هذا فقد رغّب الاسلامُ المرأة أن تصلي ببيتها وجعل الصلاة في بيتها خيرا من صلاتها في المسجد.

○ وكان ﷺ يحرص على عدم اختلاط الرجال بالنساء في الطريق من المسجد الى البيت ولذلك كان إذا صلى بالناس ثبت في مكان صلاته ومن معه من الرجال حتى ينصرف النساء الى منازلهن،

---

١) رواه أبو داود (٥٢٧٢) وحسّنه الالباني بمجموع طرقه (الصحيحة ٢/٥٣٦).

٢) رواه مسلم (٤٤٠).

فعن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلّم قام النساء حين يقضي تسليمه ويمكث هو في مقامه يسيراً قبل أن يقوم».

قال الامام الزهري: « نرى والله أعلم أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهنّ أحدٌ من الرجال» (١). ولذلك قال ابن قدامة «إذا كان مع الامام رجال ونساء فالمستحب أن يثبت هو والرجال بقدر ما يرى أنهنّ قد انصرفن، ويَقُمْنَ هنّ عقب تسليمه... فإن الإخلال بذلك من أحدهما : **يفضي الى اختلاط النساء بالرجال**» (٢). وكان عمر رضي الله عنه ينهى أن يدخل الرجالُ المسجد من باب النساء (٣).

التكلم معهن ولو من غير حاجة

واحتج الحبشي بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان على جواز سماع صوت الجارية بالغناء ولو لم تكن مملوكة لم ينكر ﷺ على أبي بكر سماعه بل أنكر انكاره ثم قال « وفي الحديث دليل على أنه لا بأس بأن يتكلم مع النساء بما لا يحتاج اليه وليس هذا من الخوض فيما لا يعنيه»(٤).

ولكن إذا كان يجوز لغير حاجة فماذا يكلمهن؟ عن حالة الطقس؟ إن هذا يوضح مدى محاولة تخفيف القيود في العلاقة والمظهر بين الجنسين.

إن أي رجل غيور على عرضه لا يرتضي أن يكلم رجل ابنته أو زوجته من غير حاجة فما بال الملقب بـ « السلطان» يفسح المجال لذلك؟ ماذا دعاه الى التذكير بهذا الأمر؟ وتنبيه الأتباع والتابعات الى أن محادثاتهم معهن بغير حاجة أمر لا يعارض الشريعة؟

الجواب على ذلك أن هذه الطائفة الجديدة تبحث عن الاتباع وتغريهم بالماديات سواء كانت أموالا أو غير ذلك. وقد أثبتت التجارب أن بعض الشباب يبحث عن الطوائف والاحزاب التي تضم الاناث وتسهل علاقتهن مع الذكور، وها هي نساء الأحباش تغنين في إذاعة نداء

---

١) رواه البخاري (٨٧٠).
٢) المغني لابن قدامة ١/ ٥٦٠.
٣) رواه أبو داود (٤٠٦٤).
٤) صريح البيان ١٩٠-١٩١.

«الايمان» بطريقة تثير غرائز الرجال.

وكم يكون الأمر ممتعاً حين يفتي فيه سلطان ديني أو يتحمل مسئوليته، فالشيخ يفتي بذلك « ونحن على ذمته» كما يقولون!!!

ولا شك أن الاغراء الجنسي الماكر ونشر الجنس اللطيف وارخاء جبل (التعقيد) بينهن وبينهم (باسم الدين) يستقطب ويستهوي الشباب وأصحاب النفوس الضعيفة، ويبرر لأصحاب النفوس الدنيئة لَهَثَهُم وراء الشهوة والغريزة.

وحجتهم عند الله فتوى فضيلة (السلطان) خادم علم الشبهات. فإن بعض الناس يتخذون من فتاوى الشيوخ ذريعة وستاراً يظن أنه لن يُسألَ عنها يوم القيامة.

ومثل هذا جاهل بقوله تعالى **﴿ولَيَحملُنّ أثقالهم واثقالا مع اثقالهم﴾** وقوله **﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومِن أوزار الذين يضِلّونهم بغير علم: ألا ساء ما يزرون﴾**.



الانكار في مسائل الخلاف

والحبشي يتمسك بالمسائل المختلف فيها، ويختار المرجوح الشاذ منها ويحتج على المعترضين بأن في المسألة خلافاً ولا يحق الانكار فيما هو مختلف فيه.

ويلزم من ذلك:

أنه ليس للحنفي أن ينكر على الشافعي متروك التسمية كما أنه ليس للشافعي أن ينكر على الحنفي شرب النبيذ الذي ليس بمسكر ونكاح المرأة بلا ولي.

وانما يحق للحنفي أن ينكر على حنفي مثله أو الشافعي على شافعي مثله.

ولكن هل يجوز أن تبقى مسألة النكاح بدون ولي مأذونا بالخلاف فيها، ويكون النكاح فيها شرعيا عند الحنفي، زنى عند الشافعي أم يجب حسمها لاسيما وأنها معارضة لصريح قول النبي ﷺ «لا نكاح إلا بولي». وقوله « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل, فنكاحها باطل, فنكاحها باطل». وقوله « لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها, فإن الزانية هي التي تزوج نفسها».

وكيف يسوغ هذا عند قوم يقولون من تارة لأخرى « لا اجتهاد مع النص، واذا جاء الأثر امتنع النظر» [1].

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾

كيف صار حال الأمة هكذا: وما آتاكم أبو حنيفة فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولو كان مخالفا لكلام الله ورسوله ﷺ ؟

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ .

كيف صار حال الأمة هكذا: وما كان لمذهبي ولا مذهبية اذا قضى الشافعي أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص مالكا وأبا حنيفة فقد ضل ضلالا مبينا

كيف ينصر الله أمة هذه أفكارها وآراؤها وهكذا صار حالها؟

وكيف نغري الكفار بالدخول في دين الاسلام وهم يرون منا التقليد الأعمى والاستسلام لأقوال المشايخ أكثر من الاستسلام لقول الله والرسول.

---

(1) هذا الفصل مستفاد من كتاب الشيخ فضل الهي ظهير.

قال تعالى ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله**﴾. وهؤلاء يقولون وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه بحسب المذهب فيكون حراما عند الشافعي حلالا عند أبي حنيفة مستحبا عند أحمد مكروها عند مالك!

قال تعالى ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ فجعل الله الرد الى الله والرسول شرطا من شروط الايمان .

والرسول ﷺ يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره» ولم يقل ولا تنكروا على من كان يعتقد الحرام حلالا. هكذا من غير تعليمه الحق بجانب من في هذه المسألة.

فكل ما خالف النص الصريح الثابت ينكر عليه مهما كان مقامه وفضله. فإنه لن يصل الى فضل أكابر الصحابة وهم قد أخطئوا وأنكر عليهم صحابة آخرون.

فالعبرة في الانكار بالنص لا بمذاهب الناس.

إن القول (لا انكار في مسائل الخلاف) صار ذريعة الى سد باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولو سلمنا بهذه القاعدة لوجد المخالف للكتاب والسنة من يتستر ويحتج برأيه في كثير من المسائل فيسلم من الانكار عليه رغم معارضته لما ثبت بالكتاب والسنة.

فالقاعدة الصحيحة: كل من خالف ما جاء في الكتاب والسنة ينكر عليه سواء كانت المسألة من مسائل الخلاف أم من غيرها مع ضرورة مراعاة ما يترتب على الانكار.

وعدم إنكار المنكر على من يرى الحكم منكرا هو:

قتل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تضييع للحق واعتقاد بتعدده حيث يكون حراما حلالا في نفس الشيء الواحد بحسب نوع المذهب. فالحرام حلال على من اعتقده حلالا. حرام على من اعتقده حراما. ومن أخطأ في اجتهاد منذ ألف سنة يجب الأخذ بخطئه.

ولا يجوز حسم المسائل لأن هذا فوضى تهدد الشريعة الاسلامية وتطاول على الأئمة ونسف لجهودهم... الى غير ذلك من الافساد المزين في صورة الاصلاح.

فهل هذه الصفة في الأمة تغري الكافر في الدخول في الاسلام أم أنها تنفره منه لما يرى من الدعوة الى التقليد وأن كلا من المتخاصمين مصيب.

سبب اللبس في هذه المسألة

ان السبب في هذا الفساد المنهجي :

أولا: هو اعتقاد كثيرين من الأشاعرة أن كل مجتهد مصيب. والتي أخذ الشعراني يدافع عنها بشدة. وحكاها الحافظ ابن عساكر عن أبي الحسن الأشعري [1]. وهي قاعدة فاسدة باطلة. تخالف قول النبي « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران. واذا اجتهد فأخطأ فله أجر»:

ثانيا: « أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم » [2] وأن كل مسألة خلافية هي مسألة اجتهادية، والأمر ليس كذلك حيث تنقسم مسائل الخلاف إلى قسمين:

فالمسائل الخلافية غير الإجتهادية هي المسائل التي اختلف فيها العلماء، ولكن يوجد نص صريح يدل على صحة أحد الأقوال فيها.

أما المسائل الخلافية الإجتهادية فهي المسائل التي وجد فيها الخلاف لكن لم يوجد نص صريح يدل على صحة أحد الآراء فيها.

لاعذر لأحدٍ عند الله يوم القيامة إذا كان قد ترك النصوص التي لا معارض لها بحجة تمسكه برأي أحد من الناس.

---

(1) انظر الميزان الكبرى للشعراني ٣٢-٣٥ ط: وقف الاخلاص بتركيا ضمن كتاب علماء المسلمين وجهلة الوهابيين. وتبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الأشعري ١٥٢.

(2) إعلام الموقعين ٣/٣٠٠

الإنكار على أكابر الصحابة فيما فاتهم من السنن

ولقد قيل لابن عمر: إن أباك ينهى عن حج التمتع. فقال: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ أمرُ أبي يُتبع أم أمر رسول الله ﷺ؟ [1].

وأنكر عمار على عمر منعه الجنب عن الصلاة بالتيمم اذا لم يجد الماء [2].

وأصدر أبو بكر عنه حكماً بقطع رجل السارق بعد اليد. فلما نبّه أن حكمه يعارض السنة رجع عنه حين قال له عمر « السنة اليد » [3] وفي رواية: فقال « لا، والذي نفسي بيده لتقطعن يده الأخرى ». فأمر به أبو بكر رضي الله عنه فقطعت يده [4].

وكان عمر بدوره يقول « الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئا حتى قال له الضحاك بن سفيان: كتب الي رسول الله أن ورث (أورث) امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها. فرجع عمر رضي الله عنه» [5].

قال الامام الشافعي تعليقا على هذا « فقد رجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عما كان يقضي به لحديث الضحاك رضي الله عنه، الى أن خالف حكم نفسه» [6]

وقال الامام الخطابي « فلما بلغته السنة ترك الرأي وصار الى السنة» [7]

نقض الفاروق حكمه برجم المجنونة حينما نبه بحكم السنة فيها:

وعن ابن عباس أن عمر أتي بمجنونة قد زنت فأمر بها فرجمت فمر بها علي فقال ما شأن هذه؟ قالوا مجنونة بني فلان زنت. فقال: ارجعوا بها. ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين أما علمت أن القلم رفع. أن رسول الله ﷺ قال: ان القلم قد رفع عن ثلاث عن المجنون حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يعقل. قال بلى. قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: فأرسلها فجاء يكبر (يعني عمر) [8].

---

(1) جامع الترمذي رقم (٨٢٣) وصحح اسناده شيخنا الألباني في صحيح الترمذي ٢٤٧/١.

(2) صحيح مسلم كتاب الحيض: باب التيمم رقم (٣٦٨).

(3) المصنف، كتاب الحدود، في السارق يسرق فتقطع يده ورجله ثم يعود، رقم الحديث ٨٣١٤، ٥١٠/٩؛ وسنن الدارقطني، كتاب الحدود والديات وغيره، رقم الحديث ٣٨٨، ٢١٢/٣. وأخرجه أيضا الإمام ابن حزم في المحلى ٤٠٢/١٣.

(4) السنن الكبرى للبيهقي كتاب السرقة باب السارق يعود فيسرق ثانيا وثالثا.

(5) سنن أبي داود كتاب الفرائض (٢٩٢٥).

(6) الرسالة الحجة في ثبوت خبر الواحد ص ٤٢٨.

(7) معالم السنن المختصر مع سنن أبي داود ١٩١/٤.

(8) أبو داود ٤٣٨٨.

وكان عمر قد فرق في دية الأصابع فجعل في الابهام خمسة عشر وفي السبابة عشرة وفي الوسطى عشرة. وفي البنصر تسعة وفي الخنصر ستة. فبلغه خبر كتاب النبي ﷺ لآل حزم وكان قد جاء فيه أن الأصابع كلها سواء. فرجع اليه وترك قوله. [وفي رواية] فأخذ به وترك أمره الأول[1].

وكان عثمان يرى النهي عن حج التمتع رغبة في اكثار زيارة الناس لبيت الله الحرام. فلما سمع ذلك علي بن أبي طالب أنكر على عثمان. وفي رواية البخاري: فلما رأى ذلك علي أهل بهما لبيك بعمرة وحجة قال: ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد[2]. وفي رواية عند أحمد: فقال عثمان: تراني أنهى الناس وأنت تفعله؟ قال: لم أكن أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس.

نقض معاوية قراره بالسير نحو بلاد الروم عند معرفة مخالفته السنة

كان بين معاوية وبين الروم عهد وبدأ يسير بالجيش نحو بلادهم حتى انقضى العهد فغزاهم فجاء رجل على فرس وهو يقول الله أكبر (وكان عمرو بن عبسة) فأرسل اليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ اليهم على سواء. فرجع معاوية[3].

فلا الحاكم له أن ينقض حكم غيره. ولا العالم ولا المفتي له أن يلزم الناس باتباعه في مثل هذه المسائل. ولهذا لما استشار المنصور مالكا أن يحمل الناس على موطئه في مثل هذه المسائل منعه.

فلا تقل كيف أخطأ الشافعي ولكن قل أخطأ أبو بكر وعمر وهم مجتهدو الصحابة. هذا ابن عباس فاته أن المتعة قد نسخت. وهذا عمر فاته أن التيمم يكفي للجنب ونسي قول النبي ﷺ.

وهذا ابن مسعود نسي أن التطبيق عند الركوع منسوخ:

وهذا أبو هريرة ينهى عن أن يغتسل الرجل والمرأة في الاناء الواحد.

فهل يجوز تقليدهم في نسيانهم؟

---

(1) انظر فتح الباري ١٢/٢٢٦.
(2) البخاري كتاب الحج ٣/٤٢١ (١٥٦٣).
(3) سنن أبي داود رقم (٢٧٥٦).

وهناك خلاف بين العلماء على مشروعية رفع اليدين عند الركوع وعند رفع الرأس منه: قال الامام محمد بن نصر المروزي «أجمع علماء الأمصار على مشروعية ذلك الا أهل الكوفة»[1]. وقال بعض الحنفية: إنه يبطل الصلاة ونسب بعض متأخري المغاربة فاعله الى البدعة[2].

واذا رددنا الأمر الى السنة المطهرة وجدنا فيها نصوصا تدل على أن النبي ﷺ كان يرفع يديه في الصلاة عند الافتتاح وعند الركوع وعند رفع الرأس منه.

ومنها ما رواه البخاري عن ابن عمر قال « رأيت رسول الله ﷺ اذا قام في الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه، وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك اذا رفع رأسه من الركوع ويقول: سمع الله لمن حمده»[3].

تعين التكبير للدخول في الصلاة

قال النبي ﷺ اذا قمت الى الصلاة فكبر[4] وقال « انها لم تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله عز وجل ثم يكبر الله عز وجل ويحمده. ورواه الطبراني بلفظ « ثم يقول الله أكبر.»[5].

وعلى هذا العمل كما قال الترمذي عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم وبه يقول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد واسحاق أن تحريم الصلاة التكبير ولا يكون الرجل داخلا في الصلاة الا بالتكبير .

وقال الامام عبد الرحمن بن مهدي « لو افتتح الرجل الصلاة بتسعين اسما من أسماء الله تعالى ولم يكبر لم يجزه»[6].

ولكن رغم هذا كله فان هذه المسألة الخلافية حيث يرى الحنفية أن الصلاة تنعقد بكل لفظ يقصد به التعظيم[7]. بل روي عن أبي حنيفة أنه قال « إن افتتح الصلاة بالفارسية وقرأ بها وهو يحسن العربية أجزأه»[8].

---

(1) فتح الباري ٢١٩/٢ وانظر فقه السنة ١٤٣/١.
(2) فتح الباري ٢٢٠/٢.
(3) البخاري (٧٣٦) ٢١٩/٢.
(4) البخاري رقم (٧٩٣) ٢٧٧/٢.
(5) سنن النسائي كتاب الافتتاح ٢٢٦/٢. فتح الباري ٢١٧/٢.
(6) جامع الترمذي ٣٥/٢-٣٦.
(7) فتح الباري ٢١٧/٢.
(8) كتاب المبسوط ٣٦/١-٣٧. فتح القدير ٢٨٤/١-٢٨٥.

وعن علي أن النبيَ ﷺ قال « مفتاح الصلاة الطهور وتحريمهـا التكبير وتحليلها التسليم»[1]. وذهب الأئمة الشافعي ومالك وأحمد الى أن الخروج عـن الصـلاة بلفظ السلام فرض. وعند ابي حنيفة ليس بفرض بل يرى أن الخروج من الصـلاة بكل فعل وقول يضاد كالحدث ونحوه حملا على السلام وقياسا عليه.[2]

قال أبو حنيفة اذا صح الحديث فهو مذهبي[3].

قال مالك « انما أنا بشر أخطيء وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتـاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[4].

قال أحمد « من رد حديث رسول الله ﷺ فهو علـى شـفا هلكـة». (منـاقب أحمد لابن الجوزي ٢٣٥).

قال الحافظ ابن حجر تعليقا على كلام البخاري [فاذا عزم رسول الله ﷺ لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله]: ويسـتفاد مـن ذلـك أن أمـره ﷺ اذا ثبت لـم يكـن لأحد أن يخالفه ولا يتحيل في مخالفته، بل يجعل الأصل الذي يرد اليـه مـا خالفـه، لا بالعكس، كما يفعله بعض المقلدين» (فتح الباري ٣٤١/١٣).

قال العيني في شرحه حديث عائشة « كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد». ذكر ابن أبي شيبة عن أبي هريرة أنه كان ينهى عن أن يغتسل الرجل والمرأة مـن إناء واحد. قلت: غاب عنه الحديث المذكور والسنة قاضية عليه» (عمدة القاري ١٩٦/٣).

« قال الشافعي « أما ما دلت عليه السـنة فلا حجـة فـي أحد خـالف قولـه السـنة» (الرسـالة ٣٣٠). قـال النـووي « وقـد عمـل بهـذا أصـحابنـا فـي مسـألة التثويـب واشتراط التحلل من الاحرام بعذر المرض. وكان جماعة من متقدمي أصحابنـا اذا رأوا مسألة فيها حديث ومذهب الشافعي خلافه عملوا بالحديث وأفتوا بـه قـائلين « مذهب الشافعي ما وافق الحديث» (المجموع شرح المهذب مقدمة الامام النووي ١٠٨/١).

---

[1] رواه أحمد في المسند ٢١٨/٢ وأبو داود (١٠٠٦) قال الحافظ اسناده جيد (فتح ٣٢٢/٢).
[2] المجموع ٤٢٤/٣ واحتجوا بحديث ضعيف عارضه الخطابي وبين ضعفه في معالم السنن (١٧٥/١).
[3] حاشية ابن عابدين ٦٨/١.
[4] جامع بيان العلم وفضله باب معرفة أصول العلم.

وكان أبو حنيفة لا يرى فيما يخرج من البحر شيئاً، فخالفه القاضي أبو يوسف رحمه الله تعالى في هذا محتجاً بما روى فيه حديثاً. فقال: وأما أنا فإني أرى في ذلك الخمس، وأربعة أخماسه لمن أخرجه، لأنا قد روينا فيه حديثاً عن عمر رضي الله عنه، ووافقه عليه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، فاتبعنا الأثر ولم نر خلافه»(كتاب الخراج ص ٧٠).

ترك القاضي أبي يوسف رأي أبي حنيفة في المزارعة والمعاملة:
كان الامام أبو حنيفة رحمه الله يكره المزارعة والمعاملة في الأرض والنخل وأباحهما أبو يوسف متبعا ما ثبت عن النبي ﷺ في مساقاة خيبر. قال أبو يوسف: فكان أحسن ما سمعنا في ذلك أن ذلك جائز اتبعنا فيه الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ في مساقاة خيبر لأنها أوثق عندنا وأكثر وأعم مما جاء في خلافها من الأحاديث» (كتاب الخراج ٨٨-٨٩).

ترك أبي يوسف رأي أبي حنيفة في قتل المرأة التي تسب أو تعيب الرسول ﷺ.
وكان أبو حنيفة لا يرى قتل المرأة التي تسب النبي بل تجبر على الاسلام حيث صارت كافرة. قال أبو يوسف: وأيما رجل سب رسول الله ﷺ أو كذبه أو عابه أو تنقصه فقد كفر بالله وبانت منه زوجته فان تاب والا قتل. وكذلك المرأة الا أنا أبا حنيفة قال: لا تقتل المرأة وتجبر على الاسلام» (كتاب الخراج ١٨٢).

ترك محمد رأي أبي حنيفة في تأمين الامام: كان أبو حنيفة لا يرى تأمين الامام ويؤمن من خلفه فقط. وخالفه محمد فرأى أن يؤمن الامام والمأموم من خلفه مستدلا بالحديث « اذا أمن الامام فأمنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» (عون المعبود ٣/١٤٤).

ترك محمد رأي أبي حنيفة في ايجاب الدم بسبب تقديم الحلق على النحر: كان أبو حنيفة يرى أن المتمتع والقارن اذا حلق قبل الذبح عليه دم فخالفه محمد بن الحسن الشيباني مستدلا بالحديث أن رجلا قال يا رسول الله: نحرت قبل أن أرمي قال « ارم ولا حرج». لذا قال محمد « وأما نحن فلا نري عليه شيئا». (موطأ محمد الشيباني ٢٢٩-٢٣٠).

ترك محمد رأي أبي حنيفة في عقد النكاح بلا ولي: قال محمد لا نكاح الا بولي... فأما أبو حنيفة اذا وضعت نفسها في كفاءة ولم تقصر في نفسها في صداق فنكاحها جائز... (بدائع الصنائع ٢٤٧/٢ وموطأ محمد الشيباني ٢٤٤).

ترك الشيخ البلخي رأي الحنفية في مسألة رفع اليدين عند الركوع والرفع منه. قال اللكنوي « والى الله المشتكى من جهلة زماننا حيث يطعنون على من ترك تقليد إمامه في مسألة واحدة لقوة دليلها ويخرجونه عن مقلديه، ولا عجب منهم فانهم من العوام وانما العجب ممن يتشبه بالعلماء ويمشي مشيهم كالأنعام (الفوائد البهية في تراجم الحنفية ٩٨-٩٩).

قال ابن عابدين: حصلت مخالفة الصاحبين لأبي حنيفة في نحو ثلث المذهب (الحاشية لابن عابدين ٦٧/١)

وهكذا ترى منهج أولئك الأئمة الأفاضل يميلون مع الحق ويحسمون ما سبق من خلاف ويخالفون أبا حنيفة إمامهم ويوافقون الشافعي في كثير من المسائل ومنها ما تقدم في مسألة الربا من مخالفة أبي يوسف للأوزاعي ومخالفته أبا حنيفة في جواز أخذ الربا من الكافر الحربي.
ذلك أنهم يميلون مع الحق الذي هو أولى عندهم حتى من أبي حنيفة: ولا شك أن هذا ما علمهم أبو حنيفة إياه.

فحالهم يختلف عما آلت اليه أحوال الناس اليوم من التقليد الذي شجع عليه علماء السوء الذين يلبسون الحق بالباطل ويغري العامة بالمصلحين، ويوهمونهم أنهم يطعنون في أئمة المذاهب وينشرون الفوضى الدينية ليجعلوا من أنفسهم مجتهدين ويلغوا جهود الأئمة السابقين. الى غير ذلك من الاتهامات الباطلة.

وبعد هذه الجولة حول مسألة الانكار في مسائل الخلاف سنعرج على مسألة الاجتهاد والتقليد بالتفصيل.

هل الصحابة مقلدون؟

١) ذكر الحبشي أن أغلب أصحاب النبي ﷺ كانوا مقلدين لا يستطيعون استخراج الأحكام من القرآن والسنة. وأن المجتهدين من الصحابة ستة فقط. وأن النبي ﷺ كان يعلم أن أكثرهم لا يستطيعون استخراج الأحكام من القرآن والسنة [١].

وقد كذب الدهلوي هذا القول وأكد أن أحدا من الصحابة والتابعين لم يكن ليأذن أن يقلده أحد في كل ما يقوله ويذهب اليه، وأن تقليد شخص بعينه لم يكن معروفا بين الصحابة والتابعين ولم يعرف الا في القرن الرابع [٢].

بل ذكر الزبيدي أن « المقلدة عصت الله في قوله ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ وعصت الرسول في قوله ﴿فاتبعوني﴾ وعصت إمامها في قوله: خذوا بالحديث اذا بلغكم، واضربوا بكلامي الحائط» [٣].

ومن الوقاحة أن يدافع هؤلاء عن التقليد وليس معهم من كلام أئمة المذاهب الا التحذير الشديد من التقليد والوصية بأن يأخذوا من حيث أخذ الشافعي وأحمد. وهؤلاء هم الممثلون الحقيقيون لنهج الصحابة. ولو كان التقليد بين الصحابة مشروعا لما حذر الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ومالك من التقليد.

ولو كان التقليد عقيدة الصحابة لما مانع الشافعي من ذلك.

والسؤال المفحم: هل قلد الصحابة علماءهم في كل شيء: في العقائد والأحكام أم في الأحكام دون العقائد؟

فإن قال: في الأحكام فقط طولب بالدليل.

وإن قال بلا تفريق ألزمناه بتوقف الأشاعرة في إيمان من يقلد في العقائد. فقد قال أبو منصور البغدادي « قال أصحابنا: كل من اعتقد أركان الدين تقليداً... فهذا غير مؤمن بالله ولا مطيع له، بل هو كافر... ومنهم من قال: لا يستحق اسم المؤمن الا اذا عرف الحق في حدوث العالم وتوحيد صانعه... وهذا اختيار الأشعري وليس المعتقد للحق بالتقليد عنده مشركاً ولا كافراً وإن لم يسمّه على الاطلاق

---

١) شريط (٣) ٧٤٤ وجه (١) وانظر صريح البيان ٥٧ طبعة مجلدة.

٢) أنظر كتاب حجة الله البالغة ١/١٥٢-١٥٥

٣) اتحاف السادة المتقين ٣/٤٣٧.

مؤمناً»[١] . ولم يتكلموا في حدوث العالم وتوحيد الصانع.

فهم على طرفي نقيض حيث يحرمون التقليد مطلقاً في أصول الدين حتى على العامة، وفي المقابل يجيزونه في الأحكام مطلقاً. حتى إنهم يذكرون مسألة هي حرام عند الشافعي، حلال عند مالك ويختمون المسألة بقولهم: من شاء أن يقلد الشافعي في التحريم فله ذلك، ومن شاء أن يقلد مالكاً في الإباحة، فله ذلك. الى هنا تنتهي المسألة عندهم!

ثم قول الحبشي هذا استخفاف بالصحابة الكرام بناء على ما اتفق عليه من أن المقلد جاهل وأنه ليس من أهل العلم. قال السيوطي « إن المقلد لا يسمى عالما» [٢].

ويؤكد هذا الاستخفاف ما اشترطه الحبشي من مواصفات المجتهد وذلك:

- أن يكون فقيه النفس
- أن يكون قوي القريحة
- أن يكون كامل الذكاء. ذهنه قوي في معرفة مآخذ الأحكام[٣]

أفلا يستحق أحد من الصحابة هذه الاوصاف الا ستة منهم!

ونسأل الأحباش: ماذا لو وصفنا شيخكم بأنه مقلد؟

أخبرونا: هل شيخكم فقيه النفس قوي القريحة كامل الذكاء؟ إن قلتم نعم: فقد فضلتموه على الصحابة «المقلدين». وإن قلتم لا - وأنتم لن تقولوا - طعنتم في سلطانكم ورميتموه بالغباوة.

هل ترضون أن نضعه في قائمة الصحابة المقلدين أم أنكم ترونه أعلى قدراً من أن يكون بين الصحابة المقلدين لأنه سلطان العلماء عندكم ولهذا تلقبونه بالسلطان؟

- والحق أن من تأمل سيرة الصحابة رضي الله عنهم رأى أنهم كانوا اذا ظهرت لهم السنة لم يكونوا يَدَعُونها لقول أحد كائناً من كان. وكانوا أحرص الناس عملا بهذه الآية ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ [النساء٥٩]. وقد تقدمت أمثلة عديدة لذلك. وكان رجوع الصحابة الى ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم لما

---

١) أصول الدين ٢٥٤-٢٥٥.
٢) نقله السندي في حاشية ابن ماجة ٧/١ وأقره.
٣) شريط (٤) ١٩٣ وجه (١).

فاقوهم في العلم لا لكونهم أصحاب مذاهب.

قال البخاري « وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ»[1].

وروى الدارمي عن الأوزاعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز: إنه لا رأي لأحد في كتاب، ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ، ولا رأي لأحد في سنةً سنها رسول الله ﷺ»[2].

- فمَن من الصحابة صرح بعدم صحة صلاة مقلدي ابن مسعود وراء مقلدي ابنَ عباس، ومن منهم أفرز للناس قاضيا مسعودياً وقاضيا عباسياً على النحو الذي جرى بين المسلمين طيلة القرون الماضية حيث كان في القرية الواحدة أربعة أئمة وأربعة قضاة وأربعة مفتين: قاض ومفت وإمام للشافعية وقاض ومفت وإمام للحنبلية وقاض ومفت للحنفية وقاض ومفت وإمام للمالكية! وحرموا على المسلمين عامة تقليد غير هذه المذاهب الأربعة كما قال ابن حجر الهيتمي في فتح الأربعين (ص ٢٢١) قال بعض أئمتنا: لا يجوز تقليد غير الأئمة الأربعة».

- ولئن كانت طريقتهم مثل طريقة المقلدين اليوم فلماذا نصرهم الله وخذلنا وتخلى عنا؟ لقد نصرهم الله حين جعلوا الغيرة على دين الله فوق أي اعتبار آخر.

الصحيح أن بدعة التقليد لا دليل يدل عليها بل الصحيح أن التقليد لم يأخذ شكله الا في القرن الرابع الذي ذمه رسول الله ﷺ[3].

ولقد أنكر ابن عباس على قوم كانوا يعارضون السنة لقول أبي بكر وعمر فقال « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول لكم قال رسول الله، وتقولون قال أبو بكر وقال عمر[4].

فماذا لو رأى ابن عباس شيوع التقليد في الأمة والتعصب الأعمى، ماذا لو سمع بقول الكرخي « **كل آية تخالف ما عليه**

---

١) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالسنة: باب: قول الله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ و ﴿وشاورهم في الأمر﴾.

٢) سنن الدارمي ١/٩٥ باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ حديث رقم (٤٣٧.

٣) الانصاف للدهلوي.

٤) جامع بيان العلم ٢/١٩٦ الفقيه والمتفقه ١/١٤٥.

أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ» [١].

وقال أحمد « عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان، والله يقول ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك» [٢].

وقال صديق هذه الأمة أبو بكر « أطيعوني ما أطعتُ اللهَ فيكم فإن عصيتُه فلا طاعة لي عليكم» [٣] وبهذا يتبين أن اتباع السنة وتحري الحق أعظم عندهم من زيد وعمرو. ولم يكونوا يستحوذون على عقول الناس ويقيدوها ويغلّوها كماً يُغَلّ الحمير.

---

١) **الأصل** للكرخي ١٥٢ ملحقة بتأسيس النظر للدبوسي.

٢) **أخرجه** ابن بطة في الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ١/٢٦٠.

٣) رواه ابن اسحاق في السيرة وسنده صحيح. وانظر البداية والنهاية ٥:٢٤٨.

مسألة التقليد

يجب الاعتراف بفضل علماء وفقهاء هذه الأمة والخير الذي تركوه من بعدهم، كأبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك رضي الله عنهم فقد شهدت الأمة بصلاحهم ونبلهم، وأحبهم من رآهم ومن لم يرهم.

وإن المحذّر من التقليد الأعمى ليس داعياً الى كُفران فضلهم وإنما يدعو الى ما دعوا اليه وينهى عما نهوا عنه، فقد نهوا عن تقليدهم تقليداً أعمى فيما نسميه بـ (التعصب) الذي جاء الاسلام لاستئصاله.

فإنه لا غنىً لطالب العلم عن أقوالهم واجتهاداتهم ليستعين بها في فهم نصوص الكتاب والسنة ولكن من غير أن يجعل مذاهبهم وفتاويهم مقدَّمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه من دون التحاكم الى الله والرسول. فإننا مع تعظيمنا لهم نعلم أنهم بشر غير معصومين ولهم طاقات محدودة. وأن العلم يستوعب الرجال ولكن الرجال لا يستوعبون العلم كله.

ونؤمن أنهم قد أوصلوا الناس بعلومهم الى مرحلة يمكن لمن يأتي بعدهم أن يسهم في قطع مراحل أخرى من العلم وكذلك من جاء بعدهم يقطع مراحل أخرى...

والأواخر في كل علم وفن عالة على المتقدمين، وعملهم ثمرة لشجرة غرسها سلفهم الصالحون، فعاد الفضل للأوائل

ولكن حال أهل التقليد دون الوصول الى هذه المراحل واكتفوا بمرحلة الأئمة.

فقد أبى بعض دعاة التقليد الأعمى الا الانغلاق والتعصب والجمود، فأغلقوا باب الإجتهاد بالكلية وشبهوا الخارجين عن طور التقليد بالخارجين عن طور الدين. وصار هو البدعة في الدين والفوضى التي تهدم الدين. وحكموا بالغيب أن الله لن يخلق لهذه الأمة عالماً واحداً مجتهداً، وكأن الله قد أطلعهم على غيبه أنه لن يخلق مجتهدا.

إنه يجوز للعوام تقليد مذهب من المذاهب وذلك بسبب عجزه عن طلب العلوم أو لكونه أمياً ولكن بشرط أن لا يتعصب لقول مذهبه فيما تبين له أنه راجح عند الامام الآخر. فإن الآراء الراجحة مقسمة بين الأئمة وليست في مذهب واحد فقط دون الآخرين. فتارة يكون قول الشافعي هو الراجح وتارة يكون قول أبي حنيفة أرجح منه. وتارة

يكون الحق حليف مالك وتارة يكون حليف أحمد. وهكذا.

وهذا لا يعني تحريم تقليد العامة لمذهب أو لإمام يثقون في دينه ولكن بشرط: متى ظهر لهم أن الحق يخالفُ المذهب في مسألة ما فعليهم أن يتركوا المذهب في المسألة عينها ويدوروا مع الحق حيثما كان.

وإذا كان مقلداً لأحمد وتبين أن قوله في مسألة ما غير راجح وأصح منه قول الشافعي فإنه يذهب مع الشافعي في هذه المسألة دون أحمد ولا مانع أن يبقى في غير هذه المسألة على مذهب أحمد.

وحينئذ لا يضر العامة تقليد أئمتهم في خطأ لم يتبين لهم، ما داموا على هذه النية مستعدين لتقديم قول الله ورسوله على قول المذهب والإمام. لا أن يكون حالهم كحال المقلدين القدامى الذين **﴿إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾**. هذا هو المنهج الذي أوصى به أئمة المذاهب.

يقول الحافظ ابن عبد البر « فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها لأنها لا تتبين موقع الحجة، ولا تصل بعدم الفهم الى علم ذلك... ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله عز وجل **﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾** [الأنبياء ٧].

وقال ابن تيمية « والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة، والتقليد جائز في الجملة: لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد»[1] وبهذا ينتفي كلام من زعم أننا نحرم التقليد مطلقاً، وإنما نحرم ذاك التقليد الأعمى الذي يصير صاحب المذهب به معصوماً لا يجوز تخطئته البته. فمع أننا لم نغلق باب التقليد كلياً إلا أن بعض المغرضين لا يزالون يشيعون علينا أننا نسبّ الأئمة الأربعة ونخالف أقوالهم ومذاهبم.

---

١) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٢.

الائمة الاربعة لم يسنوا التقليد

وقد بلغت الأمة من فساد التقليد ما أوقعها في الجمود الفكري وجعل أهل القرون المظلمة يسبقوننا بأشواط وقد استفادوا من نقلة وحضارة سلفنا وبنوا عليها تقدماً مذهلا.

- واتخذ المسلمون من المذاهب شكلا حزبياً بحتاً أساء الى من تنتمي المذاهب اليهم قبل كل شيء، واتخذ التمذهب شكلا إقليمياً فمن كان من أهل المغرب فهو بالتأكيد مالكي ومن كان من بلاد الهند وما وراء النهر فلا بد أن يكون حنفياً!

وبرزت تلك الصورة القاتمة المظلمة من العالم الاسلامي التي يذكرها الشيخ محمد أبو زهرة حيث يقول « وقد اتسم عصر ابن تيمية بالتحيز الفكري، فكلٌ له إمام يتبعه في الفقه وفي العقيدة، وفي كل مدينة أربعة قضاة يقضي حسب المذهب وإمام حسب المذهب [1]. ولو قدّر أن يبعث الله الشافعي وينظر ما أحدثوه من بعده من التعصب باسمه لتبرأ ممن ينتسبون اليه.

---

١) تاريخ المذاهب الاسلامية ٦٤٢ محمد أبو زهرة.

معنى التعصب والتقليد

قال أبو عبد الله بن خويز منداد المالكي: التقليد معناه في الشرع الرجوع الى قولٍ لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوعٌ منه في الشريعة»[١].

أما التعصب فمعناه: عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بسبب الميول والأهواء، والتمسك بالرأي ولو كان خطأ، وهو علامة على الزيغ والانحراف. وأصل معناه وضع العصابة على العين فلا تبصر.

○ وقد اختبر الله الناس بعائشة رضي الله عنها حين خرجت على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وصرح عمّار بن ياسر بهذا الإختبار فقال « والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم: إياه تطيعون أم هي»[٢].

فلماذا لا يختبر من بعدهم بأحمد والشافعي ومالك وابي حنيفة. لقد اجتهد هؤلاء الأفاضل في مسائل عديدة فأصابوا وأخطأوا وهم مثابون على خطئهم، فالشافعي مثاب على اجتهاده وإن أخطأ، أما المقلد له في الخطأ مع علمه بذلك فهو مأزور غير مأجور.

---

١) جامع بيان العلم ١٤٣/٢ لابن عبد البر.

٢) البخاري (٧١٠٠).

اذا كان التقليد واجبا فلماذا نهى الأئمة عنه؟

ولو اعترض معترض على التقليد اتهموه بأنه يحرض العوام على الاجتهاد قائلين له: أنت مقلد أم مجتهد؟ إن رفضت التقليد لزمك الاجتهاد.

وهكذا قصروا الناس على رتبتين وكتموا مرتبة وسطا بينهما. وهي مرتبة طالب العلم الذي ليس بعامي أمي ولا مجتهد.

والشافعي قد برَّأ نفسه من تبعة المقلدين العميان فحذر من تقليده: كما روى عنه المزني في أول مختصره أنه كان ينهى عن تقليده وتقليد غيره ويقول:

« إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها، ودَعوا ما قلتُه» [1]. وقال « كل ما قلتُ فكان عن النبي ﷺ خلاف ما قلتُ مما يصح: فحديث النبي أولى فلا تقلدوني.». وقال « أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدَعَها لقول أحد» [2]. فهل يعي مقلدو الشافعي تحذير الشافعي؟!

وَلكنَ: وكما حكى الزبيدي: أن المقلدة عصت الله في قوله ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه**﴾ وعصت الرسول في قوله ﴿**فاتبعوني**﴾ وعصت إمامها في قوله: خذوا بالحديث اذا بلغكم، واضربوا بكلامي الحائط»[3].

---

١) سير أعلام النبلاء ٣٤/١٠ و٧٨، مناقب البيهقي ٤٧٢/١.

٢) المجموع شرح المهذب ١٠٨/١ سير أعلام النبلاء ٣٣/١٠ آداب الشافعي ومناقبه ٦٩ للرازي تحقيق عبد الغني عبد الخالق.

٣) اتحاف السادة المتقين ٤٣٧/٣.

العز بن عبد السلام يمقت التعصب المذهبي

قال رحمه الله «ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مذهب إمامه، بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً، وهو مع ذلك يقلده فيه، ويترك من شهد الكتابُ والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جموداً على تقليد إمامه، بل يتحيَّل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولها بالتأويلات البعيدة: نضالا عن مقلَّده...

قال: وما رأيت أحداً رجع عن مذهب إمامه، بل يُصرُّ عليه مع علمه بضعفه وبُعده.. وإذا عجز عن تمشية مذهب إمامه قالَ: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد إليه... فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليدُ بَصره، حتى حمله على مثل ما ذكرتُه، وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان، وعلى لسان من ظهر، وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم في الأحكام، ومسارعتهم الى اتباع الحق اذا ظهر من لسان الخصم» [١]. انتهى كلامه رحمه الله.

الرازي يشكو من التقليد الأعمى

وروى الرازي في تفسيره الكبير عن شيخه أنه قال «شاهدتُ جماعةً من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات، فلم يقبلوا تلك الآيات، ولم يلتفتوا اليها وبقوا ينظرون إليّ كالمتعجب: كيف يمكن العمل بظاهر الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها! قال: ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء سارياً في عروق الأكثرين من أهل الدنيا». وقال الرازي «الأكثرون من المفسرين قالوا: ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم» [٢].

وقد بلغ التقليد بقوم أن صار كلام شيخهم دائراً في أتباعه يدرسونه كما يدرسون كلام الله، وأكثرهم لا يفقهونه، بل كلما كانت عبارات شيخهم أبعد عن الفهم كلما كانوا أشد تعظيماً لها، وقالوا: كلامه أعلى شأناً من مداركنا.. بل اذا كفّر شيخُهم عالماً قلدوه في تكفيره.

---

١) قواعد الأحكام ٢/١٣٥-١٣٦.

٢) تفسير الرازي ٤/٤٣١.

التقليد: تارة واجباً وتارة كفراً!

التقليد في العقائد كفرٌ عند الأشعري، وخالفه أئمة الحنفية من الماتريدية فرأوا أن المقلد في العقائد لا يكفر مطلقاً. غير أننا من الناحية العملية نجد كلا الفريقين يقلدون سواء في الأحكام أو في العقائد.

الحالات التي يجوز فيها التقليد
وكيف نستفيد من الجهود القديمة ونطورها

ولا ريب أن العلماء الماضين قد بذلوا غاية الجهد في تحقيق المسائل وتجميعها، وقدموا في ذلك خلاصة جهدهم وبحوثهم لنا، فلم يبق علينا إلا النظر في اجتهاداتهم ومقارنة أدلتهم بعضها ببعض ثم ترجيح الأصح منها، ومن الخطأ الفاحش اعتبار ما وصلوا اليه من تلك الأحكام فاصلا نهائياً لا معقب لحكمهم فيها ولا استئناف وغير قابلة للنقاش.

○ فلقد تم فحص الأحاديث وغربلتها وجمعها بما لم يكن متيسراً من قبل، ولا ننسى أن الأحكام الفقهية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحديث صحة وضعفاً، ولقد احتج ابو حنيفة رحمه الله بحديث « لا رباً بين مسلم وبين كافر حربي» وبنى عليه جواز أخذ الربا من الكافر الحربي، ولعله لم يتفطن الى أن الرواية في ذلك غير صحيحة، ونحن نجزم أنه لو تبين له ذلك لترك الاحتجاج بها بناء على قوله رضي الله عنه « نحن قوم نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً» يعني إذا تبين لنا خطأه.

○ قد علمنا أن معنى كلمة الشافعية أي الذين ينتمون الى الشافعي. ولكن إلى أي مذهب كان ينتمي الشافعي نفسه؟ هل كان الشافعي شافعياً أم حنفياً أم مالكياً أم حنبلياً ؟ لندعه يعلن بنفسه عن مذهبه فيقول «إذا صح الحديث فهو مذهبي» [(١)]. وأعني على وجه الخصوص أولئك الذين أوتوا نصيباً من العلم ثم فضلوا التقليد كأمثال البوطي الذي يدعو بصراحة الى تقليد المذاهب وإن كان فيها ما يخالف صريح الكتاب والسنة.

○ وهؤلاء أوجبوا التقليد وحرّموا الإجتهاد وللسيوطي كتاب في

---

١) سير اعلام النبلاء ٣٥/١٠.

الرد على من يحرم الاجتهاد بعنوان « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر».

○ ومعلوم أن كثيراً من الأئمة دخلوا على خط المذهب وأبدوا بآرائهم وترجيحاتهم وصارت فيما بعد معتمدة في المذهب الشافعي، واختلط قول الشافعية بقول الشافعي. وهكذا في المذاهب الأخرى.

القدوة السيئة أمام غير المسلمين

إن القدوة السيئة التي يراها عامة المسلمين من:

❊ الدروشة والرقص الصوفي في المساجد وتحكم المشايخ في العامة على طريقة بابوات النصرانية.

❊ والتعصب والجمود المذهبي في الفقه الذي سد الطريق أمام وسائل العلم، حتى إن الشيخ محمد عبده بات يشكو من محاولة شيخ الأزهر عليش طعن الشيخ السنوسي بحربة لولا أن هذا الأخير هرب من القاهرة، وذلك لأنه أراد ربط المذهب المالكي بالكتاب والسنة مباشرة [١].

❊ مناهج علم الكلام والجدل التي تجادل في العقائد على طريقة الرياضيات كل ذلك كان السبب وراء إعراضهم عن الدين وتعلقهم بالنظم الوضعية وتبنيهم للنظريات والفلسفات الآتية من الغرب كالرأسمالية والشرق كالشيوعية والاشتراكية، وهم لم يعرفوا الاسلام بصورته النقية الصحيحة، وإنما رأوه مشوباً بالبدع والشرك فظنوا هذا الخليط هو الاسلام. إن مسؤولية إعراض هؤلاء ملقاة على عاتق المبتدعة الذين شوهوا الدين في أعين الناظرين ونفّروا منه غاية التنفير. وما لم ننفض هذا الركام فلن يتبدل هذا الحال المتردي.

قال الراجز:

وقول أعلام الهدى لا يعمل	بقولنا بدون نص يقبل
فيه دليل الأخذ بالحديث	وذاك في القديم والحديث
قال أبو حنيفة الامام	لا ينبغي لمن له اسلام
أخذا بأقوالي حتى تعرضا	على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمام دار الهجرة	قال: وقد أشار نحو الحجرة
كل كلام منه ذو قبول	ومنه مردود سوى الرسول
والشافعي قال إن رأيتم	قولي مخالف لما رويتم
من الحديث فاضربوا الجدارا	بقولي المخالف الاخبارا
وأحمد قال لهم لا تكتبوا	ما قلته بل أصل ذاك فاطلبوا
فانظر ما قالت الهداة الأربعة	وخذ بها فان فيها منفعة
لقمعها لكل ذي تعصب	والمنصفون يكتفون بالنبي

صلى الله عليه وسلم

---

١) كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم للشيخ محمد عبده ١٠٣-١٠٩.

التمذهب والتعصب الاعمى في أحلك صوره

لقد قال مقلدة الاحناف : يجوز للحنفي أن يتزوج من الشافعية ولا يجوز للشافعي أن يتزوج الحنفية. نُنزلهم منزلة أهل الكتاب[1].

- وقال مقلدة الشافعية: يجوز للشافعي أن يتحنّف، ولا يجوز للحنفي أن يتشفع [2].

قال السيوطي « من أدى صلاته على مذهب الشافعي كان على يقين من صحتها، ومن صلاها على مذهب مخالف وقع الخلاف في صحة صلاته»[3].

- ولهذا قال العلائي « ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبالغ في التعصب بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض » [4].

- ونقل ابن الهمام عن أبي اليسر البزدوي عدم جواز اقتداء الحنفي بالشافعي في الصلاة، واشترط بعضهم لصحة الاقتداء به أن لا يكون شاكاً في دينه، كأن يقول «أنا مؤمن إن شاء الله» [5].

- وحكى النووي عن الاسفرائييني أنه لا يصح اقتداء الشافعي بالحنفي في الصلاة لعدم استيفاء الحنفي شروط الوضوء والطهارة. وعجيب أن نرى تأييد النووي لهذا القول [6].

- وكان بعضهم يتطاول على أهل المذهب الآخر ويلعنونهم على المنابر [7] وأدى هذا التعصب الى حروب طاحنة بين الشافعية والحنفية بمدينة أصفهان أدت الى خراب البلاد ونهب البيوت [8].

- وكان إذا مرّ شافعيٌ بين متعصبة الحنابلة أغروا به العميان حتى يكاد يموت [9].

وكانت العطاءات والمناصب تُقسَّم على من يتمذهب بالمذهب

---

1) الفتاوى البزازية على هامش الفتاوى الهندية ٤/١١٢ والبحر الرائق ٢/٤٦.

2) الفوائد البهية للكنوي ٣٢ والدر المختار ٤/٨٠ وارشاد النّقاد ١٤٧ وكشف الظنون ١/٦١٢-٦١٨ وتحفة الانام للسندي ٤٥-٤٧.

3) جزيل المواهب في اختلاف المذاهب ١٤ مخطوط.

4) نقد الطالب ١١٨

5) فتح القدير ١/٣١١-٣١٢ وشرح العناية على الهداية للبابرتي، على هامش فتح القدير ١/٣١٠ الفوائد البهية للكنوي ٢١٦-٢١٧.

6) أنظر المجموع ١/٢٥٨ و ٤/١٨٤.

7) سير أعلام النبلاء ١٩/٨.

8) معجم البلدان لياقوت الحموي ١/٢٧٣ و٤/٣٥٥ ط الخانجي.

9) الكامل لابن الاثير ٨/٣٠٨.

الحنفي حتى اضطر جمعٌ من الشافعية للتحول الى المذهب الحنفي[١].

وكان محمد بن موسى الحنفي قاضي دمشق (توفى ٥٠٦ هـ) يقول « لو كان لي أمر لأخذتُ الجزيَة من الشافعيَّة» [٢].

وفي كتاب مراقي الفلاح حول حكم ماء البئر النجس « فإن عجن بمائها يُلقى للكلاب، أو يُعلف به المواشي، وقال بعضهم يُباع لشافعي»[٣].

المسيح والمذهب الحنفي

وحتى قال الحفصكي « والحاصل أن أبا حنيفة النعمان من أعظم معجزات المصطفى بعد القرآن. وقد جعل الله الحكم لأصحابه وأتباعه من زمنه الى هذه الأيام، إلى أن يحكم بمذهبه عيسى عليه السلام [٤].

- وزعم السرهندي أنه رأى الخضر والياس وأخبراه أنهما يصليان وراء قطب المدار على المذهب الشافعي لكونه شافعي المذهب ولكن إذا نزل المسيح عيسى عليه السلام سيعمل بمذهب أبي حنيفة [٥].

الله يأمر بالمذهب الشافعي!!

قال السبكي - قدوة المتعصبين - « قال أبو المظفر: لما اختلج في ذهني تقليد الشافعي وزاد التردد عندي رأيت رب العزة في المنام فقال: عد الينا يا أبا المظفر. فانتبهت وعلمت أن الله يريد مذهب الشافعي فرجعت اليه» [٦]. أويصدق مسلم أن الله يأمر بذلك وكأن اتباع المذاهب الأخرى سبب من أسباب البعد عن الله!

الخضر يصلي على المذهب الشافعي

ويزعم السرهندي أن الخضر أفاده بأن كمالات الولاية موافقة لمذهب الشافعي وأن كمالات النبوة موافقة لمذهب الحنفي [٧] ولكن مع أن الله قد أعفاه من الشرائع إلا أنه يقتدي في صلاته وراء قطب المدار بالمذهب الشافعي.

---

١) الدرر الكامنة ٤/٤٣٩.

٢) ميزان الاعتدال ٤/٥٢.

٣) مراقي الفلاح ٢١-٢٢.

٤) الدر المختار شرح تنوير الأبصار ١:٥٥-٥٦.

٥) مكتوبات الامام الرباني السرهندي ٣٠٥ المكتوب رقم (٢٨٢).

٦) طبقات السبكي ٥/٣٣٨ محققة.

٧) نفس المصدر.

لكنه حنفي عند الشعراني

وكان يحضر مجلس فقه ابي حنيفة

- بيد أن عند الشعراني كشفاً من نوع آخر مناقضاً لكَشف السرهندي فقد زعم في كتابه معارج الألباب أن بعض شيوخه ذكَروا لَه أن الخضر كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة بعد صلاة الصبح، فلما مات أبو حنيفة سأل الخضر ربَّه أن يردّ روح أبي حنيفة حتى يتم للخضر إتمام علم الشريعة، فكان بعد ذلك أن صار يأتي الخضر قبر أبي حنيفة ويتلقى منه علم الشريعة وهو داخل القبر[١].

عاقبة التنقل من مذهب الى آخر

- وقد حرم أصحاب المذاهب الانتقال من مذهب الى آخر. حتى قال بعضهم: إن المنتقل يُعزَّر. ومع هذا فقد كان يحدث شيء من هذا التنقل:

- فكان الملك عمر بن علي بن رسول حنفياً في أول الأمر ثم صار شافعياً بسبب رؤيته للنبي ﷺ وهو يقول له: يا عُمر: صرْ الى مذهب الشافعي، فاعتمد حينئذ مذهب الشافعي[٢].

- ورأى محمد الكاشغري النحوي (توفي ٧٠٥) في الرؤيا يوم القيامة والناس يدخلون الجنة، قال فعبرتُ مع زمرة فجذبني شخصٌ وقال: يدخل الشافعية قبل أصحاب أبي حنيفة، فأردت أن أكون مع المتقدمين. وكانت هذه الرؤيا المنامية سبب تحوله الى المذهب الشافعي[٣].

- غير أن القاضي شمس الدين المعروف بإبن زهرة (توفي ٨٣٠) كان أبوه شافعياً، ثم عدل عن مذهب الشافعي الى المذهب الحنبلي بسبب رؤيا منامية أيضاً رآى أحدهم فيها النبي ﷺ وهو يقول «إن خالداً سيكون له ولدٌ حنبلي» فتخلى عن الشافعية وانكبّ على كتب الحنابلة!

---

١) معارج الألباب ٤٤.

٢) العقد الثمين للفاسي ٣٤٨/٦.

٣) بغية الوعاة ٢٣٠/١ طبقات المفسرين للداودي ٢٤٥/٢.

- وكان ابراهيم بن محمد بن محمود برهان الدين يلقب بـ « **النّاجي** » لنجاته من المذهب الحنبلي الى المذهب الشافعي [(١)] قال بكر بن أبي زيد « ومعنى هذا أن من لم يترك مذهب الحنابلة في الأصول فليس ناجياً، نسأل الله السلامة ونعوذ به من انقلاب المفاهيم»[(٢)].

- وكان محمد بن حمد بن خلف أبو بكر حنبلياً ثم تحول الى المذهب الحنفي ثم انتقل الى المذهب الشافعي ولهذا لقبّوه « **حنفش** » اختصاراً لأسماء المذاهب الثلاثة. قال الحافظ « تحنبل ثم تحنف ثم تشفع فلذلك لُقب حنفش [(٣)].

الأحناف مغفور لهم!!!

ويزعم الهمداني فيما نقله الكردري أن الله نادى أبا حنيفة قائلا « غفرنا لك ولمن كان على مذهبك الى يوم القيامة» [(٤)].

أي المذاهب أفضل

بينما نرى الجويني يطعن في المذهب الحنفي ويكتب كتابا اسمه مغيث الخلق يوجب فيه على الناس اتباع مذهب الشافعي ونبذ ما سواه من المذاهب. ومما قاله فيه:

« من انغمس في مستنقع نبيذ، ولبس جلد كلب غير مدبوغ وأحرم بالصلاة مبدلاً بصيغة التكبير تركياً أو هندياً، ويقتصر في القرآن على ترجمة (مدهامتان) ثم يترك الركوع وينقر نقرتين لا قعود بينهما، ولا يقرأ التشهد، ثم يُحدث (يضرط) عمداً في آخر صلاته بدل التسليم، أو انفلت منه (الضراط) فيعيد الوضوء في أثناء صلاته... قال الجويني « والذي ينبغي أن يقطع به كل ذي دين أن مثل هذه الصلاة لا يبعث الله بها نبياً... وقد زعم (أي أبو حنيفة) أن هذا القدر أقل الواجب، فهي الصلاة التي بعث الله النبي ﷺ وما عداها آدابٌ وسنن».

فانبرى له الكوثري ينافح عن المذهب الحنفي وكتب رسالة أسماها « إحقاق الحق بإبطال الباطل في مغيث الخلق» رد فيها على الجويني. وهذا من نتائج التعصب المذهبي المقيت.

---

١) الضوء اللامع ١/١٦٦.

٢) النظائر ١٤٠.

٣) لسان الميزان ٥/١٦٨ تبصير المنتبه ٢/٥٤١ وميزان الاعتدال ٣/٥٢٨.

٤) مناقب أبي حنيفة للكردري ٢/٦٢.

ضياع ايران سببه التقليد

وكان من أسوأ ثمرات هذا التعصب ضياع ايران حين تشيع ملكها خرابنده وأمر الناس بالتشيع بسبب تشدد أصحاب المذاهب في مسألة طلاقه من زوجته، وقد استغل العالِم الشيعي ابن مطهر الحلي الموقف فأظهر له مرونة المذهب الجعفريَ وجمود غيره من المذاَهب حتى فقدنا إيران السنية وانقلبت شيعية.

الاستشهاد بالحاشي والمحشى
دون الحديث والقرآن

وتمر عشرات الصفحات فلا نرى أثراً من آية أو حديث، ولو راجعنا على سبيل المثال كتاب «بغية الطالب الصفحات ٨٣ - ١٠٠» للحبشي لوجدناها خالية من آية أو حديث. بينما تمتلىء بالنقول من الحواشي على المتون، والمتون على الحواشي ويكثر من النقول عن الشرنبلالي والكردي والشرقاوي والشبراملسي على الرملي والميهي على الستين، من غير أن يتعرض للدليل الذي اعتمدوا عليه وهو لا يحيل الى أرقام الجزء والصفحة.

أصول المذهب أهم من أصول الدين

قال أبو زيد الدبوسي « الأصل عند أصحابنا أن خبر الآحاد متى ورد مخالفاً لنفس الأصول مثل ما روي عن النبي ﷺ أنه أوجب الوضوء من مس الذكر، لم يقبل أصحابنا هذا الخبر لأنه ورد مخالفاً للأصول» [١].

وقال الكرخي في الأصول «أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تُحمَلُ على النسخ أو الترجيح والأولى أن تُحمل على التأويل» [٢]وهكذا بات قول الكرخي والدبوسي وصمة عار في المذهب لأنه يجعل نصوص الكتاب والسنة تبعاً لأصول المذهب الحنفي، وكأنه عند التنازع يجب الرد الى أصول المذهب وليس الى الله ورسوله.

○ قال صاحب كتاب الهداية (٤٦٢/١) عند الحديث عن موقف الامام في الصلاة على الجنازة « ويقوم الذي يصلي على الرجل والمرأة

---

١) تأسيس النظر ١٤١.

٢) الأصل للكرخي ١٥٢ ملحقة بتأسيس النظر للدبوسي.

بحذاء الصدر لأنه موضع القلب، وفيه نور الايمان، فيكون القيام عنده إشارة الى الشفاعة».

قال هذا مع أنه ذكر حديث أنس الصحيح الصريح بأن من السنة أن يقف الإمام عند رأس الرجل، ووسط المرأة، ومع ذلك قدّم الرأي السابق عليه.

○ وقال صاحب شرح العناية على الهداية الحنفي (٢٢٥/١) على هامش فتح القدير «إن حضورهن (أي النساء) الى صلوات الجماعات متروك بإجماع المتأخرين» وقال صاحب فتح القدير مثل قوله، مخالفاً بذلك الحديث الصحيح « لا تمنعوا نساءكم المساجد» [(١)]. وقد قالها من قبل ولدٌ لعبد الله بن عمر « فإني أمنعهنّ» فقال له أبوه « أقول لك قال رسول الله وتقول لي هذا؟ والله لا أكلمك أبداً» فما كلّمه حتى مات.

---

١) البخاري (٩٠٠) ومسلم (٤٤٢).

○ ومن صور الانحطاط الخلقي بين الفقهاء ما نراه عند الجباوي والشرنبلالي وهما من الفقهاء المتأخرين حيث قالا « والأحق بالإمامة السلطان أو نائبه... فالأحسن خُلُقاً فالأحسن وجهاً فأكثرهم بشاشة فالأحسن صوتاً فالأحسن زوجة فالأكثر مالا فالأنظف ثوباً، فالأكبر رأساً فالأصغر عضواً»[1].

الفاظ فقهية فاسدة

ونرى آثار الفساد المنهجي في الفقه وثمراته السيئة تتجلى في كلام الحبشي الذي قال « خروج المني اي ظهوره الي ظاهر الحشفة ووصوله الى ظاهر فرج البكر، او وصوله الى ما يظهر من فرج الثيب عند قعودها على قدميها.

وعلامة المني التي يُعرف بها: التدفق اي الانصباب بشدة او التلذذ بخروجه او ريح طلع النخل او العجين في حال الرطوبة، وريح بياض البيض بعد الجفاف وهي علامات مشتركة بين الرجال والنساء.

والجماع: هو ايلاج الحشفة او قدرها من فاقدها في فرج ولو دبرا او فرج بهيمة او ميتة فلا يجب غسل الميتة من ذلك.

والنفاس هو الدم الخارج بعد الولد ولو مجة اي قدر بزقة»[2].

وهكذا تجد التفصيل الى درجة التجرد من أدنى درجات الحياء. قارن قِلة الحياء هذه بقول النبي ﷺ حين سألته امرأة عن كيفية الطهارة من الحيض فقال « سبحان الله، تطهري».

موجبات الغسل عند الباجوري

○ وذكر الباجوري[3] من موجبات الغسل «إنزال المني سواء من طريقه المعتاد أو من غيره، كأن انكسر صُلبه فخرج منيّه».

قال « ولو شق ذكره قسمين فأدخل أحدهما في زوجة والآخر في زوجة أخرى وجب الغسل عليه دونهما».

« ولو كان له ذكران أصليان أجنب بكل منهما...» « ولو دخل رجلٌ فرج امرأة وجب عليهما الغسل..». « والفرج: أيُّ قُبُل أو دُبر ولو من نفسه، كأن أدخل ذكره في دُبُره فيجب عليه الغسل». « ولو أدخل ذكره في ذكرٍ آخر وجب الغسل على كل منهما».

---

١) كتاب رفيق الأسفار ٤٣.

٢) الدليل القويم ٧٠.

٣) حاشية الباجوري على ابن قاسم ١/٧٢.

الكعبة تزور الأولياء في الله

قال ابن عابدين « وفي البحر عن عدة الفتاوى: الكعبة إذا رُفعت عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة، ففي تلك الحالة جازت الصلاة إلى أرضها»[1].

وهذه دعوى يروّج لها مشايخ الضلال فقد زعموا أن النبي ﷺ جاء ومعه الكعبة قصدا لزيارة الشيخ الرفاعي في موطنه بقرية أم عبيدة[2].

وزعموا أن الكعبة أتت ابنَ عربي هي والحجر الأسود، وطافت حوله ثم تلمذت له وطلبت منه ترقيتها الى المقامات العليا فرقاها وناشدها أشعاراً وناشدته [3]. وأنها كانت تطوف بالشيخ ابراهيم المتبولي والشيخ أبو بكر العردوك [4].

ولما طغى هذا المنهج على الأمة تغير سلوكها وخلقها ومنهجها، وتحجرت العقول وتخلفت أمتنا وسبقتها الأمم الأخرى، وصرنا نتساءل لماذا تراجعنا وسبقنا غيرنا؟

وهكذا هوى التقليد بالأمة الى الدركات السفلى، في حين كان عليها أن ترتفع بالعلوم كما قال تعالى **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾**. واتخذ الناس من أئمة المذاهب ذريعة للتقليد الأعمى وصاروا يقلدونهم في كل شيء إلا في قولهم « **لا تقلدوني** ».

---

١) حاشية ابن عابدين ١/٣٠٢ المطبعة الأميرية.

٢) إرشاد المسلمين ٨٤ روضة الناظرين ٥٩ إحياء علوم الدين ١/٢٦٩.

٣) جامع كرامات الأولياء ١/١٢٠.

٤) جامع كرامات الأولياء ١/٢٤٥ و٢٥٧.

اتهامات الحبشي لابن تيمية

وقد نسب الحبشي الى ابن تيمية جملة من الافتراءات واتهمه باتهامات شتى لم يُحلْ فيها الى كتاب من كتب ابن تيمية وننتظر منه ذلك. وربما أحال الى بعض النصوص التي يُحمّلها ما لا تحتمل، أو يوردها مقطوعة مبتورة على طريقة لصوص النصوص.

وشهادة الحبشي وأتباعه مردودة لقوله ﷺ « لا تُقبَل شهادة خائن، ولا خائنة، ولا ذي غمرٍ على أخيه المسلم»[1].

وذو الغمر: ذو الحقد، والحقد المذهبي أعمى تُرَدّ به شهادتهم في حق ابن تيمية. فاجتمعت فيهم الصفتان في الحديث: الخيانة المعروفة عنهم. والحقد المذهبي الذي امتازوا به.

وهذه الألسن التي تطعن هي نفس الألسن التي تمدح الظالمين وتدخلهم على حسابها الى بيت الاسلام.

فمن أثنى على هؤلاء فلا يؤخذ بشهادته في أولئك.

وهذه الألسن هي التي تطعن في سلف الأمة كمعاوية ومن وافقه من الأصحاب، وليس ابن تيمية بأفضل عند أهل السنة من معاوية، والعلم عند الله.

ولا يدري هؤلاء أنهم بطعنهم بابن تيمية إنما يطعنون بأنفسهم، وجرحهم له تجريح لأنفسهم ولكنهم لا يفقهون.

فيوم أن طعن ابن معين في الشافعي قائلا « ليس بثقة» قال الذهبي « فقد آذى ابن معين نفسه بذلك، ولم يلتفت أحد الى كلامه في الشافعي ولا الى كلامه في جماعة من الأثبات، كما لم يلتفتوا الى توثيقه بعض الناس».

وإليكم مجموعة من الافتراءات التي اختلقها:

○ زعم أن ابن تيمية يشبّه الله بخلقه. مع أنه نقل عن السبكي أنْ كلامه يقتضي تشبيه الله بخلقه [2]، ومعلوم أن طريقة غلاة التنزيه: (التأويل) وإثبات الصفات من غير تأويل لها يقتضي التشبيه عندهم، مع أن لازم المذهب ليس بمذهب. فهل صرح ابن تيمية بالتشبيه أم قال ما يقتضي ذلك عند الحبشي؟!

هكذا تفتقد الأمانة العلمية عند أهل البدع.

---

١) رواه أبو داود وابن ماجة بسند قوّاه الحافظ في التلخيص ١٩٨/٤.

٢) المقالات السنية ١٥.

○ وزعم أنه قال: أن النبي ﷺ ليس له جاه [1]. اكتفى بذلك من غير أن يحيل الى شيء من كتب ابن تيمية. ويأبى الله إلا أن يكشف كذب الحبشي، فقد قال ابن تيمية « وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهاً عند الله، ولا شفاعة أعظم من شفاعته» (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٧).

○ وزعم ان ابن تيمية قال « لا مانع أن يكون نوع العالم غير مخلوق لله [2] وأنه كذاب أفّاك لدعواه أن السلف قالوا «إن الله ينزل ولا يخلو منه العرش» [3] مع أن القاضي أبا يعلى ذكر للسلف ثلاثة أقوال: أولها أن نزوله بحركة وانتقال وهو قول عبد الله بن حامد وحرب الكرماني والدارمي وابن راهويه وسعيد بن منصور، والثاني أنه بغير حركة وانتقال وهو قول أبي الحسن التميمي والثالث وهو لا يخلو منه العرش: قول ابن بطة وغيره.

○ وزعم أن ابن تيمية قال «إن الله مركبٌ مفتقرِ الى ذاته افتقار الكل الى الجزء[4].

○ وأنه « بقدر العرش: لا أكبر منه ولا أصغر منه.

○ وأنه وأتباعه يُكَفِّرُون [5] المتوسلين بالرسول ﷺ.

○ وأنه جعل زيارة الأنبياء والصالحين بدعة بل معصية بالإجماع[6]

○ وأنه نقض إجماع المسلمين فقال إن نار جهنم تفنى [7]

ولكن لماذا لم يُحل الحبشي الى شيء من كتبه؟ الجواب ببساطة لأنه لا يوجد شيء مماَ يزعم.

○ وزعم تلميذه (نزار حلبي) أن « ابن تيمية رأس التطرف في القرن الثامن الهجري حيث كفّر كل المسلمين باختلاف مذاهبهم ومشاربهم» [8]. ونسي أن يحيلنا الى الكتاب الذي قال فيه ذلك!

---

١) المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية ١٦و٧٦.

٢) الدليل القويم ١٦٠.

٣) المقالات السنية ٢٤.

٤) المقالات السنية ٧٦

٥) المقالات السنية ٢٦.

٦) المقالات السنية ٧٣.

٧) المقالات السنية ٥٧ و٧٦.

٨) مجلة منار "الهدى" ٥/٢٩.

عصبية ابن الهيتمي

وسبقه الى هذه الاتهامات احمد المكي الهيتمي عفا الله عنه حيث رمى ابن تيمية بالعظائم والمفتريات وزعم أنه عبدٌ أضله الله.. الخ.

وهذا ما دعا الآلوسي رحمه الله الى أن يكتب كتاباً بعنوان (**جلاء العينين في محاكمة الاحمدين**) قارن فيها بين ادعاءات الهيتمي وبين أقوال أهل العلم ورد على هذه الاتهامات التي نسبها اليه الهيتمي ظلماً، وطالبه بالدليل عليها من كتب ابن تيمية، ثم ختم كتابه بقوله « قد ظهر لك من جميع ما تقدم أن الشيخ ابن حجر الهيتمي نسب الى شيخ الاسلام كثيراً من الأقوال التي لا أصل لها، ولا سند في نقلها »[١].

بل يظهر لك تعصبه رحمه الله حين صب جام سخطه على شيخ الاسلام زاعماً أنه ارتكب العظائم.

ولعلك تسأل ما هي هذه العظائم: يقول الهيتمي « فإنه وقع في حق الله تعالى ونسب اليه العظائم كقوله إن لله تعالى جهة ويداً ورجلا وعيناً وغير ذلك من القبائح الشنيعة»[٢].

ولا يخفاك أيها المنصف أن هذه التي يصفها الهيتمي بالعظائم والقبائح ليست من اختلاق ابن تيمية بل هي مما وصف الله به نفسه ورسوله ﷺ كقوله تعالى لابليس **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾**. وقول النبي ﷺ أن الله « كتب التوراة بيده». وقوله عن الدجال « إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور». وأن جهنم « لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها رجله [قدمه] فتقول قط قط».

الهيتمي والباقلاني يرجحان إيمان فرعون

وموقفه الشديد من ابن تيمية يقابله لينٌ ورقّة تجاه أهل الكفر. فلقد عاتب الهيتميُ ابنَ عربي عتاباً رقيقاً لاعتقادَ هذا الأخير بإيمان فرعون قائلا[٣] « فنحن وإن كنا نعتقد بجلالة ابن عربي فقوله بإيمان فرعون مردود» وكان حَرِيّاً به أن يُغلظ له القول.

ولكن وكما يقول الشاعر:

---

١) جلاء العينين في محاكمة الاحمدين ٥٣٦.

٢) حاشية ابن حجر الهيتمي على شرح الايضاح ص ٤٨٩ نقلا عن المقالات السنية للحبشي ص ٩٤.

٣) الزواجر ١/٣٣.

فرَصاصُ من أحبَبَته ذهباً كما
ذَهَبُ الذي لم تَرْضَ عنه رصاصُ

فإن هذا القول من مستشنعات الصوفية أخذوه عن أئمة الزنادقة كابن عربي، وزينه الشيطان لهم فبرّؤوا به ساحة فرعونَ.

بل قد نقل الزبيدي عن ابن حجر المكي الهيتمي أن ظاهر الآية يفيد وجود إيمان فرعون، ونقل عن الباقلاني قوة دليل من استدل بالآية على إيمان فرعون [١].

الزبيدي والقاري يثبتان قول ابن عربي بايمان فرعون

قال المرتضى الزبيدي « وممن قال بإيمانه - أي فرعون - الشيخ محيي الدين بن عربي في مواضع من فتوحاته وفصوصه: لا يستريب مطالعهما أنه كلامه وأنه غير مدسوس عليه» وقد رد على الشيخ عبد الوهاب الشعراني زعمه أن هذا الكلام مدسوس على ابن عربي. قال « وممن شنع على الشيخ محيي الدين ابن المقري صاحب الارشاد والحافظ ابن حجر وتلميذه البقاعي ومن المتأخرين ملا علي القاري من الحنفية والذي يصف ابن عربي بأنه زنديق منافق إمام **الاتحادية** [٢]. وكتب رسالة بعنوان « فر العون من القول بإيمان فرعون» وقال في شرح الفقه الأكبر « وفيه رد على ابن عربي ومن تبعه كالجلال الدواني، وقد ألّفتُ رسالة مستقلة في تحقيق هذه المسألة» [٣]. وحكى عن العلامة ابن نور الدين أنه صنف مجلداً كاملا في الرد على ابن عربي[٤].

واعترف السرهندي النقشبندي أن ابن عربي أول من صرح بالتوحيد الوجودي وبوّب مسألة وحدة الوجود وفصلها وقال إن خاتم النبوة يأخذ بعض العلوم والمعارف عن خاتم الولاية وأراد بخاتم الولاية نفسه[٥]. أي أن محمداً ﷺ يأخذ العلم من ابن عربي.

---

١) إتحاف السادة المتقين ٢/٢٤٦.

٢) الرد على القائلين بوحدة الوجود» ٥٦ و ٦٠ وانظر ٦٤ تحقيق على رضا ط: دار المأمون للتراث. دمشق.

٣) الفقه الأكبر ٢٥ وقال مثله في كتابه « الرد على القائلين بوحدة الوجود» ص ٣٢ و٣٧.

٤) الرد على القائلين بوحدة الوجود ٣٧.

٥) مكتوبات الامام الرباني ٢٨٧.

وممن ذهب الى تأييد كلامه في وحدة الوجود شُرّاح الفصوص الجندي والكازروني والقيصري والجامي وعلي المهايمي والجلال الدواني وعبد الله الرومي وللكازروني كتاب بالفارسية سماه «الجانب الغربي» رد فيه على من اعترض على الشيخ ابن عربي منها هذه المسألة» [١].

وقد عرض بعض الصوفية على يهودي (بعد أن أسلم) أن يوافقهم باعتقاد إيمان فرعون فصرخ فيهم قائلا: قدْ كنت أقول بكفره حين كنتُ يهودياً أفأقول بإيمانه بعد أن أسلمتُ!

وقد جعله النبي ﷺ أنموذج الكفر وقدوة الجبابرة والطغاة، فلما مات أبو جهل جعل ﷺ يشير الى جثته ويقول « هذا فرعون هذه الأمة» فكيف يشبّه النبيُ أبا جهل برجُل مؤمن؟!

ولو كان ابن تيمية هو القائل بأيمان فرعون لتوقعنا حينئذ من الهيتمي أن يقول « وهذا من ابن تيمية كُفرٌ، فإن القرآن والسنة يشهدان بكُفرِ فرعون، وكل مَن شك في كفره فهو كافر، لأن من لم يُكَفِّر كافراً فَقد كفر». لكنه لتحيزه لابنَ عربي وتعصبه له لا يقول بمثل ذَلك لأنه من الأولياء عنده. نعوذ بالله من التعصب المقيت.

ولا ننسى أن الهيتمي من اهل الغلو الصوفية القائلين بأزلية نور النبي ﷺ وزعموا أن الله أخذ قبضة من نوره قبل أن يخلق الخلق وقال لها كوني محمداً. وقد حكى عنه الحبشي هذا الاعتقاد في النبي ﷺ [٢]. لكنه لم يلزمه بالقول بقدم شيء مع الله. مع أن العقيدة الحبشية أن من الكفر « قول إن محمداً خُلق من نور» [٣].

○ وكان يميل بعصبية الى قول من زعم أن الله أحيا أبوي النبي ﷺ حتى أسلما [٤]، ومعتمده في ذلك الأحاديث الضعيفة المخالفة للصحيحة مثل قول النبي ﷺ «إستأذنتُ ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي» [٥] وقوله لرجل « إن أبي وأباك في النار» [٦].

---

١) اتحاف السادة المتقين ٢/٢٤٦.
٢) الدليل القويم ١٧٩.
٣) منار الهدى ٢٥/٣٤.
٤) الزواجر ٣٣/١.
٥) رواه مسلم (٩٧٦).
٦) رواه مسلم (٢٠٣) باب أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين.

فموقفه المؤيد لابن عربي الاتحادي وغلوه في النبي حتى جعل نوره أزلياً، ووافق من زعموا أن القول بكفر أبويه قلة أدب في حقه ﷺ: كل هذا يُلحقه بالغلاة الذين لا يؤخذ منهم جرح ولا تعديل ولا يجوز تقديم تجريحهم على تعديل العدول لابن تيمية كالعسقلاني والذهبي والحافظ المزي وابن كثير والزملكاني والسيوطي رحمهم الله.

موقفه من ابن عربي دليل على الظلم

وقبل الدخول في تفاصيل الرد على هذه الافتراءات الجائرة أود لفت نظر القارىء الى أن الحبشي وجماعته يكفّرون من لا يستحق التكفير (كابن تيمية) ويدافعون عمن ثبت تكفيره من قِبَل معاصريه:

- كإبن عربي الذي حكم عليه معاصره:

العز بن عبد السلام (سلطان العلماء) بالزندقة والانحلال وذلك حين سأله عنه ابن دقيق العيد فأجابه قائلا (إبن عربي) «شيخ سوءٍ كذّاب، **يقول بقدم العالم** ولا يحرّم فرجاً» [(١)].

- وقد اعترف ابن حجر الهيتمي بأنه كان يصرّح بإيمان فرعون [(٢)]

- واتهمه الحافظ ابن حجر العسقلاني وابن حيان النحوي بالقول بوحدة الوجود المطلقة والتعصب للحلاج [(٣)].
- واتهمه السخاوي بالقول بوحدة الوجود وأنه من جملة الاتحادية المحضة القائلين بوحدة الوجود بين الله وخلقه كالحلاج وابن الفارض، وعاتب ابنَ قطلوبغا وابن الغرس لمناضلتهما عن ابن عربي بالرغم مما كان معروفاً عن ابن قطلوبغا من حسن العقيدة [(٤)]!
- وذكر النبهاني أنه كان يقول بأن الأولياء ينتقلون الى مقام كريم يقولون للشيء كن فيكون [(٥)].
- وذكر السرهندي أنه كان يقول بقدم أرواح الكمل من المشايخ وأن ترتيب الخلفاء كان بحسب أعمارهم. واعترف أن أكثر كشوفاته

---

١) سير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨-٤٩ ورسالة القاري في الرد على القائلين بوحدة الوجود ص ٣٤.
٢) الزواجر ١/٣٥.
٣) لسان الميزان ٢/٣٨٤ تفسير البحر المحيط ٣/٤٤٩.
٤) الضوء اللامع ٦/١٨٦ و٩/٢٢٠-٢٢١.
٥) جامع كرامات الأولياء ١/٣٢.

تأتي مخالفة لعقيدة أهل السنة ولا يتابعها الا مريض القلب [1].

○ وقال ابن المقرّي في ابن عربي « من لم يُكَفِّره كان كمن لم يُكَفِّر اليهودَ والنصارى» [2] حكاه عنه ابن حجر المكيَ. غير أنه علق على ذلك بقوله « وهذا اعتراض منه على ابن عربي وابن الفارض» ثم تساءل عن الدليل الذي يبرر تكفيره! متجاهلا بذلك ما في الفتوحات والفصوص من مقولات الكفر الصريح في حين يرمي ابن تيمية بسلسلة من التهم ولا يكلف نفسه الاتيان بدليل عليها من كتبه. فأجدر به أن يُلحَق بطائفة المتعصبين الذين لا يؤخذ منهم جرح ولا تعديل.

---

١) مكتوبات الامام الرباني السرهندي الفاروقي ٢٦٤ و٢٧٧ ٣٠٣.

٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٣٧٩.

وهذه الاجابة تُخرس ألسنة المتعصبين لابن عربي. فإن قالوا من لم يكَفِّر ابن تيمية فهو كافر فقل لهم: وهؤلاء كبار الأئمة كالحافظ ابن حجر وابن عبد السلام وابن المقري سراج الدين البلقيني [١] وأبي حيان قالوا بكفر ابن عربي.

وأبي بكر محمد بن صالح المعروف بابن الخياط والقاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر علي الناشري وهما مما يقتدى بهما من علماء اليمن [٢]:

فإما أن توافقوهم في ذلك، وإلا فمن لا يكفّره يكون كافراً. وإما أن تقولوا ليس كافراً فيصير من حكَموا بكفره كابن عبد السلام وابن المقري وابن حجر وغيرهم كفاراً.

وهكذا نلحظ الفرق بين موقف أهل البدع من ابن تيمية وبين موقفهم من ابن عربي، نرى التحامل المغرض على ابن تيمية بينما نجد التغاضي المطلق عن ابن عربي الذي شهد علماء عصره وشهدت كتبه بزندقته.

حتى إننا لَنَجِدُ السبكي يطعن في ابن تيمية في كتابه (طبقات الشافعية) في حينِ يسكت عن التحذير من ابن عربي أو على الأقل من كتبه كالفصوص والفتوحات المكية التي اتفق الجميع على أن فيها كفراً يفوق كفر اليهود والنصارى. وقد حكى محقق كتاب (سير أعلام النبلاء) أن للسبكي مؤاخذات على الذهبي صاغها بأسلوب مقيت ينبىء عن تحامل وحقد وبُعد عن الانصاف وجهل أو تجاهل بمعرفة القول الفصل في مواطن الخلافَ [٣].

وهؤلاء المتعصبون اذا قالوا «إن هذا الكلام مدسوس عليه» فانهم يقولونه تقليداً لأئمتهم لا عن تحقيق علمي ورجوع الى أصل مخطوطة كتاب من يدافعون عنه.

---

١) الاعلام بقواطع الاسلام للهيتمي ٧٧.

٢) الرد على القائلين بوحدة الوجود للشيخ علي قاري ١٣٥ و١٣٨-١٣٩.

٣) سير أعلام النبلاء ١٨/٤٧١.

ثناء بدر الدين العيني على ابن تيمية

وقد أثنى بدر الدين العيني على ابن تيمية ومواقفه الشجاعة من التتار، وأنه كان يحرض الناس على قتالهم حتى دحرهم، [1] ولهذا كان العيني يُجِلّه ويدعو له بالرحمة [2].

ويذكر أنه كان ينزل الى الأسواق مع تلاميذه فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده، وأن أهل دمشق شكوه الى السلطان لأنه ذهب لقلع صخرة يعتقدون أن النبي ﷺ قعد عليها فكانوا يعظمونها ويسألون الله عندها، فأخذ ابن تيمية فأساً ونزعها فلما بلغ الأمر السلطان أثنى عليه لذلك، وكان يقوم بنفسه بإزالة المنكرات فيقلب الرقع التي توضع عليها الشطرنج ويمر ومن معه على الخمارات وأماكن الفواحش فيريقوا الخمور ويكسروا أوانيها [3].

وذكر العيني مناظرة ابن تيمية المشهورة مع دجاجلة الرفاعية وأنه عرض عليهم حين زعموا أنهم أصحاب كرامات يدخلون النار فلا يصيبهم شيء منها: عرض أن يدخلها معهم واشترط عليهم أن يغتسل الجميع بالماء الحار والخل وأثبت أنهم يستخدمون بعض الدهون يحتالون بذلك على العامة حتى يظنوا فيهم الولاية، وأن زعيمهم اعترف لابن تيمية أن كراماتهم تظهر أمام التتار وأما قدّام الشرع فلا [4].

وأوضح العيني أن الشكوى ازدادت من ابن تيمية لكثرة ما ينال من ابن عربي حتى سجن بإشارة من المنبجي [5] الذي كان معظماً لابن عربي. هذا موقف العيني رحمه الله من ابن تيمية فماذا تقولون في ذلك؟!

إذن، فقد بات واضحاً سبب سجن السلطان لابن تيمية فقد كان وراء المرسوم السلطاني شيخ متعصب ينتصر لابن عربي وتواطؤ شلة من المتعصبين للحلاج وابن عربي.

---

1) عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان٣٠/٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
2) عقد الجمان ٢٢٣/٤.
3) عقد الجمان ٣٥٧/٤ العقود الدرية ٢٨٨ البدايه والنهاية ١١/١٤.
4) عقد الجمان ٤٧٣.
5) عقد الجمان ٤٦٠/٤- ٤٦١.

الذين أثنوا على ابن تيمية

وقد شهد العديد من الأئمة المعتبرين بصلاح حاله وقوته في الحق وذبه عن السنة وتفرده عن اقرانه في سعة علمه واجتهاده واقتفائه أثر السلف الصالح حتى قالوا « كأن السنة نصب عينيه» ونذكر منهم:

* الشيخ محمد ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي (ت ٨٤٢) الذي كتب كتاباً بعنوان (الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية « شيخ الاسلام » كافر) أورد فيه شهادات المئات من كبار الائمة في الثناء على ابن تيمية. وقرظه: الحافظ ابن حجر والعيني والتفهني والبلقيني[١]

نص تقريظ الحافظ ابن حجر للرد الوافر
كما أورده السخاوي

قال السخاوي في الجواهر والدرر في ترجمة الحافظ ابن حجر في معرض سرد تقريظات ابن حجر للكتب ما نصه:

« ومن ذلك ما كتب به على الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمة شيخ الاسلام كافر لحافظ الشام ابن ناصر الدين في سنة خمس وثلاثين وحدث به في أواخر السنة التي تليها بالشام بقراءة صاحبنا النجم الهاشم:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وقفت على هذا التأليف النافع والمجموع الذي هو للمقاصد التي جمع لأجلها جامع. فتخفقت سعة اطلاع الامام الذي صنفه وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين العلماء وشرفه.

وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الاسلام في عصره باقٍ الى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غداً كما كان بالأمس، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره أو تجنب الإنصاف مما أكثر غلط من تعاطى ذلك وأكثر عثاره.

فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله، ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجل الا ما نبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه أنه لم يوجد في الاسلام من اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي

---

١) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية٧٢ لمرعي الحنبلي.

الدين وأشار الى أن جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جداً، شهدها ما بين مئي ألوف، ولكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير من كان ببغداد بل أضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته.

وأيضاً فجميع من كان ببغداد إلا الأقل كانوا يعتقدون إمامة الإمام أحمد وكان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم بخلاف ابن تيمية فكان أمير البلد حين مات غائباً وكان أكثر من في البلد من الفقهاء فتعصبوا عليه حين مات محبوساً بالقلعة، ومع هذا فلم يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحم عليه والتأسف عليه الا ثلاثة أنفس تأخروا خشية على أنفسهم من العامة .

ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته وبركته: لا بجمع سلطان ولا غيره.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: أنتم شهود الله في الأرض.

ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مراراً بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة محالس بالقاهرة ودمشق. ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا حكم بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم بالاسكندرية، ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثرة ورعه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الاسلام والدعاء الى الله تعالى في السر والعلانية، فكيف لا ينكَر على من أطلق أنه كان كافراً بل من أطلق على من سماه شيخ الاسلام الكفر. وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك، فإنه شيخ الاسلام بلا ريب، والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً.

وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبري منه، ومع ذلك فهو بشر يخطىء ويصيب، فالذي أصاب فيه - وهو الأكثر - يستفاد منه ويُترحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه - بل هو معذور - لأن أئمة عصره شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتشغبين عليه القائمين في إيصال الشر اليه وهو كمال الدين الزملكاني يشهد له بذلك، وكذلك الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره.

ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم قياماً على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية، وتصانيفه في ذلك كثيرة مشتهرة وفتاويه فيهم لا يدخل تحت الحصر، **فيا قرة أعينهم اذا سمعوا تكفيره، ويا سرورهم اذا رأوا من يكفره من أهل العلم.**

فالواجب على من تلبّس بالعلم وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل

من تصانيفه المشهورة أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر منه على قصد النصح ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء.

ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب الا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظيم منزلته. فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة.

فالذي يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر أو على من سماه شيخ الاسلام لا يلتفت اليه ولا يعول في هذا المقام عليه، بل يجب ردعه عن ذلك الى أن يراجع الحق ويذعن للصواب».

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل»[١]. انتهى كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله.

* وقد أثنى الحافظ ابن حجر العسقلاني عليه في الدرر الكامنة ١٥٤/١ ودعا له بالرحمة فقال « قال شيخ شيوخنا الحافظ المزي[٢] في ترجمة ابن تيمية « كان يستوعب السنن والآثار حفظاً. إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته.. برز على كل أبناء جنسه»[٣]

وخذه حيث حافظ عليه نص

فهاهو حافظ عليه نص، فمابال الأحباش خالفوا موقف الحافظ هنا مع أنهم حاملو راية «خذه حيث حافظ عليه نص»؟

- وما زال الحافظ ابن حجر يحتج بأقواله، بل يسلّم له في نقده في الحديث كما في رواية (كان الله ولا مكان) [٤]. بل أعطاه لقب ((**حافظ**))) . فقد ذكر في (التلخيص الحبير ١٠٩/٣) حديث (الفقر فخري وبه أفتخر) ثم قال « وهذا الحديث سئل عنه **الحافظ** ابن تيمية فقال: إنه كذب لا يُعرف في شيء من كتب المسلمين المروية».

* ووصفه الشيخ ابن عابدين الحنفي صاحب الحاشية المشهورة

---

١) مخطوطة موجودة في مكتبة طوبقبو بتركيا رقم المخطوط ٢٩٩١.
٢) قال فيه السبكي « حامل راية أهل السنة والجماعة» (طبقات السبكي ٣٩٥/١٠ محققة.
٣) الدرر الكامنة ١:١٥٦و١٥٧.
٤) فتح الباري ٢٨٩/٦.

بصفة (الحافظ) [1].

❊ الشيخ ملا علي القاري [2] الذي كان يذب عنه وعن تلميذه ابن القيم ويقول «ومن طالع كتاب مدارج السالكين تبين له أنهما من أكابر أهل السنة والجماعة، ومن أولياء هذه الأمة» [3].

❊ وشيخكم محمد رمضان البوطي لا يكاد يذكره مرة إلا قال «رحمه الله تعالى» [4].

❊ الحافظ عمر بن علي البزار، له كتاب الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، ذكر فيه فضائله ومناقبه ومنزلته عند العلماء

❊ محمد بن عبد البر السبكي القائل « والله ما يبغض ابن تيمية الا جاهل أو صاحب هوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به» [5].

❊ ابن الزملكاني الذي اوذيَ بسبب انتمائه لابن تيمية، وكان ذلك بإشارة من المنبجي [6] المنتصر لعقيدة ابن عربي في وحدة الوجود، وأدى إنكاره الى النقمة عليه والوشاية به، ذكره الحافظ [7].

وكان على أعدائه أن ينصفوه لهذا الموقف الشجاع، وهم الذين يزعمون أنهم أعداء للقائلين بوحدة الوجود، لكن أعداءه لا يعرفون الانصاف ولا العدل.

❊ وأثنى عليه ابن سيد الناس.

❊ وتاج الدين الفزاري شيخ الشافعية [8].

❊ وابن دقيق العيد الذي قال لابن تيمية لما اجتمع به « ما أظن بقي يُخلَق مثلك». ذكره الحافظان ابن كثير وابن رجب [9].

❊ وأنصفه ابن كثير: وبين عقيدته وعمله وكيد الحاسدين له.

وقد زعم الحوت في رسائله السبكية أن الأرموي ناظر ابن تيمية وأفحمه، مع أن ابن كثير كذّب ذلك وأكد أن ساقية الأرموي لاطمتْ بحراً» [10]. وأنهم لما عقدوا له مجلساً لمناقشة رسالته الحموية أجابهم

---

1) رد المحتار على الدر المختار ٢٥٧/٢ ط: دار احياء التراث العربي.
2) وصفه الكوثري بأنه « ناصر السنة» (تبديد الظلام١٠٠).
3) مرقاة المفاتيح ٨:٢٥١-٢٥٢.
4) السلفية مرحلة زمنية مباركة ص ١٥٥ ط: دار الفكر.
5) الرد الوافر ٩٥.
6) البداية والنهاية ١٤/ ٥٠.
7) الدرر الكامنة ١/ ١٤٧.
8) البداية والنهاية ١٣:٣٠٣.
9) البداية والنهاية ١٤:٢٧ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢.
10) البداية والنهاية ١٤:٣٦. ووصف السبكيُ الأرمويَ بأن خطه في غاية الرداءة [illegible] رجلا ساذجاً» (طبقات السبكي ٩/ ١٦٣ محققة).

بما أسكتهم [١]. وكتب لهم عقيدته الواسطية، وأمهلهم ثلاث سنوات أن يراجعوها ويجدوا فيها ما يخالف عقيدة السلف.

❋ وشرف الدين المقدسي الذي كان يفتخر بابن تيمية ويفرح به[٢]

❋ وابن منجا التنوخي.

❋ والشيخ أحمد ولي الله الدهلوي كما في كتابه التفهيمات الالهية.

❋ والشيخ محمد أنور الكشميري صاحب فيض الباري الذي غالبا ما يصفه بالحافظ [٣] وشيخ الاسلام [٤].

❋ وشيخ الحزاميين الواسطي الذي قال « فوالله ثم والله لم يُر تحت السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملا وحالا وخُلُقاً واتباعاً وكرماً وقياماً في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته» [٥].

❋ وأثنى عليه الشيخ شهاب الدين الأذرعي وذكر شيئاً من كراماته. قاله الحافظ ابن حجر [٦].

❋ وابن طولون الحنفي [٧].

❋ وابن عبد الهادي، وله كتاب العقود الدرية في مناقب ابن تيمية. رد فيه على السبكي وكشف ضعفه في الحديث واعتماده في رده على ابن تيمية حول شرعية شد الرحال الى القبور على الروايات الضعيفة والموضوعة.

❋ وبالغ الحافظ العلائي في الثناء عليه الى أن قال « اللهم متّعنا بعلومه الفاخرة وانفعنا به في الدنيا والآخرة» [٨].

❋ والحافظ عبد الرحمن ابن رجب الذي أثنى عليه كثيرا وقال « هو الامام الفقيه المجتهد المحدّث الحافظ المفسر الزاهد. تقي الدين أبو العباس شيخ الاسلام، وعَلَم الأعلام، وشُهرته تغني عن الإطناب في ذكره.. كان رحمه الله فريد دهره في فهم القرآن، ومعرفة حقائق الايمان»[٩].

❋ والحافظ العراقي.

❋ وعمر بن سعد الله ابن نجيح.

---

١) البداية والنهاية ١٤:٤.

٢) البداية والنهاية ١٤:٣٤١.

٣) إكفار الملحدين ٢٣ و٤٦ و٧٥ و٩٠ و١٠٣ و١١٣.

٤) إكفار الملحدين ١١٣.

٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٣٧.

٦) الدرر الكامنة ١:١٦٠.

٧) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ٢/٥٨٣.

٨) الدرر الكامنة ١:١٥٩.

٩) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٨٧-٣٩٢.

❊ وحافظ زمانه الشيخ أبو الحجاج المزي.
❊ وأبو بكر الرحبي.
❊ وفضل الله العمري.
❊ والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي.
❊ وشيخ الاسلام عمر بن رسلان البلقيني مجتهد عصره.
❊ وامام الحنفية الشيخ بدر الدين (محمود بن أحمد) العيني الذي قال « فمن قال أن ابن تيمية كافر: فهو الكافر حقاً، ومن نسبه الى الزندقة فهو زنديق، وكيف ذاك، وقد سارت تصانيفه في الآفاق، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق»[١].

❊ الحافظ السخاوي الذي لم يزل يحتج ويعتمده في ترجيح درجة الأحاديث « وناهيك بابن تيمية اطلاعاً وحفظاً أقرّ له بذلك المخالف والموافق، وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا، وقد قال عنه الحافظ شمس الدين الذهبي: ما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه: كأن السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة.

ووصفه العلامة فتح الدين ابن سيد الناس مصنف السيرة النبوية المشهورة فقال « وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً» ثم قال السخاوي بعد هذا النقل « نعم. قد نسبت اليه مسائل أُنكرَت عليه مقررة عند أهل العلم، والسعيد من عُدّت غلطاته رحمه الله وإياناً»[٢].

وقد امتلأ كتابه « المقاصد الحسنة » بالاحتجاج بابن تيمية في نقده للأحاديث والروايات تصحيحاً وتضعيفاً ونحيلك الى جملة من هذه الأحاديث : حديث رقم (٤٥) و (١٧) و (٢٢٩) و (٢٣٣) و (٣٨٤) و (٦٠٩) و (٨٣٨) و (٨٥٦) و (٨٨٣) و (٧١٤) و (١٣٥٦) و (١١٢٦). ولم يزل يحتج بتصحيحه وتضعيفه لروايات الحديث فيقول مثلا « قال ابن تيمية: هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم[٣].

---

١) الرد الوافر ٢٤٥.
٢) الفتاوى الحديثية عند حديث (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين.
٣) أنظر الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ص ٢٠٠ و٢٠٤ تحقيق الصباغ ط: الوراق- الرياض.

تعظيم الزبيدي لابن تيمية

وما زال الزبيدي يعظم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كقوله « والله يغفر لابن القيم» (٣٩/١). ويكثر من الاحتجاج بأقوال ابن القيم (٦٧/١ و١٣٢ و٤٠٦ و٤١٣ و٤٢٠ ٢/٢٧٠). وبأقوال شيخه ابن تيمية (١٧٠/١و١٧٦). ويصف ابن تيمية بـ (الحافظ) (٤٠٠/١) (١٠٦/٢) و (الامام) (١٧٠/١) بل وبشيخ الاسلام (٥٣٧/٤ و٤٨٢/٣). فماذا يقول الأحباش الذين يحتجون بقول العلاء البخاري « من قال ابن تيمية شيخ الاسلام فهو كافر»[١]. هل يحكمون بكفر الزبيدي؟

ولئن كان تكفير العلاء البخاري حجة فليوافقوه في تكفيره لابن عربي كما ذكره صاحب براءة الأشعريين (٦٥/٢-٦٦)!! وابن طولون في (القلائد الجوهرية ٥٣٨/٢) وكتب في الرد عليه كتاب « فاضحة الملحدين».

وهذا العلاء كان طعانا بالنووي ويحرم النظر الى كتبه. فإن كانت شهادته عندكم معتبرة فخذوا بحكمه في النووي وابن عربي!

○ ويحتج الزبيدي هو والحافظ العراقي بتصحيحات وتضعيفات ابن تيمية في الحديث كما في شرح الإحياء (٤٤٩/١) فقد قال عن حديث « الشيخ في قومه كالنبي في أمته» « قال العراقي: وسئل عنه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في جملة أحاديث فأجاب بأنه لا أصل له».

ولقد قرأت كتابه (الاتحاف كله) وعرفت الزبيدي رجلا دمث الخلق موقرا لأهل العلم ولو كان مخالفا لهم في بعض المسائل.

---

١) يحتج جميل حليم بما ذكره صاحب كتاب (براءة الأشعريين من عقائد المخالفين ٦٥/٢-٦٦) كدليل على كفر من يقول بأن ابن تيمية شيخ الاسلام. وقد كتب الشيخ ناصر الدين الدمشقي كتابا في الرد على مقولة العلاء البخاري بعنوان (الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية كافر).

السيوطي ينقل ثناء الزملكاني على ابن تيمية

والسيوطي يصف ابن تيمية « شيخ الاسلام أحد المجتهدين» «تقي الدين» وتلميذه بـ «العلامة شمس الدين ابن القيم» [١].

ونقل عن الزملكاني ثناءه على ابن تيمية وأنه « سيدنا وشيخنا الإمام العالم الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة علامة العلماء وارث الأنبياء آخر المجتهدين أوحد علماء الدين بركة الاسلام حجة الأعلامِ برهان المتكلمِين قامعِ المبتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة، مُحيي السنة، ومَن عظُمَت به الله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة، واستبانت ببركته وهديه المحجة، تقي الدين ابن تيمية: أعْلى اللهُ منارَهُ وشيد من الدين أركانه».

ثم أنشد يقول:

ماذا يقــول الواصــفون له   وصفاته جلّتْ عن الحصر
هـــو حجــةٌ لله قــاهرةٌ   هــو بيننا أعجوبة الدهرَ
هو آيــةٌ في الخلق ظاهــرة   أنــواره أرْبَت على الفجر

قال السيوطي: نقلتُ هذه الترجمة من خط العلاّمة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ كمالِ الدين الزملّكاني رحمه الله.

- وكان يقول « لم يُرَ منذ خمسمائة سنة أحفظ منه» [٢].

- وكان يدعو لابن تيمية [٣]. ويحتج كثيرا بأقوال تلميذه ابن القيم ويصفه بالعلامة شمس الدين [٤].

وينقل ثناء البرزالي عليه

قال السيوطي « ونقلتُ من علم الدين البرزالي: قال: قال سيدنا شيخنا الإمام العالم العلامة القدوة، الحافظ، الزاهد، العابد، الوَرِع، إما الائمة، حبر الأمة، مفتي الفرَق، علامة الهدى، ترجمان القرآنَ، حسـ الزمان، عمدة الحفاظ، فارسَ المعاني والألفاظ، زكي الشريعة والفنون البديعة، ناصر السنة، قامع البدعة، تقي الدين ابن تيمية الحرّاني، أدام الله بركته ورفع درجته» (الأشباه والنظائر النحوية ٣/٦٨١-٦٨٣).

---

١) صون المنطق ٢٠١ الحاوي للفتاوي ١/١٢٣ و٢٢١ و٢/١٣٦ و٣٤١.

٢) الأشباه والنظائر النحوية ٣/٦٨١ أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح لصفدي ١/٧١ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٩٢-٣٩٣.

٣) صون المنطق ٢٠١.

٤) صون المنطق ٢٠١ الحاوي للفتاوي ١/١٢٣ و٢٢١ و٢/١٣٦ و٣٤١.

الذين لقبوا ابن تيمية «شيخ الاسلام»

أما عن استحقاق ابن تيمية للقب شيخ الاسلام:

❊ فاسأل الحفاظ: السيوطي وابن رجب واسأل الشعراني لماذا لقبوه بهذا اللقب. فقد جاء في كلام السيوطي عن ابن تيمية « شيخ الاسلام، الحافظ الفقيه المجتهد المفسر البارع، شيخ الاسلام، نادرة العصر، عَلَم الزُهّاد» [١].

❊ واسأل الزبيدي صاحب تاج العروس واتحاف السادة: لماذا وصفه في كتابه (إتحاف السادة) بشيخ الاسلام وأثنى عليه واحتج بأقواله مرات عديدة في اتحافه ثم بعد أن وصفه بشيخ الاسلام ونقل له كلاما عظيما في أصول القرآن قال «انتهى ملخصا من كلام ابن تيمية وهو كلام نفيس جدا» [٢].

❊ بل اسأل التاج السبكي الذي كان يفخر بأن الحافظ أبا الحجاج المزّي لم يكتب بخطه لفظ (شيخ الاسلام) إلا لاثنين: لأبيه تقي الدين السبكي ولتقي الدين ابن تيمية [٣].

❊ واعترف الحافظ العلائي بأن المزي لم يكن يثبت لفظ « شيخ الاسلام» إلا للتقي السبكي ولابن تيمية [٤].

❊ والشيخ ملا على القاري الحنفي الذي كان كثير الذب عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كما في شرح الشمائل ووصفهما بأنهما شيخا الاسلام ومن أولياء هذه الأمة وأكابرها.

❊ والشعراني (عبد الوهاب) الذي كان يصفه « شيخ الاسلام» [٥].

❊ والشيخ شمس الدين محمد بن صفي الدين الحنفي الذي قال « ان لم يكن ابن تيمية شيخ الاسلام فمن؟ وقالها قاضي القضاة ابن

---

١) طبقات الحفاظ ٥١٦، ترجمة رقم (١١٤٤) ومقدمة كتاب السيوطي صون المنطق والكلام ص ١ والأشباه والنظائر للسيوطي ٣/٦٨٣.

٢) اتحاف السادة المتقين ٤/٥٣٧.

٣) طبقات الشافعية ١٠/١٩٥ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٨٧ الأشباه والنظائر ٣/٦٨١-٦٨٣.

٤) نقد الطالب لزغل المناصب ٥٤ للعلائي.

٥) لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الاطلاق ٥٥٦.

الحريري الحنفي الذي لقي الأذى بسبب وقفته المنصفة تجاهه[1].

* وابن طولون الذي يصفه بـ « التقي شيخ الاسلام» ويشهد له بأنه «علاّمة زمانه» [2]. فهؤلاء أثنوا عليه بعد موته حتماً وفيه رد على ادعاء الحبشي أن ذاك الثناء كان أول الأمر.

* ومحمد أنور الكشميري الحنفي صاحب فيض الباري شرح صحيح البخاري الذي يثني عليه الكوثري وأبو غدة الثناء البالغ[3].

الذهبي يصفه بشيخ الاسلام

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الذهبي من الثناء على ابن تيمية ووصفه بشيخ الاسلام [4].

وقال في كتاب دول الاسلام « وفي ذي القعدة توفي بالقلعة شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، عن سبع وستين سنة وأشهر، وشيّعه خلق أقل ما حزروا بستين ألفا، ولم يخلف بعده من يقاربه في العلم والفضل» [5].

وأنتم تبطلون كلام الحافظ ابن حجر الذي يثبت اختلاط السبيعي وترجحون عليه قول الذهبي في نفي الاختلاط عنه: فما لكم تتجاهلون ثناءه على ابن تيمية ووصفه بشيخ الاسلام؟

---

١) الدرر الكامنة ١/١٤٧ البداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٤٢.

٢) القلائد الجوهرية في تأريخ الصالحية ٢/٤٥٢ و٤٥٨.

٣) إكفار الملحدين ١١٣ نشر المجلس العلمي في كراتشي وانظر التصريح بما تواتر في نزول المسيح ١٢.

٤) سير أعلام النبلاء ٧/٣٧٣و١١/٣٥٠و٢١/١٥٦-٢١/١٦١.

٥) دول الاسلام للذهبي ٢٣٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

موقف الرفاعية من ابن تيمية

وبالرغم من نقد ابن تيمية للرفاعية إلا أن العديد من كبارهم كانوا يثنون عليه، ومع هذا لم يخطر ببال واحد منهم أن يتهمه بالكفر.

- فمع تحامل الصيادي (محمد أبو الهدى) عليه إلا أنه كان يدعو له قائلا « نسأل الله أن يرحمه ويعفو عنه» [١]. وكذلك الوتري [٢].

- وكان الشيخ صالح المنيعي الرفاعي يصفه ب «العالم المبارك» مع معاداته له [٣] وهذا يدل على أنه لم يكن عندهم كافراً. ومع كون الحبشي رفاعي الطريقة فإنه لا يبالي برأي أعيان طريقته في ابن تيمية. فان كنا عند الحبشي ضالين لامتناعنا عن تكفيره فلماذا لا يحكم بكفر الأئمة الأفاضل الذين أثنوا على ابن تيمية أولا، وبكفر الشعراني الذي وصفه بـ « شيخ الاسلام» ثم بكفر رفقائه في الطريقة الرفاعية التي ينتمي اليها لثنائهم عليه، ثم يحكم علينا بعد ذلك بالكفر!

فلست أعتقد أن يخفى حال ابن تيمية على هؤلاء جميعا، ثم لا يتفطن لذلك الا الحبشي وأتباعه المشتهرون بتكفير أغلب الناس حتى ضرب بهم المثل ولقبهم الآخرون بـ « فرقة المكفرة» [٤].

---

١) قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر. لمحمد بن حسن وادي الصيادي ٢٠٨ و٢١٥ و٢١٧.

٢) روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين للوتري ١٤١.

٣) روضة الناظرين ١٤١.

٤) الموسوعة الحركية ٢٥٩ للأستاذ فتحي يكن.

الجواب الفصل

وإذا كان الحبشي يحتج بتزكية عبد الوهاب الشعراني لابن عربي وتبرئته من الكفر [١] فلماذا لا يقبل شهادته في ابن تيمية وهو الذي كان اذا ذكره يلقبه بـ « شيخ الاسلام» [٢]. والفرق أن أكثر الذين أثنوا على ابن تيمية اتفقوا على كفر ابن عربي وعلى التحذير من كتبه الفاسدة.

غير أن الحبشي لا يقيم لشهاداتهم وزناً، ويتمسك بشهادة الشعراني: فهلا تمسك بشهادة الشعراني في ابن تيمية.؟! هذا جواب ملزم له ولأتباعه لا يسهل لهم الاجابة عليه.

وإذا لم يقُل أفاضل العلماء بكفره بل أثنوا عليه وعظموه وأنصفوه فما الذي يجعلنا نبطل شهاداتهم كلهم ونستبدلها بشهادة حبشي شهد أن ألفاظ القرآن من إنشاء جبريل لا من كلام الله، وأن القرآن ليس باللغة العربية وأباح خروج المرأة متعطرة متزينة متبرجة، وأباح الربا ومنع الزكاة وأباح صلاة المتلبس بالنجس والتحايل على الله، وأجاز الاستغاثة بالموتى من دون الله، واستباح الكذب واستعان بالباطنية والقرامطة فكيف تؤخذ شهادة رجل كهذا وتُرَدُّ شهادات العدول الأفذاذ؟

نعم، روي عن العلائي تضليل ابن تيمية ولعله حمله على ذلك تعصبه عفا الله عنه [٣] ومثال التعصب قوله بأن رئيسَا أهل السنة هما الماتريدي والأشعري اللذين لا يعارضهما إلا ضال مبتدع [٤].

وهذا عجيب منه: فإن أتْبَاع كل من الفريقين لم يزل معترضاً على الآخر، حتى حكم الماتريدية بضلالٍ الأشاعرة في بعض المسائل بل كفّروهم كما في مسألة خلق الايمان. فالمذهبان ليسا مذهباً واحداً وأحدهما يرى الآخر ضالا. وكلاهما يتفقان على تقديم الرأي على النص ولهذا تضاربت آراؤهم واختلفوا.

---

١) الدليل القويم ١٥٢.

٢) لطائف المنن والاخلاق ٥٥٦.

٣) وروي عنه عكس ذلك من الثناء عليه.

٤) نقد الطالب لزغل المناصب ٣٦.

وكذ[illegible] مر بالنسبة للسبكي والحصني والهيتمي فهؤلاء أشاعرة في العقيدة مدافعون عن المذهب، دعاة الى التأويل في أسماء الله وصفاته. يحكمون على مثبت الصفات بخبث الاعتقاد وتشبيه الله بخلقه: فتنةً له عن اثبات الصفات، ودفعاً به الى التأويل المحفوف بالمخاطر.

وليس من الانصاف جعل الخصم هو الحَكَم، وتحكيم من تخاصموا مع ابن تيمية في العقائد فإنهم على مذهب جديد إسمه المذهب (الأشعري) أو (الماتريدي) لم يعرفه الأشعري نفسه الذي تاب من بدعة الاعتزال وصار يحيل الناس الى معتقد أحمد بن حنبل. ومجرد تعصب المنتمين لمذهبهم سبب كافٍ للطعن في المخالف له، كما رأيت من العلائي.

ولذلك قال ابن تيمية لخصومه الذين عقدوا له مجلس تحقيق: من الذي يحكم بيننا فقالوا: نحن الحَكَم فيك. فقال: أنتم خصمي فكيف تكونون الحَكَمَ فيما بيني وبينكم؟!

قاعدة في جرح العلماء بعضهم لبعض

قال الألوسي « فإن قلتَ: قد تبين أن من العلماء من هو قادح في الشيخ ابن تيمية وإن كانوا أقل من الفرقة الراضية المرضية، إلا أنه قد عُرف من القاعدة التي عليها التعويل: أن الجرح مقدم على التعديل. فما الجواب المميز للخطأ عن الصواب».

والجواب: قال العلامة ابن عابدين في محشى «الدر المختار» في كتابه « سلُّ الحُسام» [1] « إن هذه القاعدة [الجرح مقدم على التعديل] إنما هي في غير من اشتهرت عدالته، وفي غير من عُلم أن التكلم فيه ناشىء عن عداوة أو جهالة وغباوة، فقد قال الحافظ الباجي:

الصواب عندنا أن مَن كثُر مادحوه ومزكّوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه مَن تعصب مذهبي أو غيره **فإنّا لا نلتفت الى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة**، وإلاّ: فلو فتحنا هذا الباب وأخذنا تقديم الجُرح على إطلاقه لما سَلِمَ لنا أحدٌ من الأئمة، إذ ما من إمامٍ إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون.

- وعن مالك بن دينار « يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا في قول بعضهم في بعض» [2]. وعن ابن عباس « اسمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده هم أشد تغايرا من التيوس في زروبها» [3].

قال « ومما ينبغي أن يُتفقّد عند الجرح: حال العقائد واختلافها بالنسبة الى الجارح والمجروح ، فربما خالف الجارحُ المجروح في العقيدة فجرحه لذلك. وإليه أشار الرافعي بقوله « وينبغي أن يكون المُزكّون برآء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق، وقد وقع هذا لكثيرٍ من الأئمة، جُرِحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيبٌ».

وقال الذهبي والحافظ ابن حجر العسقلاني وابو نعيم الاصفهاني « إن قول الأقران بعضهم في بعضٍ غير مقبول، لا سيما إذا

---

١) لعله نقلها عن السبكي.

٢) طبقات السبكي محقق ٢/٩ غير محقق و١/١٨٨.

٣) اتحاف السادة المتقين ٦/٣٦٢.

لاح أنه لعداوة أو مذهب، إذ الحسد لا ينجو منه إلا من عصمه الله تعالى. قال الذهبي « وما علمتُ عصراً سلم أهلُه من ذلك».

وقال عند ترجمة الفضيل « اذا كانَ مثل كبراء السابقين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج ومثل الفضيل بن عياض يتكلم فيه، فمن الذي يَسْلم من ألسنَة الناس؟ ولكن اذا ثبتت إمامة الرجل وفضله لم يضره ما قيل فيه، وإنمَا الكلام في العلماء يفتقر الى وزن بالعدل والورع» [١].

- وقال القنوجي في هداية السائل الى ادلة المسائل « قد فتح باب التقليد والتمذهب عداوات وتعصّبات قَلَّ مَن سَلِمَ منها إلا مَن عصمه الله»[٢].

- وقال الامام أحمد «كل رجل ثبتت عدالته لم يُقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه»[٣]

- وقال ابن جرير الطبري « لو كان كلُّ من ادُعيَ عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادعى به، وسقطت عدالتَه وبطلَت شهادته بذلك للزم تركُ أكثر محدثي الأمصار، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قومٌ الى ما يُرغَبُ به عنه. ومن ثبتت عدالته لم يُقبل فيه الجرح، وما تسقط العدالة بالظن» [٤].

ولنمض بعد هذه القواعد المهمة مع بعض خصوم ابن تيمية.

---

١) سير اعلام النبلاء ٤٤٨/٨.

٢) ميزان الاعتدال ١١١/١ سير أعلام النبلاء ٣٩٩/٥ وانظر كلام الصيادي في ذلك (قلادة الجواهر ٢٠٧).

٣) تهذيب التهذيب ٢٧٣/٧.

٤) هدي الساري ص٤٢٨.

عصور التعصب والمذهبية

وقد اتسم عصر ابن تيمية بالتحيز الفكري والغلو الصوفي والتعصب الأشعري « فكلٌ له إمام يتبعه في الفقه وفي العقيدة» [1] وفي كل مدينة أربعة قضاة: قاض يقضي حسب المذهب. وإمام يؤم حسب المذهب.

قال في مقدمة سير اعلام النبلاء للذهبي « وكانت بلاد الشام تشهد نزاعاً مذهبياً وعقائدياً حاداً، كان الحُكّام المماليك يتدخلون فيه في كثير من الأحيان فيُناصرون فئة على أخرى، وكان الأيوبيون قبل ذلك قد عُنوا بنشر عقيدة الأشعري واعتبروها العقيدة الحقة التي يجب اتّباعها، وكان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله أشعرياً متعصباً كما هو معروف من سيرته، فلذلك أصبحت للأشاعرة قوة عظيمة في مصر والشام»[2].

كل هذا يؤكد أنه من الإجحاف أن تكون محاكمة ابن تيمية بيد خصومه. وأن العصبية للمذهب وحسد العلماء المعاصرين كان الدافع وراء الحملات عليه عفا الله عنهم جميعاً.

موقف الحصني من ابن تيمية

واحتج الحبشي بموقف تقي الدين الحصني الشديد العداء من ابن تيمية.

○ ويكفي في بطلان هذا الاحتجاج شهادة كثيرين في الحصني كالحافظ ابن حجر وابن قاضي شهبة والمقريزي والسخاوي أنه كان شديد التعصب [3] والتعصب يعمي عن الحق ويودي الى ظلم الآخرين.

○ وكان الحصني يصرح بكفر ابن تيمية، فأهانه القضاة والحنابلة وأهالي دمشق إهانات كثيرة واحتقروه [4].

ونرى الامام السخاوي ينقل عن الامام المقريزي شدة عصبية

---

1) تاريخ المذاهب الاسلامية ٦٤٢ محمد أبو زهرة.

2) سير اعلام النبلاء ١٣/١.

3) الضوء اللامع ٨٣/٦ إنباء الغمر بأبناء العمر ٨/١١٠-١١١ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩٨/٤ الضوء اللامع ٨٣/٦.

4) الرد الوافر ٢٦١ الضوء اللامع ١٤٥/١ البدر الطالع ٢٨/١.

الحصني وغلوه تجاه ابن تيمية بل وتجاه الحنابلة بشكل عام. فيقول « وذكر المقريزي في عقوده أن الحصني كان شديد التعصب للأشاعرة، منحرفا عن الحنابلة انحرافا يخرج منه عن الحد. وتفحش في ابن تيمية، وتجهر بتكفيره من غير احتشام، بل يصرح بذلك في الجوامع والمجامع، بحيث تلقى ذلك عنه أتباعه واقتدوا به جريا على عادة أهل زماننا **في تقليد من اعتقدوه**، وسيُعرَضان جميعا على الله الذي يعلم المفسد من المصلح. ولم يزل على ذلك حتى مات عفا الله عنه» [١].

وذكر السخاوي أيضاً أن الشيخ ابراهيم بن محمد الطرابلسي اجتمع بالحصني وقال له « لعلك التقي الحصني. ثم سأله عن شيوخه فسمّاهم. فقال له :إن شيوخك الذين سميتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحطّ عليه أنت؟! فما وسع الحصني إلا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجسر يردّ عليه» [٢] انتهى قول السخاوي.

○ فهذا الموقف من الحصني دليل على الشذوذ والتعصب. لا سيما وأن عامة أهل العلم لم يُعرف عنهم مثل هذا الموقف. ولذلك كان كلام المقريزي والسخاوي مشعران بتوبيخه.

وقد نقل الحبشي من كلام الحصني [٣] أنه « **بلغه عن شخص**» أنه نبش قبر ابن تيمية فوجد على صدره ثعباناً مخيف المنظر [٤].

وهذا الذي بلغه عن مجهول (ولعله من مكاشفي الصوفية) لو صح لكان كرامة لابن تيمية فلعل ذاك الثعبان أن يكون من جنود الله يحميه به من أمثال هذا الحاقد الذي يحمله حقده على نبش قبور أعدائه! ونبشه للقبر يجعله مستحقاً للعنة لما جاء عن عائشة « أن النبي ﷺ لعن المختفي والمختفية»[٥] أي نبّاش القبور.

والمتأمل في كتاب الحصني المذكور يجد العديد من الخرافات والمبالغات وكثرة محادثة رسول الله والاستغاثة به عند قبره. فالحصني « حبشي» المنهج.

---

١) الضوء اللامع ٦/٨٣ ـ ٨٤.

٢) الضوء اللامع للسخاوي ١/١٤٥ البدر الطالع للشوكاني ١/٣٠.

٣) في كتابه دفع شُبَه من شبّه وتمرّد ٨٨).

٤) المقالات السنية ٧٧.

٥) رواه البيهقي في السنن ٨/٢٧٠ بسند صحيح (الصحيحة ٢١٤٨).

موقف أبي حيان من ابن عربي

○ وذكر الحبشي أن السبكي نقل عن أبي حيان المعاصر لابن تيمية أنه اطلع على رسالة ابن تيمية العرشية، فلما قرأها ما زال يلعنه حتى مات لما رأى فيها من الكفر [١]. زعموا أنه قال فيها إن الله أخلى لمحمدَ ﷺ مكاناً على عرشه ليُجلسه عليه.

وهذا جرح مبهم فما الذي قاله ليستحق عليه اللعن، فليعرضه حتى ننظر فيه، أم أنكم مقلدون حتى في اللعن المطلق.

أين هذه الرسالة المجهولة التي لا يبدو أن كبار الأئمة يعرفون عنها شيئا؟

وقد كان السبكي بحاجة ماسة الى ما يثبت موقفه من ابن تيمية فلماذا لم يحك ما في فحواها؟

ولماذا لم يتكلم عنها علماء عصره حتى يثبتوا فيها انحراف ابن تيمية؟

وكيف مع ذلك يضرب عنها أمراء النقد صفحا، فيبالغوا في الثناء على ابن تيمية كالسيوطي والمزي والذهبي وابن حجر العسقلاني وابن رجب وابن دقيق العيد، والحافظ البزار وبدر الدين العيني وملا علي قاري وغيرهم؟

وتقديم شهادة لغوي أشعري متعصب على جملة من الحفاظ هو عين التجني.

الصوفية يدعون أن العرش مملوء من رسول الله

○ فإن كان صاحب هذا الكلام - على افتراض صحته عن ابن تيمية - يستحق صاحبه به اللعن فإليكم ما حكاه السيوطي[٢] عن أبي العباس الطنجي تلميذ شيخكم أحمد الرفاعي. وفيها أن الشيخ عبد الرحيم بقنا قال له «اذهب الى بيت المقدس لتعرف رسول الله هناك. قال: فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ».

فالعرش مملوء بالنبي ﷺ وليس جزءاً منه فقط؟!

---

١) الدليل القويم ٣٩.

٢) الحاوي للفتاوي ٢/٢٦٠ و٢٦٥.

هل يعني ذلك جواز لعن ابن فورك والخطيب؟

فإن كان ابن تيمية يستحق اللعن لمجرد روايتها فقد رواها الخطيب في تاريخه الذي أخذتم منه رواية تبرك الشافعي بقبر أبي حنيفة وتمسكتم بها تعصباً منكم وتحيزاً. فقد ذكر الخطيب رواية « الكرسي الذي يجلس عليه الرب عز وجل، وما يفضل منه الا قدر أربع أصابع، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد» قال الخطيب: قال أبو بكر المروذي قال لي أبو علي الحسين بن شبيب قال لي أبو بكر بن العابد - حين قدمنا بغداد - أخرج ذلك الحديث الذي كتبناه عن أبي حمزة، فكتبه أبو بكر بن سلم بخطه وسمعناه جميعاً.

وقال أبو بكر بن سلم « إن الموضع الذي يفضل لمحمد ﷺ ليجلسه عليه، قال أبو بكر الصيدلاني: من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبي بكر المروذي وعلى أبي بكر بن سلم العابد» (تاريخ بغداد ٨/٥٢).

○ فهل تلعنون الخطيب البغدادي لهذه الرواية التي لا يعقب عليها بشيء بل يحكي ما يفيد الزجر على من يطعن في صحتها!

○ وهل تلعنون ابن فورك وهو الذي روى الحديث الباطل الذي تتهمون ابن تيمية بروايته وهو « إن الله ملأ العرش حتى إن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد قائلا هكذا ووضع احداهما على الأخرى، قال: ووضع حماد ساقه على ركبته اليسرى».
ثم حاول أن يوجد له تأويلا على عادته في سياقة الروايات الباطلة وتأويلها فقال « يحتمل أن يكون المراد ملأه عظمة ورفعة» [١].
○ وبالجملة فالرسالة العرشية التي بين أيدينا ليس فيها ما يزعمون؟ بيد أنهم يصرّون على أن له رسالة عرشية أخرى غير هذه المتداولة. أو أن هذه الرسالة قد تم حذف شيء منها، هكذا ادعاء لا أساس له. فليبرزوا لنا الأصل المخطوط للرسالة إن كانوا صادقين.

وعجباً لهؤلاء أن يقولوا عن كتب خصومهم « حُذف منها هذا الكفر». بينما يقولون في كتب أحبابهم من أهل الحلول والاتحاد كابن عربي « دُسّ فيها هذا الكفر» فتأمل التحيز والتعصب واتباع الهوى.

---

١) مشكل الحديث وبيانه ٣٤١.

○ ثم إن الحافظ ابن حجر صرح بأن الإشكال بين أبي حيان وابن تيمية إنما وقع حول قضية تتعلق بالنحو فقد دار جدال بينهما في النحو فخطّأ ابنُ تيمية سيبويه في مسائل فلما عارضه أبو حيان لذلك قال له ابن تيمية «لم يكن سيبويه نبياً معصوماً».

○ قال ابن حجر [1] «فاعتبر أبو حيان هذه الكلمة ذنباً لا يُغتفر، وكان هذا سبب مقاطعته إياه».

اختبار الصدق

○ ولئن كانت شهادة ابي حيان معتبَرَة عند الحبشي الى هذا الحد: فليأخذ بشهادته في ابن عربي بأنه حلولي فاجر يعتقد بوحدة الوجود؟!

فقد قال أبو حيان في قوله تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم﴾ «ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تسربل بالاسلام ظاهراً وانتمى الى الصوفية: [استنبط] حلول الله في الصور الجميلة.

- ومَن ذهب من ملاحدتهم الى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج والشوزي وابن عربي المقيم بدمشق وابن فارض والملعون العفيف التلمساني.. قال «وإنما سردتُ اسماء هؤلاء نصحاً لدين الله تعالى وليحذر المسلمون منهم» [2] انتهى.

فلماذا يميل الحبشي الى موقف ابي حيان من ابن تيمية ولا يميل الى موقفه من ابن عربي؟ إنه الهوى والجور.

وبهذه الطريقة أيضاً تستطيع أن تلقم هؤلاء المكفرين حجراً.

فإن قالوا لك إن ابا حيان لعن ابن تيمية [3] فقل لهم وكذلك لعن ابو حيان ابنَ عربي فهل تقبلون بحكمه في كلا الرجلين!

على أن ابن حيان لا يُعبأ بقوله في ابن تيمية بعد أن ثبت ثناء أكابر أهل العلم عليه الثناء البالغ. فهو ليس من الأئمة المعتبرين المعروفين الذين يؤثَر قولهم على قول ابن حجر والمزي والذهبي والحافظ ابن عبد الهادي وابن رجب وغيرهم.

---

١) الدرر الكامنة ١:١٥٢-١٥٣.

٢) تفسير البحر المحيط ٣/٤٤٩.

٣) وهل كل لاعنٍ يكون محقاً في لعنه؟!

ابن طولون يحكي الاجماع على كفر ابن عربي

ونص ابن طولون على أن غالب الفقهاء وجميع المحدّثين يعتقدون في ابن عربي أنه مبتدع إتحادي ملحد، قال: وسمعت الشيخ الكفر السوسي يقول: رقاهم بعض المتأخرين الى نحو خمسمائة منهم قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز المصري، والعلامة شهاب الدين أحمد بن حمدان الحراني، وعلامة زمانه تقي الدين ابن تيمية والعلامة كمال الدين جعفر الأدفوي، والحافظ ابن كثير، ونادرة زمانه علماً وعملاً علاء الدين البخاري، وقاضي القضاة أبو زرعة العراقي وقاضي القضاة بدر الدين العيني، وشيخ الاسلام شمس الدين البلاطنسي، والعلامة محمد بن امام الكاملية الصوفي، وحافظ العصر شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني، والفقيه تقي الدين ابن الصلاح، وقاضي القضاة ابن دقيق العيد، وبدر الدين ابن جماعة، وشيخ الاسلام تقي الدين السبكي [١] فماذا عساكم تقولون؟!

ثم إن محاولة تبرئة ابن عربي محاولة فاشلة فقد ثبت عليه القول بوحدة الوجود وتتلمذ عليه أناس من كبار القائلين بوحدة الوجود أمثال القونوي وبخاصة عبد الحق ابن سبعين الذي شنع عليه ابو حيان والذهبي وابن حجر، وكذلك بدر الدين العيني الذي أثنى على موقف ابن تيمية في التشنيع عليه وعلى أمثاله من القائلين بوحدة الوجود [٢].

فتلمذة ابن سبعين على ابن عربي وتأثره بتعاليمه يعتبر الدليل الأكبر على صحة نسبة كتاب الفصوص اليه لا سيما وأن ابن سبعين شرح الكتاب المذكور [٣].

---

١) القلائد الجوهرية في تأريخ الصالحية ٢/٥٣٨-٥٣٩.

٢) عقد الجمان لبدرالدين العيني ٢/٨٦ النجوم الزاهرة للاتابكي ٧/٢٣٢.

٣) مخطوط بمكتبة برلين ٢٨٤٩.

موقف التقي السبكي

وقد وبّخ الذهبيُ السبكيَ لتكلمه في حق ابن تيمية فأجابه السبكي برسالة أثنى فيها على ابن تيمية.

قال الحافظ ابن حجر « وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلامٍ وقع منه في حق ابن تيمية فكان من جملة جواب السبكي:

« وأما قول سيدي الشيخ في حق ابن تيمية، فالمملوك يتحقق كبيرَ قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره (أي قدر ابن تيمية) في نفسي أكبر من ذلك وأجلّ، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان» انتهى قول السبكي فيما حكاه الحافظانِ ابن حجر وابن رجب [1].

هكذا كان موقف السبكي الأب (تقي الدين) من ابن تيمية يدعو له بالرحمة بالرغم من العداء العقائدي ويصفه بـ «تقي الدين»[2].

تهوّر السبكي الابن

ولم يسلك السبكي الإبن مسلك والده، فقد بقي يطعن في ابن تيمية بأقذع النعوت وأقبحها وانتقده الناس على ذلك حتى نسبه السخاوي الى التعصب المقيت لقوله في طبقاته « وهل ارتفع للحنابلة قط رأس».

قال السخاوي: « وهذا من أعجب العجاب وأصحب للتعصب. ولذا كتب تحت خطه قاضي عصرنا وشيخ المذهب العز الكناني ما نصه « وكذلك والله ما ارتفع للمعطلة رأس...» الى أن قال عن التاج السبكيَ « **هو رجل**:

١ - **قليل الأدب**

٢ - **عديم الإنصاف**

٣ - **جاهل بأهل السنة ورُتبهم**»[3] انتهى.

---

١) الدرر الكامنة ١/١٥٩ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٩٢.

٢) شفاء السقام ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٢٩-١٣٢.

٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ٩٤ ط: الرسالة.

○ ولقد عامل الله السبكي بما يستحق، فقد ذكر الشعراني في الأجوبة المرضية أن الناس شهدوا على السبكي بالكفر والانحلال والزنا وشرب الخمر وأنه كان يلبس الغيار والزنّار بالليل ويخلعهما بالنهار [١]

قال ابن كثير « وعقد مجلس لقاضي القضاة السبكي بسبب عظائم اتهموه بها ينبو السماع عن استماعها» [٢].

ونحن والله لا نرجو أن يكون ذلك صدقاً، ولن نسارع أو نميل الى تصديقه، ولكن لعل الله ابتلاه بما ظلم ابن تيمية. ولا بد للظالم أن يُبتلى بظلمٍ مثله.

○ وأي إنصاف تتوخاه من رجل لم يتورع عن الطعن واللعن بالمخالفين لمذهبه حتى أدى به الأمر أن أكثر من النَيل من شيخه الذهبي، ولم يتوخ الأدب بحقه وهو من هو الناقد البصير الذي شهدت كتبه وسيرته الحسنة بإنصافه وحسن عقيدته. ولا زال أهل العلم بل والمخالفون له من أهل البدع يحتجون بحكمه على أحاديث الحاكم في المستدرك صحة وضعفاً؟!

وإذا بلغ الأمر بالتاج السبكي الى هذا الحد فما الذي يجعله يتورع عن سب شيوخه والتشهير بهم؟! أليس هذا التطاول والجرأة في الطعن يجعله جديراً بما رواه السخاوي عن الكناني من أن السبكي **رجل « قليل الأدب، عديم الإنصاف، جاهل بأهل السنة ورتبهم»** [٣]؟!

ولذلك فلا أزال أقول: راقبوا وتأملوا سير وأخلاق ومنهج الطاعنين - المتعصبين - في ابن تيمية وقارنوهم بأولئك الائمة العدول الكبار الذين أثنوا عليه: عندها تعرفون الحقيقة.

---

١) قلادة الجواهر ٢٠٦ جلاء العينين ٢٤-٢٥ والاعلام للزركلي ٤/ ١٨٤.
٢) البداية والنهاية ١٤:٣١٦.
٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ٩٤-٩٥.

دعاؤه لابن تيمية بالمغفرة يكشف أحقاد المعاصرين

ومع طعن السبكي الكبير بابن تيمية فإنه كان يدعو له من وقت لآخر كما قال في طبقاته « يغفر الله لابن تيمية ولا حرمه وسيلة النبي ﷺ» [1]. ويصفه بالشيخ تقي الدين [2]، ومعلوم أن (تقي الدين) وصف له وليس اسماً.

○ كما كان يترحّم الذهبي على ابن تيمية، وكان يدعو له في كل مناسبة يذكره فيها [3] خاصة بعد موته، ودعا له الوتري[4] والصيادي [5] والامام الأذرعي كما حكاه الحافظ [6]ودعا له بدر الدين العيني بالرحمة [7].

○ ودعاء السبكي لابن تيمية في الطبقات يبطل نفيَ صاحب الرسائل السبكية والتوفيق الرباني أن يكون السبكي قد دعا له بالمغفرة.

---

١) طبقات السبكي ١٠/١٤٩ محققة. ذكر ذلك عند ترجمة والده.
٢) طبقات السبكي ١٠/١٦٧و١٩٥ محققة.
٣) المعجم المختص ٢٥.
٤) روضة الناظرين ١٤١ .
٥) قلادة الجواهر ٢٠٨ و ٢١٧.
٦) الدرر الكامنة١/١٦٠.
٧) عقد الجمان ٤/٢٢٣.

علامات التحيز والتعصب والغلو

ومن تعصب التاج السبكي قوله عن أبيه وهو يترجم له:

○ « إعلم أن باب مباحثه بحرٌ لا ساحل له، بحيث سمعتُ بعض الفضلاء يقول: أنا أعتقد أن كل بحث يقع اليوم على وجه الأرض فهو له، أو مستمد من كلامه وتقريراته التي طبقت الأرض...» [1].

○ وكانت دعواته تخترق السموات السبع الطباق، وتفترق بركاتُها فتملأ الآفاق، وتسترق خبر السماء [2].

وأقسمُ بالله إنه لَفَوْقَ ما وصفتُه، وإني لناطقٌ بهذا وغالب ظني أني ما أنصفتُه» الى أن قال « وما ساقه الله حين قبضه الا الى جنة عدن، أعدَت لأمثاله من المتقين الأبرار» [3] وما عانده أحد الا وأخذه الله بعَقوبته سريعاً[4].

وسافر الى مصر وكان يذكر أنه لا يموت الا في مصر.[5] وكأن الله استثناه من الآية ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ فصارت: الا السبكي!

وزعم أن رجلا رآه في المنام فسأله عما فعل الله به فقال: فُتحَتْ لي أبواب الجنة وقال لي: أدخل، فقلت: وعزتك لا أدخل حتى يدخلَ كل من حضر الصلاة عليّ» [6].

ونقل عن برهان الدين القيراطي رثاءه لأبيه قائلا [7]:

أمسى ضريحك موطن الغفران	ومحل وفد ملائك الرحمن
وتبوأت غرف الجنان وجوزيت	فيها على الاحسان بالاحسان
وتُلُقِّيتَ بتحية وأتت لها	تحف الجنان على يدي رضوان
واستَبْشَرَتْ بقدومها أملاكها	وسعى لها رضوان بالرضوان
روحٌ لها حور الجنان تشوّفَتْ	حباً لها كتشوق الولدان
كانت لها الدنيا محلا أولا	والجنة العليا محل ثان

---

١) طبقات الشافعية ٢٦٦/١٠.

٢) وما أدراك أيها الغالي. ويحك قطعت ظهر أبيك!

٣) طبقات الشافعية ١٤٢/١٠-١٤٣ محققة، وقد سقطت العبارة الآتية من النسخة المطبوعة (وإن الغبي سيظن فيّ أمراً ما تصورته) وجاء في الطبقات الوسطى (ولو عددتُ ما شاهدتُ وحكيت ما عانيت لطال الفصل وقال الغبي النذل: ولدٌ يشهد لأبيه.

٤) طبقات السبكي ٢١٠/١٠.

٥) طبقات السبكي ٣١٥/١٠.

٦) طبقات السبكي ٣١٧/١٠.

٧) طبقات السبكي ٣٣١/١٠.

وهكذا جعلوا قبره مصدر المغفرة، وحكموا له نيابة عن الله بأنه يتقلب الآن في الجنة، هكذا يروج الولد لأبيه بضاعته.

○ أما أبوه فكان يتلو القرآن جهراً ولو في الحمام، وإذا كانت له حاجة يكتب مطلبه بخطه الى الله تعالى ويعلقها على خشبة السطح (١).

○ وكان يسعى سعيا حثيثا الى منصب القضاء (٢) في حين كان يعتبر هروب كثيرين من القضاء منقبة وفضيلة. وكان قد أمر المؤذنين بزيادات طويلة بعد الأذان وقبله (٣).

○ وكان الناس يبغضونه وينقمون منه (٤).

○ وكان عصبي المزاج متعصب المنهاج لا يتورع عن وصف مخالفي رأيه بالزندقة فقد حكى عنه الهيتمي قوله « لا ينقص الغزالي الا حاسد او زنديق» (٥). والنقد عنده انتقاص.

ولا يخفاك أيها الأخ المنصف نقد كثيرين للغزالي أبرزهم في ذلك ابن الجوزي وابن الصلاح والقاضي ابو بكر ابن العربي الذي كان معاصراً له، والمازري وابو بكر الطرطوشي.

قال ابن الجوزي « وجاء أبو حامد فصنف لهم كتاباً على طريقة القوم (الصوفية) وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه، وقال إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن ابراهيم أنوارٌ هي حُجُبُ الله ولم يُرد هذه (الكواكب) المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية، وأن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتاً ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور الى درجات يضيق عنها نطاق النطق» (٦).

وأوصى الغزالي سالك التصوف أن « لا يفرّق فكره بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث» وذكر في ميزان العمل (٣١) انه رغب مرة في قراءة القرآن فمنعه شيخه الصوفي من ذلك قائلا «السبيل ان تقطع علائقك من الدنيا بالكلية» فجعل تلاوة القرآن من مشاغل الدنيا.

---

١) طبقات السبكي ٢٠٥/١٠ و٢١٥ مفتاح السعادة ٣٢٩/٢ طاش كبري زادة.
٢) البداية والنهاية ٢٠٤:١٤.
٣) البداية والنهاية ١٩٤:١٤.
٤) البداية والنهاية ٢٠٦:١٤.
٥) الزواجر ٣٧٩/٢ الاعلام بقواطع الاسلام ٧٧.
٦) تلبيس ابليس ١٦٦ وانظر المنقذ من الضلال للغزالي ٥٠.

طلب علم الحديث ركون الى الدنيا؟؟؟

واما طلب علم الحديث فقد نقل عن الداراني قوله « اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا لأن الزهد عندنا تركُ كل شيء يشغلك عن الله عزوجل (١).

علّق ابن الجوزي على ذلك قائلا: «عزيزٌ عليّ ان يصدر هذا الكلام من فقيه، فإنه لا يخفى قبحه فإنه طيٌّ لبساط الشريعة التي حثّت على تلاوة القرآن وطلب العلم (٢) فهل نعتبر الزندقة في نقد ابن الجوزي أم ماذا؟!

غير أن المتعصبين أول ما يتبادر اليهم عند نقد من يحبونه أنه طعنٌ فيه، ولا ينصفونه ولا يتقبلون نقده مع إحسان ظن ولا ينظرون نظرة تجرد وغيرة على الدين ولا الى ما وراء نقد الخاطئين من صيانة للدين، ومن هنا يسارعون الى الطعن والتشكيك في مصداقية الناقد في نُصحه بل في نيته، ولا ينظرون نظرة واقعية متجردة الى ما فيه قيام الدين.

هجاء السبكي لابن تيمية
والرد عليه في ذلك

هذا ويحتج الحبشي ببعض أبيات للسبكي يقول فيها:

ولابن تيمية ردٌّ عليه وفي	بمقصد الرد استيفاء اضربه
لكنه خلط الحق المبين بما	يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو أنى كان فهو له	حثيث سير بشرق او بمغربه
يرى حوادث لا مبدا لأولها	في الله سبحانه عما يظن به
كما رددت عليه في الطلاق وفي	ترك الزيارة أقفو إثر سببه

ولقد ردَّ عليها اليافعي (٣) بقصيدة مطولة جاء فيها:

---

١) الاحياء ٦١/١، ٢٤/٢، ٢٣٧/٢، ٢٢٩/٤.

٢) تلبيس ابليس ٣٢٣.

٣) وهو عبد الله بن اسعد بن علي وقصيدته لا تزال مخطوطة محفوظة في مكتبة شيستربتي بايرلندا رقم (٣/٤٩٠٧) تحت عنوان (قصيدة فريدة) ومصورة في جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض، وذكرها الآلوسي كاملة في جلاء العينين ١٩.

اليافعي يستعرض كلام السبكي

وبعد فاسمع كلاما قد تقوله … قاضي القضاة تقي الدين وانتبه
أعني أبا الحسن السبكي حين غدا … يبغي من الأمر ما لا يستقل به
فقال ذلك إذ رد الإمام على حزب … الروافض ردا غير مشتبه
أعني ابن تيمية الحبر الذي شهدت … بفضله فضلاء الناس والنبه
فاستحسن الرد حتى راح يمدحه … بما أزال من الإشكال والشبه
لكنه بعد هذا المدح خالفه … وقال أبيات شعر غير منجبه

أبيات السبكي في حق ابن تيمية

ان الروافض قوم لا خلاق لهم … من أجهل الناس في علم وأكذبه
والناس في غنية عن رد إفكهم … لهجنة الرفض واستقباح مذهبه
وابن المطهر لم تطهر خلائقه … داع الى الرفض غال في تعصبه
ولابن تيمية رد عليه وفى … بمقصد الرد استيفاء أضربه
لكنه خلط الحق المبين بما … يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو أنى كان فهو له … حثيث سير بشرق أو بمغربه
يرى حوادث لا مبدا لأولها … في الله سبحانه عما يظن به
كما رددت عليه في الطلاق وفي … ترك الزيارة أقفو إثر سبسبه
وبعده لا أرى للرد فائدة … هذا وجوهره مما أضن به
هذا الذي قاله السبكي مرتجلا … وللبسيط أتمي بعض أضربه

رد اليافعي على اتهامات السبكي

فقال مرتجلا للحق منتصرا … عبد يرد عليه في تأدبه
يا أيها الرجل الحامي لمذهبه … ألزمت نفسك أمرا ما أمرت به
وما عزوتم الى الشيخ الجليل أبي … العباس أحمد أمر لا يخص به
في قولكم خلط الحق المبين بما … يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو أنى كان فهو له … حثيث سير بشرق أو بمغربه

يرى حوادث لا مبدا لأولها ... في الله سبحانه عما يظن به

لقد علمتم بأن السلف الـ ... ـماضين ما خرجوا عما أقر به

هم القرون الألى في نص سيدنا ... حازوا الفخار بأمر غير مشتبه

لئن رددت عليه في مقالته ... فقد رددت عليهم فبادر وانتبه

ثم الأئمة أهل الحق كلهم ... يرون ما قاله من غير ماجبه

فردكم ليس مخصوصا بواحدهم ... بل بالجميع وهذا موضع الشبه

هلا جمعت الألى قالوا بمقالته ... ليستبين خطاهم من مصوبه

فكلهم خلط الحق المبين بما ... يشوبه كدر في صفو مشربه

فكلهم كان حشويا لديك يرى ... وكلهم أنت تقفو إثر سبسبه

وانظر الى مطلب حاولته طلبا ... فنسبة المرء تلفى عند مطلبه (١)

وخذ أدلة ما قالوه واضحة ... من الكتاب ودع ما قد هذوت به

فللإله صفات الذات قد وردت ... بها النصوص بلا ريب ولا شبه

كما تراها على قسمين قائمة ... بها يقينا يراها من أقر به

هو القديم بأوصاف منزهة ... عن الحدوث كما تأتيك فانتبه

حي سميع بصير قادر صمد ... فرد جليل عظيم الشأن فارض به

فهذه كلها ذاتية وردت ... ومثلها في المعاني غير مشتبه

كذاك فعلية فانظر مثالهما ... وقس عليه وراع الفرق تنج به

يحب يبغض يرضى يستجيب يرى ... يجيء يأتي بلا كيف ولا شبه

وخالق قبل مخلوق يكونه ... وقاهر قبل مقهور يكون به

وراحم قبل مرحوم فيرحمه ... ورازق قبل مرزوق بأضربه

عن أمره صدر المخلوق أجمعه ... والأمر ويحك لا شك يقوم به

وقد تكلم رب العرش بالكتب الـ ... ـمنزلات كلاما لا شبيه به

ولم يزل فاعلا أو قائل أزلا ... اذا يشاء وهذا الحق فارض به

هذي حوادث لا مبدا لأولها ... بالنص فافهمه يا نومان وانتبه

إذ هل صفات لموصوف تقوم به ... قديمة مثله من غير ما شبه

ومذهب القوم مروي كما وردت ... من غير شائبة التكييف والشبه

ولا يرون بتعطيل الصفات كما ... يقول جهم ومن والاه في الشبه

---

(١) يعني الحاحه على السلطان أن يمنحه منصب القضاء والخطابه وكذلك وصيته أن يتولى ذلك بعده ابنه.

ما شبه الله إلا عابد صنما … يدلي بأخبث معبود وأغربه

ولا يعطل الا عابد عدما … وليس يدري ربا يلوذ به

سوى أباطيل ما يختاره عبثا … يرى لماتيه تسري لمركبه

وما رددت عليه في الطلاق فما … حققت عقلا ولا نقلا ظفرت به

بل فاسد القصد أعيا الذهن منك كما … هو عادة الله في قال لمذهبه

نزلت حول حماه كي تنازله … فما علوت عليه بل علوت به

وما نسبتم اليه عند ذكركمو … ترك الزيارة أمرا لا يقول به

فقد أجابكمو فيوا بأجوبة … أزال فيها صدا الإشكال والشبه

وقد تبين هذا في مناسكه … لكل ذي فطنة في القول والنبه

رميتموه ببهتان يشان به … فالله ينصفه ممن رماه به

وفي الجواب أمور من تدبرها … سقى الأنام بها من صفو مشربه

ولم يكن مانعا نفس الزيارة بل … شد الرحال اليها فوق مركبه

مستمسكا بصحيح القول متبعا … خير القرون الألى جاءوا بمذهبه

* * * * * * *

وقال آخر

فضحت نفسك في هذا المقال ولم … تشعر وعجت عن المرعى وأخصبه

عرفتنا أن ما قد قلت ليس لوجه … الله بل للمرا أقبح بمنصبه

إذ لو أردت بيان الحق قلت به … في محضر الخصم أما في مغيبه

ما ذاك صدك بل خوف الجواب كما … أجبت قبل بسهم من مصوبه

لكن إذا الاسد الضرغام غاب عن الـ … عرين تسمع فيه ضبح ثعلبه

وفي الزيارة لم تنصف رددت على … ما لم يقله ولم تمرر بمسببه

رد ملخص أشياء أنكرها … إما حديث ضعيف عند مطلبه

إما صحيح ولكن لا دليل به … على مرادك بل هدم لمنصبه

[illegible] ... رجع عن تلك الاعتقادات ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... وللناس ... مذاهب ... [illegible]

هذه قصيدة ... ومحجة مستقيمة ... للإمام أبي عبد الله محمد ... [illegible]
... [illegible] ... يوسف اليمني
... الشيخ الإمام السبكي غفر الله له ما فرض [illegible]
... شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية
الحراني رحمه الله تعالى وهي هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ... [illegible] ... فضل الإله ... [illegible]
... [illegible] ... قال ... [illegible]
... الكريم الواحد الأحد ... [illegible]
ثم الصلاة على المختار ... [illegible]
وبعد فاسمع كلاما ... [illegible] ... الدين ... [illegible]
... [illegible] ... السبكي ... [illegible]
... [illegible] ... الإمام علي ... الرافضي ... [illegible]
... ابن تيمية ... [illegible] ... الناس ... [illegible]
... [illegible] ... الإشكال والشبه
... [illegible] ... أبيات شعر [illegible]
ثم نقل كلام الشيخ السبكي وهو قوله من جملة قصيدته
إن الروافض قوم لا خلاق لهم ... [illegible]
... [illegible] ... الرفض واستقباح مذهبه

وابن المطهر لم تطهر خلائقه — داع إلى الرفض غال في تعصبه
لقد تقول في الصحب الكرام ولم — يستحي مما افتراه غير منتجبه
ولابن تيمية رد عليه وفى — بمقصد الرد واستيفاء أضربه
لكنه خلط الحق المبين بما — يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو أنى كان فهو له — حثيث سير بشرق أو بمغربه
يرى حوادث لا مبدا لأولها — في الله سبحانه عما يظن به
لو كان حيا يرى قولي ويسمعه — رددت ما قال ردا غير مشتبه
كما رددت عليه في الطلاق وفي — ترك الزيارة ردا غير مقتضب
وبعده لا أرى في الرد فائدة — هذا وجوهره مما أظن به
والرد يحسن في حالين واحدة — لقطع خصم قوي في تغلبه
وحالة لانتفاع الناس حيث به — هدى وربح لديهم في تكسبه
وليس للناس في علم الكلام هدى — بل بدعة وضلال في تطلبه
ولي يد فيه لولا ضعف سامعه — جعلت نظم بسيطي في مهذبه
هذا الذي قاله السبكي مرتجلا — وللبسيط التي [illegible]
فبادر مرتجلا للحق منتصرا — عبد يرد على [illegible]

فأجابه بياقوتي رحمه الله تعالى بقوله

يا أيها الرجل الحبر الذي ... — ألزمت نفسك أمرا ما أمرت به
... [illegible] ... — يرى ... [illegible]
والناس في ... [illegible] — هذا هو ... [illegible]
... [illegible] واجب ... — ونفرع ... [illegible]
إذا ... [illegible] — ذا ترجون ... [illegible]

ثناء الحافظ ابن حجر على ابن تيمية ووصفه بشيخ الاسلام

إن أهم الأدلة على ثناء الحافظ ابن حجر على ابن تيمية ما قاله فيه عند تقريظـه كتـاب الرد الوافر على من زعم ان ابن تيمية كافر لابن نـاصر الدين الدمشقي كمـا أثبتـه السخـاوي في كتابه الجواهر والدرر في ترجمة الحافظ ابن حجر قال فيه ما نصه

قال السخاوي في الجواهر والدرر في ترجمة الحافظ ابن حجر [1] في معرض سرد تقريظات ابن حجر للكتب ما نصه:

« ومن ذلك ما كتب بـه علـى الـرد الوافـر علـى من زعـم أن ابـن تيمـة شـيخ الاسلام كافر لحافظ الشام ابن ناصر الدين في سنة خمس وثلاثين وحدث به في أواخر السنة التي تليها بالشام بقراءة صاحبنا النجم الهاشم:

الحمد لله وسلام على عبـاده الذين اصطفـى. وقفت علـى هـذا التـأليف النـافع والمجموع الذي هو للمقاصد التي جمع لأجلها جامع. فتحققت سعة اطلاع الامام الـذي صنفه، وتضلعه من العلوم النافعة بما عظّمه بين العلماء وشرّفه .

وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الاسـلام فـي عصره باق الى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غدا كما كان بالأمس، ولا ينكـر ذلـك إلا من جهل مقداره أو تجنب الإنصاف، مما أكثر غلط مـن تعاطى ذلـك وأكثر عثـاره، فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنّه وفضله.

ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجـل الا مـا نبّـه عليـه الحـافظ الشـهير علم الدين البرزالي في تاريخه أنه لم يوجد في الاسلام من اجتمع في جنازته لمّا مـات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين، وأشار الى أن جنازة الإمـام أحمـد كـانت حافلـة جدا، شهدها ما بين مئي ألوف، ولكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير من كان ببغداد بل أضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته.

وأيضا فجميع من كان ببغداد إلا الأقل كانوا يعتقدون إمامـة الإمـام أحمـد وكـان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم، بخلاف ابن تيمية، فكان

([1]) المخطوطة موجودة في مكتبة طوبقبو بتركيا رقم المخطوط ١٩٩٢ .

أمير البلد حين مات غائبا، وكان أكثر من في البلد من الفقهاء. فتعصبوا عليه حين مات محبوسا بالقلعة، ومع هذا فلم يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحم عليه والتأسف عليه الا ثلاثة أنفس تأخروا خشية على أنفسهم من العامة.

ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته وبركته لا بجمع سلطان ولا غيره.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال أنتم شهود الله في الأرض.

ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مرارا بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة ودمشق. ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا حكم بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدولة، حتى حُبس بالقاهرة ثم بالاسكندرية، ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثرة ورعه وزهده، ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الاسلام والدعاء الى الله تعالى في السر والعلانية.

فكيف لا ينكر على من أطلق أنه كان كافرا بل من أطلق على من سماه شيخ الاسلام الكفر. وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك، فإنه شيخ الاسلام بلا ريب.

والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عنادا.

وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبري منه، ومع ذلك فهو بشر يخطىء ويصيب فالذي أصاب فيه - وهو الأكثر - يستفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه - بل هو معذور - لأن أئمة عصره شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه، حتى كان أشد المتشغبين عليه القائمين في إيصال الشر اليه وهو كمال الدين الزملكاني يشهد له بذلك، وكذلك الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره.

ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم قياما على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة، وفتاويه فيهم لا يدخل تحت الحصر

فيا قرة أعينهم اذا سمعوا تكفيره، ويا سرورهم اذا رأوا من يكفره من أهل العلم،

فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر منه على قصد النصح، ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء.

ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب الا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظيم منزلته. فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة.

فالذي يطلق عليه – مع هذه الأشياء – الكفر أو على من سماه شيخ الاسلام: لا يلتفت اليه ولا يعول في هذا المقام عليه بل يجب ردعه عن ذلك الى أن يراجع الحق ويذعن للصواب.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل».

انتهى كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله وهو كلام نفيس جدا.

وعرفت ما فيه من التنويع والتصريف في جدته مجموعا جامعا واعجوبة حوت
للحسن وللحسنى معا قد حرر مؤلفه واتقن وغاص على الدرر من مظانه فامعن
فجزاه الله عن ملح الكلام ومشاعره العظام احسن جزا وكفانا جميع ما نتوقاه
من الاسوا امين امين قاله الفقير المعترف بالتقصير

ومنه ما كتبه على مجموع للامام تقي الدين يحيى بن شيخ الاسلام الكرماني
وقف العبد احمد بن علي بن حجر الشافعي عفا الله عنه على هذا المجموع الجامع
للمحاسن المانع من مطعن الطاعن فوجدته اشتمل على فنون من الجد والهزل
وعلى انواع من العلوم القرآنية والحديثية والفقهية وهي علوم الاسلام
الشرعية مع ما تخللها من اللطائف التي تنشط نفس المجد في الاشتغال
وتوصله الى غاية الجد في الحال والاستقبال وملاحقه بقولي

نظرت لما سطرته من بديعها فتنصل الذرات محاسن تغزا
وقد لزما ابديت منها بخاطري ولم يكف طرفي منه جزؤ الاجزا

ومنه ما كتبه على ديوان شعر الملك الاشرف احمد بن الملك العادل سليمان
بن غازي الايوبي صاحب حصن كيفا حيث احضره الي مارعون د واداره
في اوائل سنة احدى وثلاثين مما غاب عني الان وكذا كتب على ديوان ولده
الملك الكامل خليل المستقر بعد قتل والده المذكور في سنة ست وثلاثين
ومن ذلك ما كتبه على الرد الوافر على من زعم ان ابن تيمية شيخ الاسلام
كافر للحافظ الشام ابن ناصر الدين في سنة خمس وثلاثين وحدث به في
ايام السنة التي تليها بالشام بقراءة صاحبنا النجم الهاشمي الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى وقفت على هذا التاليف النافع والمجموع الذي
هو للمقاصد التي جمع لاجلها جامع فتحققت سعة اطلاع الامام الذي
صنفه وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين العلما وشرفه وشهرة
امامة الشيخ تقي الدين اشهر من الشمس وتلقيبه بشيخ الاسلام في عصره
باق الى الان على الالسنة الزكية ويستمر غدا كما كان بالامس ولا ينكر ذلك
الا من جهل مقداره او تجنب الانصاف فما اكثر غلط من تعاطى ذلك واكثر
عثاره فالله تعالى هو المسؤول ان يقينا شرور انفسنا وحصائد السنتنا بمنه
وفضله ولو لم يكن من الدليل على امامة هذا الرجل الا ما نبه عليه الحافظ الشهير
علم الدين البرزالي في تاريخه انه لم يوجد في الاسلام من اجتمع في جنازته لما
مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين واشار الى ان جنازة الامام احمد

احتجاجه الدائم بابن تيمية

○ ويكفيك من ثناء الحافظ ابن حجر على ابن تيمية احتجاجه بأقواله وأقوال تلميذه ابن القيم في العديد من المسائل، ويصفه بـ «العلاّمة» و «الحافظ». وقد احتج بحكم ابن تيمية على زيادة « كان الله ولا مكان» بأنه لا أصل لها. قال الحافظ ابن حجر في (الفتح ٦/٢٨٩) ما نصه:

« تنبيه : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث [كان الله ولا مكان] [وهو الآن على ما عليه كان] وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث نبَّه على ذلك العلاّمة تقي الدين ابن تيمية، وهو مسلَّمٌ في قوله [وهو الآن] الى آخره» [١].

وهذه الرواية معتمد الاحباش وغيره ويتمسكون بها ويعارضون بها كثيرا من نصوص الآيات والأحاديث.

فهذا يبين منزلة ابن تيمية عند الحافظ رحمه الله. قاله الحافظ بعد موت ابن تيمية فهل خفي عليه آخر حال ابن تيمية كما تدعون؟

○ وشهد لابن تيمية استحقاقه مرتبة (حافظ) واحتج بحكمه على درجة الأحاديث كما في كتاب (التلخيص الحبير ٣/١٠٩).

○ وحكى المرتضى الزبيدي في شرح الإحياء (١/٤٤٩) عن الحافظ العراقي احتجاجه بحكم ابن تيمية على الحديث فقال عن حديث « الشيخ في قومه كالنبي في أمته» « قال العراقي: وسئل عنه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في جملة أحاديث فأجاب بأنه لا أصل له».

○ قال الحافظ « وقرأتُ بخط الحافظ صلاح الدين العلائي عن وصف ابن تيمية منها قوله « متَّعَنَا اللهُ بعلومه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الامام العالم الرباني والحبر البحر القطب النوراني امام الأئمة بركة الأمة وارث علوم الأنبياء: آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين شيخ الاسلام حجة الاعلام، قدوة الأنام، برهان

---

١) فتح الباري ٦/٢٨٩

المتعلمين، قامع المبتدعين سيف المناظرين بحر العلوم كنز المستفيدين، ترجمان القرآن أعجوبة الزمان، فريد العصر والأوان، تقي الدين، إمام المسلمين، حجة الله على العالمين، اللاحق بالصالحين والمشبه بالماضين، مفتي الفرَق، ناصر الحق، علامة الهدى عمدة الحفاظ فارس المعاني والألفاظَ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة، أبو العباس ابن تيمية» [1].

ولم يقل الحافظ: هذا المدح كان قبل أن تفسد عقيدة ابن تيمية كما يزعمه المفتري.

---

١) الدرر الكامنة ١٥٩-١٦٠. وللمزيد طالع الكتاب المذكور. وانظر كتاب الأشباه والنظائر ٣/٦٨١-٦٨٣ للسيوطي.

موقف الذهبي من ابن تيمية
وحقيقة النصيحة الذهبية المزعومة

وأوردوا ما يسمى بـ « النصيحة الذهبية» زعموا نسبتها للذهبي وجهها الى ابن تيمية وهي رسالة:

- لم تعرف عنه أبدا.
- ولم يذكرها أحد ممن اعتنى بمؤلفات الذهبي.
- أنها كتبت بخط خصم ابن تيمية وهو ابن قاضي شهبة على زعم ناشرها المقدسي بتعليقات الكوثري. فهي محكمة أشعرية أو قل: تحكم أشعري.
- وهي تخالف آخر ما كتبه عنه الذهبي.
- أن كل كتاب للذهبي ورد فيه كلام على ابن تيمية ينادي بأن هذه النصيحة جهمية لا ذهبية. وهي لا تعدو نصيحة اعتبرها صاحبها (ذهبية) وليس كل الذهب حكرا على الذهبي!.

آخر أقوال الذهبي قبل موته

ومن يطلع على كلام الذهبي عن ابن تيمية بعد وفاته يتأكد له كذب هذه الرسالة المزعومة. فلا يوجد كتاب للذهبي إلا وفيه الثناء على ابن تيمية لا سيما بعد موته، وإذا ذكره الذهبي قال « شيخنا» وتارة يقول «شيخ الاسلام» [1]. مثال ذلك:

قال في كتاب دول الاسلام « وفي ذي القعدة توفي بالقلعة شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، عن سبع وستين سنة وأشهر، وشيّعه خلق أقل ما حزروا بستين ألفا، ولم يخلف بعده من يقاربه في العلم والفضل» [2].

وقال في تذكرة الحفاظ «كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد والشجعان الكبار والكرماء الأجواد: أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان. وقد امتُحن وأوذي وحُبس بقلعة مصر والقاهره والاسكندرية وبقلعة مصر مرتين وبها توفي ثم جُهِّز وأخرج الى جامع البلد فشهده أمم لا يُحصَون فحرزوا بستين ألفاً. وقد انفرد بفتاوى نِيلَ من عرضه لأجلها، وهي مغمورة في

---

١) سير أعلام النبلاء ٧/٣٧٣و١١/٣٥٠و٢١/١٥٦-٢١/١٦١.

٢) دول الاسلام للذهبي ٢٣٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

بحر علمه، فما رأيتُ مثله»[1] .

« نصر السنّة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأوذي في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة حتى أعلى اللهُ مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته»[2] والدعاء له، وكَبَتَ أعداءه، وأحيا به الشام: بل والاسلام، وهو أكبر من أن يُنبِّه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلَفْتُ أني ما رأيت بعيني مثله [3]. وقال في المعجم المختص « فولله ما مقلت عيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه»[4] .

ونقل الحافظ ابن رجب عن الذهبي ان ابن تيمية « كان اماما متبحرا في علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الادراك، سيال الفهم كثير المحاسن، موصوفا بفرط الشجاعة والكرم، فارغا من شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له الا نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه..» ونقل الذهبي عن إعجاب ابن سيد الناس به وقوله «أن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو ذو رايته. برز في كل فن على أبناء جنسه، لم تر عيني مثله ولا رأت عينه مثل نفسه»[5] .

فهذا الثناء البالغ من الذهبي على ابن تيمية لا يتفق و« النصيحة الذهبية» المزعومة.

وقال الذهبي « قد سجن غير مرة ليفتر عن خصومه ويقصر عن بسط لسانه وقلمه، وهو لا يرجع ولا يلوي على ناصح الى أن توفي معتقلا بقلعة دمشق، وشيعه أمم لا يُحصون الى مقبرة الصوفية، غفر الله له ورحمه آمين [6] انتهى.

---

١) تذكرة الحفاظ ١٤٩٧/٤.
٢) ولذلك بغضته قلوب أهل الكلام لأنهم كما وصفهم أبو حنيفة (ليس عندهم ورع ولا تقوى) سير أعلام النبلاء ٣٩٩/٦ مفتاح دار السعادة ١٣٦/٢ والذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٩/٢-٣٩٠.
٣) الذيل على طبقات الحنابلة٢/٣٩٠.
٤) المعجم المختص ٢٥ تحقيق محمد حبيب الهيلة.
٥) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٠/٢.
٦) المعجم المختص ٢٥.

أوردت هذا النص لأن أتباع الحبشي زوروا كلاما على الذهبي ونسبوا اليه في هذا الكتاب أن ابن تيمية معجب برأيه جريء على الأمور[1] وهذه العبارة لم ترد في حق ابن تيمية وانما وردت في ترجمة ابن القيم [2] وحول ثبوتها كلام. فقد جاء في النسخة الأصلية من كتاب المعجم (جرى عليه أمور). ولكن وردت في الدرر الكامنة (جريء على الأمور). وكذلك الأمر في كلمة (معجب) حِول إثباتها في النسخة المخطوطة كلام.

فواعجبا من الكذب. ومن تصرفهم في نصوص الكتب. ومن أراد التأكد فليسأل صاحب دار عالم الكتب كيف تصرف كمال الحوت في نص الكتاب الذي أرسله الشيخ عبد الفتاح أبو غدة للطبع مما أثار سخط صاحب الدار عليه وجعله يطرده من داره. ولينظر ماذا فعل الأحباش بكتاب «تحفة الأنام» للشيخ عبد الباسط فاخوري حيث أسقطوا منه ما يقارب الست صفحات.

فهذا الذهبي يثني عليه الثناء البالغ ويذكر علمه وفضله، بخلاف ما زوروه عليه. لاسيما تلك النصيحة المزعومة التي تخالف كل مصنفات الذهبي التي بين أيدينا.

وقال في كتاب زغل العلم « فوالله ما رمَقت عيني أوسع علما ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية، مع الزهد في المأكل والملبس والنساء، ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن... مقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه الا للكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة ومحبة الظهور نسأل الله تعالى المسامحة، فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ولا بأعلم منه ولا أزهد منه، بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم، وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه، وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر، وما جرى

---

١) الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية ٧٨.
٢) انظر المعجم المختص ٢٦٩.

عليهم الا بعض ما يستحقون»[1].

فهذه شهادة الذهبي المنثورة في كتبه منها ما كتبه في حياة ابن تيمية ومنها ما كتبه بعدها. فمنّذ متى تقدمون ابا حيان النحوي اللغوي على الذهبي المحدث الناقد في الجرح والتعديل؟ هل صار أبو حيان ناقداً في الجرح والتعديل مقدماً - في حكمه على الرجال - على كل هؤلاء العلماء الحفاظ الذين أثنوا على ابن تيمية كالبزار والمزي؟

---

١) كتاب زغل العلم ٣٨ تحقيق محمد بن ناصر العجمي ط: الصحوة الكويت.

تزوير آخر من الحبشي

ويضاف الى تزوير الحبشي على ابي حنيفة والطحاوي (كما مرّ معنا) هذا التزوير حيث استغل الحبشي جملة « وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون» وجملة « وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه»[1] استغلالاً سيئاً وزعم أن هاتين الجملتين في النص صريحتان في طعن الذهبي بابن تيمية. وهو كذب وتلفيق على النص. فإن المقام في النص مقام ثناء لا ذم، وكيف يكون ذماً وهو يقول « فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية». ويقول « فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ولا بأعلم منه ولا بأزهد منه».

فانظر كيف ينصرف عن صريح كلام الذهبي في النصوص الأخرى التي كتبها بعد موت ابن تيمية حتى دفعه الجور وعدم انصاف الى الإعراض عن صريح ثناء الذهبي على ابن تيمية وبنى على المبهم من الكلام ما يوافق هواه.

○ فأما العبارة الأولى (جرى عليهم الا بعض ما يستحقون) فالمقصود بها أعداء ابن تيمية حين تغير السلطان القديم الذي كان يطيعهم في سجن ابن تيمية فلما استولى السلطان الجديد طلب من ابن تيمية أن يصدر له فتوى بقتل العلماء الذين أشاروا على السلطان السابق بدخوله السجن فرفض قائلا «من آذاني فهو في حلٍ مني، ومن آذى اللهَ ورسوله فالله ينتقم منه. وأنت إذا قتلتَ هؤلاء لَا تجد بعدهم مثلهم» [2].

وقد جرى على السبكي فتن ومحن فقد شهد عليه الناس بالكفر والانحلال وشرب الخمر وغير ذلك من الاتهامات [3]. وتعرض الحصني لنقمة أهل الشام عليه وإذلالهم له [4]. ونقل السخاوي معاتبة المقريزي للحصني على تفحشه ومبالغته في ابن تيمية وكذا نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني الشيء نفسه عن ابن قاضي شهبة.

---

١) المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية ١٨.

٢) العقود الدرية ١٩٥.

٣) الاعلام للزركي ٤/١٨٤ قلادة الجواهر ٢٠٦ جلاء العينين ٢٤-٢٥ البداية والنهاية١٤:٣١٦.

٤) أنظر البدر الطالع للشوكاني ١/٢٨.

○ وأما العبارة الثانية (بل بذنوبه) فقد أجلب الحبشي عليها بخيله ورجله ونفخ فيها نفخ الشيطان، وزعم أنها صريحة في ذم الذهبي له.

وهذا باطل:

فقد قال الذهبي عن مالك - حين ابتلي وثبت على الابتلاء- ما نصه « هذه ثمرة المحنة المحمودة، أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وهي بكل حال بما كسبت أيدينا ويعفو عن كثير[1].

فوضح مقصوده أن الله يجعل من طعن الاخرين وحسدهم سبباً يكفر به عن ذنوب أهل العلم والفضل كابن تيمية. ويبتليهم بذلك:

١ - فالذهبي من كبار أئمة الجرح والتعديل والحكم على الرجال.

٢ - وهو من المأخوذ بحكمهم على الحديث والحبشي معترف بذلك حين اشترط لقبول تصحيح الحاكم: أن يوافقه الذهبي.

٣ - وقد عاصر الذهبي ابن تيمية وعرف تفاصيل أحواله. فلماذا نعرض عن شهادته فيه ونقبل شهادة رجل كالحبشي له بالكفر؟

٤ - أن الذهبي بالغ في الثناء على ابن تيمية في الكتب التي كتبها بعد موته كالمعجم المختص ودول الاسلام وغيرهما من غير أن يذكر نقداً واحداً مما تضمنته النصيحة المكذوبة، وهذا أكبر دليل على كذبها.

شهادة الحبشي لا يُعتدّ بها

وذكر الذهبي أن الألسن اتفقت بالثناء على ابن تيمية إلا من لا يُعتَدّ به. وأن الناس في شأن هذا الرجل قسمان:

○ قسم يرميه بالعظائم.

○ وقسم آخر يبالغ في وصفه ويجاوز به الحدّ.

وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحّر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لا بد أن يستنكره المقصّرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة. ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره.

---

١) سير اعلام النبلاء ٨/٨١.

وهكذا حال هذا الامام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يُعتَدّ به [(١)].

وقال الكتّاني « ابن تيمية من الافراد الذين كثر الخلط فيهم بين مكفّر وبين ذاهبٍ بهم الى منزلة المعصومين. والإنصاف فيه قول الحافظ ابن كثير « كان من كبار العلماء وممن يخطىء ويصيب ولكن خطأه بالنسبة الى صوابه كنقطة في بحر لجي، وخطأه أيضاً مغفور له كما في الصحيح»[(٢)].

وقال فيه ابن شاكر الكتبي في (فوات الوفيات) «... وصار [ابن تيمية] من أئمة النقد وعلماء الأثر مع التديُّن والذكر والصيام والنزاهة عن حطام هذه الدار، ثم أقبل على الفقه ودقائقه، أما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدعة فكان لا يشق فيها غباره، مع ما كان عليه من الكرم الذي لم يشاهد مثله، والشجاعة المفرطة والفراغ من ملاذ النفس».

ثم نقل عن الذهبي قوله «... وكان قوّالاً بالحق، نهّاءً عن المنكر، ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة» [(٣)].

---

١) البدر الطالع ١/٦٥.

٢) فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ١/٢٠١-٢٠٢ تحقيق احسان عباس.

٣) فوات الوفيات ١/٥ و ٧٤-٨٠ تحقيق احسان عباس.

البـــدعة فـــي الديـــن

إقامة الحجة من كلام الأشعري

البدعة استعملت في مورد الذم

شبهة تقسيم البدع الى حسنة وسيئة

ماذا بعد تحسين البدع

صغار البدع ترويض على كبارها

اتهام ابن تيمية بأنه من المشبهه

وزعم الحبشي أن ابن تيمية يشبّه الله بخلقه، غير أن الحافظ ابن حجر نص على أن التشبيه والتجسيم شيء ينسبه الناس إلى ابن تيمية[١]. وهي طريقة اهل الكلام المعتادة في إلزام الخصم بما لا يلزم. وهي عين طريقة المعتزلة في إلزام الأشاعرة بالتجسيم لإثباتهم رؤية الله والصفات السبعة.

البوطي يحكم بكذب السبكي وأضرابه
وينفي عن ابن تيمية تهمة التجسيم

قال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي « ونحن نعجب عندما نجد غلاة يكفّرون ابن تيمية رحمه الله ويقولون انه كان مجسدا، ولقد بحثت طويلا كي أجد الفكرة أو الكلمة التي كتبها أو قالها ابن تيمية والتي تدل على تجسيده فيما نقله عنه السبكي أو غيره فلم أجد كلاما في هذا قط[٢] كلُّ ما وجدته أنه في فتواه يقول «ان لله يدا كما قال، واستوى على العرش كما قال، وله عين كما قال».

أضاف البوطي « ورجعت الى آخر ما كتبه أبو الحسن الأشعري - وهو كتاب الابانة - فرأيته هو الآخر يقول كما يقول ابن تيمية. واقرأوا كتاب الامام أبي الحسن الأشعري (الابانة) الذي يقول فيه: نؤمن أن لله يدا كما قال، وأنه استوى على العرش كما قال». « اذن، فلماذا نحاول أن نعظم وهماً لا وجود له؟ ولماذا نحاول أن ننفخ في نار شقاق؟ والله سبحانه وتعالى سيحاسبنا على ذلك [٣]انتهى كلامه النفيس.

لكن الحبشي يريد نفخ نار الشقاق كما نفخها من قبل في موطنه هرار، ولذلك حكم على كفر ابن تيمية بالاجماع، ويبدو أنه يعني بالإجماع: إجماع حفنة من المتعصبين.

---

١) الدرر الكامنة ١/١٥٥.

٢) وهذا ولله الحمد شهادة على تعدي السبكي وظلمه لابن تيمية وأن اتهامه له كان زوراً وعدواناً منه.

٣) ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر ٢٦٤-٢٦٥. مجموعة محاضرات ألقيت في البحرين عام ٢٥ /٢/ ١٩٨٥.

ولقد تعقب الشيخ ابراهيم الكوراني في إفاضة العلام من اتهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بالتجسيم قائلا:

« أما إثبات الجهة والجسمية المنسوب اليهما فقد تبين حاله، وأنهما لم يثبتا الجسمية أصلا بل صرّحا بنفيها في غير موضع من تصانيفهما» وقد احتج الألوسي بكلام الكوراني في تبرئة ابن تيمية من تهمة التشبيه والتجسيم»[1]. وبرّأه من تهمة التجسيم والتشبيه قائلا «حاشا لله تعالى أن يكون من المجسمة! بل هو أبرأ الناس منهم»[2].

والاتهام بالتجسيم ناشيء عن القاعدة الكلامية أن الاجسام متماثلة. فبسبب هذا هربوا من اثبات ما أثبته الله لنفسه وهذه القاعدة مبنية على جهل بحقيقة الأجسام: فان الأجسام مختلفة فالهواء جسم وليس كالماء وأبدان الحيوان ليست كأجسام الحديد فاذا كانت الأجسام المخلوقة تتفق في لفظ الجسم وتختلف حقائقها فما بين المخلوق أولى مع العلم أني لا أطلق على الله بأنه جسم فهو بدعة لا ننفي ولا نثبت، ولا يوصف الله الا بما وصف نفسه.

أكذوبة الاستقرار على بعوضة

وقد موّه بعضهم بعبارة نسبها لابن تيمية انما هي في الحقيقة عبارة لعثمان بن سعيد الدارمي نقلها ابن تيمية من كتابه (الرد على بِشر المريسي ص ٨٥). ونص العبارة كالآتي « ولو شاء لاستقرّ على ظهر بعوضة، فاستقلت بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض» (بيان تلبيس الجهمية ٥٦٨/١).

وهذا من أعظم الافتراءات على ابن تيمية رحمه الله، وعلى أقل تقدير فقد يرد السؤال التالي: إذا كان ليس من كلامه فماذا أراد بنقله لهذا الكلام من الدارمي؟

فالجواب أن الدارمي أراد بذلك أن الله غني عن العرش غناه عن البعوضة سواء بسواء. ويؤكده ما قاله في (مجموع الفتاوى ص ٨٨/٢) « واذا كان المسلمون يكفّرون من يقول: إن السموات تُقلّه أو تُظلّه لما في ذلك من احتياجه الى مخلوقاته، فمن قال: إنه فيَ استوائَه على العرش محتاج الى العرش كاحتياج المحمول الى حامله، فإنه كافر».

---

١) جلاء العينين ٥٦٩.

٢) جلاء العينين ٣٤٠.

اكذوبة قصة ابن بطوطة

ويحتج الحبشي وأصحابه برواية ابن بطوطة المكذوبة على ابن تيمية بل والتي ربما كانت مكذوبة على ابن بطوطة نفسه كما ستعلم.

فقد ذكروا[1] أن ابن بطوطة دخل المسجد الأموي بدمشق ورأى ابنَ تيمية على المنبر وهو يقول «ان الله ينزل الى السماء الدنيا كنزولي هذا» ثم نزل درجة من المنبر» [2].

والجواب:

○ أن رحلة ليست من كتب التاريخ المعتمدة، وليس مؤلفها معروفاً من أهل العلم، وإنما كان من عوام المتصوفة، وقد غلب على رحلته زيارة أضرحة الأولياء والتبرك بقبورهم وتقبيل أعتابها حتى إن الشيخ حسن السائح أشار الى هذه الحقيقة في مقدمته لكتاب « تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» للشيخ خالد بن عيسى البلوي. وأنه ربما سمع باسم عالم من علماء البلد التي زارها فيذكر اسمه في الرحلة ولو لم يتصل به اتصالا شخصياً كما فعل في تونس حين ذكر عَلَماً من أعلامها وهو ابن الغماز.

○ وثمة ملاحظة أخرى مهمة ذكرها الحافظ ابن حجر وهي أن ابن بطوطة لم يكتب تفاصيل رحلته وإنما جمعها منه أبو عبد الله بن جزى ونمقها وكان البلفيقي يتهمه بالكذب [3] وعلى كل حال فهذا يفيد أن ابن بطوطة ليس هو الذي كتب تفاصيل رحلته بيده.

○ ولقد عجب محقق كتاب رحلة ابن بطوطة (الدكتور علي المنتصر الكتاني) من هذا الكذب فقال « هذا محض افتراء على الشيخ رحمه الله، فانه كان قد سُجن بقلعة دمشق قبل مجيء ابن بطوطة اليها بأكثر من شهر. فقد اتفق المؤرخون أنه اعتقل بقلعة دمشق لآخر مرة في اليوم السادس من شعبان» سنة ٧٢٦ هـ ولم يخرج من السجن الا ميتا، بينما ذكر المؤلف في الصفحة (١٠٢) من كتابه هذا أنه وصل دمشق في التاسع من رمضان». وهذا ما نص عليه الحافظ ابن كثير والحافظ ابن رجب والحافظ ابن عبد الهادي حيث ذكروا أن ابن تيمية مكث في السجن في السادس من شعبان سنة ست وعشرين سنة ٧٢٦ حتى

---

١) أنظر مجلتهم منار "الهدى" ١٥/ ٥٠.

٢) رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الامصار ١١٠.

٣) الدرر الكامنة ٣/ ٤٨٠.

موته [1].

ومعلوم أن ابن تيمية كان واعظاً وكان يلقي الدرس جالساً على كرسي، وكان خطيب المسجد الأموي آنذاك قاضي القضاة القزويني.

○ ولو كان ما ادعاه ابن بطوطة صحيحاً لقام عليه علماء عصره ولشكوه الى السلطان ولألفوا رسائل في الرد على قوله. فالمشنعون عليه كثر ومع ذلك لم يذكر أحد منهم شيئاً من ذلك.

○ ثم إن ابن تيمية كتب كتاباً ضخماً في شرح حديث النزول، ولم يقل فيه شيئاً مما ادعاه ابن بطوطه. وانما شدد فيه على ان نزول الله لا كنزول البشر.

رأي ابن تيمية في المشبهة

○ ومن المثير للعجب أن يُنسَب الى ابن تيمية مثل هذا الكلام في الوقت الذي يحكم هو بالكفر على من يقول بمثله، فقد قال في مجموع الفتاوى « فمن قال إن علم الله كعلمي، أو قدرته كقدرتي.. أو استواؤه على العرش كاستوائي أو نزوله كنزولي، أو اتيانه كاتياني: فهذا قد شبه الله بخلقه، تعالى الله عما يقولون، وهو ضال خبيث مبطل بل كافر [2].

وقال « ونزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا» [3]. فالدليل من كتاب ابن تيمية نفسه أقوى شهادة من هذه الروايات والإشاعات.

إن هؤلاء يتذمرون مما يشيعه النصارى حول الاسلام ونبيه من الأكاذيب ويطالبونهم بأن لا يتكلموا عن الاسلام الا بدليل، ولكنهم بدورهم يستخدمون طريقة النصارى في إشاعة الأكاذيب من غير تدقيق ولا تحقيق.

ومن المثير للعجب أيضاً أن نجد تشديد ابن تيمية في تكفير من يشبه الله بخلقه في حين نجد ابن حجر الهيتمي يصرح بأننا لا نكفّر المشبهة على المشهور الا إن اعتقدوا لازم ما يثبتونه من الحدوث» [4]. أي يعتقدوا أن الله حادث.

---

1) طبقات الحنابلة ٤٠٥/٢ البداية والنهاية ١٢٣/١٤ العقود الدرية ٣٢٩.

2) مجموع الفتاوى ٤٨٢/١١ الرسالة التدمرية ٢٠ ط المكتب الاسلامي.

3) مجموع الفتوى ٣٥٢/٥.

4) الاعلام بقواطع الاسلام ٦٨.

أول القائلين بالتجسيم عند ابن تيمية

وحول لفظ الجسم قال ابن تيمية « وإثبات لفظ الجسم ونفيه بدعة **لا أصل لها في الكتاب والسنة**، ولم يتكلم به أحد من السلف والأئمة، وأهل السنة والجماعة لا يطلقون هذا اللفظ لا نفياً ولا إثباتاً، كما أنهم لم يثبتوا لفظ التحيز ولا نفوه ولا لفظ الجهة ولا نفوه، ولكن أثبتوا الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة، ونفوا مماثلة المخلوقات». قال « وإنما يطلقه أهل الكلام مثل هشام بن الحكم الرافضي وهشام الجواليقي فانه « أول من قال إن الله جسم» (١).

ثم بين اختلاف المتكلمين في معنى لفظ «الجسم» وأن مفهومهم للجسم مخالف لمفهوم اللغويين له.

وذكر أن « ما كان مبتدعاً من الألفاظ يجب استفصال صاحبه والنظر الى مراده: فإن كان يريد معنى صحيحاً قُبل منه ذلك ونُبِّه على أنه لا يجوز استعمال مثل هذه الألفاظ. وإن كان مراده نفي ما وصف الله به نفسه من العلو والاستواء والنزول فالمعنى باطل واللفظ باطل (٢)

ومع ذلك فإن من كبار الأشاعرة من يجيز وصف الله بالجسم بشرط معين، فقد صرّح أبو جعفر السمناني رأس الأشاعرة وكبيرهم (٣) أن « من سمى الله جسماً من أجل أنه حاملٌ لصفاته في ذاته فقد أصاب المعنى وأخطأ في التسمية» (٤).

فهذا اللفظ الذي قاله أحد كبار الأشاعرة يرفض ابن تيمية مجرد إطلاقه على الله تعالى فكيف يكون قائلا بأن الله جسم كما زعم المفترون؟!

وعلى افتراض تصريح ابن تيمية بالجسم فإنه لم يقل (جسم كجسم) أو (يد كيد) أو (عين كعين) كما تقول المجسمة والمشبهة. فكيف وأنه لم يقل ذلك وهيهات أن يجد أعداؤه في كتبه ما يؤيد افتراءهم.

---

١) درء التعارض ٢:٢٨٨-٢٨٩ وأنظر مجموع الفتاوى ١٧:٣٠١-٣٢٩.

٢) بيان تلبيس الجهمية ٩ ط الرياض.

٣) فتح الباري ١/٧٠.

٤) سير أعلام النبلاء ١٧:٦٥١-٦٥٢.

لذا فأنتم مطالبون بأمرين

١) أن تثبتوا بالدليل أن ابن تيمية صرح بأن الله جسم.
٢) أن تثبتوا لنا على افتراض أنكم وجدتم أنه أثبت أنه جسم. أن تثبتوا أنه قال جسم كجسمي.

(((حكم التجسيم عند الشافعية)))

○ ولقد نص ابن حجر المكي الهيتمي على أن المشهور [بل] الصحيح من المذهب عدم تكفير المجسمة كما قاله جمع من المتأخرين: من أن المجسمة لا يكفرون، ولكن أطلق في المجموع تكفيرهم [1].

قال « وينبغي حمل الأول [أي عدم التكفير] على ما إذا قالوا جسمٌ لا كالأجسام، والثاني [أي التكفير] على ما إذا قالوا: جسمٌ كالأجسام، لأن النقص اللازم على الأول قد لا يلتزمونه، ولازم المذهب ليس بمذهب [2] وانتهي إلى أن الصحيح أننا لا نكفّر الجهوية [3] ولا المجسمة إلا إن صرّحوا باعتقاد لوازم الحدوث...» الخ.

○ ونصّ العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى على أن معتقد الجهة مخطىء خطأً معفوّاً عنه، لأن اعتقاد موجود ليس بمتحرك ولا ساكن ولا منفصل عن العالم ولا متصل به ولا داخل فيه ولا خارج عنه لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة في العادة ولا يهتدي اليه أحد الا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عسرة الفهم [4]. قال: فإن قيل يلزم من الاختلاف في كونه سبحانه في جهة أن يكون حادثاً؟ قلنا: لازم المذهب ليس بمذهب لأن المجسمة جازمون بأنه في جهة وبأنه قديم أزلي ليس بمحدث، فلا يجوز أن ينسب الى مذهب من يصرح بخلافه وإن كان لازماً من قوله» [5].

---

١) الإعلام بقواطع الاسلام ص ٣٨ و٥٠.
٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٣٥٨/٢ وانظر ٣٥١و٣٨٧.
٣) أي القائلين على الله بالجهة.
٤) قواعد الأحكام الكبرى ١٧٠ الحاوي للفتاوي ١٣٣/٢ والحمد لله على اعتراف العز بأن طريقة أهل الكلام صعبة المدرك عسيرة الفهم فهذا أحد أدلة أهل السنة على بطلان طريقة أهل الكلام.

○ وقال الأسنوي « لا نكفّر المجسمة علىالمشهور كما دل عليه كلام الشرح والروضة في الشهادات» [١].
○ وقال به أبو حامد الغزالي [٢].

○ وقال الجلال الدوّاني في شرحه على العقائد العضدية (ص ٥٣٢) « ومنهم من تستّر بالبلكفة وقال: هو جسم لا كالأجسام، وله حيّز لا كالأحياز، ونسبته الى حيزه ليست كنسبة الأجسام الى أحيازها) وهكذا ينفي عنه جميع خواصّ الجسم حتى لا يبقى الا اسم الجسم، وهؤلاء لا يُكفّرون بخلاف المصرحين بالجسمية».

○ وقال العضد الإيجي في المواقف (٢٧٣) :
« أنه تعالى ليس بجسم، وذهب الى ذلك بعض الجُهّال كالكرّامية، وقالوا: هو جسم: أي موجود، وقوم قالوا: هو جسم: أي قائم بنفسه، فلا نزاع معهم إلا في التسمية.

الذهبي ينفي التجسيم عن الحنابلة

قال الحبشي « هؤلاء الحنابلة يحبون ابن تيمية لأنه مجسم. وهم يكثر فيهم التجسيم وفي مشايخهم قبل ابن تيمية وبعد ابن تيمية. هؤلاء سموه شيخ الاسلام. ثم بعض علماء أهل السنة قد اغتر بكلام هذين. فسموه شيخ الاسلام. من أين يستحق هذا اللقب [٣]؟

وقد رد الذهبي هذه التهمة فقال « والجُهَّال يتكلمون على الحنابلة ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم وهم بريئون من ذلك الا النادر والله يغفر لهم» [٤] وصدق الذهبي بذلك فإن المعتزلة المعطلة يقولون لمن أثبت الصفات وخالفهم في التأويل: يلزم من ذلك التجسيم والتشبيه [٥].

ومن هذا النادر ما كتبه القاضي ابو يعلى الحنبلي صاحب كتاب

---

٥) قواعد الأحكام الكبرى ١٧٢.
١) الإعلام بقواطع الاسلام للهيتمي ٢٥ و٣٨ و٥٠.
٢) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ١٢٩ و ١٤٨.
٣) شريط ١٢ (أ) ٣٠٠-٣٤٥.
٤) زغل العلم ٣٩.
٥) مجموعة الرسائل الكبرى ١:٤١٨.

إبطال التأويل الذي انتقده ابن تيمية لأنه حشا فيه الضعيف والموضوع من روايات ونصوص الصفات التي لا تليق بالله تعالى. وهذا يدل على إنصاف الرجل وأنه يثبت نصوص الصفات من كتاب الله وما صح من السنة[1].

ولهذا صرح كثير من المنصفين بأن تهمة التجسيم التي ألصقت بالامام ما هي الا شهادة زور في حقه. يؤكد ذلك كلامه نفسه كما في فتاويه (٤٨٢/١١) حيث أفتى بكفر الذين يشبهون الله بخلقه.

ولهذا فإنّا نطالب هؤلاء أن يأتونا بكتاب من كتب الحنابلة المعتبرة يقولون فيها إن يد الله كيدي أو سمعه كسمعي او استواءه كاستوائي الخ.

وإنما يراد بهذه الاتهامات تقبيح طريقة إثبات صفات الله عند عامة الناس وترغيبهم بطريقة التأويل. ويعتمدون في ذلك سياسة المعتزلة في التهويل والتهور في تكفير المثبتين لصفات الله.

كما تظلموننا يظلمونكم

وقد نصّ الكوراني في شرح عقيدة القشاشي في بحث رؤية الله يوم القيامة: أن المعتزلة كفَّرَتْ أهلَ السنة (الأشاعرة) لقولهم برؤيته سبحانه يوم القيامة ظناً منهم أن ذلك يستلزم التجسيم، وهذا ظن فاسد لأن أهل السنة يثبتونها بلا كيف. لكن الأشاعرة أنفسهم يكررون اليوم الظلم نفسه فيزعمون أن إثبات صفة الاستواء يلزم منه التجسيم لأنهم لا يتصورون مستوياً إلا ما كان جسماً. ولم يتصوروا مرئيا الا ما كان جسماً لأنهم على التقليد في العقائد.

---

١) الدرء ٥:٢٣٧.

لفظ الحد

وقد حكم نبيل الشريف بكفر ابن تيمية لقوله « وقد اتفقت كلمة المسلمين والكافرين أن الله في السماء وحدوه بذلك» [١].

فكفره حيث زعم أنه وصف الله بأنه حد. وهذا جهل وتسرع وظلم بل الحد هو الوصف نفسه، إذ قوله وحدّوه أي أثبتوا له هذا الوصف.

وكان عليه أن يعترف باختلاف أهل المنطق والكلام اختلافاً كثيراً حول تعريف الحد.

إذ ليس للحد تعريف واحد وانما تعريفات متعددة.

فالحد في عرف النحاة والفقهاء والأصوليين هو ما يميز الشيء عن جميع ما عداه.

وعند أهل الكلام أن حد الشيء معناه: الذي لأجله استحق الوصف المقصود بالذكر.

وعند أهل المنطق: هو القول الدال على ماهية الشيء. ويطلق ويراد به نهاية الشيء [٢].

وقد أصيبوا بالوسوسة من قول النبي « جعل الله الرحمة مئة جزء» لأنه عندهم صريح في التحديد والتجزئة. نقل الزبيدي تعليق التوربشتي على الحديث بقوله « رحمة الله تعالى غير متناهية فلا يعتورها التقسيم... ولم يرد - أي النبي - به تحديد ما قد جل عن الحد أو تعديد ما جاوز العد»[٣].

قال أبو القاسم التيمي « تكلم أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارات مختلفة محصولها أن حد كل شيء موضع بينونته عن غيره» [٤].

فاذا كان للحد معان متضاربة لم يجز تحميل أحدها على ابن تيمية الا أن يصرح هو بالمعنى الذي يقصده.

وقد أبان ابن تيمية عن مفهومه للحد فقال « الحد ما يتميز به

---

١) شريط ١٥ مجالس الهدى الوجه (ب) ٦٥.

٢) معيار العلم للغزالي ٢٣٤ والبحر المحيد للزركشي ١/٢٩ الكافية في الجدل ١.

٣) اتحاف السادة المتقين ١٠/٥٥٧-٥٥٨.

٤) سير أعلام النبلاء ٢٠/٨٦.

الشيء عن غيره من صفته وقدره»[١]. وسبب الحد الرد على الجهمية الذين قالوا ليس له حد وقصدوا بذلك أنه لا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم لأن ذلك عندهم مستلزم للحد.

ونحن نعلم أن أهل الكتاب يقرّون بأنه في السماء. ولا يقال هذا تقليدٌ لهم لأن معنا من الأدلة القرآنية على ذلك ما لا يحصى.
وذكر ابن تيمية[٢] أن أهل السنة قالوا إن الله ينزل الى سماء الدنيا من غير أن يحدّوا فيه حدّاً، واحتج بقول ابن وضاح « وسألت يوسف بن عدي عن النزول: قال: نعم اؤمن به، ولا أحدّ فيه حدّاً، وسألت ابن معين فقال: نعم، أقرُّ به ولا أحدّ فيه حداً».

يتجاهلون تحديد الغزالي لقدرة الرب

ولكن لماذا لم يحاكم الأشاعرة الغزاليَ لتحديده قدرة الله حين قال «ليس في الامكان أفضل مما كان»[٣] أليس في هذا وضع حد لقدرة الله أو **إثبات لعجز الله كما اعترف به البيجوري في شرحه على جوهرة التوحيد؟**[٤]. إن هذا يؤكد أن كلام هؤلاء في ابن تيمية ليس من باب إنكار المنكر والغيرة على الدين بقدر ما هو تعصب مذهبي وتقليد محض في الثناء والذم. والا فهل يجوز السكوت عن الطاعن في قدرة الله اذا كان أشعرياً؟

بل إن الأشاعرة هم الذين يحدون الله بصفة الحد حيث يجعلون لقدرة الله حداً فيقولون: لا يستطيع أن يظلم. وبسبب ذلك ألزم ابن حزم الأشعرية بتحديد قدرة الله تعالى[٥].

---

١) نقض التأسيس ٤٤٢/١.
٢) الفتاوى ٥٦/٥.
٣) الاملاء في اشكالات الاحياء ١٣/٥ على هامش احياء علوم الدين.
٤) أنظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٤٠.
٥) الفصل في الملل والنحل ٢١٣/٤.

عبد الله ابن المبارك
وموقفه من لفظ الحد

غير أن هناك أثرا عن عبد الله بن المبارك رواه البيهقي في الاسماء والصفات عن علي بن الحسن قال « سألت عبد الله بن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه. قلت: فإن الجهمية تقول: هو هذا. قال: إنّا لا نقول كما قالت الجهمية، نقول هو هو. قلت: بحد؟ قال: أي والله بحدّ» [1].

فتأمل كذب الأحباش حيث قالوا « والحد عن الله منفي على لسان السلف» [2].

وتأمل كيف كان موقف البيهقي رحمه الله من لفظ الحد الذي قاله المبارك. فقد قال « إنما أراد عبد الله بالحد حد السمع، وهو أن خبر الصادق ورد بأنه على العرش استوى، فهو على عرشه كما أخبر، وقصد بذلك تكذيب الجهمية فيما زعموا أنه بكل مكان، وحكايته تدل مراده».

---

1) الأسماء والصفات ١٦٩/٢ والسنة لعبد الله بن احمد ١٧٥/١ والرد على الجهمية للدرامي ١٦٢ والرد على بشر المريسي الجهمي ٣٤. قال الذهبي في مختصر العلو « هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك» غير أن الكوثري أعل هذا الأثر بثلاث علل: أولا: الحسن بن الصباح راويه عن علي بن الحسن عند البيهقي: قال النسائي "ليس بالقوي" ثانياً: ابن شقيق تكلموا فيه في الإرجاء. ثالثاً: اختلاف الروايات عن ابن المبارك كما ترى (الاسماء والصفات بتحقيق الكوثري ص ٥٣٧) وقد رُد على هذه العلل بما يلي: أولا: الحسن بن الصبّاح مُتابَعٌ من غير واحد، فضلاً عن أن قول النسائي هذا فيه غير مقبول كما تراه بالدلائل في دفاع الحافظ بن حجر عنه في "هدي الساري ص ٣٩٧". ثانياً: الطعن في ابن شقيق بالإرجاء غلط من وجهين: أحدهما: أن الطعن بالبدعة - على الراجح - لا يطعن براوية الثقة من الحُفّاظ، وبخاصة أن روايته هذه ليس لها مدخل في شيء من الإرجاء. ثانيهما: أن دعوى الإرجاء باطلة مردودة، فقد قيل له في ذلك فقال "لا أجعلكم في حل" وقد جاء في تاريخ بغداد (ص ٣٧١) وتهذيب الكمال (٣٧٢/٢٠). ثالثاً: دعوى اختلاف الروايات مردودة اذ ليس هناك أدنى وجه من وجوه الاختلاف.
2) منار الهدى ٤١/٤٤.

هكذا بدون تكفير ولا تضليل، مع أن ابن المبارك لم يفصل مقصده من اللفظ في حين أن ابن تيمية فصل مراده من لفظ الحد فقال بأن « لفظ الحد عند كل من تكلم به يراد به شيئان: يراد به حقيقة الشيء في نفسه، ويراد به الوجود العيني أو الوجود الذهني، فأخبر الامام أحمد أن الله على العرش بلا حد يحدّه أحد أو صفة يبلغها واصف، وأتْبع ذلك بقوله (لا تدركه الأبصار لا بِحَدّ ولا غاية).

والقصد أن تفسير الحد بالوجود العيني - وهو ما يقع تحت إدراك البصر وإحاطته، أو الوجود الذهني وهو ما يقع تحت إدراك الذهن والعقل وتحديده مشاهدةً أو تصوراً - **كلاهما باطل منفي عن الله عز وجل**، وليس لله صفة اسمها الحد، وإنما الحدّ تعبير عن تميّز الله عن غيره بصفاته واختصاصه بكماله وعلوّه على عرشه ومباينته لخلقه» (بيان تلبيس الجهمية ١٦٣/٢). وهذا معنى الحد عند الأصوليين والفقهاء والمناطقة [1].

فهل يصر اعداء ابن تيمية على تكفيره لتصريحه بلفظ صرح هو بأن مراده به تميز صفات الله عن صفات المخلوقين وليس بمعنى ادراك منتهى الله. وهل يقتدون بأدب البيهقي؟

ويسخر ابن تيمية ممن يتوهم أن لله صفة هي صفة الحد قائلا « ان هذا الكلام الذي ذكره انما يتوجه لو قالوا: إن له صفة هي الحد، كما توهمه هذا الراد عليهم، **وهذا لم يقله أحد، ولا يقوله عاقل، فإن هذا الكلام لا حقيقة له، إذ ليس في الصفات التي يوصف بها شيء من الموصوفات كما وُصِف باليد والعلم صفة معينة يقال لها: الحد**، وإنما ما يتميز به الشيء عن غيره من صفته وقدره كما هو معروف في الحد في المحدّدات، فيقال: حد الانسان، وحدّ كذا وهي من الصفات المميزة له» (بيان تَلبيس الجهمية ٤٤٢/١).

ثانياً: كان عليهم أن يبينوا موقف ابن تيمية من هذا اللفظ فقد شرحه في مواطن كثيرة من كتبه فقال بأن هذا لفظ لم يقل بهِ السلف ولكن يُطلق ويراد به معنيان:

---

١) الحدود في ثلاث رسائل ص ٩ تأليف الفاكهي واخوان الصفا وابن سينا تحقيق عبد اللطيف محمد العبد.

الأول: بمعنى الإحاطة بالله علماً فلا شك أن الحد منفي عن الله تعالى. لأن الله تعالى غير مُدرَك بالإحاطة، وعلى هذا يُحمل قول من نفى الحد من السلف كسفيان الثوري وحماد بن زيد.

الثاني: بمعنى أن الله تعالى متميز عن خلقه منفصل عنهم مباين لهم عالٍ عليهم. وعلى هذا يُحمل قول من أثبت الحد لله تعالى[1] كابن المبارك.

○ « إن كان المراد من معنى (الحد) أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض، وقد قال **﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾**. وفي حديث ابن عباس « ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن الا كخردلةٍ في يد أحدكم».

○ وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات أي مباين لها منفصل عنها ليس حالاً فيها فهو سبحانه كما قال أئمة أهل السنة: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه» [2].

« فمن قال: إن الله متحيز: أراد بقوله (متحيز) على معنى أن المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ. وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات بائن عنها عالٍ عليها: فقد أصاب. ومن قال ليس بمتحيز:

○ إن أراد أن المخلوقات لا تحوزه فقد أصاب.

○ وإن أراد ليس ببائنٍ عنها بل هو لا داخل فيها ولا خارجٌ عنها فقد أخطأ. قال « وقد علم أن الله تعالى كان قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلقهما؛ فإما أن يكون دخل فيهما وهذا حلول باطل، وإما أن يكونا دخلا فيه وهو أبطل وأبطل، وإما أن يكون الله سبحانه بائناً عنهما لم يدخل فيهما ولم يدخلا فيه، وهذا قول أهل التوحيد والسنة».

وبهذا يتبين لك أنهم يأتون بالمجمل من كلام الأئمة ولا يذكرون ما يفصل كلامهم ويبينه: حسيبهم الله.

---

١) درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٣-٣٥.
٢) الرسالة التدمرية ٤٦.

○ وبالجملة فهذه الأقوال كالحد والتحيز والجهة لا يفهمها عامة الناس وفيها إجمال يشتبه عليهم، وإنما دأب أهل البدع الهيمنة على العوام بمصطلحات وألفاظ غريبة عليهم وإيهامهم أنهم متعمقون في العلم، ولتشويه منهج أهل السنة، فيسلِّم العامي لهم قولهم ويقلدهم في باطلهم وفي معاداة خصومهم ويقلدهم في تكفيرهم.

ورحم الله الامام أحمد إذ قال عن المتكلمين [١] « يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين» .

---

١) الرد على الجهمية ص ٦ وهو ثابت له (أنظر فتح الباري ٤٩٣/١٣).

القول بالجهة

كذلك زعموا أن ابن تيمية صرح بإثبات لفظ الجهة على الله. وصريح كلام ابن تيمية يكذب ما يزعمون. لأنه يكرر دائماً أن هذا اللفظ من جملة الألفاظ المبتدعة التي لم يتكلم السلف والأئمة فيها نفياً ولا إثباتاً.

بل إننا نرى إثباتها من قبَل الشيخ عبد القادر رحمه الله الذي يزعم الحبشي الانتساب الى طريقَته. قال الجيلاني « وهو بجهة العلو، مستوٍ على العرش، محتوٍ على الملك، وأن استواء الله هو **(ذات)** على العرشً لا على معنى القعوٌد والمماسة ولا على العلوِّ والرِّفعة كما قالت الآشعرية، بل يقال إنه في السماء على العرش كما قال ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [1]. فهل عندكم الجرأة على تكفير من تعتبرونه شيخ طريقتكم القادرية وقد صرّح بما تعتبرونه كفراً ؟!!

وقد مشى الغزالي [2] وابن عبد السلام [3] وابن حجر الهيتمي[4] على عدم تكفير القائل بالجهة. فإن رضيتم بذلك وإلا لزمكم تكفير الشيوخ: عبد القادر الجيلاني والعز بن عبد السلام والغزالي وابن حجر الهيتمي !

---

١) الغنية لطالبي طريق الحق ٥٦.

٢) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ١٢٩ و ١٤٨.

٣) قواعد الاحكام ١٧٠-١٧٢ الحاوي للفتاوي ١٣٣/٢.

٤) الزواجر ٣٥١/٢ و٣٥٨ و٣٧٨.

مفهوم الجهة عند ابن تيمية

يرى ابن تيمية أن لفظ الجهة لفظ مبتدع لم يتلفظ به السلف نفياً ولا إثباتاً، وليس ثمة نص لا عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة أن الله متحيز أو هو جسم أو جوهر الي غير ذلك من الألفاظ المبتدعة.

والناظرون بها قد يريدون معنىً صحيحاً، فإن أرادوا معنى صحيحاً يوافق الكتاب والسنة كان ذلك مقبولا منهم وإن أرادوا معنى فاسداً كان ذلك مردوداً عليهم.

قال « للناس في إطلاق الجهة ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصّل... وذلك أن لفظ الجهة قد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو به ما هو معدوم.

ومن المعلوم أن لا موجود الا الخالق والمخلوق، فاذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله كان مخلوقاً لله، والله تعالى لا يُحصَرُ ولا يحيط به شيء من المخلوقات، وإن أريد بالجهة أمر عدمي - وهو ما فوق العالم - فليس هناك الا الله وحده»[1].

○ وقد يراد بالجهة شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً كما لو أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما اذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات الجهة ولا نفيه.

- فاذا قال القائل « هو في جهة» قيل له ما تريد بذلك؟ أتريد أن الله سبحانه في جهة موجودة تحصره وتحيط به؟ مثل أن يكون في جوف السموات؟ فالله ليس داخلا في المخلوقات! أم تريد بالجهة أمراً عدمياً وهو ما فوق العالم، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات، والله فوق العالم؟

- فإن أردت الجهة الوجودية وجعلتَ الله محصوراً في المخلوقات فهذا باطل.

- وإن أردتَ الجهة العدمية، وأردتَ أن الله تعالى وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق... وقد قال ابن عباس: ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم» فما كان بهذا الحقر والصغار كيف يحيط به ويحصره؟

---

١) منهاج السنة ١/٢١٦.

ومن قال: إن الله تعالى ليس في جهة قيل له: ما تريد بذلك؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السموات رب يُعبَداً ولا على عرش إله، ونبينا ﷺ لم يُعرَج به الى الله تعالى، والأيدي لا تُرفَع الى الله تعالى في الدعاء ولا تتوجه القلوب اليه: فهذا فرعوني معطّل، جاحد لرب العالمين.

ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد وقالوا: إن الله تعالى بذاته في كل مكان، وأن وجود المخلوقات هو وجود الخالق [١]. انتهى كلامه[٢].

ولذلك قيل عن أهل التعطيل إنهم معطلة في العقائد، حلولية إتحادية في التصوف، فإن تعطيلهم يؤول الى تضييع الرب[٣]، فإذا بحثوا عنه في التصوف وجدوه في كل مكان.

---

١) استغل المتصوفة هذا الاعتقاد الأشعري لا سيما قول الأشعري أن وجود كل شيء عين ذات ذلك الشيء لا زائداً عليه. وبنوا عليه قولهم بوحدة الوجود وكان أبرزهم في ذلك ابن عربي وابن الفارض والقونوي وابن سبعين وقد ابتدأ عبد الغني النابلسي كتابه «إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود» عبارة الأشعري ثم انطلق يوافق ابن عربي وابن الفارض في قولهم بوحدة الوجود جاعلا إياهم أئمة الهدى وأنه لا قول إلا بوحدة الوجود وأن هذا القول باقٍ الى يوم القيامة إن شاء الله، وجعل منكر وحدة الوجود جاهلا محجوباً عن الحق. (ايضاح المقصود من وحدة الوجود ٣٠٦-٣١٠ للنابلسي). واستغلوا فكرة الجوهر والعرض عند الأشاعرة فجعلوا الجوهر هو الباطن، والعرض ظاهراً وقالوا إن الله متجلٍ ظاهراً في موجوداته لأن موجوداته هي صفاته.

٢) الفتاوى ٤١:٣ و ٢٦٢:٥-٢٩٨ و٣٨:٦و٣٢٦:١٧ ومنهاج السنة ٢٥٢:٢.

٣) بسبب إنكارهم علوه سبحانه.

لفظ الحركة

أما لفظ الحركة فلم يثبت أن ابن تيمية اعتقده في الله، بل هذا من مفتريات الحبشي الذي زعم أن ابن تيمية ينسب الحركة الى الله [١].

جل ما قاله ابن تيمية أن « طوائف [٢] من أهل السنة والحديث قالوا إن الحركة من لوازم الحياة وكل حي متحرك كحرب الكرماني وعثمان بن سعيد الدارمي ومنهم من نفاها كنعيم بن حماد الخزاعي والبخاري وابن خزيمة» أضاف «ومن أهل الحديث والفقهاء من لم يتكلم بنفي ولا إثبات» [٣].

ولم يذكر ابن تيمية ترجيحاً لطريقة أحد الفريقين، وإنما ذكر الخلاف في ذلك. وتبنى موقفاً حذراً من هذه الألفاظ المبتدعة، فهل يلزم من هذا أنه يقول بالحركة؟

ولنضرب مثالا من كلام الحبشي: فقد سئل عن حكم شرب الخمر فقال « عند بعض الفقهاء لا يجوز التداوي بالخمر في حال من الأحوال. يجوز عند بعضهم اعطاء المريض جرعة من الخمر لاساغة اللقمة بالنسبة لمن أصيب بالغصة، يجوز أن يسيغ اللقمة بالخمر، وقال بعضهم يجوز التداوي بالخمر ان لم يوجد دواء غيره» [٤]. فبناءً على قاعدة الحبشي يمكن أن نحكم عليه بأنه رجح شرب الخمر والتداوي به.

ومسألة الحركة لكم فيها تلبيس ماكر، وهي لوثة آرسطية آلت بكم إلى نفي الصفات الفعلية لله تعالى فصار إثبات أفعاله إثباتاً للحركات، فلا يتكلم الله بمشيئته وقدرته ولا يستوى الى السماء ولا ينزل في الثلث الأخير من الليل، ولا يجيء إذا شاء، وقد كفرتم ابن تيمية ارضاء لشيخكم وسلفكم آرسطو الذي يعتقد أن الله لا ينزل ولا يستوي ولا يجيء كما قال « بل لا بد من محرِّك أزليٍ يُحَرِّكُ ولا يَتَحَرَّكُ هو. ولا ينفعل بغيره وإلا لما كان أولا» [٥].

---

١) الدليل القويم ٤٠.

٢) حرف الحبشي النص من (طوائف أهل السنة) الى (أئمة أهل السنة) الدليل القويم ٤٠.

٣) درء تعارض العقل والنقل ٢/٧-٨ مجموع الفتاوى ٥/٥٧٨.

٤) شريط رقم ٧ عداد ٤٠٠.

٥) الطبيعة لأرسطو ترجمة إسحاق بن حنين ٢:٧٣٣.

وحرفتم معنى قوله تعالى ﴿لا أحب الآفلين﴾ ليتلاءم ومذهب شيخكم فزعمتم أنه قال ذلك حين رأى الشمس تتحرك، لأنه كان يعلم أن كل متحرك مخلوق. ولكن ألم يكن يعلم أن الشمس جسم والأجسام مخلوقة فيستدل على خلقيتها بجسميتها؟

ثم لماذا تتجاهلون أن الأفول معناه الغياب وأن الآية لا علاقة لها بالحركة لأن الماشي والمتحرك لا يقال له آفل؟

ولقد نقد العز بن عبد السلام هذا الاستدلال وذكر أنه غاية في الإشكال [1].

---

١) فوائد في مشكل القرآن ص ١١٩.

موقف ابن تيمية من لفظ الحركة
وغيره من الألفاظ المبتدعة

وموقف ابن تيمية من هذا اللفظ كموقفه من غيره من الالفاظ التي لم يتكلم بها السلف نفياً ولا إثباتاً فقال « إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن الله من صفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات... والألفاظ المبتدعة ليس لها ضابط، بل كل قوم يريدون بها معنىً غير المعنى الذي أراده أولئك كلفظ الجسم والجهة والحيز بخلاف ألفاظ الرسول... والألفاظ المبتدعة تضمنت تكذيب كثير مما جاء به الرسول ﷺ. وصاروا يعارضون به الكتاب والسنة، واللفظ المحدث يجب استفصال صاحبه» [١].

قال « فمن قال ينزل فيتحرك وينتقل من مكان الى آخر، أو يفرغ منه ليشغل آخر؟ فهذا كله باطل قطعاً يجب أن ينزه الله عنه» [٢].

وذكر أن « تلك العبارات من الألفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل، وفي نفيها نفي حق وباطل، وفي إثباتها إثبات حق وباطل، فيُمنع من كلا الاطلاقين بخلاف النصوص الالهية فإنها فرقان فرق الله بها بين الحق والباطل...» ولهذا كان السلف لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه الا بعد الاستفسار والتفصيل. بخلاف كلام الله ورسوله فإنه يجب قبوله وإن لم يفهم معناه..» [٣].

- قال « فالمعتزلة عندما ينزهون الباري عن الأعراض والحدود والأحياز والجهات والجسمية لا يقصدون تنزيه الباري عما يجب تنزيهه عنه... وإنما يُدخلون في مضامينها نفي ما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله من صفات الكمال.

○ فاذا قالوا « إن الله منزه عن الأعراض لم يكن في ظاهر العبارة ما يُنكر لأن الناس يفهمون من ذلك أنه منزه عن الاستحالة والفساد كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض، ولا ريب أن الله منزه عن ذلك، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك من الصفات التي يسمونها أعراضاً.

○ واذا قالوا: إن الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات: أوهموا الناس أن مقصودهم بذلك أن لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه

---

١) مجموع الفتاوى ٤٣٢/٥.

٢) مجموع الفتاوى ٤٥٨/٥-٤٥٩ و٥٧٨.

٣) درء تعارض العقل والنقل ٧٥/١.

المصنوعات. وهذا المعنى صحيح. ومقصودهم: أنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله، وأن محمداً لم يعرج به اليه، ولم ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء.

○ وإذا قالوا: إنه ليس بجسم: أوهموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات. ولا مثل أبدان الخلق: وهذا المعنى صحيح، ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يُرى ولا يتكلم بنفسه...».

قال « إن خطأ المتكلمين في تحديد مفاهيم تلك الألفاظ لا يرجع الى مجرد التعبير عنها بمعان مخالفة لمعاني الكتاب والسنة، بل يرجع كذلك الى تفسيرها تفسيراً مخالفاً للغة العرب التي خاطبهم بها القرآن. ويؤدي نفيهم للمعاني اللغوية الصحيحة التي يقرها القرآن الى تنزيه الله عن معان صحيحة في حقه وهو باطل: لقد عبّروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن وربما جاءت في القرآن بمعنى آخر» (١).

١) درء تعارض العقل والنقل ١/٣١٠-٣١١.

تحريف المعاني من عمل اليهود

واعترضوا على قول ابن تيمية « إن التوراة والانجيل لم تبدل ألفاظهما وإنما وقع التحريف في معانيهما [١]».

وهذا أسلوب المدلسين الذين يُظهرون للعوام هذه المسائل وكأنها مخالفة لأصل الاسلام. وقد كتم هذا المدلس عليهم أن هذا قول ابن عباس رضي الله وهو ترجمان القرآن عنه وقال به وهب بن منبه وهو من أعلم الناس بالتوراة. وهو مختار البخاري» كما حكاه الحافظ ابن حجر [٢].

ورد على بدر الدين الزركشي.

وفي صحيح البخاري « قال ابن عباس « ﴿يحرّفون﴾: يزيلون، وليس أحد يُزيل لفظ كتاب من كتب الله، ولكنهم يحرّفونه: يتأولونه عن غير تأويله» قال الحافظ في فتح الباري بأن **تحريف أهل الكتاب لمعاني النصوص لا يُنكر بل موجود عندهم بكثرة**» أضاف « قال الراغب: التحريف: الامالة، وتحريف الكلم أن يجعله على حرف من الاحتمال بحيث يمكن حمله على وجهين فأكثر» [٣].

سلف الحبشي في تحريف معاني النصوص

ويجدر التنبه الى أن الحبشي حريص على أن يكتم على الناس تلك الحقيقة وهي أن أهل الكتاب كانوا يحرّفون معاني النصوص. وهو ثابت عنهم باعتراف الحافظ ابن حجر الذي أفاد بأن تحريف أهل الكتاب لمعاني النصوص لا يُنكر بل موجود عندهم بكثرة.

والمؤولة أمثال الحبشي يتهربون من تبيين هذه الحقيقة حتى لا يقول الناس إن الحبشي يضاهيء أهل الكتاب في تحريفاته معاني النصوص والتي يسميها زوراً بـ (التأويلات) جاعلاً الاستواء بمعنى الاستيلاء والغضب بمعنى العقوبة والرضى بمعنى الثواب الخ... متذرعاً بذريعة التنزيه. وبالطبع لا بد للشر من تزيين وزينة التحريف دعوى التنزيه.

---

١) المقالات السنية ص ١٥.
٢) فتح الباري ٥٢٣/١٣.
٣) فتح الباري ٥٢٤/١٣.

قال تعالى ﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم﴾ وقال ﴿أفمن زُيِّن له سوءُ عمله فرآه حسناً﴾.

ثم أثبت ابن حجر أن هذا ما رجحه الامام البخاري صاحب الصحيح. فقال « قال شيخنا ابن الملقن في شرحه: هذا الذي قاله أحد القولين في تفسير هذه الآية وهو مختار البخاري» [1].

وأخذ الحافظ يسرد الأقوال التي قيلت في تفسير في معنى التحريف: حتى وصل الى القول الثالث: وهو أنه وقع اليسير منها، ومعظمها باق على حاله، ونصره الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتابه (الرد الصحيح لمن بدل دين المسيح).

ولقد رد الحافظ ابن حجر على الزركشي دعواه إبطال هذا القول فقال « وفي وصفه القول المذكور بالبطلان نظر، فقد نسب لوهب بن منبه وهو من أعلم الناس بالتوراة، ونُسب لابن عباس ترجمان القرآن، وكان ينبغي له ترك الدفع بالصدر والتَشاغل برَدِّ أدلة المخالف التي حكيتها» انتهى.

---

١) فتح الباري ١٣/٥٢٣.

اتهامه بالقول بفناء النار

هل قال ابن تيمية بفناء النار

وأشاع خصوم ابن تيمية أنه كان يقول بفناء النار وأنها تنطفىء بأهلها.

أما خصومه فمنهم الحبشي الذي قال « وكان ابن تيمية نقل في كتابه منهاج السنة النبوية أنه لا خلاف بين المسلمين في ذلك إلا أن جهماً خالف فكفّره المسلمون. ثم قال هو [أي ابن تيمية] بخلاف ذلك في النار»[1].

وأنا ما تركت كتاباً للحبشي إلا وقد قرأته ومع ذلك لم يأت بنص واحد من كتب ابن تيمية يؤيد ما يزعم، وأتحداه أن يأتي بدليل واحد وإلا كان حكمي فيه أنه كذاب ومفتر. وإنما وجدت في كتاب الحبشي (فتح الرحمن) أن الشيخ عبد القادرً الجيلاني يمكنه أن ينفخ في نار جهنم فيطفئها. فهذا عندي قول بفناء النار. وهو قول أشر من القول المنسوب لابن تيمية.

بل قد تجد من الأشاعرة كأبي منصور البغدادي من يجوز فناء النار في العقل مع قوله بدوامها حسبما جاء في الخبر [2].

أن تصيبوا قوماً بجهالة

- وأما أصحاب ابن تيمية ومحبّوه فمنهم الشيخ شعيب الأرناؤوط محقق الطحاوية الذي نسب القول بفناء النار الى ابن تيمية وابن القيم [3]. وليس في كتب ابن تيمية ما يفيد ذلك بل قد نصت كتبه على دوام النار الى الأبد.

القاري ينفي التهمة عن ابن تيمية

وقد نفى العلامة القاري هذه التهمة عن ابن تيمية فقال في رسالته القيمة التي رد بها على ابن عربي « وأما قول المؤول إن ابن تيمية الحنبلي ذهب الى أن الكفار في عاقبة الأمر يخرجون من النار فافتراء عليه»[4].

---

١) إظهار العقيدة السنية ١٩١.

٢) أصول الدين ٢٣٠.

٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٤٢٢ ط: المؤيد.

٤) الرد على القائلين بوحدة الوجود ٨٦.

أقوال ابن تيمية في أبدية الجنة والنار

❍ قال « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يُعدم ولا يَفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة. وهذا قولٌ باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة وأئمتها» [١]. « ولهذا اشتد إنكار السلف عليهم لقولهم بفناء الجنة والنار» [٢].

قال « والجهم يقول بفناء الجنة والنار وأبو الهذيل الذي يقول بانقطاع حركات أهل الجنة والنار... وخالفهم جماهير المسلمين [٣]. وطريقة الأعراض عند أهل الكلام ألجأتهم الى أن يلتزموا لوازم فاسدة أدت بالجهم بن صفوان وغيره الى القول بفناء الجنة والنار [٤].

قال « وقال أهل الاسلام جميعاً: ليس للجنة والنار آخر، وإنهما لا تزالان باقيتين، لا يزال أهل الجنة يتنعمون وأهل النَار في النار يُعذّبون: ليس لذلك آخر» [٥]. « وقد أخبر الله ببقاء الجنة والنّار بقاءً مطلقاً » [٦].

فها هو يؤكد اتفاق أئمة السلف على أبدية النار وإنكارهم قول الجهمية بفنائها فكيف يوافق هؤلاء ويخالف السلف؟

فهاهو يعزو القول بفناء النار الى الجهم بن صفوان رأس الجهمية وأبي الهذيل العلاف رأس المعتزلة. فكيف يأخذ بقولهما مع أنه صرح - بما رأيتَ - أن جمهور المسلمين مخالفون لهم ؟

والعجيب أن ابن عبد الهادي ذكر عند سرد مؤلفات ابن تيمية أن « له كتاب قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار» [٧].

---

١) مجموع الفتاوى ١٨:٣٠٧.

٢) درء تعارض العقل والنقل ٨:٣٤٥.

٣) الفتاوى ٨:٣٨٠ و١٢:٤٥ و١٤:٣٤٨ منهاج السنة١/١٤٦و٣١٠و٣٥١

٤) مجموع الفتاوى ٣:٣٠٤. درء تعارض العقل والنقل ١:٣٩ و ٣٠٥ و ٣:١٥٨تحقيق د: محمد رشاد سالم. ط: جامعة الامام بالرياض.

٥) درء التعارض ٢:٣٥٨.

٦) بيان تلبيس الجهمية ١٥٧.

٧) العقود الدرية في مناقب ابن تيمية ٦٧ دار الكتب العلمية.

هل قال ابن القيم بفناء النار ؟

وقد قسَّم ابن القيم منازل الناس يوم القيامة الى ثلاث دور: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، **وهاتان الداران لا تفنيان**، ودارٌ لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عُذِّبوا بقدر جزائهم أُخرجوا من النار فأُدخلوا الجنة: **ولا يبقى الا دار الطيب المحض ودارَ الخبيث المحض**[1].

- واحتج ابن القيم على الجهمية بعقيدة أبي زرعة وأبي حاتم الرازي وسرد عقيدتيهما ومما احتج بقولهما فيه أن الجنة والنار مخلوقان لا يفنيان[2].

قال ابن القيم « وأنا في هذه المسألة على قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ووصف ذلك أحسن صفة، ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء[3].

- فاقتضت حكمته سبحانه أن خلق داراً لطالبي رضاه العاملين بطاعته، المؤثرين لأمره القائمين بمحابِّه: وهي الجنة... وخلق داراً أخرى لطالب أسباب غضبه وسخطه... فهاتان الداران هما دارا القرار»[4].

موقف أهل التحريف من ابن القيم

وقد أبى لصوص النصوص الا الدس واتباع ما تشابه من كلام ابن القيم مع تجاهل لمحكم أقواله وصريحها التي نصت عليها كتبه، فانظروا أدلتهم لتعرفوا حقيقتهم:

قالوا[5] « وكذب على الله حين قال في (حادي الأرواح ٢٥٧) أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها» انتهى.

وتجاهلوا أن ابن القيم كان ينقل أقوال الفريقين المختلفين في هذه المسألة، ثم ختم مقالة الفريقين بقوله « فهذه نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة».

قال « فان قيل فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة

---

١) الوابل الصيب شرح الكلم الطيب ٤٩ تحقيق الانصاري.

٢) اجتماع الجيوش الاسلامية ٢٣٣ تحقيق عواد المعتق ط: الرياض.

٣) شفاء العليل ٢٦٤ ط: دار المعرفة.

٤) طريق الهجرتين ١٤٠ ط: دار الوطن للنشر والاعلام.

٥) مجلتهم منار "الهدى" عدد ١٣ ص ٥٣.

الشأن؟ قيل: الى قوله تعالى ﴿ان ربك فعال لما يريد﴾ والى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وقال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، والى هنا انتهت أقدام الخلائق. وما ذكرناه من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه» انتهى.

فمن أين زعمتم أن ابن القيم تبنى القول الصريح بفناء النار أيها المحرفون؟

ثم لجأوا الى تحريف آخر فقالوا « وقال [الحافظ ابن حجر] وقد مال بعض المتأخرين الى هذا القول السابع ونصره» قالوا: ويريد الحافظ ببعض المتأخرين: ابن القيم الجوزية، ولا يخفى ذلك على من طالع حادي الأرواح» [1].

○ يا لجرأة المحرفين كيف علموا أن مراد الحافظ بذلك ابن القيم بينما لم يصرح ابن القيم نفسه بتبني هذا القول في كتابه المشار اليه؟ وعلى من لا يخفى؟

○ هكذا فعل الذين في قلوبهم مرض في القرآن فاتبعوا ما تشابه منه وأعرضوا عن محكمه، وهكذا يفعلون مع نصوص العلماء: يتبعون ما تشابه ويتجاهلون ما صرحوا باعتقاده بكلمات واضحة.

ثم زعموا أن ابن أبي العز قال في (شرح الطحاوية ٤٢٧) « السابع: أن الله يُخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث ثم يبقيها شيئا فشيئا ثم يُفنيها، فإنه جعل لها أمدا تنتهي اليه» وهم يهجمون بمثل هذا الدس على العامة والجهال. وأما طلبة العلم فيعلمون أن قوله (السابع) أي القول السابع من الأقوال المختلفة. حيث كان يسرد أقوالهم في هذه المسألة.

فانظر الى أهل التحريف كيف يحرفون كلام المخلوقين بعد تحريفهم كلام الله ورسوله.

---

١) مجلتهم منار "الهدى" ٣١/٥٣.

من القائلون بفناء النار

ولو فرضنا أن ابن تيمية وتلميذه قد صرّحا بذلك فلا يجوز أن يُعتَبر ذلك كفراً فإن فيه روايات منقولة عن السلف أبي هريرة وأبي سعيد وعمر وابن مسعود منها ما أورده السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى **﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾**:

- أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: قال عمر رضي الله عنه «لو لبِث أهل النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه» [١].

- وقال الشعبي «يأمر النار أن تأكلهم». وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابراهيم قال « ما في القرآن أرجى لأهل النار من هذه الآية». وقال «جهنم أسرع الدارَين عمراناً وأسرعهما خراباً»[٢].

وقال في قوله تعالى **﴿إلا ما شاء ربك﴾** وهو أن يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم ثم يجدد خلقهم» [٣].

- وأخرج اسحق بن راهويه عن أبي هريرة قال «سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد».

- وعن ابن مسعود قال « لَيأتينّ على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً».

فهذه النصوص المحكية عن السلف كانت مورد الشبهة، وقد يأخذ بها من لا يتحقق من درجة ثبوت هذه الروايات أو ضعفها. وهذا بخلاف من بنى قوله أصلا على قواعد أهل الكلام أدت به الى التزام لوازم فاسدة كالجهم بن صفوان.

فكيف وأن الثابت عن ابن تيمية وتلميذه تصريحهما المطلق بأبدية الجنة والنار وأنهما لا تفنيان أبداً!! وهو ما أذهب اليه.

ولقد أنكر الشعراني صحة نسبة القول بفناء النار الى محي الدين بن عربي، مع أن ذلك موجود في كتبه، فقال الشعراني في الأجوبة المرضية «ثم إنه بتقدير صحة نسبة ذلك إلى الشيخ محي الدين فالشيخ لم ينفرد بذلك، فقد قال جمع من الظاهرية وفرقة من الحنابلة والقدرية

---

١) قال الألباني في شرح الطحاوية ٤٨٤ « ضعيف فان الحسن لم يدرك عمر بن الخطاب».

٢) تفسير الطبري المجلد السابع ١٢/٧١ والدر المنثور للسيوطي ٣/٣٥٠.

٣) تفسير القرطبي ١٠/١٠٠.

بفناء النار» [1]. ومع ذلك فإن المتعصبين لم يُشيروا الى ذلك وإنما سكتوا عنه وكتموا الحق بشأنه لأنه من الأولياء:

نعم؛ هو من الاولياء ولكن أولياء من؟

قال تعالى ﴿إنهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾. وقال ﴿فقاتلوا اولياء الشيطان﴾.

---

1) نقلا عن جلاء العينين للألوسي ٤٢٥.

قيام الحوادث بالرب هو قول الأشعري

أما عن استنكار الحبشي قول ابن تيمية « فإن قلتم لنا: فقد قلتم قيام الحوادث بالرب. قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل» [١]:

فالحبشي يكتم الناس أن هذه من مسائل الأشعري نفسه خالفه فيها الماتريدية وأن الأشاعرة يوافقون ابن تيمية في ذلك.

الرازي يصرح بقيام الحوادث بالرب

ويكتم الحبشي أيضاً عن عامة أتباعه أن هذا ليس مذهب ابن تيمية وحده وإنما هو ما انتهى اليه نُظّار الأشاعرة حيث انتقدوا القول بأزلية الصفات مطلقاً بعد أن واجهتهم مشكلات بسبب هذه النظرية، فتفرقوا واضطربوا:

حتى صرح إمامهم في المذهب الأشعري وهو الرازي بأن أكثر العقلاء يقولون بقيام الحوادث بالرب وان أنكروه باللسان:

أضاف الرازي:

* فأبو علي وأبو هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا بارادة حادثة لا في محل.

* وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته تعالى علوما متجددة بحسب تجدد المعلومات.

* والفلاسفة يقولون بأن الاضافات وهي القبلية والبعدية موجودة في الأعيان. فيكون الله مع كل حادث. قال الرازي: وذلك الوصف الاضافي حدثٌ في ذاته.

* والأشعرية يثبتون نسخ الحكم، ويثبتون للعلم والقدرة تعلقات حادثة [٢] وانتهى الى أن القول بقيام الصفات الفعلية (ذكر منها صفة الكلام) بمشيئة الله واختياره هو أصح الأقوال عقلا ونقلا » قال الحافظ ابن حجر « وهو المحفوظ عن السلف » [٣].

---

١) المقالات السنية ١٩.

٢) الأربعين في أصول الدين للرازي ١١٨.

٣) فتح الباري ١٣/٤٤١.

وقال في المطالب العالية « هل يعقل أن يكون الله محلا للحوادث؟ قالوا [١] هذا قول لم يقل به الا الكرامية. وأنا أقول: إن هذا قول قال به أكثر أرباب أهل المذاهب، أما الأشعرية: فإنهم يدعون الفرار من هذا القول إلا أنه لازم عليهم» . ثم أوضح بطلان عقيدة الأشاعرة في الكلام النفسي هو قول بعيد عن الصواب [٢].

فإذا كان قيام الحوادث بصفات الرب الفعليه: لزم الحبشي تكفير ابن حجر والرازي والأشاعرة عموماً، فإنهم أكدوا قيام الحوادث في أفعاله سبحانه. وانه قول لا مهرب منه.

أليس غريباً حينئذ أن يتهم ابن تيمية بأنه يقول بقيام الحوادث بالرب بينما يكتم عن عامة أتباعه أن هذا ما اتُهم به الأشعري نفسه في موقفه من صفة التكوين وسائر صفات الأفعال. **ولقد زعم أن الأشعرية والماتريدية تمثلان عقيدة أهل السنة والجماعة.** وأنه لا حرج على من يختار أي من الطريقتين شاء. فاذا كان يلزم من القول بحدوث صفات الرب حدوث الرب نفسه فأخرجوا الأشاعرة من بوتقة أهل السنة والجماعة. وهذا لا ريب فيه.

ولقد اعترف الحبشي بأن معظم الأشاعرة خالفوا الماتريدية قائلين: إن الصفات الفعلية ليست أزلية لأنها لا تتعلق بذات الله تعالى[٣] وإنما تقوم بإرادة الله ومشيئته [٤]. ويلزمهم من ذلك أن يعترفوا بأن الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية خلاف في أصل العقيدة. وأن منه ما جعلهم يكفّر ويبدّع بعضهم بعضاً.

ولقد اعترف الحبشي بصحة ما ذكره الحافظ ابن حجر في (الفتح ٤٣٩/١٣) بمعارضة الأشعري القول بأزلية كل الصفات لله تعالى مما جعل الماتريدية يُلزمونه بأنه يقول بحلول الحوادث بالله [٥]. وبقي هذا الخلاف قائماً بين الفريقين الى اليوم.

---

١) يعني أصحابه من الاشاعرة.

٢) المطالب العالية ١٠٦/٢ و٢٠٤/٣-٢٠٧.

٣) إظهار العقيدة السنية ٣١.

٤) فتح الباري ٤٤١/١٣ و٤٥٥و ٤٩١.

٥) الدليل القويم ٧٦.

فالأشاعرة يقولون بأن الصفات الفعلية لله ليست أزلية بخلاف الصفات الذاتية فإنها أزلية. وهذا باعتراف الحبشي نفسه [1].

التعلقات والإضافات هروب شبيه بالكسب

وقد فسروا أفعال الله بالتعلقات والاضافات وهي في الحقيقة ليست الا الأفعال ولكنها مخالفة لها في اللفظ موافقة لها في المعنى كقولهم في الكسب الذي خالفوا في الجهم لفظا ووافقوه معنى. ولهذا ألزم الرازي الأشاعرة بأن التعلقات والإضافات التي يقول بها المتكلمون هي الحدث بنفسه في الله[2].

أما عن التعلقات فيسألهم ابن تيمية أولا عن الدليل الشرعي من الكتاب والسنة على وجود إضافات وتعلقات لله وهو أمر غيبي لا قبل لهم بالعلم به الا من عند الله؟ فهذا افتراء شبيه بافترائهم أن جبريل فهم ما في نفس الله من المعاني وصاغه بألفاظ من عنده.

ثم يناقشهم ابن تيمية فيقول « إما أن يكون التعلق أمراً وجودياً أو عدمياً؟

فإن كان عدمياً فلم يتجدد شيء والعدم لا شيء. فهذا قول غير معقول.

وإن كان وجودياً بطل قولهم من أصله فيلزمهم إثبات إرادة فعلية مستقبلة [3]. .

---

١) الدليل القويم ٧٥.

٢) الاربعين في أصول الدين ١١٨.

٣) درء تعارض العقل والنقل ٢٨٣/٨.

نفي قيام الحوادث بالرب
ذريعة اعتزالية قديمة موروثة

ولقد استخدم المعتزلة هذه الذريعة فقالوا: لا تحلّ الحوادث بالله: لا الأعراض ولا الجواهر. وأرادوا بذلك نفي أن تقوَم به صفة العلم والقدرة أو أن يقوم به الفعل كالخلق والاستواء والإحياء والإماتة. غير أن السلف ردوا عليهم.

- قال البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿**كل يومٍ هو في شأن**﴾ وقوله ﴿**لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا**﴾ بأن حدَثه سبحانه لا يشبه حدَث المخلوقين لقوله تعالى ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.

فإنكار قيام الحدث في أفعال الرب يؤدي الى القول بأزلية المخلوقات، وإثبات ذلك على وجه لا يشبه حدث المخلوقين هو الموافق للشرع والعقل كما قال البخاري».

وأين هذه الأزلية من قول النبي ﷺ المتفق على صحته « لما فرغ الله من الخلق كتب على عرشه رحمتي سبقت غضبي»؟!

تفصيل معنى الحوادث

ولا بد لنا أن نتفهم مراد ابن تيمية من عبارة (قيام الحوادث بالرب):

قال « فمن قال: الرب تعالى ليس محلا للحوادث، نقول له: إن هذا لفظٌ مجمل لا يُقبل على إطلاقه، بل يُفسَّر ويُفصَّل كالآتي:

* فإن أريد بهذا النفي المجمل أن الله تعالى ليس محلا للحوادث، أي ليس داخل ذاته المقدسة شيء من المخلوقات المحدثة فهذا نفيٌ صحيح.

* وإن أريد بذلك النفي: نفي ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من الصفات الاختيارية من أن لا يتكلم بما شاء إذا شاء ولا أنه يغضب ويرضى ولا أن يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والاتيان كما يليق بجلاله وعظمته: فهذا نفيٌ باطل ومردود على قائله» [1].

وأهل الكلام المذموم يطلقون [لفظ] نفي الحوادث، فيسلّم السُّنّي له ذلك على ظن أنه ينفي عن اللهَ ما لا يليق بجلاله.

فإذا سلّم له ذلك ألزمه [المتكلم] بنفي الصفات الإختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم له.

وإنما أُتيَ السّنّيُ من تسليمه لهذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لمَ ينقطع معه» أي لم يتمكن المتكلم من إلزامه بهذا النفي.

---

١) مجموع الفتاوى ٦/٢٧٣.

مسألة قدم العالم

وزعم الحبشي أن ابن تيمية كفر لقوله بقدم العالم بنوعه، ونقل عن التقي السبكي قوله في الدرة المضية أن ابن تيمية « جعل الحادث قديماً والقديم حادثا» يعني قوله بقدم المخلوقات وقوله بحدوث الارادة بالله. قال: ولم يجمع أحد سواه بين هاتين الضلالتين [1].

- قلت لو كان هذا صحيحاً فكيف يثني السبكي عليه الثناء البالغ ويصرح أن الله جمع له بين الورع والزهادة وبلوغه والاجتهاد والديانة ونصرة الحق، واتباعه مذهب السلف [2] رواه الحافظ ابن حجر.

واذا كان السبكي يصف ابن تيمية بهذه الأوصاف العظيمة: كيف يجرؤ لرجل ككمال الحوت أن ينفي دعاء السبكي له بالرحمة [3] فإنه بالرغم من تعصب السبكي الإبن ضد ابن تيمية إلا أنه كان يدعو له بالرحمة والفوز بشفاعة النبي ﷺ ووسيلته [4].

القائلون بأزلية فعل الخالق يلزم أزلية المخلوق

بل إن من يدعون أن صفات الله كلها أزلية ولا يعترفون بأن أفعال الله كالتخليق والتصوير أفعال حادثة: يلزمهم القول بأزلية المخلوق، لأنه اذا كان فعل الله بلا أول لزم أن يكون المفعول المخلوق بلا أول.

الفخر الرازي يمنع من تكفير القائلين بقدم العالم

وتعجب اذا علمت أن الفخر الرازي - مقعّد المذهب الأشعري - قرر في « شرح إشارات ابن سينا» (١/٤٢-٤٣) أنه لا كُفرَ لمن يقول بقدم العالم على طريقة الفلاسفة مع إثبات الخالق وأن العالم مخلوق لازم لذات الله، بل لم يجعلها من مسائل التوحيد ما دام الكل متفقاً على أن الله هو خالق كل شيء.

قال « فأما القائلون بأن واجب الوجوب واحد، فقد اختلفوا على قولين:

فمنهم من قال: إنه تعالى لم يكن في الأزل فاعلا، ثم صار فيما لا يزال فاعلا، ثم صار فيما لا يزال فاعلا وهم الملِّيّون بأسرهم. ومنهم

---

١) الدليل القويم ١٦٠.

٢) الدرر الكامنة ١/١٥٩ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٩٣.

٣) التوفيق الرباني ٦٨و٧٦ والرسائل السبكية ٦٠.

٤) طبقات السبكي ١٤٩:١٠ تحقيق الحلو والطناحي ط الحلبي مصر.

من قال: إنه كان في الأزل فاعلا، وهم الفلاسفة». ثم قال بعد سطور: إنه كان في الأزل فاعلا وهو الفلاسفة.

قال « فثبت أنه لا تعلق لمسألة القدم والحدوث بالتوحيد».

اختبار الصدق

وكنا نود أن يكون الحبشي شديداً على القائلين الحقيقيين بقدم العالم، غير أننا رأيناه على عكس ذلك فإنه يتستر عليهم ويتأول ألفاظهم .

فمع أنه يذكر أن الأمة اتفقت على كفر القائلين بقدم العالم، إلا أنه لا يريد أن يعترف بأن أبرز القائلين بقدم العالم هم الصوفية، يتزعمهم في ذلك ابن عربي كما صرح به:

- العز بن عبد السلام (الذي كان معاصراً لابن عربي).
- وأبو حيّان النّحوي.
- والحافظ ابن حجر.

حيث صرحوا أن ابن عربي يقول بقدم العالم ولا يحرِّم فرجاً[1].

لكن الحبشي ينسب القول بقدم العالم (زوراً) الى ابن تيمية ويتكتم على شهادة العز بن عبد السلام وأبي حيان في ابن عربي أنه كان مؤمناً بقدم العالم: فهل هذا إلا الظلم والتعصب الأعمى؟!

هذه كتب ابن تيمية : أين قال فيها بقدم العالم؟ قارنوها بكتب ابن عربي التي قال فيها الذهبي «إن لم تكنَ كفراً فلا يوجد في الدنيا كُفر»[2].

١) لسان الميزان ٢/٣٨٤ سير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨ تفسير البحر المحيط ٣/٤٤٩ تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي ١٥٧ للبقاعي طبقات ابن الملقن (١٥٣) صفحة ٤٦٩.

٢) سير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨.

ما حكم القائلين بأزلية النور المحمدي ؟

إن الحبشي يخفي حقيقة لا يعرفها من يتعصبون له، وهو أنه في الوقت الذي يتهجم فيه على ابن تيمية ويتهمه كذباً بأنه يقول بأزلية شيء مع الله، يخفي عليهم أن القول بوجود مخلوق أزلي مع الله هو قول المنحرفين الصوفية الذين يفخر بأنه على طريقتهم كالرفاعية والنقشبندية.

الصيادي والرواس يصرحان بأزلية نور النبي ﷺ

فقد ذكر الصيادي في قلادته الصلاة الرفاعية ونصها:

« اللهم صلِّ على نورك الأسبق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك: نقطة مركز الباء الدائرة الأولية الذي فتقت به رتق الوجود وخصصته بالمقام المحمود وأقسمت بحياته: فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييتَ به الموجودات من معدنٍ وحيوان ونبات [(١)].

ووصفه الصيادي بأنه ﷺ نور من نور الله وسر من أسراره[(٢)]. وهذا السر قديم مع قدم الله.

وهذا ما صرح به المهدي الرواس في كتابه (بوارق الحقائق) [(٣)] حيث جعل نور النبي ﷺ أزلياً وأن عمامته فوق عرش الله، قال:

وهوِ نور أزلــيٌّ طرزُه ... صار في وجه وجود الكون شامة
طُوِيَ العالم في جبّته ... وعلى العرش علــت منه العمــامة

وتسألهم: كيف اعتقدتم بوجود أزلي مع الله؟ أليس هذا كفراً؟ لماذا لا تحكمون بكفر زعيمين من كبار الطريقة الرفاعية: الصيادي والرواس؟

وهنا ستخرس ألسنتهم ولن يرضوا بتكفير الصيادي ولا الرواس، لأنهما رأس الطريقة الرفاعية، وسيحاولون التملص من الإحراج، وسيشعرون بالذلة بعد تعاظمهم، يتبجحون بتكفير ابن تيمية لقوله بزعمهم بأزلية المخلوقات، ألا فليجيبوا عن انحرافات الصيادي والرواس

---

١) قلادة الجواهر ٢٤٩ وهذا الكتاب يعتمده الحبشي ويعظمه.

٢) قلادة الجواهر ٢٦٣.

٣) بوارق الحقائق ص ٣٣٣ وص ١٥ من المجموعة النادرة.

إن كانوا صادقين. فإن أبوا فاعلم أنهم متعصبون. يصدق فيهم قول أبي حنيفة «اني وجدت أهل الكلام قاسية قلوبهم، غليظة أفئدتهم، لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة، وليس عندهم ورع ولا تقوى» [١]

○ والصيادي يزعم أنه لولا محمد لما خلق الله السموات والأرض. قال « فالكل لأجله كان وبه نظم، بمعنى لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك» [٢] وقد كذّبه الله حين قال ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾.

○ والصوفية يزعمون أنهم يصيرون الى حالة تجعلهم مع الله شيئاً واحداً، وكلامهم في «الفناء بالله» مشهور منثور في كتبهم. فكيف يصير القديم والحادث شيئاً واحداً؟!

عقيدة مصطفى نجا من وحدة الوجود

كما يعبر عنه عبد السلام بن بشيش « اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة» [٣]، هذه العبارة المشؤومة قد استحسنها من تجعلونه قدوة لكم في الاعتقاد وهو الشيخ مصطفى نجا [٤]. قاله في كشف الأسرار الذي أثنى عليه الأحباش وزعموا أنه دليل على صحة عقيدته [٥].

فيا من تزعم أن من مزايا الطريقة الرفاعية محاربة القائلين بوحدة الوجود لماذا تثني أنت وأتباعك على مصطفى نجا الذي استحسن هذا الكلام الكفري من ابن بشيش، فالتوحيد عنده أوحال، والوحدة عنده هو عين التوحيد!!

واليك المزيد من عقيدة مصطفى نجا الشاذلي اليشرطي [٦]:

---

١) سير أعلام النبلاء ٦/٣٩٩ مفتاح دار السعادة٢:١٣٦.

٢) قلادة الجواهر ٢٥٢.

٣) النفحة العلية في اوراد الشاذلية ١٦.

٤) كشف الأسرار لتنوير الأفكار ص ٩ طبع على نفقة أحمد اليشرطي شيخ الطريقة اليشرطية الشاذلية.

٥) مجلة منار الهدى ٤٣/٤٧.

٦) اليشرطية طائفة صوفية فاسدة حكي عنها أمور مذمومة واعتقادات مشؤومة حتى نفتهم الحكومة العثمانية، حكى في (حلية البشر أنهم كانوا يفخرون بمخالفة الشريعة وأن فعل المنكرات يوصل الى رب الأرباب، ويُذكر أنهم كانوا يرتكبون الفواحش، وكان كثيرون يشكونهم الى مؤسس الطريقة علي بن احمد اليشرطي فكان يقتصر على قوله: « عظوهم وعرّفوهم أن هذا محرم. وإذا وعظهم إنسان سخروا منه وعدّوه من أهل الجهالة» (أنظر الأعلام للزركلي ٤/٢٦١.

وكان يؤمن بقدم نور نبينا ﷺ وأن من نوره ﷺ خلق الله الأشياء، وأن نور النبي ﷺ أول صادر عن الله(١).

وأنه لولا محمد ما خلق الله سماءً ولا أرضاً، ولم يخرج شيء من العدم الى الوجود لولا سريان سره في الأشياء وإمداده لها: لم يصح بقاء موجود (٢).

وزعم أن الله يتجلى لمن شاء من خلقه كما وقع لموسى حين تجلى الله له على النار المخلوقة (٣).

طريقة اهل البدع في الحكم على الآخرين

وزعم أن ابن تيمية قال « لا مانع أن يكون نوع العالم غير مخلوق لله» (٤) من غير أن يحيل الى شيء من كتبه.

ولا وجود لمثل هذا في كلام لابن تيمية وإنما هذا ما يراه الحبشي مما يزعم أنه من كلامه، ولو سألته عن المصدر الذي أخذ منه هذه العبارة لقال لك أنا لم أنقل هذا نصاً وإنما هو لازم كلام ابن تيمية في قوله بالقدم النوعي.

○ ولقد نبه ابن تيمية من قبل على أن هذه طريقة من طرق أهل الكلام في الافتراء على خصومهم حيث يُلزمونهم بما لم يقولوه، ثم يحكونه للناس فيظنون أنه نص كلامهم، وإذا طولبوا بالدليل على ما زعموه من مصدر خصومهم قالوا لك: هذا لازم قول خصمنا. وهو تحريف واضح وليس بجديد، فقد حرفوا كلام الله: جعلوا الاستواء استيلاء، فما الذي يمنعهم من تحريف كلام غير الله؟! ولا يعتقدون أن لازم المذهب ليس بمذهب.

---

١) كشف الاسرار ص ١٢٨.

٢) كشف الاسرار ٧٤ - ٧٥ وانظر ٨٦.

٣) الكشف الالهي ٨٠.

٤) الدليل القويم ١٦٠.

تبرئة ابن تيمية من القول بقدم العالم

قال الحبشي « فإن قلت أين قال ابن تيمية بأن دوام النوع أزليته. قلنا مراده بدوام النوع الأزلية كما لا يخفى [١] فلم ينقل الحبشي شيئاً من كتب ابن تيمية وانما قال «لا يخفى أن يكون هذا مراده» أي مقصوده. ولو كان لابن تيمة نص صريح لتمسك به الحبشي وأظهره على الملأ. لكنه لا يملك نصاً فلم يسعه إلا أن يقول: ومراده بدوام النوع الأزلية كما لا يخفى». وهذا تلبيس ماكر لا يتفطن له العامة من الناس.

وهو لا يخبرهم أن ابن تيمية يرى أن الصفات الفعلية لله تعالى وإن كانت أزلية النوع الا أنها حادثة الأفراد كالخلق والكلام.

لكن الظالمين قلبوها الى «قدم العالم النوعي» وجعلوا ذلك موافقاً لقول ابن سينا والفارابي وابن رشد الحفيد [٢]، بطريقة اعتباطية جائرة. وهذا كقولهم عن الحنابلة أنهم يعتقدون بأزلية وقدم ورق المصحف والحبر وجلد الغلاف. وقد جهلوا أن الله مطلع على هذا التلبيس الذي لا يزيد طالب الحق الا نفوراً من مذهب الظلم.

وقد أفتى ابن تيمية بكفر الفلاسفة لقولهم بقدم العالم، وصرّح مراراً بأن الله لم يزل خالقاً فعّالاً وأن دوام خالقيته من لوازم وجوده، فهذا ليس قولاً بقِدم شيءٍ من العالم [٣].

وأكد أن القول بقدم العالم قول الدهريين وهو كفرٌ ظاهرٌ معلومٌ فساده بالعقل والشرع، إذ لو كان العالم قديماً لوجب أن يكون مع الله قديم آخر [٤] بل هذا من أبطل الباطل وأن من قال بذلك فليس معه إلا الجهل» (منهاج السنة ١/١٠١-١٠٤). فإن « كل ما سوى الله مخلوق حادث كائنٌ بعد أن لم يكن، وأن الله هو وحده القديم الأزلي ليس معه شيء قديم تقدّمه» (درء التعارض ١/١٢٥).

○ قال « ويمتنع أن يكون مفعوله (أي ما خلقه الله) مقارناً له أزلياً معه، لأن كونه مقارناً في الأزل يمنع كونه مفعولا له، فإن كون الشيء مفعولا مقارناً ممتنع عقلاً» (منهاج السنة ١/١١٧). مما يؤكد أن كلام ابن تيمية عن دوام النوع لا يعني به شيئا من دوام أحد غير الله.

---

١) الدليل القويم ٤١.

٢) قاله في كتابه إظهار العقيدة السنية ٤١.

٣) مجموع الفتاوى ١٦/٩٥.

٤) شرح حديث النزول ١٦٠و١٧٠ ط المكتب الاسلامي.

○ وقال « وليس معه شيء قديم بقدمه، بل ليس في المفعولات قديم ألبتّة، بل لا قديم إلا هو سبحانه، وهو الخالق لكل ما سواه، وكل ما سواه مخلوق» (المنهاج ٨/٢٧٢).

فها هو يصرح بوضوح أن القول بوجود قديم آخر مع الله تعالى من أبطل الباطل، فأوضحوا كلامكم وأجيبوا ببساطة ووضوح : هل يقول ابن تيمية بِقِدَم شيء مع الله أم لا ؟ إن سؤالا مثل هذا على بساطته سوف يُحَرجهم لأنهم لن يجدوا من كلام ابن تيمية ما يؤيد فريتهم.

تسلسل الحوادث لا الى أول

يمنعون على الله التخليق

وأما مذهبكم الذي أخذتموه من الحبشي فإن العامة لم يقفوا بعد على حقيقته وهو أنكم تجعلون ممتنعاً على الله أن يخلق شيئاً قبل خلق الماء أو العرش. وهو الذي جعل ابن تيمية يخالفكم في ذلك أشد المخالفة، لأن مذهبكم ينتهي الى نسبة العجز لله عز وجل، لا سيما وأنه محالٌ على الله برأيكم أن يخلق شيئاً قبل خلق السموات والأرض، لأن الامتناع عندكم داخل في باب المحالات.

وهذا ما حدا بابن تيمية الى مخالفتكم قائلا بأنه:

« إذا لم يزل الله حياً قادراً مريداً متكلماً - وذلك من لوازم ذاته - فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وإنه : أنْ يوصف الله بالفعل أكملُ من أن لا يفعل شيئاً وأنه لا يلزم من هذا القول أن يكون شيء من مخلوقاته ملازم معه أزلاً لأنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له. فلكل مخلوق أول، والله لا أول له. وليس من العقل أن يكون الله خالقا من غير خلق». وقال « اذا عُرض على العقل ذات يمكنها أن تتكلم بقدرتها وتفعل ما تشاء بنفسها، وذات لا يمكنها أن تتكلم بمشيئتها ولا تتصرف بنفسها: قضى العقل الصريح أن هذه الذات أكمل» [1].

○ وإثباتكم أن الله خالق لكنه لم يكن خالقاً قول مرجوح، ونسألكم: هل يمكن أن يخلق مذ كان خالقاً؟ فإن قلتم نعم فقد قلتم بإمكان حوادث لا أول لها، ولا فرق عند العقلاء بين إمكانها وبين حدوثها فعلا. وإن قلتم: لا، وقعتم في سفسطات لا نهاية لها.

فأنتم لم تعرفوا الا مذهبين: مذهب الفلاسفة القائلين بقدم العالم ومذهبكم في الاستدلال على الخالق بحدوث العالم آل بكم الى نفي صفات الله الفعلية. لأن الفعل عندكم حدوث، وظننتم أنه اذا بطل مذهب الفلاسفة صح مذهب الأشاعرة.

بينما هناك قول ثالث: وهو التفريق بين الخلق والمخلوق، فالخالق هو الله تعالى والخلق هو الصفة التي قامت به والمخلوق هو الموجَد المنفصل عنه.

فيقال في صفة الخلق لله ما يقال في صفة الكلام. وهذا معنى دوام النوع عند ابن تيمية الذي احتج بقوله تعالى **﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾** على دوام خالقيته مع تصريحه الدائم بأنه ليس مع الله شيء

---

١) مجموع الفتاوى ٢٤٢/٦ درء التعارض ٧/٤-١٠.

قديم(١).

ولكن ليس عندكم أي رغبة في الاعتراف بوجود الفرق بين نوع الصفة وبين عين الصفة، وذلك هرباً من القول بحلول الحوادث بذاته تعالى، وقد فعلتم الشيء نفسه في صفات الله الأخرى فألحدتم في الصفات الفعلية منها وعطلتموها وجعلتم الصفات كلها أزلية، وهو السبب الذي جعلكم تنكرون أن يدخل كلام الله تحت مشيئته وقدرته. وأن يدخل فعله تحت مشيئته وقدرته.

بينما يفرّق ابن تيمية بين النوع والعين ويقسّم الصفات الى ذاتية أزلية وفعلية غير أزلية على النسق الذي فعله الأشعري والبيهقي والكرماني والحافظ ابن حجر من قبل.

وهذا ما حملكم على ظلم الرجل واتهامه بموافقة الفلاسفة مع أنه يكفّرهم لقولهم بقدم العالم. وشهدتم عليه شهادة زور تُسئلون عنها أمام الله يوم يقوم الأشهاد!.

---

١) مجموع الفتاوى ١٨/٢٢٨.

وفي صفة الارادة يفرق ابن تيمية بين الارادة للشيء وبين إرادة فعله كقوله تعالى ﴿**انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ فكلمة (إذا) ظرفية تمحض الفعل الماضي للاستقبال. ففي الآية إثبات إرادة مستقبلة تتعلق بالمراد[1].

وهو لا شك أنه أراد هذا الشيء قبل كونه أزلا، وهي الارادة القديمة. وأما ارادة الشيء عند خلقه فهي ارادة متعاقبة لا تتعارض مع ارادة الله الأزلية.

ويقول « أنتم تسلمون قدم الارادة والقدرة وحدوث المخلوقات بعد أن لم تكن، فما أوجب حدوث المخلوقات في وقت دون آخر؟

فإما أن يوجد سبب لحدوثها أو لا يوجد. ولا يمكن أن يقال: لا يوجد سبب.

وهذا السبب هو الفعل الحادث الذي يفر الأشاعرة المتأخرون منه هروباً من القول بقيام الحوادث بالله. وهو لازم لهم كما ألزمهم به الرازي.

وفي صفة العلم يفرق التفريق نفسه فيرى أن الله يعلم بالشيء قبل وقوعه فلما خلقه تجدد له علم مع علمه المتقدم أنه سيكون. كقوله تعالى ﴿**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**﴾ وقوله ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**﴾ وقوله ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾ ولا يرد على ذلك قولهم أنه يلزم من ذلك التغير في ذات الله. فان التغير من حجج الفلاسفة وشبهاتهم التي جعلتهم ينفون علم الله. وكتاب الله جاء بخلاف ما تخرصت به الفلاسفة وأتباعهم الذين جعلوا العلم والارادة شيئاً واحداً حتى لا يقولوا بتجدد العلم والارادة.

وصفة السمع والبصر لا تتعلقان بالمعدوم فاذا خلق الله الأشياء رآها، واذا دعاه عباده سمع دعاءهم. فلله سمع وبصر ذاتيان وفعليان ففي الرؤية يقول تعالى ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم**﴾ ولم يقل ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**﴾ ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير**﴾ الا بعد أن قالوا ما قالوا.

---

١) رسالة الصفات الاختيارية لابن تيمية ١٣/٢ ضمن جامع الرسائل.

وهذا ما انتهى اليه الرازي في شرح الإشارات حيث ذهب الى أن قول أبي الحسين البصري بتغير العلم عند تغير المعلوم هو المذهب الصحيح[1].

إما حدوث الفعل واما أزلية المفعول

وأما قولكم بأزلية صفات الله الفعلية فإنه يؤدي الى القول بأزلية المفعولات، لأننا إذا قلنا بأن الفعل كان أزلياً صار المفعول أزلياً مثله. وإن كان الفعل محدداً بوقت صار المفعول محدداً غير أزلي. فإن من قال إن الله خلق السموات والأرض والبشر منذ الأزل فقد جعل وجود المخلوقات أزلياً. ولهذا كان قولكم هو المشعر بالتصريح بقدم العالم، وهو الذي دعا الرازي الى مخالفتكم والى التصريح بأن جميع من تهربوا من القول بالحدوث في أفعال الله تعالى اضطروا الى العودة اليه بصيغة أخرى.

ولهذا لم يكن يوافقكم ابن تيمية على زعمكم في :

١) التحديد الزمني لابتداء فعل الله التخليق. لأنه ما من وقت إلا كان الله فيه خالقاً. ولم يكن معطلاً عن الخلق.

٢) ولم يوافقكم على زعمكم أن الله كان موصوفاً بأنه خالق لكن التخليق كان ممتنعاً عليه.

٣) ومع ذلك لم يكن يرى ابن تيمية وجود شيء قديم مع الله عز وجل كما تزعمون عليه بلا تقوى ولا إنصاف، فإنه قال « وكل مخلوق فهو مُحدَث مسبوقٌ بالعدم وما ثم قديم أزلي إلا الله وحده، وإذا قيل لم يزل خالقاً فإنما يقتضي قدم نوع الخلق [أي التخليق ولهذا قال] ودوام خالقيته لا يقتضي قدمَ شيء من المخلوقات، فيجب الفرق بين أعيان المخلوقات الحادثة بعد أن لم تكن، فإن هذه لا يقول عاقل أن منها شيئاً أزلياً» [2]. **فأين قال ابن تيمية بقدم شيء من المخلوقات؟!**

○ والذين يجعلون لفعل التخليق لله تعالى تحديداً ويمنعون عليه أن يكون خالقاً شيئاً قبل خلق السموات والأرض فليس عندهم إلا رواية «كان الله ولم يكن شيئ غيره، وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض» ويفهمون من ذلك أنه قبل السموات والأرض لم يكن ثمة خلق. مع أن الرواية هذه تفيد بأن العرش والماء كانا مخلوقين قبل

---

١) شرح الاشارات ١/٧٦ عن الزركان ص ٣٠٩.

٢) مجموع الفتاوى ١٦/٩٥.

خلق السموات والأرض. مما يدل على أن هذه الرواية لا يلزم منها القول بأن الله لم يكن خالقاً شيئاً قبل خلق السموات والأرض.

- فقد جاء أهل اليمن يسألونه عن هذا العالم المشهود وليس عن جنس المخلوقات. فأخبرهم عن خلق السموات والأرض حال كون عرشه على الماء ولم يخبرهم عن ابتداء خلق العرش الذي تؤكد الرواية أنه كان مخلوقاً خلق قبل السموات والأرض.

- وأيضاً فقد قال « كان الله ولم يكن شيء قبله» وفي رواية « معه» وفي رواية «غيره»- والمجلس كان واحداً- فعلم أنه قال أحد هذه الألفاظ الثلاثة والآخران رُويا بالمعنى. ولهذا كان كَثير من أهل الحديث يروونه بلفظ « القبل» كالحميدي والبغوي وابن الأثير.

○ ولفظ « القبل» ثبت عن النبي ﷺ في غير هذا الحديث:

فقد ثبت عنه ﷺ أن الله « قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة: وكان عرشه على الماء» (مسلم ٦٢٥٣) وعن ابي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء» (مسلم ٢٧١٣).

القائلون من أئمة الكلام بتسلسل الآثار[1].

قال الأسنوي في شرح منهاج الوصول (١٠٣/٢) « وأجاب في التحصيل (للآرموي) بجوابين ... الثاني « أن المحال من التسلسل إنما هو التسلسل في المؤثرات والعِلل، وأما التسلسل في الآثار فلا نسلّم أنه ممتنع.

قال الأصفهاني في (شرح المحصول) وفيه نظر لأنه يلزم منه تجويز حوادث لا أول لها، وهو باطل على رأينا» انتهى كلام الأسنوي ونقلُه.

قال العلامة محمد بخيت المطيعي في الصفحة نفسها على (شرح الأسنوي) معلقاً على كلام الأرموي قال « كلام جيد، وأما قول الأصفهاني: (وفيه نظر...) فلا يلزم من كونه باطلا على رأيه أنه باطل في الواقع ونفس الأمر، فإنه لغاية الآن لم يقم دليل على امتناع التسلسل في الآثار الموجودة في الخارج، وإن اشتهر أن التسلسل فيها محال، ولزوم حوادث لا أول لها يضر بالعقيدة إلا اذا قلنا: لا أول لها: بمعنى لا أول لوجودها: وهذا مما لم يقم به أحد، بل الكل متفق على أن ما سوى الله تعالى - لما كان أو يكون - حادث: أي موجود بعد العدم بقطع النظر عن أنَ تقف آحاده عند حدٍ من جانبي الماضي والمستقبل أو لا تقف عند حد من جانبيهما».

فالأرموي مجوّز، والأصفهاني مبطل بقوله (وفيه نظر) والإسنوي ناقل، وبخيت المطيعي شيخ الأزهر ناصر لقول الأرموي، ، وكذلك أثير الدين الأبهري [2] في كتابه المعروف بـ « تحرير الدلائل في تقرير المسائل» قائل بها، والشيخ محمد عبده والجلال الدوّاني قائل بذلك كما ستراه: ومع هذا فلا تفسيق ولا تضليل ولا تكفير على النحو الذي نراه من الحبشي وأضرابه.

وقد رجّح الدوّاني القول بحوادث لا أول لها في حدوث العالم فقال « أنت خبير مما سبق أنه يمكن صدور العالم مع حدوثه، وعلى هذا الوجه، فلا يلزم القِدم الشخصي في شيء من أجزاء العالم، بل

---

١) هذا الفصل مستفاد من الكتاب القيم (دفع الشبه الغوية عن شيخ الاسلام ابن تيمية) ص ٣٨ لمؤلفه مراد شكري شكر الله سعيه.

٢) أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري السمرقندي صاحب كتاب (هداية الحكمة) شيخ الأصفهاني شارح المحصول توفي ٣٦٣ هـ.

القدم الجنسي بأن يكون فرد من الأفراد لا يزال على سبيل التعاقب موجوداً»؟

وقال الشيخ محمد عبده في حاشيته على « شرح الدوّاني للعقائد العضديّة» (ص ١٧٩) ما نصه « وقد استشهد الحكماء على قدم الممكنات بدليل نقلي، وهو ما ذمّ الله به اليهود ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة، غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا: بل يداه مبسوطتان﴾ وبيانه: أنه لو قيل بحدوث العالَم فقد قيل بأن الحق في أزليته لم يزل معطلا عن الفيض والجود أزمنة غير متناهية لا ابتداء لها ثم أخذ يعطي الوجود، ومعلوم أنه على فرض أنه لم يزل خلاّقاً الى الأبد فكل ما خلقه فهو متناه، ونسبة المتناهي الى غير المتناهي كَلَا نسبة، وذلك جلي التصور، فنسبة إعطاء الحق للوجود الى منعه عن كل موجود ليست بشيء، وإن هذا إلا غلّ اليد، حيث أن الإعطاء ليس بشيء يُذكر في جانب المنع، وهذا من الشناعة بمكان ... والجواب أن ذلك - التخلص من الشناعة - لا يتوقف على القول بقدم شيء من أجزاء العالم، بل يكفي أن يقال: إن الله لم يزل خلاّقاً، وإن كان كل جزء من أجزاء العالم حادثاً، فلا أول لعطائه، ولا مانع يقهره سبحانه، وهو الجواد الحق، ينفق كيف يشاء، ولا شيء من العالم قديم، بل كل حادث فهو مسبوق بالعدم، فلا دلالة في الآية على القدَم» انتهى.

فتأمل قوله (فلا أول لعطائه) وقوله (كل جزء من أجزاء العالم حادث) وقوله (لم يزل خلاّقاً)

قال الأستاذ مراد شكري « واعجب أخي أن أحداً من المحققين النّظار لم يخطر بباله أبداً أن قدم النوع هو شيء قديم مع الله، وأن النوع شيء محسوس له وجود.

واسأل هؤلاء: هل نوع الحوادث منفك عن الحوادث أم ملازم لها؟ أهو هي؟ إذ لا يمكن أن يكون شيئاً آخر كما يبدو؟

إن كان هو هي - وهو محال - فما الداعي لذكره؟ فهو حادث مثلها، وإن كان ملازماً لها فالمعلوم أن القديم: زائد الحديث يساوي = حادثاً.

والمركب من القديم والحادث هو حادث وهذا بيّنٌ عند من شدا شيئاً من علم الكلام.

وأما إن قالوا: إن النوع شيء والحوادث شيء، فقل لهم: فسّروا لنا كلمة (نوع) وحدها هكذا مجرداً، والأفضل أن ترجعوا ل « الآجرومية» فتدرسوا باب المضاف والمضاف اليه، وتعربوا جملة (نوع

الحوادث) فهذا أليق بكم» [1].

ثم نقل عن ابن تيمية في (درء التعارض ١٥٣/٩) ما نصه « فيقال لكم: أتريدون بذلك أن كل حادث فلا بد أن يكون مسبوقاً بغيره وأن الحوادث المحدودة لا بد أن تكون مسبوقة، أو أن الجنس لا بد أن يكون مسبوقاً؟

أما الأول والثاني فلا نزاع فيها، وأما الثالث فيقال: أتريدون به أن الجنس مسبوق بعدم أم مسبوق بفاعله؟ بمعنى أنه لا بد له من محدِثٍ؟ الثاني [أي أنه مسبوق بفاعله] مسلّم، والأول محل نزاع».

قال الأستاذ مراد « فهذا تقرير وتسليم أن جنس الحوادث مسبوق بالفاعل وهو الله جل وعلا، [وهذا يؤكد أن] القول بحوادث لا أول لها، أو تسلسل الآثار لا يفهم عاقل هذه العبارة إلا أنها متعلقة بمشيئة الله التي هي أزلية، وهي مسبوقة بالفاعل رب العاليمن، وهذا بدهي وإلا لما كانت حوادث جمع حادثة، وهي المخلوقة المسبوقة بالعدم بأفرادها».

قال « ويُسأل القائل (إن إثبات حوادث لا أول لها مشاركة لله في اسمه «الأول» فيقال له: ماذا تقول في هذه الحوادث التي لا أَول لها الآن؟ هل هي موجودة أم معدومة؟

فإما أن يقول: موجودة أو معدومة. أو يفتح فمه ويقول: ها، هاه لا أدري.

قال شيخ الاسلام في (درء التعارض ٥١/٣) « وأيضاً فالحوادث الماضية عُدمت بعد وجودها، فهي الآن معدومة كما أن الحوادث المستقبلية اَلآن معدومة، فلا هذا موجود ولا هذا موجود الآن، وكلاهما له وجود في غير هذا الوقت، ذاك في الماضي، وهذا في المستقبل» [2].

---

١) دفع الشبه الغوية ٤٥ - ٤٦.
٢) دفع الشبه الغوية ٤٩.

اتهامه بالقول بقدم العرش

وهذه كذبة أخرى يفتريها الحبشي على ابن تيمية وينقلها عن الجلال الدواني كما في شرح العضدية « وقد رأيت في تأليفٍ لابن تيمية القول بالقدم الجنسي للعرش» [1].

- ولعلك تلاحظ عبارة « تأليف» وما تتضمنه من الافتراء فلماذا لم يذكر اسم هذا التأليف.

وإذا كنت لا تعرف من هو الجلال الدواني فابحث عن كتاب « إيمان فرعون» [2] فإن الدواني كتبه دفاعاً عن فرعون ولاثبات أنه مات على الايمان. فقد ردّ عليه الشيخ ملا على القاري في كتاب « فرّ العون من مدّعي إيمان فرعون». ألم يجد الحبشي رجلا يحتج به غير من يدافع عن فرعون ويحكم بايمانه؟

قال الآلوسي المفسر « وحاشا ابن تيمية أن يثبت عنه هذا الكتاب بل نسبته اليه كنسبة كتاب « إيمان فرعون» الى الجلال الدواني، فاحفظ ذلك» ثم تعقب الجلال الدواني قائلا « وجلال الدين وأضرابه أجهل الناس بالحديث».

- وكذلك حكى الألوسي طعن الكوراني في حاشيته المسماة: «مجلى المعاني على شرح عقائد الدواني» في صحة نسبة هذا الكتاب الى ابن تيمية قائلا « لم أقف على هذا التصنيف لابن تيمية» [3].

وهكذا حال من يحتج الحبشي بتجريحهم لابن تيمية لا يخلون من التعصب والانحراف الصوفي كالدواني والسبكي والهيتمي والحصني.

---

١) إظهار العقيدة السنية ٦٠.

٢) تحقيق ابن الخطيب ط المطبعة المصرية ١٩٢٤.

٣) عن جلاء العينين في محاكمة الاحمدين للألوسي٣٤٠ و٣٣٢-٣٣٣.

اقعاد النبي ﷺ على العرش

وزعم الحبشي أن ابن تيمية قال « إن الله تعالى قاعد على الكرسي وترك موضعا لمحمد ليجلسه عليه في الآخرة. وهذا الكتاب غير الرسالة العرشية»[١] :

ولكن؛ أين قال ابن تيمية هذا ؟ وفي أي كتاب. إننا لم نره يؤيد ذلك في كتاب من كتبه، بل إنه حكى أن من السلف من قال بذلك وأنكرها آخرون[٢].

وصدق فيما قاله، فإن من السلف من قال بذلك، ونقلت أسانيدُ كلامهم في هذه المسألة بأسانيد صحيحة منها :

○ رواية مجاهد التي صححها الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ روى لها المحدِّثون كالخلال في السنّة أسانيد كثيرة جدا. بلغ بعضها الصحة. قالوا إن الله يُقعِد النبي ﷺ ليُرِيَ الخلائقَ منزلتَه [٣].

ولذلك قال الحافظ ابن حجر « قال ابن الجوزي: وقيل إن المقام المحمود أي إقعاده على العرش، وقيل على الكرسي وحكي كلا من القولين عن جماعة [٤] ورواه الطبري عن جماعة من السلف ولم ينكر رواية مجاهد في إقعاد النبي ﷺ على العرش [٥].

وقد رد الحافظ ابن عبد البر كلام مجاهد واعتبره مخالفاً للصواب ومهجوراً عند أهل السنة»[٦]. ومنهم من أيد قول مجاهد وبالغ في الانتصار له كأبي بكر المروزي الذي جمع فيه كتاباً وروى عن ابراهيم بن عرفة سمعت ابن عمير يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول « هذا قد تلقته العلماء بالقبول». وكذلك انتصر وأفتى بوجوب التسليم له جماعة من أهل العلم والحديث منهم أبو داود السجستاني صاحب السنن وابراهيم الحربي ومحمد بن مصعب العابد شيخ بغداد وخلقٌ

---

١) شريط ١٣ (وجه أ) ٩٤.

٢) رسالة الرد على البكري ٣٢٩ المعروفة بكتاب الاستغاثة.

٣) رواه الخلال في السنة ٢١٨ وانظر العلو للذهبي ٧٥.

٤) فتح الباري ٢:٩٥.

٥) تفسير الطبري المجلد الثامن الجزء ١٥.

٦) التمهيد ١٥٧/٧.

كثير، بحيث قال ابن الامام أحمد عقيب رواية قول مجاهد « أنا منكرٌ على كل من رد هذا الحديث، وهو عندي رجل سوء متهم، سمعته من جماعة وما رأيت محدّثاً ينكره، وعندنا إنما تنكره الجهمية» بل انتصر له ابن جرير وقال « ليس في فرَق الاسلام من يُنكر هذا» وقال بأن ما قاله مجاهد غير مدفوع صحته لا من خبر ولا من نظر [١]. وذكر بأنه لا يلزم منه لوازم باطلة.

فمسألة إقعاد النبي ﷺ على العرش على افتراض صحة نسبتها الى ابن تيمية مسألة تكلم فيها طائفة من السلف كمجاهد وغيره.

فانظر مدى دقة ابن تيمية حول رواية الإقعاد « رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه ويتلقونه بالقبول[٢].

وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال الا توقيفاً، لكن لا بد من الفرق بين ما ثبت من ألفاظ الرسول، وما ثبت من كلام غيره سواء كان من المقبول أو المردود»[٣].

ابن فورك يقر الإقعاد فهل تكفرونه؟

وحتى ابن فورك فانه روى رواية مجاهد أن الله يقعد محمداً ﷺ على العرش وجعل لها تأويلاً محتملاً - على عادته - وهو أن معنى (يقعده معه على العرش) أي بمعنى النصر والمعونة». فقد قال:

«فان قيل: فما تقولون فيما روي عن مجاهد أنه قال في تأويل قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قيل... يحتمل أن يقال إنه معه بمعنى النصر والمعونة» (مشكل الحديث وبيانه ٣٣٩). ثم قال « ولم ينكر إقعاد النبي ﷺ على العرش تأويلنا لفظة معه على ما يليق به من معنى النصرة والمعونة» (٣٩١). انتهى كلامه. فها هو ابن فورك يثبت الرواية ويصرح باعتقادها ولكن مع تأويل سائغ لها.

---

١) تفسير الطبري المجلد الثامن ٨ ١٥/٩٨-٩٩ والعلو للذهبي ١٢٤.

٢) ذكر أهل العلم أن الأسانيد الى مجاهد مدارها على الليث بن أبي سلمة.

٣) درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٣٧-٢٣٨.

ونقل الخفاجي في شرح الشفا عن الدارقطني في حديث: أن المقام المحمود للنبي ﷺ هو أن يُجلِسه معه تعالى على العرش ما نصه:

حديث النبوة عن أحمد	الى أحمد المصطفى مسنده
وجاء حديث بإقعاده	على العرش أيضاً فلا نُنكره
أمرّوا الحديث على وجهه	ولا تُدخلوا فيه ما يُفسده
ولَا تُنكروا أنه قائم	ولا تُنكَروا أنه يُقَعده

وهذه الأقوال مرجوحة، ولقد ثبت عن النبي ﷺ بسند صحيح أنه قال «المقام المحمود: الشفاعة» (١).

ومن الطريف أن الذين لا يؤمنون باستواء الله على العرش- وإنما يؤمنون باستيلائه عليه- تعتريهم هنا غيرة على العرش بعد أن نفوا أن يرتفع الله عليه كما قال مجاهد في البخاري.

١) أخرجه أحمد ٢/٤٧٨ والترمذي (٣١٣٧) وأبو نعيم ٨/٣٧٢.

الرفاعية والنقشبندية
يفضّلون قبر النبي ﷺ على العرش
ويزعمون علو مشايخهم فوق عرش الرحمن

وأهل البدع الصوفية يفضلون قبر النبي ﷺ على عرش الرحمن والكرسي بل والجنة أمثال محمد الصيادي الرفاعي [١] وقالوا إن قبره ﷺ أفضل من عرش الرحمن وكرسيه! فأي القولين أعظم ضلالة: إقعاده على العرش أو تفضيل قبره عليه؟

ويزعمون أن الله وضع ديكاً عند العرش اسمه (ديك العرش) وأن أبا الوفا (من كبار الرفاعية) كان ينظر اليه وهو جالس في مكانه ويأمر الناس بالنظر اليه وهو يصيح للصلاة من على العرش [٢].

وزعم الصيادي (كبير الرفاعية) أنه لما أُخرج آدم من الجنة جعل يبكي على فراق « الملائكة الصوفية» السبعين ألفاً: جُردٌ مُرد [٣] يرقصون حول العرش وجبريل رئيس الراقصين وميكائيل قوالهم (منشدهم) [٤] يقولون:

جل الملك ملكنا لولا الملك هلكنا

وزعم النقشبنديون (الذين يفخر بهم الحبشي وينتسب الى طريقتهم) أن أولياءهم يعرجون الى السماء بل ويرتفعون فوق عرش الرحمن متى يشاؤون. فقد نقلوا عن أحمد الفاروقي قوله « كثيراً ما كان يُعرج بي فوق العرش المجيد، فلما ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه (أي العرش) رأيت مقام الامام شاه نقشبند» أضاف « واعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي» [٥].

ولقد اطلعت على كثير من كتب التصوف ورأيت أكثرها يتضمن مثل هذه القصص التي يرفعون بها مشايخهم فوق عرش الله ويجعلون من كراماتهم ارتقاء العرش وتعديل ما في اللوح المحفوظ لتغيير الشقي سعيداً أو السعيد شقياً. ونسبة التصرف في الأكوان اليهم.

---

١) قلادة الجواهر ١٠٤ ضوء الشمس ١/ ١٧٦ الذخائر المحمدية ١٦١ و٢٠٦ لعلوي مالكي.

٢) ترياق المحبين ٤٢، روضة الناظرين للوتري ٢٧.

٣) جمع أمرد وهو الولد الذي لم تظهر لحيته بعد.

٤) قلادة الجواهر ١٨٥ الفجر المنير ٨٠.

٥) المواهب اللدنية ١٨٤ الأنوار القدسية ١٨٢.

كذبة الرسالة العرشية

وقد افترى عليه الحبشي وزعم أن كلامه موجود في الرسالة العرشية، وهو ما لم نجده فيه. ولذلك اضطر الى تقليد الكوثري جهمي العصر [١] في كذبه على ابن تيمية أنه تم مؤخراً حذفها من المطبعة في مصر [٢]، ونحن نتحداه بمخطوطات الرسالة العرشية [٣] التي كُتِبَت قبل القرن الذي ولد فيه الكوثري وليس فيها هذه الدعوى الكاذبة.

قال الحبشي « كان ابن تيمية يُخفي بعض كتبه عن عامة أتباعه لئلا ينقلب عليه أحد منهم ولكن أحدهم اطلع على أحد كتبه يقول في هذا الكتاب أن الله تعالى قاعد على الكرسي وترك موضعاً لمحمد ليُجلسه عليه في الآخرة وأن تلميذه ذهب بهذا الكتاب إلى أبي حيانَ فلما اطلع عليه لا زال يلعنه حتى مات» [٤].

وهذه كذبة باردة، فمتى كان ابن تيمية يستخدم هذه التقية وقد قال أمام أعدائه « أين يذهب بي أعدائي، أنا جنتي وبستاني في

---

١) وهو حنفي متعصب يصحح ما لا أصل له كحديث (ابو حنيفة سراج امتي) دفعه لذلك غلوه في ابي حنيفة حتى وصفه الغماري بـ (مجنون ابي حنيفة) (بدع التفسير١٨٠) قد تطاول على الصحابة حتى رمى انساً بالخرف وطعن في البخاري حتى نفى عنه ما وصفوه به بانه امير المؤمنين في الحديث وزعم أنه رجل متبجح ومن المتساهلين الذين لا يفرّقون شمالهم من يمينهم (انظر تأنيب الخطيب ٤٤-٤٥) والكوثري صاحب العنوان المزور (السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل) يعني ابن القيم وقد ساله الغماري عن اصل هذا الاسم فلم يُجب، وكان يدعي ان ابن تيمية كان يتقاضى خمسة دراهم مقابل كل فتوى يحل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال (ستُكتَب شهادتهم ويُسألون) وقد أعلن حسام الدين القدسي ناشر كتب الكوثري براءته من حقده الدفين وطعنه المطلق بالبشر (مقدمة القدسي لكتاب الانتقاء ٣) وقد أحسن من كشف ضلالاته في مجلد ضخم اسماه التنكيل لما عند الكوثري من الاباطيل. وقد صدر مؤخرا كتاب للشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري بعنوان "بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري" أثبت فيه طعن الكوثري في جملة من أئمة أهل العلم بدأ بالشافعي مرورا بأحمد. والكتاب بتحقيق أخينا الفاضل الشيخ علي عبد الحميد.

٢) إظهار العقيدة السنية ١٥٢ المقالات السنية ٢٥.

٣) موجودة في خزانة مخطوطات مركز الملك فيصل.

٤) إظهار العقيدة السنية ١٥١-١٥٢ الدليل القويم ٣٩.

صدري أينما ذهبت، أنا حبسي خلوة ونفيي سياحة وقتلي شهادة».

ويوم أن منعه السلطان أن يفتي بطلاق الثلاث قال: لا يسعني أن أكتم علماً. فلم يداهن ولم يتّق أحداً غير الله.

فأيهما أكثر شجاعة: إبن تيمية أم ذاك (...) الذي يرتمي هو وأتباعه بين أحضان الظالمين الذين يستخدمونه خنجرا في وجه الدعاة الى الله؟ قد أتوا به وطلبوا منه نشر عقيدة أهل سنته وجماعته المتضمنة للبدع والشرك وتكفير المسلمين والدفاع عن العلمانيين الذين ينبذون القرآن ويحكمون عوضاً عنه بقوانين البشر الوضعية. **وينصّبون أنفسهم محامين ومدافعين عن الحكّام بغير ما أنزل الله؟**

ومتى كان ابن تيمية يُخفي شيئاً عن الناس وقد وضع بين أيدي خصومه كتاب الواسطية وبيّن فيه عقيدته وأعطاهم مهلة ثلاث سنوات أن يجدوا فيه ما يخالف الكتاب والسنة فلم يستطيعوا معارضته.

لو فرضنا أنه قالها فإن مسألة إقعاد النبي ﷺ على العرش ليست ذاك السر الذي يحتاج ابن تيمية الى إخفائه فإن روايات الإقعاد قد ملأت بطون كتب الحديث حتى إن الخلال والطبري والسيوطي ساقوا عشرات الروايات منها واعتُبرتْ تفسيراً لقوله تعالى ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**﴾ غير أنها كما قلت لم ترتفع الى درجة الصحة وإنما صحت الروايات الى بعض التابعين الذين قالوا بها كمجاهد في أحد قوليه [1].

بل هو قول الجيلاني

قال الشيخ عبد القادر «إن أهل السنة يعتقدون أن الله يُجلس رسوله معه على العرش يوم القيامة [2]، غير أن عامة أهل السَنة والحديث كأحمد والذهبي منعوا هذا القول لعدم صحة السند فيه الى النبي ﷺ. ولكن من تمسك بهذه المسألة ظناً منه صحة الأحاديث الواردة فيه فلا يجوز تكفيره، وإلا كان المكفّر له شرّا منه وأقرب الى الحرورية الغلاة.

١) أنظر كتاب السنة للخلال (٢٤٤ و٢٥٠ و٢٥٣و و٢٦٨ و٢٧١و٢٧٢و٢٧٣.

٢) الغنية لطالبي الحق ٧١.

نسبة المخادعة الى ابن تيمية
يبطلها العيني وغيره

وزعم الأحباش أنه لما عقدوا مجلساً لابن تيمية احتال عليهم وزعم أنه أشعري. وأنا لم أجد أنه قال ذلك وإنما قال أنه على اعتقاد الشافعي فرضوا ذلك منه [1].

فأما إن ذكر أنه على اعتقاد الشافعي فأي كذب في ذلك فإنه بإثبات الصفات وعدم التأويل ونقد علم الكلام أقرب الى منهج الشافعي منهم. فإن الشافعي كان يحذر من علم الكلام وابن تيمية يوافقه، بينما الأحباش يلقبون الحبشي (إمام علم الكلام) وهو يؤوّل الصفات وقد قالوا: التأويل مذهب الخلف والإثبات مذهب السلف!

أما إن قال أنا أشعري المعتقد فأي كذب في ذلك وقد استقر أمر الأشعري رحمه الله على موافقة عقيدة أحمد بن حنبل، وشهد بذلك الأشاعرة المتقدمون كابن عساكر في التبيين والبيهقي والمتأخرون كالتاج السبكي في طبقاته والزبيدي في إتحافه وابن عذبة، وشهد بذلك غيرهم الذهبي وابن كثير [2].

فقوله (أنا أشعري) أفضل من قولكم: إننا أشاعرة بينما تخالفون الأشعري وتوافقون المعتزلة. فهو أقرب وأكثر موافقة مع عقيدة الأشعري منكم. فالأشعري في الحقيقة حنبلي المذهب في العقيدة أيها الأشاعرة.

وإن كنتم تعتبرون ذلك جبناً ومراوغة فهل تقولون ذلك في أبي الحسن الأشعري رحمه الله وقد حكى الكوثري أنه كان يقول للحنابلة (أنا حنبلي أنا على مذهب أحمد) وزعم الكوثري أنه كان يراوغهم بقصد التدرج بهم[3]!

---

١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٤/٤١١.

٢) تبيين كذب المفتري ١٥٠ و١٥٢-١٥٨ و٣٩٢ طبقات السبكي ٣/٩٩ الاعتقاد للبيهقي ٩٦ و١٠٩ اتحاف السادة المتقين ٢/٤ للمرتضى الزبيدي الخطط المقريزية ٣/٣٠٨ الروضة البهية ٥٣.

٣) تبيين كذب المفتري ١١٧-١١٨.

ابن تيمية الشجاع

ولم يزل بدر العيني يحكي مواقفه الشجاعة في حق سلاطين التتار كقوله لغازان ملك التتار فيما رواه ابن كثير عن الشيخ عبد الله بن قوام البالسي « أنت تزعم أنك مسلم وتقتل المسلمين وأبواك كانا كافرينْ ولم يفعلا ما فعلتَ، قد عاهدتَ فغدرتَ وقلت فما وفيتَ».

قال كلمة الحق ولم يخش الا الله عز وجل. قال: ثم قرّبوا طعاماً فأكلوا الا ابن تيمية فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكلُ من طعامكم وكلّه مما نهبتموه من أغنام الناس. ثم إن قازان الملك طلب منه الدعاء فقال ابن تيمية: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيّده، وملّكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلباً للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذلَّ الاسلام وأهله: فاخذُلْهُ وزلزله ودمّره واقطع دابره. قال: وكان قازان يؤَمّن على دعائه ويرفع يديه. قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفاً من أن تتلوث بدمه اذا أمر السلطان بقتله».

قال « فلما خرجنا من عند السلطان قال القاضي نجم الدين ابن صصري لابن تيمية: لقد كدتَ أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال: وأنا والله لَا أصحبكم. فانطلقنا وتأخر هو ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه طول الطريق. وهو سائر الى دمشق، وأما الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتار فسلبوهم عن آخرهم»[1].

ولما سمع بتقديس أهل دمشق لصخرة أخذ فأساً وكسرها [2]، ولذا وصفه الذهبي بأنه كان أمّاراً بالمعروف نهّاءً عن المنكر.

---

١) أنظر البداية والنهاية ١٤/٨٩ ومن أراد الوقوف على مواقفه الشجاعة يجدها في البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٧ و١٠ و١١ و١٢ ١٤-١٦ و١٩ و٢٤-٢٦ و٣٣-٣٥ و٤٣ و١٣٢).

٢) عقد الجمان ٢/٥١ و٨٦ و٣١٢.

مقارنة

بين موقف الرفاعية من التتار وبين موقف ابن تيمية

هناك فرق عظيم بين موقف ابن تيمية من التتار وبين موقف الرفاعية (سلف الحبشي) منهم، فإن سجل ابن تيمية مشرف حافل بالجهاد وتحريض ولاة المسلمين ضد التتار بل خروجه بنفسه مع طائفة من المخلصين لملاقاتهم، وكان بهذا العمل النبيل رمز العالم العامل الشجاع.

أما مواقف الرفاعية (سلف الحبشي) فتتسم بالخسة والخيانة. فقد كثر ترددهم على التتار وتقربهم اليهم بالأحاييل التي يسمونها (كرامات) وقد تولوهم طمعاً في هداياهم وأموالهم حتى قال الذهبي « قد كثر الزغل (الفساد) في أصحاب الطريقة الرفاعية، وتجدَّدتْ لهم أحوالٌ شيطانية منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيّات. قال « وهذا ما عرفه الشيخ أحمد الرفاعي ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان»[1].

وقول الذهبي «منذ أخذت التتار العراق» إشارة الى أنهم كانوا يوالون التتار الذين احتلوا العراق بإيعاز من زعماء الروافض الشيعة وقتلوا مليوني مسلم، فكانوا يتقربون الى ألتتار بتلك الأحاييل.

وكان التتار يعجبهم ما يفعله الرفاعية، ويجزلون لهم العطاء، فكانت إشارة من الذهبي إلى أن من يوالي أعداء الله: كيف يكرمه الله بالكرامات؟

وكذلك حمل عليهم الشيخ الألوسي فقال « وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة الا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها، فذكْرُهُم عبارة عن رقص وغناء والتجاء الى غير الله وعبادة مشايخهم. وَأعمالُهم عبارة عن مسك الحيات»[2].

---

١) العبر في خبر من غبر ٣/٧٥.

٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٣٧٠.

تحريف كلام الحافظ ابن حجر حول تنقيص علي

وقد زعم الحبشي أن الحافظ ابن حجر اتهم ابن تيمية بأنه كان ينتقص سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث كتب ردا على ابن المطهر الحلي. ثم حرف الحبشي النقل عن الحافظ فقال « وكم من مبالغة له لتوهين كلام الحلي أدت الى به أحيانا الى تنقيص علي رضي الله عنه» انتهى.

وهذا تلاعب بالنصوص: فان النص من النسخة المطبوعة التي أحال اليها الحبشي « وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحيانا الى تنقيص علي رضي الله عنه»[1].

فزاد الحبشي لفظ (له) ليؤكد أن الكلام عائد على ابن تيمية. وبدل كلمة (الرافضي) بكلمة الحلي ليزيد القارىء تأكيدا بأن الضمير ما زال يعود على ابن تيمية. واستبدل لفظ (أدته) الى (أدت به) ليؤكد أن الضمير ما زال يعود على ابن تيمية.

مفاجأة بعد الرجوع الى مخطوطة لسان الميزان

لقد رجعت الى مخطوطتين لكتاب لسان الميزان فاكتشفت ما يلي:

المخطوطة الأولى لا تتضمن ترجمة يوسف والد الحسن المطهر.

المخطوطة الثانية تتضمن:

- ترجمة يوسف (ابن) الحسن، وتم تصحيحها في المطبوع الى (والد) الحسن. وكأن مقحم هذا النص لم يتقن عمله.
- وفيها اضطراب ففيها أن يوسف هو شارح ابن الحاجب وأنه هو الذي رد عليه ابن تيمية. في حين أن ولده (الحسين) هو شارح ابن الحاجب. وهو الذي رد عليه ابن تيمية لا على أبيه. فالخلط والتحريف واضحان جدا فيمن يجري مقارنة بين ترجمة الابن (لسان الميزان ٣١٩/٢) وبين ترجمة والده يوسف (٣١٧/٦).

فهل الاب هو شارح ابن الحاجب أم ابنه؟

وهل الأب هو الذي رد عليه ابن تيمية أم الابن؟

إن مثل هذا الخطأ لا يمكن أن يكون صادرا عادة من ناقد حافظ عظيم كابن حجر مما يرجح أن تكون بعض الأيدي قد عمدت الى اقحام

---

١) المقالات السنية ط. جديدة ٢٠٠.

هذه الترجمة ولم يتقنوا تحريفهم فجعلوا يوسف والد الحسن هو شارح ابن الحاجب وهو الذي رد عليه ابن تيمية. ثم إن يوسف هذا ليس له عادة ترجمة خاصة.

أن النص في المخطوطة غير واضح ويتعذر قراءة هذه العبارة التي تتضمن التنقيص. ولا يسلم أنها تتضمن عبارة (وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي...). وقد تقدم صورة المخطوط[1].

وحتى النسخ المطبوعة حصل فيها خلط والتباس. ففي طبعة دار الفكر لفظ (ذاته) بدل (أدته). فهناك خلط واحتمال للتزوير ثم بياض طويل لا يدرى كيف انتهى الكلام فيه. الأمر الذي يجعل الاحتجاج بهذا النص في لسان الميزان ساقطاً.

وحينئذ نرجع الى صريح كلام الحافظ ابن حجر في ابن تيمية حيث كان يحتج بنقده العلمي لأدق المسائل وحكمه على الروايات والأحاديث وترجيحه للمسائل المختلف فيها. بل ونرجع الى صريح كلام ابن حجر في ابن تيمية كما أورده السخاوس في الجواهر والدرر. فقد سفّه فيه ابن حجر المتحاملين على ابن تيمية وأكد أنه يستحق الوصف بشيخ الاسلام.

○ أن السبكي كان حريصا على كشف أخطاء ابن تيمية وذكر رد ابن تيمية على الرافضي ولكنه أثنى على رد ابن تيمية على ابن المطهر ولم يحك لنا شيئا عن طعنه في علي رضي الله عنه. ولو وجد من ذلك شيئا لطار به واحتج به ضد ابن تيمية. فقد قال:

ولابن تيمية رد عليه وفيّ بمقصد الرد واستيفاء أضربه
لكنه خلط الحق المبين بما يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو أنى سار فهو له حثيث سير بشرق أو بمغربه
يرى حوادث لا مبدا لأولها في الله سبحانه عما يظن به

---

1) أنظر صفحة ١٠٤٠.

تمويهات الحوت

وقد قام كمال الحوت بعمل حيلة، فجمع بعض الرسائل والمقالات في كتاب أسماه (الرسائل السبكية) ثم غيّر اسم هذا الكتاب من (الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية) الى (التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني) وحذف منه رسالة السبكي في الرد على نونية ابن القيم، وزاد فيه رسالة احمد الكلابي في نفي الجهة في الرد على ابن تيمية.

وقام ببعض التغييرات الطفيفة في المقدمة أيضاً حتى بدا للناس أنه كتاب آخر مختلف عن الكتاب السابق، وهو رجل معروف بهذا النوع من العمل والشكوى تزداد منه يوماً بعد يوم، حيث إنه يأخذ كتب الآخرين يصورها وينشرها ويغير غلافها وعنوانها.

وقد ثبت تزويره حذفاً وإضافة حين كان يعمل بقسم التحقيق بدار (عالم الكتب) وقام بحذف بعض العبارات من كتاب للشيخ عبد الفتاح أبي غدة مما أدى الى طرده من الدار بعدما ظهر عدم أمانته.

الشيخ محمد بن درويش الحوت يعظم ابن تيمية ويحتج به

وتجاهل موقف قرابته من العلماء الشيخ محمد بن درويش الحوت الذي كان يحتج بحكم ابن تيمية على روايات الحديث كما في كتاب (أسنى المطالب، الصفحات التالية (٤١، ٨٩، ١١٨، ١٢٥، ١٨١، ٢٣٦، ٢٥٣، ٣٤١، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٩٩، ٤٣٥، ٤٥٢، ٥٦٦) كذلك كان يحتج بأقوال ابن القيم (صفحات ٨٩، ١٦٨، ٤٥٢).

أوَتَعلمت أيها الحوت من شيخك الحبشي ما جهله سلفك وقرابتك؟

واذا كان الحوت معظما لابن تيمية وتلميذه الأمر الذي يجعله يكثر من الاحتجاج بأقوالهما فهل يكون موافقا لعقيدة شيخك الحبشي كما زعمتم في مجلتكم المنار (٤٤/٥٤) أم مخالفا له؟

وهذه حيلة يراد بها التعطيل

ومن تمويهاته قوله «جمهور الأمة الاسلامية على تنزيه الله عن مشابهة الحوادث» (١).

○ نعم؛ التنزيه على طريقة أحمد وغيره من سلف الأمة بإثبات صفات الله إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل: فعلى الرأس والعين.

○ أما أن يقصد بالجمهور: جماهير الجهمية والمعتزلة وأفراخهم الذين يعبثون بصفات الله ويؤولونها على الوجه الذي يحلو لهم: فهو إلحاد مكسوٌ بكساء التنزيه كمن قال: إتخذوا من دعوى التنزيه جُنّةً ليصدوا بها عن إثبات ما وصف الله به نفسه ورسولُه ﷺ.

فالمعتزلة قبلكم كانوا يرون طريقة أحمد باطلة وكانوا يرونه مشبهاً ويزخرفون باطلهم بدعوى التنزيه، وكان الجهمية يدندنون حول التنزيه عن التشبيه أكثر منكم. وكان جهم أول المستائين من آية الاستوَاء والمجيء واليدين وحديث النزول.

١) التوفيق الرباني ٧ الرسائل السبكية ١٥.

هل كان سجنه دليلا على فساد عقيدته؟

وأما صورة مرسوم ابن قلاوون في ابن تيمية ودندنتكم حول موت ابن تيمية في السجن وقولكم يكفيكم دليلا على ضلاله: رميه في السجن حتى مات فيه.

فلا تغرنكم المراسم السلطانية الصادرة من السلاطين ضد العلماء ولا تعوّلوا عليها، فقد وقع لغيره من كبار العلماء نظير ما وقع له.

- فقد صدر مرسوم سلطاني ضد احمد بن حنبل يشبه مرسوم ابن قلاوون في ابن تيمية، وأتوا به مكبلا الى الخليفة المأمون، وتعرض للضرب ولم يمنعه ذاك من الثبات على الحق والصبر على الأذى في الله.
- وكذلك فعلوا بمالك حين تعرض للضرب من قبل المنصور.
- وقاسى البخاري من أهل عصره حتى أخرجوه الى مدينة خرتنك فمات بها.
- وقاسى ابو حنيفة من الحبس والضرب حتى مات وهو في السجن.
- وقاسى الشافعي من أهل مصر لما ادعى الاجتهاد المطلق.
- ومن قبلهم فعلوا بسعيد بن المسيب وبسعيد بن جبير وبالحسن البصري كما في السير.

فلو كان تعَرُّضُ العلماء لاضطهاد السلاطين وظلمهم دليلا على فساد معتقدهم لما بقي لنا عالم واحد، إذ ما منهم إلا وقد نال نصيبه من أذاهم إلا من كان موالياً أو شيطاناً أخرس. فكيف وقد علمتم أن البلاء الذي وقع فيه ابن تيمية كان بسبب وشاية أبي نصر المنبجي به الى السلطان بيبرس الجاشنكير. وذلك أن ابن تيمية بلغه تعظيم المنبجي لابن عربي وشيوع القول بوحدة الوجود بين أتباعه، فأنكر عليه ابن تيمية، مما دفع بالمنبجي الى تسليط السلطان ضده كما حكاه بدر الدين العيني [1].

---

1) عقد الجمان ٤/٤٦١.

زعمه أنه طعن بعلي رضي الله عنه

قال الحبشي « وابن تيمية هذا طعن في علي بن أبي طالب وقال إن حروبه أضرت بالمسلمين». ثم انتهى إلى أن ابن تيمية يحرف القرآن» [1]. وللجواب على ذلك نقول:

١) أن ابن تيمية لم يقل ذلك ومن ادعى شيئاً من ذلك فعليه الدليل. ولقد طالب الألوسيُ ابنَ حجر الهيتمي بالدليل على ذلك من كتبِ شيخ الاسلامِ. فلماذا لا يشير الحبشي الى الموضع الذي سب فيه ابنُ تيمية عليَ بنَ أبي طالب؟

○ ويوم أن اتهموا الطبري بالتشيع وزعموا أنه أجاز مسح الرجلين في الوضوء: ردّ الذهبي على ذلك قائلا «ولم نر ذلك في كتبه» [2]. ونحن نطالبكم بالدليل على الطعن المزعوم المنسوب الى شيخ الاسلام.

○ ولقد ذكر ابن كثير كيف قُبض على أحد أعداء ابن تيمية وقد زوّر عليه كتاباً فقطع السلطان يده هو ومن تواطؤا معه على ذلك [3] فما يمنع أن تكون هذه الرسالة المزعومة مدسوسة عليه لا سيما وأنك تقرأ من كتبه المنتشرة ما يخالفها.

٢) إن الحبشي لا يملك أي مستند يدعم به فريته، ولهذا لا يملك إلا أن يقول: إن ابن تيمية كتم معتقده هذا ولم يظهره في كتبه التي بين أيدينا، ولكن كيف توصل الحبشي الى معرفة ذلك؟ ألعله اطلع على كلامه النفسي ففهم ما في نفسه من المعاني.

إنه تارة يفتري لابن تيمية رسالة عرشية غير التي بأيدينا، ويدافع عن ابن عربي تارة أخرى فيدعي وجود نسخة للفتوحات المكية ليس فيها الكلام الكفري الموجود في النسخة المتداولة. وهكذا هوىً متبع، من غير دليل.

ثم جاء صاحب كتاب التوفيق (٨٥-٨٩) وتحت عنوان (افتراؤه على الامام علي) جعل ينقل عن الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة (١/ ١١٤) ما يظنه دليلا على طعن ابن تيمية بعلي رضي الله عنه، ثم نقل عن مواضع عديدة من كتاب منهاج السنة لشيخ الاسلام يستدل بها بزعمه

---

١) شريط ١٣ الوجه الأول ٩٤.
٢) سير اعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٧.
٣) البداية والنهاية ١٤/ ٢٢.

على مسألة الطعن. وقد كان في ذلك ملبساً للحق بالباطل، ونحن سنرى خيانته وتلبيسه وكيف حرّف عبارات شيخ الاسلام وشوّهها.

نماذج من تحايل هذا الرجل

- ذكر في (ص ٨٩) من كتابه عن ابن تيمية قوله « علي رضي الله عنه كان عاجزاً عن قهر الظلمة من العسكرَيْن. ولم تكن أعوانه يوافقونه على ما يأمر به، وأعوان معاوية يوافقونه. وكان يرى أنه لم يحصل المطلوب بالقتال... الى أن قال: فأئمة السنة يعلمون أنه ما كان القتال مأموراً به ولا واجباً ولا مستحباً ولكن يعذرون من اجتهد فأخطأ [١].

- وقال في (ص ٨٥) « وقد ذكر ابن تيمية في حق علي في كتاب منهاج السنة (٢٠٣/٢) ما نصه: وليس علينا أن نبايع عاجزاً عن العدل علينا، ولا تاركاً له. فأئمة السنة يسلّمون أنه ما كان القتال مأموراً به ولا واجباً ولا مستحباً».

- وقال في (ص ٨٩) وانظر الصحيفة (٢٠٤) يقول فيها: « فإن قال الذابّ عن علي: هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاة فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لعمار رضي الله عنه : « تقتلك الفئة الباغية» وهم قتلوا عماراً.

فههنا للناس أقوال:

منهم من قذف في حديث عمار.

ومنهم من تأوله على أنه الباغي الطالب [٢] وهو تأويل ضعيف.

وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم كأبي حنيفة ومالك وغيرهم: لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية.

قلت: قد صرح المرتضى الزبيدي بهذا فانظره [٣].

وقال المتجني (ص ٨٩) « مرادنا من هذا الكلام تبيين أن علياً هو الخليفة الواجب الطاعة وأن مخالفيه بغاة. فكيف يقول هذا السخيف

---

١) منهاج السنة ٢/٢٠٢-٢٠٣.

٢) قال شيخ الاسلام في المنهاج (٢/٢١٠-٢١١) « وأما تأويل من تأوله أن علياً وأصحابه قتلوه وأن الباغي: الطالب بدم عثمان: فهذا من التأويلات الظاهرة الفساد للعامة والخاصة).

٣) اتحاف السادة المتقين ٢/٢٢٥.

[اي ابن تيمية] أنه ما كان القتال مأموراً ولا واجباً ولا مستحباً، وأنه لم يحصل للمسلمين فيه مصلحة لا في دينهم ولا في دنياهم. فهذا فيه مخالفة للأحاديث التي أوردناها، أليس هذا ذماً بعلي؟!

قلت: لعله لم يطلع على ما قاله ابن الهمام في المسايرة من أن كثيرا من العلماء ذهبوا الى أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة بل ظلمة وقتلة وعتاة لعدم الاعتداد بشبهتهم[1]. ففرق بين البغي وبين غيره.

الجواب عن شبهات الحوت

على القارىء الكريم أن يقارن ما نقله هذا الظالم بكلام شيخ الاسلام ابن تيمية ليرى خيانته في النقل مع ادعائه أنه نقل كلامه نصاً وحرفاً: راجع النصوص الثلاثة الأولى المقتطعة المختزلة [2].

ثم اقرأ ما كتبه شيخ الاسلام رداً على ابن المطهر الحلّي الرافضي بنصه « ... وعسكر معاوية يعلمون أن علياً أفضل وأحق بالأمر منه. ولا ينكر ذلك منهم إلا معاند أو من أعمى الهوى قلبه. ولم يكن معاوية قبل تحكيم الحكمين يدعي الأمر لنفسه، ولا يتسمّى بأمير المؤمنين، وإنما ادعى ذلك بعد حُكم الحَكَمَيْن، وكان غير واحد من عسكر معاوية يقول له: لماذا نقاتل معك علياً وليس لك سابقته وفضله ولا صهره وهو أولى بالأمر منك؟! فيعترف لهم معاوية بذلك، ولكن قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر علي فيهم ظلمة يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان، وأنهم يقاتلونهم دفعاً لصيالهم عليهم، وقتال الصائل جائز. ولهذا لم يبدأهم بالقتال حتى بدأهم أولئك.

ولهذا قال الأشتر النخعي: إنهم ينصرون علينا لأنا نحن بدأناهم بالقتال، وعلي رضي الله عنه كان عاجزاً» [3] عن قهر الظلمة من العسكريين، ولم تكن أعوانه يوافقونه على ما يأمر به. وأعوان معاوية يوافقونه. وكان يرى أن القتال يحصل به المطلوب، فما حصل به إلا ضد المطلوب. وكان في عسكر معاوية من يتهم علياً بأشياء من الظلم هو بريء منها. وطالب الحق من عسكر معاوية يقول: لا يمكننا أن نبايع إلا من يعدل علينا ولا يظلمنا، ونحن إذا بايعنا علياً

---

1) اتحاف السادة المتقين ٢/٢٢٥.
2) دعوة شيخ الاسلام واثرها في الحركات الاسلامية المعاصرة ص ٣٥٢.
3) هذه خلاصة رأي عسكر معاوية رضي الله عنه ولكن الظالم حاول إيهام القارىء بأنه من رأي شيخ الاسلام ابن تيمية.

ظلمنا عسكره كما ظلموا عثمان. وعليّ إما عاجزٌ عن العدل علينا أو غير فاعل لذلك: وليس علينا أن نبايع [1] عاجزاً عن العدل علينا ولا تاركاً له.

فأئمة السنة يعلمون أنه ما كان القتال مأموراً به لا واجباً ولا مستحباً ولكن يعذرون من اجتهد فأخطأ».

« وقوله (أي الرافضي) وقاتل (أي معاوية) علياً وهو عندهم رابع الخلفاء إمام حق، وكل من قاتل إمام حق فهو باغٍ ظالم. فيقال له:

أولا: الباغي قد يكون متأولاً معتقداً أنهُ على حق. وقد يكون متعمداً يعلم أنه باغ، وقد يكون بغيه من شبهة أو شهوة وهو الغالب».

« وعلى كل تقدير: فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة فإنهم لا ينزّهون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلا عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد. بل يقولون: إن الذنوب لها أسباب: تدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفّرة. وهذا أمر يعمّ الصحابة وغيرهم...».

الى أن قال: « أما الرافضي فإذا قدح في معاوية رضي الله عنه بأنه كان باغياً ظالماً قال له الناصبي [2]. وعلي أيضاً كان باغياً ظالماً قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتال وصال عليهم وسفك دماء الأمة بغير فائدة لا في دينهم ولا في دنياهم. وكان السيف في خلافته مسلولاً على أهل الملة ومكفوفاً عن الكفار.

والقادحون في علي طوائف: وكلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون. وخطأ الشيعة في القدح بأبي بكر وعمر: أعظم خطأ في من أولئك في علي.

وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم: لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية: فإن الله لم يأمر بقتالها إبتداءً، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يصلح بينهما ثم إن بَغَتْ إحداهما على الأخرى قوتلت التي تبغي، وهؤلاء قوتلوا ابتداءً قبل أن يبدأوا بقتال».

---

١) هذا من كلام عسكر معاوية ولكن الظالم أوهم القارىء بل خدعه بأنه من كلام ابن تيمية.

٢) هذا الكلام عبارة عن جدال مفترض بين رافضي وناصبي قادح في علي: وليس هو من كلام ابن تيمية، ولذلك قال بعدها ابن تيمية: والقادحون في علي طوائف: وكلهم مخطئون.

« ومذهب أبي حنيفة وأحمد وغيرهما أن مانعي الزكاة: إذا قالوا نحن نؤديها بأنفسنا ولا ندفعها الى الإمام لم يكن له قتالهم.

ولهذا كان هذا القتال عند أحمد وغيره كمالك قتال فتنة. وأبو حنيفة يقول: لا يجوز قتال البغاة حتى يبدأوا بقتال الإمام: وهؤلاء لم يبدأوا بل الخوارج بدأوا به. وقتال الخوارج ثابت بالنص والاجماع» [١] انتهى.

فهذا نص شيخ الاسلام ابن تيمية الذي ردّ به على افتراءات الرافضي الحلّي، ثم قارنْه مع النص الثالث المتقدم الذي نقله عنه هذا الظالم مختزلا ليثبت أنه كان يذم علياً رضي الله.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية « قال الرافضي : وقال (أي عمر) بالرأي والحدس والظن.

والجواب أن القول بالرأي لم يختص به عمر رضي الله عنه بل علي كان من أقولهم بالرأي وكذلك أبو بكر وعثمان وزيد وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنه كانوا يقولون بالرأي.

وكان رأي علي في دماء أهل القبلة من الأمور العظام كما في سنن أبي داود وغيره عن الحسن عن قيس بن عبّاد قال: قلت لعلي: أخبرنا عن مسيرك هذا أعهد عهده اليك رسول الله ﷺ أم رأيٌ رأيتَه[٢]؟

بل روى الأحاديث الصحيحة هو وغيره من الصحابة في قتال الخوارج المارقين».

« وأما قتال الجمل وصفين فلم يروِ أحد منهم فيه نصاً إلا القاعدون. فإنهم رووا الأحاديث في ترك القتالَ في الفتنة.

وأما الحديث الذي يُروى أنه أُمِرَ بقتال الناكثين والقاسطين

---

١) منهاج السنة ٢/٢٠٣-٢٠٥.

٢) سنن ابي داود (٤٦٥٨).

والمارقين فهو حديث موضوع على النبي ﷺ [١]».

« ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذموماً فلا لوم على من قال به. وإن كان مذموماً فلا رأي أعظم ذماً من رأيٍ أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين. ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم: بل نقص الخيرُ عما كان، وزاد الشر على ما كان.

فإذا كان مثل هذا الرأي لا يُعاب به : فرأيُ عمرَ وغيره في مسائل الفرائض والطلاق أولى أن لا يعاب.

مع أن علياً شركهم في هذا الرأي وامتاز برأيه في الدماء.

وقد كان ابنه الحسن وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة وكان هذا الرأي أصلح من رأي بالدلائل الكثيرة» [٢] انتهى.

وقد ردّ شيخ الاسلام على ابن المطهر الحلي الرافضي حين عاب عمرَ رضي الله عنه بالرأي والحدس والظن، ولكن هذا الظالم تلاعب بالنص ونقله مقطوعاً عما قبله وبعده:

حاول هذا الكاتب الظالم تنفير الناس عن شيخ الاسلام، بعدما نقل عنه نقلا مشوهاً واستدل به على ذم علي بن ابي طالب رضي الله عنه. عليه من الله ما يستحق

منزلة علي رضي الله عنه عند ابن تيمية

وغير خاف على من له إلمامٌ بكتب شيخ الاسلام أنها مليئة بالدفاع عن آل بيّت النبي ﷺ وعلى رأسهم علي بن أي طالب رضي الله عنه.

ومن نصوص شيخ الاسلام في فضل علي بن ابي طالب رضي الله عنه الفاضحة لتزوير هذا الظالم:

قال ردأ على الرافضي: « والرافضة لا يمكنهم أن يثبتوا وجوب موالاته (أي علي) كما يمكن أهل السنة، وأهل السنة متفقون على ذم الخوارج الذين هم أشد بغضاً له وعداوة من غيرهم.

وأهل السنة متفقون على وجوب قتالهم. فكيف يفتري المفتري

---

١) اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٤١٠/١.

٢) منهاج السنة ١٥٦/٣.

بأن مدح هذا (أي معاوية) لبغضه علياً وذم هذا لمحبة عليّ مع أنه ليس من أهل السنة من يجعل بغض علي طاعة ولا حسنة ولا يأمر بذلك ولا من يجعل مجرد حبه سيئة. ولا معصية ولا ينهى عن ذلك.

وكتب أهل السنة من جميع الطوائف مملوءة بذكر فضائله ومناقبه وبذم الذين يذمونه من جميع الفرق.
وهم ينكرون على من سبّه وكارهون لذلك.

وما جرى من التسابِّ والتلاعن بين العسكريْن من جنس ما جرى من القتال وهم من أشد الناس بغضاً وكراهة لأن يتعرض له بقتال أو سب. **بل هم كلهم متفقون على أنه أجلّ قدراً وأحق بالإمامة وأفضل عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من معاوية وأبيه وأخيه الذي** كان خيراً منه.

وعلي هو أفضل ممن هو أفضل من معاوية، فالسابقون الأولون الذين بايعوا تحت الشجرة كلهم أفضل من الذين أسلموا عام الفتح، وفي هؤلاء خلق كثير أفضل من معاوية. وأهل الشجرة أفضل من هؤلاء كلهم.
وعلي أفضل جمهور الذين بايعوا تحت الشجرة، بل هو أفضل منهم كلهم إلا الثلاثة. فليس في أهل السنة من يقدِّم عليه أحداً غير الثلاثة» [1]. يعني أبا بكر وعمر وعثمان.

كلمة أخيرة

أخبرونا: أين الطعن في علي الذي تزعمونه؟ لماذا التمويه على العامة من الناس؟

إن هذه النصوص تفضح كذب من يجعلون كلام عسكر معاوية كلام ابن تيمية، بينما يعرضون عن صريح نصوص ابن تيمية التي يثني فيها على علي رضي الله عنه اتباعاً للهوى وإيثاراً للظلم والتجني.

---

١) منهاج السنة ٢/٢٠٦.

اتهامه بتحريم التوسل مطلقاً

قال الحبشي « ومن أشهر ما صح عن ابن تيمية بنقل العلماء المعاصرين له: تحريمه التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم وفي حياتهم، وتحريم زيارة النبي ﷺ. قال السبكي « ولم يسبق ابن تيمية في إنكاره التوسل أحد من السلف ولا من الخلف، بل قال قولا لم يقله عالم قط» [1].

وهذا الكلام الذي وضعت لك تحته خطاً هو محض افتراء، فإن ابن تيمية لم يحرم التوسل بالنبي ﷺ في حياته، بل أثبته محتجاً بحديث الأعمى الذي طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، لكنه حرم التوسل به ميتاً واحتج بترك الصحابة التوسل به بعد موته كتوسل عمر بالعباس وتوسل معاوية بيزيد بن الاسود [2] مما يستنتج منه أن المفهوم المتأخر للتوسل ينافي فهم السلف له، حيث فهموا منه التوسل بدعاء المتوسَّل به لا بشخصه. وقد كانوا في حياته ﷺ يأتونه ويطلبون منه أن يدعو الله أن يسقيهم.

ولابن تيمية في هذا الفهم الصحيح سلف: فقد سبقه بذلك ابو حنيفة واحمد في احد قوليه، وهذا يبطل ادعاء السبكي أنه لم يسبق أحدٌ ابنَ تيمية في موقفه من التوسل. ويكفيك أن تتطلع على هذه الفقرة وفيها:

○ جاء في الدر المختار [3] وهو من أشهر كتب الحنفية ما نصه « عن أبي حنيفة قال: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به: هو ما استفيد من قوله تعالى ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾.

○ وقال أبو حنيفة « وأكره أن يقول : بحق فلان أو بحَق أنبيائك ورسلك» [4]. وقال أبو يوسف « لا يُدعى اللَّهُ بغيره». وقال المرتضى الزبيدي « وقد كره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل: أسألك بحقّ فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، إذ ليس لأحد على الله حق»[5] وذكر الآلوسي أن نصوص علماء المذهب تدل على أن الكرا[هة] للتحريم وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد [6].

وأما حديث «أسألك بحق السائلين عليك» ففيه عطية العوفي [في] روايته وهن.

---

(1) المقالات السنية ٢٦.

(2) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٩٢ و٤٩ و١٢٦.

(3) ٢/٦٣٠ونقله القدوري وغيره عن أبي يوسف.

(4) الفتاوى الهندية ٥/٢٨٠.

(5) إتحاف السادة شرح إحياء علوم الدين٢/٢٨٥.

(6) جلاء العينين ٤٥٢.

هل حرّم ابن تيمية زيارة القبور؟

وأما زعم السبكي وغيره أن ابن تيمية كان يرى المنع من زيارة قبر النبي ﷺ فإن ابن تيمية لا يحرم زيارة القبور ولا قبر النبي ﷺ، كيف وقد كتب كتابا بعنوان (الرد على البكري واستحباب زيارة قبر خير البرية)؟ ومن نقل خلاف هذا فليأت بدليل من كتب الشيخ. وإنما منع شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة، ومأخذُه النص؟!

واحدة بواحدة !!!

ونحن نذكّر الحبشي بقوله حين صرف الناس عن الزكاة قائلا «كيف تنكرون على الشافعي ومالك فتواهما بعدم الزكاة في غير الذهب والفضة ومأخذهما النص»[١].

ونحن نستخدم عبارته هذه ونقول: كيف تُنكر على ابن تيمية فتواه بتحريم شد الرحال الى غير المساجد ومأخذهَ النص؟ وهو قول النبي ﷺ «لا تُشدُ الرحال إلا إلى ثلاث: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا»[٢].

وابن تيمية لم يتفرّد بهذا القول بل قاله الامام الجويني وهو من كبار أصحاب المذهب الأشعري، كما حكاه عنه النووي [٣] وحكاه المناوي عن القاضي عياض والقاضي حسين في تحريم شد الرحال لمجرد زيارة القبر [٤].

ولئن كان النووي قد تعقب الجويني وخالفه فإن اعتراضه مردود بموقف الامام مالك الذي كان يرى تحريم شد الرحال الا الى المساجد الثلاث تمسكاً بالحديث النبوي.

---

١) بغية الطالب ١٦٠.

٢) رواه البخاري (١١٨٩) و(١٨٦٤) و(١١٩٧) ومسلم (٨٢٧).

٣) النووي على مسلم ٩/١٠٦و١٦٨.

٤) فيض القدير ٦/٤٠٣.

اكذوبة تحريم زيارة القبر النبوي

وقد دافع ابن كثير عن هذا الافتراء قائلا « فانظر الى التحريف على شيخ الاسلام فانه. جوابه ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر الى مجرد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شد رحال شيء: وشد الرحل لمجرد الزيارة أمر آخر. والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها ويندب اليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض الى الزيارة ولا قال إنها معصية ولا حكى الاجماع على المنع منها ولا هو جاهل قول النبي ﷺ « زوروا القبور فإنها تذكّر الآخرة»[1]. بل صرح بأن السفر لزيارة مسجد النبي ﷺ وقبره معاً مستحب ويدخل القبر تبعاً [2].

وجوب التفريق بين الزيارة وبين شد الرحال

وإنما قال ﷺ « لا تُشَدُّ الرِّحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» ولم يقل « وقبري هذا» والحديث نصٌ في تحريم شد الرحال الى القبور» [3].

- نعم قال الحافظ العسقلاني أن تحريم زيارة قبر النبي ﷺ من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية [4].

- قلت بل من المسائل المكذوبة عليه، ولا يفيد قول الحافظ العسقلاني له ولكن عموم كلامه يدل على أنه لا يزال له قدره ومنزلته عنده لا سيما وأنه وصفه بالعلاّمة في (فتح الباري ٦/٢٨٩) وبـ « الحافظ» كما في (التلخيص الحبير) كما سيأتي واحتج به في الحكم على كذب رواية (وهو الآن على ما عليه كان) وأنها ليست في شيء من كتب الحديث.

---

1) البداية والنهاية ١٤/١٢٤.
2) الرد على الاخنائي ١٧٢-١٧٣.
3) البخاري (١٩٩٥) ومسلم (١٣٣٨).
4) فتح الباري ٣/٦٦.

الحافظ يعطيه رتبة حافظ
فخذوه حيث حافظ عليه نص

بل أعطاه ابن حجر رتبة (((حافظ))). فقد ذكر في (التلخيص الحبير ١٠٩/٣) حديث (الفقر فخري وبه أفتخر) ثم قال « وهذا الحديث سئل عنه **الحافظ** ابن تيمية فقال: إنه كذب لا يُعرف في شيء من كتب المسلمين المروية».

والتحريم المزعوم لزيارة قبره ﷺ انما هو شيء ألزمه به أعداؤه كما اعترف بذلك الحافظ نفسه. وكان السبكي واحداً من أبرز الملزمين له بذلك حين زعم أنه يحرّم زيارة قبر النبي ﷺ مع علمه أنه يحرّم شد الرحال اليه ولا يحرّم مجرد الزيارة.

- فقد أكد أن زيارة المسجد النبوي الشريف (ثم) زيارة القبر النبوي عمل صالح ومستحب [1]، جلّ ما في الأمر أنه يفرق بين الزيارة الشرعية وبين الزيارة البدعية التي تتضمن إما السفر من أجل القبر وإما المخالفات التي تُرتكب عند القبر من تقبيل الجدران والاستغاثة به ﷺ أو أن يكشف ضرّاً أو يقضي حاجة. وحصول الخشوع والإقبال على الدعاء لمجرد الوقوف عند القبر بما لا يحصل مثله بين يدي الله في الصلاة». قال:

« فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له، سواء أكان نبياً أو غير نبي، ولهذا كان الصحابة **إذا زاروا قبر النبي** ﷺ يسلّمون عليه، ويدعون له ثم ينصرفون، ولم يكن أحد منهم يقف عند قبره ليدعو لنفسه، وقال « وقد اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين من الصحابة وأهل البيت أنه لا يتمسح به ولا يقبّله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر قال «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبّلتُك».

أضاف:

« ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركنَيْ البيت ولا مقام ابراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين « فهذه هي الزيارة البدعية وهي من جنس دين النصارى وهو أن يكون قصد الزائر أن يُستجاب دعاؤه عند القبر أو أن يدعو الميت أو يقسم به على الله في طلب حاجاته وتفريج كرباته،

---

١) الجواب الباهر ١٤.

فهذه من البِدَع التي لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها أصحابه»[1].

قال:

« وأما **زيارة القبور المشروعة** فهو أن يسلم على الميت ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته كما كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين...»[2].

وبهذا يتبين لك غلط السبكي وأمثاله على ابن تيمية حيث نسبوا اليه ما ثبت خلافه من كلامه، وسارعوا الى ركوب أهوائهم من غير أن تثبت. ولهذا صرح الحافظ ابن حجر أن تحريم زيارة قبره ﷺ من المسائل المنسوبة الى ابن تيمية.

أما قوله (مستشنع) فليس فيه مذمة، فقد قال بعض أهل العلم إن مسألة التزوج بالبنت من الزنا من أبشع المسائل المنقولة عن الشافعي وأن جواز التيمم بالثلج من أبشع المسائل المنقولة عن مالك وان تزوج المغربي من المشرقي (وبالعكس) ثم ولدت الزوجة ولداً يلحق بالأب وإن لم يجتمع الزوجان قط: من أبشع المسائل المنقولة عن أبي حنيفة.

الجويني سبق ابن تيمية بهذه الفتوى

وقد تحدى الحبشي أن يكون أحد من السلف أو الخلف سبق ابن تيمية بتحريم زيارة قبر النبي ﷺ[3]، ونحن نتحداه أن يأتي بدليل من كلام ابن تيمية يحرّم فيه زيارة قبر النبي ﷺ، أما تحريم شد الرحال الى القبر فقد سبقه الى ذلك الإمام الحرمين كما حكاه عنه النووي والمناوي[4].

وقال الامام مالك قبلهما «أكره أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ» ولا يعني هذا تحريم زيارة قبر النبي ﷺ وإنما تحريم السفر من أجله تمسكاً بالحديث. ويجب التفريق بين زيارة القبر وبين شد الرحال اليه لا كما يفعله الشيعة. وحاشا مالكاً أن يكون بذلك مخالفاً للإجماع وهو أعلم أهل زمانه. فإنه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه كان يأتي من سفر للقدوم على قبر النبي ﷺ الا ما كان من فعل ابن عمر. وقد جاء في مصنف عبد الرزاق عن عبيد الله بن عمر أنه قال: ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك الا ابن عمر».

---

1) كتاب الزيارة ١٣-١٤.

2) كتاب الزيارة ٨١-٨٨.

3) المقالات السنية ١٣٧.

4) فيض القدير ٦/٤٠٣ وشرح مسلم ٩/١٠٦و١٦٨.

○ ولقد بيّن ابن تيمية أمراً مهماً تجب ملاحظته وعدم إغفاله وهو أن أول من وضع الأحاديث المكذوبة في السفر لزيارة المشاهد (أضرحة الأئمة والأولياء) هم أهل البدع الرافضة **الذين يعطلون المساجد** ويعظمون المشاهد: يتركون بيوت الله التي أمر أن يذكر فيها اسمه، ويعظمون المشاهد التي يشرك عندها به، **والكتاب والسنة جاءا بتعظيم المساجد لا المشاهد**. قال تعالى ﴿**وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد**﴾ وليس عند كل ضريح أو مقام.

الشرك المجرب وليس الترياق المجرب

أما روايات الحبشي المظلمة التي يزعم فيها أن « قبر معروف الكرخي: الترياق المجرب» فما أظلم وأكذب أسانيده في العقائد التي نقض بها ما تعهد به، أنه لا تجوز الرواية في أمور العقائد الا بما صح سنده، ولئن كان هذا الترياق مجرّباً فما بال الصحابة لم يجربوا (ترياق) قبر رسول الله ﷺ؟!! لماذا تدافعون عن شيء هلك به المشركون وبنوا لأجله الأصنام؟

إنكم لن تجدوا في أفعال الصحابة ما يوافق ذلك اللهم الا الشيعة ومن قبلهم اليهود والنصارى ومن قبلهم قوم نوح الذين كانوا يعتبرون قبور ود وسواع ويغوث ويعوق ونِسر: **هي الترياق المجرب. أعني الشرك المجرب: هم سلفكم: يا خلفهم!**

أما قول ابراهيم الحربي (الترياق المجرب» فهو أولى عندكم بالأخذ من قول النبي ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى: إتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد». تعارضون ما صح سنده عن النبي ﷺ بهذه الأكاذيب المروية عن غير المعصومين!!!

منهجية السبكي في اثبات الزيارة
ومصادره في هذه المسالة

○ ولم يلتفت السبكي الى تفريق ابن تيمية بين مجرد زيارة قبر النبي ﷺ وبين شد الرحال اليه، فكتب كتاباً بعنوان « شفاء السقام في زيارة خير الأنام» ملأه بالموضوع والمكذوب من الروايات.

وقد رد عليه الحافظ بن عبد الهادي وفند جميع رواياته الضعيفة في كتاب بعنوان (الصارم المنكي في الرد على السبكي) قال فيه:

«أما بعد فإني وقفت على هذا الكتاب فوجدته كتابا مشتملا على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة»[١].

وصرح الحافظ بأن طرق حديث « من زار قبري» كلها ضعيفة ونقله عن ابن خزيمة أنه لم يصح حديث في هذا الباب [٢].

منهجية السبكي في رد ابن تيمية

غير أن السبكي لم يلتفت الى تفريق ابن تيمية وكتب كتاباً بعنوان « شفاء السقام في زيارة خير الأنام» مع أنه نقل فيه عنه التفريق بين الزيارة البدعية والزيارة الشرعية [٣].

ويا ليت السبكي لم يكتب هذا الكتاب، فقد ملأه بالموضوع والمكذوب من الروايات، فكشف بكتابه هذا عن مدى علاقته بفن الحديث. ودافع الحبشي بدوره عن هذه الروايات بتعصب وانحراف بالغين[٤].

وقد اقترح السبكي أن يسمي كتابه « شن الغارة على من أنكر الزيارة» لكن سلاحه لا يصلح لشن الغارة لأنه ضعيف لم يزد خصمه الا رسوخاً وثباتاً فضلا عن أن زعمه أن خصمه أنكر الزيارة هو ظلم كبير لا سيما اذا علم أن لابن تيمية كتاباً اسمه « الرد على البكري واستحباب زيارة قبر خير البرية».

---

١) الصارم المنكي في الرد على السبكي ١٨-١٩.
٢) أنظر لسان الميزان ٢٥٨/٦ وميزان الاعتدال ٢٢٥/٤.
٣) شفاء السقام ١٢٩.
٤) أنظر كتابه المقالات السنية ص ١٣٩.

وقد رد الحافظ ابن عبد الهادي على كتاب السبكي المذكور قائلا «أما بعد فإني وقفت على هذا الكتاب فوجدته كتاباً مشتملا على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة» [١].

ويكفي اليوم في الرد على السبكي: مجرد تخريج الأحاديث التي حشاها في كتابه ليتعرّف المنصف على صدق كلام ابن عبد الهادي وعلى ضعف السبكي في علم الحديث، وعلى تعصبه وعدم إنصافه لابن تيمية، ولنذكر بعضاً من هذه الأحاديث من غير توسع في تخريجها:

- « من زار قبري وجبت له شفاعتي» [٢].
- « من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً» [٣].
- « ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر» [٤].
- « من لم يزر قبري فقد جفاني» [٥].
- « من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي» [٦]. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٤٢٩) « رواه البيهقي وفيه حفص القارىء رمي بالكذب».
- « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني» [٧]. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٤٦٧) «لا يصح».

وتعجب كيف يمكن أن يقول الرسول ﷺ هذا وهو الذي صح عنه أنه قال » لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثناً ثم يأمر بشد الرحال اليه بل يوبخ من لا يفعل ذلك ويصفه بالمجافاة؟!

---

١) الصارم المنكي في الرد على السبكي ١٨-١٩.
٢) شفاء السقام ٢ ضعفه السيوطي والألباني (إرواء الغليل ١١٢٧ اللآلىء المصنوعة ٢/١٢٩).
٣) شفاء السقام ١٦ ضعفه الحافظ ابن حجر في التلخيص ٢/٢٦٧.
٤) شفاء السقام ٣٧ ضعفه الألباني في كتابه "دفاع عن الحديث" ١٠٩.
٥) شفاء السقام ٣٩ ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢١٧.
٦) شفاء السقام ٢٠ ضعيف أنظر الارواء ١١٢٨ وسلسلة الضعيفة ٤٧ ومشكاة المصابيح ٢٧٥٦.
٧) شفاء السقام ٣٩ قال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء "ذكره ابن الجوزي في الموضوعات" الإحياء ١/٢٥٨.

- « من زارني الى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً »[1].
- « من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة »[2].
- « من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي »[3]. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٤٣٥) «رواه الدارقطني وفي سنده مجهول». فهذا اعتراف من مشايخ الأحباش المعتبرين فاعتبروا يا أولي الأبصار.

فهذه الروايات الضعيفة التي تحث على اتخاذ القبور مساجد تتعارض مع الروايات الصحيحة الناهية عن اتخاذ القبور مساجد كحديث « لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ».

وليس شيئ من هذه الأحاديث صحيحاً حتى تكون شفاءً للسقام وإنما هي بين موضوع وضعيف جدا فكيف تكون شفاءً للسقام، وإنما كان هذا السقم نفسه هو رأسمال السبكي في رده على صحاح البراهين التي احتج بها ابن تيمية، ولم يستطع مناقضته ولا بحديث واحد صريح صحيح، لأنه لا يوجد.

١) شفاء السقام ٣٦ ضعفه الحافظ في التلخيص ٢/٢٦٧ وانظر ميزان الاعتدال ١/٥٣.

٢) شفاء السقام ٣١ نقده الذهبي في ميزان الاعتدال ترجمة رقم (٩١٦٨).

٣) ذكره السيوطي في الأحاديث الموضوعة ٢/١٣٠.

ابن تيمية ومسألة الطلاق

وأما اتهامه لابن تيمية بمخالفة إجماع الأئمة في مسألة طلاق الثلاث وطلاق اليمين. فنسأل أولا:

هل كل مخالفة للأئمة تكون مخالفة للدين؟

وهل كان تفرُدُ ابن تيمية في هذه المسألة مخالفاً لما كان يفعله النبي ﷺ؟

وهل كان مخالفاً بعضَ الأئمة أم خالف إجماعهم؟

إن كانت من مسائل الإجتهاد فلا ضير أن يجتهد من وصفه ابن حجر والسيوطي بالحافظ والعلامة وشيخ الاسلام ومجتهد وقته وبحر عصره. أما أن يكون مخالفاً للإجماع فلا يقول ذلك إلا (حقود أو جاهل) أو (واهم).

قال الحافظ ابن حجر « ويتعجب من ابن التين حين جزم بأن لزوم الثلاث لا اختلاف فيه، مع ثبوت الاختلاف كما ترى» [١].

وقال النووي « وقد اختلف العلماء فيمن قال لامرأته: أنت طالق ثلاثاً، فقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد وجماهير العلمَاء من السلف والخلف: يقع الثلاث، وقال طاووس وبعض أهل الظاهر: لا يقع بذلك الا واحدة، وهو رواية عن الحجاج بن أرطأة ومحمد بن إسحاق، والمشهور عن الحجاج بن أرطأة أنه لا يقع به شيء، وهو قول ابن مقاتل، ورواية عن محمد بن إسحاق» [٢].

قلت: وهو قول جماعة من الصحابة كابن عباس والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف كما حكاه ابن وضّاح وابن مغيث في (كتاب الوثائق) [٣] وأفتى به علي بن ابي طالب وابن مسعود، ومن التابعين ابن المسيب وجماعة من التابعين والفقهاء كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار كما ذكر الألوسي في تفسير روح المعاني، وكأحمد

---

١) فتح الباري ٣٦٣/٩.

٢) شرح مسلم ٣٢٥/١٠ حديث رقم (١٤٧٢).

٣) فتح الباري ٣٦٣/٩.

بن بقي بن مخلد ومحمد بن القاسم بن هبة الله الشافعي [١] قالوا إن طلاق الثلاث طلاق بدعي وكل بدعة مردودة» [٢].

وأفتى به من المتأخرين جمع من العلماء والمفتين أبرزهم الشيخ عبد المجيد سليم الحنفي المصري شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية. وقد بحث المسألة بحثاً شديداً. قال الفقي « وكانت خاتمة بحثه ومحط رأيه: أننا لو طرحنا الأحاديث لمَا يقال من اضطرابها وعدم بيانها: يبقى معنا النص القرآني ﴿الطلاَق مرتان...﴾ فمما لا شك فيه بعد ذلك أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع الا واحدة» [٣]. والشيخ أحمد شلتوت الذي قال « وعلى هذا فلا نحكم بوقوع الطلاق الا اذا كان مرة مرة وكان منجزاً مقصوداً للتفريق، في طهر لم يقع فيه طلاق ولا إفضاء وكان الزوج بحالة تكمل فيها مسئوليته. وبهذا لا نحكم بوقوع الثلاث دفعة واحدة اذا قال: أنت طالق ثلاثاً» [٤].

وقال الحافظ ابن حجر « ومن القائلين بالتحريم واللزوم من قال: إذا أطلق ثلاثاً مجموعةً وقعت واحدة، وهو قول محمد بن اسحاق صاحب المغازي، واحتج بما رواه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: طلّق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثاً فحزن على طلاقها حزناً شديداً فسأله النبي ﷺ « كيف طلقتها؟ قال: طلقتها ثلاثاً، فقال: في مجلس واحد؟ قال نعم، قال: فإنما تلك واحدة فارتجعها إن شئت» [٥].

---

١) ذكره ابن كثير من جملة المفتين بذلك. البداية والنهاية ١٣/١٣٢.
٢) اعلام الموقعين ٣/٣٨.
٣) حاشية الفقي على المنتقى للمجد ابن تيمية ٢/٦٠٠.
٤) الفتاوى للشيخ شلتوت ص ٣١٠ ط: دار الشروق. القاهرة- بيروت.
٥) رواه البيهقي وقال "هذا الاسناد لا تقوم به حجة" وقال الالباني "هذا الاسناد صححه الامام أحمد والحاكم والذهبي وحسّنه الترمذي في متن آخر، وذكرنا اختلاف العلماء في داود بن الحصين وأنه حجة في غير عكرمة، ولولا ذلك لكان إسناد الحديث لذاته قوياً ولكن ذلك لا يمنع من الاعتبار بحديثه والاستشهاد بمتابعتها لبعض بني رافع، فلا أقل من أن يكون الحديث حسناً بمجموع الطريقين عن عكرمة، وكلام ابن حجر في الفتح يشعر بأنه يرجح صحته أيضاً، فإنه قال "أخرجه أحمد وأبو يعلى وصححه من طريق محمد بن إسحاق... ويقوي حديث ابن اسحاق المذكور ما أخرجه مسلم (فتح الباري ٩/٣٦٢ إرواء الغليل ٧/١٤٤).

قال الحافظ « وهذا الحديث نص في المسألة لا يُقبل التأويل الذي في غيره من الروايات الأخرى».

وأما رواية أبي داود وفيها أن النبي ﷺ استحلف ركانة «آلله ما أردتَ إلا واحدة؟ فقال ركانة والله ما أردتُ إلا واحدة» ففيها عليَ بن يزيد بن ركانة وهو مجهول وابنه عبد الله: ضعيف والزبير بن سعيد: ضعيف. قال الترمذي (رقم ١١٧٧) « وسألت محمد (أي البخاري) عن هذا الحديث فقال: فيه اضطراب» وقال الحافظ المكنذري «ضعّفوه» وأعل الحافظ في التلخيص (٣/٢١٣) طرق هذا الحديث [١].

وهؤلاء ما أرادوا بروايتهم هذا الحديث العمل به، وانما أرادوا التشغيب وضرب حديث مسلم به، وإلا فلا نعهدهم يعتبرون الثلاثة واحداً لمن طلق ثلاثة ونوى واحدة. ثم إن الطلاق هزله جد، ومن تلفظ بالثلاثة ونوى بها واحدة وجب على من يعتبرها ثلاثة أن يلزمه بالثلاثة عقوبة له. كما أن من تلفظ بالطلاق ونوى عدمه لا يقبلون منه النية وإنما يلزمونه بما تلفظ به.

○ قال ابن عباس رضي الله عنه «كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر: طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم. فأمضاه عليهم» وفي رواية لمسلم أن أبا الصهباء قال لابن عباس: أتعلم أنما كانت الثلاث تُجعَلُ واحدة على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس: نعم (قد كان ذلك)»[٢].

فانظر كيف قدموا هنا فعل عمر الموقوف على المرفوع، بينما قدموا المرفوع على موقوف أبي هريرة لما قال للمتطيبة «آلمسجد تريدين يا أمة الجبار». فتارة يقدمون فعل الصحابي على فعل رسول الله ﷺ وتارة يعكسونها!

قال ابن تيمية بعد ذكر هذين الحديثين « ولم يثبت عن النبي ﷺ خلاف هذه السنة بل ما يخالفها إما أنه ضعيف؛ بل مرجوح. وإما أنه

---

١) أنظر ارواء الغليل ١٣٩/٧.

٢) رواه مسلم رقم (١٤٧٢).

صحيح لا يدل على خلاف ذلك» وقال « ولا نعرف أحداً طلق على عهد النبي ﷺ امرأته ثلاثاً بكلمة واحدة فألزمه النبي ﷺ بالثلاث ولا روي في ذلك حديث صحيح ولا حسن، ولا نقل أهل الكتب المعتمد عليها في ذلك شيئاً. بل رويت في ذلك أحاديث كلها ضعيفة باتفاق علماء الحديث؛ بل موضوعة»[1].

الاجماع منعقد على أن الثلاث واحدة

وبهذا يبطل قول من زعم أن ابن تيمية خالف بهذه الفتوى الاجماع من الخلفَ والسلفَ. فإن الاجماع قد انعقد في عهد رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وسنتين من خلافة عمر على أن طلاق الثلاث واحدة كما نص عليه ابن عباس رضي الله عنهما.

فما يفيد ذلك؟ أليس يفيد إجماعاً؟

أما الموقف الآخر الذي اتخذه عمر فإنه اتخذه مع علمه بأن طلاق الثلاث واحدة في عهد النبي ﷺ بل وعمله به لسنتين، وإنما اتخذه لمصلحة طارئة رآها، ومع ذلك فلم ينعقد بين الصحابة على ذلك. وما أكثر المسائل التي يظن الناس أنها مجمعٌ عليها بينما ليست كذلك.

○ وقد استنكر العلاّمة الآلوسي بشدة ادّعاء عبد الغني النابلسي أنه رأى النبي ﷺ فسأله عن المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد « كيف حكمه عندك يا رسول الله؟ فقال: « تقع ثلاثاً» [2]! مع أن الثابت عنه ﷺ من الأحاديث عكس ذلك. وهذا جرياً علي عادة الصوفية في حسم المسائل المتنازع عليها بكشوفات ومنامات يُحلّون بها في عالم المنام ما ثبت تحريمه في عالم اليقظة.

---

١) مجموع الفتاوى ٣٣/٧١ وانظر ص ١٢ و١٣.

٢) جلاء العينين في محاكمة الاحمدَيْن ٢٣٦.

موقف الحبشي من هذا الحديث

وقد نقض الحبشي هذا الحديث [1] وأقترح لإبطال العمل به: عدة مقترحات:

١- أن يقال بأنه لا يجوز العمل بظاهره. ولست أدري ما يمنعه بعد هذا أن يقول « **لا يجوز العمل به**» !

٢- أنه يمكن معارضة الحديث بإجماع الصحابة على العمل بخلافه بعد موت النبي ﷺ وكأن الإجماع يُقدَّم على قول النبي ﷺ وأفعاله. وإن كان كذلك فلماذا تمسكتم بحديث الأعمى وتجاهلتم إجماع الصحابة على ترك التوسل بالرسول ﷺ والتوسل مكانه بالعباس. فقد توسل عمر بالعباس على مرأى الصحابة جميعاً ولم ينكر أحد منهم عليه، فلماذا لا تتركون التوسل بالموتى وتحكمون بنسخ الاجماع لحديث الأعمى؟!.

وكيف وأن هذا الإجماع المزعوم في مسألة الطلاق لم ينعقد. فقد عمل جماعة من الصحابة كابن عباس والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف بمقتضى الفتوى النبوية كما حكاه ابن وضّاح وأفتى به علي بن ابي طالب وابن مسعود، ومن التابعين ابن المسيب وجماعة من التابعين والفقهاء كما ذكر الألوسي في تفسير روح المعاني. وهو معتمد المحاكم الشرعية في أكثر البلاد الاسلامية. أولم يكفهم أنه كان معتمدا عند رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر؟!

٣- أن يقال إن الحديث ضعيف بالشذوذ. وهذا تلبيس فإن الشذوذ في رواية (عارم) كما عند أبي داود والنسائي والدارقطني، أما رواية مسلم والبيهقي فليست شاذة. ولذا لم تتضمن زيادة (قبل أن يدخل بها).

٤- أن يقال إن الحديث مؤوّل بأن معنى (كان الطلاق طلاق الثلاث واحداً) أن البتة كانت تستَعمل للطلاق الواحد للتأكيد ثم صار الناس يستعملونها في خلافة عمر بقصد الثلاث فأجرى عليهم عمر الحكم على موجب قصدهم .

○ وهذ التأويل مردود. ثم إن هذه التأويلات المعتادة ليست بأعظم

---

١) المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية ٥٥-٥٦.

من تأويلاتهم لصفات الله وقولهم على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ويبطل التأويلَ قولُ عمر (قد استعجلوا) وقد رأى وقف العمل لمصلحة راجحة عنده وهو تعزير الناس وتأديبهم، وذلك مثل تعطيله حد السرقة عند الرمادة وإقرار الصحابة له على ذلك.

قال الألباني « وهل يجوز مع هذا كله أن يُترَك الحُكمُ المُحكَم الذي أجمع عليه المسلمون في خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر من أجل رأيٍ بدا لعمرَ واجتهد فيه: فيؤخَذُ باجتهادِه ويُترَك حكمُه الذي حكَمَ هوَ به أول خلافته تَبَعاً لرسول الله ﷺ وأبي بكر؟!

اللهم إن هذا لمن عجائب ما وقع في الفقه الإسلامي، فرجوعاً الى السنّة المُحكَمة أيها العلماء، لا سيما وقد كثُرَتْ حوادث الطلاق في هذا الزمان كثرة مدهشة تُنذِر بِشرٍّ مستطير تُصابُ به مئات العائلات» [1].

المفاسد المترتبة على توسيع الطلاق

وقد أوضح ابن تيمية المفاسد التي ترتبت على توسيع باب الطلاق، فقال:

« ومن تدبر نصوص الكتاب والسنة وجدها مفسرة لأمر النكاح، لا يشترط فيه ما تشترطه طائفة من الفقهاء.

كما اشترط بعضهم: ألا يكون إلا بلفظ الإنكاح والتزويج.
واشترط بعضهم: أن يكون بالعربية.
واشترط هؤلاء وآخرون: ألا يكون إلا بحضرة شاهدين، ومع هذا فقد صححوا النكاح مع نفي المهر. ثم صاروا طائفتين: طائفة تصحح نكاح الشغار، لأنه لا مفسد له إلا نفي المهر، وذلك ليس بمفسد عندهم. وطائفة: تبطله، وتعلل ذلك بعلل فاسدة.
ثم صححوا « نكاح المحلل» [2].

« فكان قول أهل الحديث وأهل المدينة الذين لم يشترطوا لفظاً معيناً في النكاح، ولا إشهاد شاهدين مع إعلانه وإظهاره، وأبطلوا نكاح الشغار، وكل نكاح فيه نفى فيه المهر، وأبطلوا نكاح المحلل... أشبه بالكتاب والسنة وآثار الصحابة».

---

١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/٢٧٢.

٢) وهذا التحليل الذي وصف النبي ﷺ فاعله بالتيس المستعار صار وصمة عار في جبين الشريعة الاسلامية وموضع تهكم أعداء الدين.

○ « ثم إن كثيراً من أهل الرأي الحجازي والعراقي وسّعوا « باب الطلاق» فأوقعوا طلاق السكران، والطلاق المحلوف به، وأوقع هؤلاء طلاق المكره، وهؤلاء طلاق المشكوك فيه فيما حلف به، وجعلوا الفُرقة البائنة طلاقاً محسوباً من الثلاث الى أمور أخرى، ووسّعوا بها الطلاق الذي يحرّم الحلال، وضيّقوا النكاح الحلال. ثم لما وسّعوا الطلاق صار هؤلاء يوسّعون في عود المرأة الى زوجها، وهؤلاء لا سبيل عندهم الى ردها. فكان هؤلاء في آصارٍ وأغلال. وهؤلاء في خداع واحتيال».

« ومن تأمل الكتاب والسنة وآثار الصحابة تبين له أن الله أغنى عن هذا، وأن الله بعث محمداً بالحنيفية السمحة التي أمر فيها بالمعروف ونهى عن المنكر، وأحلّ الطيبات وحرّم الخبائث» [١].

○ وقال أيضاً: ولكن بعض علمائنا لما ظنوا أن من الايمان ما لا مخرج لصاحبه منه، بل يلزمه ما التزمه. فظنوا أن شرعنا في هذا الموضع كشرع بني إسرائيل: احتاجوا الى الاحتيال في الايْمَان: إما في لفظ اليمين، وإما بخلع اليمين، وإما بدور الطلاق، وإما بجعل النكاح فاسداً فلا يقع فيه الطلاق.

وإن غُلبوا عن هذا كله دخلوا في « التحليل» وذلك لعدم العلم بما بعث الله بهِ محمداً ﷺ في هذا الموضع من الحنيفية السمحة، وما وضع الله به الآصار والأغلال. كما قال تعالى: **﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحِلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾**[الاعراف ١٥٧]..

○ وصار ما شرعه النبي لأمته هو الحق في نفس الأمر. وما أحدث غيرُه غايته: أن يكون بمنزلة شرع من قبله مع شرعه، وإن كان الذين قالوه باجتهادهم لهم سعيٌ مشكور وعمل مبرور. و هم مأجورون على ذلك مثابون عليه.

ولهذا أذاعوا مادل عليه الكتاب والسنة على تلك الطريقه التي

---

١) مجموع الفتاوى ٣٢: ١٣٣-١٣٤.

تتضمن من لزوم ما يبغضه الله ورسوله: من القطيعه والفرقة وتشتيت الشمل، وتخريب الديار، وما يحبه الشيطان و السحرة من التفريق بين الزوجين، وما يظهر فيها من الفساد لكل عاقل.

ثم إما أن يلتزموا هذا الشر العظيم، ويدخلوا في الآصال والأغلال. وإما أن يدخلوا في منكرات أهل الإحتيال. فالطرق ثلاثة:

* إما الطريقة الشرعية المحضة الموافقة للكتاب والسنة، وهي طريقة أفاضل السابقين الأولين، وتابعيهم بإحسان.
* وإما طريقة «الآصار والأغلال».
* وإما طريقة «المكر والاحتيال».

○ **ومن صور التحايل** (التجحيش) ويتم بقصد إرجاع المرأة التي طلقها زوجها اليه عن طريق زواج صوري شكلي يرضى أحد الوسطاء لنفسه أن يكون تيساً مستعاراً ويفتي بعض مشايخ السوء بجواز استعارته منهم الباجوري في حاشيته [١]. قال رسول ﷺ «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال «هو المحلِّلُ والمحَلَّل له» [٢] وهو رجوع الى متعة الشيعة.

وكان الأولى بالحبشي وأتباعه أن يوسعوا على الخلق وأن لا يحرموا على الناس ما فعله النبي ﷺ مما اضطرهم الى التجحيش الذي لا علاقة شرعية فيه بين المطلقة من الأول وبين التيس المستعار فإن الحيلة لا تجعل المحرم مباحاً ولا تقلب الحلال حراماً.

وإنما هي علاقة زنا ورجوع الى الزوج الأول غير مشروع وانما هو زنا لأنها بانت منه، ولم تنكح زوجاً غيره في الحقيقة كما قال تعالى ﴿**فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره**﴾ وإنما زنت بتيسٍ غيره.

---

١) حاشية الباجوري على ابن قاسم ١/١٥٤.

٢) ابن ماجة (١٩٣٦) والبيهقي ٧/٢٠٨ والحاكم٢/١٩٩ وصححه ووافقه الذهبي والحديث حسن بشواهده.

حول تطبيق الشريعة

إن هذا التحليل الذي وصف النبي ﷺ فاعله بالتيس المستعار صار وصمة عار في جبين الشريعة الاسلامية وموضع تهكم أعداء الدين.

ولهذا نسأل ماذا لو أتيح لنا تطبيق الشريعة الاسلامية التي يطالبون بها وعندنا كمّ هائل من الحِيَل الشرعية والتلفيق بين المذاهب والتقليد الأعمى.

يبدو أننا نحن المطالِبون بتطبيق قواعد أحكام الشريعة مُطالَبون بالمرونة وانفتاح العقل وعدم التعصب وشطب الحيل الشرعية من كتب الفقه، وإلا فإن حرماننا من تطبيق الشريعة خير لنا من التطبيق المشوه للشريعة أمام الآخرين، والذي لا يتطابق مع الارادة الالهية. بل ربما كان حرماننا منه عقوبة من الله على فساد فكرنا وروغاننا.

إن هذا التحليل الشبيه بالمتعة كان السبب في دخول ايران في التشيع. حين طلق الملك المغولي خدا بنده زوجته ثلاثاً وهو غاضب، فأفتوه بأن يبحث له عن تيس مستعار، فاستنكف الملك عن ذلك، فدله بعض الشيعة على ابن مطهر الحلي فأفتاه بأن الطلاق الذي أوقعه باطل، فتشيع الملك. ولو أنه اهتدى الى ابن تيمية لوجد لمسألته عنده حلا نبوياً سنياً غير شيعي، ولوفر على ملايين البشر أن يدخلوا في المذهب الشيعي بعد أن خرّجت فارس قبل تشيعها آلاف العلماء الجهابذة.

قال الشاعر:

ألا قل في الطلاق لموقعيه
بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلواً
يضيق به الشرع الرحيب
اراد الله تيسيراً وأنتم
من التعسير عندكم ضروب
وقد حلّت بأمتكم كروب
لكم فيهن - لا لهم - الذنوب

هل يقع طلاق اليمين ؟

ويلتحق بموضوع طلاق الثلاث فتوى لشيخ الاسلام بأن الحلف بالطلاق يمين فيه كفارة اليمين، وهي أيضاً محل خلاف بين أهل العلم. فإن من أهل العلم من لا يوقع الطلاق بالحلف بالطلاق كطاووس وسفيان ابن عيينة شيخ الشافعي وداود وابن حزم.

وقال الشعراني في ميزانه « قال أبو حنيفة: لو قال لزوجته أنت عليّ حرام؛ فإن نوى الطلاق بذلك كان طلاقاً، وإن نوى التحريم ولم ينوِ الطلاق أو لم يكن له نية: فهو يمين» [1].

وحجتهم أن الحالف بالطلاق إذا كان لا يقصد به الطلاق وإنما قصد تعليقه بالحث أو المنع فإنه لا يقع، لقول النبي ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى» وأن مثل هذا يسمى يميناً في اللغة وفي عُرف الفقهاء، ولذا دخل في أيْمان البيعة وفي عموم اليمين وفي عموم حديث «يمينك على ما يصدقك به صاحبك» وفي عموم حديث « إياكم والحلف في البيع».

○ وإذا كان يميناً: دخل في عموم قوله تعالى ﴿قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم﴾ وقوله ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان. فكفارته إطعام عشرة مساكين﴾ فتجب فيها الكفّارة.

○ وكذلك قياس الطلاق المعلق لقصد الحث أو المنع بدليل قصة ليلى بنت العجماء التي حلفت أيْماناً مغلظة لَتطلّقنّ أبا رافع من زوجته، فأتى الرجلُ ابن عمر وحفصة وغيرهما وسألهم عن ذلك، وكلهم أفتوها بأن تكفّر عن يمينها وتخلي بين الرجل وبين امرأته.

- فكيف يتلقف الحبشي [2] قول من زعم أنه لم يقل أحد قبل ابن تيمية بكفارة اليمين ؟ أليس أبو حنيفة إماماً معتبراً عنده أم أنه يظن أن أحداً لن يفضح تمويهه على عامة الناس؟!

---

١) النووي على مسلم (١٤٧٤) الفقه على المذاهب الأربعة ٤/٣٣٨.

٢) المقالات السنية ٧٤-٧٥.

طلاق الحائض هل يقع؟

وأما قوله أن طلاق الحائض لا يقع وكذلك الطلاق في طهر جامعَ فيه فقد طلق ابن عمر زوجته وهي حائض، فسأل عمرُ النبي ﷺ عن ذلك فقال له « مُرْهُ فليراجِعها ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعدُ وإن شاء طلّق قبل أن يمس» [١].

- وقد بنى من قال بعدم اعتبار هذا الطلاق أنه بدعة وأن كل بدعة مردودة على صاحبها، ولذلك صح في الرواية أن النبي ﷺ لم يرها شيئاً. وفي الروايات اضطراب كثير وبسببه حدث الإشكال مع أن الالباني وبعد متابعة طويلة لمجموع تلك الروايات انتهى إلى ترجيح اعتداد النبي ﷺ بطلقة واحدة لابن عمر [٢].

○ وهذه طريقة أهل السنة في الميل دائماً مع القول الصحيح المبني على الأدلة الصحيحة. لأن الانتصار دائماً ولله الحمد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فابن تيمية حبيبنا وابن القيم حبيبنا لكن الحق أحب إلينا منهما. فقد تلقينا عنهما العلم بمنهج أهل السنة: ومما علّمانا إياه: أننا ندور مع الكتاب والسنة حيثما دارا، ولا نديرهما حيث دار بنا علم الكلام وقوانين أرسطو.

○ وقوله أن الحائض يجوز لها الطواف بالبيت ولا كفارة عليها، فإن هذا قول أبي حنيفة لو كانوا يعلمون. كما قال المرشدي الحنفي في فتاويه: وعند أبي حنيفة رحمه الله أن الطواف لا يُشترط فيه طهارة. وقال الشعراني في الميزان « - وقال أبو حنيفة: إن الطواف لا يشترط فيه طهارة، فتطوف وتدخل مع الحاج وقد أفتى البازري والشيخ أحمد الطيبي الشافعي بذلك في منظومته.

وأما الرواية الأخرى عن ابن عباس فقد قال شمس الحق العظيم أبادي « ففتوى ابن عباس هذه تناقض فتواه الأولى. فلم يبق الا الاعتماد على روايته» [٣]. قال الحافظ « وأجيب بأن الاعتبار برواية الراوي لا برأيه لما يطرق رأيه من احتمال النسيان» [٤].

---

١) متفق عليه.

٢) ارواء الغليل ٧/١٢٤-١٣٨.

٣) عون المعبود ٦/٢٧٠.

٤) فتح الباري ٩/٣٦٢.

هل يغار الحبشي على الدين ؟!

((ما حكم هؤلاء عندكم أيها المقلدون))

تبدأ منشورات الأحباش ضد ابن تيمية بما يلي « فانه عملا بمبدأ النصيحة فإننا نتوجه الى المسلمين ببيان المفسدين في الدين... وعملا بقوله تعالى ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾» واذا كان الأمر كذلك فنسأل: لماذا لم يلتزموا هذا المبدأ في حق من حذر العلماء منه ومن كتبه كأبي حامد الغزالي الذي طعن فيه تلميذه أبو بكر ابن العربي وابن المنير وابن الصلاح وغيرهم؟!

لماذا يوجه الحبشي سهام القدح الى ابن تيمية دون غيره؟ ألغيرة منه على الدين؟ إن كانت الغيرة على الدين هي الدافع فلماذا يسكتَ عنَّ مخالفات الآخرين لصريح الدين مثلما نراه في إحياء علوم الدين وغيره من كتب أهل الشطح؟ أم أن الخطة تقتضي تشويه الرموز السنية التي تهتدي بهديها الصحوة الاسلامية كابن تيمية وابن القيم ؟! إنه التحيز والجور الذي يقول فيه الشاعر:

فرصاصُ مَن أحبَبتَه ذهبٌ كما
ذهبُ الذي لم ترضَ عنه رصاصُ

ما حكم هؤلاء عند الغيارى على الشريعة ؟!

○ فقد ذهب الجلال الدواني الى القول بإيمان فرعون. مستناً في ذلك بسنة سلفه ابن عربي [١].

○ وكان الهيتمي يقول بأزلية نور النبي ﷺ وحكى عنه الحبشي هذا الاعتقاد [٢] غير أنه لم يزد على أن قال « وهذا التأويل مخالف للحديث الصحيح». ولم يلزمه بالقول بقدم شيء مع الله.

•

مع أن الأحباش صرحوا بأنه « من الكفر قول من يقول: إن محمداً خُلق من نور لأن ذلك تكذيب للقرآن لأن الله قال ﴿**قل انما أنا بشر**

---

١) وسبب ذلك اعتقادهم أنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله حسب الكسب الأشعري، ولأن فرعون صرح عند الصوفية بوحدة الوجود التي يسمونها (وحدة الشهود) و (الفناء عن السوى) فإن قول الصوفي أنا الله أنا الكعبة ما في الجبة إلا الله شبيه بقول فرعون أنا ربكم الاعلى و ما علمت لكم من إله غيري.

٢) الدليل القويم ١٧٩ صريح البيان ٥٤ ط: مجلدة ١٣٢.

مثلكم﴾ [١]. فهل يحكم الأحباش بكفر الهيتمي؟

○ وكان أبو بكر ابن فورك يقول: كان رسول الله ﷺ رسولا في حياته فقط، وأن روحه قد بطل وتلاشىٰ وليس هو في الجنة عند الله تعالى مما دفع محمود ابن سبكتكين الى قتله بالسم [٢]. ذكره أبو الوليد الباجي وابن حزم [٣].

ونقل ابن حزم عن الأشعرية أنهم قالوا: إن رسول الله ﷺ ليس هو اليوم رسول الله ولكنه كان رسول الله» وأوضح ان هذا القول منهم هو كفر صريح وتقليد لقول أبي الهذيل العلاف وقال في كتابه الدرة « وما قال بهذا القول أحد ممن ينتمي الى الاسلام الا أبو الهذيل العلاف المعتزلي وهي إحدى شُنَعه المُخرجة له عن الاسلام ثم اتبعه على ذلك الطائفة المنتمية الى الأشعري» [٤].

وسبب هذه المقولة من ابن فورك الأصل الفاسد عند المذهب الأشعري أن العرض لا يبقى زمانين، وأن النبوة والرسالة صفة للحي وصفات الحي أعراض، وهذه الأعراض تبقى مشروطة بالحياة قائمة بها تزول بزوالها، فكيف يكون رسولا نبياً بعد موته؟ فالتزموا بعد انتفاء حياة النبي ﷺ انتفاء رسالته وزوالها، ثم رقعوا بدعتهم هذه ببدعة أخرى وهي أن الرسول ﷺ حي في قبره حياة «دنيوية» وبهذا لا زالت رسالته. قال ابن حزم « وإنما وقع فيه - أي هذا القول - من ضل لقول فاسد وهو أن الروح عرض لا يبقى وقتين» [٥].

○ **وها هو الخميني يقول في كتابه** [٦] بأن للأئمة «مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل». وقد نقل ابن حجر الهيتمي تكفير علماء الأمة لمن يقول « الأئمة أفضل من الأنبياء» [٧].

---

١) منار الهدى ٣٤/٢٥) و٣٤/٢٥.
٢) النجوم الزاهرة ٤/٢٤٠ وفيات الأعيان ١/٤٨٢ سير اعلام النبلاء ٦/٨٣ الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١/٨٨ طبقات السبكي ٤/١٣٢ محققة. وقد دعا ابن حزم للسلطان بخير لقتله ابن فورك.
٣) سير أعلام النبلاء وأقره ١٧/٢١٦.
٤) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١/٨٨ و٧٦ والدرة فيما يجب اعتقاده ٢٠٤-٢٠٥ له أيضاً.
٥) الدرة فيما يجب اعتقاده ٢٠٤.
٦) الحكومة الاسلامية ٥٢.
٧) الاعلام بقواطع الاسلام ٧٥.

السكوت عن انحرافات القشيري

○ وهذا هو القشيري (عبد الكريم بن هوازن) صاحب الرسالة القشيرية [١] يروي مقولة خبيثة عن الدقاق وفيها: أن الله **يكنس المزابل** بأرواح الصوفية» [٢] فهل يكنس الله المزابل **يا أشاعرة!!**

○ وهو من أهل الغلو فقد أفرط في الثناء على الجويني حتى قال « لو ادعى إمام الحرمين اليوم النبوة لاستغنى بكلامه عن إظهار المعجزة» [٣]. ولا تنس أخي أن المذهب الأشعري يشترط على النبي المعجزة وحدها كشرط لصحة نبوته. لكن الجويني غني - من بين الانبياء - عن هذا الشرط!

○ ويروي القشيري أن حقيقة مقام الرضا بالله: أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذ به من النار [٤].

- وينقل عن الشبلي أنه سئل: ألا تعلم أن الله رحمن؟ قال: بلى ولكن منذ عرفتُ أنه رحمن ما سألتُه أن يرحمني [٥] وعن أبي يعقوب السوسي أن حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه اليه [٦]. وعرّف الصوفي بأنه: الذي **لا يكون له الى الله حاجة** » [٧].

○ ونقل عن ممشاد الدينوري قوله « منذ ثلاثين سنة تُعرَض عليّ الجنةُ فما أعرتُها طرفي [٨] وعن ابي حفص قوله « منذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل [٩].

○ وسئل الجنيد عن المحبة [١٠] فقال « دخول صفات المحبوب

---

١) وقد نقد ابن الجوزي رسالة القشيري ووصفها بأنها تخليط ليس بشيء (تلبيس ابليس ص ١٦٥).
٢) الرسالة القشيرية ١٢٨.
٣) طبقات السبكي ٥/١٧٤ محققة.
٤) الرسالة القشيرية ٩٠.
٥) الرسالة القشيرية ١٠٠.
٦) الرسالة القشيرية ١٤٥.
٧) الرسالة القشيرية ١٢٥.
٨) الرسالة القشيرية ١٣٩.
٩) الرسالة القشيرية ١٤١.
١٠) قال ابن الجوزي وكم من مرة أخِذ الجنيد مع علمه وشهدوا عليه بالكفر والزندقة هو وطائفة كأبي سعيد الخراز وأحمد بن عطاء... وكان الجنيد يتستر بالفقه على مذهب أبي ثور (تلبيس ابليس ١٧٠ و١٧٣).

على البدل من صفات المُحِبّ» [١].

وذكر القشيري أن حقيقة المحبة توجب انتفاء المباينة فإن المحب أبداً مع محبوبه [٢] وذكر قصة خبيثة استدل بها الغزالي على تفضيل التواشيح والأغاني الصوفية على تلاوة القرآن [٣] وعن الحلاج « من عرف حقيقة التوحيد سقط عنه لمَ وكيف [٤]. قلت: ومن مثل هذا النص أخذ الصوفية القول بسقوط التكاليف عن الأولياء.

فهاهو القشيري يحتج بحكَم الحلاج وهو من أعظم زنادقة هذه الأمة الذي يدعي أنه لم يعرف الله حقيقة إلا اثنان: إبليس وفرعون.

والقشيري أحد الصوفية الذين يحتج الحبشي بكلامه ويعظمه، فلماذا لا يحذّر من انحرافاته؟ ألأنه أشعري مثله مبالغ في التعصب للأشاعرة حتى تسبب في فتنة عظيمة كما حكاه الذهبي في السير (٤٢٥/١٩) وتسبب تعصبه في فتنة عظيمة أدت إلى إخراجه من بلده الى بغداد [٥].

السكوت عن انحرافات الهيتمي

○ وها هو ابن حجر المكي يزعم في شرح الاربعين النووية أن أولية النور المحمدي اولية مطلقة، وأن أولية ما سواه من الماء والعقل والقلم: أولية نسبية، اعترف الحبشي بذلك، واعتذر عنه بتأويلات معتسفة قائلا « واما حديث كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث». ولو صح لكان معناه ان روحه ﷺ اول ارواح البشر [٦].

ومعلوم أن ابن حجر المكي قد استقى هذه اللوثة العقائدية من الصوفية الذين يسمونها (الحقيقة المحمدية). ولذلك نجد هذه اللوثة عند الصيادي في كتاب قلادة الجواهر، ذاك الكتاب الذي كان مرجعاً مهماً عند الحبشي لدى كتابة رسالته (المقالات السنية) [٧].

---

١) الرسالة القشيرية ١٤٥.
٢) الرسالة القشيرية ١٤٨.
٣) الرسالة القشيرية ١٥٦.
٤) الرسالة القشيرية ٦.
٥) سيرالاعلام ١٨/٢٣١و١٩/٤٢٥ البداية والنهاية ١٢/١٠٧ طبقات السبكي ٥/١٥٣ وطبقات الحنابلة ٣/١٩.
٦) الدليل القويم ١٧٩-١٨٠.
٧) ص ٨٣.

السكوت عن انحرافات الصيادي

وقد ورد في كتابه (قلادة الجواهر ٨٠) كفر خطير فزعم أن ابراهيم الأعزب (خال أحمد الرفاعي) قال « ناداني العزيز سبحانه وقال لي: إني أريد أن أخسف الأرض وأرمي السماء على الأرض. فقلت له: إلهي: من يعارضك في ملكك وإرادتك؟ فقال الله: سيدي ابراهيم. فأخذت ابراهيمَ الرعدةُ ووقع على الأرض».

وزعم أن الرفاعي قال بأن الولي لا يعمل عملا إلا عن إذن سماوي وأن كل شيخ لا يكتب الشقي سعيداً فليس برجل (قلادة ١٩٠-١٩١).

وصرح الصيادي بأزلية نور النبي ﷺ فقال في قلادته:

« اللهم صلّ على نورك الأسبق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك: نقطة مركز الباء الدائرة الأولية الذي فتقت به رتق الوجود وخصصته بالمقام المحمود وأقسمت بحياته: فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييتَ به الموجودات من معدنٍ وحيوان ونبات [١].

ويقول بأن الذكر: حفظ القلب من الوسواس... وإدراك الوحدة بالكثرة[٢].

ويقول «إن النبي ﷺ هو العلة الغائية لخلق الخلق ومعرفة الحق» وإن مجرد تسمية الرجل ولده (محمداً) يكفي لدخول الجنة، وأن الله ينادي يوم القيامة: كل من اسمه محمد فليدخل الجنة [٣] وزاد شيخه أحمد الرفاعي على ذلك فقال «كان هو ومولوده في الجنة» [٤].

ويزعم أن شيخه الرفاعي يحيي ويميت [٥] ويحمي أتباعه الى يوم القيامة ويدخلهم الجنة أمامه [٦] ويطّلع على المقدور والمكتوب فيغير الشقي سعيدا[٧] ويشتري لاتباعه أراضي وقصوراً في الجنة على غرار

---

١) قلادة الجواهر ٢٤٩.

٢) قلادة الجواهر ٢٣٢.

٣) عن كتابه ضوء الشمس ١:١٠٤.

٤) كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله ١٤٠.

٥) قلادة الجواهر ٧٣ و١٤٥ وطبقات الأولياء لابن الملقن ٩٩.

٦) قلادة الجواهر ٢٣٣.

صكوك الغفران عند النصارى [١] وأن السموات والأرض صارتا في رجله كالخلخال[٢].

فلماذا تتكتمون أيها المنحرفون عن هذه الشواذ التي هي أقرب الى النصرانية والبوذية منها الى الاسلام، كم أضحكت بالأمس صكوك النصارى على كنيستهم. وكم نأسى على ذيوع مثلها بين المسلمين. باسم الكرامة التي أساء هؤلاء فهمها وتفهيمها.

سكوته عن انحرافات السهروردي

○ وها هو السهروردي في عوارف المعارف يحتج بكلام الحلاج [٣] ويدعو الى التخلق بأخلاق الله [٤] ويزعم أن الصوفي لا يزال يترقى حتى يطلب رؤية ربه فيقول « لا أعبد رباً لم أره» [٥] أي ليكون كمن قالوا ﴿أرنا الله جهرة﴾. ولا يكون الصوفي صوفيا حقاً (فقيراً) حتى لا يكون له الى الله حاجة [٦] وأن من علامات الركون الى الدنيا : الزواج وكتابة الحديث (حديث رسول الله ﷺ) وطلب المعاش [٧] وأن خير حال المرء أن يبقى عزبا بلا زوجة وأن الزواج انحطاط وانغماس في الدنيا وخروج من الزهد. وأن من تعود أفخاذ النساء لا يفلح» [٨].

ويقول عبد السلام بن مشيش الشاذلي « اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، واستحسنها الزبيدي، واستحسن قول أبي يزيد البسطامي « انسلخت نفسي عن نفسي كما تنسلخ الحية عن جلدها فنظرت فاذا أنا هو» أي فاذا أنا الله[٩].

---

٧) قلادة الجواهر ١٠٣ و١٩٣ وطبقات الأولياء لابن الملقن ٩٨.

١) قلادة الجواهر ٧٠ روض الرياحين لليافعي ٤٤٠ جامع كرامات الأولياء ٢٩٦/١ والكواكب الدرية ٢١٤ لليافعي.

٢) طبقات الشعراني ١٤٢/١ الفجر المنير ١٩.

٣) عوارف المعارف ٤٨/٥.

٤) عوارف المعارف ملحق بالإحياء ٧٣/٥.

٥) عوارف ٧٥/٥.

٦) عوارف المعارف ١٠٣ والرسالة القشيرية ١٢٥.

٧) عوارف المعارف ١٠٤/٥.

٨) عوارف المعارف ١٠٤/٥ - ١٠٥.

٩) النفحة العلية في اوراد الشاذلية ١٦ اتحاف السادة المتقين ٥٣٧/٦ وانظر ١٤٥/٣.

سكوته عن انحرافات الغزالي

كقوله « ليس في الامكان افضل مما كان»

واسألوا الحبشي عن موقفه من قول ابي حامد الغزالي « ليس في الامكان أفضل مما كان» أي ليس في إمكان الله خلق العالم بأفضل مما هو عليه الآن، هذه الكلمة التي كانت أحد أسباب حملة العلماء عليه كالطرطوشي والمازري وأبي بكر ابن العربي، وابن الجوزي وابن الصلاح. حتى قال الطرطوشي فيه « ولقد كاد ينسلخ من الدين... فسقط على أم رأسه »[١]. وقال ابن حزم « ومن قال إنه ليس عند الله أصلح مما عمل بنا ... فهو كافر»[٢].

وقد كتب الغزالي كتاب « الإملاء عن إشكالات الإحياء» أصرّ فيه على عدم بطلان هذه العبارة التي قالها في كتابه « إحياء علوم الدين» واتهم فيه المعترضين عليها بأنهم محجوبون عن الفهم والعلم[٣]. واعترف البيجوري بصحة نسبة هذه العبارة الى الغزالي وأنه شنع عليه جماعة من العلماء بأن فيه نسبة العجز الى الله[٤]. واستعرض الزبيدي أقوال المشنعين على الغزالي لهذا القول منهم تلميذه أبو بكر ابن العربي، وقال القرطبي « قال شيخنا أبو حامد قولا عظيما انتقده عليه أهل العراق وهو شهادة لله موضع انتقاد. ومنهم أبو عبد الله المازري وأبو الوليد الطرطوشي وابن المنير الذي كتب كتابا بعنوان الضياء المتلالي في تعقب الاحياء للغزالي قال فيه «المسئلة المذكورة لا تتمشى الا على قواعد الفلاسفة والمعتزلة». وابن الصلاح ويوسف الدمشقي. وبد الدين الزركشي الذي قال في تذكرته «هذه من الكلمات العقم التي لا ينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع». ومنهم ابراهيم البقاعي تلميذ الحافظ ابن حجر الذي صنف ثلاث رسائل في الرد على الغزالي أولها: المقصد العالي. والثانية: تهديم الأركان من ليس في الامكان أبدع مما كان. والثالثة: دلالة البرهان على أن في الامكان أبدع مما كان. ثم ذكر أقوال المنتصرين لقوله المتعصبين له[٥].

وقد صرح الغزالي بأن أولياء الصوفية لا يريدون الجنة ولا يأبهون

---

١) أنظر طبقات السبكي ٢٤٣/٦ و٢٥٣ محققة.

٢) الدرة فيما يجب اعتقاده ٣١١.

٣) الاملاء على هامش الإحياء ١٣/٥.

٤) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ٤٠.

٥) اتحاف السادة المتقين ٤٤٢/٩-٤٦٠.

لها وانما يريدون مجالسة الله وانما الجنة مأوى من لا شغل لهم الا شهوة البطن والفرج. وهذا القول هو كفر، ونقل ابن حجر الهيتمي قول أهل العلم بتكفير من قال: إن أعطاني الله الجنة لا أريدها» [١].

علامات تحيز السبكي وتعصبه

وكتب السبكي كتاب « الإيضاح والبيان عن معنى ليس في الإمكان» [٢] دافع فيه بعصبية عن هذه العبارة الطاعنة في قدرة الله عز وجل. وذلك على النحو المعهود عنه في عصبيته. يدافع عما ظاهره كفر، ملتمساً له أعجب المعاذير، بينما يلفق لخصومه شتى الاتهامات الكاذبة.

طعن الغزالي في النبوة

اختبار آخر لدعوى الغيرة على الدين

قال الحبشي «من ادعى أن النبوة مكتسبة أو أنه يبلغ بصفاء القلب الى مرتبتها أو ادعى أنه يوحىٰ إليه وإن لم يدّع النبَوة: فهو كافرٌ بالإجماع [٣] وقد نقل هذه العبارة عمن سبقه وهو يعلم موقف الغزالي من النبوة لكنه يسكت عليه.

وقد اقتدى الغزالي بالفلاسفة في تقسيم خصائص النبوة الى ثلاث: قوة التخييل وقوة العقل وقوة النفس. وهذا نفسه هو كلام الفلاسفة الذين يقولون ان النبوة مكتسبة[٤]. وبالتحديد ابن سينا. ولهذا اشتد نكير العلماء عليه.

○ **قال الغزالي** : إن في الأولياء من يكاد يُشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء» [٥].

○ قال « ووراء العقل طورٌ آخر تنفتح فيه عين أخرى يُبصرُ بها الغيبَ وما سيكون في المستَقبل. وقد أبى بعض العقلاء مُدركاتَ النبوة واستبعدها وهذا عين الجهل.. وقد أعطى الله خلقه أنموذجاً من خاصية النبوة.. فالنبوة عبارة عن طورٍ يحصل فيه عين لها نور،

---

١) الإعلام بقواطع الاسلام ٦٧.
٢) مخطوط بمكتبة شيستربتي بايرلندا.
٣) الدليل القويم ١٤٨ الاعلام بقواطع الاسلام ٧٤.
٤) ١٣٥-١٣٧ ط: دار الإفاق الجديدة بيروت.
٥) مشكاة الأنوار (٤٠) مجموعة القصور العوالي.

يحصل لها نورٌ يظهر في نورها الغيب» [١].

بل قد تتمثّل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجوهر الملائكة وينتهي الوحي والإلهام فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم» [٢]. فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة والكتب بل بالزهد في الدنيا» [٣] وهذه الرحمة ليست موقوفة على الأنبياء وحدهم وإنما هي ممنوحة لكل من يستعد لتزكية النفس وتطهيرها [٤].

- ومن هنا أعلنها الغزالي دعوة عامة الى الجميع لانتظار سماع الوحي الذي حصل لموسى بقوله « واطو الطريق: فإنك بالواد المقدس طُوى، واستمع بسر قلبك لما يوحى، فلعلَك تجِد على النار هدى، ولعلك من سُرادقات العرش تُنادى بما نودي به موسى ﴿إني أنا ربك﴾ [٥].

قال «وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلفّ رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق، ويشاهد جلال الحضرة الربوبية [٦].

○ ويروي الغزالي (ضمن حكايات المحبين لله وأقوالهم وأحوالهم) عن أبي تراب النخشبي الصوفي قوله لتلميذه «ويلك! أتغتر بالله! والله لو رأيت أبا يزيد البسطامي مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة» ويروي عن البسطامي قوله « قولك: سبحان الله: شرك » [٧] علق ابن الجوزي على هذا الكلام بقوله « وهذا فوق الجنون بدرجات» (تلبيس ابليس ٣٥٤).

○ ويشبّه الغزالي افعال المخلوقات بالدّمى التي يظن الناظر اليها أنها تتحرك من تلقاء نفسها [٨] وإنما تحركها خيوط عنكبوتية ممتدة

---

١) المنقذ من الضلال ٣٥-٤٥.

٢) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ١٣٠.

٣) الإحياء ١٨/٣.

٤) ميزان العمل ٢٢.

٥) الاحياء ٢٥١/٤.

٦) الاحياء ٧٦/٣.

٧) الاحياء ٣٥٦/٤ و٣٥٨.

٨) الاحياء ٩٧/٤.

من السماء حُجب العوامُّ عن رؤيتها ورآها الخواص من أهل الكشف!.

ولهذا تكرر قوله كثيراً بأنه (ليس في الوجود إلا الله وأفعاله) [(1)]. وذكر الزبيدي أن من المصرحين بأنه ليس في الوجود الا الله إنما هو ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية[(2)].

ولقد قال الأحباش «انظروا الى تفسير سيد قطب لسورة الاخلاص بأن الوجود الحقيقي انما هو لله فقط» ثم قالوا: أليس هذا قولا بوحدة الوجود التي اتفق علماء المسلمين على كفر قائلها» غير أنهم لتحيزهم لا يتحدثون عن هذه الكلمات التي كان الزبيدي يقرها ويشرحها ويقر بعقيدة وحدة الوجود وأنه ليس في الوجود على الحقيقة الا الله وأفعاله» (١٠/٢١٩)؟!

---

١) الإحياء ١/ ٣٣٠ و٤:٨٦ و٥:٣٠ جواهر القرآن ١١ مشكاة الأنوار ١٨

٢) اتحاف السادة المتقين ٩/ ٥٦٠.

سكوته عن انحرافات النابلسي

وها هو عبد الغني النابلسي أحد أبرز المدافعين عن عقيدة وحدة الوجود وهو رجل تجتمع فيه متناقضات عجيبة. وكتب في عقيدة وحدة الوجود مؤلفات عديدة منها:

- إيضاح المقصود من وحدة الوجود.
- الظل الممدود في معنى وحدة الوجود.
- حلّ رموز الدائرة الكبرى.
- اللؤلؤ المكنون في الإخبار عما سيكون [١] وفيه يشرح الوسائل التي يتمكن بها كل واحد معرفة الأمور المستقبلية وأمور الغيب ذكر منها الاطلاع على حركات الأفلاك. ويتحدث عن مزايا كتاب الجفر الشيعي.
- كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض وابن الفارض صاحب التائية الشعرية المشهورة التي يغازل فيها رب العالمين ويخاطبه بضمير الأنثى.

سكوته عن انحرافات السرهندي

وهذا السرهندي النقشبندي يثبت لنفسه مقاما فوق مقام أبي بكر الصديق ويدعي العروج الى السموات العلا بل فوق العرش متى أراد [٢]. بل حكم على نفسه بأنه وصل الى مقام عظيم فوق مقامات الخلفاء الثلاثة الآخرين وهناك وجد شيخه خواجة بهاء الدين نقشبند. ولما جاءته رسالة فيها اعتراض على كلامه هذا أجاب بأن هذا الكلام صحيح ولا غبار عليه وليس موهما لتفضيل نفسه على أبي بكر [٣].

وأخذ يبرر أقوال ابن عربي « إن الله ليس بعالم للغيب» وقول الحلاج « أنا الحق، سبحاني ما أعظم شأني هل في الدارين غيري» ويبرر قول أبي يزيد البسطامي « لوائي أرفع من لواء محمد» والتمس له الأعذار واعتبر ذلك من الأحوال التي يعذر فيها لغلبة سكره[٤].

بل زعم أن أباه ذكر أن بعض سالكي طريق النقشبندية يجد نفسه

---

١) ألفه عام ١١١٠ رقم ٧٥٠٤ تصوف بالظاهرية بدمشق.

٢) المكتوبات ١٧٦ وانظر ١٧ و٢٠٠.

٣) مكتوبات الامام الرباني ١٧ وانظر حول الاعتراض ١٦٣.

٤) مكتوبات السرهندي ٣٣و ١٠١ و١٠٦ و١١٤.

في مقامات العروج في مقامات الأنبياء أنه عرج به الى ما فوق مقاماتهم[1].

وذكر السرهندي قول الجيلاني « لا مجال لأحد في تبديل القضاء المبرم الآلي، فإني أتصرف فيه أيضاً إن أردت ذلك»[2]. وأخذ يلتمس له التأويلات.

والسرهندي يعتبر روح الانسان صورة شبيهة عن الله. محتجا بحديث « إن الله خلق آدم على صورته» حتى نقل عنه الكوثري أن الكمال في التوحيد الوجودي ظهور أن العبد والرب رب»[3].

فهذا الكفر الصريح تتسع له الصدور وتلتمس له الأعذار، أما ما هو دون ذلك من الكلام فإن الأعذار تلتمس لتكفير قائله!!!

1) مكتوبات الامام الرباني ١٧٦.
2) مكتوبات الامام الرباني ١٨٩.
3) المكتوبات ٣٧٣ و٣٢٦ وانظر إرغام المريد للكوثري ٧١.

هل تحكمون بكفر الرفاعي

لقوله ان الصوفي يؤتى كلمة (كن) فيكون؟

ذكر الصيادي أن الشيخ أحمد الرفاعي قال « واذا صرّف الله تعالى الوليَّ في الكون المطلق : صار أمره بأمر الله تعالى : اذا قال للشيء كن فيكون [1]، وأنه جاء في بعض الكتب الالهية أن الله تعالى قال: يا بني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم، وأجعلكم تقولون للشيء: كن **فيكون** [2]. وقال علي بن محمد الدينوري « تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدّباً مع الله» [3].

وقد نص القرافي أن هذا القول من الصوفية كفرٌ صريح، فنقل ابن حجر الهيتمي عن القرافي أنه قال « وقد وقع هذا لجماعة من الصوفية يقولون: فلان أعطي كلمة (كن). قال « **وهذا كفر**». فبماذا تحكمون على الرفاعي والصيادي الذي جعلها من مناقبه وكراماته!

وزعم النبهاني أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعمر النبتيني « أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني **وقل له يتصرف في الكون** [4].

سكوته عن انحرافات ابن عربي

○ وهاهو يسكت عن محيي الدين بن عربي الذي يقول بوحدة الوجود وقدم العالم والذي قلَبَ معنى العذاب في النار الى معنى العذوبة والراحة حتى قال [5]:

وإن دخلوا دار الشقاء فانهم على لـذة فيهـا نعيـم مبـاين
يُسمَّى عذاباً من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صاين

فقال له شيخ الاسلام ابن تيمية « أذاقكم الله هذه العُذوبة».

---

١) قلادة الجواهر ٧٣ و١٤٥ المعارف المحمدية ٤٧. وانظر البرهان المؤيد ٩٤ تحقيق الحبشي نفسه وذكرها النبهاني عن ابن عربي ٣٢/١.

٢) قلادة الجواهر ١٤٧ طبقات الشعراني ١٤٢/١.

٣) جامع كرامات الأولياء ١٥٨/٢.

٤) جامع كرامات الأولياء ١٣٥/٢.

٥) فصوص الحِكَم ٩٤.

مواقف الآخرين من ابن عربي

- قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الحلاج ما نصّه «ولا أرى أحداً يتعصب للحلاج إلا أهل الوحدة المطلقة، ولهذا ترى ابن عربي يعظّمه ويقع في الجنيد» [1].

فماذا يقول الحبشي في قول الحافظ وقد أمرنا أن نقبل على وجه التسليم كل ما ينص عليه الحافظ، وهو أولى بالجرح والتعديل من الشعراني فهل يقبل جرحه لابن عربي؟!

- وقال أبو حيّان النحوي بإلحاده لأنه يقول بوحدة الوجود[2].
- وذكر الذهبي بأنه « قدوة العالمين في القول بوحدة الوجود [3]

- وقال شمس الدين ابن الجزري الشافعي بكفره. وأنشد يقول[4]:

دعا ابن العُرَيبيِّ الأنـــامَ ليقتدوا   بأعورة الدجال في بعض كتبه
وفرعــونَ أسمـاه لكل محقــق   إمـــامــاً ألا تَبّـــاً له ولحزبه

- وحكم تقي الدين السبكّي بكفره. حكاه الشيخ ملا عليَ قارَي [5].
- وحكم القاضي زين الدين الكتاني بكفره [6].
- والشيخ نور الدين البكري بكفره [7].
- والشيخ ابن خلدون في مقدمته [8].
- وقد صنف الشيخ برهان الدين البقاعي كتاب « **تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي** ».
- ونص ابن الملقن في طبقاته أن العز بن عبد السلام (أحد معاصريه) كان يحط عليه، وسأله ابن دقيق العيد عنه فقال « هو شيخ سوء كذّاب، **يقول بقدم العالم ولا يحرّم فرجاً**» [9].

---

١) لسان الميزان ٣٨٤/٢ ترجمة الحلاج رقم (٢٨٠٨/٦٤٧).
٢) تفسير البحر المحيط ٤٤٩/٣.
٣) العبر في خبر من غبر ٢٣٣/٣ ميزان الاعتدال ١٠٨/٣.
٤) العقد الثمين للفاسي ١٧٣-١٧٤ وذكر العلامة القاري في الرد على القائلين بوحدة الوجود ١٣٨ وانظر صفحة رقم ١٣٠.
٥) العقد الثمين ١٨٧/٢-١٨٨ الرد على القائلين بوحدة الوجود ١٣٥.
٦) العقد الثمين للفاسي ١٧٤/٢-١٧٥.
٧) العقد الثمين ١٧٥/٢.
٨) مقدمة ابن خلدون ٣٢٣ و٤٧٢ العقد الأمين ١٧٨/٢.
٩) سير الأعلام ٤٨/٢٣-٤٩ طبقات ابن الملقن (١٥٣) ص ٤٦٩ ميزان الاعتدال للذهبي ٦٥٩/٣ الرد على القائلين بوحدة الوجود ٣٤.

ابن طولون حجة عليكم

- وذكر ابن طولون الحنفي أن غالب فقهاء العرب **وجميع المحدّثين** بلغوا نحواً من خمسمائة الى تكفيره. ذكر منهم: علاّمة زمانه تقي الدين ابن تيمية وكمال الدين الادفوني وأبو زرعة والعيني وحافظ العصر شهاب الدين ابن حجر وابن الصلاح وابن دقيق العيد وبدر الدين بن جماعة وشيخ الاسلام تقي الدين السبكي [١].

- وشنّع عليه السعد التفتازاني في كتاب « فاضحة الملحدين» [٢].
ولعله بعنوان آخر « الرد والتشنيع على كتاب الفصوص» الذي قال عنه الذهبي « فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر»[٣].

فهؤلاء يضرب صفحاً عن ذكرهم، ويدافع عنهم ويعلّم أتباعه بأنهم من خُلّص أولياء الله. أما الألباني وابن تيمية فهم من أكفر خلق الله عنده!!

---

١) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ٢/٥٣٨-٥٣٩.

٢) مخطوطة محفوظة بمكتبة برلين ٢٨٩١ حسب بروكلمان ٢/٣٥.

٣) سير اعلام النبلاء ٢٣/٤٨.

سكوته عن انحرافات النبهاني

وقد ذكر النبهاني جملة من «أصحاب الكرامات» منهم:

* (ابراهيم الملقب بـ (جيعانة): من كراماته أن امرأة أتته وسألته الدعاء وأمرّت يدها على أطماره الرثة ثم أمرّتها على وجهها، وهناك فقيهان روميان فقال أحدهما: يا حرمة تنجست يدك بما مرّت عليه. فنظر الشيخ اليه مغضباً ثم جلس وغاط ثم نهض فتقدم الفقيه المنكر وجعل يلعق غائطه ورفيقه متمسك بأثوابه ويضمه ويقول: ويلك هذا غائط الشيخ! الى أن لعق الجميع ببعض التراب، فلما نهض جعل يعاتبه فقال: والله ما لعقت الا عسلاً [1].

* (ابراهيم العريان) كان يخطب الجمعة بالناس وهو عريان... فيحصل للناس بسط عظيم [2].

* (عبد الكريم الدمشقي) سألوه: هل تستطيع أن تشرب كل ما في هذه البركة؟ فقال: إملأوها. فأخذه حال عجيب ووضع فمه في البركة فصار يشرب والماء يخرج من إحليله (ذَكَرِه) ولم يزل كذلك يدخل الماء من فمه ويخرجه من إحليله إلى أن فَرَغت البركة. قال النبهاني: **وهي من أعظم كراماته** [3].

* (عبد الله الذي كان يطحن الحشيش) من كراماته أنه كان كل من أخذ من حشيشه (رضي الله عنه) وأكل منه يتوب لوقته ولا يعود لها أبداً [4].

* (عبد الوهاب الشعراني) من كراماته أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعمر النبتيني « أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني **وقل له يتصرف في الكون** [5].

* (علي بن محمد الدينوري) قال « تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدّباً مع الله» [6].

* (علي العمري) من كراماته ما رواه الحاج ابراهيم، قال: دخلت الحمام مع شيخنا الشيخ علي العمري ومعنا خادمه محمد الدبوسي ولم يكن في الحمام غيرنا. قال: فرأيت من الشيخ كرامة من أعجب خوارق

---

١) جامع كرامات الأولياء ١/٢٤٠.

٢) جامع كرامات الأولياء ١/٢٤٦.

٣) جامع كرامات الأولياء ٢/١٠٢.

٤) جامع كرامات الأولياء ٢/١٢٥.

٥) جامع كرامات الأولياء ٢/١٣٥.

٦) جامع كرامات الأولياء ٢/١٥٨.

العادات وأغربها وهي أنه أظهر الغضب على خادمه وأراد أن يؤدبه فأخذ إحليله (أي ذكره) بيديه الاثنتين من تحت إزاره بحيث طال طولا عجيبا بحيث أنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه وصار يجلد به خادمه، والخادم يتلوى من شدة الألم فعل ذلك مرات ثم تركه وعاد إحليله الى ما كان عليه. قال الحاج ابراهيم: ففهمت أن الخادم عمل عملا يستحق التأديب فأدبه الشيخ بهذه الصورة العجيبة.

قال النبهاني: ولما حكى لي ذلك الحاج ابراهيم حكاه بحضور الشيخ الذي كان واقفاً فقال لي الشيخ لا تصدقه، وأخذ يدي بالجبر عني ووضعها على موضع إحليله فلم أحس بشيء مطلقاً حتى كأنه ليس برجل أبداً، فرحمه الله ورضي عنه ما أكثر عجائبه وكراماته»[1].

❊ ومن كراماته أنه كان في بلد الشيخ علي رجل قليل الحياء معجباً بإحليله فكان يمازح الشيخ اذا رآه ويضع يده على إحليل نفسه ويقول له هل عندك مثل هذا؟ فضربه الشيخ بيده وقال له إذهب فذهب كأنه امرأة لم يتحرك له شيء[2]. ا. هـ. (يا لمصيبة هذه الأمة).

❊ (عيسى بن نجم البرلسي) مكث سبع عشرة سنة بوضوء واحد[3].

❊ (ولي الله الديوث) حكى الشيخ نور الدين الشوني أن شخصاً كان مكارياً يحمل النساء من بنات الخطأ وكان الناس يسبونه ويصفونه بالتعريض وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة من بنات الخطأ وتعود الى الزنا أبداً[4].

كيف صدقت عقولكم التي قدمتموها على النقل: هذه الخرافات والمهزلة التي لا تزيد النصارى اذا قرأوها الا ثباتاً على النصرانية ونفورا من الاسلام؟.

---

١) جامع كرامات الأولياء ٢/٢٠٨.

٢) جامع كرامات الأولياء ٢/٢١٤.

٣) جامع كرامات الأولياء ٢/٢٢٨.

٤) جامع كرامات الأولياء ٢/٣٢٧.

نماذج من كلام ابن تيمية

وهذه نبذة من كلام ابن تيمية ليعرف المنصف موقفه من أسماء الله وصفاته ومنهجه في الدين بإيجاز: يقول:

تمسكه بهدي السلف

« ما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون وما قاله أئمة الهدى هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب (باب الأسماء وغيره) فان الله تعالى بعث محمدا ﷺ بالحق ليُخرج الناس من الظلمات الى النور، وشهد له بأنه بعثه داعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخبر الله تعالى بأنه أكمل له ولأمته في دينهم، أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً، ولم يميز ما يجب لله من الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، وما يجوز عليه أو يمتنع.

فإن معرفة هذا أصلُ الدين وأساس الهداية، وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصّلته النفوس وأدركتْه العقول، وقال فيما صحَّ عنه « ما بعث الله نبياً إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم» [1].

فكيف يتوهم مَن في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب (الأسماء والصفات) قد وقع من الرسول على غاية التمام؟ ومن المحال أن خير أمته وأفضل القرون قصَّروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين منه.

ولم يقل أحد منهم إن الله ليس على العرش، ولا إنه في كل مكان ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا إنه لا تجوز الإشارة إليه.

فإنْ كان الحق فيما يقوله هؤلاء النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة، من هذه العبارات ونحوها دونما فهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله ورسوله، ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائماً بما هو نصٌّ أو ظاهرٌ في خلاف الحق! ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلّون عليه، حتى جاء

---

١) رواه مسلم (١٨٤٤).

المتوغلون في علوم الفلاسفة، فبيّنوا للأمة العقيدة الصحيحة، ودفعوا بمقتضى علومهم ما دلّ عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ؟!

فإن كان الحق في قولهم: فلقد كان ترْكُ الناسِ بلا كتابٍ ولا سنةٍ أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير.

تأدب العقل

فإن حقيقة ما يقوله هؤلاء: أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله وما يستحقه من الصفات، لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم: فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات في عقولكم فصِفوه به، سواءً كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن.

وكأن الله قال لهم: ما نفاه قياس عقولكم مما اختلفتم فيه فانفوه، وإليه (أي العقل) فارجعوا عند التنازع، فإنه هو الحق الذي تعبَّدتُكُم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا فاعلموا أني ممتحنكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه، ولكن لتجتهدوا في تحريفه على شواذّ اللغة، ووحشيّ الألفاظ وغرائب الكلام.

وما أشبه حال هؤلاء بقوله تعالى **﴿ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزِل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمِروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا، فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا﴾** [النساء٦١].

فإن هؤلاء إذا دُعُوا الى ما أنزِل الله من كتاب والى الرسول أعرضوا عن ذلك وهم يقولون : إنا قصَدنا الإحسان علماً وعملا بهذه الطريق التي سلكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية:

فيقال لهم: يا سبحان الله، كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم فإنه الحق.

ثم الرسول قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة، ثم قال « إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله».

وقال في صفة الفرقة الناجية « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» فهل قال: من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال وإنما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم؟!

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب « التأويلات » وذكرها الفخر الرازي في كتابه الذي سماه « تأسيس التقديس » ويوجد كثير منها في كلام كثير غير هؤلاء [كالمعتزلة] مثل أبي علي الجبائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري، التي ذكرها بشر المريسي في كتابه.

التأويل بين الخلف والسلف

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العلا، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، فإن من حرّفوا لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثّلوا أولا وعطلوا آخرا، فهذا تشبيه وتمثيلٌ منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيلٌ لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به.

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين في أمر مريج، فإن من ينكر الرؤية زعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر الى التأويل، ومن يحيل أن لله علماً وقدرةً يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل.

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدّعي الآخر: أن العقل أحاله.

يا ليت شعري! بأيِ عقل يُوزَن الكتاب والسنة، فرضي الله عن مالك بن أنس حيث قال « أوكلماً جاءنا رجلٌ أجْدَلُ منَ رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد ﷺ لجَدَل هؤلاء، وكلٌ من هؤلاء مَخصومٌ بمثل ما خُصم به الآخر، فكلّ من ظَن أن غير الرسول والسلف أعلم بهذا الباب، أو أكمل بياناً أو أحرص على هدى الخلق، فهو من الملحدين لا من المؤمنين» (١).

اصل الدين وقواعده

قال « ودين الاسلام مبني على أصلين، على أن يُعبد الله وحده لا يشرك به شيء، وعلى أن يُعبد الله بما شرعه على لسان نبيه ﷺ. وهذان هما حقيقة قولنا « لا اله الا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» فالاله هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيماً وخوفاً ورجاءً وإجلالاً وإكراماً.

والله عز وجل له حق لا يشركه فيه غيره فلا يُعبَد الا الله، ولا يُدعى الا الله، ولا يطاع الا الله.
والرسول ﷺ هو المبلغ عن الله تعالى أمره ونهيه وتحليله وتحريمه، وهو واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه.

وأما في إجابة الدعاء، وكشف البلاء... فالله تعالى هو الذي يسمع كلامهم ويرى مكانهم ويعلم سرهم ونجواهم، وهو سبحانه قادر علي إنزال النعم، وإزالة الضرر والسقم من غير احتياج منه الى أن يعرفه أحد أحوال عباده، أو يعينه على قضاء حوائجهم... وهو سبحانه لا يشغله سمع كلام هذا سمع كلام هذا ولا يغلطه اختلاف أصواتهم ولغاتهم، بل يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ولا يبرمه الحاح الملحين، بل يحب الإلحاح في الدعاء» (٢).

---

١) مجموع الفتاوى ٥/١٥-٣١.
٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٨٠-١٨١ ط: مكتبة دار البيان - دمشق.

ضوابط التكفير عند ابن تيمية
تبطل دعوى تكفيره للمخالفين في مسالة الطلاق

وزعم الحبشي أن ابن تيمية يكفّر مخالفيه في مسألة الطلاق [١] فهذا كذب واضح يردّه قول ابن تيمية فقد كان يثني على المخالفين له في مسألة الطلاق ويقول بأن الذي قالوه باجتهادهم لهم سعيٌ مشكور وعملٌ مبرور، وهم مأجورون على ذلك مثابون عليه، وأن من أصاب منهم الكتاب والسنة فله أجران، ومن أخطأ فله أجر... وهم مطيعون لله ورسوله فيما أتوا به من الاجتهاد المأمورين به. ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها» [٢].

وكلامه هذا يفضح افتراء الحبشي وإلا فليخبرنا: أين قال ابن تيمية بتكفير مخالفيه في مسألة الطلاق؟ وقد دل كلام ابن تيمية على نقيض ذلك:

بل قد قال ابن تيمية «لقد كنت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: « إذا أنا متُّ فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرّوني في اليمّ، فوالله لئن قدر الله علَيّ ليعذبنّي عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، ففعلوا به ذلك، فقال الله له: ما حملك على ما فعلتَ؟ قال: خشْيَتُك. فغفر له. قال : فهذا رجلٌ شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِيَ بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كُفرٌ باتفاق المسلمين لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف أن يعاقبه الله فغفر له بذلك» [٣].

قال: « والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا» [٤].

وقال «ولا يجوز تكفير المسلم بخطأ أخطأه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة» [٥]. بل قد ذكر النزاع في كفر الخوارج والروافض وغيرهم من الفرق وقد خالفوا إجماع المسلمين في أمور العقائد فما بالك بالمخالف في الفروع [٦].

---

١) المقالات السنية ٥٧ و٦٢و٧٥.
٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٣/١٤٩-١٥٠.
٣) علق الحافظ ابن عبد البر على هذا الحديث بقوله « وأما جهل هذا الرجل في هذا الحديث بصفة من صفات الله في علمه وقدره فليس ذلك بمخرجه من الايمان» (التمهيد ١٨/٢٤) وفي هذا رد على من اشترط للايمان حفظ ثلاث عشرة صفة كما يدعي الحبشي.
٤) مجموع الفتاوى ٣/٣٣٠.
٥) الفتاوى ٣/٢٨٣.

نقده لأهل التكفير

قال ابن تيمية « وطريقة أهل البدع في التكفير الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفّرون من خالفهم في بدعتهم.

فالرافضة ابتدعوا تفضيل عليّ على الثلاثة وتقديمه في الإمامة، وكفّروا من خالفهم.

وكذلك الجهمية ابتدعت نفي الصفات وجعلوا يكفّرون من لم يوافقهم على ذلك.

وأئمة السنة والجماعة وأهل الايمان فيهم:

- العلم، والعدل، والرحمة.

فيعلمون الحق الذي يكونون موافقين به للكتاب والسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم كما قال تعالى ﴿ **كونوا قوّامين لله شُهداء بالقسط ولا يجرِمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوىٰ** ﴾.

ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم، وبيّنوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا.

فالمؤمنون أهل السنة أعمالهم خالصة لله تعالى، موافقة للسنة، وأعمال مخالفيهم لا خالصة ولا صواب، بل بدعة واتباع الهوى، ولهذا يُسَمَّوْن « أهل البدع والأهواء».

فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفّرون مَن خالفهم وإن كان ذلك المخالف يُكَفّرهم. لأن الكفر حكمٌ شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب عليه، كمن كذب عليك وزنى بأهلك: ليس لك أن تكذب عليه وتزنَي بأهله، لأن الكذب والزنا حرام.

وكذلك التكفير حقٌّ لله، فلا يُكَفَّرُ إلا مَن كفّره اللهُ ورسوله.

وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يُكَفَّرُ من خالفها، وإلا؛ فليس كل من جهل

---

٦) الفتاوى ٢٣/٣٤٦ و ٢٢٩.

شيئاً من الدين يُكَفَّر.

ولهذا كنتُ أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش، لمّا وقعَتْ محنتُهُم:
« أنا لو وافقتُكم كنتُ كافراً، لأني أعلم أن قولكم كُفرٌ. وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جُهَّال. وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم» [١].

فهكذا منهج هذا الرجل الفذ وطريقته الموزونة بميزان الكتاب والسنة لا تجد في كلامه ما تجده عند أهل الانحراف والظلم من العصبية والتجني والانحراف عن السنة، حتى قال فيه الذهبي كلمته المشهورة « **كأن السنة نصب عينيه**».

وقد انتقصه المتعصبون وشنعوا عليه ورموه بشتى التهم، وهذا من تسلط الشيطان عليهم حيث زيّن لهم سبه وتكفيره بينما زيّن لهم الدفاع عن ابن الفارض وابن عربي بما أمكن من التأويل والتحيز والتكتم.

---

١) الرد على البكري ٢٥٦ - ٢٦٠ لابن تيمية.

فوضى التكفير المتهور

وإذا كان موقف ابن تيمية من قضية التكفير على الوجه الذي حكيناه عنه فما هي مواقف الناس من ذلك؟

إننا نعلم أن التكفير حق لله سبحانه وتعالى لا يجوز لأحد اخراج أحد من دين الله الا ببيِّنة ودليل يعذر بهما يوم القيامة عند الله. فإن المسلم قد يَخرُج من الدين بإخراجه منه من ليس عند الله كذلك.

○ قال رسول الله ﷺ «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما» وفي رواية «أيما امرىء قال لأخيه «كافر» فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال: **وإلا رجعتْ عليه**»[1]. فلا يجوز خروج هذه الكلمة (كَفَرَ) من فم امرىء يتقي الله ويحتاط لدينه إلا بعد حذر شديد. إذ قد تكون سبباً في خروجه هو. وأي خسارة أعظم من ذلك.

○ وليس خلق الله وصايا على دينه حتى يُخرجوا منه من يشاؤون ممن قد لا يستحقه، ثم يسكتون ويتغاضون عمن يشاؤون ممن يستحقه.

○ والتكفير لا يحكم عليه بلا أو نعم وانما له ضوابط وشروط وفيه تفصيل بين ما يعذر فيه صاحبه بالجهل وبين ما لا يعذر فيه، وبين ما يكفر فيه صاحبه بالضرورة وبين ما لا يكفر فيه بالضرورة.

غفلة الناس عن معرفة ضوابط التكفير

○ ولا يبدو أن عند الحبشي وأتباعه مراعاة لضوابط التكفير ولا مسامحة ولين في التعامل مع المخالف، بل يلاحظ فيهم جانب الفظاظة والقسوة والشدة وهذا حاصل ثمرة علم الكلام وأهله كما وصفهم أبو حنيفة بأنهم قساة قلوب: ليس عندهم ورعٌ ولا تقوى. ومن شاء الوقوف على سلوكيات هذا الرجل فليستمع ولو إلى شريط واحد من أشرطته ليرى فيها الطعن واللعن بالعلماء المخالفين له في المذهب.

○ وقد حكم بانسلاخ أحد مخالفيه من الدين (خالد كنعان) فقال له «ولعلك منذ أربعين سنة انحرف قلبك أم منذ كم؟ فعارٌ عليك أن تدّعي الاسلام بعد هذا الكفر الذي كفرتَه، ثم لما جاءك المسخ القلبي انسلخت منه كما انسلختَ عن حكم تكفير سابّ النبي؟ وهذا تسجيلٌ

---

١) البخاري (٦١٠٣و٦١٠٤و٦١٠٥) ومسلم (٨٠).

آخر على نفسك بأنك منسلخ عن السلف والخلف»[١].

○ وليس من خلاف بين الفريقين في حكم ساب النبي ﷺ سباً صريحاً، ولم يكن الخلاف حول حكم شاتم الرسول ﷺ وإنما حول قصة ذاك الرجل الذي قال للنبي ﷺ «إعدل يا محمد» بالكفر؟ ومحل الخلاف في كون هذه الكلمة سباً صريحاً أم لا. وإذا كان كذلك فلماذا لم يقتله النبي ﷺ ردةً، علماً بأن هذا الرجل «ذا الخويصرة» كان له يد في بعض الفتوحات الاسلامية كالعراق والأهواز، وقد قيل إنه انضم بعد ذلك الى صفوف الخوارج، لكن الخوارج أنفسهم لم يكفروا على الراجح من قول أهل العلم [٢]. فلا يبدو من الصحابة أنهم عاملوه معاملة الكافر المرتد. واستغل الحبشي هذه الحادثة وحكم على خالد كنعان بالكفر والانسلاخ من الدين.

وهو متناقض شديد التناقض فقد سأله خالد كنعان نفسه عن التلفظ بالأقوال الكفرية فقال « الحكم ليس على هذه الألفاظ الكفرية وانما يكون من خلال فهم الشخص لها فإن كان يفهم منها كفرا فلا نكفره»[٣]. مع أنه دائم التكفير لمن يخالفه ولو كان في مسائل بسيطة.

الحافظ يشهد بأن أهل الكلام تكفيريون

ولقد أبدى الحافظ ابن حجر استياءه من ذلك فقال « والعجب ممن اشترط ترك التقليد من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول الداعين اليه.. فآل أمرهم الى تكفير من قلد الرسول ﷺ في معرفة الله تعالى. وكفى بهذا ضلالا، ويلزم من ذلك الى القول بعدم ايمان أكثر المسلمين»[٤]. ونقل عن البيهقي في كتاب الاعتقاد أن غالب من أسلم من الناس في عهد النبي ﷺ لم يعرفوا اثبات الصانع وحدوث العالم عن طريق استدلال المتكلمين وذكر أن هذا لا يكون تقليدا وانما اتباعا[٥]. وأثبت الحافظ أن هذا الاشتراط الذي عرفه المتكلمون انما قلدوا به المعتزلة الذين سبقوهم الى تكفير من لم يعرف الله عن طريق الاستدلال. قال « وذهب أبو هاشم من المعتزلة الى أن من لم يعرف الله بالدليل فهو كافر»[٦].

---

١) صريح البيان ٢٣و٢٩.
٢) فتح الباري ١٢/٢٩٣.
٣) شريط سؤالات عبد الله الحبشي بداية الوجه الأول.
٤) فتح الباري ١٣/٣٥٤.
٥) فتح الباري ١٣/٣٥٣.
٦) فتح الباري ١٣/٣٥٠.

لماذا تميز الاحباش بالتكفير

لأنهم لا يرون العذر بالجهل وضرورة إقامة الحجة وانتفاء المانع فيحكمون على الناس بالخروج من الملة قبل اقامة الحجة على المخطىء وتنبيهه.

وبما أنهم ينتحلون الشافعي نحتج عليهم بقول الشافعي « لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها... فإن خالف أحد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، وأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل»[١].

ففرّق بين إقامة الحجة وبين عدم اقامتها في مسألة العقائد.

ولذلك قال أهل العلم «قد يقول المسلمُ كفراً» أي يبقى مسلماً مع ذلك بسبب جهلٍ أو شبهة أو تأويلٍ أو نحو ذلك.

---

١) فتح الباري ١٣/٤٠٧ سير أعلام النبلاء ١٠/٨٠.

والناس غافلون عن هذه الحقيقة:

فبعضهم لا يفرق بين الكفر الأكبر من الكفر الأصغر فيحكم على الواقع في كفر أصغر بخروجه من الملة. قال شارح الفقه الأكبر « وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث ... يقولون بكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطىء وغيره ويقولون بكفر كل مبتدع، وهذا القول يقرب الى مذهب الخوارج والمعتزلة، فمن عيوب أهل البدعة أنه يكفر بعضهم بعضاً، ومن ممادح أهل السنة والجماعة أنهم يخطّئون ولا يكفّرون»[1].

القاعدة الأولى: أن كل عمل من أعمال الكفر لا نكفّر صاحبه به إلا إن كان وراءه كفر اعتقادي، وإلا فهو كفرٌ عمليٌ لا يوجب خروج صاحبه من الملة بمجرده، وعلى هذا جرى اتفاق السلف. ودليله قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء...**﴾ [الممتحنة١].

وفي سبب نزولها أن عليَ بن أبي طالب قال: بعثني رسول الله ﷺ والزبير وأبا مرثد فقال «إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فأتُوني بها» فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها فقلنا: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب، فقال علي: لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب، فأخرجت الصحيفة فجاؤا بها الى النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ «يا حاطب ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله: ما لي أن لا أكون مؤمناًبالله ورسوله، ولكني أردتُ أن يكون لي عند القوم يد يدفع بِها عن أهلي ومال، وليس من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه مَن يدفع الله به عن أهله وماله. فقال ﷺ «صدق، لا تقولوا له إلا خيراً».

أي صدق أنه ما قصد موالاة عدو الله ولا حبهم من دون المؤمنين

---

1) الفقه الأكبر ١٣٦.

لأن موالاتهم كفرٌ[1] فظهر أنه لم يكن وراء فعل حاطب - الذي هو كفرٌ عمليٌّ في العادة- كفر في الاعتقاد. ودليل ذلك قوله ﷺ «قد صدقكم، لا تقولوا له إلا خيراً».

القاعدة الثانية : أنه لا يكفي أن يقول الرجل كُفراً حتى نسارع الى تكفيره، فقد يكون جاهلا أو مخطئاً أو متأوِّلاً، فلا يقال له لأول وهلة: (كفَرتَ) وإنما يقال له أخطأت إلا أن قد يكون قد تلفظ بما يُعرف كُفرُه بديهة كمن يسب الله أو النبي ﷺ. الخ.

٢) ولا يجوز مسارعة تكفير من له شبهة في ذلك كأن يشتبه عليه صحة الحديث في ذلك ولا يتبين له. وكم من حديث ضعيف بنى عليه الحبشي أحكاماً مثل استدلاله هو وأتباعه بسؤال آدم بمحمد ﷺ حين رأى إسمه على باب الجنة. وهو حديث موضوع كما قال الذهبي في تعقيبه على الحاكم، وحديث (أسألك بحق السائلين عليك) مع زعمه أنه لا يستدل بالحديث الضعيف في العقائد. وحديث أخذ الربا من الكافر الحربي. وكتبه وأشرطته مليئة بالأحاديث الضعيفة.

○ وعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ سمع عمرَ وهو يحلف بأبيه، فقال « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمُت»[2]. مع أنه ﷺ قال « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[3].

○ وقد سأل بعض المسلمين النبيَ ﷺ - وكانوا حديثي عهد بإسلام - أن يجعل لهم ذات أنواط مشابهة لأنواء الذين كانوا يعلقون سيوفهم بشجرة يتبركون بها فقال لهم النبي ﷺ « الله أكبر، إنها السنن، قلتم كما قال أصحاب موسى لموسى إجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة»[4]فجعل قولَهم شبيهاً بقول اليهود «إجعل لنا آلهة».

---

١) والفائدة من هذه القصة أن من والىٰ أعداء المسلمين - كما تفعل هذه الطائفة اليوم- واعتمد على مساندتهم ودعمهم فحكمه أنه خائن لله ولرسوله وللمؤمنين. وهذا كافٍ في رد عقيدته وتبجحه أن شيخه امام أهل السنة، وأن عقيدته صافية. لو كانت عقيدته صافية لما والى أعداء المسلمين واعتمد على تأييدهم ونصرتهم له ليتطاول ويستعلي بهم عليهم.

٢) متفق عليه.

٣) رواه الترمذي (١٥٣٥) في الايمان والنذور وسنده صحيح.

٤) رواه الترمذي (٢١٨١) بإسناد صحيح.

وقد كان على الحبشي أن يعلم أتباعه ضوابط التكفير وخطورته قبل أن يعلّمهم أنواع الكفريات المُخرجة من الدين، فقد فُتِح هنالك باب التكفير على مصراعيه وأُخرِجَ من الدين من ليس كذلك.

القاعدة الثالثة: أنه لا يكفَّرُ بالكفر الاعتقادي باستيفاء شروط (شروط التكفير) وانتفاء موانع، بمعنى أن لا يقوم بالشخص مانع منٌ تكفيره كبعض أنواع الجهل والتأويل والإكراه، فقد يجتمع في الأمر الواحد عدة موانع تمنع من الحكم الصحيح، ومثال ذلك استحلال الصحابي البدري قدامة بن مظعون للخمر هو وأصحابه، متأولين قول الله تبارك وتعالى ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعِموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا: والله يحب المحسنين**﴾ [١] (المائدة٩٣).

فظن أنه لا جناح عليه أن يشرب الخمر إذا ما اتقى وآمن وعمل الصالحات.

ومعلوم أن تحريم الخمر ثابت في القرآن وأن من استحله بعد علمه بتحريمه فقد كفر، وكان قدامة يعلم هذا التحريم في القرآن، ومع ذلك لم يحكم الصحابة بكفره وأصحابه لوجود مانع التأويل، فإنه لما بلغ عمرَ خبرُ قُدامة وأصحابه اتفق هو وعلي وسائر الصحابة أنهم اذا اعترفوا بالتحريم جُلدوا، لأن الحدّ حق لله، وإن أصرّوا على استحلالها قُتلوا (يعني للكفر) وَقال عمرُ لقُدامةَ: أخطأت، أمَا إنك لو اتقيتَ وآمنتَ وعَملتَ الصالحات لم تشربِ الخَمرَ.

ثم أقيم عليه وعلى منْ معه الحد.

ثم إن عمر بلغه بعد ذلك أن قدامة أيِسَ من التوبة فكتب اليه عمرُ يقول «أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ﴿**غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب**﴾ ما أدري أي ذنبَيْكَ أعظم: استحلالك المحرم أولا؟ أم يأسُكَ من رحمة الله ثانياً». [٢].

---

١) وسبب هذه الآية أنه لمّا نزل تحريم الخمر وذلك بعد معركة احد: قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية يبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يُحرّم فيها فلا جناح عليه اذا كان من المتقين المصلحين (فتح الباري ٢٧٨/٨ تفسير الطبري ٢٤/٥.

٢) الاصابة ٢٢٨/٣ مصنف عبد الرزاق ٢٤٠/٩.

○ وهذا الامام أحمد يحكم على من قال «إن القرآن مخلوق» بالكفر، وكان المأمون يقول بخلق القرآن ويلزم الناس كلهم بهذا القول بل وكان يعذب ويسجن العلماء الذين لا يقولون بذلك، وكان الامام أحمد ممن نالهم ضرب المأمون وتعذيبه إرغاماً له على القول بخلق القرآن، ومع ذلك لم يكفّره الامام أحمد بل كان يدعو له بخير ويرى إمامته، ويحث على نصرته في فتوحاته، ولم ير الخروج عليه لأنه اغترّ بقول أصحاب بن أبي دؤاد وغيرهم من المعتزلة ولم يكن يعلم حقيقة ما يؤول اليه هذا القول.

○ أن هناك فرقا بين التكفير المطلق وبين تكفير المعين، فقد يكون قائل الكفر أو فاعله متأولا أو جاهلا فيعلّم، وقد يقول المؤمن كفراً ولا يصير به مستحقاً لاسم الفاعل (كافر) فالحكم بالكفر علي المعين يقتضي انتفاء موانع التكفير واقتضاء شروطه وقيام الحجة.

قال ابن تيمية في المسائل الماردينية (ص ٧١) « وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً، فيطلق القول بتكفير صاحبه، فيقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها» ذ

يعجب المطالع لكتب الفقه - باب الردة والمرتد - حين يطالع توسعهم في أصناف المسائل المفترضة الموقعة في الكفر والردة (١) كقولهم « ويكفر من قال بارك الله في كذبك. ومن ذكر اسم الله على الدجاجة المسروقة. ومن قال الله يعلم أني فعلت كذا وهو يعلم أنه ما فعل.. الخ» ويبحث عن أصناف الشركيات الموقعة في الشرك الأكبر كحكم دعاء غير الله فلا يكاد يجد الا القليل.

---

١) ورد تعريف الردة في مختصر خليل مع شرح الدردير (٦: ١٤٤) بأنها (كفر مسلم) متقررٍ إسلامُه بالنطق بالشهادتين مختاراً.

تنزيهات يُنَزِّه الله عنها

والحبشي إذا ما نهى عن أنواع الكفر يأتي بألفاظ مستقبحة ويبدأ يذكرها بتفصيلها القبيح مع أنه لا يخفى كفرها على الجهال فضلا عن العلماء. وما ذاك الا لعدم تفريقه بين ما فُطِرَ الانسان على معرفته وبين ما يحتاج الى تعلمه،

وقد كان كافيه أن ينهى الناسَ عن التلفظ بسبّ الله عز وجل من دون حاجة الى ذكر أنواع السبّ بالتفصيل:

اذ من يجهل مثلا أن قول القائل « يلعن ربك» كفر؟ اللهم الا أن يكون هذا القائل مجنونا. ومن يجهل أن قول القائل « أخت ربك» « خلصني من ربك» « حل عني أنت وربك» « وحياة شوارب الله» « ياز... الله» « دخيل رجلين ربك» «أكون قوادا ان صليت» [١].

فتأمل هذه الألفاظ القبيحة الوقحة التي يتلفظ بها هذا الرجل وأتباعه. من يجهل أن هذا كله من الكفر المعلوم بالضرورة. وهو ما يتوسع الحبشي في تفصيله بطريقة تنافي الأدب مع الله.

ان هذه الألفاظ القبيحة التي ذكرها الحبشي ليست من تنزيه الله في شيء وهي ناشئة عن منهجية باطلة مضى عليها أهل الكلام في وصف الله تعالى بطريقة الاثبات المجمل والنفي المفصل، وهي على عكس الطريقة القرآنية التي اعتمدت الإثبات المفصل والنفي المجمل. كأن يقول قائلهم: الله ليس بذي عرض ولا طول ولا رائحة ولا لون وليس من المطعومات ولا من المشمومات. وهذه الطريقة في التنزيه مأخوذة عن المعتزلة.

ولو قال أحد الناس للملك أنت أرفع من أن تكون خبيثاً أو جباناً أو لستَ مفسداً ولا جباراً ولا مجرماً: لنال من الملك عقوبةً على التنزيه الأحمق المُخلّ بالأدب من غير أن يبالي الملك بحسن مقصد صاحب التنزيه الأحمق، فإن كان ذلك لا يرضاه الملكُ المخلوق فكيف تجترؤون بمثله على ملِك الملوك الخالق سبحانه؟

○ ولقد كان أحد أتباع الحبشي يلقي درسا عن التوحيد في

---

١) أنظر النهج السليم ٥٧ ـ ٦٤ الدليل القويم ١٤٥ـ ١٤٩ بغية الطالب ٤١.

مسجد الأميرة منقارة بطرابلس فقال «الله يرى بلا حدقة، ويسمع بلا أصمخة ويخلق بلا جارحة. الى أن قال : وليس له ذَكَرٌ لأنه ليس رجلا، فقام الناس عليه ساخطين واشتبك العراك بالأيدي والسلاح.

التوسل بدعاء المومسات

○ ووقف أحد أتباع الحبشي يصرخ في المسجد بأعلى صوته لا تقولوا « يا ز... الله» «أيها الناس لا تقولوا ز.. الله» كررها نحواً من عشرين مرة وهو يصرخ بها عالياً بلا حياء ولا أدب ولا ورع [1]. ثم عاد يكررها بصوت مرتفع « كيف تقولون عن الله إنه ز...» [2]. وشريطه مسجل عندي.

○ ومن المضحكات ما حكاه هذا «الواعظ» وهو على المنبر - ونترك لك التعليق - قال « وكان الشيخ بدر الدين الحسنى يذهب الى سوق الزانيات ويسألهن الدعاء له. وكان يرسل اليهن رجلا يبعث معه مبالغ من المال ليعطيها إليهن، فأتى رئيسة بنات الخطأ وأمرها أن تجمع له كل الزانيات بعد أن يغتسلن جميعهن. وبعد اجتماعهن سأل المومسات الدعاء للشيخ بظهر الغيب، فدعون له وصرن يبكين ثم أعلنت جميعهن توبتهن [3].

- وقد أخذ بهذا الواعظ الحماسُ وانعدم عنده ضابط الحياء فأخذ يقص عليهم قصة امرأة ضرَطت أمام بائع الخضار... الخ. والحاضرون يسمعون وعظه ويضحكون عليه. هكذا يصير سفهاء الناس وُعّاظهم.

---

١) شريط ١١ الوجه (أ) رقم ٢٢١.

٢) شريط ١١ الوجه (أ) رقم ٢٣٠-٢٤٤.

٣) شريط ١١ الوجه أ عدد ٢٨٥-٣٠٠.

أخلاق الحبشي

العقيدة لها أثرها في العمل والسلوك. فإذا كانت صحيحة كان أثرها طيباً، وإذا كانت فاسدة كان أثرها خبيثاً، وهناك ظاهرة باتت تحير المتابعين لهذا الرجل وجماعته، فالناس يريدون معرفة السبب الذي تميز به الأحباش بالتكبر وكراهية الآخرين وسبهم وتكفيرهم؟

وكان إذا طُرح سؤال كهذا أمام أحد الأحباش اعتذر بأن بعض العناصر يسيئون الى شيخهم. غير أن هذا الخلق صار هو الصفة الغالبة في أتباعه دون غيرهم من الفرق الأخرى حتى صار علامة لهم. ولولا أن هذا الخلق صادر عن شيخهم لما ظهر ذلك في الغالب من أتباعه.

ولقد قال عبد الوهاب الشعراني « اذا أردت أن تعرف مقام شيخ لم تره فانظر الى أصحابه فانهم يدلّونك عليه»[1].

والمتابع لدروس الرجل يلاحظ عدم خلوها (بمناسبة وبغير مناسبة) من التعرض للعلماء الآخرين بالسب والشتم واللعن والطرد من رحمة الله. ويأمر أتباعه بالتضييق على فلان ولعنه ويشتم ويتهكم ويستهزىء ويرمي خصومه بالتهم الكاذبة وينسب اليهم ما لم يقولوه. مما يتعارض وأخلاق الاسلام، قال ﷺ « ليس المؤمن بالطعّان ولا باللعّان ولا بالفاحش البذيء» [2] وقال «إذا خرجت اللعنة في فيّ صاحبها نَظَرَتْ: فإن وَجَدَتْ مسلكاً في الذي وُجِهَت اليه، وإلا عادت الَى الذي خرجت منه» [3].

مواقفه والفاظه تجاه مخالفيه

أما موقفه من مخالفيه فلا يخلو أيضا من سب وشتم.

فانه يصف مشايخ وعلماء الجزيرة العربية بأنهم « بهائم نجد» [4]. ويصف آخرين بمشايخ اللفائف ويصفهم بأنهم (بهائم) [5]. ويلاحظ جريان هذا اللفظ على لسانه بكثرة.

---

١) لطائف المنن والأخلاق ٣٢.

٢) رواه أحمد ٤٠٤/١ والحاكم ١٢/١ بسند صحيح.

٣) رواه أحمد ٤٠٨/١ بسند صحيح.

٤) الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ٥٤.

٥) الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ١١٤.

ويتحامل على الآخرين تحاملا ذميما على من يسميهم « وهابيين» و« مشوشين» بزعم أنهم يعتقدون أن الذي يجهر بالصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان يرتكب حراماً مثل حرمة أن يزني الرجل بأمه (١).

وزعم شيخهم أن محمد بن عبد الوهاب أُتِيَ برجل جهر بالصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان فأمر بقتله لأن ذلك يُعتبر عنده شركاً وكفراً بالله (٢) وزعم أنه كان ينهى عن قراءة المولد الشريف وكان يعرض بدعواه النبوة(٣). وأنه كان يعرِّض بالنبوة، وأنه كان يحكم بكفر من يتوسل بالنبي ﷺ. وزعم أن الألباني أصدر فتوى بتهديم قبر النبي ﷺ (٤).

وقال أتباعه « ونحن نعادي الوهابية الغلاة المتطرفين عداءً شديداً لأنهم على منهج ابن تيمية في تكفير أكثر المسلمين وفي تكفير من لا يعتقد عقائدهم، فلا عجب أن يصدر ابن باز فتوى ضد الشيخ وجماعته» (٥). وذكروا أن « الوهابية يدفعون أموالا طائلة لنشر عقيدتهم الفاسدة. لكنهم مغلوبون ومخذولون، وجمعية المشاريع لهم بالمرصاد»(٦).

وفي لقاء للأحباش مع القاضي موسى بن زاهر خان من قضاة منطقة غازي بيك في داغستان قال لهم القاضي « أهدي سلامي الى مسلمي لبنان طالباً منهم الاجتماع صفاً واحداً على طحن الوهابية». وأبدى القاضي المذكور استياءه لأن بعض ضعاف النفوس في بلده (داغستان) يذهبون الى الوهابية ليفتوا لهم بفتاوى ابن تيمية الباطلة (٧).

- ومضى أتباعه على نهجه في الافتراء: فزعم أحد أتباعه (أحمد الرفاعي) أن رجلا من هؤلاء (في نجد) كان يلوح له بعصاً في يده ويقول له: أترى هذه العصا ؟ هذه أفضل من محمد. ذكر ذلك في مسجد علي بن أبي طالب في بيروت ﴿ستُكتَبُ شهادتُهم ويُسألون﴾.

---

١) شريط ٤ (أ) ٤٤١ إظهار العقيدة السنية ٢٤٠ منار الهدى ٣٧/٧.
٢) منار الهدى (!) عدد ٧ ص ٤٥.
٣) منار الهدى (!) عدد ٧ ص ٤٥.
٤) منار الهدى (!) عدد ٣ ص ٤٣.
٥) منار الهدى (!) عدد ٣ ص ٤١.
٦) منار الهدى (!) عدد٣ ص ٣٤ وعدد ٤ ص ٥٩.
٧) منار الهدى (!) عدد ١٣ ص٥٦.

وأن بعض اللبنانيين المقيمين أتوا لزيارة قبر النبي ﷺ فلقيهم واحد من الوهابيين فقال له: ماذا تفعل هنا ليس هنا إلا جيفة. وقال لهم آخر « ماذا تفعل هنا بعظم. يعني الرسول ﷺ [1].

وأخبرني رجل كان من أتباع الحبشي سابقاً أنه استأذنه في السفر الى السعودية للعمل فمنعه من ذلك وقال له: إني أخشى عليك من الفتنة في دينك، حيث إنه لا يرى أهل ذلك البلد من المسلمين. ولما ذكر له أسباب السفر الاضطرارية وأنها من أجل طلب الرزق قال له الحبشي «ألا يوجد في بلادنا بطاطا» !

ولهذا لا يسمح الحبشي لتلاميذه المقيمين في السعودية بحضور الجمعة والجماعات في المساجد وثبت ذلك من خلال العديد من أتباعه الذين كانوا يأكلون الثوم والبصل قبيل صلاة الجمعة ظناً منهم أنهم يصيرون معذورين عند الله حينئذ من حضور الجمعة. ﴿**يخادعون الله وما يخدعون إلا أنفسهم**﴾ واعترف لي بذلك من كانوا معهم ووفقهم الله للخروج من بينهم.

وقضى شيخهم الحبشي سفراً طويلا في أوروبا بيّن فيها « **فضائح الوهابية**» وشرح لهم معنى العقيدة الأشعرية وضرورة التمسك بها وحذرهم من فرق المجسمة والمشبهة والوهابية. ويبدو أن السبب الجوهري لسفره تحذير الناس من الوهابيين» [2].

التثبيط والخمول

وذكر الحبشي حديث « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها» ثم قال: وواقعنا اليوم مصداقٌ للحديث فإن ما عندنا من السلاح اليوم لا يبلغ عُشر عُشر ما عندهم. ففي هذه الحال ليس فرضاً علينا أن نجاهد بالسلاح. ومن قال إنه فرض فقد خالف القرآن والحديث. الله تعالى قال « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها». ثم إن المذاهب الأربعة نصت على أنه اذا خاف أمير المسلمين أن يهلكه

---

١) منار الهدى (!) عدد ٧ ص ٣٧.
٢) منار الهدى (!) عدد ١٧ ص ٣١ -٣٣.

الكفار أن يصالح الكفار، أن يسالمهم ولو بدفع المال [1]. قلت: وهل الحبشي يدفع لهم المال أم يأخذه منهم!!

يعادون المسلمين

لقد صرفهم عن جهاد العدو ووجَّه طاقاتهم نحو المسلمين، وسلَّط ألسنتهم وأيديهم عليهم. وصار الجهاد ضدهم: بما أنه معطلٌ ضد اليهود والنصارى. يدخلون المساجد ويُحدثون فيها التشويش وقلة الأدب والسباب. بل والتهديد بالسلاح في بعض المرات. فمن أظلم من هؤلاء **﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمُهُ وسعى في خرابها﴾** وقال ﷺ « من حمل علينا السلاح فليس منا». واذا لم يستطيعوا منع إمام المسجد من إمامة المصلين تظاهروا عند اقامة الصلاة بالانشغال بصلاة نفل، فاذا انتهى من الصلاة أقاموا الصلاة جماعة أخرى.

- وقد ورد تقرير مفصل في مجلة الشراع (عدد٥٧٤) عن حوادث الاعتداء على المساجد وورد تقرير آخر مؤخرا في نفس المجلة (العدد٦١٧) يذكر حادثة اعتداء آخر على مسجد الامام علي في مدينة سيدني بأستراليا في أول شهر رمضان ١٤١٤ هـ حيث تسبب الأحباش بقتال في محيط المسجد بالعصي والأيدي ووضعوا زجاجة مولوتوف لإحراق المسجد إلا أن الشرطة ضبطت أحدهم وبحوزته زجاجة المولوتوف.

ولدي تقرير من الشرطة في أمريكا بولاية ماساتشوسيت يذكر حادثة تعرض فيها إمام أحد المركز الاسلامي هناك في ٢٥ آذار ١٩٩٧ بالضرب بالمسدسات على أيدي عشرة من رؤساء جمعية المشاريع الحبشية الذين اجتمعوا هناك من كندا ومناطق مختلفة من أمريكا لهذا الهدف، وقبض عليهم متلبسين بالجريمة حيث طوقت الشرطة المكان ووجدتهم يسرعون الى الهرب بعدما أدموا الإمام وأوسعوه ضربا. ولم يفلت منهم الا واحد اسمه سمير القاضي.

وهذا يذكرنا بإحدى جرائم الأمس في مسجد « الجامعة العربية» حيث دخلوا المسجد وأخرجوا إمام المسجد (سليم اللبابيدي) وطعنوا عدة مصلين بالسكاكين كانت حصيلة الحادثة ما لا يقل عن أربعة عشر

---

١) شريط ٩ وجه ٢ (١٨٠-٢١٠).

جريحاً، وكان أحد الأحباش يستصرخ أصحابه عند باب المسجد قائلا « حي على الجهاد» ثم أغلق المسجد من حينه وأطفئت الأضواء.

ومن جرائمهم تلك الجرمية التي هزت مدينة طرابلس حيث أقدم حبشي وحبشية على قتل أخيهما الذي كان معاررضا لسلوكهما الحبشي فتآمرا عليه وقتلاه ثم مثلا بجثته وقطعوها وألقوها في أكياس الزبالة وشاء الله أن يفضحهما. وقد قيل بأن وراء ذلك أسباب أخلاقية أيضا.

وهكذا صاروا جنوداً يقاتلون الدعاة الى الله، في المساجد، يستفزون الخطباء وتحرشون بهم ويقاطعونهم، وقد رفعوا السلاح واطلقوا النار على المصلين مثل مسجد حمد وصيدا وزقاق البلاط. وسيطروا على مساجد عديدة.

ومن عجائب ما بلغني عنهم أنهم يرسلون الآن وفودهم خارج لبنان ليجمعوا تبرعات باسم جمعية حماية المساجد [1] وهكذا صار « حاميها حراميها» يريدون بذلك نزع ثوب العار الذي لحق بهم بأنهم «مجرمو وعصابات مساجد» صار عملهم هذا مشهوراً يعرفه القاصي والداني والكبير والصغير، وفعلوا في المساجد ما لم يفعله اليهود ولا النصارى في كنائسهم.

وهم يعتمدون سياسة هشة في رمي المخالف بالفجور والزنا وبعمل قوم لوط وشرب الخمر زوراً وبهتاناً، وهذا كله أهون من الاتهام بالكفر، ولو كان ثمة حكم إسلامي لأقام عليهم حد القذف. ألم يقل النبي ﷺ « يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبّعوا عوراتهم، فإنه من تتبَّع عورات المسلمين تَتَبَّعَ اللهُ عورته، ومن تَتَبَّع اللهُ عورته فيفضحه ولو في جوف رحله» [2]

وليس من قبيل المصادفة أن يتفق هذا الخلق في عامة أتباعه من غير أن يكون الشيخ مصدر ذلك، فانهم صورة عنه يقلدونه.

كم من مسلم أسلموه للعدو وضربوه وأثاروا الخصومات ورفعوا الأصوات وانتهكوا حرمات المساجد. وتطاولوا على أئمتها وامتنعوا من

---

١) مجلة الوطن العربي عدد ٨٨٨.

٢) رواه الترمذي (٢٠٣٣) باسناد حسن.

الصلاة وراءهم اذا لم يستطيعوا منعهم من أن يؤنموا المصلين حتى انصرف كثير من المسلمين عن حضور صلوات الجماعة بسبب أذاهم.

وكان مما أوصى به نبينا ﷺ أمته «أن لا يمشوا ببريء الى ذي سلطان» [1]. ونبّه على أن « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [2]. بينما لم يسلم من شر هؤلاء الا قلة. فلم يحفظوا وصية نبيهم ﷺ، بل كانوا أقسى وأغلظ قلوباً على اخوانهم من المسلمين منهم على أعداء المسلمين. وصدق أبو حنيفة إذ وصف أهل الكلام بأنهم « قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم. لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة. وليس عندهم ورع ولا تقوى» [3].

والفضل يعود الى شيخهم الذي لم يزل يثير فيهم مشاعر الحقد والبغضاء تجاه اخوانهم وأفلح في خرق الصف وشق عصا المسلمين واثارة الخصومات في كثير من البلدان لا في لبنان فقط. وتردني عنهم الأخبار بكثرة وتشتكي من تشويشهم وأذاهم على كثير من الجاليات الاسلامية في أستراليا وغيرها حيث استعانوا بالكفار لإخراج بعض الناس من المسجد في مدينة سيدني، وكذلك وردت الشكاوى من أذاهم في الدانمارك وألمانيا وكندا وأمريكا.

○ ولا يزالون يخيفون المعتنقين الجدد للاسلام ويضغطون عليهم لاحتوائهم وإخضاعهم كما فعلوا بالأخ الداعية الدانماركي المسلم عبد الواحد حيث طوقوه وأخذوا يتهددونه ووضع أحدهم رجله يدوس بها قدم الأخ عبد الواحد أثناء الكلام معه لكنهم لم يستطيعوا احتواءه.

ويتوددون الى المشركين

وفي مقابل هذا العداء السافر ضد المسلمين فإنهم من أكثر الناس مودة للمشركين:

بئست الجمعية هذه أن لا يرى المسلمون منها الا الشر والأذى ولا يرى منها غير المسلمين الا الخير والتكريم.

---

١) رواه الترمذي (٣١٤٤) والحاكم ٩/١ ووافقه الذهبي.

٢) متفق عليه.

٣) سير أعلام النبلاء ٣٩٩/٦.

اهل اعتزال لا اعتدال

ولا يزالون يصفون أنفسهم بأنهم (اهل الاعتدال) حتى زعم رئيس تحرير مجلتهم أن السر في الأحباش أنهم معتدلون حتى الموت»[١] والمسلمون لم يروا منهم الا التحيز والاساءة والبطش حتى الموت.

وهكذا كان (اهل الاعتزال) يصفون أنفسهم بـ (العدل) لكن ذلك لم يغن عنهم شيئاً.

فعامة الناس اليوم يكرهونهم، ويضربون بهم المثل في التطرف، وصاروا عند الناس علامة على التنطع، واذا أراد رجل أن يتهم آخر بالتطرف قال له: لقد صرتَ حبشيا. فأنى لهم الاعتدال.

مواقفه من العلماء

وتعرض كثير من العلماء لأذى شيخهم ولسانه، ومن أمثلة ذلك:

موقفه من الامام الذهبي

قوله عن الامام الذهبي « واذا قيل عن الذهبي خبيث فهو في محله»[٢].

- لكنه تناقض حين سأله خالد كنعان: هل يقبل تصحيح الحاكم وتضعيفه؟ فأجاب بأنه لا يقبل منه ذلك من غير أن يوافق الذهبي عليه.

فكيف اشترط هنا شهادته في تخريجات الحاكم وكيف يكون خبيثا في نفس الوقت ؟

ثم إنه ناقض نفسه بجوابه هذا حين وافق الحاكم تصحيحه لحديث توسل آدم بمحمد ﷺ مع أن الذهبي تعقب الحاكم قائلا « بل الحديث موضوع »[٣]. وبهذا يتضح أنه ليس عند هذا الرجل تجرد للحديث وإنصاف، فإنه يميل مع الحديث الموافق لمذهبه. وهكذا شأن أهل البدع لا يزِنون مذاهبهم بميزان الكتاب والسنة وإنما يميلون بالكتاب والسنة الى مذاهبهم.

---

١) مجلة منار الهدى (!) عدد ١٢ ص ٤.

٢) شريط (الوجه الأول) ١٤٣ بصوته.

٣) المستدرك للحاكم ٢/٦١٥.

الشيـــخ الألــبـــانـي

ولا يتوقع الحبشي للألباني أن يموت على الإسلام فقال عنه « هذا ان مات مسلما » [١] وذلك لمجرد الاختلاف معه على مسألة السبحة. وقد شهد أحد صغار أتباع الحبشي شهادة زور في حق الألباني فزعم أنه ليس بمحدِّث ولا عُشر عُشر عُشر محدِّث [٢] وكفى بكتب الألباني شاهداً على هذا الزور، وما على هذا المتهور إلا أن يضع بين يديه كتب شيخه وكتب الألباني ليرى الفارق. فسيرى التزام الالباني بالحديث الصحيح وإعراضه عن الضعيف في حين نجد كتب الحبشي مملوؤة بالحديث الباطلة السند من ضعيف الأحاديث والروايات والمكذوبة، فماذا ينفعنا كون الحبشي من المحدثين وهو يحتج دائماً بالمكذوب من الروايات؟!.

ولا يزال الموافق والمخالف للألباني يستفيد من تخريجاته للحديث، وقد قام بعملية متميزة في فرز الصحيح من الضعيف وتربية أجيال تدعوا الى التجرّد للحديث واتباع السنة ونبذ التقليد الأعمى. بخلاف ذاك الذي يصحح الموضوع من الحديث ويطعن في الصحيح محاولة منه للتوفيق بين دين الاسلام ومخلفات أهل الجدل والكلام والسفسطة. والحاقدون عليه غاضبون لأنه ميز كتب السنن وفصل الصحيح عن الضعيف هكذا يغارون على الحديث الضعيف!

الشـيخ سـيـد سـابـق

وكذلك تعرض للشيخ سيد سابق ووصفه بأنه « مجوسي وان ادعى أنه من أمة محمد» [٣]. هذا قوله بلفظه.

وانتقد قوله «أن الانسان لا يخرج من الاسلام بقوله اللفظ الكفري الا أن ينشرح له صدره لذلك» [٤] وادعى عليه أنه محرِّفٌ لكلام الله تعالى.

غير أنني راجعت النص الذي نقله الحبشي فوجدته قد حرف قوله ولم يكن أميناً في النقل. قارن بين ما نقله وبين قول سيد سابق في فقه السنة « والاكراه على التلفظ بكلمة الكفر لا يُخرج المسلمَ عن دينه

---

١) التعقب الحثيث ٨٩.

٢) شريط ١٥وجه (أ) ٥١٧.

٣) شريط رقم (١) الوجه الاول (١٥٠).

٤) بغية الطالب ٢٧ و٢٨.

ما دام القلب مطمئنا بالايمان »[1]. وهذا ما قاله العز بن عبد السلام [2]
.

ثم وجدت الحبشي يقول بمثل هذا القول، وذلك حين استثنى من الكفر « من نطق بكلمة الكفر في حال الاكراه» [3]. بل زاد الحبشي على ذلك حين أباح لمن ذهب الى بلاد الكفار أن يعلق صليبا اذا هو خاف على نفسه من أذاهم [4]. وهو بهذه الفتوى أكثر تساهلا من غيره. فها هو يبيح لبس الصليب لمجرد مظنة الأذى وليس عند الأذى، وفرق بين حصول الاكراه وبين مجرد توقعه. فما الغاية من هذا التلبيس والتعدي على الآخرين بتكفيرهم وتحريف كلامهم ؟

يدان ورجلان برسم التقبيل

ويمشي الحبشي ويداه ممدودتان معروضتان برسم التقبيل، وبعض أتباعه ينكبون على ساقيه ورجليه يقبلونها وهو لا يزجرهم عن ذلك.

ولم تكن النفس تستحسن هذا المظهر الشاذ. هذا رسول الله ﷺ كان لا يتميز على الناس بمظهر ولا يمد يديه كما يفعل مشايخ التطفل على العامة، بل كان الداخل عليه يسأل «أيكم محمداً».

وكان الصحابة إذا رأوه ﷺ لم يقوموا له لِمَا يعلمون من كراهيته لذلك. وقد قال عليه الصلاة والسلام « من أحبَ أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوّأ مقعده من النار» فكيف بمن أحب أن يقبلوا يده ورجله. يرفع للناس يديه يمكّنهم من تعظيمه وتقديسه؟

وكم كان من السهل أن يتعرف الناس على النبي ﷺ لو كان يفعل ما يفعله هؤلاء أدعياء ولاية الله. فإن منهم من يجلس على الكرسي ويبقى أتباعه والمنجذبون به يجلسون على الأرض يتمسحون بثيابه يفركون عرقه ومخاطه بأيديهم، ويشربون بنية الشفاء.

ولماذا؟ أهو من أصحاب الجنة. إن كان كذلك فلا بأس أن يفعلوا هذا. وإن كان لا يدري أهو من أهل الجنة أم من أصحاب النار؟ أيُختَم له بعمل أهل السعادة. أم يُختَم له بعمل أهل الشقاوة. فإن العبرة بالخواتيم نسأل الله حسن الخاتمة.

---

1) فقه السنة ٢/٤٥٠.
2) القواعد الكبرى ٨٤و١٤٧.
3) الدليل القويم ١٤٧ و ١٦٢.
4) الدليل القويم ١٥٥.

ومن كان هذا حاله كيف يرتضي أن يتهافت الناس على يديه ورجليه.

صلاة التوبة تحية الدخول على الحبشي!!!

ومن غلو أتباعه فيه أنهم يشترطون على الداخل عليه أن يصلي ركعتين، وقد حدث هذا لأحد إخواننا الصوماليين (إخيار محمد علي) أراد الدخول على الحبشي ليسأله مسألة فمنعوه وطلبوا منه أن يصلي ركعتين صلاة التوبة. وهاتان هما ركعتا تحية الحبشي.

ومن كرامات شيخهم الحبشي

وزعم تلميذه نبيل الشريف: أن الحبشي كان اذا صرخ الله أكبر تنطفىء النيران من دون ماء ولا أطفائية (سلسلة أشرطة مجالس الهدى ٢٨/٨١٣).

قال: وكان اذا نام في مكان يمتلىء هذا المكان عطرا من أطيب أنواع العطور. فلما علم أحد أتباع الحبشي بهذه الرائحة بأن الرائحة من شيخهم قال له الشيخ أسكت. فلم يعد يجد الرائحة بعد أن طلب منه الشيخ عدم التحدث عن هذه الكرامة (مجالس الهدى ٢٨/٨٢٥).

بلغم الشيخ معطر

وذكر أن الشيخ كان يبصق البلغم كثيراً في المنديل وكانت امرأة تمس الكلينكس التي فيها بلغمه فلما أرادت أن تغسل يدها من البلغم الذي أصاب يدها اذا بها تجد آثار عطر الشيخ وقد ملأ الغرفة (مجالس الهدى ٢٨/٨٣١).

بل ذكروا ان بلغم الشيخ معطر وكانوا اذا أخذوا المنديل منه بقيت آثار العطر في أيديهم زمنا.

وبينما كان النبي ﷺ يكثر من التسوك ليطيب فمه، لا يحتاج الحبشي لذلك لأن الله جعل بزاقه بل بلغمه معطرا!

كان أحد خدام الشيخ يكبس رجليه وكانت الغرفة مظلمة وفجأة رأى نوراً يخرج من عيني الشيخ ويدخل في صدر هذا الرجل نوراً حقيقياً رآه والغرفة مظلمة لا بطارية ولا لمبة (مجالس الهدى ٢٨/ ٨٨٠).

ومن كراماته أنه كان يَخرج من ملابسه ويذهب أينما شاء في العالم فلا يجدون الا ثيابه ثم لا يلبث أن يعود. قال تلميذه كان الشيخ عبد الله مسافرا الى الحج، وكان الشيخ يلبس فرو الخروف. فغطى الشيخ جسده كله بهذا الفرو وكانوا يسيرون في الطريق وبعد قليل نزل الفرو وفرغ من جسد الشيخ يعني لم يعد الشيخ عبد الله معهم في السيارة فنظر هذا الرجل لصاحبه وقال له: أنظر لم يعد أحد في الفرو ثم بعد قليل رجع هذا الثوب وانتفخ بعدما رجع الشيخ عبد الله (مجالس الهدى ٢٨/ ٩٠٠).

قال تلميذه: هو حفظ القرآن وكان عمره سبع سنين. وكان عمره ثمان سنين قرأ على والده كتابين في الفقه. خرج من بلده كان شابا

كان مأذوناً بجميع مروياته. قال أحد أصحابه هناك في الحبشة: كان الشيخ يأتينا من الغابة يحرسه أسدان: واحد عن يمينه وواحد عن يساره. خرج من بلدنا وهو معروف بالولاية. الله ينفعنا به (مجالس الهدى ٢٨/ ١٠٧٠).

التحريف عند الأحباش

لقد ضبطت العديد من أنواع التحريف والدس الذي قام به الأحباش.
وهم اذا احتججت عليهم بنص لا يوافق أهواءهم سارعوا الى القول (لعل هذا النص مدسوس على المؤلف) وهي أفضل الطرق للهروب من النصوص. وهم أول من يتوجه اليهم الاتهام بتحريف الكتب والحذف منها والاضافة فيها.

لقد أهدي الي منذ سنوات كتاب (تحفة الأنام مختصر تاريخ الاسلام) للشيخ عبد الباسط فاخوري رحمه الله (مفتي بيروت سابقا) تحقيق:

مركز الخدمات والأبحاث الثقافية الشيخ نزار فاخوري

تولت طباعته ونشره (دار الجنان) وهذا المحقق لم يذكر في مقدمته شيئا عن عمله ولا النسخة التي اعتمدها أثناء التحقيق.

وقبل عدة أيام وأنا أقلب بين يدي كتاب (صيانة الانسان) للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي (توفي سنة ١٣٢٦) ووجدته قد عزا نصا من كلام الشيخ عبد الباسط عن أحوال الوهابية وتاريخهم وعقيدتهم وأن مبادئهم لا تختلف عما جاء به النبي محمد ﷺ والأنبياء من قبله. وبحثت عن النص من كتاب (تحفة الأنام) للشيخ عبد الباسط فاخوري فلم أجد فيه شيئا.

غير أني وجدت نصا يتعلق بالوهابية وفيه " ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهابية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق» (تحفة الأنام ص ١٩٩ محقق).

والكلام لم ينته عنهم بعد.

وفجأة وجدت المحقق عقب بعد هذه الجملة (ص ٢٠٠) بإعلان كلمة بالخط العريض (بيان) ثم كتب في الحاشية « يوجد سقط في النسخة إن شاء الله سنستدركها في الطبعة الثانية». وهذا النص لا يخلو من الاحتيال لمن تدبره.

- فلم يحدد أين يوجد السقط هل هو سقط من نسخة مخطوطة، ولعل الواضح أنه يعني أن السقط واقع في النسخة التي يحققها وسيخرجها للناس. وهو بذلك لم يكذب لأنه يكره الكذب لكنه يحب التدليس، فقد أوهم الناس أن السقط واقع في النسخة الأصلية التي اعتمدها في التحقيق. ومعروف عن أمثال هذا أنه يهربون من الكذب بطريقة الاحتيال وقد علمهم شيخهم ذلك حين أباح بطريق الحيلة مادة (السبيرتو) التي كان حرمها من قبل ثم قال «وهذه حيلة يراد بها التخلص من الحرام».
- وقد جرت العادة أن يقول المحقق عندما يجد سقطا (يوجد سقط في المخطوط أو الأصل). ولو قال (يوجد سقط في الأصل) لانتهى الإشكال.
- أضف الى ذلك أن الكتاب مطبوع من قبل ولا يمكن أن تكون المخطوطة متوافرة عند المحقق من دون النسخة المطبوعة المتداولة المطبوعة في حياة المفتي المؤلف وهي النسخة التي أرجح أن تكون النسخة التي اعتمدها صاحبنا المحقق.

- ثم ان قول المحقق (سنستدركه في الطبعة الثانية) يعني أن النص الساقط ليس مفقودا عنده بل هو بحوزته والا لما وعد بالاستدراك: فلماذا لم يؤخر اخراج النسخة وتحقيقها حتى يثبت النص (إن كان ساقطا)؟

وحملهم على هذا التحريف الخوف من الاحتجاج عليهم به بالشيخ عبد الباسط رحمه الله حيث سرد عقيدة محمد بن عبد الوهاب نقلا عن كتاب له.
وهم يوقولن للناس: عقيدتنا هي عين عقيدة الشيخ عبد الباسط فاخوري. وهنا قد يقول الناس لهم: فما موقفكم من ثناء الشيخ عبد الباسط على عقيدة محمد بن عبد الوهاب عقيدته ووصفها بأنها لا تخرج عما جاء به رسولنا ﷺ ؟!

وقد وجدت نسخة أصلية كانت قد طبعت في حياة الشيخ عبد الباسط ومختومة بختمه. وهي لا تزال محفوظة في الرياض بمركز الملك فيصل رقم (٠٠٢٥٧٢٥) طبعت في حياة المؤلف مكتوب على غلافها:

(كتاب تحفة الأنام مختصر تاريخ الاسلام)

تأليف : علامة المعقول والمنقول ودراكة الفروع والأصول المحدث الثبت الذي تنضى اليه ركاب الطلب والمفتي النقاب الذي ينسل اليه من كل حدب : مولانا صاحب الفضيلة الشيخ عبد الباسط أفندي فاخوري : مفتي مدينة بيروت (((حالا))) حفظه الله

وهذا يعني أن النسخة - الكاملة غير الناقصة - والتي بحوزتي طبعت ونشرت في حياة المؤلف رحمه الله.
ولقد تبين لي أن (المحقق!) قد أسقط ست صفحات كلها أعطى فيها الشيخ عبد الباسط نبذا من قواعد وعقائد الوهابية مقتبسة من مؤلفات شيخهم محمد بن عبد الوهاب، ثم عقب الشيخ عبد الباسط قائلا « وهذه الرسالة والقواعد التي أسسها ذلك الشيخ لا شبهة فيها لأن هذا هو الدين الذي جاء به النبي والأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين» غير أن الشيخ عبد الباسط انتقدهم لأنهم أفرطوا عند تطبيقهم لهذه القواعد.

ان هذا التلاعب لا يمكن أن يكون عفويا منهم لا سيما وأن حذفهم انتهى مع انتهاء قول الشيخ عبد الباسط (ثم نعود الى المقصود ففي...) واستبدلوا الفاء (ففي) بالواو (وفي) حتى لا يظهر الحذف. وظنوا أن الأمر انتهى ولكن يشاء الله أن يفضح حالهم ليعرفهم الناس على حقيقتهم بأنهم (لصوص النصوص).

الصفحات التي أسقطها الأحباش

الفاخوري يستعرض عقيدة ابن عبد الوهاب

قال الشيخ الفاخوري بعد ذكر طائفة الوهابية « وهاك رسالة من كلامهم [أي الوهابية] تدل على مذهبهم ومعتقداتهم:

قال محمد بن عبد الوهاب « اعلموا رحمكم الله ان الحنيفية ملة إبراهيم ان نعبد الله مخلصاً له الدين، وبذلك امر الله جميع الناس، وخلقهم له كماقال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فإذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة كما قال تعالى **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على نفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾**.

فمن دعا غير الله طالباً منه ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب خير أو دفع ضر فقد اشرك في العبادة كما قال تعالى ﴿**ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾ وقال تعالى ﴿**والذين تدعون من دونه مايملكون من قطميران تدعونهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير**﴾.

فأخبر تبارك وتعالى ان دعاء غير الله شرك، فمن قال: يارسول الله أو يا ابن عباس او يا عبد القادر زاعماً أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الا ان يتوب من ذلك، وكذلك الذين يحلفون بغير الله والذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجىء الى غير الله، أو يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو أيضاً مشرك، وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله ﷺ المشركين عليه وأمرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصح ذلك اي التشنيع عليم بمعرفة اربع قواعد ذكرها الله في كتابه:

﴿القاعدة الأولى﴾

أولها: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يقرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور، والدليل على

ذلك قوله تعالى ﴿**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله فقل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون**﴾.

إذا عرفت هذه القاعدة واشكل عليك الامر فاعلم أنهم بهذا أقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فاشركوا.

﴿القاعدة الثانية﴾

أنهم يقولون: ما نرجوهم الا لطلب الشفاعة عند الله نريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم. وهو شرك، والدليل قول الله تعالى ﴿**ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم ما في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ وقال الله تعالى ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلا الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار**﴾. واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف:

﴿القاعدة الثالثة﴾

وهي أن منهم من طلب الشفاعة من الأصنام ومنهم من تبرأ من الأصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا**﴾ ورسول الله لم يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل، وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله. واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف:

﴿القاعدة الرابعة﴾

وهي أنهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون، والدليل عليه قوله تعالى ﴿**فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون**﴾ واهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله. إن المشركين في زمان النبي اخف شركاً من عقلاء مشركي زماننا لأن اولئك يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدائد والرخاء، والله اعلم بالصواب ا. هـ.

موقف الفاخوري من قواعد عقائد ابن عبد الوهاب

قال الشيخ الفاخوري « وهذه الرسالة والقواعد التي أسسها ذلك الشيخ لا شبهة فيها لان هذا هو الدين الذي جاء به النبي والأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين».

غير أن ما أنكره عليه هو أنهم قاتلوا من يقول لا اله الا الله.
وهذه الشهادة لا تشفع لمشركين يدعون الى سنن اليهود والنصارى، ويلجموننا بالتلفظ بشهادة التوحيد مع الدعوة بدعوة الجاهلية، ومن تقرب بما كان يتقرب به سلف المشركين أعداء الأنبياء فلا تقبل منه حتى يدعو الى مقتضاها والتوقف عما يضادها.

ثم أبدى الشيخ الفاخوري أسفه للغلو الصوفي الذي ساد العالم الاسلامي الذي جعل للأولياء مرتبة التصرف الالهي في الكون فقال « كما وأن أكثر العوام من جهة الاسلام قد تغالوا وأفرطوا وابتدعوا بدعا تخالف المشروع من الدين القويم، فصاروا يعتمدون على الأولياء، الأحياء منهم والأموات، معتقدين أن لهم التصرف، وبأيديهم النفع والضر، ويخاطبونهم بخطاب الربوبية، وهذا غلو في الدين القويم وخروج عن الصرط المستقيم، وقد ورد في الحديث المرفوع « دين الله تعالى بين المغالي والمقصر» [1].

---

١) قارن بين النسخة القديمة المطبوعة في حياة الشيخ الفاخوري ص ٢٦٢ وبين النسخة التي طبعتها دار الجنان الحبشية ص ٢٠٠

تحريفات اخرى

ليس هذا هو التحريف الوحيد الذي قامت به طائفة الأحباش.

فمن تحريفهم: احتجاجهم بكتب منحولة على الائمة لم تصح نسبتها اليهم ككتاب الفقه الأكبر المنسوب للشافعي وهو غير الفقه الأكبر المنسوب الى أبي حنيفة.

والكتاب يجري على طريقة الأشاعرة في تأويل الصفات.

ولكن فرحتهم بالكذبة لم تطل كثيراً فقد قال حاجي خليفة في كشف الظنون « في نسبته الى الشافعي شك، والظن الغالب أنه من تأليف أكابر العلماء» [1]. وقال فؤاد سيزكين في تاريخ التراث العربي « لم تتضح بعد نسبة المؤلفات التالية الى الشافعي... منها «الفقه الأكبر»[2].

فهذا الكتاب يحمله الأحباش ويحتجون به على العامة الذي لا يمكنهم التحقق من أكاذيبهم.

○ وكذلك يحتجون بكتاب العقيدة المنسوب لأحمد والذي يخالف ما عرف عن أحمد في منهجه والأصول المتواترة عنه والتي رواها كثيرون ويكفيك أن تطالع مقدمة المسند وطبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب لتعرف مدى كذب هذه الرسالة التي لم يروها

تجريفهم لكتاب الباقلاني « التمهيد»

ومن تحريفاتهم تحريف عماد «الدين» حيدر (حبشي) فحرّف كتاب الباقلاني (تمهيد الأوئل) بأن أسقط الصفحة (رقم ٢٩٨) والتي تضمنت إثبات استواء الله على عرشه والرد على من أول الاستواء بالاستيلاء، وكان النصراني (مكارثي) أكثر نزاهة وأمانة منه في التحقيق حيث ثبت في طبعته (ص ٢٦٠-٢٦٢) هذه الصفحة.

والمحقق (الحبشي) زعم أنه سيثبت أي زيادة تتضمنها نسخة مكارثي اذا لم توجد في النسخة الأخرى وكذلك العكس. غير أنه لم يشر الى هذه الزيادة في نسخة أياصوفيا والتي اعتمدها مكارثي لماذا؟

لئن كان المحقق يرى أنها مدسوسة أو دخيلة فليشر الى ذلك، وكيف يشير الى ذلك والمخطوطتان التركيتان تتضمنان هذه الزيادة؟

---

١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٢٨٨/٢ ط: دار الفكر.

٢) تاريخ التراث العربي ١٩٠/٣.

والمحققان السابقان لكتاب التمهيد وهما (الخضيري وأبو ريدة) قد ذكرا في ذيول تحقيقهما للكتاب ما يدل دلالة قاطعة على أن المخطوط (الفرنسي) الذي اعتمداه ناقص. ولكن هذه الزيادة تتضمن الرد على من أول الاستواء بالاستيلاء فكيف يرضى المحقق الحبشي (حيدر) إثبات هذه الصفحة وفيها الرد عليه وعلى شيخه من واحد هو أكبر أئمة الأشاعرة. وقد طالبهما عبد الرزاق حمزة بإعلان هذا الخطأ الذي ارتكباه وأنهما تغاضيا عن إثبات الزيادة التي في النسختين التركيتين.

تحريفهم كتاب الكفاية للشيخ الفاخوري

وقد تعرض كتاب آخر للشيخ عبد الباسط فاخوري للتحريف. وهذه المرة قام بدور التحريف شيخ من شيوخ الأحباش واسمه أسامة السيد، وذلك عند قول الفاخوري أن مما يحرم خروج المرأة متعطرة متزينة. فجاء (أسامة السيد) وأدخل في نص كلام الفاخوري عبارة (ليجد الناس ريحها) ليجعل التحريم مقيداً بعلة قصد التعرض للرجال كما هي عقيدة الأحباش التي يدندنون حولها[1]، ومع أنه اعترف في الحاشية بأن الجملة التي بين قوسين زائدة فليس له الحق في إدخال رأيه زيادة على النص وقد كان يسعه أن يزيد في الحاشية ما شاء ولكن؟... من يدري: فعند الطبعة الثانية للكتاب قد يزيلون الأقواس.

---

١) الكفاية لذوي العناية» (ص ١٥١).

تحريفهم لكتاب البيهقي (الاسماء والصفات)

وقد طالت يدهم كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٥٥) حيث أضاف عماد الدين حيدر (حبشي وعضو في مركز خدمات التحريفات الثقافية)) عبارة (تعالى الله عن الاستقرار والامتلاء علوا كبير) جعلها دخيلة على كلام البيهقي.

وقد كنت نصحت صاحب الدار التي أخرجت الكتاب أن تجتنب التعامل مع مركز التحريف هذا. لأن له سوابق في التحريف ولأنهم يعتقدون بشرعية التحايل على الله قبل البشر كما قال شيخهم في مسألة السبيرتو (وهذه حيلة يراد بها التخلص من الحرام) وقد طرد كمال الحوت وهو من رؤوس المحققين الأحباش من دار عالم الكتب لثبوت التحريف ضده.

هذا نموذج مما تقوم به هذه الطائفة ذات النشأة المشبوهة والنشاطات المشبوهة. والتي تسب وتشتم وتكفّر وتزور باسم شعار أهل السنة والجماعة. ولكن الله تعالى لم يترك كذابا ولا مدلسا دلس في حديث نبيه الا كشفه وقيد رجالا سجلوا في التاريخ تدليسه وكذبه فدلسوا ما شئتم واحتالوا ما شئتم فان الله كاشفكم للناس.

واذا كان الله لا يدع من يسرقون من الناس شيئا من دنياهم الا ويفضحهم ويقيد لهم من يكشف سرقتهم فان الله لن يدع لصوص النصوص يسرقون من الناس دينهم بل يكشفهم ويفضحهم أمام الناس.

○ حرف الحبشي حديث عائشة « كان النبي ﷺ متكئاً في بيته كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه...» فأسقط لفظة (أو ساقيه) لأنها تبطل مذهبه في جواز كشف الفخذين. وبعد توزيع منشور يكشف هذا التحريف اضطر الحبشي الى إثباتها في الطبعة الأخيرة المجلدة من كتاب صريح البيان والتي زعموا أنها الطبعة الأولى [١].

---

١) قارن بين صريح البيان ص ١٥٦ وبين الطبعة الجديدة المجلدة ٢٩٢.

تحريف أبي هموس الحبشي

وحرّف يحيى أبو هموس كلام الحافظ ابن حجر حول اطلاق اللحية فقال « واستدل [أي الحافظ] بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها وهذا أخرجه الترمذي...» ثم قال يحي الحبشي « وقد قال الحافظ إنه التزم ألا يذكر في شرحه هذا حديثا ينزل عن مرتبة الحسن» [1].

وقد اكتفى بوضع ثلاث نقاط بعد كلمة الترمذي وقطع باقي كلام الحافظ الذي يطعن فيه بهذه الرواية وتتمة كلامه كالتالي:

« ونقل [أي الترمذي] عن البخاري أنه قال في رواية عمر بن هارون: لا أعلم له حديثا منكرا الا هذا. قال الحافظ ابن حجر « وقد ضعف عمر بن هارون مطلقا جماعة».

قال الحافظ « قال عياض: يكره حلق اللحية وقصها وتحذيفها. وأما الأخذ من طولها وعرضها اذا عظمت فحسن، بل تكره الشهرة بتعظيمها كما يكره في تقصيرها، كذا قال: وتعقبه النووي بأنه خلاف ظاهر الخبر في الأمر بتوفيرها، قال: والمختار تركها على حالها وأن لا يتعرض لها بتقصير ولا غيره، وكأن مراده بذلك في غير النسك لأن الشافعي نص على استحبابه فيه» [2].

تخريج الرواية

والرواية عند الترمذي برقم (٢٧٦٢) المجلد الخامس (ص ٩٤). قال عقبها « هذا حديث غريب». وأعقب هذه الرواية برواية ابن عمر « أحفوا الشارب وأعفوا اللحى» قال الترمذي «هذا حديث صحيح».

فانظروا هذا المتعصب كيف اختار ما لم يصح وتجاهل ما هو أصح منه.

وكتم أن الراوي لحديث «كان يأخذ من لحيته عرضها وطولها» هو عمر بن هارون:

---

١) منار الهدى الحبشية العدد ٣٨ شهر رجب ١٤١٦.

٢) فتح الباري ١٠/٣٥٠.

وقد حكم الحافظ ابن حجر في التقريب (٤٩٧٩) بأنه متروك الحديث. فكيف تزعمون أن الحافظ استدل بحديثه؟! لماذا نجد عندكم التدليس والتحريف دائما؟

وفي التهذيب حكى أقوال أهل العلم في عمر بن هارون فننقل ما يلي:

قال يحيى بن معين «كذاب».

وقال ابن أبي حاتم « سألت أبي عن حديثه فقال: تكلم في ابن المبارك فذهب حديثه».

وقال الحسين بن حيان « قال أبو زكرياء: عمر بن هارون: كذاب خبيث ليس حديثه بشيء».

وقال أبو داود «هو غير ثقة».

وقال الطيالسي «عن ابن معين: يكذب».

وقال ابن المديني «سألت أبي عنه فضعفه جدا».

وقال النسائي «متروك الحديث».

وقال الدراقطني «ضعيف».

وقال أبو نعيم «حدث بالمناكير: لا شيء».

وقال ابن حبان «يروي عن الثقات المعضلات ويدعي شيوخا لم يرهم»[1].

وقال البيهقي في سننه (٢/٤٤) «عمر بن هارون ليس بالقوي».

وهذا يؤكد أن الحافظ لم يكن يجهل حال عمر بن هارون وأقوال أهل العلم فيه. ويدل على ذلك حكمه عليه في التقريب بأنه متروك كما تقدم. أضف الى ذلك أنه ذكر في الفتح في نفس الموضع الذي احتج به الأحباش أن جماعة من أهل العلم ضعفوه مطلقا.

فكيف يكون ايراد روايته استدلالا وتحسينا للحديث؟ اللهم هذا تحريف آخر الى جانب عقيدة التحريف.

---

١) تهذيب التهذيب ٧/٥٠١-٥٠٥.

تحريفه كلام الحافظ حول تنقيص علي

وقد زعم الحبشي أن الحافظ ابن حجر اتهم ابن تيمية بأنه كان ينتقص سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث كتب ردا على ابن المطهر الحلي. ثم حرف الحبشي النقل عن الحافظ فقال « وكم من مبالغة له لتوهين كلام الحلي أدت به أحيانا الى تنقيص علي رضي الله عنه» انتهى.

وهذا تلاعب بالنصوص:

فان النص من النسخة المطبوعة التي أحال اليها الحبشي هكذا: « وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحيانا الى تنقيص علي رضي الله عنه» [1].

فزاد الحبشي لفظ (له) ليؤكد أن الكلام عائد الى ابن تيمية. وبدل كلمة (الرافضي) بكلمة الحلي ليزيد القارىء تأكيدا بأن الضمير ما زال يعود على ابن تيمية. واستبدل لفظ (أدته) الى (أدت به) ليؤكد أن الضمير ما زال يعود على ابن تيمية.

فهذه ثلاثة تحريفات في سطرين فقط.

أضف الى ذلك أنه اقتطع من كتاب ابن تيمية نصوصا ينقلها ابن تيمية على لسان عساكر معاوية، فجعلها الحبشي المحرف كلام ابن تيمية. كل ذلك ليشهد أمام الناس زورا أن ابن تيمية كان ينتقص سيدنا علي رضي الله عنه ﴿ستكتب شهادتهم ويسئلون﴾.

○ أن العبارة في المطبوع غير واضحة وفيها سقط كبير وقد اختلف اللفظ من طبعة لأخرى.

ففي طبعة الأعلمي لكتاب (لسان الميزان ٦/٣٢٠ ترجمة يوسف والد الحسن بن المطهر الحلي) (أدته).

وفي طبعة (دار الفكر ٦/٣٩٠) لفظ (ذاته) بدل (أدته).

فهناك خلط واحتمال للتزوير ثم بياض طويل لا يدرى كيف انتهى الكلام فيه.

واذا كان كذلك يسقط الاحتجاج به حتى يتبين المخطوط الأصلي.

---

١) المقالات السنية ط: جديدة ٢٠٠.

○ أنه لا السبكي ولا الحافظ ابن حجر[1] اتهم ابن تيمية بهذه التهمة من قبل بالرغم من كثرة الحسدة والمتربصين لابن تيمية.

بل قد أثنى السبكي على رد ابن تيمية على ابن المطهر لكنه أورد مؤاخذات عليه لم يكن من بينها التنقيص المزعوم لعلي رضي الله عنه. ولو وجد من ذلك شيئا لطار به واحتج به ضد ابن تيمية. فقد قال:

ولابن تيمية رد عليه وفيّ ... بمقصد الرد واستيفاء أضربه
لكنه خلط الحق المبين بما ... يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو أنى سار فهو له ... حثيث سير بشرق أو بمغربه
يرى حوادث لا مبدا لأولها ... في الله سبحانه عما يظن به

1) وأما ما ورد في الدرر الكامنة (١٥٣/١) فهو ليس كلام الحافظ ابن حجر بل هو كلام الطوفي فتنبه.

الاحباش والدعوة (الوهابية)!

إن أول الممنوع عند من تسمونهم بالوهابية هو دعاء غير الله ومنع البناء على القبور ومنع اتخاذ القبور مساجد وعدم الابتداع في الدين.

أما الشيطان فانه يحرض على بناء المساجد على القبور ويزين للناس دعاء غير الله ويحسن لهم الابتداع في الدين:

وأصول دعوتهم تدور حول أمرين أساسيين:

- أن لا يُعبَد الا الله.
- وأن لا يُعبَد الله الا بما شرع.

لئن كان هذا قرن الشيطان عندكم لقد صار الشيطان والله مصلحاً: كيف تعتقدون أن الوهابية يدعون الى الشيطان وهم يقولون شعارنا ألا يُعبَد الا الله وألا يعبد الله الا بما شرع لا بالمحدثات والبدع؟

اتفاق الملل الباطلة على موقف واحد من الوهابية

ولا تنس أخي المسلم حقيقة مهمة وهي أن كل فرقة مبطلة اليوم تتعرض لهذه الجماعة بالسباب والشتم.

فالقاديانية والبهائية يصبون جام حقدهم على من يسمونهم بالوهابيين، ويحذرون الناس منهم.

وطائفة البريلوية والديوبندية في الهند وباكستان يحذرون أشد التحذير من هذه الجماعة.

هم والشيعة في خندق واحد

ولا يزال الشيعة يردون على من تسمونهم بالوهابية ويدافعون عما تدافعون أنتم عنه من اتخاذ المساجد على المقابر والاستغاثة بالمقبورين واتخاذهم شفعاء ووسطاء عند الله فمشابهة حالهم ليس الا دليلا على مخالفتكم لأهل السنة والجماعة. ودليلا على موافقتكم الشيعة.

والشيعة يحذرون كل التحذير من الوهابية ويكتبون فيهم الكتب والرسائل العديدة ويكيلون ضدهم شتى أصناف الاتهامات الباطلة. ومن كتبهم في الرد على الوهابية:

هذه هي الوهابية: لمحمد جواد مغنية

رسالة في نقض الوهابية: لمحمد حسين.

الرد على فتاوى الوهابيين حسن صدر الدين الكاظمي.
كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب. محسن الأمين العاملي.
البراهين الجلية في رفع تشكيكات الوهابية. محمد حسن الموسوي الطباطبائي.

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف اتفقت كل هذه الطوائف الباطلة على موقف واحد؟ وما سر هذا العداء الشديد الذي اتفقوا عليه؟

فهل تساءلتم كيف حصل هذا التوافق وتوحد المواقف بين الفريقين ضد الوهابية إن من يسب الوهابية وينسبهم الى الديانة اليهودية لا بد أن يراهم شراً من الشيعة؟

ولهذا فالسبب الكامن وراء سب الأحباش لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دوافع ذات علاقة قوية بالظروف السائدة اليوم سياسية كما لا يخفى،

بعض أقاويلهم في ابن عبد الوهاب

يتهمونه بالمجرم القاتل والكافر (مجلة منار الهدى الحبشية ٣/ ٣٤ و١٦/ ٣١) والملعون على لسان المسلمين (منار الهدى ٢٩/ ٥٧).

وأنه كان يغتاظ من مجرد ذكر اسم النبي ﷺ ويكره الصلاة عليه ويعتبر الذي يجهر بالصلاة عليه ﷺ عقب الأذان مثل الذي يزني بأمه (شريط (٤) وجه أ (٤٤١) إظهار العقيدة السنية ٢٤٠).

وأنه دجال وقاتل العلماء (منار الهدى ٣: ٣٦) بل وأنه كان يعرِّض (يلمِّح) للبعض بدعوى النبوة (منار الهدى ٧: ٤٥).

وأنه كان على علاقة وطيدة بالجاسوس البريطاني (همفر) (منار الهدى ٢٩/ ٦٢) [1].

قالوا « وسنروي لكم ما يتداوله مسلمو الهند من مخازي محمد بن عبد الوهاب: وهي أنه أصيب مرة بمرض البواسير فأدخل العصا في دبره فارتاح فقال « عصاي هذه خير من محمد» لذلك فان أهل الهند في (ماليبار) يسمونه «مبتلع العصا» (منار الهدى ٢٩/ ٦١).

ويزم أن الوهابيين لشدة كراهيتهم للنبي ﷺ يكتبون في كتبهم (صلعم) حتى لا يصلوا عليه. وكأنه تجاهل أن هذا الاختصار موجود في كتب مشايخه النقشبندية كما في هامش مكتوبات السرهندي وهي رسالة الرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات وتحقيق الرابطة ص ٦٨).

وتحت عنوان (احذروا الوهابية) قالوا « إن الوهابيين يكرهون حتى كلمة (لا اله الا الله) يحاربونها: هم ضد كلمة (وحدوا الله) وضد الاحتفال بالمولد النبوي وضد الاسراء والمعراج وضد استعمال السبحة ولكنهم يتفقون مع اليهود الذين يقولون ان الله خلق السموات والأرض ثم تعب فاستراح وأنه ساكن في السماء وجالس علىالعرش (منار الهدى ٢٩/ ٦١). هم مقتدون باليهود لاعتقادهم أن الله قاعد وأنه يقعد محمدا معه على العرش. وأنه خلق السموات والأرض ثم تعب فاستراح[2]

○ وهم المشابهون في الحقيقة لليهود فإنهم زعموا أن معنى قوله تعالى ﴿استوى على العرش﴾ بمعنى استولى. أي تمكن من العرش بعد أن كان خارجاً عن قوته.

---

١) اذا قيل للأحباش إن الأرض كروية بدليل أن الناس خرجوا منها والتقطوا لها صورا من السماء قالوا: هذه أخبار مصدرها كفار والخبر من الكافر غير مقبول. أما خبر جاسوس كافر فهذا سند متصل عندهم!

٢) أنظر مجلتهم: منار الهدى ٣٤/٢٣ و٢٢/٢٦ و٦١/٢٩).

وكل الفرق بينكم وبين اليهود أنهم نسبوا الى الله الضعف بعد القوة، أما أنتم فقد نسبتم الى الله القوة بعد ضعف!

وأما نحن فقلنا بقول مجاهد في صحيح البخاري (كتاب التوحيد) ثم استوى أي علا وارتفع. ونحن نتحداكم أن تثبتوا بالنص من كلام الوهابية أنهم قالوا عن الله (ثم تعب فاستراح) كما قالت اليهود هذه لكلمة الكفرية.

○ وقد تغاضى المتعصبون عن قول الغزالي « ليس في الامكان أفضل مما كان»[1]. وفيها نسبة العجز لله وتحديد قدرة القدير.

○ زعم الحبشي أن الوهابية حكموا بكفر عبد الله بن عمر» [2]. وكنا نود أن يشير الى مصدر من كتبهم لكنه لن يفعل.

○ وزعموا أن الوهابية يرون « أن أبا جهل وأبا لهب أكثر توحيدا من المسلمين الذين يقولون لا اله الا الله» ورسول الله ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا اله الا الله قائلا له «أقتلته بعدما قال لا اله الا الله».

ولكن الحديث يفيد أن الرجل اذا نطق بهال حقنته من الدم حتى يتبين له ما يخالف ذلك. فالآية تدل على الكف والتثبت حتى يتبين ما يخالف مقتضاها.

ونحن ما اتهمناكم بالشرك وبمخالفة لا اله الا الله الا بعد استحقاقكم وسام الشرك بدعائكم غير الله والمصابرة على عقيدة تتفقون فيها مع الشيعة والباطنيين.

ما ينقمونه على الوهابيين أنهم يكفّرون السنة والشيعة لمجرد قول أحدهم « يا محمد» أو « يا علي» على زعمه أن هذا عبادة لغير الله» (منار الهدى ١١/٢٩). هذا موقف مخالف حتى للمعتبرين من علمائكم الصوفية. فقد جاء في المكتوب الرابع والخمسين من مكتوبات الامام السرهندي النقشبندي أن ضرر صحبة المبتدع فوق ضرر صحبة الكافر وأن شر الفرق المبتدعة هم الشيعة[3].

○ وأن الوهابيين كانوا يقولون للحجاج حين زاروا قبر النبي ﷺ

---

١) أنظر احياء علوم الدين ٢٥٨/٤ و٣٥/٥ (الإملاء في إشكالات الإحياء) ملحق بكتاب الإحياء.
٢) مجلتهم منار الهدى ٣٥/٢٧.
٣) المكتوبات الربانية ٦٨.

«ماذا تفعل ليس هنا الا جيفة، ليس هنا الا عظم» [1]. وزعم زعيمهم نزار حلبي أن أحد الوهابية كان يقول « عصاي هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها في قتل الحية ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا» [2].

ويصف دائماً مشايخ وعلماء الجزيرة العربية بـ « بهائم نجد» (عن كراس: **الدر المفيد في دروس الفقه والتوحيد ٥٤ و١١٤**).

هذا نموذج صغير من أخلاق هذه الفرقة التي تتسم بالكذب والشتم والطعن في علماء الأمة وموالاة الكافرين ومعاداة المسلمين.

الاتهام بالتكفير

ويزعم الأحباش (اقتداءً بسلفهم من المتعصبين) أن الوهابية أخذوا الآيات التي تحدثت عن المشركين وحملوها على الموحدين». وهذه التهمة يجب أن توجه الى الأحباش أنفسهم لأنهم حملوا نصوص الخوارج على المسلمين في نجد اليمامة بطريقة ماكرة يكشفها لك هذا البحث العلمي. فإن تسميتكم لهم بالخوارج كتسمية قريش للنبي ﷺ وأصحابه بالصابئة، أي الخارجين على دين الآباء والأجداد.

ثم إن تسمية من يطوف حول القبر ويرجو ميتاً ما لا يرجو من الله مسلماً موحداً لا نسلم بها، فنحن لا نكفره مع اعتقادنا أنه موحد. هذا اذا أقيمت عليه الحجة وعلم بعد جهل وأصر واستكبر.

وأما مخالفونا فإنهم يكفّرون في أمور أقل من ذلك، فقد أقر الحبشي ما جاء في الدر المَختار أنّ من ذكر اسم الله عند الشاة المسروقة فهو مرتد [3]. مع أن الرجل يقول لا اله الا الله لكنه ابتلي بالسرقة.

وكأنهم يظنون أن ما بينه القرآن عن أحوال المشركين الأوائل خاص بهم لذواتهم وليس حجة على من يفعل مثل فعلهم: وكأن من ولد من بيت مسلم وكتب على حفيظة نفوسه (مسلم) فقد أبيح له الشرك ولا يؤثر في توحيده ما دام يقول كلمة الاخلاص بلسانه. وكأن كلمة الاخلاص لا يضرها عمل الشرك.

---

١) منار الهدى ٧:٣٧.
٢) منار الهدى ٧:٤٥.
٣) صريح البيان ١١٦ ط: مجلدة.

فالله ما قص علينا قصص شرك المشركين الأولين الا لنأخذ العبرة، ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ فلا نكرر اليوم ما وقعوا هم بالأمس والا فإن شابهناهم في الفعل فقد شابهناهم في الحكم كقول النبي ﷺ للصحابة حين قالوا « إجعل لنا ذات أنواط، فقال « قلتم كما قال بنو اسرائيل لموسى إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» فلم يقصر الآية على من نزلت فيهم.

ثم إننا أنزلنا آيات المشركين على من وافقهم من أبناء هذه الأمة. وقد أخبر نبي هذه الأمة ﷺ أن قبائل من أمته ستلحق بالمشركين ويعبدون الأوثان، وكان يحذر أمته أن تحذو حذو اليهود والنصارى في اتخاذ القبور مساجد وكان يدعو الله أن لا يجعل قبره وثناً مما يدل على أن المشركين وأهل الكتاب كانوا يتخذونها أوثاناً.

هل نجد اليمامة قرن الشيطان

دأب الأحباش وغيرهم ممن قطعت الدعوة الاصلاحية التي قام بها محمد بن عبد الوهاب الطريق على خرافاتهم وكشفت انحرافاتهم على الادعاء بأن النبي ﷺ وصف نجد اليمامة (الرياض) بأنها قرن الشيطان[1].

ونجيب عن ذلك بما يلي:

قال رسول الله ﷺ «رأس الكفر قِبَل المشرق»[2].

وقال ابن عمر قال «سمعت رسول الله ﷺ يشير بيده نحو المشرق ويقول: ها إن الفتنة ههنا»[3].

وقال سالم بن عبد الله بن عمر «يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجيء من ههنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان»[4].

ولقد حارب الصحابة مسيلمة وكانوا يسمون تلك الحرب بحرب اليمامة ولم يوقعوا حديث «نجد قرن الشيطان» على حربهم مع مسيلمة وإنما كانوا يوقعونها على العراق كما تقدم من الروايات الثابتة عنهم.

○ الحبشي يحتج بحديث «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» لإثبات أن الشرك لا يقع في الأمة وهي تشهد كل يوم أن لا اله الا الله.

فبلاد نجد لا يمكن أن تكون قرن الشيطان لأنها من جزيرة العرب التي يئس الشيطان أن يعبده الناس فيها، فما هذا التناقض؟

○ لقد ذكر الحبشي أن ابن عبد الوهاب لم يأت بجديد وإنما استخرج عقيدته من ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. وبناء على اعترافه نقول: لو كان منهجنا مثل هؤلاء لاحتججنا عليهم بحديث «اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا» فإن ابن عبد الوهاب عالة على ابن تيمية الشامي الذي ملأ الأرض بفكره الاصلاحي وما زالت آثاره ومدرسته

---

١) منار الهدى ٤٤:٧.
٢) مسلم رقم (٥٢ والبخاري ٣٣٠١).
٣) مسلم رقم (٢٩٠٥.
٤) مسلم رقم (٢٩٠٥.

تؤتي ثمارها. فابن تيمية من الشام التي دعا لها النبي ﷺ وهو من آثار دعوته، لكننا لسنا مثلكم.

وقد جاء النص صريحاً بأنها العراق كما عند أبي نعيم في الحلية عن توبة العنبري عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن عمر أن رسول الله ﷺ قال «اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا فرددها ثلاث مرات، فقال الرجل: يا رسول الله يا رسول الله: وفي عراقنا؟ [1] (وفي رواية عند الطبراني في الكبير ٣/١/٢٠١) وفي عراقنا؟ فقال رسول الله ﷺ بها الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان» [2].

وفي رواية عند الطبراني في الأوسط «وفي مشرقنا فقال: من هناك قرن الشيطان وبه تسعة أعشار [الشر] الكفر وبه الداء العضال».

ولذا روى مالك في الموطأ (الفتنة هـهنا من حيث يطلع قرن الشيطان) ثم روى أنه لما أراد عمر الخروج الى العراق قال له كعب الأحبار: لا تخرج اليها يا أمير المؤمنين. فإن بها تسعة أعشار السحر، وبها فسقة الجن، وبها الداء العضال» [3].

والآن انظروا: أين جهة المشرق من المدينة؟ الرياض: أم العراق؟

ثم لماذا ذكّر سالم بن عبد الله بن عمر أهل العراق بحديث رسول الله ﷺ؟ أليس هذا دليلا على أن هؤلاء يحرفون معنى الحديث ويحرّف الجهة التي أشار إليها حتى لا يقال بأن دعوة الأشعري خرجت من حيث يطلع قرن الشيطان؟

قال الخطابي «نجد من جهة المشرق، ومن كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي جهة أهل المشرق» [4].

---

١) وهذا يفسر الرواية الاخرى (ونجدنا) كما عند أحمد ٢/١١٨.

٢) رواه الطبراني في الكبير (١٣٤٢٢) وأبو نعيم في الحلية ٦/١٣٣ والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق من طرق عن توبة العنبري عن سالم بن عبد الله عن أبيه. قال الالباني اسناده صحيح على شرط الشيخين (سلسلة الصحيحة ٢٢٤٦ و٢٤٩٤) وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣/٣٠٥) رجاله ثقات.

٣) رواه مالك في الموطأ ٢/٩٧٥ كتاب الاستئذان: باب ما جاء في المشرق ورواه أبو نعيم في الحلية ٦/٢٣ وانظر اتحاف السادة المتقين ٩/٦٧١.

٤) فتح الباري ١٣/٤٧.

○ عن يسير بن عمرو قال « سألت سهل بن حنيف: هل سمعتَ رسول الله ﷺ يذكر هؤلاء الخوارج؟ قال: سمعته: وأشار بيده نحو المشرق « يخرج منه قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» [1]. ومعلوم أن وقعة الجمل وصفّين لم تكن بنجد الرياض ولا كان خروج الخوارج على عليّ رضي اللهَ عنه إلا بحروراء من جهة العراق.

○ وعند البخاري أن يسير بن عمرو سأل سهلا « هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئاً؟ قال: سمعته يقول: وأهوى بيده قبَل العراق « يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون مَن الاسلام مروق السهم من الرمية» (البخاري ٦٩٣٤).

○ وكذلك عند أحمد في المسند ٣/٤٨٦.

وأكدت الرواية في مسلم أنهم في المشرق « يتيه قوم قِبَل المشرق محلقة رؤوسهم» (مسلم ١٠٦٨). وهذه الرواية مدرجة عند مسلم تحت باب (باب الخوارج شر الخلق والخليقة).

---

١) رواه ابن أبي شيبة في السنة باسناد صحيح ٢/٤٤٠.

ماذا فهم الصحابة من أحاديث نجد؟

وقد وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم شرار الخلق وأن علامتهم التحليق كما قال « يتيه قوم قِبل المشرق محلّقة رؤوسهم» (مسلم ٢/ ٧٥٠ رقم ١٠٦٨).

وهؤلاء فهم الصحابة أنهم الخوارج فقد سئل سهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يذكر الخوارج؟ قال: سمعته. (وأشار بيده نحو المشرق) قوم يقرأون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم» (مسلم ٢/ ٧٥٠ رقم ١٠٦٨).

وأمر ﷺ أصحابه بقتالهم وعزم إن هو أدركهم أن يقتلهم قتل عاد وإرم. قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه » فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه» (مسلم ٢/ ٧٤٥ رقم ١٠٦٤). قال أبو سعيد « وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق» (مسلم ٢/ ٧٤٥ رقم ١٠٦٥).

فالصحابة فهموا أنهم الخوارج وحققوا أمر النبي ﷺ بقتلهم فقاتلوهم. وأن قتالهم لهم كان في المشرق حيث أشار النبي ﷺ. وفهموا أن المراد بالمشرق العراق كما جاء صريحاً على ألسنتهم .

ماذا فهم شراح الحديث

○ وفي البخاري « يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» قال الحافظ « تقدم في كتاب الفتن أنهم الخوارج» ونعود للحديث « قيل: ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق» قال الحافظ « قال الكرماني: الخوارج اتخذوه [تحليق الرأس] ديدناً فصار شعاراً لهم وعُرفوا به» (١) . ولم يكن التحليق شعاراً عُرف به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا أتباعه.

وقال الكرماني في شرحه على البخاري « هي الأرض المرتفعة من تهامة الى العراق» (٢).

○ نص ابن حجر على أن نجد هي العراق لا سيما وأنها في جهة المشرق من المدينة كما نص عليه الحديث. فخذه حيث حافظ عليه نص. ونقل نص الخطابي والداوودي وغيرهما أن نجد هي العراق (٣).

فالعراق هي الجهة التي أشار النبي ﷺ إليها وفهمها الصحابة هكذا. وشراح أحاديث (نجد قرن الشيطان) تحدثوا عن فتنة الخوارج بالعراق، ثم هذا الذي فهمتموه لم يقله حتى سلفكم من الأشاعرة كالسبكي وغيره: من أئمتكم في تفسير هذا الحديث؟ نحن نأتيكم بصريح اسم العراق من البخاري ومن شرحه للحافظ.

---

١) رواه البخاري (٧٥٦٢) وانظر فتح الباري ١٣/٥٣٦-٥٣٧.
٢) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٤/١٦٨.
٣) فتح الباري ١٣/٤٧.

ثناء النبي ﷺ على بني تميم

○ وإذا كان الأحباش يحتجون بثناء النبي ﷺ على قبيلة الاشعريين دليلا على وجوب الأخذ بعقيدة الأشعري ودليلا على ثناء شخص بعينه: فقد أثنى النبي ﷺ على بني تميم - ومحمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم[1].

قال أبو هريرة « ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم: هم أشد على أمتي على الدجال: قال: وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ: هذه صدقات قومنا. وكانت سبيّة منهم عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل» (رواه البخاري رقم ٢٥٤٣ ٢/٢١٩).

قلت: هم والله أشد أهل هذا العصر على أهل البدع والشرك في العالم أجمع، فقد طهر الله بهم جزيرة العرب - قاعدة الاسلام - من الكهان ودجاجلة التصوف وسبله وأصناف البدع التي كانت سبب هلاك المسلمين وذلتهم اليوم. ونشروا كتب عالِم الشام وشيخ الاسلام ابن تيمية،

وقد أوردت هذا الحديث لمقابلة القوم بطريقتهم. والا فالحق أن ورود المدح في قبيلة لا يقتضي مدح كل أفرادها، وكذلك العكس.

فقد مدح النبي ﷺ أهل اليمن وكان منهم الأسود العنسي من كبار طغاة أهل اليمن الذي ادعى النبوة.

---

١) وهي القبيلة التي قاتلت مع خالد بن الوليد بني حنيفة أيام مسيلمة وأبلوا بلاء حسنا.

الواقع خير شاهد

ثم واقع الحال يشهد بأن العراق هي قرن الشيطان لكثرة الفتن التي وقعت فيها وكانت مصدر فتن في العالم الاسلامي كله ومن ذلك:

فتنة التآمر على عثمان بدأت بالعراق.
فتنة وقعة الجمل حدثت بالعراق.
استشهاد علي رضي الله عنه في مدينتها الكوفة.
استشهاد الحسين رضي الله عنه وأرضاه هناك غدره أهل الكوفة.
وقعت محاربة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.
فتنة الحجاج وكثرة القتل والحروب في عهده.
ظهور الخوارج ومنهم انبثقت فرقهم الكثيرة.
ظهور المختار بن أبي عبيد كان بالعراق.
ظهور الفلاسفة وترجمة كتب فلاسفة اليونان.
ظهور الدعوة لعلم الكلام بعد الترجمة.
ظهور المعتزلة على أنواعها وفرقها.
ظهور الروافض الشيعة على اختلاف مللهم.
ظهور طوائف القدرية والجبرية.
ظهور الصوفية بفرقها وطرقها الكثيرة.

وبهذا يبطل زعمكم أن نجد المقصودة بالذم هي نجد اليمامة، فاننا نأخذ بما رآه سهيل بن حنيف بعينه حيث قال (وأهوى بيده قبل العراق) وهذا ما فهمه ابن عمر، وهذا ما فهمه الخطابي والحافظ ابن حجر وغيره من علماء الأمة فلماذا نضرب صفحاً عن هذا كله ونأخذ بشهادة أناس عرفوا بالتعصب وابتدعوا فهماً مخالفاً لسلف الأمة وأئمتها؟

○ ونحن نقول لك أيها الأخ المسلم ما ربما تقوله أنت لغير المسلم - حين يصدق كل ما يشاع عن الاسلام من الاتهامات الباطلة - فتقول له: عليك أن تعرف الاسلام من خلال القرآن وحديث النبي ﷺ لا من خلال ما يتناقله الناس من الأكاذيب.

○ نقول لك: أنت مأمور بأمر الله تعالى أن تتحقق مما يلفقه أهل الباطل حول هذه الجماعة التي ينشر عنها الأحباش شتى الأكاذيب والافتراءات، وقد كتب محمد بن عبد الوهاب كتباً عديدة تمثل اليوم عقيدته أهمها كتاب التوحيد الذي غير كثيرون رأيهم حوله بعد مطالعة هذا الكتاب.

ولا يبرىء موقفك عند الله يوم القيامة أن تكتفي بما يشاع حوله

فالمنصف يسمع مقالة الفريقين في بعضهما وليس فقط مقالة أحدهما في الآخر.

ومقالات الأحباش مقالة سباب وشتم لم يكن رسول الله ﷺ يخاطب بها المشركين.

فاسمع ماذا يقولون عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

بعض أقاويلهم في ابن عبد الوهاب

يتهمونه بالمجرم القاتل والكافر (مجلة منار الهدى الحبشية عدد ٣ ص ٣٤) وأنه كان يغتاظ من مجرد ذكر اسم النبي ﷺ ويكره الصلاة عليه أن الذي يجهر بالصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان مثل الذي يزني بأمه [1].

ويأمر بقتل كل من يصلي عليه لا سيما من صلى عليه عقب الأذان جهراً، لأن ذلك عنده شرك وكفر. وأن الوهابيين كانوا يقولون للحجاج حين زاروا قبر النبي ﷺ «ماذا تفعل ليس هنا الا جيفة، ليس هنا الا عظم» [2]. وزعم زعيمهم نزار حلبي أن أحد الوهابية كان يقول « عصاي هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها في قتل الحية ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا» [3].

والمنصف يلاحظ أنهم لم يحيلوا ولا على كتاب واحد من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد يستشهدون بكلام أعداء الشيخ كمحمد بن زيني دحلان وهو من أهل الغلو يرى أزلية نور النبي ﷺ. فمحكمة أهل البدع جائرة لا تعرف العدل ولا الإنصاف.

---

١) شريط (٤) وجه أ (٤٤١) إظهار العقيدة السنية ٢٤٠.

٢) منار الهدى ٣٧:٧.

٣) منار الهدى ٤٥:٧.

الاسلام دين العدل

والاسلام دين العدل والانصاف قال تعالى ﴿**واذا قلتم فاعدلوا**﴾ وقال ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا: إعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾.

ولكن ماذا لو أصبح أبناء الاسلام لا يحكمون بالعدل بل يكتفون بسماع الأخبار من هنا وهناك من غير تثبت، ويحكمون على أناس من خلال أقوال خصومهم فيهم، فإن الأقاويل التي يطلقها الأحباش حول ابن عبد الوهاب لا يحيلون فيها الى مصدر من كتبه، وإنما يعتمدون الشائعات الباطلة ويشهدون الزور على رسول الله ﷺ أنه كان يعني أهل نجد الرياض بالذم.

وهذا منتهى الجور والتهور وانعدام الانصاف، ومن يقبل خبرهم بدون تثبت فقد وافقهم على هذا الظلم. قال رسول الله ﷺ « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع» (رواه مسلم).

وهذا اللسان الشديد في الخصومة هو هو اللسان الذي يمدح الظالمين المستبدين ويسبح بحمدهم بالليل والنهار، فهو لسان خائن لا اعتبار بشهادته. فإن خيانته أبطلت شهادته.

قال الشيخ محمد رشيد رضا [1] « كنا نسمع في صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان - هذا - ورسائل أمثاله فنصدقها بالتبع لمشايخنا وآبائنا، ونصدق أن الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم وحصدت شوكتهم، وأنا لم أعلم بحقيقة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة الى مصر والاطلاع على تاريخ الجبرتي وتاريخ الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، فعلمت منهما أنهم هم الذين كانوا على هداية الاسلام دون مقاتليهم وأكده الاجتماع بالمطلعين على التاريخ من أهلها ...».

وقد قام الأخ محمد درنيقة برسالة نال فيها درجة الدكتوراه بعنوان (**السيد محمد رشيد رضا**: اصلاحاته الاجتماعية والدينية) [2].

والمؤلف ليس وهابياً بل ميّال الى التصوف. ولا أدل على ذلك من كتابه (**الطرق الصوفية ورجالاتها في طرابلس**) أثنى فيه على الصوفية ورجالها وطرقها.

---

١) عن مقدمة صيانة الانسان عن وساوس دحلان ص ٨.

٢) صاحب جريدة المنار وصاحب التفسير المشهور (تفسير المنار) والمتأثر بدعوة الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده. طبع هذا الكتاب في مؤسسة الرسالة ونشرته دار الايمان.

وبالرغم من النزعة الصوفية عند المؤاف فقد أنصف (الوهابية) ونقل إجلال الشيخ محمد رشيد رضا لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واعتبارها إصلاحية يأمل أن تقضي على الخرافات والشركيات التي استشرت في عهد الدولة العثمانية، وأدت الى تراجع المسلم وذهاب هيبتهم وسقطت دولتهم بذهاب توحيدهم وتسننهم. فليرجع الى فصل (الوهابية) من كتاب السيد محمد درنيقة ص ١٦٣.

قال الزركلي في الأعلام « محمد بن عبد الوهاب: زعيم النهضة الدينية الاصلاحية الحديثة في جزيرة العرب... كان ناهجاً منهج السلف الصالح، داعياً الى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالاسلام من أوهام... وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الاسلامي كله: تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها... سماهم خصومهم بالوهابيين وشاعت التسمية الأخيرة عند الأوروبيين فدخلت معجماتهم الحديثة، وأخطأ بعضهم فجعلها مذهباً جديداً في الاسلام تبعاً لما افتراه خصومه، ولا سيما دعاة من كانوا يتلقبون بالخلفاء من الترك (العثمانيين).

وكذلك كتاب الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الاسلامي الحديث لمحمد كامل ضاهر طبع دار السلام - بيروت.

محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه. للشيخ مسعود الندوي.

دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: للشيخ محمد منظور النعماني الهندي.

لماذا وهابية؟

أن (الوهاب) اسم من أسماء الله الحسنى لا يجوز أن يشتق منه اسم لفرقة ويستعمل على وجه التشنيع والتحقير. ومعلوم أن محمد بن عبد الوهاب لم يقل أنا الوهاب وانما كان اسمه محمد بن عبد الوهاب. فكما أنه لا يجوز أن يشتق من اسم عبد الرحمن اسم لفرقة تسمى الرحمانيون لأن الرحمن اسم من أسماء الله والا كان ذلك إلحاداً في أسماء الله فكذلك لا يجوز أن تشتقوا من اسم الله اسماً لفرقة أو جماعة. يمكنكم أن تقولوا النجديون التيميون.

أنكم نسبتمونا الى الله الوهاب فقلتم (وهابيون) نسبة الى الله. فأعطيتمونا شرفا عظيما في حين وصفتم أنفسكم بصفة مذمومة. فقلتم (نحن الصوفيون) وهو لفظ مشتق من صوف التيوس. وقد قال فيكم أبو حيان النحوي:

أيا كاسياً من جيد الصوف نفسه
ويا عارياً من كل فضل ومن كيْس
أتزهو بصوف بالأمس كان مصبحاً
على نعجة واليوم أمسى على تيس

○ واذا كان الكوثري يزعم أن لقب الجهمية نسبة الى الجهم هو تنابز بالألقاب تهويلا لسمعة الجهم[1]. فماذا يقول الكوثري في تنابزه هو وأصحابه في اسم من اسماء الله وهو (الوهاب).

ولكن يا ترى: هل كان المسلمون هم أول من أطلق على أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لفظ الوهابية؟ لست أعتقد ذلك لا سيما وأن أعداء المسلمين كانوا يراقبون هذه الحركة منذ نشأتها وقد كتبوا فيها كتباً:

ومن الكتب التي كتبت عن ابن عبد الوهاب كتاب HISTOIRE DES WAHABIS (تاريخ الوهابية) طبع بباريس بعد وفاة الشيخ بثمانية عشر عاماً. وكذلك كتاب THE WAHABIS (الوهابيون) للقسيس زويمر[2].

وهذا يؤيد ما قاله الزركلي « وشاعت تسمية (الوهابيين) عند الأوروبيين فدخلت معجماتهم الحديثة».

---

١) مقدمة الكوثري لكتاب تبيين كذب المفتري ١٢ وموقف أبي حنيفة مناقض تماماً لموقف الكوثري من جهم فقد قال « جهم بن صفوان كافر» (تاريخ بغداد ١٣/٣٨٢).

٢) الاعلام ٦/٢٥٧.

وهكذا يبدو أن لأعداء المسلمين علاقة بترويج هذه التسمية بين المسلمين لتنفيرهم من دعوة تتخذ من شعار نبذ الشرك والبدع أصلها لدعوتها وانطلاقتها، في وقت كثرت فيه البدع بين المسلمين وصار الحال كما وصفه الشيخ عبد الباسط فاخوري قائلا « ان أكثر العوام من جهة الاسلام قد تغالوا وافرطوا وابتدعوا بدعا تخالف المشروع من الدين القويم فصاروا يعتمدون على الأولياء الأحياء منهم والأموات معتقدين ان لهم التصرف وبأيديهم النفع والضر ويخاطبونهم بخطاب الربوبية».

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة تلميذ زاهد الكوثري « فأما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فهو إمام الدعوة غيرَ منازع، وقد كان داعية الى الله تعالى وقام بالدعوة بحاله ومقاله وعلمه وقلمه، وما كنت في كل حين الا مقدراً فضله وعلمه وقيامه بالدعوة الى الله تعالى، تلك الدعوة التي أعطت أطيب الثمرات في إعلاء كلمة الله تعالى وتصفية العقيدة من الشوائب والخرافات، والتي تتجلى آثارها في نشر العلم وكثرة العلماء. وانتشار المعاهد العلمية التي هي من أثر من آثار دعوته الخيّرة كما تتجلى آثارها في مؤازرة الاسلام والمسلمين[1].

---

١) كلمات في كشف أباطيل وافتراءات ٢٣.

موقف سليمان بن عبد الوهاب من أخيه

وقد تراجع سليمان أخو محمد بن عبد الوهاب عن موقفه [1]. ثم: من هو سليمان وما سليمان؟ من قال أن كل من يعترض على أخيه يكون على حق بالضرورة، ثم متى عُرف سليمان بالعدالة والتوثيق حتى يكون هو الحجة لا أخوه مثلا؟

نداويكم بدوائكم

فإن طعن الأخ في أخيه دليل عندكم على ضلال الثاني وطعن سليمان في دعوة أخيه محمد بن عبد الوهاب حجة فنحن نحتج عليكم بمحمد الزمزمي الغماري أخي أحمد ونقول يكفي أحمد الغماري ضلالة أن شنع عليه أخوه محمد الزمزمي في رسالة بعنوان « كشف الحجاب عن المتهور الكذاب أشار اليها أحمد نفسه في كتابه « سبيل التوفيق ص ١٠٢».

فليست مخالفة القريب لقريبه حجة والا صارت مخالفة أبي جهل وأبي لهب للنبي ﷺ حجة على نبينا ﷺ، وإنما الحجة عرض مبادىء الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة، وقد فعل الشيخ عبد الباسط فاخوري ذلك وصرح بعدها بأن مبادىء الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا تخرج عما جاء به النبي ﷺ والأنبياء من قبله.

ولقد كان من عادتكم الاحتجاج بالشيخ الفاخوري فهل تقبلون هنا شهادته أم تقولون مدسوسة بعد أن قام فريق منكم بإسقاطها من كتابه (تحفة الأنام مختصر تاريخ الاسلام) [2]؟

ويحتج الأحباش بقول ابن عابدين « كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علمائهم حتى كسر الله شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين» انتهى.

---

١) أنظر نص رسالة الضياء الشارق للشيخ سليمان بن سحمان ص ٥٧.

٢) المحرف المباشر لكتاب الشيخ عبد الباسط الفاخوري هو نزار فاخوري (أنظره في مجلة منار "الهدى" ٦٢/١٣ بالتعاون مع دار الجنان الحبشية وهي قرصنة فكرية وخيانة علمية وفضيحة سننشرها في رسالة مستقلة.

○ وقول ابن عابدين ليس بحجة: فهو رجل صوفي نقشبندي مخرف واليك نموذجاً من أقواله: قال « وفي البحر عن عدة الفتاوى: الكعبة إذا رُفعت عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة، ففي تلك الحالة جازت الصلاة إلى أرضها»[1]. فهو يعتقد أن الكعبة تمشي من مكان الى آخر لتطوف هي بقبور الأولياء الذين صارت قبورهم هي الكعبة. فالكعبة عندهم قبورية!!

وقد قال الغزالي بهذا القول قبله قال «إن من أولياء الله من تزوره الكعبة وتطوف به»[2].

وأما زعم دحلان أن ابن عبد الوهاب سئل عن العاديات ضبحاً فلم يعرف الاجابة. وهذا من الاغلوطات وهو شر طريقة أهل البدع في تعجيز مخالفهم. ولقد عجز جمع من كبار الصحابة عن مسألة تفطن لها عبد الله بن عمر حين قال النبي ﷺ «ان من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟ فلم يعرفها كبار الصحابة وعرفها ابن عمر.

وأما دحلان فقد صرح بما يعتبره الأحباش من الكفر. فقال بأزلية النور المحمدي ﷺ وأن النبي ﷺ كان نبياً قبل وجود آدم بخلاف باقي الأنبياء فانهم لم يكونوا أنبياء الا في حال نبوتهم. قال « فنور النبي لم يزل قائماً به. حتى إن الملائكة أُمروا بالسجود لآدم لأن نور محمد كان ظاهرا على جبهته» (السيرة النبوية والآثار المحمدية ٢/٢٨٦).

ولقد قال الأحباش بأنه من الكفر قول إن محمداً خُلق من نور لأن ذلك تكذيب للقرآن لأن الله قال ﴿قل انما أنا بشر مثلكم﴾ (منار الهدى ٢٥/٣٤).

فهل يحكم الأحباش بكفر دحلان؟

---

١) حاشية ابن عابدين ١/٣٠٢ المطبعة الاميرية.

٢) احياء علوم الدين ١/٢٦٩.

مسألة التكفير عند ابن عبد الوهاب

وكان يفرق بين التكفير المطلق وبين تكفير المعين. حتى انه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور اذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها فقد قال « من قامت عليه الحجة وتأهل لمعرفتها يكفر بعبادة القبور وأما من أخلد الى الأرض واتبع هواه فلا أدري ما حاله» [١].

وقول الأحباش أن الوهابية يجعلون المؤمنين الموحدين مثل المشركين. يجيب عن ذلك الشيخ سليمان بن سحمان بقوله « ما جعلت الوهابية المؤمنين الموحدين مثل المشركين، وانما جعلت من فعل فعلَ المشركين مشركاً لكونه حذا حذو أولئك في صرف خالص حق الله تعالى ويزعم أنه ما أراد الا الجاه والشفاعة منهم لأنهم مقربون عند الله [٢].

فتكفيرهم من دعا الأنبياء والأولياء الصالحين فلكون ذلك من الشرك الصريح المخرج من الملة ... بعد إقامة الحجة على من فعل ذلك» [٣].

قال في الضياء الشارق «إن مجرد الحلف بغير الله لا يخرج من الملة، ومن زعم أنا نكفر بهذه الأشياء كفرا مخرجا عن الملة فهو من أكذب خلق الله»... قال « والكراهة في عرف الكتاب والسنة وقدماء العلماء تطلق على التحريم. قال تعالى بعد ذكر المحرمات ﴿**كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً**﴾ وفي الحديث أن الله « يكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال [٤].

---

١) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق ٣٧٢.

٢) الضياء الشارق ٤٣٧ للشيخ سليمان بن سحمان.

٣) الضياء الشارق ٥٩٤.

٤) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق ٦٥٨-٦٦٠.

شبهة براءة الصنعاني من ابن عبد الوهاب

وأما عن براءة الشيخ الصنعاني من ابن عبد الوهاب فان الصنعاني يدعو الى التوحيد الذي دعا اليه ابن عبد الوهاب، ودليل ذلك كتابه تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد (١).

فانه قد وافق ابن عبد الوهاب في أن دعاء الأموات من دون الله كفر، وانما خالفه في نوع الكفر: هل هو كفر اعتقادي وبالتالي فهو كفر أكبر أم أنه كفر عملي وبالتالي فهو كفر أصغر.

فاختار الصنعاني أنه كفر عملي أصغر. وكان هذا تناقضاً كبيراً من الصنعاني كما نبه عليه السهسواني الهندي في كتابه صيانة الانسان. فان من يدعو الأموات من الأولياء والأنبياء فلإنه سبق في اعتقاده أن هذا الولي يجيب الدعاء ويجيب المضطر.

ثم إن هذا الموضوع هو من أكثر التوحيد التي عاب الله فيها على المشركين. ولا يغرنك اعتقاده بأن ذلك حاصل بإذن الله.

قال السهسواني « فليت شعري، ما هو الحامل له على الدعاء والاستغاثة وتقبيل الجدران ونذر النذورات؟ هل هو مجرد اللعب والعبث من دون اعتقاد؟ فهذا لا يفعله الا مجنون... ثم انظر كيف اعترف [الصنعاني] بأن هذا كفر اعتقاد ككفر أهل الجاهلية فقال « ولكن زين الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون فاعتقد ذلك جهلا كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام» (٢).

---

١) مخطوط في المدينة المنورة بالجامعة الاسلامية برقم (٤٣٩٢) من مصورات الجامعة من رقم (ص ٢٣٦) الى (٢٦٨) بخط هندي جيد.

٢) مقدمة كتابه تطهير الاعتقاد ص ١٠ تحقيق شريف هزاع.

صفات المخالفين لدعوة ابن عبد الوهاب

إذا تابعت ما عليه حال المخالفين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأدركت معاداتهم الشديدة له. وسنختار لك من بين المخالفين له ثلاث شخصيات معروفة ومعتبرة بين عالم الصوفية والأشعرية وهؤلاء هم:

- يوسف بن اسماعيل النبهاني.
- محمد بن حسن وادي الصيادي.
- ابن عابدين صاحب الحاشية.
- أحمد بن زيني دحلان.

ضلالات النبهاني

وهذا الرجل أمعن في الخرافة ويكفيك أن تطلع على ما ادعاه في كتابه (جامع كرامات الأولياء) من طرائف الأخبار الخرافية المشوهة للكرامات التي تضفي على الأولياء صفات الربوبية من حياة وسمع ورقابة للمريدين وهم في قبورهم، وما وضع الله فيها بزعمهم من أسباب البركة والعلاج وسرعة الاستجابة للملهوف والمكروب وقضاء الحوائج وشفاء المرضى حتى وصفوا قبورهم بأنها (الترياق المجرب) كل ذلك لاقناع المحتاج بجدوى التوجه اليهم بالدعاء مع الله.

ما يمتاز به الأولياء عند النبهاني

فذكر النبهاني قول الشعراني أن مما تميز به الصوفية «الكشف الصحيح عن الأمور المستقبلة فيعرفون ما في بطون الأمهات أذكر هو أم أنثى أم خنثى ويعرفون ما يخطر على بال الناس وما يفعلونه في قعور بيوتهم» **(جامع كرامات الأولياء ٣٢٤/٢)**.

فمنهم من يعلم ما في الصدور وما في الأرحام.

ومنهم من يطلع على اللوح المحفوظ.

ومنهم من يحيي ويميت.

ومنهم من تأتي الكعبة اليه وتطوف هي به وتزوره(الاحياء١/٢٦٩).

ومنهم من ينقذ أهل المراكب من الرياح...الخ.

ويذكر النبهاني لك مثلا أن الأولياء يقولون للشيء كن فيكون **(جامع كرامات الأولياء ٣٢/١)**.

ومنهم من ينطق بالكوْن قبل أن يكون، وبالغيوب قبل حصولها.

ومنهم من ينظر تحريك اليمين (يمين الله) للقلم **(جامع كرامات الأولياء ٣٤/١)**.

* ويحدثنا النبهاني عن كرامات الشعراني فيقول « قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعمر النبتيني « أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني **وقل له يتصرف في الكون**» **(جامع كرامات الأولياء ١٣٥/٢)**.

* علي بن محمد الدينوري: قال « تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدّباً مع الله» **(جامع كرامات الأولياء ١٥٨/٢)**.

فهكذا ترى رفع الأولياء الى مرتبة الألوهية وإعطائهم صفات الربوبية التي اختص الله بها من التصرف في الكون والعلم بالغيوب وما في الأرحام وإغاثة المضطرين. فهذي حالهم تنبيك عن مقالهم.

ومع كل هذه الانحرافات التي ستقرأها باسم الكرامة وباسم الولاية فان المسلم لا يتأثر اعتقاده من الكرامة لمثل هذه الأكاذيب، بل هو مأمور أن يعتقد بصحة الكرامة وأنها حاصلة لمن شاء الله من عباده وأوليائه. لسنا معتزلة وانما نعلم أن المعتزلة أرادوا تقويم الخرافة باسم الكرامة فنفوا الكرامة. فأنشأوا انحرافا جديدا الى جانب انحراف الصوفية وهو انحراف إنكار الكرامة.

نماذج الأولياء والكرامات عنده

* الشيخ القناوي: كان اذا شاوره انسان في شيء يقول «امهلني حتى أستأذن لك فيه جبريل عليه السلام. فيمهله ساعة ثم يقول: افعل أو لا تفعل على حسب ما يملي عليه جبريل» (**جامع الكرامات٢:٦٨ طبقات الصوفية للشعراني ١:١٥٧**).
* (ابن عربي) له ختم الولاية. قال النبهاني (**جامع كرامات الأولياء ١:١٢٥**):

كان ختماً للأولياء تبيعا
بهداه لخاتم المرسلينا.
سيد الخلق صفوة الحق من
كل البرايا ورحمة العالمينا.

وأن ابن عربي أتت الكعبة اليه هي والحجر الأسود وطافت حوله ثم تلمذت له وطلبت منه ترقيتها الى المقامات العليا فرقاها وناشدها أشعاراً وناشدته (**جامع كرامات الأولياء ١/١٢٠**).
ويحكي الزبيدي أن الكعبة كانت تستأذن ابن عربي أن يطوف بها وأن ماء زمزم كانت تسأله أن يتضلع من مائها.

* ابراهيم الملقب بجيعانة: من كراماته أن امرأة أتته وسألته الدعاء وأمرّت يدها على أطماره الرثة ثم أمرّتها على وجهها، وهناك فقيهان روميان فقال أحدهما: يا حرمة تنجست يدك بما مرّت عليه. فنظر الشيخ اليه مغضباً ثم جلس وغاط ثم نهض فتقدم الفقيه المنكر وجعل يلعق غائطه ورفيقه متمسك بأثوابه ويضمه ويقول: ويلكَ هذا غائط الشيخ! الى أن لعق الجميع ببعض التراب، فلما نهض جعل يعاتبه فقال: والله ما لعقت الا عسلاً (**جامع كرامات الأولياء ١/٢٤٠**).

* ابراهيم العريان: كان يخطب الجمعة بالناس وهو عريان... فيحصل للناس بسط عظيم (**جامع كرامات الأولياء ١/٢٤٦**)... والحمد لله رب العالمين!

* أحمد المدعو حمدة: كان يقيم عند بعض النساء البغيات، وما ماتت واحدة منهم إلا عن توبة ببركته، وربما صار بعضهن من أصحاب المقامات (**جامع كرامات الأولياء ١/٣٣٤**).

* حسين أبو علي: كان كثير التطورات! تدخل عليه بعض الأوقات تجده سبعاً ثم تدخل فتجده فيلا ثم تدخل فتجده صبياً وهكذا **(جامع كرامات الأولياء ٤٠٦/١)**.

* عبد الكريم الدمشقي: سألوه: هل تستطيع أن تشرب كل ما في هذه البركة؟ فقال: إملأوها. فأخذه حال عجيب ووضع فمه في البركة فصار يشرب والماء يخرج من إحليله (ذَكَره) ولم يزل كذلك يدخل الماء من فمه ويخرجه من إحليله إلى أن فَرَغت البركة. قال النبهاني: **وهي من أعظم كراماته (جامع كرامات الأولياء ١٠٢/٢)**.

* عبد الله الحضرمي: كان يقول: ارتفعت نفسي في الملكوت الأعلى فلم أر لأحد علينا فضلا الا الأنبياء والمرسلين **(جامع كرامات الأولياء ١١٥/٢)**. صار أفضل من أبي بكر وعمر والصحابة!!!

* عبد الله الذي كان يطحن الحشيش: من كراماته أنه كان كل من أخذ من حشيشه (رضي الله عنه) وأكل منه يتوب لوقته ولا يعود لها أبداً **(جامع كرامات الأولياء ١٢٥/٢)**.

* بدر الدين بن محمد القدسي: كانت السباع تأتي السباع كانت تأتي قبر بدر بن محمد القدسي وتمرغ وجوهها عند ضريحه رجاء حصول البركة لها **(جامع كرامات الأولياء ٣٦٥/١ و١١٧/١**.

* علي بن عبد الله المعروف بمطيب الوحش: كانت الوحوش تأتي قبره وبها أوجاع فتحصل البركة عند قبره فتزول الأوجاع **(جامع كرامات الأولياء ١٧٣/٢)**.

* علي بن احمد القوصي: كان اذا جاء ليدخل بابا فوجده مغلقاً دخله من شقوقه التي لا تسع النملة. ومر يوما بالشارع واذا بامرأة جميلة فوقف زماناً «**يتأمل**» ثم صاح بها واذا بها نزلت وأتت بالشهادتين وكانت نصرانية. فقال لمن معه: نظرت الى هذا الجمال الباهر فقال أنقذني من هذا الكفر الظاهر» **(جامع كرامات الأولياء ١٧٩/٢)**.

* علي وحيش: من كراماته أنه كان اذا رأى شيخ بلد ـو غيره يُنزله من على الحمارة ويقول له: أمسك رأسها حتى أفعل فيها. فإن أبى

شيخ البلد تسمّر في الأرض، وإن سمع حصل خجل عظيم (**جامع كرامات الأولياء ١٩٠/٢**).

* علي أبو خودة: كان يفعل في العبيد الفاحشة (**جامع كرامات الأولياء ١٩٤/٢**).

* علي العمري: من كراماته ما رواه الحاج ابراهيم، قال: دخلت الحمام مع شيخنا الشيخ علي العمري ومعنا خادمه محمد الدبوسي ولم يكن في الحمام غيرنا. قال: فرأيت من الشيخ كرامة من أعجب خوارق العادات وأغربها وهي أنه أظهر الغضب على خادمه وأراد أن يؤدبه فأخذ إحليله (أي ذكره) بيديه الاثنتين من تحت إزاره بحيث طال طولا عجيبا بحيث أنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه وصار يجلد به خادمه، والخادم يتلوى من شدة الألم فعل ذلك مرات ثم تركه وعاد إحليله الى ما كان عليه. قال الحاج ابراهيم: ففهمت أن الخادم عمل عملا يستحق التأديب فأدبه الشيخ بهذه الصورة العجيبة.

قال النبهاني: ولما حكى لي ذلك الحاج ابراهيم حكاه بحضور الشيخ الذي كان واقفاً فقال لي الشيخ لا تصدقه، وأخذ يدي بالجبر عني ووضعها على موضع إحليله فلم أحس بشيء مطلقاً حتى كأنه ليس برجل أبداً، فرحمه الله وضي عنه ما أكثر عجائبه وكراماته» (**جامع كرامات الأولياء ٢٠٨/٢**).

* ومن كراماته أنه كان في بلد الشيخ علي رجل قليل الحياء معجباً بإحليله فكان يمازح الشيخ اذا رآه ويضع يده على إحليل نفسه ويقول له هل عندك مثل هذا؟ فضربه الشيخ بيده وقال له إذهب فذهب كأنه امرأة لم يتحرك له شيء (**جامع كرامات الأولياء ٢١٤/٢**) ا. هـ (يا لمصيبة هذه الأمة).

* عيسى بن نجم البرلسي: مكث سبع عشرة سنة بوضوء واحد (**جامع كرامات الأولياء ٢٢٨/٢**).

* (أبو الغيث الشحري اليمني) كان تجار اليمن يستغيثون به في شدائد البحر ومضايق البر (**جامع كرامات الأولياء ٢٣١/٢**).

* قال السراج: روينا أن امرأة أوتيت نصيباً من الأسرار وأقام عندها (صوفيان) وأرتهما أحوالا عظيمة ومكاشفات عميقة. ثم طمع أحدهما نفسه بها لما رأى من إحسانها وسألها ما يسأل من النساء فأجابته ظاهراً فلما ضاجعها ليلا وجدها خشبة يابسة

فقال لنفسه: الثديان ألينُ شيء في المرأة فلمسها فوجدها كحجرين فلمس أنفها فلم يجد أنفاً فعند ذلك اقشعر جلده... ثم عند السحر جلست لصلاتها على العادة ولم تظهر له شيئاً من التغير فأخذ في الاعتذار ثم استتابته وأكرمته (**جامع كرامات الأولياء ٢/٣٠**).

❊ ولي الله الحشاش: مر الشيخ سراج الدين البلقيني بباب اللوق فوجد زحمة فسألهم ما الأمر: فقالوا: شخص من أولياء الله يبيع الحشيش كيف يكون شخص حشاش من أولياء الله، انما هو من الحرافيش. فسلب الولي ما في صدر هذا الشاب من القرآن حتى الفاتحة (**جامع كرامات الأولياء ٢/٣٢٥**).

❊ ولي الله الديوث: حكى الشيخ نور الدين الشوني أن شخصاً كان مكارياً يحمل النساء من بنات الخطأ وكان الناس يسبونه ويصفونه بالتعريص وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة من بنات الخطأ وتعود الى الزنا أبداً (**جامع كرامات الأولياء ٢/٣٢٧**)..

التصـــوف والصـوفيـــة

ولما وجد الأحباش كثرة النكير على الصوفية هجموا بدورهم على الصوفية الدجاجلة وفرّقوا بينها وبين الصوفية الصادقة وهذه حيلة (شرعية) - أو قل شيطانية - يراد بها التخلص من الانكار على التصوف ليعودوا بالناس الى التصوف مرة أخرى تحت عنوان « تصفية التصوف» مما علق به من خرافة.

وهي خدعة يراد بها تلميع التصوف وتحسينه وكفى بالتاريخ شاهداً على ما كان لدور التصوف من تخلف وبدع وشركيات شابه بها الصوفية اليهود والنصارى من تقديس القبور واتخاذها مساجد والقول بوحدة الوجود والفناء الصوفي الهندي القديم.

وقد اعترف الزبيدي بمقام وحدة الوجود عند الصوفية فقال معلقا على كلام للغزالي « وفيه تلويح الى مقام وحدة الوجود عند الصوفية» [1]

التصوف كلمة واحدة تنضوي تحتها مئات الفرق والأحزاب: كل حزب بما لديهم فرحون، ليس التصوف فرقة واحدة.

وهذا من أعظم أسباب تفرق المسلمين، وما عندهم من شرك أعظم تفريقا للمسلمين. وقد بين الله في كتابه أن الشرك مسبب للفرقة فقال: **﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾. والتوحيد هو أعظم أسباب** الوحدة **﴿إن أمتكم هذه أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**.

موقف ابن الجوزي من التصوف والصوفية

قال ابن الجوزي [2] « قد لبّس ابليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم : والحق لا يحتاج الى تشييد بباطل، فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل» (تلبيس ابليس ٣٨٤).

قال « فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف» (تلبيس ١٦٥).
وسموا علمهم علم الباطن، وعلم الشريعة: العلم الظاهر» (تلبيس ١٦٤).

وأفضل كلمة عن التصوف ما رواه ابن الجوزي عن رويم « لا تشتغل بترّهات الصوفية» (تلبيس ١٨٩ مكتوبات السرهندي ٢٢٢ و٢٩٦).

---

١) اتحاف السادة المتقين ٤٩٨/٩.

٢) اخترت لهم ابنَ الجوزي لانه معتبر عندهم يلقبونه (منزّه الحنابلة).

يقول ابن الجوزي « وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس ابليس» (تلبيس ابليس ٣١٠). واعتبر أن البدع دخلت من الرهبنة حيث أخذ المتزهدون الصوفية عن الرهبان طريق التقشف.

وكان ابن الجوزي يصفهم بالحمقى ويدعو عليهم فيقول طهّر الله الأرض منهم وأعان العلماء عليهم فان أكثر الحمقى معهم [١]. وهذا يؤيد قول الشافعي « لو أن رجلا تصوف أول النهار، لا يأتي الظهر حتي يصير أحمق، وما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد اليه عقله أبداً» وروى عنه قوله « أُسّسَ التصوفُ على الكسل» (تلبيس ابليس ٣٢٠ و٣٧١).

قال « ولما قلّ علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال ما لا يحل.. وكان الصالح منهم نادراً، ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشايخنا» ثم روى عن عن وكيع حدثنا سفيان يقول سمعت عاصماً يقول: ما زلنا نعرف الصوفية بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث» (تلبيس ابليس ٣٧١-٣٧٢).

ثم وصفهم ابن الجوزي بأنهم زنادقة وقال « ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة» (تلبيس ابليس ٣٧٤).

وروى عن شيخه ابن عقيل قوله « نصيحتي الى إخواني أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغي مسامعهم الى خرافات المتصوفين» (تلبيس ابليس ٣٧٥).

وذكر أن وسوسة الشيطان بلغت بالصوفية حتى صار الواحد منهم يتخايل له وسوسة فيقول « حدثني قلبي عن ربي» وحتى صار أبو يزيد البسطامي يقول « مساكين [أي أهل الحديث] أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت» (تلبيس ابليس ٣٢١-٣٢٢).

قال ابن الجوزي « وجاء عبد الكريم بن هوازن القشيري وصنف لهم كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء [أي في الله] والقبض والبسط والجمع والتفرقة والصحو والمحو والسُّكْر والشرب والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والحقيقة والشريعة وغير ذلك من التخليط الذي ليس بشي» (تلبيس ابليس ١٦٥).

---

١) صيد الخاطر ٢٢٥-٢٢٦.

ويدعي الأحباش أن أبا بكر أول الصوفية. ولكن لم يتكرموا بإخبارنا على أي طريقة كان: أكان رفاعياً أم قادرياً. (مجلة منار الهدى ١٦/٢٠).

ونترك الرد على ذلك من ابن الجوزي حيث قال « وجاء أبو نعيم الأصفهاني فصنف لهم [للصوفية] كتاب الحلية وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي الله عنهم» [(١)].

ويزعمون أن التصوف صفاء المعاملة (مجلة منار الهدى ١٦/٢٠). وأي صفاء هذا؟ نحن لا نرى لهذا الصفاء في معاملة الأحباش أثراً. فالناس لا يرون منهم الا الجفاء والتطاول وشتم أعراض المسلمين وتكفيرهم.

وزعم السبكي أن الصوفي من لزم الصدق مع الحق والخُلُق مع الخَلْق [(٢)]. وهكذا يأتونك بصفات أمر بها الاسلام ويجعلونها ميزة التصوف ولكن الاسلام أمر بها قبل أن يوجد التصوف ولم يجعلها تحت اسم التصوف.

---

١) تلبيس ١٦٥ فماذا يقول ابن الجوزي في مبتدعة عصرنا كالغماري الذي كتب رسالة « حسن التلطف في وجوب سلوك طريق التصوف»؟ فأوجب على المسلمين ما لم يأذن به الله؟

٢) طبقات السبكي ١٠/٢٩٥.

لماذا التصوف

سؤال نطرحه على كل منصف يريد الحق ويحذر الهوى والتحيز؟

اذا قيل إن التصوف لترقيق القلوب وصفائها: ألم يكن في دين الاسلام ما يرقق القلوب وهو الذي جاء قبل التصوف. ورقّت به قلوب الصحابة ومن بعدهم؟ أم أن في التصوف ميزة في ترقيق القلوب ووصلها بربها لا توجد في الاسلام؟

لا اعتقد مسلماً عاقلاً يقول ذلك.

وإذن؛ فلماذا الحرص على هذا التصوف اذا كان الاسلام يغني عنه لاسيما وأنه خليط من البدع ومخلفات الملل والديانات الفلسفية القديمة؟

لنكن صادقين مع أنفسنا ومع ربنا: هل في الاسلام ما يغني عن التصوف أم لا؟

قد جاءنا العلم من ربنا: كتاب وسنة وهدي سلف صالح: فلماذا نختلف ونتفرق من بعد ما جاءنا العلم بغياً بيننا؟ ونقع فيما وقع به من قبلنا كما حكى الله عنهم ﴿**فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم**﴾.

فما هو الجديد الذي أتت به هذه الطرق؟ أهو شيء لم يأت به الاسلام؟ إن هذه الطرق لم تأت بجديد لم يفعله الرسول ﷺ أو يدل عليه،

بل إن ما تفعله وتشرعه للناس هو من أنواع البدع مخالف لصراط الله المستقيم كما قال ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه. ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ قال مجاهد «السبل: البدع والشبهات» [1]. فهذه الطرق هي السُبُل، قد ابتدعت في دين الله أذكاراً وأوراداً وطقوساً ما أنزل الله بها من سلطان.

---

١) فتح المبين لابن حجر الهيتمي ١٠٩.

لباس الصوفية

وانتقد ابن الجوزي هذه المرقعة التي تقلدها الصوفية وجعلوها علامة على التصوف وجعلوا لها اسنادا ينتهي الى علي ومنه الى رسول الله ﷺ. فقال « وقرروا أن هذه المرقعة لا تلبس الا من يد شيخ وجعلوا لها اسنادا متصلا كله كذب ومحال» (تلبيس ابليس ١٩١).

قلت: بل شبكة صيد. فقد قال النضر بن شميل لبعض الصوفية: تبيع جبتك الصوف؟ فقال: اذا باع الصياد شبكته بأي شيء يصطاد»؟ (تلبيس ابليس ١٩٨).

وقال بأن هذا النوع من اللباس صار لباس شهرة. ثم يقول بعد ذلك « فانظر الى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء» (تلبيس ابليس ٢٠٢).

قال « ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبي ﷺ لبس الصوف. قال: فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف فقد كان يلبسه في بعض الأوقات، لم يكن لبسه شهرة عند العرب [1] وأما ما يروى في فضل لبسه فمن الموضوعات التي لا يثبت منها شيء» ثم ذكر أن فرقد السنجي جاء الى حماد بن أبي سليمان بالبصرة وعليه ثوب صوف فقال له «ضع عنك نصرانيتك هذه» (تلبيس ابليس ١٩٤-١٩٦). وجاء عبد الكريم أبو أمية الى أبي العالية وعليه ثياب صوف فقال له أبو العالية: انما هذه ثياب الرهبان».

اذن فلا يحاولن أحد إرجاع أصل التصوف الى لبس الصوف فانه سنة نصرانية.

ويصف ابن الجوزي الصوفية بأنهم كانوا يطلبون المال من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس (آكل أموال الناس ظلما) وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة» (تلبيس ابليس ١٧٥) قلت: ما أشبه اليوم بالأمس فصوفية اليوم يتملقون الظلمة بل والكفار ويصفونهم بأعذب الأوصاف بينما يسلقون علماء المسلمين بألسنة حداد.

بل حكى ابن الجوزي انتشار صحبة الصغار والوقوع في غرامهم كما قال « وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يصيد بها الصوفية حتى روى عن يوسف بن الحسين الرازي أن آفة الصوفية في صحبة الأحداث» (تلبيس ابليس ٢٧٦).

---

١) بمعنى لا يلبسه كشعار ديني مثل ازار ورداء الحج.

موقف احمد من الحارث المحاسبي

وروى ابن الجوزي أن أحمد بن حنبل سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحب له « لا أرى لك أن تجالسهم. وسئل أبو زرعة عن الحارث المحاسبي فقال اياك وكتبه هذه الكتب كتب بدع وضلالات... قال: وتكلم الحارث بن المحاسبي في شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختفى الى أن مات فيها، ولم يصل عليه الا أربعة أنفس» وقاله الذهبي والخطيب [1].

وهذا يبطل دعوى الأحباش أن أحمد سمع كلامه بعد ذلك فتأثر لكلامه وبكى.

واحتج الأحباش بأن أحمد لقي صوفياً جاءه فقال له ماذا تريد يا صوفي» قالوا: وهذا دليل على ارتضائه طريق التصوف.

أنظر كيف يتعلقون بالقشة!

وهذا ليس بحجة كما لو قال أحمد للرافضي (يا شيعي) لا يكون ذلك دليلا على مدح التشيع.

قال ابن الجوزي « وأما كلام المحاسبي إن الله نهى عباده عن جمع المال وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال: خطأ يدل على الجهل بالعلم» (تلبيس ابليس ١٧٩).

قال « وكان الجنيد يتستر بالفقه على مذهب أبي ثور» (تلبيس ابليس ١٧٣).

---

١) تلبيس ابليس ١٦٧ مناقب أحمد لابن الجوزي ١٨٦ سير أعلام النبلاء ١١/٣٢٧ تاريخ بغداد ٨/٢١٥-٢١٦.

حكايات الصوفية

يعجب من حكايات الصوفية كقول أبي يزيد فيما رواه عنه الغزالي « دعوت نفسي الى الله فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء ولا أذوق النوم سنة: فوفت لي بذلك» وقال معلقاً « فهذه حالة مذمومة لا يستحسنها الا الجهال» (تلبيس ابليس ٢١٠ وص ٢١٧).

ويزداد تعجب ابن الجوزي مرات ومرات من عجائب الآراء وقصص القوم التي يوردها الغزالي عن الصوفية ويقول: «عجبت لأبي حامد الغزالي كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه الى مذاهبهم... (تلبيس ابليس ٢١٣).

موقف ابن الجوزي من ضرب الصوفية بالدفوف

قال « وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا. فكيف لو رأوا هذه[١]؟

قال « وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة الى الله فقال الجنيد: تنزل رحمة الله على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن: عند الأكل وعند المذاكرة وعند السماع» (تلبيس ابليس ٢٤٩). قال ابن الجوزي «وهذا كفر، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافرا (تلبيس ابليس ٢٥٠).

قال « وكان الحسن البصري يقول: ليس الدف من سنة المرسلين في شيء. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام « من ذهب به الى الصوفية فهو خطأ في التأويل على رسول الله ﷺ. وانما معناه عندنا اعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر في الناس».

قال ابن الجوزي « قال أحمد أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل».

قال ابن الجوزي « وكل ما احتجوا به لا يجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء... وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بم لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصفهاني فانه قال: كان البراء بن مالك يميل الى السماع ويستلذ بالترنم» (أنظر تلبيس ابليس ٢٣٩).

وذكر من احتجاجاتهم الاحتجاج على جواز الغناء بسماع النبي ﷺ للشعر (تلبيس ٢٤٠).

وروى عن شيخه ابن عقيل أنه قال « ان مشايخ هذه الطائفة كلما

---

١) فكيف لو رأوا الدرامز الغربي الذي يستعمله الأحباش وغيرهم؟

وقفت طباعهم حداها الحادي الى الله بالأناشيد فقال: لا كرامة لهذا القائل. انما تحدي القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾... وأنتم زنادقة في زي عُبّاد» (تلبيس ابليس ٢٤٦).

قال ابن الجوزي « واعلم أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب: وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع» (تلبيس ابليس ٢٥٢).

قال ابن الجوزي « وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقّت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك الا لتمكن هوىً» (تلبيس ابليس ٢٤٧).

بل بلغت بهم الوقاحة أن صاروا يتقربون الى الله بالرقص الذي وصفه ابن الجوزي بأنه تشبه بالنساء، ورورى عن أبي بن الكاتب أن ابن بنان كان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له. ثم تساءل: « أي معنى في الرقص الا اللعب الذي يليق بالأطفال. قال « والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار الى أفعال الكفار والنسوة» (تلبيس ابليس ٢٥٧- ٢٥٨).

نموذج من أذكار الصوفية

« اللهم أسألك بالجرة التي هي في جوهر الأمر ومدة السر وحبل الارادة وطريق التدوير ومنهج الغيب وسلسلة الهز وسبيل العز، جرة جيم جوهر جمع مجموع جوامع جميع مجامع جمعيات الجلال والجمال والجلالات والجلجلة والجلوات والجوليات والجولات والجهريات والجريان والجاريات والجارات والمجرورات» [١] « اللهم أسألك بالباء المعطوف، وبباء البهاء، بتاء التأليف، بثاء الثناء، بجيم الجلالة، بحاء الحياء، بخاء الخوف، بدال الدلالة، بذال الذكر، بزاي الزلفى، بسين السناء، بشين الشكر، بصاد الصفاء، بضاد الضمير، بظاء الظلمة» [٢].
أهكذا علّمنا رسول الله ﷺ الدعاء؟ هل علمنا أن نتوسل الى الله بالظلمة؟

---

١) قلادة الجواهر ٣٤١-٣٤٤.

٢) قلادة الجواهر ٢٥٧-٢٥٨ والمعارف المحمدية ١٠٢.

رؤية النبي ﷺ يقظة شطحة صوفية

وسئل عن رجل رأى رسول الله ﷺ في المنام ما حكم ذلك؟ فقال : بُشراه بأنه لا بد أن يرى النبي حقيقة ولو عند الموت [١].

نعم هذه بشرى برؤية النبي ﷺ ولكن متى وأين وهل رآه حقا؟

إذا كان المقصود الرؤية في الدنيا فقد رأى كثير من الصحابة النبي ﷺ بعد موته في المنام، ولكن لم يجتمع أحد منهم به في اليقظة ولو حصل لهم ذلك لما كتموه، واذا لم يظهر في اليقظة على أحب الناس اليه كأبي بكر وعمر وابنته فاطمة وعائشة، فإما أن يكون أخلف بوعده أن يظهر في اليقظة على كل من يراه في المنام: أو أن يكون الخلل في أفهام دعاة الخرافة، فالصحابة رووا هذا الحديث ولم يفهموا منه ما فهمه هؤلاء.

وقول الحبشي (ولو عند الموت) واضح في سوء فهمه أن الرؤية تكون في الدنيا قبل الموت وهذه فتوى شاذة يلزم منها لوازم فاسدة مثل أن يصير من رأى النبي يقظةً صحابياً، ويلزم منها بقاء الصحبة الى يوم القيامة كما بين الحافظ ذلك في الفتح حيث حكى ادعاء أقوام من الصوفية رؤية النبي ﷺ يقظة واعتبر ذلك مشكلا عظيماً[٢].

- فقد نقل الحافظ إنكار القاضي ابن العربي تلميذ أبي حامد الغزالي على من قال بذلك، قائلا « شذ بعض الصالحين فزعم أنها- أي الرؤية - تقع بعيني الرأس حقيقة. وقال القرطبي صاحب المفهم « وهذا القول يُدرَكُ فساده بأوائل العقول. ويلزم من ذلك:

○ ان يخلو قبره ﷺ من جسده. وهذا مقبول عندهم. فقد ذكر السيوطي عن ابن المسيب أنه قال « ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين يوماً». وعن النبي ﷺ أنه قال « أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث»[٣].

○ وأن يزار مجرد القبر ويسلم على غائب.

---

١) شريط (٣) ٧٤٤ وجه (٢) وقال به تلميذه سليم علوان شريط (٣) عداد ٢٥٣.

٢) فتح الباري ١٢/٣٨٥.

٣) الحاوي للفتاوي ٢/٢٦٤.

قال: وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل [١].

وذكر المناوي تنبيها من الصوفية أنهم قالوا « ان الرؤية الصحيحة أن يرى النبي ﷺ بصورته الثابتة بالنقل الصحيح، فإن رآها بغيرها كطويل أو قصير أو شيخ أو شديد السمرة لم يكن رآه، وحصول الجزم في نفس الرائي بأنه رأى النبي غير حجة»[٢]. قلت: لا يبدو أن الصوفية قد التزموا ما نبهوا اليه.

ويضاف الى ذلك:

○ أن يكون من يراه في الدنيا أفضل من التابعين فقد أثنى النبي ﷺ عليهم مع أن أحدا منهم لم يقل إنه رأى رسول الله ﷺ في اليقظة. بل هذا شيء لم يحصل للصحابة بعد موته ﷺ وليس ذلك منقولا عنهم في شيء من الروايات الصحيحة.

○ وقد اعترف بذلك تلميذه نبيل الشريف فقال بأن « أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله وهو أفضل الصحابة لم يقل يوماً أنا رأيت رسول الله يقظة ولا أحد من الصحابة. وكذلك أنس بن مالك الذي خدم النبي ﷺ عشر سنين « ما كانت تمر علي ليلة بعد وفاة رسول الله الا وأراه في المنام. لم يقل في اليقظة» [٣].

غير أنه تناقض وزعم أن رؤية اليقظة نادرة وكان عليه أن يقول مستحيل ما دام أفاضل الصحابة لم يروه. وزاد تناقضه حين زعم أن من رآه في المنام « لا بد» أن يراه في اليقظة قبل الموت وهو على فراش الموت يرى النبي ﷺ: إما أن يأتي الرسول اليه وإما أن يكشف الله لهذا الانسان كشفاً فيجعل هذه الحواجز التي تحجز بينه وبين قبر رسول الله من هنا مثلا الى المدينة كأنها الزجاج فيرى النبي كأنه بقربه [٤].

○ أن هذا فتح باباً من الكذب فصار الصوفية يدعون رؤية النبي ﷺ يقظة، حتى صار عدم رؤيته يقظة عندهم علامة على نقص في الولاية، فلذلك يتسارعون بالكذب والمنامات.

---

١) فتح الباري ١٢/٣٨٤-٣٨٥ وانظر اتحاف السادة المتقين ١٠/٤٢٩.

٢) اتحاف السادة المتقين ١٠/٤٢٩.

٣) مجالس الهدى ٦/٦٩٤.

٤) (مجالس الهدى ٦/٩١٥-٩٢٥).

وقد أنكر ابن الجوزي على أبي الفتح الطوسي الذي ادعى أنه كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله ﷺ في اليقظة وعد هذا من منكراته[1] .

ووصف ابنُ الجوزي أحمد الغزالي (أخا أبي حامد) أنه كان آية من آيات الله في الكذب حيث كان يزعم أنه يرى رسول الله ﷺ في اليقظة لا في النوم وأنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول الله ﷺ في البقظة لا في المنام[2].

○ بل زعم الرفاعية أن الشيخ أحمد الأزرق ابن الشيخ منصور كان يصافح النبي ﷺ خمس مرات [3].

- وقد صار للطرق تراخيص نبوية فزعم بعضهم أنه اجتمع بالنبي وأخذ منه ترخيصاً لطريقته ورسم له منهاجاً بأورادها وأحزابها. وزعم آخر أنه يجتمع به وربما سأله عن حديث في البخاري فيقول (لم أقله) ويسأله عن الحديث الموضوع فيقول (أنا قلتُ به) كما حكاه العجلوني عن ابن عربي في الفتوحات قال « رب حديث يكون صحيحا ثم يحصل للمكاشف علم أنه غير صحيح»[4].

واذا كان الحكم على الحديث يصير مباشرة من قول النبي عند الاجتماع به يقظة: فما فائدة كتاب الجرح والتعديل ولماذا يفني نقاد الحديث أعمارهم لجمع الحديث ولماذا يسافر البخاري ومسلم مئات آلاف الكيلومترات لجمع الحديث ومتابعة أحوال رجاله ورواته؟ ولم يلجأ للاتصال بأسياد الصوفية؟

هل هذا الا تضييع للوقت. عليكم بالصوفية ان كنتم تريدون معرفة الصحيح والضعيف والموضوع. ولكن الذي يكذب هذا الأمر هو ما تجده في كتب الصوفية من آلاف الأحاديث الموضوعة والضعيفة. ولقد كان الغزالي من أبرز المتحدثين عن الالهام والمكاشفة بين الله وبين الأولياء ويعتبر كتابه احياء علوم الدين خلاصة التصوفة ولبه وقمته ومع

---

١) حكاه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/١٩٦.
٢) كتاب القصاص والمذكرين ١٥٦ ط: دار أمية.
٣) سواد العينين في مناقب أبي العلمين ٥٣ هذبه جمال صقر الحبشي وهذا التهذيب مؤامرة يراد بها حذف كثير من الخرافات والشركيات.
٤) كشف الخفاء ص ٨.

كشوفاته فقد امتلأ كتابه هذا بالأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ حتى ان السكبي جمع له من هذه الموضوعات ما يقارب السبعة وثلاثين صفحة في كتابه طبقات الشافعية.

○ واشتط بعضهم حتى زعم أنه لا يفارق النبي ﷺ لحظة واحدة كما حكي عن أبي العباس المرسي أنه قال « والله لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين » (١).

ويذكر السيوطي أنه كانت لأبي العباس المرسي وصلة بالنبي دائمة. إذا سلم على النبي رد النبي السلام عليه ويجاوبه اذا تحدث معه(٢).

○ وقد يستفتونه ﷺ فيفتيهم بما ثبت عنه خلافه في الروايات الصحيحة. فقد زعم النابلسي أنه رأى النبي ﷺ فسأله عن المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد كيف حكمه عندك يا رسول الله؟ فقال «تقع ثلاثاً» (٣)! مع أن الذي صح عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يحتسبها واحدة (٤).

فمن نصدق: أنصدق ابن عباس أم نصدق صاحب تفسير الأحلام النابلسي المعجب بابن الفارض الشارح لتائيته (٥) وكذلك ابن عربي المصرح بعقيدة وحدة الوجود؟!

(فائدة) قال ابن الحاج في المدخل (ص ٣٠٢-٣٠٤) «ليحذر مما يقع لبعض الناس في هذا الزمان وهو أن من يرى النبي ﷺ في منامه فيأمره بشيء أو ينهاه ينتبه من نومه فيقدم على فعله أو تركه بمجرد المنام دون أن يعرضه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعلى قواعد السلف الصالح».

وقال الحافظ أبو زرعة العراقي «لو أخبر صادق عن النبي ﷺ في النوم بحكم شرعي مخالف لما تقرر في الشريعة لم نعتمده» (٦).

---

١) طبقات الشعراني ٢:١٤ قلادة الجواهر للصيادي الرفاعي ٢٨١ وانظر كتاب كشف الاسرار لتنوير الأفكار لمصطفى نجا ص ١٠٣.
٢) الحاوي للفتاوي ٢/٢٦٠.
٣) جلاء العينين في محاكمة الاحمدَيْن ٢٣٦.
٤) رواه مسلم (١٤٧٢) وأبو داود (٢١٩٩).
٥) تائية ابن الفارض، يتغزل فيها بالله ويخاطبه بضمير المؤنث.
٦) طرح التثريب ٨/٢١٥ شرح حديث رؤيا الرجل الصالح.

وقال السخاوي «لم يصل الينا ذلك - أي وقع الرؤية يقظة عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه ﷺ حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه» وذكر السخاوي أن دعوى ذلك انما تنقل عن المتصوفة وأن من مصنفاتهم المحتوية على عباراتهم في ذلك (توثيق عرى الاسلام للبارزي) و(بهجة النفوس) لأبي محمد عبد الله بن أبي جمرة و(روض الرياحين) لليافعي. و(رسالة الشيخ صفي الدين بن أبي منصور» نقله القسطلاني عن السخاوي في المواهب اللدنية (٥/٢٩٥).

وذكر البدر بن حسن الأهدل في مسألة الرؤية له أن من تواترت الأخبار عنهم من المتصوفة بدعوى رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة انما يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس وغموض طرف لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة وأن رواة تلك الأخبار من المتصوفة يغلطون فيها كثيراً قلما تجد رواية متصلة صحيحة عمن يوثق به، وأما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناماً أو في غيبة حس فيظنه يقظة. وقد يرى خيالا أو نوراً فيظنه الرسول، وقد يلبس عليه الشيطان: فيجب التحرز في هذا الباب.

وجزم البدر بن حسن الأهدل بأن القول برؤيته ﷺ بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه من قبره، ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده الشريف فلا يبقى منه فيه شيء بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب» (١).

وقد استحسن ملا علي قاري في جمع الوسائل شرح الشمائل للترمذي (٢/٢٣٨) كلامه ثم قال «انه - أي ما ادعاه المتصوفة من رؤية النبي ﷺ في اليقظة بعد موته - لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه ﷺ من أمر ونهي وإثبات ونفي من المعلوم أنه لا يجوز ذلك إجماعاً كما لا يجوز بما يقع حال المنام ولو كان الرائي من أكابر الأنام. وقد صرح المازري وغيره بأن من رآه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية» انتهى كلام علي قاري:

---

١) ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية ٥/٢٩٨-٢٩٩.

وفيه فائدة: حكايته الاجماع على عدم جواز العمل بما يدعي من يزعم أنه رأى النبي ﷺ في اليقظة أنه سمعه منه من أمر أو نهي أو إثبات أو نفي. وفي حكايته الاجماع على ذلك: الرد على قول الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ٢٩/٧ «لو رآه يقظة - أي بعد موته ﷺ - وأمره بشيء وجب عليه العمل به لنفسه ولا يعد صحابياً وينبغي أن يجب على من صدقه العمل به. قاله شيخنا».

كما أن في حكايته الاجماع على ذلك الرد على دعوى السيوطي تلقي تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون عن النبي ﷺ يقظة، وعلى دعواه أن النبي ﷺ قال له: يا شيخ الحديث وأنه أخبره بأنه من أهل الجنة» من غير عذاب يسبق».

فائدة حول رؤيته ﷺ في المنام

وقد أساء بعضهم فهم قول النبي ﷺ «من رآني فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي» ورواية «**لا يستطيع**أن يتمثل بي» فإنهم يظنون أن أي شيء يرونه في المنام يقول لهم إني رسول الله أنه لا بد أن يكون كذلك وهذا ليس بلازم. فإن الشيطان ممنوع من التمثل بشخص النبي ﷺ ولكن ليس ممنوعاً أن يقول أنا رسول الله ويكون غير متمثل بصورة أخرى. ومعلوم أن الناس لا يميزون ذلك لأنهم لم يروه.

ولذلك كان السلف الصالح كابن سيرين وابن عباس إذا جاءهم رجل وقال رأيت رسول الله في المنام يُدنونه منهم ويقولون «صف لنا الذي رأيتَه» فإن كان الوصف مطابقاً لما علموه من صفة النبي ﷺ قالوا «رأيتَه» وإن لم يكن كذلك قالوا «لم تره» [1]. ولو كان الأمر على إطلاقه كما يظنون فما يكون من تأكد ابن عباس وابن سيرين من دعوى رؤية النبي ﷺ وجه ولا ضرورة!

قال الحافظ «وقوله **(لا يستطيع أن يتمثل بي)** يشير إلى أن الله تعالى وإن أمكن الشيطان من التصور في أي صورة أراد فإنه لم يُمَكّنه من التصور في صورة النبي ﷺ. وقد ذهب الى هذا جماعة فقالوا في

---

١) رواهما الحافظ في الفتح بإسنادَيْن جيدَيْنِ ١٢:٣٨٤.

الحديث: إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها»[1].

وقصة الشيخ عبد القادر مع الشيطان مشهورة حين قال له «أنا ربك» قد أبحتك من فرائضي فقال له الشيخ «إخسأ يا عدو الله» فقال الشيطان «غلبتني بفقهك يا عبد القادر» فسئل عن كيفية وقوفه على خدعة الشيطان فقال: إن الشيطان قال: أنا ربك ولم يجرؤ على أن يقول (أنا الله) وزعم أنه قد أحلني من فرائض العبادات، والله لم يحلَّ ذلك لنبيه ﷺ فكيف يحلها لي؟

فإذا كان يمكن للشيطان أن يقول أنا ربك ألا يمكنه أن يقول «أنا النبي» من غير أن يتمثل بالنبي ﷺ بالضرورة.

كل الطرق تؤدي الى الطاغوت

وكل طريقة تدعي أنها هي أحسن الطرق. فقد قال[2] السيوطي «ولهذا كانت الطريقة الشاذلية أحسن طرق التصوف».

بل تجد كل فرقة تحذر من اتباع الطريقة الأخرى كما زعم النقشبنديون أن من لم من لم يدخل طريقتهم بأنه على خطر من دينه[3]

---

1) فتح الباري١٢:٣٨٦.

2) الحاوي للفتاوي ٢/١٣٥.

3) نور الهداية والعرفان في سر الرابطة وختم الخواجكان ٦٣.

الطريقة الرفاعية
وتوجهها الشيعي

أما عن انتماء الحبشي الى الطريقة الرفاعية وأخذ الإجازة فيها من الشيخ عبد الرحمن السبسبي» [1] وكذلك القادرية والنقشبندية:

فإن هذه أسماء سميتموها أنتم ومشايخكم ما أنزل الله بها من سلطان. تسمونها الطرق، والطرق هي السُبُل كما قال تعالى **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعواالسُبُلَ فتَفَرّقَ بكم عن سبيله﴾**.

وهذه الطرق قد دخل فيها خليط من الافكار وعقائد الملل الأخرى لا سيما العنصر الشيعي.

وأخص منها الطريقة الرفاعية التي تتفق مع الشيعة في عدة أمور:

كالايمان بكتاب الجفر العلوي الفاطمي الشيعي.

وإمامة الإثني عشر من أهل البيت آخرهم محمد بن الحسن العسكري، وأنهم زادوا بالشيخ أحمد الرفاعي واحدا صاروا به ثلاثة عشر.

ويعتبرونه خاتم الأولياء، ختم الله به الولاية كما ختم بمحمد النبوة.

وأنه مخلوق من نور كما قال « قبض العزيزي جل جلاله من نور وجهه قبضة فخلق منها سيدنا المصطفى محمداً ﷺ فرشحت فخلقني منها».

وأن أهل البيت أجزاء ومخلوقات نورانية.

وأن الشيخ منصور [خال الشيخ الرفاعي] كان اذا فتح فمه يخرج منه عمود من نور يخرق السموات السبع [2].

---

١) إظهار العقيدة السنية ١٥ صريح البيان ١٩٧.

٢) أنظر الكنز المطلسم ٢٦ وقلادة الجواهر ٤٤.

نماذج من خرافات الرفاعية

وزعموا أن النبي ﷺ مد يده الى الرفاعي وهو في القبر ليقبلها. وذكر أن منكر هذه الحادثة يكفر (قلادة الجواهر ١٥ و١٠٤).

ونسب الى الرفاعي أن الولي يحيي الموتى وأنه اذا قال للشيء «كن فيكون» (قلادة الجواهر ٧٣ و١٤٥ المعارف المحمدية ٤٧ ـ ٣٤٨).

وأنه هو بدوره أحيا عظام الطيور التي كان أكلها قبل ذلك ثم نفخ في العظام وهي رميم فقال لها « كوني سمكا كما كنت أولا باذن الله تعالى. فما استتم كلامه حتى قامت وتناثرت سمكا حيا: شاهدة لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة وبالسيد الرفاعي بالولاية العظمى» [1].

وأنه بلغ من حب الأسماك له أنه كان كلما مشى على الشاطىء تخرج الأسماك من بطن البحر لالتماس بركاته وتزدحم على أقدامه الشريفة ، وتسأله بحق الله أن يأكل منها (قلادة الجواهر ١٠٢).

وأن الشيخ ابراهيم منصور خليفة الرفاعي كان اذا رأى البلاء نازلا من السماء أخذ قضيبا وأشار الى السماء فتفرق البلاء ويستطيع بمجرد تحريك العصا أن يرد قضاء الله النازل من السماء (قلادة الجواهر ٢٧ جامع كرامات الأولياء ٢/٣٦٨).

وذكروا أن الشيخ رجب الرفاعي كان كثيرا ما يتواجد في حلقة الذكر فيقطر من عرقه العطر النفيس الخالص كما يقطر المطر (تنوير الأبصار ١١٩ خزانة الامداد ١٥٩).

وأن الشيخ منصور [خال الشيخ الرفاعي] كان اذا فتح فمه يخرج منه عمود من نور يخرق السموات السبع (قلادة الجواهر ٤٤).

---

١) الفجر المنير ٥ قلادة الجواهر٧٣ - ١٤٥ المعارف المحمدية ٤٧ ارشاد المسلمين ٨٥ سواد العينين ١٣ ـ١٤ روضةالناظرين ٥٨ طبقات الصوفية لابن الملقن ٩٩.

الرفاعي يذوب ويتحول الى ماء

من أعجب ما حكي عن الشيخ الرفاعي أنه كان يذوب كالرصاص ويستحيل الى ماء كلما جلس يتعبد الله تعالى.

فقد ذكر محمد أبو الهدى الصيادي أنه لما كان الله يتجلى على الرفاعي بالعظمة كان يذوب حتى يبقى بقعة ماء ثم تدركه الرحمة الالهية فيجمد شيئا فشيئا حتى يعود بدنه الى ما كان عليه فيقول لأتباعه « لولا لطف الله ما عدت اليكم» (قلادة الجواهر ص ٢٧).

وذكر الصيادي والنبهاني أيضا أن الرفاعي خرج مع أحد مرافقيه (الشيخ سعيد) في الليل فوصلا الى بستان، فقال له الرفاعي: قف هـهنا حتى أرجع.

قال الشيخ سعيد: فوقفت مكاني حتى مضى من الليل شطره وهو لم يرجع. فمشيت على اثره لأعرف خبره، فاذا أنا بثيابه ملقاة على الأرض وعلى جانبه ماء، فجعلت أطوف يمينا وشمالا فلم أجده. فرجعت الى موضعي وأنا مرعوب من ذلك اذ أقبل علي وأنواره تشرق، فسألته عن ذلك فقال: يا ولدي أنا كنت ذلك الماء الذي رأيته. نظرني العزيز سبحانه بعين اللطف فصرت كما ترى. يا سعيد لولا أن نظرني بعين اللطف لما رجعت اليكم أبدا» (قلادة الجواهر ٨١ جامع كرامات الأولياء ٢/٩٩ و٢٨٠.)

ومثل هذه الأحوال نسبوها أيضا الى غير الرفاعي ، فقد ذكر الصيادي أن قوما جاءوا الى الشيخ منصور البطائحي - خال الشيخ الرفاعي - فسألوه عن المحبة ، فسكت ثم ذاب كما يذوب الرصاص قطرة بعد قطرة وهم ينظرونه حتى صار كالماء المائع . (قلادة الجواهر ٢٨ ، روضة الناظرين ٢٢).

الرفاعي يبيع قصرا في الجنة

وهذه قصة منسوبة الى الشيخ الرفاعي مفادها أن الرفاعي باع رجلا قصرا في الجنة محدد المساحة لقاء شراء بستان في الدنيا.

قال محمد أبو الهدى الصيادي « ونقل أن الشيخ جمال الدين الخطيب كان من أكابر أصحاب السيد أحمد الرفاعي وكان يريد أن يشتري بستانا لضرورة ، فامتنع صاحب البستان عن بيعه اياه ، فتشفع الشيخ جمال الدين الى الرفاعي ، فأتى رد الشفاعة من صاحب

البستان (اسماعيل بن عبد المنعم) الذي قال للرفاعي : يا سيدي ان اشتريته مني بما أريد بعتك اياه .

فقال الشيخ : يا اسماعيل قل لي كم تريد ثمنه حتى أعطيك ؟

فقال : يا سيدي تشتريه مني بقصر في الجنة ؟

فقال الرفاعي : من أنا حتى تطلب مني هذا يا ولدي؟ اطلب من الدنيا. فقال : يا سيدي شيئا من الدنيا ما أريد، فان أردت البستان فاشريها بما أطلب.

فنكس الرفاعي رأسه ساعة، واصفر لونه وتغير، ثم رفع وقد تبدلت الصفرة احمرارا وقال: يا اسماعيل قد اشتريت منك البستان بما طلبت. فقال: يا سيدي اكتب لي خط يدك. فكتب له السيد أحمد الرفاعي ورقة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اشترى اسماعيل بن عبد المنعم من العبد الفقير الحقير أحمد بن أبي الحسن الرفاعي ، ضامنا على كرم الله تعالى قصرا في الجنة تجمعه حدود أربعة

الأولى الى جنة عدن

الثانية الى جنة المأوى

الثالثة الى جنة الخلد

الرابعة الى جنة الفردوس

وذلك بجميع حوره وولدانه وفرشه وستره وأنهاره وأشجاره ، عوض بستانه في الدنيا . وله الله شاهد وكفيل .

ثم طوى الكتاب وسلمه اليه ، وأوصى صاحب البستان المذكور أن يوضع الصك معه في كفنه اذا مات ، ففعل أبناؤه ذلك ، ولما دفنوه وجدوا صبيحة اليوم التالي وقد كتب على قبره «وقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا» [١].

---

١) قلادة الجواهر ٧٠ ـ٧١ ، روض الرياحين ٤٤٠ ـ ٤٤١ ، جامع كرامات الأولياء ١ / ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ، الكواكب الدرية ٢١٤.

موافقة الرفاعية للإمامية الإثني عشرية

ويعتقد الرفاعية أن محمد بن الحسن العسكري (المهدي المنتظر عند الشيعة) هو الامام الثاني عشر (الغائب) وأن أحمد الرفاعي هو الامام الثالث عشر بعده"[1]. وقد نصت كتب الشيعة على أنه لا وجود لهذا الإمام المنتظر [2]. وأن الامام الحادي عشر لم يُرزق ولداً، مما جعل أقاربه يقسّمون تَرِكَتَه بين أمه وأخيه جعفر [3]. فكيف حدثت موافقة الرفاعية لهذه النغمَة الشيعية؟!

اعترف بهاء الدين الرواس الرفاعي (من سلالة الشيخ أحمد الرفاعي) باعتقاد الرفاعيين بامامة صاحب السرداب المنتظر وسماه باسمه [المهدي بن الحسن العسكري] [4]. فليس المهدي عندهم هو الذي أخبر عنه النبي ﷺ أن اسمه يواطيء اسم نبينا ﷺ وانما مهديهم صاحب السرداب الذي في « سامرّاء » بالعراق.

اعتقادهم بكتاب الجفر الشيعي

يؤمن الرفاعيون بكتاب الجفر المنسوب الى علي وجعفر الصادق رضي الله عنهما وله قدسيته عند الرافضة وفيه كثير من الكذب عليهما، زعموا أن فيه كلَ ما هو كائن الى يوم القيامة. وصرَّح بهاء الدين الرواس (من سلالة الرفاعي) أنه يعتقد ما في كتاب الجفر [5]. ولا يمكن للرفاعية التنصل من كتاب بوارق الحقائق وقلادة الجواهر.

طقوسهم يوم عاشوراء

ولهم طقوس موافقة للشيعة كاظهار الحزن يوم عاشوراء، ويبدأ منذ ذلك اليوم عندهم ما يسمى بالخلوة المحرمية يعتزلون فيها الناس ويمتنعون عن الطعام أسبوعا ويقتصرون على اللوز والسكر [6].

---

١) القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعية ٧إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين ٩٧ جامع كرامات الأولياء ١/٢٣٧.

٢) الكافي الحجة ٥٠٥ الارشاد ٣٣٩ والمقالات والفرق للقمي ١٠٢.

٣) جلاء العيون ٢/٧٦٢.

٤) بوارق الحقائق ٢١٢ و النجوم الزاهرة ١١٣.

٥) بوارق الحقائق ٧٨ و١٧٧.

٦) قلادة الجواهر ٢٨٨ القواعد المرعية ١٥و١٦و٢٦ تطبيق حكم الطريقة العلية للصيادي ٣١٨.

الصوفي يقول (كن) فيكون؟

فالرفاعية يؤمنون أن الله يعطي أولياءه كلمة (كن) يتصرّفون بها في الكون وكأنه يصير بمقدورهم خلق ما يشاؤون أن يخلقوه.

فقد ذكر الصيادي أن الشيخ أحمد الرفاعي قال « واذا صرّف الله تعالى الوليَّ في الكون المطلق : صار أمره بأمر الله تعالى : اذا قال للشيء كن فيكون» [1].

وقال « إن الولي يحيي الموتى وأنه اذا قال للشيء «كن فيكون» [2]

وزعم أنه جاء في بعض الكتب الالهية أن الله تعالى قال: يا بني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم، وأجعلكم تقولون للشيء: كن فيكون [3].

ونقل ابن حجر قول القرافي أن هذا قول شائع عند جهلة الصوفية وهذا كفر ويقتضي الشركة في الملك مع الله [4]

أذكارهم المبتدعة المضحكة

ولهم أذكارهم المبتدعة نذكر منها ما أورده الصيادي شيخ هذه الطريقة: قال « اللهم أسألك بالجرة التي هي في جوهر الأمر ومدة السر وحبل الارادة وطريق التدوير ومنهج الغيب وسلسلة الهز وسبيل العز، جرة جيم جوهر جمع مجموع جوامع جميع مجامع جمعيات الجلال والجمال والجلالات والجلجلة والجلوات والجوليات والجولات والجهريات والجريان والجاريات والجارات والمجرورات»[5].

«اللهم أسألك بالباء المعطوف، وبباء البهاء، بتاء التأليف، بثاء الثناء، بجيم الجلالة، بحاء الحياء، بخاء الخوف، بدال الدلالة، بذال الذكر، بزاي الزلفى، بسين السناء، بشين الشكر، بصاد الصفاء، بضاد الضمير، بظاء الظلمة»[6]. فهكذا يتوسلون الى الله بالظلمة!!

---

١) قلادة الجواهر ٧٣ و١٤٥ المعارف المحمدية ٤٧.

٢) قلادة الجواهر ٧٣ و١٤٥ المعارف المحمدية ٤٧ ـ ٣٤٨).

٣) قلادة الجواهر ١٤٧ طبقات الشعراني ١٤٢/١.

٤) الاعلام بقواطع الاسلام ٩٧.

٥) قلادة الجواهر ٣٤١-٣٤٤.

ألاعيب الرفاعية بالنار والأفاعي

يتفاخر الحبشي بأن من كرامات الرفاعية دخولهم الأفران ولا تؤثر النار والرصاص لا يؤثران فيهم[1]، وذلك لكرامتهم عند الله تعالى. وهذا عليه اعتراضان:

١) أن الله لا يُكرِم من يرضى أن يكون ألعوبة وأداة بأيدي أعداء المسلمين.

٢) أن هذه الخدَع وموالاة أعداء الأمة أمرٌ معروف عن الرفاعية منذ زمن بعيد، وليسَ اليوم فقط، وقد انتقدهم العلماء لذلك :

شهادة الذهبي في أصحاب الطريقة الرفاعية

حتى قال الذهبي رحمه الله « قد كثر الزغل (الفساد) في أصحاب الطريقة الرفاعية، وتجدَّدتْ لهم أحوالٌ شيطانية منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيَّات.

قال وهذا ما عرفه الشيخ أحمد الرفاعي ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان» [2].

وقول الذهبي «منذ أخذت التتار العراق» إشارة منه الى أنهم كانوا يوالون التتار الذين احتلوا العراق بإيعازٍ من زعماء الشيعة كالطوسي والعلقمي اللذين تسببا في قتل مليوني مسلم، فكانوا يتقربون الى التتار بتلك الأحاييل.

كان التتار يعجبهم ما يفعله الرفاعية، ويجزلون لهم العطاء، فكانت إشارة من الذهبي إلى أن من يوالي أعداء الله: كيف يكرمه الله بالكرامات؟

وكذلك حمل عليهم الشيخ الألوسي فقال « وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة الا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها، فذكْرُهُم عبارة عن رقص وغناء والتجاء الى غير الله وعبادة مشايخهم. وَأعمالُهُم عبارة عن مسك الحيات» [3].

٣) ولا يجوز التسليم لهذه الأعمال حتى يتأكد المرء من متابعة

---

٦) قلادة الجواهر ٢٥٧-٢٥٨ والمعارف المحمدية ١٠٢.

١) قتل زعيم الأحباش بالرصاص مع أنه رفاعي!

٢) العبر في خبر من غبر ٣/٧٥.

٣) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٣٧٠.

صاحبها للسنة، ولذلك قال الشافعي وغيره من أئمة أهل السنة «إذا رأيت الرجل يسير على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقه حتى تعلم متابعته للأمر والنهي». لكن الرفاعية طريقة مليئة بالبدع.

وكفى بذلك دليلا على أن ما يفعلونه ليس من الكرامات. فإن المسلم لا يجوز أن ينكر الكرامات فإن إنكار الكرامات ضلالة عظيمة، وإنما ينكر أن يكون أهل البدع من أهلها.

٤) أن هذا أمر لا يفعله الرفاعية فحسب، وإنما يفعله وثنيو الهند والبوذيون من الدخول في النار وإدخال الشيش في وجوههم وبطونهم مع أنهم كفار مشركون وإنما يلتبس هذا الأمر على العامة من الناس فيظنون أنه من عند الله.

وقد حضر جميل حليم - متزعم حملة التصوف - مع رجل يضرب نفسه بالشيش الى بعض إخواننا يتحداهم بضرب الشيش فأخذ الاخوة يقرأون آية الكرسي وأراد هذا الرجل إدخال الشيش فلم يستطع بحمد الله فرجعا مخذولين.

وفي حادثة أخرى قرأ بعض الإخوة قرآناً أمام الرفاعية أثناء محاولتهم إدخال الشيش فجُرحوا أثناء المحاولة، ولم يستطيعوا إتمام محاولتهم. وظهر للناس كذبهم، حتى إن بعضهم يشترط لإدخال الشيش أو الدخول في النار أن لا يقرأ أحد أمامه قرآناً. فإن شياطينهم إذا سمعت القرآن خذلتهم وتخلت عنهم فلا يستطيعون عمل ذلك.

وبالمناسبة فقد ألفتُ كتابا اسمه « الرفاعية »، وفيه صُوَر ملتقطة لبعض البوذيين في جنوبي تايلاند وهم يُدخلون الشيش في وجوههم. وقلتُ عندها للرفاعيين خاصة وللمتصوفة عامة: إن كانت هذه من الكرامات فمعنى ذلك أن الله صار يُكرم البوذيين أيضاً؟!!

وانني أدعو الى قراءة المناظرةَ الكبرى التي جرت بين ابن تيمية وبين طوائف الرفاعية حين عرض عليهم أن يدخل النار معهم لما زعموا أنهم أصحاب كرامات يدخلون النار ولا تؤثر فيهم. حتى خاف زعيمهم واعترف بأن أحوالهم تظهر أمام التتار فقط وليس أمام أهل الايمان [١].

---

١) ذكرها العيني في عقد الجمان ٤/٤٧٣ وابن كثير في البداية والنهاية ١٤/٣٦.

٥) وسئل الحبشي عن الجهاد فذكر أننا اليوم ضعفاء ولا جهاد اليوم لأن أسلحتنا لا تساوي عُشر عُشر ما عند أعدائنا وفي هذه الحال فليس فرضاً الجهاد ومن قال خلاف ذلك فقد خالف القرآن والحديث» [١].

ولكن أين كرامات الرفاعية الذين يدخلون النار فلا يحترقون وتُطلق عليهم النار فلا تؤثر فيهم؟ أكرامات أمام عامة الناس وفي الأسواق فقط دون ساحات القتال؟ ولماذا لا تستعملونها في الجهاد، إن كان عندكم مثل هذه الكرامات وقعدتم عن نصرة المسلمين فقد أثمْتم، لكنها ليست إلا أحابيل الدجل وأخاديع الشياطين الذين يبدو أنهم لا يحبذون التعاطي بالسياسة!!

لقد بقي أحد الرفاعيين كبار أتباع الشيخ يأكل الزجاج وغيره أمام الكفار: زعم أنه يدعوهم بذلك الى الاسلام لكنه لم يزل يتردد على المستشفيات لاصابته بتهتك في معدته بسبب أكل الزجاج كما بلغني.

ولو فرضنا أن كافراً أسلم بسبب رؤيته أكل الزجاج فإنه قد يرتد عندما يرى البوذيين والهندوس ولاعبي السيرك يفعلون الشيء نفسه.

وكيف يمنح الله الكرامة لقوم يعتقدون في شيخهم :

- أنه يحيي ويميت [٢] فيأكل السمك ثم يأخذ عظامها وينفخ فيها فتعود حية كما كانت وتدب الروح فيها ثانية.

- وأنه يحمي أتباعه الى يوم القيامة في حياتهم وبعد مماتهم، ويُدخلهم الجنة أمامه [٣].

- وأنه يطّلع على المقدور والمكتوب فيغير الشقي سعيدا [٤].

- وأنه يشتري لأتباعه أراض وعقارات في الجنة على غرار (صكوك الغفران) عند الكنيسة [٥].

- وأن السموات والأرض صارتا في رجله كالخلخال [٦].

---

١) شريط ٩ وجه ٢ ١٨٠-٢١٠ ولكن هل يعمل جاهداً لتقوية المسلمين أم يعمل على تفتيتهم ببذر الشقاق أم يريدها ذريعة لطي صفحة الجهاد والاشتغال بفتح صفحات وملفات علماء المسلمين؟!.

٢) قلادة الجواهر ٧٣ و١٤٥ وطبقات الأولياء لابن الملقن ٩٩.

٣) قلادة الجواهر ٢٣٣ ـ ٢٣٥.

٤) قلادة الجواهر ١٠٣ و١٩٣ وطبقات الأولياء لابن الملقن ٩٨.

٥) قلادة الجواهر ٧٠ وروض الرياحين لليافعي ٤٤٠ وجامع كرامات الأولياء ٢٩٦/١ والكواكب الدرية ٢١٤ لليافعي.

أوجه التلاقي بين الرفاعية والشيعة

ومن أهم ما تتفق به هذه الطريقة مع مبادىء التشيع :

- أنهم يذهبون الى تحديد عدد الأئمة من أهل البيت النبوي الى اثني عشر يشاركون الروافض القول بإمامتهم وتقديسهم واستقبال قبورهم عند الدعاء والشدائد والكربات. فإن قبورهم موضع كشف الكربات وحل المعضلات. ويعتقدون أن أهل البيت أجزاء ومخلوقات نورانية [١] .

ويجعلون قبورهم قبلة

قال محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي « صح عند أهل الهدى التوجه الى مقابرهم اذ هي الباب لِدفْعِ كل الأكدار وسلم لبلوغ الأوطار»[٢] .

- وقد جعل الصيادي قبرَ الرفاعي قبلة يتوجه المكروب اليها ويخطو اليها ثلاث خطواتٍ من أي مكان من العالم ويُقسم على الرفاعي أن يكشفه عنه [٣] ولِمَ لا والشيخ عنده «كعبة القاصدين وقبلة المريدين» كما أن عرش الرَحمن قبلة أصحاب الهمم»[٤] على حد قولهم.

هذه بعض مبادئهم نقلتها من كتبهم، وهي مخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة. ولعل كثرة ما في هذه الطريقة من المخالفات الشرعية هو السر في عدم تعليم الحبشي الطريقة لجميع أتباعه.

ولئن كان ما فيها حقا وخيرا فما وجه كتمان الحق وعدم تبليغه، أم أن اعلان مبادىء الطريقة يظهر الأصول الباطنية التي بنيت عليها! والكتمان أصل باطني رافضي.

الحقيقة أن طريقة الانتساب الى التصوف شبيهة جدا بطريقة الدخول الى الحركة الماسونية[٥] .

---

٦) طبقات الشعراني ١٤٢/١ الفجر المنير ١٩.

١) الكنز المطلسم ٢٦.

٢) قلادة الجواهر ٤٣٩.

٣) قلادة الجواهر ٤٣٤و٢٣٩.

٤) القواعد المرعية ٧ والتاريخ الأوحد ١٠٣ والفخر المخلد ٢ وقلادة الجواهر ١٣٢ والفجر المنير ٨٨.

٥) حول تشابه الطقوس الماسونية والصوفية أنظر كتاب الماسونية في العراء لمحمد علي الزعبي ص ٣٠٥.

علم الطريقة أعز وأغلى من علم الشريعة

○ ولقد قال لي الشيخ جميل صقر يوما بأن الحبشي علّم ثلاثة آلاف طالب أحكام الشريعة بينما لم يعلّم مبادىء الطريقة الرفاعية الا ثلاثة فقط هم من خاصة تلاميذه. فقلت له: هذا يُشعر بأن أحكام الطريقة أعز وأرفع قدرا من أحكام الشريعة والا فلماذا يخفيها عن الآلاف من البقية واختص بها خواص أتباعه؟

- وقد بدا لي الآن لماذا يخفي مبادئها عن سائر أتباعه والسبب أنها تتضمن قواعد باطنية وشركيات كبيرة: مثل الاقسام بالرفاعي والاستغاثة به من دون الله وبه تتحقق لهم خوارق شيطانية يظنونها كرامات من عند الله. ولهذا يلقبونه بالغوث. أي الذي يستغيث به الخلق، ويجعله الصيادي غوث الثقلين الذي تستغيث به الجن والانس [(١)] وهو (على حد قوله) الملاذ وولي النعمة [(٢)] وكشاف الكربات [(٣)] وختم الأولياء[(٤)].

هل صوت المرأة عورة

اذا وافقنا على أن صوت المرأة عورة فلن نوافق على أن غناء المرأة ليس بعورة، هذا الغناء النسائي الذي تتحفنا به إذاعة « نداء القيان» التابعة لجمعية مشاريع « تغيير معالم الدين» والذي يغنونه باللغات الثلاث العربية والفرنسية والانجليزية. هذا الغناء الذي لا يختلف عن غناء المغنيات الفاسقات. أهذا هو دين محمد ﷺ الذي تركنا عليه؟

○ وقد احتج الحبشي بقول النبي ﷺ لعائشة لما زفت امرأة الى رجل من الأنصار « يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الانصار يعجبهم اللهو» [(٥)].

وهذا الاستدلال بغير محله، فإن الغناء الذي يغنيه رجالهم ونساؤهم يتقربون به الى الله ويجعلونه أعظم وسيلة لتحقيق القربى اليه بينما الحديث ينص على اللهو في العرس. وهذا اللهو صار علامة بارزة عند الصوفية، فهم ليسوا من أهل الله وانما من أهل اللهو.

---

١) صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار: عن كتاب النجوم الزاهرة في شجرة السادة الرفاعية ٦٦.

٢) قلادة الجواهر ١٧ الفرقان ١٤ القواعد المرعية ٢٨.

٣) الفخر المخلد في منقبة مد اليد ٣.

٤) قلادة الجواهر ٣٦ و٤٣٢ المعارف المحمدية ٩٠ التاريخ الأوحد١٠٨.

٥) صريح البيان ١٨٩ أو ٣٥٢ من الطبعة المجلة.

الرقصات والتواشيح الدينية

وجعلوا من عبادة الملائكة الرقص فزعم شيخهم أحمد الرفاعي أن « لله ملائكة جرد مرد تحت العرش يرقصون ويذكرونه تعالى ويهتزون لذكره».

وزعم أنه « لما أهبط الله آدم الى الأرض بكى ثلاثمائة عام. فأوحى اليه: يا آدم فيم بكاؤك؟ وما جزعك؟ فقال يا رب لست أبكي شوقاً الى جنتك، ولا خوفاً من نارك وانما بكائي الى الملائكة المتواجدين حول العرش، سبعين ألف جرد مرد [١] يرقصون ويتواجدون ويدورون حول العرش، ويد كل منهم بيد صاحبه، وهم يقولون: جل الملك ملكنا لولا ملكنا هلكنا. من مثلنا وأنت الهنا؟ ومن مثلنا وأنت حبيبنا ومستغاثنا. فأوحى الله اليه يا آدم: ارفع رأسك وانظر اليهم. فرفع رأسه الى السماء فنظر الى الملائكة وهم يرقصون حول العرش جبريل رأسهم وميكائيل قوالهم[٢]» [٣].

- وأشير الى ما تفعله فرق الرفاعية اليوم في لبنان من العزف والغناء بل والرقص ويجتمع على ذلك النساء ولو كن غير محجبات وغير مصليات ويبدأ الجميع بالتصفيق والصفير لا يفصل بين الرجال والنساء السافرات شيء. رأيت ذلك على أشرطة فيديو مسجلة لهم. فهل هذا ما كان عليه نبينا ﷺ وأصحابه؟

- وقد أوضح الله لنا كيف كان المشركون يتقربون اليه بالتصفيق والصفير فقال ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية**﴾ [الانفال٣٥] قال ابن عباس المكاء هو الصفير والتصدية التصفيق [٤].

---

١) جمع أمرد وهو الصغير الذي لم تنبت لحيته.

٢) أي منشدهم.

٣) البرهان المؤيد ٥٦ و٩١.

٤) تفسير البغوي ٢/٢٤٧.

جواز الرقص والغناء والدف عند الحبشي

يتقربون الى الله بالرقص والغناء

- قال الحبشي « وأما من قال جوازه خاص بالنساء فهو مردود عندهم، لأن اباحته عامة للرجال والنساء، والتخصيص بالنساء لا يشهد له العرف ولا الشرع، لأن أهل اليمن مشهور عندهم أن الرجال يضربون به، وكذلك أهل بر الشام الصوفية وأهل الذكر ذلك دأبهم.

- وقد رقص الحبشة في المسجد وهو ﷺ ينظرهم ويقرهم على ذلك. وقال في كتاب فتح الجواد بشرح الارشاد (٢: ٣٢٧) ويباح الدف وان كان فيه نحو جلاجل لرجل وامرأة ولو بلا سبب» [١].

الجواب عن ذلك: **إحذروا سنن اليهود**

○ إن الرقص والتصفيق الذي يجتمعون عليه باسم الدين مخالف لهدي النبي ﷺ وأصحابه وموافق لسنن اليهود:

- فقد جاء في توراتهم « ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود، ليرنموا له سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزامير» [٢].

- « وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب» [٣].

- « وأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص وأجابتهم مريم « **رنموا للرب**» [٤].

- « إستمع يا رب وارحمني: حولْتُ نوحي الى رقص لكي نترنم[٥]

- « زمرة الأنبياء أمامهم رباب ودفّ وناي وعود»[٦].

- «أغني للرب في حياتي أرنّم لإلهي ما دمتُ موجوداً له نشيدي»[٧].

---

١) صريح البيان ١٦١ أو ٣٠٨ من الطبعة المجلدة

٢) مزامير داوود الاصحاح ١٤٩ و١٥٠.

٣) صموئيل الثاني٦: ١٤.

٤) سفر الخروج ١٥: ٢٠.

٥) مزمور١١: ٣٠

٦) صموئيل الاول١٠: ٥.

٧) مزمور١٠٤: ٣٣.

○ فهذه سنن اليهود الذين حذرنا النبي ﷺ من التشبه بهم واتباع سننهم في أحاديث كثيرة، فهلا أطعنا رسولنا ﷺ واكتفينا بالكتاب والسنة عن البدع والمحدثات؟! فعبادة الله مقيدة بما شرعه الله لا بما تهواه نزوات البشر.

- قال الدميري من الشافعية في شرح المنهاج « ومن نسب السماع الى رسول الله ﷺ يؤدَّب أدباً شديداً ويُعزَّر تعزيراً بليغاً ويدخل في زمرة الكاذبين»[١].

- وحكى المرتضى الزبيدي أن « الرقص نقص، وهو من أفعال أهل البطالات لا يليق بالعقلاء ولا يناسب لأنهم ينزهون أنفسهم عن مشابهة السفلة الطغام وعن مشاكلة الصبيان والنسوان» ونقل عن القرطبي أن الذي فعلته الحبشة يرجع الى الحرب فهو يرجع الى أمر ديني[٢].

- وذكر السرهندي النقشبندي أن « الرقص والسماع داخل في اللهو واللعب. وأن عمل الصوفية ليس بسند في الحل والحرمة حيث جعلوا السماع والرقص دينهم وملتهم مستندين الى عمل مشايخهم واتخذوه طاعتهم وعبادتهم أولئك الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا»[٣].

- ونص الطرطوشي على أن أول من رقص هو السامري الذي أمر بني اسرائيل بعبادة العجل»[٤].

- وجاء في الحاوي للقدسي « الدف والشبابة حرام وكذلك الرقص» وفي شرح الكنز المسمى بالبحر الرائق للعلامة ابن نجيم « يُمنع الصوفية من ذلك وصرح العيني بحرمته، وشنّع على من يفعله مدّعياً أنه من الصوفية» ونص صفي الدين الحنفي في رسالته (**الصاعقة المحرقة**) « قالت الحنفية الحصير التي يرقص عليها الصوفية: لا يُصلّى عليها حتى تُغسَل، والأرض التي يرقص عليها لا يُصلى عليها حتى يُحفر ترابها ويُرمى» وفي بحر الكلام لأبي المعين النسفي « وأما الرقص فحرام» وفي كتاب مدخل الشرع لابن الحاج أن الرقص الذي عليه الصوفية «سخف ونبذ للمروءة والوقار» وفي واقعات البرهاني والسمرقندي أنه يكفر.

---

١) الصاعقة المرسلة ٥١.
٢) اتحاف السادة المتقين ٥٦٧/٦.
٣) مكتوبات الامام الرباني ٢٧٩.
٤) الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة ٣٠-٣٨ لصفي الدين الحنفي بتحقيقي.

- ثَم لماذا نضرب على الدف ؟ ألمجرد موافقة الهوى والطرب أم لبث الروح الاسلامية كما يحتج به الآخرون؟

إن كان لموافقة الهوى والطرب فأسألكم بالله أهكذا كان حال سلفنا الصالح؟ هل تتصورون أصحاب النبي ﷺ وهم يجتمعون على الدفوف والطبول ويرقصون ويغنون أم أنهم كانوا أرفع من هذا الدرك الذي انحطت اليه الأمة اليوم؟!

وإن كان لبثّ الروح الاسلامية والترغيب في الجهاد والحماس فقد كان أصحاب محمد ﷺ أحوج الى هذا وقد كانت حياتهم كلها في ساحات الحروب، غير أنهم أُمِروا بذكر الله عند لقاء العدو لا بضرب الطبول والدفوف.

وفي شرح الفقه الأكبر لملا علي قاري (ص ١٣٩) ما نصه « من قرأ القرآن على ضرب الدف والقضيب يكفر. قلت: ويقرُبُ منه ضرب الدف والقضيب مع ذكر الله تعالى ونعت المصطفى ﷺ وكذا التصفيق على الذكر».

هل رقص الأحباش بحضرة النبي ﷺ ؟

- أما احتجاجه بـ (رقص) الأحباش في مسجد رسول الله ﷺ فمن أين زعم أنهم رقصوا وهل ورد في نص الحديث أنهم رقصوا؟ وهل أحباش الأمس كأحباش اليوم حتى يرقصوا؟

- قال الحافظ ابن حجر في الفتح «واستدل قومٌ من الصوفية بهذا الحديث علي جواز الرقص وسماع آلات الملاهي ورده الجمهور باختلاف القصدين فإن لعب الحبشة بحرابهم كان للتمرين على الحرب فلا يحتج به للرخص في اللهو.

- وقال الزين بن المنير: سمّاه الشارع لعباً وإن كان أصله التدريب على الحرب وهو من الجدّ». انتهى، وحكى الزبيدي مثله عن المهلب في شرح البخاري[١].

- ونقل الحافظ عن القرطبي قوله «وأما ما ابتدعه الصوفية فلا يُختلف في تحريمه، وقد ظهرت منهم أفعال المجانين والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة وانتهى التواقح بقوم منهم الى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال وهذا على التحقيق من آثار الزندقة» [٢].
وكذلك استنكر القرطبي المفسر احتجاج المتصوفة برقص الأحباش في المسجد لتبرير رقصهم المبتدع [٣].

١) فتح الباري ٢/٤٢٢ إتحاف السادة المتقين ٦/٤٩٤-٤٩٥.
٢) فتح الباري ٢/٤٤٢.
٣) تفسير القرطبي ١٥/١٤٠.

الطريقة النقشبندية

أما الطريقة الثانية التي ذكر أن الحبشي تلقى الاجازة فيها فهي **الطريقة النقشبندية** [١]. وأذكر شيئاً من مبادىء هذه الطريقة لبيان أن هذه الطريقة المنتشرة في الشام وآسيا من جملة الطرق الصوفية المخالفة للسنة بالرغم من تعصب المدافعين عنها، والذين يزعمون أنها طريقة سنية محضة لا تخرج عن السنة شبراً واحداً [٢].

وأحيل من أراد التوسع في الوقوف على تفاصيل هذه الطريقة الى كتابي الجديد « حقائق خطيرة حول الطريقة النقشبندية».

نماذج من عقائد النقشبنديين

يعتقد النقشبنديون عامة والأحباش خاصة أن المؤسس الأول للطريقة النقشبندية هو أبو بكر الصديق. وكان يستعمل طريقة الذكر النقشبندية بحبس النفس ولا يتنفس الا في الصباح وكان الناس يشمون رائحة اللحم المشوي فأخبرهم النبي ﷺ أن هذه الرائحة رائحة كبد أبي بكر من كثرة ذكره لله[٣].

ويعتقدون أن من لم يسلك طريقتهم فهو على خطر من دينه[٤].

ويعاملون مشايخ الطريقة الأموات معاملة الأحياء في الاستغاثة وتلقي فيوضات النور والهدى منهم، ومبايعتهم وأخذ العلم عنهم، كل ذلك وهم في قبورهم.

ويعتقدون أن الصلة بالله انما تحصل بالتقرب اليه بوضع صورة الشيخ في مخيلة المريد وبين عينيه عند ذكر الله.

وهذه الصلة تسمى الرابطة. وهي أوثق وأعظم تأثيرا من الرابطة التي يؤديها المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة.

ولا يقتصر شيوخ الطريقة على الانس بل من الحيوانات شيوخ الطريقة كالفرس والهرة والفهد والنحلة والبازي. قال صاحب الرشحات « وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ، ومن شيوخنا الذين اعتمدت عليهم

---

١) صريح البيان ١٩٦ إظهار العقيدة السنية ١٥.

٢) المواهب السرمدية ٣.

٣) ارغام المريد للكوثري ٣٠ وانظر مجلة منار الهدى ١٦/٢٠.

٤) نور الهداية والعرفان في سر الرابطة وختم الخواجكان ٤١.

الفرس فإن عبادته عجيبة، فما استطعت أن أتصف بعبادتهم» وزعم أن السالكين يرون الله بالطريقة التجلية فيرون الله في جميع الأشياء من انسان ونباتات وحيوانات بل ويتجلى الله في شكل الفرس (١). فالله عندهم يتشكل ويظهر بأشكال مختلفة.

بل وذكروا أن الله يصلي (٢).

وأن روح الانسان لها شبه بالله ولذا قال الرسول ﷺ «إن الله خلق آدم على صورته» (٣).

وأن الله ظل الكائنات البشرية وأن البشر في الحقيقة هم مظهر صفات الله وأسمائه الحسنى (٤).

وفي الوقت الذي يعتقدون فيه أن الله ظل: يعتقدون أن النبي ﷺ لم يكن يرى له ظل لا بالليل ولا بالنهار لأنه نور محض (٥).

ويزعم النقشبنديون أن بهاء الدين نقشبند (٦) كان يقول للرجل «مُت» فيموت ثم يقول له «قم حياً» فيحيا مرة أخرى » (٧).

وكان يتمثل بأقوال الحلاج ومنها هذا البيت (٨):

كفرتُ بدين الله والكفرُ واجبٌ
لديَّ وعند المسلمين قبيح

ويحكون أن شيخه علمه أن يطلب المدد من كلاب الحضرة النقشبندية ويخدمهم باخلاص وأنه اجتمع مرة بكلبٍ وحرباء، فحصل له من لقائهما بكاء عظيم وسمع لهما تأوهاً وحنيناً فاستلقى كلٌّ منهما على ظهره ورفع الكلب قوائمه الأربع الى السماء وأخذ يدعو الله، وكذلك فعلت الحرباء، والشيخ واقفٌ يبكي وهو يقول آمين، يؤمِّنُ على دعاء الكلب والحرباء (٩).

---

١) البهجة السنية ص ٦ رشحات عين الحياة ١٣٣ لعلي الهروي.
٢) كتاب السبع أسرار في مدارج الأخيار ٨٣ لمحمد معصوم ٨٣.
٣) مكتوبات السرهندي مكتوبات السرهندي ٣٧٣.
٤) مكتوبات السرهندي ١٢١و١٩٨ نور الهداية والعرفان ٨٣.
٥) نور الهداية والعرفان ٢٤.
٦) مؤسس هذه الطريقة.
٧) المواهب السرمدية ١٣٣ الأنوارالقدسية ١٣٧ جامع كرامات الأولياء ١٤٦/١.
٨) الأنوار القدسية١٣٤ الحدائق الوردية١٣٤ مكتوبات السرهندي ٢٨٢.
٩) المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية ١١٨-١١٩ الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ١٣٠.

وأن رجلا سلّم عليه فلم يرد عليه السلام ثم اعتذر اليه بعد ذلك بأنه كان مشغولا بسماع كلام الله [(١)].

« وحين توفي حبيب الله جان جانان النقشبندي ارتفع نصف القرآن الى السماء ووقع في الدين فتور» [(٢)].

وكان الشيخ أحمد الفاروقي يقول «كثيراً ما كان يُعرجُ بي فوق العرش وأرتفع فوقه بمقدار ما بين مركز الأرض وبينه، ورأيت مقام الامام شاه نقشبند ... قال «واعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي» [(٣)]

قال « وكانت الكعبة تطوف به تشريفاً له» ويروج السيوطي لمثل هذه الأكاذيب [(٤)].

وكان أحد مشايخهم واسمه عبد الله الدهلوي يقول « كما أن طلب الحلال فرض
على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين» [(٥)].

- وكان للشيخ عبيد الله أحرار ميزة عجيبة فكان عنده قوة ينقل بها المرض من شخص لآخر» [(٦)]. ونص الدهلوي على أن نقل المرض من كرامات مشايخ هذه الطريقة [(٧)].

أما الشيخ محمد المعصوم فقد كان غوثاً يستغيث به الناس ويصفونه بحضرة «القيوم» فقد سقط أحد مريديه عن فرسه في الصحراء، قال: فاستغثت بحضرة «القيوم» فحضر بنفسه وأيقظني»، وكذلك أشرف آخر من أتباعه على الغرق فاستغاث به فحضر في الحال وأنقذه.

---

١) المواهب السرمدية ١٣٠ الأنوار القدسية ١٣٥.

٢) الأنوار القدسية ٢٠٧، المواهب السرمدية ٢٣١-٢٣٢.

٣) المواهب السرمدية ١٨٤ الأنوار القدسية ١٨٢.

٤) المواهب السرمدية ١٨٥ الحدائق الوردية ١٨٠ البهجة السنية ٨٠ والحاوي للفتاوي ١/٢٢٠ للسيوطي.

٥) المواهب السرمدية ٢٤٠ الأنوار القدسية ٢١٣.

٦) جامع كرامات الأولياء ٢/٢٣٦، الأنوار القدسية ١٧٧.

٧) شفاء العليل ترجمة القول الجميل ١٠٤.

وكان يغيث الناس في أقصى الأرض وهو جالس في مكانه. فقد استغاث به رجل في سفينة كانت تغرق فمد الشيخ يده وانتشل السفينة وهو في بيته أمام أصحابه الذين رأوا فجأة أن كُمّه صارت مبللة بعد أن رأوه يمدها في الهواء» [١].

وكان الشيخ بهاء الدين نقشبند يجتمع بأرواح سلسلة المشايخ النقشبندية وأخذ العهد والولاية والتكليف منهم في المقبرة [٢]. وتلقن الذكر الخفي من روحانية الشيخ عبد القادر غجدواني، وهذا ليس عجيباً فإن الروحانيات تجتمع بعد الممات وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام» [٣].

وهذا يتناقض مع ما جاء في الفتاوى البزازية «من قال إن أرواح المشايخ حاضرةً تُعلم : يكفر. وقال الشيخ فخر الدين أبو سعيد عثمان الجياني : ومن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقد بذلك فقد كفر» [٤].

قال الشيخ الكردي « وما يفعله العامة من تقبيل أعتاب الأولياء، والتابوت الذي يجعل فوقهم فلا بأس به إن قصدوا بذلك التبرك، ولا ينبغي الإعتراض عليهم لأنهم يعتقدون أن الفاعل والمؤثر هو الله، وإنما يفعلون ذلك محبةً فيمن أحبهم الله تعالى » [٥].

- وقال الكردي «ولما مات الشيخ بهاء الدين نقشبند بنىٰ أتباعُه على قبره قبة عظيمة وجعلوه مسجداً فسيحاً » [٦] قال « ولم يزل يستغاث بجنابه ويُكتحل بتراب أعتابه ويُلتجأ الى أبوابه» [٧]أ. هـ.

قلت: بهذا لعن الله ورسوله اليهود والنصارى حين اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مسجداً.

---

١) جامع كرامات الأولياء ١/١٩٩ المواهب السرمدية ٢١٠-٢١٣ الأنوار القدسية ١٩٥.
٢) المواهب السرمدية ١١٣.
٣) الأنوار القدسية ٧.
٤) البحر الرائق ٣/٩٤ و٢/٢٩٨ وفي طبعة أخرى ٥/١٢٤ وانظر رد المحتار ٢/٤٣٩ قبيل باب الاعتكاف.
٥) تنوير القلوب ٥٣٤.
٦) المواهب السرمدية ١٤٢.
٧) الأنوار القدسية ١٤٢.

يعلمون الغيب

والنقشبنديون يثبتون لمشايخهم العلم بالغيب في الوقت الذي نجد بعضهم يصرحون بنفي علم الله للغيب كما نقله صاحب الرشحات عن أحد أولياء النقشبندية أنه قال « إن الله تعالى ليس عالما للغيب». ونسب السرهندي أصل هذا القول الى ابن عربي[1].

وأما إثبات علم الغيب لأنفسهم فقد قال الدهلوي «وللنقشبندية تصرفات عجيبة من التصرف في قلوب الناس[2].

فمن ذلك تصرف الشيخ عبد الله الدهلوي تصرفه في باطن المريدين وإلقاء الفيوضات والأسرار في صدورهم.

ومن كراماته أيضاً أن زوجة أحد أصحاب هذا الشيخ قد مرضتْ، فالتمس من حضرته أن يدعو الله تعالى بتخفيف مرضها فلم يفعل، فألحّ عليه، فقال له : لا تبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً، فبقدرة الله تعالى توفيت يوم الخامس عشر» [3]. ولم يكن من خاطر يخطر في قلوب الناس الا ويطلع عليه[4].

وبالرغم من ادعاء الأحباش أن الانسان « لا يعلم متى يموت حتى الرسول ﷺ لقوله تعالى ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ (منار الهدى ٣١/٤٤).

الا أنك تجد أن غالب ما ينكر لمشايخ التصوف هو العلم بالغيب بل بتحديد زمن الموت. وكتب الطريقتين اللتين ينتمون اليهما مليئتان بادعاء الغيب ومتى يموت البشر.

وحكى الكوثري عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال « أطلعني الله على اللوح المحفوظ، فلولا التأدب مع جدي رسول الله لقلت هذا سعيد

---

١) رشحات عين الحياة ١٥٣ المكتوبات الربانية للسرهندي ١٠٦.

٢) شفاء العليل ترجمة القول الجميل ١٠٤.

٣) المواهب السرمدية ٢٤٩و٢٥١، جامع كرامات الأولياء ١٢٩/٢ الأنوار القدسية ٢١٦و٢١٧.

٤) المواهب السرمدية ١٧٣ الأنوار القدسية ١٧٥ جامع كرامات الأولياء ١٤٠/٢.

وهذا شقي»[1].

وكان الشيخ عبد الله الخاني يخبر بالأمور قبل وقوعها وكان لا يسأل أتباعه عن أحوالهم وإنما يخبرهم عنها» [2].

وخطر ببال أحد الواقفين أمام الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي أن هذا الشيخ متكبر فعرف ما في قلبه وقال له « تكبُّري من تكبر الحق تعالى» [3].

أما محمد الخواجكي الأمكنكي فما من ذرة في العالم إلا وهو يمدُّها بالروحانية» [4].

---

١) ارغام المريد شرح النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية ص ٣٩.

٢) جامع كرامات الأولياء ١/٢٢٢-٢٢٣.

٣) المواهب السرمدية ٢١٥ الأنوار القدسية ٢٠٠ جامع كرامات الأولياء ١/٢٠٤.

٤) المواهب السرمدية ١٧٨، الأنوار القدسية ١٧٨.

تعظيمهم للحلاج

يدعي الأحباش أن الحلاج كان زنديقا وأنه لم يكن وليا لله قط. وهذا منهم تناقض فإن عامة مشايخ الطرق النقشبندية قد عظموه وزكوه وامتجوا أقواله وكان أخبثها كثرة احتجاجهم بالبيت الشعري:

كفرت بدين الله والكفر واجب
لدي وعند المسلمين قبيح

وهم يعتذرون عن قوله «أنا الحق» و«سبحاني ما أعظم شأني»[1].

وكان محمد معصوم النقشبندي وحبيب الله جان جانان يترحمان عليه ويكثران من الاعتذار عن شطحاته. وزعم محمد معصوم أنه لما وضع الحلاج في السجن كان يصلي في الليلة الواحدة خمسمائة ركعة. وكان لا يأكل من أيدي الظالمين[2].

قال الشيخ علي الراميتني « لو كان احد على وجه الأرض من أولاد الشيخ عبد القادر الغجدواني موجوداً لمَا صُلب الحلاّج »[3].

فليوضح الأحباش موقفهم من الحلاج وممن يقف بجانبه ويدافع عنه.

تصريحهم بوحدة الوجود

يقول أحمد الفاروقي « وجدتُ اللهَ عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي... ثم وجدت الأشياء : فوجدت اللهَ عينها بل عين نفسي. ثم وجدتُه تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي »[4].

ويقول الشيخ محمد بارسا «إن حقيقة الذكر عبارة عن تجليه

---

١) أنظر المواهب السرمدية ٩٠ و١٦٢ و٢٢٦-٢٢٧ الأنوار القدسية ١٣٤ و٢١٣-٢١٤ ومكتوبات السرهندي ٥٦ و١٠٧ و٢٨٢ والرحمة الهابطة على هامش المكتوبات ١٢٥ والبهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية ٨١ والحدائق الوردية ١٨٠ و٢٠٤ و١٨٠ ورشحات عين الحياة ١٣٣ و١٤٣ و١٨٦.

٢) كتاب السبع الأسرار ٣١ و٤٧.

٣) المواهب السرمدية ٩٩الأنوار القدسية ١٢١.

٤) المواهب السرمدية ١٨٢، الأنوار القدسية ١٨١ البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية ٧٨.

سبحانه لذاته بذاته في عين العبد » [١].

ويفسَر عبيد الله أحرار [٢] قول الله تعالى ﴿فأعرِض عمّن تولّى عن ذكرنا﴾ بما قاله محي الدين بن عربي :

ألا بِذكـر اللـه تزداد الذنـوب ... وتنطمـس البصـائر والقلوب
وتركَ الذكرِ أحسن منه حالاً ... فإن الشمس ليس لها غروب

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾ أي أعطيناك شهود الأحدية في الكثرة».

وهذه الطريقة في الذكر تورث عند النقشبندية في قلب الذاكر سر التوحيد حتى يفنى عن نظره وجودُ جميع الخلق ويظهر له وجود الواحد المطلق في المظاهر» [٣].

وذكر عبيد الله أحرار أن الله إذا تجلى في قلب العبد يمحو منه الغير فلا يبقى فيه إلا هو، فيسمع القلب حينئذ (سبحاني ما أعظم شأني) و (أنا الحق) و (هل في الدارين غيري) [٤].

وهذا من مخلفات معتقدات الهنود القديمة كالبراهمة الذين يعتقدون أن طريق التأمل والاعتبار تجعلهم يقربون من الله حتى إن الله بذاته يحضر في قلوبهم وضمائرهم فتتوق النفس الى الاتحاد به فيحصل الاتحاد وتذهب الاثنينية والبينية ويستحيل الذاكر والمذكور شيئاً واحداً[٥] .

---

١) الأنوار القدسية ١٦٧.
٢) المواهب السرمدية ١٦١ الأنوار القدسية ١٦٧ والحدائق الوردية ١٦٢.
٣) الأنوار القدسية ١٦٢ المواهب السرمدية ٩٠.
٤) المواهب السرمدية ١٦٢ رشحات عين الحياة ١٣٣ و١٨٦ والأنوار القدسية ١٦١.
٥) تحقيق ما للهند من مقولة لأبي الريحان البيروني ص ٤٣.

آداب المريد مع شيخ الطريقة

ومن الآداب التي يجب على المريد التأدب بها مع شيخه:

١) أن يعلم أن الشيخ كالكعبة، يسجد الناس اليها والسجود لله، فكذلك الشيخ»[١] .

٢) أن الشيخ هو الواسطة بينه وبين الله لا بد له منه، ومن لا شيخ له فهو عاص لله تعالى[٢]، وحينئذ شيخه الشيطان، ومن كان شيخه الشيطان فهو الى الكفر أقرب[٣] .

١) أن يكون مستسلماً منقاداً راضياً بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن لأن جوهر الإرادة والمحبة لا ينبني إلا بهذا الطريق» [٤] .

٢) ألا ينكر على أفعالهم فإن المنكر عليهم لا ينجو [٥] .

٣) أن يرى كلَ نعمة إنما هي من شَيخه [٦] .

٤) أن لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهره حراماً [٧] .

٥) أن لا يتزوج زوجةً طلقها شيخه أو مالت نفسه إليها [٨] .

٦) أن يلازم عند الذكر في مخيلته وبين عينيه صورة الشيخ وذلك من أصول الذكر [٩] .

بلا خوف ولا رجاء

- وأنشد محمد أمين الكردي هذين البيتين الى ربه :

أحبك لا أرجـو بذلك جنـة ولا أتقي ناراً وأنت مُرادُ
إذا كنتَ لي مولى فأية جنة وأية نـــار تُتّـقىٰ وتُـرادُ

- وقال أرسلان الدمشقي « من عبد الله لأجل الجنة والنار فهو طاغوت » [١٠] . قارن قوله بقول ابراهيم ﷺ ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ . وقول الله عن زكريا وزوجه ﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾ .

---

١) المواهب السرمدية ٣١٣ الانوار القدسية ٥٢٥.
٢) الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية ٣١.
٣) نور الهداية والعرفان ٤١.
٤) تنوير القلوب ٥٢٨.
٥) المواهب السرمدية ٧٩ الانوار القدسية ١١٢.
٦) المواهب السرمدية ٤٩٤ تنوير القلوب ٥٢٩.
٧) تنوير القلوب ٥٢٩.
٨) تنوير القلوب ٥٢٩.
٩) شفاء العليل ٧٨و٩٠ المواهب السرمدية ٤٩٤ الأنوار القدسية ١٤٥ تنوير القلوب ٥١٧.
١٠) الانوار القدسية في مناقب النقشبندية ١٣٥ .

الحكم بغير ما انزل الله

وحقيقة هذه الطوائف موالاة الظالمين وأكل أموالهم الخبيثة التي جمعوها بظلمهم. وهذا ما أكده كثير من العلماء ومنهم الذهبي كما تقدمت حكايته عن الرفاعية وأحوالهم الشيطانية.

والصوفية في الحقيقة طلاب الدنيا ولا توجد طائفة منحرفة الا وهي تؤثر الدنيا، ولهذا توالي الظلمة، فلو علم الله فيهم خيرا لهداهم كما قال للأسرى الذين انقطعت بهم السبل ﴿**قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم**﴾. فإن الله لا يضل طالب الله والدار الآخرة.

ولا يغرنك كلامهم عن الزهد، كما لم تغتر بكلام المعتزلة عن العقل وكلام الفلاسفة عن الحكمة وكلام الجهمية عن التنزيه، فإنها شعارات يبررون بها باطلهم.

والتحاكم الى الطاغوت شرك من جنس آخر غير جنس دعاء غير الله لأن الله تعالى قال ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**﴾ وقال ﴿**ولا يشرك في حكمه أحدا**﴾ وهذا نوع آخر من الشرك يروجه الأحباش الى جانب ترويج سؤال الموتى من دون الحي الذي لا يموت.

وأثنى الحبشي على العلمانيين فذكر الذين لا يريدون اقامة دولة تحكمُ بالاسلام - وانما يريدون اقامة دولة علمانية - بأنهم اناس مسلمون ومؤمنون، بل إن مساعدتهم تجوز [١].

وذكر أن المسلم الذي لا يحكم بشرع الله وانما يتحاكم الى الاحكام العرفية التي تعارفها الناس فيما بينهم لكونها موافقة لأهواء الناس متداولة بين الدول أنه لا يجوز تكفيره» [٢].

ويقول « فمن لم يحَكِّم شرعَ الله في نفسه فلا يؤدي شيئا من فرائض الله ولا يجتنب شيئا من المحرمات، لكنه قال ولو مرة في

---

١) شريط (١) عداد (٣١٨) الوجه الأول.

٢) بغية الطالب ٣٠٥.

العمر: لا اله الا الله: فهذا مسلم مؤمن. ويقال له ايضا مؤمن مذنب»[1].

قال « فلا يجوز تكفير المسلم لمجرد أنه حكم بحكم يخالف الشريعة أو لمجرد أنه حكم بالقانون الوضعي، ولكن بعض الناس يتبعون منهج الخوارج فيكفّرون كما يحلو لهم وكما يأمرهم الشيطان»[2]

.

وفسر الأحباش قوله تعالى ﴿إنِ الحكم الا لله﴾ أي لا يكون الا ما أراد الله. ليس معناه أن من حكم بغير شريعة الله يكون كافراً مع اعتقاده أن حكم الشريعة هو الصواب. بل هذا مذهب الخوارج»[3].

وقد أعلن الأحباش في المقابلة التلفزيونية - التي كانت وصمة عار عليهم - بكل وقاحة أنهم لم ولن يسعوا الى إقامة دولة اسلامية.

بل أعلنوا نفيهم للإشاعة المنتشرة عنهم بأن الركن الدين هو الركيزة الأساسية في جمعيتهم، وقالوا: إن الذي ادعى ذلك لم ينقل هذا الكلام من مجلتنا أو بإعلان منا فيجب أن يثبت عنا هذا القول.

وتوجهوا في المقابلة الى المسيحيين والعلمانيين الى الاطمئنان لأن جمعية الأحباش واقفة بالمرصاد للمتطرفين الاسلاميين.

وقد وقفوا بالفعل بالمرصاد لكل إمام مسجد وكل مصل في المساجد.

إن هذه اللغة ليست لغة العالم المصلح الداعي الى كتاب الله، المعتز به، ومن يبتغ العزة بغير اللع أذله الله.

وهذه اللغة تفتح باب الهوى، وتهوّن من امر الدين، وتشجع على تعطيل احكام الله. وتتناسب مع أهواء الفسقة وأمزجتهم.

ولا يقوم دين الله في قلب عبد لا يتحاكم الى دين ربه، ولا يطبق منه شيئاً بل يفعل كل ما يخالفه؟! فإن الله ما أنزل الكتب وأرسل الرسل إلا ليعمل الناس بها ويتحاكموا اليها. ولا يوجد مسلم مع وقف التنفيذ.

---

1) الدليل القويم ٩-١٠ بغية الطالب٥١.
2) مجلة منار «الهدى» ٢٥/٥٣.
3) مجلتهم منار الهدى ١٢/٣٢.

آيات جديرة بالتدبر

واليكم آيات تتعلق بوجوب تحكيم شريعة الله وعدم الركون الى الذين ظلموا:

﴿ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾.

﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾.

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين: ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾.

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء: تُلقون اليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض: ومن يتولهم منكم فانه منهم﴾.

﴿ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا﴾.

﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾.

﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم﴾.

﴿ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم﴾.

○ إن موقف هؤلاء اليوم يذكّر بموقف اليهود من قريش حين زعموا أن قريشاً أهدى من النبي ﷺ سبيلا قال تعالى ﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾ [النساء٥١-٥٢].

إن الحكم إلا لله

لقد شهد الله لمن لا يتحاكمون الى شرعه أنهم غير مؤمنين فقال ﴿ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أُمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يُضلّهم ضلالا بعيدا﴾ [النساء٦٠]. فلم يقل «ألم تر الى الذين آمنوا» وإنما اعتبرهم زاعمين أنهم مؤمنون.

وأقسم بأنهم لا يكونون مؤمنين حتى يحَكّموا شرع الله فقال ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلّموا تسليماً﴾ [النساء٦٥] فالله يُقسم بأنه لا ايمان لهم وينفي ايمان من لا يحكم الرسول ﷺ في أمور دينه.

○ والايمان بالله يستلزم طاعته والعمل بوحيه، وهو مستلزم بالتالي الكفر بما سواه من احكام الطاغوت، فانه لا يجتمع ايمان بما انزل الله وايمان بما احدث الطاغوت في وقت واحد. فان من اقر بالشهادتين فهو مأمور بأن يكفر بما يعبد من دون الله كما قال رسول الله ﷺ «من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه» (١).

وما من شك في أن تحكيم غير دين الله عبادة لغير الله، اذ الطاعة من أنواع العبادة. ولذلك اعتُبِرَتْ طاعة الاحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم. قال تعالى ﴿اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله﴾ [التوبة٣١]. عن أبي البختري قال « سئل حذيفة رضي الله عنه عن هذه الآية: أكانوا يصلون لهم؟ قال: لا ولكنهم كانوا يحلون لهم ما حرم الله عليهم فيستحلونه ويحرمون عليهم ما حرم الله فيحرمونه فصاروا بذلك أرباباً» (٢).

قال الرازي «الأكثرون من المفسرين قالوا: ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم، بل المراد أنهم أطاعوهم في

---

١) أخرجه مسلم رقم (٢٣) كتاب الايمان.

٢) رواه البيهقي في سننه ١١٦/١٠.

أوامرهم ونواهيهم»[1].

○ وبالطبع فاليهود لم يكونوا يعتقدون انهم يخلقون ويرزقون مع الله وانما صاروا عبادا لهم حين أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

- قال ابن رجب رحمه الله تعالى «وتحقيق معنى قول العبد: لا اله الا الله يقتضي أن الاله هو الذي يُطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا، ومحبة وخوفا ورجاء، وتوكلا عليه وسؤالا منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل. فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الألهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لا اله الا الله ونقصاً في توحيده». انتهى كلامه.

قال الخلال: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا وكيع قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ قال: نزلت في بني اسرائيل، ورضي لكم بها»[2] وعند الطبري « ثم رضي بها هؤلاء»[3].

وسئل حذيفة عن هذه الآية هل هي في بني اسرائيل فقال « لتسلُكُنّ طريقهم قدّ الشِراك»[4].

واذا قيل لهم كيف توالون أعداء المسلمين قالوا: الحرب خدعة. قلت: ما هكذا قام الاسلام على موالاة الظالمين باسم الخدعة فلماذا لم يستعمل بلال وخباب وعمار هذه الخدعة فيوالوا المشركين ويمدحوهم بدعوى تمكين الدعوة ونشرها؟

---

١) تفسير الرازي ٤/٤٣١.
٢) السنة للخلال ٤/١٥٩ رقم ١٤١٦.
٣) تفسير الطبري ٦/٢٥٧.
٤) السنة للخلال ٤/١٦٢ رقم ١٤٢٥.

الحبشي في الإيمان من المرجئة

اشتهر مذهب الأشاعرة بالميل نحو الارجاء على نحو يشبه قولهم في الكلام النفسي حيث حصروه دون الألفاظ، وفي الايمان جعلوا معناه المعرفة أو التصديق.

قال ابن حزم « وأقرب المرجئة الى أهل السنة أبو حنيفة [١]. وأبعدُهم أصحاب جهم بن صفوان والأشعري، فإن جهماً والأشعري يقولون إن الإيمان عقد بالقلب فقط». قال « وما قال أحد من أهل الاسلام: إن الايمان عقد بالقلب دون نطق باللسان الا طائفة من أهل البدع والشذوذ كجهم بن صفون وأتباعه وابن الباقلاني وابن فورك» [٢].

غير أن الأشعري نفسه يعد أبا حنيفة من الفرقة التاسعة من المرجئة [٣]. وكيف يجتمع بعد ذلك أن يكون الأحناف في عداد الأشعري من المرجئة ويزعم الهمداني فيما نقله الكردري أن الله نادى أبا حنيفة قائلا « غفرنا لك ولمن كان على مذهبك الى يوم القيامة» [٤].

واعترف السبكي بأن الايمان عند الأشعري المعرفة، أو قول النفس» [٥]. وهو عين قول الجهمية باعتراف أبي منصور البغدادي[٦]. فقد روى البخاري عن وكيع أن المرجئة قالوا « يكفيك المعرفة» [٧].

واعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني أصحاب أبي حنيفة من الفِرَق غير الناجية لاعتقادهم أن الايمان هو المعرفة [٨].

وذكر القشيري في شكايته أن مذهب الأشعري أن الايمان هو التصديق [٩].

---

١) ذكر الحافظ ابن عبد البر في التمهيد ٢٣٨/٧ أن أبا حنيفة وأصحابه ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى إيماناً. قالوا: إنما الايمان التصديق والإقرار.

٢) الملل والنحل ١١١/٢ والدرة فيما يجب اعتقاده ٣٢٩-٣٣٠.

٣) مقالات الاسلاميين ١٣٨.

٤) مناقب أبي حنيفة للكردري ٦٢/٢.

٥) طبقات السبكي ٩٧/١ و١٢٩ محققة.

٦) أصول الدين ٢٤٩.

٧) خلق أفعال العباد ١٥.

٨) الفقه الأكبر ٥٩.

٩) طبقات السبكي ٤١٩/٣ محققة.

ويستعرض الحبشي اختلاف العلماء حول الايمان: هل هو مجرد اعتقاد في القلب أم يشترط معه النطق باللسان؟ ثم انتهى الى أنه لا يُشترَط لصحة إسلام المسلم النطق بل يكفي الاعتقاد [1] أما الداخل في الدين فيشترط له النطق ولو مرة في العمر. قال:

«فمن لا يؤدّي شيئا من فرائض الله، ولا يجتنب شيئا من المحرمات، لكنه قال ولو مرة في العمر: لا اله الا الله فهذا مسلم مؤمن. ويقال له ايضا مؤمن مذنب» [2]. وقال «ولا يشترط ما يدعيه اولئك المشبهة الذين يحرمون التوسل والاستغاثة بالانبياء والاولياء» [3]

- وقال «وبعض الناس يظن أن من لم يجمع الامور الخمسة كالصلاة والصيام أن اسلامه لا يصح الا باجتماعها، وأن من لم يجمع هذه الامور الستة وهي «أمور الايمان» أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ليس بمؤمن. وهذا غلط، انما الشرط في حصول أصل الايمان والاسلام: الشهادتان بمعناهما. فلا يجوز ان يتوهم الانسان من قول الفقهاء: اركان الصلاة كذا. اركان الصيام. أنه لا يُعتَدُ بالايمان والاسلام الا إذا اجتمعت هذه الامور، وانما اراد الفقهاء أركان الصلاة التي لا تصح الا بها[4]انتهى كلامه

قال ذلك في الدانمارك وكان كلامه يُترجم الى اللغة الفرنسية أمام مسلمين جدد ويا للغار.

وهو عين كلام المرجئة. قال الحافظ « وأما ظن المغفرة مع الاصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر الى مذهب المرجئة» [5].

فقد ذكر الشهرستاني أن المرجئة أربعةُ فرق ذكر منها اليونسية أصحاب يونس السمري الذي زعم أن الايمان هوَ المعرفة بالله وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الايمان ولا يضرّ تركُها حقيقةَ الإيمان. ولما أُلزم بأن إبليس كان عارفاً بالله فهل يكون بمجرد المعرفة مؤمناً؟ ذكر أن إبليس كان عارفاً بالله وحده لكنه كفر باستكباره[6].

---

1) الدليل القويم على الصراط المستقيم ٧.
2) الدليل القويم٩و١٠وبغية الطالب٥١.
3) شريط (٦) عداد (٩) الوجه (١) وانظر المقالات السنية ٥٤.
4) شريط (٦) عداد (٢٢٤) و (١٨٩) و (٤٦٢) الوجه الاول.
5) فتح الباري ٣٨٦/١٣.
6) المِلل والنِحَل١٨٧/٢.

وروى الخلال عن حمدان بن علي أنه سمع أحمد بن حنبل يقول « الجهمية تقول: اذا عرف ربه بقلبه وإن لم تعمل جوارحه فهو مؤمن! وهذا كفر ابليس، قد عرف ربه بقلبه فقال **﴿رب بما أغويتني﴾**. قال « ويلزمه - أي جهم - أن يقول: اذا أقر ثم شد الزنار في وسطه وصلى للصليب وأتى الكنائس وعمل الكبائر كلها، إلا أنه في ذلك مقرّ بالله، فيلزمه أن يكون عنده مؤمناً وهذه الأشياء من أشنع ما يلزمهم»[1].

وعن وكيع قال « الجهمية تقول: الايمان معرفة بالقلب، فمن قال: الايمان معرفة بالقلب يُستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[2]. قال البغدادي «وإنما سُمُّوا مرجئة لأنهم أخَّروا العمل عن الايمان» [3].

والأشاعرة تارة يعبرون عن الايمان بالتصديق وتارة بالمعرفة. وأنكروا عمل القلب وعمل الجوارح.

وقد احتج عليهم ابن حزم بقوله تعالى **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** « فسمى الله تعالى تحكيم النبي ﷺ إيماناً، وأخبر أنه لا إيمان الا ذلك، مع أنه لا يوجد في الصدر حرج مما قضى، فصح يقيناً أن الايمان عمل وعقد وقول، لأن التحكيم عمل، ولا يكون الا مع القول، ومع عدم الحرج في الصدر، وهو عقد» [4].

---

١) الايمان لابن تيمية ص ٣٨٤.

٢) السنة للخلال ٥/١٢٢ رقم ١٧٧٢ و١٧٧٣.

٣) الفرق بين الفرق ٢٠٢ تحقيق محي الدين عبد الحميد.

٤) الدرة فيما يجب اعتقاده ٣٣٨.

التعقيب على أقواله

ونرد على بعض النقاط التي حواها كلامه. فنقول:

إن حديث «أُمرتُ أن اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله» جاء في رواية عند الشيخين « ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» ورواية « من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله» ورواية أخرى عند مسلم « ويؤمنوا بي وبما جئت به»(١) . فلماذا اقتصر على الرواية الاولى ونبذ الزيادة وراءه ظهرياً؟

وقد قاتل أبو بكر رضي الله عنه قوماً أقاموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما « كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها. فقال أبو بكر: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، فوالله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه» فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب.

قال الخطابي « كان أهل الردة صنفين: صنف ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا لكفرهم وهم الذين عنى أبو هريرة بقوله «وكفر من كفر من العرب» وصنف فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة... وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم في ذلك كبني يربوع فانهم جمعوا زكاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها الى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرّقها فيهم. وفي هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر رضي الله عنه، فراجع أبا بكر رضي الله عنه وناظره واحتج عليه بقول النبي ﷺ «أمرتُ أن أقاتل الناس...» وكان هذا من عمر تعلقاً بظاهر الكلام قبل أنَ ينظر في آخره ويتأمل شرائطه. فقال له أبو بكر: الزكاة حق المال. يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بإيفاء شرائطها، والحكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحدهما والآخر معدوم» (شرح مسلم للنووي حديث رقم ٣٢ و٣٣).

---

١) رواه مسلم رقم ٢١ و٣٤و٣٥.

قال النووي « قلت: وقد ثبت في الطريق الثالث المذكور في الكتاب من رواية أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله»: ويؤمنوا بي وبما جئت به. فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها». وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله ﷺ ما رواه ابن عمر وأنس وأبو هريرة، وكأن هؤلاء الثلاثة سمعوا هذه الزيادة في روايتهم في مجلس آخر، فان عمر لو سمع ذلك لما خالف، ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليه. ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة لاحتج بها ولما كان احتج بالقياس والعموم والله أعلم» ا هـ.

وقال القاضي عياض « اختصاص عصمة المال والنفس لمن قال لا اله الا الله تعبير عن الاجابة الى الايمان وأن المراد مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحّد، وهم كانوا أول من دعي الى الاسلام وقوتل عليه، فأما غيرهم ممن يقرّ بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا اله الا الله إذ كان يقولها في كفره وهي اعتقاده، ولذلك جاء الحديث الآخر: « وأني رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة».

قال النووي « قلت: ولا بد من الايمان بما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة « حتى يشهدوا أن لا اله الا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به» انتهى كلام النووي.

أن البخاري احتج بهذه الزيادة في الرد على اسلاف الحبشي من المرجئة. قال الحافظ ابن حجر في الفتح «ومناسبة الحديث لأبواب: الايمان الرد على المرجئة حيث زعموا ان الايمان لا يحتاج الى الاعمال»[1]

□ ويؤيد هذه الزيادة قوله تعالى ﴿فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ (التوبة ١١) وفي آية أخرى ﴿فخلوا سبيلهم﴾ ومعناه أنهم إن لم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة لا يكونون اخوة في الدين ولا في الايمان. ولا يخلى سبيلهم بل يقاتَلون.

وقد أكثر البخاري من التبويب في صحيحه لاثبات أن الأعمال من الإيمان كقوله «باب: من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه» «باب: قيام ليلة القدر من الإيمان» «باب الجهاد من الايمان» «باب اتباع الجنائز من الايمان» وذكر تحتها جملة من الأحاديث الدالة على هذا المعنى.

---

١) فتح الباري ١/ ٧٤.

قال الشافعي رحمه الله للحميدي « ما تحتج على المرجئة بآية أحج من قوله عز وجل ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾

وكلام أئمة المذاهب صريح في أن من ترك الصلاة قُتل وأن الطائفة الممتنعة من فعل الصيام والزكاة والصيام والحج تقاتَل حتى يكون الدين كله لله، وليس من أئمة العلم المعتبرين من قال بأن من قال لا اله الا الله يكف عنه ولا يجوز قتاله وإن ترك الصلاة ومنع الزكاة.

- وقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس «أتدرون ما الايمان بالله؟ شهادة ان لااله الا الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخُمُسَ من المغانم» [1].

- ولو كان مجرد التصديق القلبي منجياً من دون النطق لما ألحّ النبيُ ﷺ على عمه ابي طالب أن ينطق بالشهادتين حين كان على فراش الموت. لا سيما وأن ابا طالب لم يكن مكذباً لرسول الله ﷺ ولا شاكاً في صدقه في دعوى النبوة.

فانه لما حضر أبا طالب الموت قال له النبي ﷺ «يا عم قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تُعيِّرني قريش: يقولون ما حمله عليه الا فزع الموت: لأقررت بها عينك ولَا اقولها الا لأقرّ بها عينك» [2].

وكان ينشد قائلا:

ولقد علمت بأن دين محمـد   من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة او حذار مسبة   لوجدتني سمحا بذاك مبيـنا

فمات ولم ينطق بالشهادتين ولم ينفعه تصديقه القلبي بنبوة محمد ﷺ وقد قيل للنبي ﷺ «ما أغنيتَ عن عمّك، فانه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نَعَمْ، هو في ضحضاحٍ من نارٍ، ولولا أنَا لكان في الدرك الاسفل من النار» [3] وكان فرعونُ وقومه مُستيقنين بصدق نبوة موسى كما قال تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا﴾[النمل١٤].

---

١) البخاري في الايمان (٥٣) ومسلم (١٧).

٢) السيرة النبوية لابن كثير٢ /١٢٧.

٣) رواه الترمذي (٢٦٢٤) والحاكم١/٧ وقال وصححه وقال الذهبي "اسناده صالح".

قال الشافعي «وكان الاجماع من الصحابة والتابعين من بعدم ومن أدركناهـم يقولون: أن الايمان قول وعمل ونية لا تجزىء واحد من الثلاثة إلا بالاخرى».

فالشافعي وأحمد عامة أئمة أهل السنة على أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص (١). وهو قول بعض الأشاعرة كما نص عليه الايجي ورجح النووي الزيادة والنقصان(٢).

كما فسر سعيد بن جبير ومالك بن أنس قول ابراهيم عليه السلام ﴿قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ أي ليزداد إيماني(٣).

وقد قال ابن تيمية ونصه «إن التصديق بالشفاعة وعذاب القبر، وغيرهما مما يرجى ويخاف: لا يتم تصديقه الا مع الخوف من عذاب القبر والرجاء للشفاعة، ولو صدق بهما من غير خوف ولا رجاء لم يكن مؤمناً، كما أن إبليس لا يسمى مؤمناً وإن كان مصدقاً بوجود الله وربوبيته، كما أن فرعون لا يسمى مؤمناً وإن كان عالماً بأن الله أرسل موسى، ولا يسمى اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول وإن كانوا يعرفون أنهما من عند الله.

---

١) سير الاعلام ٧/١٦٨و٢٥٢ و٨/١٠٨و٤٦٨ و١٠/٣٢ و١٢/٣٩٥ حلية الاولياء ٧/٢١٨ السنة للخلال ٣/٥٧٢ طبقات الحنابلة ٢/٣٠١ السنة لعبد الله بن الامام احمد١/٣٤٢ فتح الباري ١/٤٤.

٢) المواقف ٣٨٨ شرح مسلم للنووي ١/١٤٨و١٤٩ فتح الباري ١/٤٦.

٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٥/٨٩٦. ولما وجد المخالفون أقوال الائمة صريحة في الزيادة زعموا أن أصل الايمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان، وهذا تعصب فإن تقسيم الايمان الى أصل لا يقبل الزيادة يختلف عن الايمان القابل للزيادة هو بدعة، ثم أتوا ببدعة أخرى فزعموا أن هناك فرقاً بين التصديق واليقين.
فالله تعالى جعل ما يسمى عند الناس إيماناً قابلا للزيادة والنقصان وليس عند العرب ايمانان أحدهما يزيد والثاني لا يزيد.
ثم إن الله بين في كثير من الآيات أن أصل السبب في تفاوت درجات الناس في الايمان إنما هو العمل فقال ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم﴾ ولم يذكر إيماناً يستوي فيه الجميع يكون إيمان الباقلاني فيه كإيمان أبي بكر وعمر من حيث الأصل لا من حيث الفرع!

- وأما قول الحبشي ان من لم يجمع الامور الستة من اركان الايمان وهي :الايمان بالله وملائكته وكتبه... لا يقال انه ليس بمؤمن. فعلى قوله أن من آمن بالله مثلا ولم يؤمن باليوم الآخر او لم يؤمن بالقدر: فهو مؤمن ما دام قد حقق أصل التوحيد وهما الشهادتان! وماذا لو أنه لم يؤمن بعيسى مثلا أيكون مؤمنا؟ إننا نجد التلازم دائما بين معطيات العقيدة.

قولٌ نفيسٌ لابن حزم

قال ابن حزم [1] «نقول لمن قال إن الايمان هو التصديق باللسان والقلب متعلّقاً باللغة: لا حجة لكم فيه أصلا لأن اللغة يجب فيها ضرورةً أن كل من صدّق بشيء فأنه مؤمن به، وأنتم والأشعرية والجهمية والكرّامية كلكم توقعون اسم الايمان ولا تُطلقونه الا على كل من صدّق بشيء ما، ولا تطلقونه الا على صفة محدودة دون سائر الصفات وهي مَنْ صدّق بالله وبرسوله ﷺ وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك مما أجمعت الأمة على أنه لا يكون مؤمناً من لم يصدّق به. وهذا خلاف اللغة.

فإن قالوا إن الشريعة أوجبتْ علينا هذا قلنا: صدقتم فلا تتعلّقوا باللغة... فإن أصل الايمان التصديق، إلا أن الله عز وجل أوقع لفظة الايمان لأشياء أخرى مخصوصة وهي أعمال الجوارح وكل ما هو طاعة. والتصديق يكون بالقلب وبسائر الجوارح كقول النبي ﷺ « العين تزني وزناها النظر، والاذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام... والفرج يصدق ذلك أو يكذبه» [2]. فأطلق العمل على الايمان كما أطلق الايمان على العمل.

فلا يحلّ لأحد مخالفة الله تعالى فيما أنزله وأحكمه فإنه تعالى خالق اللغة وأهلها فهو أمْلَكُ بتصريفها وإيقاع أسمائها على ما يشاء.

فالتصديق في الشرع تصديق خاص زاد عليه الشارع أحكاماً غير ما يعرف في اللغة.

○ ثم عجباً لمن وجد لامرىء القيس أو لزهير أو لجرير لفظاً في شعرٍ أو نثرٍ جعله في اللغة ولم يعترض فيه. ثم إذا وجد لله تعالى

---

1) الفصل ٣:١٩٠-١٩٢.

2) متفق عليه.

(خالق اللغات وأهلها) كلاماً لم يلتفت إليه ولا جعله حجةً، وجعل يصرفه عن وجهه ويحرّفه عن مواضعه ويتحيّل في إحالته عما أوقعه الله عليه».

ضرورة التفريق بين المصطلح اللغوي وبين المصطلح الشرعي

ولهذا فاعلم أن الاسلام قد استعمل بعض الكلمات العربية وأضاف إليها معان خاصة مثل الصلاة التي هي في اللغة مجرد الدعاء. والصوم الذي هو في اللغة الامساك عن أي شيء، وهو في الاصطلاح الشرعي غير ذلك. وكذلك البدعة تحتمل في اللغة ما كان حسناً وما كان سيئاً وأما في الاصطلاح الشرعي فإن «كل بدعة ضلالة». وكذلك لفظ الايمان فإنه ليس معناه التصديق فقط كما في اللغة. وإنما يتعدى ذلك الى تسمية الأعمال الصالحة إيماناً.

والباطنية ذهبوا الى المعنى اللغوي للصلاة وهو الدعاء فقالوا ندعوا الله وتركوا صلاة المسلمين. وقالوا الحج هو قصد الزيارة ونحن نقصد قبر الامام بالزيارة، والصوم هو مطلق الإمساك، ونحن نمسك سر الإمام. ثم جاء من هذه الأمة من تمسكوا بالمعنى اللغوي للبدعة حتى جعلوا من البدعة ما هو واجب وما هو مستحب. ومنهم من تمسك بالمعنى اللغوي للايمان فقصروه على التصديق وكان من نتاج هذه الفكرة موَتان العالم الاسلامي وشل حركته. وقد كان جهل هذه الحقيقة سبباً لهذا الانحراف عن الفهم السليم.

تناقض بين الإرجاء والتكفير

وبهذا يمكن الرد على هؤلاء المشتهرين بالتكفير العشوائي بِردٍّ جيد. وهو أن يقول لمن حكموا بتكفيره: ولكني أقر في قلبي بالشهادتين فكيف تكفّرونني وأنا معي أصل الايمان؟

فإن قالوا إن للشهادتين لوازم ومقتضيات وشروط وحقوق وأنت أتيت بما يخالف شروط الشهادتين.

فيقال لهم: هذا اعترافٌ منكم بأن وجودها في القلب أو النطق بها على اللسان لا يكفي.

وهذا ما نقوله لكم من أن ترك الصلاة والصوم والزكاة والتحاكم الى القوانين الوضعية يخالف شروط الشهادتين ومقتضياتها، فلماذا تجترئون على المُعرض عن شيخكم والمعترض عليه فتسارعون في تكفيره ولا تجترئون على تكفير من أعرض عن الله واستكبر وأبى السجود له ونَبَذَ الصلاة التي جعلها النبي ﷺ همزة الوصل بين الإيمان والكفر بقوله «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» أليس تاركها عنده أصل الإيمان الذي هو عندكم مجرد التصديق القلبي؟

فضل كلمة الإخلاص

لقد سميت هذه الشهادة «لا اله الا الله» بكلمة الإخلاص، لأن الإخلاص مدلولها، فمن قالها وهو غير معتقد لما دلّت عليه من إخلاص العبادة لله فلا يسمىٰ شاهداً بها، ومن هنا كان الركن الأعظم من أركان الدين: **شهادة أن لا اله الا الله: وليس قول لا اله الا الله فقط.**

هل الايمان هو التصديق والإقرار فقط؟

القاعدة الأولى: إن الألفاظ إذا عُرف تفسيرها من قبَل النبي ﷺ لم تعد هناك حاجة للاستدلال عليها من أهل اللغة. وإن لفظ الايمان في اللغة لم يقابَل بالتكذيب كلفظ التصديق، فإن الكفر قد يكون معه التصديق ولكن يصاحب التصديق شيء من المعاندة وعدم الخضوع. فقد كان أبو طالب مصدّقاً للنبي ﷺ لكنه لم ينقد لشهادة التوحيد، وفرعون قد بلغ درجة الاستيقان بصدق موسى ﷺ كما قال تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾[النمل١٤] لكنه استكبر وجحد، فلا بد أن يكون مع التصديق موافقة وانقياد وخضوع ولا يكفي مجرد التصديق. ولو قال قائل أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك بل أعاديك لكان كفره أعظم.

- وإذا كان الكفر ليس تكذيباً فقط: فالايمان ليس تصديقاً فقط.
- وكل مكذِّب كافر، وليس كل كافر مكذب.

وأما احتجاجهم بقوله تعالى ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ فقد أجاب ابن تيمية أن لفظ الايمان تكرر في القرآن والحديث أكثر من غيره من الألفاظ، فلا بد من النظر الى باقي النصوص لا أن يتمسك بآية واحدة ويترك الباقي.

القاعدة الثانية: أن الايمان وإن تضمن التصديق فإنه ليس مرادفاً له، فإن الله فرّق بين الايمان بالله وبين الايمان للمؤمنين كما قال ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ [التوبة ٦١] ووجه الفرق أن للايمان بالله لوازم وشروط أخرى غير التصديق كالخضوع والانقياد، بخلاف الايمان للمؤمنين فإنه التصديق بما أخبروا به.

- وسبب جنوح الأشاعرة الى أنه التصديق فقط: قولهم بأن الايمان معنى قائم بذات المتكلم وأنه ليس يرجع الى ما نعقله من الحروف المنظومة والأصوات المقطعة.

القاعدة الثالثة: أن الايمان قد يردُ في النصوص مطلقاً عن العمل وقد يَردُ مقروناً بالعمل، فأما إذا وردَ مطلقاً فإنه يكون مستلزماً للأعمال، إذ لا يمكن تصوّر إيمان القلب مع انتفاء جميع الأعمال، وذلك كقوله تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات ١٥] وقوله ﷺ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» (متفق عليه).

وأما إذا ورد عطف العمل على الايمان فإن العطف لا يقتضي المغايرة كقوله تعالى ﴿آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وإنما هي من باب

عطف الخاص على العام أو الجزء على الكل كقوله تعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ [البقرة٢٣٨] وكقوله ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾. فإن جبريل وميكال داخلان في الملائكة. كما أن قوله تعالى ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ لا يدل على أن التواصي بالحق والصبر ليس من الأعمال الصالحة حيث عُطف عليها.

- وأما الجواب عن آيات ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فالسبب في العطف تنبيه الناس الى ضرورة العمل حتى لا يظن ظان وجود مؤمنين من غير أن يعملوا الصالحات فيكتفي بإيمان القلب فقط كما هو حال المرجئة.

القاعدة الرابعة: أن احتجاج المرجئة المعاصرين بأن الله خاطب المؤمنين قبل فرض العمل فذاك كان قبل فرض العمل، ثم بعد أن فرض الله العمل صارت الأعمال داخلة في الإيمان ولهذا قال تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا: ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [آل عمران٩٨] ولهذا لم يأت ذكر الحج في أكثر أحاديث الإيمان والإسلام، فلما فُرض أدخله النبي ﷺ في الايمان إذا أُفرِد، وأدخله في الإسلام إذا قُرِنَ بالايمان وإذا أُفرد.

وقد قال ﷺ «أتدرون ما الايمان بالله وحده؟.. الإيمان: شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس»[1].

فأي دليل أقوى من هذا الحديث على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأي مخالفة للنبي الذي عرض على الصحابة أن يفسر لهم معنى الإيمان ثم فسره بالأعمال ولم يفسره بمجرد التصديق ولا إقرار القلب أو نطق اللسان على النحو الذي يفسره المرجئة.

ولهذا قال الشافعي «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: إن الايمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ لا تُجزىء واحدةٌ من الثلاثة إلا بالأخرى»[2].

وقد شهد السبكي باشتهار دخول الاعمال في مسمى الايمان على ألسنة السلف[3].

---

١) رواه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧).

٢) يبدو أن هذه العبارة ساقطة من المطبوعة أو من الأصل المقابل. ولعل الناسخ أشكل عليه قول الشافعي هذا لانه مخالفٌ لما اشتهر عند الأشعرية فأسقطه، ووجدت عدداً من القدامى استشهد بهذه العبارة منهم ابن عبد البر (الإنتقاء٨١) وشيخ الاسلام (مجموع الفتاوى ٧/٢٠٩).

تغاير الاسلام والايمان
الاسلام والايمان متغايران أم مترادفان ؟

❑ ولقد أخطأ الماتريدي[1] حين جعل الإيمان والإسلام شيئاً واحداً. والتغاير بينهما هو الصحيح، ويشهد لهذا التغاير:

١) قوله تعالى ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾ [الحجرات١٤] فأمرهم أن يقولوا «نحن مسلمون» ونهاهم أن يقولوا «نحن مؤمنون». وبهذا يبطل قول الحبشي أنه لا يكون اسلام بلا ايمان [٢].

٢) حديث جبريل وفيه «أخبرني عن الاسلام» و «أخبرني عن الايمان» فأجابه عن كل منهما بجواب مختلف عن الآخر.

٣) قيل للنبي ﷺ «ما لك عن فلان فإنه مؤمن. فاستدرك النبي ﷺ عليه قائلا «أو مسلماً» قالها ثلاثاً» [٣]. واستدل الحافظ ابن حجر بهذا التفريق بين حقيقتي الايمان والاسلام وأنهما ليسا شيئاً واحداً وقال أحمد أن الاسلام غير الايمان [٤]. وقال الشيخ محمد بن درويش الحوت رحمه الله «ثم الاسلام والايمان يتغايران لفظاً وهما متلازمان»[٥].

قال ابن تيمية «وقولهم بأن الاسلام والايمان شيء واحد يلزمهم فيه أحد امرين:

- إما أن يقولوا أن الاسلام هو التصديق. وهذا ما لم يقله أحد من أهل اللغة.

- وإما أن يقولوا أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وهذا خلاف قولهم» [٦]. قال «والقول الحق الذي دلت عليه الأدلة، هو القول بالتلازم بين الايمان والاسلام، فإنهما اذا اجتمعا في الذكر كان المقصود بالايمان الأمور الباطنة وبالاسلام الأعمال الظاهرة. واذا افترقا كان المقصود بهما واحد وهو الأمور الظاهرة والباطنة ».

---

٣) فتاوى السبكي ١/٥٤. .

١) وهو من المرجئة، فإن الايمان عنده هو التصديق فقط. والإقرار والاعمال خارجان عن الايمان ولا يزيد ولا ينقص (أنظر كتابه التوحيد ٣٧٣-٣٧٧ العقائد النسفية للتفتازاني ١١٩-١٢٣.

٢) صريح البيان ٨٩ ط: مجلدة.

٣) رواه البخاري (٢٧) ومسلم (١٥٠).

٤) فتح الباري ١/٨٠ طبقات الحنابلة ٣٠٢.

٥) رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة ص ٣٧.

٦) الايمان ٣٦٥.

الايمان: الاخلاص وتحقيق التوحيد

□ قال الحبشي (بيان أن من آمن بالله ورسوله لا بد أن يدخل الجنة) ولا شك أن المقصود بالإيمان بالله تحقيق التوحيد ويتمثل ذلك في طاعته وتحكيم شرعه. فلا يدعو مع الله غيره ولا يتحاكم الى غير شرعه، فإن فعل كان إيمانه مشوباً بالشرك كما قال تعالى ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون**﴾ (يوسف ١٠٦) والمطلوب تحقيق إيمان لا شرك فيه كما قال تعالى ﴿**الذين آمنوا ولم يلبِسوا إيمانهم بظلم**﴾ أيَ بشرك، فإن الظلم معناه الشرك ﴿**أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾(الأنعام ٨٢).

أقوال القلوب وأعمالها

لقد غلط المرجئة حين ظنوا أن ما في القلب من الايمان هو التصديق فقط دون أعمال القلوب، إذ ليس التوحيد مجرد معلومات مكنوزة في القلب، وإنما للقلب أقوالٌ وأعمالٌ من محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه وإفراده في الدعاء والاستغاثة والتحاكم والذبح والنذر.

- فمن عرف الله ولم يُخلص في عبادته فمعرفته مردودة لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتُغِيَ به وجهُه. ولذلك وصف الرياء بالشرك مع وجود المعرفة في القلبِ. وقد عرف إبليسُ أن الله واحد لا رب سواه وعرف صدق الرسل فهل جعله ذلك مؤمناً؟

- ومن كان حبه لغير الله مثل حبه لله كان مشركاً وإن أقرّ بالشهادتين. قال تعالى ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾[البقرة١٦٥] قال السدي «الأنداد من الرجال: يطيعونهم كما يطيعون الله، إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله».

- ومن كان لا يتحاكم الى الله بل يتحاكم الى الطاغوت فليس مؤمنا وإن أقرّ في قلبه بوحدانية الله. قال تعالى ﴿**فلا وربك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾ (النساء ٦٥). وقال ﴿**ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أُنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أُمِروا أن يكفروا به**﴾(النساء٦٠). وجه الاستفادة من الآية أن من مقتضى الكفر بالطاغوت: ألاّ نتحاكم اليه. ولهذا لم يقل الله «الم تر الى الذين آمنوا» وإنما قال ﴿**ألم تر الى الذين**

يزعمون أنهم آمنوا﴾ فحكمت الآية بأنهم مُدّعون للايمان وليسوا بمؤمنين. ولو كانوا من أهل الايمان حقيقة لم يريدوا أن يتحاكموا الى غير الله والرسول.

وهل المتحاكم الى الطاغوت مؤمن بالطاغوت أم كافر به؟

إن الحبشي يريد أن يجتمع في قلب المسلم:ايمانٌ بالله وايمانٌ بالطاغوت، وإذا كان لا يجتمع إيمان وشح في قلب عبد مؤمن [١] فكيف يجتمع فيه ايمانٌ بالله وتحاكمٌ الى الطاغوت؟

ولما أطاع بنو إسرائيل أحبارَهم ورهبانَهم في استباحة ما حرّم اللهُ وتحريم ما أحل الله اعتبر الله ذلك عبادةً من دونه فقال **﴿إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾**[التوبة ٣١] دل على أن التحاكم الى غير الله شرك ويسمى (**شرك الطاعة**) وقد حذر المؤمنين من هذا الشرك فقال **﴿وإن أطعتموهم إنكم لَمشركون﴾**. وقال تعالى **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** فجعل من لوازم الإيمان وصدقه: الردّ الى الله والرسول.

فمن شهد أن لا اله الا الله ثم عدل عن تحكيم الله والرسول واحتكم الى غيره في موارد النزاع فقد كذب في شهادته.

- ومن كان يقولها ولا يعمل بها فمعناه أنها لم تُعمل عملها في قلبه فهو على شر، فكيف بمن يقولها بلسانه ويخالفها في فعله حين يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ويرجو من الأموات ما لا يرجو من الحي الذي لا يموت. ومن يفعل ذلك كيف يعتبر نفسه في عداد الموحدين!.

❑ فالتوحيد والشرك يكونان في أقوال القلب وأعمال القلب. ولهذا قال الجنيد « التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب» لكن الجهمية المرجئة ظنوا أن مجرد علم القلب وتصديقه هو الايمان، وهذا من أعظم الجهل شرعاً وعقلا، وحقيقة قولهم يوجب التسوية بين المؤمن والكافر. فالايمان لا بد فيه من تصديق القلب وعمله، وهذا معنى قول السلف الصالح «الايمان قولٌ وعملٌ». كما قال الشيخ الجيلاني رحمه الله

---

١) حديث "لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد مؤمن" رواه الترمذي (١٦٣٣) بإسناد صحيح.

«ونعتقد أن الايمان قول باللسان، ومعرفة بالجنان، وعمل بالأركان ... وقد أنكرَت الأشعرية زيادة الايمان ونقصانه وهو في اللغة التصديق، وفي الشرع: التصديق وهو العلم بالله وصفاته مع جميع الطاعات والوجبات...» [1].

وقال أبو منصور البغدادي « وفي رواية أهل البيت عن علي عن النبي ﷺ: الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالأركان»[2].

فالمراد من الشهادتين

❑ تحقيق توحيد الله. فلا معبود بحق الا الله.

❑ التقيد بكل ما أنزل الله على رسوله ﷺ والتحاكم اليه. اذ ماذا ينفع الايمان بالوحي المنزل مع نبذه والتحاكم الى غيره!!. لكن الحبشي افتتح كتابه بما اقتضت الحكمة النبوية عدم اذاعته بين الناس، فقد قال له معاذ « أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: لا اذن يتّكلوا».

ولم يخبر معاذ بهذا الحديث الا عند موته تأثما.

ومن فقه البخاري أنه أدرج حديث معاذ في باب «من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا» ثم روى قول علي «حدثوا الناس بما يعرفون» قال الحافظ «فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكر عند العامّة». فراح الحبشي وابتدأ به عقيدته وابتدأ به من لا يفموا.

وقال ابن مسعود «ما أنت محدّثٌ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة». ثم ذكر الحافظ أيضا أنْ حذيفة استنكر تحديث أنس للحجاج بن يوسف بقصة العرنيين الذين قتلهم الرسول ﷺ ومثّل بهم لأنه اتخذها وسيلة الى استباحة سفك دماء المسلمين[3].

- ولذا كره أهل العلم ذكر هذه الرواية من دون ذكر الروايات الأخرى التي تحكي خروج الموحدين من أهل الكبائر من النار وقد تفحموا ثم يدخلون بعد ذلك الجنة لأن الله حرم على الموحد الخلود في النار، وإلا وقعوا في فتنة في الارجاء. ونقل ابن رجب ضرورة تقييد هذا الحديث بالروايات الأخرى لئلا يشتبه على طلبة العلم فهمه ولئلا يتذرع بظاهره أهل الهوى.

---

١) الغنية لطالبي الحق ٦٢ ط الحلبي ١٩٥٦ مصر.

٢) أصول الدين ٢٥١.

٣) فتح الباري ١/٢٢٥.

❑ وقد قسّم دخول المؤمنين الجنة على نوعين:

١) دخول مطلق. مثل حديث السبعين ألفا من أمة النبي ﷺ الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وكذلك الشهداء.

٢) دخول مقيد: فمن أهل الكبائر من لا يدخل الجنة إلا بعد أن يُعذب في النار ثم يخرج منها بالشفاعة. كما ثبت أن الله تعالى يقول «وعزتي وجلالي لأخرجنّ من النار من قال لا اله الا الله» ويُخرج من النار أقواماً بعد أنَ امتحشوا فيها[١] وبهذا يُفسّر قوله ﷺ وإن زنا وإن سرق. وهو وسطٌ بين من يحكمون بالخلود في النار لمرتكبي الكبائر وبين من يقولون لا تضر مع الشهادتين معصية.

فلا بد من التفصيل، وليس مجرد إلقاء الشبهات وفتح باب الهوى ودفع الناس الى التساهل في الذنوب، وتصدير الكتاب بحديث معاذ مجرداً من الروايات الأخرى الصحيحة التي تفيد دخول من شاء الله من أهل الكبائر النارَ ثم خروجهم منها بالشفاعة، هذا مع التصريح بأن الايمان معرفة القلب.

---

١) أي احترقوا.

موقف الأشاعرة
من
النبوة والكرامات والمعجزات

إنكار الأشعرية نبوة محمد ﷺ بعد موته

للأشاعرة طعن في النبوة حكاه أئمة أهل العلم كابن حزم وأبي الوليد الباجي بل نقاد الجرح والتعديل كالحافظ الذهبي وهو قول كبير أئمتهم أبي بكر ابن فورك « كان رسول الله ﷺ رسولا في حياته فقط، وأن روحه قد بطل وتلاشىٰ وليس هو في الجنة عند الله تعالى» مما دفع محمود ابن سبكتكين الى قتله بالسم [(١)].

ونقل ابن حزم عن الأشعرية أنهم قالوا: إن رسول الله ﷺ ليس هو اليوم رسول الله ولكنه كان رسول الله» وأوضح ان هذا القول منهم هو كفر صريح وتقليد لقول أبي الهذيل العلاف وقال في كتابه الدرة « وما قال بهذا القول أحد ممن ينتمي الى الاسلام الا أبو الهذيل العلاف المعتزلي وهي إحدى شُنَعه المُخرجة له عن الاسلام ثم اتبعه على ذلك الطائفة المنتمية الى الأشعري» [(٢)].

وحكى ابن حزم سبب مقولتهم: وهو اعتقادهم أن العرض (الصفة) لا تبقى زمانين، فلا تبقى صفة النبوة في النبي زمانين: زمن حياته وزمن مماته.

مفهوم الكرامة عند الأشاعرة

ففي الوقت الذي نرى القاضي عبد الجبار والجبائي من شيوخ المعتزلة يشددون على إنكار الكرامة جملة وتفصيلا انسجاماً مع عقليتيهما الاعتزالية كقول القاضي « فلا كرامة لولي أو صحابي [(٣)] وذلك كردٍّ فعلٍ مفرطٍ في مقابل إفراط الصوفية في ادعاء الكرامات.

---

١) النجوم الزاهرة ٢٤٠/٤ وفيات الأعيان ٤٨٢/١ سير اعلام النبلاء ٨٣/٦ الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٨٨/١ طبقات السبكي ١٣٢/٤ محققة. وقد دعا ابن حزم للسلطان بخير لقتله ابن فورك (سير أعلام النبلاء وأقره ٢١٦/١٧).

٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٨٨/١ و٧٦ والدرة فيما يجب اعتقاده ٢٠٤-٢٠٥ له أيضاً.

٣) المغني التنبؤات والمعجزات ٤١٤:١٥ وانظر ١٥٢:١٦-٤١٤.

ولئن كان والأشاعرة والمعتزلة متفقين في مسائل كالتأويل وعلم الكلام وجحود خبر الواحد (مع تفصيل) فإنهم يختلفون في أخرى كالقدر وكرامات الأولياء. غير أنهم حين يثبتون الكرامات يغلون في إثباتها حتى إنهم ليسوون بينها وبين المعجزات.

فإن الأشاعرة حين يثبتونها لكنهم لا يجعلون بينها وبين معجزات الأنبياء فرقاً، ثم إنهم يذكرون فروقات شكلية بين المعجزات والكرامات لا حقيقة لها بل الحق خلافها، حتى ان البغدادي صرح [١] بأن الفرق بين المعجزة والكرامة في كونها ناقضة للعادات من حيث التسمية فقط للتمييز بينهما. ونتابع هذه المسألة بتأمل وتدبر:

١ - الفرق بين كرامة الولي وشعوذة الساحر

قال الحبشي « الكرامة هي أمر خارق للعادة يظهر على يد المؤمن المستقيم بطاعة الله وبذلك تفترق الكرامات عن السحر والشعوذة [٢].

الجواب: أهذا هو الفرق الوحيد بين الولي والساحر: أن الولي مستقيم والساحر غير مستقيم، ثم لا فرق بين جنس خارق الولي وجنس خارق الساحر؟!

٢ - الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي

قال الحبشي « والفرق بينها وبين الكرامة أن الكرامة لا يُتحدى بها. ويجوز للولي التحدي بكرامته على الصحيح من قول العلماء لكن الغالب من حال الولي أنه يكتمها أي يكتم الكرامة [٣].

الجواب : أنه أتى أولا بفارق عدم التحدي ثم رجح أن الولي يتحدى، وبهذا لم يبق من فرق إلا أن الولي يكتم كرامته. وهذا الفرق يتناقض وكرامات الصحابة ومن بعدهم حيث أظهروها ولم يخفوها. فقد شرب خالد بن الوليد السم أمام الملأ ونادى عمر « يا سارية الجبل» وهذا أبو مسلم الخولاني يمشي على الماء ويدخل النار. ومثل هذا كثير [٤]. فهذا التفريق ليس الا محاولة يائسة لإيجاد ثمة فرق وحقيقة قولهم ينتهي الى أنه لا فرق.

---

١) أصول الدين ١٧٤.

٢) الدليل القويم ١٣٩.

٣) الدليل القويم ١١٢.

٤) انظر النبوات ٤.

○ ثم إن الكرامة أمر عظيم يتفضل الله به على الصالحين المصلحين من عباده وأحبابه، ويستبعد أن يمنح الله هذا الفضل العظيم لمن لا يتورع عن الرياء بل هو أعظم من الرياء إذ الرياء شرك خفي قد يخفى على صاحبه أما الظهور أمام الملأ واستعراض ما يسمونه بالكرامات هو شرك واضح غير خفي. ومثل هذا لا أراه يكون الا في باب الاستدراج. ومن علم الله منه الرياء والشرك كيف يُكرمه؟!

○ إن كرامة الولي تكون للتحدي أيضاً، لاسيما إذا تحدى بها الولي الكفار لإثبات دين الإسلام وصدق ما جاء به خاتم الأنبياء ﷺ.

○ أن كثيراً من المعجزات قد حصلت لنبينا وغيره: ولم تكن مقرونة بالتحدي كالاخبار عن علامات الساعة وما سيكون في أمته من بعده. وخروج الماء من بين أصابعه وتسليم الحجر عليه وتكلم الجذع في يده. ويلزم من اشتراطهم التحدي أن ما كان يظهر على يد النبي ﷺ من الخوارق من وقت لآخر ليست دليلا على نبوته لأنه لم يتحد الناس أن يأتوا بمثلها.

○ أما قولهم بأن معجزات الأنبياء واجبة لتصديقهم، وأن صدقهم لا يعرف إلا بها: جاعلين من وجوب المعجزة فرقاً بينها وبين الكرامة التي ليست واجبة فيقال: إن هذا لا يلزم اشتراطه أيضاً، فكم من نبي لم تظهر على يديه معجزة. مثل لوط ونوح وغيرهما. وانما حصلت المعجزة الالهية بإهلاك قومهما من غير أن يمهلوا حتى يروها ليصدقوا، بل كان هلاكهم بها.

○ أن كثيرين آمنوا بنبينا ﷺ من غير حاجة الى معجزة لتصديقه، فقد آمن به النجاشي ولم يكن رآه بعد، وكذلك هرقل بعد السؤال عن صفاته وسيرته، وكان بعضهم يأتيه ويقول:آلله أرسلك؟ فيقول له: نعم، فيؤمن به ويرجع الى قومه فيسلمون جميعهم وهم لم يروا معجزة.

٣ - لا نبي عند الحبشي وأسلافه الا بمعجزة :

قال الجويني « لا دليل على صدق النبي غير المعجزة» [١]. وقال البغدادي « النبي لا بد له من إظهار معجزة تدل على صدقه»

وقال الحبشي « ثم السبيل الى معرفة النبي المعجزة وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي. وهي يُتحدى بها». ونقف لحظة لنبين أن أشاعرة آخرون كالبغدادي يجعلون صحة النبوة عن طريق النظر والاستدلال ولو كانت معلومة بالضرورة[٢].

يقول الحبشي « إعلم أن النبي ﷺ ادعى النبوة مقرونة بالتحدي، فهو رسول الله قطعا»... فالسبيل الى معرفة النبي المعجزة. لان الكرامة لايتحدى بها. فالأصل في معرفة الرسل عند الحبشي وأقرانه ظهور المعجزات، وأنه لا دليل على صدق الرسل غير المعجزة» [٣].

نبوة الجويني في غنى عن إظهار المعجزة!!!

وعجباً للقوم الذين يدعون حب النبي الى حد الغلو ثم هم يشترطون لتصديقه المعجزة التي يعفون منها أصحاب مذهبهم. فقد أفرط القشيري في الثناء على الجويني حتى قال « لو ادعى إمام الحرمين اليوم النبوة لاستغنى بكلامه عن إظهار المعجزة» [٤]. فالنبي يلزمه شرط المعجزة لكن الجويني في غنىً عنه!

وقد قال الجويني أنه حتى المعجزة لا تدل على صدق النبي حسب دلالة الأدلة العقلية [٥]. فالنبي لا يظهر صدقه حتى ولو أتى بمعجزة أما الجويني نفسه فهو صادق عند القشيري ولو لم يأت بمعجزة!!!

اشتراط المعجزة للأنبياء باطل

واشتراطهم المعجزة باطل لما يلي:[٦].

○ أن قصة هرقل وسؤاله عن صفات النبي ﷺ وشمائله مشهورة وقد كاد أن يعلن إيمانه لولا صدود قومه له. وكذلك آمن النجاشي

---

١) الارشاد ٣٣١ وانظر الرسالة للقشيري ١١٨.

٢) أصول الدين ١٥.

٣) التوحيد للماتريدي ١٨٨ التمهيد ٤٤ تبصرة الادلة ٢٨٦.

٤) طبقات السبكي ٥/١٧٤ محققة.

٥) الارشاد ٣٢٤.

٦) الدليل القويم ١١٢-١١٣.

بالنبي ﷺ ولم يكن رآه بعد، وكذلك ورقة بن نوفل الذي أكد له أن هذا هو الناموس الذي كان ينزل على موسى. ولما رأى سلمانُ الفارسي النبيَ ﷺ قال « فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه كاذب».

○ والنبي ﷺ لم يتحد قريشاً في أول الأمر، فلما قالوا ﴿افتراه﴾ تحداهم الله أن يأتوا بمثله. فالتحدي دليل صادق لكنه ليس بشرط في قبول النبوة أورفضها.

○ أن بعض المكذبين بالرسل طالبوا رسلهم أن يأتوا بآية فما أتاهم إلا أمر الله وعذابه كقوم لوط، مما يؤكد أن المعجزة ليست شرطاً في معرفة الرسل فإن المكذبين يعلمون من صدق أنبيائهم وحُسْن صفاتهم ما يجعلهم يوقنون بحقيقة نبوتهم، وأنهَ يستحيل أن يكونوا كذابين أو دجالين. فإنه ما ادعى أحدٌ النبوة الا وقد ظهر عليه من الكذب والفجور واستحواذ الشياطين ما يؤكد كذبه، وأما الرسل ففيهم من صفات الخير ما يُطَمئن الناس الى تصديقهم، ولهذا لما خشي النبي ﷺ على نفسه حين نزل عليه جبريل أن يكون به بأس طمأنته خديجة وقالت « والله لا يخزيك الله ابداً» ثم أخذت تُذكّره بإحسانه الى الخلق وإكرامه للضيف وصلته للرحم وأن من كانت هذه حاله لا يخزيه الله.

فالله يولّي الظالمين بعضهم ببعض، ويزيد الذين اهتدوا هدى، فمن صدق الدجالين فلخبث في نفسه، وقد جعل الله الدجاجلة سبباً لإضلال من يستحقون الضلال، أما من جمع الله فيه من صفات الإحسان والصدق المستلزم للعدل فلا يخزيه الله أبداً. وقد قال تعالى **﴿ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرضٌ والقاسية قلوبهم﴾** ثم وعد بهداية المؤمنين وأنه لا يخذلهم فقال **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتُخبِت له قلوبهم، وإن الله لَهَاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم﴾** [الحج٥٤]. وقال تعالى **﴿فإنكم وما تعبدون: ما أنتمً عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم﴾**.

- إن بشارة الأنبياء السابقين بقرب مجيء النبي الخاتم هي بذاتها معجزة تؤكد أنه يمكن إقامة الدليل على صدق النبوة من غير معجزة.

ولذلك عدل الشهرستاني عن هذه الطريقة وانتقدها في كتاب «الملل» معتبرا أن الله يظهر المعجزة على يد أنبيائه سواء تحدوا أم لم يتحدوا، وأن التحدي لا معنى له [١].

ثم جوز أن يخلق الله الآيات على يد الكذابين المدعين للنبوة وهذا ما جوزه ابن تيمية أيضا ذاهبا الى أنه « يمكن أن يخلق الله على يد الكاذب ما يدل على صدقه وليس بدليل، مثل خوارق السحرة والكهان كما كان يجري لمسيلمة والعنسي وغيرهما، لكنها ليست دليلا على النبوة لوجودها معتادة لغير الأنبياء، وليست خارقة لعادة غير الأنبياء بل هي معتادة للسحرة والكهان».

فالتفريط ممن ظنها دليلا لا سيما وأنها دليل على كذب صاحبها، فإن الشياطين لا تقترن الا بكاذب [٢] كما قال تعالى ﴿**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم**﴾ [الشعراء٢٢٢].

٤ - هل ما كان معجزةً لنبي جاز أن يكون كرمةً لولي ؟

وحاصل كلام هؤلاء لا يُشعر بأي فرق بين كرامة الولي وبين معجزة النبي، ثم تأتي هذه العبارة المنتشِرة بين عامة الأشاعرة والماتريدية «**كل ما كان معجزة لنبي: جاز أن يكون كرامة لولي**» لتزيد هذه المساواة تأكيدا.

ونسأل: هل تعني هذه القاعدة جواز :

* أن ينفلق البحر على يد الولي كما حصل لموسى ؟
* أو يخلق الولي من الطين طيراً كما حصل لعيسى ؟
* أو ينشق للولي القمر كما حصل لنبينا محمد ﷺ ؟
* أو أن يُسرى بالولي كما أسري بالنبي ﷺ الى بيت المقدس ليريه الله من آياته الكبرى ؟

إن كتب الصوفية - وهم أشاعرة أو ماتريدية في الإعتقاد - مليئة بقصص شبيهة بمعجزات الأنبياء بل قد تزيد مثل عروج مشايخهم الى السماء:

- فقد قالوا بأن الشيخ بهاء الدين نقشبند له كل يوم عروجٌ فوق

---

١) الملل والنحل للشهرستاني ٣:٢٥.
٢) النبوات ٢٤٤.

عرش الرحمن، حتى قال « واعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي» [1].

○ وكذلك عثمان السالم أبادي يعرج كل يوم الى السماء ويغير ما في اللوح المحفوظ بلا معارضة [2].

○ وأن الشمس توقفت لهم.

○ وأن الملائكة شقت قلب الرفاعي وأخرجت منه شيئاً مظلماً مثلما فعلوا للنبي ﷺ [3].

○ وأنالرفاعي أمسك عظام طير ثم نفخ فيها وقال كوني حية بإذن الله [4] وغير هذا كثير لا يحصى.

الحبشي وعصمة الولي

ومن مبالغات الحبشي في الأولياء قوله بعصمة الولي وأن الأنبياء والأولياء خارجون من هذه الآية ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ وأن الآية تتحدث عن عامة الناس لأن الأنبياء والأولياء لا دخل لهم في هذه الآية[5].

ومن أراد الوقوف على المزيد من مبالغات الصوفية التي ترفع بالأنبياء والأولياء فوق الألوهية فليطلع على كتاب جامع كرامات الأولياء وكتاب قلادة الجواهر وطبقات الشعراني ثم ليتأمل كيف أن هذا المفهوم الخاطىء (ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي) أجبر الناس على اعتقاد ما في هذه الكتب وإلا اتُهموا بأنهم ينكرون الكرامة.

❊ فكرامات الصالحين هي من آيات الانبياء. ولكن ليست من آياتهم الكبرى• فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات احد منهم قط الى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب الى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم.

---

1) المواهب السرمدية في مواهب السادة النقشبندية ١٨٤ الأنوار القدسية٢٣١.

2) قلادة الجواهر١٩٣و ١٩٩.

3) قلادة الجواهر١٤١.

4) قلادة الجواهر ٧٣ وإرشاد المسلمين ١٢٤ وانظر جامع كرامات الأولياء ٢:١٥١.

5) شريط رقم ٢ الوجه الثاني.

٥ - لماذا تكون الكرامة للولي ؟

إن الخطأ في فهم الولي وفهم الكرامة أديا الى انحراف عظيم، وفتح باباً لخدع وحيل الشياطين التي صارت تظهر رجال التصوف بمظهر رجال الغيب والخضر وغير ذلك، وأخذت عندهم قبولا وسروراً ظنوها كرامات وكشوفات، ولم تكن في الحقيقة سوى مخادعات. ثم لم يعد هناك ضابط للكرامة، ومعرفة لسببها. وغاب عنهم أن الكرامة إنما تكون لنصرة الدين واقامة السنة وتأييد ما جاء به النبي. فهي من دلائل النبوة ومن جملة آيات الأنبياء ولذلك كان الولي يتحدى بكرامته ولا يكتمها. مثال ذلك:

* ما حدث للأسود العنسي الذي قال لأبي مسلم الخولاني : أتشهد أني رسول الله ؟ فقال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال: نعم. فألقاه في النار فصارت عليه بردا وسلاما[١].

* ومثل المؤمن الذي يقتله الدجال ثم يحييه فيقوم ثم يقول: أنت الأعور الكذاب الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ والله ما ازددت فيك الا بصيرة، فيريد الدجال أن يقتله فلا يقدر على ذلك. فهذا الرجل يقوم بعد أن يقتله الدجال ويقول للدجال: أنت الأعور الكذاب، فيعجزه عن قتله ثانيا وهذا من خوارق العادات التي لا توجد الا لمن شهد للأنبياء بالرسالة، وهذا الرجل من خيار أهل الأرض من المسلمين. وقصة خالد بن الوليد حين شرب السم ولم يضره. وقصة عمر حين نادى سارية.

- فهذه كرامات حصلت لتأييد الدين وليست تابعة لهوى مدعي الولاية الذين يأتون بعجائب الحكايات كالولي الذي يشتهي اليوم طعاماً فيتنزل عليه رجال الغيب بما يشتهي، أو ذاك الولي الذي يدخل البيت من شقوق الباب الذي تعجز النملة عن دخوله. وانما للكرامة غاية سامية شريفة يحصل بها تأييد ما جاء به النبي ﷺ.

ثم صار منها ما يحكي خروج الميت، فيخرج من قبره ليقضي الحوائج ويتصرف في الكون ويربي المريدين وهو في قبره، حتى قال الشعراني [٢] « إن من شرط صحة بداية المريد في دخوله الطريق أن يمشي على الماء والهواء وتطوى له الأرض ومن لم يقع له ذلك فليس له في مقام الارادة قدم».

---

١) أنظر البداية والنهاية ٦:٢٦٧-٢٦٩.

٢) لطائف المنن ٥٧٨.

وذكر البيجوري [1] على شرح جوهرة التوحيد أن «من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق» .

ومن هنا تغلغل الدجالون بين جهال الأتباع وادعوا الولاية والصدق وأظهروا لهم من المخاريق والحيل ما توهموا أنه كرامة.

ولهذا كان السلف يعلمون هذه الخديعة الشيطانية ويحذرون منها . ففي صحيح مسلم أن ابن مسعود قال « ان الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم: سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث» [2] .

إن التوفيق لاتباع السنة واجتناب البدعة والمداومة على العبادة مع الإخلاص فيها هو من أعظم الكرامات. ولهذا روي عن الشاذلي أنه قال « ما ثم كرامة أعظم من كرامة الايمان ومتابعة السنة، فمن أُعطِيَهَا وجعل يشتاق الى غيرها فهو مغترّ كذاب» [3]

وعن الشافعي وغيره أنهم قالوا « لو نظرتم الى رجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للسنة وحفظه للحدود وأداءه للشريعة». فهذا هو القانون الذي يميز به بين الكرامة وبين الخديعة الشيطانية.

وقيل لأحد الصالحين « إن فلاناً يمشي على الماء. قال: عندي أن من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء» [4] .

٦ - خوارق الساحر عند الأشاعرة

وعند الأشاعرة أن الساحر أو الكاهن إذا أتى الخوارق يدعي بها النبوة فإن الله يمنعه منها، أما اذا لم يدّع النبوة فخوارقه مثل معجزات النبي اللهم الا ما منع منه دليل سمعي كامتناع أن يقلب الساحر العصا حية حقيقة [5] ثم قالوا « لو أدعى الساحر والكاهن النبوة لكان الله ينسيه الكهانة والسحر ولكان له من يعارضه لأن السحر والكهانة معجزة عندهم» [6].

---

١) جوهرة التوحيد ١٥٣.

٢) أخرجه مسلم رقم ٧ باب النهي عن الرواية عن الضعفاء .

٣) نور التحقيق من أعمال الطريق ١٣٣ طبقات الشعراني٢:٧.

٤) سير أعلام النبلاء ٢٣١/١٥.

٥) النبوات ١٩٤.

٦) النبوات ١٩٧.

وهذا الكلام لا رصيد له في الواقع، بل الواقع خلافه:

- فلماذا لم يمنع الأسود العنسي وبابا الرومي ومسيلمة ومكحول الحلبي - والحارث الدمشقي من مخاريقهم التي لبّسوا بها على الجهال[1]

- وكيف يمضي الدجال غدا بمخاريقه التي تجعل الناس يلتفون حوله ويتبعونه؟.

- ثم هب أن واحدا ادعى النبوة وأتى بالمخاريق، فهل نؤمن بنبوته ؟

ذكر ابن تيمية أنه « لو ادعى رجل النبوة وأتى بالخوارق فإنه يصير نبياً عندهم. لكن هذا الكذب لا يمكن أن يحصل، بل يمكنه ادعاء الالوهية ولكنه لايقدر على ادعاء النبوة مع الاتيان بالخوارق [2].

٧ - الخلو عن المعارضة

وأما القسم الثاني من التعريف الثالث وهو « الخلو عن المعارضة» وأن جميع خوارق السحرة والكهان يجوز أن تكون معجزة لنبي لكن اذا كانت المعجزة له لم يمكن معارضتها[3] واذا دعاها كاذب قيض الله له من يعارضه.

هذا كله معارض بادعاء مسيلمة والعنسي وغيرهما للنبوة، فانه لم يكن من معارض لهم ثم متى يتم تقييض المعارض؟ فقد يطول ظهور المدعي قبل مجيء المعارض كما كان الأمر في مسيلمة والعنسي وسجاح وكما سيكون للدجال، فهل نعتبر من آمنوا بهم واتبعوهم قبل ظهور المعارض معذورين في هذا الاتباع ؟

فاعتقادهم هذا مفض إلى مخاطر جسيمة لا سيما إذا ابتلاهم الله بظهور الدجال الذي يدعي النبوة أولا ثم الالوهية ثانيا مع أنها ستكون مقرونة حينئذ بالخوارق وتخلو من المعارضة ولو إلى فترة مؤقتة قد يموت خلالها من اتبعه قبل مجيء المعارضة.

والله يبتلي به من علم منه الاعراض عن الله واليوم الآخر واتباع الهوى، فإنه لا عاصم له من أسباب الفتنة التي يسلطها الله على من يشاء من عباده، وأما من عصمه الله من الفتن فالله يعلم منه ما لا نعلم. قال تعالى **﴿فإنكم وما تعبدون: ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم﴾**.

وقد يأتي صاحب المعجزة الكاذب بخوارق لا يقدر من حوله على

---

١) راجع النبوات ١٠٦.

٢) النبوات ١٠٤.

٣) النبوات ١٩٥.

معارضتها. ربما كانت معتادة وغير خارقة في مكان آخر أو زمان آخر، وهذا عندهم لا يعتبر معارضة.

« فان المعتبَرَ عندهم خرق عادة من أرسل اليهم، وعلى هذا فاذا أرسل [رسول] الى بني اسرائيل ففعل ما لم يقدروا عليه كان آية، وإن كان ذلك مما يقدر عليه العرب ويقدر عليه السحرة والكهان، وصرحوا بأن السحر الذي قال الله فيه **﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر﴾** أنه يجوز أن يكون من معجزات الانبياء اذا لم يعارض» [(١)].

ولهذا كان في كلامهم تعطيل للنبوة وازراء بمعجزاتها، فان في ذلك التسوية الكاملة بينها وبين ما يأتيه الساحر والكاهن، اللهم الا اشتراط شرطين لا وزن لهما. وهذا ما دعا ابن تيمية الى القول بأن « ما يأتي به السحرة والكهان يمتنع أن يكون آية لنبي بل هو آية على الكفر فكيف يكون آية للنبوة وهو مقدور للشياطين ؟

ثم عقب على أقوالهم هذه فقال « وفي هذه الأقوال من الفساد عقلا وشرعا ومن المناقضة لدين الاسلام وللحق ما يطول وصفه».

قال: « ولا ريب أن قول من أنكر وجود هذه الخوارق أقل فسادا من هذا، ولهذا يشنع عليهم ابن حزم بالشناعات العظيمة [(٢)].

هذا ويقضي أكابر فضلائهم مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر فلا يجدون.

قال ابن تيمية « ولهذا كان منتهى كلامهم في هذا الباب الى التعطيل، وهذا ما جعل الغزالي وغيره يعدلون عن طريقة الأشاعرة في الاستدلال بالمعجزات على أصولهم، لأنها لا تدل على نبوة نبي [(٣)].

* قال « وآيات الأنبياء لا يقدر عليها جن ولا انس [(٤)] فهي خارجة عن قدرة الجن والانس ولله الحمد والمنة.

* ومقدورات الجن هي من جنس مقدورات الانس لكن يختلف في المواضع، فان الانسي يقدر على أن يضرب غيره حتى يمرض أو يموت، بل يقدر أن يكلمه بكلام يمرض به أو يموت، فما يقدر عليه الساحر من سحر بعض الناس حتى يمرض أو يموت هو من مقدور الجن، وهو جنس مقدور الانس» [(٥)].

* وما يأتي به السحرة والكهان من العجائب فذلك جنس معتاد

---

١) النبوات ١٩٧.

٢) النبوات ١٩٧ـ١٩٨.

٣) النبوات ١٩٨.

٤) النبوات ١٩٨.

٥) النبوات ٢٥٨.

لغير الأنبياء وأتباعهم.. فهو خارق لغير أهله»[1].

ومن ثم يقرر بأنه «ما من ساحر أو كاهن أو متنبيء أتى بخوارق الا كان مقدورا على الإتيان بمثلها في مكان أو زمان آخر من العالم، فهذا ليس بخارق للعادة، وانما الخارق الحقيقي هو الذي قال الله فيه ﴿**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾[2]. [3].

قلت ولذلك كان المكذبون لرسلهم ينسبونهم الى السحر والكهانة فان تعلمه معتاد، وهو مهارة وحذلقة واستعانة بالجن وكذلك الكهانة، ومن يختارها يحصل عليها بخلاف النبوة فانها اختيار الله واصطفاؤه ومعجزاتها خارقة للسحر والكهانة، ولو كان السحر خارقا حقيقة لما نسبوهم اليه فإن الساحر لا يخرق عادة ساحر مثله، بل الثاني خبير بسحر الأول فضلا عن أن يخرق بعادته معجزات الأنبياء.

قد يقول قائل: فهل معنى ذلك أن نقرر أنه لا يجوز استعمال هذا المصطلح «خوارق العادة» الا على الأنبياء وأتباعهم؟

يجيب ابن تيمية على هذا السؤال قائلا «فالذين سموا هذه الآيات خوارق للعادات وعجائب ومعجزات: اذا جعلوا ذلك شرطا فيها وصفة لازمة لها بحيث لا تكون الآيات الا كذلك فهذا صحيح.

وأما اذا جعلوا ذلك حدا لها وضابطا: فلا بد أن يقيدوا كلامهم مثل أن يقولوا [خوارق العادات التي تختص الأنبياء] ويقولوا [خوارق عادات الناس كلهم غير الأنبياء] فان آياتهم لابد أن تخرق عادة كل أمة من الأمم»[4].

ثم يخلص الى أن هذا اللفظ محدث ولم يستعمل في كتاب ولا في السنة «ولهذا لم يكن في كلام الله ورسوله وسلف الأمة وأئمتها وصف آيات الأنبياء بمجرد كونها خارقة للعادة، ولا يجوز أن يجعل مجرد خرق العادة هو الدليل، فان هذا لا ضابط له وهو مشترك بين الأنبياء وغيرهم»[5].

---

1) النبوات ١٠٧.
2) الاسراء ٨٨.
3) النبوات ٢١٦.
4) النبوات ٢١٣.
5) النبوات ١٤.

هل ينتفع الميت بعمل الحي

يجدر التنبيه أولا الى أن هذه المسألة حجة على الذين يطلبون المدد من أصحاب القبور. فإنهم اذا كانوا يؤيدون مذهب من قال بانتفاع الميت بدعاء الحي وأن قراءة القرآن يصل ثوابها اليه: فلماذا يحثون الأحياء على طلب الانتفاع من الأموات ودعائهم. فليتركوا طلب الدعاء من الأموات وليبادروا بالدعاء لهم لا من دعائهم.

هديه ﷺ في زيارة القبور

وفي سنن أبي داود أنه ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت ، وقف عليه فقال « استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل». وكان اذا ﷺ دفن ميتا قال « بسم الله وعلى ملة رسول الله».

ولم يكن يقرأ ولا يأمر بقراءة يس ولا الفاتحة. فلماذا لم يصح عنده أنه قرأ الفاتحة عند القبور. إذن فالقراءة على الأموات ليست على ملة رسول الله.

وعن عائشة رضي الله عنها أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال « إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت: كيف أقول يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون». وفي رواية « كان رسول الله ﷺ يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا...» (مسلم رقم ٩٧٤ و٩٧٥ والنسائي ٩١/٤ والموطأ ٢٤٢/١).

وكان اذا دفن ميتا قال لأصحابه « إستغفروا لأخيكم» (مسلم ٩٥١) وفي رواية « استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يُسأل» (رواه أبو أبو داود ٣٢٢١ وسنده صحيح).

فانظر كيف سأل الرسولُ ﷺ جبريل عما يقوله، ولم يتبادر اليه قراءة القرآن، ثم سألته عائشة عما تقول عند الاستغفار للميت.

وأمره الله أن يستغفر لهم وكان يعلم أصحابه كيفية الدعاء لهم. ولم يثبت أنه علمهم قراءة سورة الفاتحة. ولا أن يلقنهم التلقين المتعارف عليه اليوم: هذه الحرفة الباطلة التي يقتات بها الملقنون الذين اتخذوا من القرآن مطية مادية من غير أن يبالوا ماذا حل بالمسلمين من التشاؤم عند سماع القرآن لأنه صار نعيا للأموات في الحقيقة.

والآن ننظر: هل فعل ذلك رسول الله ﷺ شيئا مما يفعله الناس اليوم ؟

كلا انه لم يفعل مع كثرة ما دفن. ما ثبت البتة أنه قرأ بل كانت سنته على العكس. فلماذا لا يتفق المخالف معنا على أن نترك ما تركه رسول الله ﷺ ونفعل ما فعله. أليست السنة تنقسم الى سنة فعلية وسنة تركية؟

كيف يترك النبي ما ينفع الأمة ؟

وأما قول « قراءة القرآن على القبور رحمة بالميت تركه النبي وتركه الصحابة

.

وكيف يقال ترك الرسول شيئاً نافعاً لأمته يعود عليها بالرحمة، فيتركه الرسول ﷺ طول حياته ولا يقرؤه على ميت مرة واحدة ..؟ ألم يقل « ما من شيء يقربكم من الجنة الا وقد أمرتكم به. وما من شيء يقربكم من النار الا وحذرتكم منه».

اذا كانت القراءة أمرا نافعا للميت أليس من باب أولى أن يفعلها نبينا الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم؟ وهو أرحم بأمته من جميع أبناء أمته؟ والله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ فلنتأس به في العمل ، كما نتأسى به في الترك .

ولماذا نختلف من بعد ما جاءنا العلم بغيا بيننا؟
ولماذا وقع الخلاف في القراءة على الميت ولم يقع في الدعاء للميت؟ أليس لوجود الدليل الصحيح الصريح في الثاني وانعدامه في الأول؟
إن القرآن ما نزل للأموات وإنما نزل للأحياء لهداية الطريق وشفاء الصدور وتبشيراً للطائع وإنذاراً للعاصي ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ .
أما ما يروى عن ابن عمر أنه أوصى بقراءة الفاتحة وخواتيم البقرة على قبره فهو أثر شاذ لم يصح سنده ولم يوافقه عليه أحد من الصحابة.

فيما ينفع الإنسان بعد موته.

نعم ينتفع الميت بكل ما قرره الشارع في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .
ففي الصحيح أنه ﷺ قال « إذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».
ويستمع الميت بما جاء في الحديث « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، وولدا صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته».
وينتفع الميت بعد موته بسنة حسنة عُمل بها من بعده كما عند مسلم أنه ﷺ قال « من سن في الإسلام سنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده غير أن ينقص من أجورهم شيء».
وينتفع الميت بالصدقة عنه كما روى البخاري أن رجلاً قال للرسول ﷺ " إن أمي توفيت أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال : نعم. وأخرج مسلم أن رجلاً

قال للنبي ﷺ « إن أبي ترك مالاً ولم يوص فهل يكفي أن أتصدق عنه؟ قال : نعم» لاحظ أن نصوص الحديث لولد الميت وبنت الميتة

وينتفع الميت بدعاء المسلمين واستغفارهم له نعوله تعالى ﴿ والدين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ وفي السنن مرفوعاً « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء».

وهذه الأحاديث مبينة لتفاصيل أصول ما يتبع الميت في الحديث الأول.
ويبقى بعد هذا أن نسأل « اذا كان الكل جائزا ولا فرق أبدا. فما فائدة تعداد النبي ﷺ لما ينفع الانسان بعد موته؟! وما فائدة الشهادة للمبشرين العشرة بالجنة دون سواهم إن كان يجوز الشهادة بالجنة للجميع؟
وقد ذكر الحافظ ابن حجر بأن « ثواب الدعاء والصدقة تصل الى الميت وأما ثواب الصلاة عليه فلا» (الأجوبة المهمة ٣٦).
لذا كان القول الذي ندين الله به أن ما ورد الشرع بإباحته من حج وصدقة ووفاء مطلق نذر أو سداد دين فانه مباح لورود الخبر الصحيح به. وما لم يرد فنقول لو شاء الله لقيد من يسأل النبي ﷺ عن الصلاة وقراءة القرآن.
وأعجب لمن قال « ولو سئل النبي ﷺ عن غيرها كالصلاة ... لأجاب بنعم». فإن الأسئلة التي كانت توجه الى النبي ﷺ انما كانت بقدر من الله لتعليم الأمة. ولو كان هذا مما يحقق مصلحة للمسلمين ويقربهم الى الله لسخر الله من يسأل عنه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء .

هل قراءة الفاتحة على الميت محرمة

كيف يقال إن النبي ﷺ منع من قراءة الفاتحة على الميت؟ فإن قراءة الفاتحة أول ما نتلوه في صلاة الجنازة، ولكنه لم يشرع لنا قراءتها في غير صلاة الجنازة. ومن قال بخلاف ذلك فعليه بالدليل.

بل ثبت جواز قراءتها على المريض كما فعل الصحابة في لديغ الأفعى فقرأوا عليه الفاتحة فكأنما نشط من عقال، وأقرهم عليه رسول الله ﷺ.

ولم يثبت قراءتها عن أرواح الأموات حتى صارت فاتحة المناسبات. فالفاتحة عن روح الميت الفلاني والفاتحة على نية تحقق النكاح والفاتحة عند زيارة المقابر!

أقوال المفسرين

تفسير الإما م إبن كثير

قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ « ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء . وهذا يبطل قول الأحباش إن الشافعي كان يجيز القراءة على الأموات (منار الهدى ٤٣/٥٠).

وهناك خلط كبير في نقل الروايات عن أئمة المذاهب فتارة يروون أنهم أقروا ذلك وتارة أنهم منعوه واذا وقع هذا اللبس لا يعود في الأمر حجة لا سيما عند من يزعمون أنه لا يؤخذ في مسائل الاعتقاد الا بالروايات المتواترة الصحيحة السند. فتارة يروي المرتضى الزبيدي أن الشافعي أقره بل وفعله، وتارة ينقض ما قاله في الصفحة التالية فيؤكد أن المشهور من مذهب الشافعي وجماعة من الحنفية المنع من قراءة القرآن على الميت (اتحاف السادة المتقين ١٠/٣٦٩ و٣٧٢).

كما نقل عن السيوطي أن الشافعي خالف جمهور السلف والائمة الثلاثة على الوصول. وعن العز بن عبد السلام أنه لا يصل الى الميت ثواب ما يقرأ الحي. غير أنه رؤي في المنام وأخبر بأنه غير رأيه. ولا يخفاك أنه لا يتم النسخ بالنوم[1] .

---

[1] - اتحاق السادة المتقين ١٠/٣٧٢.

فقد نص العز بن عبد السلام في فتاويه (ص ٩٦ - ٩٧) على أنه لم يصح في تلقين الميت شيء وهو بدعة. وأنه لا يصل الى الميت شيء من الأعمال وان من خالف في هذا فهو مخالف لنص القرآن ﴿وأن ليس للانسان الا ما سعى﴾.
وحمل حيث « لقنوا موتاكم لا اله الا الله» على من دنا موته ويئس من حياته.
ثم قال ما يصلح أن يكون ردا على من زعم أنه رأى في المنام أن العز غير فتواه. فقد قال العز في نفس الفقرة « والعجب أن من الناس من يثبت ذلك بالمنامات، وليست المنامات من الحجج الشرعية التي تثبت بها الأحكام».
ولا يمكن التحقق من أسانيد ما يروى عن الشافعي واثبات تواترها فحينئذ يرد الأمر الى الله والرسول.

وأما الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة قال « قال رسول الله ﷺ : إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به» فهذه الثلاثة في الحقيقة من سعيه وكّده وعمله كما جاء في الحديث « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه». والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾.

وأما حديث قراءة سورة يس على الموتى فغير صحيح وأنه لم يصح في هذا الباب حديث قط كما قال بذلك المحدث الدارقطني. وقد جعل له الحافظ ثلاث علل كما في التلخيص.
وأن ما اشتهر من قراءة الفاتحة للموتى لم يرد فيه حديث صحيح ولا ضعيف فهو من البدع التي اشتهر أمرها وصارت بعدم إنكارها وكأنها من السنن حتى صار المخالف فيها مخالفا للسنة واقعا في البدعة.

قال النووي « وفي هذا الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصل ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء ، وكذا أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع، ويصح الحج عن الميت والصوم للأحاديث الصحيحة فيه، والمشهور من مذهبنا أن قراءة القرآن لايصله ثوابها .

قال رسول الله ﷺ « إقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً» وأيضاً « صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً».

فلو كان القرآن يتلى لنفع الأموات لما قال النبي ﷺ « إقرؤوا وصلوا في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً» (رواه البيهقي).

وإنما قال هذا لأن القبور ليست محلاً لقراءة القرآن ولا للصلاة ، ولهذا لم يرد حديث واحد بسند صحيح أنه ﷺ قرأ القرآن ولا شيئاً منه مرة واحدة في حياته مع كثرة زيارته للقبور وتعليمه للناس كيفية زيارتها.

مذهب أبي حنيفة

وجاء في شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص ١١٠) « ثم القراءة عند القبور مكروهة عند أبي حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله لأنه محدث لم ترد به السنة» وكذلك قال مثله شارح الإحياء (٣/٢٨٠) وقال الفيروزأبادي « قراءة القرآن بدعة مذمومة» (المجموع ١٠: ٤٢٧).

التلقين : أكل لأموال الناس بالباطل

لقد صار القرآن علامة على الحزن والمصيبة، صار علامة على الموت، صار قراء القرآن مصدر نفور الناس كنفورهم من حفار القبور.

قال رسول الله ﷺ « اقرأوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به»[٢].

وقال فيما رواه عمران بن حصين عنه « اقرأوا القرآن واسألوا الله به، فان من بعدكم قوما يقرؤون القرآن يسألون به الناس».

قال المقدسي في المغني « فأما التلقين فلم أجد فيه شيئا عن أحمد. ولا أعلم فيه للأئمة قولا سوى ما رواه الأثرم: قال: قلت لأبي عبدالله (يعني احمد بن حنبل) فماذا يصنعون اذا دفن الميت: يقف الرجل ويقول: يا فلان يا ابن فلان: أذكر الذي فارقت به الدنيا...» قال العراقي في الاحياء (٤/٤٩٢) « رواه الطبراني باسناد ضعيف».

وقال النووي في المجموع (٥/٣٠٤) « إسناده ضعيف». وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢/٣٢٤ رواه الطبراني في الكبير وفيه من لم أعرفه جماعة».

وأحاديث أهل البدع لا تخلوا من اشكالات وتخبط في أسانيدها المضطربة.

قال أحمد « ما رأيت أحدا فعل هذا إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة» وكان أبو المغيرة يروي لهم حديثا وهو « اذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقف أحدكم عند رأسه ثم ليقل يا فلان ابن فلانة» (المغني ٢/ ٥٠٦ الانصاف للمرداوي ٢/٥٤٨-٥٤٩) قال المرداوي في الانصاف « والنفس تميل الى عدمه».

وفي أصح الروايتين عن أحمد أنه قال « قراءة القرآن عند القبر بدعة» (المغني ٢/٥٦٦) وأما الرواية الأخرى المنسوبة للخلال وفيها أنه رأى أحمد يصلي

---

[٢] – رواه أبو يعلى والطبراني وقال ابن حجر في الفتح " اسناده قوي" .

خلف ضرير يقرأ على القبور ففي سندها عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج سقط اسمه من المغني (٥/٥٦٧) ولست أدري هل كان اسقاطه متعمدا عند الطبع أم لا؟

وأما زعمهم أن أحمد تراجع وكان آخر قوليه الفتوى بجواز القراءة على الأموات فنسألهم: هل التراجع عن الموقف الأول الى الثاني يلزم منه دائما أن يكون الثاني هو الحق والأول هو الخطأ؟

أن هذا استنتاج منكم لا يسلم لكم لأن النووي وابن حجر وغيرهم من أهل العلم حكوا عن أحمد عدم القراءة. وقول أحمد يخالف قول الشافعي فاذا اختلفوا رجعنا فيما اختلفوا فيه الى الكتاب والسنة.

مذهب الشافعي

قال النووي « وأما قراءة القرآن وجعل ثوابها للميت والصلاة عنه ونحوها فذهب الشافعي والجمهور أنها لا تلحق الميت، ودليل الشافعي ﴿وأن ليس للانسان الا ما سعى﴾ قال « وفي شرح المنهاج لابن النحوي: لا يصل إلى الميت عندنا ثواب القراءة على المشهور» (شرح مسلم ١/٩٠و٧/٩٠و١١/٨٥).

قال « وسئل العز بن عبد السلام عن ثواب القراءة المهدى للميت هل يصل أو لا ؟ فأجاب بقوله: ثواب القراءة مقصورة على القارىء ولا يصل إلى غيره. قال: والعجب من الناس من يثبت ذلك بالمنامات واليست المنامات من الحجج» (المجموع ١٠/٤٢٦).

وأما رواية الزعفراني التي يحتج بها الأحباش مجلتهم (مجلة منار الهدى ٤٣: ٥٠) ونصها « سألت الشافعي رضي الله عنه عن القراءة عند القبر فقال: لا بأس به» فقد قال الحافظ ابن حجر «وهذا نص غريب عن الشافعي» (الأجوبة المهمة ص ٢٣ ط: تحقيق مأمون محمد أحمد وأصل المخطوط في دار الكتب المصرية رقم ١٥٥٩).

مذهب المالكية

قال الشيخ ابن أبي حمزة « إن القراءة عند المقابر بدعة وليست بسنة» .كذا في المدخل . وقال الشيخ الدردير في (كتاب الشرح الصغير ١/١٨٠) « وكره قراءة شيء من القرآن عند الموت وبعده على القبور لأنه ليس من عمل السلف وإنما كان من شأنهم الدعاء بالمغفرة والرحمة والاتعاظ» وكذلك في حاشية العلامة العدوي على شرح أبي الحسن نقلا عن المجموع شرح المهذب. وأما حديث « إقرؤوا على موتاكم يس» فهو حديث معلول مضطرب الإسناد مجهول السند» (١٠/٤٢٧).

وأما وضع النبي ﷺ غصنين رطبين فهو خاص به ويدل على أن ذلك قوله ﷺ «... فأحببت بشفاعتي أن يرد عنهما ما دام الغصنان رطبين».

فلا بد من اعتبار لفظ الشفاعة الوارد في النص.

قال النووي « وقد أنكر الخطابي ما يفعله الناس على القبور من الأخواص ونحوها متعلقين بهذا الحديث. وقال: لا أصل له ولا وجه له» (مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ٢٩٢). وحق للخطابي أن يستنكر ذلك. والنبي ﷺ لم يفعل ذلك في بقية القبور، ولو كان مشروعا لفعله في كل القبور.

ولم يفهم الصحابة ما فهمه الناس فلم يفعلوا ذلك الا ما روي عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ولم يعرف ذلك عن أحد من الصحابة وقد كان الدفن شيء متكرر عندهم كل يوم.

وليس الرطبان يسبحان الله فقط بل ما من شيء الا يسبح بحمده فالحجارة التي هو تحت أنقادها تسبح الله فما وجه تخصيص أغصان الرطب إن لم تقترن به الشفاعة ؟

خاتمة البحث

تصور لو أننا دعَوْنا نصرانياً الى الاسلام، وعرضنا عليه تفاصيل عقيدتنا على النحو الآتي:

- يجوز دعاء أصحاب القبور والأموات فإنهم يخرجون من قبورهم ليقضوا حوائج العباد، وهم متصرفون في قبورهم، واحذر من طلب الوساطة من القديسين لأنها حرام ولكنها حلال من الجيلاني والرفاعي.

وقولك: يا مسيح يا مريم شرك وبدعة. وليس عليك الا أن تغير الاسم: فقل يا محمد يا جيلاني. وإياك أن تقول يا مريم يا مسيح.

- يجوز الاستعاذة بغير الله فتقول: أعوذ برسول الله من الشيطان الرجيم.
- يجوز أخذ تراب قبور الأولياء والتمسح بجدرانهم لحصول الشفاء فإنها دواء وترياق مجرب. ولكن التعلق بأديرة القديسين وأضرحتهم ضلال وشرك. لكن تعلقنا بجدران قبور الأولياء هدى وتوحيد.
- يجوز الابتداع في الدين وكل من لا يرى البدعة في الدين فهو مبتدع. صحيح أن رسول الله ﷺ قال «كل بدعة ضلالة» لكن شيخنا علمنا أنه ليس كل بدعة ضلالة.
- يجوز أن تحتفل بالمولد النبوي ولكن إياك أن تحتفل بميلاد عيسى. فإن الميلاد حرام ولكن المولد حلال.
- يجب عليك اذا دخلت الاسلام أن تكون مقلدا فتجعل الآخرين يفكرون نيابة عنك. وأن تسمي نفسك شافعيا أو حنفيا أو مالكيا. فإن كنت أعجميا فيناسبك أن تكون حنفيا وإن كنت مغربيا فكن مالكيا. وإن كنت شاميا أو مصريا فكن شافعيا. وربما أجرينا لك قرعة لتسهيل اختيار المذهب الذي تقلده.
- وإن أسلَمْتَ فيجب أن تكون إما ماتريدياً أو أشعرياً لتكون من أهل السنة وإلا فخروجك عن هذين المذهبيْن خروج عن السنة الى البدعة، وكان الحبشي على التحقيق منك بريء!!
- وإن أسلَمْتَ فيجوز أن تختار لنفسك سبيلا من السبُل فتكون تيجانياً أو رفاعياً أو قادرياً أو نقشبندياً أو شاذلياً أو بكداشياً أو مولوياً أو دسوقياً فتميل بخصرك وتلوي رأسك يميناً وشمالاً، وتذكر ربك بحلقات الرقص والدفوف والطبول والتواشيح الدينية. ولا تظن أننا نقلد اليهود الذين يميلون الى الأمام والوراء نحن نخالفهم فنميل يمنة ويسرة وهم يميلون قدام ووراء.!
- ولا تنس أن تطفيء الأنوار أثناء حلقات الذكر لأن الشياطين تتأذى من الضوء!!

- وإذا اتخذت لك طريقا فاتخذ شيخا تضع صورته في مخليتك عند ذكر الله، وبدونه لا يمكنك الوصول الى الله لأن الشيخ هو « الحق والطريق والحياة لا يمكنك الذهاب الى الله إلا بواسطته»! صحيح أن هذه العبارة عندكم في الانجيل لكنها متعلقة بالمسيح وليس بالشيخ!
- ويجوز أن تعتقد أن الكعبة تتجول في بلاد المسلمين وتذهب لزيارة الأولياء في الله!
- يجوز لك أن تعتقد أنه لولا محمد ﷺ ما خلق الله الأكوان وأن تحتفل بعيد مولده وتترك الاحتفال بعيد ميلاد المسيح لأن هذا من عادات النصارى. وتشارك هؤلاء في التغني بحبه وقص أقاصيص ما جرى في مولده من الخيالات والإضافات. وتحتفل بيوم إسرائه ومعراجه وما زيد فيه من الحكايات والخيالات مع اعترافنا لك بأن هذه الزيادات لم تثبت سنداً، إلا أنها ترقق القلوب. وإياك أن تصير متشددا كهؤلاء الذين يقولون: لا تبتدعوا ولا تزيدوا على ما شرع الله.
- هذا القرآن الذي بين أيدينا ليس كلام الله لأن الله لا يتكلم اللغة فهو منزه عن اللغات! بل هو كلام جبريل الذي علم ما في نفس الله وصاغه بألفاظ من عنده. صحيح أن عيسى قال له ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**﴾ ولكن جبريل قال « تعلم ما في نفسي وأعلم ما في نفسك».
- أنه لا يجوز أن تأخذ بعض الآيات على ظاهرها لأن ظاهرها يفيد الكفر كآية ﴿**وجاء ربك**﴾ ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ فتعود الى ملتك النصرانية. فلا تقل يجيء كما قال ولا تقل هو في السماء، وإياك أن ترفع يديك إلى السماء اعتقاداً منك أنك ترفعهما الى ربك لأن هذا كفرٌ. فتكون بذلك شراً مما كنتَ عليه حين كنتَ نصرانياً. واذا أردت أن يرضى الله عنك فقل: استولى الله على العرش فصار حينئذ في ملكه!
- وإياك اذا أسلمت أن تعتقد أن الله في السماء فتعود الى الكفر وإن أتيت بالشهادتين، لأن الايمان أن تعتقد أنه عدم لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا فوق ولا تحت فنحن نختلف عن الشيوعية في أنهم أنكروه ولكننا أضعناه!
- أن تعتقد أن نستخرج لصفات الله بعقولنا معان مستبعدة محتملة نسميها تأويلا، أو نجحد أن يكون معان ونسمي ذلك تفويضا وجهل رسولنا معانيها.
- أن الله على غالب الأشياء قدير، حتى لا يقال إنه قادر على نفسه.
- يكفي لحصول الايمان اعتقاد القلب. وترك العمل كله غير مبطل للإيمان. وهذا ليس إسلاماً مع وقف التنفيذ!

- وإياك أن تعتقد أن الحكم بغير ما أنزل كفرا. بل هو كفر بالنسبة لليهود أما بالنسبة لنا فليس كذلك.
- أن أحاديث الآحاد المروية بسند صحيح كالتي في صحيح البخاري ومسلم لا يجوز الاحتجاج بها في العقائد لأنها لا تفيد العلم. فهي صحيحة لكننا ننزلها منزلة الضعيف.
- أن معنى مشيئة الله لفعلك أي أنه اختصك بهذا الفعل كما أنه اختص الأسود باللون الأسود واختص الأبيض باللون الأبيض. وأن عليك أن تعلم أن العبد مجبور على الاختيار.
- أن تعتقد أنكَ لما كنت نصرانيا كان الله هو الذي أعانك على الكفر ولولا أنه أعانك على الكفر ما استطعت أن تكفر.
- حرام أن تعتقد أن الله يفعل لحكمة لأن ذلك انتقاص من قدرة الله. ولأن الله لا يفعل لحكمة وإنما لمحض المشيئة. فإن اعتقدك أنه يفعل لحكمه فقد أثبت له التعليل، وبالتالي جعلته محتاجا.
- أنه يجوز أن يعذب الله الأنبياء وسائر الطائعين ويُلقي بهم في جهنم وأنْ يُدخل الكفار والجبارين الجنة، ولا يكون هذا ظلماً منه. لأنّ المالك متصرف فيما يملك.
- أنك تعود نصرانيا اذا اعتقدت أن النار أحرقت البيتَ أو السكين قطعت اللحم، لأنك بذلك تجعل النار والسكين إلهين مَع الله.
- إذا أسلمت فلا بأس أن تحتال على الله الحيل «الشرعية» فاذا قال الله لك: هذا حرام: تحتال عليه لتهرب مما حرم.
- وإذا أسلمت فاخرج بزوجتك متعطرة متزينة مغنية ويجوز لك أن ترى من أخواتك كل شيء الا ما بين السرة والركبة.
- إذا أسلمت فلا تقل: الكرة الأرضية. ولكن قل: الارض. لأنها مسطحة ولا تبالي بالصور الملتقطة لها المنتشرة فإنها احتيال غير شرعي على البشر، وإنما رسموها كروية الشكل ليوقعوك في الكفر. ومن اعتقد بكرويتها يوضع بكرة في جهنم!
- واحرص على بقاء ما بين أسنانك نظيفا خاليا من آثار الطعام حتى تخرج منك أحرف الصفير كالسين والصاد بصفير العصافير.

- أتُراك تقدّم له بذلك: الاسلام الحقيقي كما عرضه رسول الله ﷺ من قبلك الى المشركين واليهود والنصارى! أم أنك تقدمه له مشوّهاً؟ مثلما شوهت قريش ببدعها وشركياتها ملة إبراهيم الحنيفية؟!

- أتُراك بهذه العقيدة الهشة تغريه بالاسلام؟ أم أنك تخاف أن تصرح له بهذه التفاصيل لأن في نفسك شيء منها وتعلم أنها لا تزيده من الاسلام إلا بُعداً، لأنها لا تمثل تعاليم الاسلام في شيء، ولا تتفق مع ما

جاءنا به رسول الله ﷺ بل فيها من صنوف العقائد والسلوك ما يشبه ما عنده في النصرانية!!

فالنصراني يعلم أن كتابه ليس من كلام الله ولا يريد أن يسمع من المسلم أن القرآن من إنشاء محمد أو جبريل.

وأصابه الملل من قول القسيس : يكفيك أن تؤمن بصلب المسيح ونضمن لك الجنة من غير عمل ولو لم تصل ولو لم تعمل وفق الاناجيل.

وأصابه الملل مما يراه من زيارتهم للأديرة ودعوة مريم والقديسين أن يقضوا لهم حوائجهم. وطلب الشفاعة منهم عند الله.

وأصابه الملل من عجائب وغرائب المعجزات التي تُنسب اليهم من تحريك الجبال والتصرف في الأكوان.

وأصابه الملل من البدع التي هي في اطراد كل يوم. ولا يريد أن يسمع من المسلم أن دينه يبيح الابتداع في الدين. وأن من أقسام البدع الخمسة (بدعة فرض).

فإن كنتَ تخشى من تقديم هذا الإسلام المهلهل أمام غير المسلمين خوفاً من تشويهه أمامهم فكيف تقدم هذه العقيدة للمسلمين وتقْدُم على الله يوم القيامة بعقيدة كهذه؟ أتريد صرف المسلمين عن دين الله؟

عقيدة مهترئة

إنه ما من شك في أن ما أصاب العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر من ضروب التخلف إنما هو بسبب سوء فهم المسلمين لقضايا مهمة في الاعتقاد كقضية الإرجاء والقضاء والقدر. ولا أزال أرى ضرورة التفات الدعاة الى المنهج العلمي العقائدي من مصدره الصافي من أجل إزاحة ركام كبير من مخلفات العقائد القديمة البالية التي خلفتها الشروح على الحواشي والحواشي على الشروح والمحشى على الحواشي. وغيرها مما يكثر فيه الاستشهاد بالشراح وأصحاب الحواشي ويقل فيه الاستدلال من الكتاب ومما صح عن النبي ﷺ.

فإذا كانت هذه هي عقيدة الرجل كما سطرها في كتبه:
فليس نهجه سوياً ولا سليماً
وليس دليله قويماً
وليس صراطه مستقيماً
وليست مقالاته سليمة
وبالتالي لا يكون توفيقاً ربانياً
وليس بغية للطالبين
وبهذا تنكشف مقالاته بأنه ليست سنية:
وإنما كانت إظهارا للعقيدة الجهمية.

وصــيـــة الـخـتـــام

أوصيك أيها المسلم باجتناب هذه الفتن، واتباعِ الكتاب والسنة حيث يكونان حجة عليك يوم القيامة ان قدّمْتَ عليهما قولَ شيخٍ أو امام، هما قدوتك وسبيل عصمتك من الضلال والانحراف فاشدد عليهما بيديك.

ولا تلتفت الى ما أحدثه وابتدعه أهل الأهواء. فقد أبى الله أن يقبل من صاحب بدعة توبة. وقد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته فما الداعي الى الابتداع ما دام الدين قد تم؟ ألا يسعنا ما وسع السلف الصالح من قبلنا؟

○ وقد قال رسولنا ﷺ « ماتركت شيئا مما أمركم الله به الا أمرتكم به ، وما تركت شيئا مما نهاكم الله عنه الا وقد نهيتكم عنه» [١].

○ وقال « قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك [٢].

○ وقال «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد [٣].

○ وقال « تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي» [٤].

○ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال « خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا، ثم قال « هذا سبيل الله، وهذه السبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه [٥] ثم تلا ﴿وان **هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون**﴾[الانعام١٥٣].

---

١) رجاله ثقات غير أنه مرسل وله شواهد كما عند الحاكم ٤/٢ وصحيح ابن حبان (١٠٨٤) وفي الحلية لأبي نعيم ٢٦/١٠ وشرح السنة للبغوي ٣٠٥/١٤ وأحمد ١٥٣/٥و١٦٢ والطبراني في المعجم (١٦٤٧) والبزار (١٤٧) وابن خزيمة (١٠٠).

٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣) والحاكم ١/ ٩٦ وأحمد ١٢٦/٤واسناده صحيح.

٣) أخرجه مسلم (١٧١٨).

٤) أخرجه مالك في الموطأ كتاب القدر ويشهد له حديث ابن عباس كما عند الحاكم ٩٣/١ بسند حسن فيتقوى به .

٥) اسناده حسن بمجموع طرقه ورواه الحاكم ٣١٨/٢ وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

تلك وصية الله عز وجل: أن نجتنب السبل التي تفرق بنا عن سبيله وتبعدنا عنه، وليس أضر على دين العبد وأشد ايقاعاً له في تلك السُبل من الابتداع في الدين وتقليد مدعي المشيخة والامامة من دون عرض أقوالهم على الكتاب والسنة.

وأما وصية رسوله ﷺ فقد نقلها الينا العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه حيث قال « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد. وانه من يعِش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عَضّوا عليها بالنواجذ [1] واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة [2].

قال تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.

وقال تعالى ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾.

- قال القاضي عياض رحمه الله تعالى « أحسن العمل أخلصه وأصوبه ».

قيل له : وما أخلصه وأصوبه ؟ .

قال : ان العمل اذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل. واذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل.

ولا يُقبل الا اذا كان خالصا صوابا.

والخالص : ان يكون مما ابتُغيَ به وجهُ الله.

والصواب : أن يكون على السُّنّة موافقا لما شرعه الله عز وجل.

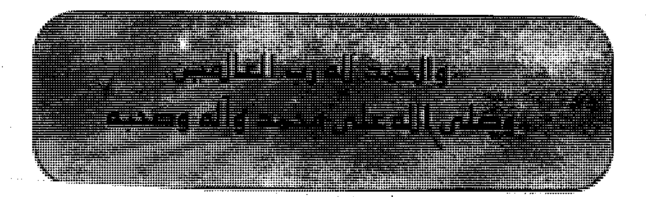
---

١) النواجذ : الأضراس التي بعد الناب وهذا مثل في شدة الاستمساك بالأمر فان أصناف الفتن التي تعترض العبد في دينه تتطلب منه أن يكون متينا في تمسكه فان كان ضعيفا جرفته وهوت به.

٢) رواه أبو داود في سننه (٤٦٠٧) والترمذي في العلم (٢٦٧٨) وأحمد ١٢٦/٤ وابن ماجه في مقدمة سننه (٤٢).

وما أحسن ما قال الشاعر:

يا باغي الاحسان يطلب ربــــه … ليفــوز منـه بغــاية الآمـــال
أنظر الى هدي الصحابــة والذي … كانوا عليــه في الزمان الخــالي
درجوا على نهج الرسول وهديه … وبـه اقتــدوا في سائر الأحـوال
القــانتـين المخبتــين لربهــم … النــاطقيـن بـأصــدق الأقــوال
أهـواؤهـم تبـع لديـن نبيهــم … وســواهم بالضـد في ذي الحال
ما شابهم في دينهم نقــص ولا … في قولهم شطح الجهـول الغـالي
عمـلوا بمــا علموا ولم يتكلفوا … فلـذاك مـا شابـوا الهدى بضلال
وسـواهـم بالضـد فـي أحوالهـم … تركوا الهدى ودعوا الى إضـلال
فهـم النجــوم هداية واضــاءة … وعلـــو منزلــــة وبعد منـــال
يمشون بين الناس هونا نطقهم … بالحق لا بجهــالــة الجهـــال
يحيــون ليلهم بطــاعة ربهـم … بتـــلاوة وتـضــرع وســـؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم … مثل انهمـــال الوابــل الهطـــال
في الليل رهبان وعند جهادهــم … لعدوهم من أشجـــع الأبطـــال
بوجوههم أثر السجـــود لربهم … بهـــا أشعـــة نوره المتلالـــي
وبـراءة والحشـر فيهـا وصفهم … وبهـل أتـى وبســورة الأنفـــال



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة ادارة البحوث العلمية والإفتاء

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم : ....

التاريخ : ....

المرفقات : ....

فتوى رقم (١٩٠٢٧) وتاريخ ٢٠/ ٨ /١٤١٧هـ.

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده .. وبعد :

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ماورد إلى سماحة المفتي العام من المستفتي/عثمان ميسة بن علي . والمحال إلى اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم(٤٠٦٦) وتاريخ ١٤١٧/٧/٢١هـ. وقد سأل المستفتي سؤالاً هذا نصه :(هل عبدالله الهرري الحبشي خدم الإسلام أم هدمه -؟).

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بمايلي : الرجل المذكور رجل سوء من رؤوس البدعة والضلال في هذا العصر . وقد جنَّد نفسه وأتباعه لهدم عقيدة المسلمين التى كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون . وجمعوا لأنفسهم مذهباً فاسداً في الفقهيات ملؤه بكل شاذ ورديئ من القول لا سند له من كتاب أو سنة . ولهم أوابد وطوام كثيرة في الاعتقاديات والعمليات والطعن في أئمة هذا الدين . فالواجب على المسلمين في كل مكان الحذر والتحذير من هذه الفرقة الضالة ومن أفكارها المنحرفة وآرائها الشاذة . نسأل الله الكريم أن يكف عن المسلمين شرهم وشر غيرهم إنه ولي ذلك والقادر عليه . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .....

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

نائب الرئيس	الرئيس
عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
عضو	عضو
بكر بن عبدالله أبوزيد	صالح بن فوزان الفوزان

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس تفصيلي للموضوعات

الاحتجاج بخدر رجل ابن عمر

كيف نفهم التوحيد

غاية التوحيد عند الحبشي

أقسام التوحيد بين السلف والمتكلمين

[الباب الثاني] الشفاعة

[الباب الثالث] التوسل والوسيلة

حديث توسل الأعمى بالنبي

أئمة المذاهب الفقهية ينهون عن التبرك

[الباب السادس] الأسماء والصفات تأويل أم إثبات

هل التأويل واجب؟

أخبار الآحاد حجة في العقائد والأحكام ٥١١

تطابق التأويلات بين المعتزلة والأشاعرة ٥٣١

نماذج من التأويل عند الشيعة

موقف الحبشي من كلام الله

الاستواء والعلو لله عز وجل

[الباب الرابع عشر] فتـــــاوى الحبشــــي

[الباب الخامس عشر] فتاوى تتعلق بالمرأة

[الباب السادس عشر] **الانكار في مسائل الخلاف**

[الباب السابع عشر] **الاجتهاد والتقليد**

[الباب الرابع والعشرون] **موقف الأشاعرة من الكرامات والمعجزات**

[الباب الثالث والعشرون] **هل ينتفع الميت بعمل الحي**

فهرس إجمالي للموضوعات